جز
عدد
٦٤

للسيد محمد ... رحمه الله تعالى

كأن وميض البرق راه تعلما لمغنا بن بن الثغر أو يتبسم
ومن خيفة النسيان بات يعيده مرارا وهذا شان من يتعلم

~~لكاتبه ... ~~

~~... صنفا ... ~~

~~... ~~

الجواب

~~... ~~

للكاتب
أيمن قيل في لطفا فارتقي لا ترضا
على الجو ... ارجوا ... امو ... سنة ١١٩٣

29

٢٨٨ ورقة محررة

من كتب الفقير احمد اسعد
ابن محمد [illegible]
عفي عنهما

[illegible]

للزمخشري رحمه الله

طوبى لعبد بحبل الله معتصمه ❊ على صراط سوي ثابت قدمه
رث الثياب جديد القلب مستتر ❊ في الأرض مشتهر فوق السما نسمه
ما زال يستحقر الدنيا بهمته ❊ حتى ترقت الى الأخرى به همته
فذاك أعظم من ذي التاج متكئا ❊ على النمارق محتفا به خدمه

تم الكلام

يا ابن كشف الأسرار فيا أخي
عن الأفكار العالم أفضل من العامل
بخمسة أشياء أحدها أن العلم قد يكون
بغير عمل ولا يكون العمل عملا بغير علم والثاني
مقام الأنبياء مقام العلماء ومقام العاملين مقام الأولياء
والثالث العمل لازم والعلم متعد كالسراج
والرابع ينفع العلم بغير عمل ولا ينفع العمل بغير علم
الخامس العمل منا والعلم من الله تعالى انتهى

كتاب الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل

تأليف الإمام العلامة فخر خوارزم شيخ شيوخ العرب والعجم جار الله محمود بن عمر الزمخشري رحمه الله

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد ❊ وليس فيها لعمري مثل كشاف
إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته ❊ فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري رحمه الله تعالى

الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاما مؤلفا منظما ونزله

بحسب المصالح منجما، وجعله بالتحميد مفتتحا وبالاستعاذة مختتما، وأوحاه على قسمين متشابها ومحكما، وفصله سورا وسوره آيات، وميز بينهن بفصول وغايات، وما هي إلا صفات مبتدئ مبتدع، وسمات منشئ مخترع، فسبحان من استأثر بالأولية والقدم، ووسم كل شيء سواه بالحدوث عن العدم، أنشأه كتابا ساطعا تبيانه، قاطعا برهانه، وحيا ناطقا ببينات وحجج، قرآنا عربيا غير ذي عوج، مفتاحا للمنافع الدينية والدنيوية، مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية، معجزا باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان، دائرا من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان، أفحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء، وأبكم به من تحدي به من مصاقع الخطباء، فلم يتصد للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم، ولم ينهض لمقدار أقصر سورة منه ناهض من بلغائهم، على أنهم كانوا أكثر من حصى البطحاء، وأوفر عددا من رمال الدهناء، ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالإفراط في المضادة والمضارة، وإلقائهم الشراشر على المعازة والمعارة، ولقائهم دون المناضلة عن أحسابهم الخطط، وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط، إن أتاهم أحد بمفخرة أتوه بمفاخر، وإن رماهم بمأثرة رموه بمآثر، وقد جرد لهم الحجة أولا والسيف آخرا، فلم يعارضوا إلا السيف وحده، على أن السيف القاضب مخراق لاعب، إن لم تمض الحجة حده، فما أعرضوا عن معارضة الحجة إلا لعلمهم أن البحر قد زخر فطم على الكواكب، وأن الشمس قد أشرقت فطمست نور الكواكب، والصلوة على خير من أوحي إليه، حبيب الله أبي القسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ذي اللواء المرفوع في بني لؤي، وذي الفرع المنيف في عبد مناف بن قصي، المثبت بالعصمة، المؤيد بالحكمة، الشادخ الغرة، الواضح التحجيل، النبي الأمي المكتوب في التورية والإنجيل، وعلى آله الأطهار، وخلفائه من الأختان والأصهار، وعلى جميع المهاجرين والأنصار.

اعلم أن متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية، وأقدام الصناع فيه متقاربة أو متساوية، إن سبق العالم العالم لم يسبقه إلا بخطى يسيرة، أو تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه إلا بمسافة قصيرة، وإنما الذي تباينت فيه الرتب، وتحاكت فيه الركب، ووقع فيه الاستباق والتناضل، وعظم فيه التفاوت والتفاضل، حتى انتهى الأمر إلى أمد من الوهم متباعد، وترقى إلى أن عد ألف بواحد، ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر، ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر، ومن غوامض أسرار محتجبة وراء أستار، لا يكشف عنها من الخاصة إلا أوحدهم وأخصهم، وإلا واسطتهم وفصهم، وعامتهم عماة عن إدراك حقائقها بأحداقهم، عناة في يد التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيهم وإطلاقهم، ثم إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح، من غرائب نكت يلطف مسلكها، ومستودعات أسرار يدق سلكها، علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم، كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن، فالفقيه

وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى أحد منهم لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علما المعاني والبيان، وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ، جامعا بين أمرين تحقيق وحفظ، كثير المطالعات، طويل المراجعات، قد رجع زمانا ورجع إليه، ورد ورد عليه، فارسا في علم الإعراب، مقدما في حملة الكتاب، وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها، مشتعل القريحة وقادها، يقظان النفس دراكا للمحة وإن لطف شأنها، منتبها على الرمزة وإن خفي مكانها، لا كزا جاسيا، ولا غليظا جافيا، متصرفا ذا دراية بأساليب النظم والنثر، مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات الفكر، قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف، وكيف ينظم ويرصف، طالما دفع إلى مضايقه، ووقع في مداحضه ومزالقه. ولقد رأيت إخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية، الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية، كلما رجعوا إلي في تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب، أفاضوا في الاستحسان والتعجب، واستطيروا شوقا إلى مصنف يضم أطرافا من ذلك، حتى اجتمعوا إلي مقترحين أن أملي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، فاستعفيت فأبوا إلا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد، والذي حداني على الاستعفاء على علمي أنهم طلبوا ما الإجابة إليه علي واجبة، لأن الخوض فيه كفرض العين، ما أرى عليه الزمان من رثاثة أحواله، وركاكة رجاله، وتقاصر هممهم عن أدنى عدد هذا العلم، فضلا عن أن تترقى إلى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان، فأمليت عليهم مسألة في الفواتح، وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة، وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال والجواب، طويل الذيول والأذناب، وإنما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم، وأن يكون لهم منارا ينتحونه، ومثالا يحتذونه، فلما صمم العزم على معاودة جوار الله، والإناخة بحرم الله، فتوجهت تلقاء مكة، وجدت في مجتازي بكل بلد من فيه مسكة من أهلها، وقليل ما هم، عطشى الأكباد إلى العثور على ذلك المملى، متطلعين إلى إيناسه، حراصا على اقتباسه، فهز ما رأيت من عطفي، وحرك الساكن من نشاطي، فلما حططت الرحل بمكة إذا أنا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية، الأمير الشريف الإمام شرف آل رسول الله أبي الحسن علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس أدام الله مجده، وهو النكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم، وجموم مناقبهم، أعطش الناس كبدا، وألهبهم حشى، وأوفاهم رغبة، حتى ذكر أنه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاغل، بقطع الفيافي وطي المهامه، والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل إلى إصابة هذا الغرض، فقلت: قد ضاقت علي المستقالة، وعيت بي العلل، ورأيتني قد أخذت مني السن، وتقعقع الشن، وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب، فأخذت في طريقة أخصر من الأولى مع ضمان التكثير من الفوائد، والفحص عن السرائر، ووفق الله تعالى وسدد، ففرغ منه في مقدار مدة خلافة أبي بكر الصديق، وكان يقدر تمامه في أكثر من ثلاثين سنة، وما هي إلا آية من آيات هذا البيت المحرم، وبركة أفيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم. أسأل الله أن يجعل ما تعبت فيه منه سببا ينجيني، ونورا لي على الصراط يسعى بين يدي وبيميني، ونعم المسؤول.

سورة فاتحة الكتاب مكية

وقيل مكية ومدنية، لأنها نزلت بمكة مرة وبالمدينة أخرى. وتسمى أم القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله بما هو أهله، ومن التعبد بالأمر والنهي، ومن الوعد والوعيد. وسورة الكنز والوافية لذلك. وسورة الحمد والمثاني لأنها تثنى في كل ركعة. وسورة الصلوة لأنها تكون فاضلة أو مجزئة بقراءتها فيها. وسورة الشفاء والشافية. وهي سبع آيات بالاتفاق، إلا أن منهم من عد أنعمت عليهم دون التسمية، ومنهم من مذهبه على العكس.

بسم الله الرحمن الرحيم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على أن التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور، وإنما كتبت للفصل والتبرك للابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل أمر ذي بال، وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله ومن تابعه، ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة. وقراء مكة والكوفة وفقهاؤها على أنها آية من الفاتحة

ومن كل سورة وعليه الشافعي رحمه الله وأصحابه ولذلك يجهرون بها وقالوا قد أثبتها السلف في المصحف
مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا أنها من القرآن لما أثبتوها وعن
ابن عباس رضي الله عنهما من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله تعالى **فإن قلت** بم تعلقت الباء
قلت بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ أو أتلو لأن الذي يتلو التسمية مقروء كما أن المسافر إذا حل أو ارتحل
فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله أحل وبسم الله أرتحل وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله
ببسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله تعالى في تسع آيات إلى فرعون
وقومه أي اذهب في تسع آيات وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين وقول الأعرابي باليمن
والبركة بمعنى أعرست أو نكحت ومنه قوله فقلت إلى الطعام فقال منهم فريق يحسد الإنس الطعاما **فإن**
قلت لم قدرت المحذوف متأخرا **قلت** لأن الأهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لأنهم كانوا يبدءون بأسماء
آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله تعالى بالابتداء وذلك بتقديمه
وتأخير الفعل كما فعل في قوله إياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم إرادة الاختصاص والدليل عليه قوله تعالى
بسم الله مجراها ومرساها **فإن قلت** فقد قال اقرأ باسم ربك فقدم الفعل **قلت** هناك تقديم الفعل أوقع
لأنها أول سورة نزلت فكان الأمر بالقراءة أهم **فإن قلت** ما معنى تعلق اسم الله تعالى بالقراءة **قلت**
فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على معنى أن المؤمن لما اعتقد أن
فعله لا يجيء معتدا به في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله تعالى لقوله عليه السلام كل أمر ذي بال
لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر إلا كان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم
والثاني أن يتعلق بها تعلق الدهن بالإنبات في قوله تعالى تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله أقرأ وكذلك
قول الداعي للمعرس بالرفاء والبنين معناه أعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه أعرب وأحسن
فإن قلت فكيف قال الله تعالى متبركا باسم الله أقرأ **قلت** هذا مقول على ألسنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان
غيره وكذلك الحمد لله رب العالمين إلى آخره وكثير من القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم
عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه **فإن قلت** من حق حروف
المعاني التي جاءت على حرف واحد أن تبنى على الفتحة التي هي أخت السكون نحو كاف التشبيه ولام
الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك فما بال لام الإضافة وبائها بنيتا على الكسر **قلت**
أما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء وأما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم أحد
الأسماء العشرة التي بنوا أوائلها على السكون فإذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع
ابتداؤهم بالساكن إذ كان دأبهم أن يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم
من كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية من الإحكام والرصانة وإذا وقعت في الدرج لم تفتقر
إلى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال
باسم الذي في كل سورة سمه وهو من الأسماء المحذوفة الأعجاز كيد ودم وأصله
سمو بدليل تصريفه كأسماء وسمي وسميت واشتقاقه من السمو لأن التسمية تنويه بالمسمى
وإشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز بمعنى النبر وهو رفع الصوت والنبز
قشر النخلة الأعلى **فإن قلت** فلم حذفت الألف في الخط وأثبتت في قوله باسم ربك الأعلى **قلت** قد اتبعوا
في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا
طولت الباء تعويضا من طرح الألف وعن عمر بن عبد العزيز أنه قال لكاتبه طول
الباء وأظهر السينات ودور الميم **والله** أصله الإله قال
معاذ الإله أن تكون كظبية ونظيره الناس أصله أناس قال إن المنايا يطلعن على الأناس الآمنينا
فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا ألله بالقطع كما يقال
يا إله والإله من أسماء الأجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق
أو باطل ثم غلب على المعبود بحق كما أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك
السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه وأما الله بحذف
الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره ومن هذا الاسم اشتق تأله وأله واستأله كما قيل
استنوق واستحجر في الاشتقاق من الناقة والحجر **فإن قلت** أاسم هو
أم صفة **قلت** بل اسم غير صفة ألا تراك تصفه ولا تصف به

لا تقول

لا تقول شيء إله كما لا تقول شيء رجل وتقول إله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير وأيضا فإن صفاته تعالى لا بد
لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال **فإن قلت**
هل لهذا الاسم اشتقاق **قلت** معنى الاشتقاق أن ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة
هذا الاسم وصيغة قولهم أله إذا تحير ومن أخواته دله وعله ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك
أن الأوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح
فإن قلت هل تفخم لامه **قلت** نعم قد ذكر الزجاج أن تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم وإطباقهم عليه
دليل على أنهم ورثوه كابرا عن كابر **والرحمن** فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر
وكذلك **الرحيم** فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك
قالوا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ويقولون إن الزيادة في البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان
هو الممتلئ غضبا ومما طن على أذني من ملح العرب أنهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف
ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل أردت المحمل العراقي فقال أليس
ذاك اسمه الشقدف قلت بلى قال فهذا اسمه الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة
كالدبران والعيوق والصعق لم يستعمل في غير الله عز وجل كما أن الله من الأسماء الغالبة وأما قول بني حنيفة
في مسيلمة رحمن اليمامة وقول شاعرهم فيه وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا فباب من تعنتهم في كفرهم
فإن قلت كيف تقول الله رحمن أتصرفه أم لا **قلت** أقيسه على أخواته من بابه نحو عطشان
وغرثان وسكران فلا أصرفه **فإن قلت** قد شرط في امتناع صرف فعلان أن يكون فعلان فعلى واختصاصه بالله
يحظر أن يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف **قلت** كما حظر ذلك أن يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد حظر أن يكون
له مؤنث على فعلانة كندمانة فإذا لا عبرة بامتناع التأنيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع إلى الأصل قبل
الاختصاص وهو القياس على نظائره **فإن قلت** ما معنى وصف الله تعالى بالرحمة ومعناها العطف والحنو
ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها **قلت** هو مجاز عن إنعامه على عباده لأن الملك إذا عطف على رعيته
ورق لهم أصابهم بمعروفه وإنعامه **فإن قلت** فلم قدم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس
الترقي من الأدنى إلى الأعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض **قلت** لما قال الرحمن فتناول
جلائل النعم وعظائمها وأصولها أردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف **الحمد**
والمدح أخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على إنعامه وحمدته على حسبه
وشجاعته وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال أفادتكم النعماء مني ثلاثة
يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده فهو إحدى شعب الشكر ومنه قوله عليه السلام الحمد رأس
الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وإنما جعله رأس الشكر لأن ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها أشيع لها وأدل
على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو
النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد
بالابتداء وخبره الظرف الذي هو لله وأصله النصب الذي هو قراءة بعضهم بإضمار فعله على أنه من المصادر
التي تنصبها العرب بأفعال مضمرة في معنى الإخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما أشبه ذلك ومنها سبحانك
ومعاذ الله ينزلونها منزلة أفعالها ويسدون بها مسدها لذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها
كالشريعة المنسوخة والعدول بها عن النصب إلى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره
ومنه قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة على أن إبراهيم صلوات الله عليه
حياهم بتحية أحسن من تحيتهم لأن الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى
نحمد الله حمدا ولذلك قيل إياك نعبد وإياك نستعين لأنه بيان لحمدهم له كأنه قيل كيف
تحمدون فقيل إياك نعبد **فإن قلت** ما معنى التعريف فيه **قلت** هو نحو التعريف في

ارسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والعراك ما هو
من بين اجناس الافعال والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقرا الحسن البصري الحمد
لله بكسر الدال لاتباعها اللام وقرا ابراهيم بن ابي عبلة الحمد لله بضم اللام لاتباعها الدال والذي
جسرهما على ذلك والاتباع انما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة تنزل الكلمتين منزلة
كلمة واحدة لكثرة استعمالهما مقترنتين واشف القراءتين قراءة ابراهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للاعرابية
التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن **الرب** المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من قريش
احب الي من ان يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه ينم فهو نم ويجوز ان يكون
وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في غيره على التقييد بالاضافة
كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى ارجع الى ربك انه ربي احسن مثواي وقرا زيد بن علي رضي الله عنه
رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد كانه قيل نحمد الله رب العالمين **العالم** اسم لذوي العلم
من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض **فان قلت** لم جمع قلت ليشمل
كل جنس مما سمي به **فان قلت** هو اسم غير صفة وانما تجمع بالواو والنون صفات العقلاء او ما في حكمها
من الاعلام **قلت** ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم **ملك يوم الدين**
قرئ ملك ومالك وملك بتخفيف اللام وقرا ابو حنيفة رضي الله عنه ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرا ابو هريرة
مالك بالنصب وقرا غيره ملك وهو نصب على المدح ومنهم من قرا مالك بالرفع وملك هو الاختيار
لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله تعالى لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم والملك يخص
ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا
فان قلت ما هذه الاضافة **قلت** هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى
المفعول به كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين
كقوله لمن الملك اليوم **فان قلت** فاضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل الحال او الاستقبال
فكان في تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة او غدا فاما اذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالك عبده امس
او زمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى في
مالك يوم الدين ويجوز ان يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف
والدليل عليه قراءة ابي حنيفة رضي الله عنه ملك يوم الدين وهذه الاوصاف التي اجريت على الله سبحانه من كونه ربا
مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل
والدقائق ومن كونه مالكا للامر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وانه
به حقيق في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد والثناء عليه بما هو
اهله **ايا** ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء والياء في قولك اياك واياه واياي لبيان الخطاب
والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف في ارايتك وليست باسماء مضمرة وهو مذهب الاخفش
وعليه المحققون واما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فشيء شاذ
لا يعول عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله تعالى قل افغير الله تامروني اعبد قل اغير الله ابغي ربا
والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة وقرئ **اياك** بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة والتشديد
وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل الغنوي فهياك والامر الذي ان تراحبت موارده ضاقت عليك مصادره
والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج
ولذلك لم تستعمل الا في الخضوع لله تعالى لانه مولي اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية الخضوع **فان قلت**
لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب **قلت** هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة
الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم

وقوله تعالى والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة ابيات
تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الارمد
وذلك من نبا جاءني وخبرته عن ابي الاسود وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه
ولان الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه
من اجرائه على اسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد
واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع له
والاستعانة به في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة
والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة
الا به **فان قلت** لم قرنت الاستعانة بالعبادة **قلت** ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم
وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته **فان قلت** فلم قدمت العبادة على الاستعانة **قلت** لان تقديم
الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الاجابة اليها **فان قلت** لم اطلقت الاستعانة **قلت** ليتناول كل
مستعان فيه والاحسن ان تراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب
المطلوب من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما كان احسن لتلاؤم الكلام
واخذ بعضه بحجزة بعض وقرا ابن حبيش نستعين بكسر النون هدى اصله ان يتعدى باللام او بالى كقوله
ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله واختار
موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح الالطاف كقوله تعالى والذين اهتدوا
زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وعن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة
الامر والدعاء واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما يتفاوتان في الرتبة وقرا عبد الله ارشدنا **السراط**
الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط
من قلب السين صادا لاجل الطاء كقوله مصيطر في مسيطر وقد تشم الصاد صوت الزاي وقرئ بهن جميعا
وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام ويجمع سرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث
كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام **صراط الذين انعمت عليهم** بدل من الصراط
المستقيم وهو في حكم تكرير العامل كانه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين انعمت عليهم
كما قال للذين استضعفوا لمن آمن منهم **فان قلت** ما فائدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين
انعمت عليهم **قلت** فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والاشعار بان الطريق المستقيم
بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه واكده
كما تقول هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان فيكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك
على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا واوقعت فلانا تفسيرا وايضاحا للاكرم الافضل
فجعلته علما في الكرم والفضل فكانك قلت من اراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما
فيه غير مدافع ولا منازع والذين انعمت عليهم هم المؤمنون واطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من انعم الله تعالى عليه
بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته واشتملت عليه وعن ابن عباس هم اصحاب موسى قبل ان يغيروا وقرا ابن مسعود
صراط من انعمت عليهم **غير المغضوب عليهم** بدل من الذين انعمت عليهم على معنى ان المنعم
عليهم هم الذين سلموا من غضب الله تعالى والضلال او صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة
المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله تعالى والضلال **فان قلت** كيف صح ان يقع غير
صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وان اضيف الى المعارف **قلت** الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه فهو
كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني ولان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فليس في غير

الإبهام الذي يأبى عليه أن يتعرّف. وقرئ بالنصب على الحال، وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب
رضي الله عنه، ورويت عن ابن كثير. وذو الحال الضمير في عليهم، والعامل أنعمت. وقيل المغضوب عليهم هم
اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه، والضالون هم النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل. فإن قلت
ما معنى غضب الله تعالى؟ قلت هو إرادة الانتقام من العصاة، وإنزال العقوبة بهم، وأن يفعل بهم ما يفعله
الملك إذا غضب على من تحت يده، نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته. فإن قلت أي فرق بين عليهم الأولى
وعليهم الثانية؟ قلت الأولى محلها النصب على المفعولية، والثانية محلها الرفع على الفاعلية. فإن قلت لم دخلت لا
في ولا الضالين؟ قلت لما في غير من معنى النفي، كأنه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين. وتقول أنا زيداً
غير ضارب، مع امتناع قولك أنا زيداً مثل ضارب، لأنه بمنزلة قولك أنا زيداً لا ضارب. وعن عمر وعلي رضي الله
عنهما أنهما قرآ وغير الضالين. وقرأ أيوب السختياني ولا الضألّين بالهمز، كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأنّ، وهذه
لغة من جدّ في الهرب من التقاء الساكنين. ومنها ما حكاه أبو زيد من قولهم شأبّة ودأبّة. **آمين** صوت سمّي به
الفعل الذي هو استجب، كما أن رويد وحيّهل وهلمّ أصوات سمّيت بها الأفعال التي هي أمهل وأسرع وأقبل. وعن ابن عباس
قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين، فقال افعل. وفيه لغتان مدّ ألفه وقصرها. قال
ويرحم الله عبداً قال آمينا. وقال أمين فزاد الله ما بيننا بعداً. وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب، وقال إنه كالختم على الكتاب. وليس من القرآن بدليل أنه
لم يثبت في المصاحف. وعن الحسن لا يقولها الإمام لأنه الداعي. وعن أبي حنيفة رحمه الله مثله، والمشهور عنه
وعن أصحابه أنه يخفيها. وروى الإخفاء عبد الله بن مغفل وأنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعند الشافعي
يجهر بها. وعن وائل بن حجر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته. وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبيّ بن كعب ألا أخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والإنجيل والقرآن مثلها؟ قلت بلى
يا رسول الله. قال فاتحة الكتاب، إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته. وعن حذيفة بن اليمان
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتماً مقضياً فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب
الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة.

سورة البقرة

وهي مائتان وسبع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم **الم**

اعلم أن الألفاظ التي يتهجى بها أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم، فقولك ضاد اسم
سمّي به ضه من ضرب إذا تهجيته، وكذلك را با اسمان لقوله ر به. وقد روعيت في هذه التسمية
لطيفة، وهي أن المسميات لما كانت ألفاظاً كأساميها وهي حروف وحدان، والأسامي عدد حروفها
مرتقٍ إلى الثلاثة، اتجه لهم طريق إلى أن يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها، وجعلوا المسمى صدر
كل اسم منها كما ترى، إلا الألف فإنهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لأنه لا يكون إلا ساكناً. ومما يضاهيها
في إيداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحولقة والحيعلة والبسملة. وحكمها ما لم تلها العوامل أن تكون
ساكنة الأعجاز موقوفة كأسماء الأعداد، فيقال ألفْ لامْ ميمْ، كما تقول واحدْ اثنانْ ثلاثهْ، فإذا وليتها
العوامل أدركها الإعراب، تقول هذه ألفٌ، وكتبت ألفاً، ونظرت إلى ألفٍ. وهكذا كل اسم عمدت إلى تأدية
ذاته فحسب قبل أن يحدث فيه بدخول العوامل شيء من تأثيراتها فحقك أن تلفظ به موقوفاً، ألا ترى
أنك إذا أردت أن تلقي على الحاسب أجناساً مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع، وكيف تلقيها
أغفالاً من سمة الإعراب، فتقول دار غلام جارية ثوب بساط، ولو أعربت ركبت شططاً.
فإن قلت لم قضيت لهذه الألفاظ بالاسمية، وهلا زعمت أنها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين؟
قلت قد استوضحت بالبرهان النير أنها أسماء غير حروف، فعلمت أن قولهم خليق
بأن يصرف إلى التسامح، وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الأسماء التي لا يقدح إشكال في اسميتها

في تسميتها

كالظروف وغيرها بالحروف، مستعملين الحرف في معنى الكلمة. وذلك أن قولك ألف دلالته على أوسط حروف قال
وأول حروف أخذ كدلالة قولك فرس على الحيوان المخصوص، لا فضل بينهما. ألا ترى أن الحرف ما دل على معنى
في غيره، وهذا كما ترى دالّ على معنى في نفسه. ولأنها يتصرف فيها بالإمالة كقولك با تا، وبالتفخيم كقولك
يا ها، وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والإسناد والإضافة، وجميع ما للأسماء المتصرفة. ثم
إني عثرت من جانب الخليل على نص في ذلك. قال سيبويه قال الخليل يوماً وسأل أصحابه كيف تقولون إذا
أردتم أن تلفظوا بالكاف التي في لك والباء التي في ضرب؟ فقيل نقول باء كاف. فقال إنما جئتم بالاسم ولم
تلفظوا بالحرف، وقال أقول كه وبه. وذكر أبو علي في كتاب الحجة في يس وإمالة يا أنهم قالوا يا زيد
في النداء فأمالوا وإن كان حرفاً، قال فإذا كانوا قد أمالوا ما لا يمال من الحروف من أجل الياء فلأن يميلوا
الاسم الذي هو يس أجدر، ألا ترى أن هذه الحروف أسماء لما يلفظ بها. فإن قلت من أي قبيل هي من الأسماء،
أمعربة أم مبنية؟ قلت بل هي أسماء معربة، وإنما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الأسماء حيث لا يمسها
إعراب لفقد مقتضيه وموجبه. والدليل على أن سكونها وقف وليس ببناء أنها لو بنيت لحذي بها
حذو كيف وأين وهؤلاء، ولم يقل صادْ قافْ نونْ مجموعاً فيها بين الساكنين. فإن قلت فلم لفظ المتهجي
بما آخره ألف منها مقصوراً، فلما أعرب مدّ فقال هذه باء وياء وهاء، وذلك يخيل أن وزانها وزان قولك
لا مقصورة، فإذا جعلتها اسماً مددت فقلت كتبت لاء؟ قلت هذا التخيل يضمحل بما لخصته من
الدليل، والسبب في أن قصرت متهجاة ومدت حين مسها الإعراب أن حال التهجي خليقة بالأخف الأوجز
واستعمالها فيه أكثر. فإن قلت قد تبين أنها أسماء حروف المعجم، وأنها من قبيل المعربة، وأن سكون أعجازها
عند الهجاء لأجل الوقف، فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور؟ قلت فيه أوجه أحدها
وعليه إطباق الأكثر أنها أسماء السور، وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في
حد ما لا ينصرف بباب أسماء السور، وهي في ذلك على ضربين أحدهما ما لا يتأتى فيه إعراب نحو كهيعص والمر،
والثاني ما يتأتى فيه الإعراب، وهو إما أن يكون اسماً فرداً كصاد وقاف ونون، أو أسماء عدة مجموعها على زنة
مفرد كحم وطس ويس فإنها موازنة لقابيل وهابيل، وكذلك طسم يتأتى فيها أن تفتح نونها وتصير
ميم مضمومة إلى طس فيجعلا اسماً واحداً كدارابجرد. فالنوع الأول محكي ليس إلا، وأما النوع الثاني
فسائغ فيه الأمران الإعراب والحكاية. قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن أوفى العبسي
يذكرني حاميم والرمح شاجر ... فهلا تلا حاميم قبل التقدم. فأعرب حاميم ومنعها الصرف، وهكذا كل ما
أعرب من أخواتها لاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتأنيث. والحكاية أن تجيء بالقول بعد
نقله على استبقاء صورته الأولى كقولك دعني من تمرتان، وبدأت بالحمد لله، وقرأت سورة أنزلناها.
وقال وجدنا في كتاب بني تميم ... أحق الخيل بالركض المعار. وقال ذو الرمة سمعت الناس ينتجعون غيثاً
فقلت لصيدح انتجعي بلالا. وقال آخر تنادوا بالرحيل غداً ... وفي ترحالهم نفسي. وروي منصوباً
ومجروراً. ويقول الحجازي في استعلام من يقول رأيت زيداً من زيداً. وقال سيبويه سمعت من العرب
من يقول لا من أين يا فتى. فإن قلت فما وجه قراءة من قرأ صادَ وقافَ ونونَ مفتوحات؟ قلت
الوجه أن يقال ذلك نصب وليس بفتح، وإنما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت، وانتصابها
بفعل مضمر نحو اذكر. وقد أجاز سيبويه مثل ذلك في حم وطس ويس لو قرئ به. وحكى أبو سعيد
السيرافي أن بعضهم قرأ ياسينَ. ويجوز أن يقال حركت لالتقاء الساكنين كما قرئ
ولا الضألّين. فإن قلت هلا زعمت أنها مقسم بها وأنها نصبت نصب قولهم نعمَ الله
لأفعلن، وإيْ الله لأفعلن، على حذف حرف الجر وإعمال فعل القسم. وقال ذو الرمة
ألا رب من قلبي له الله ناصح. وقال آخر فذاك أمانة الله الثريد. قلت إن القرآن

والقلم تجد هذه الفواتح محلوفاً بها فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم عليه واحد وقد
استكرهوا ذلك قال الخليل في قوله عز وجل والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى
الواوان الأخريان ليستا بمنزلة الأولى ولكنهما الواوان اللتان تضمان الأسماء إلى الأسماء في قولك
مررت بزيد وعمرو والأولى بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه قلت للخليل فلم لا تكون الأخريان
بمنزلة الأولى فقال إنما أقسم بهذه الأشياء على شيء ولو كان انقضى قسمه بالأول على شيء لجاز أن
يستعمل كلاماً آخر فيكون كقولك بالله لأفعلن بالله لأخرجن اليوم ولا يقوى أن تقول وحقك وحق
زيد لأفعلن والواو الأخيرة واو قسم لا يجوز إلا مستكرهاً قال وتقول وحياتي ثم حياتك
لأفعلن فثم هاهنا بمنزلة الواو وهذا لا سبيل فيه إلى ما نحن بصدده إلا أن تجعل الواو للعطف
لمخالفة الثاني الأول في الإعراب **فإن قلت** فقدرها مجرورة بإضمار الباء القسمية لا بحذفها
فقد جاء عنهم الله لأفعلن مجروراً ونظيره قولهم لاه أبوك غير أنها فتحت في موضع الجر
لكونها غير مصروفة واجعل الواو للعطف حتى يستتب لك المصير إلى نحو ما أشرت إليه **قلت**
هذا لا يبعد عن الصواب ويعضده ما رووا عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال أقسم الله بهذه
الحروف **فإن قلت** فما وجه قراءة بعضهم صاد وقاف بالكسر **قلت** وجهها ما ذكرت من التحريك
لالتقاء الساكنين والذي يبسط من عذر المحرك أن الوقف لما استمر بهذه الأسماء شاكلت لذلك
ما اجتمع في آخره ساكنان من المبنيات فعوملت تارة معاملة الآن وأخرى معاملة هؤلاء
فإن قلت هل تسوغ لي في المحكية مثل ما سوغت لي في المعربة من إرادة معنى القسم **قلت** لا عليك
في ذلك وأن تقدر حرف القسم مضمراً في نحو قوله عز وعلا حم والكتاب المبين كأنه قيل أقسم بهذه
السورة وبالكتاب المبين إنا جعلناه وأما قوله صلى الله عليه وسلم حم لا ينصرون فيصلح أن يقضى له
بالجر والنصب جميعاً على حذف الجار وإضماره **فإن قلت** فما معنى تسمية السور بهذه الألفاظ
خاصة **قلت** كأن المعنى في ذلك الإشعار بأن الفرقان ليس إلا كلماً عربية معروفة التركيب
من مسميات هذه الألفاظ كما قال عز من قائل قرآناً عربياً **فإن قلت** فما بالها مكتوبة في المصحف
على صور الحروف أنفسها لا على صور أساميها **قلت** لأن الكلم لما كانت مركبة من ذوات
الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت أن يلفظ بالأسماء
وتقع في الكتابة الحروف أنفسها عمل على تلك الشاكلة المألوفة في كتابة هذه الفواتح وأيضاً فإن
شهرة أمرها وإقامة ألسن الأسود والأحمر لها وأن اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى بطائل
منها وأن بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده أمنت وقوع اللبس فيها
وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التي بني عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد
ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف
قال عبد الله ابن درستويه في كتابه المترجم بكتاب الكتاب المتمم في الخط والهجاء خطان لا
يقاسان خط المصحف لأنه سنة وخط العروض لأنه يثبت فيه ما أثبته اللفظ ويسقط عنه
ما أسقطه والوجه الثاني أن يكون ورود هذه الأسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد
كالإيقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر في أن هذا المتلو
عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم
النظر إلى أن يستيقنوا أن لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم عن أن يأتوا بمثله
بعد المراجعات المتطاولة وهم أمراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل

في اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم
المبالغ التي بذت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع
وراء مطامح أعين البصراء إلا لأنه ليس بكلام البشر وأنه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة
والخلاقة بالقبول بمنزل ولناصر القول الأول أن يقول إن القرآن إنما نزل بلسان العرب مصبوباً في أساليبهم
واستعمالاتهم والعرب لم يتجاوزوا ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم أحد منهم بمجموع ثلاثة أسماء وأربعة وخمسة
والقول بأنها أسماء السور حقيقة يخرج إلى ما ليس في لغة العرب ويؤدي أيضاً إلى صيرورة الاسم والمسمى
واحداً فإن اعترضت عليه بأنه قول مقول على وجه الدهر وأنه لا سبيل إلى رده أجابك بأن له محملاً
سوى ما يذهب إليه وأنه نظير قول الناس فلان يروي قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه
ما قرأت فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله في أولادكم والله نور السموات والأرض
وليست هذه الجمل بأسامي هذه القصائد وهذه السور والآي وإنما تعني رواية القصيدة التي ذاك
استهلالها وتلاوة السورة أو الآية التي تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على أسلوب من يقصد التسمية واستشهد
منها بما يستشهد من التسمية قال ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب عن الاعتراض على الوجه الأول
أن يقول التسمية بثلاثة أسماء فصاعداً مستنكرة لعمري وخروج عن كلام العرب ولكن إذا جعلت اسماً واحداً
على طريقة حضرموت فأما غير مركبة منثورة نثر أسماء العدد فلا استنكار فيها لأنها من باب التسمية بما حقه
أن يحكى حكاية كما سموا بتأبط شراً وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمي بزيد منطلق أو ببيت شعر وناهيك
بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من أسماء حروف المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك
وأما تسمية السور كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم والمسمى واحداً لأنها تسمية مؤلف بمفرد والمؤلف غير
المفرد ألا ترى أنهم جعلوا اسم الحرف مؤلفاً منه ومن حرفين مضمومين إليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم
والمسمى واحداً حيث كان الاسم مؤلفاً والمسمى مفرداً والوجه الثالث أن ترد السور مصدرة بذلك ليكون أول
ما يقرع الأسماع مستقلاً بوجه من الإعراب وتقدمة من دلائل الإعجاز وذلك أن النطق بالحروف أنفسها
كانت العرب فيه مستوية الأقدام الأميون منهم وأهل الكتاب بخلاف النطق بأسامي الحروف فإنه كان
مختصاً بمن خط وقرأ وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغرباً مستبعداً من الأمي التكلم بها استبعاد
الخط والتلاوة كما قال عز وجل وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون
فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار أنه لم يكن ممن اقتبس شيئاً من أهله حكم الأقاصيص المذكورة في القرآن
التي لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الإحاطة بها في أن ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة
نبوته وبمنزلة من يتكلم بالرطانة من غير أن يسمعها من أحد **واعلم** أنك إذا تأملت ما أورده
الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الأسماء وجدتها نصف أسامي حروف المعجم أربعة عشر سواء وهي الألف
واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون
في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم إذا نظرت في هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف
أجناس الحروف بيان ذلك أن فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء
ومن المجهورة نصفها الألف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن
الشديدة نصفها الألف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد
والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها
الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن
المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الألف واللام والميم والراء
والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء
ثم إذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التي ألغى الله ذكرها من هذه الأجناس

المعدودة مكتوبة بالمذكورة منها فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل
منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاره فكأن الله عز اسمه عدد على العرب الألفاظ التي
منها تراكيب كلامهم إشارة إلى ما ذكرت من التبكيت لهم وإلزام الحجة إياهم ومما يدل على أنه تعمد بالذكر من
حروف المعجم أكثرها وقوعا في تراكيب الكلم أن الألف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح
مكررتين وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والأعراف والرعد
ويونس وإبراهيم وهود ويوسف والحجر **فإن قلت** فهلا عددت بأجمعها في أول القرآن وما لها
جاءت مفرقة على السور **قلت** لأن إعادة التنبيه على أن المتحدى به مؤلف منها لا غير وتجديده في غير
موضع واحد أوصل إلى الغرض وأقر له في الأسماع والقلوب من أن يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب
كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره **فإن قلت** فهلا جاءت
على وتيرة واحدة ولم اختلفت أعداد حروفها فوردت ص وق ون على حرف وطه وطس
ويس وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلاثة أحرف والمص والمر على أربعة أحرف
وكهيعص وحمعسق على خمسة أحرف **قلت** هذا على عادة افتنانهم في أساليب الكلام
وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب متنوعة وكما أن أبنية كلماتهم على حرف وحرفين إلى خمسة أحرف لم تتجاوز
ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك **فإن قلت** فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة
التي اختصت بها **قلت** إذا كان الغرض هو التنبيه والمبادي كلها في تأدية هذا الغرض سواء لا مفاضلة
كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما إذا سمى الرجل بعض أولاده زيدا والآخر عمرا لم يقل
له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو لأن الغرض هو التمييز وهو حاصل أية سلك ولذلك
لا يقال لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه
القعود **فإن قلت** فما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض **قلت** هذا علم توقيفي
لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور أما الم فآية حيث وقعت من السور المفتتحة بها وهي ست
وكذلك المص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية في سورها الخمس وطسم آية في سورتيها
وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية واحدة
وص وق ون ثلاثتها لم تعد آية هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها
آية **فإن قلت** فكيف عد ما هو في حكم كلمة واحدة آية **قلت** كما عد الرحمن وحدها ومدهامتان
وحدها آيتين على طريق التوقيف **فإن قلت** ما حكمها في باب الوقف **قلت** يوقف على
جميعها وقف التمام إذا حملت على معنى مستقل غير محتاج إلى ما بعده وذلك إذا لم تجعل أسماء للسور ونعق
بها كما ينعق بالأصوات أو جعلت وحدها أخبار ابتداء محذوف كقوله عز وجل الم الله أي هذه الم ثم
ابتدأ فقال الله لا إله إلا هو **فإن قلت** هل لهذه الفواتح محل من الإعراب **قلت** نعم لها محل
فيمن جعلها أسماء للسور لأنها عنده كسائر الأسماء الأعلام **فإن قلت** ما محلها **قلت** يحتمل
الأوجه الثلاثة أما الرفع فعلى الابتداء وأما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة
الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها أسماء للسور لم يتصور أن يكون لها محل في مذهبه كما لا محل
للجمل المبتدأة وللمفردات المعددة **فإن قلت** لم صحت الإشارة بذلك إلى ما ليس ببعيد
قلت وقعت الإشارة إلى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام
يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا
وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولأنه لما وصل من المرسل إلى
المرسل إليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد أعطيته شيئا احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك
الكتاب الذي وعدوا به **فإن قلت** لم ذكر اسم الإشارة والمشار إليه مؤنث وهو السورة **قلت** لا أخلو

من أن تجعل الكتاب خبره أو صفته فإن جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز إجراء
حكمه عليه في التذكير كما أجري عليه في التأنيث في قولهم من كانت أمك وإن جعلته صفته فإنما أشير به إلى
الكتاب صريحا لأن اسم الإشارة مشار به إلى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الإنسان أو ذلك
الشخص فعل كذا وقال الذبياني نبئت نعمى على الهجران عاتبة ° سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري °
فإن قلت أخبرني عن تأليف ذلك الكتاب مع الم **قلت** إن جعلت الم اسما للسورة ففي التأليف وجوه
١ أن يكون الم مبتدأ أولا وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الأول ومعناه أن ذلك
الكتاب هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وأنه الذي يستأهل أن يسمى كتابا
كما تقول هو الرجل أي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال °
٢ وإن الذي حانت بفلج دماؤهم ° هم القوم كل القوم يا أم خالد ° وأن يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب
الموعود وأن يكون الم خبر مبتدأ محذوف أي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا أو بدلا على أن الكتاب
صفة وأن يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة أخرى وإن جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ
خبره الكتاب أي ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل أو الكتاب صفة والخبر ما بعده أو قدر
مبتدأ محذوف أي هو يعني المؤلف من هذه الحروف **ذلك الكتاب** وقرأ عبد الله الم تنزيل
الكتاب لا ريب فيه وتأليف هذا ظاهر **والريب** مصدر رابني إذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق
النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك
إلى ما لا يريبك فإن الشك ريبة وإن الصدق طمأنينة أي فإن كون الأمر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس
ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب
من نوائبه ومنه أنه مر بظبي حاقف فقال لا يريبه أحد بشيء **فإن قلت** كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق
وكم من مرتاب فيه **قلت** ما نفى أن أحدا لا يرتاب فيه وإنما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له
لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه ألا ترى إلى قوله وإن كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله فما أبعد وجود الريب منهم وإنما عرفهم الطريق
إلى مزيل الريب وهو أن يحزروا أنفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة أم تتضاءل
دونها فيتحققوا عند عجزهم أن ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة **فإن قلت** فهلا قدم الظرف
على الريب كما قدم على الغول في قوله لا فيها غول **قلت** لأن القصد في إيلاء الريب حرف النفي نفي الريب
عنه وإثبات أنه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو أولي الظرف لقصد
إلى ما يبعد عن المراد وهو أن كتابا آخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة
على خمور الدنيا بأنها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كأنه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة
وقرأ أبو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة أن المشهورة توجب الاستغراق وهذه
تجوزه والوقف على **فيه** هو المشهور وعن نافع وعاصم أنهما وقفا على لا ريب ولا بد للواقف من أن ينوي
خبرا ونظيره قوله تعالى لا ضير وقول العرب لا بأس وهي كثيرة في لسان أهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه
فيه هدى **الهدى** مصدر على فعل كالسرى والبكى وهو الدلالة الموصلة إلى البغية بدليل
وقوع الضلالة في مقابلته قال الله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال لعلى هدى أو في ضلال
مبين ويقال مهدي في موضع المدح كمهتد ولأن اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في
خلاف معنى أصله ألا ترى إلى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر وأشباه ذلك **فإن قلت** فلم قيل
هدى للمتقين والمتقون مهتدون **قلت** هو كقولك للعزيز المكرم أعزك الله وأكرمك تريد طلب
الزيادة إلى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه آخر وهو أنه

نتماهم عند مشارفتهم لكتبتنا لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وعن
ابن عباس رضي الله عنه اذا اراد احدكم الحج فليتعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكون الحاجة فسماها المشارف
للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي صائرا الى الفجور
والكفر **فان قلت** فهلا قيل هدى للضالين **قلت** لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم
المطبوع على قلوبهم وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقي على الضلالة فبقي ان يكون هدى
لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه
على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وايضا فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين
وسنام القرآن واول المثاني بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده **والمتقي** في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه
فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابه ضلع من غلظ الارض ورقة
الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه اذى وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل او
ترك واختلف في الصغائر فقيل الصحيح انه لا يتناولها لانها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على الرجل
اسم المؤمن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل الا على المختبر ومحل هدى للمتقين
الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدأ اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينتصب
على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يضرب عن هذه المحال صفحا وان
يقال ان قوله تعالى الم جملة برأسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة
وهدى للمتقين رابعة وقد اصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من
غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا
الى الثالثة والرابعة بيان ذلك انه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت
بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من اعضاده ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان
شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض العلماء
فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين
فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع
بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى
الغرض بالطف وجه وارشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة
الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الصفة الذي هو هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين زادنا الله
اطلاعا على اسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه **الذين يؤمنون** اما موصول بالمتقين على انه صفة
مجرورة او مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني الذين يؤمنون او هم الذين يؤمنون واما منقطع عن المتقين مرفوع على
الابتداء مخبر عنه باولئك على هدى فاذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام واذا كان منقطعا كان وقفا تاما
فان قلت ما هذه الصفة اواردة بيانا وكشفا للمتقين ام مفيدة غير فائدتها ام جاءت على سبيل المدح والثناء
كصفات الله تعالى الجارية عليه تمجيدا **قلت** يحتمل ان ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما اسست عليه حال
المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان الذي هو اساس الحسنات ومنصبها
وذكر الصلاة والصدقة لان هاتين اما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما الم تر كيف سمى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر ترك الصلاة وسمى الزكاة قنطرة الاسلام
وقال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شأنهما استجرار سائر العبادات
واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام اختصارا بان استغني عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها
والذي اذا وجد لم تتوقف اخواته ان تقترن به مع ما في ذلك من الافصاح عن فضل هاتين العبادتين

واما الترك فكذلك الا ترى الى قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل ان لا تكون بيانا
للمتقين وتكون صفة برأسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل
ان تكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للايمان بالغيب واقام الصلاة وايتاء الزكاة بالذكر
اظهارا لانافتها على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات والايمان افعال من الامن
يقال آمنته وآمنته غيري ثم يقال آمنه اذا صدقه وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة واما تعديته
بالباء فلتضمينه معنى اقر واعترف واما ما حكى ابو زيد عن العرب ما آمنت ان اجد صحابة اي ما وثقت
فحقيقته صرت ذا امن به اي ذا سكون وطمأنينة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب اي يعترفون
به او يثقون بانه حق ويجوز ان لا يكون بالغيب صلة للايمان وان يكون في موضع الحال اي يؤمنون
غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني لم اخنه بالغيب
ويعضده ما روي ان اصحاب عبد الله ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وايمانهم فقال ابن مسعود
ان امر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية
فان قلت فما المراد بالغيب ان جعلته صلة وان جعلته حالا **قلت** ان جعلته صلة كان بمعنى الغائب
اما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة
والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا وعن النضر بن شميل شربت الابل حتى وارت غيوب كلاها يريد بالغيب
الخمصة التي تكون في موضع الكلية اذا بطنت الدابة انتفخت واما ان يكون فيعلا فخفف كما قيل قيل واصله قيل
والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم نحن منه ما اعلمناه او نصب لنا
دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما
يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة
فان قلت ما الايمان الصحيح **قلت** ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن
اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخل بالشهادة فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق ومعنى
اقامة الصلاة تعديل اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها من اقام العود
اذا قومه او الدوام عليها والمحافظة كما قال عز وعلا والذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم على صلواتهم يحافظون
من قامت السوق اذا نفقت واقامها قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا
لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي تتوجه اليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون واذا عطلت
واضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه او التجلد والتشمر لادائها وان لا يكون في مؤديها فتور عنها
ولا توان من قولهم قام بالامر وقامت الحرب على ساقها وفي ضده قعد عن الامر وتقاعد عنه اذا تقاعس وتثبط
او اداؤها فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع
وبالسجود وقالوا سبح اذا صلى لوجود التسبيح فيها فلولا انه كان من المسبحين **والصلاة** فعلة من
صلى كالزكاة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه
وسجوده ونظيره كفر اليهودي اذا طأطأ رأسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لانه ينثني على الكاذتين
وهما الكافرتان وقيل للداعي مصل تشبيها في تخشعه بالراكع والساجد واسناد الرزق الى نفسه للاعلام
بانهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستاهل ان يضاف الى الله تعالى ويسمى رزقا منه وادخال من التبعيضية
صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كأنه قال
ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به وجائز ان يراد به الزكاة المفروضة لاقترانه باخت الزكاة
وشقيقتها وهي الصلاة وان تراد هي وغيرها من النفقات في سبل الخير لمجيئه مطلقا يصلح ان يتناول
كل منفق وانفق الشيء وانفده اخوان وعن يعقوب نفق الشيء ونفد واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون

وعينه فاء فدالّ على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك إذا تأملت. **فإن قلت** **والذين يؤمنون** أهم غير الأولين أم هم الأولون وإنما وسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله:

إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة في المزدحم

وقوله: يا لهف زيابة للحارث الـ ... ـصابح فالغانم فالآيب

قلت يحتمل أن يراد بهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه من الذين آمنوا فاشتمل إيمانهم على كل وحي أنزل من عند الله وأيقنوا بالآخرة إيقانا زال معه ما كانوا عليه من أنه لا يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودات واجتماعهم على الإقرار بالنشأة الأخرى وإعادة الأرواح في الأجساد ثم افتراقهم فرقتين منهم من قال تجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه آخرون فزعموا أن ذلك إنما احتيج إليه في هذه الدار من أجل نماء الأجسام ولمكان التوالد والتناسل وأهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون إلا بالنسيم والأرواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور واختلافهم في الدوام والانقطاع فيكون المعطوف غير المعطوف عليه ويحتمل أن يراد وصف الأولين ووسط العاطف على معنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه. **فإن قلت** فإذا أريد بهؤلاء غير أولئك فهل يدخلون في جملة المتقين أم لا **قلت** إن عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا وكانت صفة المتقين مشتملة على الزمرتين من مؤمني أهل الكتاب وغيرهم وإن عطفتهم على المتقين لم يدخلوا وكأنه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما أنزل إليك. **فإن قلت** قوله **بما أنزل إليك** إن عني به القرآن بأسره والشريعة عن آخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت إيمانهم فكيف قيل أنزل بلفظ المضي وإن أريد به المقدار الذي سبق إنزاله وقت إيمانهم فهو إيمان ببعض المنزل واشتمال الإيمان على الجميع الذي هو واجب **قلت** المراد المنزل كله وإنما عبر عنه بلفظ المضي وإن كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب فيقال أنا وأنت فعلنا وأنت وزيد تفعلان ولأنه إذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كأن كله قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه قوله تعالى إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولك كل ما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم به فلان فهو نادر ولا تريد بهذا الماضي منه فحسب دون الآتي لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه بماضيه. وقرأ يزيد بن قطيب بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك على لفظ ما سمي فاعله. وفي تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض بأهل الكتاب وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته وأن قولهم ليس بصادر عن إيقان وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك. والإيقان إتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه. **والآخرة** تأنيث الآخر الذي هو نقيض الأول وهي صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا. وعن نافع أنه خففها بأن حذف الهمزة وألقى حركتها على اللام كقوله دابة الأرض. وقرأ أبو حية النميري يؤقنون بالهمز جعل الضمة في جار الواو كأنها فيه فقلبها قلب واو وجوه ووقتت ونحوه:

لحب المؤقدان إلى مؤسى ... وجعدة إذ أضاءهما الوقود

أولئك على هدى الجملة في محل الرفع إن كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ وإلا فلا محل لها. ونظم الكلام على الوجهين أنك إذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستئناف وذلك أنه لما قيل هدى للمتقين واختص المتقون بأن الكتاب لهم هدى اتجه لسائل أن يسأل فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب إلى ساقته كأنه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا بها من الله أن يلطف بهم

بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم أي الذين هؤلاء عقائدهم وأعمالهم أحقاء بأن يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه أولئك أهل المحبة وإن جعلته تابعا للمتقين وقع الاستئناف على أولئك كأنه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فأجيب بأن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا. **واعلم** أن هذا النوع من الاستئناف يجيء تارة بإعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك أحسنت إلى زيد زيد حقيق بالإحسان وتارة بإعادة صفته كقولك أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك منك فيكون الاستئناف بإعادة الصفة أحسن وأبلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه. **فإن قلت** هل يجوز أن يجري الموصول الأول على المتقين وأن يرفع الثاني على الابتداء وأولئك خبره **قلت** نعم على أن يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون أنهم على الهدى وطامعون أنهم ينالون الفلاح عند الله. وفي اسم الإشارة الذي هو أولئك إيذان بأن ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله أهل لاكتسابه من أجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم: ولله صعلوك ... ثم عدد له خصالا فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله:

فذلك إن يهلك فحسنى ثناؤه ... وإن عاش لم يقعد ضعيفا مذمما

ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى. ومعنى **هدى من ربهم** أي منحوه من عنده وأوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على أعمال الخير والترقي إلى الأفضل فالأفضل. ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كأنه قيل على أي هدى كما تقول لو أبصرت فلانا لأبصرت رجلا. وقال الهذلي:

فلا وأبي الطير المربة بالضحى ... على خالد لقد وقعت على لحم

والنون في من ربهم أدغمت بغنة وبغير غنة فالكسائي وحمزة ويزيد وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها وقد أغنها الباقون إلا أبا عمرو فقد روي عنه فيها روايتان. وفي تكرير أولئك تنبيه على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الأثرتين في تمييزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة على حيالها. **فإن قلت** لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون **قلت** قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فإنهما متفقان لأن التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الأولى فهي من العطف بمعزل. وهم فصل وفائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره أو هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك. ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم المفلحون في الآخرة كما إذا بلغك أن إنسانا قد تاب من أهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب أي هو الذي أخبرت بتوبته أو على أنهم الذين إن حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الأسد وما جبل عليه من فرط الإقدام إن زيدا هو هو. فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى وهي ذكر اسم الإشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته. اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدر بذكرهم سورة البقرة. **والمفلح** الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي بأمرك بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك أخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى. لما قدم ذكر أوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي أهلتهم لإصابة الزلفى عنده وبين أن الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على أثره بذكر أضدادهم

وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تجدي عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب
وعدمه وانذار الرسول وسكوته فان قلت لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو
قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وغيره من الآي الكثيرة قلت ليس وزان هاتين القصتين
وزان ما ذكرت لان الاولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وانه هدى للمتقين وسيقت الثانية لان
الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين في الغرض والاسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف فان قلت
هذا اذا زعمت ان الذين يؤمنون جار على المتقين فاما اذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته
بكلام اخر في صفة اضدادهم كان مثل تلك الآي المتلوة قلت قد مر لي ان الكلام المبتدأ عقيب المتقين
سبيله الاستئناف وانه مبني على تقدير سؤال فذلك ادراج له في حكم المتقين وتابع له في المعنى وان كان مبتدأ
في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه والتعريف في الذين كفروا يجوز ان يكون للعهد وان يراد بهم ناس باعيانهم
كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم وان يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي
بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم سواء اسم بمعنى
الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء
للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر لان ءانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع المرتفع به على الفاعلية
كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كما تقول ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او يكون
ءانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر
لان فان قلت الفعل ابدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الاخبار عنه في هذا الكلام قلت هو من
الكلام المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني
ميلا بينا من ذلك قولهم لا تاكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان
كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل والهمزة وام مجردتان لمعنى الاستواء وقد
انسلخ عنهما معنى الاستفهام راسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك
اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما ان ذلك جرى على صورة
النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما في علم المستفهم عنهما لانه قد علم ان احد الامرين كائن اما الانذار
واما عدمه ولكن لا بعينه وكلاهما معلوم بعلم غير معين وقرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين والتخفيف اعرب
واكثر وبتخفيف الثانية بين بين وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف
حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح فان قلت فما تقول فيمن يقلب الثانية الفا
قلت هو لاحن خارج من كلام العرب خروجين احدهما الاقدام على جمع الساكنين على غير حده وحده
ان يكون الاول حرف لين والثاني حرفا مدغما نحو قوله الضالين وخويصة والثاني اخطاء طريق التخفيف
لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها ان تخرج بين بين فاما القلب الفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح
ما قبلها كهمزة راس والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي فان قلت ما موقع لا يؤمنون
قلت اما ان يكون جملة مؤكدة للجملة قبلها او خبرا لان والجملة قبلها اعتراض الختم والكتم
اخوان لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه و
الغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة فان قلت
ما معنى الختم على القلوب والاسماع وتغشية الابصار قلت لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة
وانما هو من باب المجاز ويحتمل ان يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل اما الاستعارة فان
تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمائرها من قبل اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله
واعتقاده واسماعهم لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه وتعاف استماعه كانها مستوثق منها
بالختم وابصارهم لانها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها اعين المعتبرين

المستبصرين

المستبصرين كانما غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الادراك واما التمثيل فان تمثل حيث لم يستنفعوا
بها في الاغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من اجلها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم و
التغطية وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال ختم الاله على لسان عذافر
ختما فليس على الكلام بقادر واذا اراد النطق خلت لسانه لحما يحركه لصقر ناقر فان قلت فلم اسند الختم الى
الله تعالى واسناده اليه يدل على المنع من الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا
لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا
هم الظالمين ان الله لا يامر بالفحشاء ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل قلت القصد الى صفة القلوب
بانها كالمختوم عليها واما اسناد الختم الى الله تعالى فلينبه على ان هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها
كالشيء الخلقي غير العرضي الا ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه
وكيف يتخيل ما خيل اليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك
الوعيد بعذاب عظيم ويجوز ان تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي اذا
هلك وطارت به العنقاء اذا اطال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وانما هو
تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء فكذلك مثلت
حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الاغتام التي هي في خلوها
عن الفطن كقلوب البهائم او بحال قلوب البهائم انفسها او بحال قلوب مقدر ختم الله عليها
حتى لا تعي شيئا ولا تفقه وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز
ان يستعار الاسناد في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة
تفسير هذا ان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده
الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها للفاعل في ملابسة الفعل
كما يضاهي الرجل الاسد في جراءته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفي عكسه
سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره صائم وليله قائم وفي المكان طريق سائر ونهر جار
واهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الامير المدينة وناقة ضبوث وحلوب وقال
اذا رد عافي القدر من يستعيرها فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا ان الله سبحانه لما كان هو
الذي اقدره ومكنه اسند الختم اليه كما اسند الفعل الى المسبب ووجه رابع وهو انهم لما كانوا على القطع والبت
ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولا تجدي عليهم الالطاف المحصلة ولا المقربة ان اعطوها لم يبق
بعد استحكام العلم بانه لا طريق الى ان يؤمنوا طوعا واختيارا طريق الى ايمانهم الا القسر والالجاء واذا
لم يبق طريق الا ان يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك
القسر والالجاء بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم في التصميم على الكفر والاصرار عليه الى حد لا يتناهون
عنه الا بالقسر والالجاء وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال والبغي ووجه خامس
وهو ان يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما به من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر
ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين
حتى تاتيهم البينة فان قلت اللفظ يحتمل ان تكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية فعلى ايهما
يعول قلت على دخولها في حكم الختم لقوله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم
على سمعهم دون قلوبهم فان قلت اي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم قلت لو لم يكرر لكان
انتظاما للقلوب والاسماع في تعدية واحدة وحين استجد للاسماع تعدية على حدة كان ادل على شدة
الختم في الموضعين ووحد السمع كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا فان زمانكم زمن خميص

يعقلون ذلك إذا أمن اللبس فإذا لم يؤمن كقولك في سمعهم وثوبهم وأنت تريد الجمع رفضوه ولك أن تقول السمع مصدر في أصله والمصادر لا تجمع فلمح الأصل يدل عليه جمع الأذن في قوله وفي آذاننا وقر وأن تقدر مضافا محذوفا أي وعلى حواس سمعهم وقرأ ابن أبي عبلة وعلى أسماعهم **فإن قلت** فهلا منع أبا عمرو والكسائي من إمالة أبصارهم ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد **قلت** لأن الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير فكأن فيها كسرتين وذلك أعون شيء على الإمالة وأن يمال له ما لا يمال **والبصر** نور العين وهو ما يبصر به الرائي ويدرك به المرئيات كما أن البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للإبصار والاستبصار وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا **والعذاب** مثل النكال بناء ومعنى لأنك تقول أعذب عن الشيء إذا أمسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لأنه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فإنه يزيده ويدل عليه تسميتهم إياه نقاخا لأنه ينقخ العطش أي يكسره وفراتا لأنه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل ألم فادح عذابا وإن لم يكن نكالا أي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير أن العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكأن العظيم فوق الكبير كما أن الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والأحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره ومعنى التنكير أن على أبصارهم نوعا من الأغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله **ولهم** من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله اللهم أجرنا من عذابك ولا تبلنا بسخطك يا واسع المغفرة

افتتح سبحانه بذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا وألسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وأبطنوا خلاف ما أظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وهم المنافقون وكانوا أخبث الكفرة وأبغضهم إليه وأمقتهم عنده لأنهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك أنزل فيهم إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في آيتين وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ونكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الأمثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة وأصل ناس أناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في ألوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الأناس ويشهد لأصله إنسان وأناسي وإنس وسموا لظهورهم وأنهم يؤنسون أي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا ووزن ناس فعال لأن الزنة على الأصول ألا تراك تقول في وزن قه افع وليس معك إلا العين وحدها وهو من أسماء الجمع كرخال وأما نويس فمن المصغر الآتي على خلاف مكبره كأنيسيان ورويجل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز أن تكون للعهد والإشارة إلى الذين كفروا المار ذكرهم كأنه قيل ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن أبي وأصحابه ومن كان في حالهم من أهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام **ومن** في من يقول موصوفة كأنه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال إن جعلت اللام للجنس وإن جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي **فإن قلت** كيف يجعلون بعض أولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم **قلت** الكفر جمع الفريقين معا وصيرهم جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم من أن يكونوا بعضا من الجنس فإن الأجناس إنما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات إنما تأتي بالنوع ولا تأبى الدخول تحت الجنسية **فإن قلت** لم اختص بالذكر الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر **قلت** اختصاصهما

بالذكر كشف عن إفراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة لأن القوم كانوا يهودا وإيمان اليهود بالله ليس بإيمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك إيمانهم باليوم الآخر لأنهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا وكفرا موجها لأن قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا إيمان فإذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم وأروهم أنهم مثلهم في الإيمان الحقيقي كان خبثا إلى خبث وكفرا إلى كفر وأيضا فقد أوهموا في هذا المقال أنهم اختاروا الإيمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه وأحاطوا بأوله وآخره وفي تكرير الباء أنهم ادعوا كل واحد من الإيمانين على صفة الصحة والاستحكام **فإن قلت** كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والأول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل **قلت** القصد إلى إنكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق أدى إلى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الإيمان وإذا شهد عليهم بأنهم في أنفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا إثباته لأنفسهم على سبيل القطع والبت ونحوه قوله تعالى يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو أبلغ من قولك وما يخرجون منها **فإن قلت** فلم جاء الإيمان مطلقا في الثاني وهو مقيد في الأول **قلت** يحتمل أن يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وأن يراد بالإطلاق أنهم ليسوا من الإيمان في شيء قط لا من الإيمان بالله وباليوم الآخر ولا من الإيمان بغيرهما **فإن قلت** ما المراد باليوم الآخر **قلت** يجوز أن يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الأبد الدائم الذي لا ينقطع لتأخره عن الأوقات المنقضية وأن يراد الوقت المحدود من النشور إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لأنه آخر الأوقات المحدودة الذي لا حد للوقت بعده **والخدع** أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع وخدع إذا أمر الحارش يده على باب جحره أوهمه إقباله عليه ثم خرج من باب آخر **فإن قلت** كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لأن العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وإن جاز أن يخدعوا لم يجز أن يخدعوا ألا ترى إلى قوله واستمطروا من قريش كل منخدع [illegible] إن الحليم وفي الإسلام تحلب بعدما النعت بالانخداع ولم يأت بالخدع **قلت** فيه وجوه أحدها أن يقال كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالإيمان وهم كافرون صورة صنع الخادع وصورة صنع الله معهم حيث أمر بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة وأهل الدرك الأسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا أمر الله فيهم فأجروا أحكامهم عليهم والثاني أن يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم أن الله ممن يصح خداعه لأن من كان ادعاؤه الإيمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا أن لذاته تعلقا بكل معلوم ولا أنه غني عن فعل القبائح فلم يبعد من مثله تجويز أن يكون الله في زعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز أن يدلس على عباده ويخدعهم والثالث أن يذكر الله ويراد الرسول لأنه خليفته في أرضه والناطق عنه بأوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وإنما القائل والراسم وزيره أو بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ومن يطع الرسول فقد أطاع الله والرابع أن يكون من قولهم أعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومنه والله ورسوله أحق أن يرضوه وكذلك إن الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر إحاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه لأنه كان معلوما له قديما كأنه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطئة وتمهيدا لذكر فضله **فإن قلت** هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح **قلت** وجهه أن يقال عني به فعلت إلا أنه أخرج في زنة فاعلت لأن الزنة في أصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء أبلغ وأحكم منه إذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي إليه ويعضده قراءة من قرأ يخدعون الله والذين آمنوا وهو أبو حيوة **وما يخادعون** بيان لقوله يخادعون يكون مستأنفا كأنه قيل فلم يدعون الإيمان كاذبين وما رابهم في ذلك فقيل يخادعون **فإن قلت** ماذا كانوا يخادعون **قلت** كانوا يخادعون عن أغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم وإعفاؤهم عن المحاربة وعما كانوا يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين

من الوابهم والاحسان اليهم واعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوايد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم فان قلت فلم اظهر عليهم حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض ولم يجد اعمالهم عنها قلت لم يطلع عليهم لما احاط به علما من المصالح التي لو اظهر عليهم لانقلبت مفاسد واستبقاء ابليس وذريته ومنازلكهم وما هم عليه من اغوائهم المنافقين وتلبيسهم النفاق اشد من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه تعالى من الحكم فان قلت ما المراد بقوله وما يخادعون الا انفسهم قلت يجوز ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار زيدا وما يضار الا نفسه اي دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه وان يراد حقيقة المخادعة اي وهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالاماني وان يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ وما يخدعون ويخدعون من خدع ويخدعون بفتح الياء ويخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب نفس لان النفس به الا ترى الى قولهم المرء باصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقة نفس الرجل بمعنى اشتبه نفسه كقولهم صدر الرجل وقولهم فلان يؤامر نفسيه اذا تردد في الامر واتجه له رايان وداعيان لا يدري على ايهما يعرج كانهم ارادوا داعيي النفس وهاجسيها فسموهما نفسين اما لصدورهما عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والامرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالانفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم ان الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز ان يراد قلوبهم ودواعيهم واراؤهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة ان يراد الالم كما تقول في جوفه مرض والمجاز ان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وافة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك فالمراد به هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر او من الغل والحسد والبغضاء لان صدورهم كانت تغلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله في قوله قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ويتحرقون عليهم حسدا ان تمسسكم حسنة تسؤهم وناهيك بما كان من ابن ابي وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك او يريد ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لان قلوبهم كانت قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون به ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن ولواءه يخفق اياما ثم يقر فضعفت حين ملكها اليأس عند انزال الله على رسوله النصر واظهار دين الحق على الدين كله واما لجراءتهم وجسارتهم في الحروب فضعفت جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكان الله هو الذي زادهم ما ازدادوه اسناد الفعل الى المسبب له كما اسنده الى السورة في قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم لكونها سببا او كلما زاد رسوله نصرة وتبسطا في البلاد ونقصا من اطراف الارض ازدادوا حسدا وغلا وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع وقرئ ابو عمرو في رواية الاصمعي مرض ومرضا بسكون الراء يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به نحو قوله تحية بينهم ضرب وجيع وهذا على طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة للمؤلم كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفيه رمز الى قبح الكذب وسماجته وتخييل ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم ونحوه قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا والقوم كفرة وانما خصت الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الاخبار التي على خلاف

ماهو به وهو قبيح كله واما ما يروى عن ابرهيم صلوات الله عليه انه كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به وعن ابي بكر رضي الله عنه وروي مرفوعا اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وقرئ يكذبون من كذبه الذي هو نقيض صدقه ومن كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشيء وبين وقلص الثوب وقلص وبمعنى الكثرة كقولك موتت البهائم وبركت الابل او من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد في امره ولذلك قيل له مذبذب وقال عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة واذا قيل معطوف على يكذبون ويجوز ان يعطف على يقول امنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحا والاول اوجه والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في الارض هو هيج الحروب والفتن لان في ذلك فساد ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن احوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية قال الله تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل [illegible] ومنه قيل لحرب كانت بين طي حرب الفساد وكان فساد المنافقين في الارض انهم كانوا يمالئون الكفار ويمالونهم على المسلمين بافشاء اسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي الى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا الى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما هذه عاقبته وانما لقصر الحكم على شيء كقولك انما ينطلق زيد او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد كاتب ومعنى انما نحن مصلحون ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد والا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي افاد تحقيقا كقوله اليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من مقدمات اليمين وطلائعها اما والذي لا يعلم الغيب غيره اما والذي ابكى واضحك رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين ابلغ رد وادل على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستيناف وما في كلتا الكلمتين الا وان من التاكيدين وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون اتوهم في النصيحة من وجهين احدهما تقبيح ما هم عليه لبعده من الصواب وجره الى الفساد والفتنة والثاني تبصيرهم لطريق الاسد من اتباع ذوي الاحلام ودخولهم في عدادهم فكان من جوابهم ان سفهوهم لفرط سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة فان قلت كيف صح ان يسند قيل الى لا تفسدوا [illegible]

فهو كالمحسوس المشاهد، ولأنه قد ذكر السفه وهو جهل، فكان ذكر العلم معه أحسن طباقاً له. هذه الآية مساقها بخلاف ما سيقت له أول قصة المنافقين، فليس بتكرير، لأن تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم، وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وإيهامهم أنهم معهم، فإذا فارقوهم إلى شطار دينهم صدقوهم ما في قلوبهم. وروي أن عبد الله بن أبي وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عبد الله: انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم، فأخذ بيد أبي بكر فقال: مرحباً بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله له، ثم أخذ بيد عمر فقال: مرحباً بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أخذ بيد علي فقال: مرحباً بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له علي: يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فإن المنافقين شر خليقة الله، فقال له عبد الله: مهلاً أبا الحسن، ألي تقول هذا؟ والله إن إيماننا كإيمانكم، ثم افترقوا، فقال عبد الله لأصحابه: كيف رأيتموني فعلت؟ فأثنوا عليه خيراً. ويقال: لقيته ولاقيته إذا استقبلته قريباً منه، وهو جاري وملاقي ومواقي. وقرأ أبو حنيفة رحمه الله: وإذا لاقوا. وخلوت بفلان وإليه إذا انفردت معه، ويجوز أن يكون من خلا بمعنى مضى، وخلاك ذم أي عداك ومضى عنك، ومنه القرون الخالية، ومن خلوت به إذا سخرت منه، وهو من قولك: خلا فلان بعرض فلان يعبث به، ومعناه: وإذا أنهوا السخرية بالمؤمنين إلى شياطينهم وحدثوهم بها، كما تقول: أحمد إليك فلاناً وأذمه إليك. **وشياطينهم** الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم. وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه أصلية، وفي آخر زائدة، والدليل على أصالتها قولهم: تشيطن، واشتقاقه من شطن إذا بعد، لبعده من الصلاح والخير، ومن شاط إذا بطل إذا جعلت نونه زائدة، ومن أسمائه الباطل. **إنا معكم** إنا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم. فإن قلت: لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية، وشياطينهم بالاسمية محققة بإن؟ قلت: ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديراً بأقوى الكلامين وأوكدهما، لأنهم في ادعاء حدوث الإيمان منهم ونشئه من قبلهم، لا في ادعاء أنهم أوحديون في الإيمان غير مشقوق فيه غبارهم، وذلك إما لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه، إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك، وهكذا كل قول لم يصدر عن أريحية وصدق رغبة واعتقاد، وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة، وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والأنصار الذين مثلهم في التوراة والإنجيل، ألا ترى إلى حكاية الله قول المؤمنين: ربنا إننا آمنا. وأما مخاطبة إخوانهم فهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من أن يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به، وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم، فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد. فإن قلت: أنى تعلق قوله: إنما نحن مستهزئون بقوله: إنا معكم؟ قلت: هو توكيد له، لأن قوله إنا معكم معناه الثبات على اليهودية، وقوله: إنما نحن مستهزئون رد للإسلام ودفع له منهم، لأن المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتداً به، ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته، أو بدل منه، لأن من حقر الإسلام فقد عظم الكفر، أو استئناف، كأنهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم: إنا معكم، فقالوا: فما بالكم إن صح أنكم معنا توافقون أهل الإسلام؟ فقالوا: إنما نحن مستهزئون. **والاستهزاء** السخرية والاستخفاف، وأصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع، وهزأ يهزأ مات على المكان، عن بعض العرب: مشيت فلغبت فظننت لأهزأن على مكاني، وناقته تهزأ به أي تسرع وتخف. فإن قلت: لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لأنه متعال عن القبيح، والسخرية من باب العيب والجهل، ألا ترى إلى قوله: قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، فما معنى استهزائه بهم؟ قلت: معناه إنزال الهوان والحقارة بهم، لأن المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وإدخال الهوان والحقارة عليه، والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك، وقد كثر التهكم في كلام الله بالكفرة، والمراد به تحقير شأنهم وازدراء أمرهم، والدلالة على أن مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون. ويجوز أن يراد به ما مر في يخادعون، من أنه يجري عليهم أحكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بادخار ما يراد بهم من العذاب. وقيل: سمي جزاء الاستهزاء باسمه، كقوله: وجزاء سيئة سيئة مثلها، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه. فإن قلت:

كيف ابتدئ قوله: الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله؟ قلت: هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة، وفيه أن الله عز وجل هو يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء، ولا يؤبه له في مقابلته، لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل. وفيه أن الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاماً للمؤمنين، ولا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله. فإن قلت: فهلا قيل: الله مستهزئ بهم ليكون طبقاً لقوله: إنا نحن مستهزئون؟ قلت: لأن يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتاً بعد وقت، وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم، أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين، وما كانوا يخلون في أكثر أوقاتهم من تهتك أستار وتكشف أسرار، ونزول في شأنهم، واستشعار حذر من أن ينزل فيهم، يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرج ما تحذرون. **ويمدهم في طغيانهم** من مد الجيش وأمده إذا زاده وألحق به ما يقويه ويكثره، وكذلك مد الدواة وأمدها زادها ما يصلحها، ومددت السراج والأرض إذا أصلحتهما بالزيت والسماد، ومده الشيطان في الغي وأمده إذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكاً فيه. فإن قلت: لم زعمت أنه من المدد دون المد في العمر والإملاء والإمهال؟ قلت: كفاك دليلاً على أنه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن: ويمدهم، وقراءة نافع: وإخوانهم يمدونهم، على أن الذي بمعنى أمهله إنما هو مد له مع اللام كأملى له. فإن قلت: فكيف جاز أن يوليهم الله مدداً في الطغيان وهو فعل الشيطان؟ ألا ترى إلى قوله: وإخوانهم يمدونهم في الغي. قلت: إما أن يحمل على أنهم لما منعهم الله ألطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم وإصرارهم عليه، بقيت قلوبهم بتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في قلوب المؤمنين، فسمي ذلك التزايد مدداً، وأسند إلى الله سبحانه لأنه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم، وإما على منع القسر والإلجاء، وإما أن يسند فعل الشيطان إلى الله تعالى لأنه بتمكينه وإقداره والتخلية بينه وبين إغواء عباده. فإن قلت: فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالإمهال، وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه؟ قلت: استجرهم إلى ذلك خوف الإقدام على أن يسندوا إلى الله ما أسندوا إلى الشيطان، ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد لصحته، وإلا كان منه بمنزلة الأروى من النعام، ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها، وما وقع به التحدي سليماً من القادح، فإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل، ويعضد ما قلناه قول الحسن: في ضلالتهم يتمادون، وأن هؤلاء من أهل الطبع. والطغيان: الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو. وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما: في طغيانهم بالكسر، وهما لغتان كلقيان ولقيان، وغنيان وغنيان. فإن قلت: أي نكتة في إضافته إليهم؟ قلت: فيها أن الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته أنفسهم واجترحته أيديهم، وأن الله بريء منه، رداً لاعتقاد الكفرة القائلين: لو شاء الله ما أشركنا، ونفياً لوهم من عسى يتوهم عند إسناد المد إلى ذاته لو لم يضف الطغيان إليهم أن الطغيان فعله، فلما أسند المد إليه على الطريق الذي ذكر أضاف الطغيان إليهم ليميط الشبهة ويقلعها، ويدفع في صدور المجدين في ضلالهم، ومصداق ذلك أنه حين أسند المد إلى الشياطين أطلق الغي ولم يقيده بالإضافة في قوله: وإخوانهم يمدونهم في الغي. **والعمه** مثل العمى، إلا أن العمى عام في البصر والرأي، والعمه في الرأي خاصة، وهو التحير والتردد، لا يدري أين يتوجه، ومنه قوله: بالجاهلين العمه، أي الذين لا رأي لهم ولا دراية بالطرق، وسلك أرضاً عمهاء لا منار بها. ومعنى **اشتراء الضلالة بالهدى** اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة، لأن الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر، ومنه:

أخذت بالجمة رأساً أزعرا ... وبالثنايا الواضحات الدردرا

وبالطويل العمر عمراً جيدرا ... كما اشترى المسلم إذ تنصرا

وعن وهب: قال الله عز وجل فيما يعيب به بني إسرائيل: تفقهون لغير الدين، وتعلمون لغير العمل، وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة. فإن قلت: كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى؟ قلت: جعلوا لتمكنهم منه وإعراضهم عنه كأنه في أيديهم، فإذا تركوه إلى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به، ولأن الدين القيم هو فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها، فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة. **والضلالة** الجور عن القصد وفقد الاهتداء، يقال: ضل منزله، وضل دريص نفقه، فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين. **والربح** الفضل على رأس المال، ولذا سمي الشف، من قولك: أشف بعض ولده على بعض إذا فضله، ولهذا على هذا أشف. **والتجارة** صناعة التاجر، وهو الذي يبيع ويشتري للربح، وناقة تاجرة: كأنها من حسنها وسمنها تبيع نفسها.

وقرأ ابن أبي عبلة تجاراتهم فإن قلت كيف أسند الخسران إلى التجارة وهو لأصحابها قلت هو من الإسناد
المجازي وهو أن يسند الفعل إلى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين فإن قلت
هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على الإسناد المجازي قلت نعم إذا دلت الحال وكذلك الشرط في صحة
رأيت أسدا وأنت تريد المقدام إن لم تقم حال دالة لم يصح فإن قلت هب أن شراء الضلالة بالهدى
وقع مجازا في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثم مبايعة على الحقيقة قلت هذا من الصنعة
البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو أن تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى بأشكال لها وأخوات إذا
تلاحقن لم تر كلاما أحسن منه ديباجة وأكثر ماء ورونقا وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب في البليد
كأن أذني قلبه خطلاوان وإن جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه أذنين وادعوا
لهما الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة ونحوه ولما رأيت النسر عز ابن داية
وعشش في وكريه جاش له صدري لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش
والوكر ونحوه قول بعض فتاكهم في أمه فما أم الردين وإن أدلت بعالمة بأخلاق الكرام إذا الشيطان
قصع في قفاها تنفقناه بالحبل التؤام أي إذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه
بالحبل المثنى المحكم يريد إذا حردت وأساءت الخلق اجتهدنا في إزالة غضبها وإماطة ما يسوء من
خلقها استعار التقصيع أولا ثم ضم إليه التنفيق ثم الحبل التؤام فكذلك لما ذكر سبحانه الشراء أتبعه ما
يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه إليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته فإن قلت ما معنى قوله وما
كانوا مهتدين قلت معناه أن الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان سلامة رأس
المال والربح وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين معا لأن رأس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق
في أيديهم إلا الضلالة لم يوصفوا بإصابة الربح وإن ظفروا بما ظفروا به من الأغراض الدنيوية لأن الضال خاسر
دامر ولأنه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون
بما يربح فيه ويخسر لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب
العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ورفع الأستار
عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد وفيه
تبكيت للخصم الألد وقمع لسورة الجامح الآبي ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله
وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الأنبياء والحكماء قال الله تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس
وما يعقلها إلا العالمون ومن سور الإنجيل سورة الأمثال والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير
يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا
مثلا ولا رأوه أهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول إلا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم
حوفظ عليه وحمي من التغيير فإن قلت ما معنى **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا** وما مثل المنافقين
ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه أحد المثلين بصاحبه قلت قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام
للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد
نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون أي وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم أخذ
في بيان عجائبها ولله المثل الأعلى أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة مثلهم في التوراة أي صفتهم
وشأنهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه صفة
للعجيب الشأن فإن قلت كيف مثلت الجماعة بالواحد قلت وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا
والذي سوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات
أمران أحدهما أن الذي لكونه وصلة إلى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه
مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به
على اللام وحدها في أسماء الفاعلين والمفعولين والثاني أن جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون إنما
ذلك علامة لزيادة الدلالة ألا ترى أن سائر الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد أو قصد جنس
المستوقدين أو أريد الجمع أو الفوج الذي استوقد نارا على أن المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد

حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد إنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة
ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا وقوله ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت وقود النار سطوعها وارتفاع
لهبها ومن أخواته وقل في الجبل إذا صعد وعلا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوؤها وضوء
كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور إذا نفر لأن فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها
والإضاءة فرط الإنارة ومصداق ذلك هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الآية متعدية ويحتمل أن
تكون غير متعدية مسندة إلى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لأن ما حول المستوقد أماكن وأشياء ويعضده قراءة ابن
أبي عبلة ضاءت وفيه وجه آخر وهو أن يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل إشراق ضوء النار حوله بمنزلة إشراق النار
نفسها على أن ما مزيدة أو موصولة في معنى الأمكنة وحوله نصب على الظرف وتأليفه للدوران والإطافة ومنه
قيل للعام حول لأنه يدور فإن قلت أين جواب لما قلت فيه وجهان أحدهما أن جوابه ذهب الله بنورهم والثاني
أنه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وإنما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس للدال عليه وكان
الحذف أولى من الإثبات لما فيه من الوجازة مع الإعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو أبلغ من اللفظ
في أداء المعنى كأنه قيل فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد
الكدح في إحياء النار فإن قلت فإذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم قلت يكون كلاما مستأنفا
كأنهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره اعترض سائل يقول ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا
المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم أو يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان فإن قلت قد رجع الضمير
في هذا الوجه إلى المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني قلت مرجعه الذي استوقد نارا لأنه في معنى الجمع
وأما جمع هذا الضمير وتوحيده في حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى فإن قلت فما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى
في قوله ذهب الله بنورهم قلت إذا طفئت النار بسبب سماوي ريح أو مطر فقد أطفأها الله وذهب بنور المستوقد
ووجه آخر وهو أن يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله ثم إما أن تكون نارا مجازية كنار
الفتنة والعداوة للإسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء ألا ترى إلى قوله كلما أوقدوا
نارا للحرب أطفأها الله وإما نارا حقيقية أوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها إلى بعض المعاصي ويهتدوا بها
في طرق العيث فأطفأها الله وخيب أمانيهم فإن قلت كيف صح في النار المجازية أن توصف بإضاءة ما حول
المستوقد قلت هو خارج على طريقة المجاز المرشح فأحسن تدبره فإن قلت هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما أضاءت قلت ذكر النور أبلغ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض إزالة النور عنهم رأسا وطمسه أصلا ألا ترى كيف ذكر عقيبه وتركهم في ظلمات والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها وأتبعها ما يدل على أنها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون فإن قلت فلم عدي ذهب بالباء دون الهمزة قلت فرق بين أذهبه وذهب به ومعنى أذهبه أزاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به إذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله أخذه فلما ذهبوا به إذا لذهب كل إله بما خلق والمعنى أخذ الله نورهم وأمسكه وما يمسك فلا مرسل له فهو أبلغ من الإذهاب وقرأ اليماني أذهب الله نورهم **وترك** بمعنى طرح وخلى إذا علق بواحد كقولك تركته أي طرحته وخليته وإذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى أفعال القلوب كقول عنترة فتركته جزر السباع ينشنه ومنه وتركهم في ظلمات أصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزأين **والظلمة** عدم النور وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك أن تفعل كذا أي ما منعك وشغلك لأنها تسد البصر وتمنع الرؤية وقرأ الحسن ظلمات بسكون اللام وقرأ اليماني في ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت إلى إخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كأن الفعل غير متعد أصلا نحو يعمهون في قوله ويذرهم في طغيانهم يعمهون فإن قلت فيم شبهت حالهم بحال
المستوقد قلت في أنهم غب الإضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة فإن قلت

وإن الإضاءة في حال المنافق وهل هو أبدا إلا حائر خابط في ظلمات الكفر **قلت** المراد ما استضاءوا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم إلى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز أن يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على أسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق والأوجه أن يراد الطبع لقوله صم بكم عمي وفي الآية تفسير آخر وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه إياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الإصاخة إلى الحق مسامعهم وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كأنما أيفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها للإحساس والإدراك كقوله ○ صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به ○ وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا ○ أصم عما ساءه سميع ○ أصم عن الشيء الذي لا أريده ○ وأسمع خلق الله حين أريد ○ فأصممت عمرا وأعميته ○ عن الجود والفخر يوم الفخار ○ **فإن قلت** كيف طريقته عند علماء البيان **قلت** طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للأسخياء إلا أن هذا في الصفات وذاك في الأسماء وقد جاءت الاستعارة في الأسماء والصفات والأفعال جميعا تقول رأيت ليوثا ولقيت صما عن الخير ودجا الإسلام وأضاء الحق **فإن قلت** هل يسمى ما في الآية استعارة **قلت** مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لأن يراد به المنقول عنه والمنقول إليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام كقول زهير ○ لدى أسد شاكي السلاح مقذف ○ له لبد أظفاره لم تقلم ○ ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كأنهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا قال أبو تمام ○ ويصعد حتى يظن الجهول ○ بأن له حاجة في السماء ○ ولبعضهم ○ لا تحسبوا أن في سرباله رجلا ○ ففيه غيث وليث مسبل مشبل ○ وليس لقائل أن يقول طوي ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدأ فأتسلق بذلك إلى تسميته استعارة لأنه في حكم المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج ○ أسد علي وفي الحروب نعامة ○ فتخاء تنفر من صفير الصافر ○ ومعنى **لا يرجعون** أنهم لا يعودون إلى الهدى بعد أن باعوه أو عن الضلالة بعد أن اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع أو أراد أنهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون وكيف يرجعون إلى حيث ابتدءوا منه ثم ثنى الله سبحانه وتعالى في شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وإيضاحا غب إيضاح وكما يجب على البليغ في مظان الإجمال والإيجاز أن يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والإشباع أن يفصل ويشبع أنشد الجاحظ ○ يرمون بالخطب الطوال وتارة ○ وحي الملاحظ خيفة الرقباء ○ ومما ثني من التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات ○ ألا ترى إلى ذي الرمة كيف صنع في قصيدته ○ أذاك أم خاضب بالسي مرتعه ○ **فإن قلت** قد شبه المنافق في التمثيل الأول بالمستوقد نارا وإظهاره الإيمان بالإضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق **قلت** لقائل أن يقول شبه دين الإسلام بالصيب لأن القلوب تحيى به حياة الأرض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الأفزاع والبلايا والفتن من جهة أهل الإسلام بالصواعق والمعنى أو كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا **فإن قلت** هذا تشبيه أشياء بأشياء فأين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما في قوله وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء وفي قول امرئ القيس ○ كأن قلوب الطير رطبا ويابسا ○ لدى وكرها العناب والحشف البالي ○ **قلت** كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل والصحيح الذي عليه علماء البيان

لا يتخطونه أن التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل بيانه أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا بأخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأوقار لا يشعر من ذلك إلا بما يمر بدفيه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئا واحدا فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل وكذلك من أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق **فإن قلت** الذي كنت تقدره في المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك أو كمثل ذوي صيب هل تقدر مثله في المركب **قلت** لولا طلب الراجع في قوله يجعلون أصابعهم في آذانهم ما يرجع إليه لكنت مستغنيا عن تقديره لأني أراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا علي أولي حرف التشبيه مفرد يتأتى التشبيه به أم لم يله ألا ترى إلى قوله إنما مثل الحياة الدنيا الآية كيف ولي الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا قول لبيد ○ وما الناس إلا كالديار وأهلها ○ بها يوم حلوها وغدوا بلاقع ○ لم يشبه الناس بالديار وإنما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفناءهم بحلول أهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خلاء خاوية **فإن قلت** أي التمثيلين أبلغ **قلت** الثاني لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر وفظاعته ولذلك أخر وهم يتدرجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ **فإن قلت** لم عطف أحد التمثيلين على الآخر بحرف الشك **قلت** أو في أصلها لتساوي شيئين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك قولك جالس الحسن أو ابن سيرين تريد أنهما سيان في استصواب أن تجالس أيهما شئت ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا أي الآثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما فكذلك قوله أو كصيب معناه أن كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين وأن القصتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب وإن مثلتها بهما جميعا فكذلك ○ والصيب المطر الذي يصوب أي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب أيضا قال الشماخ ○ وأسحم دان صادق الرعد صيب ○ وتنكير صيب لأنه أريد نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الأول وقرئ أو كصائب والصيب أبلغ **والسماء** هذه المظلة وعن الحسن أنها موج مكفوف **فإن قلت** قوله من السماء ما الفائدة في ذكره والصيب لا يكون إلا من السماء **قلت** الفائدة فيه أنه جاء بالسماء معرفة فنفى أن يتصوب من سماء أي من أفق واحد من بين سائر الآفاق لأن كل أفق من آفاقها سماء كما أن كل طبقة من الطباق سماء في قوله وأوحى في كل سماء أمرها والدليل عليه قوله ○ فأوه لذكراها إذا ما ذكرتها ○ ومن بعد أرض بيننا وسماء ○ والمعنى أنه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء كما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتنكير أمد ذلك بأن جعله مطبقا وفيه أن السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه لا كزعم من يزعم أنه يأخذه من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد **فإن قلت** بم ارتفع ظلمات **قلت** بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف **والرعد** الصوت الذي يسمع من السحاب كأن أجرام السحاب تضطرب وتنتقض إذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد **والبرق** الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا إذا لمع **فإن قلت** قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو إما أن يراد به السحاب أو المطر فأيهما أريد فما ظلماته **قلت** أما ظلمات السحاب فإذا كان أسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة إليهما ظلمة الليل وأما ظلمة المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة إظلاله مع ظلمة الليل **فإن قلت** كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وإنما مكانهما السحاب **قلت** إذا كانا في أعلاه ومصبه وملتبسين في الجملة به

بهايه الا ... كما تقول فلان في البلد وما هو منه الا في حين يشغله جرمه فإن قلت هلا جمع الرعد والبرق
أخذا بالأبلغ كقول البحتري ه يسقون من ورد البريص عليهم ه بردى يصفق بالرحيق السلسل ه
حيث ذكر يصفق لأن المعنى ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستأنفا لأنه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن
بالشدة والهول فكأن قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون أصابعهم في آذانهم ثم قال
فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف أبصارهم فإن قلت رأس الإصبع هو الذي
يجعل في الأذن فهلا قيل أناملهم قلت هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله
فاغسلوا وجوهكم وأيديكم فاقطعوا أيديهما أراد البعض الذي هو إلى المرفق والذي إلى الرسغ وأيضا في ذكر الأصابع
من المبالغة ما ليس في ذكر الأنامل فإن قلت فالإصبع التي تسد بها الأذن إصبع خاصة فلم ذكر
الاسم العام دون الخاص قلت لأن السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها أولى بآداب القرآن
ألا ترى أنهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة فإن قلت فهلا ذكر بعض
هذه الكنايات قلت هي ألفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وإنما أحدثوها بعد وقوله
من الصواعق متعلق بيجعلون أي من أجل الصواعق يجعلون أصابعهم في آذانهم كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة
قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب إذا اصطكت أجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا
تمر بشيء إلا أتت عليه إلا أنها مع حدتها سريعة الخمود ويحكى أنها سقطت على نخلة فأحرقت نحو النصف ثم طفئت
ويقال صعقته الصاعقة إذا أهلكته فصعق أي مات إما بشدة الصوت أو بالإحراق ومنه قوله تعالى وخر
موسى صعقا وقرأ الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لأن كلا البنائين سواء في التصرف وإذا استويا كان كل
واحد بناء على حياله ألا تراك تقول صقعه على رأسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ
في جذب ليس بقلبه لاستوائهما في التصرف وبناؤها إما أن يكون صفة لقصفة الرعد أو للرعد والتاء للمبالغة
كما في الراوية أو مصدرا كالكاذبة والعافية وقرأ ابن أبي ليلى حذار الموت وانتصب على أنه مفعول له كقوله
وأغفر عوراء الكريم ادخاره ه والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه إحساس معاقب
الحياة وإحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى أنهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه
الجملة اعتراض لا محل لها والخطف الأخذ بسرعة وقرأ مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح أفصح وعن ابن مسعود يختطف وعنه
يخطف بكسرها على إتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي يخطف من خطف وعن أبي يتخطف من قوله ويتخطف الناس
من حولهم كلما أضاء لهم مشوا فيه استئناف ثالث كأنه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق
وخفيته وهذا تمثيل لشدة الأمر على المنافقين بشدته على أصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل
بما يأتون وما يذرون إذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف أن يخطف أبصارهم انتهزوا تلك الخفقة
فرصة فخطوا خطوات يسيرة فإذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد في
قصيف الرعد فأصمهم أو في ضوء البرق فأعماهم وأضاء إما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا أخذوه
والمفعول محذوف وإما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملتقى ضوئه ويعضده قراءة ابن أبي عبلة
كلما ضاء لهم والمشي جنس الحركة المخصوصة فإذا اشتد فهو سعي فإذا ازداد فهو عدو فإن قلت كيف قيل
مع الإضاءة كلما ومع الإظلام إذا قلت لأنهم حراص على وجود ما همهم به معقود من إمكان المشي
وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس وأظلم يحتمل أن يكون غير متعد
وهو الظاهر وأن يكون متعديا منقولا من ظلم الليل وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب أظلم على ما لم يسم فاعله
وجاء في شعر حبيب بن أوس ه هما أظلما حالي ثمت أجليا ه ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب ه وهو وإن كان
محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ألا ترى إلى قول
العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه ومعنى قاموا وقفوا
وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق إذا ركدت وقام الماء جمد ومفعول شاء محذوف لأن الجواب

يدل عليه والمعنى ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء
وأراد لا يكادون يبرزون المفعول إلا في الشيء المستغرب كنحو قوله ه فلو شئت أن أبكي دما لبكيته ه
وقوله تعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا ولو أراد الله أن يتخذ ولدا ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد
وأبصارهم بوميض البرق وقرأ ابن أبي عبلة لأذهب بأسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بأيديكم
إلى التهلكة والشيء ما صح أن يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجاري أواخر الكلم
من العربية وإنما يخرج التأنيث من التذكير ألا ترى أن الشيء يقع على كل ما أخبر عنه من قبل أن يعلم أذكر
هو أم أنثى والشيء مذكر وهو أعم العام كما أن الله أخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم
تقول شيء لا كالأشياء أي معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال فإن قلت كيف قيل على كل شيء قدير
وفي الأشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر قلت مشروط في حد القادر أن لا يكون الفعل
مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الأشياء كلها فكأنه قيل على كل شيء مستقيم قدير ونظيره
فلان أمير على الناس أي على من وراءه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وإن كان من جملة الناس وأما الفعل بين قادرين
فمختلف فيه فإن قلت مم اشتقاق القدير قلت من التقدير لأنه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته
وما يتميز به عن العاجز لما عدد الله فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم وأحوالهم ومصارف
أمورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله تعالى ويرديها أقبل عليهم بالخطاب
وهو من الالتفات المذكور عند قوله إياك نعبد وإياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع
كما أنك إذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما إن فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت
بخطابك إلى الثالث فقلت يا فلان من حقك أن تلزم الطريقة الحميدة في مجاري أمورك وتستوي على جادة السداد
في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت إصغاءه إلى إرشادك زيادة
استدعاء وأوجدته بالانتقال من الغيبة إلى المواجهة هازا من طبعه ما لا يجده إذا استمررت على لفظ الغيبة
وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش الأنفس للقبول
وبلغنا بإسناد صحيح عن إبراهيم عن علقمة أن كل شيء نزل فيه يا أيها الناس فهو مكي ويا أيها الذين آمنوا فهو مدني
فقوله يا أيها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع في أصله لنداء البعيد صوت يهتف
به الرجل بمن يناديه وأما نداء القريب فله أي والهمزة ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وإن قرب تنزيلا
له منزلة من بعد فإذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معني به
جدا فإن قلت فما بال الداعي يقول في جؤاره يا رب ويا الله وهو أقرب إليه من حبل الوريد وأسمع به وأبصر
قلت هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه إلى رضوان الله ومنازل المقربين
هضما لنفسه وإقرارا عليها بالتفريط في جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والإذن لندائه وابتهاله
وأي وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام كما أن ذو والذي وصلتان إلى الوصف بأسماء الأجناس ووصف المعارف
بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر إلى ما يوضحه ويزيل إبهامه فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه
يتصف به حتى يتضح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه حرف النداء هو أي والاسم التابع له صفته
كقولك يا زيد الظريف إلا أن أيا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفي هذا التدرج
من الإبهام إلى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها
لفائدتين معاضدة حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه أي من الإضافة
فإن قلت لم كثر في كلام الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره قلت لاستقلاله بأوجه
من التأكيد وأسباب من المبالغة لأن كل ما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته
وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم وغير ذلك مما أنطق به كتابه
أمور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها

الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ٥

وهم عنها غافلون ٥ فاقتضى الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ **فان قلت** لا يخلو الامر بالعبادة من ان يكون متوجها الى المؤمنين والكافرين جميعا او الى كفار مكة خاصة على ما روي عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف امروا بما هم متلبسون به وهل هو الا كقول القائل فلو اني فعلت كنت من تسأله وهو قائم ان يقوما واما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف يعبدونه **قلت** المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم منها واقبالهم وثباتهم عليها واما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد لها منه وهو الاقرار كما يشترط على المأمور بالصلاة شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به وان لم يذكر حيث لم ينفعل الا به وكان من لوازمه على ان مشركي مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله **فان قلت** قد جعلت قوله اعبدوا متناولا شيئين معا الامر بالعبادة والامر بازديادها **قلت** الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئا آخر **فان قلت** ربكم ما المراد به **قلت** كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله تعالى وربوبية آلهتهم فان خصوا بالخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه رب السماوات والارض والآلهة التي كانوا يسمونها اربابا وكان قوله الذي خلقكم صفة موضحة مميزة وان كان الخطاب للفرق جميعا فالمراد به ربكم على الحقيقة ٥ والذي خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة الا ان الاول اوضح واصح والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس وقرأ ابو عمرو خلقكم بالادغام وقرأ ابو السميفع وخلق من قبلكم وفي قراءة زيد بن علي والذين من قبلكم وهي قراءة مشكلة ووجهها على اشكالها ان يقال اقحم الموصول الثاني بين الاول وصلته تأكيدا كما اقحم جرير في قوله ٥ يا تيم تيم عدي لا ابا لكم ٥ تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه وكاقحامهم لام الاضافة بين المضاف والمضاف اليه في لا ابا لك ولعل للترجي والاشفاق تقول لعل زيدا يكرمني ولعله يهينني وقال الله تعالى لعله يتذكر او يخشى لعل الساعة قريب الا ترى الى قوله والذين امنوا مشفقون منها وقد جاءت على سبيل الاطماع في مواضع من القرآن لكن لانه اطماع من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجري اطماعه مجرى وعده المحتوم وفائه به قال من قال ان لعل بمعنى كي ولعل لا تكون بمعنى كي ولكن الحقيقة ما القيت اليك وايضا فمن ديدن الملوك وما عليه اوضاع امرهم ورسومهم ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم على انجازها على ان يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات او يخيلوا اخالة او يظفر منهم بالرمزة او الابتسامة او النظرة الحلوة فاذا عثر على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملوك ذي العز والكبرياء او يجيء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم **فان قلت** فلعل التي في الآية ما معناها وما موقعها **قلت** ليست مما ذكرناه في شيء لان قوله خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز ان يحمل على رجاء الله تقواهم لان الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على ان يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد ايضا ولكن لعل واقعة في الآية موقع المجاز لا الحقيقة لان الله تعالى خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع في ايديهم زمام الاختيار واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا ليترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل وان لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا وانما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء امرهم على الاختيار **فان قلت** كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم **قلت** لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا **فان قلت** فهلا قيل تعبدون لاجل اعبدوا او اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم **قلت** ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء

على اقصى غايات العبادة كان ابعث على العبادة واشد الزاما لها واثبت لها في النفوس ونحوه ان تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يميني الا لجر الاثقال ولو قلت لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع ٥

الذي جعل لكم الارض فراشا والسما بنا وانزل من السما ما فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا ٥

قدم سبحانه موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم احياء قادرين اولا لانه سابقة اصول النعم ومقدمتها والسبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السما التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الما منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل المنتج من الحيوان من الوان الثمار رزقا لبني ادم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا الى النظر الموصل الى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وان شيئا من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على ايجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات له اندادا وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع صلته اما ان يكون في محل النصب وصفا كالذي خلقكم او على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على الابتداء وفيه ما في النصب من المدح وقرأ يزيد الشامي بساطا وقرأ طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس انهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب احدهم على فراشه وبساطه ومهاده **فان قلت** هل فيه دليل على ان الارض مسطحة وليست بكرية **قلت** ليس فيه الا ان الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح او شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد اطرافها واذا كان متسهلا في الجبل وهو وتد من اوتاد الارض فهو في الارض ذات الطول والعرض اسهل **والبنا** مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء او طرافا وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا **فان قلت** ما معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيته **قلت** المعنى انه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على ان ينشئ الاجناس كلها بلا اسباب ولا مواد كما انشأ نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشاء الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها لملائكته والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا وافكارا صالحة وزيادة طمأنينة وسكون الى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك في انشائها بغتة من غير تدريج وترتيب **ومن** في من الثمرات للتبعيض بشهادة قوله فاخرجنا به من كل الثمرات وقوله فاخرجنا به ثمرات ولان المنكرين اعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية فكانه قيل وانزلنا من السما بعض الما فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى لانه لم ينزل من السما الما كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز ان يكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا **فان قلت** فبم انتصب رزقا **قلت** ان كانت من للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان كانت مبينة كان مفعولا لاخرج **فان قلت** فالثمر المخرج بما السما كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار **قلت** فيه وجهان احدهما ان يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وانما هي مدر متلاحق والثاني ان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات وثلاثة قروء ويعضد الوجه الاول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة على التوحيد ولكم صفة جارية على الرزق ان اريد به المصدر وان جعل اسما للمرزوق فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم **فان قلت** بم تعلق **فلا تجعلوا** **قلت** فيه ثلاثة اوجه ان يتعلق بالامر اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا يجعل لله ند ولا شريك او بلعل على ان ينتصب تجعلوا انتصاب فاطلع في قوله عز وجل لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى في رواية حفص عن عاصم اي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتدا اي هو الذي حفظكم هذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركا **والند** المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي قال جرير ٥ اتيما تجعلون الي ندا ٥ وما تيم لذي حسب نديد ٥ وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند ند

وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ○

احد من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه ويغتبط به ومنه حديث انس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ومن ثم كانت القراءة في الصلوة بسورة تامة افضل ومنها ان التفصيل سبب تلاحق الاشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوائد والمنافع **من مثله** متعلق بسورة صفة لها اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فأتوا والضمير للعبد **فان قلت** وما مثله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل **قلت** معناه فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم او فأتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا او اميا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثرى للحجاج وقال له لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد احدا يجعله مثلا للحجاج ورد الضمير الى المنزل اوجه لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله فأتوا بعشر سور مثله مفتريات على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان الكلام مع رد الضمير الى المنزل احسن ترتيبا وذلك ان الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه ان لا يفك عنه برد الضمير الى غيره الا ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القرآن منزل من عند الله فهاتوا انتم نبذا مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولانهم اذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير بان يأتوا بطائفة يسيرة من جنس ما اتى به واحد منهم كان ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليأت واحد آخر بنحو ما اتى به هذا الآخر ولان هذا التفسير هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم **والشهداء** جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او الامام كأنه سمي به لانه يحضر المجالس وتبرم بمحضره الامور ومعنى **دون** ادنى مكان من الشيء ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو اي في
الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد رآه بالثناء عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل
في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا
ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية ○ يا نفس ما لك دون الله من واق ○ اي اذا تجاوزت وقاية الله فلم
تنلها لم يقك غيره ومن دون الله متعلق بادعوا او بشهداءكم فان علقته بشهداءكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله
وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة انكم على الحق او ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى ○
تريك القذى من دونها وهي دونه ○ اي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى لرقتها وصفائها ○ وفي امرهم ان
يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون
الله اي من دون اوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان
والاشعار بان شهداءهم وهم مدارة القوم الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة
تأبى عليهم الطباع وتجمح بهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم
فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم احالته وتعليقه بالدعاء في هذا الوجه جائز وان علقته بالدعاء فمعناه
ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد ان ما ندعيه حق كما يقول العاجز
عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوي
عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخذالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير
قولهم الله يشهد انا لصادقون وقولهم هذا تسجيل منهم على انفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة وعن بعض العرب
انه سئل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة او ادعوا من دون الله
شهداءكم يعني ان الله شاهدكم لانه اقرب اليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين اعناق رواحلكم والجن
والانس مشاهدوكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والانس الا الله تعالى لانه القادر
وحده على ان يأتي بمثله دون كل شاهد من شهدائكم فهو في معنى قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية
لما ارشدهم الى الجهة التي منها يتعرفون امر النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته
وسره وامتياز حقه من باطله قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم انه معجوز عنه

وانتم تعلمون ○ وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ○

ند ونديد اذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه **فان قلت** كانوا يسمون
اصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون انها تخالف الله وتناويه **قلت**
لما تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة مثله قادرة على مخالفته
ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم كما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شأنهم بان
جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه
○ اربا واحدا ام الف رب ○ ادين اذا تقسمت الامور ○ وقرأ محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا **فان قلت**
ما معنى وانتم تعلمون **قلت** معناه وحالكم وصفتكم انكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة
بدقائق الامور وغوامض الاحوال والاصابة في التدابير والدهاء والفطنة بمنزلة لا تدفعون عنه وهكذا كانت
العرب خصوصا ساكنو الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة
بها ومفعول تعلمون متروك كأنه قيل وانتم من اهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه آكد اي انتم العرافون المميزون
ثم ان ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام لله اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز
ان يقدر وانتم تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل
افعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها ويبطل الاشراك
ويهدمه وعلم الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من اشرك فقد كابر عقله وغطى على ما
انعم عليه من معرفته عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة في
كون القرآن معجزة واراهم كيف يتعرفون أهو من عند الله ام هو من عند نفسه كما يدعون بارشادهم الى ان يحزروا
انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابناء جنسه واهل جلدته **فان قلت** لم قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل دون
الانزال **قلت** لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم كانوا
يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات
عقيب آيات على حسب النوازل وكفاء الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما
يوجد منهم مفرقا حينا فحينا وشيئا فشيئا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة لا يلقي
الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه او رسائله ضربة فلو انزله الله لانزله خلاف
هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا
الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه
سورة من اصغر السور او آيات شتى مفترقات وهذه غاية التبكيت ومنتهى ازاحة العلل ○ وقرئ على عبادنا
يريد رسول الله وامته **والسورة** الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلاث آيات وواوها
ان كانت اصلا فاما ان تسمى بسورة المدينة وهي حائطها لانها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها
كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون من العلم واجناس من الفوائد كاحتواء سور المدينة على ما فيها
واما ان تسمى بالسورة التي هي الرتبة قال النابغة ○ ولرهط حراب وقد سورة ○ في المجد ليس غرابها بمطار ○
لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي ايضا في انفسها مترتبة طوال واوساط
وقصار او لرفعة شأنها وجلالة محلها في الدين وان جعلت واوها منقلبة عن همزة فلانها قطعة
وطائفة من القرآن كالسؤرة التي هي البقية من الشيء والفضلة منه **فان قلت** ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه
سورا **قلت** ليست الفائدة في ذلك واحدة ولامر ما انزل الله التوراة والانجيل والزبور وسائر
ما اوحاه الى انبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في كل فن كتبهم ابوابا
موشحة الصدور بالتراجم ومن فوائده ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن وانبل
وافخم من ان يكون بيانا واحدا ومنها ان القارئ اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في آخر كان
انشط له واهز لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر
اذا علم انه قطع ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى رأس بريد نفس ذلك منه ونشطه للسير ومن ثم جزأ
القراء القرآن اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه

فتبين وصرّح الحق عن محضه ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والثاني الاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله فان قلت انتفاء اتيانهم بالسورة واجب فهلا جيء باذا التي للوجوب دون ان الذي للشك قلت فيه وجهان احدهما ان يساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم وان العجز عن المعارضة كان قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام والثاني ان يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وهو يعلم انه غالبه ويتيقنه تهكما به فان قلت لم عبر عن الاتيان بالفعل واي فائدة في تركه اليه قلت لانه فعل من الافعال تقول اتيت فلانا فيقال لك نعم ما فعلت والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا ووجازة تغنيك عن طول المكني عنه الا ترى ان الرجل يقول ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته وكلمته به وعدد كيفيات وافعالا فتقول له بئس ما فعلت ولو ذكرت ما انبته عنه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان يقال فان لم تاتوا بسورة من مثله ولن تاتوا بسورة من مثله فان قلت ولن تفعلوا ما محلها قلت لا محل لها لانها جملة اعتراضية فان قلت ما حقيقة لن في باب النفي قلت لا ولن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن توكيدا وتشديدا تقول لصاحبك لا اقيم غدا فان انكر عليك قلت لن اقيم غدا كما تفعل في انا مقيم واني مقيم وهي عند الخليل في احدى الروايتين عنه اصلها لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتاكيد نفي المستقبل فان قلت من اين لك انه اخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة قلت لانهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع ان يتواصفه الناس ويتناقلوه اذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال لا سيما والطاعنون فيه اكثف عددا من الذابين عنه فحين لم ينقل علم انه اخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة فان قلت ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله قلت انهم اذا لم ياتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره ان يقول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فاطيعوني واتبعوا امري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة وفائدته الايجاز الذي هو من حلية القران وتهويل شان العناد بانابة اتقاء النار منابه وابرازه في صورته مشيعا ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع امرها والوقود ما ترفع به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال والوقود اكثر والوقود الحطب وقرا عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز ان يكون مثل قولك حياة المصباح السليط اي ليس حياته الا به فكان نفس السليط حياته فان قلت صلة الذي والتي يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الاخرة توقد بالناس والحجارة قلت لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم او سمعوا قبل هذه الاية قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة فان قلت فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وههنا معرفة قلت تلك الاية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه اولا فان قلت ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة قلت هي نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة وبان غيرها ان اريد احراق الناس بها او احماء الحجارة اوقدت اولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد احراقه او احماؤه وتلك اعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما تحرق وتحمى بالنار وبانها لفرط حرها وشدة ذكائها اذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها فان قلت انار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة ام هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة قلت بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا فانذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن

وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب فان قلت لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا قلت لانهم قرنوا بها انفسهم في الدنيا حيث نحتوها اصناما وجعلوها لله اندادا وعبدوها من دونه قال الله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الاية مفسرة لما نحن فيه فقوله انكم وما تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن انفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم ابلاغا في ايلامهم واغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكافرين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل اعدت هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرا عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدة ومن عادته عز وعلا في كتابه ان يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والاعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي وحموها من الاحباط بالكفر والكبائر بالثواب فان قلت من المامور بقوله وبشر قلت يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكون كل احد كما قال عليه السلام بشر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة لم يامر بذلك واحدا بعينه وانما كل احد مامور به وهذا الوجه احسن واجزل لانه يؤذن بان الامر لعظمه وفخامة شانه محقوق بان يبشر به كل من قدر على البشارة به فان قلت علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي يصح عطفه عليه قلت ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر او نهي يعطف عليه انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول هو معطوف على قوله فاتقوا كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني اسد باحساني اليهم وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنهم وبشر على لفظ المبني للمفعول عطفا على اعدت والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء اذا قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذي اظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه واما فبشرهم بعذاب اليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزا به وتالمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه ابشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله فاعتبوا بالصيلم والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من ال لام بظهر الغيب تاتيني والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس فان قلت اي فرق بين لام الجنس الداخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع قلت اذا دخلت على المفرد كان صالحا لان يراد به الجنس الى ان يحاط به وان يراد به بعضه الى الواحد منه واذا دخلت على المجموع صلح ان يراد به جميع الجنس وان يراد به بعضه لا الى الواحد منه لان وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه فان قلت فما المراد بهذا المجموع مع اللام قلت الجملة من الاعمال الصالحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر وكانها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنه اذا ستره كانها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان فان قلت الجنة مخلوقة ام لا قلت قد اختلف في ذلك والذي يقول انها مخلوقة يستدل بسكنى ادم وحواء الجنة وبمجيئها في القران على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحوها فان قلت ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنات كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنة من تلك الجنان فان قلت اما يشترط

تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها

في استحقاق الثواب بالإيمان والعمل الصالح أن لا يحبطهما المكلف بالكفر والإقدام على الكبائر ولا يندم على ما أوجده من فعل الطاعة وترك المعصية فهلا اشترط ذلك. **قلت** لما جعل الثواب مستحقا بالإيمان والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز في العقول أن الإحسان إنما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء إذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وأنه لا يبقى مع وجود مفسده إحسانا وأعلم بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو أكرم عليه وأعزهم لئن أشركت ليحبطن عملك وقال للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم كان اشتراط حفظها من الإحباط والندم كالداخل تحت الذكر. **فإن قلت** كيف صورة جري الأنهار من تحتها. **قلت** كما ترى الأشجار النابتة على شواطئ الأنهار الجارية. وعن مسروق أنهار الجنة تجري في غير أخدود وأنزه البساتين وأكرمها منظرا ما كانت أشجاره مظللة والأنهار في خلالها مطردة ولولا أن الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى وأن الجنان والرياض وإن كانت آنق شيء وأحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الأنفس ولا تجلب الأريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء وإلا كان الأنس الأعظم فائتا والسرور الأوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا أرواح فيها وصور لا حياة لها لما جاء الله بذكر الجنات مشفوعا بذكر الأنهار الجارية من تحتها مسوقين على قران واحد كالشيئين لا بد لأحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها. **والنهر** المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية نهر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة وإسناد الجري إلى الأنهار من الإسناد المجازي كقولهم بنو فلان يطؤهم الطريق وصيد عليه يومان. **فإن قلت** لم نكرت الجنات وعرفت الأنهار. **قلت** أما تنكير الجنات فقد ذكر وأما تعريف الأنهار فأن يراد الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب وألوان الفواكه تشير إلى الأجناس التي في علم المخاطب أو يراد أنهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الإضافة كقوله واشتعل الرأس شيبا أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة في قوله تعالى فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن بعض هذه الآية. وقوله **كلما رزقوا منها** لا يخلو من أن يكون صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدإ محذوف أو جملة مستأنفة لأنه لما قيل إن لهم جنات لم يخل خلد السامع أن يقع فيه أثمار تلك الجنات أشباه ثمار الدنيا أم أجناس أخر لا تشابه هذه الأجناس فقيل إن ثمارها أشباه ثمار الدنيا أي أجناسها وإن تفاوتت إلى غاية لا يعلمها إلا الله تعالى. **فإن قلت** ما موقع **من ثمرة**. **قلت** هو كقولك كلما أكلت من بستانك من الرمان شيئا حمدتك فموقع من ثمرة موقع قولك من الرمان كأنه قيل كلما رزقوا من الجنات من أي ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها أو عنبها أو غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن في الأولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لأن الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل أن تقول رزقني فلان فيقال لك من أين فتقول من بستانه فيقال من أي ثمرة رزقك فتقول من الرمان وتحريره أن رزقوا جعل مطلقا مبتدأ من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات مبتدأ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة الفذة على هذا التفسير وإنما المراد النوع من أنواع الثمار ووجه آخر وهو أن يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت منك أسدا تريد أنت أسد وعلى هذا يصح أن يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة. **فإن قلت** كيف قيل **هذا الذي رزقنا من قبل** وكيف تكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا. **قلت** معناه هذا مثل الذي رزقناه من قبل وشبهه بدليل قوله وأتوا به متشابها وهذا كقولك أبو يوسف أبو حنيفة تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته. **فإن قلت** إلام يرجع الضمير في قوله **وأتوا به**. **قلت** إلى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لأن قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين ونظيره قوله تعالى إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما أي بجنسي الغني والفقير لدلالة قوله غنيا أو فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير إلى المتكلم به لقيل أولى به على التوحيد. **فإن قلت** لأي غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة لم يكن أجناسا أخر. **قلت** لأن الإنسان بالمألوف آنس وإلى المعهود أميل وإذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولأنه إذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم له معه ألف ورأى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا أفرط ابتهاجه واغتباطه

وطال

ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة

وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهده وإن كان فائقا حسب أن ذلك الجنس لا يكون إلا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين أبصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وأن الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما رأوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك أبين للفضل وأظهر للمزية وأجلب للسرور وأزيد في التعجب من أن يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الأمر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى أن ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل أوان. وعن مسروق نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها وثمرها أمثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى وأنهارها تجري في غير أخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز أن يرجع الضمير في وأتوا به إلى الرزق كما أن هذا إشارة إليه ويكون المعنى أن ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالأخرى فيقول هذا الذي أتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف. وعنه عليه السلام والذي نفس محمد بيده إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة إلى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فإذا أبصروها والهيئة هيئة الأولى قالوا ذلك والتشابه الاتفاق هو هو. **فإن قلت** كيف موقع قوله وأتوا به متشابها من نظم الكلام. **قلت** هو كقولك فلان أحسن بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأي كذا وكان صوابا ومنه قوله وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وما أشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير. **والمراد** بتطهير الأزواج أن طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من الأقذار والأدناس ويجوز لمجيئه مطلقا أن يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الأخلاق الذي عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بأنفسهن ومما يأخذنه من أعراق السوء والمناصب الرديئة والمناشئ المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن. **فإن قلت** فهلا جاءت الصفة مجموعة كالموصوف. **قلت** هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة:

وإذا العذارى بالدخان تقنعت ... واستعجلت نصب القدور فملت

والمعنى وجماعة أزواج مطهرة. وقرأ زيد بن علي مطهرات وقرأ عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفي كلام بعض العرب ما أحوجني إلى بيت الله فأطهر به أطهرة أي فأتطهر به تطهرة. **فإن قلت** هلا قيل طاهرة. **قلت** في مطهرة فخامة لصفتهن ليست في طاهرة وهي الإشعار بأن مطهرا طهرهن وليس ذلك إلا الله عز وجل المريد بعباده الصالحين أن يخولهم كل مزية فيما أعد لهم. **والخلد** الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس:

ألا انعم صباحا أيها الطلل البالي ... وهل ينعمن من كان في العصر الخالي

وهل ينعمن إلا سعيد مخلد ... قليل الهموم ما يبيت بأوجال

سيقت هذه الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة والسفهاء وأهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل أن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وإدناء المتوهم من المشاهد فإن كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وإن كان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إلا أمرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره إلى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية ألا ترى إلى الحق لما كان واضحا جليا أبلج كيف تمثل له بالضياء والنور وإلى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار أندادا لله لا حال أحقر منها وأقل لذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت أقل من الذباب وأخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحي من تمثيلها

بالبعوضة

بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية مضربه محتذ على مثال ما يحتذيه ويستدعيه
وليبان أن المؤمنين الذين عادتهم الإنصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الأمور
بناظر العقل إذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا أنه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي
لا يرتع الخطا حوله وأن الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغضبهم على بصائرهم فلا يتفطنون ولا
يلقون أذهانهم أو عرفوا أنه الحق إلا أن حب الرياسة وهوى الإلف والعادة لا يخليهم أن
ينصفوا فإذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالإنكار وأن ذلك سبب زيادة
هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس
يضربون الأمثال بالبهائم والطيور وأحناش الأرض والحشرات والهوام وهذه أمثال العرب بين
أيديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها بأحقر الأشياء فقالوا أجمع من ذرة
وأجرأ من الذباب وأسمع من قراد وأصرد من جرادة وأضعف من فراشة وآكل من السوس وقالوا
في البعوضة أضعف من بعوضة وأعز من مخ البعوض وكلفتني مخ البعوض ولقد ضربت الأمثال في
الإنجيل بالأشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والأرضة والدود والزنابير
والتمثيل بهذه الأشياء وبأحقر منها مما لا تخفى استقامته وصحته على من به أدنى مسكة ولكن
ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بأمارة ولا إقناع أن يرمي
لفرط الحيرة والعجز عن إعمال الحيلة بدفع الواضح وإنكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة
إذا لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب
للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فأنزل الله تعالى هذه الآية **والحيا**
تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحياة يقال حيي الرجل كما
يقال نسي وحشي وشظي الفرس إذا اعتلت هذه الأعضاء جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس
القوة منتقص الحياة كما قالوا فلان هلك حيا من كذا ومات حيا ورأيت الهلاك في وجهه من شدة الحيا وذاب
حيا وجمد في مكانه خجلا **فإن قلت** كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف
والذم وذلك في حديث سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع العبد إليه
يديه أن يردهما صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج إليه حيا منه وكذلك معنى قوله
إن الله لا يستحيي أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن يتمثل بها لحقارتها ويجوز أن تقع
هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا أما يستحيي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت
على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول أبي تمام
۞ من مبلغ أفناء يعرب كلها ۞ أني بنيت الجار قبل المنزل ۞ وشهد رجل عند شريح فقال إنك لسبط
الشهادة فقال الرجل إنها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ بناء الجار
وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة الشهادة لامتنع
تجعيدها ولله در أمر التنزيل وإحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا إلا
عثرت عليه فيه على أقوم مناهجه وأسد مدارجه وقد استعير الحيا فيما لا يصح فيه ۞
إذا ما استحين الماء يعرض نفسه ۞ كرعن بسبت في إناء من الورد ۞ وقرأ ابن كثير في رواية شبل
يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقولون استحييت منه واستحييته
وهما محتملتان هنا **وضرب المثل** اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث
اضطرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب وما هذه إبهامية وهي التي إذا اقترنت باسم
نكرة أبهمته إبهاما وزادته شياعا وعموما كقولك أعطني كتابا ما تريد أي كتاب كان أو صلة
للتأكيد كالتي في قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم كأنه قيل لا يستحيي أن يضرب مثلا حقا أو
البتة هذا إذا انتصب بعوضة فإن رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لأن التقدير هو بعوضة

فحذف صدر الجملة كما حذف في تماما على الذي أحسن ووجه آخر حسن جميل وهو أن تكون التي فيها معنى الاستفهام
لما استنكفوا من تمثيل الله لأصنامهم بالمحقرات قال إن الله لا يستحيي أن يضرب للأنداد ما شاء من الأشياء
المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار وديناران والمعنى أن الله أن
يتمثل للأنداد وحقارة شأنها بما لا شيء أصغر منه وأقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزأ أو بما لا يدركه لتناهيه
في صغره إلا هو وحده بلطفه أو بالمعدوم كما تقول العرب فلان أقل من لا شيء في العدد ولقد ألم به
قوله تعالى إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهذه القراءة تعزى إلى رؤبة بن العجاج وهو أمضغ
العرب للشيح والقيصوم والمشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن وما أظنه ذهب في
هذه القراءة إلا إلى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب **بعوضة** بأنها عطف بيان لمثلا أو
مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه أو انتصبا مفعولين فجرى ضرب مجرى جعل واشتقاق
البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض وأنشد لنعم البيت بيت أبي دثار
إذا ما خاف بعض القوم بعضا ومنه بعض الشيء لأنه قطعة منه والبعوض في أصله صفة على فعول
كالقطوع فغلبت ولذلك الحموش **فما فوقها** فيه معنيان أحدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي
ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان أسفل الناس وأنذلهم هو فوق ذلك تريد هو أبلغ
وأعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة والثاني فما زاد عليها في الحجم كأنه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب
المثل بالذباب والعنكبوت لأنهما أكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرفته يشح بأدنى شيء
فيقال فلان يبخل بالدرهم والدرهمين هو لا يبالي أن يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه ما بخل به
وهو الدرهم والدرهمان كأنك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح مسلم
عن إبراهيم عن الأسود قال دخل شباب من قريش على عائشة وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم قالوا
فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه أو عينه أن تذهب فقالت لا تضحكوا إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها
في القلة وهي نحو نخبة النملة في قوله عليه السلام ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة
وهي عضتها ويحتمل ما هو أشد من الشوكة وأوجع كالخرور على طنب الفسطاط **فإن قلت** كيف يضرب المثل
بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر **قلت** ليس كذلك فإن جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات وقد
ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا وفي خلق الله حيوان أصغر منها ومن جناحها ربما رأيت في تضاعيف
الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد إلا تحركها فإذا سكنت فالسكون يواريها ثم إذا لوحت لها
بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك وأعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل
خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل في خلقه ما هو أصغر منها وأصغر سبحان الذي خلق الأزواج
كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ولبعضهم ۞ يا من يرى مد البعوض جناحها
في ظلمة الليل البهيم الأليل ۞ ويرى نياط عروقها في نحرها ۞ والمخ في تلك العظام النحل ۞
اغفر لعبد تاب من فرطاته ۞ ما كان منه في الزمان الأول ۞ **وأما** حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب
بالفاء وفائدته في الكلام أن يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فإذا قصدت
توكيد ذلك وأنه لا محالة ذاهب وأنه بصدد الذهاب وأنه منه عزيمة **قلت** أما زيد فذاهب ولذلك
فسره سيبويه بمهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفائدتين بيان كونه توكيدا وأنه
في معنى الشرط ففي إيراد الجملتين مصدرتين به وإن لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون إحماد
عظيم لأمر المؤمنين واعتداد بعلمهم أنه الحق ونعي على الكافرين إغفالهم حظهم ورميهم
بالكلمة الحمقاء **والحق** الثابت الذي لا يسوغ إنكاره يقال حق الأمر إذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك
وثوب محقق محكم النسج **وماذا** فيه وجهان أن يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكونا كلمتين
وأن تكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فيكون كلمة واحدة فهو على الوجه الأول مرفوع المحل
على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما أراد الله

ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين ٥ الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه

ولأصوب في جوابه أن يجيء على الأول منصوبا وعلى الثاني مرفوعا ليطابق الجواب السؤال وقد جوزوا عكس ذلك تقول في جواب من قال ما رأيت خير أي المرئي خير وفي جواب ماذا رأيت خيرا أي رأيت خيرا ٥ وقرئ قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين ٥ والإرادة نقيض الكراهة وهي مصدر أردت الشيء إذا طلبته نفسك ومال إليه قلبك ٥ وفي حدود المتكلمين الإرادة معنى يوجب للحي حالا لأجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا في إرادة الله فبعضهم على أن للباري صفة مثل صفة المريد منا التي هي القصد وهو أمر زائد على كونه عالما غير ساه وبعضهم على أن معنى إرادته لأفعاله هو أنه فعلها وهو غير ساه ولا مكره ومعنى إرادته لأفعال غيره أنه أمر بها والضمير في أنه الحق للمثل أو لأن يضرب وفي قولهم **ماذا أراد الله بهذا** استرذال واستحقار كما قالت عائشة في عبد الله بن عمرو بن العاص يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن أجاب بجواب غث ماذا أردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا أو على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية وقوله **يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا** جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين بأما وأن فريق العالمين بأنه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وأن العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا إلى نورهم وأن الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطا في ظلماتهم

فإن قلت لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة وجدت الناس أخبر تقله **قلت** أهل الهدى كثير في أنفسهم وحين يوصفون بالقلة إنما يوصفون بها بالقياس إلى أهل الضلال وأيضا فإن القليل من المهديين كثير في الحقيقة وإن قلوا في الصورة فسموا ذهابا إلى الحقيقة كثيرا

إن الكرام كثير في البلاد وإن ... قلوا كما غيرهم قل وإن كثروا

وإسناد الإضلال إلى الله تعالى إسناد الفعل إلى السبب لأنه لما ضرب به المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم وعن مالك بن دينار رحمه الله أنه دخل على محبوس قد أخذ بمال عليه وقيد فقال يا أبا يحيى أما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك رأسه فرأى سلة فقال لمن هذه السلة فقال لي فأمر بها تنزل فإذا دجاج وأخبصة فقال مالك هذه وضعت القيود على رجلك وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه وعن أشياعه يضل به كثير وكذلك وما يضل به إلا الفاسقون **والفسق** الخروج عن القصد قال رؤبة ٥ فواسقا عن قصدها جوائرا ٥ والفاسق في الشريعة الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين أي بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا إن أول من حد له هذا الحد أبو حذيفة واصل بن عطاء رضي الله عنه وكونه بين بين أن حكمه حكم المؤمن في أنه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وأن لا تقبل له شهادة ومذهب مالك بن أنس والزيدية أن الصلوة لا تجزي خلفه ويقال للخلفاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان يريد اللمز والتنابز إن المنافقين هم الفاسقون **النقض** الفسخ وفك التركيب **فإن قلت** من أين ساغ استعمال النقض في إبطال العهد **قلت** من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين **ومنه** قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله إن بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى إن الله أعزك وأظهرك أن ترجع إلى قومك وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحوه قولك شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس وإذا تزوجت امرأة فاستوثرها لم تقل هذا إلا وقد نبهت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر وعلى المرأة بأنها فراش **والعهد** الموثق وعهد إليه في كذا إذا وصاه به ووثقه عليه واستعهد منه إذا اشترط عليه واستوثق منه والمراد بالناقضين لعهد الله أحبار اليهود المتعنتون أو منافقوهم أو الكفار جميعا **فإن قلت** فما المراد بعهد الله **قلت** ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله وأشهدهم على أنفسهم

ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون ٥ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ٥

ألست بربكم قالوا بلى أو أخذ الميثاق عليهم بأنهم إذا بعث إليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم كقوله وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وقوله في الإنجيل لعيسى صلوات الله عليه سأنزل عليك كتابا فيه نبأ بني إسرائيل وما أريته إياهم من الآيات وما أنعمت عليهم وما نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا به وما ضيعوا من عهدي إليهم وحسن صنيعي للذين قاموا بميثاق الله وأوفوا بعهده ونصري إياهم وكيف أنزل بأسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا ميثاقه ولم يوفوا بعهده لكن اليهود فعلوا بأمر عيسى ما فعلوا باسم محمد صلى الله عليه وسلم من التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا بمحمد وقيل هو أخذ الله العهد عليهم أن لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا أرحامهم وقيل عهد الله إلى خلقه ثلاثة عهود العهد الأول الذي أخذه على جميع ذرية آدم الإقرار بربوبيته وهو قوله وإذ أخذ ربك ٥ وعهد خص به النبيين أن يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ٥ وعهد خص به العلماء وهو قوله وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ٥ والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله وإلزامه أنفسهم ويجوز أن يكون بمعنى توثقته كما قالوا الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ٥ ويجوز أن يرجع الضمير إلى الله أي من بعد توثقته عليهم أو من بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وإنذار رسله ٥ ومعنى **قطعهم ما أمر الله به أن يوصل** قطعهم الأرحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين الأنبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض **فإن قلت** ما الأمر **قلت** طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الأمر الذي هو واحد الأمور لأن الداعي الذي يدعو إليه من يتولاه شبه بآمر يأمره به فقيل له أمر تسمية للمفعول به بالمصدر كأنه مأمور به كما قيل له شأن والشأن الطلب والقصد يقال شأنت شأنه أي قصدت قصده **هم الخاسرون** لأنهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها معنى الهمزة التي في كيف مثله في قولك أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان وهو الإنكار والتعجب ونظيره قولك أتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح ٥ **فإن قلت** قولك أتطير بغير جناح إنكار للطيران لأنه مستحيل بغير جناح وأما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الإماتة والإحياء **قلت** قد أخرج في صورة المستحيل لما قوي من الصارف عن الكفر والداعي إلى الإيمان **فإن قلت** قد تبين أمر الهمزة وأنها لإنكار الفعل والإيذان باستحالته في نفسه أو لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث كان إنكارا للحال التي يقع عليها كفرهم **قلت** حال الشيء تابعة لذاته فإذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان إنكار حال الكفر لأنها تتبع ذات الكفر ورديفها إنكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك أقوى لإنكار الكفر وأبلغ ٥ وتحريره أنه إذا أنكر أن يكون لكفرهم حال توجد عليها وقد علم أن كل موجود لا ينفك من حال وصفة عند وجوده ومحال أن يوجد بغير صفة من الصفات كان إنكارا لوجوده على الطريق البرهاني والواو في قوله وكنتم أمواتا للحال **فإن قلت** فكيف صح أن يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الأمير ولكن وقد قام إلا أن يضمر قد **قلت** لم تدخل الواو على كنتم أمواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم أمواتا إلى ترجعون ٥ كأنه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم أنكم كنتم أمواتا نطفا في أصلاب آبائكم فجعلكم أحياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم **فإن قلت** بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح أن يقع حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا **قلت** هو العلم بالقصة كأنه قيل كيف تكفرون وأنتم عالمون بهذه القصة بأولها وآخرها **فإن قلت** فقد آل المعنى إلى قولك على أي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته **قلت** قد ذكرنا أن معنى الاستفهام في كيف للإنكار وأن إنكار الحال متضمن لإنكار الذات على سبيل الكناية فكأنه قيل ما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه **فإن قلت** إن اتصل علمهم بأنهم كانوا أمواتا فأحياهم ثم يميتهم لم يتصل بالإحياء الثاني والرجوع **قلت** قد تمكنوا من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل الموصلة إليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا والأموات جمع ميت كالأقوال جمع قيل **فإن قلت** كيف قيل لهم أموات في حال كونهم جمادا وإنما يقال ميت فيما يصح فيه الحياة من البنى **قلت** بل يقال ذلك لعادم الحياة كقوله بلدة ميتا وآية لهم الأرض الميتة أموات غير أحياء

ذلك

هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ۝ واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ۝

۝ ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس فان قلت فما المراد بالاحياء الثاني قلت يجوز ان يراد به الاحياء في القبر وبالرجوع النشور وان يراد به النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء فان قلت لم كان العطف الاول بالفاء والاعقاب بثم قلت لان الاحياء الاول قد تعقب الموت الى البقاء بغير تراخ واما الموت فقد تراخى عن الاحياء والاحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اريد به النشور تراخيا ظاهرا وان اريد به احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء ايضا متراخ عن النشور فان قلت من اين انكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها قلت لانها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر ام على نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر ۝ قلت يحتمل الامرين جميعا لان ما عدده آيات وهي مع كونها آيات من اعظم النعم لكم لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم اما الانتفاع الدنيوي فظاهر واما الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالآخرة وبثوابها وعقابها لاشتماله على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والمشقة من انواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله تعالى خلق لكم على ان الاشياء التي يصح ان ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظور في العقل خلقت في الاصل مباحة مطلقا لكل احد ان يتناولها ويستنفع بها فان قلت هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة قلت ان اراد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء ويراد الجهات العلوية جاز ذلك فان الغبراء وما فيها واقعة في الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني **ثم استوى** الاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيئته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق والضمير في فسواهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن **وهو بكل شيء عليم** فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم فان قلت ما معنى ثم استوى الى السماء ونقيضه ثم لاعطائه معنى التراخي والمهلة قلت ثم هاهنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض لا للتراخي في الوقت كقوله ثم كان من الذين آمنوا على انه لو كان لمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت به لان المعنى انه حين قصد الى السماء لم تحدث فيما بين ذلك في تضاعيف القصد اليها خلقا آخر فان قلت اما ينافي هذا قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها قلت لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتأخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السماوات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق ۝ **واذ** نصب باضمار اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا **والملائكة** جمع ملأك على الاصل كالشمائل في جمع شمأل والحاق التاء لتأنيث الجمع **جاعل** من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدأ والخبر وهما قوله في الارض خليفة فكانا مفعوليه ومعناه مصير في الارض خليفة **والخليفة** من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها فان قلت فهلا قيل خلائف او خلفاء قلت اريد بالخليفة آدم واستغني بذكره عن ذكر بنيه كما تستغني بذكر ابي القبيلة في قولك مضر وهاشم او اريد من يخلفكم او خلفا يخلفكم فوحد لذلك ويجوز ان يريد خليفة مني لان آدم كان خليفة الله في ارضه فان قلت لاي غرض اخبرهم بذلك قلت ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة **اتجعل فيها** تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير فان قلت من اين عرفوا ذلك

ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون ۝ وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ۝ قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم ۝ قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ۝ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين ۝ وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ۝ فازلهما الشيطان عنها

حتى يجيبوا به وانما هو غيب قلت عرفوه باخبار من الله او من جهة اللوح او ثبت في علمهم ان الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم او قاسوا احد الثقلين على الآخر حيث اسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل سكنى الملائكة **ونحن نسبح بحمدك** ونقدس لك من اسكنه وسكنه والواو في ونحن للحال كما تقول اتحسن الى فلان وانا احق منه بالاحسان **والتسبيح** تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد **وبحمدك** في موضع الحال اي نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك **اعلم ما لا تعلمون** اي اعلم من المصالح ما هو خفي عنكم فان قلت هلا بين لهم تلك المصالح قلت كفى العباد ان يعلموا ان افعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على انه قد بين لهم بعض ذلك فيما اتبعه من قوله وعلم آدم الاسماء كلها **وعلم آدم** واشتقاقهم آدم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما آدم الا اسم اعجمي واقرب امره ان يكون على فاعل كآزر وعابر وشالخ وفالغ واشباه ذلك **الاسماء كلها** اي اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله واشتعل الرأس شيبا فان قلت هلا زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وان الاصل وعلم آدم مسميات الاسماء قلت لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات لقوله انبئوني باسماء هؤلاء انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم فكما علق الانباء بالاسماء لا بالمسميات ولم يقل انبئوني بهؤلاء وانبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها فان قلت فما معنى تعليمه اسماء المسميات قلت اراه الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية **ثم عرضهم** اي عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات العقلاء فغلبهم وانما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت **ان كنتم صادقين** يعني في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء ارادة للرد عليهم وان فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي اصول الفوائد كلها ما يستأهلون لاجله ان يستخلفوا فاراهم بذلك وبين لهم بعض ما اجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون وقوله **الم اقل لكم اني اعلم غيب السماوات والارض** استحضار لقوله لهم اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء به على وجه ابسط من ذلك واشرح وقرئ وعلم آدم على البناء للمفعول وقرأ عبد الله عرضهن وقرأ ابي عرضها والمعنى عرض مسمياتهن او مسمياتها لان العرض لا يصح في الاسماء وقرئ انبيهم بقلب الهمزة ياء وانبهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم وابو يوسف واخوته له ويجوز ان تختلف الاحوال والاوقات فيه وقرأ ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله **الا ابليس** استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثني منهم استثناء واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعا ابى امتنع مما امر به واستكبر عنه وكان من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك ابى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن امر ربه ۝ السكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت تأكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه **ورغدا** وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها ۝ وحيث للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حين لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين اشجارها الفائتة للحصر وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة وقرئ ولا تقربا بكسر التاء وهذي والشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن ابي عمرو انه كرههما وقال يقرأ بها برابر مكة وسودانها **من الظالمين** من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله **فتكونا** جزم عطف على تقربا او نصب جواب للنهي الضمير في عنها للشجرة اي حملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله وما فعلته عن امري وقوله ينهون عن اكل وعن شرب ۝ وقيل فازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزل عني ذاك

فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي

إذا ذهب عنك • وزلّ من الشهر كذا • وقرئ فأزالهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها • وروي عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته عنها **فان قلت** كيف توصل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل له اخرج منها **قلت** يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع ان يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء • وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما • وقيل قام عند الباب فنادى • وروي انه اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون **قلنا اهبطوا** خطاب لآدم وحواء وابليس وقيل والحية والصحيح انه لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهما الانس كلهم والدليل عليه قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس كلهم ومعنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول الى الارض **مستقر** موضع استقرار او استقرار **ومتاع** وتمتع بالعيش **الى حين** يريد الى يوم القيمة وقيل الى الموت ومعنى **تلقي الكلمات** استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به **فان قلت** ما هن **قلت** قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وعن ابن مسعود ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت • وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حواء لانها كانت تبعا له كما طوي ذكر النساء في اكثر القرآن والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا **فتاب عليه** فرجع عليه بالرحمة والقبول **فان قلت** لم كرر قلنا اهبطوا **قلت** للتأكيد ولما نيط به من زيادة قوله فاما يأتينكم مني هدى **فان قلت** ما جواب الشرط الاول **قلت** الشرط الثاني مع جوابه كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك والمعنى فاما يأتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداي **فان قلت** فلم جيء بكلمة الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه **قلت** للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب وانه ان لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال **فان قلت** الخطيئة التي اهبط بها آدم ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى عليهما ما جرى بسببها من نزع اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السماء كما فعل بابليس ونسبته الى الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة **قلت** ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشأنها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم والتنبيه على انه اخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة • وقرئ فمن تبع هدي على لغة هذيل فلا خوف بالفتح **اسرائيل** هو يعقوب عليه السلام لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة ابراهيم واسمعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة • وقرئ اسرائل واسرال • وذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها واراد بها ما انعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم المبشر به في التوراة والانجيل **والعهد** يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا

اوف بعهدكم واياي فارهبون وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون

يقال أوفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه وبعهدي اي بما عاهدت عليه كقوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله • ومعنى **اوفوا بعهدي** واوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي كقوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه **اوف بعهدكم** بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم **واياي فارهبون** فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد • وقرئ اوف بالتشديد اي ابالغ في الوفاء بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها ويجوز ان يريد بقوله واوفوا بعهدي ما عاهدوا عليه ووعدوه من الايمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم **اول كافر به** اول من كفر به او اول فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة اي كل واحد منا وهذا تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان من اوحي اليه والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا يعدونه اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة الى قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة • فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به • ويجوز ان يراد ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك به من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه مذكورا في التوراة موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له • وقيل الضمير في به لما معكم لانهم اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به **ولا تشتروا** الاستبدال كقوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله فاشترى المسلم اذ تنصرا وابي اشتريت الحلم بعدك بالجهل يعني ولا تستبدلوا بآياتي ثمنا قليلا والا فالثمن هو المشترى به **والثمن القليل** هو الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو اصبحوا اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق الذي كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه صغير وكل عظيم اليه حقير فما بال الحقير القليل الصغير وقيل كانت عامتهم يعطون احبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشا على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرون عليهم الاموال ليكتموا ويحرفوا • الباء التي في بالباطل ان كانت صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء خلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم • وان كانت باء الاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه **وتكتموا** جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع اي لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن **فان قلت** لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق **قلت** بل هما متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبهم في التوراة ما ليس منها وكتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد في التوراة صفة محمد او حكم كذا او يمحوا ذلك او يكتبوه على خلاف ما هو عليه • وفي مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين **وانتم تعلمون** في حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه **واقيموا الصلوة** يعني صلاة المسلمين وزكاتهم **واركعوا مع الراكعين** منهم لان اليهود لا ركوع في صلاتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله ويجوز ان يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون امرا بان يصلى مع المصلين يعني في الجماعة كانه قيل واقيموا الصلوة وصلوها مع المصلين لا منفردين **أتأمرون** الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم **والبر** سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت • وكان الاحبار يأمرون من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد عليه السلام ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا اتوا بالصدقات ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تأمروننا باشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نأمركم بها ونخالف الى غيرها **وتنسون انفسكم** وتتركونها من البر كالمنسيات **وانتم تتلون الكتاب** تبكيت مثل قوله وانتم تعلمون يعني تتلون التوراة وفيها نعت محمد او فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل **افلا تعقلون** توبيخ عظيم بمعنى افلا تفطنون لقبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه فكانكم في ذلك مسلوبوا

واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين ۝ الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون ۝ يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين ۝ واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ۝

مسلوبوا العقول لان العقول تاباه وتدفعه ونحوه أف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون ۝ واستعينوا على حوائجكم الى الله بالصبر والصلوة اى بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلوة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الآداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدي جبار السموات ليسأله فك الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها ۝ او واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلوة عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وعن ابن عباس انه نُعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلوة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز ان يراد بالصلوة الدعاء وان يستعان على البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله في دفعه ۝ وانها الضمير للصلوة او للاستعانة ويجوز ان يكون لجميع الامور التي امر بها بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي الى واستعينوا لكبيرة لشاقة ثقيلة من قولك كبر علي هذا الامر ۝ كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فان قلت ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل قلت لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم الا ترى الى قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اى يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفي مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون ان لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون واما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين باعمالهم ومثاله من وعد على بعض الاعمال والصنائع اجرة زائدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كانه يستلذ مزاولته بخلاف حال عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة وكان يقول يا بلال روحنا والخشوع الاخبات والتطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة واما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها اذا لينته وأني فضلتكم نصب عطف على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين يقال رأيت عالما من الناس يراد الكثرة يوما يريد يوم القيمة لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث في جذعة ابي بردة تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون في موضع مصدر اي قليلا من الجزاء كقوله ولا يظلمون شيئا ومن قرأ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى عنه فلا يكون في قراءته الا بمعنى شيئا من الاجزاء وقرأ ابو السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما فان قلت فاين العائد منها الى الموصوف قلت هو محذوف تقديره لا تجزي فيه ونحوه ما انشده ابو علي تروحي اجدر ان تقيلي اي ما اجدر بان تقيلي فيه ومنهم من ينزله فيقول اتسع فيه فاجري مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله او مال اصابوا ومعنى التنكير ان نفسا من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط الكلي القطاع للمطامع وكذلك قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدي ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة ولا فدية وقرأ قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم ان آباءهم الانبياء تشفع لهم فاويسوا فان قلت هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة قلت نعم لانه نفى ان تقضي نفس عن نفس حقا اخلت به من فعل او ترك ثم نفى ان يقبل منها شفاعة شفيع فعلم انها لا تقبل للعصاة فان قلت الضمير في ولا يقبل منها الى اي النفسين يرجع قلت الى الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا يقبل منها شفاعة ان جاءت بشفاعة شفيع لم تقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون يعني ما دلت عليه النفس المنكرة

واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ۝ واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون ۝ واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ۝ ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون ۝ واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ۝ واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم ۝

من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والاناسي كما تقول ثلاثة انفس ۝ اصل آل اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي الخطر والشان كالملوك واشباههم فلا يقال آل الاسكاف والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وفي ملح بعضهم قد جاء الموسى الكلوم فزاد في اقصى تفرعنه وفرط عراميه ۝ وفي يسومونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا ان نقر الخسف فينا ۝ واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره ويذبحون بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله يضاعف له العذاب وقرأ الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها وقرأ عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يكون على يده هلاكه كما انذر نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله والبلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرّقنا بمعنى فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرّق بين الاشياء لان المسالك كانت اثنى عشر على عدد الاسباط فان قلت ما معنى بكم قلت فيه اوجه ان يراد انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما وان يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوسها ونحن راكبوها وروي ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا لا نراهم فقال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فاوحى الله اليه ان قل بعصاك هكذا على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم وانتم تنظرون الى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي وقرئ واعدنا لان الله وعده الوحي ووعد هو المجيء للميقات الى الطور من بعده من بعد مضيه الى الطور وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم من بعد ذلك من بعد ارتكابكم الامر العظيم وهو اتخاذكم العجل لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا النعمة في العفو عنكم الكتاب والفرقان يعني الكتاب الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التوراة كقولك رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا او التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد يوم بدر قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة وروي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنهم المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا بافنية بيوتهم وياخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او رجل فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهرون وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من ايديهم فكانت القتلى سبعين الفا فان قلت ما الفرق بين الفاءات قلت الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله جعل توبتهم قتل انفسهم ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلو اما ان ينتظم في قول موسى لهم فتتعلق بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم واما ان يكون خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم بارئكم فان قلت من اين اختص هذا الموضع بذكر البارئ قلت البارئ هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت ما ترى في خلق الرحمن

من تفاوت وتميز بعضه من بعض بالأشكال المختلفة والصور المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي برأهم بلطف حكمته على الأشكال المختلفة أبرياء من التفاوت والتنافر إلى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة والبلادة في أمثال العرب أبلد من ثور حتى عرضوا أنفسهم لسخط الله ونزول أمره بأن يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم وأشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها. قيل القائلون السبعون الذين صعقوا وقيل قاله عشرة آلاف منهم. جهرة عيانا وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كأن الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لأنها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس أو على الحال بمعنى ذوي جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي إما مصدر كالغلبة وإما جمع جاهر. وفي هذا الكلام دليل على أن موسى عليه السلام رادهم القول وعرفهم أن رؤية ما لا يجوز عليه أن يكون في جهة محال وأن من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الأجسام أو الأعراض فرادوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط عليهم الصعقة كما سلط على أولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة. والصاعقة ما صعقهم أي أماتهم قيل نار وقعت من السماء فأحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل أرسل الله جنودا سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة. وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله فلما أفاق. والظاهر أنه أصابهم ما ينظرون إليه لقوله وأنتم تنظرون. وقرئ على ... فأخذتكم الصعقة. لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت أو نعمة الله بعد ما كفرتموها إذ رأيتم بأس الله في رميكم بالصاعقة وإذاقتكم الموت. وظللنا وجعلنا الغمام تظللكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لكل إنسان صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه. كلوا على إرادة القول. وما ظلمونا يعني فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه. القرية بيت المقدس وقيل أريحا من قرى الشام أمروا بدخولها بعد التيه. والباب باب القرية وقيل هو باب القبة التي كانوا يصلون إليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى. أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكرا لله وتواضعا وقيل السجود أن ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع وإخبات وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على أوراكهم. حطة فعلة من الحط كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدأ محذوف أي مسألتنا حطة والأصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وإنما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله صبر جميل فكلانا مبتلى والأصل صبرا على اصبر صبرا وقرأ ابن أبي عبلة بالنصب على الأصل وقيل معناه أمرنا حطة أي أن نحط في هذه القرية ونستقر فيها. فإن قلت هل يجوز أن تنصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة قلت لا يبعد والأجود أن تنصب بإضمار فعلها وينتصب محل ذلك المضمر بقولوا. وقرئ نغفر لكم على البناء للمفعول بالياء والتاء. وسنزيد المحسنين أي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة. فبدل الذين ظلموا أي وضعوا مكان حطة قولا غيرها يعني أنهم أمروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه إلى قول ليس معناه معنى ما أمروا به ولم يمتثلوا أمر الله وليس الغرض أنهم أمروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤوا بلفظ آخر لأنهم لو جاؤوا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما أمروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب إليك أو اللهم اعف عنا وما أشبه ذلك. وقيل قالوا مكان حطة حنطة. وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا أي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله إلى طلب ما يشتهون من أغراض الدنيا. وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح أمرهم وإيذان بأن إنزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة الأعراف فأرسلنا عليهم على الإضمار. والرجز العذاب وقرئ بضم الراء. وروي أنه مات منهم في ساعة بالطاعون أربعة وعشرون ألفا وقيل سبعون ألفا. عطشوا في التيه

فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام إما للعهد والإشارة إلى حجر معلوم فقد روي أنه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين لكل سبط عين تسيل في جدول إلى السبط الذي أمرت أن تسقيهم وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثني عشر ميلا. وقيل أهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع إلى شعيب فدفعه إليه مع العصا. وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل إذ رموه بالأدرة ففر به فقال له جبريل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فإن لي فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته. وإما للجنس أي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر. وعن الحسن لم يأمره أن يضرب حجرا بعينه قال وهذا أظهر في الحجة وأبين في القدرة. وروي أنهم قالوا كيف بنا لو أفضينا إلى أرض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيث ما نزلوا ألقاه. وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا إن فقد موسى عصاه متنا عطشا فأوحى الله إليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون. وقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع. وقيل كان مثل رأس الإنسان. وقيل كان من آس الجنة طوله عشرة أذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار. فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف أي فضرب فانفجرت أو فإن ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع إلا في كلام بليغ. وقرئ عشرة بكسر الشين وبفتحها وهما لغتان. كل أناس كل سبط. مشربهم عينهم التي يشربون منها. كلوا على إرادة القول. من رزق الله مما رزقكم الله من الطعام وهو المن والسلوى ومن ماء العيون. وقيل الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب. والعثي أشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لأنهم كانوا متمادين فيه. كانوا فلاحة فنزعوا إلى عكرهم فأجموا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت أنفسهم الشقاء. على طعام واحد أرادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى. فإن قلت هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد قلت أرادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان إلا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف. ويجوز أن يريدوا أنهما ضرب واحد لأنهما معا من طعام أهل التلذذ والترف ونحن قوم فلاحة أهل زراعات فما نريد إلا ما ألفناه وضرينا به من الأشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحو ذلك. ومعنى يخرج لنا يظهر لنا ويوجد. والبقل ما أنبتته الأرض من الخضر والمراد به أطايب البقول التي يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهها. وقرئ وقثائها بالضم. والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا أي اخبزوا. وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود وثومها وهو للعدس والبصل أوفق. الذي هو أدنى الذي هو أقرب منزلة وأدون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو. وقرأ زهير الفرقبي أدنأ بالهمزة من الدناءة. اهبطوا مصرا وقرئ اهبطوا بالضم أي انحدروا إليه من التيه يقال هبط الوادي إذا نزل به وهبط منه إذا خرج. وبلاد التيه ما بين بيت المقدس إلى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ. ويحتمل أن يريد العلم وإنما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتأنيث لسكون وسطه كقوله نوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف. وإن أريد به البلد فما فيه إلا سبب واحد. وأن يريد مصرا من الأمصار. وفي مصحف عبد الله وقرأ به الأعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر. وقيل هو مصرائيم فعرب. وضربت عليهم الذلة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة ومدقعة إما على الحقيقة وإما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة أن تضاعف عليهم الجزية. وباؤوا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان إذا كان حقيقا بأن يقتل به لمساواته له ومكافأته أي صاروا أحقاء بغضبه. ذلك إشارة إلى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلافة بالغضب أي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء. وقد قتلت اليهود لعنهم الله شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم. فإن قلت قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير الحق فما فائدة ذكره قلت معناه أنهم قتلوهم بغير الحق عندهم لأنهم لم يقتلوا ولا أفسدوا في الأرض فيقتلوا وإنما نصحوهم ودعوهم إلى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سئلوا وأنصفوا من أنفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم. وقرئ على

ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ◌ ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ◌ وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ◌ ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ◌ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ◌ فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ◌ وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ◌ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك

ويقتلون بالتشديد. ذلك تكرير للإشارة. بما عصوا بسبب ارتكابهم أنواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء. وقيل هو اعتداؤهم في السبت. ويجوز أن يشار بذلك إلى الكفر وقتل الأنبياء على معنى أن ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لأنهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الأنبياء. أو ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا. إن الذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم المنافقون. والذين هادوا والذين تهودوا يقال هاد يهود وتهود إذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود. والنصارى هو جمع نصران يقال رجل نصران وامرأة نصرانة قال ◌ نصرانة لم تحنف ◌ والياء في نصراني للمبالغة كالتي في أحمري سموا لأنهم نصروا المسيح. والصابئين وهو من صبأ إذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة. من آمن من هؤلاء الكفرة إيمانا خالصا ودخل في ملة الإسلام دخولا أصيلا وعمل صالحا فلهم أجرهم الذي يستوجبونه بإيمانهم وعملهم. فإن قلت ما محل من آمن. قلت الرفع إن جعلته مبتدأ خبره فلهم أجرهم. والنصب إن جعلته بدلا من اسم إن والمعطوف عليه فخبر إن في الوجه الأول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم أجرهم والفاء لتضمن من معنى الشرط. وإذ أخذنا ميثاقكم بالعمل على ما في التوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم وأعطيتم الميثاق وذلك أن موسى صلوات الله عليه وسلامه جاءهم بالألواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبريل فقلع الطور من أصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى إن قبلتم وإلا ألقي عليكم حتى قبلوا. خذوا على إرادة القول. ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة. واذكروا ما فيه واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه. لعلكم تتقون رجاء منكم أن تكونوا متقين أو قلنا خذوا واذكروا إرادة أن تتقوا. ثم توليتم ثم أعرضتم عن الميثاق والوفاء به. فلولا فضل الله عليكم بتوفيقكم للتوبة لخسرتم. وقرئ خذوا ما آتيتكم وتذكروا واذكروا. السبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت يوم السبت. وإن ناسا منهم اعتدوا فيه أي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد. وذلك أن الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر إلا أخرج خرطومه يوم السبت فإذا مضى تفرقت كما قال تعالى تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم. فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا إليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الأحد. فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم. قردة خاسئين خبران أي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد. فجعلناها يعني المسخة. نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها أي تمنعه ومنه النكل القيد. لما بين يديها لما قبلها وما خلفها وما بعدها من الأمم والقرون لأن مسختهم ذكرت في كتب الأولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين. أو أريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والأمم. وقيل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لأجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تأخر منها. وموعظة للمتقين الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم أو لكل متق سمعها. كان في بني إسرائيل شيخ موسر فقتل ابنه بنو أخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاءوا يطالبون بديته فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله. قالوا أتتخذنا هزوا أتجعلنا مكان هزؤ أو أهل هزؤ أو مهزوءا بنا أو الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء. من الجاهلين لأن الهزؤ في مثل هذا من باب الجهل والسفه. وقرئ هزؤا بضمتين وهزءا بسكون الزاي نحو كفؤا وكفءا. وقرأ حفص هزوا بالضمتين والواو وكذلك كفوا. والعياذ واللياذ من واد واحد. وفي قراءة عبد الله سل لنا ربك ما هي سؤال عن حالها وصفتها وذلك أنهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشأن الخارجة عما عليه البقر. والفارض المسنة وقد فرضت فروضا فهي فارض قال خفاف بن ندبة ◌ لعمري لقد أعطيت ضيفك فارضا ◌ تساق إليه ما تقوم على رجل ◌ وكأنها سميت فارضا لأنها فرضت سنها أي قطعتها وبلغت آخرها. والبكر الفتية. والعوان النصف قال ◌ نواعم بين أبكار وعون ◌ وقد عونت. فإن قلت بين يقتضي شيئين فصاعدا فمن أين جاز دخوله على ذلك. قلت لأنه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به إلى مؤنثين وإنما هو للإشارة إلى واحد مذكر. قلت جاز ذلك على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام كما جعلوا فعل نائبا عن أفعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر لك أفعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما أحسن ذلك. وقد يجري الضمير مجرى اسم الإشارة في هذا. قال أبو عبيدة قلت لرؤبة في قوله ◌ فيها خطوط من سواد وبلق ◌

فافعلوا ما تؤمرون ◌ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ◌ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون ◌ قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون ◌ وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها

كأنه في الجلد توليع البهق ◌ إن أردت الخطوط فقل كأنها وإن أردت السواد والبلق فقل كأنهما. فقال أردت كأن ذاك ويلك ◌ والذي حسن منه أن أسماء الإشارة تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع. ما تؤمرون أي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله ◌ أمرتك الخير ◌ أو أمركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الأمير. الفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه يقال في التوكيد أصفر فاقع وورس كما يقال أسود حالك وحانك وأبيض يقق ولهق وأحمر قانئ وذريحي وأخضر ناضر ومدهام وأورق خطباني وأرمك رداني. فإن قلت فاقع هاهنا واقع خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا لصفراء. قلت لم يقع خبرا عن اللون إنما وقع توكيدا لصفراء إلا أنه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها. فإن قلت فهلا قيل صفراء فاقعة وأي فائدة في ذكر اللون. قلت الفائدة فيه التوكيد لأن اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكأنه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون ◌ وعن وهب إذا نظرت إليها خيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها. والسرور لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه ◌ وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين. وعن الحسن البقرة صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الإبل لأن سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر وقال الأعشى ◌ تلك خيلي منه وتلك ركابي ◌ هن صفر أولادها كالزبيب ◌ ما هي مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها. وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم. وعن بعض الخلفاء أنه كتب إلى عامله بأن يذهب إلى قوم فيقطع أشجارهم ويهدم دورهم فكتب إليه بأيهما أبدأ. فقال إن قلت لك بقطع الشجر سألتني بأي نوع منها أبدأ. وعن عمر بن عبد العزيز إذا أمرتك أن تعطي فلانا شاة سألتني أضائن أم ماعز فإن بينت لك قلت أذكر أم أنثى فإن أخبرتك قلت أسود أم أبيض فإذا أمرتك بشيء فلا تراجعني. وفي الحديث أعظم الناس جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم لأجل مسألته. إن البقر تشابه علينا أي إن البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا أيها نذبح. وقرئ تشابه بمعنى تتشابه بطرح التاء وإدغامها في الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشابه. وقرأ محمد ذو الشامة إن الباقر يشابه بالياء والتشديد. جاء في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد ◌ أي لو لم يقولوا إن شاء الله. والمعنى إنا لمهتدون إلى البقرة المراد ذبحها أو إلى ما خفي علينا من أمر القاتل. لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب وإثارة الأرض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث. ولا الأولى للنفي والثانية مزيدة لتأكيد الأولى لأن المعنى لا ذلول تثير وتسقي على أن الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك أي حيث هي وهو نفي لذلها ولأن توصف به فيقال هي ذلول. ونحوه قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان أي فيهم أو حيث هم. وقرئ تسقى بضم التاء من أسقى. مسلمة سلمها الله من العيوب أو معفاة من العمل سلمها أهلها منه كقوله ◌ أو معبر الظهر ينبي عن وليته ◌ ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا ◌ أو مخلصة اللون من سلم له كذا إذا خلص له. لم تشب صفرتها شيء من الألوان. لا شية فيها لا لمعة في نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها. وهي في الأصل مصدر وشاه وشيا وشية إذا خلط بلونه لونا آخر ومنه ثور موشي القوائم. الآن جئت بالحق أي بحقيقة وصف البقرة وما بقي إشكال في أمرها. فذبحوها أي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الأوصاف كلها فذبحوها. وقوله وما كادوا يفعلون استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم وأنهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالاتهم وما كاد ينقطع خيط إسهابهم فيها وتعمقهم. وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها. وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل. وروي أنه كان في بني إسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم إني استودعتكها لابني حتى يكبر. وكان برا بوالديه فشبت وكانت من أحسن البقر وأسمنه فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير. وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة. فإن قلت كانت البقرة التي تناولها الأمر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات فذبحوا المخصوصة فما فعل الأمر الأول. قلت رجع منسوخا لانتقال الحكم إلى البقرة المخصوصة. والنسخ قبل الفعل جائز على أن الخطاب كان لبيانها مبهمة ولا بهذه البقرة الموصوفة كما تناولت غيرها ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فكذلك إذا وقع عليها بعد التخصيص. وإذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم. فادارأتم فاختلفتم واختصمتم في شأنها لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم

بعضاً أي يدفعه ويزحمه أو يتدافعون بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح أو لأن الطرح في نفسه دفع أو دفع بعضكم بعضاً عن البراءة واتهمه **والله مخرج ما كنتم تكتمون** مظهر لا محالة ما كتمتم من أمر القتل لا يتركه مكتوماً **فإن قلت** كيف أعمل مخرج وهو في معنى المضي **قلت** قد حكي ما كان مستقبلاً في وقت التدارؤ كما حكي الحاضر في قوله باسط ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما فادارأتم فقلنا والضمير في اضربوه إما أن يرجع إلى النفس والتذكير على تأويل الشخص والإنسان وإما إلى القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون **ببعضها** ببعض البقرة واختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو أصل الأذن وقيل الأذن وقيل البضعة بين الكتفين والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله **كذلك يحيي الله الموتى** وروي أنهم لما ضربوه قام بإذن الله وأوداجه تشخب دماً وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتاً فأخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك **كذلك يحيي الله الموتى** إما أن يكون خطاباً للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة ويريكم آياته ودلائله على أنه قادر على كل شيء **لعلكم تعقلون** تعملون على قضية عقولكم وأن من قدر على إحياء نفس واحدة قدر على إحياء الأنفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث وإما أن يكون خطاباً للمنكرين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم **فإن قلت** هلا أحياه ابتداء ولم شرط في إحيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها **قلت** في الأسباب والشروط حكم وفوائد وإنما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب وأداء التكليف واكتساب الثواب والإشعار بحسن تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة إلى امتثال أوامر الله وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالأبوين والشفقة على الأولاد وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء وبيان أن من حق المتقرب إلى ربه أن يتنوق في اختيار ما يتقرب به وأن يختاره فتي السن غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريئاً من العيوب يونق من ينظر إليه وأن يغالي بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه أنه ضحى بنجيبة بثلاثمائة دينار وأن الزيادة في الخطاب نسخ له وأن النسخ قبل الفعل جائز وإن لم يجز قبل وقت الفعل وإمكانه لأدائه إلى البداء وليعلم بما أمر به من مس الميت بالميت وحصول الحياة عقيبه أن المؤثر هو المسبب لا الأسباب لأن الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل أن يتولد منهما حياة **فإن قلت** فما للقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها أن يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها وأن يقال وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها **قلت** كلما قص من قصص بني إسرائيل إنما قص تعديداً لما وجد منهم من الجنايات وتقريعاً لهم عليها ولما جدد فيهم من الآيات العظام وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وإن كانتا متصلتين متحدتين فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما تبعه من الآية العظيمة وإنما قدمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتيل لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعدما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها أن وصلت بالأولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى يتبين أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع وتثنيته بإخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها وأنها قصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة **ثم قست** معنى ثم استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم أنتم تمترون وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وأن المواعظ لا تؤثر فيها **ذلك** إشارة إلى إحياء القتيل أو إلى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة **فهي كالحجارة** فهي في قسوتها مثل الحجارة **أو أشد قسوة** منها وأشد معطوف على الكاف إما على معنى أو مثل أشد قسوة فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وتعضده قراءة الأعمش بنصب الدال عطفاً على الحجارة وإما على أو هي في أنفسها أشد قسوة والمعنى أن من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بجوهر أقسى منها وهو الحديد مثلاً أو من عرفها شبهها بالحجارة أو قال هي أقسى من الحجارة **فإن قلت** لم قيل أشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه أفعل التفضيل وفعل التعجب **قلت** لكونه أبين وأدل على فرط القسوة ووجه آخر وهو أن لا يقصد معنى الأقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كأنه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم أشد قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الإلباس كقولك زيد كريم وعمرو أكرم **وإن من الحجارة** بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله أو أشد قسوة وقرئ وإن بالتخفيف وهي إن المخففة من الثقيلة التي تلزمها اللام الفارقة ومنها قوله وإن كل لما جميع **والتفجر** التفتح

٢٨

بالسعة والكثرة وقرأ مالك بن دينار ينفجر بالنون **يشقق** يتشقق وبه قرأ الأعمش والمعنى أن من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقاً بالطول أو بالعرض فينبع منه الماء أيضاً **يهبط** يتردى من أعلى الجبل وقرئ يهبط بالضم والخشية مجاز عن انقيادها لأمر الله وأنها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما أمرت به وقرئ تعملون بالياء والتاء وهو وعيد **أفتطمعون** الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين **أن يؤمنوا لكم** أن يحدثوا الإيمان لأجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط يعني اليهود **وقد كان فريق منهم** طائفة منهم فيمن سلف منهم **يسمعون كلام الله** وهو ما يتلونه من التوراة **ثم يحرفونه** كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى عليه السلام بالطور وما أمر به ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا وإن شئتم أن لا تفعلوا فلا بأس وقرئ كلم الله **من بعد ما عقلوه** من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم شبهة في صحته **وهم يعلمون** أنهم كاذبون مفترون والمعنى إن كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك **وإذا لقوا** يعني اليهود **قالوا** قال منافقوهم **آمنا** بأنكم على الحق وأن محمداً هو الرسول المبشر به **وإذا خلا بعضهم إلى بعض** الذين لم ينافقوا إلى الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم **أتحدثونهم بما فتح الله عليكم** بما بين لكم في التوراة من صفة محمد أو قال المنافقون لأعقابهم يرونهم التصلب في دينهم أتحدثونهم إنكاراً عليهم أن يفتحوا عليهم شيئاً في كتابهم فيناً فيقول المؤمنون قد سمعنا يقوله اليهود **ليحاجوكم به عند ربكم** ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله ألا تراك تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد **يعلم** جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك إسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان **ومنهم أميون** لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها **لا يعلمون الكتاب إلا أماني** إلا ما هم عليه من أمانيهم وأن الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم وما تمنيهم أحبارهم من أن النار لا تمسهم إلا أياماً معدودة وقيل إلا أكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد قال أعرابي لابن دأب في شيء حدث به أهذا شيء رويته أم تمنيته أي اختلقته وقيل إلا ما يقرؤون من قوله تمنى كتاب الله أول ليلة والاشتقاق من منى إذا قدر لأن المتمني يقدر في نفسه ويحزر ما يتمناه وكذلك المختلق والقارئ يقدر أن كلمة كذا بعد كذا وإلا أماني من الاستثناء المنقطع وقرئ أماني بالتخفيف ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على أنهم في الضلال سواء لأن العالم عليه أن يعمل بعلمه وعلى العامي أن لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم **يكتبون الكتاب** المحرف **بأيديهم** تأكيد وهو من مجاز التأكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا كتبته بيمينك هذه **مما يكسبون** من الرشا **أياماً معدودة** أربعين يوماً عدد أيام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يوماً **فلن يخلف** متعلق بمحذوف تقديره إن اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده **أم** إما أن تكون معادلة بمعنى أي الأمرين كائن على سبيل التقرير لأن العلم واقع بكون أحدهما ويجوز أن تكون منقطعة **بلى** إثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار أي بلى تمسكم أبداً بدليل قوله هم فيها خالدون **من كسب سيئة** من السيئات يعني كبيرة من الكبائر **وأحاطت به خطيئته** تلك واستولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفص عنها بالتوبة وقرئ خطاياه وخطيئاته وقيل في الإحاطة كان ذنبه أغلب من طاعته وسأل رجل الحسن عنها فقال سبحان الله ألا أراك ذا لحية وما تدري ما الخطيئة انظر في المصحف فكل آية نهى الله عنها وأخبرك أنه من عمل بها أدخله النار فهي الخطيئة المحيطة **لا تعبدون** إخبار في معنى النهي كما تقول تذهب إلى فلان تقول له كذا تريد الأمر وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه وتنصره قراءة عبد الله وأبي لا تعبدوا ولا بد من إرادة القول ويدل عليه أيضاً قوله وقولوا وقوله وبالوالدين إحساناً إما أن يقدر وتحسنون بالوالدين أو وأحسنوا وقيل هو جواب قوله أخذنا ميثاق بني إسرائيل إجراء له مجرى القسم كأنه قيل وإذ أقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه أن لا تعبدوا فلما حذفت أن رفع كقوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى ويدل عليه قراءة عبد الله أن لا تعبدوا ويحتمل أن لا تعبدوا أن تكون أن فيه مفسرة وأن تكون أن مع الفعل بدلاً عن الميثاق كأنه قيل أخذنا ميثاق بني إسرائيل توحيدهم وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء لأنهم غيب **حسناً** قولاً هو حسن في نفسه لإفراط حسنه وقرئ حسناً وحسنى على المصدر كبشرى **ثم توليتم** على طريقة الالتفات أي توليتم عن الميثاق ورفضتموه **إلا قليلاً منكم** قيل هم الذين أسلموا منهم **وأنتم معرضون** وأنتم قوم عادتكم الإعراض عن المواثيق والتولية **لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم** لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه إذا اتصل به أصلاً أو ديناً وقيل إذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لأنه يقتص منه **ثم أقررتم** بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه

وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود
على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ
الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني انكم قوم آخرون
غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به
وقوله تقتلون بيان لقوله ثم انتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذين وقرئ تقتلون بحذف التاء
وادغامها وتظاهرون بالتائها وتظاهرون يعني تتظاهرون اي تتعاونون عليهم وقرئ تفدوهم
وتفادوهم وأسرى واسارى وهو ضمير الشأن ويجوز ان يكون مبهما يفسره اخراجهم افتؤمنون ببعض
الكتاب اي بالفداء وتكفرون ببعض اي بالقتال والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير
حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل
من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون
امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا والخزي كقتل بني قريظة واسرهم
واجلاء بني النضير وقيل الجزية وانما رد من فعل ذلك منهم الى اشد العذاب لان عصيانه
اشد وقرئ تردون وتعملون بالياء والتاء فلا يخفف عنهم عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم
احد بالدفع عنهم وكذلك عذاب الآخرة الكتاب التوراة آتاه اياها جملة واحدة ويقال قفاه اذا
اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به اتبعه اياه يعني وارسلنا على اثره الكثير من الرسل
كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا
وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وقيل عيسى بالسريانية ايشوع
ومريم بمعنى الخادم وقيل المريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه
ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت في الابنية كما ثبت نحو عثير وعليب البينات
المعجزات الواضحات والحجج كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات وقرئ وايدناه
ومنه آجده بالجيم اذا قواه يقال الحمد لله الذي آجدني بعد ضعف واوجدني بعد فقر بروح القدس
بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص
والتقريب للكرامة وقيل لانه لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل جبريل وقيل الانجيل
كما قال في القرآن روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره والمعنى
ولقد آتينا يا بني اسرائيل انبياءكم ما آتيناهم افكلما جاءكم رسول بالحق استكبرتم عن الايمان به فوسط
بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شأنهم ويحتمل ان يريد ولقد آتيناهم ما آتيناهم
ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر فريقا كذبتم هلا قيل وفريقا قتلتم
هو على وجهين ان يراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب
وان يراد وفريقا تقتلونهم بعد لانكم تحومون حول قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم
له الشاة وقال عليه السلام عند موته ما زالت اكلة خيبر تعادني فهذا اوان قطعت ابهري
غلف جمع اغلف اي هي خلقة وجبلة مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد ولا تفقهه مستعار
من الاغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ثم رد الله ان تكون قلوبهم
مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بان الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم
فهم الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الالطاف
التي تكون للمتوقع ايمانهم وللمؤمنين فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم
ببعض الكتاب ويجوز ان تكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف اي اوعية
للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره وروي عن ابي عمرو قلوبنا غلف بضمتين كتاب من عند الله
هو القرآن مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال فان قلت كيف جاز نصبها عن النكرة قلت اذا وصف النكرة تخصص فصح انتصاب
الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما اشبه
ذلك يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان
الذي نجد نعته وصفته في التوراة ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا
فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم
قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسألون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر او
يسأل بعضهم بعضا ان يفتح عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة
على الكافرين اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد
ويجوز ان تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس
شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم

زهق عليه اشتروا ان ينزل لان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي
على من يشاء وتقتضي حكمته ارساله فباؤوا بغضب على غضب فصاروا احقاء بغضب مترادف لانهم
كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله
مغلولة وغير ذلك من انواع كفرهم بما انزل الله مطلق فيما انزل الله من كل كتاب قالوا نؤمن بما انزل
علينا مقيد بالتوراة ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التوراة وهو الحق
مصدقا لما معهم منها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها
ما اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الانبياء وانتم ظالمون
حال بان يكون حالا اي عبدتم العجل وانتم واضعون العبادة غير موضعها وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم
قوم عادتكم الظلم واذكروا رفع الطور لما نيط به من زيادة ليثبت مع الاولى مع ما فيه من التوكيد واسمعوا
ما امرتم به في التوراة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك فان قلت كيف طابق قوله جوابهم قلت
طابقه من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة
واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم
بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم بئسما يامركم به ايمانكم بالتوراة
لانه ليس في التوراة عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلواتك تامرك
وكذلك اضافة الايمان اليهم وقوله ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم له
خالصة نصب على الحال من الدار الآخرة والمراد الجنة اي سالمة لكم خاصة بكم ليس لاحد فيها سواكم
حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون فتمنوا
الموت لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من
الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين بالجنة كان علي رضي الله عنه يطوف بين الصفين في غلالة فقال له
ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام عليه سقط الموت
وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني وقال
عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن اليه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي بما قدمت
ايديهم بما اسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد وما جاء به وتحريف كتاب الله وسائر انواع الكفر
والعصيان وقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا
فان قلت ما ادراك انهم لم يتمنوه قلت لانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكان ناقلوه
من اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن في الاسلام اكثر من الذر وليس احد منهم نقل ذلك فان قلت
التمني من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لم يتمنوا قلت ليس التمني من
اعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا فاذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمني
ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت
في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك فان قلت لم يقولوه لانهم علموا انهم لا يصدقون قلت كم حكي عنهم
من اشياء قاولوا بها المسلمين من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير مصدقين فيه
ولا محمل له الا الكذب البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمني من افعال القلوب وقد فعلناه
مع احتمال ان يكونوا صادقين في قولهم واخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق
مع احتمال ان يكون كاذبا لانه امر خاف لا سبيل الى الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين تهديد لهم
ولتجدنهم هو من وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه
هم واحرص فان قلت لم قال على حياة بالتنكير قلت لانه اراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة ولذلك
كانت القراءة بها اوقع من قراءة ابي على الحياة ومن الذين اشركوا محمول على المعنى لان معنى احرص الناس
احرص من الناس فان قلت الم يدخل الذين اشركوا تحت الناس قلت بلى ولكنهم افردوا بالذكر لان حرصهم
شديد ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم
لان الذين اشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم
فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ فان قلت لم زاد حرصهم
على حرص المشركين قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم انهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون
ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان

وعن ابن عباس هو قول الأعاجم زه هزار سال. وقيل ومن الذين اشركوا كلام مبتدأ اي ومنهم ناس يود احدهم على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم والذين اشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله. والضمير في وما هو لأحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره. وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والانجاء فان قلت يود احدهم ما موقعه قلت هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف فان قلت كيف اتصل لو يعمر بيود احدهم قلت هو حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان القياس لو اعمر الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن. روي ان عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه. وقيل امره الله ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا. وروي انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسألكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد وارى آثاره في كتابكم ثم سألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر. وقرئ جبرئيل بوزن قفشليل وجبرئل بحذف الياء وجبريل بحذف الهمزة وجبريل بوزن قنديل وجبرال بلام مشددة وجبرائيل بوزن جبراعيل وجبرايل بوزن جبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة. وقيل معناه عبد الله. الضمير في نزله للقرآن ونحو هذا الاضمار اعني اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشأن صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته على قلبك اي حفظه اياك وفهمكه بتيسيره وتسهيله فان قلت كان حق الكلام ان يقال على قلبي قلت جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به كأنه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فان قلت كيف استقام قوله فانه نزله جزاء للشرط قلت فيه وجهان احدهما انه ان عادى جبريل احد من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لأحبوه وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم. والثاني ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك ان عاداك فلان فقد آذيته واسأت اليه. افرد الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر وهو مما ذكر ان التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات. وقرئ ميكال بوزن قنطار وميكائيل بوزن ميكاعيل وميكائل كميكاعل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل. قال ابن جني العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه عدو للكافرين اراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة كفر واذا كانت عداوة الانبياء كفرا فما بال الملائكة وهم اشرف. والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب الا الفاسقون الا المتمردون من الكفرة. وعن الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره. وعن ابن عباس قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك بها فنزلت. واللام في الفاسقون للجنس والاحسن ان يكون اشارة الى اهل الكتاب. أوكلما الواو للعطف على محذوف معناه أكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا وقرئ أو بسكون الواو على ان الفاسقون بمعنى الذين فسقوا فكأنه قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهد الله مرارا كثيرة. وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم اخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفوا. الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة

والنبذ

والنبذ الرمي بالذمام ورفضه. وقرئ نقضه فريق منهم وقال فريق منهم لان منهم من لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به كتاب الله يعني التوراة لانهم بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول كأنهم لا يعلمون انه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك يعني ان علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه. وعن الشعبي هو بين ايديهم يقرؤونه ولكنهم نبذوا العمل به. وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه واتبعوا اي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك سليمان اي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه تسخر الانس والجن والريح التي تجري بامره وما كفر سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرا ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر يقصدون به اغواءهم واضلالهم وما انزل على الملكين عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا اي واتبعوا ما انزل هاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما والذي انزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه او تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا. عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه. كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني. وقرأ الحسن على الملكين بكسر اللام على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل وما يعلمان الملكان احدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة اي ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر فيتعلمون الضمير لما دل عليه من احد اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه لا ان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه ربما احدث الله عنده فعلا من افعاله وربما لم يحدث ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يقصدون به الشر وفيه ان اجتنابه اصلح كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية ولقد علموا هؤلاء اليهود لمن اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين على كتاب الله ما له في الآخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوها. وقرأ الحسن الشياطون. وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما بعد. وقرأ الزهري هروت وماروت بالرفع على هما هاروت وماروت وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا. وقرأ طلحة وما يعلمان من اعلم. وقرئ بين المرء بضم الميم وكسرها مع الهمز والمرّ بالتشديد على [illegible] التخفيف والوقف كقولهم فرجّ واجري الوصل مجرى الوقف. وقرأ الاعمش وما هم بضاري بطرح النون والاضافة الى احد والفصل بينهما بالظرف فان قلت كيف يضاف الى احد وهو مجرور بمن قلت جعل الجار جزءا من المجرور فان قلت كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون قلت معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم منسلخون عنه ولو انهم آمنوا برسول الله والقرآن واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله خير. وقرئ لمثوبة كمشورة ومشورة. لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم فان قلت كيف اوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو قلت لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع في سلام عليكم لذلك فان قلت هلا قيل لمثوبة الله خير قلت لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم ويجوز ان يكون قوله ولو انهم آمنوا تمنيا لايمانهم على سبيل المجاز عن ارادة الله ايمانهم واختيارهم له كأنه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير. كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نحفظه ونفهمه

وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية أو سريانية وهي راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه
وخاطبوه به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها وأمروا بما هو في
معناها وهو انظرنا من نظره إذا انتظره. وقرئ أنظرنا من النظرة أي أمهلنا حتى نحفظ
وقرأ عبد الله بن مسعود راعونا على لفظ الجمع للتوقير. وقرأ الحسن راعنا
بالتنوين من الرعن وهو الهوج أي لا تقولوا قولا راعنا منسوبا إلى الرعن بمعنى راعنيا كدارع ولابن
لأنه لما أشبه قولهم راعينا وكان سببا في السب اتصف بالرعن واسمعوا وأحسنوا سماع ما يكلمكم به
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقي عليكم من المسائل بآذان واعية وأذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا إلى الاستعادة
وطلب المراعاة أو واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا
أو واسمعوا ما أمرتم به بجد حتى لا ترجعوا إلى ما نهيتم عنه تأكيدا عليهم ترك تلك الكلمة. وروي أن
سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل
منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأضربن عنقه. فقالوا أولستم تقولونها فنزلت وللكافرين يعني اليهود الذين
تهاونوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسبوه عذاب أليم. من الأولى للبيان لأن الذين كفروا جنس تحته
نوعان أهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين. والثانية
مزيدة لاستغراق الخير. والثالثة لابتداء الغاية. والخير الوحي وكذلك الرحمة كقوله أهم يقسمون
رحمة ربك والمعنى أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى إليهم فيحسدونكم وما يحبون أن ينزل عليكم
شيء من الوحي والله يختص بالنبوة من يشاء ولا يشاء إلا ما تقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم
إشعار بأن إيتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله إن فضله كان عليك كبيرا. روي أنهم طعنوا في النسخ
فقالوا ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع
عنه غدا فنزلت. وقرئ ما ننسخ من آية وما ننسخ بضم النون من أنسخ أو ننسأها
وقرئ ننسها بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم
وقرأ عبد الله ما ننسك من آية أو ننسخها. وقرأ حذيفة ما ننسخ من آية أو ننسكها
ونسخ الآية إزالتها بإبدال أخرى مكانها وإنساخها الأمر بنسخها وهو أن يأمر جبريل بأن يجعلها منسوخة
بالإعلام بنسخها. ونسؤها تأخيرها وإذهابها لا إلى بدل. وإنساؤها أن يذهب بحفظها عن القلوب
والمعنى أن كل آية نذهب بها على ما توجبه المصلحة من إزالة لفظها وحكمها معا أو من إزالة أحدهما إلى بدل
أو غير بدل نأت بخير منها للعباد أي بآية العمل بها أكثر للثواب أو مثلها في ذلك على كل شيء قدير
فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير له ملك السموات والأرض فهو يملك أموركم ويدبرها
ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو أعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ لما بين لهم أنه مالك أمورهم
ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقررهم على ذلك بقوله ألم تعلم أراد أن يوصيهم
بالثقة به فيما هو أصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم وأن لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحته
آباء اليهود على موسى من الأشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا إلها وأرنا الله جهرة
وغير ذلك ومن يتبدل الكفر بالإيمان ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء
السبيل. روي أن فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار
بن ياسر بعد وقعة أحد ألم تروا ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم
وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلا. فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فإني عاهدت
أن لا أكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود أما هذا فقد صبا وقال حذيفة وأما أنا فقد رضيت بالله
ربا وبمحمد نبيا وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين إخوانا ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأخبراه فقال أصبتما خيرا وأفلحتما فنزلت فإن قلت بم تعلق قوله من عند أنفسهم قلت فيه وجهان
أحدهما أن يتعلق بود على معنى أنهم تمنوا أن ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند أنفسهم ومن قبل
شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لأنهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم أنكم على الحق فكيف يكون
تمنيهم من قبل الحق. وإما أن يتعلق بحسدا أي حسدا متبالغا منبعثا من أصل نفوسهم فاعفوا
واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة حتى يأتي الله بأمره الذي هو
قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير وإذلالهم بضرب الجزية عليهم إن الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم
من خير من حسنة من صلاة أو صدقة أو غيرها تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عنده إن الله بما تعملون بصير

عالم لا يضيع عنده عمل عامل. الضمير في وقالوا لأهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى
وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى.
فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله وأمنا من الالتباس لما علم من التعادي بين
الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودا أو نصارى. والهود جمع هائد
كعائذ وعوذ وبازل وبزل فإن قلت كيف قيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر قلت حمل
الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن إلا من هو صالوا الجحيم وقوله فإن له نار جهنم خالدين فيها
وقرأ أبي بن كعب إلا من كان يهوديا أو نصرانيا فإن قلت لم قيل تلك أمانيهم وقولهم لن يدخل الجنة أمنية واحدة
قلت أشير بها إلى الأماني المذكورة وهي أمنيتهم أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأمنيتهم أن
يردوهم كفارا وأمنيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم أي تلك الأماني الباطلة أمانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم
متصل بقولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وتلك أمانيهم اعتراض وأريد بأمثال تلك الأمنية
أمانيهم على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه يريد أن أمانيهم جميعا في البطلان مثل أمنيتهم هذه
والأمنية أفعولة من التمني مثل الأضحوكة والأعجوبة هاتوا برهانكم هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة
إن كنتم صادقين في دعواكم وهذا أهدم شيء لمذهب المقلدين وأن كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت
وهات صوت بمنزلة هاء بمعنى أحضر بلى إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من أسلم وجهه لله
من أخلص نفسه له لا يشرك به غيره وهو محسن في عمله فله أجره الذي يستوجبه فإن قلت من أسلم
وجهه كيف موقعه قلت يجوز أن يكون بلى ردا لقولهم ثم يقع من أسلم كلاما مبتدأ ويكون من
متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله أجره وأن يكون من أسلم فاعلا لفعل محذوف أي بلى يدخلها من أسلم
ويكون قوله فله أجره كلاما معطوفا على يدخلها من أسلم. على شيء يصح ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة
لأن المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فإذا نفي إطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به
إلى ما ليس بعده وهذا كقولهم أقل من لا شيء وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس أي قالوا
ذلك وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة أو الإنجيل أو غيرهما من كتب الله
وآمن به أن لا يكفر بالباقي لأن كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد بصحته وكذلك كتب الله
جميعا متواردة في تصديق بعضها بعضا كذلك أي مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين
لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الأصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لأهل كل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ
عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم. وروي أن وفد نجران لما قدموا على رسول الله
أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت اليهود ما أنتم على شيء من الدين وكفروا
بعيسى والإنجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتوراة فالله يحكم بين اليهود والنصارى
يوم القيامة بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذي استحقه. وعن الحسن حكم الله بينهم أن يكذبهم
ويدخلهم النار. أن يذكر ثاني مفعولي منع لأنك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا أن نرسل
وما منع الناس أن يؤمنوا ويجوز أن يحذف حرف الجر مع أن ولك أن تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة
أن يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وأن مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه أن النصارى
كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى ويمنعون الناس أن يصلوا فيه وأن الروم غزوا أهله فخربوه وأحرقوا
التوراة وقتلوا وسبوا. وقيل أريد به منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فإن قلت
كيف قيل مساجد الله وإنما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس أو المسجد الحرام قلت
لا بأس أن يجيء الحكم عاما وإن كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا ومن أظلم ممن آذى الصالحين
وكما قال عز وجل ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الأخنس بن شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر
أو بتخريب البنيان. وينبغي أن يراد بمن منع العموم كما أريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا بأعيانهم
من أولئك النصارى أو المشركين أولئك المانعون ما كان لهم أن يدخلوها أي ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله
إلا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا أن يستولوا عليها ويلوها
ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب إلا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم. وقيل ما كان لهم في حكم الله
يعني أن الله قد حكم وكتب في اللوح أنه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها إلا خائفين. وروي أنه لا يدخل
بيت المقدس أحد من النصارى إلا متنكرا مسارقة. وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس إلا أنهك
ضربا وأبلغ إليه في العقوبة. وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن
بالبيت عريان. وقرأ عبد الله إلا خيفا وهو مثل صيم. وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد
فجوزه أبو حنيفة ولم يجوزه مالك. وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره. وقيل معناه النهي عن تمكينهم
من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله لهم في الدنيا خزي قتل وسبي أو ذلة

بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية وعمورية ولله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله هو مالكها ومتوليها فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه الله اي جهته التي امر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا يختص امكانها في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان ان الله واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم عليم بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت في صلاة المسافر على الراحلة اينما توجهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فاصبحوا فتبينوا خطأهم فعذروا وقيل معناه فاينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلوة وقرأ الحسن فاينما تَوَلَّوا بفتح التاء من التولي يريد فاينما توجهوا القبلة وقالوا وقرئ بغير واو يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنع شي منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد والتنوين في كل عوض من المضاف اليه اي كل ما في السموات والارض ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم فان قلت كيف جاء بما الذي لغير اولي العلم مع قوله قانتون قلت هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكأنه جاء بما دون من تحقيرا لهم وتصغيرا لشانهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا يقال بدع الشي فهو بديع كقولك بزع الرجل فهو بزيع وبديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما ان السميع في قول عمرو امن ريحانة الداعي السميع بمعنى المسمع وفيه نظر كن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم كما لا قول في قوله اذ قالت الانساع للبطن الحق وانما المعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كالمامور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه اباء اكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقرئ بديع السموات مجرورا على انه بدل من الضمير في له وقرأ المنصور بالنصب على المدح وقال الذين لا يعلمون وقال الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا وعتوا او تاتينا آية جحودا لان يكون ما اتاهم من آيات الله واستهانة بها تشابهت قلوبهم اي قلوب هولاء ومن قبلهم في العمى كقوله اتواصوا به قد بينا الآيات لقوم يوقنون ينصفون فيوقنون انها آيات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها انا ارسلناك لان تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم وتصميمهم على الكفر ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرئ ولا تسأل على النهي روي انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهي عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره او انت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لايحاشه السامع واضجاره فلا تسأل ويعضد القراءة الاولى قراءة عبد الله ولن تسأل وقراءة ابي وما تسأل كأنهم قالوا لن نرضى عنك وان ابلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن دخولهم في الاسلام فحكى الله عز وجل كلامهم ولذلك قال قل ان هدى الله هو الهدى على طريقة اجابتهم عن قولهم يعني ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون الى اتباعه ما هو بهدى انما هو هوى الا ترى الى قوله ولئن اتبعت اهواءهم اي اقوالهم التي هي اهواء وبدع بعد الذي جاءك من العلم اي من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنوا اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك يؤمنون بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به من المحرفين فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الضلالة بالهدى ابتلى ابرهيم ربه بكلمات اختبره باوامر ونواه

واختبار

واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه العبد كأنه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ ابو حنيفة رضي الله عنه وهي قراءة ابن عباس ابرهيمُ ربَّه رفع ابرهيم ونصب ربه والمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن ام لا فان قلت الفاعل في القراءة المشهورة يلي الفعل في التقدير فتعليق الضمير به اضمار قبل الذكر قلت الاضمار قبل الذكر ان يقال ابتلى ربه ابرهيم فاما ابتلى ابرهيم ربه او ابتلى ابرهيمَ ربُّه فليس واحد منهما باضمار قبل الذكر اما الاول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا واما الثاني فابرهيم فيه مقدم في المعنى وليس كذلك ابتلى ربه ابرهيم فان الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى فلا سبيل الى صحته والمستكن في فاتمهن في احدى القراءتين لابرهيم بمعنى فقام بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان ونحوه وابرهيم الذي وفى وفي الاخرى لله تعالى بمعنى فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سأل ابرهيم ربه في قوله رب اجعل هذا البلد آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا فان قلت ما العامل في اذ قلت اما مضمر نحو واذكر اذ ابتلاه او اذ ابتلاه كان كيت وكيت واما قال اني جاعلك للناس اماما فان قلت فما موقع قال قلت هو على الاول استئناف كأنه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات فقيل قال اني جاعلك للناس اماما وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز ان يكون بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام قبل ذلك في قوله اذ قال له ربه اسلم وقيل في الكلمات هي خمس في الراس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط وقيل ابتلاه بثلاثين خصلة من شرائع الاسلام عشر في براءة التائبون العابدون وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنون وسأل سائل الى قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه والنار والهجرة والامام اسم من يؤتم به على زنة الآلة كالازار لما يؤتزر به اي يأتمون بك في دينهم ومن ذريتي عطف على الكاف كأنه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك ساكرمك فتقول وزيدا لا ينال عهدي الظالمين وقرئ الظالمون اي من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي اليه بالامامة وانما ينال من كان عادلا بريئا من الظلم وقالوا في هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلوة وكان ابو حنيفة رحمه الله يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي رضي الله عنه وحمل المال اليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمي بالامام والخليفة كالدوانيقي واشباهه وقالت له امرأة اشرت على ابني بالخروج مع ابرهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك وكان يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد وارادوني على عد آجره لما فعلت وعن ابن عيينة لا يكون الظالم اماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه اي يثوب اليه اعيان الذين يزورونه او امثالهم وقرئ مثابات لانه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه والباد واتخذوا على ارادة القول اي وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى يريد افلا نؤثره لفضله بالصلاة فيه تبركا به وتيمنا بموطئ قدم ابرهيم فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل ثلاثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقيل مصلى مدعى ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه والموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذي يسمى مقام ابرهيم وعن عمر رضي الله عنه انه سأل المطلب بن ابي وداعة هل تدري اين كان موضعه الاول قال نعم فاراه موضعه اليوم وعن عطاء مقام ابرهيم عرفة والمزدلفة والجمار لانه قام في هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعي الحرم كله مقام ابرهيم وقرئ واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان ابرهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعهدنا امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا او اي طهرا والمعنى طهراه من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها او اخلصاه لهؤلاء لا يغشه

والعاكفين المجاورين الذين عكفوا عنده اي اقاموا لا يبرحون، او المعتكفين، ويجوز ان يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين في الصلوة كما قال للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيئات المصلي اي اجعل هذا البلد او هذا المكان بلدا امنا ذا امن كقوله في عيشة راضية او آمنا من فيه كقولك ليل نائم ومن امن منهم بدل من اهله يعني وارزق المؤمنين من اهله خاصة ومن كفر عطف على من امن كما عطف ومن ذريتي على الكاف في جاعلك فان قلت لم خص ابرهيم المؤمنين حتى رد عليه قلت قاس الرزق على الامامة فعرف الفرق بينهما لان الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح للمرعي وابعد الناس عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة له والمعنى وارزق من كفر فامتعه ويجوز ان يكون ومن كفر مبتدأ متضمنا معنى الشرط وقوله فامتعه جوابا للشرط اي ومن كفر فانا امتعه وقرئ فامتعه ثم اضطره الى عذاب النار لز المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر اليه، وقرئ ابي فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرئ يحيى بن وثاب فاضطره بكسر الهمزة وقرئ ابن عباس فامتعه ثم اضطره على لفظ الامر والمراد الدعاء من ابرهيم دعا ربه بذلك فان قلت فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة قلت في قال ضمير ابرهيم اي قال ابرهيم بعد مسئلته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره وقرئ فاطره بادغام الضاد في الطاء كما قالوا اطجع وهي لغة مرذولة لان الضاد من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي حروف ضم شفر يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله اي اسأل الله ان يقعدك اي يثبتك، ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز ان يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لانه اذا وضع سافا فوق ساف فقد رفع السافات ويجوز ان يكون المعنى واذ يرفع ابرهيم ما قعد من البيت اي استوطأ يعني جعل هيئة القاعدة المستوطأة مرتفعة عالية بالبناء، وروي انه كان مؤسسا قبل ابرهيم فبنى على الاساس، وروي ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي، وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج ادم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله تعالى امر ابرهيم ببنائه وعرفه جبريل مكانه، وقيل بعث الله سحابة اظلته ونودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص، وقيل بناه من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء وجاءه جبريل بالحجر الاسود من السماء، وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود، وقيل كان ابرهيم يبني واسمعيل يناوله الحجارة ربنا اي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد اظهره عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا، انك انت السميع لدعائنا العليم بضمائرنا ونياتنا فان قلت هلا قيل قواعد البيت واي فرق بين العبارتين قلت في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما ليس في ايضاحها لما في الايضاح بعد الابهام من تفخيم لشان المبين مسلمين لك مخلصين لك اوجهنا من قوله اسلم وجهه لله او مستسلمين يقال اسلم له وسلم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا او اذعانا لك، وقرئ مسلمين على الجمع كانهما ارادا انفسهما وهاجر او اجريا التثنية على حكم الجمع لانها منه ومن ذريتنا واجعل من ذريتنا امة مسلمة لك ومن للتبعيض او للتبيين كقوله وعد الله الذين امنوا منكم فان قلت لم خصا ذريتهما بالدعاء قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير الا ترى ان المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم وارنا منقول من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين اي وبصرنا متعبداتنا في الحج او عرفناها وقيل مذابحنا، وقرئ وارنا بسكون الراء قياسا على فخذ في فخذ وقد استرذلت لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فاسقاطها اجحاف، وقرئ ابو عمرو باشمام الكسرة، وقرئ عبد الله وارهم مناسكهم وتب علينا ما فرط منا من الصغائر او استتابا لذريتهما وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم من انفسهم

روى

روى انه قيل له قد استجيب لك وهو في اخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم قال عليه السلام انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلوا عليهم اياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل وحدانيتك وصدق انبيائك ويعلمهم الكتاب والحكمة الشريعة وبيان الاحكام ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ومن يرغب انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابرهيم ومن سفه في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد سفه نفسه امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رايه والم راسه ويجوز ان يكون في شذوذه تعريف المميز نحو قوله ولا بفزارة الشعر الرقابا وقوله اجب الظهر ليس له سنام وقيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظني مقيم اي في ظني والوجه هو الاول وكفى شاهدا له بما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة ولقد اصطفيناه بيان لخطاء راي من رغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله في الدارين بان كان صفوته وخيرته في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير في الاخرة لم يكن احد اولى بالرغبة في طريقته منه اذ قال ظرف لاصطفيناه اي اخترناه في ذلك الوقت او انتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله ومعنى قال له اسلم اخطر بباله النظر في الدلائل المؤدية الى المعرفة والاسلام قال اسلمت اي فنظر وعرف وقيل اسلم اي اذعن واطع وروي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله قال في التورية اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت، وقرئ واوصى وهي في مصاحف اهل الحجاز والشام والضمير في بها لقوله اسلمت لرب العالمين على تاويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقوله كلمة باقية دليل على ان التانيث على تاويل الكلمة ويعقوب عطف على ابرهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه ايضا وقرئ ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها ابرهيم بنيه ونافلته يعقوب يا بني على اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بوصى لانه في معنى القول ونحوه قول الشاعر رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا بكسر الهمزة وهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الاخبار وفي قراءة ابي وابن مسعود ان يا بني ان الله اصطفى لكم الدين اعطاكم الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به فلا تموتن معناه فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلوة ولكن عن ترك الخشوع في حال صلاته فان قلت فاي نكتة في ادخال حرف النهي على الصلوة وليس بمنهي عنها قلت النكتة فيه اظهار ان الصلوة التي لا خشوع فيها كلا صلوة فكانه قال انهاك عنها اذا لم تصلها على هذه الحالة الا ترى الى قوله عليه السلام لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد فانه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل الا في المسجد وكذلك المعنى في الاية اظهار ان موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء وان من حق هذا الموت ان لا يحل فيهم ونحوه قولك في الامر مت وانت شهيد وليس مرادك الامر بالموت ولكن بالكون على صفة الشهداء اذا مات وانما امرته بالموت اعتدادا منك بميتته واظهارا لفضلها على غيرها وانها حقيقة بان يحث عليها ام كنتم شهداء ام هي المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام اذ حضره الموت اي حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي، وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على اليهودية الا انهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الاسلام ولما ادعوا عليه اليهودية فالاية منافية لقولهم فكيف يقال لهم ام كنتم شهداء ولكن الوجه ان تكون ام متصلة على ان يقدر قبلها محذوف كانه قيل اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعني ان اوائلكم من بني اسرائيل كانوا مشاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه براء، وقرئ حضر بكسر الضاد وهي لغة ما تعبدون اي شيء تعبدون وما عام في كل شيء فاذا علم فرق بما ومن وكفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم الا اولي العلم وحدهم ويجوز ان يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب ام غير ذلك

من الصفات **وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق** عطف بيان لآبائك وجعل إسماعيل وهو عمه من جملة آبائه لأن العم أب والخالة أم لانخراطهما في سلك واحد وهو الأخوة لا تفاوت بينهما. ومنه قوله عليه السلام عم الرجل صنو أبيه أي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال في العباس هذا بقية آبائي وقال ردوا علي أبي فإني أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقرئ أبيك وإله إبراهيم بطرح آبائك وقرئ أبيك وفيه وجهان أن يكون واحدا وإبراهيم وحده عطف بيان له وأن يكون جمعا بالواو والنون قال: فلما تبين أصواتنا. بكين وفديننا بالأبينا **إلها واحدا** بدل من إله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة أو على الاختصاص أي نريد بإله آبائك إلها واحدا **ونحن له مسلمون** حال من فاعل نعبد أو من مفعوله لرجوع الهاء إليه في له ويجوز أن تكون جملة معطوفة على نعبد وأن تكون جملة اعتراضية مؤكدة أي ومن حالنا أنا له مسلمون مخلصون التوحيد أو مذعنون **تلك** إشارة إلى الأمة المذكورة التي هي إبراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون والمعنى أن أحدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان أو متأخرا فكما أن أولئك لا ينفعهم إلا ما اكتسبوا فكذلك أنتم لا ينفعكم إلا ما اكتسبتم وذلك أنهم افتخروا بآبائهم ونحوه قول رسول الله يا بني هاشم لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم **ولا تسألون عما كانوا يعملون** ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تنفعكم حسناتهم **بل ملة إبراهيم** بل نكون ملة إبراهيم أي أهل ملته كقول عدي بن حاتم إني من دين أي من أهل دين. وقيل بل نتبع ملة إبراهيم. وقرئ ملة إبراهيم بالرفع أي ملته ملتنا. أو أمرنا ملته أو نحن ملته بمعنى أهل ملته **حنيفا** حال من المضاف إليه كقولك رأيت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل إلى دين الحق. والحنف الميل في القدمين وتحنف إذا مال وأنشد:

ولكنا خلقنا إذ خلقنا. حنيفا ديننا عن كل دين

وما كان من المشركين تعريض بأهل الكتاب وغيرهم لأن كلا منهم يدعي اتباع إبراهيم وهو على الشرك **قولوا** خطاب للمؤمنين ويجوز أن يكون خطابا للكافرين أي قولوا لتكونوا على الحق وإلا فأنتم على الباطل وكذلك قوله قل بل ملة إبراهيم يجوز أن يكون على بل اتبعوا أنتم ملة إبراهيم أو كونوا أهل ملته **والأسباط** الحفدة وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم والأسباط حفدة يعقوب ذراري أبنائه الاثني عشر **لا نفرق بين أحد منهم** لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى وأحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه **فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به** من باب التبكيت لأن دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الإسلام ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد إذا دين آخر يماثل دين الإسلام في كونه حقا حتى إن آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فإن آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير أي فإن حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه أن دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لأنه حق وهدى وما سواه باطل وضلال. ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الرأي الصواب فإن كان عندك رأي أصوب منه فاعمل به وقد علمت أن لا أصوب من رأيك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على أن ما رأيت لا رأي وراءه. ويجوز أن لا تكون الباء صلة وتكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم أي فإن دخلوا في الإيمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها. وقرأ ابن عباس وابن مسعود بما آمنتم به. وقرأ أبي بالذي آمنتم به **وإن تولوا** عما تقولون لهم ولم ينصفوا فما هم إلا في شقاق أي في مناواة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق في شيء أو وإن تولوا عن الشهادة والدخول في الإيمان بها **فسيكفيكهم الله** ضمان من الله لإظهار رسوله صلى الله عليه وسلم عليهم وقد أنجز وعده بقتل قريظة وسبيهم وإجلاء بني النضير. ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين **وهو السميع العليم** وعيد لهم أي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه. أو وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من إظهار دين الله تعالى وهو مستجيب لك وموصلك إلى مرادك **صبغة الله** مصدر مؤكد منتصب على قوله آمنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم قولوا آمنا وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا. أو يقول المسلمون صبغنا الله بالإيمان صبغة ولم نصبغ صبغتكم وإنما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس الأشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام **ومن أحسن من الله صبغة** يعني أنه يصبغ عباده بالإيمان ويطهرهم به من أوضار الكفر

فلا صبغة

فلا صبغة أحسن من صبغته وقوله **ونحن له عابدون** عطف على آمنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم أن صبغة الله بدل من ملة إبراهيم أو نصب على الإغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم وإخراج الكلام عن التئامه واتساقه. وانتصابها على أنها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام. وقرأ زيد بن ثابت **أتحاجونا** بإدغام النون والمعنى أتجادلوننا في شأن الله واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو أنزل الله على أحد لأنزل علينا وترونكم أحق بالنبوة منا **وهو ربنا وربكم** نشترك جميعا في أننا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده فهو فوضى في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي إذا كان أهلا للكرامة **لنا أعمالنا ولكم أعمالكم** يعني أن العمل هو أساس الأمر وبه العبرة وكما أن لكم أعمالا يعتبرها الله في إعطاء الكرامة ومنعها فنحن كذلك ثم قال **ونحن له مخلصون** فجاء بما هو سبب الكرامة أي نحن له موحدون نخلصه بالإيمان فلا تستبعدوا أن يؤهل أهل إخلاصه لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن أحق بأن تكون النبوة فينا لأنا أهل كتاب والعرب عبدة أوثان **أم تقولون** يحتمل فيمن قرأ بالتاء أن تكون أم معادلة للهمزة في أتحاجوننا بمعنى أي الأمرين تأتون المحاجة في حكمة الله أم ادعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء والمراد بالاستفهام عنهما إنكارهما معا وأن تكون منقطعة بمعنى بل أتقولون والهمزة للإنكار أيضا وفيمن قرأ بالياء لا تكون إلا منقطعة **قل أأنتم أعلم أم الله** يعني أن الله شهد لهم بملة الإسلام في قوله ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما **ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله** أي كتم شهادة الله التي عنده أنه شهد بها وهي شهادته لإبراهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين أحدهما أن أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم لأنهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثاني أنا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منا فلا نكتمها. وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته ومن في قوله شهادة عنده من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان إذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله

سيقول السفهاء الخفاف الأحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه إلى الكعبة وأنهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع إليها والله ليرجعن إلى دينهم فإن قلت فأي فائدة في الإخبار بقولهم قبل وقوعه قلت فائدته أن مفاجأة المكروه أشد والعلم به قبل وقوعه أبعد من الاضطراب إذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس وأن الجواب العتيد قبل الحاجة إليه أقطع للخصم وأرد لشغبه وقبل الرمي يراش السهم **ما ولاهم** ما صرفهم عن قبلتهم وهي بيت المقدس **قل لله المشرق والمغرب** أي بلاد المشرق والمغرب والأرض كلها **يهدي من يشاء** من أهلها **إلى صراط مستقيم** وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة إلى بيت المقدس وأخرى إلى الكعبة **وكذلك جعلناكم** ومثل ذلك الجعل العجيب **جعلناكم أمة وسطا** خيارا وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونحوه قول علم وانظروا الشجة يريد الوسيطة بين السمنة والعجفاء وصفا بالشيء وهو وسط الظهر إلا أنه ألحق تاء التأنيث مراعاة لحق الوصف. وقيل للخيار وسط لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأعوار والأوساط محمية محوطة ومنه قول الطائي: كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت. بها الحوادث حتى أصبحت طرفا. وقد اكتريت بمكة جمل أعرابي للحج فقال أعطني من سطاتهن أراد من خيار الدنانير. أو عدولا لأن الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض **لتكونوا شهداء على الناس** روي أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء فيطالب الله الأنبياء بالبينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم فيؤتى بأمة محمد صلعم فيشهدون فتقول الأمم من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك بإخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلعم فيسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا **فإن قلت** هلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم **قلت** لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شيء شهيد كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد. وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح إلا بشهادة العدول الأخيار ويكون الرسول شهيدا عليكم يزكيكم ويعلم بعدالتكم **فإن قلت** لم أخرت صلة الشهادة أولا وقدمت آخرا **قلت** لأن الغرض في الأول إثبات شهادتهم على الأمم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم **التي كنت عليها** ليست بصفة للقبلة إنما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لأن رسول الله صلعم كان يصلي بمكة إلى الكعبة ثم أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول إلى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي تحب أن تستقبلها الجهة التي كنت عليها أولا بمكة يعني وما رددناك إليها إلا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الإسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه

٢٥

لتقلقه بين تذ كقوله وما جعلنا عدة فتنة للذين كفروا الآية ويجوز ان يكون بيانا للحكمة في جعل بيت
المقدس قبلة يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا
لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقبلك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس
وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه ٥ وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته بمكة
بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فان قلت كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك قلت
معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو ان نعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه
واهل الزلفى عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب
فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي تلزمها اللام الفارقة
والضمير في كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة او التحويلة او الجعلة ويجوز
ان يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله الا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين
لطف الله بهم وكانوا اهلا للطفه وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا
ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم ويجوز ان يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه
ان تركه مفسدة واضاعة لايمانكم ٥ وقيل من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلاته غير ضائعة
عن ابن عباس لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت لرؤوف رحيم
لا يضيع اجورهم ولا يترك ما يصلحهم ٥ ويحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رأيك في ابي تراب فقرأ قوله الا
على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم ٥
وقرئ الا ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان تكون من متضمنة معنى الاستفهام معلقا
عنها العلم كقولك علمت ازيد في الدار ام عمرو ٥ وقرأ ابن ابي اسحق على عقبيه بسكون القاف وقرأ اليزيدي
لكبيرة بالرفع ووجهها ان تكون كان مزيدة كما في قوله ٥ وجيران لنا كانوا كرام ٥ والاصل وان هي كبيرة
كقولك ان زيد لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة ٥ وقرئ ليضيع بالتشديد قد نرى ربما نرى ومعناه
كثرة الرؤية كقوله ٥ قد اترك القرن مصفرا انامله ٥ تقلب وجهك تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة
السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم وادعى
للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول
جبريل والوحي بالتحويل فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا
جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل اليها
لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته شطر المسجد الحرام نحوه قال ٥
واظعن بالقوم شطر الملوك ٥ وقرأ ابي تلقاء المسجد الحرام عن البراء بن عازب قدم النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب
بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه
ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء
مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين ٥ وشطر المسجد نصب على الظرف اي اجعل تولية الوجه
تلقاء المسجد الحرام اي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد
وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين ليعلمون انه الحق
ان التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم انه يصلي الى القبلتين
تعملون قرئ بالياء والتاء ما تبعوا جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط بكل آية بكل برهان
قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد
الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك انك على الحق وما انت بتابع قبلتهم حسم
لاطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره
وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم ٥ وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني انهم مع
اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا ترجى موافقتهم لك وذلك ان
اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس اخبر عز وعلا عن تصلب كل حزب فيما هو فيه
وثباته عليه فالمحق منهم لا ينقلع عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله
لشدة شكيمته في عناده ٥ وقوله ولئن اتبعت اهواءهم بعد الافصاح عن حقيقة حاله المعلومة
عنده في قوله وما انت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن اتبعتهم

مثلا

مثلا بعد وضوح البرهان والاحاطة بحقيقة الامر انك اذا لمن الظالمين المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك
لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى
وتهييج والهاب للثبات على الحق فان قلت كيف قال وما انت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود
قبلة وللنصارى قبلة قلت كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة
واحدة يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص
كما يعرفون ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم ٥ وعن عمر رضي الله عنه انه سأل عبد الله بن سلام عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي
فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه ٥ وجاز الاضمار وان لم يسبق له ذكر لان الكلام يدل عليه ولا يلتبس على
السامع ٥ ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بانه لشهرته وكونه علما معلوما بغير اعلام ٥ وقيل
الضمير للقرآن او العلم او تحويل القبلة ٥ وقوله كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول وينصره الحديث عن عبد الله
بن سلام فان قلت لم اختص الابناء قلت لان الذكور اشهر واعرف وهم لصحبة الآباء الزم وبقلوبهم الصق
وان فريقا منهم استثناء لمن آمن منهم او لجاهلهم الذين قال فيهم ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب
الحق من ربك يحتمل ان يكون الحق خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق ٥ او مبتدأ خبره من ربك ٥ وفيه وجهان
ان تكون اللام للعهد والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم او الى الحق الذي في قوله ليكتمون
الحق اي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك وان تكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني ان
الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه وما لم يثبت انه من الله كالذي عليه اهل الكتاب فهو الباطل
فان قلت اذا جعلت الحق خبر مبتدأ فما محل من ربك قلت يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون حالا
وقرأ علي رضي الله عنه الحق من ربك على الابدال من الاول اي يكتمون الحق الحق من ربك فلا تكونن من الممترين من
الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في انه من ربك ولكل من اهل الاديان المختلفة وجهة قبلة وفي قراءة
ابي ولكل قبلة هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين وقيل هو لله تعالى اي الله موليها اياه ٥ وقرئ ولكل
وجهة على الاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت
ولزيد ابوه ضاربه ٥ وقرأ ابن عامر هو مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل امة
قبلة تتوجه اليها منكم ومن غيركم فاستبقوا انتم الخيرات واستبقوا اليها غيركم من امر القبلة وغيره
ومعنى آخر وهو ان يراد ولكل منكم يا امة محمد وجهة اي جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية
او غربية فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه ويجوز ان يكون
[illegible]
ومن حيث خرجت ومن اي بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت
[illegible]

أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح كما تعرض النار على آل فرعون غدوة
وعشية فيصل إليهم الوجع. وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها. وقالوا
يجوز أن يجمع الله من أجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل إليها النعيم وإن كانت في حجم الذرة
وقيل نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك إصابة تشبه فعل
المختبر لأحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما أنتم عليه من الطاعة وتسلمون لأمر الله
وحكمه أم لا بشيء بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه وبشر الصابرين المسترجعين
عند البلاء لأن الاسترجاع تسليم وإذعان. وعن النبي صلعم من استرجع عند المصيبة
جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه. وروي أنه طفئ سراج
رسول الله صلعم فقال إنا لله وإنا إليه راجعون فقيل أمصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي
المؤمن فهو له مصيبة. وإنما قلله في قوله بشيء ليؤذن أن كل بلاء أصاب الإنسان وإن جل ففوقه
ما يقل إليه وليخفف عليهم ويريهم أن رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وإنما وعدهم
ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص عطف على شيء أو على الخوف بمعنى وشيء من
نقص الأموال والخطاب في ولنبلونكم لرسول الله صلعم أو لكل من تتأتى منه البشارة. وعن الشافعي
رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الأموال الزكوات
والصدقات ومن الأنفس الأمراض ومن الثمرات موت الأولاد. وعن النبي صلعم إذا
مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول أقبضتم
ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول
الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد. والصلوة الحنو والتعطف
فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله تعالى رأفة ورحمة ورؤف رحيم والمعنى
عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة أي رحمة وأولئك هم المهتدون لطريق الصواب حيث استرجعوا
وسلموا لأمر الله الصفا والمروة علمان للجبلين كالصمان والمقطم من شعائر الله جمع شعيرة
وهي العلامة أي من أعلام مناسكه ومتعبداته فمن حج البيت أو اعتمر الحج القصد والاعتمار الزيارة فغلبا على
قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في الأعيان
وأصل يطوف يتطوف فأدغم وقرئ أن يطوف من طاف فإن قلت كيف قيل إنهما من شعائر
الله ثم قيل فلا جناح عليه أن يطوف بهما قلت كان على الصفا إساف وعلى المروة نائلة
وهما صنمان. يروى أنهما كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما
ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان أهل الجاهلية إذا سعوا
مسحوهما فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان كره المسلمون الطواف بينهما لأجل
فعل الجاهلية وأن لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف في السعي فمن
قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله فلا
جناح عليهما أن يتراجعا وغير ذلك ولقوله ومن تطوع خيرا كقوله فمن تطوع خيرا فهو
خير له. ويروى ذلك عن أنس وابن عباس وابن الزبير وتنصره قراءة ابن مسعود فلا
جناح عليه أن لا يطوف بهما. وعن أبي حنيفة أنه واجب وليس بركن وعلى تاركه
دم وعند الأولين لا شيء عليه. وعند الشافعي ومالك هو ركن لقوله صلعم اسعوا فإن
الله كتب عليكم السعي. وقرئ ومن يطوع بمعنى ومن يتطوع فأدغم وفي قراءة عبد الله
ومن يتطوع بخير إن الذين يكتمون من أحبار اليهود ما أنزلنا في التوراة من البينات من
الآيات الشاهدة على أمر محمد صلعم والهدى والهداية بوصفه إلى اتباعه والإيمان به
من بعد ما بيناه ولخصناه للناس في الكتاب في التوراة لم ندع فيه موضع إشكال
ولا اشتباه على أحد منهم فعمدوا إلى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس
أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين يتأتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة والمؤمنون
من الثقلين وأصلحوا ما أفسدوا من أحوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله
في كتابهم فكتموه أو بينوا للناس ما أحدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم
ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين إن الذين كفروا
يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم أحياء ثم لعنتهم أمواتا. وقرئ
والملائكة والناس أجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لأنه فاعل في التقدير كقولك

عجبت

عجبت من ضرب زيد وعمرو تريد من أن ضرب زيد وعمرو. وكأنه قيل أولئك عليهم أن لعنهم الله
والملائكة فإن قلت ما معنى قوله والناس أجمعين وفي الناس المسلم والكافر قلت أراد
بالناس من يعتد بلعنته وهم المؤمنون. وقيل يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا خالدين
فيها في اللعنة وقيل في النار إلا أنها أضمرت تفخيما لشأنها وتهويلا ولا هم ينظرون من
الإنظار أي لا يمهلون ولا يؤجلون أو لا ينتظرون ليعتذروا. أو لا ينظر إليهم نظر رحمة وإلهكم
إله واحد فرد في الإلهية لا شريك له فيها ولا يصح أن يسمى غيره إلها لا إله إلا هو تقرير للوحدانية
بنفي غيره وإثباته الرحمن الرحيم المولي لجميع النعم أصولها وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة فإن
كل ما سواه إما نعمة وإما منعم عليه. وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلاثمائة وستون
صنما فلما سمعوا بهذه الآية تعجبوا وقالوا إن كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت
إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار واعتقابهما لأن كل واحد منهما يعقب الآخر كقوله جعل
الليل والنهار خلفة بما ينفع الناس بالذي ينفعهم مما تحمل فيها أو بنفع الناس فإن قلت قوله وبث
فيها عطف على أنزل أم أحيا قلت الظاهر أنه عطف على أنزل داخل تحت حكم الصلة لأن قوله
فأحيا به الأرض عطف على أنزل فاتصل به وصارا جميعا كالشيء الواحد وكأنه قيل وما أنزل في الأرض
من ماء وبث فيها من كل دابة. ويجوز عطفه على أحيا على معنى فأحيا بالمطر الأرض وبث فيها من كل دابة
لأنهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي أحوالها
حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقما ولواقح. وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب المسخر تسخير للرياح
تقلبه في الجو بمشيئة الله ويمطر حيث شاء لآيات لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لأنها
دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة. وعن النبي صلعم ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها أي لم يتفكر فيها ولم
يعتبر بها. وقرئ والفلك بضمتين وتصريف الريح على الإفراد أندادا أمثالا من الأصنام وقيل من
الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على أوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله إذ
تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا. ومعنى يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله
كتعظيم الله والخضوع له أي كما يحب الله على أنه مصدر من المبني للمفعول وإنما استغني عن ذكر من
يحبه لأنه غير ملبس. وقيل كحبهم الله أي يسوون بينه وبينهم في محبتهم لأنهم كانوا يقرون بالله
ويتقربون إليه فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين أشد حبا لله لأنهم لا يعدلون
عنه إلى غيره بخلاف المشركين فإنهم يعدلون عن أندادهم إلى الله عند الشدائد فيفزعون إليه
ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم
زمانا ثم يرفضونه إلى غيره أو يأكلونه كما أكلت باهلة إلهها من حيس عام المجاعة ولو يرى الذين ظلموا إشارة
إلى متخذي الأنداد أي ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القدرة كلها لله
على كل شيء من الثواب والعقاب دون أندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين إذا عاينوا العذاب
يوم القيامة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم
فحذف الجواب كما في قوله ولو ترى إذ وقفوا. وقولهم لو رأيت فلانا والسياط تأخذه. وقرئ
ولو ترى بالتاء على خطاب الرسول أو كل مخاطب أي ولو ترى ذلك لرأيت أمرا عظيما. وقرئ إذ يرون
على البناء للمفعول وإذ في المستقبل كقوله ونادى أصحاب الجنة إذ تبرأ بدل من إذ يرون العذاب
أي تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الأتباع وقرأ مجاهد الأول على البناء للفاعل والثاني على
البناء للمفعول أي تبرأ الأتباع من الرؤساء ورأوا العذاب الواو للحال أي تبرؤوا في حال رؤيتهم
العذاب وتقطعت عطف على تبرأ بهم الأسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن
الأنساب والمحاب والاتباع والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم. لو في معنى التمني ولذلك
أجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كأنه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الإراء الفظيع
يريهم الله أعمالهم حسرات أي ندامات وحسرات ثالث مفاعيل أرى. ومعناه أن أعمالهم تنقلب
حسرات عليهم فلا يرون إلا حسرات مكان أعمالهم وما هم بخارجين هم بمنزلته في قوله هم يفرشون اللبد
في دلالته على قوة أمرهم فيما أسند إليهم لا على الاختصاص حلالا مفعول كلوا أو حال مما في الأرض
طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا في حرام أو شبهة أو تحريم حلال أو تحليل
حرام ومن للتبعيض لأن كل ما في الأرض ليس بمأكول. وقرئ خطوات بضمتين وخطوات بضمة
وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة والقبضة
والقبضة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه إذا اقتدى به واستن بسنته مبين ظاهر
العداوة لا خفاء به إنما يأمركم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته أي لا يأمركم

يخبر قط انما يامركم بالسوء بالقبيح والفحشاء وما تجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا
حد فيه والفحشاء ما يجب الحد فيه وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير
علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز عليه فان قلت كيف كان الشيطان امرا مع قوله ليس
لك عليهم سلطان قلت شبه تزيينه وبعثه على الشر بامر الآمر كما تقول امرتني نفسي
بكذا وتحته رمز الى انكم منه بمنزلة المامورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ولذلك
قال ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقال تعالى ان النفس لامارة
بالسوء لما كان الانسان بطبعها يعطيها ما اشتهت واذا قيل لهم الضمير للناس وعدل بالخطاب
عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم لانه لا ضال اضل من المقلد كانه يقول للعقلاء
انظروا الى هؤلاء الحمقاء ماذا يقولون وقيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود
دعاهم رسول الله صلعم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا فانهم كانوا خيرا منا
واعلم والفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا او لو كان اباؤهم الواو
للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه ايتبعونهم ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين
ولا يهتدون للصواب لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق
او ومثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من
الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم
التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر لها ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي
كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم الاصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع
صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم
اباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم
على ظاهر حالهم ولا يفقهون اهم على حق ام باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الاصنام
كمثل الناعق بما لا يسمع الا ان قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع
شيئا والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضان قال الاخطل
فانعق بضانك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا واما نغق الغراب فبالغين المعجمة
صم هم صم وهو رفع على الذم من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته لان كل ما رزقه الله
لا يكون الا حلالا واشكروا لله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تختصونه بالعبادة
وتقرون انه مولى النعم وعن النبي صلعم يقول الله تعالى اني والجن والانس في نبأ عظيم اخلق
ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري حرم على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول وحرم
بوزن كرم اهل به لغير الله اي رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات
والعزى غير باغ على مضطر اخر بالاستيثار عليه ولا عاد سد الجوعة فان قلت في الميتات ما يحل
وهو السمك والجراد قال رسول الله صلعم احلت لنا ميتتان ودمان قلت قصد ما يتفاهمه الناس
ويتعارفونه في العادة الا ترى ان القائل اذا قال اكل فلان ميتة لم يسبق الوهم الى السمك والجراد
كما لو قال اكل دما لم يسبق الى الكبد والطحال ولاعتبار العادة والتعارف قالوا من حلف لا ياكل
لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة قال الله تعالى لتاكلوا منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف
لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان سماه الله تعالى دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين
كفروا فان قلت ما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه قلت لان الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له
وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون انه شحيم في بطونهم ملء بطونهم تقول اكل فلان
في بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه
اكل النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التي هي بدل منه قال [illegible]
اكلت دما ان لم ارعك بضرة وقال يا كل كل ليلة اكافا اراد ثمن الاكاف فسماه اكافا لتلبسه
به لكونه ثمنا له ولا يكلمهم الله تعريض بحرمانهم حال اهل الجنة في تكرمة الله اياهم بكلامه وتزكيتهم
بالثناء عليهم وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه
وقيل لا يكلمهم بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسئوا فيها ولا تكلمون فما اصبرهم على النار تعجب من
حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب
السلطان ما اصبرك على القيد والسجن تريد انه لا يتعرض لذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب
وقيل ما اصبرهم فاي شيء صبرهم يقال اصبره على كذا وصبره بمعنى وهذا اصل معنى فعل

التعجب والذي روي عن الكسائي انه قال قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم الي رجلان من العرب فحلف احدهما
على حق صاحبه فقال له ما اصبرك على الله فمعناه ما اصبرك على عذاب الله ذلك بان الله نزل الكتاب اي ذلك
العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وان الذين اختلفوا في كتب الله فقالوا في بعضها
حق وفي بعضها باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق لفي خلاف بعيد عن الحق والكتاب للجنس او كفرهم ذلك
بسبب ان الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر
وبعضهم اساطير لفي شقاق بعيد يعني ان اولئك لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسر هؤلاء ان يكفروا ليس البر
اسم للخير ولكل فعل مرضي ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لاهل الكتاب لان
اليهود تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك انهم اكثروا الخوض في امر القبلة
حين حول رسول الله صلعم الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين ان البر التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل
ليس البر فيما انتم عليه فانه منسوخ خارج من البر ولكن البر ما نبينه وقيل كثر خوض المسلمين واهل
الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب ان تذهلوا بشانه عن سائر صنوف البر امر القبلة
ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة اليه بر من آمن وقام بهذه الاعمال وقرئ ليس البر بالنصب
على انه خبر مقدم وقرأ عبد الله بان تولوا على ادخال الباء على الخبر للتاكيد كقولك ليس المنطلق بزيد ولكن البر
من آمن بالله على تاويل حذف المضاف اي بر من آمن او بتاويل البر بمعنى ذي البر او كما قالت فانما هي اقبال وادبار
وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر بفتح الباء وقرئ ولكن البار وقرأ ابن عامر ونافع ولكن
البر بالتخفيف والكتاب جنس كتب الله او القرآن على حبه مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود
ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا
ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه وقدم ذوي
القربى لانهم احق قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة
وقال عليه السلام افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح واطلق ذوي القربى واليتامى والمراد الفقراء منهم لعدم الالتباس
والمساكين الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالمسكير الدائم السكر وابن السبيل المسافر المنقطع به
وجعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لان السبيل ترعف
به والسائلين المستطعمين قال رسول الله صلعم للسائل حق وان جاء على ظهر فرسه وفي الرقاب وفي معاونة
المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل في فك الاسارى فان قلت قد ذكر
ايتاء المال في هذه الوجوه ثم قفاه بايتاء الزكوة فهل دل ذلك على ان في المال حقا سوى الزكوة قلت يحتمل ان
يكون ذلك بيان مصارف الزكوة او يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وعن الشعبي ان في المال حقا سوى الزكوة وتلا هذه الاية
وروي ليس في المال حق سوى الزكوة وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة يعني وجوبها
والموفون عطف على من آمن واخرج الصابرين منصوبا على الاختصاص
والمدح اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال وقرئ والصابرون وقرئ
والموفين والصابرين والبأساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة صدقوا كانوا
صادقين جادين في الدين عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي
ان الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالانثى اخذا بهذه الاية ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله
النفس بالنفس ولان تلك واردة لحكاية ما كتب في التوراة على اهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب
عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب ابي حنيفة
واصحابه انها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين الحر والعبد والذكر والانثى ويستدلون
بقوله عليه السلام المسلمون تتكافأ دماؤهم وبان التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا
واحدا قتلوا به وروي انه كان بين حيين من احياء العرب دماء في الجاهلية وكان لاحدهما
طول على الاخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا
الى رسول الله صلعم حين جاء الله بالاسلام فنزلت وامرهم ان يتباووا فمن عفي له من اخيه
شيء معناه فمن عفي له من جهة اخيه شيء من العفو على انه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة
من السير ولا يصح ان يكون شيء في معنى المفعول به لان عفا لا يتعدى الى المفعول به الا بواسطة
واخوه هو ولي المقتول وقيل له اخوه لانه لابسه من قبل انه ولي الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك

مباح اولمغله شو صورتده قتل منعقده شبهه اولور بو ثبوت عباداتده درء عقوباتده
اولدیغی کبی شبهه کافیدر طرفین اوللری کتب اصولده مبیندر والحاصل خطا و شبه عمد و خطا
مجراسنه جاری اولان قتلده کفارت متفق علیهدر قتل بالعمدده اختلاف اولوب امام
اعظم مذهبنده کفارت لازم اولمیوب امام شافعی وائمه سائره مذهبلرنده کفارت لازمدر
قتل بالسببده کفارتك لازم اولماسی دخی متفق علیهدر دخی کفارت قتل نظم جلیل موجبنجه مؤمن
قول آزاد ایلمکدر واکر بولنمازسه اوطرلر متتابعاً ایکی آی اوروج طوتمقدر ومذهب حنفیه‌ده
آزاد اولنه‌جق مؤمن قولك منفعتی بالکلیه فائت اولمامیدر ایکی کوزی کور اولمق وایکی الی ویاخود
ایکی ایاغی ویاخود ایکی باش بارماغی ویاخود مخالف اولرق بر ال و بر ایاغی مقطوع اولور ایسه
صحیح اولماز وکفارتده آزاد اولنه‌جق قولك عاقل اولوب مجنون اولماسی دخی شرطدر و مدبر وام ولد
و بدلك بعضیسی اداء اولنمش مکاتبك عتقی دخی جائز اولماز و مذهب شافعیده
آزاد اولنه‌جق قولك عیوبدن سالم اولماسی وصبی اولمیوب مکلف اولماسی شرطدر وحسن ابن زیاد
روایتی اوزره امام اعظم عندنده دخی مکلف اولماسی یعنی صغیر اولمامسی شرطدر کفارت
قتلده عتق ایله صومدن غیریسی جائز اولماز و دخی کفارتك ایکنجیسی ظهاردر ظهار بر کمسنه
یعنی زوجهٔ منکوحه‌سنك ستری لازم اولان عضوینی ذی رحم محرمندن برینك
عضوینه بکزتمکدر مثلا بر کمسنه زوجه‌سنه انتك انامك ارقه‌سنه بکزرسین یاخود مثلا قز قرنداشمك
... ایچونه کفارت اتمك لازمدر بلا کفاره زوجه‌سی
مونی بکزرسین کبی بویله دیانه ...
تقرب حرامدر وحرمتی والذین یظاهرون منکم من نسائهم ثم یعودون لما قالوا
وکفارتك وجوبی
فتحریر رقبة من قبل ان یتماسا ذلکم توعظون به والله بما تعملون خبیر فمن
لم یجد فصیام شهرین متتابعین من قبل ان یتماسا فمن لم یستطع فاطعام
ستین مسکیناً آیت جلیله‌سیله ثابتدر ظهاره متعلق مسائل شرعیه ان شاء الله تعالی
محلنده بیان اولنور و ظهارك دخی کفارتی عتق رقبه‌در مذهب حنفیه‌ده آنفا
کفارت قتلده ذکر اولنان شرائط رقبه بونده دخی معتبردر انجق مذهب حنفیه‌ده

مطلقه مقیده محمول اولمدیغنده رقبه نك مؤمن اولمسی شرط دکلدر مکلف اولدیغی کبی
مؤمن اولمدیغنده بیله قول ازاد ایتسه جائز اولور. مذهب شافعیده مطلقه مقیده اوزرینه
محمول اولندیغنده رقبه نك مؤمن اولمسی شرطدر. مؤمن اولمیان قول ازاد اولنسه
صحیح اولماز یعنی کفارت یرینه کچمز. اکر عتقه رقبه یه مقتدر اولمیانده متتابعاً ایکی آی
اوروج طوتمسی لازمدر. ایشبو ایکی آی ایچنده بر کون بوزمسه اولدن استیناف ایتمك یعنی
یکیدن باشلمسی واجب اولور. اکر ایکی آی متتابعاً اوروج طوتمغه مقتدر اولمیان کمسه
التمش مسکینی اطعام ایتمسی لازمدر. کرك کفارت قتل و کرك کفارت ظهارده تخییر یوقدر.
اوچنجیسی کفارت صومدر. صوم بحثنده تفصیل اولندیغی اوزره بونك دخی کفارتی عتق
رقبه و صوم متتابعین شهرین و اطعام ستین مسکیندر. دردنجیسی کفارت یمیندر. یمین
لغتده قوت معناسنه در. شرعده اسم جلیل الهی یا ذاتیله تقویه در. دخی یمین اوچ نوعدر.
برنجیسی یمین غموسدر. و بوکا غموس اطلاقی غمس والمعه معناسنه اولوب صاحبینی دنیاده
صاحبینی کناهه و آخرتده ناره دالدیرب و بتغیه ایچنه تیرحشدر بیلرك یالانه
یمین ایتمکدر. ایکنجیسی یمین لغودر. یمین لغو ظنّی و خطاده کذب اوزرینه یمیندر.
مذهب شافعیده یمینی قصد ایتمیرك لساننده یمین جاری اولمقدر. اوچنجیسی یمین منعقده در.
یمین منعقده کله جکده برشیئی فعل یا ترك اوزرینه یمین ایتمکدر. بوکا دائر بحث صومده
ذکر سبقت ایتمشیدی. تفصیلات باب یمینده بیان اولنور. و مذهب حنفیده
کفارتی موجب اولان یمین منعقده در. یمین غموس حرام محض اولدیغندن
کفارتله ساقط اولمز. مذهب شافعیده یمین غموس یمین منعقده دن اشد اولوب
کفارت لازمدر. دخی کفارت یمینه شرائط مشروطه وارد. عتق رقبه یاخود
اون مسکینی اطعام و یاخود هر طرفی ستر ایده جك اون مسکینی کیدیرمکدر.
و بولمز ایسه اوچ کون اوروج طوتمقدر. کفارت ظهارده اولدیغی کبی بونده دخی
رقبه نك مسلم اولمسی شرط دکلدر. و هر مسکینه ویرلن صدقهٔ فطر کبی بیك قیمتدر

كذا المؤاخاة بينه وبينه ادنا ملابسة او ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام. فان قلت ان عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له. قلت يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الاية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية. فان قلت هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به. قلت لان عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن اعفاه ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى. فان قلت فقد ثبت قولهم عفا اثره اذا محاه وازاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من اخيه شيء. قلت عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى اخرى قلقة نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ اذا اعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله تعالى على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها. فان قلت لم قيل شيء من العفو. قلت للاشعار بانه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم تجب الا الدية. فاتباع بالمعروف فليكن اتباع او فالامر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا معنا فليتبع الولي القاتل بالمعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة جميلة وليؤد اليه القاتل بدل الدم اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور من العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لان اهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو واخذ الدية وعلى اهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلاث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا. فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ الدية فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الاخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا تقبل منه دية لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذ الدية. ولكم في القصاص حياة كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل مكانا وظرفا للحياة ومن اصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحياة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة اي حياة او نوع من الحياة وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص سبب حياة نفسين. وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القران اي ولكم في القران حياة للقلوب كقوله روحا من امرنا ويحيى من حي عن بينة. لعلكم تتقون اي اريتكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة. اذا حضر احدكم الموت اذا دنا منه وظهرت اماراته. خيرا مالا كثيرا. عن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربع مائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد اخر ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلاثة الاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك. وعن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبع مائة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير المال وليس لك مال. والوصية فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى ان يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعد ما سمعه. والوصية للوارث كانت في بدء الاسلام فنسخت باية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وبتلقي الامة اياه بالقبول حتى لحق بالمتواتر وان كان من الاحاد لانهم لا يتلقون بالقبول الا الثبت الذي صحت روايته. وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الايتين وقيل ما هي

مخالفة

مخالفة لاية المواريث ومعناها كتب عليكم ما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين من قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى به الله لهم عليهم وان لا ينقص من انصبائهم. بالمعروف بالعدل وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث. حقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا. فمن بدله فمن غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وتحققه فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لانهما بريئان من الحيف. ان الله سميع عليم وعيد للمبدل. فمن خاف فمن توقع وعلم وهذا في كلامهم شائع يقولون اخاف ان ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم. جنفا ميلا عن الحق بالخطأ في الوصية او اثما او تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع فلا اثم عليه حينئذ لان تبديله تبديل باطل الى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم. كما كتب على الذين من قبلكم على الانبياء والامم من لدن ادم الى عهدكم قال علي رضي الله عنه اولهم ادم يعني ان الصوم عبادة قديمة اصلية ما اخلى الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم. لعلكم تتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها لاصالتها وقدمها او لعلكم تتقون المعاصي لان الصائم اظلف لنفسه واردع لها من مواقعة السوء قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقيل معناه انه كصومهم في عدد الايام وهو شهر رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان وقوعه في البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم في اسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته. وقيل الايام المعدودات عاشوراء وثلاثة ايام من كل شهر كتب على رسول الله صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم ان يتقوا المفطر بعد ان يصلوا العشاء وبعد ان يناموا ثم نسخ ذلك بقوله احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم الاية. ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل كقوله دراهم معدودة واصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويتحكر فيه والكثير يهال هيلا ويحثى حثيا. وانتصاب اياما بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة. او على سفر او راكب سفر. فعدة فعليه عدة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر. واختلف في المرض المبيح للافطار فمن قائل كل مريض لان الله لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما ان لكل مسافر ان يفطر فكذلك كل مريض وعن ابن سيرين انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد والصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار وقائل هو المرض الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل. واختلف في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق. وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضي كما فاته متتابعا. وفي قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات. فان قلت فكيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات. قلت لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فامر بان يصوم اياما معدودة مكانها علم انه لا يؤتى بها الا على عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة. وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر لهم ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل الحجاز مد وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية. وقرأ ابن عباس يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه ويقال لهم صوموا. وعنه يتطوقونه بمعنى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه على انهما من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار. وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم. فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الفدية فهو خير له فالتطوع اخير له او الخير. وقرئ فمن يطوع بمعنى يتطوع. وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وتحملتم على انفسكم وجهدتم طاقتكم خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا. وفي قراءة ابي والصيام خير لكم. الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف

والالف

والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب باضافة الابن الى داية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا ادبرت
فان قلت لم سمي شهر رمضان قلت الصوم فيه عبادة قديمة فكانهم سموه بذلك لارتماضهم فيه
من حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم اضجارا بشدته
عليهم وقيل لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق
هذا الشهر ايام رمض الحر فان قلت فاذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا
فما وجه ما جاء في الاحاديث من نحو قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا من ادرك رمضان
فلم يغفر له قلت هو من باب الحذف لامن الالباس كما قال ٥ بما اعيا النطاسي حذيما ٥
اراد ابن حذيم وارتفاعه على انه مبتدا خبره الذي انزل فيه القرآن او على انه بدل من الصيام
في قوله كتب عليكم الصيام او على انه خبر مبتدا محذوف وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان او على
الابدال من اياما معدودات او على انه مفعول وان تصوموا ومعنى انزل فيه القرآن ابتدئ فيه
انزاله وكان ذلك في ليلة القدر وقيل انزل جملة الى سماء الدنيا ثم نزل الى الارض نجوما وقيل انزل في
شانه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام كما تقول انزل في عمر كذا وفي علي كذا وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت
صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن
لاربع وعشرين هدى للناس وبينات نصب على الحال اي انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات
واضحات مكشوفات مما يهدي الى الحق ويفرق بين الحق والباطل فان قلت ما معنى قوله وبينات
من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى
به الله وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى
والضلال فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن كان شاهدا اي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر
فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به
كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر يريد الله ان ييسر عليكم
ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج في الدين وامركم بالحنيفية السمحة التي لا اصر فيها ومن جملة
ذلك ما رخص لكم فيه من اباحة الفطر في السفر والمرض ومن الناس من فرض الفطر على المريض
والمسافر حتى زعم ان من صام منهما فعليه الاعادة ٥ وقرئ اليسر والعسر بضمتين الفعل المعلل
محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون
شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة
ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا
علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير
وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي الى تبينه الا النقاب المحدث من علماء البيان
وانما عدي فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه متضمنا معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين
على ما هداكم ومعنى ولعلكم تشكرون وارادة ان تشكروا ٥ وقرئ ولتكملوا بالتشديد فان قلت هل يصح
ان يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة او على اليسر كانه
قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا العدة كقوله يريدون ليطفئوا قلت لا يبعد ذلك والاول اوجه
فان قلت ما المراد بالتكبير قلت تعظيم الله والثناء عليه ٥ وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير
عند الاهلال واذا سألك تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من سأله
بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ٥ وقوله عليه السلام
هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وروي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام
بعيد فنناديه فنزلت فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني
لحوائجهم وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها كان الرجل اذا امسى حل له الاكل
والشرب والجماع الى ان يصلي العشاء الآخرة او يرقد فاذا صلاها او رقد ولم يفطر حرم عليه
الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضي الله عنه واقع اهله بعد صلاة العشاء
الآخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اني اعتذر
الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جديرا بذلك
يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت وقرئ احل لكم ليلة الصيام الرفث
الى نسائكم اي احل الله وقرأ عبد الله الرفوث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ
النيك وقد ارفث الرجل وعن ابن عباس انه انشد وهو محرم ٥ وهن يمشين بنا هميسا ٥

ان تصدق الطير ننك لميسا ٥ فقيل له ارفثت فقال انما الرفث ما كان عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا
فسوق كني به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو عن شيء من ذلك فان قلت لم كني عنه ههنا بلفظ الرفث الدال
على معنى القبح بخلاف قوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن او لامستم النساء دخلتم بهن
فاتوا حرثكم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن قلت استهجانا لما وجد منهم
قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم فان قلت لم عدي الرفث بالى قلت لتضمنه معنى الافضاء لما كان
الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي
اذا ما الضجيع ثنى عطفها ٥ تثنت فكانت عليه لباسا ٥ فان قلت ما موقع قوله هن لباس لكم قلت
هو استئناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة
قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن تختانون انفسكم تظلمونها
وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة ٥
فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم واثبت
في اللوح من الولد بالمباشرة اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح
من التناسل وقيل هو نهي عن العزل لانه في الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون
ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحة بعد الحظر وقرا ابن عباس
واتبعوا وقرا الاعمش واتوا وقيل ابتغوا واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان اصبتموها
وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير الخيط الابيض اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط
الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين ابيض واسود قال ابو دواد
فلما اضاءت لنا سدفة ٥ ولاح من الصبح خيط انارا ٥ وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض واكتفى به
عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان للثاني ويجوز ان تكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله
فان قلت اهذا من باب الاستعارة ام من باب التشبيه قلت قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة
كما ان قولك رايت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فان قلت فلم زيد من الفجر حتى كان
تشبيها وهلا اقتصر على الاستعارة التي هي ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة قلت لان من
شرط المستعار ان يدل عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران
فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج من ان يكون استعارة فان قلت فكيف التبس على عدي بن حاتم
مع هذا البيان حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي فكنت اقوم من الليل
فانظر اليهما فلا يتبين لي الابيض من الاسود فلما اصبحت غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فضحك وقال
ان كان وسادك لعريضا وروي انك لعريض القفا انما ذاك بياض النهار وسواد الليل قلت
غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته
وانشدتني بعض البدويات لبدوي ٥ عريض القفا ميزانه في شماله ٥ قد انحص من حسب القراريط شاربه ٥
فان قلت فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد الساعدي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا
ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب حتى يتبينا له
فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا انه انما يعني بذلك الليل والنهار فكيف جاز تاخير البيان وهو يشبه
العبث حيث لا يفهم منه المراد اذ لا يصح بالاستعارة لفقد الدلالة ولا بالتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم
منه اذا الا الحقيقة وهي غير مرادة قلت اما من لا يجوز تاخير البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين
وهو مذهب ابي علي وابي هاشم فلا يصح عنده هذا الحديث واما من يجوزه فليس بعبث لان المخاطب
يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله اذا استوضح المراد به ثم اتموا الصيام الى الليل قالوا
فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تاخير الغسل الى الفجر وعلى نفي صوم الوصال
عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف ان تحبس نفسك في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة الجماع
لما تقدم من قوله احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فالآن باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن
بشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك اذا لمس او قبل فانزل وعن قتادة كان الرجل اذا
اعتكف خرج فباشر امراته ثم رجع الى المسجد فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على ان
الاعتكاف لا يكون الا في مسجد ولا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي وهو
احد المساجد الثلاثة وقيل في مسجد جامع والعامة على انه في مسجد جماعة وقرا مجاهد في
المسجد تلك الاحكام التي ذكرت حدود الله فلا تقربوها فلا تغشوها فان قلت كيف قيل فلا تقربوا

مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله **قلت** من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف
في حيز الحق فنهي أن يتعداه لأن من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي أن يقرب الحد
الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل وأن يكون في الواسطة متباعدا
عن الطرف فضلا عن أن يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع
حول الحمى يوشك أن يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد **ولا يأكل** بعضكم مال بعض بالباطل
بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه **ولا تدلوا بها** ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها إلى الحكام **لتأكلوا**
بالتحاكم **فريقا** طائفة **من أموال الناس بالإثم** بشهادة الزور أو باليمين الكاذبة أو بالصلح مع العلم
بأن المقضي له ظالم وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للخصمين إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إلي ولعل بعضكم ألحن بحجته
من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئا فإنما أقضي له
قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد
منكما صاحبه وقيل **وتدلوا بها** وتلقوا بعضها إلى حكام السوء على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم داخل
في حكم النهي أو منصوب بإضمار أن كقوله وتكتموا الحق وأنتم تعلمون أنكم على الباطل وارتكاب المعصية
مع العلم بقبحها أقبح وصاحبه أحق بالتوبيخ روي أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاري
قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود
كما بدا لا يكون على حالة واحدة فنزلت **مواقيت** معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم
وفطرهم وعدد نسائهم وأيام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته وكان ناس من الأنصار
إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فإن كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته
منه يدخل ويخرج أو يتخذ سلما يصعد فيه وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول
الباب ولكن البر من اتقى ما حرم الله **فإن قلت** ما وجه اتصاله بما قبله **قلت** كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهلة
وعن الحكمة في نقصانها وتمامها أن كل ما يفعله الله عز وعلا لا يكون إلا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه
وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم مما ليس من البر في شيء وأنتم تحسبونها برا ويجوز أن يجري ذلك على طريق الاستطراد
لما ذكر أنها مواقيت للحج لأنه كان من أفعالهم في الحج ويحتمل أن يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وأن مثلهم فيه
كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي أن تكونوا عليه بأن تعكسوا في مسائلكم
ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال **وأتوا البيوت من أبوابها** أي وباشروا الأمور من وجوهها
التي يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على أن جميع أفعال الله حكمة
وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارفة الشك
لا يسأل عما يفعل وهم يسألون **المقاتلة** في سبيل الله هو الجهاد لإعلاء كلمة الله وإعزاز الدين **الذين يقاتلونكم**
الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع
ابن أنس هي أول آية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف أو الذين
يناصبونكم القتال دون من ليس من أهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء أو الكفرة
كلهم لأنهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا أو لم يقاتلوا
وقيل لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة
أيام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون أن لا تفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم
وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت وأطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام
ورفع عنهم الجناح في ذلك **ولا تعتدوا** بابتداء القتال أو بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ
والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد أو بالمثلة أو بالمفاجأة من غير دعوة **حيث ثقفتموهم** حيث
وجدتموهم في حل أو حرم والثقف وجود على وجه الأخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الأخذ لأقرانه
قال ٭ فإما تثقفوني فاقتلوني ٭ فمن أثقف فليس إلى خلود ٭ **من حيث أخرجوكم** أي من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمن لم يسلم منهم يوم الفتح **والفتنة أشد من القتل** أي المحنة والبلاء الذي ينزل بالإنسان يتعذب به أشد
عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء ما أشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الإخراج من الوطن
من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل ٭ لقتل بحد السيف أهون موقعا على النفس من قتل
بحد فراق ٭ وقيل الفتنة عذاب الآخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك أعظم من القتل في الحرم وذلك
أنهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذي هم عليه أشد وأعظم
مما يستعظمونه ويجوز أن يراد فتنتهم إياكم بصدكم عن المسجد الحرام أشد من قتلكم إياهم في الحرم

او

أو من قتلهم إياكم إن قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم ثم ولا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم فإن قاتلوكم جعل وقوع القتل
في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلتنا بنو فلان وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم **فإن انتهوا** عن الشرك
والقتال كقوله إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف **حتى لا تكون فتنة** أي شرك **ويكون الدين لله** خالصا ليس للشيطان
فيه نصيب فإن انتهوا عن الشرك فلا عدوان إلا على الظالمين فلا تعتدوا على المنتهين لأن مقاتلة
المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله إلا على الظالمين موضع على المنتهين أو فلا تظلموا إلا الظالمين غير المنتهين
سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه أو أريد أنكم إن تعرضتم لهم بعد الانتهاء
كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو
القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة **الشهر الحرام**
بالشهر الحرام أي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم
والحرمات قصاص أي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة أي حرمة كانت اقتص منه بأن تهتك له حرمة
فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا وأكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل
ما اعتدى عليكم **واتقوا الله** في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا إلى ما لا يحل لكم الباء في بأيديكم
مزيدة مثلها في أعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة أيديكم أي لا تجعلوها آخذة بأيديكم مالكة لكم وقيل
بأيديكم بأنفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم كما يقال أهلك فلان نفسه بيده إذا تسبب لهلاكها
والمعنى النهي عن ترك الإنفاق في سبيل الله لأنه سبب الهلاك أو عن الإسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع
عياله أو عن الاستقتال والإخطار بالنفس أو عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو وروي أن رجلا من
المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس ألقى بيده إلى التهلكة فقال أبو أيوب الأنصاري نحن أعلم بهذه الآية وإنما
أنزلت فينا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على أهالينا وأموالنا وأولادنا فلما
فشا الإسلام وكثر أهله ووضعت الحرب أوزارها رجعنا إلى أهالينا وأولادنا وأموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت
التهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد وحكى أبو علي في الحلبيات عن أبي عبيدة التهلكة والهلاك والهلك
واحد قال فدل هذا من قول أبي عبيدة أن التهلكة مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها
~~على أنها مصدر من هلك~~ ونحوها في الأعيان التنضبة والتتفلة ويجوز أن يقال أصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة
ونحوها على أنها مصدر من هلك فأبدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار **وأتموا الحج والعمرة لله** ائتوا بهما تامين
كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما قال ٭ تمام الحج أن تقف المطايا
على خرقاء واضعة اللثام ٭ جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذي لا يتم إلا به وقيل إتمامهما أن تحرم بهما
من دويرة أهلك روي عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقيل أن تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال
محمد حجة كوفية وعمرة كوفية أفضل وقيل أن تكون النفقة حلالا وقيل أن تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء
من التجارة والأغراض الدنيوية **فإن قلت** هل فيه دليل على وجوب العمرة **قلت** ما هو إلا أمر بإتمامهما ولا دليل
في ذلك على كونهما واجبين أو تطوعين فقد يؤمر بإتمام الواجب والتطوع جميعا إلا أن تقول الأمر بإتمامهما
أمر بأدائهما بدليل قراءة من قرأ وأقيموا الحج والعمرة والأمر للوجوب في أصله إلا أن يدل دليل على خلاف الوجوب
كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل على نفي الوجوب وهو ما روي أنه
قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن أن تعتمر خير لك وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع
فإن قلت فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال إن العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضي الله عنه أن رجلا قال له إني
وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي أهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج في الأمر
بالإتمام فكانت واجبة مثل الحج **قلت** كونها قرينة للحج أن القارن يقرن بينهما وأنهما يقترنان في الذكر
فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار ولأنها الحج الأصغر ولا دليل في ذلك على كونها قرينة له في الوجوب وأما
حديث عمر فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله أهللت بهما وإذا أهل بالعمرة وجبت عليه كما إذا
كبر بالتطوع من الصلاة والدليل الذي ذكرنا أخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيها فهما بمنزلة
قولك صم شهر رمضان وستة من شوال في أنك تأمره بفرض وتطوع وقرأ علي وابن مسعود والشعبي
والعمرة لله بالرفع كأنهم قصدوا بذلك إخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب **فإن أحصرتم** يقال أحصر فلان إذا منعه
أمر من خوف أو مرض أو عجز قال الله تعالى الذين أحصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة ٭ وما هجر ليلى أن تكون تباعدت
عليك ولا أن أحصرتك شغول ٭ وحصر إذا حبسه عدو عن المضي أو سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك
الحصير لأنه محجوب هذا هو الأكثر في كلامهم وهما بمعنى المنع في كل شيء مثل صده وأصده وكذلك قال الفراء
وأبو عمرو الشيباني وعليه قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى كل منع عنده من عدو كان أو مرض أو غيرهما معتبر

في اثبات حكم الاحصار. وعند مالك والشافعي منع العدو وحده. وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل «فما استيسر من الهدي» فما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر. او نصب على فاهدوا ما استيسر «ولا تحلقوا رءوسكم» الخطاب للمحصرين اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب نحره فيه. ومحل الدين وقت وجوب قضائه. وهو ظاهر مذهب ابي حنيفة. «فان قلت» فان النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه حيث احصر «قلت» كان محصره طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم. وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم. وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة «فمن كان منكم مريضا» فمن كان به مرض يحوجه الى الحلق «او به اذى من راسه» وهو القمل او الجراحة فعليه اذا حلق «ففدية من صيام» ثلاثة ايام «او صدقة» على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر «او نسك» وهو شاة. وعن كعب بن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق راسك وصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك شاة. وكان كعب يقول فيّ نزلت هذه الاية. وروي انه مر به وقد قرح راسه فقال كفى بهذا اذى وامر ان يحلق او يطعم او يصوم. والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة. وقرأ الحسن او نسك بالتخفيف «فاذا امنتم» الاحصار يعني فاذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة «فمن تمتع بالعمرة الى الحج» اي استمتع بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله تعالى قبل الانتفاع بتقربه بالحج. وقيل اذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج «فما استيسر من الهدي» هو هدي المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة ويأكل منه. وعند الشافعي يجري مجرى الجنايات ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا. وعنده يجوز اذا احرم بحجته «فمن لم يجد» الهدي «فصيام ثلاثة ايام في الحج» اي في وقته وهو اشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله. والافضل ان يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وان مضى هذا الوقت لم يجزه الا الدم. وعند الشافعي لا يصام الا بعد الاحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله في الحج «وسبعة اذا رجعتم» يعني اذا نفرتم وفرغتم من افعال الحج عند ابي حنيفة وعند الشافعي هو الرجوع الى اهاليهم. وقرأ ابن ابي عبلة وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام كانه قيل فصيام ثلاثة ايام كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما «فان قلت» ما فائدة «تلك عشرة» «قلت» الواو قد تجيء للاباحة في نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين الا ترى انك لو جالستهما جميعا او واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الاباحة. وايضا ففائدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم. وفي امثال العرب علمان خير من علم. وكذلك «كاملة» تاكيد اخر وفيه زيادة توصية بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل اذا كان لك اهتمام بامر تامره به وكان منك بمنزل الله الله لا تقصر. وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدي. وفي قراءة ابي فصيام ثلاثة ايام متتابعات «ذلك» اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة واصحابه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم او قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه واما القارن والمتمتع من اهل الافاق فدمهما دم نسك يأكلان منه. وعند الشافعي اشارة الى الحكم الذي هو وجوب الهدي والصيام ولم يوجب عليهم شيئا «لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام» اهل المواقيت فمن دونها الى مكة عند ابي حنيفة. وعند الشافعي اهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلوة «واتقوا الله» في المحافظة على حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره «واعلموا ان الله شديد العقاب» لمن خالف ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم في التقوى «الحج اشهر» اي وقت الحج اشهر كقولك البرد شهران «معلومات» شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند ابي حنيفة وعند الشافعي تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر وعند مالك ذو الحجة كله «فان قلت» ما فائدة توقيت الحج بهذه الاشهر «قلت» فائدته ان شيئا من افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا ينعقد ايضا عند الشافعي في غيرها وعند ابي حنيفة ينعقد الا انه مكروه «فان قلت» فكيف كان الشهران وبعض الثالث اشهرا «قلت» اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما فلا سؤال فيه اذا وانما كان يكون موضعا للسؤال لو قيل ثلاثة اشهر معلومات. وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة كذا او على عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة او اكثر وانما راه في ساعة منها «فان قلت» ما وجه مذهب مالك وهو مروي عن عروة بن الزبير «قلت» قالوا وجهه ان العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر فكانها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة. وعن عمر انه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن. وعن ابن عمر انه قال لرجل ان اطعتني انتظرت حتى اذا اهللت المحرم خرجت الى ذات عرق فاهللت منها بعمرة. وقالوا لعل من مذهب عروة جواز تاخير طواف الزيارة الى اخر الشهر «معلومات» معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم وفيه ان الشرع لم يات على خلاف ما عرفوه وانما جاء مقررا له «فمن فرض فيهن الحج» فمن الزمه نفسه بالتلبية او بتقليد الهدي

وسوقه

وسوقه عند ابي حنيفة وعند الشافعي بالنية «فلا رفث» فلا جماع لانه يفسده او فلا فحش من الكلام «ولا فسوق» ولا خروج عن حدود الشريعة. وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب «ولا جدال» ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير في الصلوة والتطريب في قراءة القران والمراد بالنفي وجوب انتفائها وانها حقيقة بان لا تكون. وقرئ المنفيات الثلاث بالرفع والنصب. وقرأ ابو عمرو وابن كثير الاولين بالرفع والاخر بالنصب لانهما حملا الاولين على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف في المشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله تعالى انه قد ارتفع الخلاف في الحج. واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله عليه السلام من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه. وانه لم يذكر الجدال «وما تفعلوا من خير يعلمه الله» حث على الخير عقيب النهي عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه. وينصره قوله «وتزودوا فان خير الزاد التقوى» اي اجعلوا زادكم الى الاخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها. وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله افلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم «فان خير الزاد التقوى» «واتقون» وخافوا عقابي «يا اولي الالباب» يعني ان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء فكانه لا لب له. «فضلا من ربكم» عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح في التجارة وكان ناس من العرب يتاثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج. وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تاثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك وابيح لهم وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة. وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم نكري في هذا الوجه وان قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سالت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم حجاج. وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج. وقرئ فضلا من ربكم في مواسم الحج «فاذا افضتم» دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا. وفي حديث ابي بكر صب في دقران وهو يحرش بمحجنه. ويقال افاضوا في الحديث وهضبوا فيه «من عرفات» علم للموقف سمي بجمع كاذرعات «فان قلت» هلا منعت الصرف وفيها السببان التعريف والتانيث «قلت» لا يخلو التانيث اما ان يكون بالتاء التي في لفظها واما بتاء مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها ليست للتانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها لان هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا تقدر تاء التانيث في بنت لان التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمؤنث كتاء التانيث فابت تقديرها. وقالوا سميت بذلك لانها وصفت لابراهيم عليه السلام فلما ابصرها عرفها. وقيل ان جبريل عليه السلام كان يدور به في المشاعر اراه اياها فقال قد عرفت. وقيل التقى فيها ادم وحواء فتعارفا. وقيل لان الناس يتعارفون فيها والله اعلم بحقيقة ذلك. وهي من الاسماء المرتجلة لان العرفة لا تعرف في اسماء الاجناس الا ان تكون جمع عارف. وفي الاية دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده. وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج «فاذكروا الله» بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات وقيل بصلوة المغرب والعشاء «عند المشعر الحرام» قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة. وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة الى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام. والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر. وقوله تعالى «عند المشعر الحرام» معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر او جعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر. والمشعر المعلم لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته. وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون. وقيل سميت المزدلفة وجمعا لان ادم اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اي دنا منها. وعن قتادة لانه يجمع فيها بين الصلاتين. ويجوز ان يقال وصفت بفعل اهلها لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها «واذكروه كما هداكم» ما مصدرية او كافة. والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه

لا تعبد لو اعنه وان كنتم من قبله من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي
من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم افيضوا ثم لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس ولا تكن من المزدلفة وذلك
لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن ان يساووهم في الموقف وقولهم نحن اهل الله
وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات فان قلت فكيف موقع ثم قلت نحو
موقعها في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تاتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان
الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين امرهم بالذكر عند الافاضة من عرفات قال ثم افيضوا لتفاوت ما بين
الافاضتين وان احداهما صواب والثانية خطأ وقيل ثم افيضوا من حيث افاض الناس وهم الحمس اي
من المزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفات وقرئ من حيث افاض الناس بكسر السين اي الناسي
وهو آدم من قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي يعني ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا
عنه واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم فاذا قضيتم مناسككم فاذا فرغتم
من عباداتكم الحجية ونفرتم فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم
ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعدون فضائل
آبائهم ويذكرون محاسن ايامهم او اشد ذكرا في موضع جر عطف على ما اضيف اليه الذكر في قوله
كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم او قوم اشد منهم ذكرا او في موضع نصب عطف على آباءكم بمعنى
او اشد ذكرا من آبائكم على ان ذكرا من فعل المذكور فمن الناس من يقول معناه اكثروا ذكر الله ودعاءه
فان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اعراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين
آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا اي اعطاءنا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق اي من طلب خلاق وهو
النصيب او ما لهذا الداعي في الآخرة من نصيب لان همه مقصور على الدنيا والحسنات ما هو طلبة الصالحين
في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الآخرة من الثواب وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا
المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار المرأة السوء اولئك الداعون بالحسنتين
لهم نصيب مما كسبوا اي نصيب من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع
الحسنة او من اجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه
ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال
والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق
نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا
اكثار الذكر وطلب الآخرة او وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم
ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه روي انه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروي في
مقدار فواق ناقة وروي في مقدار لمحة في ايام معدودات ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار
الصلوات وعند الجمار وعن عمر انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس
في الطريق وفي الطواف فمن تعجل فمن عجل في النفر او استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل
يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة اوفق لقوله ومن تاخر
كما هي كذلك في قوله قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل لاجل المتأني في يومين
بعد يوم النحر يوم القر وهو اليوم الذي يسميه اهل مكة يوم الرؤوس واليوم الذي بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار
كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي ويروى عن قتادة وعند ابي حنيفة واصحابه ينفر قبل طلوع الفجر
ومن تأخر حتى رمى في اليوم الثالث والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز
فان قلت كيف قال فلا اثم عليه عند التعجل والتأخر جميعا قلت دلالة على ان التعجل والتأخر مخير فيهما كانه قيل
فتعجلوا او تأخروا فان قلت اليس التأخر بافضل قلت بلى ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير
المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل ان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل
آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفي المأثم عنهما جميعا لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل
والمتأخر لاجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب ان احدهما يرهق صاحبه آثاما في الاقدام عليه
لان ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولانه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا الله ليعبأ
بكم ويجوز ان يراد ذلك الذي مر ذكره من احكام الحج وغيره لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون من سواه
كقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله من يعجبك قوله اي يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء المعجب
الذي يعظم في النفس وهو الاخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم الان
له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال ليعلم الله اني صادق وقيل هو عام في المنافقين
كانت تحلولي السنتهم وقلوبهم امر من الصبر فان قلت بم يتعلق قوله في الحياة الدنيا قلت بالقول اي يعجبك

ما يقوله في معنى الدنيا لان ادعاءه المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما تراد
بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول صلى الله عليه وسلم فكلامه اذا في الدنيا لا في الآخرة ويجوز ان يتعلق بيعجبك اي قوله
حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن له
في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من
محبتك ومن الاسلام وقرئ ويشهد الله وفي مصحف ابي ويستشهد الله وهو الد الخصام وهو شديد
الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم
والخصام المخاصمة واضافة الالد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او جعل الخصام ألد على المبالغة وقيل
الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو اشد الخصوم خصومة واذا تولى عنك وذهب بعد الانة القول
واحلاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل بثقيف وقيل واذا تولى واذا كان واليا فعل ما يفعله
ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه
القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على ان الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على سعى
وقرأ الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو ابى يابى وروي عنه ويهلك على البناء للمفعول اخذته العزة بالاثم
من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه اي حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الاثم الذي
ينهى عنه والزمته ارتكابه وان لا يخلي عنه ضرارا ولجاجا او على رد قول الواعظ يشري نفسه يبيعها
اي يبذلها في الجهاد وقيل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت في صهيب بن سنان
اراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم انا شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم
وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله واتى المدينة والله رؤوف بالعباد
حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء السلم بكسر السين وفتحها وقرأ الاعمش بفتح السين واللام
وهو الاستسلام والطاعة اي استسلموا لله واطيعوه كافة لا يخرج احد منكم يده عن طاعته وقيل هو الاسلام
والخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا بنبيهم وكتابهم او للمنافقين لانهم آمنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون
كافة حالا من السلم لانها تؤنث كما تؤنث الحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع
على ان المؤمنين امروا ان يدخلوا في الطاعات كلها وان لا يدخلوا في طاعة دون طاعة او في شعب الاسلام
وشرائعه كلها وان لا يخلوا بشيء منها وعن عبد الله بن سلام انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقيم على السبت
وان يقرأ من التوراة في صلاته من الليل وكافة من الكف كانهم كفوا ان يخرج منهم احد باجتماعهم فان زللتم
عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات اي الحجج والشواهد على ان ما دعيتم الى الدخول
فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا ينتقم الا بحق وروي ان قارئا
قرأ غفور رحيم فسمعه اعرابي فانكره ولم يقرأ القرآن وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم
لا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه وقرأ ابو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان
نحو ضللت وضللت ان يأتيهم الله اتيان الله اتيان امره وبأسه كقوله او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا ويجوز ان
يكون المأتي به محذوفا بمعنى ان يأتيهم الله ببأسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز في
ظلل جمع ظلة وهي ما اظلك وقرئ ظلال وهي جمع ظلة كقلة وقلال او جمع ظل وقرئ والملائكة بالرفع
كقوله هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة وبالجر عطفا على ظلل او على الغمام فان قلت لم يأتيهم العذاب
في الغمام قلت لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر افظع واهول لان الشر اذا جاء
من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب
الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثم اشتد
على المتفكرين في كتاب الله قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقضي الامر وأتم
امر اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرأ معاذ بن جبل وقضاء الامر على المصدر المرفوع عطفا على
الملائكة وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول بالتأنيث والتذكير سل امر للرسول عليه السلام
او لكل احد وهذا السؤال سؤال تقريع كما يسأل الكفرة يوم القيامة كم آتيناهم من آية بينة على ايدي
انبيائهم وهي معجزاتهم او من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام ونعمة الله آيته وهي اجل
نعمة من الله لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله اظهرها لتكون اسباب
هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم او حرفوا آيات الكتب الدالة
على دين محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت كم استفهامية ام خبرية قلت تحتمل الامرين ومعنى الاستفهام فيها للتقرير
فان قلت ما معنى من بعد ما جاءته قلت معناه من بعد ما تمكن من معرفتها او عرفها كقوله ثم يحرفونه
من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها او لم يعرفها فكانها غائبة عنه وقرئ ومن يبدل
بالتخفيف زين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها

ويجوز أن يكون الله قد زينها لهم بأن خذلهم حتى استحسنوها وأحبوها أو جعل إمهالها مزينا لهم تزيينا ويدل عليه قراءة من قرأ زَيَّنَ للذين كفروا الحياة الدنيا بالبناء للفاعل **ويسخرون من الذين آمنوا** كأنه الكلام يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم في الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم أي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها أو ممن يطلب غيرها **والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة** لأنهم في عليين من السماء وهم في سجين من الأرض أو حالهم عالية لأنهم في كرامة وهم في هوان أو هم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما يتطاولون هؤلاء عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون **والله يرزق من يشاء بغير حساب** بغير تقدير يعني أنه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهو استدراج بالنعمة ولو كانت كرامة لكان أولياؤه المتقون أحق بها منكم **فإن قلت** لم قال من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا **قلت** ليريك أنه لا يسعد عنده إلا المؤمن المتقي وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى إذا سمعوا ذلك **كان الناس أمة واحدة** متفقين على دين الإسلام **فبعث الله النبيين** يريد فاختلفوا فبعث الله وإنما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وفي قراءة عبد الله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله والدليل عليه قوله عز وعلا وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا وقيل كان الناس أمة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والأول الوجه **فإن قلت** متى كان الناس أمة واحدة متفقين على الحق **قلت** عن ابن عباس أنه كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه في السفينة **وأنزل معهم الكتاب** يريد الجنس أو مع كل واحد منهم كتابه **ليحكم** الله أو الكتاب أو النبي المنزل عليه **فيما اختلفوا فيه** في الحق ودين الإسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق **وما اختلف فيه** في الحق **إلا الذين أوتوه** إلا الذين أوتوا الكتاب المنزل لإزالة الاختلاف أي ازدادوا في الاختلاف لما أنزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سببا في شدة الاختلاف واستحكامه **بغيا بينهم** حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة إنصاف منهم **من الحق** بيان لما اختلفوا فيه أي فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف **أم حسبتم** أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها للتقرير وإنكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الأمم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب وإنكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي أبلغ أم حسبتم ولما فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد في الإثبات والمعنى أن إتيان ذلك متوقع منتظر **مثل الذين خلوا** حالهم التي هي مثل في الشدة **مستهم** بيان للمثل وهو استئناف كأن قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء **وزلزلوا** وأزعجوا إزعاجا شديدا شبيها بالزلزلة لما أصابهم من الأهوال والأفزاع **حتى يقول الرسول** إلى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها **متى نصر الله** أي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفي هذه الغاية دليل على تناهي الأمر في الشدة وتمادِيه في العظم لأن الرسل لا يتقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لأنفسهم فإذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها **ألا إن نصر الله قريب** على إرادة القول يعني فقيل لهم ذلك إجابة لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر وقرئ حتى يقولَ بالنصب على إضمار أن ومعنى الاستقبال لأن أن علم له وبالرفع على أنه في معنى الحال كقولك شربت الإبل حتى يجيء البعير يجر بطنه إلا أنها حال ماضية محكية **فإن قلت** كيف طابق الجواب السؤال في قوله قل ما أنفقتم وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون وأجيبوا ببيان المصرف **قلت** قد تضمن قوله ما أنفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف لأن النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها ... إن الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع ... وعن ابن عباس أنه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هِمّ وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكاة وعن الحسن هي في التطوع **وهو كره لكم** من الكراهة بدليل قوله وعسى أن تكرهوا شيئا ثم إما أن يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها فإنما هي إقبال وإدبار كأنه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له وإما أن يكون فُعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز أي وهو مكروه لكم وقرأ السلمي بالفتح على أن يكون بمعنى المضموم كالضَّعف والضُّعف ويجوز أن يكون بمعنى الإكراه على سبيل المجاز كأنهم أكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها وعلى قوله وعسى أن تكرهوا شيئا جميع ما كلفوا فإن النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه **والله يعلم** ما يصلحكم وما هو خير لكم **وأنتم لا تعلمون** ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك أول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل

محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس إلى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على أصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسارى وعن ابن عباس لما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة والمعنى يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال في الشهر الحرام و**قتال فيه** بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرئ عكرمة قتل فيه **قل قتال فيه كبير** أي إثم كبير وعن عطاء أنه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام إلا أن يقاتلوا فيه وما نسخت والأكثر على أنها منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم **وصد عن سبيل الله** مبتدأ **وكفر به** وكذا عن المسجد الحرام وكفرهم بالله وإخراج أهل المسجد الحرام وهم رسول الله والمؤمنون **أكبر عند الله** مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن **والفتنة** الإخراج أو الشرك والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يجوز أن يعطف على الهاء في به **ولا يزالون يقاتلونكم** إخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وأنهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة أي يقاتلونكم كي يردوكم **إن استطاعوا** استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه إن ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بأنه لا يظفر به **ومن يرتدد منكم** ومن يرجع عن دينه إلى دينهم ويطاوعهم على ردهم إليه **فيمت** على الردة **فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة** لما يفوتهم بإحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الإسلام وباستدامتها والموت عليها من ثواب الآخرة وبها احتج الشافعي على أن الردة لا تحبط الأعمال حتى يموت عليها وعند أبي حنيفة أنها تحبطها وإن رجع مسلما **إن الذين آمنوا والذين هاجروا** روي أن عبد الله بن جحش وأصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر فنزلت **أولئك يرجون رحمة الله** عن قتادة هؤلاء خيار هذه الأمة ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون وأنه من رجا طلب ومن خاف هرب نزلت في الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا وكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم إن عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله أفتنا في الخمر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت فيهما إثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فأم بعضهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن أبي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى أنشد سعد شعرا فيه هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت إنما الخمر والميسر إلى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم أرعه وعن ابن عمر لو أدخلت إصبعي فيها لم تتبعني وهذا هو الإيمان حقا وهم الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فإن طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه ما دون المسكر إذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند أبي حنيفة وعن بعض أصحابه لأن أؤخذ مرارا أحب إلي من أن أقول هو حرام ولأن أخر من السماء فأتقطع قطعا أحب إلي من أن أتناول منه قطرة وعند أكثر الفقهاء هو حرام كالخمر وكذلك كل ما أسكر من كل شراب وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لأنها تسكرها أي تحجزها وكأنها سميت بالمصدر من خمره خمرا إذا ستره للمبالغة **والميسر** القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته إذا قمرته واشتقاقه من اليسر لأنه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب أو من اليسار لأنه سلب يساره وعن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله وماله قال ... **فإن قلت** كيف صفة الميسر **قلت** كانت لهم عشرة أقداح وهي الأزلام والأقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة أجزاء وقيل ثمانية وعشرين إلا الثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم ... لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربح وأساميهن وغد وسفيح ومنيح للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس أربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الأنصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكم الميسر أنواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم إياكم وهاتين الكعبتين المشؤومتين فإنهما من ميسر العجم وعن علي أن النرد والشطرنج ...
[illegible] ... وعلى ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى ... [illegible]

فيهما اثم كبير ومنافع وعقاب الاثم في تعاطيهما اكبر من نفعهما وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيها
والتوصل بهما الى مصادقات الفتيان ومعاشراتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم واعطياتهم وسلب الاموال
بالقمار والافتخار على الابرام وقرئ اثم كثير بالثاء وفي قراءة ابي واثمهما اقرب ومعنى الكثرة ان اصحاب
الشرب والقمار يقترفون فيهما الاثام من وجوه كثيرة العفو نقيض الجهد وهو ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه
منه الجهد واستفراغ الوسع قال ۞ خذي العفو مني تستديمي مودتي ۞ ولا تنطقي في سورتي حين اغضب ۞
ويقال للارض السهلة العفو وقرئ بالرفع والنصب وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا اتاه ببيضة من ذهب اصابها
في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه رسول الله فاتاه من الجانب الايمن فقال مثله فاعرض
عنه ثم اتاه من الجانب الايسر فاعرض عنه فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفه بها حذفا لو اصابه لشجه او عقره
ثم قال يجيء احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى في الدنيا والاخرة
اما ان يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتاخذون بما هو اصلح لكم
كما بينت لكم ان العفو اصلح من الجهد في النفقة او تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع
ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما لتتفكروا في عقاب الاثم في الاخرة والنفع في الدنيا
حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم واما ان يتعلق بيبين على معنى يبين لكم
الايات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون ۞ لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما
اعتزلوا اليتامى وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام بامورهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكاد
يوقعهم في الحرج فقيل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم وان
تخالطوهم وتعاشروهم ولم تجانبوهم فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه وقد حملت المخالطة
على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح اي لا يخفى على الله من داخلهم بافساد واصلاح فيجازيه على حسب مداخلته
فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح ولو شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة واحرجكم فلم يطلق
لكم مداخلتهم وقرى طاوس اصلاح اليهم ومعناه ايصال الصلاح اليهم وقرئ لاعنتكم بطرح الهمزة
والقاء حركتها على اللام وكذلك فلا اثم ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم
لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم ولا تنكحوا وقرئ بضم التاء اي لا تتزوجوهن او لا تزوجوهن والمشركات
الحربيات والاية ثابتة وقيل المشركات الحربيات والكتابيات جميعا لان اهل الكتاب من اهل الشرك لقوله
وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله عما يشركون وهي منسوخة بقوله
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء قط وهو قول
ابن عباس والاوزاعي وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها
ناسا من المسلمين وكان يهوى امراة في الجاهلية اسمها عناق فاتته وقالت الا تخلو فقال ويحك ان
الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله فاستامره فنزلت ولامة
مؤمنة ولامراة مؤمنة حرة كانت او مملوكة وكذلك ولعبد مؤمن لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم
ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان المؤمنة خير منها مع ذلك اولئك اشارة الى المشركات
والمشركين اي يدعون الى الكفر فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة
والقتال والله يدعو الى الجنة يعني واولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما
فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم وان يؤثروا على غيرهم باذنه بتيسير الله وتوفيقه للعمل
الذي تستحق به الجنة والمغفرة وقرئ والمغفرة باذنه بالرفع اي والمغفرة حاصلة بتيسيره المحيض
مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا قل هو اذى اي المحيض شيء يستقذر ويؤذي
من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النساء فاجتنبوهن يعني فاجتنبوا مجامعتهن وروي ان اهل الجاهلية
كانوا اذا حاضت المراة لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل
اليهود والمجوس فلما نزلت اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب
يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان اثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استاثرنا بها
هلكت الحيض فقال عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت
كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن
في كل شيء فامر الله بالاقتصاد بين الامرين وبين الفقهاء خلاف في الاعتزال فابو حنيفة وابو يوسف
يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن لا يوجب الا اعتزال الفرج وروى محمد
حديث عائشة ان عبد الله بن عمر سالها هل يباشر الرجل امراته وهي حائض فقالت تشد
ازارها على سفلتها ثم ليباشرها ان شاء وما روى زيد بن اسلم ان رجلا سال النبي ما يحل لي
من امراتي وهي حائض قال لتشد عليها ازارها ثم شانك باعلاها ثم قال وهذا قول ابي حنيفة
وقد جاء ما هو ارخص من هذا عن عائشة انها قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك وقرئ يطهرن

اى يطهرن

اي يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن وقرئ عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر
انقطاع دم الحيض وكلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب ابو حنيفة الى ان له ان يقربها في اكثر الحيض بعد
انقطاع الدم وان لم تغتسل وفي اقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلوة وذهب الشافعي الى انه
لا يقربها حتى تطهر وتتطهر فتجمع بين الامرين وهو قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله
من المأتى الذي امركم الله به وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى ان يندر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه
من ذلك ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش او ان الله يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهرة التوبة
من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان ما ليس بمباح
وغير ذلك حرث لكم مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف
التي منها النسل بالبذور وقوله فاتوا حرثكم انى شئتم تمثيل اي فاتوهن كما تاتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها
من اي جهة شئتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من اي شق اردتم بعد ان يكون
المأتى واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو اذى فاعتزلوا النساء من حيث امركم الله فاتوا حرثكم انى شئتم
من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه واشباهها في كلام الله اداب حسنة على المؤمنين
ان يتعلموها ويتادبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم وروي ان اليهود كانوا يقولون من جامع
امراته وهي مجبية من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود ونزلت
وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه وقيل هو طلب الولد وقيل
التسمية على الوطء واتقوا الله فلا تجترئوا على المناهي واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به
وبشر المؤمنين المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات فان قلت ما موقع قوله نساؤكم
حرث لكم مما قبله قلت موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فاتوهن من حيث امركم الله يعني ان المأتى
الذي امركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا وازالة للشبهة ودلالة على ان الغرض الاصيل في الاتيان
هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تاتوهن الا من المأتى الذي يتعلق به هذا الغرض فان قلت ما بال يسالونك
جاء بغير واو ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا قلت كان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول وقع في احوال
متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدا وسالوا عن الحوادث الاخر في
وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كانه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال
عن كذا وعن كذا العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود
على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة ايضا المعرض
للامر قال فلا تجعلوني عرضة للوائم ومعنى الاية على الاولى ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات
من صلة رحم او اصلاح ذات بين او احسان الى احد او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني
فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي
المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها
خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك اي على شيء مما يحلف عليه وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف
لايمانكم اي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس فان قلت بم تعلقت اللام في لايمانكم
قلت بالفعل اي ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا ويجوز ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض
بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترضني كذا ويجوز ان تكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل
او بالعرضة اي ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا ومعنى الاخرى ولا تجعلوا الله معرضا
لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من انزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل
الحلاف مقدمتها وان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله
غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في وساطتهم واصلاح ذات بينهم
اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من اولاد
الابل لغو واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو الذي لا عقد معه
والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند ابي حنيفة واصحابه
هو ان يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي هو قول العرب لا والله
وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد
الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفيه معنيان احدهما لا يؤاخذكم اي لا يعاقبكم بلغو اليمين
الذي يحلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم اي اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين
وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم اي لا يلزمكم
الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم اي بما نوت قلوبكم
وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو

في ايمانكم. وقرأ عبد الله آلوا من نسائهم. وقرأ ابن عباس يقسمون من نسائهم. **فإن قلت** كيف عدي بمن وهو معدى بعلى. **قلت** قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكأنه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين أو مقسمين. ويجوز أن يراد لهم من نسائهم تربص أربعة أشهر كقولك لي منك كذا. والإيلاء من المرأة أن يقول والله لا أقربك أربعة أشهر فصاعدا على التقييد بالأشهر أو لا أقربك على الإطلاق. ولا يكون فيما دون أربعة أشهر إلا ما يحكى عن إبراهيم النخعي. وحكم ذلك أنه إذا فاء إليها في المدة بالوطء إن أمكنه أو بالقول إن عجز صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز. وإن مضت الأربعة بانت بتطليقة عند أبي حنيفة. وعند الشافعي لا يصح الإيلاء إلا في أكثر من أربعة أشهر ثم يوقف المولي فإما أن يفيء وإما أن يطلق وإن أبى طلق عليه الحاكم. ومعنى قوله فإن فاءوا في الأشهر بدليل قراءة عبد الله فإن فاءوا فيهن **فإن الله غفور رحيم** يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالإيلاء وهو الغالب وإن كان يجوز على رضى منهن إشفاقا منهن على الولد من الغيل أو لبعض الأسباب لأجل الفيئة التي هي مثل التوبة **وإن عزموا الطلاق** فتربصوا إلى مضي المدة **فإن الله سميع عليم** وعيد على إصرارهم وتركهم الفيئة. وعلى قول الشافعي معناه فإن فاءوا وإن عزموا بعد مضي المدة. **فإن قلت** كيف موقع الفاء إذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص. **قلت** موقع صحيح لأن قوله فإن فاءوا وإن عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول أنا نزيلكم هذا الشهر فإن أحمدتكم أقمت عندكم إلى آخره وإلا لم أقم إلا ريثما أتحول. **فإن قلت** ما تقول في قوله فإن الله سميع عليم وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع. **قلت** الغالب أن العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له من أن يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه إلا الله كما يسمع وسوسة الشيطان **والمطلقات** أراد المدخول بهن من ذوات الأقراء. **فإن قلت** كيف جازت إرادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم. **قلت** بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء في أحد ما يصلح له كالاسم المشترك. **فإن قلت** فما معنى الإخبار عنهن بالتربص. **قلت** هو خبر في معنى الأمر وأصل الكلام وليتربص المطلقات وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله أخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها. وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضا فضل تأكيد ولو قيل ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة. **فإن قلت** هلا قيل يتربصن ثلاثة قروء كما قيل تربص أربعة أشهر وما معنى ذكر الأنفس. **قلت** في ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لأن فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على أن يتربصن وذلك أن أنفس النساء طوامح إلى الرجال فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص. والقروء جمع قرء أو قرء وهو الحيض بدليل قوله عليه السلام دعي الصلاة أيام أقرائك وقوله طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر فأقام الأشهر مقام الحيض دون الأطهار ولأن الغرض الأصلي في العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الأرحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الأمة بالحيضة. ويقال أقرأت المرأة إذا حاضت وامرأة مقرئ. وقال أبو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته إلى فلانة تقرئها أي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء. **فإن قلت** ما تقول في قوله فطلقوهن لعدتهن والطلاق الشرعي إنما هو في الطهر. **قلت** معناه مستقبلات لعدتهن كما تقول لقيته لثلاث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلاث وعدتهن الحيض الثلاث. **فإن قلت** ما تقول في قول الأعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا. **قلت** أراد لما ضاع فيها من عدة نسائك لشهرة القرء عندهم في الاعتداد بهن أي من مدة طولها كالمدة التي تعتد فيها النساء استطال مدة غيبته عن أهله كل عام لاقتحامه في الحروب والغارات وأنه تمر على نسائه مدة كمدة العدة ضائعة لا يضاجعهن فيها. أو أراد من أوقات نسائك فإن القرء والقارئ جاء في معنى الوقت ولم يرد لا حيضا ولا طهرا. **فإن قلت** فعلام انتصب ثلاثة قروء. **قلت** على أنه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء أي يتربصن مضي ثلاثة قروء أو على أنه ظرف أي يتربصن مدة ثلاثة قروء. **فإن قلت** لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الأقراء. **قلت** يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية ألا ترى إلى قوله بأنفسهن وما هي إلا نفوس كثيرة ولعل القروء كانت أكثر استعمالا في جمع قرء من الأقراء فأوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلاثة شسوع **ما خلق الله في أرحامهن** من الولد أو من دم الحيض وذلك إذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها أن تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها أو كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق. ويجوز أن يراد اللاتي يبغين إسقاط ما في بطونهن من الأجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في أرحامهن كناية عن إسقاطه **إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر** تعظيم لفعلهن وأن من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم **وبعولتهن** جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة ويجوز أن يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني وأهل بعولتهن **أحق بردهن** برجعتهن وفي قراءة أبي بردتهن **في ذلك** في مدة ذلك التربص. **فإن قلت** كيف جعلوا أحق بالرجعة كأن للنساء حقا فيها. **قلت** المعنى أن الرجل إذا أراد الرجعة وأبتها المرأة وجب إيثار قوله على قولها وكان هو أحق منها لا أن لها حقا في الرجعة **إن أرادوا إصلاحا** لما بينهم وبينهن وإحسانا إليهن ولم يريدوا مضارتهن **ولهن مثل الذي عليهن** ويجب لهن من الحق مثل الذي يجب لهم عليهن **بالمعروف** بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف أحد الزوجين صاحبه. والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه إذا غسلت ثيابه أو خبزت له أن يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال **درجة** زيادة في الحق وفضيلة. قيل المرأة تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وإنفاقه في مصالحها **الطلاق** بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم أي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والإرسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين أي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ونحو ذلك من التثاني التي يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك. وقوله **فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** تخيير لهم بعد أن علمهم كيف يطلقون بين أن يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين أن يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم. وقيل معناه الطلاق الرجعي مرتان لأنه لا رجعة بعد الثلاث فإمساك بمعروف أي برجعة أو تسريح بإحسان بأن لا يراجعها حتى تبين بالعدة أو بأن لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها. وقيل بأن يطلقها الثالثة في الطهر الثالث. وروي أن سائلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الثالثة فقال عليه السلام أو تسريح بإحسان. وعند أبي حنيفة وأصحابه الجمع بين التطليقتين أو الثلاث بدعة والسنة أن لا يوقع عليها إلا الواحدة في طهر لم يجامعها فيه لما روي في حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له إنما السنة أن تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة. وعند الشافعي لا بأس بإرسال الثلاث لحديث العجلاني الذي لاعن امرأته فطلقها ثلاثا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه. روي أن جميلة بنت عبد الله بن أبي كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لا أنا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما أعيب عليه في دين ولا خلق ولكني أكره الكفر في الإسلام ما أطيقه بغضا إني رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل في عدة فإذا هو أشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها فنزلت. وكان قد أصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو أول خلع كان في الإسلام. **فإن قلت** لمن الخطاب في قوله ولا يحل لكم أن تأخذوا إن قلت للأزواج لم يطابقه قوله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله وإن قلت للأئمة والحكام فهؤلاء ليسوا بآخذين منهن ولا بمؤتيهن. **قلت** يجوز الأمران جميعا أن يكون أول الخطاب للأزواج وآخره للأئمة والحكام ونحو ذلك غير عزيز في القرآن وغيره وأن يكون الخطاب كله للأئمة والحكام لأنهم الذين يأمرون بالأخذ والإيتاء عند الترافع إليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون **مما آتيتموهن** مما أعطيتموهن من الصدقات **إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله** إلا أن يخاف الزوجان ترك إقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها **فلا جناح عليهما** فلا جناح على الرجل فيما أخذ ولا عليها فيما أعطت **فيما افتدت به** نفسها واختلعت به من بذل ما أوتيت من المهر. والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز في الحكم. وروي أن امرأة نشزت على زوجها فرفعت إلى عمر رضي الله عنه فأباتها في بيت الزبل ثلاث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده أقر لعيني منهن فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها. قال قتادة يعني بمالها كله. هذا إذا كان النشوز منها فإن كان منه كره له أن يأخذ منها شيئا. وقرئ إلا أن يخافا على البناء للمفعول وإبدال ألا يقيما من ألف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه إقامة حدود الله ونحوه وأسروا النجوى الذين ظلموا وتعضده قراءة عبد الله إلا أن يخافوا. وفي قراءة أبي إلا أن يظنا ويجوز أن يكون الخوف بمعنى الظن يقولون أخاف أن يكون كذا وأفرق أن يكون كذا يريدون أظن **فإن طلقها** الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه أو فإن طلقها مرة ثالثة بعد المرتين **فلا تحل له من بعد** من بعد ذلك التطليق **حتى تنكح زوجا غيره** حتى تتزوج غيره. والنكاح يسند إلى المرأة كما يسند إلى الرجل كالتزوج ومنه قولهم فلانة ناكح في بني فلان. وقد تعلق من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب والذي عليه الجمهور أنه لا بد من الإصابة لما روى عروة عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة رفاعة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إن رفاعة طلقني فبت طلاقي وإن عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وإن ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك. وروي أنها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت إنه قد كان مسني فقال لها قد كذبت في قولك الأول فلن أصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتت أبا بكر رضي الله عنه فقالت أأرجع إلى زوجي الأول

فقالت قد عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لك ما قال فلا ترجعي إليه فلما قبض أبو بكر قالت مثله لعمر فقال لئن
اتيتني بعد مرتك هذه لأرجمنك فمنعها . فإن قلت ما تقول في النكاح المعقود بشرط التحليل قلت
ذهب سفيان والأوزاعي وأبو عبيد ومالك وغيرهم إلى أنه غير جائز وهو جائز عند أبي حنيفة مع الكراهة
وعنه أنهما إن أضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر رضي الله عنه
لا أوتى بمحلل ولا محلل له إلا رجمتهما وعن عثمان رضي الله عنه لا إلا نكاح رغبة غير مدالسة فإن طلقها الزوج
الثاني فلا جناح عليهما أن يتراجعا أن يرجع كل واحد منهما إلى صاحبه بالزواج إن ظنا إن كان في ظنهما أنهما يقيمان
حقوق الزوجية ولم يقل إن علما أنهما يقيمان لأن اليقين مغيب عنهما لا يعلمه إلا الله ومن فسر الظن ههنا بالعلم
فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لأنك لا تقول علمت أن يقوم زيد ولكن علمت أنه يقوم ولأن الإنسان لا يعلم ما في
الغد وإنما يظن ظنا فبلغن أجلهن أي آخر عدتهن وشارفن منتهاها والأجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها
يقال لعمر الإنسان أجل وللموت الذي ينتهي به أجل وكذلك الغاية والأمد يقول النحويون من لابتداء الغاية
وإلى لانتهاء الغاية وقال إذا انتهى أمده ويتسع في البلوغ أيضا فيقال بلغ البلد إذا شارفه وداناه ويقال
قد وصلت ولم يصل وإنما شارف ولأنه قد علم أن الإمساك بعد تقضي الأجل لا وجه له لأنها بعد تقضيه غير
زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها فأمسكوهن بمعروف فإما أن يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة أو سرحوهن
بمعروف وإما أن يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار ولا تمسكوهن ضرارا كان الرجل يطلق المرأة ويتركها
حتى يقرب من انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الإمساك ضرارا لتعتدوا
لتظلموهن وقيل لتلجئوهن إلى الافتداء فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله ولا تتخذوا آيات الله هزوا أي جدوا
في الأخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها وإلا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد في الأمر إنما
أنت لاعب وهازئ ويقال كن يهوديا وإلا فلا تلعب بالتوراة وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول
كنت لاعبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم
بالإسلام وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام
بحقها يعظكم به بما أنزل عليكم فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن إما أن يخاطب به الأزواج الذين يعضلون نساءهم بعد
انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الأزواج والمعنى أن ينكحن أزواجهن الذين
يرغبن فيهم ويصلحون لهن وإما أن يخاطب به الأولياء في عضلهن أن يرجعن إلى أزواجهن روي أنها نزلت في معقل
بن يسار حين عضل أخته أن ترجع إلى الزوج الأول وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه أن يكون
خطابا للناس أي لا يوجد فيما بينكم عضل لأنه إذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين والعضل
الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة إذا نشبت بيضها فلم يخرج وأنشد لابن هرمة
وإن قصائدي لك فاصطنعني ... عقائل قد عضلن عن النكاح ... وبلوغ الأجل على الحقيقة وعن الشافعي رحمه الله
دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين إذا تراضوا إذا تراضى الخطاب والنساء بالمعروف بما يحسن في الدين
والمروءة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب أبي حنيفة أنها إذا زوجت نفسها بأقل من مهر مثلها فللأولياء
أن يعترضوا فإن قلت لم وحد الخطاب في قوله ذلك يوعظ به قلت يجوز أن يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل أحد
ذلكم أزكى لكم وأطهر أزكى وأطهر من أدناس الآثام وقيل أزكى وأطهر أفضل وأطيب والله يعلم
ما في ذلك من الزكاء والطهر وأنتم لا تعلمون أو والله يعلم ما تستصلحون به من الأحكام والشرائع وأنتم
تجهلونه ويرضعن مثل يتربصن في أنه خبر في معنى الأمر المؤكد كاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة لأنه
مما يتسامح فيه تقول أقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما وقرأ ابن عباس أن يكمل الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر الراء
والرضعة وأن تتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لأن بما لتآخيهما في التأويل فإن قلت بم يتعلق
قوله لمن أراد قلت هو بيان لمن توجه إليه الحكم كقوله تعالى هيت لك لك بيان للمهيت به
أي هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاع وعن قتادة حولين كاملين ثم أنزل الله اليسر والتخفيف فقال لمن
أراد أن يتم الرضاعة أراد أنه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد أن لا يكون
في الفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول أرضعت فلانة لفلان ولده أي يرضعن
حولين لمن أراد أن يتم الرضاعة من الآباء لأن الأب يجب عليه إرضاع الولد دون الأم وعليه أن يتخذ
له ظئرا إلا إذا تطوعت الأم بإرضاعه وهي مندوبة إلى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الأم
عند أبي حنيفة ما دامت زوجة أو معتدة من نكاح وعند الشافعي يجوز فإذا انقضت عدتها جاز
بالاتفاق فإن قلت فما بال الوالدات مأمورات بأن يرضعن أولادهن قلت إما أن يكون أمرا على
وجه الندب وإما أن يكون على وجه الوجوب إذا لم يقبل الصبي إلا ثدي أمه أو لم يوجد له ظئر أو كان
الأب عاجزا عن الاستئجار وقيل أراد الوالدات المطلقات وإيجاب النفقة والكسوة

لاجل

لأجل الرضاع وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في المغضوب
فإن قلت لم قيل المولود له دون الوالد قلت ليعلم أن الوالدات إنما ولدن لهم إذ الأولاد للآباء ولذلك
ينسبون إليهم لا إلى الأمهات وأنشد للمأمون بن الرشيد فإنما أمهات الناس أوعية ... مستودعات وللآباء أبناء
فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن إذا أرضعن ولدهم كالأظآر ألا ترى أنه ذكره باسم الوالد
حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف
تفسيره ما يعقبه وهو أن لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا وقرئ لا تكلف بفتح التاء ولا نكلف
بالنون وقرئ لا تضار بالرفع على الإخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وأن يكون الأصل تضارر بكسر الراء
أو تضارر بفتحها وقرئ لا تضار بالفتح وهي قراءة أكثر القراء وقرأ الحسن بالكسر على النهي وهو محتمل للبناءين أيضا
ويبين ذلك أنه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الأولى وكسرها وقرأ أبو جعفر لا تضار
بالسكون مع التشديد على نية الوقف وعن الأعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى
الوقف كما نواه أبو جعفر أو اختلس الضمة فظنه الراوي سكونا وعن كاتب عمر بن الخطاب لا تضرر والمعنى
لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو أن تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة
وأن تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد وأن تقول بعد ما ألفها الصبي اطلب له ظئرا وما أشبه ذلك
ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا يأخذه
منها وهي تريد إرضاعه ولا يكرهها على الإرضاع وكذلك إذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن أن يلحق بها
الضرار من قبل الزوج وأن يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز أن يكون تضار بمعنى تضر وأن
تكون الباء من صلته أي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه
إلى الأب بعد ما ألفها ولا يضر الوالد به بأن ينتزعه من يدها أو يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد فإن قلت
كيف قيل بولدها وبولده قلت لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف إليها الولد استعطافا لها عليه وأنه ليس بأجنبي
عنها فمن حقها أن تشفق عليه وكذلك الوالد وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن
وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود مثل ما
وجب عليه من الرزق والكسوة أي إن مات المولود له لزم من يرثه أن يقوم مقامه في أن يرزقها ويكسوها
بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه واختلفوا
فعند ابن أبي ليلى كل من ورثه وعند أبي حنيفة من كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا
الولاد وقيل من ورثه من عصبته مثل الجد والأخ وابن الأخ والعم وابن العم وقيل المراد وارث الأب وهو
الصبي نفسه وأنه إن مات أبوه وورثه وجبت عليه أجرة رضاعه في ماله إن كان له مال فإن لم يكن له مال
أجبرت الأم على إرضاعها وقيل على الوارث على الباقي من الأبوين من قوله واجعله الوارث منا فإن أرادا
فصالا صادرا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما في ذلك زاد على الحولين أو نقص وهذه توسعة
بعد التحديد وقيل هو في غاية الحولين لا يتجاوز وإنما اعتبر تراضيهما في الفصال وتشاورهما
أما الأب فلا كلام فيه وأما الأم فلأنها أحق بالتربية وهي أعلم بحال الصبي وقرئ فإن أرادا أن تسترضع منقول
من أرضع يقال أرضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي فتعديه إلى مفعولين كما تقول أنجح الحاجة
واستنجحته الحاجة والمعنى أن تسترضعوا المراضع أولادكم فحذف أحد المفعولين للاستغناء عنه كما تقول
استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن أحدهما عبارة عن الأول إذا سلمتم
إلى المراضع ما آتيتم ما أردتم إيتاءه كقوله تعالى إذا قمتم إلى الصلاة وقرئ ما أتيتم من أتى إليه إحسانا
إذا فعله ومنه قوله تعالى إنه كان وعده مأتيا أي مفعولا وروى شيبان عن عاصم ما أوتيتم أي ما آتاكم
الله وأقدركم عليه من الأجرة ونحوه وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط للجواز
والصحة وإنما هو ندب إلى الأولى ويجوز أن يكون بعثا على أن يكون الشيء الذي تعطاه المراضع من أهنأ
ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك إصلاحا لشأن الصبي واحتياطا في أمره فأمروا بإيتائه
ناجزا يدا بيد كأنه قيل إذا أديتم إليهن يدا بيد ما أعطيتموهن بالمعروف متعلق بسلمتم أمروا
أن يكونوا عند تسليم الأجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لأنفس المراضع بما أمكن
حتى يؤمن تفريطهن بقطع معاذيرهن والذين يتوفون منكم على تقدير حذف المضاف أي وأزواج
الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء

أي يستوفون آجالهم وهي قراءة علي رضي الله عنه والذي يحكى أن أبا الأسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي فقال الله فكان أحد الأسباب الباعثة لعلي رضي الله عنه على أن أمره بأن يضع كتابا في النحو تناقضه هذه القراءة **يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا** يعتددن هذه المدة وهي أربعة أشهر وعشرة أيام وقيل عشرا ذهابا إلى الليالي والأيام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين إلى الأيام تقول صمت عشرا ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى إن لبثتم إلا عشرا ثم إن لبثتم إلا يوما **فإذا بلغن أجلهن** فإذا انقضت عدتهن **فلا جناح عليكم** أيها الأئمة وجماعة المسلمين **فيما فعلن في أنفسهن** من التعرض للخطاب **بالمعروف** الذي لا ينكره الشرع والمعنى أنهن لو فعلن ما هو منكر كان على الأئمة أن يكفوهن وإن فرطوا كان عليهم الجناح **فيما عرضتم به** هو أن يقول لها إنك لجميلة أو صالحة أو نافقة ومن غرضي أن أتزوج وعسى الله أن ييسر لي امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول إني أريد أن أنكحك أو أتزوجك أو أخطبك وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل علي أبو جعفر محمد بن علي وأنا في عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي وقدمي في الإسلام فقلت غفر الله لك أتخطبني في عدتي وأنت يؤخذ عنك فقال أوقد فعلت إنما أخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة وكانت عند ابن عمها أبي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله تعالى وهو متحامل على يده حتى أثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة **فإن قلت** أي فرق بين الكناية والتعريض **قلت** الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض أن تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج إليه جئتك لأسلم عليك ولأنظر إلى وجهك الكريم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وكأنه إمالة الكلام إلى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لأنه يلوح منه ما تريده **أو أكننتم في أنفسكم** أو سترتم وأضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لا معرضين ولا مصرحين **علم الله أنكم ستذكرونهن** لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم **فإن قلت** فأين المستدرك بقوله **ولكن لا تواعدوهن سرا** **قلت** هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله أنكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا **والسر** وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لأنه مما يسر قال الأعشى ولا تقربن جارة إن سرها عليك حرام فانكحن أو تأبدا ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد لأنه سبب فيه كما فعل بالنكاح **إلا أن تقولوا قولا معروفا** وهو أن تعرضوا ولا تصرحوا **فإن قلت** بم يتعلق حرف الاستثناء **قلت** بلا تواعدوهن أي لا تواعدوهن مواعدة قط إلا مواعدة معروفة غير منكرة أو لا تواعدوهن إلا بأن تقولوا أي لا تواعدوهن إلا بالتعريض ولا يجوز أن يكون استثناء منقطعا من سرا لأدائه إلى قولك لا تواعدوهن إلا التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو أن تقول لها إن نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف **إلا أن تقولوا قولا معروفا** يعني من غير رفث ولا إفحاش في الكلام وقيل لا تواعدوهن سرا أي في السر على أن المواعدة في السر عبارة عن المواعدة بما يستهجن لأن مسارتهن في الغالب بما يستحيا من المجاهرة به وعن ابن عباس إلا أن تقولوا قولا معروفا هو أن يتواقفا أن لا تتزوج غيره **ولا تعزموا عقدة النكاح** من عزم الأمر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقد النكاح في العدة لأن العزم على الفعل يتقدمه فإذا نهي عنه كان عن الفعل أنهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لمن لم يبيت الصيام **حتى يبلغ الكتاب أجله** يعني ما كتب وفرض من العدة يعلم ما في أنفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه **غفور حليم** لا يعاجلكم بالعقوبة **لا جناح عليكم** لا تبعة عليكم من إيجاب مهر إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن **أو تفرضوا لهن فريضة** إلا أن تفرضوا لهن فريضة أو حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك أن المطلقة غير المدخول بها إن سمي لها مهر فلها نصف المسمى وإن لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على أن الجناح تبعة المهر قوله وإن طلقتموهن إلى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم إثبات للجناح المنفي ثمة والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند أبي حنيفة إلا أن يكون مهر مثلها أقل من ذلك فلها الأقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لأن أقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها **والموسع** الذي له سعة والمقتر الضيق الحال وقدره مقداره الذي يطيقه لأن ما يطيقه هو الذي يختص به وقرئ بفتح الدال والقدر والقدر لغتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل من الأنصار تزوج امرأة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل أن يمسها أمتعتها

أمتعتها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك وعند أصحابنا رحمهم الله لا تجب المتعة إلا لهذه وحدها وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب **متاعا** تأكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا **بالمعروف** بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة **حقا** صفة لمتاعا أي متاعا واجبا عليهم أو حق ذلك حقا **على المحسنين** على الذين يحسنون إلى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه **إلا أن يعفون** يريد المطلقات **فإن قلت** أي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون **قلت** الواو في الأول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبني لا أثر في لفظه للعامل وهو في محل النصب ويعفو عطف على محله **أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح** الولي يعني إلا أن تعفو المطلقات عن أزواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المرأة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئا أو يعفو الولي الذي يلي عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعي وقيل هو الزوج وعفوه أن يسوق إليها المهر كاملا وهو مذهب أبي حنيفة والأول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر إلا أن يقال كان الغالب عندهم أن يسوق إليها المهر عند التزوج فإذا طلقها استحق أن يطالبها بنصف ما ساق إليها فإذا ترك المطالبة فقد عفا عنها أو سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم أنه تزوج امرأة وطلقها قبل أن يدخل بها فأكمل لها الصداق وقال أنا أحق بالعفو وعنه أنه دخل على سعد بن أبي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث إليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها فقال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فأين الفضل والفضل التفضل أي **ولا تنسوا** أن يتفضل بعضكم على بعض وتتمروا ولا تستقصوا وقرأ الحسن أو يعفو الذي بسكون الواو وإسكان الواو والياء في موضع النصب تشبيها لهما بالألف لأنهما أختاها وقرأ أبو نهيك وأن يعفوا بالياء وقرئ ولا تنسوا بكسر الواو **الفضل** **والصلاة الوسطى** أي الوسطى بين الصلوات أو الفضلى من قولهم للأفضل الأوسط وإنما أفردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلاة العصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم الأحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام إنها الصلاة التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة أنها قالت لمن كتب لها المصحف إذا بلغت هذه الآية فلا تكتبها حتى أمليها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها فأملت عليه والصلاة الوسطى صلاة العصر وروي عن عائشة وابن عباس والصلاة الوسطى وصلاة العصر بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلاتين إحداهما الصلاة الوسطى إما الظهر وإما الفجر وإما المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما هي صلاة الظهر لأنها في وسط النهار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليها بالهاجرة ولم تكن صلاة أشد على أصحابه منها وعن مجاهد هي الفجر لأنها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل وعن قبيصة بن ذؤيب هي المغرب لأنها وتر النهار ولا تنقص في السفر من ثلاث وقرأ عبد الله وعلى الصلاة الوسطى وقرأت عائشة والصلاة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقرأ نافع الوصطى بالصاد **وقوموا لله** في الصلاة **قانتين** ذاكرين لله في قيامكم والقنوت أن تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون في الصلاة فنهوا وعن مجاهد هو الركود وكف الأيدي والبصر وروي أنهم كانوا إذا قام أحدهم إلى الصلاة هاب الرحمن أن يمد بصره أو يلتفت أو يقلب الحصى أو يحدث نفسه بشيء من أمور الدنيا **فإن خفتم** فإن كان بكم خوف من عدو أو غيره **فرجالا** فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام أو رجل يقال رجل رجل أي راجل وقرئ فرجالا بضم الراء ورجالا بالتشديد ورجلا وعند أبي حنيفة لا يصلون في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي يصلون في كل حال والراكب يومي ويسقط عنه التوجه إلى القبلة **فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون** من صلاة الأمن أو فإذا أمنتم فاشكروا الله على الأمن واذكروه بالعبادة كما أحسن إليكم بما علمكم من الشرائع وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الأمن **وصية** بالرفع تقديره وصية الذين يتوفون أو وحكم الذين يتوفون وصية **لأزواجهم** أو والذين يتوفون أهل وصية لأزواجهم وفيمن قرأ بالنصب والذين يتوفون يوصون وصية كقولك إنما أنت سير البريد بإضمار تسير أو ألزم الذين يتوفون وصية ويدل عليه قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية لأزواجكم متاعا إلى الحول مكان قوله والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول وقرأ أبي متاع لأزواجهم متاعا وروي عنه فمتاع لأزواجهم ومتاعا نصب بالوصية إلا إذا أضمرت يوصون فإنه نصب بالفعل وعلى قراءة أبي متاعا نصب بمتاع لأنه في معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمد الشاكرين وأعجبني ضرب لك زيدا ضربا شديدا **غير إخراج** مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول أو بدل من متاعا أو حال من الأزواج أي غير مخرجات والمعنى أن حق الذين يتوفون عن أزواجهم أن يوصوا قبل أن يحتضروا بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولا كاملا أي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في أول الإسلام ثم نسخت المدة بقوله أربعة أشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه

على هذا المقدار وبتحبب النفقة بالارث الذي هو الربع والثمن واختلف في التسكنا تعندالى
وامتحابه لا يسكنى لهن فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب من معروف مما ليس بمنكر شرعا
فان قلت كيف تكون الاية المتقدمة منسوخة بالمتاخرة قلت قد تكون الاية متقدمة في التلاوة وهي متاخرة
في التنزيل كقوله سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء وللمطلقات متاع عم المطلقات
بايجاب المتعة لهن بعد ما اوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها وقال حقا على المتقين
كما قال ثم حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة وقيل
قد تناولت التمتيع الواجب والمستحب جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم
من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب من شانهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا
الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون
فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر
عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه
تعجبا مما راى فاوحى الله اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فنظر اليهم قياما يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذرا
من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف فيه دليل على الالوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل
عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون ومن بدع التفاسير الوف متالفون جمع الف كقاعد وقعود فان قلت
ما معنى قوله فقال لهم الله موتوا قلت معناه فاماتهم الله وانما جيء به على هذه العبارة للدلالة على انهم
ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا بشيء فامتثلوه
امتثالا من غير اباء ولا توقف كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وهذا تشجيع
للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فاولى ان يكون
في سبيل الله لذو فضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون كما بصر اولئك وكما بصركم باقتصاص
خبرهم او لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى الى يوم البعث
والدليل على انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال في سبيل الله واعلموا ان الله
سميع لما يقوله المتخلفون والسابقون عليم بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء اقراض الله مثل لتقديم العمل
الذي يطلب به ثوابه والقرض الحسن اما المجاهدة في نفسها واما النفقة في سبيل الله اضعافا كثيرة قيل الواحد
بسبعمائة وعن السدي كثيرة لا يعلم كنهها الا الله والله يقبض ويبسط يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع
عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل
ابعث لنا ملكا انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رايه وننتهي الى امره طلبوا من نبيهم نحو ما
كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من التامير على الجيوش التي كان يجهزها ومن امرهم بطاعته وامتثال اوامره
وروي انه امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا احدهم اميرا عليهم نقاتل قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون والرفع
على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال او استئناف كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل
بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا وخبر عسيتم ان لا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما والمعنى
هل قاربتم الا تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان يقول عسيتم ان لا تقاتلوا بمعنى
اتوقع جبنكم عن القتال فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت
ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر معناه التقرير وقرئ عسيتم
بكسر السين وهي ضعيفة وما لنا الا نقاتل في سبيل الله واي داع لنا الى ترك القتال واي غرض لنا فيه وقد اخرجنا
من ديارنا وابنائنا وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا
من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين الا قليلا منهم قيل كان القليل ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم
بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد طالوت اسم اعجمي كجالوت وداود وانما
امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته وزعموا انه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه ان كان
من الطول فعلوت منه اصله طولوت الا ان امتناع صرفه يدفع ان يكون منه الا ان يقال هو اسم
عبراني وافق عربيا كما وافق حنطا حنطة وربنا لاها رخينا نارحينا بسم الله الرحمن الرحيم فهو من
الطول كما لو كان عربيا وكان احد سببيه العجمة لكونه عبرانيا انى كيف ومن اين وهو انكار لتملكه عليهم
واستبعاد له فان قلت ما الفرق بين الواوين في ونحن احق ولم يؤت قلت الاولى للحال والثانية لعطف
الجملة على الجملة الواقعة حالا قد انتظمتهما معا في حكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال انه
لا يستحق التملك لوجود من هو احق بالملك وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا

لان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من احد السبطين
ولانه كان رجلا سقاء او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس
بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قال ان الله اصطفاه عليكم يريد ان الله هو الذي اختاره
عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال
وهما العلم المبسوط والجسامة والظاهر ان المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله من امر الحروب ويجوز
ان يكون عالما بالديانات وبغيرها وقيل قد اوحي اليه ونبئ وذلك ان الملك لا بد ان يكون من اهل العلم
فان الجاهل مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما يملا العين جهارة لانه اعظم في النفوس واهيب في القلوب
والبسطة السعة والامتداد وروي ان الرجل القائم كان يمد يده فينال راسه يؤتي ملكه من يشاء اي
الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك والله واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له
سعة من المال ويغنيه بعد الفقر عليم بمن يصطفيه للملك التابوت صندوق التوراة وكان موسى عليه السلام اذا
قاتل قومه قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون والسكينة السكون والطمانينة وقيل هي صورة
كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها راس كراس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو
وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها
ريح هفافة وبقية هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت
به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه فكان ذلك اية لاصطفاء الله طالوت وقيل كان مع موسى ومع انبياء بني اسرائيل
بعده يستفتحون به فلما غيرت بنو اسرائيل غلبهم عليه الكفار وكان في ارض جالوت فلما اراد الله ان يملك طالوت
اصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مداين فقالوا هذا بسبب التابوت بين اظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما
الملائكة الى طالوت وقيل كان من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين وقرا ابي وزيد
بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الانصار فان قلت ما وزن التابوت قلت لا يخلو من ان يكون فعلوتا او فاعولا
ولا يكون فاعولا لقلته نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف اليه فهو اذا فعلوت
من التوب وهو الرجوع لانه ظرف توضع فيه الاشياء وتودعه فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع
اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته واما من قرا بالهاء فهو فاعول عنده الا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما في الهمس
وانهما من حروف الزيادة ولذلك ابدلت من تاء التانيث وقرا ابو السمال سكينة بفتح السين والتشديد وهو
غريب وقرئ يحمله بالياء فان قلت من ال موسى وال هرون قلت الانبياء من بني يعقوب بعدهما لان عمران هو ابن
قاهث بن لاوي بن يعقوب فكان اولاد يعقوب الهما ويجوز ان يراد مما تركه موسى وهرون والال مقحم
لتفخيم شانهما فصل عن موضع كذا اذا انفصل عنه وجاوزه واصله فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول
حتى صار في حكم غير المتعدي كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز ان يكون فصله فصلا وفصل فصولا
كوقف وصد ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده بالجنود روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ
منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامراة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع
اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسالوا ان يجري الله لهم نهرا فقال ان
الله مبتليكم بما اقترحتموه من النهر فمن شرب منه فمن ابتدا شربه من النهر بان كرع فيه فليس مني فليس بمتصل بي
ومتحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز ان يراد فليس من جملتي واشياعي
ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا
الا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم فقال لما ذقت عماضا ونحوه من الابتلاء ما ابتلي به اهل ايلة من ترك الصيد
مع اتيان الحيتان شرعا بل هو اشد منه واصعب وانما عرف ذلك طالوت باخبار من النبي وان كان نبيا
كما يروى عن بعضهم فبالوحي وقرئ بنهر بالسكون فان قلت مم استثني قوله الا من اغترف قلت من قوله
فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتاخرة الا انها قدمت للعناية كما قدم والصابئون في قوله ان الذين
امنوا والذين هادوا والصابئون والمعنى الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه
قوله فشربوا منه اي كرعوا فيه الا قليلا منهم وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرا ابي
والاعمش الا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية
فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كانه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق
لم يدع من المال الا مسحت او مجلف كانه قيل لم يبق من المال الا مسحت او مجلف الا قليلا
لم يتبع طالوت الا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا والذين امنوا يعني القليل قال الذين يظنون يعني الخلص منهم الذين
نصبوا بين اعينهم لقاء الله وايقنوه او الذين تيقنوا انهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله والمؤمنون
مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة وقيل الضمير في قالوا لا طاقة لنا للكثير الذين انخذلوا والذين يظنون
هم القليل الذين ثبتوا معه كانهم قالوا ذلك والنهر بينهما يظهرون به اعتذارهم في الانخذال ويرد عليهم

ما يعتذرون به وروي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه وادواته وعوصيه والذين شربوا منه اسودت شفاههم
وغلبهم العطش وجالوت جبارا من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته فيها ثلثمائة رطل
وثبت اقدامنا وهب لنا ما تثبت به في مداحض الحرب من قوة القلوب والقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك
من الاسباب كان ابو داود ايشى في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير
يرعى الغنم فاوحي الى اشمويل ان داود بن ايشى هو الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء
وقد مر في طريقه بثلاثة احجار دعاه كل واحد منها ان احملني وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها
في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته وروي انه حسده واراد قتله ثم تاب
واتاه الله الملك في مشارق الارض ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود والحكمة النبوة
وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك ولولا دفع الله الناس ولولا ان الله
يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت
مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض وقيل ولولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض
بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين او لو لم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل اهل الارض
تلك آيات الله يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره
بالآية التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يدي صبي بالحق باليقين الذي لا يشك فيه اهل
الكتاب لانه في كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار

تلك الرسل اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة او التي ثبت علمها
عند رسول الله صلعم فضلنا بعضهم على بعض لما اوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات منهم من كلم الله
منهم من فضله الله بان كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام وقرئ كلم الله [struck text]
[struck text] بالنصب وقرئ كالم الله من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه ورفع
بعضهم درجات اي ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات
كثيرة والظاهر انه اراد محمدا صلعم لانه هو المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يؤته احد من الآيات المتكاثرة
المرتقية الى الف آية او اكثر ولو لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما اوتي الانبياء
لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره
ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا
فيقول احدكم او بعضكم يريد به الذي تعورف واشتهر بنحوه من الافعال فيكون افخم من التصريح به وانوه
بصاحبه وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث
اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم امره ويجوز ان يريد ابراهيم ومحمدا صلعم وغيرهما من اولي
العزم من الرسل وعن ابن عباس كنا في المسجد نتذاكر فضل الانبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وابراهيم بخلته
وموسى بتكليم الله اياه وعيسى برفعه الى السماء وقلنا رسول الله افضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر
له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو خاتم الانبياء فدخل عليهم فقال فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد
ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها فان قلت فلم خص موسى وعيسى
من الانبياء بالذكر قلت لما اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله وجه التفضيل
حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات فلما كان هذان النبيان قد اوتيا ما اوتيا
من عظائم الآيات خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل بين ان من زيد تفضيلا بالآيات
منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا صلعم هو الذي اوتي منها ما لم يؤت احد في كثرتها وعظمها
كان هو المشهود له باحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين
ولو شاء الله مشيئة الجاء وقسر ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم
وتكفير بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه عنه ولو شاء
الله ما اقتتلوا كرر للتأكيد لا تتصل الوعيد به من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم
من الانفاق لانه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم اخلاؤكم به وان اردتم
ان يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حط الواجبات لان الشفاعة
ثمة في زيادة الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون اراد والتاركون الزكاة هم الظالمون فقال والكافرون
للتغليظ كما قال في آخر آية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج ولانه جعل ترك الزكاة من صفات الكفار في قوله
وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع الحي الباقي الذي لا سبيل
عليه للفناء وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح ان يعلم ويقدر والقيوم الدائم القيام بتدبير
الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس

قال ابن الرقاع العاملي: وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم اي لا يأخذه نعاس
ولا نوم وهو تأكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيوما ومنه حديث موسى انه سأل
الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية اينام ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ثلاثا ولا يتركوه
ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوءتين فاخذهما والقى الله عليه النعاس فضرب احداهما على الاخرى
فانكسرتا ثم اوحى اليه قل لهؤلاء اني امسك السموات والارض بقدرتي فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا من
ذا الذي يشفع عنده بيان لملكوته وكبريائه وان احدا لا يتمالك ان يتكلم يوم القيمة الا اذا اذن له في الكلام
كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات
والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء الا
بما علم الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفي قوله وسع كرسيه اربعة اوجه ان كرسيه
لم يضق عن السموات والارض لبسطته وسعته وما هو الا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثمه
ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه
من غير تصور قبضة وطي ويمين وانما هو تخييل لعظمة شانه وتمثيل حسي الا ترى الى قوله وما قدروا الله
حق قدره والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم والثالث وسع
ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع ما روي انه خلق كرسيا هو بين يدي العرش دونه
السموات والارض وهو الى العرش كاصغر شيء وعن الحسن الكرسي هو العرش ولا يؤده ولا يثقله
ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والارض وهو العلي [struck text] الشان العظيم الملك
والقدرة فان قلت كيف ترتيب الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف قلت ما منها جملة الا وهي واردة على
سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا
ولحائها فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا
لما يدبره والثالثة لكبرياء شانه والرابعة لاحاطته باحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب
للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم قدره
فان قلت لم فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله عليه السلام ما قرئت هذه الآية في دار الا اهجرتها
الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما
نزلت آية اعظم منها وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي في
دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها
اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة افضل
ما في القرآن فقال لهم علي اين انتم عن آية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلعم يا علي سيد البشر آدم
وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد
الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة
آية الكرسي قلت لما فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته
العظمى ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان افضل من سائر الاذكار وبهذا يعلم ان اشرف
العلوم واعلاها منزلة عند الله علم اهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة اعدائه
فان العرانين تلقاها محسدة ولن ترى للئام الناس حسادا لا اكراه في الدين اي لم يجر الله امر الايمان
على الاجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افانت
تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي لو شاء الله لقسرهم على الايمان ولكنه لم يفعل وبنى الامر على الاختيار
قد تبين الرشد من الغي قد تميز الايمان من الكفر بالدلائل الواضحة فمن يكفر بالطاغوت فمن اختار الكفر بالشيطان او الاصنام
والايمان بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق المحكم المأمون انفصامها اي انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر
والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به وقيل هو
اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
وقيل هو في اهل الكتاب خاصة لانهم حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف
ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله صلعم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا
فاختصموا الى رسول الله صلعم فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فنزلت فخلاهما الله ولي
الذين آمنوا اي ارادوا ان يؤمنوا يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتأييده من الكفر الى الايمان والذين كفروا اي صمموا
على الكفر امرهم على عكس ذلك او الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم
له من حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين والذين كفروا اولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات

الذي يظلمهم الى ظلمات الشك والشبهة ألم تر تعجيب من محاجة نمرود في الله وكفره به ان آتاه الله الملك
متعلق بحاج على وجهين احدهما حاج لأن آتاه الله الملك على معنى ان إيتاء الملك ابطره واورثه الكبر والعتو
فحاج لذلك او على انه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على ان آتاه الملك فكأن المحاجة
كانت لذلك كما تقول عاداني فلان لأني احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لأجل
الاحسان ونحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والثاني حاج وقت ان آتاه الله الملك فان قلت
كيف جاز ان يؤتي الله الملك الكافر قلت فيه قولان آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم
والأتباع اما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا لعباده وإذ قال نصب بحاج او بدل
من آتاه اذا جعل بمعنى الوقت انا احيي واميت يريد أعفو عن القتل وأقتل وكان الاعتراض عتيدا
ولكن ابرهيم صلوات الله عليه لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل الى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك
الجواب ليبهته أول شيء وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة وقرئ فبهت الذي كفر
اي فغلب ابرهيم الكافر وقرأ ابو حيوة فبهت بوزن قرب وقيل كانت هذه المحاجة حين كسر الاصنام
وسجنه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه قال ربي الذي يحيي ويميت
او كالذي معناه او أرأيت كالذي حاج ابرهيم او كالذي مر على قرية والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر
لانتظامه مع نمرود في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي أنى يحيي وقيل هو عزير او الخضر اراد ان يعاين
إحياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابرهيم عليه السلام وقوله أنى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام
لقدرة المحيي والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل هي التي خرج منها الالوف وهي خاوية
على عروشها تفسيره فيما بعد يوما او بعض يوم بناء على الظن روي انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة
قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال او بعض يوم وروي
ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على
حاله لم يتسنه لم يتغير والهاء اصلية او هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء او واو
وذلك ان الشيء يتغير بمرور الزمان وقيل اصله يتسنن من الحمإ المسنون فقلبت نونه حرف علة كتقضي
البازي ويجوز ان يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كأنه لم
يلبث مائة سنة وفي قراءة عبد الله فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن وقرأ أبي لم يسنه بإدغام
التاء في السين وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه ويجوز ان يراد وانظر اليه
سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الآيات ان يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه
وشرابه من التغير ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل اتى
قومه راكب حماره وقال انا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فأخذ يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون
في الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرأ التوراة ظاهرا احد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل
رجع الى منزله فرأى اولاده شيوخا وهو شاب فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام
وهي عظام الحمار او عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها وقرأ الحسن ننشرها من نشر
الله الموتى بمعنى أنشرهم فنشروا وقرئ بالزاي بمعنى نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب وفاعل تبين مضمر
تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني
عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما اشكل عليه يعني من احياء الموتى وقرأ ابن عباس
فلما تبين على البناء للمفعول وقرئ قال اعلم على لفظ الامر وقرأ عبد الله قيل اعلم فان قلت فان كان المار
كافرا فكيف يسوغ ان يكلمه الله قلت كان الكلام بعد البعث ولم يكن اذ ذاك كافرا ارني بصرني
فان قلت كيف قال له أولم تؤمن وقد علم انه اثبت الناس ايمانا قلت ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة
الجليلة للسامعين وبلى ايجاب لما بعد النفي معناه بلى آمنت ولكن ليطمئن قلبي ليزيد سكونا وطمأنينة بمضامة
علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين ولأن علم الاستدلال
يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري فأراد بطمأنينة القلب العلم الذي لا مجال للتشكيك فيه
فان قلت بم تعلقت اللام في ليطمئن قلت بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك ارادة طمأنينة القلب فخذ
اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها بمعنى فأملهن واضممهن اليك
قال ولكن أطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كأنه على الليت قنوان الكروم الدوالح
وقرأ ابن عباس فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه نحو ضره يضره ويضره
وعنه فصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا يريد ثم جزئهن وفرق اجزاءهن
على الجبال والمعنى على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي ارضك وقيل كانت اربعة اجبل وعن السدي

سبعة

سبعة ثم ادعهن وقل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعيا ساعيات مسرعات في طيرانهن او في مشيهن على ارجلهن
فان قلت ما معنى امره بضمها الى نفسه بعد ان يأخذها قلت ليتأملها ويعرف اشكالها وهيئاتها وحلاها
لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك ولذلك قال يأتينك سعيا وروي انه امر بان يذبحها
وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك رؤوسها ثم امر ان يجعل
اجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الآخر
حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤوسهن كل جثة الى رأسها وقرئ جزءا بضمتين وجزا
بالتشديد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف
مثل الذين ينفقون لا بد من حذف مضاف اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو الله
ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع
سنابل ان تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كأنها
ماثلة بين عيني الناظر فان قلت كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود قلت بل هو موجود في
الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الارض القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم
يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير فان قلت هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز
لجمع القلة كما قال وسبع سنبلات خضر قلت هذا لما قدمت عند قوله تعالى ثلاثة قروء من وقوع امثلة
الجمع متعاورة مواقعها والله يضاعف لمن يشاء اي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال
المنفقين او يضاعف سبع المائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستوجب ذلك المن ان يعتد على من احسن اليه
باحسانه ويريه انه اصطنعه واوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم
وان امرأ اسدى الي صنيعة وذكرنيها مرة لبخيل وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومن ومن منع
نائله وضن وفيها طعم الآلاء احلى من المن وهي امر من الآلاء مع المن والأذى ان يتطاول عليه
بسبب ما ازل اليه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من
نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا فان قلت اي فرق بين قوله
لهم اجرهم وقوله فيما بعد فلهم اجرهم قلت الموصول هنا لم يضمن معنى الشرط وضمنه ثمة والفرق بينهما
من جهة المعنى ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق به استحق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة قول معروف
رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤول او نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل
او عفو من جهة السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره خير من صدقة يتبعها اذى وصح الاخبار عن المبتدأ النكرة
لاختصاصه بالصفة والله غني لا حاجة به الى منفق يمن ويؤذي حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط
منه ووعيد له ثم بالغ في ذلك بما اتبعه كالذي ينفق ماله اي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كإبطال المنافق
الذي ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضا الله ولا ثواب الآخرة فمثله كمثل صفوان مثله ونفقته
التي لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر املس عليه تراب وقرأ سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان
فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه ومنه صلد جبين الاصلع
اذا برق لا يقدرون على شيء مما كسبوا كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز ان تكون الكاف في محل النصب على الحال
اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق فان قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق قلت
اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي ينفق ولان من والذي يتعاقبان فكأنه قال كمن ينفق وتثبيتا
من انفسهم وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله اشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة
وعلى الايمان لان النفس اذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها
وقل طمعها في اتباعه لشهواتها وبالعكس فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين ويجوز ان يراد
وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه
وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص قلبه ومن على التفسير الاول للتبعيض مثلها في قولهم هز
من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني لابتداء الغاية كقوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل
ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه وتعضده قراءة مجاهد
وتبيينا من انفسهم فان قلت فما معنى التبعيض قلت معناه ان من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه
ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم والمعنى ومثل
نفقة هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة وهي البستان بربوة بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى
واحسن ثمرا اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل فان لم يصبها وابل
فطل فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة

بالوابل والطل أو كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد أن
يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده
وقرئ كمثل حبة وبربوة بالحركات الثلاث وأكلها بضمتين أيود الهمزة في أيود للإنكار وقرئ له جنات
وذريته ضعاف والإعصار الريح التي تستدير في الأرض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن يعمل
الأعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فإذا كان يوم القيمة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من
كانت له جنة من أبهى الجنان وأجمعها للثمار فبلغ الكبر وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم
ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة. وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل عنها الصحابة فقالوا الله أعلم
فغضب وقال قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين قال قل يا ابن أخي
ولا تحقر نفسك قال ضرب مثلا لعمل قال لأي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان
فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله كلها. وعن الحسن هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه
وكثر صبيانه أفقر ما كان إلى جنته وإن أحدكم والله أفقر ما يكون إلى عمله إذا انقطعت
عنه الدنيا. فإن قلت كيف قال جنة من نخيل وأعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات قلت النخيل والأعناب
لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وإن كانت محتوية على سائر الأشجار
تغليبا لهما على غيرهما ثم أردفهما ذكر كل الثمرات. ويجوز أن يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل
له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من أعناب وحففناهما بنخل. فإن قلت علام عطف قوله
وأصابه الكبر قلت الواو للحال لا للعطف ومعناه أن تكون له جنة وقد أصابه الكبر. وقيل يقال
وددت أن يكون كذا وودت لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة
وأصابه الكبر. من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم ومما أخرجنا لكم من الحب والثمر والمعادن
وغيرها. فإن قلت هلا قيل وما أخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الأرض
قلت معناه ومن طيبات ما أخرجنا لكم إلا أنه حذف لذكر الطيبات. ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا
المال الرديء منه تنفقون تخصونه بالإنفاق وهو في محل الحال وقرئ عبد الله ولا تأمموا وقرئ
ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء وتممه وتيممه وتأممه سواء في معنى قصده ولستم بآخذيه وحالكم
أنكم لا تأخذونه في حقوقكم إلا أن تغمضوا فيه إلا بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه من قولك أغمض فلان
عن بعض حقه إذا غض بصره. ويقال للبائع أغمض أي لا تستقص كأنك لا تبصر. قال الطرماح ٥
٥ لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم ٥ رجال يرضون بالإغماض ٥ وقرأ الزهري تغمضوا وأغمض وغمض بمعنى
وعنه تغمضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض. وقرأ قتادة تغمضوا على البناء للمفعول
بمعنى إلا أن تدخلوا فيه وتجذبوا إليه. وقيل إلا أن توجدوا مغمضين. وعن الحسن لو وجدتموه
في السوق يباع ما أخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه. وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر
وشراره فنهوا عنه. يعدكم الفقر في الإنفاق ويقول لكم إن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا. وقرئ
الفقر بالضم والفقر بفتحتين والوعد يستعمل في الخير والشر قال الله تعالى النار وعدها الله الذين
كفروا ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات إغراء الآمر للمأمور والفاحش
عند العرب البخيل والله يعدكم في الإنفاق مغفرة لذنوبكم وكفارة لها وفضلا وأن يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم
أو ثوابا عليه في الآخرة. يؤتي الحكمة من يشاء يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل. وقرئ
ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله الحكمة وهكذا قرأ الأعمش خيرا كثيرا تنكير تعظيم كأنه قال
فقد أوتي أي خير كثير وما يذكر إلا أولو الألباب يريد الحكماء العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت
الآي في معنى الإنفاق وما أنفقتم من نفقة في سبيل الله أو في سبيل الشيطان أو نذرتم من نذر في طاعة الله أو في معصيته
فإن الله يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم
في المعاصي أو لا يفون بالنذور أو ينذرون في المعاصي من أنصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه. وما
في نعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة ومعنى فنعما هي فنعم شيئا إبداؤها. وقرئ بفتح النون وكسرها وإن تخفوها
وتؤتوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الإخفاء فهو خير لكم فالإخفاء خير لكم والمراد الصدقات
المتطوع بها فإن الأفضل في الفرائض أن يجاهر بها. وعن ابن عباس رضي الله عنه صدقات السر في التطوع تفضل
علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا. وإنما كانت
المجاهرة بالفرائض أفضل لنفي التهمة حتى إذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان إخفاؤه أفضل والمتطوع
إن أراد أن يقتدى به كان إظهاره أفضل ونكفر قرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء أو على
أنه خبر مبتدأ محذوف أي ونحن نكفر أو على أنه جملة من فعل وفاعل مبتدأة ومجزوما عطفا على محل الفاء وما
بعده لأنه جواب الشرط. وقرئ ويكفر بالياء مرفوعا والفعل لله أو للإخفاء وتكفر بالتاء مرفوعا

ومجزوما

ومجزوما والفعل للصدقات. وقرأ الحسن بالياء والنصب بإضمار أن ومعناه إن تخفوها يكن خيرا لكم
وأن نكفر عنكم. ليس عليك هداهم لا يجب عليك أن تجعلهم مهتدين إلى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والأذى
والإنفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك إلا أن تبلغهم النواهي فحسب. ولكن الله يهدي من يشاء يلطف
بمن يعلم أن اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه وما تنفقوا من خير من مال فلأنفسكم فهو لا ينتفع
به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون ولستم في صدقتكم تنفقون
إلا ابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله إلى الله وما تنفقوا
من خير يوف إليكم ثوابه أضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في أن ترغبوا عن إنفاقه وأن يكون على أحسن
الوجوه وأجملها. وقيل حجت أسماء بنت أبي بكر فأتتها أمها تسألها وهي مشركة فأبت أن تعطيها فنزلت
وعن سعيد بن جبير كانوا يتقون أن يرضخوا لقراباتهم من المشركين. وروي أن ناسا من المسلمين
كانت لهم أصهار في اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الإسلام فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوا
وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واختلف في الواجب فجوز أبو حنيفة رحمه الله
صرف صدقة الفطر إلى أهل الذمة وأباه غيره. الجار متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا للفقراء أو اجعلوا
ما تنفقون للفقراء كقوله في تسع آيات. ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي صدقاتكم للفقراء والذين
أحصروا في سبيل الله هم الذين أحصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الأرض للكسب. وقيل هم أصحاب
الصفة وهم نحو من أربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في
صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية
بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده فضل أتاهم به إذا أمسى. وعن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما
على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال أبشروا يا أصحاب الصفة فمن بقي من أمتي
على النعت الذي أنتم عليه راضيا بما هو فيه فإنه من رفقائي. يحسبهم الجاهل بحالهم أغنياء من التعفف مستغنين
من أجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجوه ورثاثة الحال. والإلحاف الإلحاح وهو اللزوم
وأن لا يفارق إلا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه أي أعطاني من فضل ما عنده. عن النبي صلى الله عليه وسلم
إن الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السآل الملحف. ومعناه أنهم إن سألوا سألوا بتلطف
ولم يلحوا. وقيل هو نفي للسؤال والإلحاح جميعا كقوله ٥ على لاحب لا يهتدى بمناره ٥ يريد نفي المنار
والاهتداء به بالليل والنهار سرا وعلانية يعمون الأوقات والأحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما
نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال. وقيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه
حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية. وعن ابن عباس
رضي الله عنه نزلت في علي رضي الله عنه لم يملك إلا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا
وبدرهم علانية. وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله. وعن أبي هريرة كان إذا مر بفرس سمين
قرأ هذه الآية. الربوا كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الألف بعدها
تشبيها بواو الجمع لا يقومون إذا بعثوا من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان أي المصروع وتخبط
الشيطان من زعمات العرب يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء
كخبط العشواء. فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا أيضا من
زعماتهم وأن الجني يمسه فيختلط عقله وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن ورأيتهم لهم في الجن
قصص وأخبار وعجائب وإنكار ذلك عندهم كإنكار المشاهدات. فإن قلت بم يتعلق قوله من المس
قلت بلا يقومون أي لا يقومون من المس الذي بهم إلا كما يقوم المصروع ويجوز أن يتعلق بيقوم
أي كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى أنهم يقومون يوم القيمة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم
يعرفون بها عند أهل الموقف. وقيل الذين يخرجون من الأجداث يوفضون إلا أكلة الربا فإنهم
ينهضون ويسقطون كالمصروعين لأنهم أكلوا الربا فأرباه الله في بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون
على الإيفاض. ذلك العقاب بسبب قولهم إنما البيع مثل الربوا. فإن قلت هلا قيل إنما الربا مثل البيع لأن
الكلام في الربا لا في البيع فوجب أن يقال إنهم شبهوا الربا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم أنهم قالوا لو
اشترى الرجل ما لا يساوي إلا درهما بدرهمين جاز فكذلك إذا باع درهما بدرهمين. قلت جيء به
على طريق المبالغة وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا أنهم جعلوه أصلا وقانونا في الحل حتى
شبهوا به البيع. وقوله وأحل الله البيع وحرم الربوا إنكار لتسويتهم بينهما ودلالة على أن القياس يهدمه
النص لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم إحلال الله وتحريمه فمن جاءه موعظة فمن بلغه وعظ من الله
وزجر بالنهي عن الربا فانتهى فتبع النهي وامتنع فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لأنه أخذ
قبل نزول التحريم وأمره إلى الله يحكم في شأنه يوم القيمة وليس من أمره إليكم شيء فلا تطالبوه به

ومن عاد الى الربا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا دليل بين على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لان تانيثها غير حقيقي ولانها في معنى الوعظ وقرئ ابي والحسن فمن جاءته يمحق الله الربا يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود الربا وان كثر الى قل ويربي الصدقات ما يتصدق به بان يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب كل كفار اثيم تغليظ في امر الربا وايذان بانه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين آخذوا ما شرطوا على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها وروي انها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا وقرئ الحسن ما بقا بقلب الياء الفا على لغة طي وعنه ما بقي بيا ساكنة ومنه قول جرير هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم ماضي العزيمة ما في حكمه جنف ان كنتم مؤمنين ان صح ايمانكم يعني ان دليل صحة الايمان وثباته امتثال ما امرتم به من ذلك فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرئ فآذنوا فاعلموا بها غيركم وهو من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقرئ الحسن فايقنوا وهو دليل لقراءة العامة فان قلت هلا قيل بحرب الله ورسوله قلت كان هذا ابلغ لان المعنى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان منها فان قلت هذا حكمهم ان تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا قلت قالوا يكون مالهم فيئا للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة اي ذو اعسار وقرئ ذا عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة وقرئ ومن كان ذا عسرة فنظرة فالحكم او فالامر نظرة وهي الانظار وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرئ فناظرة على لفظ صاحب الحق ناظره اي منتظره او صاحب نظرته على طريق النسب كقولهم مكان عاشب وباقل بمعنى ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره على الامر بمعنى فسامحه بالنظرة وباشره بها الى ميسرة الى يسار وقرئ بضم السين وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وقوله تعالى واقام الصلوة وان تصدقوا خير لكم ندب الى ان يتصدقوا برؤس اموالهم على من اعسر من غرمائهم او ببعضها كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل اريد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون انه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمله وان علمه كانه لا يعلمه وقرئ تصدقوا بتخفيف الصاد على حذف التاء ترجعون قرئ على البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون بالياء على طريقة الالتفات وقرئ عبد الله تردون وقرئ ابي تصيرون وعن ابن عباس انها آخر آية نزل بها جبريل وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله بعدها احدى وعشرين يوما وقيل احدى وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات اذا تداينتم اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا كما تقول بايعته اذا بعته او باعك قال رؤبة داينت اروى والديون تقضى فمطلت بعضا وادت بعضا والمعنى اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه فان قلت هلا قيل اذا تداينتم الى اجل مسمى واي حاجة الى ذكر الدين كما قال داينت اروى ولم يقل بدين قلت ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال فان قلت ما فائدة قوله مسمى قلت ليعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام ولو قال الى الحصاد او الدياس او رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وانما امر بكتبة الدين لان ذلك اوثق وآمن من النسيان وابعد من الجحود والامر للندب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا اباح السلم وعنه اشهد ان الله اباح السلم المضمون الى اجل معلوم في كتابه وانزل فيه اطول آية بالعدل متعلق بكاتب صفة له اي كاتب مأمون على ما يكتب فيكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص وفيه ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل هو كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك اي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي هي فرض كفاية فان قلت اي فرق بين الوجهين قلت ان علقته علمه الله يجوز ان يتعلق بان يكتب وبقوله فليكتب فان قلت اي فرق بين الوجهين قلت ان علقته بان يكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب يعني فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وان علقته بقوله فليكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة على سبيل الاطلاق ثم امر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق ولا يكن المملي الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته في ذمته

واقراره به والاملال والاملاء لغتان قد نطق بهما القرآن فهي تملى عليه ولا يبخس منه شيئا ولا ينقص وقرئ شيّا بطرح الهمزة وشيّا بالتشديد فان كان الذي عليه الحق سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو وهو غير مستطيع للاملاء بنفسه لعي به او خرس فليملل وليه الذي يلي امره من وصي ان كان سفيها او صبيا او وكيله ان كان غير مستطيع او ترجمان يملي عنه وهو يصدقه وقوله ان يمل هو فيه انه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان على الدين من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام عند عامة العلماء وعن علي رضي الله عنه لا تجوز شهادة العبد في شيء وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتي انها جائزة وتجوز عند ابي حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل فان لم يكونا فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند ابي حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص ممن ترضون ممن تعرفون عدالتهم ان تضل احداهما ان لا تهتدي احداهما للشهادة بان تنساها من ضل الطريق اذا لم يهتد له وانتصابه على انه مفعول له اي ارادة ان تضل فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله قلت لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وقرئ فتذكر بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وفتذاكر وقراءة حمزة ان تضل احداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وقرئ ان تضل احداهما على البناء للمفعول والتأنيث ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل احداهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ليقيموا الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت ولا تسأموا كني بالسأم عن الكسل لان الكسل صفة المنافق ومنه الحديث لا يقول المؤمن كسلت ويجوز ان يراد من كثرة مداينتكم ان تملوا فيها ان تكتبوا ان تكتبوه الدين او الحق صغيرا او كبيرا على اي حال كان الحق من صغر او كبر ويجوز ان يكون الضمير للكتاب وان تكتبوه مختصرا او مشبعا ولا تخلوا بكتابته الى اجله الى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر اي ذلكم الكتب اقسط اعدل من القسط واقوم للشهادة واعون على اقامة الشهادة وادنى ان لا ترتابوا واقرب من انتفاء الريب فان قلت مم بني افعلا التفضيل اعني اقسط واقوم قلت يجوز على مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسط واقام وان يكون اقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذي قسط واقوم من قويم ولا تسأموا ان تكتبوه الا ان تكون تجارة حاضرة فان قلت ما معنى تجارة حاضرة وسواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها بينهم قلت اريد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوه لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل هي الناقصة على ان الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما واشهدوا اذا تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا او كالئا لانه احوط وابعد مما عسى يقع من الاختلاف ويجوز ان يراد واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة وعن الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار يحتمل البناء للفاعل والمفعول والدليل عليه قراءة عمر رضي الله عنه ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس ولا يضارر بالاظهار والفتح والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان او النهي عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل او يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وقرئ الحسن ولا يضار بالكسر وان تفعلوا وان تضاروا فانه فان الضرار فسوق بكم وقيل وان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه على سفر مسافرين وقرئ ابن عباس وابي كتابا وقال ابن عباس ارايت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرئ ابو العالية كتبا وقرئ الحسن كتابا جمع كاتب فرهن فالذي يستوثق به رهن وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن كسقف وسقف وفرهان فان قلت لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر دون حضر وقد رهن رسول الله درعه في غير سفر قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد امر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب

والاشهاد ٥ وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا في حال السفر اخذا بظاهر الاية واما القبض فلا بد من اعتباره وعند مالك يصح الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض فان امن بعضكم بعضا وان امن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به ٥ وقرئ فان اومن اي آمنه الناس ووصف المديون بالامانة والوفا والاستغنا عن الارتهان من مثله فليؤد الذي اؤتمن امانته حث للمديون على ان يكون عند ظن الدائن به وامنه منه وائتمانه له وان يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلا يرتهن وسمي الدين امانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والقراءة ان تنطق بهمزة ساكنة بعد الدال او بياء فتقول الذي تمن او الذي يتمن ٥ وعن عاصم انه قرئ الذتمن بادغام الياء في التاء قياسا على اتسر في الافتعال من اليسر وليس بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة واتزر عامي وكذلك ريا في رؤيا آثم خبران وقلبه رفع بآثم على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه ويجوز ان يرتفع قلبه بالابتدا وآثم خبر مقدم والجملة خبران فان قلت هلا اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان اثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ الا تراك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي ولان القلب هو رئيس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك اشرف مكان منه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح وهي لها كالاصول التي تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنه اكبر الكبائر الاشراك بالله تعالى لقوله فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة ٥ وقرئ قلبه بالفتح كقوله سفه نفسه وقرأ ابن ابي عبلة اثم قلبه اي جعله آثما وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر منه او اضمر ويعذب من يشاء ممن استوجب العقوبة بالاصرار ولا يدخل فيما يخفيه الانسان الوساوس وحديث النفس لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر انه تلاها فقال لئن اخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر ذلك لابن عباس فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين عطفا على جواب الشرط ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب فان قلت كيف يقرأ الجازم قلت يظهر الراء ويدغم الباء ٥ ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا ٥ وراويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو ٥ وقرأ الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم كقوله ٥ متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا ٥ تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ٥ ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لان التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا رأسه واحببت زيدا عقله وهذا البدل واقع في الافعال وقوعه في الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان ٥ والمؤمنون ان عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعا الى الرسول والمؤمنين اي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين ووقف عليه وان كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز ان يجمع كقوله وكل اتوه داخرين وقرأ ابن عباس وكتابه يريد القرآن او الجنس وعنه الكتاب اكثر من الكتب فان قلت كيف يكون الواحد اكثر من الجمع قلت لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء واما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع لا نفرق يقولون لا نفرق وعن ابي عمرو يفرق بالياء على ان الفعل لكل ٥ وقرأ عبد الله لا يفرقون واحد في معنى الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين سمعنا اجبنا غفرانك منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك وقرئ وكتبه ورسله بالسكون والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورحمته كقوله يريد الله بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة ٥ وقرأ ابن ابي عبلة وسعها بالفتح للواو لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها فان قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وامارة به كانت في تحصيله اعمل واجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال اي لا تؤاخذنا بالنسيان او الخطأ ان فرطنا فان قلت النسيان والخطأ متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما قلت ذكر النسيان والخطأ والمراد بهما ما هما مسببان عنه من الاهمال والتفريط والاغفال الا ترى الى قوله وما انسانيه الا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فتكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان ولانهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطأ فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كانه قيل ان كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به فما فيهم سبب مؤاخذة الا الخطأ والنسيان ٥ ويجوز ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه اصرا العبء الذي يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك وقرئ آصارا على الجمع وفي قراءة ابي ولا تحمل علينا بالتشديد فان قلت اي فرق بين هذه التشديدة والتي في ولا تحملنا قلت هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل حمله من مفعول واحد الى مفعولين ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها ٥ وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله ولا تحمل علينا اصرا مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا فمن حق المولى ان ينصر عبيده او فان ذلك عادتك او فان ذلك من امورنا التي عليك توليها ٥ وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت ٥ وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه ٥ وعنه عليه السلام اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي ٥ وعنه عليه السلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل فان قلت هل يجوز ان يقال قراءة سورة البقرة او قراءة البقرة قلت لا بأس بذلك وقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم من آخر سورة البقرة وخواتيم سورة البقرة وعن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود انه رمى الجمرة ثم قال من ههنا والذي لا اله غيره رمى الذي انزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة والمجادلة له فاذا قيل قراءة البقرة لم تشكل ان المراد سورة البقرة كقوله واسأل القرية وعن بعضهم انه كره ذلك وقال انما يقال السورة التي تذكر فيها البقرة ٥ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله ميم حقها ان يوقف عليها كما وقف على الف ولام وان يبدأ ما بعدها كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم واما فتحها فهي حركة الهمزة القيت عليها حين اسقطت للتخفيف فان قلت كيف جاز القاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها لان ثبات حركتها كثباتها قلت هذا ليس بدرج لان ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت وانما حذفت تخفيفا والقيت حركتها على الساكن قبلها لتدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال فان قلت هلا زعمت انها حركة لالتقاء الساكنين قلت لان التقاء الساكنين لا يبالى به في باب الوقف وذلك قولك هذا ابراهيم وداود واسحق ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان في الف لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر فان قلت انما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم ارادوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين فاذا جاء ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا قلت الدليل على ان الحركة ليست لملاقاة الساكن انه كان يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا اصيم ومديق فلما حركوا الدال علم ان حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين فان قلت فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسر قلت هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقبولة ... التوراة والانجيل اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لان افعيل بفتح الهمزة عديم في اوزان العرب فان قلت ...

نزل الكتاب وأنزل التوراة والإنجيل قلت لأن القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة وقرئ
الأعمش نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب هدى للناس أي لقوم موسى وعيسى ومن قال نحن
متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم فإن قلت فما المراد بالفرقان قلت جنس الكتب
السماوية لأن كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل أو الكتب التي ذكرها كأنه قال بعد ذكر الكتب
الثلاثة وأنزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه أو من هذه الكتب أو أراد الكتاب الرابع
وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح
من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشأنه وإظهارا لفضله بآيات الله
من كتبه المنزلة وغيرها ذو انتقام له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم لا يخفى عليه شيء
في العالم فعبر عنه بالسماء والأرض فهو مطلع على كفر من كفر وإيمان من آمن وهو مجازيهم عليه كيف يشاء
من الصور المختلفة المتفاوتة وقرئ تصوركم أي صوركم لنفسه ولتعبده لقولك أثلت
مالا إذا جعلته أثلة أي أصلا وتأثلته إذا أثلته لنفسك وعن سعيد بن جبير هذا حجاج على من زعم
أن عيسى كان ربا كأنه نبه بكونه مصورا في الرحم على أنه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله
محكمات أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه متشابهات مشتبهات محتملات هن أم الكتاب
أي أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد إليها ومثال ذلك لا تدركه الأبصار إلى ربها ناظرة
لا يأمر بالفحشاء أمرنا مترفيها فإن قلت فهلا كان القرآن كله محكما قلت لو كان كله محكما لتعلق
الناس به لسهولة مأخذه ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال
ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل إلى معرفة الله وتوحيده إلا به ولما في المتشابه من الابتلاء
والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء وإتعابهم القرائح في استخراج معانيه
ورده إلى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولأن المؤمن المعتقد
أن لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف إذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره وأهمه طلب ما يوفق
بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه
المحكم ازداد طمأنينة إلى معتقده وقوة في إيقانه فأما الذين في قلوبهم زيغ هم أهل البدع
فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب إليه المبتدع مما لا يطابق المحكم
ويحتمل ما يطابقه من قول أهل الحق ابتغاء الفتنة طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء
تأويله وطلب أن يؤولوه التأويل الذي يشتهونه وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم أي لا يهتدي إلى تأويله
الحق الذي يجب أن يحمل عليه إلا الله وعباده الذين رسخوا في العلم أي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس
قاطع ومنهم من يقف على قوله إلا الله ويبتدئ والراسخون في العلم يقولون ويفسرون المتشابه بما استأثر
الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية ونحوه والأول أوجه ويقولون كلام مستأنف
موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا به أي بالمتشابه كل من عند ربنا
أي كل واحد منه ومن المحكم من عنده أو بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض
كلامه ولا يختلف كتابه وما يذكر إلا أولو الألباب مدح للراسخين بإلقاء الذهن وحسن التأمل ويجوز
أن يكون يقولون حالا من الراسخين وقرئ عبد الله إن تأويله إلا عند الله وقرأ أبي ويقول الراسخون
في العلم لا تزغ قلوبنا لا تبتلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد إذ هديتنا وأرشدتنا لدينك أو لا
تمنعنا ألطافك بعد أن لطفت بنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة وقرئ لا تزغ
قلوبنا بالياء والتاء ورفع القلوب جامع الناس ليوم أي تجمعهم لحساب يوم أو لجزاء يوم كقوله يوم يجمعكم
ليوم الجمع وقرئ جامع الناس على الأصل إن الله لا يخلف الميعاد معناه إن الإلهية تنافي خلف الميعاد
كقولك إن الجواد لا يخيب سائله والميعاد الموعد وقرئ علي رضي الله عنه لن يغني بسكون الياء وهذا من الجد
في استثقال الحركة على حروف اللين من في قوله من الله مثله في قوله إن الظن لا يغني من الحق شيئا والمعنى
لن تغني عنهم من رحمة الله أو من طاعة الله شيئا أي بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع
ذا الجد منك الجد أي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك أي بدل طاعتك وعبادتك وما عندك
وفي معناه قوله تعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وقرئ وقود بالضم بمعنى أهل
وقودها والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس هم قريظة والنضير

الدأب مصدر دأب في العمل إذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الإنسان من شأنه وحاله والكاف
مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم ويجوز أن ينتصب محل الكاف
بلن تغني أو بالوقود أي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن أولئك تقول إنك لتظلم الناس كدأب أبيك تريد
كظلم أبيك ومثل ما كان يظلمهم وإن فلانا لمحارف كدأب أبيه تريد كما حورف أبوه كذبوا بآياتنا
تفسير لدأبهم وما فعلوا وفعل بهم على أنه جواب سؤال مقدر عن حالهم قل للذين كفروا هم مشركو مكة
ستغلبون يعني يوم بدر وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر قالوا هذا والله النبي الأمي
الذي بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر إلى وقعة أخرى فلما كان يوم
أحد شكوا وقيل جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا
مثل ما نزل بقريش وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم أني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك
أنك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت أنا نحن الناس فنزلت
وقرئ سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم على قل لهم قولي لك سيغلبون
فإن قلت أي فرق بين القراءتين من حيث المعنى قلت معنى القراءة بالتاء الأمر بأن يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة
والحشر إلى جهنم فهو إخبار بمعنى ستغلبون وتحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ
ومعنى القراءة بالياء الأمر بأن يحكي لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه كأنه قال أد إليهم هذا القول الذي
هو قولي لك سيغلبون ويحشرون قد كان لكم آية الخطاب لمشركي قريش في فئتين التقتا يوم بدر يرونهم
مثليهم يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من ألفين أو مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا
وعشرين أراهم الله إياهم مع قلتهم أضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله
كما أمدهم بالملائكة والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء أي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة
أو مثلي أنفسهم فإن قلت فهذا مناقض لقوله في سورة الأنفال ويقللكم في أعينهم قلت قللوا أولا
في أعينهم حتى اجترؤوا عليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين
ونظيره من المحمول على اختلاف الأحوال قوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان وقوله وقفوهم
إنهم مسؤولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى أبلغ في القدرة وإظهار الآية وقيل يرى المسلمون المشركين
مثلي المسلمين على ما قرر عليه أمرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله إن تكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مائتين بعد ما كلفوا أن يقاوم الواحد العشرة في قوله إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين
ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لأنه قليل بالإضافة إلى العشرة الأضعاف وكان الكافرون ثلاثة أمثالهم
وقراءة نافع لا تساعد عليه وقرئ يرونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء أي يريهم الله ذلك بقدرته وقرئ فئة تقاتل وأخرى كافرة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص أو على الحال من الضمير في التقتا رأي العين يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات والله يؤيد بنصره من يشاء كما أيد أهل بدر بتكثيرهم في عين العدو زين للناس المزين هو الله سبحانه وتعالى للابتلاء كقوله تعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم ويدل عليه قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لأنا لا نعلم أحدا أذم لها من خالقها حب الشهوات جعل الأعيان التي ذكرها شهوات مبالغة كأنها نفس الشهوات وكأنهم يشتهون اشتهاءها والشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية والقناطير القنطار المال الكثير وعن سعيد بن جبير مائة ألف دينار ولقد جاء الإسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم ألف مؤلفة وبدرة مبدرة المسومة المعلمة من السومة وهي العلامة أو المطهمة أو المرعية من أسام الدابة وسومها والأنعام الأزواج الثمانية ذلك المذكور متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات وجنات خبر ويجوز أن يتعلق اللام بخير وقرئ جنات بالجر على البدل من خير ورضوان والله بصير بالعباد الذين يقولون نصب على المدح أو رفع أو جر صفة للذين اتقوا أو للعباد والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها وخص الأسحار لأنهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن

طلب الحاجة بعده إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون في أول الليل حتى إذا كان السحر أخذوا في الاستغفار والدعاء هذا نهارهم وهذا ليلهم **شهد الله** شبهت دلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره وبما أوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الإخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك إقرار الملائكة وأولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه **قائما بالقسط** مقيما للعدل فيما يقسم من الأرزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من إنصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه على أنه حال مؤكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا **فإن قلت** لم جاز إفراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز **قلت** إنما جاز هذا لعدم الإلباس كما جاز في قوله ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة إن انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءني هند وزيد راكبا جاز لتميزه بالذكورة أو على المدح **فإن قلت** أليس من حق المنتصب على المدح أن يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد إنا معشر الأنبياء لا نورث إنا بني نهشل لا ندعي لأب **قلت** قد جاء نكرة كما جاء معرفة وأنشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي ويأوي إلى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي **فإن قلت** هل يجوز أن يكون صفة للمنفي كأنه قيل لا إله قائما بالقسط إلا هو **قلت** لا يبعد فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف **فإن قلت** قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح أن ينتصب حالا عن هو في لا إله إلا هو **قلت** نعم لأنها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي أن يكون في الجملة التي هي زيادة في فائدتها عامل فيها كقولك أنا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل إلا عبد الله شجاعا وهو أوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح **فإن قلت** هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة وأولي العلم كما دخلت الوحدانية **قلت** نعم إذا جعلته حالا من هو أو نصبا على المدح منه أو صفة للمنفي كأنه قيل شهد الله والملائكة وأولو العلم أنه لا إله إلا هو وأنه قائم بالقسط وقرأ عبد الله القائم بالقسط على أنه بدل من هو أو خبر مبتدأ محذوف وقرأ أبو حنيفة قيما بالقسط **العزيز الحكيم** صفتان مقررتان لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعني أنه العزيز الذي لا يغالبه إله آخر الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في أفعاله **فإن قلت** ما المراد بأولي العلم الذين عظمهم الله هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله **قلت** هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ أنه بالفتح وإن الدين بالكسر على أن الفعل واقع على أنه بمعنى شهد الله على أنه أو بأنه وقوله **إن الدين عند الله الإسلام** جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الأولى **فإن قلت** ما فائدة هذا التوكيد **قلت** فائدتها أن قوله لا إله إلا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فإذا أردفه قوله إن الدين عند الله الإسلام فقد آذن أن الإسلام عند الله هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده في شيء من الدين وفيه أن من ذهب إلى تشبيه أو ما يؤدي إليه كإجازة الرؤية أو ذهب إلى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الإسلام وهذا بين جلي كما ترى وقرئا مفتوحين على أن الثاني بدل من الأول كأنه قيل شهد الله أن الدين عند الله الإسلام والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لأن دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ الأول بالكسر والثاني بالفتح على أن الفعل واقع على أن وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا أيضا شاهد على أن دين الإسلام هو العدل والتوحيد فترى القراءات كلها متعاضدة على ذلك وقرأ عبد الله أن لا إله إلا هو وقرأ أبي أن الدين عند الله الإسلام وهي تقوية لقراءة من فتح الأولى وكسر الثانية وقرئ شهداء لله بالنصب على أنه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء لله **فإن قلت** علام عطف على هذه القراءة والملائكة وأولو العلم **قلت** على الضمير في شهداء وجاز لوقوع الفاصل بينهما **فإن قلت** لم كرر قوله لا إله إلا هو **قلت** ذكره أولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وأنه لا إله إلا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن بإثبات الوحدانية إثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالأمرين كأنه قال لا إله إلا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل **الذين أوتوا الكتاب** أهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم أنهم تركوا الإسلام وهو التوحيد والعدل **من بعد ما جاءهم العلم** أنه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا أحق بأن تكون النبوة فينا من قريش لأنهم أميون ونحن أهل كتاب وهذا تجويز لله **بغيا بينهم** أي ما كان ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب إلا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطؤون أعقابهم لا شبهة في الإسلام وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

حيث آمن به بعض وكفر به بعض وقيل هو اختلافهم في الإيمان بالأنبياء فمنهم من آمن بموسى ومنهم من آمن بعيسى وقيل هم اليهود واختلافهم أن موسى عليه السلام حين احتضر استودع التوراة سبعين حبرا من بني إسرائيل وجعلهم أمناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف أبناء السبعين بعد ما جاءهم العلم علم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم في أمر عيسى بعد ما جاءهم العلم أنه عبد الله ورسوله **فإن حاجوك** فإن جادلوك في الدين فقل أسلمت وجهي لله أي أخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم أجعل فيها لغيره شركا بأن أعبده وأدعو إلها معه يعني أن ديني دين التوحيد وهو الدين القويم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بأن ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه **ومن اتبعن** عطف على التاء في أسلمت وحسن للفاصل ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه وقل للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى **والأميين** والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب **أأسلمتم** يعني أنه قد أتاكم من البينات ما يوجب الإسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا إلا سلكته هل فهمتها لا أم لك ومنه قوله عز وعلا فهل أنتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاندة وقلة الإنصاف لأن المنصف إذا تجلت له الحجة لم يتوقف إذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب أسدادا بينه وبين الإذعان وكذلك في هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة وفي فهل أنتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه **فإن أسلموا فقد اهتدوا** فقد نفعوا أنفسهم حيث خرجوا من الضلال إلى الهدى ومن الظلمة إلى النور **وإن تولوا** لم يضروك فإنك رسول منبه ما عليك إلا أن تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى وقرأ الحسن ويقتلون النبيين وقرأ حمزة ويقاتلون الذين يأمرون وقرأ عبد الله وقاتلوا وقرأ أبي يقتلون النبيين والذين يأمرون وهم أهل الكتاب قتل أولوهم الأنبياء وقتلوا أتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لولا عصمة الله وعن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأها ثم قال يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني إسرائيل فأمروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار **في الدنيا والآخرة** لأن لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة **فإن قلت** لم دخلت الفاء في خبر إن **قلت** لتضمن اسمها معنى الجزاء كأنه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وإن لا تغير معنى الابتداء فكأن دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت أو لعل لامتنع إدخال الفاء لإتيان معنى التمني والترجي **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب** يريد أحبار اليهود وأنهم حصلوا نصيبا وافرا من التوراة ومن إما للتبعيض وإما للبيان أو حصلوا من جنس الكتب المنزلة أو من اللوح التوراة وهي نصيب عظيم **يدعون إلى كتاب الله** وهو التوراة **ليحكم بينهم** وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدراسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت قال على ملة إبراهيم قالا له إن إبراهيم كان يهوديا فقال لهما إن بيننا وبينكم التوراة فهلموا إليها فأبيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن كتاب الله القرآن لأنهم قد علموا أنه كتاب الله لم يشكوا فيه **ثم يتولى فريق منهم** استبعاد لتوليهم بعد علمهم بأن الرجوع إلى كتاب الله واجب **وهم معرضون** وهم قوم لا يزال الإعراض ديدنهم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه أن يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من أسلم من أحبار اليهود وبين من لم يسلم وأنهم دعوا إلى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التوراة ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك أن قوله ليحكم بينهم يقتضي أن يكون اختلافا واقعا فيما بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم **ذلك** التولي والإعراض بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد أيام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية **وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون** من قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه أو من أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم **فكيف إذا جمعناهم** فكيف يصنعون فكيف تكون حالهم وهو استعظام لما أعد لهم وتهويل لهم وأنهم يقعون فيما لا حيلة لهم في دفعه والمخلص منه وأن ما حدثوا به أنفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون وروي أن أول راية ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤوس الأشهاد ثم يأمر بهم إلى النار **اللهم** الميم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف

مالك الملك أي تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون تؤتي الملك من تشاء تعطي من تشاء النصيب الذي
قسمت له واقتضته حكمتك من الملك وتنزع الملك ممن تشاء النصيب الذي أعطيته منه فالملك الأول عام شامل
والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة
وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك
فارس والروم وهم أعز وأمنع من ذلك وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الأحزاب
وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم
لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فأخذ المعول من سلمان فضربها
ضربة صدعتها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر
وكبر المسلمون وقال أضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال
أضاءت لي منها القصور الحمر من أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال أضاءت لي قصور صنعاء وأخبرني
جبريل أن أمتي ظاهرة على كلها فأبشروا فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم
أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق
لا تستطيعون أن تبرزوا فنزلت فإن قلت كيف قال بيدك الخير فذكر الخير دون الشر قلت لأن
الكلام إنما وقع في الخير الذي يسوقه إلى المؤمنين وهو الذي أنكرته الكفرة فقال بيدك الخير
تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك ولأن كل أفعال الله تعالى من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة
فهو خير كله كإيتاء الملك ونزعه ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة
بينهما وحال الميت والحي في إخراج أحدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على
أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام ثم قدر أن يرزق بغير حساب من يشاء من عباده
فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفي بعض الكتب أنا الله
ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فإن العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وإن
العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا إلي أعطفهم
عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونوا يولى عليكم نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو صداقة
قبل الإسلام أو غير ذلك من الأسباب التي يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن ومن يتولهم
منكم فإنه منهم لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله الآية والمحبة
في الله والبغض في الله باب عظيم وأصل من أصول الإيمان من دون المؤمنين يعني أن لكم في موالاة
المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ومن
يوال الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني أنه منسلخ من ولاية الله
رأسا وهذا أمر معقول فإن موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان قال
تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك ليس النوك عنك بعازب إلا أن تتقوا منهم تقاة إلا أن
تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه وقرئ تقية قيل للمتقى تقاة وتقية كقولهم ضرب الأمير
لمضروبه رخص لهم في موالاتهم إذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالفة ومعاشرة ظاهرة والقلب
مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا كقول عيسى صلوات الله عليه كن وسطا وامش جانبا
ويحذركم الله نفسه فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعداء الله وهذا وعيد شديد ويجوز أن يضمن تتقوا
معنى تحذروا وتخافوا فيعدى بمن وينتصب تقاة أو تقية على المصدر كقوله اتقوا الله حق تقاته إن تخفوا
ما في صدوركم أو تبدوه من ولاية الكفار أو غيرها مما لا يرضى الله يعلمه ولم يخف عليه وهو الذي يعلم ما في
السموات وما في الأرض لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فهو قادر على
عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لأن نفسه وهي ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة
بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور
دون مقدور فهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها أن تحذر وتتقى فلا يجسر أحد على قبيح
ولا يقصر عن واجب فإن ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان أنه
أراد الاطلاع على أحواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس على بواطن
أموره لأخذ حذره وتيقظ في أمره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به فما بال من علم أن العالم الذات
الذي يعلم السر وأخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم إنا نعوذ بك من اغترارنا بسترك يوم تجد
منصوب بتود والضمير في بينه لليوم أي ... أن ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت
وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره أي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه
ولا يصح أن تكون ما شرطية لارتفاع تود فإن قلت فهل يصح أن تكون شرطية على قراءة عبد الله ودت
قلت لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر أوقع في المعنى لأنه حكاية الكائن في ذلك اليوم

وأثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز أن يعطف وما عملت على ما عملت ويكون تود حالا أي يوم تجد عملها محضرا
وادة تباعد ما بينها وبين اليوم أو عمل السوء محضرا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في
صحفهم يقرؤونه ونحوه فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والأمد المسافة كقوله يا ليت بيني وبينك
بعد المشرقين وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه والله رؤوف بالعباد
يعني أن تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لأنهم إذا عرفوه
حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك إلى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن الحسن من رأفته
بهم أن حذرهم نفسه ويجوز أن يريد أنه مع كونه محذورا لعلمه وقدرته مرجو لسعة
رحمته كقوله إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم محبة العباد لله مجاز عن إرادة نفوسهم
اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده أن يرضى عنهم ويحمد فعلهم
والمعنى إن كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من إرادة عبادته
يرض عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل
لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه وإذا رأيت
من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في أنه لا يعرف ما الله
ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته إلا لأنه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة
معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما رأيت المني
قد ملأ إزار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة حواليه قد ملؤوا أرديتهم بالدموع لما رققهم من حاله
وقرئ تحبون ويحببكم من حببته بمعنى أحببته قال أحب أبا مروان من أجل تمره وأعلم أن الرفق بالجار أرفق
ووالله لولا تمره ما حببته ولا كان أدنى من عبيد ومشرق فإن تولوا يحتمل أن يكون ماضيا وأن يكون
مضارعا بمعنى فإن تتولوا ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم آل إبراهيم إسماعيل وإسحق وأولادهما
وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين
ألف وثمانمائة سنة ذرية بدل من آل إبراهيم وآل عمران بعضها من بعض يعني أن الآلين ذرية واحدة
متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث
من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من إسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمن بن
داود بن إيشي بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق وقد دخل في آل إبراهيم سيد ولد آدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل بعضها من بعض في الدين كقوله تعالى والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض والله سميع عليم يعلم
من يصلح للاصطفاء أو يعلم أن بعضهم من بعض في الدين أو سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها وإذ
منصوب به وقيل بإضمار اذكر وامرأة عمران هي امرأة عمران بن ماثان أم مريم البتول جدة عيسى
وهي حنة بنت فاقوذ وقوله إذ قالت امرأت عمران على إثر قوله وآل عمران مما يرجح أن عمران هو عمران
بن ماثان جد عيسى والقول الآخر يرجحه أن موسى يقرن بإبراهيم كثيرا في الذكر فإن قلت كانت لعمران
بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما أدراك
أن عمران هذا هو أبو مريم البتول دون عمران أبي مريم التي هي أخت موسى وهرون قلت كفى بكفالة
زكريا دليلا على أنه عمران أبو البتول لأن زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج
زكريا بنته إيشاع أخت مريم فكان يحيى وعيسى ابني خالة روي أنها كانت عاقرا لم تلد إلى أن عجزت فبينا هي
في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم إن لك علي نذرا شكرا
إن رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران
وهي حامل محررا معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه ولا أستخدمه ولا أشغله بشيء وكان هذا النوع
من النذر مشروعا عندهم وروي أنهم كانوا ينذرون هذا النذر فإذا بلغ الغلام خير بين أن يفعل
وبين أن لا يفعل وعن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير إلا للغلمان وإنما بنت الأمر على التقدير
أو طلبت أن ترزق ولدا ذكرا فلما وضعتها الضمير لما في بطني وإنما أنث على المعنى لأن ما في بطنها كان أنثى
في علم الله أو على تأويل الحبلة أو النفس أو النسمة فإن قلت كيف جاز انتصاب أنثى حالا من الضمير في وضعتها
وهو كقولك وضعت الأنثى أنثى قلت الأصل وضعته أنثى وإنما أنث لتأنيث الحال لأن الحال وذا الحال
لشيء واحد كما أنث الاسم في من كانت أمك لتأنيث الخبر ونظيره قوله تعالى فإن كانتا اثنتين وأما على تأويل
الحبلة أو النسمة فهو ظاهر كأنه قيل إني وضعت الحبلة أو النسمة أنثى فإن قلت فلم قالت إني وضعتها
أنثى وما أرادت إلى هذا القول قلت قالته تحسرا على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت
إلى ربها لأنها كانت ترجو وتقدر أن تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه
التحسر والتحزن قال الله تعالى والله أعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه
ومعناه والله أعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الأمور وأن يجعله وولده آية للعالمين

وهي جملة بذلك لا نعلم منه شيئا ولد لك تحسرت وفي قراءة ابن عباس والله أعلم بما وضعتِ على خطاب الله لها
أي إنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شأنه وعلو قدره وقرئ وضعتُ بمعنى ولعل
لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه الأنثى خير من الذكر تسلية لنفسها فإن قلت ما معنى قوله
وليس الذكر كالأنثى قلت هو بيان لما في قوله والله أعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع
منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد فإن قلت علام
عطف قوله وإني سميتها مريم قلت هو عطف على إني وضعتها أنثى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله
وإنه لقسم لو تعلمون عظيم فإن قلت لم ذكرت تسميتها مريم لربها قلت لأن مريم في لغتهم
بمعنى العابدة فأرادت بذلك التقرب والطلب إليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها
وأن يصدق فيها ظنه بها ألا ترى كيف أتبعته طلب الإعاذة لها ولولدها من الشيطان
وإغوائه وما يروى من الحديث ما من مولود إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان
إياه إلا مريم وابنها فالله أعلم بصحته فإن صح فمعناه أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم
وابنها فإنهما كانا معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله لأغوينهم أجمعين إلا عبادك
منهم المخلصين واستهلاله صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب بيده
عليه ويقول هذا ممن أغويه ونحوه من التخييل قول ابن الرومي ۞ لما تؤذن الدنيا به من صروفها ۞
يكون بكاء الطفل ساعة يولد ۞ وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا ولو سلط إبليس
على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه فتقبلها ربها فرضي بها
في النذر مكان الذكر بقبول حسن فيه وجهان أحدهما أن يكون القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط
واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه لها بإقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها
أنثى في ذلك أو بأن تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة وروي أن
حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هارون
وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها كانت
بنت إمامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم وملوكهم
فقال لهم زكريا أنا أحق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين
إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم فتكفلها والثاني
أن يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها بذي قبول حسن أي بأمر ذي قبول حسن
وهو الاختصاص ويجوز أن يكون معنى فتقبلها فاستقبلها كقولك تعجله بمعنى استعجله وتقصاه بمعنى
استقصاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الأمر إذا أخذه بأوله وعنفوانه قال القطامي ۞
وخير الأمر ما استقبلت منه ۞ وليس بأن تتبعه اتباعا ۞ ومنه المثل خذ الأمر بقوابله
أي فأخذها في أول أمرها حين ولدت بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة
العائدة عليها بما يصلحها في جميع أحوالها وقرئ وكفلها زكريا بوزن وعملها وكفّلها زكريا
بتشديد الفاء ونصب زكريا والفعل لله تعالى بمعنى وضمها إليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها
وتؤيدها قراءة أبي وأكفلها من قوله تعالى فقال أكفلنيها وقرأ مجاهد فتقبّلها ربّها وأنبتها وكفّلها
على لفظ الأمر في الأفعال الثلاثة ونصب ربها تدعو بذلك أي فاقبلها يا ربها وربّها واجعل
زكريا كافلا لها قيل بنى لها زكريا محرابا في المسجد أي غرفة تصعد إليها بسلم وقيل
المحراب أشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت في أشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت
مساجدهم تسمى المحاريب وروي أنه كان لا يدخل عليها إلا هو وحده وكان إذا خرج غلق عليها
سبعة أبواب وجد عندها رزقا كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها
فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء أنى لك هذا من أين لك هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق
الدنيا وهو آت في غير حينه والأبواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به إليك قالت هو من عند الله فلا تستبعد
قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه جاع في زمن قحط فأهدت إليه فاطمة
رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها إليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فإذا هو مملوء
خبزا ولحما فبهتت وعلمت أنها نزلت من عند الله فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم أنى لك هذا فقالت هو من عند الله
إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني
إسرائيل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب والحسن والحسين وجميع أهل بيته عليه حتى شبعوا وبقي
الطعام كما هو فأوسعت فاطمة على جيرانها إن الله يرزق من جملة كلام مريم عليها السلام أو من كلام
رب العزة عز من قائل بغير حساب بغير تقدير لكثرته أو تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب
الاستحقاق هنالك في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب أو في ذلك الوقت تقول هنا

وثم وحيث للزمان لما رأى حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب في أن يكون له من إيشاع ولد مثل ولد حنة في النجابة والكرامة على الله وإن كانت عاقرا عجوزا فقد كانت أمها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر ذرية طيبة سميع الدعاء فنادته الملائكة قيل ناداه جبريل وإنما قيل الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل أن الله يبشرك بالفتح على أن الله وبالكسر على إرادة القول أو لأن النداء نوع من القول وقرئ يُبشِرك ويبشُرك من بشره وأبشره بيحيى إن كان أعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى وإن كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا بكلمة من الله مصدقا بعيسى مؤمنا به قيل هو أول من آمن به وسمي عيسى كلمة لأنه لم يوجد إلا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير سبب آخر وقيل مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة وسيدا الذي يسود قومه أي يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقا لقومه وفائقا للناس كلهم في أنه لم يركب سيئة قط ويا لها من سيادة وحصورا الذي لا يقرب النساء حصرا لنفسه أي منعا لها من الشهوات وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو وقد روي أنه مر في صباه بصبيان فدعوه إلى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا من الصالحين لأنه كان من أصلاب الأنبياء أو كائنا من جملة الصالحين كقوله وإنه في الآخرة لمن الصالحين أنى يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم وقد بلغني الكبر كقولهم أدركته السن العالية والمعنى أثر في الكبر فأضعفني وكانت له تسع وتسعون سنة ولامرأته
ثمان وتسعون كذلك أي يفعل الله ما يشاء من الأفعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ
الفاني والعجوز العاقر أو كذلك الله مبتدأ وخبر أي على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان له
أي يفعل ما يريد من الأفاعيل الخارقة للعادات آية علامة أعرف بها الحبل لأتلقى النعمة إذا جاءت
بالشكر قال آيتك ألا تقدر على تكليم الناس ثلاثة أيام وإنما خص تكليم الناس ليعلمه أنه يحبس لسانه
عن القدرة على تكليمهم خاصة مع إبقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وسبح
بالعشي والإبكار يعني في أيام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة فإن قلت لم حبس لسانه
عن كلام الناس قلت ليخلص المدة لذكر الله ولا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة
الجسيمة وشكرها الذي طلب الآية من أجله كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له آيتك أن تحبس
لسانك إلا عن الشكر وأحسن الجواب وأوقعه ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه إلا رمزا
إلا إشارة بيد أو رأس أو غيرهما وأصله التحرك يقال ارتمز إذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز
وقرأ يحيى بن وثاب إلا رُمُزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رَمَزا بفتحتين جمع رامز كخادم
وخدم وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله ۞ متى ما تلقني فردين ترجف ۞ روانف أليتيك وتستطارا ۞
بمعنى إلا مترامزين كما يكلم الناس الأخرس بالإشارة ويكلمهم والعشي من حين تزول الشمس إلى أن
تغيب والإبكار من طلوع الفجر إلى وقت الضحى وقرئ والأبكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر وأسحار يقال
أتيته بكرا بفتحتين فإن قلت الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثني منه قلت لما أدى مؤدى
الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما ويجوز أن يكون استثناء منقطعا يا مريم روي أنهم كلموها
شفاها معجزة لزكريا أو إرهاصا لنبوة عيسى اصطفاك أولا حين تقبلك من أمك ورباك واختصك
بالكرامة السنية وطهرك مما يستقذر من الأفعال ومما قذفك به اليهود واصطفاك آخرا على نساء
العالمين بأن وهب لك عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء اقنتي أمرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود
لكونهما من هيئات الصلاة وأركانها ثم قيل لها واركعي مع الراكعين بمعنى ولتكن صلاتك مع المصلين أي في الجماعة
أو وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل أن يكون في زمانها
من كان يقوم ويسجد في صلاته ولا يركع وفيه من يركع فأمرت بأن تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا
يركع ذلك إشارة إلى ما سبق من نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى يعني أن ذلك من الغيوب التي لم
تعرفها إلا بالوحي فإن قلت لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفي
استماع الأنباء من حفاظها وهو موهوم قلت كان معلوما عندهم علما يقينا أنه ليس من
أهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق إلا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة
نفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بأنه لا سماع له ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب الغربي
وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم أقلامهم أزلامهم وهي قداحهم التي
طرحوها في النهر مقترعين وقيل هي الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة تبركا بها

اذ يختصمون في شانها تنافسا في التكفل بها واذ قالت ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون
اقلامهم كانه قيل يلقونها ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا او يقولون
المشرفة كالصديق والفاروق واصله بالعبرانية مشيحا ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا
اينما كنت وكذلك عيسى معرب من ايشوع واشتقاقهما من المسح والعيس كالرقم في الماء فان قلت
اذ قالت بم متعلق قلت هو بدل من واذ قالت الملئكة وكونه بدلا من اذ يختصمون على ان الاختصام
والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا فان قلت لم قيل عيسى ابن مريم والخطاب لمريم
قلت لان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير اب فلا ينسب
الا الى امه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين فان قلت لم ذكر ضميرا لكلمة قلت لان المسمى
بها مذكر فان قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلاثة اشياء الاسم منها عيسى واما
المسيح والابن فلقب وصفة قلت الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكانه قيل الذي يعرف
به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة وجيها حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين ويكلم ومن
الصالحين اي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة
والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة وكونه
من المقربين رفعه الى السماء وصحبته للملئكة والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر وفي المهد
في محل النصب على الحال وكهلا عطف عليه بمعنى يكلم الناس طفلا وكهلا ومعناه يكلم الناس فيها
الحالتين بكلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ
فيها الانبياء ومن بدع التفاسير ان قولها رب نداء لجبريل بمعنى يا سيدي ونعلمه عطف على
يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدا وقرا عاصم ونافع ويعلمه بالياء فان قلت علام تحمل ورسولا
ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله اني قد جئتكم ولما بين يدي يابى حمله عليها قلت هو من مضايق
وفيه وجهان احدهما ان يضمر له وارسلت على ارادة القول تقديره ويعلمه الكتاب والحكمة ويقول
ارسلت رسولا باني قد جئتكم ومصدقا لما بين يدي والثاني ان الرسول والمصدق فيهما معنى النطق
فكانه قيل وناطقا باني قد جئتكم وناطقا باني اصدق ما بين يدي وقرا اليزيدي ورسول عطفا على كلمة
اني قد جئتكم اصله باني قد جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل واني اخلق نصب بدل من اني
قد جئتكم او جر بدل من آية او رفع على هي اني اخلق لكم وقرئ اني بالكسر على الاستئناف اي اقدر لكم شيئا
مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا فيصير طيرا
كسائر الطيور حيا طيارا وقرا عبد الله فانفخها قال [illegible] كالهيئة [illegible] بنفخ النفخة وقيل
لم يخلق غير الخفاش الاكمه الذي ولد اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه
غير قتادة ابن دعامة السدوسي صاحب التفسير وروي انه ربما اجتمع اليه خمسون الفا من المرضى من
اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده وكرر باذن الله
دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية وروي انه احيا سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر
فارنا آية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف ومصدقا
رد على قوله بآية من ربكم اي جئتكم بآية من ربكم ولاحل لكم ويجوز ان يكون مصدقا مردودا عليه اي
جئتكم بآية وجئتكم مصدقا وما حرم الله عليهم في شريعة موسى الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك
وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى بعض ذلك قيل احل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلفوا
في احلاله لهم السبت وقرئ حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدي من التوراة او الله عز وجل
او موسى لان ذكر التوراة دل عليه ولانه كان معلوما عندهم وقرئ حرم بوزن كرم وجئتكم بآية
من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي قوله ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول
لم يختلفوا فيه وقرئ بالفتح على البدل من آية وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض فان قلت كيف جعل
هذا القول آية من ربه قلت لان الله تعالى جعله له علامة يعرف بها انه رسول كسائر الرسل
حيث هداه للنظر في ادلة العقل والاستدلال ويجوز ان يكون تكريرا لقوله جئتكم بآية من ربكم
اي جئتكم بآية بعد اخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والابراء والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره
من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد ومن سائر ذلك وقرئ وجئتكم بآيات من ربكم فاتقوا الله
لما جئتكم به من الآيات واطيعوني فيما ادعوكم اليه ثم ابتدا فقال ان الله ربي وربكم ومعنى قراءة
من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله لايلاف قريش فليعبدوا ويجوز ان يكون المعنى وجئتكم بانه
على ان الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض فلما احس فلما علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما
يدرك بالحواس والى الله من صلة انصاري مضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون

انفسهم الى الله

٥٨

انفسهم الى الله ينصرونني كما ينصرني او يتعلق بمحذوف حالا من الياء اي من انصاري ذاهبا الى الله ملتجئا
اليه قال الحواريون نحن انصار الله اي انصار دينه ورسوله وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل للحضريات
الحواريات لخلوص الوانهن ونظافتهن قال فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا الا الكلاب النوابح
وفي زنة الحواري وهو الكثير الحيلة وانما طلبوا شهادته باسلامهم تاكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون
يوم القيامة لقومهم وعليهم مع الشاهدين مع الانبياء الذين يشهدون لاممهم او مع الذين يشهدون
بالوحدانية وقيل مع امة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم شهداء على الناس ومكروا الواو لكفار بني اسرائيل الذين احس
منهم الكفر ومكرهم انهم وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله ان رفع عيسى الى السماء والقى شبهه
على من اراد اغتياله حتى قتل والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على العقاب
من حيث لا يشعر المعاقب اذ قال الله ظرف لخير الماكرين او لمكر الله اني متوفيك اي مستوفي اجلك
ومعناه اني عاصمك من ان يقتلك الكفار ومؤخرك الى اجل كتبته لك ومميتك حتف انفك لا قتلا
بايديهم ورافعك الى سمائي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم وخبث صحبتهم
وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالي على فلان اذا استوفيته وقيل مميتك في وقتك
بعد النزول من السماء ورافعك الآن وقيل متوفي نفسك بالنوم من قوله والتي لم تمت في منامها ورافعك
وانت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت في السماء آمن مقرب فوق الذين كفروا الى يوم القيامة يعلونهم
بالحجة وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت
الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى فاحكم بينكم تفسير الحكم قوله فاعذبهم
نوفيهم اجورهم وقرئ فيوفيهم اجورهم بالياء ذلك اشارة الى ما سبق من نبا عيسى وغيره وهو مبتدا
خبره نتلوه ومن الآيات خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته
ومن الآيات الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم القرآن وصف بصفة من هو من سببه
او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ان مثل عيسى ان شان عيسى وحاله الغريبة كشان آدم وقوله خلقه من
تراب جملة مفسرة لما له شبه عيسى بآدم اي خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة اب ولا ام فكذلك حال عيسى فان قلت
كيف شبه به وقد وجد هو بغير اب ووجد آدم بغير اب وام قلت هو مثيله في احد الطرفين فلا يمنع
اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه شبه به في انه
وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران ولان الوجود من غير اب وام اغرب واخرق للعادة
من الوجود بغير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب
مما استغربه وعن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولى
لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة نفر واحيا حزقيل ثمانية الاف
[illegible] الاكمه والابرص [illegible] خلقه من تراب قدره
جسدا من طين ثم قال له كن اي انشاه بشرا كقوله ثم انشاناه خلقا آخر فيكون حكاية حال ماضية
الحق من ربك خبر مبتدا محذوف اي هو الحق [illegible] فلا تكن من الممترين
[illegible] على طريقة التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن حاجك
فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا [illegible]
ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة [illegible]
وانما قدمهم على الانفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل
نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار
فنجعل لعنة الله على الكاذبين [illegible]
روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر [illegible] ان محمدا نبي مرسل [illegible]
[illegible] فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم [illegible]
فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها
وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة
[illegible] فاسلموا [illegible]
[illegible] ولكن نصالحك [illegible] على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة [illegible]
ثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده
ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل

ولا استئصال الله بخراب واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وعن عائشة
ان رسول الله صلعم خرج وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله
ثم فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة
الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك امر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الابناء والنساء قلت
ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده
واحب الناس اليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه
مع احبته واعزته هلاك الاستئصال ان تمت المباهلة ومن ثم كانوا يسوقون مع انفسهم الظعائن
في الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون الذادة عنها بارواحهم حماة الحقائق وقدمهم في الذكر على
الانفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بانهم مقدمون على الانفس مفدون
بها وفيه دليل لا شيء اقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلام وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي
لانه لم يرو احد من موافق ولا مخالف انهم اجابوا الى ذلك **هذا** الذي قص عليك من نبا عيسى **لهو القصص
الحق** وقرئ بتحريك الهاء على الاصل وبالسكون لان اللام تنزل من هو منزلة بعضه فخفف كما خفف عضد
وهو اما فصل بين اسم ان وخبرها واما مبتدا والقصص الحق خبره والجملة خبر ان فان قلت لم جاز
دخول اللام على الفصل قلت اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل اجوز لانه اقرب
الى المبتدا منه واصلها ان تدخل على المبتدا ومن في قوله وما من اله الا الله بمنزلة البناء على الفتح
في لا اله الا الله في افادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم **فان الله عليم بالمفسدين**
وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون **يا اهل الكتاب**
قيل هم اهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة **سواء بيننا وبينكم** مستوية بيننا وبينكم
لا يختلف فيها القرآن والتوراة والانجيل وتفسير الكلمة قوله **الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا
بعضا اربابا من دون الله** يعني تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا
بشر مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله كقوله اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم
يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل لا ابالي اطعت
مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة وقرئ كلمة بسكون اللام وقرأ الحسن سواء بالنصب بمعنى استوت
استواء **فان تولوا** عن التوحيد **فقولوا اشهدوا بانا مسلمون** اي لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا
بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع او غيرهما اعترف باني انا الغالب وسلم لي الغلبة
ويجوز ان يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره
زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابرهيم كان منهم وجادلوا رسول الله والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية
انما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابرهيم وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفان
فكيف يكون ابرهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة **افلا تعقلون** حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال
المحال **ها انتم هؤلاء** ها للتنبيه وانتم مبتدا وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستانفة مبينة للجملة الاولى يعني انتم هؤلاء
الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التوراة والانجيل فلم تحاجون فيما ليس
لكم به علم ولا ذكر له في كتابيكم من دين ابرهيم وعن الاخفش ها انتم هو أانتم على الاستفهام فقلبت الهمزة ها
ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته **والله يعلم** ما حاججتم فيه وانتم
جاهلون به ثم اعلمهم بانه بريء من دينكم وما كان الا حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن منكم اراد بالمشركين
اليهود والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح **ان اولى الناس بابرهيم** ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب
للذين اتبعوه في زمانه وبعده **وهذا النبي** خصوصا **والذين آمنوا** من امته وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء
في اتبعوه واتبعوا هذا النبي وبالجر عطفا على ابرهيم **ودت طائفة** هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية
وما يضلون الا انفسهم وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم او
ما يقدرون على اضلال المسلمين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم **بآيات الله** بالتوراة والانجيل وكفرهم بها
انهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله وغيرها وتشهدون اعترافكم بانها آيات الله او تكفرون
بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تكفرون بآيات الله جميعا وانتم تعلمون انها
حق وقرئ **تلبسون** بالتشديد وقرأ يحيى بن وثاب تلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله
كلابس ثوبي زور وقوله اذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا **وجه النهار** اوله قال من كان مسرورا بمقتل مالك
فليأت نسوتنا بوجه نهار والمعنى اظهروا الايمان بما انزل على المسلمين في اول النهار واكفروا به في آخره لعلهم
يشكون في دينهم ويقولون ما رجعوا وهم اهل كتاب وعلم الا لامر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم وقيل
تواطأ اثنا عشر من احبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار من غير اعتقاد واكفروا به

آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه
فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه في دينهم وقيل هذا في شان القبلة لما صرفت الى الكعبة قال كعب بن الاشرف لاصحابه
آمنوا بما انزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها في اول النهار ثم اكفروا به في آخره وصلوا الى الصخرة
لعلهم يرجعون لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون **ولا تؤمنوا** متعلق بقوله ان
يؤتى احد وما بينهما اعتراض اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم
ارادوا اسروا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم
وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام **او يحاجوكم عند ربكم**
عطف على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم
يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة فان قلت فما معنى الاعتراض قلت معناه ان الهدى هدى الله
من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم
عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء يريد الهداية والتوفيق او يتم الكلام
عند قوله الا لمن تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن تبع دينكم
الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم
كان اغيظ لهم وقوله ان يؤتى معناه لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء آخر يعني ان ما بكم
من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة
ابن كثير أأن يؤتى احد بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى ألأن يؤتى احد فان قلت فما معنى قوله
او يحاجوكم على هذا قلت معناه دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم
لكم عند ربكم ويجوز ان يكون هدى الله بدلا من الهدى وان يؤتى احد خبر ان على معنى قل ان هدى الله ان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا حجتكم وقرئ ان يؤتى
احد على ان النافية وهو متصل بكلام اهل الكتاب اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد
مثل ما اوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون مثله فلا يحاجونكم ويجوز ان ينتصب ان يؤتى بفعل مضمر يدل
عليه قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم كانه قيل قل ان الهدى هدى الله فلا تنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
لان قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم انكار لان يؤتى احد مثل ما اوتوا عن ابن عباس **من ان تامنه بقنطار**
هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه **ومنهم من ان**
تامنه بدينار فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المأمونون على الكثير
النصارى لغلبة الامانة عليهم والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم **الا ما دمت عليه قائما**
الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه متوكلا بالمطالبة والتعنيف او بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقرئ دمت بكسر الدال **ذلك** اشارة الى ترك الاداء الذي دل عليه لا يؤده اي تركهم اداء الحقوق بسبب قولهم **ليس علينا في الاميين سبيل** اي لا يتطرق علينا عتاب وذم في شأن الاميين يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس اموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس انه سأله رجل فقال انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة ونقول ليس علينا في ذلك بأس فقال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم تحل لكم اموالهم الا بطيبة انفسهم **ويقولون على الله الكذب** بادعائهم ان ذلك في كتابهم **وهم يعلمون** انهم كاذبون **بلى** اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين اي بلى عليهم سبيل فيهم وقوله **من اوفى بعهده** جملة مستأنفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع الى من اوفى على ان كل من اوفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه فان قلت فهذا عام يخيل انه لو وفى اهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله قلت اجل لانهم اذا اوفوا بالعهود اوفوا اول كل شيء بالعهد الاعظم وهو ما اخذ عليهم في كتابهم من الايمان برسول الله المصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله وتحريف كلمه ويجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى على ان كل من وفى بعهد الله واتقاه فان الله يحبه ويدخل في ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر واعمال السوء فان قلت فاين الضمير الراجع من الجزاء الى من قلت عموم المتقين

قال هو مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام وفنحاص اليهودي ائتمنهما مشركة أهل الكتاب **يشترون** يستبدلون **بعهد الله** بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول المصدق لما معهم وأيمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه **ثمنا قليلا** متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقيل نزلت في أبي رافع وكنانة بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا الرشوة على ذلك وقيل جاءت جماعة من اليهود الى كعب بن الأشرف في سنة أصابتهم تمتارون فقال لهم هل تعلمون أن هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال لقد هممت أن أميركم وأكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح ومارهم

وعن الأشعث بن قيس نزلت فيّ كان بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك أو يمينه فقلت إذن يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت في رجل أقام سلعة في السوق فحلف لقد أعطي بها ما لم يعطه والوجه أن نزولها في أهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوي رجوع الضمير في بعهده الى الله **ولا ينظر إليهم** مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به وإحسانه اليه **ولا يزكيهم** ولا يثني عليهم فإن قلت أي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه قلت أصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لأن من اعتد بالانسان التفت اليه وأعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر **لفريقا** هم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب وغيرهم **يلوون ألسنتهم بالكتاب** يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف وعن أهل المدينة يلوون بالتشديد كقوله لووا رؤوسهم وعن مجاهد وابن كثير يلون ووجهه أنهم قلبوا الواو المضمومة همزة ثم خففوها بحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها فالمعنى الأمر يرجع الضمير في لتحسبوه للمدلول عليه بقوله يلوون ألسنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز أن يراد يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب **ويقولون هو من عند الله** تأكيد لقوله وما هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على أنهم لا يعرضون ولا يورّون وإنما يصرحون بأنه في التوراة هكذا وقد أنزله الله على موسى كذلك لفرط جرأتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة وعن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الأشرف غيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب **ما كان لبشر** تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى وقيل إن أبا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله و**الحكم** الحكمة وهي السنة **ولكن كونوا ربانيين** ولكن يقول كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الألف والنون كما يقال رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية أنه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الأمة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون الشارع الرباني العالم العامل المعلم **بما كنتم** بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم أوجب أن تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تؤنقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقرئ **تعلمون** من التعليم وتعلمون من التعلم **تدرسون** تقرؤون وقرئ تدرّسون من التدريس وتدرسون على أن أدرس بمعنى درّس كأكرم وكرم وأنزل ونزل ويدرسون من التدريس ويجوز أن يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناهما معنى تدرّسون من التدريس ونبه أن من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وأن السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم تثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته **ولا يأمركم** بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان أحدهما أن تجعل لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر أن يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الأنداد ثم يأمر الناس بأن يكونوا عبادا له ويأمركم **أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا** كما تقول ما كان لزيد أن أكرمه ثم يهينني ويستخف بي والثاني أن تجعل لا غير مزيدة والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة

الملكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا أنتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والأنبياء والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام أظهر وتنصرها قراءة عبد الله ولن يأمركم والضمير في ولا يأمركم وأيأمركم للبشر وقيل لله والهمزة في أيأمركم للانكار **بعد إذ أنتم مسلمون** دليل على أن المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه أن يسجدوا له **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين** فيه غير وجه أحدها أن يكون على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني أن يضيف الميثاق الى النبيين اضافته الى الموثق لا الى الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كأنه قيل وإذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الأنبياء على أممهم والثالث أن يراد ميثاق أولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف والرابع أن يراد أهل الكتاب وأن يرد على زعمهم تهكما بهم لأنهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لأنا أهل الكتاب ومنا كان النبيون وتدل عليه قراءة أبي وابن مسعود وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب واللام في لما آتيتكم لام التوطئة لأن أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما تحتمل أن تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وأن تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما آتيناكم وقرأ حمزة لما آتيتكم بكسر اللام لأجل ايتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على أن ما مصدرية والفعلان معها أعني آتيناكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لأجل أني آتيتكم الحكمة وأن الرسول الذي آمركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز أن تكون ما موصولة فإن قلت كيف يجوز ذلك والعطف على آتيناكم وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز أن يدخل تحت حكم الصلة لأنك لا تقول للذي جاءكم رسول مصدق لما معكم قلت بلى لأن ما معكم في معنى ما آتيناكم فكأنه قيل للذي آتيناكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرأ سعيد بن جبير لمّا بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الايمان به ونصرته وقيل أصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بادغامها في الميم فحذفوا إحداها فصارت لمّا ومعناه لمن أجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى **إصري** عهدي وقرئ أُصري بالضم وسمي إصرا لأنه مما يؤصر أي يشد ويعقد ومنه الإصار الذي يعقد به ويجوز أن يكون المضموم لغة في إصر كعِبر وعُبر وأن يكون جمع إصار **فاشهدوا** فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وأنا على ذلكم من إقراركم وتشاهدكم **من الشاهدين** وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع إذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة **فمن تولى بعد ذلك** الميثاق والتوكيد **فأولئك هم الفاسقون** أي المتمردون من الكفار **أفغير** دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لأنه أهم من حيث إن الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل وروي أن أهل الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابراهيم عليه السلام وكل واحد من الفريقين ادعى أنه أولى به فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من دين ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فنزلت وقرئ يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهي قراءة أبي عمرو لأن الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وقرئا بالياء معا وبالتاء معا **طوعا** بالنظر في الأدلة والانصاف من نفسه وكرها بالسيف أو بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على بني اسرائيل وإدراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يخبر عن نفسه وعمن معه بالايمان فلذلك وحد الضمير في قل وجمع في آمنا ويجوز أن يؤمر بأن يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك إجلالا من الله لقدر نبيه فإن قلت لم عدي أنزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء قلت لوجود المعنيين جميعا لأن الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر ومن قال إنما قيل علينا لقوله قل وإلينا لقوله قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لأن الرسول يأتيه الوحي على طريق الاستعلاء ويأتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف ألا ترى الى قوله بما أنزل اليك وأنزلنا اليك الكتاب والى قوله آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا **ونحن له مسلمون** موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتها **ومن يبتغ غير الاسلام** يعني التوحيد وإسلام الوجه لله **دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** الذين

ووقعوا في الحيرات مطلقا من غير تقييد للشياع وبرك ومن يبتغ غير الاسلام بالادغام كيف يهدي الله قوما كيف يلطف
بهم وليسوا من اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل على تصميمهم بانهم كفروا بعد ايمانهم وبعد
ما شهدوا بان الرسول حق وبعد ما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة وهم
اليهود كفروا بالنبي صلعم بعد ان كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات
وقيل نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت
والحارث بن سويد بن الصامت فان قلت علام عطف قوله وشهدوا قلت فيه وجهان احدهما ان يعطف
على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد ان آمنوا كقوله تعالى فأصدق وأكن وقول الشاعر ٥ مشائيم
ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب ٥ ويجوز ان تكون الواو للحال باضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا ان الرسول
حق والله لا يهدي لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم ان اللطف لا ينفعهم الا الذين تابوا من بعد ذلك
الكفر العظيم والارتداد واصلحوا ما افسدوا او دخلوا في الصلاح قيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم
على ردته وارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فاقبل الى المدينة فتاب
وقبل رسول الله صلعم توبته ٥ ثم ازدادوا كفرا هم اليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتوراة
ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقرآن او كفروا برسول الله بعد ما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا
كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين وصدهم
عن الايمان به وسخريتهم بكل آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر ان قالوا
نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وان اردنا الرجعة نافقنا باظهار التوبة فان قلت قد علم ان المرتد كيف
ما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب فما معنى لن تقبل توبتهم قلت جعلت عبارة عن الموت على
الكفر لان الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر كانه قيل ان اليهود او المرتدين الذين فعلوا
ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم فان قلت فلم قيل في احدى الآيتين لن تقبل
بغير فاء وفي الاخرى فلن تقبل قلت قد اوذن بالفاء ان الكلام بني على الشرط والجزاء وان سبب امتناع
قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك الفاء ان الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما تقول
الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم فان قلت فحين كان المعنى
لن تقبل توبتهم بمعنى الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ارتدادهم وازديادهم الكفر
لما في ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجره الى الموت على الكفر قلت لانه كم من مرتد مزداد
للكفر يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر فان قلت فاي فائدة في هذه الكناية اعني ان كنى عن الموت
على الكفر بامتناع قبول التوبة قلت الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ في شأن اولئك الفريق ٥
من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال واشدها ألا ترى ان الموت على الكفر
انما يخاف من اجل اليأس من الرحمة ذهبا نصب على التمييز وقرأ الاعمش ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي
عشرون نفسا رجال فان قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به قلت هو كلام محمول على المعنى كانه قيل فلن تقبل
من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا ويجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا
ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه وابو
يوسف ابو حنيفة تريد مثله ٥ ولا هيثم الليلة للمطي ٥ وقضية ولا ابا حسن لها ٥ يريد ولا مثل هيثم
ولا مثل ابي حسن كما انه يراد في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد انت وذلك ان المثلين يسد احدهما مسد الآخر
فكانا في حكم شيء واحد وان يراد فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا كان قد تصدق به ولو افتدى
به ايضا لم يقبل منه وقرئ فلن يقبل من احدهم ملء الارض على البناء للفاعل وهو الله عز وعلا ونصب ملء
وملء الارض بتخفيف الهمزتين لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا وقيل
لن تنالوا بر الله وهو ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون حتى تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتؤثرونها
كقوله انفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله اذا احبوا شيئا جعلوه لله وروي انها لما
نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث اراك الله
فقال صلعم بخ بخ ذاك مال رابح او مال رائج واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله
فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلعم
اسامة بن زيد فكأن زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلعم اما
ان الله تعالى قد قبلها منك وكتب عمر رضه الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولا
يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون

فاعتقها

فاعتقها ونزل بابي ذر ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني فقال وجدت خير الابل
فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وقرأ عبد الله حتى تنفقوا بعض
ما تحبون وهذا دليل على ان من في مما للتبعيض ونحوه اخذت من المال ومن في من شيء لتبيين ما تنفقوا
اي من اي شيء كان طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله عليم بكل شيء تنفقونه فمجازيكم بحسبه كل الطعام
كل المطعومات او كل انواع الطعام والحل مصدر حل الشيء حلا كقولك ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا ومنه قول
عائشة رضه كنت اطيبه لحله وحرمه ولذلك استوى في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن
حل لهم والذي حرم اسرائيل وهو يعقوب على نفسه لحوم الابل والبانها وقيل العروق وكان به عرق النسا
فنذر ان شفي ان يحرم على نفسه احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه فحرمه وقيل اشارت عليه الاطباء باجتنابه
ففعل وذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني اسرائيل من قبل انزال التوراة
وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه ابوهم اسرائيل على نفسه
فتبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم مما نعي عليهم في قوله تعالى فبظلم
من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الى قوله عذابا اليما وفي قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر
ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وجحود ما غاظهم واشمأزوا منه وامتعضوا
مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا باول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم
كانت محرمة على نوح وعلى ابراهيم ومن بعده من بني اسرائيل وهلم جرا الى ان انتهى التحريم الينا فحرمت علينا كما حرمت
على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله واكل الربا واخذ اموال الناس
بالباطل وما عدد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها
امر بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم
وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فروي انهم لم يجسروا على اخراج التوراة وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة
البينة على صدق النبي صلعم وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه فمن افترى على الله الكذب بزعمه ان ذلك كان محرما على
بني اسرائيل قبل انزال التوراة من بعد ما لزمتهم من الحجة القاطعة فاولئك هم الظالمون المكابرون الذين لا
ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات قل صدق الله تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون
اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وهي ملة الاسلام التي عليها محمد ومن
معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية
اغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي احلها الله لابراهيم ولمن تبعه وضع للناس صفة لبيت والواضع هو الله
عز وجل يدل عليه قراءة من قرأ وضع بتسمية الفاعل وهو الله ومعنى وضع الله بيتا للناس انه جعله متعبدا لهم
فكأنه قال ان اول متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله صلعم انه سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد
الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما قال اربعون سنة وعن علي رضه ان رجلا قال له اهو اول بيت قال لا
قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واول من بناه ابراهيم ثم بناه
قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن ابن عباس هو اول بيت حج بعد الطوفان
وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء
على الماء فدحيت الارض تحته وقيل هو اول بيت بناه آدم في الارض وقيل لما اهبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بالفي عام
وكان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي علم للبلد
الحرام ومكة وبكة لغتان فيه كقولهم النبيط والنميط في اسم موضع بالدهناء وقولهم امر راتب وراتم وحمى
مغمطة ومغبطة وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها
وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كانها سميت
ببكة وهي الزحمة قال ٥ اذا الشريب اخذته الاكه ٥ فخله حتى يبك بكه ٥ وقيل تبك اعناق الجبابرة اي تدقها
لم يقصدها جبار الا قصمه الله مباركا كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب
وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه المقدر في الظرف
من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم مقام ابراهيم عطف بيان لقوله آيات بينات
فان قلت كيف صح بيان الجماعة بالواحد قلت فيه وجهان احدهما ان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور
شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى ونبوة ابراهيم عليه السلم من تأثير قدمه في حجر صلد كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة
قانتا لله والثاني اشتماله على آيات لان اثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة
بعض الصخرة دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء عليهم السلم آية لابراهيم خاصة وحفظه مع كثرة
اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنين آية ويجوز ان يراد فيه آيات بينات مقام
ابراهيم وامن من دخله لان الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والاربعة ويجوز ان يذكر هاتان الآيتان
ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كانه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله

وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير: كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها. ومن قوله عليه السلام: حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنسا وقرة عيني في الصلوة. وقرا ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قتيبة: آية بينة على التوحيد وفيها دليل على ان مقام ابرهيم واحد وحده عطف بيان. **فان قلت** كيف اجزت ان يكون مقام ابرهيم والامن عطف بيان للآيات وقوله ومن دخله كان امنا جملة مستانفة اما ابتدائية واما شرطية **قلت** اجزت ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن دخله كان امنا دل على امن داخله فكانه قيل فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن داخله الا ترى انك لو قلت فيه آية بينة من دخله كان امنا صح لانه في معنى قولك فيه آية بينة امن من دخله. **فان قلت** كيف كان سبب هذا الاثر **قلت** فيه قولان احدهما انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابرهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه. وقيل انه جا زائرا من الشام الى مكة فقالت له امراة اسمعيل انزل حتى يغسل راسك فلم ينزل فجاته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الاخر فبقي اثر قدميه عليه. ومعنى ومن دخله كان امنا معنى قوله اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابرهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد امنا. وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجا الى الحرم لم يطلب. وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه. وعند ابي حنيفة من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنا فالتجا الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج. وقيل امنا من النار. وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة امنا. وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة. وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر. وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام. من استطاع بدل من الناس. وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه اكثر العلما. وعن ابن الزبير هو على قدر القوة. ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد. وعن الضحاك اذا قدر ان يؤجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج. والضمير في اليه للبيت او للحج وكل ما اتى الى الشي فهو سبيل اليه. وفي هذا الكلام انواع من التوكيد والتشديد منها قوله ولله على الناس حج البيت يعني انه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن ادائه والخروج عن عهدته. ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل عنه من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان من التاكيد احدهما ان الابدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين. ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شا يهوديا او نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر. ومنها ذكر الاستغنا عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان. ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغنا عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغنا لا محالة ولانه يدل على الاستغنا الكامل فكان ادل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه. وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب. وروي انه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر. وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة. وروي حجوا قبل ان لا تحجوا حجوا قبل ان يمنع البر جانبه. وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تاكل منها دابة الا نفقت. وعن ابن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا. وقرئ حج البيت بالكسر. والله شهيد الواو للحال والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد والحال ان الله شهيد على اعمالكم فمجازيكم عليها وهذه الحال توجب ان لا تجترئوا على الكفر بآياته. تصدون من اصدّه عن سبيل الله عن دين حق علم انه سبيل الله التي امر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم. وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله. تبغونها عوجا تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة. **فان قلت** كيف تبغونها عوجا وهو محال **قلت** فيه معنيان احدهما انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك. والثاني انكم تتعبون انفسكم في اخفا الحق وابتغا ما لا يتاتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم. وانتم شهدا انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل او وانتم شهدا بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم امورهم وهم الاحبار.

وما الله بغافل

يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين

وما الله بغافل وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال. قيل مر شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تالفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار. فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بين قلوبكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان يوم اقبح اولا واحسن اخرا من ذلك اليوم. وكيف تكفرون معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله وهي القران المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية وبين اظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم. ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه ويجوز ان يكون حثا لهم على الالتجا اليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم. فقد هدي فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا. ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده. حق تقاته واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيا. وعن عبد الله هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا. وقيل هو ان لا تاخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه. وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه. والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتاد. ولا تموتن معناه ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت كما تقول لمن تستعين به على لقا العدو لا تاتني الا وانت على خيل فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الاتيان. قوله اعتصموا بحبله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يامن انقطاعه وان يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد او ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه. والمعنى واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه او واجتمعوا على التمسك بعهده الى عباده وهو الايمان والطاعة او بكتابه لقول النبي صلى الله عليه وسلم القران حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم. ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويحاربه او ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التي انتم عليها مما ياباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك بالاسلام. كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة فالف الله بين قلوبهم بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا اخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على امر واحد قد نظم بينهم وازال الاختلاف وهو الاخوة في الله. وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بينهم العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة الى ان اطفا الله ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم. وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر. فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وانما انث لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال: كما شرقت صدر القناة من الدم. وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتانيث ولامها واو الا انها في المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة. **فان قلت** كيف جعلوا على حرف حفرة من النار **قلت** لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها. كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى. ولتكن منكم امة من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه عبث كالانكار على اصحاب الماصر والجلادين واضرابهم. وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا امة تامرون كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون. واولئك هم المفلحون هم الاخصا بالفلاح دون غيرهم. وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال امرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم. وعنه عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه. وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله

غضب الله له • وعن حذيفة يأتي على الناس زمان تكون فيهم جيفة الحمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر • وعن سفيان الثوري إذا كان الرجل محبباً في جيرانه محموداً عند إخوانه فاعلم أنه مداهن • والأمر بالمعروف تابع للمأمور به إن كان واجباً فواجب وإن كان ندباً فندب وأما النهي عن المنكر فواجب كله لأن جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح **فإن قلت** ما طريق الوجوب **قلت** قد اختلف فيه الشيخان رحمهما الله فعند أبي علي السمع والعقل وعند أبي هاشم السمع وحده **فإن قلت** ما شرائط النهي **قلت** أن يعلم الناهي أن ما ينكره قبيح لأنه إذا لم يعلم لم يأمن أن ينكر الحسن وأن لا يكون ما ينهى عنه واقعاً لأن الواقع لا يحسن النهي عنه وإنما يحسن الذم عليه والنهي عن أمثاله وأن لا يغلب على ظنه أن المنهي يزيد في منكراته وأن لا يغلب على ظنه أن نهيه لا يؤثر لأنه عبث **فإن قلت** فما شروط الوجوب **قلت** أن يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو أن يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر بإعداد الآلة وأن لا يغلب على ظنه أنه إن أنكر لحقته مضرة عظيمة **فإن قلت** كيف يباشر الإنكار **قلت** يبتدئ بالسهل فإن لم ينفع ترقى إلى الصعب لأن الغرض كف المنكر قال الله تعالى فأصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا **فإن قلت** فمن يباشر **قلت** كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد أجمعوا على أن من رأى غيره تاركاً للصلاة وجب عليه الإنكار لأنه معلوم قبحه لكل أحد وأما الإنكار الذي [مشطوب] بالقتال فالإمام وخلفاؤه أولى لأنهم أعلم بالسياسة ومعهم عدتها **فإن قلت** فمن يؤمر وينهى **قلت** كل مكلف وغير المكلفين إذا هموا بضرر غيرهم منعوا كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤخذون بالصلاة ليمرنوا عليها **فإن قلت** هل يجب على مرتكب المنكر أن ينهى عما يرتكبه **قلت** نعم لأن ترك ارتكابه وإنكاره واجبان عليه فبتركه أحد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن السلف مروا بالخير وإن لم تفعلوا • وعن الحسن أنه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا أقول ما لا أفعل فقال وأينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر أحد بمعروف ولا ينهى عن منكر **فإن قلت** كيف قيل يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف **قلت** الدعاء إلى الخير عام في التكاليف من الأفعال والتروك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص إيذاناً بفضله كقوله والصلاة الوسطى كالذين تفرقوا واختلفوا وهم اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق وقيل هم مبتدعو هذه الأمة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية وأشباههم يوم تبيض وجوه نصب بالظرف وهو لهم أو بإضمار اذكروا وقرئ تبيض وجوه وتسود بكسر حرف المضارعة وتبياض وتسواد والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من أهل الحق وسم ببياض اللون وإسفاره وإشراقه وابيضت صحيفته وأشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل وأهله أكفرتم فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر أنهم أهل الكتاب وكفرهم بعد الإيمان تكذيبهم برسول الله مع اعترافهم به قبل مجيئه • وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والأنصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل أهل البدع والأهواء • وعن أبي أمامة هم الخوارج ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت أديم السماء وخير قتلى تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له أبو غالب أتقوله برأيك أم شيء سمعته من رسول الله ﷺ قال بل سمعته من رسول الله ﷺ غير مرة قال فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من أهل الإسلام فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم أخذ بيده فقال إن بأرضك منهم كثيراً فأعاذك الله منهم • وقيل هم جميع الكفار لإعراضهم عما أوجبه الإقرار حين أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى • ففي رحمة الله ففي نعمته وهو الثواب المخلد **فإن قلت** كيف موقع قوله هم فيها خالدون بعد قوله ففي رحمة الله **قلت** موقع الاستئناف كأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون تلك آيات الله الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه وما الله يريد ظلماً فيأخذ أحداً بغير جرم أو يزيد في عقاب مجرم أو ينقص من ثواب محسن ونكر ظلماً وقال للعالمين على معنى ما يريد شيئاً من الظلم لأحد من خلقه فسبحان من يحلم عمن يصفه بإرادة القبائح والرضى بها كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الإبهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله تعالى وكان الله غفوراً رحيماً ومنه قوله كنتم خير أمة كأنه قيل وجدتم خير أمة وقيل كنتم في علم الله خير أمة وقيل كنتم في الأمم قبلكم مذكورين بأنكم خير أمة موصوفين به أخرجت أظهرت وقوله تأمرون كلام مستأنف بين به كونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم وتؤمنون بالله جعل الإيمان بكل ما يجب الإيمان به إيماناً بالله لأن من آمن ببعض ما يجب الإيمان به من رسول الله ﷺ أو كتاب أو بعث أو حساب أو عقاب أو ثواب أو غير ذلك لم يعتد بإيمانه فكأنه غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر

ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً والدليل عليه قوله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم لكان الإيمان خيراً لهم مما هم عليه لأنهم إنما آثروا دينهم على دين الإسلام حباً للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والأتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لأجله مع الفوز بما وعدوه على الإيمان من إيتاء الأجر مرتين منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام وأصحابه وأكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر لن يضروكم إلا أذى إلا ضرراً مقتصراً على أذى بقول من طعن في الدين أو تهديد أو نحو ذلك وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار منهزمين ولا يضروكم بقتل أو أسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من أحد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن أسلم منهم لأنهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وأنهم لا يقدرون أن يتجاوزوا الأذى بالقول إلى ضرر يبالى به مع أنه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وأن عاقبة أمرهم الخذلان والذل **فإن قلت** هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون **قلت** عدل به عن حكم الجزاء إلى حكم الإخبار ابتداء كأنه قيل ثم أخبركم أنهم لا ينصرون **فإن قلت** فأي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى **قلت** لو جزم لكان نفي النصر مقيداً بمقاتلتهم كتولية الأدبار وحين رفع كان نفي النصر وعداً مطلقاً كأنه قيل ثم شأنهم وقصتهم التي أخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية أنهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم أمر وكان كما أخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر **فإن قلت** فما الذي عطف عليه هذا الخبر **قلت** جملة الشرط والجزاء كأنه قيل أخبركم أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم أنهم لا ينصرون **فإن قلت** فما معنى التراخي في ثم **قلت** التراخي في المرتبة لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليتهم الأدبار **فإن قلت** ما موقع الجملتين أعني منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون **قلت** هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند إجراء ذكر أهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر فلان فإن من شأنه كيت وكيت ولذلك جاء من غير عاطف بحبل من الله في محل النصب على الحال بتقدير إلا معتصمين أو متمسكين أو ملتبسين بحبل من الله وهو استثناء من أعم عام الأحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين أي لا عز لهم قط إلا هذه الواحدة وهي التجاؤهم إلى الذمة لما قبلوه من الجزية وباؤوا بغضب من الله استوجبوه وضربت عليهم المسكنة كما يضرب البيت على أهله فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه والملائكة والناس أجمعين ذلك إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب من الله أي ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء ثم قال ذلك بما عصوا أي ذلك كائن بسبب عصيانهم لله تعالى واعتدائهم لحدوده ليعلم أن الكفر وحده ليس بسبب في استحقاق سخط الله تعالى وأن سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه مما حكيناه حطيئاً نعم اعتدوا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل ليسوا سواء الضمير في ليسوا لأهل الكتاب أي ليس أهل الكتاب مستوين وقوله من أهل الكتاب أمة قائمة كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون بالمعروف بياناً لقوله كنتم خير أمة أمة قائمة مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين أسلموا منهم وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود لأنه أبين لما يفعلون وأدل على حسن صورة أمرهم وقيل عنى صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها • وعن ابن مسعود أخر رسول الله ﷺ صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية وقوله يتلون يؤمنون في محل الرفع صفتان لأمة أي أمة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الإيمان بالله لأن إيمانهم به كلا إيمان لإشراكهم به عزيراً وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الإيمان باليوم الآخر لأنهم يصفونه بخلاف صفته ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لأنهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لأن من رغب في الأمر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي وأولئك الموصوفون بما وصفوا به من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز أن يريد بالصالحين المسلمين فلن تكفروه لما جاء وصف الله عز وجل بالشكر في قوله والله شكور حليم في معنى توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك **فإن قلت** لم عدي إلى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان إلا إلى واحد تقول شكر النعمة وكفرها **قلت** ضمن معنى الحرمان فكأنه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه وقرئ يفعلوا ويكفروه بالياء والتاء والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على أنه لا يفوز عنده إلا أهل التقوى الصر الريح الباردة نحو الصرصر قال

لا تعدلن أتاويين تضربهم • نكباء صر بأصحاب المحلات

وقالت ليلى الأخيلية ترثي توبة بن الحمير

ولم يغلب الخصم الألد وتملأ الـ • جفان سديفاً يوم نكباء صرصر

فإن قلت فما معنى قوله ريح فيها صر **قلت** فيه أوجه أحدها أن الصر في صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى

نبهاء ترى حرسا تقول برد بارد على المبالغة والثاني أن يكون الصر مصدرا في الأصل بمعنى البرد فجيء به على أصله
والثالث أن يكون من قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ومن قولك إن ضيعني فلان
ففي الله كاف وكافل قال ٥ وفي الرحمن للضعفاء كاف ٥ شبه ما كانوا ينفقون من أموالهم
في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله تعالى بالزرع
الذي حسه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به إلى الله مع كفرهم وقيل ما أنفقوا
في عداوة رسول الله صلعم فضاع عنهم لأنهم لم يبلغوا بإنفاقه ما أنفقوه لأجله وشبه بحرث قوم ظلموا
أنفسهم فأهلك عقوبة لهم على معاصيهم لأن الإهلاك عن سخط أشد وأبلغ **فإن قلت** الغرض تشبيه
ما أنفقوا في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون
ممثلا بالريح **قلت** هو من التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله كمثل الذي استوقد نارا ويجوز أن يراد
مثل إهلاك الله ما ينفقون كمثل إهلاك ريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ
تنفقون بالتاء **وما ظلمهم الله** الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم ولكنهم
ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول أو لأصحاب الحرث الذين ظلموا أنفسهم أي ما ظلمهم الله
بإهلاك حرثهم ولكنهم ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد بمعنى ولكن أنفسهم
يظلمونها هم ولا يجوز أن يراد ولكنه أنفسهم يظلمون على إسقاط ضمير الشأن لأنه إنما يجوز في الشعر
بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيه الذي يفضي إليه بشقوره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان
شعاري وعن النبي صلعم الأنصار شعار والناس دثار **من دونكم** من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون
ويجوز تعلقه بلا تتخذوا وبطانة على الوصف أي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم خبالا
يقال ألا في الأمر يألو إذا قصر فيه ثم استعمل معدى إلى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا
على التضمين والمعنى لا أمنعك نصحا ولا أنقصكه والخبال الفساد **ودوا ما عنتم** ودوا عنتكم على أن
ما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة وأصله انهياض العظم بعد جبره أي تمنوا أن يضروكم في
دينكم ودنياكم أشد الضرر وأبلغه **قد بدت البغضاء من أفواههم** لأنهم لا يتمالكون مع ضبطهم أنفسهم
وتحاملهم عليها أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وعن قتادة قد بدت البغضاء
لأوليائهم من المنافقين والكفار لإطلاع بعضهم بعضا على ذلك وفي قراءة عبد الله قد بدا البغضاء
قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الإخلاص في الدين وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه **إن كنتم
تعقلون** ما بين لكم فعملتم به **فإن قلت** كيف موقع هذه الجمل **قلت** يجوز أن يكون لا يألونكم صفة للبطانة
وكذلك قد بدت البغضاء كأنه قيل بطانة غير مانعيكم خبالا بادية بغضاؤهم وأما قد بينا فكلام مبتدأ
وأحسن منه وأبلغ أن تكون مستأنفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة **ها** للتنبيه
وأنتم مبتدأ **وأولاء** خبره أي أنتم أولاء الخاطئون في موالاة منافقي أهل الكتاب وقوله تحبونهم ولا يحبونكم
بيان لخطئهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لأهل البغضاء وقيل أولاء موصول تحبونهم صلته
والواو في وتؤمنون للحال وانتصابها من لا يحبونكم أي لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم كله وهم
مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بأنهم في باطلهم
أصلب منكم في حقكم ونحوه فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ويوصف المغتاظ
والنادم بعض الأنامل والبنان والإبهام قال الحارث بن ظالم المري ٥
فأقتل أقواما لئاما أذلة ٥ يعضون من غيظ رؤوس الأباهم ٥ **قل موتوا بغيظكم** دعاء عليهم بأن يزداد
غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الإسلام وعز أهله وما لهم
في ذلك من الذل والخزي والتبار **إن الله عليم بذات الصدور** فهو يعلم ما في صدور المنافقين من
الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو كلام داخل في جملة المقول أو خارج منه
فإن قلت فكيف معناه على الوجهين **قلت** إذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه أخبرهم بما يسرونه
من عضهم الأنامل غيظا إذا خلوا وقل لهم إن الله عليم بما هو أخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات
الصدور فلا تظنوا أن شيئا من أسراركم يخفى عليه وإذا كان خارجا فمعناه قل لهم ذلك يا محمد ولا
تتعجب من إطلاعي إياك على ما يسرون فإني أعلم ما هو أخفى من ذلك وهو ما أضمروه في صدورهم
لم يظهروه بألسنتهم ويجوز أن لا يكون ثم قول وأن يكون قوله قل موتوا بغيظكم أمرا لرسول
الله بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله أن يهلكوا غيظا بإعزاز الإسلام وإذلالهم
به كأنه قيل حدث نفسك بذلك **الحسنة** الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع
والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير
ويشمتون بهم فيما أصابهم من الشدة **فإن قلت** كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالإصابة

وقد المس مستعار

قلت المس مستعار لمعنى الإصابة فكان المعنى واحدا ألا ترى إلى قوله تعالى إن تصبك حسنة تسؤهم وإن
تصبك مصيبة ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك إذا مسه الشر جزوعا وإذا
مسه الخير منوعا **وإن تصبروا** على عداوتهم **وتتقوا** ما نهيتم عنه من موالاتهم أو وإن تصبروا على تكاليف الدين
ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم وقرئ لا يضركم من ضاره
يضيره ويضركم على أن ضمة الراء لإتباع ضمة الضاد كقولك مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم
بفتح الراء وهذا تعليم من الله وإرشاد إلى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال
الحكماء إذا أردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك **إن الله بما يعملون** من الصبر والتقوى وغيرهما
محيط ففاعل بكم ما أنتم أهله وقرئ بالياء بمعنى أنه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه واذكر **إذ غدوت من أهلك**
بالمدينة وهو غدوه إلى أحد من حجرة عائشة رضي الله عنها روي أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فاستشار
رسول الله صلعم أصحابه ودعا عبد الله بن أبي ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله
وأكثر الأنصار يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا
ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم
الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وإن رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله
اخرج بنا إلى هؤلاء الأكلب لا يرون أنا قد جبنا عنهم فقال عليه السلام إني قد رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي
فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها
المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة
يوم أحد اخرج بنا إلى أعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لأمته فلما رأوه قد لبس لأمته ندموا وقالوا
بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحي يأتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي
أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت
للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف أصحابه للقتال كأنما يقوم بهم القدح إن رأى صدرا خارجا
قال تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وأمّر عبد الله بن جبير على الرماة
وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا **تبوئ المؤمنين** تنزلهم وقرئ عبد الله للمؤمنين بمعنى
تسوي لهم وتهيئ **مقاعد للقتال** مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى أجريا مجرى صار
واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق قبل أن تقوم من مقامك من مجلسك
وموضع حكمك **والله سميع** لأقوالكم **عليم** بنياتكم وضمائركم **إذ همت** بدل من إذ غدوت أو عمل فيه معنى سميع عليم والطائفتان
حيان من الأنصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وهما الجناحان خرج رسول الله صلعم في ألف
والمشركون في ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح إن صبروا فانخزل عبد الله بن أبي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل
أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري فقال أنشدكم الله والإسلام في نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله
لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلعم والظاهر أنها ما كانت
إلا همة وحديث نفس كما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها إلى الثبات والصبر
ويوطنها على احتمال المكروه كما قال عمرو بن الإطنابة ٥ أقول لها إذا جشأت وجاشت ٥ مكانك تحمدي أو تستريحي ٥
ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية والله يقول **والله وليهما** ويجوز أن يراد والله ناصرهما ومتولي أمرهما
فما لهما يفشلان ولا يتوكلان على الله **فإن قلت** فما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الآية والله ما يسرنا
أنا لم نهم بالذي هممنا به وقد أخبرنا الله بأنه وليهما **قلت** معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف
بثناء الله وإنزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية وأن تلك الهمة غير المأخوذ بها لأنها لم تكن عن عزيمة وتصميم
كانت سببا لنزولها والفشل الجبن والخور وقرأ عبد الله والله وليهم كقوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
وعلى الله فليتوكل المؤمنون أمرهم بأن لا يتوكلوا إلا عليه ولا يفوضوا أمورهم إلا إليه **ببدر** ماء بين مكة والمدينة
كان لرجل يسمى بدرا فسمي به **وأنتم أذلة** حال من الضمير وإنما قال أذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم وذلتهم
ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك أنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم
على البعير الواحد وما كان معهم إلا فرس واحد وقلتهم أنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم في حال كثرة
زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة **فاتقوا الله** في الثبات مع رسوله **لعلكم
تشكرون** بتقواكم ما أنعم به عليكم أو لعلكم ينعم الله عليكم نعمة أخرى تشكرونها

توضع الشكر موضع الإنعام لأنه سبب له إذ تقول ظرف لنصركم على أن يقول لهم ذلك يوم بدر أو بدل ثان من إذ غدوت على أن يقوله لهم يوم أحد فإن قلت كيف يصح أن يقول لهم يوم أحد ولم تنزل فيه الملائكة قلت قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا على الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا أمر رسول الله فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت وإنما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى ألن يكفيكم إنكار أن لا يكفيهم الإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة وإنما جيء بلن الذي هو لتأكيد النفي للإشعار بأنهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر وبلى إيجاب لما بعد لن يعني بلى يكفيكم الإمداد بهم فأوجب الكفاية ثم قال وإن تصبروا وتتقوا يمددكم بأكثر من ذلك العدد مسومين للقتال ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره إلى غزوة أخرى وجاء فلان ورجع من فوره ومنه قول أبي حنيفة رحمه الله الأمر على الفور لا على التراخي وهو مصدر من فارت القدر إذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث والمعنى أنهم إن يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملائكة في حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم يريد أن الله يعجل نصركم وييسر فتحكم إن صبرتم واتقيتم وقرئ منزلين بالتشديد ومنزلين بكسر الزاي يعني منزلين النصر ومسومين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلمين ومعلمين أنفسهم أو خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الأبيض في نواصي الدواب وأذنابها وعن مجاهد مجزوزة أذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه تسوموا فإن الملائكة قد تسومت وما جعله الله إلا بشرى لكم أي وما جعل الله إمدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم بأنكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة لبني إسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم وما النصر إلا من عند الله لا من عند المقاتلة إذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذكر الإمداد بهم مما يقوي به الله رجاء النصر والطمع في الرحمة ويربط به على قلوب المجاهدين العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم أو يكبتهم أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده إذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول أبي الطيب: لأكبت حاسدا وأرى عدوا. هو من الكبد والرئة واللام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله أو بقوله وما النصر إلا من عند الله أو يتوب عطف على ما قبله وليس لك من الأمر شيء اعتراض والمعنى أن الله مالك أمرهم فإما أن يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم إن أسلموا أو يعذبهم إن أصروا على الكفر وليس لك من أمرهم شيء إنما أنت عبد مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم وقيل إن يتوب منصوب بإضمار أن وأن يتوب في حكم اسم معطوف بأو على الأمر أو على شيء أي ليس لك من أمرهم شيء أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم أو ليس لك من أمرهم شيء والتوبة عليهم أو تعذيبهم وقيل أو بمعنى إلا أن كقولك لألزمنك أو تعطيني حقي على معنى ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شجه عتبة بن أبي وقاص يوم أحد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم فنزلت وقيل أراد أن يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه أن فيهم من يؤمن وعن الحسن رحمه الله يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء أن يغفر إلا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء أن يعذب إلا المستوجبين للعذاب وعن عطاء يغفر لمن يتوب إليه ويعذب من لقيه ظالما وإتباعه قوله أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون تفسير بين لمن يشاء وأنهم المتوب عليهم أو الظالمون ولكن أهل الأهواء والبدع يتصامون ويتعامون عن آيات الله فيخبطون خبط عشواء ويطيبون أنفسهم بما يفترون على ابن عباس من قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة نهي عن الربا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم إذا بلغ الدين محله زاد في الأجل فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون واتقوا النار التي أعدت للكافرين كان أبو حنيفة رحمه الله يقول هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه في اجتناب محارمه وقد أمد ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله ومن تأمل هذه الآيات وأمثالها لم يحدث نفسه بالأطماع الفارغة والتمني على الله وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وإن قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة إصابة رضا الله وعزة التوصل إلى رحمته وثوابه في مصاحف أهل المدينة والشام سارعوا بغير واو وقرأ الباقون بالواو وهو في مصحف قراءة أبي وعبد الله وسابقوا ومعنى المسارعة إلى المغفرة

والجنة

والجنة الإقبال على ما يستحقان به عرضها السماوات والأرض أي عرضها عرض السماوات والأرض كقوله عرضها كعرض السماء والأرض والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه وخص العرض لأنه في العادة أدنى من الطول للمبالغة كقوله بطائنها من إستبرق وعن ابن عباس رضي الله عنهما كسبع سماوات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض في السراء والضراء في حال الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر لا يخلون بأن ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من كثير أو قليل كما يحكى عن بعض السلف أنه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة رضي الله عنها أنها تصدقت بحبة عنب أو في جميع الأحوال لأنها لا تخلو من حال مسرة ومضرة لا يمنعهم حال فرح وسرور ولا حال محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس أو في حبس فإنه لا يدع الإحسان وافتتح بذكر الإنفاق لأنه أشق شيء على النفس وأدله على الإخلاص ولأنه كان في ذلك الوقت أعظم الأعمال للحاجة إليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين والكاظمين الغيظ من كظم القربة إذا ملأها وشد فاها وكظم البعير إذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو أن يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثرا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا وعن عائشة رضي الله عنها أن خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء والعافين عن الناس إذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه وروي ينادي مناد يوم القيامة أين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم إلا من عفا وعن ابن عيينة أنه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه وعن النبي صلى الله عليه وسلم إن هؤلاء في أمتي قليل إلا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الأمم التي مضت والله يحب المحسنين يجوز أن تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون وأن يكون للعهد فتكون إشارة إلى هؤلاء والذين عطف على المتقين أي أعدت للمتقين وللتائبين وقوله أولئك إشارة إلى الفريقين ويجوز أن يكون والذين مبتدأ خبره أولئك فاحشة فعلة متزايدة القبح أو ظلموا أنفسهم أو أذنبوا أي ذنب كان مما يؤاخذون به وقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ذكروا الله تذكروا عقابه أو وعيده أو نهيه أو حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين ومن يغفر الذنوب إلا الله وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وأن التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وأنه لا مفزع للمذنبين إلا فضله وكرمه وأن عدله يوجب المغفرة للتائب لأن العبد إذا جاء في الاعتذار والتنصل بأقصى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وأن الذنوب وإن جلت فإن عفوه أجل وكرمه أعظم والمعنى أنه وحده معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يصروا ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار وهم يعلمون حال من فعل الإصرار وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لأنه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الآيات بيان قاطع أن الذين آمنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرون وأن الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه قال أجر العاملين بعد قوله جزاؤهم لأنهما في معنى واحد وإنما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على أن ذلك جزاء واجب على عمل وأجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون وروي أن الله عز وجل أوحى إلى موسى ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف أجود برحمتي على من يبخل بطاعتي وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن الحسن يقول الله يوم القيامة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم وعن رابعة البصرية أنها كانت تنشد: ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها. إن السفينة لا تجري على اليبس. والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم أجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن يريد ما سنه الله في الأمم المكذبين من وقائعه كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل لم لا تجدون ولنا والأنصار سنة الله التي قد خلت من قبل هذا بيان للناس إيضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم وهدى وموعظة للمتقين يعني أنه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين ويجوز أن يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الإيمان وما يستحق به ما ذكر من أجر العاملين ويكون قوله هذا بيان إشارة إلى ما لخص وبين من أمر المتقين والتائبين والمصرين ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما أصابهم يوم أحد وتقوية من قلوبهم يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم أي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح وأنتم الأعلون وحالكم أنكم أعلى منهم وأغلب لأنكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد أو وأنتم الأعلون شأنا لأن قتالكم لله ولإعلاء كلمته وقتالهم للشيطان لإعلاء كلمة الكفر ولأن قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار أو هي بشارة لهم بالعلو والغلبة أي وأنتم الأعلون في العاقبة وإن جندنا لهم الغالبون إن كنتم مؤمنين متعلق بالنهي بمعنى ولا تهنوا إن صح إيمانكم على أن صحة الإيمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة بأعدائه أو بالأعلون أي إن كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة قرح قرئ بفتح القاف وضمها لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها وقرئ

وقرئ أبو السمال قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم تضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فأنتم أولى أن لا تضعفوا ونحوه فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون. وقيل كان ذلك يوم أحد فقد نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن قلت كيف قيل قرح مثله وما كان قرحهم يوم أحد مثل قرح المشركين قلت بل كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار ألا ترى إلى قوله ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون وتلك الأيام تلك مبتدأ والأيام صفته ونداولها خبره ويجوز أن يكون تلك الأيام مبتدأ وخبرا كما تقول هي الأيام تبلي كل جديد والمراد بالأيام أوقات الظفر والغلبة. نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كقوله وهو من أبيات الكتاب: فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر. وفي أمثالهم الحرب سجال. وعن أبي سفيان أنه صعد الجبل يوم أحد فمكث ساعة ثم قال أين ابن أبي كبشة أين ابن أبي قحافة أين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أبو بكر وها أنا عمر فقال أبو سفيان يوم بيوم والأيام دول والحرب سجال فقال عمر رضي الله عنه لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال إنكم تزعمون ذلك فقد خبنا إذن وخسرنا والمداولة مثل المعاورة قال: يرد المياه فلا يزال تداولا في الناس بين تمثل وسماع. يقال داولت بينهم الشيء فتداولوه وليعلم الله الذين آمنوا فيه وجهان أحدهما أن يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون على الإيمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل يعني فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم من الثابت على الإيمان منكم من غير الثابت وإلا فالله عز وجل لم يزل عالما بالأشياء قبل كونها وقيل معناه وليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو أن يعلمهم موجودا منهم الثبات والثاني أن تكون العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وإنما حذف للإيذان بأن المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم أن العبد يسوءه ما يجري عليه من المصائب ولا يشعر أن لله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم أحد أو ليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الأمم يوم القيامة بما يبتلي به صبركم من الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض التعليل وبعض معناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الإيمان المجاهدين في سبيل الله الممحصين من الذنوب وليمحص التمحيص التطهير والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني إن كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو أصلح لهم وإن كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار ولما يعلم الله بمعنى ولما تجاهدوا لأن العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لأنه منتف بانتفائه يقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه الله ولما بمعنى لم إلا أن فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني أن يفعل كذا ولما تريد ولم يفعل وأنا أتوقع فعله وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل أراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين نصب بإضمار أن والواو بمعنى الجمع كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن وقرأ الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث عن أبي عمرو ويعلم بالرفع على أن الواو للحال كأنه قيل ولما تجاهدوا وأنتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون أن يحضروا مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم الذين ألحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى المشركين وكان رأيه في الإقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رأيتموه وأنتم تنظرون أي رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين أيديكم من قتل من إخوانكم وأقاربكم وشارفتم أن تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بإلحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده فإن قلت كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم قلت قصد متمني الشهادة إلى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه إلى ذلك المتضمن كما أن من يشرب دواء الطبيب النصراني قاصد إلى حصول المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة وإحسان إلى عدو الله وتنفيقا لصناعته ولقد قال عبد الله بن رواحة حين نهض إلى مؤتة وقيل له ردكم الله:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ۝ وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا ۝
أو طعنة بيدي حران مجهزة ۝ بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا ۝
حتى يقولوا إذا مروا على جدثي ۝ أرشدك الله من غاز وقد رشدا ۝

لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه أقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم أحد حتى قتله ابن قمئة وهو يرى أنه رسول الله فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا إن محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفئوا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى عباد الله حتى انحازت إليه طائفة من أصحابه فلامهم على هزيمتهم

فقالوا

فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت. وروي أنه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن أبي يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم إن كان قد قتل محمد فإن رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل. وعن بعض المهاجرين أنه مر بأنصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان أشعرت أن محمدا قد قتل فقال إن كان قد قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم والمعنى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه لأن الغرض من بعثة الرسل تبليغ الرسالة وإلزام الحجة لا وجوده بين أظهر قومه أفإن مات الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة التي قبلها على معنى التسبيب والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل مع علمهم أن خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب أن يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم لا للانقلاب عنه فإن قلت لم ذكر القتل وقد علم أنه لا يقتل قلت لكونه مجوزا عند المخاطبين فإن قلت أما علموه من ناحية قوله والله يعصمك من الناس قلت هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة ألا ترى أنهم سمعوا الخبر بقتله فهربوا على أنه يحتمل العصمة من فتنة الناس وإضلالهم والانقلاب على الأعقاب الإدبار عما كان رسول الله يقوم به من أمر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد أحد من المسلمين ذلك اليوم إلا ما كان من قول المنافقين ويجوز أن يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله وإسلامه فلن يضر الله شيئا يعني فما ضر إلا نفسه لأن الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع وسيجزي الله الشاكرين الذين لم ينقلبوا كأنس بن النضر وأضرابه وسماهم شاكرين لأنهم شكروا نعمة الإسلام فيما فعلوا المعنى أن موت الأنفس محال أن يكون إلا بمشيئة الله فأخرجه مخرج فعل لا ينبغي لأحد أن يقدم عليه إلا بأن يأذن الله له فيه تمثيلا ولأن ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له أن يقبض نفسا إلا بإذن من الله وهو على معنيين أحدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو بإعلامهم أن الحذر لا ينفع وأن أحدا لا يموت قبل بلوغ أجله وإن خوض المهالك واقتحم المعارك والثاني ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو والتفافهم عليه وإسلامهم له من نفعه للمحتلين من الحفظ والكلاءة وتأخير الأجل كتابا مصدر مؤكد لأن المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا موقتا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد نؤته منها أي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وقرئ يؤته وسيجزي بالياء فيهما وكأين قاتل وقتل بالتشديد والفاعل ربيون أو ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه بمعنى قتل كائنا معه ربيون والقراءة بالتشديد تنصر الوجه الأول وعن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون الربانيون وقرئ بالحركات الثلاث فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب وقرئ فما وهنوا بكسر الهاء والمعنى فما وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبي في طلب الأمان من أبي سفيان وما كان قولهم إلا أن قالوا وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا والدعاء بالاستغفار منها مقدما على طلب تثبيت الأقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون طلبهم إلى ربهم عن زكاء وطهارة وخضوع أقرب إلى الاستجابة فآتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وأنه هو المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة إن تطيعوا الذين كفروا قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن إن تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لأنهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم وإنما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوم له ويوم عليه وعن السدي إن تستكينوا لأبي سفيان وأصحابه وتستأمنوهم يردوكم إلى دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار وأن على المؤمنين أن يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم ولا على مشورتهم حتى لا يستجروهم إلى موافقتهم بل الله مولاكم أي ناصركم لا تحتاجون معه إلى نصرة أحد وولايته وقرئ بالنصب على بل أطيعوا الله مولاكم سنلقي قرئ بالنون والياء والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم أحد فانهزموا إلى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا إلى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله الرعب في قلوبهم فأمسكوا بما أشركوا بسبب إشراكهم أي كان السبب في إلقاء الله الرعب في قلوبهم إشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا آلهة لم ينزل الله بإشراكها حجة فإن قلت كأن هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الإشراك قلت لم يعن أن هناك حجة إلا أنها لم تنزل عليهم

لأن الشرك لا تستحيل أن تقوم عليه حجة وإنما المراد نفي الحجة ونزولها جميعاً كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر ⁕ ولقد صدقكم الله وعده وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ويجوز أن يكون الوعد قوله سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما تنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا إلى المدينة قال ناس من المؤمنين من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحداً خلف ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة عند الجبل وأمرهم أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين أو عليهم فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم إذ تحسونهم تقتلونهم قتلاً ذريعاً حتى إذا فشلتم والفشل الجبن وضعف الرأي وتنازعتم فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما وقوفنا ههنا وقال بعضهم لا نخالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة ونفر أعقابهم ينتهبون وهم الذين أرادوا الدنيا فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبوراً وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الإيمان عندها ولقد عفا عنكم لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان أمر الرسول صلى الله عليه وسلم والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو وهو متفضل عليهم في جميع الأحوال سواء أديل لهم أو أديل عليهم لأن الابتلاء رحمة كما أن النصرة رحمة فإن قلت أين متعلق حتى إذا قلت محذوف تقديره حتى إذا فشلتم منعكم نصره ويجوز أن يكون المعنى صدقكم الله وعده إلى وقت فشلكم إذ تصعدون نصب بصرفكم أو بقوله ليبتليكم أو بإضمار اذكر والإصعاد الذهاب في الأرض والإبعاد فيه يقال صعد في الجبل وأصعد في الأرض يقال أصعدنا من مكة إلى المدينة وقرأ الحسن تصعدون يعني في الجبل وتعضده الأولى قراءة أبي إذ تصعدون في الوادي وقرأ أبو حيوة تصعدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعد في السلم وقرأ الحسن تلون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها وقرئ يصعدون ويلوون بالياء والرسول يدعوكم كان يقول إلي عباد الله إلي عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة في أخراكم في ساقتكم وجماعتكم الأخرى وهي المتأخرة يقال جئت في آخر الناس وأخراهم كما تقول في أولهم وأولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الأولى فأثابكم عطف على صرفكم أي فجازاكم الله غماً حين صرفكم عنهم وابتلاكم بسبب غم أذقتموه رسول الله بعصيانكم له أو غماً مضاعفاً غماً بعد غم وغماً متصلاً بغم من الاغتمام بما أرجف به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار ويجوز أن يكون الضمير في فأثابكم للرسول أي فآساكم في الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل بكم فأثابكم غماً اغتمه لأجلكم بسبب غم اغتممتموه لأجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لأمره وإنما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما أصابكم من غلبة العدو أنزل الله الأمن على المؤمنين وأزال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم وعن أبي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما أحد إلا ويميل تحت حجفته وعن الزبير لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف فأرسل الله علينا النوم والله إني لأسمع قول معتب بن قشير يقول لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا والأمنة الأمن وقرئ أمنة بسكون الميم كأنها المرة من الأمن والأمنة نعاساً بدل من أمنة ويجوز أن يكون هو المفعول وأمنة حالاً منه متقدمة عليه كقولك رأيت راكباً رجلاً أو مفعولاً له بمعنى نعستم أمنة ويجوز أن يكون حالاً من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة أو على أنه جمع آمن كبار وبررة يغشى قرئ بالياء والتاء رداً على النعاس أو على الأمنة طائفة منكم هم أهل الصدق واليقين وطائفة هم المنافقون قد أهمتهم أنفسهم ما بهم إلا هم أنفسهم لا هم الدين ولا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أو قد أوقعتهم أنفسهم وما حل بهم في الهموم والأشجان فهم في التشاكي والتباث غير الحق في حكم المصدر ومعناه يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب أن يظن به ظن الجاهلية بدل منه ويجوز أن يكون المعنى يظنون بالله ظن الجاهلية وغير الحق تأكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق تريد الظن المختص بالملة الجاهلية ويجوز أن يراد ظن أهل الجاهلية أي لا يظن مثل ذلك الظن إلا أهل الشرك الجاهلون بالله يقولون لرسول الله يسألونه هل لنا من الأمر من شيء معناه هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قط يعنون النصر والإظهار على العدو قل إن الأمر كله لله ولأوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وإن جندنا لهم الغالبون يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك معناه يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الأمر من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق يقولون في أنفسهم أو بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم إن الأمر كله لله لو كان لنا من الأمر شيء أي لو كان الأمر كما قال محمد إن الأمر كله لله ولأوليائه وأنهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة

لو كنتم في بيوتكم يعني من علم الله منه أنه يقتل ويصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لبرز من بينكم الذين علم الله أنهم يقتلون إلى مضاجعهم وهي مصارعهم ليكون ما علم أنه يكون والمعنى أن الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك أنهم الغالبون لعلمه أن العاقبة في الغلبة لهم وأن دين الإسلام يظهر على الدين كله وأن ما ينكبون به في بعض الأوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة وحرصهم على الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير من شيء يعنون لم نملك شيئاً من التدبير حيث خرجنا من المدينة إلى أحد وكان علينا أن نقيم ولا نبرح كما كان رأي عبد الله بن أبي وغيره ولو ملكنا من التدبير شيئاً لما قتلنا في هذه المعركة قل إن التدبير كله لله يريد أن الله عز وعلا قد دبر الأمر كما جرى ولو أقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم وقرئ كتب عليهم القتال وكتب عليهم القتل على البناء للفاعل ولبرز بالتشديد وضم الباء وليبتلي الله وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الإخلاص وليمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك أو وفعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص فإن قلت كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطائفة قلت قد أهمتهم صفة لطائفة ويظنون صفة أخرى أو حال بمعنى قد أهمتهم أنفسهم ظانين أو استئناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون فإن قلت كيف صح أن يقع ما هو مسألة عن الأمر بدلاً من الإخبار بالظن قلت كانت مسألتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز إبداله منه ويخفون حال من يقولون وقل إن الأمر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون والأجود أن يكون استئنافاً استزلهم طلب منهم الزلل ودعاهم إليه ببعض ما كسبوا من ذنوبهم ومعناه أن الذين انهزموا يوم أحد كان السبب في توليهم أنهم كانوا أطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوباً فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان إياهم هو التولي وإنما دعاهم إليه بذنوب قد تقدمت لهم لأن الذنب يجر الذنب كما أن الطاعة تجر إلى الطاعة وتكون لطفاً فيها وقال الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة وقيل ببعض ما كسبوا هو ترك المركز الذي أمرهم رسول الله بالثبات فيه فجرهم ذلك إلى الهزيمة وقيل ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فأخروا الجهاد حتى يصلحوا أمرهم ويجاهدوا على حال مرضية فإن قلت لم قيل ببعض ما كسبوا قلت هو كقوله ويعفو عن كثير ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم إن الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بالعقوبة وقالوا لإخوانهم لأجل إخوانهم كقوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه ومعنى الإخوة اتفاق الجنس أو النسب إذا ضربوا في الأرض إذا سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها أو كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى وفي قوله عفى الحياض أجون وقرئ بتخفيف الزاي على حذف التاء من غزاة فإن قلت كيف قيل إذا ضربوا مع قالوا قلت هو على حكاية الحال الماضية كقولك حين يضربون في الأرض فإن قلت ما متعلق ليجعل قلت قالوا أي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم على أن اللام مثلها في ليكون لهم عدواً وحزناً أو لا تكونوا بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فإن قلت ما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى قلت معناه أن الله عز وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقادهم فعلهم وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدر فعل الله عز وعلا كقوله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى ما دل عليه النهي أي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لأن مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم أي الأمر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما يشاء وعن خالد بن الوليد أنه قال عند موته ما في موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة وها أنا أموت كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء يعني الذين كفروا لمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لإلى الله تحشرون كذب الكافرين أولاً في زعمهم أن من سافر من إخوانهم أو غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لأنه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت أو القتل في سبيل الله فإن ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس خير من طلاع الأرض ذهبة حمراء وقرئ تجمعون بالياء أي يجمع الكفار لإلى الله تحشرون لإلى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقدمه وإدخال اللام على الحرف المتصل به شأن ليس بالخفي وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات فبما رحمة ما مزيدة للتوكيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم ومعنى الرحمة ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى اغتم لهم بعدما خالفوه وعصوا أمره وانهزموا وتركوه ولو كنت فظاً جافياً غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد منهم فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله إتماماً للشفقة عليهم وشاورهم في الأمر يعني في أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من أقدارهم وعن الحسن قد علم الله أنه ما به إليهم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم وعن أبي هريرة ما رأيت أحداً أكثر مشاورة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت سادات العرب إذا لم يشاوروا في الأمر شق عليهم

فأمر الله رسوله بمشاورة أصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالرأي دونهم، وقرئ: وشاورهم في بعض الأمر. فإذا عزمت فإذا قطعت الرأي على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في إمضاء أمرك على الأرشد الأصلح، فإن ما هو أصلح لك لا يعلمه إلا الله تعالى لا أنت ولا من تشاور. وقرئ: فإذا عزمت بضم التاء، بمعنى فإذا عزمت لك على شيء وأرشدتك إليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك أحدا. إن ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا أحد يغلبكم. وإن يخذلكم كما خذلكم يوم أحد فمن ذا الذي ينصركم. وهذا تنبيه على أن الأمر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه، ونحوه: ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده. من بعده من بعد خذلانه، أو هو من قولك: ليس لك من يحسن إليك من بعد فلان، تريد إذا جاوزته. وقرأ عبيد بن عمير: وإن يخذلكم، من أخذله إذا جعله مخذولا. وفيما ترغيب في الطاعة وفيما يستحقون به النصر من الله والتأييد، وتحذير من المعصية ومما يستوجبون به العقوبة بالخذلان. وعلى الله وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض إليه لعلمهم أنه لا ناصر سواه، ولأن إيمانهم يوجب ذلك ويقتضيه. يقال: غل شيئا من المغنم غلولا وأغل إغلالا إذا أخذه في خفية. يقال: أغل الجازر إذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد. والغل: الحقد الكامن في الصدر. ومنه قوله عليه السلام: من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه. وقوله: هدايا الولاة غلول. وعنه عليه السلام: لا إغلال ولا إسلال. ويقال: أغله إذا وجده غالا، كقولك: أبخلته وأجبنته. ومعنى وما كان لنبي أن يغل وما صح له ذلك، يعني أن النبوة تنافي الغلول. وكذلك من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع إلى معنى الأول، لأن معناه: وما صح له أن يوجد غالا، ولا يوجد غالا إلا إذا كان غالا. وفيه وجهان: أحدهما أن يبرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وينزه وينبه على عصمته بأن النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيئا منه، وأن لا يستريب به أحد، كما روي أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين: لعل رسول الله أخذها. وروي أنها نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا: نخشى أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أخذ شيئا فهو له، وأن لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر. فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: ألم أعهد إليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري؟ فقالوا: تركنا بقية إخواننا وقوفا. فقال: بل ظننتم أنا نغل ولا نقسم لكم. والثاني أن يكون مبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، على ما روي أنه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت، يعني وما كان لنبي أن يعطي قوما ويمنع آخرين، بل عليه أن يقسم بالسوية. وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الأمر. ولو قرئ أن يغل من أغل بمعنى غل لجاز. يأت بما غل يوم القيامة يأت بالشيء الذي غله بعينه يحمله، كما جاء في الحديث: جاء يوم القيامة يحمله على عنقه. وروي: ألا لا أعرفن أحدكم يأتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي: يا محمد يا محمد، فأقول: لا أملك لك من الله شيئا فقد بلغتك. وعن بعض جفاة الأعراب أنه سرق نافجة مسك فتليت عليه الآية فقال: إذن أحملها طيبة الريح خفيفة المحمل. ويجوز أن يراد يأت بما احتمل من وباله وتبعته وإثمه. **فإن قلت** هلا قيل: ثم يوفى ما كسب ليتصل به؟ **قلت** جيء بعام دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى، وهو أبلغ وأثبت، لأنه إذا علم الغال أن كل كاسب خيرا أو شرا مجزي فموفى جزاءه، علم أنه غير متخلص من تبعة ما غل مع عظم ما اكتسب. وهم لا يظلمون أي يعدل بينهم في الجزاء، كل جزاؤه على قدر كسبه. هم درجات أي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات، كقوله:

أنصب للمنية تعتريهم رجالي أم هم درج السيول

وقيل: ذوو درجات. والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين، أو التفاوت بين الثواب والعقاب. والله بصير بما يعملون عالم بأعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حسبها. لقد من الله على المؤمنين على من آمن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه، وخص المؤمنين منهم لأنهم هم المنتفعون بمبعثه. من أنفسهم من جنسهم عربيا مثلهم، وقيل: من ولد إسماعيل كما أنهم من ولده. **فإن قلت** ما وجه المنة عليهم في أن كان من أنفسهم؟ **قلت** إذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل أخذ ما يجب عليهم أخذه، وكانوا واقفين على أحواله في الصدق والأمانة، فكان ذلك أقرب لهم إلى تصديقه والوثوق به، وفي كونه من أنفسهم شرف لهم، كقوله: وإنه لذكر لك ولقومك. وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة فاطمة رضي الله عنها: من أنفسهم أي من أشرفهم، لأن عدنان ذروة ولد إسماعيل، ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان، وخندف ذروة مضر، ومدركة ذروة خندف، وقريش ذروة مدركة، وذروة قريش محمد صلى الله عليه وسلم. وفيما خطب به أبو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه، وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا، وجعلنا الحكام على الناس. ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش إلا رجح به، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل. وقرئ: لمن من الله على المؤمنين، وفيه وجهان: أن يراد لمن من الله على المؤمنين منه أو بعثه إذ بعث فيهم، فحذف لقيام الدلالة، أو يكون إذ في محل الرفع كإذا في قولك: أخطب ما يكون الأمير إذا كان قائما، بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه. يتلو عليهم آياته بعد ما كانوا أهل جاهلية لم يطرق أسماعهم شيء من الوحي. ويزكيهم ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات وسائر الخبائث. وقيل: ويأخذ منهم الزكاة. ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة بعد ما كانوا أجهل الناس وأبعدهم من دراسة العلوم. وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين إن هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية، وتقديره: وإن الشأن والحديث كانوا من قبل في ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه.

أولما

مصيبة يريد ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم. قد أصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين. ولما نصب بقلتم، وأصابتكم في محل الجر بإضافة لما إليه، وتقديره: أقلتم حين أصابتكم. أنى هذا نصب لأنه مقول، والهمزة للتقرير والتقريع. **فإن قلت** علام عطفت الواو هذه الجملة؟ **قلت** على ما مضى من قصة أحد من قوله: ولقد صدقكم الله وعده، ويجوز أن تكون معطوفة على محذوف كأنه قيل: أفعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا. أنى هذا من أين هذا، كقوله: أنى لك هذا. لقوله: وعدنا الله النصر. قل هو من عند أنفسكم، وقوله: من عند الله. والمعنى: أنتم السبب فيما أصابكم لاختياركم الخروج من المدينة، أو لتخليتكم المركز. وعن علي رضي الله عنه: لأخذكم الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤذن لكم. إن الله على كل شيء قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه، وعلى أن يصيب بكم تارة ويصيب منكم أخرى. وما أصابكم يوم التقى الجمعان جمعكم وجمع المشركين فهو كائن بإذن الله أي بتخليته. استعار الإذن لتخليته الكفار، وأنه لم يمنعهم منهم ليبتليهم، لأن الإذن مخل بين المأذون له ومراده. وليعلم وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون، وليظهر إيمان هؤلاء ونفاق هؤلاء. وقيل لهم من جملة الصلة عطف على نافقوا، وإنما لم يقل فقالوا لأنه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم إلى القتال، كأنه قيل: فماذا قالوا لهم؟ فقيل: قالوا لو نعلم. ويجوز أن تقتصر الصلة على نافقوا، ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ قسم الأمر عليهم بين أن يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون، وبين أن يقاتلوا إن لم يكن بهم غم الآخرة دفعا عن أنفسهم وأهليهم وأموالهم، فأبوا القتال وجحدوا القدرة عليه رأسا لنفاقهم ودغلهم، وذلك ما روي أن عبد الله بن أبي انخزل مع حلفائه، فقيل لهم. وقيل: أو ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وإن لم تجاهدوا، لأن كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه. وعن سهل بن سعد الساعدي وقد كف بصره: لو أمكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم. قيل: وكيف وقد ذهب بصرك؟ قال: لقوله أو ادفعوا، أراد أكثر سوادهم. ووجه آخر، وهو أن يكون قولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم دغلا واستهزاء، أي لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا لاتبعناكم، يعنون أن ما أنتم فيه لخطإ رأيكم وزللكم عن الصواب ليس بشيء، ولا يقال لمثله قتال، إنما هو إلقاء بالأنفس إلى التهلكة، لأن رأي عبد الله كان في الإقامة بالمدينة، وما كان يستصوب الخروج. هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يعني أنهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالإيمان، وما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم، فلما انخزلوا عن عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر. وقيل: هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان، لأن تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين. يقولون بأفواههم لا يتجاوز إيمانهم أفواههم ومخارج الحروف منهم، ولا تعي قلوبهم منه شيئا. وذكر الأفواه مع القلوب تصوير لنفاقهم، وأن إيمانهم موجود في أفواههم معدوم في قلوبهم، بخلاف صفة المسلمين في مواطأة قلوبهم لأفواههم. والله أعلم بما يكتمون من النفاق، وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رأيهم والشماتة بهم وغير ذلك، لأنكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بأمارات، وأنا أعلم كله علم إحاطة بتفاصيله وكيفياته. الذين قالوا في إعرابه أوجه: أن يكون نصبا على الذم، أو على الرد على الذين نافقوا، أو رفعا على هم الذين قالوا، أو على الإبدال من واو يكتمون. ويجوز أن يكون مجرورا بدلا من الضمير في بأفواههم أو قلوبهم، كقوله:

على جوده لضن بالماء حاتم

لإخوانهم لأجل إخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد، أو إخوانهم في النسب وفي سكنى الدار. وقعدوا أي قالوا وقد قعدوا عن القتال: لو أطاعنا إخواننا فيما أمرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل. قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين معناه قل إن كنتم صادقين في أنكم وجدتم إلى دفع القتل سبيلا، وهو القعود عن القتال، فجدوا إلى دفع الموت سبيلا، يعني أن ذلك الدفع غير مغن عنكم، لأنكم إن دفعتم القتل الذي هو أحد أسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر أسبابه المبثوثة، ولا بد لكم من أن يتعلق بكم بعضها. وروي أنه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا. **فإن قلت** فقد كانوا صادقين في أنهم دفعوا القتل عن أنفسهم بالقعود، فما معنى قوله إن كنتم صادقين؟ **قلت** معناه أن النجاة من القتل يجوز أن يكون سببها القعود عن القتال وأن يكون غيره، لأن أسباب النجاة كثيرة، وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل، فما يدريكم أن سبب نجاتكم القعود وأنكم صادقون في مقالتكم، وما أنكرتم أن يكون السبب غيره. ووجه آخر: إن كنتم صادقين في قولكم لو أطاعونا وقعدوا ما قتلوا، يعني أنهم لو أطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين. وقوله فادرءوا عن أنفسكم الموت استهزاء بهم، أي إن كنتم رجالا دفاعين لأسباب الموت فادرءوا جميع أسبابه حتى لا تموتوا. ولا تحسبن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد. وقرئ بالياء على: ولا يحسبن رسول الله، أو ولا يحسبن حاسب. ويجوز أن يكون الذين قتلوا فاعلا، ويكون التقدير: ولا يحسبنهم الذين قتلوا أمواتا، أي ولا يحسبن الذين قتلوا أنفسهم أمواتا. **فإن قلت** كيف جاز حذف المفعول الأول؟ **قلت** هو في الأصل مبتدأ فحذف كما حذف المبتدأ في قوله أحياء، والمعنى هم أحياء، لدلالة الكلام عليهما. وقرئ: ولا تحسبن بفتح السين، وقتلوا بالتشديد، وأحياء بالنصب على معنى بل أحسبهم أحياء. عند ربهم مقربون عنده ذوو زلفى، كقوله: فالذين عند ربك. يرزقون مثل ما يرزق سائر الأحياء يأكلون ويشربون، وهو تأكيد لكونهم أحياء، ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله. فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة، وما ساق إليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم أحياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها.

وعن النبي صلعم لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر تدور في أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش. ويستبشرون بإخوانهم المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم أي لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم يريد الذين من خلفهم قد بقوا من بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم ألا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو أنهم يبعثون آمنين يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به. وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء وإصابة فضلهم وإحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لإخوانه في الله وبشرى للمؤمنين بالفوز في المآب. وكرر يستبشرون ليعلق به ما هو بيان لقوله أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل وأن ذلك أجر لهم على إيمانهم يجب في عدل الله تعالى وحكمته أن يحصل لهم ولا يضيع وقرئ وإن الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء وعلى أن الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي وتعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع. الذين استجابوا مبتدأ خبره للذين أحسنوا أو صفة للمؤمنين أو نصب على المدح. روي أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلعم فأراد أن يرهبهم ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان وقال لا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس فخرج صلعم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر وألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت. ومن في للذين أحسنوا منهم للتبيين مثلها في قوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لأن الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم. وعن عروة بن الزبير قال قالت لي عائشة إن أبويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني أبا بكر والزبير. الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم روي أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل إن شئت فقال صلعم إن شاء الله فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مر الظهران فألقى الله الرعب في قلبه فبدا له أن يرجع فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم إني واعدت محمدا أن نلتقي بموسم بدر وإن هذا عام جدب ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن إن خرج محمد ولم أخرج زاده ذلك جرأة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر من الإبل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأي أتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم أحد إلا شريد أفتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم أحد. وقيل مر بأبي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل إبل من زبيب إن ثبطوهم فكره المسلمون الخروج فقال عم والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي قالها إبراهيم صلعم حين ألقي في النار حتى وافوا بدرا وأقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيرا ثم انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين ورجع أبو سفيان إلى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق قالوا إنما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الأولون المثبطون والآخرون أبو سفيان وأصحابه. فإن قلت كيف قيل الناس إن كان نعيم هو المثبط وحده. قلت قيل ذلك لأنه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له إلا فرس واحد وبرد فرد. ولأنه حين قال ذلك لم يخل من ناس من أهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه. فإن قلت إلام يرجع المستكن في فزادهم. قلت إلى المقول الذي هو إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كأنه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم إيمانا أو إلى مصدر قالوا كقولك من صدق كان خيرا له أو إلى الناس إذا أريد به نعيم وحده. فإن قلت كيف زادهم نعيم أو مقوله إيمانا. قلت لما لم يسمعوا قوله وأخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد وأظهروا حمية الإسلام كان ذلك أثبت ليقينهم وأقوى لاعتقادهم كما يزداد الإيقان بتناصر الحجج ولأن خروجهم على أثر تثبيطه إلى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الإيمان لأن الإيمان اعتقاد وإقرار وعمل. وعن ابن عمر قلنا يا رسول الله صلعم إن الإيمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار. وعن عمر أنه كان يأخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد إيمانا. وعنه لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح به. حسبنا الله محسبنا الله أي كافينا يقال أحسبه الشيء إذا كفاه والدليل على أنه بمعنى المحسب أنك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لأن إضافته لكونه بمعنى اسم الفاعل غير حقيقية. ونعم الوكيل ونعم الموكول إليه هو. فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله وهي السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة كقوله ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم. لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوؤهم من كيد عدو. واتبعوا رضوان الله بجراءتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم وإظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا أنفسهم ما فاز به هؤلاء. وروي أنهم قالوا

هل يكون هذا غزوا فأعطاهم ثواب الغزو ورضي عنهم. إنما ذلكم الشيطان خبر ذلكم بمعنى إنما ذلكم المثبط هو الشيطان ويخوف أولياءه جملة مستأنفة بيان لشيطنته أو الشيطان صفة لاسم الإشارة ويخوف الخبر والمراد بالشيطان نعيم أو أبو سفيان ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف بمعنى إنما ذلكم قول الشيطان أي قول إبليس لعنه الله يخوف أولياءه يخوفكم أولياءه الذين هم أبو سفيان وأصحابه وتدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود يخوفكم أولياءه وقوله فلا تخافوهم. وقيل يخوف أولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله. فإن قلت فإلام رجع الضمير في فلا تخافوهم على هذا التفسير. قلت إلى الناس في قوله إن الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافون فجاهدوا مع رسولي وسارعوا إلى ما يأمركم به إن كنتم مؤمنين يعني أن الإيمان يقتضي أن تؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا يخشون أحدا إلا الله. يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه أشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا عن الإسلام. فإن قلت ما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول أن يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد. قلت معناه لا يحزنوك لخوف أن يضروك ويعينوا عليك ألا ترى إلى قوله إنهم لن يضروا الله شيئا يعني أنهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير أنفسهم وما وبال ذلك عائدا إلى غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة أي نصيبا من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك أبلغ ما ضر به الإنسان نفسه. فإن قلت هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا في الآخرة وأي فائدة في ذكر الإرادة. قلت فائدته الإشعار بأن الداعي إلى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى إن أرحم الراحمين يريد أن لا يرحمهم. إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان إما أن يكون تكريرا لذكرهم للتأكيد والتسجيل عليهم بما أضاف إليهم وإما أن يكون عاما للكفار والأول خاصا فيمن نافق من المتخلفين أو ارتد عن الإسلام أو على الحلق. شيئا نصب على المصدر لأن المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر. ولا يحسبن الذين كفروا فيمن قرأ بالتاء فالذين نصب وإنما نملي لهم خير بدل منه أي ولا تحسبن أنما نملي للكافرين خير لهم وأن مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين كقوله أم تحسب أن أكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن أن إملاءنا خير وكان حقها في قياس علم الخط أن تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الإمام متصلة فلا يخالف وتتبع سنة الإمام في خط المصاحف. فإن قلت كيف صح مجيء البدل ولم يذكر إلا أحد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد. قلت صح ذلك من حيث إن التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحى ألا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك ويجوز أن يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم أو ولا تحسبن حال الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم وهو فيمن قرأ بالياء رفع والفعل متعلق بأن وما في حيزه والإملاء لهم تخليتهم وشأنهم مستعار من أملى لفرسه إذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو إمهالهم وإطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن أن الإملاء خير لهم من منعهم أو قطع آجالهم. إنما نملي لهم ما هذه حقها أن تكتب متصلة لأنها كافة دون الأولى وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كأنه قيل ما بالهم لا يحسبون الإملاء خيرا لهم فقيل إنما نملي لهم ليزدادوا إثما. فإن قلت كيف جاز أن يكون ازدياد الإثم غرضا لله تعالى في إملائه لهم. قلت هو علة للإملاء وما كل علة بغرض ألا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة الشر وليس شيء منها بغرض لك وإنما هي علل وأسباب فكذلك ازدياد الإثم جعل علة للإملاء وسببا فيه. فإن قلت كيف يكون ازدياد الإثم علة للإملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب. قلت لما كان في علم الله المحيط بكل شيء أنهم مزدادون إثما فكان الإملاء وقع من أجله وبسببه على طريق المجاز. وقرأ يحيى بن وثاب بكسر الأولى وفتح الثانية ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا أن إملاءنا لازدياد الإثم كما يفعلون وإنما هو ليتوبوا ويدخلوا في الإيمان وقوله إنما نملي لهم خير لأنفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه أن إملاءنا خير لأنفسهم إن عملوا فيه وعرفوا إنعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة. فإن قلت ما معنى قوله ولهم عذاب مهين على هذه القراءة. قلت معناه ولا تحسبوا أن إملاءنا لزيادة الإثم وللتعذيب والواو للحال كأنه قيل ليزدادوا إثما معدا لهم عذاب مهين. ما كان الله ليذر المؤمنين اللام لتأكيد النفي على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمنين الخلص والمنافقين حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص. وقرئ يميز من ميز ويميز من أماز بمعنى ميز. فإن قلت لمن الخطاب في أنتم. قلت للمصدقين جميعا من أهل الإخلاص والنفاق كأنه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وأنه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي إليه وإخباره بأحوالكم. ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب أي وما كان الله ليؤتي أحدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وإيمان ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء أي ولكنه يجتبي من يشاء فيخصه بإعلامه أحوالكم فيوحي إليه ويخبره بأن في الغيب كذا وأن فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الإخلاص. ويجوز أن يريد لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بأن يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها إلا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الأرواح في الجهاد وإنفاق الأموال في سبيل الله فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها فإن ذلك

تماما استأثر الله به وما كان الله ليطلع احدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها
مطلعا عليها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبره ببعض المغيبات فآمنوا بالله ورسله بان تقدروه حق قدره
وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله
ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب في شيء. وعن السدي قال الكافرون ان كان محمد صادقا
فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت ولا يحسبن من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو
خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله او ضمير احد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان
المفعول الاول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ حذفه دلالة يبخلون
عليه وهو فصل وقرأ الاعمش بغير هو سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام
الطوق. وفي امثالهم تقلدها طوق الحمامة. اذا جاء بهنة يسب بها ويذم. وقيل يجعل ما بخل به من الزكاة
حية يطوقها في عنقه يوم القيمة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه وتقول انا مالك. وعن النبي صلى الله عليه وسلم
في مانع الزكوة يطوق بشجاع اقرع وروي بشجاع اسود وعن النخعي سيطوقون بطوق من نار ولله ميراث السموات والارض
اي وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونحوه قوله تعالى
وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقرئ بما يعملون بالتاء والياء فالتاء على طريقة الالتفات وهي ابلغ في الوعيد والياء
على الظاهر قالوا ذلك اليهود حين سمعوا قول الله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فلا يخلو اما ان يقولوه
عن اعتقاد لذلك او عن استهزاء بالقرآن وايهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر الا عن متمردين في كفرهم ومعنى
سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له كفاءه من العقاب سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة او سنحفظه
ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب فان قلت كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب وهلا قال ولقد كتبنا قلت
ذكر وجود السماع اولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا ابدا اثباته وتدوينه
كما لن يفوتنا قتلهم الانبياء وجعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بانهما في العظم اخوان وبان هذا ليس باول ما ركبوه
من العظائم وانهم اصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا
القول. وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام
الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا. فقال فنحاص اليهودي ان الله فقير حين سألنا القرض
فلطمه ابو بكر في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله وجحد
ما قاله فنزلت ونحوه قوله يد الله مغلولة ونقول ذوقوا وننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيمة ذوقوا عذاب
الحريق كما اذاقوا المسلمين الغصص ويقال للمنتقم منه احس وذق. وقال ابو سفيان لحمزة ذق عقق.
وقرأ حمزة سيكتب بالياء على البناء للمفعول ويقول بالياء. وقرأ الحسن والاعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل
وقرأ ابن مسعود ويقال ذوقوا. ذلك اشارة الى ما تقدم من عقابهم وذكر الايدي لان اكثر الاعمال تزاول بهن
فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب فان قلت فلم عطف قوله وان الله ليس بظلام للعبيد على ما قدمت ايديكم
وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم السيئات في استحقاق التعذيب قلت معنى كونه غير
ظلام للعبيد انه عادل عليهم ومن العدل ان يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن. عهد الينا امرنا في التوراة
واوصانا بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه الآية الخاصة وهو ان يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتأكله
كما كانت انبياء بني اسرائيل تلك آيتهم كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتأكله وهذه
دعوى باطلة وافتراء على الله لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان للرسول الآتي به لكونه آية معجزة فهو اذن
وسائر الآيات سواء فلا يجوز ان يقترحه الله تعالى من بين الآيات وقد الزمهم الله ان انبياءهم جاءوهم بالبينات
الكثيرة التي اوجبت عليهم التصديق وجاءوهم ايضا بهذه الآية التي اقترحوها فلم قتلوهم ان كانوا صادقين ان الايمان
يلزمهم باتيانها. وقرئ بقربان بضمتين ونظيره السلطان فان قلت ما معنى قوله وبالذي قلتم قلت معناه وبمعنى
الذي قلتموه من قولكم قربان تأكله النار ومؤداه كقوله ثم يعودون لما قالوا اي لمعنى ما قالوا وفي مصاحف اهل
الشام وبالزبر وهي الصحف والكتاب المنير التوراة والانجيل والزبور وهذه تسلية لرسول الله من تكذيب قومه
وتكذيب اليهود. وقرأ اليزيدي ذائقة الموت على الاصل وقرأ الاعمش ذائقة الموت بطرح التنوين مع النصب
كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا فان قلت كيف اتصل به قوله وانما توفون اجوركم قلت اتصاله به على ان كلكم يموت ولا بد لكم من الموت
ولا توفون اجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وانما توفونها يوم قيامكم
عن القبور فان قلت فهذا يوهم نفي ما يروى ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار قلت
كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لان المعنى ان توفية الاجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض
الاجور فمن زحزح فمن نحي والزحزحة التنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق المتناول
لكل ما يفاز به والغاية التي لا مطمح وراءها والنجاة من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد
اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في المآب. وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار
ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه

وهو كشامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد. شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى
يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا
لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ لتبلون خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا انفسهم
على احتمال ما سيلقون من الاذى والشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم
ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه والبلاء في الانفس القتل والاسر والجراح وما يرد
عليها من انواع المخاوف والمصائب وفي الاموال الانفاق في سبيل الخير وما يقع فيها من الآفات وما يسمعون من اهل
الكتاب من المطاعن في الدين الحنيف وصد من اراد الايمان وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف
من هجائه الرسول وتحريض المشركين ومن فنحاص ومن بني قريظة والنضير فان ذلك من عزم الامور
من معزومات الامور اي مما يجب العزم عليه من الامور او مما عزم الله ان يكون يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله
لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا واذ اخذ الله واذكر وقت اخذ الله ميثاق اهل الكتاب لتبيننه الضمير للكتاب اكد
عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له آلله لتفعلن فنبذوه وراء ظهورهم
فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه. والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك
الاعتداد ونقيضه جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه. وكفى به دليلا على انه مأخوذ على العلماء ان يبينوا
الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب
لمبارهم او لجر منفعة وحطام دنيا او لتقية مما لا دليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب
اليه غيرهم. وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجمه الله بلجام من نار. وعن طاوس انه قال لوهب اني ارى الله
سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت ان الله سيعذبك. وعن محمد
بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله حتى يسأل. وعن علي ما اخذ الله على
اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا. وقرئ ليبيننه ولا يكتمونه بالياء لانهم غيب وبالتاء على
حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن لا تحسبن خطاب لرسول الله واحد المفعولين الذين
يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد تقديره لا تحسبنهم فائزين والمفعول الاول محذوف على لا تحسبنهم فلا
تحسبنهم فائزين وقرئ لا تحسبن فلا تحسبنهم بضم الباء على خطاب المؤمنين ولا يحسبن فلا يحسبنهم بالياء وفتح
الباء فيهما على ان الفعل للرسول وقرأ ابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الفعل للذين يفرحون والمفعول
الاول محذوف على لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين. وفلا يحسبنهم
تاكيد. ومعنى بما اتوا بما فعلوا. واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى انه كان وعده مأتيا. لقد جئت شيئا
فريا. ويدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا. وقرئ آتوا بمعنى اعطوا. وعن علي اوتوا. ومعنى بمفازة من
العذاب بمنجاة منه. روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق واخبروه بخلافه
واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم
اي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق
عما سألتهم عنه ناجين من العذاب. ومعنى يفرحون بما اتوا بما اوتوه من علم التوراة. وقيل يفرحون بما فعلوا من
كتمان نعت رسول الله ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابراهيم حيث ادعوا ان ابراهيم كان على اليهودية
وانهم على دينه. وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله فلما قفل اعتذروا اليه بانهم رأوا المصلحة في التخلف
واستحمدوا اليه بترك الخروج. وقيل هم المنافقون يفرحون بما اتوا من اظهار الايمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم
بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة لابطانهم الكفر ويجوز ان يكون شاملا
لكل من يأتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه ولله
ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم لآيات لادلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته
لاولي الالباب الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من
عجائب الفطر. وفي النصائح الصغار املأ عينيك من زينة هذه الكواكب واجلهما في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة
مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل ان يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر. وعن ابن عمر رضي الله عنه قلت لعائشة
رضي الله عنها اخبريني باعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي
حتى الصق جلده بجلدي ثم قال لي يا عائشة هل لك ان تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك
واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن
وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه وجعل يبكي حتى رأيت دموعه
قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا. ثم قال ومالي لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة
ان في خلق السموات والارض. ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها. وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها.
وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض.
وحكي ان الرجل من بني اسرائيل كان اذا عبد الله ثلاثين سنة اظلته سحابة فعبدها فتى من فتيانهم فلم

فلم نظلّه فقالت له أمّه لعل فرطة منك فرطت في بدنك قال ما أذكر قالت لعلك نظرت مرة في السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما أتيت إلا من ذاك **يذكرون الله** ذكرًا دائبًا على أي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر في أغلب أحوالهم. وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة أنهم خرجوا يوم العيد إلى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم أما قال الله تعالى يذكرون الله قيامًا وقعودًا فقاموا يذكرون الله على أقدامهم. وعن النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله. وقيل معناه يصلّون في هذه الأحوال على حسب استطاعتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمران بن الحصين صلّ قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا فإن لم تستطع فعلى جنب تومئ إيماء وهذه حجة للشافعي رحمه الله في إضطجاع المريض على جنبه كما في اللحد. وعن أبي حنيفة رحمه الله أنه يستلقي حتى إذا وجد خفة قعد ومحل على جنوبهم نصب على الحال عطفًا على ما قبله كأنه قيل قيامًا وقعودًا ومضطجعين **ويتفكرون في خلق السموات والأرض** وما يدل عليه اختراع هذه الأجرام العظام وإبداع صنعتها وما دبّر فيها مما تكلّ الأفهام عن إدراك بعض عجائبه على عظم شأن الصانع وكبرياء سلطانه. وعن سفيان الثوري أنه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع رأسه إلى السماء فلما رأى الكواكب غشي عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته. وعن النبي صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه إذ رفع رأسه فنظر إلى النجوم وإلى السماء فقال أشهد أن لك ربًّا وخالقًا اللهم اغفر لي فنظر الله إليه فغفر له. وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر. وقيل الفكر يذهب الغفلة ويحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الأحزان ولا استنارت بمثل الفكرة. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى فإنه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل أهل الأرض. قالوا وإنما كان ذلك التفكر في أمر الله الذي هو عمل القلب لأن أحدًا لا يقدر أن يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل أهل الأرض **ما خلقت هذا باطلًا** على إرادة القول أي يقولون ذلك وهو في محل الحال بمعنى يتفكرون قائلين. والمعنى ما خلقته خلقًا باطلًا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو أن تجعلها مساكن للمكلفين وأدلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله فقنا عذاب النار لأنه جزاء من عصى ولم يطع. فإن قلت هذا إشارة إلى ماذا قلت إلى الخلق على أن المراد به المخلوق كأنه قيل ويتفكرون في مخلوق السماوات والأرض أي فيما خلق منهما. ويجوز أن يكون إشارة إلى السماوات والأرض لأنها في معنى المخلوق كأنه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلًا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم. ويجوز أن يكون باطلًا حالًا من هذا وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث وأن يخلق شيئًا بغير حكمة **فقد أخزيته** فقد أبلغت في إخزائه. وهو نظير قوله فقد فاز. ونحوه في كلامهم من أدرك مرعى الصمان فقد أدرك ومن سبق فلانًا فقد سبق **وما للظالمين** اللام إشارة إلى من يدخل النار وإعلام بأن من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها **ينادي** تقول سمعت رجلًا يقول كذا وسمعت زيدًا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لأنك وصفته بما يسمع أو جعلته حالًا عنه فأغناك عن ذكره ولولا الوصف أو الحال لم يكن منه بد. وأن يقال سمعت كلام فلان أو قوله فإن قلت فأي فائدة في الجمع بين المنادي وينادي قلت ذكر النداء مطلقًا ثم مقيدًا بالإيمان تفخيمًا لشأن المنادي لأنه لا منادي أعظم من منادٍ ينادي للإيمان. ونحوه قولك مررت بهادٍ يهدي للإسلام وذلك أن المنادي إذا أطلق ذهب الوهم إلى منادٍ للحرب أو لإطفاء النائرة أو لإغاثة المكروب أو لكفاية بعض النوازل أو لبعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي للطريق ويهدي لسداد الرأي وغير ذلك فإذا قلت ينادي للإيمان ويهدي للإسلام فقد رفعت من شأن المنادي والهادي وفخمته. ويقال دعاه لكذا وإلى كذا وندبه له وإليه وناداه له وإليه ونحوه هداه للطريق وإليه وذلك أن معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعًا. والمنادي هو الرسول أدعو إلى الله ادع إلى سبيل ربك. وعن محمد بن كعب القرآن أن آمنوا أي آمنوا أو بأن آمنوا **ذنوبنا** كبائرنا **سيئاتنا** صغائرنا **مع الأبرار** مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم والأبرار جمع برّ أو بارّ كربّ وأرباب وصاحب وأصحاب **على رسلك** على هذه صلة للوعد في قولك وعد الله الجنة على الطاعة والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك ألا تراه كيف أتبع ذكر المنادي للإيمان وهو الرسول وقوله آمنا وهو التصديق. ويجوز أن يكون متعلقًا بمحذوف أي ما وعدتنا منزلًا على رسلك أو محمولًا على رسلك لأن الرسل محمّلون ذلك فإنما عليه ما حمّل. وقيل على ألسنة رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصر على الأعداء فإن قلت كيف دعوا الله بإنجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب إنجاز الميعاد أو هو باب من اللجأ إلى الله والخضوع له كما كان الأنبياء عليهم السلام يستغفرون مع علمهم أنهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع إليه واللجأ الذي هو سيما العبودية **فاستجاب له** واستجابه بمعنى يقال استجابه واستجاب له فلم يستجبه عند ذاك مجيب **أني لا أضيع عمل** قرئ بالفتح على حذف الياء وبالكسر على إرادة القول. وقرئ لا أضيّع بالتشديد من ذكر أو أنثى بيان لعامل **بعضكم من بعض** أي يجمع ذكوركم وإناثكم أصل واحد فكل واحد منكم من الآخر أي من أصله أو كأنه منه لفرط اتصالكم واتحادكم. وقيل المراد وصلة الإسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين. وروي أن أم سلمة قالت يا رسول الله إني أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت

فالذين هاجروا

فالذين هاجروا تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كأنه قال فالذين عملوا هذه الأعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة عن أوطانهم فارّين إلى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا إلى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشأوا بما سامهم المشركون من الخسف **وأوذوا في سبيلي** من أجله وبسببه يريد سبيل الدين **وقاتلوا وقتلوا** وغزوا المشركين واستشهدوا. وقرئ وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الأول للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل **ثوابًا** في موضع المصدر المؤكد بمعنى إثابة أو تثويبًا من عند الله لأن قوله لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم في معنى لأثيبنهم **وعنده حسن الثواب** مثل أي يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه به وتملكه وإن لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل إليه ويتضرع. وتكرير ربنا من باب الابتهال وإعلام بما يوجب حسن الإجابة وحسن الإنابة من احتمال المشاق في دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه. وقطع لأطماع الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولًا إليه بالعمل بالجهل والغباوة. وروي عن جعفر الصادق من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد وقرأ هذه الآية. وعن الحسن حكى الله عنهم أنهم قالوا خمس مرات ربنا ثم أخبر أنه استجاب لهم إلا أنه أتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء **لا يغرنك** الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد. أي لا تنظر إلى ما هم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل وإصابة حظوظ الدنيا ولا تغترر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الأرض وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون. عن ابن عباس هم أهل مكة. وقيل هم اليهود. وروي أن ناسًا من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون إن أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد. فإن قلت كيف جاز أن يغتر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك حتى ينهى عن الاغترار به قلت فيه وجهان أحدهما أن مدرة القوم ومتقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعًا فكأنه قيل لا يغرنكم. والثاني أن رسول الله كان غير مغرور بحالهم فأكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله ولا تكونن ظهيرًا للكافرين. ولا تكونن من المشركين. ولا تطع المكذبين. وهذا في النهي نظير قوله في الأمر اهدنا الصراط المستقيم يا أيها الذين آمنوا آمنوا. وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لأن التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب. وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة **متاع قليل** خبر مبتدأ محذوف أي ذلك متاع قليل وهو التقلب في البلاد. أراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة أو في جنب ما أعد الله للمؤمنين من الثواب أو أراد أنه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع **وبئس المهاد** وساء ما مهدوا لأنفسهم **النزل** والنزل ما يقام للنازل. قال أبو الشعر الضبي: وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا. جعلنا القنا والمرهفات له نزلا. وانتصابه إما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام. ويجوز أن يكون بمعنى مصدر مؤكد كأنه قيل رزقًا أو عطاءً من عند الله **وما عند الله** من الكثير الدائم خير للأبرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل. وقرأ مسلمة بن محارب والأعمش نزلًا بالسكون. وقرأ يزيد بن القعقاع لكنّ الذين اتقوا بالتشديد **وإن من أهل الكتاب** عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة أهل الكتاب. وقيل في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من أهل الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فأسلموا. وقيل في أصحمة النجاشي ملك الحبشة ومعنى أصحمة عطية بالعربية. وذلك أنه لما مات نعاه جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله أخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم فخرج إلى البقيع ونظر إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي فصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت. ودخلت لام الابتداء على اسم إن لفصل الظرف بينهما كقوله وإن منكم لمن ليبطئن **وما أنزل إليكم** من القرآن **وما أنزل إليهم** من الكتابين **خاشعين لله** حال من فاعل يؤمن لأن من يؤمن في معنى الجمع **لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا** كما يفعل من لم يسلم من أحبارهم وكبارهم **أولئك لهم أجرهم عند ربهم** أي ما يختص بهم من الأجر وهو ما وعدوه في قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين يؤتكم كفلين من رحمته **إن الله سريع الحساب** لنفوذ علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الأجر. ويجوز أن يراد إنما توعدون لآت قريب بعد ذكر الموعد **اصبروا** على الدين وتكاليفه **وصابروا** أعداء الله في الجهاد أي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا أقل صبرًا منهم وثباتًا. والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصًا لشدته وصعوبته **ورابطوا** وأقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو. قال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم. وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يومًا وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته إلا لحاجة. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أمانًا على جسر جهنم. وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس.

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة فرّعكم من أصل
واحد وهو نفس آدم أبيكم فإن قلت علام عطف قوله وخلق منها زوجها قلت فيه وجهان أحدهما أن يعطف على محذوف
كأنه قيل من نفس واحدة أنشأها أو ابتدأها وخلق منها زوجها وإنما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى
شعّبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي أنه أنشأها من تراب وخلق زوجها حواء من ضلع من أضلاعها
وبثّ منهما نوعي جنس الإنس وهما الذكور والإناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم
منها والثاني أن يعطف على خلقكم ويكون الخطاب في يا أيها الناس للذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى
خلقكم من نفس آدم لأنهم من جملة الجنس المفرّع منه وخلق منها أمكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا
ونساء غيركم من الأمم الفائتة للحصر فإن قلت الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته أن يجاء
عقيب الأمر بالتقوى بما يوجبها أو يدعو إليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه إياهم من نفس واحدة
على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا إليها قلت لأن ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه
كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدي إلى أن يتقي القادر
عليه ويخشى عقابه ولأنه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم أن يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم
من القيام بشكرها أو أراد بالتقوى تقوى خاصة وهي أن يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا
يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من أرومة
واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة
وقرئ وخالق منها زوجها وباثّ منهما بلفظ اسم الفاعل وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو خالق
تساءلون به فأدغمت التاء في السين وقرئ تسألون بطرح التاء الثانية أي يسأل
بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وأنا شدتك الله
والرحم أو تسألون غيركم بالله والرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك رأيت الهلال وتراءيناه
وتنصره قراءة من قرأ تسألون به مهموزا وغير مهموز وقرئ والأرحام بالحركات الثلاث فالنصب
على وجهين إما على واتقوا الله واتقوا الأرحام أو أن يعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا
وينصره قراءة ابن مسعود تسألون به وبالأرحام والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد لأن
الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد فكانا في قولك مررت به وزيد وهذا غلامه
وزيد شديدي الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب
تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد ألا ترى إلى صحة قولك رأيتك وزيدا
ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال لأنه لم يتكرر وقد تمحّل لصحة هذه القراءة بأنها على تقدير تكرير
الجار ونظيرها قول الشاعر فما بك والأيام من عجب والرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل والأرحام
كذلك على معنى والأرحام مما يتقى أو والأرحام مما يتساءل به والمعنى أنهم كانوا يقرّون بأن لهم خالقا
وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الله الذي خلقكم واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا
الأرحام فلا تقطعوها أو واتقوا الله الذي تتعاطفون بإذكاره وبإذكار الرحم وقد آذن عز وجل
إذ قرن الأرحام باسمه أن صلتها منه بمكان كما قال ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا
وعن الحسن إذا سألك بالله فأعطه وإذا سألك بالرحم فأعطه وللرحم حجنة عند العرش ومعناه ما يروى
عن ابن عباس رضي الله عنه الرحم معلقة بالعرش فإذا أتاها الواصل بشّت به وكلمته وإذا أتاها القاطع احتجبت
منه وسئل ابن عيينة عن قوله صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم فقال يقول لأولادكم وذلك أن يضع ولده في
الحلال ألم تسمع قوله تساءلون به والأرحام وأول صلته أن يختار له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه
ولا نسبه فإنما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته
وهواه بغير هدى من الله واليتامى الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه
الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة وقيل اليتم في الأناسي من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الأمهات
فإن قلت كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى قلت فيه وجهان أن يجمع على يتمى كأسرى
لأن اليتم من وادي الآفات والأوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كأسارى وأن يجمع على فعائل لجري اليتيم
مجرى الأسماء نحو صاحب وفارس ثم يقلب اليتائم يتامى والاسمان يقع على الصغار
والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء إلا أنه غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال فإذا
استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم
هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتيم أبي طالب إما على القياس وإما حكاية للحال التي كان
عليها صغيرا ناشئا في حجر عمه توضيعا له وأما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فما هو إلا تعليم شريعة لا لغة
يعني أنه إذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار فإن قلت فما معنى قوله وآتوا اليتامى أموالهم

قلت إما أن يراد باليتامى الصغار وبإيتائهم أموالهم أن لا يطمع فيها الأولياء والأوصياء وولاة السوء وقضاته
ويكفوا عنها أيديهم الخاطفة حتى تأتي اليتامى إذا بلغوا سالمة غير محذوفة وإما أن يراد الكبار تسمية لهم يتامى
على القياس أو لقرب عهدهم إذ بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها على أن فيه إشارة إلى أن لا يؤخر دفع
أموالهم إليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا إن أونس منهم الرشد وأن يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى
والصغار وقيل هي في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله إليه
فقال صلى الله عليه وسلم ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فإنه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله أنفقه في سبيل الله
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الأجر وبقي الوزر قالوا يا رسول الله قد عرفنا أنه ثبت الأجر فكيف بقي الوزر وهو
ينفق ماله في سبيل الله فقال ثبت أجر الغلام وبقي الوزر على والده ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام
وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما أبيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الأرض فتأكلوه مكانه
أو لا تستبدلوا الأمر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى بالأمر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل
بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار قال ذو الرمة
فيا كرم السكن الذين تحملوا عن الدار والمستخلف المتبدل أراد ويا لؤم ما استخلفته الدار واستبدلته
وقيل هو أن يعطي رديئا ويأخذ جيدا وعن السدي أن يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وهذا ليس بتبدل
إنما هو تبديل إلا أن يكارم صديقا له فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم
ولا تنفقوها معها وحقيقته ولا تضموها إليها في الإنفاق حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بما
لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال فإن قلت قد حرم عليهم أكل مال اليتامى وحده ومع أموالهم فلم ورد النهي
عن أكله معها قلت لأنهم إذا كانوا مستغنين عن أموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم على ذلك
يطمعون فيها كان القبح أبلغ والذم أحق ولأنهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون أزجر لهم
والحوب الذنب العظيم ومنه قوله عليه السلام إن طلاق أم أيوب لحوب فكأنه قيل إنه كان ذنبا عظيما كبيرا وقرئ
حوبا بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا ونظيره الحول والحال والقول والقال والطرد والطرد
ولما نزلت الآية في اليتامى وما في أكل أموالهم من الحوب الكبير خاف الأولياء أن يلحقهم الحوب بترك الإقساط في حقوق
اليتامى وأخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل ربما كانت تحته العشر من الأزواج والثمان والست فلا يقوم بحقوقهن
ولا يعدل بينهن فقيل لهم إن خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضا ترك العدل بين النساء فقللوا
عدد المنكوحات لأن من تحرج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب لأنه إنما وجب أن يتحرج
من الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى
فقيل إن خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان الرجل
يجد اليتيمة لها مال وجمال أو يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن
وفقد من يغضب لهن أن يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم إن خفتم أن لا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا
من غيرهن ما طاب لكم وقيل للإناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل أيامى والأصل
أيائم ويتائم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على أن لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم يريد وإن خفتم أن تجوروا
ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لأن منهن ما حرم كاللاتي في آية التحريم وقيل ما ذهابا إلى الصفة ولأن الإناث
من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى أو ما ملكت أيمانكم مثنى وثلاث ورباع معدولة عن أعداد
مكررة وإنما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغتها وعدلها عن تكررها وهي نكرات يعرفن بلام التعريف
تقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن النصب على الحال مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات
هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا فإن قلت الذي أطلق للناكح في الجمع أن يجمع بين ثنتين أو ثلاث أو أربع
فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما أراده من العدد
الذي أطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو ألف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة
ولو أفردت لم يكن له معنى فإن قلت فلم جاء العطف بالواو دون أو قلت كما جاء بالواو في المثال الذي حذوته
لك ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة أعلمت أنه لا يسوغ
لهم أن يقتسموه إلا على أحد أنواع هذه القسمة وليس لهم أن يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على
تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة الذي دلت عليه الواو وتحريره أن الواو
دلت على إطلاق أن يأخذ الناكحون من أرادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع إن شاءوا مختلفين في تلك
الأعداد وإن شاءوا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء ذلك وقرأ إبراهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث
ورباع فإن خفتم أن لا تعدلوا بين هذه الأعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها فواحدة فالزموا
أو فاختاروا واحدة وذروا الجمع رأسا فإن الأمر كله يدور مع العدل فأينما وجدتم العدل فعليكم به

وقرئ فواحدةٌ بالرفع على معنى فالمقنع واحدة او فكفت واحدة او فحسبكم واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى في السهولة
واليسر بين الجمع الواحدة وبين الاما من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمري انهن اقل تبعة واقصر شغبا واخف
مؤنة من المهائر لا عليك اكثرت منهن ام اقللت عدلت بينهن في القسم ام لم تعدل عزلت عنهن ام لم تعزل
وقرئ ابن ابي عبلة من ملكت ذلك اشارة الى اختيار الواحدة والتسري ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا من
قولهم عال الميزان عولا اذا مال وميزان فلان عائل وعال الحاكم في حكمه اذا جار وروي ان اعرابيا حكم عليه حاكم
فقال له اتعول علي ويروى عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا تعولوا ان لا تجوروا والذي يحكى عن الشافعي رحمه الله
انه فسر ان لا تعولوا ان لا تكثر عيالكم فوجهه ان يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم
اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال
والرزق الطيب وكلام مثله من اعلام العلم وائمة الشرع ورؤوس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وان لا يظن
به تحريف تعيلوا الى تعولوا فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من في اخيك سوءا وانت تجد لها في
الخير محملا وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهدا بانه كان اعلى كعبا واطول باعا في علم
كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا واساليب فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات
فان قلت كيف يقل عيال من تسرى وفي السراري نحو ما في المهائر قلت ليس كذلك لان الغرض بالتزوج التوالد
والتناسل بخلاف التسري ولذلك جاز العزل عن السراري بغير اذنهن فكان التسري مظنة لقلة الولد بالاضافة
الى التزوج كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع وقرأ طاوس ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله
وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعي رحمه الله من حيث المعنى الذي قصده صدقاتهن مهورهن وفي حديث شريح قضى
ابن عباس لها بالصدقة وقرئ صَدْقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صَدُقاتهن وصُدْقاتهن بضم
الصاد وسكون الدال جمع صُدْقة بوزن غرفة وقرئ صُدُقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل
صُدْقة كقولك في ظُلْمة ظُلُمة نحلة من نَحَلَه كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا
ومنه حديث ابي بكر رضي الله عنه اني كنت نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء
بمعنى الاعطاء فكانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحال من
المخاطبين اي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيبة
الانفس وقيل نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة وفلان ينتحل كذا اي يدين به والمعنى آتوهن مهورهن ديانة على انها مفعول لها ويجوز ان يكون حالا
من الصدقات اي دينا من الله شرعه وفرضه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون
مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن تولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك
اي تعظمه والضمير في منه جار مجرى اسم الاشارة كانه قيل عن شيء من ذلك كما قال تعالى قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد
ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من افواه العرب ما روي عن رؤبة انه قيل له في قوله كانه في الجلد توليع البهق
فقال اردت كان ذاك او يرجع الى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق لانك لو قلت واتوا النساء صداقهن
لم تخل بالمعنى فهو نحو قوله فاصدق واكن من الصالحين كانه قيل اصدق ونفسا تمييز وتوحيدها لان الغرض
بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فان وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات
غير مخبثات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم فكلوه فانفقوه قالوا فان وهبت
له ثم طلبت منه بعد الهبة علم انها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي ان رجلا اتى مع امراته شريحا في عطية
اعطتها اياه وهي تطلب ان ترجع فقال شريح رد عليها فقال الرجل اليس قد قال الله تعالى فان طبن لكم فقال
لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه وعنه اقيلها فيما وهبت ولا اقيله لانهن يخدعن وحكي ان رجلا
من آل ابي معيط اعطته امراته الف دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته الى عبد الملك
بن مروان فقال الرجل اعطتني طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فاين الاية التي بعدها فلا تاخذوا منه شيئا
اردد عليها وعن عمر انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امراة اعطت ثم ارادت ان ترجع
فذلك لها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الاية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة
غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يواخذكم الله به في الاخرة وروي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يرجع
احدهم في شيء مما ساق الى امراته فقال الله تعالى ان طابت نفس واحدة من غير اكراه ولا خديعة فكلوه سائغا
هنيئا وفي الاية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فان
طبن ولم يقل فان وهبن او سمحن اعلاما بان المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة وقيل
فان طبن لكم عن شيء منه ولم يقل فان طبن لكم عنه بعثا لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد
لا يجوز تبرعها الا باليسير وعن الاوزاعي لا يجوز تبرعها ما لم تلد او تقم في بيت زوجها سنة ويجوز
ان يكون تذكير الضمير لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو انث لتناول ظاهره

هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا هنيئا مريئا صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ
اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يلذه الآكل والمريء ما تحمد عاقبته وقيل ما ينساغ في مجراه وقيل
لمدخل الطعام من الحلقوم الى فم المعدة المريء لمروء الطعام فيه وهو انسياغه وهما وصف للمصدر اي
اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا
على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هنأ مرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة
في الاباحة وازالة التبعة السفهاء المبذرون اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدي لهم باصلاحها
وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاولياء واضاف الاموال اليهم لانها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم
كما قال ولا تقتلوا انفسكم فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والدليل على انه خطاب للاولياء في اموال
اليتامى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم التي جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم
فكانها في انفسها قيامكم وانتعاشكم وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرأ عبد الله بن عمر قواما
بالواو وقوام الشيء ما يقام به كقولك هو ملاك الامر لما يملك به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن
ولان اترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة
يقلبها لولاها لتمندل بنو العباس وعن غيره وقيل له انها تدنيك من الدنيا لئن ادنتني من الدنيا
لقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج احدكم كان اول ما
ياكل دينه وربما راى رجلا في جنازة فقال له اذهب الى دكانك وارزقوهم فيها واجعلوها مكانا
لرزقهم بان تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فلا ياكلها الانفاق
وقيل هو امر لكل احد ان لا يخرج ماله الى احد من السفهاء قريب او اجنبي رجل او امراة يعلم انه يضعه
فيما لا ينبغي ويفسده قولا معروفا قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وعن عطاء
اذا ربحت اعطيتك وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقيل ان لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا
الله واياك بارك الله فيك وكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف
وما انكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف
قبل البلوغ حتى اذا تبينتم منهم رشدا اي هداية دفعتم اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ وبلوغ
النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد والايناس الاستيضاح
فاستعير للتبين واختلف في الابتلاء والرشد فالابتلاء عند ابي حنيفة واصحابه ان يدفع اليه ما يتصرف فيه
حتى يستبين حاله فيما يجيء منه والرشد التهدي الى وجوه التصرف وعن ابن عباس الصلاح في العقل والحفظ للمال
وعن مالك والشافعي الابتلاء ان يتتبع احواله وتصرفه في الاخذ والاعطاء ويتبصر مخايله وميله الى الدين والرشد
الصلاح في الدين لان الفسق مفسدة للمال فان قلت فان لم يؤنس منه رشد الى حد البلوغ قلت عند ابي حنيفة ينتظر
الى خمس وعشرين سنة لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة
معتبرة في تغير احوال الانسان لقوله عليه السلام مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله اونس منه الرشد او لم يؤنس
وعند اصحابه لا يدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد فان قلت ما معنى تنكير الرشد قلت معناه نوعا
من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة او طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد فان قلت كيف نظم هذا الكلام قلت ما بعد
حتى الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله
فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة
معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم جملة من شرط
وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم
دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وقرأ ابن مسعود فان احستم بمعنى احسستم قال
احسن به فهن اليه شوس وقرئ رَشَدا بفتحتين ورُشُدا بضمتين اسرافا وبدارا مسرفين ومبادرين
كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم يفرطون في انفاقها ويقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها
من ايدينا ثم قسم الامر بين ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعفف من اكلها ولا يطمع
ويقنع بما رزقه الله من الغنى اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله والفقير ياكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره
على وجه الاجرة او استقراضا على ما في ذلك من الاختلاف ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على ان
للوصي حقا لقيامه عليها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير
متاثل مالا ولا واق مالك بماله فقال افاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس ان ولي اليتيم
قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنا جرباها وتسقيها يوم وردها
فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعنه يضرب بيده مع ايديهم فلياكل بالمعروف ولا يلبس عمامة
فما فوقها وعن ابراهيم لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب

بنفقته تقوم له البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه • وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر ما
يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي • وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى
وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت
ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل • وعن عمر بن الخطاب رضه اني انزلت نفسي من مال الله منزلة
والي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعفف
ابلغ من عف كانه طالب زيادة العفة **فاشهدوا عليهم** بانهم قبضوها وبرئت عنها
ذممكم وذلك ابعد من التجاحد والتخاصم وادخل في الامانة وبراءة الساحة الا ترى انه اذا لم يشهد
فادعي عليه صدق مع اليمين عند ابي حنيفة واصحابه • وعند مالك والشافعي لا يصدق الا بالبينة
فكان في الاشهاد الاستحراز من توجه الحلف المفضي الى التهمة او من وجوب الضمان اذا لم يقم البينة
وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب
الاقربون هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم **مما قل منه او كثر** بدل مما ترك بتكرير العامل **نصيبا** مفروضا
نصب على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا **مفروضا** مقطوعا واجبا لا بد لهم من ان يحوزوه ولا يستأثر به ويجوز ان ينتصب انتصاب
المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة • روي ان اوس بن الصامت الانصاري ترك
امرأته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكان اهل
الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة
فجاءت ام كحة الى رسول الله صلعم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث
اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى
ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم **واذا حضر القسمة** اي قسمة التركة اولوا القربى ممن لا يرث
فارزقوهم منه الضمير لما ترك الوالدان والاقربون وهو امر على الندب قال الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك
اذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله تعالى على ذلك تأديبا من غير
ان يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق • وروي ان عبد الله بن
عبد الرحمن بن ابي بكر رضه قسم ميراث ابيه رضه وعائشة رضي الله عنها حية فلم يدع في الدار احدا الا اعطاه
وتلا هذه الاية وقيل هو على الوجوب وقيل هو منسوخ باية المواريث كالوصية • وعن سعيد بن جبير ان
ناسا يقولون نسخت • والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس • والقول المعروف ان يلطفوا لهم القول
ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم
وعن الحسن والنخعي ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعني الورق
والذهب فاذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم
قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم **ولو** مع ما في حيزه صلة للذين والمراد بهم الاوصياء امروا
بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم صغارا
وشفقتهم عليهم وان يقدروا ذلك في انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة
ويجوز ان يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان
ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا
على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولاد هم انفسهم لو كانوا • ويجوز ان يتصل بما قبله وان
يكون امرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء اقاربهم واليتامى والمساكين وان يتصوروا
انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة
فان قلت ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين **قلت** معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم
لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم **خافوا عليهم** الضياع بعدهم لذهاب
كافلهم وكاسبهم كما قال • لقد زاد الحياة الي حبا • بناتي انهن من الضعاف • احاذر ان يرين البؤس بعدي
وان يشربن رنقا بعد صاف • وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى نحو سكارى وسكارى • والقول السديد
من الاوصياء ان لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بني
ويا ولدي ومن الجالسين الى المريض ان يقولوا له اذا اراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف باولادك
مثل قول رسول الله صلعم لسعد انك ان تترك ولدك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس
وكان الصحابة رضه يستحبون ان لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث • ومن
المتقاسمين ان يلطفوا القول ويجملوا للحاضرين **ظلما** ظالمين او على وجه الظلم من اولياء السوء وقضاته
في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال • كلوا في بعض بطنكم تعفوا • ومعنى
يأكلون نارا يأكلون ما يجر الى النار فكانه نار في الحقيقة وروي انه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة

والدخان

والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا
وقرئ سيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها **سعيرا** نارا من النيران مبهمة الوصف **يوصيكم الله**
يعهد اليكم ويأمركم **في اولادكم** في شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال تفصيله للذكر مثل حظ
الانثيين **فان قلت** هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر **قلت**
ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قصد الى بيان
فضل الذكر وقولك للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص الانثى وما كان قصدا الى بيان فضله كان
ادل على فضله من القصد الى بيان نقص غيره عنه ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب لورود
الاية فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة
بمثل ما يدلون به **فان قلت** فان حظ الانثيين الثلثان فكانه قيل للذكر الثلثان **قلت** اريد حال الاجتماع
لا الانفراد اي اذا اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين واما في حال الانفراد فالابن يأخذ
المال كله والبنتان يأخذان الثلثين • والدليل على ان الغرض حكم الاجتماع انه اتبعه حكم الانفراد وهو قوله فان كن
نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم اي من اولادكم فحذف الراجع اليه لانه مفهوم كقولهم
السمن منوان بدرهم **فان كن نساء** فان كانت البنات او المولودات نساء خلصا ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن
ابن **فوق اثنتين** يجوز ان يكون خبرا ثانيا لكان وان يكون صفة
لنساء اي نساء زائدات على اثنتين وان كانت البنت او المولودة منفردة فذة ليس معها
اخرى فلها النصف وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب اوفق لقوله فان كن نساء
وقرأ زيد بن ثابت النصف بالضم والضمير في ترك للميت لان الاية لما كانت في الميراث علم ان التارك هو الميت
فان قلت قوله للذكر مثل حظ الانثيين كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الاولاد لا لبيان حظ الانثيين
فكيف صح ان يردف قوله فان كن نساء وهو لبيان حظ الاناث **قلت** وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر
الا انه لما فقه منه وتبين حظ الانثيين مع اخيهما كان كانه مسوق للامرين جميعا فلذلك صح ان يقال
فان كن نساء **فان قلت** هل يصح ان يكون الضميران في كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما
على ان كان تامة **قلت** لا ابعد ذلك **فان قلت** لم قيل فان كن نساء ولم يقل وان كانت امرأة **قلت** لان
الغرض ثمة خلوصهن اناثا لا ذكر فيهن ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور في قوله للذكر مثل حظ الانثيين
وبين انفرادهن واريد ههنا ان يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها **فان قلت** قد
ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكمهما وما باله لم يذكر
قلت اما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس ابى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله فان كن نساء فوق اثنتين فاعطاهما
حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف • واما سائر الصحابة فقد اعطوهما حكم الجماعة والذي يعلل به قولهم ان قوله
للذكر مثل حظ الانثيين قد دل على ان حكم الانثيين حكم الذكر وذلك ان الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالانثيان
كذلك يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الانثيين قيل فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى
فان كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للاثنتين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم ان
حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت • وقيل ان البنتين امس رحما بالميت من الاختين فاوجبوا لهما ما اوجب
للاختين ولم يروا ان يقصروا بهما عن حظ من هو ابعد رحما منهما • وقيل ان البنت لما وجب لها مع اخيها
الثلث كانت احرى ان يجب لها الثلث اذا كانت مع اخت مثلها ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها ايضا مع اخيها
لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان **ولابويه** الضمير للميت ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير العامل •
وفائدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان
لاوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها **فان قلت** فهلا قيل ولكل واحد من ابويه السدس واي فائدة
في ذكر الابوين اولا ثم في الابدال منهما **قلت** لان في الابدال والتفصيل بعد الاجمال تأكيدا وتشديدا
كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير • والسدس مبتدأ وخبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان
وقرأ الحسن ونعيم بن ميسرة السدس بالتخفيف وكذلك الثلث والربع والثمن • والولد يقع على
الذكر والانثى ويختلف حكم الاب في ذلك فان كان ذكرا اقتصر بالاب على السدس وان كان انثى عصب
مع اعطاء السدس **فان قلت** قد بين حكم الابوين في الارث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل
فان لم يكن له ولد فلامه الثلث واي فائدة في قوله وورثه ابواه **قلت** معناه فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك كما قال لكل واحد منهما السدس مما ترك
لانه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للام ثلث ما بقي بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك
الا عند ابن عباس رضه والمعنى ان الابوين اذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين **فان قلت**
ما العلة في ان كان لها ثلث ما بقي دون ثلث المال **قلت** فيه وجهان احدهما ان الزوج انما استحق
ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة فاشبه الوصية في قسمة ما وراءه • والثاني ان الاب اقوى في الارث من الام

بل لما انه يضعف عليها اذا خلفتا ويكون صاحب فرض وعصبة وجامعًا بين الامرين فلو ضرب لها الثلث كملا لأدّى الى حط نصيبه عن نصيبها ألا ترى ان امرأة لو تركت زوجًا وابوين فصار للزوج النصف وللام الثلث والباقي للاب حازت الام سهمين والاب سهمًا واحدًا فينقلب الحكم الى ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين. **فان كان له اخوة فلامه السدس** الاخوة يحجبون الام عن الثلث وان كانوا لا يرثون مع الاب فيكون لها السدس وللاب خمسة الاسداس ويستوي في الحجب الاثنان فصاعدًا الا عند ابن عباس وعنه انهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الام فان قلت فكيف صح ان يتناول الاخوة الاخوين والجمع خلاف التثنية قلت الاخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع في افادة الكمية وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدل بالاخوة عليه. وقرئ فلإمه بكسر الهمزة اتباعًا للجرة ألا تراها لا تكسر في قوله وجعلنا ابن مريم وامه آية. **من بعد وصية** متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كانه قيل قسمة هذه الانصباء من بعد وصية يوصي بها وقرئ يوصي بها بالتخفيف والتشديد. ويوصى بها على البناء للمفعول مخففا فان قلت ما معنى أو قلت معناها الاباحة وانه ان كان احدهما او كلاهما قدم على قسمة الميراث كقولك جالس الحسن او ابن سيرين فان قلت لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة قلت لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها ماخوذة من غير عوض كان اخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب انفسهم بها فكان اداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة الى ادائه فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة الى اخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة او للتسوية بينهما في الوجوب ثم اكد ذلك ورغب فيه بقوله آباؤكم وابناؤكم **لا تدرون** من انفع لكم من آبائكم وابنائكم الذين يموتون أمن اوصى منهم ام من لم يوص يعني ان من اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعًا واحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة الا انه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الآخرة وان كان آجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب الادنى. وقيل ان الابن ان كان ارفع درجة من ابيه في الجنة سأل ان يرفع ابوه اليه فيرفع وكذلك الاب ان كان ارفع درجة من ابنه سأل ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا. وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم انتم الاموال على غير حكمة. وقيل الاب تجب له النفقة على الابن اذا احتاج وكذلك الابن اذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدرى ايهما اقرب نفعا وليس شيء من هذه الاقاويل بملائم للمعنى ولا مجاوب له لان هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراض ان يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول ما تقدم. **فريضة** نصبت نصب المصدر المؤكد اي فرض ذلك فرضا **ان الله كان عليما** بمصالح خلقه **حكيما** في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها **فان كان لهن ولد** منكم او من غيركم فجعلت المرأة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن **وان كان رجل** يعني الميت يورث من ورث اي يورث منه وهو صفة لرجل وكلالة خبر كان اي وان كان رجل موروث منه كلالة او يجعل يورث خبر كان وكلالة حالا من الضمير في يورث وقرئ يورث ويورث بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل وكلالة حالا او مفعولا به فان قلت ما الكلالة قلت تنطلق على ثلاثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي وما كف عن جبن والكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لانها بالاضافة الى قرابتهما كالة ضعيفة واذا جعل صفة للموروث او الوارث فبمعنى ذي كلالة كما تقول فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق فان قلت فان جعلتها اسما للقرابة في الآية فعلام تنصبها قلت على انها مفعول له اي يورث لاجل الكلالة او يورث غيره لاجلها فان قلت فان جعلت يورث على البناء للمفعول من اورث فما وجهه قلت الرجل حينئذ هو الوارث لا الموروث فان قلت فالضمير في قوله فلكل واحد منهما الى من يرجع حينئذ قلت الى الرجل والى اخيه او اخته وعلى الاول اليهما فان قلت اذا رجع الضمير اليهما افاد استواءهما في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر للانثى فهل تبقى هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه قلت نعم لانك اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى وعن ابي بكر الصديق انه سئل عن الكلالة فقال اقول فيه برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان والله منه بريء الكلالة ما خلا الولد والوالد وعن عطاء والضحاك ان الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير هو الوارث. وقد اجمعوا على ان المراد اولاد الام ويدل عليه قراءة ابي وله اخ او اخت

من الام

من الام وقراءة سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من ام وقيل انما استدل على ان الكلالة ههنا الاخوة للام خاصة بما ذكر في آخر السورة من ان للاختين الثلثين وان للاخوة كل المال فعلم ههنا انه لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا على الثلث شيئا انه يعني بهم الاخوة للام والا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الاخوة الاخياف والاعيان واولاد العلات وغيرهم **غير مضار** حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك ان يوصي بزيادة على الثلث او يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله. وعن قتادة كره الله الضرار في الحياة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار **وصية من الله** مصدر مؤكد اي يوصيكم بذلك وصية كقوله فريضة من الله ويجوز ان تكون منصوبة بغير مضار اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث او وصية من الله بالاولاد وان لا يدعهم عالة باسرافه في الوصية وينصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالاضافة **والله عليم** بمن جار او عدل في وصيته **حليم** عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد فان قلت يوصي ضمير الرجل اذا جعلته الموروث فكيف تعمل اذا جعلته الوارث قلت كما عملت في قوله تعالى فلهن ثلثا ما ترك لانه علم ان التارك والموصي هو الميت فان قلت فاين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها على ما لم يسم فاعله قلت يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثم موصيا كما قال يسبح له فيها على ما لم يسم فاعله فعلم ان ثم مسبحا فاضمر يسبح فكما كان رجال فاعل ما دل عليه يسبح كان غير مضار حالا عما يدل عليه يوصى بها **تلك** اشارة الى الاحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق **يدخله** قرئ بالياء والنون وكذلك ندخله نارا وقيل يدخله **وخالدين** حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال فان قلت هل يجوز ان يكونا صفتين لجنات ونارا قلت لا لانهما جريا على غير من هما له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها **يأتين الفاحشة** يرهقنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى. وفي قراءة ابن مسعود يأتين بالفاحشة والفاحشة الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبائح **فامسكوهن في البيوت** قيل معناه فخلدوهن محبوسات في بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن في اول الاسلام ثم نسخ بقوله الزانية والزاني الآية ويجوز ان تكون غير منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن في البيوت بعد ان يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال او يجعل الله لهن سبيلا هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد لانه لم يكن مشروعا ذلك الوقت فان قلت ما معنى يتوفاهن الموت والتوفي والموت بمعنى واحد كانه قيل حتى يميتهن الموت قلت يجوز ان يراد حتى يتوفاهن ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ان الذين توفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت او حتى ياخذهن الموت ويستوفي ارواحهن **واللذان يأتيانها منكم** يريد الزاني والزانية **فآذوهما** فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله **فان تابا واصلحا** وغيرا الحال **فاعرضوا عنهما** واقطعوا التوبيخ والمذمة فان التوبة تقطع استحقاق المذمة والعقاب ويحتمل ان يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين. وقرئ واللذان بتشديد النون واللذأن بالهمزة وتشديد النون **التوبة** من تاب الله عليه اذا قبل توبته وغفر له يعني انما القبول والغفران واجب على الله لهؤلاء **بجهالة** في موضع الحال اي يعملون السوء جاهلين سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه والشهوة لا مما تدعو اليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته **من قريب** من زمان قريب والزمان القريب ما قبل حضرة الموت الا ترى الى قوله حتى اذا حضر احدهم الموت فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب وعن ابن عباس قبل ان ينزل به سلطان الموت. وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن النخعي ما لم يؤخذ بكظمه. وروى ابو ايوب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر. وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة. وعن الحسن ان ابليس لعنه الله قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر. فان قلت ما معنى من في قوله من قريب قلت معناه التبعيض اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب والا فهو تائب من بعيد فان قلت ما فائدة قوله فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة على الله لهم قلت قوله انما التوبة على الله اعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات وقوله فاولئك يتوب الله عليهم عدة بانه يفي بما وجب عليه واعلام بان الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب **ولا الذين يموتون** عطف على الذين يعملون السيئات سوى بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم

لان حضور الموت اول احوال الاخرة ثم ان المائت على الكفر فدفاته التوبه على اليقين وكذلك
المسوف الى حضور الموت لمجاوزه كل واحد منهما اوان التكليف والاختيار اولئك اعتدنا لهم في الوعيد
نظير قوله فاولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين ان الامرين كائنان لا محالة فان قلت من المراد
بالذين يعملون السيئات اهم الفساق من اهل القبلة ام الكفار قلت فيه وجهان احدهما ان
يراد الكفار لظاهر قوله وهم كفار وان يراد الفساق لان الكلام انما وقع في الزانيين والاعراض
عنهما ان تابا واصلحا ويكون قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني
عن العالمين وقوله عليه السلام فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر لان من كان
مصدقا ومات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة حالة قريبة من حال الكافر لانه لا يجترى على ذلك
الا قلب مصمت عشوشية كانوا يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بانواع من الظلم فزجروا عن
ذلك كان الرجل اذا مات له قريب من اب او اخ او حميم عن امراة القى ثوبه عليها وقال انا احق
بها من كل احد فقيل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها اي ان تاخذوهن على سبيل الارث كما تحاز
المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل لا يحل لكم ان تمسكوهن
حتى ترثوهن وهن غير راضيات بامساككم وكان الرجل اذا تزوج امراة ولم تكن من حاجته حبسها
مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن
والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المراة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه
الا ان ياتين بفاحشة مبينة وهي النشوز وشكاسة الخلق وايذا الزوج واهله بالبذا والسلاطة اي
الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع وتدل عليه قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم
وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها ان يسالها الخلع وقيل كانوا اذا اصابت امراة فاحشة
اخذ منها ما ساق اليها واخرجها وعن ابي قلابة ومحمد بن سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها
وعن قتادة لا يحل له ان يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه يعني وان زنت وقيل نسخ ذلك بالحدود وكانوا
يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم وعاشروهن بالمعروف وهو النصفة في المبيت والنفقة والاجمال
في القول فان كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو اصلح في
الدين واحمد وادنى الى الخير واحببت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في اسباب الصلاح وكان
الرجل اذا طمحت عينه الى استطراف امراة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجيها الى
الافتدا منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج غيرها فقيل وان اردتم استبدال زوج مكان زوج الاية والقنطار
المال العظيم من قنطرت الشي اذا رفعته ومنه القنطرة لانها بنا مشيد قال طرفة
كقنطرة الرومي اقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد وعن عمر انه قام خطيبا فقال ايها الناس
لا تغالوا بصدق النسا فلو كانت مكرمة في الدنيا او تقوى عند الله لكان اولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما اصدق امراة من نسائه اكثر من اثنتي عشرة اوقية فقامت اليه امراة فقالت يا امير المؤمنين لم
تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم احداهن قنطارا فقال عمر كل احد اعلم من عمر
ثم قال لاصحابه تسمعونني اقول مثل هذا القول فلا تنكرونه علي حتى ترد علي امراة ليست من اعلم
النسا والبهتان ان يستقبل الرجل بامر قبيح يقذفه به وهو بري منه لانه يبهت عند ذلك اي
يتحير وانتصب بهتانا على الحال اي باهتين وآثمين او على انه مفعول له وان لم يكن غرضا كقولك
قعد عن القتال جبنا والمراد بالميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة كانه قيل واخذن به منكم ميثاقا غليظا
اي بافضا بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة
فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج وقيل هو قول الولي عند العقد انكحتك على ما في كتاب
الله امساك بمعروف او تسريح باحسان وعن النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنسا خيرا فانهن عوان في ايديكم
اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وكان ناس منهم يتزوجون نسا ابيهم وناس منهم يمقتونه من ذوي
مروآتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي ومن ثم قيل ومقتا كانه قيل هو
فاحشة في دين الله بالغة في القبح قبيح ممقوت في المروة ولا مزيد على ما يجمع القبحين وقرئ لا يحل لكم
بالتاء على ان ترثوا بمعنى الوراثة وكرها بالفتح والضم من الكراهة والاكراه وقرئ بفاحشة مبينة من ابان
بمعنى تبينت او بينت كما قرئ مبينة بكسر اليا وفتحها وعاشروهن بالرفع على انه في موضع الحال وآتيتم
احداهن يوصل همزة احداهن كما قرئ فلا اثم عليه فان قلت تعضلوهن ما وجه اعرابه قلت النصب عطفا
على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي اي لا يحل لكم ان ترثوا النسا ولا ان تعضلوهن فان قلت اي فرق بين تعدية
ذهب بالبا وبينها بالهمزة قلت اذا عدي بالبا فمعناه الاخذ والاستصحاب كقوله فلما ذهبوا
به واما الاذهاب فكالازالة فان قلت الا ان ياتين ما هذا الاستثنا قلت هو استثنا من اعم عام

الظرف

الظرف او المفعول كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت ان ياتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة
من العلل الا لان ياتين بفاحشة فان قلت من اي وجه صح قوله فعسى ان تكرهوا جوابا للشرط قلت من
حيث ان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما
تحبونه فان قلت كيف استثنى ما قد سلف مما نكح اباؤكم قلت كما استثنى غير ان سيوفهم من قوله
ولا عيب فيهم يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض
المبالغة في تحريمه وسد الطريق الى اباحته كما يعلق بالمحال في التابيد في نحو قولهم حتى يبيض القار وحتى
يلج الجمل في سم الخياط معنى حرمت عليكم امهاتكم تحريم نكاحهن لقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النسا
ولان تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير
تحريم اكله وقرئ وبنات الاخت بتخفيف الهمزة وقد نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى
المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد
ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها
خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومنه قوله عليه السلام يحرم من الرضاع
ما يحرم من النسب وقالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب الا في مسئلتين احدهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج
اخت ابنه من النسب ويجوز ان يتزوج اخت ابنه من الرضاع لان المانع في النسب وطؤه امها وهذا
المعنى غير موجود في الرضاع والثانية لا يجوز ان يتزوج ام اخيه من النسب ويجوز في الرضاع لان المانع
في النسب وطء الاب اياها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع من نسائكم متعلق بربائبكم ومعناه ان
الربيبة من المراة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها فان قلت هل يصح ان يتعلق
بقوله وامهات نسائكم قلت لا يخلو اما ان يتعلق بهن وبالربائب فيكون حرمتهن وحرمة الربائب
غير مبهمتين جميعا واما ان يتعلق بهن دون الربائب فيكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة الربائب
مبهمة فلا يجوز الاول لان معنى من مع احد المتعلقين خلاف معناه مع الاخر الا ترى انك اذا قلت وامهات
نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النسا وتمييز المدخول بهن من غير المدخول
بهن واذا قلت وربائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانك جاعل من لابتدا الغاية كما تقول بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خديجة وليس بصحيح ان يعني بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيان مختلفان ولا يجوز الثاني لان ما يليه
من نسائكم هو الذي يستوجب التعليق به ما لم يعترض امر لا يرد الا ان تقول اعلقه بالنسا والربائب واجعل
من للاتصال كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض فاني لست منك ولست مني ما انا من دد
ولا الدد مني وامهات النسا متصلات بالنسا لانهن امهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن
بناتهن هذا وقد اتفقوا على ان تحريم امهات النسا مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله تعالى
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في رجل تزوج امراة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه قال لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له
ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا
ما ارسل الله وعن ابن عباس ابهموا ما ابهم الله الا ما روي عن علي وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير
انهم قرؤوا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله ما نزل الا هكذا وعن جابر
روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره له ان يخلف على امها واذا
طلقها قبل ان يدخل بها فان شا فعل اقام الموت مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه في باب المهر وسمي ولد
المراة من غير زوجها ربيبا وربيبة لانه يربها كما يرب ولده في غالب الامر ثم اتسع فيه فسمي بذلك
وان لم يربها فان قلت ما فايدة قوله في حجوركم قلت فايدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن
او لكونهن بصدد احتضانكم وفي حكم التقلب في حجوركم اذا دخلتم بامهاتهن وتمكنتم بدخولكم حكم الزواج
وثبتت الخلطة والالفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت الحال خليقة بان تجروا اولادهن مجرى
اولادكم كانكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم وعن علي عليه السلام انه شرط ذلك في التحريم وبه اخذ داود
فان قلت ما معنى دخلتم بهن قلت هي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني ادخلتموهن
الستر والبا للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند ابي حنيفة وعن عمر انه خلا بجارية فجردها
فاستوهبها ابن له فقال انها لا تحل لك وعن مسروق انه امر ان تباع جاريته بعد موته وقال
اما اني لم اصب منها الا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر وعن الحسن في الرجل يملك الامة فيغمزها لشهوة
او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده بحال وعن عطا وحماد بن ابي سليمان اذا نظر الى فرج
امراة فلا ينكح امها ولا ابنتها وعن الاوزاعي اذا دخل بالام فعراها ولمسها بيده واغلق الباب
وارخى الستر فلا يحل له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار ان التحريم
لا يقع الا بالجماع وحده الذين من اصلابكم دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش
الاسدية بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال عز وجل
لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وان تجمعوا في موضع الرفع عطف على المحرمات اي وحرم عليكم

علي

عليكم الجمع بين الاختين والمراد حرمة النكاح لان التحريم في آية تحريم النكاح واما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن
عثمن وعلي رضي الله عنهما انهما قالا احلتهما آية وحرمتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح
علي التحريم وعثمن التحليل **الا ما قد سلف** ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا
رحيما **والمحصنات** القراءة بفتح الصاد وعن طلحة بن مصرف انه قرأ بكسر الصاد وهن ذوات
الازواج لانهن احصن فروجهن بالتزويج فهن محصنات ومحصنات **الا ما ملكت**
ايمانكم يريد الا ما ملكت ايمانكم من اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة
المسلمين وان كن محصنات وفي معناه قول الفرزدق وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق
كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرم وقيل
علام عطف قوله واحل لكم على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله اي كتب الله عليكم تحريم ذلك واحل
لكم ما وراء ذلكم ويدل عليه قراءة اليماني كتب الله عليكم واحل لكم وروي عنه انه قرأ كتب الله عليكم على
الجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم ومن قرأ واحل لكم على البناء للمفعول فقد عطفه على حرمت
ان تبتغوا مفعول له بمعنى بين لكم ما احل مما حرم ارادة ان يكون ابتغاؤكم باموالكم التي جعل الله
لكم قياما في حال كونكم محصنين غير مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل لكم
فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة
وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والاموال المهور وما يخرج في المناكح فان قلت اين مفعول
تبتغوا قلت يجوز ان يكون مقدرا وهو النساء والاجود ان لا يقدر وكانه قيل ان تخرجوا
اموالكم ويجوز ان يكون تبتغوا بدلا من ما وراء ذلكم والمسافح الزاني من السفح وهو صب
المني وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحيني وماذيني من المذي **فما استمتعتم به منهن** فما استمتعتم
به من المنكوحات من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهن فآتوهن اجورهن عليه فاسقط الراجع
الى ما لانه لا يلبس كقوله ان ذلك لمن عزم الامور باسقاط منه ويجوز ان يكون ما في معنى
النساء ومن للتبعيض او للبيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فآتوهن
اجورهن مهورهن لان المهر ثواب على البضع **فريضة** حال من الاجور بمعنى مفروضة او وصعت
موضع ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة **فيما تراضيتم به من بعد الفريضة**
فيما تحط عنه من المهر او تهب له من كله او يزيد لها على مقداره وقيل فيما تراضيا به من مقام او فراق
وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتح الله مكة على رسوله عم ثم نسخت كان الرجل ينكح
المرأة وقتا معلوما ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب او غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت
متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر لا أوتى برجل تزوج بامرأة الى اجل الا رجمتهما
بالحجارة وعن النبي عم انه اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني قد كنت امرتكم بالاستمتاع من
هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وما ابيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن عباس
هي محكمة يعني لم تنسخ وكان يقرأ فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى ويروى انه رجع عن ذلك عند موته
وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف **الطول** الفضل يقال لفلان على فلان
طول اي زيادة وفضل وقد طاله طولا فهو طائل قال لقد زادني حبا لنفسي انني بغيض الى كل امرئ غير طائل
ومنه قولهم ما خلا منه بطائل اي بشيء يعتد به مما له فضل وخطر ومنه الطول في الجسم
لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة
يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة قال ابن عباس من ملك ثلاث مائة درهم فقد وجب عليه الحج وحرم
عليه نكاح الاماء وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعي واما ابو حنيفة فيقول الغنى والفقر
سواء في جواز نكاح الامة ويفسر الآية بان من لم يملك فراش الحرة على ان النكاح هو الوطء فله ان ينكح امة
وفي رواية عن ابن عباس انه قال مما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية
وان كان موسرا وكذلك قوله من فتياتكم المؤمنات الظاهر ان لا يجوز نكاح الامة الكتابية وهو
مذهب اهل الحجاز وعند اهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الامة المؤمنة افضل فحملوه على الفضل لا على الوجوب
واستشهدوا على ان الايمان ليس بشرط بوصف الحرائر به مع علمنا انه ليس بشرط فيهن على الاتفاق
ولكنه افضل **فان قلت** لم كان نكاح الامة منحطا عن نكاح الحرة **قلت** لما فيه من اتباع الولد الام
في الرق ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله
نقصان راجع الى الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين وقوله **من فتياتكم** اي من فتيات المسلمين
لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين **فان قلت** فما معنى قوله والله اعلم بايمانكم **قلت** معناه ان الله
اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم في الايمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان ايمان الامة ارجح
من ايمان الحرة والمرأة افضل في الايمان من الرجل وحق المؤمنين ان لا يعتبروا الا فضل الايمان لا فضل الاحساب

والانساب هذا تانيس

والانساب وهذا تانيس بنكاح الاماء وترك الاستنكاف منه **بعضكم من بعض** اي انتم وارقاؤكم متواصلون متناسبون
لاشتراككم في الايمان لا يفضل حر عبدا الا برجحان فيه **باذن اهلهن** اشتراط لاذن الموالي في نكاحهن ويحتج
به لقول ابي حنيفة ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالي لا عقدهم **وآتوهن اجورهن**
بالمعروف وادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار والحواج الى الاقتضاء واللز **فان قلت** الموالي هم ملاك
مهورهن لا هن والواجب اداؤها اليهم لا اليهن فلم قيل وآتوهن **قلت** لانهن وما في ايديهن مال
الموالي فكان اداؤها اليهن اداء الى الموالي او على ان اصله فآتوا مواليهن فحذف المضاف **محصنات** عفائف
والاخدان الاخلاء في السر كانه قيل غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له **فاذا احصن** بالتزويج وقرئ احصن **فعليهن نصف ما**
على المحصنات اي الحرائر من العذاب من الحد كقوله وليشهد عذابهما ويدرأ عنها العذاب ولا رجم عليهن لان الرجم لا يتنصف
ذلك اشارة الى نكاح الاماء **لمن خشي العنت منكم** لمن خاف الاثم الذي تؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار
العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة المأثم وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها
خشي ان يواقعها فيحد فيتزوجها وان تصبروا في محل الرفع على الابتداء اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم
وعن النبي عم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت **يريد الله ليبين لكم** اصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت
اللام مؤكدة لارادة التبيين كما زيدت في لا ابا لك لتأكيد اضافة الاب والمعنى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم
من مصالحكم وافاضل اعمالكم وان يهديكم مناهج من كان قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم
لتقتدوا بهم ويتوب عليكم ويرشدكم الى طاعات ان قمتم بها كانت كفارات لسيئاتكم فيتوب الله عليكم ويكفر لكم
والله يريد ان يتوب عليكم ان تفعلوا ما تستوجبون به ان يتوب عليكم ويريد الفجرة الذين **يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما**
وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل اعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود وقيل المجوس
كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة
والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم **يريد الله ان يخفف عنكم**
باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص **وخلق الانسان ضعيفا** لا يصبر عن الشهوات ولا على مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب
ما ايس الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو
بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي فتنة النساء وقرئ ان يميلوا بالياء والضمير للذين يتبعون الشهوات وقرأ ابن عباس وخلق الانسان
على البناء للفاعل ونصب الانسان وعنه رضي الله عنه ثماني آيات في سورة النساء هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت
يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك
ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم **بالباطل** بما لم يبحه الشرع من نحو السرقة
والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا **الا ان تكون تجارة** الا ان تقع تجارة وقرئ تجارة على الا ان تكون التجارة تجارة
عن تراض منكم والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض او ولكن كون تجارة عن تراض منكم غير
منهي عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراض وخص التجارة بالذكر لان اسباب الرزق اكثرها متعلق
بها والتراضي رضا المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الايجاب والقبول وهو مذهب ابي حنيفة وعند الشافعي
تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين **ولا تقتلوا انفسكم** من كان من جنسكم من المؤمنين وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم
او ولا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو بن العاص انه تأوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله
وقرأ علي رضي الله عنه ولا تقتلوا بالتشديد **ان الله كان بكم رحيما** ما نهاكم عما يضركم الا لرحمته عليكم وقيل معناه انه امر بني
اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف
الصعبة **ذلك** اشارة الى القتل اي ومن يقدم على قتل الانفس عدوانا وظلما لا خطأ ولا اقتصاصا وقرئ عدوانا
بالكسر ونصليه بتخفيف اللام وتشديدها ونصليه بفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه
بالياء والضمير لله عز وجل او لذلك لكونه سببا للصلي **نارا** نارا مخصوصة شديدة العذاب **وكان ذلك على الله يسيرا**
لان الحكمة تدعو اليه ولا صارف عنه من ظلم او نحوه **كبائر ما تنهون عنه** وقرئ كبير ما تنهون عنه اي ما كبر من
المعاصي التي نهاكم الله عنها والرسول **نكفر عنكم سيئاتكم** نمط ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على
صغائركم ونجعلها كأن لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها على عقاب السيئات
واللمم والصغيرة انما وصفتا بالكبر والصغر باضافتهما اما الى طاعة او معصية او ثواب فاعلهما
والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة
الثواب المستحق بعقاب ازيد او بندم على الطاعة وعن علي رضي الله عنه الكبائر سبع الشرك والقتل والقذف
والزنا واكل مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام
وعن ابن عباس ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار
ولا كبيرة مع الاستغفار وروي الى سبعين وقرئ يكفر بالياء ومدخلا بضم الميم وفتحها بمعنى المكان
والمصدر فيهما **ولا تتمنوا** نهوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه
والمال لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما يصلح

المقسوم له من بسط في الرزق او قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فعلى كل واحد ان يرضى
بما قسم له علما بان ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان مفسدة له ولا يحسد اخاه على حظه
للرجال نصيب مما اكتسبوا جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط
او القبض كسبا له • واسألوا الله من فضله ولا تتمنوا انصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من
خزائنه التي لا تنفد • وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء في الدنيا لنا سهمان ولهن سهم واحد
فنرجوا ان يكون لنا اجران في الاخرة على الاعمال ولهن اجر واحد فقالت ام سلمة ونسوة معها ليت الله
كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت • ان الله كان بكل شيء عليما • ولكل
مما ترك الوالدان والاقربون من المال جعلنا موالي يعني وراثا يلونه ويحوزونه او ولكل قوم جعلناهم
موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع الى كل محذوف
والكلام مبتدأ وخبر كما تقول لكل من خلقه الله انسانا نصيب من رزق الله اي حظ من رزق الله او لكل
احد جعلنا موالي مما ترك اي وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانهم في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل
ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون كانه قيل من هم فقيل الوالدان والاقربون والذين عاقدت ايمانكم
مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله فآتوهم نصيبهم ويجوز ان يكون منصوبا على قولك
زيدا فاضربه ويجوز ان يعطف على الوالدان ويكون المضمر في فآتوهم للموالي والمراد بالذين عاقدت
ايمانكم موالي الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك
وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس
من ميراث الحليف فنسخ • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خطب يوم الفتح فقال ما كان من حلف في الجاهلية
فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام • وعند ابي حنيفة
لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة خلافا للشافعي
وقيل المعاقدة التبني • ومعنى عاقدت ايمانكم عاقدتهم ايديكم وماسحتموهم • وقرئ عقدت
بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم • الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن آمرين
ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعا
يعني انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء
وفيه دليل على ان الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا في فضل
الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وان منهم
الانبياء والعلماء وفيهم الامامة الكبرى والصغرى والجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف
وتكبيرات التشريق عند ابي حنيفة والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب
في الميراث والحمالة والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم
الانتساب وهم اصحاب اللحى والعمائم • وبما انفقوا وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن من اموالهم
في المهور والنفقات • وروي ان سعد بن الربيع وكان نقيبا من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته
حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال افرشته كريمتي
فلطمها فقال لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير •
ورفع القصاص • واختلف في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها
ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل واما اللطمة ونحوها فلا • فالصالحات مطيعات
قانتات قائمات بما عليهن للازواج حافظات للغيب الغيب خلاف الشهادة حافظات لمواجب الغيبة
اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج
والبيوت والاموال • وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك
واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية • وقيل للغيب لاسرار ازواجهن بما حفظ الله بما حفظهن
الله حين اوصى بهن الازواج في كتابه وامر رسوله فقال استوصوا بالنساء خيرا او بما حفظهن الله
وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب او بما حفظهن حين وعدهن الثواب على حفظ الغيب واوعدهن
بالعقاب الشديد على الخيانة وما مصدرية • وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة
اي حافظات للغيب بالامر الذي يحفظ حق الله وامانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة
على الرجال والنصيحة لهم • وقرأ ابن مسعود فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فاصلحوا
اليهن • واللاتي تخافون نشوزهن ونشوزها ان تعصي زوجها ولا تطمئن اليه واصله الانزعاج • في المضاجع
في المراقد اي لا تداخلوهن تحت اللحف او هي كناية عن الجماع وقيل هو ان يوليها ظهره في المضجع
وقيل في المضاجع في بيوتهن التي يبتن فيها اي لا تبايتوهن • وقرئ في المضجع وفي المضطجع
وذلك لتعرف احوالهن وتحقق امرهن في النشوز • امر بوعظهن اولا ثم بهجرانهن

في المضاجع

في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران • وقيل معناه اكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر
البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء • وقالوا الواجب ان يكون ضربا غير مبرح لا يجرحها ولا
يكسر لها عظما ويجتنب الوجه • وعن النبي صلى الله عليه وسلم علق سوطك حيث يراه اهلك • وعن اسماء بنت ابي بكر الصديق
كنت رابعة اربع نسوة عند الزبير بن العوام فاذا غضب على احدنا ضربها بعود المشجب حتى يكسره
عليها • ويروى عن الزبير ابيات منها • ولولا بنوها حولها لخبطتها • كخبطة فروج ولم اتلعثم • فلا تبغوا
عليهن سبيلا فازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ والتجني وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن
كان لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة والانقياد وترك النشوز • ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه واعلموا
ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم • وروي ان ابا مسعود الانصاري رفع سوطه ليضرب
غلاما له فبصر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح به ابا مسعود لله اقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق
الغلام • او ان الله كان عليا كبيرا اي وانكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون
فيتوب الله عليكم فانتم احق بالعفو عمن يجني عليكم اذا رجع • وان خفتم شقاق بينهما اصله شقاقا بينهما
فاضيف الشقاق الى الظرف على طريق الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار واصله بل مكر في الليل والنهار
او على ان جعل البين مشاقا والليل والنهار ماكرين على قولهم نهارك صائم والضمير للزوجين
ولم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء • فابعثوا حكما من اهله رجلا مقنعا رضيا يصلح
لحكومة العدل والاصلاح بينهما • وانما كان بعث الحكمين من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن
الاحوال واطلب للصلاح وانما تسكن اليهم نفوس الزوجين ويبرز اليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض
وارادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الاجانب ولا يحبان ان
يطلعوا عليه • فان قلت هل يليان الجمع بينهما والتفريق ان رأيا ذلك • قلت قد اختلف فيه فقيل ليس
اليهما ذلك الا باذن الزوجين • وقيل ذلك اليهما وما جعلا حكمين الا واليهما بناء الامر على ما يقتضيه
اجتهادهما • وعن عبيدة السلماني شهدت عليا رضي الله عنه وقد جاءته امرأة وزوجها ومع كل واحد فئام
من الناس فاخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما فقال علي للحكمين اتدريان ما عليكما ان رأيتما ان تفرقا
فرقتما وان رأيتما ان تجمعا جمعتما فقال الزوج اما الفرقة فلا فقال علي كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله
لك وعليك فقالت المرأة رضيت بكتاب الله لي وعلي • وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان • وعن الشعبي
ما قضى الحكمان جاز • والالف في ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ضمير الحكمين وفي بينهما للزوجين اي ان قصدا
اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك في وساطتهما واوقع الله
بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة والقى في نفوسهما المودة والرحمة
وقيل الضميران للحكمين اي ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان
على الكلمة الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد • وقيل الضميران للزوجين
اي ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلبا الخير وان يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الالفة وابدلهما
بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة • ان الله كان عليما خبيرا يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين
المفترقين لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم • وبالوالدين احسانا واحسنوا
بهما احسانا • وبذي القربى وبكل من بينكم وبينه قربى من اخ او عم او غيرهما • والجار ذي القربى الذي
قرب جواره • والجار الجنب الذي جواره بعيد • وقيل الجار القريب النسب والجار الاجنبي وانشد
لبلخاء بن قيس • لا تجتوينا مجاور ابدا • ذو رحم او مجاور جنب • وقرئ والجار ذا القربى
بالنصب نصبا على الاختصاص كما قرئ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى تنبيها على عظم
حقه لادلائه بحقي الجوار والقربى • والصاحب بالجنب هو الذي صحبك بان حصل بجنبك اما
رفيقا في سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا في تعلم علم او حرفة واما قاعدا الى جنبك في مجلس او مسجد
او غير ذلك من ادنى صحبة التأمت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة
الى الاحسان • وقيل الصاحب بالجنب المرأة • وابن السبيل المسافر المنقطع به وقيل الضيف • والمختال التياه
الجهول الذي يتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه ومما ليكه فلا يتحفى بهم ولا يلتفت اليهم • وقرئ والجار
الجنب بفتح الجيم وسكون النون • الذين يبخلون بدل من قوله من كان مختالا فخورا او نصب على الذم
ويجوز ان يكون رفعا عليه او يكون مبتدأ خبره محذوف كانه قيل الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون
احقاء بكل ملامة • وقرئ بالبخل بضم الباء وفتحها وبفتحتين وبضمتين اي يبخلون بذات ايديهم
وبما في ايدي غيرهم فيأمرونهم بان يبخلوا به مقتا للسخاء ممن وجد • وفي امثال العرب • اجل من الظلمين
ما بال عيني • قال • وان امرأ ضنت يداه على امرئ • بنيل يد من غيره لبخيل • ولقد رأينا
ممن بلي بداء البخل من اذا طرق سمعه ان احدا جاد على احد شخص به وحل حبوته واضطرب

وزادت عيناه في رأسه كأنما نحت رحله وكثرت خزاينه ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده • وقيل هم اليهود كانوا يأتون رجالا من الانصار يتنصحون لهم ويقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون وقد عابهم بكتمان نعمة الله وما آتاهم من فضله الغنى والتفاقر الى الناس وعن النبي صلعم اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان ترى نعمته على عبده • وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى آثار نعمتك فاعجبه كلامه وقيل نزلت في شأن اليهود الذين كتموا صفة رسول الله صلعم رئاء الناس للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين اموالهم في عداوة رسول الله صلعم فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم واي تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومفلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وقد علم انه لا مضرة ولا مرزئة في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة ○ وكان الله بهم عليما وعيد ○ الذرة النملة الصغيرة وفي قراءة عبد الله مثقال نملة وعن ابن عباس انه ادخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة • وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة وفيه دليل على انه لو نقص من الاجر ادنى شيء واصغره او زاد في العقاب لكان ظلما وانه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته في القدرة وان تك حسنة وان تك مثقال الذرة حسنة وانما انث ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث وقرئ بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب في كل وقت من الاوقات المستقبلة غير المتناهية • وعن ابي عثمان النهدي انه قال لابي هريرة بلغني عنك انك تقول سمعت رسول الله صلعم يقول ان الله يعطي عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته يقول ان الله تعالى يعطيه الفي الف حسنة ثم تلا هذه الآية والمراد الكثرة لا التحديد ويؤت من لدنه اجرا عظيما ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته وقرئ يضعفها بالتشديد والتخفيف من اضعف وضعف وقرأ ابن هرمز نضاعفها بالنون فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا وعن ابن مسعود انه قرأ سورة النساء على رسول الله صلعم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلعم وقال حسبنا ○ لو تسوى بهم الارض لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء • وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان يدفنوا تحت الارض وانهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على افواههم عند ذلك وتكلمت ايديهم وارجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر عليهم يتمنون ان تسوى بهم الارض • وقرئ تسوى بحذف التاء من تتسوى يقال سويته فتسوى نحو لويته فتلوى وتسوى بادغام التاء في السين كقوله يسمعون وماضيه اسوى كازكى ○ وروي ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من اصحاب رسول الله صلعم حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب قدموا احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزلت • فكانوا لا يشربون في اوقات الصلوات فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها ومعنى لا تقربوا الصلاة لا تغشوها ولا تقوموا اليها واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد كقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم كقوله ○ ورانوا بسكرتنا فهم كالّا يؤوبونه ○ وقرئ سكارى بفتح السين وسكرى على ان تكون جمعا نحو هلكى وجوعى لان السكر علة تلحق العقل او مفردا بمعنى وانتم جماعة سكرى كقولك امرأة سكرى وسكرى بضم السين كحبلى على ان تكون صفة للجماعة وحكى جناح ابن حبيش كسلى وكسلى بالفتح والضم ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد

والجمع

والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب الا عابري سبيل استثناء من عامة احوال المخاطبين وانتصابه على الحال فان قلت كيف جمع بين هذه الحال والحال التي قبلها قلت كانه قيل لا تقربوا الصلاة في حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور السبيل عبارة عنه ويجوز ان لا يكون حالا ولكن صفة لقوله جنبا اي ولا تقربوا الصلاة جنبا غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين غير معذورين فان قلت كيف تصح صلاة الجنابة لعذر السفر قلت اريد بالجنب الذين لم يغتسلوا كانه قيل لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين وقال من فسر الصلاة بالمسجد معناه لا تقربوا المسجد جنبا الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الماء او كان الماء فيه او احتلمتم فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم • وروي ان رسول الله صلعم لم ياذن لاحد ان يجلس في المسجد او يمر فيه وهو جنب الا لعلي رضه لان بيته كان في المسجد فان قلت ادخل في حكم الشرط اربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون واهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذي هو الامر بالتيمم عند عدم الماء منهم قلت الظاهر انه متعلق بهم جميعا وان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذلك السفر اذا عدموه لبعده والمحدثون واهل الجنابة كذلك اذا لم يجدوه لبعض الاسباب • وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة فان قلت فما تصنع بقوله في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي بعضه وهذا لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب عليه قلت قالوا ان من لابتداء الغاية فان قلت قولهم انها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم احد من العرب من قول القائل مسحت برأسه من الدهن ومن الماء ومن التراب الا معنى التبعيض قلت هو كما تقول والاذعان للحق احق من المراء ان الله كان عفوا غفورا كناية عن الترخيص والتيسير لان من كانت عادته ان يعفو عن الخطائين ويغفر لهم آثر ان يكون ميسرا غير معسر فان قلت كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين والمرض والسفر سببان من اسباب الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل قلت اراد سبحانه ان يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون للماء في التيمم بالتراب فخص اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة ثم عم كل من وجب عليه التطهر واعوزه الماء لخوف عدو او سبع او عدم آلة استقاء او ارهاق في مكان لا ماء فيه او غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر • وقرئ من غيط قيل هو تخفيف غيط كهين في هين والغيط بمعنى الغائط الم تر من رؤية القلب عدي بالى على معنى الم ينته علمك اليهم او بمعنى الم تنظر اليهم اوتوا نصيبا من الكتاب حظا من علم التوراة وهم احبار اليهود يشترون الضلالة يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله صلعم وانه هو النبي العربي المبشر به في التوراة والانجيل ويريدون ان تضلوا انتم ايها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه وتنخرطوا في سلكهم لا تكفيهم ضلالتهم بل يحبون ان يضل معهم غيرهم وقرئ ان يضلوا بالياء بفتح الضاد وكسرها والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء واطلعكم على احوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم في اموركم ولا تستشيروهم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فثقوا بولايته ونصرته دونهم او لا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصارى وقوله والله اعلم وكفى بالله وكفى بالله جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ على ان يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون كقوله ○ وما الدهر الا تارتان فمنهما ○ اموت واخرى ابتغي العيش اكدح ○ اي فمنهما تارة اموت فيها يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد اما لوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها وازالوه عنها وذلك نحو تحريفهم اسمر ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله فان قلت كيف قيل ههنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه قلت اما عن مواضعه فعلى ما فسرنا من ازالته عن مواضعه التي اوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه واما من بعد مواضعه فالمعنى انه كانت له مواضع هو قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان وقرئ يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة وقولهم

خاطب المخاطب اي اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم اي اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعوا اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيئا او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا ان يكون غير مسمع مفعول اسمع اي اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك لا تعيه نبوا عنه ويحتمل المدح اي اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبه وكذلك قولهم راعنا يحتمل راعنا نكلمك اي ارقبنا وانظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام ليا بالسنتهم فتلا بها وتحريفا اي يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا فان قلت كيف جاؤوا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا قلت جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ويجوز ان يقولوه فيما بينهم ويجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به وقرئ ابي وانظرنا من الانظار وهو الامهال فان قلت الام يرجع الضمير في قوله خيرا لهم قلت الى انهم قالوا لان المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا واطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم واقوم واعدل واسد ولكن لعنهم الله بكفرهم اي خذلهم بسبب كفرهم وابعدهم عن الطاعة فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا اي ضعيفا ركيكا لا يعبأ به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره او اراد بالقلة العدم كقوله قليل الشكر للهجر يشينه اي عديم الشكر او الا قليلا منهم قد امنوا ان نطمس وجوها اي نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وانف وفم فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقيب الاخر ردها بعد طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها فننكسها الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام ووجه اخر وهو ان يراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس اموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤوسهم ووجهاؤهم اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم او نردهم الى حيث جاؤوا منه وهي اذرعات الشام يريد اجلاء بني النظير فان قلت لمن الراجع في قوله او نلعنهم قلت للوجوه ان اريد الوجهاء او لاصحاب الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات او نلعنهم نخزيهم بالمسخ كما مسخنا اصحاب السبت فان قلت فاين وقوع الوعيد قلت هو مشروط بالايمان وقد امن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيمة ولان الله اوعدهم باحد الامرين بطمس وجوه منهم او بلعنهم فان كان الطمس تبديل احوال رؤسائهم او اجلاءهم الى الشام فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ الا ترى الى قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وكان امر الله مفعولا فلا بد ان يقع احد الامرين ان لم يؤمنوا فان قلت قد ثبت ان الله عز وعلا يغفر الشرك لمن تاب منه وانه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر الا بالتوبة فما وجه قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قلت الوجه ان يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا موجهين الى قوله لمن يشاء كانه قيل ان الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على ان المراد بالاول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك ان الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستاهله ويبذل القنطار لمن يستاهله فقد افترى اثما اي ارتكبه وهو مفتر مفتعل ما لا يصح كونه الذين يزكون انفسهم اليهود والنصارى قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقيل جاء رجال من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله فان قلت اما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السماء امين في الارض قلت انما قال ذلك حين قال له المنافقون اعدل في القسمة اكذابا لهم اذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه وشتان من شهد الله له بالتزكية ومن شهد لنفسه او شهد له من لا يعلم بل الله يزكي من يشاء اعلام بان تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره

لانه

لانه هو العالم بمن هو اهل للتزكية ومعنى يزكي من يشاء يزكي المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به ولا يظلمون اي الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم او من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم شيء ونحوه ولا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم عند الله ازكياء وكفى بزعمهم هذا اثما مبينا من بين سائر اثامهم الجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله والطاغوت الشيطان وذلك ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل الكتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان انحن اهدى سبيلا ام محمد فقال كعب ماذا يقول محمد قالوا يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم فقال انتم اهدى سبيلا وصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين يمنعون ما اوتوا من النعمة ويتمنون ان تكون لهم نعمة غيرهم فقال تعالى ام لهم نصيب من الملك على ان ام منقطعة ومعنى الهمزة لانكار ان يكون لهم نصيب من الملك ثم قال فاذا لا يؤتون اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل والقطمير والمراد بالملك اما ملك اهل الدنيا واما ملك الله كقوله قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وهذا اوصف لهم بالشح واحسن لطباقه نظيره من القران ويجوز ان يكون معنى الهمزة في ام لانكار انهم قد اوتوا نصيبا من الملك وكانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كما تكون احوال الملوك وانهم لا يؤتون احدا مما يملكون شيئا وقرئ فاذا لا يؤتوا على اعمال اذن عملها الذي هو النصب وهي ملغاة في قراءة العامة كانه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا اذن ام يحسدون بل ايحسدون رسول الله والمؤمنين على انكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما اتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم فقد اتينا الزام لهم بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب والحكمة ال ابراهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وانه ليس ببدع ان يؤتيه الله مثل ما اوتي اسلافه وعن ابن عباس الملك في ال ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمن وقيل استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود مائة ولسليمن ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم من اليهود من امن به اي بما ذكر من حديث ال ابراهيم ومنهم من صد عنه وانكره مع علمه بصحته او من اليهود من امن برسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من انكر نبوته او من ال ابراهيم من امن بابراهيم ومنهم من كفر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون بدلناهم جلودا غيرها ابدلناهم اياها فان قلت كيف تعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص قلت العذاب للجملة الحساسة وهي التي عصت لا للجلد وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبدل جلودهم كل يوم سبع مرات وعن الحسن سبعين مرة يبدلون جلودا بيضا كالقراطيس ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اي ادامك على عزك وزادك فيه عزيزا لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما لا يعذب الا بعدل من يستحقه ظليلا صفة مشتقة من لفظ الظل لتاكيد معناه كما يقال ليل اليل ويوم ايوم وما اشبه ذلك وهو ما كان فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة رزقنا الله توفيقا لما يزلف اليه التفيؤ تحت ذلك الظل وفي قراءة عبد الله سيدخلهم بالياء ان تؤدوا الامانات الى اهلها الخطاب عام لكل احد في كل امانة وقيل نزلت في عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب يده واخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي اكرهت واذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شانك قرانا وقرا عليه الاية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فهبط جبريل واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقيل هو خطاب للولاة باداء الامانات والحكم بالعدل وقرئ الامانة على التوحيد نعما يعظكم به اما ان تكون منصوبة موصوفة بيعظكم به واما ان تكون مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به ذاك وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكم وقرئ نعما بفتح النون لما امر الولاة باداء الامانات الى اهلها وان يحكموا بالعدل امر الناس بان يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم والمراد باولي الامر منكم امراء الحق لان امراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وانما يجمع بين الله ورسوله والامراء الموافقين لهما في ايثار العدل واختيار الحق والامر بهما والنهي عن اضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم باحسان وكان الخلفاء يقولون اطيعوني ما عدلت فيكم فان خالفت فلا طاعة لي عليكم وعن ابي حازم ان مسلمة بن عبد الملك

ثالثه السمع اولهم لطاعتنا في قوله واولي الامر منكم قال الفتى فد نزع عنكم اذا خالفتم الحق بقوله
فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول . وقيل هم امراء السرايا . وعن النبي صلعم من اطاعني
فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع اميري فقد اطاعني ومن يعص اميري فقد عصاني
وقيل هم العلماء الدينون الذين يعلمون الناس الدين ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر
فان تنازعتم في شيء فان اختلفتم انتم واولوا الامر منكم في شيء من امور الدين فردوه الى الله والرسول
اي ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة وكيف تلزم طاعة امراء الجور وقد جنح الله الامر بطاعة
اولي الامر بما لا يبقى معه شك وهو ان امرهم اولا باداء الامانات وبالعدل في الحكم وامرهم
اخرا بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما اشكل وامراء الجور لا يؤدون امانة ولا يحكمون بعدل ولا
يردون شيئا الى الكتاب ولا الى السنة انما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون عن
صفات الذين هم اولو الامر عند الله ورسوله واحق اسمائهم اللصوص المتغلبة ذلك اشارة
الى الرد اي الرد الى الكتاب والسنة خير لكم واصلح واحسن تاويلا واحسن عاقبة وقيل احسن
تاويلا من تاويلكم انتم وروي ان بشرا المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلعم ودعاه
المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلعم فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال
تعال نتحاكم الى عمر بن الخطاب فقال اليهودي لعمر قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه فقال للمنافق اكذلك
قال نعم فقال لهما عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد
ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل
فقال له رسول الله صلعم انت الفاروق والطاغوت كعب بن الاشرف سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان
وعداوة رسول الله صلعم او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله
على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم
وقرئ بما انزل وما انزل على البناء للفاعل وقرأ عباس بن الفضل ان يكفروا بهن ذهابا بالطاغوت
الى الجمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم وقرأ الحسن تعالوا بضم اللام على انه حذف
اللام من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة واصلها بالية كعافية وكما قال الكسائي في اية
ان اصلها ايية فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت وقعت واو الجمع بعد اللام من تعال فضمت فصار
تعالوا نحو تقدموا ومنه قول اهل مكة تعالي بكسر اللام للمرأة وفي شعر الحمداني تعالي اقاسمك الهموم تعالي
والوجه فتح اللام فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون يعني انهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون امرا ولا
يوردونه اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم ثم جاؤك حين
يصابون فيعتذرون اليك ويحلفون ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا احسانا لا اساءة وتوفيقا بين الخصمين
ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك ففرج عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون
عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار عند حلول باس الله وقيل جاء اولياء المنافق
يطلبون بدمه وقد اهدره الله فقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بحكومة
العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به فاعرض عنهم لا تعاقبهم
لمصلحة في استبقائهم ولا تزد على كفهم بالموعظة وما خطر ببالنا والنصيحة عما هم عليه وعظهم وقل لهم في انفسهم
قولا بليغا بالغ في وعظهم بالتخويف والانذار وفي انفسهم يتعلق بقوله بليغا
اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف
وهو التوعد بالقتل والاستيصال ان نجم منهم النفاق واطلع قرنه واخبرهم ان ما في نفوسهم
من الدغل والنفاق معلوم عند الله وانه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة الا
لاظهاركم الايمان واسراركم الكفر واضماره فان فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق الا السيف او
يتعلق بقوله قل لهم اي قل لهم في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا
وان الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم ابطانه فاصلحوا انفسكم وطهروا قلوبكم وداووها
من مرض النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرا من ذلك واغلظ
او قل لهم في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها في السر انجع وفي الامحاض
ادخل قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم وما ارسلنا من رسول وما ارسلنا رسولا قط الا ليطاع باذن الله
بسبب اذن الله في طاعته وبانه امر المبعوث اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عن الله فطاعته
طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ويجوز ان يراد بتيسير الله ولو
انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين عن النفاق متنصلين عما ارتكبوا
فاستغفروا الله من ذلك بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك برد قضائك حتى انتصبت
شفيعا لهم الى الله ومستغفرا لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه توابا اي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت
لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما لشان رسول الله صلعم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها

على

على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان فلا وربك معناه فوربك كقوله فوربك لنسألنهم ولا مزيدة
لتاكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتاكيد وجوب العلم لا يؤمنون جواب القسم فان قلت
هلا زعمت انها زيدت لتظاهر لا في لا يؤمنون قلت يابى ذلك استواء النفي والاثبات فيه وذلك
قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم
واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا ضيقا اي لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل شكا لان
الشاك في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا ويذعنوا لما تاتي به من قضائك
لا يعارضونه بشيء من قولك سلم الامر لله واسلم له وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها
سالمة له خالصة وتسليما تاكيد للفعل بمنزلة تكريره كانه قيل وينقادوا لحكمك انقيادا لا شبهة فيه
بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل في شان الزبير وحاطب بن ابي بلتعة
وذلك انهما اختصما الى رسول الله صلعم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل
الماء الى جارك فغضب حاطب وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلعم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس
الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير برأي فيه السعة
له ولخصمه فلما احفظ رسول الله صلعم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد
فقال لمن كان القضاء فقال الانصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله
هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في
حياة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا
حتى رضي عنا ربنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق ولو امرني محمد ان
اقتل نفسي لقتلتها . وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلعم والذي نفسي
بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب انه قال والله لو
امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك فنزلت الاية في شان حاطب ونزلت في شان هؤلاء
ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل
من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه الا قليل
منهم وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو في فعلوه وقرئ الا قليلا بالنصب على اصل الاستثناء او على
الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من اتباع رسول الله صلعم وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به لانه الصادق
المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لكان خيرا لهم في عاجلهم واجلهم واشد تثبيتا لايمانهم وابعد من
الاضطراب فيه واذا جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم ايضا بعد التثبيت فقيل واذا
لو ثبتوا لاتيناهم لان اذا جواب وجزاء من لدنا اجرا عظيما كقوله ويؤت من لدنه اجرا عظيما
وان المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته ولهديناهم
وللطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات والصديقين افاضل صحابة الانبياء عليهم السلام الذين تقدموا
في تصديقهم كابي بكر الصديق وصدق قولهم افعالهم وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا
مرافقة اقرب عباد الله الى الله وارفعهم درجات عنده وحسن اولئك رفيقا فيه معنى التعجب
كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين يقول
المتعجب حسن الوجه وجهك وحسن الوجه وجهك بالضم والفتح مع السكون والرفيق كالصديق
والخليط في استواء الواحد والجمع فيه . ويجوز ان يكون مفردا بين به الجنس في باب التمييز . وروي ان ثوبان
مولى رسول الله صلعم كان شديد الحب لرسول الله صلعم قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه
ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلعم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع
غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الاخرة فخفت ان
لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع الانبياء وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم
ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت . فقال صلعم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب
اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة ذلك مبتدا
والفضل صفته ومن الله الخبر ويجوز ان يكون ذلك مبتدا والفضل من الله خبره والمعنى ان ما اعطي
المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل به عليهم تبعا لثوابهم
وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه او اراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوه
بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم على حسب احوالهم خذوا حذركم الحذر
والحذر بمعنى كالاثر والاثر يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر
آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه

من عدوكم فانفروا اذا نفرتم الى العدو واما ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية واما جميعا
اي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وقرئ فانفروا بضم الفاء
اللام في لمن للابتداء بمنزلتها في قوله ان الله لغفور وفي ليبطئن جواب قسم محذوف تقديره
وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها اليه ما استكن
في ليبطئن والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمبطئون منهم المنافقون لانهم كانوا
يغزون معهم نفاقا ومعنى ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى ابطأ كعتم
بمعنى اعتم اذا ابطأ وقرئ ليبطئن بالتخفيف يقال بطأ علي فلان وابطأ علي وبطؤ نحو
ثقل ويقال ما بطأ بك فيعدى بالباء ويجوز ان يكون منقولا من بطؤ نحو ثقّل من ثقل
فيراد ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن ابي
وهو الذي ثبط الناس يوم احد فان اصابتكم مصيبة من قتل او هزيمة فضل من الله من فتح
او غنيمة ليقولن وقرأ الحسن ليقولن بضم اللام اعادة للضمير على معنى من لان قوله لمن ليبطئن
في معنى الجماعة وقوله كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين مفعوله
وهو يا ليتني والمعنى كأن لم يتقدم له معكم موادة لان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصا
دقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر انه تهكم لانهم كانوا
اعدى عدو للمؤمنين واشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون بالمودة الا على وجه العكس تهكما
بحالهم وقرئ فأفوز بالرفع عطفا على كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز في معنى التمني
فيكونا متمنيين جميعا ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف بمعنى فانا افوز في ذلك الوقت يشرون
بمعنى يشترون ويبيعون قال ابن مفرغ وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامه فالذين
يشرون الحياة الدنيا بالآخرة هم المبطئون وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا
الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد والذين يشترون هم المؤمنون الذين
يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى ان صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت
نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون ووعد المقاتل في سبيل الله ظافرا او مغلوبا
ايتاء الاجر العظيم على اجتهاده في اعزاز دين الله والمستضعفين فيه وجهان ان يكون مجرورا عطفا على
سبيل الله اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين لان سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين
من المسلمين من ايدي الكفار من اعظم الخير واخصه والمستضعفون هم الذين اسلموا بمكة وصدهم
المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد فكانوا
يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح حتى
جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم احسن التولي ونصرهم اقوى النصر
ولما خرج استعمل على اهل مكة عتاب بن اسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا قال ابن عباس
كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمة فان قلت لم ذكر الولدان قلت تسجيلا
بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وامهاتهم ومبغضة لهم
لمكانهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم
الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة باخراجهم في الاستسقاء قال ابن عباس
كنت انا وامي من المستضعفين من النساء والولدان ويجوز ان يراد بالرجال والنساء الاحرار والحرائر
وبالولدان العبيد والاماء لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان والولائد
الولدان لتغليب الذكور على الاناث كما يقال الآباء والاخوة فان قلت لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث
قلت هو وصف للقرية الا انه مسند الى اهلها فاعطي اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده
الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم اهلها ولو انث فقيل الظالمة اهلها لجاز لا لتأنيث
الموصوف ولكن لان الاهل يذكر ويؤنث فان قلت هل يجوز من هذه القرية الظالمين اهلها قلت
نعم كما تقول التي ظلموا اهلها على لغة من يقول اكلوني البراغيث ومنه واسروا النجوى الذين ظلموا
رغب الله المؤمنين ترغيبا وشجعهم تشجيعا باخبارهم بانهم انما يقاتلون في سبيل الله فهو
وليهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان وكيد الشيطان
للمؤمنين الى جنب كيد الله للكافرين اضعف شيء واوهنه كفوا ايديكم اي كفوها عن القتال
وذلك ان المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون ان يؤذن لهم
فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة كع فريق منهم لا شكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا
عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول

محل كخشية الله من الاعراب قلت محله النصب على الحال من الضمير في يخشون اي يخشون الناس مثل اهل خشية الله
اي مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله واشد
معطوف على الحال فان قلت لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدره يخشون خشية مثل خشية الله
بمعنى مثل ما يخشى الله قلت ابى ذلك قوله او اشد خشية لانه وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت
يخشون الناس اشد خشية لم يكن الا حالا عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر لانك لا تقول
خشي فلان اشد خشية فتنصب خشية وانت تريد المصدر انما تقول اشد خشية فتجرها واذا نصبتها
لم يكن اشد خشية الا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم الا ان تجعل الخشية خاشية على حد قولهم جد جده
فتزعم ان معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله
ويجوز على هذا ان يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية الله تريد كخشية الله او كخشية اشد خشية
منها لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت آخر كقوله لولا اخرتني الى
اجل قريب فاصدق ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من اجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه
وقرئ ولا يظلمون بالياء وقرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كانه فيدرككم الموت وشبه
بقول القائل من يفعل الحسنات الله يشكرها ويجوز ان يقال حمل على ما يقع موقع اينما تكونوا وهو
اينما كنتم كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير
يقول لا غائب مالي ولا حرم وهو قول نحوي سيبويه ويجوز ان يتصل بقوله ولا تظلمون فتيلا
اي ولا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم اينما تكونوا في ملاحم حروب او غيرها ثم ابتدأ قوله يدرككم
الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه على اينما تكونوا والبروج الحصون مشيدة مرفوعة
وقرئ مشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وقرأ نعيم بن ميسرة مشيدة
بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة وانما الشاعر قائلها السيئة تقع على
البلية والمعصية والحسنة على النعمة والطاعة قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم
يرجعون وقال ان الحسنات يذهبن السيئات والمعنى وان تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها
الى الله وان تصبهم بلية من قحط وشدة اضافوها اليك وقالوا هي من عندك وما كانت الا بشؤمك
كما حكى الله تعالى عن قوم موسى عليه السلام وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح قالوا
اطيرنا بك وبمن معك وروي عن اليهود لعنت انها تشاءمت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا منذ دخل المدينة
نقصت ثمارها وغلت اسعارها فرد الله عليهم قل كل من عند الله يبسط الارزاق ويقبضها
على حسب المصالح لا يكادون يفقهون حديثا فيعلموا ان الله هو القابض الباسط وكل ذلك صادر
عن حكمة وصواب ثم قال ما اصابك يا انسان خطابا عاما من حسنة اي من نعمة واحسان فمن الله تفضلا
منه واحسانا وامتنانا وامتحانا وما اصابك من سيئة اي من بلية ومصيبة فمن عندك لانك السبب فيها
بما اكتسبت يداك وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم
يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله
اكثر وارسلناك للناس رسولا اي رسولا للناس جميعا لست برسول العرب وحدهم انت رسول
العرب والعجم كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا [illegible]
الله شهيدا على ذلك فما ينبغي لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه لا يأمر
الا بما امر الله به ولا ينهى الا عما نهى الله عنه فكانت طاعته في امتثال ما امر به والانتهاء عما نهى عنه
طاعة لله وروي انه قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا
تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ما يريد هذا الرجل
الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن الطاعة فاعرض عنه فما ارسلناك
الا نذيرا لا حفيظا ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وما انت عليهم
بوكيل ويقولون اذا امرتهم بشيء طاعة بالرفع اي امرنا وشأننا طاعة ويجوز النصب بمعنى اطعناك
طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق
بهم يقال له كيف اصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كأنه قال امري وشأني حمد الله ولو نصب
حمد الله وثناء عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها بيت طائفة زورت
طائفة منهم وسوت غير الذي تقول خلاف ما قلت وما امرت به او خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة
لانهم ابطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرونه والتبييت
اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيت بليل واما من ابيات
الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه

على سبيل الوعيد او يكتبه في جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم ولا تحسبوا ان ابطاءهم يغني عنهم
فاعرض عنهم ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وتوكل على الله في شانهم فان الله يكفيك
معرتهم وينتقم لك منهم اذا قوي امر الاسلام وعز انصاره وقرى بيت طايفة بالادغام
وتذكير الفعل لان تانيث الطايفة غير حقيقي ولانها في معنى الفريق والفوج تدبر الامر
تامله والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تامل فمعنى تدبر
القران تامل معانيه وتبصر ما فيه لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لكان الكثير منه مختلفا متناقضا
قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه
يمكن معارضته وبعضه اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه
وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتيم فلما
تجاوب كله بلاغة معجزة فايتة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق اخبار علم انه ليس
الا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه احد سواه فان قلت الذي يحوله ما داهي
ثعبان مبين كانها جان فوربك لنسالنهم اجمعين فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان من الاختلاف
قلت ليس باختلاف عن المتدبر ... في صحة المسلمين الذين لم يكن لهم فيه خبرة بالاحوال
ولا استنباط للامور كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلعم من امن وسلامة او خوف
وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوه ذلك الخبر الى رسول الله صلعم والى اولي الامر منهم
وهم كبار الصحابة البصراء في الامور او الذين كانوا يامرون منهم لعلمه لعلم تدبير
ما اخبروا به الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب
ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلعم واولي الامر على امن ووثوق بالظهور
على بعض الاعداء او على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم
مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين
يستنبطونه تدبيره كيف يدبرونه وما ياتون ويذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه
المنافقين شيا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك
وبالا على المومنين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم
صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما
يذاع او لا يذاع هولاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يتلقونه
منهم ويستخرجون علمه من جهتهم يقال اذاع السر واذاع به قال ... اذاع به في الناس حتى كانه
بعلياء نار اوقدت بثقوب ويجوز ان يكون المعنى فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه
وقرى لعلمه باسكان اللام كقوله ... كما ضجر بازل من الادم دبرت صفحتاه وغاربه والنبط
الماء يخرج من البير اول ما تحفر وانباطه واستنباطه اخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه
الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال
الرسول وانزال الكتاب والتوفيق لاتبعتم الشيطان لبقيتم على الكفر الا قليلا منكم او الا اتباعا قليلا
لما ذكر في الاي قبلها تثبطهم عن القتال واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال فقاتل في سبيل الله
ان افردوك وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله هو ناصرك
لا الجنود فان شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الالوف وقيل دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج
وكان ابو سفيان واعد رسول الله صلعم اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت
فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد ولو لم يتبعه احد لخرج وحده وقرى لا تكلف بالجزم
على النهي ولا نكلف بالنون وكسر اللام اي لا نكلف نحن الا نفسك وحدها وحرض المومنين وما عليك
في شانهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم عسى الله ان يكف باس الذين كفروا وهم قريش وقد كف
باسهم بان بدا لابي سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معهم زاد الا السويق ولا يلقون
الا في عام مخصب فرجع بهم والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا من يشفع شفاعة حسنة هي التي روعي
بها حق مسلم ودفع بها عنه شر او جلب اليه خير وابتغي بها وجه الله ولم يوخذ عليها رشوة
وكانت في امر جائز لا في حد من حدود الله ولا في حق من الحقوق والسيئة ما كانت بخلاف ذلك
وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت
ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها وقيل الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم
لانها في معنى الشفاعة الى الله وعن النبي صلعم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له
وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك مقيتا شهيدا حفيظا

وقيل

وصل متعمدا واقات على الشيء قال الزبير بن عبد المطلب وذي ضغن كففت السوء عنه وكنت على اساءته مقيتا وقال السموال بن
عاديا الى الفضل ام علي اذا حوسبت اني على الحساب مقيت واشتقاقه من القوت لانه يمسك
النفس ويحفظها باحسن منها ان تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليك وان تزيد
وبركاته اذا قال ورحمة الله وروي ان رجلا قال لرسول الله صلعم السلام عليك فقال وعليك السلام
ورحمة الله وقال اخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال اخر السلام
عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الاية فقال انك لم تترك
لي فضلا فرددت عليك مثله او ردوها اجيبوها بمثلها ورد السلام ورجعه جوابه بمثله لان المجيب
يرد قول المسلم ويكرره وجواب التسليمة واجب والتخيير انما وقع بين الزيادة وتركها وعن
ابي يوسف رحمه الله من قال لاخر اقرئ فلانا السلام وجب عليه ان يفعل وعن النخعي السلام سنة
والرد فريضة وعن ابن عباس رضي الله عنه الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون
عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القران جهرا
ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعن ابي يوسف لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج
والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام او غيره وذكر الطحاوي ان المستحب رد السلام على
الطهارة وعن النبي صلعم انه تيمم لرد السلام قالوا ويسلم الرجل اذا دخل على امراته ولا يسلم على اجنبية ويسلم
الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا
وعن ابي حنيفة لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلعم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي وعليكم
ما قلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم وروي لا تبتدئ اليهودي بالسلام فان بداك فقل وعليك وعن الحسن
يجوز ان تقول للكافر وعليك السلام ولا تقول ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه قال لنصراني سلم عليه
وعليك السلام ورحمة الله فقيل له فقال اليس في رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء في ان يبدا اهل
الذمة بالسلام اذا دعت الى ذلك حادثة تحوج اليهم وروي ذلك عن النخعي وعن ابي حنيفة لا تبداه بسلام
في كتاب ولا غيره وعن ابي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى
ولا باس بالدعاء له بما يصلحه في دنياه على كل شيء حسيبا اي يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها الله لا اله الا هو
اما خبر المبتدا واما اعتراض في الخبر ليجمعنكم ومعناه الله والله ليجمعنكم الى يوم القيامة اي ليحشرنكم اليه
والقيامة كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب
العالمين ومن اصدق من الله حديثا لانه عز وعلا صادق لا يجوز عليه الكذب وذلك ان الكذب مستقبح صارف عن
الاقدام عليه وهو قبحه ووجه قبحه الذي هو كونه كذبا واخبارا عن الشيء بخلاف ما هو عليه فمن كذب
لم يكذب الا لانه يحتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو غني عنه الا انه يجهل غناه او هو
جاهل بقبحه او سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب
احلى على حنكه من الصدق وعن بعض السفهاء انه عوتب على الكذب فقال لو غرغرت لهواتك به ما فارقته
وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا اني صادق في قولي لا لقلتها فكان الحكيم الغني الذي لا تجوز عليه
الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن ساير القبايح فئتين نصب على الحال كقولك
ما لك قايما وروي ان قوما من المنافقين استاذنوا رسول الله في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة
فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار
وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلعم
انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلعم يوم
احد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا وقيل هم قوم اظهروا الاسلام
وقعدوا عن الهجرة ومعناه ما لكم اختلفتم في شان قوم نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيهم فرقتين وما لكم
لا تبتوا القول بكفرهم والله اركسهم اي ردهم في حكم المشركين كما كانوا بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين
واحتيالهم على رسول الله او اركسهم في الكفر بان خذلهم حتى اركسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم اتريدون ان
تهدوا ان تجعلوا من جملة المهتدين من اضل الله من جعله من جملة الضلال وحكم عليه بذلك او خذله حتى ضل
وقرى ركسهم وركسوا فيها فتكونون عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز والمعنى ودوا كفركم وكونكم
معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الاباء فلا توالوهم وان امنوا حتى يظاهروا ايمانهم
بهجرة صحيحة هي لله ورسوله لا لغرض من اغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها بداء ولا تعرب فان تولوا عن الايمان
المظاهر بالهجرة المستقيمة فحكمهم حكم ساير المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم وجانبوهم مجانبة
كلية وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم الا الذين يصلون استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اي
يصلون الى قوم ينتهون اليهم ويتصلون بهم وعن ابي عبيدة هو الانتساب وصلت الى فلان واتصلت به
اذا انتسبت اليه وقيل ان الانتساب لا اثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله صلعم من معه من هو من انسابهم
والقوم هم الاسلميون كان بينهم وبين رسول الله صلعم عهد وذلك انه وادع وقت خروجه الى مكة
هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجا اليه فله من
الجوار مثل الذي لهلال وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح او جاؤكم لا يخلوا من ان

يكون معطوفا على صفة قوم كأنه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم او على صلة الذين كأنه قيل الا الذين يصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة لقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر ان كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الايقاع بهم فان قلت كل واحد من الاتصالين له تأثير في صحة الاستثناء واستحقاق ازالة التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالكافين لان الاتصال بهؤلاء او هؤلاء دخول في حكمهم فهلا جوزت ان يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله فان اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بالكافين واختلاطهم فيهم وجريهم على سننهم قلت هو جائز ولكن الاول اظهر واجرى على اسلوب الكلام وفي قراءة ابي بينكم وبينهم ميثاق جاءوكم حصرت صدورهم بغير او ووجهه ان يكون جاءوكم بيانا ليصلون او بدلا او استئنافا او صفة بعد صفة لقوم حصرت صدورهم في موضع الحال باضمار قد والدليل عليه قراءة من قرأ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف على او جاءوكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاءوكم وهم بنو مدلج جاءوا رسول الله ص غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم عن ان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم فان قلت كيف يجوز ان يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب في قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فان اعتزلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو فخذوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم سلطانا مبينا حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسليطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله وما كان لنبي ان يغل وما يكون لنا ان نعود ان يقتل مؤمنا ابتداء من غير قصاص الا خطأ الا على وجه الخطأ فان قلت بم انتصب خطأ قلت بانه مفعول له اي ما ينبغي له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطأ وحده ويجوز ان يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال من الاحوال الا في حال الخطأ وان يكون صفة للمصدر الا قتلا خطأ والمعنى ان من شأن المؤمن ان ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا اذا وجد منه خطأ من غير قصد بان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرى شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم وقرئ خطاء بالمد وخطا بوزن عمى بتخفيف الهمزة وروي ان عياش بن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر خوفا من قومه الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله ص فاقسمت امه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة فاتياه وهو في اطم ففتل منه ابو جهل في الذروة والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد مائة جلدة فقال للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا تحل كتافه او يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله ص فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت فتحرير رقبة فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر العتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه اكرم موضع منه وقولهم للئيم عبد وفلان عبد الفعل اي لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق والمراد برقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الاسلام عند عامة العلماء وعن الحسن لا تجزئ الا رقبة قد صلت وصامت ولا تجزئ الصغيرة وقاس عليها الشافعي كفارة الظهار فاشترط الايمان وقيل لما اخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرق ممنوع من تصرف الاحرار ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء فيقضى منها الدين وتنفذ الوصية واذا لم يبق وارث فهي لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله ص انا وارث من لا وارث له وعن عمر رض انه قضى بدية المقتول فجاءت امرأته تطلب ميراثها من عقله فقال لا اعلم لك شيئا انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابي فقال كتب الي رسول الله ص يأمرني ان اورث امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها اشيم فورثها عمر رض وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا تنفذ منها وصية وعن ربيعة الغرة لام الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة فان قلت على من تجب الرقبة والدية قلت على القاتل الا ان الرقبة في ماله والدية تتحملها عنه العاقلة فان لم تكن له عاقلة فهي في بيت المال فان لم تكن ففي ماله

الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو كقوله الا ان يعفون ونحوه وان تصدقوا خير لكم وعن النبي ص كل معروف صدقة وقرئ الا ان يتصدقوا فان قلت بم تعلق ان يصدقوا وما محله قلت تعلق بعليه او بمسلمة كأنه قيل وتجب عليه الدية او يسلمها الا حين يتصدقون عليه ومحلها النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز ان يكون حالا من اهله بمعنى الا متصدقين فان كان من قوم عدو لكم من قوم كفار اهل حرب وذلك نحو رجل اسلم في قومه الكفار وهو بين اظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة اذا قتله خطأ وليس على عاقلته لاهله شيء لانهم كفار محاربون وقيل كان الرجل يسلم ثم يأتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطأ لانهم يظنونه كافرا مثلهم وان كان من قوم كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين واهل الذمة من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من المسلمين فمن لم يجد رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه او فنقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه هذه الآية فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد امر عظيم وخطب غليظ ومن ثم روي عن ابن عباس ما روي من ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وفيه ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله والعجب من قوم يقرؤن هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا تدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل اليهم مناهم ان يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ثم ذكر الله سبحانه التوبة في قتل الخطأ لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للاطماع وأي حسم ولكن لا حياة لمن تنادي فان قلت هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل الكبائر قلت ما ابين الدليل فيها وهو تناول قوله ومن يقتل اي قاتل كان من مسلم او كافر تائب او غير تائب الا ان التائب اخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله فتبينوا وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية وقرئ السلم والسلام وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذي هو تحية اهل الاسلام لست مؤمنا وقرئ لست مؤمنا بفتح الميم من آمنه اي لا نؤمنك واصله ان مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله ص كان عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله ص فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الآية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة تبتغون عرض الحياة الدنيا تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله كذلك كنتم من قبل اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة ولا تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما الى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله وقوله فتبينوا تكرير للامر بالتبيين ليؤكد عليهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين غير اولي الضرر قرئ بالحركات الثلاث فالرفع صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم او حال عنهم والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وعن زيد بن ثابت كنت الى جنب رسول الله ص فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سري عنه فقال اقرأ يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون من المؤمنين فقال غير اولي الضرر قال زيد انزلها الله وحدها فالحقتها والذي نفسي بيده لكأني انظر الى ملحقها عند صدع في الكتف وعن ابن عباس لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون اليها وعن مقاتل الى تبوك فان قلت معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء قلت معناه الاذكار لما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط

يكون معطوفا على صفة قوم كأنه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم او على صلة الذين كأنه قيل الا الذين يتصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة لقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر ان كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الايقاع بهم فان قلت كل واحد من الاتصالين له تأثير في صحة الاستثناء واستحقاق ازالة التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالكافين لان الاتصال بهؤلاء او هؤلاء دخول في حكمهم فهلا جوزت ان يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله فان اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بالكافين واختلاطهم بهم وجريهم على سننهم قلت هو جائز ولكن الاول اظهر واجرى على اسلوب الكلام وفي قراءة ابي بينكم وبينهم ميثاق جاؤكم حصرت صدورهم بغير او ووجهه ان يكون جاؤكم بيانا ليصلون او بدلا او استئنافا او صفة بعد صفة لقوم **حصرت صدورهم** في موضع الحال باضمار قد والدليل عليه قراءة من قرأ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف على او جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض **ان يقاتلوكم** عن ان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم **ولو شاء الله** كيف يجوز ان يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب في قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد **فان اعتزلوكم** فان لم يتعرضوا لكم **والقوا اليكم السلم** اي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين **فما جعل الله لكم عليهم سبيلا** فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم **ستجدون آخرين** هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم **كلما ردوا الى الفتنة** كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين **اركسوا فيها** قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو **ثقفتموهم** حيث تمكنتم منهم **سلطانا مبينا** حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسليطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم **وما كان لمؤمن** وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله وما كان لنبي ان يغل وما يكون لنا ان نعود **ان يقتل مؤمنا** ابتداء غير قصاص **الا خطأ** الا على وجه الخطأ فان قلت بم انتصب خطأ قلت بانه مفعول له اي ما ينبغي له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطأ وحده ويجوز ان يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال من الاحوال الا في حال الخطأ وان يكون صفة للمصدر الا قتلا خطأ والمعنى ان من شأن المؤمن ان ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا اذا وجد منه خطأ من غير قصد بان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرمي شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم وقرئ خطاء بالمد وخطا بوزن عمى بتخفيف الهمزة وروي ان عياش بن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر خوفا من قومه الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقسمت امه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة فأتياه وهو في أطم ففتل منه ابو جهل في الذروة والغارب وقال أليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد مائة جلدة فقال للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت **فتحرير رقبة** فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه اكرم موضع منه وقولهم للئيم عبد وفلان عبد الفعل اي لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق والمراد برقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الاسلام عند عامة العلماء وعن الحسن لا تجزي الا رقبة قد صلت وصامت ولا تجزي الصغيرة وقاس عليها الشافعي كفارة الظهار فاشترط الايمان وقيل لما اخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار **مسلمة الى اهله** مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء فيقضى منها الدين وتنفذ الوصية واذا لم يبق وارث فهي لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وارث من لا وارث له وعن عمر رضي الله عنه انه قضى بدية المقتول فجاءت امرأته تطلب ميراثها من عقله فقال لا اعلم لك شيئا انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابي فقال كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن اورث امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها اشيم فورثها عمر رضي الله عنه وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا ينفذ منها وصية وعن ربيعة الغرة لام الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة فان قلت على من تجب الرقبة والدية قلت على القاتل الا ان الرقبة في ماله والدية تتحملها عنه العاقلة فان لم تكن له عاقلة فهي في بيت المال فان لم يكن ففي ماله

الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو كقوله الا ان يعفون ونحوه وان تصدقوا خير لكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرئ الا ان يتصدقوا فان قلت بم تعلق ان يصدقوا وما محله قلت تعلق بعليه او بمسلمة كأنه قيل وتجب عليه الدية او يسلمها الا حين يتصدقون عليه ومحلها النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز ان يكون حالا من اهله بمعنى الا متصدقين **فان كان من قوم عدو لكم** من قوم كفار اهل حرب وذلك نحو رجل اسلم في قومه الكفار وهو بين اظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة اذا قتله خطأ وليس على عاقلته لاهله شيء لانهم كفار محاربون وقيل كان الرجل يسلم ثم يأتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطأ لانهم يظنونه كافرا مثلهم **وان كان من قوم** كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين واهل الذمة من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من مسلمين **فمن لم يجد** رقبة يعني لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها **فصيام شهرين متتابعين توبة من الله** قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه او نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه هذه الآية فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد امر عظيم وخطب غليظ ومن ثم روي عن ابن عباس ما روي من ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وفيه ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله والعجب من قوم يقرؤون هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا تدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل اليهم مناهم ان يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ذكر الله سبحانه التوبة في قتل الخطأ لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للاطماع واي حسم ولكن لا حياة لمن تنادي فان قلت هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل الكبائر قلت ما ابين الدليل فيها وهو تناول قوله ومن يقتل اي قاتل كان من مسلم او كافر تائب او غير تائب الا ان التائب اخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله **فتبينوا** وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية وقرئ السلم والسلام وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذي هو تحية اهل الاسلام **لست مؤمنا** وقرئ لست مؤمنا بفتح الميم من آمنه اي لا نؤمنك واصله ان مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الآية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة **تبتغون عرض الحياة الدنيا** تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه **فعند الله مغانم كثيرة** يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله **كذلك كنتم من قبل** اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لألسنتكم **فمن الله عليكم** بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة ولا تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما الى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله وقوله فتبينوا تكرير للامر بالتبيين ليؤكد عليهم **ان الله كان بما تعملون خبيرا** فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين **غير اولي الضرر** قرئ بالحركات الثلاث فالرفع صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم او حال عنهم والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وعن زيد بن ثابت كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سري عنه فقال اقرأ يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون من المؤمنين فقال غير اولي الضرر قال زيد انزلها الله وحدها فالحقتها والذي نفسي بيده لكأني انظر الى ملحقها عند صدع في الكتف وعن ابن عباس لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون اليها وعن مقاتل الى تبوك فان قلت معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء قلت معناه الاذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط

منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون أريد به التحريك من حمية الجاهل وأنفته ليهاب به الى التعلم ولينهض بنفسه عن صفة الجهل الى شرف العلم فضل الله المجاهدين جملة موضحة لما نفى من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل ما لهم لا يستوون فأجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير أولي الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الأولى المتضمنة لهذا الوصف وكلا وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى أي المثوبة الحسنى وهي الجنة وإن كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت أفئدتهم تهوى الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر أو غيره فإن قلت قد ذكر الله سبحانه مفضلين درجة ومفضلين درجات من هم قلت أما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الأضراء وأما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين أذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لأن الغزو فرض كفاية فإن قلت لم نصب درجة وأجرا ودرجات قلت نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من التفضيل كأنه قيل فضلهم تفضيلة واحدة ونظيره قولك ضربته سوطا بمعنى ضربته ضربة وأما أجرا فقد انتصب بفضل لأنه في معنى أجرهم أجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من أجرا ويجوز أن ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربته أسواطا بمعنى ضربات كأنه قيل وفضلهم تفضيلات وينتصب أجرا عظيما على أنه حال عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة بإضمار فعلهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة توفاهم يجوز أن يكون ماضيا كقراءة من قرأ توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم كقراءة من قرأ تتوفاهم على مضارعة وفيه معنى أن الله يتوفى الملائكة أنفسهم فيتوفونها أي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي أنفسهم في حال ظلمهم أنفسهم قالوا قال الملائكة للمتوفين فيم كنتم في أي شيء كنتم من أمر دينكم وهم ناس من أهل مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة فإن قلت كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين في الأرض جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان حق الجواب أن يقولوا كنا في كذا أو لم نكن في شيء قلت معنى فيم كنتم التوبيخ بأنهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف وأنهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها أرادوا أنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من إظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل المهاجرون الى أرض الحبشة وهذا دليل على أن الرجل إذا كان في بلد لا يتمكن فيه من إقامة أمر دينه كما يجب لبعض الأسباب والعوائق عن إقامة الدين لا تنحصر أو علم أنه في غير بلده أقوم بحق الله وأدوم على العبادة حقت عليه المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض الى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم اللهم إن كنت تعلم أن هجرتي إليك لم تكن إلا للفرار بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جواري لك بعكوفي عند بيتك بجوارك في دار كرامتك يا واسع المغفرة ثم استثنى من أهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث بهذه الآية الى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة أو ضمرة بن جندب لبنيه احملوني فإني لست من المستضعفين وإني لأهتدي الطريق والله لا أبيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم فإن قلت كيف أدخل الولدان في جملة المستثنين من أهل الوعيد كأنهم كانوا يتحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا قلت الرجال والنساء قد يكونون مستضعفين لأن سبب خروج الرجال والنساء من جملة أهل الوعيد إنما هو كونهم عاجزين فإذا كان العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة هذا إذا أريد بالولدان الأطفال ويجوز أن يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف وأن أريد العبيد والإماء البالغون فلا سؤال فإن قلت الجملة التي هي لا يستطيعون ما موقعها قلت هي صفة للمستضعفين أو للرجال والنساء والولدان وإنما جاز ذلك والجمل نكرات لأن الموصوف وإن كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه كقوله ولقد أمر على اللئيم يسبني فإن قلت لم قيل عسى الله أن يعفو عنهم بكلمة الإطماع قلت للدلالة على أن ترك الهجرة أمر مضيق لا توسعة فيه حتى إن المضطر البين الاضطرار من حقه أن يقول عسى الله أن يعفو عني فكيف بغيره مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه أي يفارقهم على رغم أنوفهم والرغم الذل والهوان وأصله لصوق الأنف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل إذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجعدي

كطود يلاذ بأركانه عزيز المراغم والمذهب

وقرئ مرغما وقرئ ثم يدركه الموت بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ثم هو يدركه الموت وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كأنه أراد أن يقف

عليها

أولاده محبت والدهم كبيرة محبته

عليها ثم نقل حركة الهاء الى الكاف كقوله من عنزي سبني لم أضربه وقرئ يدركه بالنصب على إضمار أن كقوله وألحق بالحجاز فأستريحا فقد وقع أجره على الله وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط فإذا وجبت جنوبها ووجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه وروي في قصة جندب بن ضمرة أنه لما أدركه الموت أخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو توفي بالمدينة لكان أتم أجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما أدرك هذا ما طلب فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض ديني من طلب علم أو حج أو جهاد أو فرار الى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة وزهدا في الدنيا أو ابتغاء رزق طيب فهي هجرة الى الله ورسوله وإن أدركه الموت في طريقه فأجره واقع على الله الضرب في الأرض هو السفر وأدنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر عند أبي حنيفة مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن سير الإبل ومشي الأقدام على القصد ولا اعتبار بإبطاء الضارب وإسراعه فلو سار مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلاثة أيام لم يقصر وعند الشافعي أدنى مدة السفر أربعة برد مسيرة يومين وقوله فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ظاهره التخيير بين القصر والإتمام وأن الإتمام أفضل والى التخيير ذهب الشافعي وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتم في السفر وعن عائشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى إذا قدمت مكة قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي قصرت وأتممت وصمت وأفطرت فقال أحسنت يا عائشة وما عاب علي وكان عثمان يتم ويقصر وعند أبي حنيفة القصر في السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره وعن عمر صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عائشة رضي الله عنها أول ما فرضت الصلاة ركعتين ركعتين فأقرت في السفر وزيدت في الحضر فإن قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح أن تقصروا قلت كأنهم ألفوا الإتمام فكانوا مظنة لأن يخطر ببالهم أن عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب أنفسهم بالقصر ويطمئنوا إليه وقرئ تقصروا من أقصر وجاء في الحديث إقصار الخطبة بمعنى تقصيرها وقرأ الزهري تقصروا بالتشديد والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة وهو قوله إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا وأما في حال الأمن فبالسنة وفي قراءة عبد الله من الصلاة أن يفتنكم ليس فيها إن خفتم على أنه مفعول له بمعنى كراهة أن يفتنكم والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة تعلق بظاهره من لا يرى صلاة الخوف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شرط كونه فيهم وقال من رآها بعده إن الأئمة نواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل إمام يكون حاضر الجماعة في حال الخوف عليه أن يؤمهم كما أمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجماعات التي كان يحضرها والضمير في فيهم للخائفين فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم إحداهما معك فصل بهم وليأخذوا أسلحتهم الضمير إما للمصلين وإما لغيرهم فإن كان للمصلين فقالوا يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر ونحوهما وإن كان لغيرهم فلا كلام فيه فإذا سجدوا فليكونوا يعني غير المصلين من ورائكم يحرسونكم وصفة صلاة الخوف عند أبي حنيفة أن يصلي الإمام بإحدى الطائفتين ركعة إن كانت الصلاة ركعتين والأخرى بإزاء العدو ثم تقف هذه الطائفة بإزاء العدو وتأتي الأخرى فيصلي بها ركعة ويتم صلاته ثم تقف بإزاء العدو وتأتي الأولى فتؤدي الركعة بغير قراءة وتتم صلاتها ثم تحرس وتأتي الأخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلاتها والسجود على ظاهره عند أبي حنيفة وعند مالك بمعنى الصلاة لأن الإمام يصلي عنده بطائفة ركعة ويقف قائما حتى تتم صلاتها وتسلم وتذهب ثم يصلي بالثانية ركعة ويقف قاعدا حتى تتم صلاتها ويسلم بهم وبمعناه ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وقرئ وأمتعاتكم فإن قلت كيف جمع بين الأسلحة وبين الحذر في الأخذ قلت جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي فلذلك جمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ وجعلا مأخوذين ونحوه قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والإيمان جعل الإيمان مستقرا لهم ومتبوأ لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوء فيميلون عليكم فيشدون عليكم شدة واحدة ورخص لهم في وضع الأسلحة إن ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر أو يضعفهم من مرض وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو فإن قلت كيف طابق الأمر بالحذر قوله إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا قلت الأمر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفى عنهم ذلك الإيهام بإخبارهم أن الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا أن الأمر بالحذر ليس لذلك وإنما هو تعبد من الله كما قال ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة فإذا قضيتم الصلاة فإذا صليتم في حال الخوف والقتال فاذكروا الله فصلوها قياما مسايفين ومقارعين وقعودا جاثين على الركب مرامين وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فإذا اطمأننتم حين تضع الحرب أوزارها وأمنتم فأقيموا الصلاة فاقضوا ما صليتم في تلك الأحوال التي هي أحوال القلق والانزعاج إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا محدودا بأوقات لا يجوز إخراجها عن أوقاتها على أي حال كنتم خوف أو أمن وهذا ظاهر على مذهب الشافعي في إيجابه الصلاة على المحارب في حال المسايفة والمشي والاضطراب في المعركة إذا حضر وقتها فإذا اطمأن فعليه القضاء وأما عند أبي حنيفة فهو معذور في تركها الى أن يطمئن وقيل معناه فإذا قضيتم صلاة الخوف فأديموا ذكر الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتأييد في كافة أحوالكم من قيام وقعود واضطجاع فإن ما أنتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه واللجأ إليه فإذا اطمأننتم فإذا أقمتم فأتموا الصلاة فأتوها ولا تهنوا

ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم. ثم ألزمهم الحجة بقوله إن تكونوا
تألمون فإنهم يألمون كما تألمون أي ليس ما تكابدون من الألم بالجرح والقتل مختصا بكم إنما هو أمر مشترك بينكم
وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم إنهم يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع أنكم
أولى منهم بالصبر لأنكم ترجون من الله ما لا يرجون من إظهار دينكم على سائر الأديان ومن الثواب
العظيم في الآخرة. وقرئ الأعرج أن تكونوا تألمون بفتح الهمزة بمعنى ولا تهنوا لأن تكونوا تألمون
وقوله فإنهم يألمون كما تألمون تعليل. وقرئ فإنهم ييلمون كما تيلمون. وروي أنها نزلت في بدر الصغرى
كان بهم جراح فتواكلوا وكان الله عليما حكيما بأعمالكم وضمائركم ولا يأمركم ولا ينهاكم إلا بما هو خير لكم
روي أن طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل ينتثر
من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل يهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما
أخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها فقال دفعها
إلي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يجادل
عن صاحبهم وقالوا إن لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل وأن يعاقب
اليهودي. وقيل هم أن يقطع يده فنزلت. وروي أن طعمة هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق
أهله فسقط الحائط عليه فقتله بما أراك الله بما عرفك وأوحى به إليك. وعن عمر رضي الله عنه لا يقولن أحدكم قضيت بما
أراني الله فإن الله لم يجعل ذلك إلا لنبيه ولكن ليجتهد رأيه لأن الرأي من رسول الله كان مصيبا
لأن الله كان يريه إياه وهو منا الظن والتكلف ولا تكن للخائنين خصيما ولا تكن لأجل الخائنين مخاصما للبرآء
يعني لا تخاصم اليهود لأجل بني ظفر واستغفر الله مما هممت به من عقاب اليهودي يختانون أنفسهم يخونونها
بالمعصية كقوله علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم كما
جعلت ظلما لها لأن الضرر راجع إليهم فإن قلت لم قيل للخائنين ويختانون أنفسهم وكان السارق طعمة وحده
قلت لوجهين أحدهما أن بني ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له في الإثم والثاني أنه جمع ليتناول
طعمة وكل من خان خيانته فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه فإن قلت لم قيل خوانا أثيما على المبالغة
قلت كان الله عالما من طعمة بالإفراط في الخيانة وركوب المآثم ومن كانت تلك خاتمة أمره لم يشك في حاله
وقيل إذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات. وعن عمر رضي الله عنه أنه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه
تبكي وقالت هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت إن الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة يستخفون
يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم
مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم
مع علمهم أنهم كانوا مؤمنين أنهم في حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس إلا الكشف الصريح والافتضاح
إذ يبيتون يدبرون ويزورون وأصله أن يكون بالليل ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة أن يرمي بالدرع في
دار زيد ليسرق دونه ويحلف ببراءته فإن قلت كيف سمي التدبير قولا وإنما هو معنى في النفس قلت لما حدث
بذلك نفسه سمي قولا على المجاز ويجوز أن يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد أن بيته وتوركه
الذنب على اليهودي ها أنتم ها للتنبيه في أنتم وأولاء وهما مبتدأ وخبر جادلتم جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا
كما تقول لبعض الأسخياء أنت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك. ويجوز أن يكون أولاء اسما موصولا بمعنى الذين
وجادلتم صلته والمعنى هبوا أنكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن يخاصم عنهم في الآخرة إذا أخذهم
الله بعذابه. وقرئ عبد الله عنه أي عن طعمة وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله وانتقامه ومن يعمل
سوءا قبيحا يتعدى به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي أو يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب
وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك أو يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة
لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه أو لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه فإنما يكسبه على نفسه أي
لا يتعداه ضرره المعنى فليتق على نفسه من كسب السوء خطيئة صغيرة أو إثما كبيرة ثم يرم به بريئا كما رمى
طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا وإثما لأنه بكسب الإثم آثم وبرمي البريء باهت فهو جامع بين الأمرين وقرأ معاذ
ابن جبل رضي الله عنه ومن يكسب بكسر الكاف والسين المشددة وأصله يكتسب ولولا فضل الله عليك ورحمته أي عصمته والطاف
وما أوحي إليك من الاطلاع على سرهم لهمت طائفة منهم من بني ظفر أن يضلوك عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل
مع علمهم بأن الجاني هو صاحبهم فقد روي أن ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة وما يضلون إلا أنفسهم
لأن وباله عليهم وما يضرونك من شيء لأنك إنما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك أن الحقيقة على خلاف ذلك
~~على خلاف الحقيقة~~ وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الأمور وضمائر القلوب أو من أمور الدين والشرائع
ويجوز أن يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير في منهم إلى الناس وقيل الآية في المنافقين لا خير في كثير من نجواهم
من تناجي الناس إلا من أمر بصدقة إلا نجوى من أمر على أنه مجرور بدل من كثير كما تقول لا خير في كثير من قيامهم إلا قيام
زيد ويجوز أن يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى ولكن من أمر بصدقة ففي نجواه الخير وقيل المعروف
القرض وقيل إغاثة الملهوف وقيل هو عام في كل جميل ويجوز أن يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق
به على سبيل التطوع. وعن النبي صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ما كان من أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله.

وسمع سفيان رجلا يقول ما أشد هذا الحديث فقال ألم تسمع الله يقول لا خير في كثير من نجواهم فهو هذا بعينه
أو ما سمعته يقول والعصر إن الإنسان لفي خسر فهو هذا بعينه وشرط في استيجاب الأجر العظيم أن ينوي فاعل
الخير عبادة الله والتقرب بها إليه وأن يبتغي به وجهه خالصا لأن الأعمال بالنيات فإن قلت كيف قال إلا من
أمر ثم قال ومن يفعل ذلك قلت ذكر الأمر بالخير ليدل به على فاعله لأنه إذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم أدخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به
الوعد بالأجر العظيم ويجوز أن يراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الأمر بالفعل كما يعبر به عن سائر الأفعال
وقرئ يؤتيه بالياء ويتبع غير سبيل المؤمنين وهو السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي القيم وهو دليل على
أن الإجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة لأن الله عز وعلا جمع بين اتباع غير سبيل المؤمنين
وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول نوله ما تولى
نجعله واليا لما تولى من الضلال بأن نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم. وقرئ ونصله بفتح النون
من صلاه. وقيل هي في طعمة وارتداده وخروجه إلى مكة إن الله لا يغفر أن يشرك به تكرير للتأكيد وقيل كرر لقصة
طعمة. وروي أنه مات مشركا وقيل جاء شيخ من العرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني شيخ منهمك في الذنوب إلا
أني لم أشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصي جرأة على الله ولا مكابرة
له وما توهمت طرفة عين أني أعجز الله هربا وإني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلت. وهذا
الحديث ينصر قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه إلا إناثا هي اللات والعزى ومناة. وعن الحسن
لم يكن حي من أحياء العرب إلا ولهم صنم يعبدونه يسمونه أنثى بني فلان. وقيل كانوا يقولون في أصنامهم هن
بنات الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقرئ أنثى جمع أنيث أو إناث ووثنا وأثنا
بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك أسد وأسد وأسد وقلب الواو ألفا نحو أجوه في وجوه وقراءة عائشة رضي الله عنها
أوثانا وإن يدعون وإن يعبدون بعبادة الأصنام إلا شيطانا لأنه هو الذي أغراهم على عبادتها فأطاعوه
فجعلت طاعتهم له عبادة لعنه الله وقال لأتخذن صفتان يعني شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا
القول الشنيع نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا فرضته لنفسي من قولهم فرض له في العطاء وفرض الجند رزقه
ولأضلنهم عن طريق الحق وليبتغين ما يبغي ولأمنينهم الأماني الباطلة من طول الأعمار وبلوغ الآمال
ورحمة الله للمجرمين بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام تقطيعهم
بالبحائر كانوا يشقون أذن الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع
بها ولآمرنهم فليغيرن خلق الله فقء عين الحامي وإعفاؤه عن الركوب. وقيل الخصاء وهو في قول عامة العلماء مباح
في البهائم وأما في بني آدم فمحظور. وعند أبي حنيفة يكره شرى الخصيان وإمساكهم واستخدامهم لأن
الرغبة فيهم تدعو إلى الخصاء وقيل فطرة الله التي هي دين الإسلام وقيل للحسن إن عكرمة يقول
هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله. وعن ابن مسعود هو الوشم. وعنه لعن الله الواشمات
والمتنمصات والمتفلجات المغيرات خلق الله. وقيل التخنث وعد الله حقا مصدران الأول مؤكد
لنفسه والثاني مؤكد لغيره ومن أصدق من الله قيلا توكيد ثالث بليغ فإن قلت ما فائدة هذه التوكيدات قلت
هي معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وأمانيه الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه
ترغيبا للعباد في إيثار ما يستحقون به تنجز وعد الله على ما يتجرعون في عاقبته غصص إخلاف
مواعيد الشيطان. في ليس ضمير وعد الله أي ليس ينال ما وعد الله من الثواب بأمانيكم ولا أماني أهل
الكتاب والخطاب للمسلمين لأنه لا يتمنى وعد الله إلا من آمن به وكذلك ذكر أهل الكتاب معهم لمشاركتهم
لهم في الإيمان بوعد الله. وعن مسروق والسدي هي في المسلمين. وعن الحسن ليس الإيمان بالتمني
ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة
لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل. وقيل إن المسلمين وأهل الكتاب
افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم. وقال المسلمون نحن أولى منكم نبينا خاتم
النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزلت. ويحتمل أن يكون الخطاب للمشركين لقولهم إن كان
الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم وأحسن حالا لأوتين مالا وولدا إن لي عنده للحسنى وكان
أهل الكتاب يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه ولن تمسنا النار إلا أياما معدودة ويعضده تقدم
ذكر أهل الشرك قبله. وعن مجاهد أن الخطاب للمشركين قوله من يعمل سوءا يجز به وقوله ومن يعمل
من الصالحات بعد ذكر تمني أهل الكتاب نحو من قوله بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته وقوله
والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة وإذا
أبطل الله الأماني وأثبت أن الأمر كله معقود بالعمل وأن من أصلح عمله فهو الفائز ومن أساء
عمله فهو الهالك تبين الأمر ووضح ووجب قطع الأماني وحسم المطامع والإقبال على العمل الصالح
ولكنه نصح لا تعيه الآذان ولا تلقي إليه الأذهان فإن قلت ما الفرق بين من الأولى والثانية
قلت الأولى للتبعيض أراد ومن يعمل بعض الصالحات لأن كلا لا يتمكن من كل الصالحات
لاختلاف الأحوال وإنما يعمل منها ما هو تكليفه وفي وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة
وتسقط عنه الصلاة في بعض الأحوال. والثانية لتبيين الإبهام في ومن يعمل فإن قلت كيف خص
الصالحون بأنهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم في ذلك قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون

الراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا والثاني ان يكون ذكره عند احد الفريقين دالا على
ذكره عند الاخر لان كلا الفريقين مجزيون باعمالهم لا تفاوت بينهم ولان ظلم المسيء ان يزاد في عقابه
وارحم الراحمين معلوم انه لا يزيد في عقاب المجرمين فكان ذكره مستغنى عنه واما المحسن فله ثواب
وتوابع للثواب من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز ان ينتقص من الفضل لانه ليس بواجب فكان
نفي الظلم دلالة على انه لا يقع نقصان في الفضل اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف
لها ربا ومعبودا سواه وهو محسن وهو عامل للحسنات تارك للسيئات حنيفا حال من المتبع او من
ابراهيم كقوله بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين وهو الذي تحنف اي مال عن الاديان كلها
الى دين الاسلام واتخذ الله ابراهيم خليلا مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل
عند خليله والخليل المخال الذي يخالك اي يوافقك في خلالك او يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق
في الرمل او يسد خللك كما تسد خلله او يداخلك خلال منازلك وحجبك فان قلت ما موقع هذه
الجملة قلت هي جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم والحوادث جمة
فايدتها تاكيد وجوب اتباع ملته لان من بلغ من الزلفى عند الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بان
يتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها معنى وقيل ان ابراهيم عليه السلام بعث
الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه
لفعلت ولكن يريدها للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما
اخبروا ابراهيم ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امراته الى غرارة منها فاخرجت احسن حوارى
واختبزت واستنبه ابراهيم من نومه فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت امراته
من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما في السموات وما في الارض
من كل العالم الصالحين والطالحين ومعناه انه له تملك اهل السموات والارض فطاعته واجبة عليهم
وكان الله بكل شيء محيطا فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم ان يختاروا لانفسهم ما هو
الاصلح لها وما يتلى محله رفع اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى يعني قوله وان خفتم
الا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك اعجبني زيد وكرمه ويجوز ان يكون وما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب
خبره على انها جملة معترضة والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وان العدل والنصفة
في حقوق اليتامى من عظائم الامور المرفوعة الدرجات عند الله التي يجب مراعاتها والمحافظة
عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه في تعظيم القران وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم
ويجوز ان يكون مجرورا على القسم كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والقسم ايضا لمعنى التعظيم
وليس بسديد ان يعطف على المجرور في فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى فان قلت بم تعلق قوله في يتامى
النساء قلت في الوجه الاول هو صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناهن ويجوز ان يكون في يتامى النساء بدلا
من فيهن واما في الوجهين الاخرين فبدل لا غير فان قلت الاضافة في يتامى النساء ما هي قلت اضافة
بمعنى من كقولك عندي سحق عمامة وقرئ في ييامى النساء بيائين على انه ايامى اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وروي [illegible]
الله لهن اي ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل يضم اليتيمة الى نفسه ومالها فان كانت جميلة تزوجها واكل
المال وان كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها وترغبون ان تنكحوهن يحتمل في ان تنكحوهن لجمالهن
وعن ان تنكحوهن لدمامتهن وروي ان عمر بن الخطاب كان اذا جاءه ولي اليتيمة نظر فان كانت
غنية جميلة قال زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك وان كانت دميمة ولا مال لها قال تزوجها فانت
احق بها والمستضعفين مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية انما يورثون الرجال القوام
بالامور دون الاطفال والنساء ويجوز ان يكون خطابا للاوصياء كقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب
وان تقوموا مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا ويجوز ان
يكون منصوبا بمعنى ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم
ولا يخلوا احدا يهتضمهم خافت من بعلها توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله وامارته والنشوز
ان يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمراة وان يؤذيها بسب
او ضرب والاعراض ان يعرض عنها بان يقل محادثتها ومؤانستها وذلك لبعض الاسباب من طعن في
سن او دمامة او شيء في خلق او خلق او ملال او طموح عين الى اخرى او غير ذلك فلا باس بهما في ان
يصلحا بينهما وقرئ يصالحا ويصلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا ونحو اصلح اصبر في اصطبر صلحا
في معنى مصدر كل واحد من الافعال الثلاثة ومعنى الصلح ان يتصالحا على ان تطيب له نفسا عن القسمة
او عن بعضها كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلعم وعرفت مكان
عائشة من قلبه فوهبت لها يومها وكما روي ان امراة اراد ان يطلقها زوجها لرغبته عنها وكان
لها منه ولد فقالت لا تطلقني ودعني اقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال ان كان هذا يصلح
فهو احب الي فاقرها او تهب له بعض المهر او كله او النفقة فان لم تفعل فليس له الا ان يمسكها
بمعروف او يسرحها باحسان والصلح خير من الفرقة او من النشوز والاعراض وسوء العشرة او
هو خير من الخصومة في كل شيء او والصلح خير من الخيور كما ان الخصومة شر من الشرور وهذا

الخيور

الجملة

الجملة اعتراض وكذلك قوله واحضرت الانفس الشح ومعنى احضار الانفس الشح ان الشح جعل حاضرا لها
لا تغيب عنها ابدا ولا تنفك عنه يعني انها مطبوعة عليه والغرض ان المراة لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها
والرجل لا تكاد نفسه تسمح بان يقسم لها وان يمسكها اذا رغب عنها واحب غيرها وان تحسنوا بالاقامة على
نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة وتتقوا النشوز والاعراض وما
يؤدي الى الاذى والخصومة فان الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا وهو يثيبكم عليه وكان عمران
بن حطان الخارجي من ادم بني ادم وامراته من اجملهم فاجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله
فقال ما لك فقالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة قال كيف قالت لانك رزقت مثلي فشكرت
ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين ولن تستطيعوا ومحال ان تستطيعوا
العدل بين النساء بالتسوية حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع لذلك عنكم تمام
العدل وغايته وما كلفتم منه الا ما تستطيعون بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لان تكليف
ما لا يستطاع داخل في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة وعن النبي صلعم
انه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك يعني
المحبة لان عائشة رضي الله عنها كانت احب اليه وقيل ان العدل بينهن امر صعب بالغ من الصعوبة حدا
يوهم انه غير مستطاع لانه يجب ان يسوي بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والاقبال
والممالحة والمفاكهة والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر ياتي من ورائه فهو كالخارج من حد الاستطاعة
هذا اذا كن محبوبات كلهن فكيف اذا مال القلب مع بعضهن فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب
عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضى منها يعني ان اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة
فلا تفرطوا فيه ان وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ فتذروها كالمعلقة وهي التي
ليست بذات بعل ولا مطلقة قال هل هي الا حظة او تطليقة او صلف او بين ذاك تعليق
وفي قراءة ابي فتذروها كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امراتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة واحد
شقيه مائل وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الى ازواج رسول الله صلعم بمال فقالت عائشة رضي الله عنها الى كل
ازواج رسول الله بعث عمر مثل هذا قالوا لا بعث الى القرشيات بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت ارفع
راسك فان رسول الله صلعم كان يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فاخبره فاتم لهن جميعا وكان
لمعاذ امراتان فاذا كان عند احداهما لم يتوضا في بيت الاخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد
وان تصلحوا ما مضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل غفر الله لكم وان يتفرقا وان
يفارق كل واحد منهما صاحبه يغن الله كلا يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنا من عيشه
من سعته من غناه وقدرته والواسع الغني المقتدر من قبلكم متعلق بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم والكتاب اسم للجنس يتناول الكتب السماوية ان اتقوا بان اتقوا او تكون ان
المفسرة لان التوصية في معنى القول وقوله وان تكفروا فان لله عطف على اتقوا لان المعنى امرناهم
وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله والمعنى ان لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم
والمنعم عليهم باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يتقون عقابه ويرجون
ثوابه ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم من الامم السالفة ووصيناكم ان اتقوا الله يعني انها وصية قديمة
ما زال يوصي الله بها عباده لستم بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة في العاقبة
وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض من الملائكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه
وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده احد منهم
وتكرير قوله لله ما في السموات وما في الارض تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لان
الخشية والتقوى اصل الخير كله ان يشا يذهبكم يعدمكم كما اوجدكم وانشاكم ويات باخرين ويوجد انسا اخرين
مكانكم او خلقا اخرين من غير الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا
يمتنع عليه شيء اراده وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله صلعم
من العرب اي ان يشا يمتكم وياتي باناس اخرين يوالونه ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلعم بيده
على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة
فعند الله ثواب الدنيا والاخرة فما له يطلب احدهما دون الاخر والذي يطلبه اخسهما لان من جاهد لله خالصا
لم تخطئه الغنيمة وله من ثواب الاخرة ما الغنيمة الى جنبه كلا شيء والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والاخرة
له ان اراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط قوامين بالقسط مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا شهداء لله تقيمون
شهاداتكم لوجه الله كما امرتم باقامتها ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم او ابائكم او اقاربكم
فان قلت الشهادة على الوالدين والاقربين ان يقول اشهد ان لفلان على والدي كذا او على اقاربي فما
معنى الشهادة على نفسه قلت هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها ويجوز
ان يكون المعنى وان كانت الشهادة وبالا على انفسكم او على ابائكم واقاربكم وذلك ان يشهد على من يتوقع
ضرره من سلطان ظالم او غيره ان يكن المشهود عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه

أو يصبروا فلا يمنعكما ترحما عليه فالله أولى بهما بالغني والفقير أي بالنظر لهما وإرادة مصلحتهما ولولا أن
الشهاده عليهما مصلحة لهما لما شرعها لأنه أنظر لعباده من كل ناظر فإن قلت لم ثني الضمير في أولى بهما
وكان حقه أن يوحد لأن قوله إن يكن غنيا أو فقيرا في معنى إن يكن أحد هذين قلت قد رجع الضمير
إلى ما دل عليه قوله إن يكن غنيا أو فقيرا لا إلى المذكور فلذلك ثني ولم يفرد وهو جنسا الغني وجنس
الفقير كأنه قيل فالله أولى بجنسي الغني والفقير أي بالأغنياء والفقراء وفي قراءة أبي فالله أولى بهم
وهي شاهدة على ذلك وقرأ عبد الله إن يكن غني أو فقير على كان التامة أن تعدلوا يحتمل العدل والعدول
كأنه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة أن تعدلوا بين الناس أو إرادة أن تعدلوا عن الحق وإن تلووا أو تعرضوا
وإن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل أو تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها
وقرئ وإن تلوا أو تعرضوا بمعنى وإن وليتم إقامة الشهادة أو أعرضتم عن إقامتها فإن الله كان بما تعملون
خبيرا وبمجازيكم عليه يا أيها الذين آمنوا خطاب للمسلمين ومعنى آمنوا اثبتوا على الإيمان وداوموا
عليه وازدادوه والكتاب الذي أنزل من قبل المراد به جنس ما أنزل على الأنبياء قبله من الكتب والدليل
عليه قوله وكتبه وقرئ وكتابه على إرادة الجنس وقرئ نزل وأنزل على البناء للفاعل وقيل الخطاب
لأهل الكتاب لأنهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروي أنه لعبد الله بن سلام
وأسد وأسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام بن أخت عبد الله بن سلام وسلمة بن أخيه
ويامين بن يامين أتوا رسول الله صلعم وقالوا يا رسول الله إنا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة
وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل
فقال عليه السلام بل آمنوا بالله ورسوله محمد وبكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم
وقيل هو للمنافقين كأنه قيل يا أيها الذين آمنوا نفاقا آمنوا إخلاصا فإن قلت كيف قيل لأهل الكتاب والكتاب
الذي أنزل من قبل وكانوا مؤمنين بالتوراة والإنجيل قلت كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما أنزل
من الكتب فأمروا أن يؤمنوا بالجنس كله ولأن إيمانهم ببعض الكتب لا يصح إيمانا به لأن طريق الإيمان به هو المعجز
ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض فلو كان إيمانهم بما آمنوا به لأجل المعجز لآمنوا به كله فحين
آمنوا ببعضه علم أنهم لم يعتبروا المعجز فلم يكن إيمانهم إيمانا وهو الذي أراد عز وجل في قوله ويقولون
نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا فإن قلت
لم قيل نزل على رسوله وأنزل من قبل قلت لأن القرآن نزل مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ومعنى
قوله ومن يكفر بالله الآية ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل لأن الكفر ببعضه كفر بكله ألا ترى كيف قدم
الأمر بالإيمان جميعا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا نفي للغفران والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة
التي تعطيها اللام والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الإيمان الخالص الثابت والمعنى أن الذين تكرر
منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والإصرار عليه يستبعد منهم أن يحدثوا ما يستحقون به
المغفرة ويستوجبون اللطف من إيمان صحيح ثابت يرضاه الله لأن قلوب أولئك الذين هذا ديدنهم
قلوب قد ضريت بالكفر ومرنت على الردة وكان الإيمان أهون شيء عندهم وأدونه حيث يبدو لهم
كرة بعد أخرى وليس المعنى أنهم لو أخلصوا الإيمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم يقبل منهم
ولم يغفر لهم لأن ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب
وأنه أمر لا يكاد يكون وهكذا ترى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه
الثبات والغالب أنه يموت على شر حال وأسمج صورة وقيل هم اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى
ثم كفروا بالإنجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلعم بشر المنافقين وضع بشر مكان أخبر تهكما بهم
والذين نصب على الذم أو رفع بمعنى أريد الذين أو هم الذين وكانوا يمايلون الكفرة ويوالونهم
ويقول بعضهم لبعض لا يتم أمر محمد فتولوا اليهود فإن العزة لله جميعا يريد لأوليائه الذين كتب لهم
العز والغلبة على اليهود وغيرهم وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين أن إذا سمعتم هي أن المخففة من
الثقيلة والمعنى أنه إذا سمعتم أي نزل عليكم أن الشأن كذا والشأن ما أفادته الجملة بشرطها
وجوابها وأن مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل أو في موضع النصب بنزل فيمن قرأ به والمنزل عليهم في
الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في
حديث غيره وذلك أن المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزئون فنهي المسلمون عن
القعود معهم ما داموا خائضين فيه وكان أحبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين
فنهوا أن يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن
من الأحبار هم المنافقون فقيل لهم إنكم إذا مثلهم في الكفر إن الله جامع المنافقين يعني
القاعدين والمقعود معهم فإن قلت الضمير في قوله فلا تقعدوا معهم إلى من يرجع قلت إلى من دل عليه
يكفر بها ويستهزأ بها كأنه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها فإن قلت لم يكونون مثلهم
بالمجالسة إليهم في وقت الخوض قلت لأنهم إذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين بالكفر والراضي بالكفر كافر
فإن قلت فهلا كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين قلت لأنهم كانوا لا ينكرون

لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم فكان ترك الإنكار كرضاهم الذين يتربصون إما بدل من الذين يتخذون
وإما صفة للمنافقين أو نصب على الذم منهم يتربصون بكم أي ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر أو إخفاق
ألم نكن معكم مظاهرين فأسهموا لنا في الغنيمة ألم نستحوذ عليكم ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم فأبقينا
عليكم ونمنعكم من المؤمنين بأن ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا
في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما أصبتم وقرئ ونمنعكم بالنصب بإضمار أن قال الحطيئة
ألم أك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والإخاء فإن قلت لم سمي ظفر المؤمنين فتحا وظفر الكافرين
نصيبا قلت تعظيما لشأن المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لأن ظفر المسلمين أمر عظيم تفتح له أبواب السماء
حتى ينزل على أوليائه وأما ظفر الكافرين فما هو إلا حظ دني ولمظة من الدنيا يصيبونها يخادعون الله يفعلون
ما يفعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطان الكفر وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم
معصومي الدماء والأموال في الدنيا وأعد لهم الدرك الأسفل من النار في الآخرة ولم يخلهم في العاجل من فضيحة وإحلال
بأس ونقمة ورعب دائم والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته إذا غلبته وكنت أخدع منه وقيل يعطون
على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس
من نوركم كسالى قرئ بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى في سكران أي يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى
من يفعل شيئا على كره لا عن طيبة نفس ورغبة يراءون الناس يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة ولا يذكرون الله إلا قليلا
ولا يصلون إلا قليلا لأنهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس إلا ما يجاهرون به وما يجاهرون به قليل أيضا
لأنهم ما وجدوا مندوحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه أو ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل إلا
ذكرا قليلا في الندرة وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالإسلام لو صحبته الأيام والليالي لم تسمع منه تهليلة
ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق أوقاته لا يفتر منه ويجوز أن يراد بالقلة العدم فإن قلت
ما معنى المراءاة وهي مفاعلة من الرؤية قلت فيه وجهان أحدهما أن المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه
والثاني أن يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال راءى الناس بمعنى رآهم كقولك نعمه وناعمه وفنقه وفانقه
وعيش مفانق وروى أبو زيد رأت المرأة المرآة الرجل إذا أمسكتها لترى وجهه ويدل عليه قراءة ابن أبي
إسحاق يرءونهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم أي يبصرونهم أعمالهم ويراءونهم كذلك مذبذبين إما
حال كقوله ولا يذكرون الله عن واو يراءون أي يراءونهم غير ذاكرين مذبذبين أو منصوب على الذم
ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى بين الإيمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة
المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين أي يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد كما يقال فلان يرمى به
الرجوان إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كأن المعنى كلما مال إلى جانب ذب عنه وقرئ
مذبذبين بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم أو دينهم أو رأيهم أو بمعنى يتذبذبون كما جاء
صلصل وتصلصل بمعنى وفي مصحف عبد الله متذبذبين وعن أبي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة
وكأن المعنى أخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة فليسوا بماضين على دبة واحدة والدبة الطريقة
ومنها دبة قريش وذلك إشارة إلى الكفر والإيمان لا إلى هؤلاء لا منسوبين إلى هؤلاء فيكونوا مؤمنين
ولا إلى هؤلاء ولا منسوبين إلى هؤلاء فيسموا مشركين لا تتخذوا الكافرين أولياء لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم
اليهود وغيرهم من أعداء الإسلام أولياء سلطانا حجة بينة يعني أن موالاة الكافرين بينة على النفاق
وعن صعصعة بن صوحان أنه قال لابن أخ له خالص المؤمن وخالق الكافر والفاجر فإن الفاجر يرضى
منك بالخلق الحسن وإنه يحق عليك أن تخالص المؤمن الدرك الأسفل الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع
دركات سميت بذلك لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك
لقولهم أدراك جهنم فإن قلت لم كان المنافق أشد عذابا من الكافر قلت لأنه مثله في الكفر وضم
إلى كفره الاستهزاء بالإسلام وأهله ومداجاتهم وأصلحوا ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النفاق
واعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص وأخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعتهم إلا وجهه فأولئك
مع المؤمنين فهم أصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما فيشاركونهم فيه
فإن قلت من المنافق قلت هو في الشريعة من أظهر الإيمان وأبطن الكفر وأما تسمية من
ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ كقوله من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنه قوله عليه السلام ثلاث من كن فيه فهو منافق
وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان وقيل
لحذيفة من المنافق فقال الذي يصف الإسلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر ندخل على السلطان ونتكلم
بكلام فإذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن أتى على النفاق زمان وهو مقروع
فيه فأصبح وقد عمم وقلد وأعطي سيفا يعني الحجاج ما يفعل الله بعذابكم أيتشفى به من الغيظ أم يدرك به
الثأر أم يستجلب به نفعا أم يستدفع به ضررا كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني الذي لا يجوز عليه شيء
من ذلك وإنما هو أمر أوجبته الحكمة أن يعاقب المسيء فإن قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد أبعدتم
عن أنفسكم استحقاق العذاب وكان الله شاكرا مثيبا موفيا أجوركم عليما بحق شكركم وإيمانكم فإن قلت
لم قدم الشكر على الإيمان قلت لأن العاقل ينظر إلى ما هو عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع
فيشكر شكرا مبهما فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما

على الامان وكانه اصل التكليف ومَدّ الى الا من ظلم الا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذى لا يحبه الله جهر
المظلوم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم
ولمن انتصر بعد ظلمه وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت وقرى
الا من ظلم على البنا للفاعل على الانقطاع اى ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء ويجوز ان يكون
من ظلم مرفوعا كانه قيل لا يحب الجهر بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد الا عمرو بمعنى
ما جاءني الا عمرو ومنه لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله ثم حث على العفو وان لا يجهر احد
لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار بعد ما اطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الاحب اليه
والافضل عنده والادخل في الكرم والتخشع والعبودية وذكر ابداء الخير واخفاءه تشبيبا للعفو
ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وان له مكانا في باب الخير وسيطا والدليل على ان العفو
هو الغرض المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله فان الله كان عفوا قديرا اى يعفو عن
الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله جعل الذين امنوا بالله وكفروا برسله
وامنوا بالله وبعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله ورسله جميعا لما ذكرنا من العلة ومعنى اتخاذهم
بين ذلك سبيلا ان يتخذوا دينا وسطا بين الايمان والكفر كقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ
بين ذلك سبيلا اى طريقا وسطا في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد اخطأوا فانه لا واسطة بين
الكفر والايمان ولذلك قال اولئك هم الكافرون حقا اى هم الكاملون في الكفر وحقا تاكيد لمضمون الجملة
كقولك هو عبد الله حقا اى حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر او هو صفة لمصدر الكافرين اى هم الذين
كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه فان قلت كيف جاز دخول بين على احد وهو يقتضي شيئين فصاعدا
قلت ان احدا عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رايت احدا فتقصد العموم الا تراك
تقول الا بني فلان والا بنات فلان فالمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم او بين جماعة ومنه قوله تعالى لستن
كاحد من النساء سوف يؤتيهم اجورهم معناه ان ايتاءها كائن لا محالة وان تاخر فالغرض به توكيد الوعد
وتثبيته لا كونه متاخرا روى ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان كنت نبيا صادقا فاتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى فنزلت وقيل كتابا الى فلان وكتابا
الى فلان بانك رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن
ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما اتاهم كفاية فقد سألوا موسى جواب لشرط مقدر معناه ان استكبرت
ما سألوه منك فقد سألوا موسى اكبر من ذلك وانما اسند السؤال اليهم وان وجد من ابائهم في ايام موسى
وهم النقباء السبعون لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين في التعنت جهرة عيانا
بمعنى ارناه نره جهرة بظلمهم بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا امرا جائزا لما سموا ظالمين ولما اخذتهم
الصاعقة كما سأل ابراهيم ان يريه احياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة
ورميا بالصواعق واتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم
حتى يتاب عليهم فاطاعوه واحتبوا بافنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيا لك من سلطان مبين بميثاقهم
بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه وقلنا لهم والطور مظل عليهم ادخلوا الباب سجدا ولا تعدوا في السبت
وقد اخذ منهم الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا واطعنا ومعاهدتهم على ان يتموا عليه ثم نقضوه
بعد وقرى لا تعتدوا ولا تعدّوا بادغام التاء في الدال فبما نقضهم فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد
فان قلت بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد قلت اما ان تتعلق بمحذوف كانه قيل فبما نقضهم ميثاقهم
فعلنا بهم ما فعلنا واما ان تتعلق بقوله حرمنا عليهم على ان قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله
فبما نقضهم ميثاقهم واما التوكيد فمعناه تحقيق ان العقاب او تحريم الطيبات لم يكن الا بنقض العهد
وما عطف عليه من الكفر وقتل الانبياء وغير ذلك فان قلت هلا زعمت ان المحذوف الذي تعلقت به الباء
ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع
الله عليها بكفرهم قلت لم يصح هذا التقدير لان قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وانكار
لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك انهم ارادوا بقولهم قلوبنا غلف ان الله خلق قلوبنا
غلفا اى في اكنة لا يتوصل اليها شيء من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا لو شاء الرحمن
ما عبدناهم وكمذهب المجبرة اخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الالطاف بسبب كفرهم
فصارت كالمطبوع عليها لا ان تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله فان قلت علام عطف قوله
وبكفرهم قلت الوجه ان يعطف على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تبع
قوله وقالوا قلوبنا غلف على وجه الاستطراد ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم فان قلت ما معنى
المجيء بالكفر معطوفا على ما فيه ذكره سواء عطف على ما قبل حرف الاضراب او على ما بعده وهو قوله وكفرهم
بايات الله وقوله بكفرهم قلت قد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد فعطف
بعض كفرهم على بعض او عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كانه قيل فبجمعهم بين نقض
الميثاق والكفر بايات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم
وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا

والبهتان

وهو تشبيه بجرم الزناة

والبهتان العظيم هو التزنية فان قلت كانوا كافرين بعيسى عليه السلام اعداء له عامدين لقتله يسمونه الساحر
ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله قلت قالوه
على وجه الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ويجوز ان يضع الله الذكر
الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما
ارادوا بمثله كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا روى ان رهطا
من اليهود سبوه وسبوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم
العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله
فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى
عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب
وقيل كان رجلا ينافق عيسى فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى فرفع عيسى والقى شبهه
على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم انه اله لا يصح
قتله وقال بعضهم انه قد قتل وصلب وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا
فاين عيسى وقال بعضهم رفع الى السماء وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا فان قلت
شبه مسند الى ماذا ان جعلته مسندا الى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه وان اسندته الى المقتول فالمقتول لم يجر
له ذكر قلت هو مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل اليه كانه قيل ولكن وقع
لهم التشبيه ويجوز ان يسند الى ضمير المقتول لان قوله انا قتلنا يدل عليه كانه قيل ولكن شبه
لهم من قتلوه الا اتباع الظن استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون
الظن فان قلت قد وصفوا بالشك والشك ان لا يترجح احد الجائزين ثم وصفوا بالظن والظن
ان يترجح احدهما فكيف يكونون شاكين ظانين قلت اريد انهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن
ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك وما قتلوه يقينا وما قتلوه قتلا يقينا او ما قتلوه متيقنين كما ادعوا
ذلك في قولهم انا قتلنا المسيح او يجعل يقينا تاكيدا لقوله وما قتلوه حقا اى حق انتفاء قتله حقا
وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ فيه علمك وفيه تهكم لانه اذا نفى عنه العلم
نفيا كليا بحرف الاستغراق ثم قيل وما علموه علم يقين واحاطة لم يكن الا تهكما بهم ليؤمنن به جملة
قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به ونحوه وما
منا الا له مقام معلوم وان منكم الا واردها والمعنى وما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن
به قبل موته بعيسى وبانه عبد الله ورسوله يعني اذا عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه
ايمانه لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج اية ما قراتها الا تخالج في نفسي
شيء منها يعني هذه الاية وقال اني اوتي بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع
منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله
اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول امنت انه عبد نبي وتقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت
انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى
جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي بن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد
اخذتها من عين صافية او من معدنها قال الكلبي فقلت له ما اردت الى ان تقول حدثني محمد
بن الحنفية قال اردت ان اغيظه يعني بزيادة اسم علي لانه مشهور بابن الحنفية وعن
ابن عباس انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها
شفتيه قال وان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهوي ولا تخرج روحه
حتى يؤمن به ويدل عليه قراءة ابي الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون على معنى وان منهم احد الا سيؤمنون
به قبل موتهم لان احدا يصلح للجمع فان قلت ما فائدة الاخبار بايمانهم بعيسى قبل موتهم قلت فائدته
الوعيد وليكون علمهم بانهم لا بد لهم من الايمان به عن قريب عند المعاينة وان ذلك لا ينفعهم بعثا
لهم وتنبيها على معاجلة الايمان به في اوان الانتفاع به وليكون الزاما للحجة لهم وكذلك قوله ويوم
القيامة يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله وقيل
الضميران لعيسى بمعنى وان منهم احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب الذين
يكونون في زمان نزوله روى انه ينزل من السماء في اخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به
حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى
ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث
في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز ان يراد انه لا يبقى احد من
جميع اهل الكتاب الا ليؤمنن به على ان الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما
انزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير في به يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم فبظلم
من الذين هادوا فباي ظلم منهم والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه
وما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة والطيبات التي حرمت عليهم ما ذكره في قوله

وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم الألبان وكلما أذنبوا ذنبا صغيرا او كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم وغيرها وبصدهم عن سبيل الله كثيرا اي ناسا كثيرا او صدا كثيرا بالباطل بالرشوة التي كانوا يأخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب لكن الراسخون يريد من آمن منهم كعبد الله بن سلام واضرابه والراسخون في العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون والمؤمنون يعني المؤمنين منهم او المؤمنين من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على الابتداء ويؤمنون خبره والمقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلوة وهو باب واسع قد كسره سيبويه على امثلة وشواهد فلا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه ان السابقين الاولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على بما انزل اليك اي يؤمنون بالكتب وبالمقيمين الصلوة وهم الانبياء وفي مصحف عبد الله والمقيمون بالواو وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي انا اوحينا اليك جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شأنه في الوحي اليه كشأن سائر الانبياء الذين سلفوا وقرئ زبورا بضم الزاي جمع زبر وهو الكتاب ورسلا نصب بمضمر في معنى اوحينا اليك وهو ارسلنا ونبأنا وما اشبه ذلك او بما فسره قد قصصناهم وفي قراءة ابي ورسل قد قصصناهم عليك من قبل ورسل لم نقصصهم عليك وعن ابراهيم ويحيى بن وثاب انهما قرآ وكلم الله بالنصب ومن بدع التفاسير انه من الكلم وان معناه وجرح الله موسى باظفار المحن ومخالب الفتن رسلا مبشرين ومنذرين الاوجه ان ينتصب على المدح ويجوز انتصابه على التكرير فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله من الادلة التي النظر فيها موصل الى المعرفة والرسل في انفسهم لم يتوصلوا الى المعرفة الا بالنظر في تلك الادلة ولا عرف انهم رسل الله الا بالنظر فيها قلت الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علماء اهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل امور الدين وبيان احوال التكليف وتعليم الشرائع فكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له قرئ لكن الله يشهد بالتشديد فان قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو في قوله لكن الله يشهد قلت لما سأل اهل الكتاب انزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال لكن الله يشهد بمعنى انهم لا يشهدون لكن الله يشهد وقيل لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات وشهادة الملئكة شهادتهم بانه حق وصدق فان قلت بم يجابون لو قالوا بم يعلم ان الملئكة يشهدون بذلك قلت يجابون بانه يعلم بشهادة الله لانه لما علم باظهار المعجزات انه شاهد بصحته علم ان الملئكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته لان شهادتهم تبع لشهادته فان قلت ما معنى قوله انزله بعلمه وما موقعه من الجملة التي قبله قلت معناه انزله متلبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم واسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لانه بيان للشهادة وان شهادته بصحته انه انزله بالنظم المعجز الفائت للقدرة وقيل انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه وقيل انزله بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه ويحتمل انه انزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملئكة والملئكة يشهدون بذلك كما قال في آخر سورة الجن الا ترى الى قوله واحاط بما لديهم والاحاطة بمعنى العلم وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجز هو الشهادة حقا قل اي شيء اكبر شهادة قل الله كفروا وظلموا جمعوا بين الكفر والمعاصي او كان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين اصحاب كبائر لانه لا فرق بين الفريقين في انه لا يغفر لهما الا بالتوبة ولا ليهديهم طريقا لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل الى جهنم او لا يهديهم يوم القيامة طريقا الا طريقها خيرا اي لا ضار له غيره فآمنوا خيرا لكم وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على امر فقال خيرا لكم اي اقصدوا او ائتوا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد لا تغلوا في دينكم غلت اليهود في حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رشدة وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه الها ولا تقولوا على الله الا الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد وقرأ جعفر بن محمد انما المسيح بوزن السكيت وقيل لعيسى كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته وامره لا غير من غير واسطة اب ولا نطفة وقيل له روح الله وروح منه كذلك لانه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الاب

الحي وانما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة ومعنى القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها ثلاثة خبر مبتدأ محذوف فان صحت الحكاية عنهم انهم يقولون هو جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس ... فتقديره الله ثلاثة والا فتقديره الآلهة ثلاثة والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بان الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وان المسيح ولد الله من مريم الا ترى الى قوله أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم انهم يقولون في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الاب والام ويدل عليه قوله انما المسيح عيسى ابن مريم فاثبت انه ولد لمريم اتصل بها اتصال الاولاد بامهاتها وان اتصاله بالله عز وجل من حيث انه رسوله وانه موجود بامره وابتداعه جسدا حيا من غير اب فنفى ان يتصل به اتصال الابناء بالآباء وقوله سبحانه ان يكون له ولد وحكاية الله اوثق من حكاية غيره ومعنى سبحانه ان يكون له ولد سبحه تسبيحا من ان يكون له ولد وقرأ الحسن ان يكون بكسر الهمزة ورفع النون اي سبحانه ما يكون له ولد على ان الكلام جملتان له ما في السموات وما في الارض بيان لتنزهه عما نسب اليه من الولد يعني ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه على ان الجزء انما يصح في الاجسام وهو متعال عن صفات الاجسام والاعراض وكفى بالله وكيلا يكل اليه الخلق كلهم امورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء اليه لن يستنكف المسيح لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك باصبعك ولا الملئكة المقربون ولا من هو اعلى منه قدرا واعظم منه خطرا وهم الملئكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن في طبقتهم فان قلت من اين دل قوله ولا الملئكة المقربون على ان المعنى ولا من فوقه قلت من حيث ان علم المعاني لا يقتضي غير ذلك وذلك ان الكلام انما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع المسيح عن منزلة العبودية فوجب ان يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو ارفع منه درجة كأنه قيل لن يستنكف الملئكة المقربون من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم ارفع الملئكة درجة واعلاهم منزلة ومثاله قول القائل وما مثله ممن يجاود حاتم ولا البحر ذو الامواج يلتج زاخره لا شبهة في انه قصد بالبحر ذي الامواج ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الآية قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يعترف بالفرق البين وقرئ عبيد الله على التصغير وروي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت اي لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو اولى بان يستنكف لان العار الصق به فان قلت علام عطف قوله ولا الملئكة قلت لا يخلو اما ان يعطف على المسيح او على اسم يكون او على المستتر في عبدا لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة كقولك مررت برجل عبد ابوه فالعطف على المسيح هو الظاهر لاداء غيره الى ما فيه بعض انحراف عن الغرض وهو ان المسيح لا يأنف ان يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية او ان يعبد الله هو ومن فوقه فان قلت قد جعلت الملئكة وهم جماعة عبدا لله في هذا العطف فما وجهه قلت فيه وجهان احدهما ان يراد ولا كل واحد من الملئكة او ولا الملئكة المقربون ان يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه ايجازا واما اذا عطفتهم على الضمير في عبدا فقد طاح هذا السؤال وقرئ فسيحشرهم بضم الشين وكسرها وبالنون فان قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين احدهما ان يحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف احدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به والثاني وهو ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكأنه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا رأى اجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله البرهان والنور المبين القرآن او اراد بالبرهان دين الحق او رسول الله وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز في رحمة منه وفضل في ثواب مستحق وتفضل ويهديهم اليه الى عبادته صراطا مستقيما وهو طريق الاسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم روي انه آخر ما نزل من الاحكام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فأتاه جابر بن عبد الله فقال ان لي اختا فكم آخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت ان امرؤ هلك ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة لا النصب على الحال اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز ايقاعه على الذكر والانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها البنت الا في مذهب ابن عباس وبالاخت التي هي لاب وام او لاب دون التي لام لان الله فرض لها النصف وجعل اخاها عصبة وقال للذكر مثل حظ الانثيين واما الاخت لام فلها السدس في آية المواريث مسوى بينها وبين اخيها وهو يرثها واخوها يرثها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم يكن لها ولد اي ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت فان قلت الابن لا يسقط الاخ وحده فان الاب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد

والاب نزل لا يرث من الميت عن ابيه

قلت بين حكم اسقاط الولد وذكر حكم اسقاط الوالد الى باب الشبه وهو قوله عليه السلام الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ وليسا باول حكمين بين احدهما بالكتاب والاخر بالسنة ويكون ان يدل بحكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد لان الولد اقرب الى الميت من الوالد فاذا ورث الاخ عند انتفاء الاقرب فاولى ان يرث عند انتفاء الابعد ولان الكلالة تتناول انتفاء الوالد والولد جميعا فكان ذكر انتفاء احدهما دالا على انتفاء الاخر فان قلت الى من يرجع ضمير المثنى والجمع في قوله فان كانتا اثنتين وان كانوا اخوة قلت اصله فان كان من يرث بالاخوة اثنتين وان كان من يرث بالاخوة ذكورا واناثا وانما قيل فان كانتا وان كانوا كما قيل من كانت امك فلما انث ضمير من لمكان تانيث الخبر كذلك ثني وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكور ان تضلوا مفعول له ومعناه كراهة ان تضلوا ٥ وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النسا فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم ٥

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلاث وعشرون اية ٥

بسم الله الرحمن الرحيم يقال وفى بالعهد واوفى به ومنه والموفون بعهدهم والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه قول الحطيئة ٥ قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم ٥ شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا ٥ وهي عقود الله التي عقدها على عباده والزمها اياهم من مواجب التكليف • وقيل هي ما يتعاقدون بينهم من عقود الامانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها • والظاهر انها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله احلت لكم وما بعده البهيمة كل ذات اربع في البر والبحر واضافتها الى الانعام للبيان وهي الاضافة التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الانعام الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم من القران من نحو قوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم اية تحريمه والانعام الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظبا وبقر الوحش ونحوهما كانهم ارادوا ما يماثل الانعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الانياب فاضيفت الى الانعام لملابسة الشبه غير محلي الصيد نصب على الحال من الضمير في لكم اي احلت لكم هذه الاشيا لا محلين الصيد وعن الاخفش ان انتصابه عن قوله اوفوا بالعقود وقوله وانتم حرم حال من محلي الصيد كانه قيل احللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم من الصيد وانتم محرمون لئلا نحرج عليكم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام ويعلم انه حكمة ومصلحة والحرم جمع حرام وهو المحرم الشعائر جمع شعيرة وهو اسم ما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر ٥ والشهر الحرام شهر الحج والهدي ما اهدي الى البيت ويتقرب به الى الله من النسائك وهي جمع هدية كما يقال جدي في جمع جدية السرج والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او عروة مزادة او لحا شجر او غيره ولا امين المسجد الحرام قاصديه وهم الحجاج والعمار واحلال هذه الاشيا ان يتهاون بحرمة هذه الشعائر وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا في اشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وان يتعرض للهدي بالغصب او بالمنع من بلوغ محله • واما القلائد ففيها وجهان احدهما ان يراد بها ذوات القلائد من الهدي وهي البدن وتعطف على الهدي للاختصاص وزيادة التوصية بها لانها اشرف الهدي كقوله وجبريل وميكال كانه قيل والقلائد منها خصوصا والثاني ان ينهى عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي على معنى ولا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابدا الزينة مبالغة في النهي عن ابدا مواقعها ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام يبتغون فضلا من ربهم وهو الثواب ورضوانا وان يرضى عنهم اي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا ان يتعرض لمثلهم قيل هي محكمة • وعن النبي صلى الله عليه وسلم المائدة من اخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها • وقال الحسن ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ • وقيل هي منسوخة • وعن ابن عباس كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله • وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بان المشركين كانوا يظنون في انفسهم انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله فوصفهم الله بظنهم • وقرئ وعند ولا امي البيت الحرام على الاضافة • وقرا حميد بن قيس والاعرج تبتغون بالتا على خطاب المؤمنين فاصطادوا اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كانه قيل فاذا احللتم فلا جناح عليكم ان تصطادوا وقرئ بكسر الفا وقيل هو بدل من كسر الهمزة عند الابتدا • وقرئ واذا احللتم يقال حل المحرم واحل جرم جرى مجرى كسب في تعديته الى مفعول واحد واثنين

او حمله على الاسبا للذنب

نحو كسبته اياه ويقال اجرمته ذنبا على نقل المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم اكسبته ذنبا

تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا وعليه قراءة عبد الله ولا يجرمنكم بضم اليا واول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين والثاني ان تعتدوا وان صدوكم بفتح الهمزة متعلق بالشنان بمعنى العلة والشنان شدة البغض • وقرئ بسكون النون والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتدا ولا يحملنكم عليه • وقرئ ان صدوكم على ان الشرطية • وفي قراءة عبد الله ان يصدوكم ومعنى صدهم اياهم عن المسجد الحرام منع اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتدا الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضا ولا تعاونوا على الاثم والعدوان على الانتقام والتشفي ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار كان اهل الجاهلية ياكلون هذه المحرمات البهيمة التي تموت حتف انفها والفصيد وهو الدم في المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم من فزد له وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت به لغير الله وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي خنقوها حتى ماتت او انخنقت بسبب والموقوذة التي اثخنوها ضربا بعصا او حجر حتى ماتت والمتردية التي تردت من جبل او في بير فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح وما اكل السبع بعضه الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب اوداجه • وقرئ عبد الله والمنطوحة وفي رواية عن ابي عمرو والسبع بسكون البا وقرئ ابن عباس واكيل السبع وما ذبح على النصب كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها بذلك ويتقربون به اليها تسمى الانصاب والنصب واحد قال الاعشى ٥ وذا النصب المنصوب لا تعبدنه ٥ وقيل هو جمع والواحد نصاب وقرئ النصب بسكون الصاد وان تستقسموا بالازلام وحرم عليكم الاستقسام بالقداح كان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او امرا من معاظم الامور ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها نهاني ربي وعلى بعضها امرني ربي وبعضها غفل فان خرج الامر مضى لطيته وان خرج الناهي امسك وان خرج الغفل اجالها عودا فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالازلام وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصبا المعلومة ذلكم فسق الاشارة الى الاستقسام او الى تناول ما حرم عليهم لان المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا فان قلت لم كان استقسام المسافر وغيره بالازلام لتعرف الحال فسقا قلت لانه دخول في علم الغيب الذي استاثر به علام الغيوب • وقال لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله واعتقاد ان اليه طريقا والى استنباطه • وقوله امرني ربي ونهاني ربي افترا على الله وما يدريه انه امره او نهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة • وان كان اراد بالرب الصنم فقد روي انهم كانوا يجيلونها عند اصنامهم فامره ظاهر اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والاتية كقولك كنت بالامس شابا وانت اليوم اشيب فلا تريد بالامس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم يومك ونحو الان في قوله ٥ الان لما ابيض مسربتي ٥ وعضضت من نابي على جذم ٥ وقيل اريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم يئسوا منه ان يبطلوه وان يرجعوا محللين لهذه الخبائث بعد ما حرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم ان يغلبوه لان الله عز وجل وفى بوعده من اظهاره على الدين كله فلا تخشوهم بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعد ما كانوا غالبين واخشون واخلصوا لي الخشية اليوم اكملت لكم دينكم كفيتكم امر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم كما تقول الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد اذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا الى اغراضهم ومباغيهم او اكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس واصول الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها امنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وان لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان واتممت عليكم باكمال امر الدين والشرائع كانه قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي بذلك لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام ورضيت لكم الاسلام دينا يعني اخترته لكم من بين الاديان واذنتكم بانه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا ان هذه امتكم امة واحدة فان قلت بم اتصل قوله فمن اضطر قلت بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض اكد به معنى التحريم وكذلك ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت بالرضى دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى الميتة او الى غيرها في مخمصة في مجاعة غير متجانف لاثم غير منحرف اليه كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه بذلك يسالونك في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده ماذا احل لهم كانه قيل يقولون لك ماذا احل لهم وانما لم يقل ماذا احل لنا حكاية لما قالوه لان يسالونك بلفظ الغيبة كما تقول اقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن واحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدا واحل لهم خبره كقولك اي شيء احل لهم ومعناه ماذا احل لهم من المطاعم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات الماكل سالوا عما احل لهم فقيل احل لكم الطيبات اي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يات تحريمه في كتاب او سنة او قياس مجتهد وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات اي احل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف • او تجعل ما شرطية

وجوارحها فكلوا والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب
والصقر والبازي والشاهين والمكلّب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد لصاحبها ورائضها لذلك بما علم
من الحيل وطرق التأديب والتثقيف واشتقاقه من الكلب لأن التأديب أكثر ما يكون في
الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه او لان السبع يسمى كلبا ومنه قوله عليه السلام اللهم
سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الاسد او من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال هو كلب
بكذا اذا كان ضاريا به وانتصاب مكلبين على الحال من علّمتم فان قلت ما فائدة هذه الحال
وقد استغني عنها بعلّمتم قلت فائدتها أن يكون من يعلّم الجوارح نحريرا في علمه مدرّبا فيه
موصوفا بالتكليب وتعلمونهن حال ثانية او استئناف وفيه فائدة جليلة وهي ان على كل آخذ
علما أن لا يأخذه الا من أقتل أهله علما وأنحرهم دراية وأغوصهم على لطائفه وحقائقه وإن احتاج
الى ان يضرب اليه أكباد الإبل فكم من آخذ من غير متقن قد ضيّع أيامه وعض عند لقاء النحارير
أنامله مما علمكم الله من علم التكليب لأنه إلهام من الله ومكتسب بالعقل او مما عرّفكم ان تعلموه
من اتباع الصيد بإرسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وإمساك الصيد عليه وأن
لا يأكل منه وقرئ مكلِبين بالتخفيف وأفعل وفعّل يشتركان كثيرا او الإمساك على صاحبه
أن لا يأكل منه لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وإن أكل منه فلا تأكل إنما أمسك على نفسه وعن علي رض إذا أكل
البازي فلا تأكل وفرّق العلماء فاشترطوا في سباع البهائم ترك الأكل لأنها تؤدّب بالضرب ولم يشترطوه
في سباع الطير ومنهم من لم يعتبر ترك الأكل أصلا ولم يفرق بين إمساك الكل والبعض وعن سلمان
وسعد ابن أبي وقاص وأبي هريرة رض إذا أكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل
فان قلت الام يرجع الضمير في قوله واذكروا اسم الله عليه قلت إما أن يرجع الى ما أمسكن على معنى
وسمّوا عليه اذا ادركتم ذكاته او الى ما علمتم من الجوارح أي سموا عليه عند إرساله طعام الذين أوتوا الكتاب
قيل هو ذبائحهم وقيل جميع مطاعمهم ويستوي في ذلك جميع النصارى وعن علي رض أنه استثنى نصارى
بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها إلا شرب الخمر وبه أخذ الشافعي وعن ابن عباس
أنه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين وبه أخذ أبو حنيفة وأصحابه
وحكم الصابئين حكم أهل الكتاب عند أبي حنيفة وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤن الزبور ويعبدون
الملائكة وصنف لا يقرؤن كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من أهل الكتاب وأما المجوس فقد سُنّ
بهم سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وقد روي عن ابن المسيب
أنه قال اذا كان المسلم مريضا فأمر المجوسي أن يذكر اسم الله ويذبح فلا بأس وقال أبو ثور
وان امره بذلك في الصحة فلا بأس وقد أساء وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم لأنه لو كان
حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم إطعامهم والمحصنات الحرائر والعفائف وتخصيصهن بعث
على تخير المؤمنين لنطفهم والإماء من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف
منهن وأما الإماء الكتابيات فعند أبي حنيفة هن كالمسلمات وخالفه الشافعي وكان ابن عمر
لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويقول لا أعلم شركا أعظم من
قولها ان ربها عيسى وعن عطاء قد أكثر الله المسلمات وإنما رخص لهم يومئذ محصنين أعفاء ولا متخذي
أخدان صدائق والخدن يقع على الذكر والأنثى ومن يكفر بالإيمان بشرائع الإسلام وما أحل
الله وحرم اذا قمتم الى الصلاة كقوله فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وكقولك اذا ضربت غلامك
فهوّن عليه في أن المراد إرادة الفعل فان قلت لم جاز أن يعبر عن إرادة الفعل بالفعل قلت لأن الفعل
يوجد بقدرة الفاعل عليه وإرادته له وهي قصده اليه وميله وخلوص داعيه فكما عبر عن القدرة على
الفعل بالفعل في قولهم الإنسان لا يطير والأعمى لا يبصر أي لا يقدران على الطيران والإبصار
ومنه قوله تعالى نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين يعني انا كنا قادرين على الإعادة كذلك عبر
عن إرادة الفعل بالفعل وذلك لأن الفعل مسبب عن القدرة والإرادة فأقيم المسبب مقام السبب
للملابسة بينهما ولإيجاز الكلام ونحوه من إقامة المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبر عن
الفعل المبتدأ الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه وقيل معنى قمتم الى الصلاة
قصدتموها لأن من توجه الى الشيء وقام اليه كان قاصدا له لا محالة فعبر عن القصد له بالقيام
اليه فان قلت ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلاة محدث وغير محدث فما وجهه قلت
يحتمل ان يكون الأمر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين خاصة وان يكون للندب وعن رسول الله ص
والخلفاء بعده أنهم كانوا يتوضؤون لكل صلاة وعن النبي ص من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات
وعنه عليه السلام أنه كان يتوضأ لكل صلاة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد
فقال له عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز فان قلت هل يجوز ان يكون
الأمر شاملا للمحدثين وغيرهم لهؤلاء على وجه الإيجاب ولهؤلاء على وجه الندب قلت لا لأن
تناول الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الإلغاز والتعمية وقيل كان الوضوء لكل صلاة واجبا

اوّلا ما فرض

أول ما فرض ثم نسخ الى تفيد معنى الغاية مطلقا فأما دخولها في الحكم وخروجها فأمر يدور مع الدليل فمما
فيه دليل على الخروج قوله فنظرة الى ميسرة لأن الإعسار علة الإنظار وبوجود الميسرة تزول العلة
ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا في كلتا الحالتين معسرا وموسرا وكذلك ثم أتموا الصيام الى الليل
لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من أوله الى آخره لأن الكلام
مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى لوقوع العلم بأنه لا يسرى به الى
بيت المقدس من غير أن يدخله وقوله الى المرافق والى الكعبين لا دليل فيه على أحد الأمرين فأخذ
كافة العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل وأخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي ص
أنه كان يدير الماء على مرفقيه وامسحوا برؤوسكم المراد إلصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه
بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه فأخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب او أكثره على اختلاف
الرواية وأخذ الشافعي باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح وأخذ أبو حنيفة ببيان رسول الله ص
وهو ما روي أنه مسح على ناصيته وقدّر الناصية بربع الرأس وأرجلكم قرأ جماعة وأرجلكم بالنصب فدل
على أن الأرجل مغسولة فان قلت فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح قلت الأرجل من بين الأعضاء
الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للإسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على
الرابع الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل الى الكعبين فجيء بالغاية
إماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لأن المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وعن علي رض أنه أشرف
على فتية من قريش فرأى في وضوئهم تجوّزا فقال ويل للأعقاب من النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها
غسلا ويدلكونها دلكا وعن ابن عمر كنا مع رسول الله ص فتوضأ قوم وأعقابهم بيض تلوح فقال
ويل للأعقاب من النار وفي رواية جابر ويل للعراقيب وعن عمر أنه رأى رجلا يتوضأ فترك باطن
قدميه فأمره أن يعيد الوضوء وذلك للتغليظ عليه وعن عائشة لأن تقطعا أحب الي من أن أمسح على
القدمين بغير خفين وعن عطاء والله ما علمت أن أحدا من أصحاب رسول الله ص مسح على القدمين وقد
ذهب بعض الناس الى ظاهر العطف فأوجب المسح وعن الحسن أنه جمع بين الأمرين وروي عن الشعبي
نزل القرآن بالمسح والغسل سنة وقرأ الحسن وأرجلُكم بالرفع بمعنى وأرجلكم مغسولة او ممسوحة
الى الكعبين وقرئ فاطّهروا أي فتطهروا أبدانكم وكذلك ليطهركم وفي قراءة عبد الله فأمّوا صعيدا
ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ليطهركم بالتراب اذا
أعوزكم التطهر بالماء وليتم نعمته عليكم وليتم برخصه إنعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم
واذكروا نعمة الله عليكم وهي نعمة الإسلام وميثاقه الذي واثقكم به أي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو
الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله ص على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط
والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا وأطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان عدّي
يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمّنا معنى فعل يتعدى به كأنه قيل ولا يحملنكم ويجوز أن يكون قوله أن تعتدوا
بمعنى على أن تعتدوا فحذف مع أن ويجوز قوله عليه السلام من أتبع على مليء فليتبع لأنه بمعنى أحيل وقرئ شنْآن
بالسكون ونظيره في المصادر ليّان والمعنى لا يحملنكم بغضكم للمشركين على أن تتركوا العدل فتعتدوا
عليهم بأن تنتصروا منهم وتتشفوا بما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة
او قذف او قتل أولاد او سبي نساء او نقض عهد او ما أشبه ذلك اعدلوا هو أقرب للتقوى نهاهم أولا
أن تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استأنف فصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيدا وتشديدا ثم استأنف
فذكر لهم وجه الأمر بالعدل وهو قوله هو أقرب للتقوى أي العدل أقرب الى التقوى وأدخل في مناسبتها
او أقرب الى التقوى لكونه لطفا فيها وفيه تنبيه عظيم على أن وجوب العدل مع الكفار الذين هم
أعداء الله اذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه
لهم مغفرة وأجر عظيم بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كأنه قال قدّم لهم وعدا فقيل أي شيء وعده
لهم فقيل لهم مغفرة وأجر عظيم او يكون على إرادة القول بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة او على إجراء وعد
مجرى قال لأنه ضرب من القول او يجعل وعد واقعا على الجملة التي هي لهم مغفرة كما وقع تركنا على قوله
سلام على نوح كأنه قيل وعدهم هذا القول واذا وعدهم من لا يخلف الميعاد هذا القول فقد وعدهم مضمونه
من المغفرة والأجر العظيم وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيامة فيسرون به ويستروحون
اليه ويهون عليهم السكرات والأهوال قبل الوصول الى الثواب وروي أن المشركين رأوا رسول الله ص
وأصحابه قاموا الى صلاة الظهر يصلون معا وذلك بعسفان في غزوة ذي أنمار فلما صلوا ندموا ألا كانوا
أكبّوا عليهم فقالوا إن لهم بعدها صلاة هي أحب اليهم من آبائهم وأبنائهم يعنون صلاة العصر
وهموا بأن يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فنزل جبريل بصلاة الخوف وروي أن رسول الله ص أتى بني قريظة
ومعه الشيخان وعلي رض يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين
فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش
الى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده ونزل جبريل فأخبره فخرج وقيل نزل منزلا وتفرق الناس
في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله ص سلاحه بشجرة فجاء أعرابي فسل سيف رسول الله ص

يشمت السيف اذا نبى وشيمه سلّه وهو من الاضداد ٥

ثم انه عليه السلام دعا من يمنعك مني قال الله قالها ثلاث مرات فشام الاعرابي السيف فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه فاخبرهم وابى ان يعاقبه يقال بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش به وبسطوا الكم ايديهم والسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدّها الى المبطوش به الا ترى الى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى فكف ايديهم عنكم فمنعها ان تمد اليكم ٥ لما استقر بنوا اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر موسى بان ياخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وكانا من النقباء والنقيب الذي ينقب عن احوال القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لانه يتعرفها اني معكم اي ناصركم ومعينكم وعزرتموهم نصرتموهم ومنعتموهم من ايدي العدو ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد وقرى بالتخفيف يقال عزرت الرجل اذا حطته وكنفته والتعزير والتأزير من واد واحد ومنه لانصرنك نصرا مؤزرا اي قويا وقيل معناه ولقد اخذنا ميثاقهم بالايمان والتوحيد وبعثنا منهم اثني عشر ملكا يقيمون فيهم العدل ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر واللام في لان اقمتم موطئه للقسم وفي لاكفرن جواب له وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا بعد ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد العظيم فان قلت من كفر قبل ذلك ايضا فقد ضل سواء السبيل قلت اجل ولكن الضلال بعده اظهر واعظم لان الكفر انما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة فاذا زادت النعمة زاد قبح الكفر وتمادى لعناهم طردناهم واخرجناهم من رحمتنا وملناهم وقيل ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى قست قلوبهم او املينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست وقرى عبد الله قسية اي ردية مغشوشة من قولهم درهم قسي وهو من القسوة لان الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة والقاسي والقاسح بالحاء اخوان في الدلالة على اليبس والصلابة وقرى قسية بكسر القاف للاتباع يحرفون الكلم بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة اشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا مما ذكروا به من التوراة يعني ان تركهم واعراضهم عن التوراة اعفال حظ عظيم او قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التوراة وزلت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية وقيل تركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته ولا تزال تطلع اي هذه عادتهم وهجيراهم وكان عليها اسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك وان تحمل على خائنة على خيانة او على فعله ذات خيانة او على نفس او فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة قال ٥ حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن ٥ للغدر خائنة مغل الاصبع ٥ وقرى على خيانة منهم الا قليلا منهم وهم الذين امنوا منهم فاعف عنهم بعث على محق لعنهم وقيل هو منسوخ باية السيف وقيل فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم اخذنا ميثاقهم اخذنا من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى اي مثل ميثاقهم بالايمان بالله والرسل وبافعال الخير او اخذنا من النصارى ميثاق انفسهم بذلك فان قلت فهلا قيل من النصارى قلت لانهم انما سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله ثم اختلفوا بعد ٥ نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا للشيطان فاغرينا فالصقنا والزمنا من غري بالشيء اذا لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه الغرى الذي يلصق به بينهم بين فرق النصارى المختلفين وقيل بينهم وبين اليهود ونحوه وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض يا اهل الكتاب خطاب لليهود والنصارى ٥ مما كنتم تخفون من نحو صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن نحو الرجم ويعفوا عن كثير مما تخفونه لا يبينه اذا لم تضطر اليه مصلحة دينية ولم يكن فيه فائدة الا افتضاحكم وصفته مما لا بد من بيانه وكذلك الرجم وما فيه احياء شريعة واماتة بدعة وعن الحسن ويعفوا عن كثير منكم لا يؤاخذه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك ولابانته ما كان خافيا على الناس من الحق او لانه ظاهر الاعجاز من اتبع رضوانه من امن منه سبل السلام طرق السلامة والنجاة من عذاب الله او سبل الله قولهم ان الله هو المسيح معناه بت القول على ان حقيقة الله هو المسيح لا غير قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم يؤدي اليه حيث اعتقدوا انه يخلق ويحيي ويميت ويدبر امر العالم فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئا

ايو ... حرب ... الرسول الى ... امنا ... بامر

النصارى

البعض ... ويم ... النصارى ٥

ان اراد ان يهلك المسيح وامه دلالة على ان المسيح عبد مخلوق كسائر العباد واراد بعطف من في الارض على المسيح وامه انهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم في البشرية يخلق ما يشاء اي يخلق من ذكر وانثى ويخلق من انثى من غير ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر وانثى كما خلق ادم او يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له وكاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب اليه ولا ينسب الى البشر المجري على يده ابناء الله اشياع ابني الله عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما يقول رهط مسيلمة نحن ابناء الله ويقول اقرباء الملك وذووه وحشمه نحن الملوك ولذلك قال المؤمنون الفرعون لكم الملك اليوم فلم يعذبكم بذنوبكم فان صح انكم ابناء الله واحباؤه فلم تذنبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون ويمسكم النار اياما معدودات على زعمكم ولو كنتم ابناء الله لكنتم من جنس الاب غير فاعلين للقبائح ولا مستوجبين للعقاب ولو كنتم احباءه لما عصيتموه ولما عاقبكم بل انتم بشر من جملة من خلق من البشر يغفر لمن يشاء وهم اهل الطاعة ويعذب من يشاء وهم العصاة يبين لكم اما ان يقدر المبين وهو الدين والشرائع وحذفه لظهوره وما ورد الرسول لتبيينه او يقدر ما كنتم تخفون وحذفه لتقدم ذكره او لا يقدر ويكون المعنى يبذل لكم البيان ومحله النصب على الحال اي مبينا لكم على فترة متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحي ان تقولوا كراهة ان تقولوا فقد جاءكم متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم وقيل كان بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمسمائة وستون سنة وقيل ستمائة وقيل اربعمائة ونيف وستون وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى الف وسبعمائة سنة والف نبي وبين عيسى ومحمد اربعة انبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي والمعنى الامتنان عليهم وان الرسول بعث اليهم حين انطمست اثار الوحي احوج ما يكونون اليه ليهشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله وفتح باب الى الرحمة ويلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم جعل فيكم انبياء لانه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا لانه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولان الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمي انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الامور العظام وقيل اراد عالمي زمانهم الارض المقدسة ارض بيت المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل الشام وقيل فلسطين ودمشق وبعض الاردن وقيل لما هاها الله لابراهيم ميراثا لولده حين رفع على الجبل فقيل له انظر فلك ما ادرك بصرك وكان بيت المقدس قرار الانبياء ومسكن المؤمنين كتب الله لكم قسمها لكم وسماها او خط في اللوح انها لكم ولا ترتدوا على ادباركم ولا تنكصوا على اعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبنا وهلعا قيل لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة رفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا بمصر وقالوا تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر ويجوز ان يراد ولا ترتدوا على ادباركم في دينكم وعصيانكم نبيكم فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والاخرة الجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد قال رجلان هما كالب ويوشع من الذين يخافون الله ويخشونه كانه قيل رجلان من المتقين ويجوز ان تكون الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف تقديره من الذين يخافونهم بنو اسرائيل وهم الجبابرة وهما رجلان منهم انعم الله عليهما بالايمان فامنا قالا لهم ان العمالقة اجسام لا قلوب فيها فلا تخافوهم وازحفوا اليهم فانكم غالبوهم يشجعانهم على قتالهم وقراءة من قرأ يخافون بالضم شاهدة له وكذلك انعم الله عليهما كانه قيل من المخوفين وقيل هو من الاخافة ومعناه من الذين يخوفون من الله بالتذكرة والموعظة او يخوفهم وعيد الله بالعقاب فان قلت ما محل انعم الله عليهما قلت ان انتظم مع قوله من الذين يخافون في حكم الوصف لرجلان فمرفوع وان جعل كلاما معترضا فلا محل له فان قلت من اين علما انهم غالبون قلت من جهة اخبار موسى بذلك وقوله كتب الله لكم وقيل من جهة غلبة الظن وما تبينا من عادة الله في نصرة رسله وما عهدا من صنع الله لموسى في قهر اعدائه وما عرفا من حال الجبابرة الباب باب قريتهم لن ندخلها نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التاكيد المؤيس وابدا تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول وما داموا فيها بيان للابد فاذهب انت وربك يحتمل ان لا يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبني تريد معنى الارادة والقصد للجواب كانهم قالوا اريدا قتالهم والظاهر انهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء وقصدوا ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفائهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسألوا بها رؤية الله جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم ويحكى ان موسى وهرون خرا لوجوههما قدامهم لشدة ما ورد عليهما فهموا برجمهما ولامر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا لما عصوه لم يبق معه مطيع موافق يثق به الا هرون فقال لا املك لنصرة دينك الا نفسي واخي وهذا من البث والحزن والشكوى الى الله والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة ونحوه قول يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وعن علي رضي الله عنه انه كان يدعو الناس على منبر الكوفة الى قتال البغاة فما اجابه الا رجلان فتنفس الصعداء ودعا لهما

الى نوع ... ٥

وقال ابن نعمان مما ازيد وذكر في اعراب اخي وجوه ان يكون منصوبا عطفا على نفسي او على الضمير في اني بمعنى
ولا املك الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه ، ومرفوعا عطفا على محل ان واسمها كانه قيل انا لا املك الا نفسي
وهرون كذلك لا يملك الا نفسه او على الضمير في لا املك وجاز للفصل ، ومجرورا عطفا على الضمير في نفسي
وهو ضعيف لقبح العطف على ضمير المجرور الا بتكرير الجار . فان قلت اما كان معه الرجلان المذكوران قلت
كانه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن الى ثباتهما لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة من احوال قومه
وتلونهم وقسوة قلوبهم فلم يذكر الا النبي المعصوم الذي لا شبهة في امره ويجوز ان يقول ذلك
لفرط ضجره عند ما سمع منهم تقليلا لمن يوافقه ويجوز ان يريد ومن يواخيني على ديني فافرق فافصل
بيننا وبينهم بان تحكم لنا بما نستحق وتحكم عليهم بما يستحقون وهو في معنى الدعاء عليهم ولذلك وصل
به قوله فانها محرمة عليهم على وجه التسبيب او فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله
ونجني من القوم الظالمين . فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها فان قلت
كيف يوفق بين هذا وبين قوله التي كتب الله لكم قلت فيه وجهان احدهما ان يراد كتبها لكم بشرط
ان تجاهدوا اهلها فلما ابوا الجهاد قيل فانها محرمة عليهم اربعين سنة فاذا مضت الاربعون كان
ما كتب فقد روي ان موسى سار بمن بقي من بني اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح اريحا واقام
فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل لما مات موسى بعث يوشع نبيا فاخبرهم بانه نبي الله وان الله امره
بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه وسار بهم الى اريحا وقتل الجبابرة واخرجهم وصار الشام كله
لبني اسرائيل وقيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها وهلكوا في التيه ونشأت
نواشئ من ذرياتهم فقاتلوا الجبابرة ودخلوها . والعامل في الظرف اما محرمة واما يتيهون ومعنى
يتيهون في الارض يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا والتيه المفازة التي يتاه فيها . روي
انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون في كل يوم جادين حتى اذا امسوا اذا هم بحيث
ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم وينزل عليهم
المن والسلوى ولا تطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله فان قلت
فلم كانوا ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون قلت كما ينزل بعض النوازل على العصاة
عركا لهم وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويؤدبه ليتأدب
ويثقف ولا يقطع عنه معروفه واحسانه فان قلت هل كان معهم في التيه موسى وهرون عليهما السلام
قلت اختلف في ذلك فقيل لم يكونا معهم لانه كان عقابا وقد طلب موسى من ربه ان يفرق بينهما
وبينهم وقيل كانا معهم الا انه كان ذلك روحا لهما وسلاما لا عقوبة كالنار لابراهيم عليه
وملئكة العذاب وروي ان هرون مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع
اريحا بعد موته بثلاثة اشهر ومات النقباء في التيه بغتة الا كالب ويوشع فلا تأس فلا تحزن
عليهم لانه ندم على الدعاء عليهم فقيل انهم احقاء بالعذاب لفسقهم فلا تحزن ولا تندم ابني ادم
قابيل وهابيل اوحى الله الى ادم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الاخر وكانت توأمة قابيل
اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط فقال لهما ادم قربا قربانا فمن ايكما تقبل يتزوجها فقبل
قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان
من بني اسرائيل بالحق تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او اتل نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما في
كتب الاولين او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لان المشركين واهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون
رسول الله ص ويبغون عليه او اتل عليهم وانت محق صادق واذ قربا نصب بالنبا اي قصتهم وحديثهم
في ذلك الوقت ويجوز ان يكون بدلا من النبأ اي اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف
والقربان اسم ما يتقرب به الى الله من نسيكة او صدقة كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى يقال قرب
صدقة وتقرب بها لان تقرب مطاوع قرب . قال الاصمعي تقربوا قرف القمع فيعدى بالباء حتى يكون
بمعنى قرب . فان قلت كيف كان قوله انما يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله لاقتلنك قلت لما كان الحسد لاخيه
على تقبل قربانه هو الذي حمله على توعده بالقتل قال له انما اتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى
لا من قبلي فلم تقتلني ومالك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول فاجابه بكلام حكيم
مختصر جامع لمعان وفيه دليل على ان الله لا يقبل طاعة الا من مؤمن متق فما انعاه على اكثر العاملين
اعمالهم وعن عامر بن عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد كنت وكنت فقال اني سمعت الله
يقول انما يتقبل الله من المتقين ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك قيل كان اقوى من القاتل وابطش منه
ولكنه تحرج عن قتل اخيه واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت وقال مجاهد
اني اريد ان تبوء باثمي واثمك ان تحتمل اثم قتلي لك لو قتلتك واثم قتلك لي . فان قلت كيف يحتمل اثم قتله له ولا تزر
وازرة وزر اخرى قلت المراد بمثل اثمي على الاتساع في الكلام كما تقول قرأت قراءة فلان وكتبت كتابته
تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ونحوه قوله عليه السلام المستبان ما قالا
فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم على ان البادي عليه اثم سبه ومثل اثم سب صاحبه لانه كان
سببا فيه الا ان الاثم محطوط عن صاحبه معفو عنه لانه مكافئ دافع عن عرضه الا ترى

الى قوله

الى قوله ما لم يعتد المظلوم لانه اذا خرج من المكافاة واعتدى لم يسلم . فان قلت فحين كف هابيل عن قتل اخيه
واستسلم وتحرج عما كان محظورا في شريعته من الدفع فاين الاثم حتى يتحمل اخوه مثله فيجتمع عليه الاثمان
قلت هو مقدر فهو يتحمل مثل الاثم المقدر كانه قال اني اريد ان تبوء بمثل اثمي لو بسطت اليك يدي
وقيل باثمي باثم قتلي واثمك الذي من اجله لم يتقبل قربانك . فان قلت فكيف جاز ان يريد شقاوة اخيه وتعذيبه
بالنار قلت كان ظالما وجزاء الظالم حسن جائز ان يراد الا ترى الى قوله وذلك جزاء الظالمين واذا جاز
ان يريده الله جاز ان يريده العبد لانه لا يريد الا ما هو حسن والمراد بالاثم وبال القتل وما يجر من استحقاق
العقاب . فان قلت لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت ما انا بباسط
قلت ليفيد انه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع ولذلك اكده بالباء المؤكدة للنفي فطوعت
له نفسه قتل اخيه فوسعته له ويسرته من طاع له المرعى اذا اتسع . وقرأ الحسن فطاوعت وفيه
وجهان ان يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعل وان يراد ان قتل اخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته
ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله . وقيل قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند
عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا روي انه اول قتيل قتل على وجه الارض
من بني ادم فلما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة
حتى اروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه
ثم القاه في الحفرة فقال يا ويلتا اعجزت . روي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله ادم عن اخيه
فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك . وروي ان ادم مكث بعد قتله مائة
سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء معصومون
من الشعر ليريه ليريه الله او ليريه الغراب لتعلمه لانه لما كان سبب تعليمه فكانه قصد تعليمه على سبيل
المجاز سوأة اخيه عورة اخيه وما لا يجوز ان ينكشف من جسده والسوأة الفضيحة لقبحها قال يا لقومي للسوأة
السوآء اي للفضيحة العظيمة فكني بها عنها فاواري بالنصب على جواب الاستفهام وقرئ بالسكون على فانا اواري
او على التسكين في موضع النصب للتخفيف من النادمين على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره في امره وتبين له
من عجزه وتلمذه للغراب واسوداد لونه وسخط ابيه ولم يندم ندم التائبين من اجل ذلك بسبب ذلك وبعلته
وقيل اصله من اجل شرا اذا جناه يأجله اجلا ومنه قوله . واهل خباء صالح ذات بينهم . قد احتربوا في عاجل انا آجله
كانه اذا قيل من اجلك فعلت كذا اردت من ان جنيت فعله واوجبته ويدل عليه قولهم من جراك فعلته
اي من ان جررته بمعنى جنيته . وذلك اشارة الى القتل المذكور اي من جنى ذلك القتل الكتب وجرى كتبنا
على بني اسرائيل ومن لابتداء الغاية اي ابتداء الكتب وانشاؤه من اجل ذلك ويقال فعلت كذا لاجل كذا وقد يقال
اجل كذا بحذف الجار وايصال الفعل قال عدي بن زيد . اجل ان الله قد فضلكم . وقرئ من اجل ذلك بحذف
الهمزة وفتح النون لالقاء حركتها عليها وقرأ ابو جعفر من اجل ذلك بكسر الهمزة وهي لغة فاذا خفف كسر النون
ملقيا لكسرة الهمزة عليها بغير نفس بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص او فساد عطف على نفس بمعنى او
بغير فساد في الارض وهو الشرك وقيل قطع الطريق ومن احياها ومن استنقذها من بعض اسباب الهلكة
قتل او غرق او حرق او هدم او غير ذلك . فان قلت كيف شبه الواحد بالجميع وجعل حكمه كحكمهم قلت لان كل
انسان يدلي بما يدلي به الاخر من الكرامة على الله وثبوت الحرمة فاذا قتل فقد اهين ما كرم على الله وهتكت
حرمته وعلى العكس فلا فرق اذا بين الواحد والجميع في ذلك . فان قلت فما الفائدة في ذكر ذلك قلت تعظيم
قتل النفس واحيائها في القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها لان
المتعرض لقتل النفس اذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك الذي
اراد احياءها وعن مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا
لم يزد على ذلك . وعن الحسن يا ابن ادم ارايت لو قتلت الناس جميعا اكنت تطمع ان يكون لك عمل يوازي ذلك
لن يغفر لك به كلا انه شيء سولته لك نفسك والشيطان فكذلك اذا قتلت واحدا بعد ما كتبنا عليهم وبعد
مجيء الرسل بالايات لمسرفون يعني في القتل لا يبالون بعظمته يحاربون الله ورسوله يحاربون رسول الله
ومحاربة المسلمين في حكم محاربته ويسعون في الارض فسادا مفسدين او لان سعيهم في الارض لما كان
على طريق الفساد نزل منزلة ويفسدون في الارض فانتصب فسادا على المعنى ويجوز ان يكون مفعولا له
اي للفساد نزلت في قوم هلال بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله ص عهد وقد مر بهم قوم يريدون
رسول الله ص فقطعوا عليهم . وقيل في العرنيين فاوحى اليه ان من جمع بين القتل واخذ المال قتل
وصلب ومن افرد القتل قتل ومن افرد اخذ المال قطعت يده لاخذ المال ورجله لاخافة السبيل
ومن افرد الاخافة نفي من الارض وقيل هذا حكم كل قاطع طريق كافرا كان او مسلما ومعناه ان يقتلوا
من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ قال ابو حنيفة ومحمد
يصلب حيا ويطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اخذوا المال او ينفوا
من الارض اذا لم يزيدوا على الاخافة وعن جماعة منهم الحسن والنخعي ان الامام مخير بين هذه العقوبات
في كل قاطع طريق من غير تفصيل . والنفي الحبس عند ابي حنيفة وعند الشافعي النفي من بلد الى بلد
لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد في اقصى تهامة

وطابع وناصع وهو من بلاد الحبشه خزي ذل وفضيحة الا الذين تابوا استثنى من المعاقبين
عقاب قطع الطريق خاصة واما حكم القتل والجراح واخذ المال فالى الاولياء ان شاؤا عفوا
وان شاؤا استوفوا وعن علي رضي الله عنه ان الحارث بن بدر جاءه تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل
توبته ودرأ عنه العقوبة ٠ الوسيلة كل ما يتوسل به اي يتقرب من قرابة او صنيعة او غير ذلك
فاستعيرت لما يتوسل به الى الله من فعل الطاعات وترك المعاصي وانشد للبيد ٥
ارى الناس لا يدرون ما قدر امرهم ٥ الا كل ذي لب الى الله واسل ٥ ليفتدوا به ليجعلوه فدية
لانفسهم وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى النجاة منه بوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يقال للكافر يوم القيمة ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له
قد سئلت ايسر من ذلك ٠ ولو مع ما في حيزه خبر ان ٠ وافراد الضمير في قوله ليفتدوا به
وقد ذكر شيئان ولد هو نحو قوله ٥ فاني وقيار بها لغريب ٥ او على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة
كانه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز ان تكون الواو في ومثله بمعنى مع فيتوحد المرجوع اليه فان قيل
فيم ينتصب المفعول معه قلت بما يستدعيه لو من الفعل لان التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض
قرئ ابو واقد ان يخرجوا بضم الياء من اخرج ويشهد لقراءة العامة قوله وما هم بخارجين ومما
يروى عن عكرمة ان نافع بن الازرق قال لابن عباس يا اعمى البصر اعمى القلب تزعم ان قوما
يخرجون من النار وقد قال الله تعالى وما هم بخارجين منها فقال ويحك اقرأ ما فوقها هذا للكفار ٥
فيها لفقتنه المجبرة وليس باول تكاذيبهم وفراهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الازرق ابن عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين اظهر اعضاده من قريش وانضاده من بني عبد المطلب وهو حبر الامة
وبحرها ومفسرها بالخطاب الذي لا يجترئ على مثله احد من اهل الدنيا وبرفعه الى عكرمة دليلين
ناصعين ان الحديث فرية ما فيها مرية ٠ والسارق والسارقة رفعهما على الابتداء والخبر محذوف
عند سيبويه كانه قيل فيما فرض عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وجاز ان يرتفعا بالابتداء
والخبر فاقطعوا ايديهما ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لان المعنى الذي سرق والتي سرقت فاقطعوا
ايديهما والاسم الموصول يتضمن معنى الشرط وقرئ عيسى بن عمر بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة العامة
لاجل الامر لان زيدا فاضربه احسن من زيد فاضربه ايديهما يديهما ونحو فقد صغت قلوبكما اكتفى
بتثنية المضاف اليه عن تثنية المضاف ٠ اريد باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله والسارقون
والسارقات فاقطعوا ايمانهم والسارق في الشريعة من سرق من الحرز والمقطع الرسغ
وعند الخوارج المنكب والمقدار الذي يجب به القطع عشرة دراهم عند ابي حنيفة وعند مالك
والشافعي ربع دينار وعن الحسن درهم وفي مواعظه اخذ رجل قطع يدك في درهم ٠ جزاء نكالا
مفعول لهما عقاب من السراق فمن تاب من بعد ظلمه من بعد سرقته واصلح امره بالتفصي عن التبعات فان الله
يتوب عليه ويسقط عنه عقاب الآخرة واما القطع فلا تسقطه التوبة عند ابي حنيفة واصحابه وعند
الشافعي في احد قوليه تسقطه من يشاء من يجب في الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المجرمين والتائبين
وقيل يسقط الحربي اذا سرق بالتوبة ليكون ادعى له الى الاسلام وابعد من التنفير عنه
ولا تسقطه عن المسلم لان في اقامته الصلاح للمؤمنين والحياة ولكم في القصاص حيوة فان قلت لم قدم
التعذيب على المغفرة قلت لانه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة ٠ ولا يحزنك صنيع الذين
يسرعون والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر اي في اظهار ما يلوح منهم من آثار
الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال اسرع فيه الشيب واسرع
فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر وقوعهم وتهافتهم فيه اسرع شيء
اذا وجدوا فرصة لم يخطوها وامنا مفعول قالوا وبافواههم متعلق بقالوا لا بآمنا ومن الذين هادوا
منقطع مما قبله خبر لسماعون اي ومن اليهود قوم سماعون ويجوز ان يعطف على من الذين قالوا ويرتفع
سماعون على هم سماعون والضمير للفريقين او للذين هادوا ومعنى سماعون للكذب قابلون لما يفتريه
الاحبار ويفتعلونه من الكذب على الله عز وجل وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه
سمع الله لمن حمده سماعون لقوم آخرين لم ياتوك يعني اليهود الذين لم يصلوا الى مجلس رسول الله
وتجافوا عنه لما افرط فيهم من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة اي قابلون من الاحبار ومن اولئك
المفرطين في العداوة الذين لا يقدرون ان ينظروا اليك وقيل سماعون الى رسول الله لاجل ان يكذبوا
عليه بان يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون من رسول الله لاجل
قوم آخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل السماعون بنو قريظة والقوم الآخرون
يهود خيبر يحرفون الكلم يميلونه ويزيلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع
بعد ان كان ذا مواضع ان اوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا
به وان لم تؤتوه وافتاكم محمد بخلافه فاحذروا واياكم واياه فهو الباطل والضلال روي ان شريفا
من خيبر زنا بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم
الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم

فلا تقبلوا وارسلوا

وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا
فقال هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه
الارض ورضوا به حكما فقال له رسول الله انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم
الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم
على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبي الامي العربي
الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب مسجده ومن يرد الله فتنته تركه
مفتونا وخذلانه فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئا اولئك الذين لم يرد
الله ان يطهر قلوبهم من الطاغوت ما يطهر به قلوبهم لانهم لم يسلموا من اهلها لعلمه انها لا تنفع فيهم ولا تنجح ان الذين لا يؤمنون
بآيات الله لا يهديهم الله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم السحت كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته اذا
استاصله لانه مسحوت البركة كما قال تعالى يمحق الله الربا والربا باب منه وقرئ السحت بالتخفيف والتثقيل والسحت
بفتح السين على لفظ المصدر من سحته والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين وكانوا ياخذون الرشا على الاحكام
وتحليل الحرام وعن الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كمه فاراها اياه وتكلم
بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيأكل الرشوة ويسمع الكذب وحكي ان عاملا قدم من عمله فجاءه قومه فقدم
اليهم الغراضة وجعل يحدثهم بما جرى له في عمله فقال اعرابي من القوم نحن كما قال الله تعالى سماعون للكذب اكالون
للسحت وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا اذا تحاكم اليه
اهل الكتاب بين ان يحكم بينهم وبين ان لا يحكم وعن عطا والنخعي والشعبي انهم اذا ارتفعوا الى حكام المسلمين
فان شاؤا حكموا وان شاؤا اعرضوا وقيل هو منسوخ بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله وعند ابي حنيفة رحمه الله
اذا احتكموا الينا حملوا على حكم الاسلام وان زنا رجل منهم بمسلمة او سرق من مسلم شيئا اقيم عليه الحد واما
اهل الحجاز فانهم لا يرون اقامة الحدود عليهم يذهبون الى انهم قد صولحوا على شركهم وهو اعظم من الحدود ويقولون
ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية فلن يضروك شيئا لانهم كانوا لا يتحاكمون اليه الا لطلب الايسر والاهون
عليهم كالجلد مكان الرجم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا اعراضه عنهم وكانوا
خلقا بان يعادوه ويضاروه فامنه الله شرهم بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم وكيف يحكمونك
تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع ان الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الايمان به ثم يتولون من بعد ذلك
ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم كما يدعون
او ما اولئك بالكاملين في الايمان على سبيل التهكم بهم فان قلت فيها حكم الله ما موضعه من الاعراب قلت
اما ان ينصب حالا من التوراة وهي مبتدا خبرها عندهم واما ان يرتفع خبرا عنها كقولك عندهم التوراة
ناطقة بحكم الله واما ان لا يكون لها محل وتكون جملة مبينة لان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول
عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره [illegible] التوراة فيها هدى يهدي الى الحق
والعدل ونور يبين ما استبهم من الاحكام الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين مدحا لهم [illegible]
كالصفات الجارية على القديم سبحانه لا للتفصلة والتوضيح [illegible] تعريضا باليهود [illegible]
ملة الاسلام التي هي دين الانبياء كلهم [illegible] وان اليهودية بمعزل عنها للذين هادوا
للذين هادوا متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم والربانيون والاحبار
زهادهم وعلماؤهم [illegible] عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله
بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف [illegible] وكانوا عليه شهداء
رقباء [illegible] او شهداء يبينون ما يخفى منه [illegible] فلا تخشوا الناس واخشون
نهي للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم [illegible] ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا
[illegible] ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه [illegible]
ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون [illegible]
والظالمون والفاسقون [illegible] اهل الكتاب [illegible] وعن الشعبي [illegible]
اهل الاسلام [illegible] والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وعن ابن مسعود هو عام

في اليهود وغيرهم. وعن حذيفة انتم اشبه الامم سمتا ببني اسرائيل لتركبن طريقتهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير اني لا ادري اتعبدون العجل ام لا. وفي مصحف ابي وانزل الله على بني اسرائيل فيها وفيه وان الجروح قصاص والمعطوفات كلها قرئت منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف على محل ان النفس لان المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما يقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرات سورة انزلناها ولذلك قال الزجاج لو قرئ ان النفس بالكسر لكان صحيحا او للاستيناف. والمعنى فرضنا عليهم ان النفس ماخوذة بالنفس مقتولة بها اذا قتلتها بغير حق وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص وتعرف المساواة. وعن ابن عباس كانوا لا يقتلون الرجل بالمراة فنزلت **فمن تصدق** من اصحاب الحق به بالقصاص وعفا عنه فهو كفارة له فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته. وعن عبد الله بن عمرو يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به وقيل فهو كفارة للجاني اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه. وفي قراءة ابي فهو كفارته له يعني فالمتصدق كفارته له اي الكفارة التي يستحقها له لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله فاجره على الله وترغيب في العفو. **وقفينا** مثل عقبته اذا اتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه الى الثاني بزيادة الباء. فان قلت فاين المفعول الاول في الاية قلت هو محذوف والظرف الذي هو على اثارهم كالساد مسده لانه اذا قفى به على اثره فقد قفى به اياه. والضمير في اثارهم للنبيين في قوله يحكم بها النبيون الذين اسلموا. وقرا الحسن الانجيل بفتح الهمزة فان صح عنه فلانه اعجمي خرج لعجمته عن زنات العربية كما خرج هابيل وآجر. **ومصدقا** عطف على محل فيه هدى ومحله النصب على الحال. وهدى وموعظة يجوز ان ينتصبا على الحال كقوله مصدقا وان ينتصبا مفعولا لهما لقوله وليحكم كانه قيل وللهدى والموعظة آتيناه الانجيل وللحكم بما انزل الله فيه من الاحكام. فان قلت فان نظمت هدى وموعظة في سلك مصدقا فما تصنع بقوله وليحكم. قلت اصنع به ما صنعت بهدى وموعظة حين جعلتهما مفعولا لهما فاقدر وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله آتيناه اياه. وقرئ وليحكم على لفظ الامر على معنى وقلنا ليحكم. وروي في قراءة ابي وان ليحكم بزيادة ان مع الامر على ان ان موصولة بالامر كقولك امرته بان قم كانه قيل وآتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل. وقيل ان عيسى عم كان متعبدا بما في التوراة من الاحكام لان الانجيل مواعظ وزواجر والاحكام فيه قليلة وظاهر قوله وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه يرد ذلك وكذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وان ساغ لقائل ان يقول معناه وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة. فان قلت اي فرق بين التعريفين في قوله وانزلنا اليك الكتاب وقوله لما بين يديه من الكتاب. قلت الاول تعريف العهد لانه عنى به القران والثاني تعريف الجنس لانه عنى به جنس الكتب المنزلة ويجوز ان يقال هو للعهد لانه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الاطلاق وانما اريد به نوع معلوم منه وهو ما انزل من السماء سوى القران. **ومهيمنا** ورقيبا على سائر الكتب لانه يشهد لها بالصحة والثبات. وقرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم اي هو من عليه بان حفظ من التغيير والتبديل كما قال لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي هيمن عليه الله عز وجل او الحفاظ في كل بلد لو حرف حرف منه او حركة او سكون لتنبه عليه كل احد ولاشمازوا رادين ومنكرين. ضمن ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذلك عدي بعن كانه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم. لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا شريعة. وقرا يحيى بن وثاب بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين تجرون عليه. وقيل هذا دليل على انا غير متعبدين بشرائع من قبلنا. **لجعلكم امة واحدة** جماعة متفقة على شريعة واحدة او ذوي امة واحدة اي دين واحد لا اختلاف فيه ولكن اراد **ليبلوكم فيما آتاكم** من الشرائع المختلفة هل تعملون بها مذعنين معتقدين انها مصالح قد اختلفت على حسب الاحوال والاوقات معترفين بان الله لم يقصد باختلافها الا ما اقتضته الحكمة ام تتبعون الشبه وتفرطون في العمل **فاستبقوا الخيرات** فابتدروها وتسابقوا نحوها. **الى الله مرجعكم** استيناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات فينبئكم فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم في العمل. فان قلت وان احكم بينهم معطوف على ماذا. قلت على الكتاب في قوله وانزلنا اليك الكتاب كانه قيل وانزلنا اليك الكتاب والحكم بينهم ويجوز ان يكون معطوفا على بالحق اي انزلناه بالحق وبان احكم. **ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك** ان يضلوك عنه ويستزلوك. وروي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صم فنزلت. **فان تولوا** عن الحكم بما انزل الله اليك وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني بذنب التولي عن حكم الله وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك واراد ان لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد وان هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها وهذا الابهام لتعظيم التولي واستسرافهم في ارتكابه ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها اراد نفسه وانما قصد تفخيم شانها بهذا الابهام كانه قال نفسا كبيرة ونفسا اي نفس فكما ان التنكير يعطي معنى التكبير وهو معنى البعضية فكذلك اذا صرح بالبعض. **لفاسقون** لمتمردون في الكفر معتدون فيه

يعني

يعني اذا تولى عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء في الكفر. **افحكم الجاهلية يبغون** فيه وجهان احدهما ان قريظة والنضير طلبوا اليه ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وروي ان رسول الله صم قال لهم القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت. والثاني ان يكون تعييرا لليهود بانهم اهل كتاب وعلم وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل لا تصدر عن كتاب ولا ترجع الى وحي من الله. وعن الحسن هو عام في كل من يبتغي غير حكم الله والحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم الله وحكم بجهل فهو حكم الشيطان. وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرا هذه الاية. وقرئ يبغون بالياء والتاء. وقرا السلمي افحكم الجاهلية يبغون برفع الحكم على الابتداء وايقاع يبغون خبرا واسقاط الراجع عنه كاسقاطه عن الصلة في اهذا الذي بعث الله رسولا وعن الصفة في الناس رجلان رجل اهنت ورجل اكرمت وعن الحال في مررت بهند يضرب زيد. وقرا قتادة افحكم الجاهلية على ان هذا الحكم الذي يبغونه انما يحكم به افعى نجران او نطيقة من حكام الجاهلية فارادوا بسفههم ان يكون محمد خاتم النبيين حكما كاولئك الحكام. **اللام** في قوله لقوم يوقنون للبيان كاللام في هيت لك اي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتيقنون ان لا اعدل من الله ولا احسن حكما منه. **لا تتخذوهم اولياء** لا تنصروهم ولا تستنصروهم ولا تؤاخوهم ولا تصافوهم ولا تعاشروهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله بعضهم اولياء بعض اي انما يوالي بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر فما لمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم. **ومن يتولهم منكم** فانه من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله كما قال رسول الله صم لا تراءى ناراهما. ومنه قول عمر رضي الله عنه لابي موسى في كاتبه النصراني لا تكرموهم اذ اهانهم الله ولا تامنوهم اذ خونهم الله ولا تدنوهم اذ اقصاهم الله. وروي انه قال له ابو موسى لا قوام للبصرة الا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب انه قد مات فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره. **ان الله لا يهدي القوم الظالمين** يعني الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفر يمنعهم الله الطافه ويخذلهم مقتا لهم. **يسارعون فيهم** ينكمشون في موالاتهم ويرغبون فيها ويعتذرون بانهم لا يامنون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان اي صرف من صروفه ودولة من دوله فيحتاجوا اليهم والى معونتهم. وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه انه قال لرسول الله صم ان لي موالي من يهود كثيرا عددهم واني ابرا الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرا من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع. **فعسى الله ان ياتي بالفتح** لرسول الله صم على اعدائه واظهار المسلمين **او امر من عنده** يقطع شافة اليهود ويجليهم عن بلادهم فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به انفسهم وذلك انهم كانوا يشكون في امر رسول الله صم ويقولون ما نظن ان يتم له امر وبالحري ان تكون الدولة والغلبة لهؤلاء. وقيل او امر من عنده او ان يؤمر النبي صم باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم. وقيل او امر من عنده لا يكون فيه للناس فعل كبني النضير الذين طرح الله في قلوبهم الرعب فاعطوا بايديهم من غير ان يوجف عليهم بخيل ولا ركاب. **ويقول الذين امنوا** قرئ بالنصب عطفا على ان ياتي وبالرفع على انه كلام مبتدا اي ويقول الذين امنوا في ذلك الوقت. وقرئ يقول بغير واو وهي في مصاحف مكة والمدينة والشام كذلك على انه جواب قائل يقول فما ذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين امنوا اهؤلاء الذين اقسموا. فان قلت لمن يقولون هذا القول. قلت اما ان يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما من الله عليهم من التوفيق في الاخلاص. **اهؤلاء الذين اقسموا** لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار. واما ان يقولوه لليهود لانهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم. **حبطت اعمالهم** من جملة قول المؤمنين اي بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في راي اعين الناس وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم او من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الاعمال وتعجيبا من سوء حالهم. وقرئ من يرتدد وهو في الامام بدالين وهو من الكائنات التي اخبر عنها في القران قبل كونها. وقيل كان اهل الردة احدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله صم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسي وكان كاهنا تنبا باليمن واستولى على بلاده واخرج عمال رسول الله صم فكتب رسول الله صم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله صم بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله صم من الغد واتى خبره في اخر شهر ربيع الاول. وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبا وكتب الى رسول الله صم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر الصديق رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد في جاهليتي واسلامي. وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبا فبعث اليه رسول الله صم خالدا فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه. وسبع في عهد ابي بكر فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري:

امت سجاح ووالاها مسيلمة ... كذابة في بني الدنيا وكذاب

وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم على يدي ابي بكر. وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم بعد اسلامه. **فسوف ياتي الله بقوم**

قيل لما نزلت أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي موسى الأشعري فقال قوم هذا، وقيل هم ألفان من النخع وخمسة
الآف من كندة وبجيلة وثلاثة الآف من أفناء الناس جاهدوا يوم القادسية، وقيل هم الأنصار، وقيل
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب على عاتق سلمان فقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا
لناله رجال من أبناء فارس. **يحبهم ويحبونه** محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وأن لا يفعلوا ما
توجب سخطه وعقابه، ومحبة الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم
ويرضى عنهم، وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشرع وأسوأهم طريقة وإن كانت
طريقتهم عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء شيئا وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف وما يدينون به من
المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله وفي مراقصهم عطلها الله بأبيات الغزل المقولة في المردان
الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم التي أين عنها صعقة موسى عند دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا
ومن كلماتهم كما أنه بدأ بذكر محبتهم كذلك يحبون ذاته فإن الهاء راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات، ومنها
الحب شرطه أن يلحقه سكرات المحبة فإذا لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة. **فإن قلت** أين الراجع من الجزاء إلى الاسم
المتضمن لمعنى الشرط. **قلت** هو محذوف معناه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم أو بقوم غيرهم أو ما أشبه ذلك
أذلة جمع ذليل، وأما ذلول فجمعه ذلل، ومن زعم أنه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة فقد غبي عنه أن ذلولا
لا يجمع على أذلة. **فإن قلت** هلا قيل أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين. **قلت** فيه وجهان أحدهما أن يضمن الذل معنى الحنو
والعطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع، والثاني أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون
لهم أجنحتهم، ونحوه قوله عز وعلا أشداء على الكفار رحماء بينهم، ويجوز أن يكون أعزة بالنصب على الحال. **ولا يخافون لومة لائم**
يحتمل أن تكون الواو للحال على أنهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فإنهم كانوا موالين
لليهود لعنت، فإذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون أنه يلحقهم فيه
لوم من جهتهم، وأما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط، وأن تكون للعطف على أن من
صفتهم المجاهدة في سبيل الله وأنهم صلاب في دينهم إذا شرعوا في أمر من أمور الدين إنكار منكر أو أمر بمعروف مضوا
فيه كالمسامير المحماة لا يرعبهم قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جدهم في إنكارهم
وصلابتهم في أمرهم، واللومة المرة من اللوم وفيها وفي التنكير مبالغتان كأنه قيل لا يخافون شيئا قط
من لوم أحد من اللوام، وذلك إشارة إلى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء
خوف اللومة. **يؤتيه** يوفق له من يشاء ممن يعلم أن له لطفا. **واسع** كثير الفواضل والألطاف. **عليم** بمن هو من
أهلها، عقب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا**
ومعنى إنما وجوب اختصاصهم بالموالاة. **فإن قلت** قد ذكرت جماعة فهلا قيل إنما أولياؤكم. **قلت** أصل الكلام إنما وليكم
الله فجعلت الولاية لله على طريق الأصالة ثم نظم في سلك إثباتها له إثباتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على سبيل
التبع، ولو قيل إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام أصل وتبع، وفي قراءة عبد الله إنما مولاكم
وهم راكعون وفيه تمييز للخلص من الذين آمنوا نفاقا، أو واطأت قلوبهم ألسنتهم إلا أنهم مفرطون في العمل
الواو فيه للحال أي يعملون ذلك في حال الركوع وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله إذا صلوا وإذا زكوا، وقيل هو
حال من يؤتون الزكاة بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة، وإنها نزلت في علي كرم الله وجهه حين سأله سائل وهو
راكع في صلاته فطرح له خاتمه كأنه كان مرجا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله
صلاته. **فإن قلت** كيف صح أن يكون لعلي رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة. **قلت** جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب
فيه رجلا واحدا ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه، ولينبه على أن سجية المؤمنين يجب أن تكون
على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان وتفقد الفقراء حتى إن لزهم أمر لا يقبل التأخير وهم
في الصلاة لم يؤخروه إلى الفراغ منها. **فإن حزب الله** من إقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه فإنهم هم الغالبون
ولكنهم بذلك جعلوا أعلاما لكونهم حزب الله، وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حزبهم، ويحتمل أن يريد
بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب. **وروي**
أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث كانا قد أظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما
فنزلت، يعني أن اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح أن يقابل باتخاذكم إياهم أولياء بل يقابل ذلك
بالبغضاء والشنآن والمنابذة، وفصل المستهزئين بأهل الكتاب والكفار وإن كان أهل الكتاب من
الكفار إطلاقا للكفار على المشركين خاصة، والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين أشركوا، وقرئ
والكفار بالنصب والجر، وتعضد قراءة الجر قراءة أبي ومن الكفار. **واتقوا الله** في موالاة الكفار وغيرها
إن كنتم مؤمنين حقا لأن الإيمان حقا يأبى موالاة أعداء الدين. **اتخذوها** الضمير للصلاة أو للمناداة، قيل
كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال حرق الكاذب
فدخلت خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت واحترق
هو وأهله، وقيل فيه دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده. **لا يعقلون** لأن لعبهم
وهزؤهم من أفعال السفهاء والجهلة فكأنه لا عقل لهم، وقرئ الحسن **هل تنقمون** بفتح القاف
والفصيح كسرها، والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون إلا الإيمان بالكتب المنزلة كلها وإن أكثركم
فاسقون. **فإن قلت** علام عطف قوله وأن أكثركم فاسقون. **قلت** فيه وجوه منها أن يعطف

على

على أن آمنا بمعنى وما تنقمون منا إلا الجمع بين إيماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الإيمان كأنه قيل وما تنكرون منا
إلا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الإسلام وأنتم خارجون عنه، ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف أي واعتقاد أنكم
فاسقون، ومنها أن تعطف على المجرور أي وما تنقمون منا إلا الإيمان بالله وبما أنزل وبأن أكثركم فاسقون، ويجوز
أن تكون الواو بمعنى مع أي وما تنقمون منا إلا الإيمان مع أن أكثركم فاسقون، ويجوز أن تكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف
كأنه قيل وما تنقمون منا إلا الإيمان لقلة إنصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات، ويدل عليه تفسير الحسن بفسقكم
نقمتم ذلك علينا، وروي أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال أؤمن بالله وما
أنزل إلينا إلى قوله ونحن له مسلمون، فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى ما نعلم أهل دين أقل حظا في الدنيا
والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت، وعن نعيم بن ميسرة وأن أكثركم بالكسر، ويحتمل أن ينتصب وأن
أكثركم بفعل محذوف يدل عليه هل تنقمون أي ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون، أو يرتفع على الابتداء والخبر
محذوف أي وفسقكم ثابت معلوم عندكم لأنكم علمتم أنا على الحق وأنكم على الباطل إلا أن حب الرياسة
وكسب الأموال لا يدعكم فتنصفوا. **ذلك** إشارة إلى المنقوم ولا بد من حذف مضاف قبله أو قبل من تقديره بشر من أهل
ذلك أو دين من لعنه الله، ومن لعنه الله في محل الرفع على قولك هو من لعنه الله كقوله قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار
أو في محل الجر على البدل من شر، وقرئ **مثوبة** ومثوبة ومثلها مشورة ومشورة. **فإن قلت** المثوبة مختصة بالإحسان
فكيف جاءت في الإساءة. **قلت** وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع
ومنه فبشرهم بعذاب أليم. **فإن قلت** المعاقبون من الفريقين هم اليهود فلم شورك بينهم في العقوبة. **قلت** كان اليهود يزعمون
أن المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من أهل الإسلام
في زعمكم ودعواكم. **وعبد الطاغوت** عطف على صلة من كأنه قيل ومن عبد الطاغوت، وفي قراءة أبي وعبدوا الطاغوت على المعنى وعن
ابن مسعود ومن عبدوا، وقرئ وعابد الطاغوت عطفا على القردة، وعابدي وعباد وعبد وعبد بوزن حطم بمعنى الغلو
في العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة، قال أبني لبيني إن أمكم أمة وإن أباكم عبد
وعبد بوزن حطم وعبيد وعبد بضمتين جمع عبيد وعبدة بوزن كفرة، وعبد وأصله عبدة فحذف التاء
للإضافة أو هو كخدم في جمع خادم، وعبد وعباد وأعبد، وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع
بمعنى وعبد الطاغوت فيهم أو بينهم، وعبد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت معبودا من دون الله كقولك
أمر إذا صار أميرا، وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من لعنه الله. **فإن قلت** كيف جاز أن يجعل الله منهم عباد
الطاغوت. **قلت** فيه وجهان أحدهما أنه خذلهم حتى عبدوها، والثاني أنه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا، وقيل الطاغوت العجل لأنه معبود من دون الله ولأن عبادتهم العجل
مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت، وعن ابن عباس هم أطاعوا الكهنة
وكل من أطاع أحدا في معصية الله فقد عبده، وعن الحسن الطواغيت، وقيل وجعل منهم القردة أصحاب السبت
والخنازير كفار مائدة عيسى عليه السلام، وقيل كلا المسخين من أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا
خنازير، وروي أنها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا إخوة القردة والخنازير فينكسون
رؤوسهم. **أولئك** الملعونون الممسوخون. **شر مكانا** جعلت الشرارة للمكان وهي لأهله وفيه مبالغة ليست في قولك
أولئك شر. **وأضل** لدخوله في باب الكناية التي هي أخت المجاز، ويجوز أن يكون الإسناد مجازيا على طريقة قولهم الطريق
نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظهرون له الإيمان نفاقا فأخبره الله بشأنهم
وأنهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا منك من تذكيرك بآيات الله ومواعظك، وقوله **بالكفر**
وبه حالان أي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين، وتقديره ملتبسين بالكفر، وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا
به، ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال، ولمعنى آخر وهو أن أمارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم متوقعا لإظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قالوا آمنا أي قالوا ذلك
وهذه حالهم. **الإثم** الكذب بدليل قوله عن قولهم الإثم. **والعدوان** الظلم، وقيل الإثم كلمة الشرك وقولهم
عزير ابن الله، وقيل الإثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم إلى غيرهم، والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة.
لبئس ما كانوا يصنعون كأنهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير لأن كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى
يتمكن فيه ويتدرب وينسب إليه، وكأن المعنى في ذلك أن مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعو إليها
وتحمل على ارتكابها، وأما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره فإذا فرط في الإنكار كان أشد حالا من المواقع
ولعمري إن هذه الآية مما يقد السامع وينعى على العلماء توانيهم، وعن ابن عباس هي أشد آية في القرآن
وعن الضحاك ما في القرآن آية أخوف عندي منها. **غل اليد وبسطها** مجاز عن البخل والجود، ومنه قوله تعالى ولا
تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط، ولا يقصد من يتكلم به إثبات يد ولا غل ولا بسط ولا فرق
عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه لأنهما كلامان معتقبان على حقيقة واحدة حتى إنه يستعمله في ملك
لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه إلا بإشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها، ولو أعطى الأقطع إلى المنكب
عطاء جزلا لقالوا ما أبسط يده بالنوال لأن بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل
والجود، وقد استعملوها حيث لا تصح اليد كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده
ولقد جعل لبيد للشمال يدا في قوله إذ أصبحت بيد الشمال زمامها، ويقال بسط اليأس كفيه في صدري
فجعلت لليأس الذي هو من المعاني لا من الأعيان كفان، ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر

بحجة الصواب في تأويل أمثال هذه الآية ولم يتخلص من يد الطاعن إذا عُثِّرَت به ٥ فإن قلت قد صح أن قوله
يد الله مغلولة عبارة عن البخل فما تصنع بقوله غلت أيديهم ومن حقه أن يطابق ما تقدمه والا تنافر الكلام
وزاغ عن سننه قلت يجوز أن يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا أبخل خلق الله وأنكدهم
ونحوه بيت الأشتر ٥ بقيت وفري وانحرفت عن العلى ٥ ويجوز أن يكون دعاء عليهم بغل الأيدي حقيقة يغلون
في الدنيا أسارى وفي الآخرة معذبين بأغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ وملاحظة أصل المجاز كما تقول سبني
سب الله دابره أي قطعه لأن السب أصله القطع فإن قلت كيف جاز أن يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو
البخل والنكد قلت المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم فيزدادون بخلاً إلى بخلهم ونكداً إلى نكدهم
أو بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الأحدوثة التي تخزيهم وتمزق أعراضهم فإن قلت
لم ثنيت اليد في بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة قلت ليكون رد قولهم وإنكاره
أبلغ وأدل على إثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه وذلك أن غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه أن يعطيه
بيديه جميعاً فبني المجاز على ذلك وفي مصحف عبد الله بل يداه بسطتان يقال يده
بسط بالمعروف ونحوه مشية سجح وناقة سرح ينفق كيف يشاء تأكيد للوصف بالسخاء ودلالة على أنه لا ينفق
إلا على مقتضى الحكمة والمصلحة روي أن الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالاً فلما عصوا
الله في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف الله تعالى ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله
مغلولة ورضي بقوله الآخرون فأشركوا فيه وليزيدن أي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تمادياً في الجحود
وكفراً بآيات الله وألقينا بينهم العداوة فكلمهم أبداً مختلف وقلوبهم شتى لا يقع بينهم اتفاق ولا تعاضد
كلما أوقدوا ناراً كلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على أحد قط وقد أتاهم الإسلام
وهم في ملك المجوس وقيل خالفوا حكم التوراة فبعث الله عليهم بخت نصر ثم أفسدوا فسلط عليهم فطرس
الرومي ثم أفسدوا فسلط عليهم المجوس ثم أفسدوا فسلط عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
نصر عليهم وعن قتادة لا تلقى اليهود ببلدة إلا وجدتهم من أذل الناس ويسعون ويجتهدون في الكيد
للإسلام ومحو ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتبهم ولو أن أهل الكتاب مع ما عددنا من سيئاتهم آمنوا برسول الله
وبما جاء به وقرنوا إيمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالإيمان لكفرنا عنهم تلك السيئات ولم نؤاخذهم
بها ولأدخلناهم مع المسلمين الجنة وفيه إعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة
على سعة رحمة الله وفتحه باب التوبة على كل عاص وإن عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود
والنصارى وأن الإيمان لا ينجي ولا يسعد إلا مشفوعاً بالتقوى كما قال الحسن هذا العمود فأين الأطناب
ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل أقاموا أحكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أنزل
إليهم من ربهم من سائر كتب الله لأنهم مكلفون الإيمان بجميعها فكأنها أنزلت إليهم وقيل هو القرآن لوسع الله عليهم
الرزق وكانوا قد قحطوا وقوله لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم عبارة عن التوسعة وفيه ثلاثة أوجه
أن يفيض عليهم بركات السماء وبركات الأرض وأن يكثر الأشجار المثمرة والزروع المغلة وأن يرزقهم الجنان
اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها من رؤوس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم
منهم أمة مقتصدة طائفة حالها أمم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هي الطائفة المؤمنة عبد الله
بن سلام وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى وساء ما يعملون فيه معنى التعجب كأنه قيل وكثير منهم
ما أسوأ عملهم وقيل هم كعب بن الأشرف وأصحابه والروم بلغ ما أنزل إليك جميع ما أنزل إليك وأي شيء أنزل
إليك غير مراقب في تبليغه أحداً ولا خائف أن ينالك مكروه وإن لم تفعل وإن لم تبلغ جميعه كما أمرك الله فما
بلغت رسالته وقرئ رسالاته فلم تبلغ إذن ما كلفت من أداء الرسالات ولم تؤد منها شيئاً قط
وذلك أن بعضها ليس أولى بالأداء من بعض فإذا لم تؤد بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعاً كما أن من لم
يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لإدلاء كل منها بما يدلي به غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد والشيء
الواحد لا يكون مبلغاً غير مبلغ مؤمناً به غير مؤمن به وعن ابن عباس رضي الله عنهما إن كتمت آية لم تبلغ
رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعاً فأوحى الله إلي
إن لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت فإن قلت وقوع قوله فما بلغت رسالاته
جزاء للشرط ما وجه صحته قلت فيه وجهان أحدهما أنه إذا لم يمتثل أمر الله في تبليغ الرسالات
وكتمها كلها كأنه لم يبعث رسولاً كان أمراً شنيعاً لا خفاء بشناعته فقيل إن لم تبلغ منها أدنى شيء
وإن كلمة واحدة فأنت كمن ركب الأمر الشنيع الذي هو كتمان كلها كما عظم قتل النفس بقوله فكأنما
قتل الناس جميعاً والثاني أن يراد وإن لم تفعل ذلك فلك ما يوجبه كتمان الوحي كله من العقاب فوضع السبب
موضع المسبب ويعضده قوله عليه السلام فأوحى الله إلي إن لم تبلغ رسالاتي عذبتك والله يعصمك عدة
من الله بالحفظ والكلاءة والمعنى والله يضمن لك العصمة من أعدائك فما عذرك في مراقبتهم فإن قلت
أين ضمان العصمة وقد شج في وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته قلت المراد أنه يعصمه من القتل
وفيه أن عليه أن يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله فما أشد تكليف الأنبياء عليهم السلام وقيل نزلت
بعد يوم أحد والناس الكفار بدليل قوله إن الله لا يهدي القوم الكافرين ومعناه أنه
لا يمكنهم مما يريدون إنزاله بك من الهلاك وعن أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت

فاخرج

فأخرج رأسه من قبة أدم فقال انصرفوا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس لستم على شيء أي على دين يعتد به
حتى يسمى شيئاً لفساده وبطلانه كما تقول هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير شأنه وفي أمثالهم أقل من لا شيء
فلا تأس فلا تتأسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فإن ضرر ذلك راجع إليهم لا إليك وفي المؤمنين غنى
عنهم والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز إن من اسمها وخبرها كأنه
قيل إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك وأنشد سيبويه شاهداً له
وإلا فاعلموا أنا وأنتم ٥ بغاة ما بقينا في شقاق ٥ أي فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك فإن قلت هلا زعمت أن ارتفاعه
للعطف على محل إن واسمها قلت لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول إن زيداً وعمرو منطلقان فإن قلت
لم لا يصح والنية به التأخير فكأنك قلت إن زيداً منطلق وعمرو قلت لأني إذا رفعته رفعته عطفاً
على محل إن واسمها والعامل في محلهما هو الابتداء فيجب أن يكون هو العامل في الخبر لأن الابتداء ينتظم الجزئين
في عمله كما ينتظمهما إن في عملها فلو رفعت الصابئون المنوي به التأخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بإن
لأعملت فيهما رافعين مختلفين فإن قلت فقوله والصابئون معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو قلت
هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله إن الذين آمنوا إلخ ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت
عليها فإن قلت ما التقديم والتأخير إلا لفائدة فما فائدة هذا التقديم قلت فائدته التنبيه على
أن الصابئين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم وذلك أن الصابئين أبين
هؤلاء المعدودين ضلالاً وأشدهم غياً وما سموا صابئين إلا لأنهم صبؤوا عن الأديان
كلها أي خرجوا كما أن الشاعر قدم قوله وأنتم تنبيهاً على أن المخاطبين أوغل في الوصف بالبغاة من قومه
حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم مع كونهم أوغل فيه منهم وأثبت قدماً
فإن قلت فلو قيل والصابئين وإياكم لكان التقديم حاصلاً قلت لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لأنه
لا إزالة فيه عن موضعه وإنما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه ويجري هذه الجملة مجرى الاعتراض
في الكلام فإن قلت كيف قيل الذين آمنوا ثم قيل من آمن قلت فيه وجهان أن يراد بالذين آمنوا بألسنتهم وهم
المنافقون وأن يراد بمن آمن من ثبت على الإيمان واستقام ولم يخالجه ريبة فيه فإن قلت ما محل من آمن
قلت إما الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر إن
وإما النصب على البدل من اسم إن وما عطف عليه أو من المعطوف عليه فإن قلت فأين الراجع إلى اسم إن قلت
هو محذوف تقديره من آمن منهم كما جاء في موضع آخر وقرئ والصابيون بياء صريحة صبؤوا أي اتباع الهوى
والشهوات في دينهم ولم يتبعوا أدلة العقل والسمع وفي قراءة أبي والصابئين بالنصب وبها قرأ ابن كثير
وقرأ عبد الله يا أيها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل بالتوحيد وأرسلنا إليهم
رسلاً ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون في دينهم كلما جاءهم رسول جملة شرطية وقعت صفة لرسلاً والراجع
محذوف أي رسول منهم بما لا تهوى أنفسهم بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل
بالشرائع فإن قلت أين جواب الشرط فإن قوله فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون ناب عن الجواب لأن الرسول
الواحد لا يكون فريقين ولأنه لا يحسن أن تقول إن أكرمت أخي أخاك أكرمت قلت هو محذوف يدل
عليه قوله فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون كأنه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقاً كذبوا
جواب مستأنف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم فإن قلت لم جيء بأحد الفعلين ماضياً وبالآخر مضارعاً
قلت جيء يقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعاً للقتل واستحضاراً لتلك الحال الشنيعة للتعجب
منها وقرئ أن لا تكون بالنصب على الظاهر وبالرفع على أن أن هي المخففة من الثقيلة أصله أنه لا تكون
فخففت أن وحذف ضمير الشأن فإن قلت كيف دخل فعل الحسبان على أن التي هي للتحقيق قلت نزل حسبانهم
لقوته في صدورهم منزلة العلم فإن قلت فأين مفعولا حسب قلت سد ما يشتمل عليه صلة أن وأن
من المسند والمسند إليه مسد المفعولين والمعنى وحسب بنو إسرائيل أنهم لا يصيبهم من الله فتنة أي بلاء وعذاب
في الدنيا والآخرة فعموا عن الدين وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا عن عبادة العجل فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا
كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله وهو الرؤية وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم
أي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته إذا ضربته بالنيزك وركبته إذا ضربته بركبتك كثير منهم
بدل من الضمير أو على قولهم أكلوني البراغيث أو هو خبر مبتدأ محذوف أي أولئك كثير منهم لم يفرق عيسى صلى الله عليه وسلم بينه
وبينهم في أنه عبد مربوب كمثلهم وهو احتجاج على النصارى إنه من يشرك بالله في عبادته أو فيما هو مختص به
من صفاته أو أفعاله فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين أي حرمه دخولها ومنعه منه كما يمنع المحرم
من المحرم عليه وما للظالمين من أنصار من كلام الله على أنهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى فلذلك
لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وأنكره وإن كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره
أو من قول عيسى على معنى ولا ينصركم أحد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول أو ولا
ينصركم ناصر في الآخرة من عذاب الله من في قوله وما من إله إلا إله واحد للاستغراق وهي المقدرة مع لا التي لنفي الجنس
في قولك لا إله إلا الله والمعنى وما إله قط في الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده
لا شريك له ومن في قوله ليمسن الذين كفروا منهم للبيان كالتي في قوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان
فإن قلت فهلا قيل ليمسنهم عذاب أليم قلت في إقامة الظاهر مقام المضمر فائدة وهي تكرير الشهادة

عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا وفي البيانين فائدة اخرى وهي الاعلام في تفسير الذين كفروا منهم انهم مكان من
الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة عذاب اليم اي نوع شديد الالم من العذاب كما تقول اعطني عشرين
من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الاجناس التي يجوز ان يتناولها عشرون ويجوز ان تكون
للتبعيض على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا عن النصرانية افلا يتوبون الا يتوبون
بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من اصرارهم والله غفور
رحيم يغفر لهؤلاء ان تابوا ولغيرهم قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول اي ما هو الا رسول من جنس الرسل
الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما اتوا بامثالها ان ابرأ الله الابرص واحيا الموتى على يده فقد احيا العصى
وجعلها حية تسعى وفلق البحر وطمس على يدي موسى وان خلقه من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا انثى
وامه صديقة اي وما امه ايضا الا كبعض النساء المصدقات للانبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما الا منزلة بشرين
احدهما نبي والآخر صحابي فمن اين اشتبه عليكم امرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به سائر الانبياء وصحابتهم
مع انه لا تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ثم صرح ببعدهما عما نسب اليهما في قوله كانا ياكلان
الطعام لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن الا جسما مركبا من عظم
ولحم وعروق واعصاب واخلاط وامزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما يدل على انه مصنوع مؤلف مدبر كغيره
من الاجسام كيف نبين لهم الآيات اي الاعلام من الادلة الظاهرة على بطلان قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع
الحق وتأمله فان قلت ما معنى التراخي في قوله ثم انظر قلت معناه ما بين العجبين يعني انه بين لهم الآيات بيانا عجيبا
وان اعراضهم عنها اعجب منه ما لا يملك هو عيسى اي شيئا لا يستطيع ان يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصائب
في الانفس والاموال ولا ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الابدان والسعة والخصب ولان كل ما يستطيعه البشر
من المضار والمنافع فباقدار الله وتمكينه فكانه لا يملك منه شيئا وهذا دليل قاطع على ان امره مناف للربوبية
حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب ان يكون قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته والله هو السميع العليم
متعلق باتعبدون اي اتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون او اتعبدون
العاجز والله هو السميع العليم الذي يصح منه ان يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ولن يكون كذلك الا وهو حي قادر
غير الحق صفة للمصدر اي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اي غلوا باطلا لان الغلو في الدين غلوان حق وهو
ان يفحص عن حقائقه ويفتش عن اباعد معانيه ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من اهل العدل والتوحيد رضي الله عنهم
وغلو باطل وهو ان يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض عن الادلة واتباع الشبه كما يفعل اهل الاهواء والبدع
قد ضلوا من قبل هم ائمتهم في النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبي صلعم واضلوا كثيرا ممن شايعهم على التثليث
وضلوا لما بعث رسول الله صلعم عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه نزل الله لعنهم في الزبور على لسان داود
وفي الانجيل على لسان عيسى وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة
ولما كفر اصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعدما اكل من المائدة عذابا لم تعذبه احدا من
العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي ذلك
بما عصوا اي لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان سبب المسخ الا لاجل المعصية والاعتداء لا لشيء آخر ثم فسر المعصية
والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون اي لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون للتعجيب من سوء فعلهم
مؤكدا لذلك بالقسم فيا حسرتا على المسلمين في اعراضهم عن باب التناهي عن المناكير وقلة عبئهم به كانه ليس من ملة الاسلام
في شيء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب فان قلت كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيرا للمعصية
والاعتداء قلت من قبل ان الله عز وجل امر بالتناهي فكان الاخلال به معصية وهو اعتداء لان في التناهي حسما للفساد فكان تركه على
عكسه فان قلت ما معنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل قلت معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه
او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله كما ترى امارات الخوض في الفسق وآلاته تسوى وتهيأ فتنكر ويجوز
ان يراد لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه ويداومون على فعله يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه
اذا امتنع منه وتركه ترى كثيرا منهم هم منافقوا اهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم ان سخط الله عليهم
هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كانه قيل لبئس زادهم الى الآخرة سخط الله والمعنى موجب سخط الله ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي
ايمانا خالصا غير نفاق ما اتخذوا المشركين اولياء يعني ان موالاة المشركين كفى بها دليلا على نفاقهم وان ايمانهم ليس بايمان
ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدعون ما اتخذوا
المشركين اولياء كما لم يوالهم المسلمون وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق ولين عريكة
النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم الى الاسلام وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين بل نبه
على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين اشركوا وكذلك فعل في قوله ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين
اشركوا ولعمري انهم لكذلك واشد وعن النبي صلعم ما خلا يهوديان بمسلم الا هما بقتله وعلل سهولة
مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بان منهم قسيسين ورهبانا اي علماء وعبادا وانهم قوم فيهم
تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل بين على ان العلم انفع شيء واهداه
الى الخير وادله على الفوز حتى علم القسيسين وكذلك علم الآخرة والتحدث بالعاقبة وان كانت في راهب
والبراءة من الكبر وان كانت في نصراني ووصفهم برقة القلوب وانهم يبكون عند استماع القرآن
وذلك نحو ما يحكى عن النجاشي انه قال لجعفر بن ابي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون

وهم يغرونه

وهم يغرونه عليهم ويتطلبون عنتهم عنده هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب اليها فقرأها الى قوله
ذلك عيسى ابن مريم وقرأ سورة طه الى قوله هل اتاك حديث موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله صلعم
وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم رسول الله صلعم سورة يس فبكوا فان قلت بم تعلقت اللام في قوله للذين آمنوا قلت
بعداوة ومودة على ان عداوة اليهود التي اختصت المؤمنين اشد العداوات واظهرها وان مودة النصارى
التي اختصت المؤمنين اقرب المودات وادناها وجودا واسهلها حصولا ووصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودة
مما يؤذن بالتفاوت ثم وصف العداوة والمودة بالاشد والاقرب فان قلت ما معنى قوله تفيض من الدمع قلت معناه
تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يمتلئ الاناء او غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء
موضع الامتلاء وهو من اقامة المسبب مقام السبب او قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت اعينهم كانها
تفيض بانفسها اي تسيل من الدمع من اجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعا فان قلت اي فرق بين من ومن في قوله
مما عرفوا من الحق قلت الاولى لابتداء الغاية على ان فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من اجله
وبسببه والثانية لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا من الحق ويحتمل معنى التبعيض على انهم عرفوا بعض الحق
فابكاهم وبلغ منهم فكيف اذا عرفوه كله وقرأوا القرآن واحاطوا بالسنة وقرئ ترى اعينهم على البناء للمفعول
ربنا آمنا المراد به انشاء الايمان والدخول فيه فاكتبنا مع الشاهدين مع امة محمد صلعم الذين هم شهداء على سائر الامم
يوم القيامة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك وما لنا لا نؤمن بالله انكار
واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع في انعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم
لاموهم فاجابوا بذلك وارادوا وما لنا لا نؤمن بالله وحده لانهم كانوا مثلثين وذلك ليس بايمان بالله ومحل لا نؤمن
النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين كقولك ما لك قائما والواو في ونطمع واو الحال فان قلت ما العامل في الحال الاولى والثانية
قلت العامل في الاولى ما في اللام من معنى الفعل كانه قيل اي شيء حصل لنا غير مؤمنين وفي الثانية معنى هذا الفعل
ولكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو ازلتها وقلت وما لنا ونطمع لم يكن كلاما ويجوز ان يكون ونطمع حالا من لا نؤمن
على انهم انكروا على انفسهم انهم لا يوحدون الله ويطمعون مع ذلك ان يصحبوا الصالحين وان يكون معطوفا على
لا نؤمن على معنى وما لنا لا نجمع بين التثليث وبين الطمع في صحبة الصالحين او على معنى وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول في
الاسلام لان الكافر ما ينبغي له ان يطمع في صحبة الصالحين فاثابهم الله بما قالوا بما تكلموا به عن اعتقاد
واخلاص من قولك هذا قول فلان اي اعتقاده وما يذهب اليه طيبات ما احل الله لكم ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا
لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا
وروي ان النبي صلعم وصف القيامة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن
مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب
ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلعم فقال لهم اني لم اومر بذلك
ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم
واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت وروي ان رسول الله صلعم كان ياكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه
الحلوى والعسل وقال ان المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن ابن مسعود ان رجلا قال له اني حرمت الفراش فتلا هذه الآية
وقال نم على فراشك وكفر عن يمينك وعن الحسن انه دعي الى طعام ومعه فرقد السبخي واصحابه فقعدوا على المائدة
وعليها الالوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن اهو صائم قالوا لا ولكنه
يكره هذه الالوان فاقبل الحسن عليه وقال يا فريقد اترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم
وعنه انه قيل له فلان لا ياكل الفالوذ ويقول لا اؤدي شكره قال افيشرب الماء البارد قيل نعم قال انه جاهل ان نعمة الله
عليه في الماء البارد اكثر من نعمته عليه في الفالوذ وعنه ان الله تعالى ادب عباده فاحسن ادبهم فقال لينفق ذو سعة
من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا واطاعوا ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه ولا تعتدوا
ولا تتعدوا حد ما احل لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتداء
فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده على عقبه او اراد ولا تعتدوا بذلك وكلوا مما رزقكم
الله اي من الوجوه الطيبة التي تسمى رزقا حلالا حال مما رزقكم واتقوا الله تاكيد للتوصية بما امر به وزاده تاكيدا
بقوله الذي انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى في الانتهاء الى ما امر به وعما نهى عنه اللغو في اليمين الساقط
الذي لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن عائشة رضي الله عنها سئلت عنه فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى والله
وهو مذهب الشافعي رحمه الله وعن مجاهد هو الرجل يحلف على الشيء يرى انه كذلك وليس كما ظن وهو قول ابي حنيفة
بما عقدتم الايمان بتعقيدكم الايمان وهو توثيقها بالقصد والنية وروي ان الحسن سئل عن لغو اليمين
وكان عنده الفرزدق فقال يا ابا سعيد دعني اجب عنك فقال ولست بماخوذ بلغو تقوله
اذا لم تعمد عاقدات العزائم وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان
اذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لانه كان معلوما عندهم او بنكث ما عقدتم فحذف المضاف فكفارته
فكفارة نكثه والكفارة الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة اي تسترها من اوسط ما تطعمون من اقصد

لان منهم من يسرف في اطعام اهله ومنهم من يقتر وهو عند ابي حنيفة نصف صاع من بر او صاع من غيره
لكل مسكين او يغديهم ويعشيهم وعند الشافعي مد لكل مسكين . وقرأ جعفر بن محمد اهاليكم بسكون
اليا والاهالي اسم جمع لاهل كالليالي في جمع ليلة والاراضي في جمع ارض وقولهم اهلون كقولهم ارضون
بسكون الرا واما تسكين اليا في حال النصب فللتخفيف كما قالوا رايت معدي كرب تشبيها لليا بالالف **او كسوتهم**
عطف على محل من اوسط وقرئ بضم الكاف وهو نحو قدوة في قدوة واسوة في اسوة . والكسوة ثوب يغطي العورة
وعن ابن عباس كانت العباءة تجزئ يومئذ . وعن ابن عمر ازار وقميص او ردا او كسا . وعن مجاهد ثوب جامع
وعن الحسن ثوبان ابيضان . وقرأ سعيد بن المسيب واليماني او كاسوتهم بمعنى او مثل ما تطعمون اهليكم
اسرافا كان او تقتيرا لا تنقصونهم عن مقدار نفقتهم ولكن تواسون بينهم وبينهم فان قلت ما محل الكاف
قلت الرفع تقديره او طعامهم كاسوتهم بمعنى كمثل طعامهم ان لم يطعموهم الا وسطا . او تحرير رقبة شرط الشافعي
الايمان قياسا على كفارة القتل واما ابو حنيفة واصحابه فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة في كل كفارة سوى القتل
فان قلت ما معنى او قلت التخيير وايجاب احدى الكفارات الثلاث على الاطلاق بايتها اخذ المكفر فقد اصاب
فمن لم يجد احداها فصيام ثلاثة ايام متتابعات عند ابي حنيفة تمسكا بقراءة ابي وابن مسعود فصيام ثلاثة
متتابعات وعن مجاهد كل صوم متتابع الا قضاء رمضان ويخير في كفارة اليمين **ذلك** المذكور **كفارة ايمانكم**
ولو قيل تلك كفارة ايمانكم لكان صحيحا بمعنى تلك الاشياء او لتانيث الكفارة والمعنى اذا حلفتم وحنثتم فترك ذكر
الحنث لوقوع العلم بان الكفارة انما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند ابي حنيفة
واصحابه ويجوز عند الشافعي بالمال اذا لم يعص الحانث **واحفظوا ايمانكم** فبروا فيها ولا تحنثوا اراد الايمان التي
الحنث فيها معصية لان الايمان اسم جنس يجوز اطلاقه على بعض الجنس وعلى كله . وقيل احفظوها بان تكفروها
وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها **كذلك** مثل ذلك البيان يبين الله لكم اياته اعلام شريعته
واحكامه **لعلكم تشكرون** نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه اكد تحريم الخمر والميسر وجوها من التاكيد منها
تصدير الجملة بانما . ومنها انه قرنهما بعبادة الاصنام ومنه قوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن . ومنها انه جعلهما
رجسا كما قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان . ومنها انه جعلهما من عمل الشيطان والشيطان لا ياتي منه الا الشر البحت
ومنها انه امر بالاجتناب . ومنها انه جعل الاجتناب من الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب
خيبة ومحقة . ومنها انه ذكر ما ينتج منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض بين اصحاب الخمر
والقمر وما يؤديان اليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة اوقات الصلوة وقوله **فهل انتم منتهون** من ابلغ ما
ينهى به كانه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل انتم مع هذه الصوارف منتهون
ام انتم على ما كنتم عليه كان لم توعظوا ولم تزجروا فان قلت الام يرجع الضمير في قوله فاجتنبوه قلت الى المضاف
المحذوف كانه قيل انما شان الخمر والميسر او تعاطيهما او ما اشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان فان قلت
لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام اولا ثم افردهما اخرا قلت لان الخطاب مع المؤمنين وانما نهاهم
عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتاكيد تحريم الخمر والميسر واظهار
ان ذلك جميعا من اعمال الجاهلية واهل الشرك فوجب اجتنابه باسره وكانه لا مباينة بين من عبد صنما
واشرك بالله في علم الغيب وبين من شرب خمرا او قامر ثم افردهما بالذكر ليري ان المقصود بالذكر الخمر والميسر
وقوله وعن الصلوة اختصاص للصلوة من بين الذكر كانه قيل وعن الصلوة خصوصا
واحذروا ما عليكم في الخمر والميسر او في ترك طاعة الله والرسول **فان توليتم فاعلموا** انكم لم تضروا بتوليكم الرسول
لان الرسول ما كلف الا البلاغ المبين بالايات وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتم رفع الجناح عن المؤمنين
في اي شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها اذا ما اتقوا ما حرم عليهم منها وامنوا وثبتوا على الايمان
والعمل الصالح وازدادوه **ثم اتقوا وامنوا** ثم ثبتوا على التقوى والايمان **ثم اتقوا واحسنوا** ثم ثبتوا على اتقاء
المعاصي واحسنوا اعمالهم او احسنوا الى الناس واسوهم مما رزقهم الله من الطيبات . وقيل لما نزلت
تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون مال الميسر
فنزلت . يعني ان المؤمنين لا جناح عليهم في اي شيء طعموه من المباحات اذا ما اتقوا المحارم ثم اتقوا وامنوا
ثم اتقوا واحسنوا على معنى ان اولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدا لاحوالهم في الايمان والتقوى
والاحسان ومثاله ان يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح فتقول وقد علمت ان ذلك امر مباح ليس على احد جناح في المباح
اذا اتقى المحارم وكان مؤمنا محسنا تريد ان زيدا تقي مؤمن محسن وانه غير مؤاخذ بما فعل نزل عام الحديبية
ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده اخذا بايديهم
وطعنا برماحهم **ليعلم الله من يخافه بالغيب** ليتميز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر في الاخرة فيتقي الصيد
ممن لا يخافه فيقدم عليه **فمن اعتدى** فصاد بعد ذلك الابتلاء فالوعيد لاحق به فان قلت ما معنى التقليل والتصغير
في قوله بشيء من الصيد قلت قلل وصغر ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تدحض عندها اقدام الثابتين
كالابتلاء ببذل الارواح والاموال وانما هو شبيه بما ابتلي به اهل ايلة من صيد السمك وانهم اذا لم يثبتوا عنده

فكيف

فكيف يثبتون عند ما هو اشد منه . وقرأ ابراهيم يناله باليا **حرم** جمع حرام كردح في رداح والتعمد ان يقتله وهو
ذاكر لاحرامه او عالم ان ما يقتله مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه او رمى صيدا وهو يظن انه ليس
بصيد فاذا هو صيد او قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فاصاب صيدا فهو مخطئ فان قلت
محظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطا فما بال العمد مشروطا في الاية قلت لان مورد الاية في من
تعمد فقد روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له
انك قتلت الصيد وانت محرم فنزلت ولان الاصل فعل المتعمد والخطا لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله
ليذوق وبال امره ومن عاد فينتقم الله منه . وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطا .
وعن سعيد بن جبير لا ارى في الخطا شيئا اخذا باشتراط العمد في الاية . وعن الحسن روايتان **فجزاء مثل ما قتل**
برفع جزاء ومثل جميعا بمعنى فعليه جزاء مماثل ما قتل من الصيد وهو عند ابي حنيفة قيمة الصيد يقوم حيث
صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي يخير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاما
فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا
يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما او تصدق به . وعند محمد والشافعي مثله نظيره من النعم فان لم يوجد
له نظير من النعم عدل الى قول ابي حنيفة فان قلت فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله من النعم وهو
تفسير للمثل وبقوله هديا بالغ الكعبة قلت قد خير من اوجب القيمة بين ان يشتري بها هديا او طعاما
او يصوم كما خير الله في الاية فكان قوله من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة في احد وجوه التخيير لان
من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير الذي في الاية
بين ان يجزي بالهدي او يكفر بالاطعام او بالصوم انما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف اذا قوم
ونظر بعد التقويم اي الثلاثة يختار فاما اذا عمد الى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان
شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم يخير بين الاطعام والصوم ففيه نبو عما في الاية الا ترى الى قوله او كفارة طعام
مساكين او عدل ذلك صياما كيف خير بين الاشيا الثلاثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم . وقرأ عبد الله فجزاؤه
مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل على الاضافة واصله فجزاء مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل ثم اضيف
كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من ضرب زيد . وقرأ السلمي على الاصل . وقرأ محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل بنصبهما بمعنى
فليجز جزاء مثل ما قتل . وقرأ الحسن من النعم بسكون العين استثقل الحركة على حرف الحلق فسكنه **يحكم به** مثل ما
قتل **ذوا عدل منكم** حكمان عدلان من المسلمين قالوا وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد
دون الاشيا المشاهدة . وعن قبيصة انه اصاب ظبيا وهو محرم فسال عمر فشاور عبد الرحمن بن عوف ثم امره
بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ما علم امير المؤمنين حتى سال غيره فاقبل عليه ضربا بالدرة وقال اتغمص
الفتيا وتقتل الصيد وانت محرم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن وقرأ محمد بن جعفر
ذو عدل منكم اراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد الوحدة وقيل اراد الامام **هديا** حال عن جزاء فيمن وصفه بمثل
لان الصفة خصصته فقربته من المعرفة او بدل عن مثل فيمن نصبه او عن محله فيمن جره ويجوز ان ينتصب حالا
عن الضمير في به ووصف هديا ببالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح بالحرم فاما
التصدق به فحيث شئت عند ابي حنيفة وعند الشافعي في الحرم او كفارة عطف على جزاء فيمن نصبه او عطف على محلها
خبر مبتدا محذوف كانه قيل او الواجب عليه كفارة او تقدر فعليه ان يجزي جزاء او كفارة ثم تعطفها على ان يجزي
وقرئ او كفارة طعام مساكين على الاضافة وهذه الاضافة مبينة كانه قيل او كفارة من طعام مساكين كقولك
خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة . وقرأ الاعرج او كفارة طعام مسكين وانما وحد لانه واقع موقع التبيين
فاكتفى بالواحد الدال على الجنس وقرئ او عدل ذلك بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشيء ما عادله من غير جنسه
كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار ومنه عدلا الحمل لان كل واحد منهما عدل بالاخر
حتى اعتدلا كان المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول به كالذبح ونحوه الحمل والحمل **وذلك** اشارة
الى الطعام وصياما تمييز للعدل كقولك لي مثله رجلا والخيار في ذلك الى القاتل عند ابي حنيفة وابي يوسف
وعند محمد الى الحكمين **ليذوق** متعلق بقوله فجزاء اي فعليه ان يجازي او يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه
والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا والطعام الوبيل
الذي يثقل على المعدة فلا يستمرئ **عفا الله عما سلف** لكم من الصيد في حال الاحرام قبل ان تراجعوا رسول الله وتسالوه
عن جوازه وقيل عما سلف لكم في الجاهلية منه لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد محرما ومن
عاد الى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي عنه **فينتقم الله منه** ينتقم خبر مبتدا محذوف تقديره فهو ينتقم الله
منه ولذلك دخلت الفا ونحوه فمن يؤمن بربه فلا يخاف يعني ينتقم منه في الاخرة واختلف في وجوب الكفارة على العائد
فعن عطا وابراهيم وسعيد بن جبير والحسن وجوبها وعليه عامة العلما وعن ابن عباس وشريح انه لا كفارة عليه
تعلقا بالظاهر وانه لم يذكر الكفارة **صيد البحر** مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل وطعامه وما يطعم من
صيده والمعنى احل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر واحل لكم اكل الماكول منه وهو السمك وحده عند ابي
حنيفة وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد منه على ان تفسير الاية عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه
متاعا لكم مفعول له اي احل لكم تمتيعا لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب

نافلة في باب الحلال لان قوله متاعا لكم مفعول له مختص بالطعام كما ان نافلة حال مختصة بيعقوب يعني احل
لكم طعامه تمتيعا لتنائيكم يأكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره
الى الخضر . وقرئ وطعمه . وصيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات
كطير الماء عند ابي حنيفة . واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم كل شيء يقع عليه اسم الصيد وهو قول عمر
وابن عباس . وعن ابي هريرة وعطا ومجاهد وسعيد بن جبير انهم اجازوا للمحرم اكل ما صاده الحلال وان
صاده لاجله اذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل احرامه . وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه وعند
مالك والشافعي واحمد لا يباح له ما صيد لاجله . فان قلت ما يصنع ابو حنيفة بعموم قوله صيد البر . قلت قد
اخذ ابو حنيفة بالمفهوم من قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما لان ظاهره انه صيد المحرمين دون
صيد غيرهم لانهم هم المخاطبون فكانه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم
ومصيدهم حين كانوا غير محرمين ويدل عليه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقرئ
ابن عباس وحرم عليكم صيد البر اي الله عز وجل وقرئ ما دمتم بكسر الدال فيمن يقول دام يدام . البيت الحرام
عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما تجيء الصفة كذلك قياما للناس انتعاشا لهم في امر دينهم ودنياهم
ونهوضا الى اغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من امر حجهم وعمرتهم وتجارتهم
وانواع منافعهم . وعن عطاء بن ابي رباح لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا . والشهر الحرام الشهر
الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لان لاختصاصه من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شانا قد عرفه الله
وقيل عني به جنس الاشهر الحرم . والهدي والقلائد والمقلد منه خصوصا وهو البدن لان الثواب فيه
اكثر وبهاء الحج معه اظهر . لتعلموا ان الله يعلم كل شيء وهو عالم بما يصلحكم وينعشكم مما امركم به وكلفكم . شديد
العقاب لمن انتهك محارمه غفور رحيم لمن حافظ عليها ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر
به وان الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط
البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله وان كان قريبا عندكم فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته
على الطيب القليل فان ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في الخبث وفوات الطيب وهو عام
في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديهم فاتقوا الله
وآثروا الطيب وان قل على الخبيث وان كثر . ومن حق هذه الاية ان تكفح بها وجوه المجبرة اذا افتخروا بالكثرة
كما قيل وكاثر بسعد ان سعدا كثيرة . ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا . وكما قيل لا يدهمنك من دهمائهم عدد . فان جلهم بل كلهم بقر
وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين اراد المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عن الايقاع بهم وان كانوا مشركين . الجملة
الشرطية والمعطوفة عليها اعني قوله ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم صفة
لاشياء والمعنى لا تكثروا مسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تسالوه عن تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها
تغمكم وتشق عليكم وتندموا على السؤال عنها وذلك نحو ما روي ان سراقة بن مالك او عكاشة بن محصن قال
يا رسول الله الحج علينا كل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد مسالته ثلاث مرات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني
ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه
ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه . وان تسالوا عنها حين ينزل القرآن وان تسالوا عن هذه التكاليف
الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين اظهركم يوحى اليه تبد لكم تلك التكاليف الصعبة التي
تسوؤكم وتؤمروا بتحملها فتعرضون انفسكم لغضب الله بالتفريط فيها عفا الله عنها عفا الله عما سلف من مسالتكم
فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم فيما يفرط منكم بعقوبته فان قلت كيف قال لا تسالوا عن اشياء
ثم قال قد سالها ولم يقل قد سال عنها . قلت الضمير في سالها ليس براجع الى اشياء حتى تجب تعديته بعن
وانما هو راجع الى المسالة التي دل عليها لا تسالوا يعني قد سال هذه المسالة قوم من الاولين ثم اصبحوا بمرجوعها
او بسببها كافرين وذلك ان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم عن اشياء فاذا امروا بها تركوها فهلكوا
كان اهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن اخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها
ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واذا لقيها المعيي لم يركبها واسمها البحيرة وكان يقول الرجل اذا قدمت
من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا
اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت
ذكرا فهو لآلهتهم فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم واذا
نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى
ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا امر بالتبحير والتسييب وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم ما حرموا يفترون
على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون فلا ينسبون التحريم الى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون في تحريمها
كبارهم . الواو في قوله ولو كان اباؤهم واو الحال قد دخلت عليها همزة الانكار وتقديره احسبهم ذلك
ولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون والمعنى ان الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدي وانما يعرف
اهتداؤه بالحجة . كان المؤمنون تذهب انفسهم حسرة على اهل العتو والعناد من الكفرة يتمنون

دخولهم في الاسلام

دخولهم في الاسلام فقيل لهم عليكم انفسكم وما كلفتم من اصلاحها والمشي بها في طرق الهدى لا يضركم الضلال
عن دينكم اذا كنتم مهتدين كما قال عز وجل لنبيه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكذلك من يتاسف على ما فيه الفسقة
من الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر معايبهم ومناكيرهم فهو مخاطب به وليس المراد به ترك الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر فان من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد وانما هو بعض الضلال الذين فصلت الاية بينهم
وبينه وعن ابن مسعود انها قرئت عنده فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكن يوشك ان ياتي زمان
تامرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم فهي على هذا تسلية لمن يامر وينهى فلا يقبل منه وبسط لعذره
وعنه ليس هذا بزمان تاويلها قيل فمتى قال اذا جعل دونها السيف والسوط والسجن . وعن ابي ثعلبة الخشني
انه سئل عن ذلك فقال للسائل سالت عنها خبيرا سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا
عن المنكر حتى اذا ما رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك
نفسك ودع امر العوام وان من ورائكم اياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل اجر خمسين رجلا
يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك ولاموه فنزلت عليكم انفسكم عليكم من اسماء الفعل
بمعنى الزموا اصلاح انفسكم ولذلك جزم جوابه . وعن نافع عليكم انفسكم بالرفع وقرئ لا يضركم وفيه
وجهان ان يكون خبرا مرفوعا وتنصره قراءة ابي حيوة لا يضيركم وان يكون جوابا للامر مجزوما وانما ضمت الراء
اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة والاصل لا يضرركم ويجوز ان يكون نهيا ولا يضركم بكسر
الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره . ارتفع اثنان على انه خبر للمبتدا الذي هو شهادة بينكم على
تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين او على انه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان
وقرا الشعبي شهادة بينكم بالتنوين . وقرا الحسن شهادة بينكم بالنصب والتنوين على ليقم شهادة اثنان
واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي ابداله منه دليل على وجوب الوصية وانها من الامور
اللازمة التي ما ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وحضور الموت مشارفته وظهور امارات بلوغ
الاجل منكم اي من اقاربكم من غيركم من الاجانب ان انتم ضربتم في الارض يعني ان وقع الموت في السفر ولم يكن
معكم احد من عشيرتكم فاستشهدوا اجنبيين على الوصية وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم باحوال الميت
وبما هو اصلح وهم له انصح . وقيل منكم من المسلمين ومن غيركم من اهل الذمة . وقيل هو منسوخ
لا تجوز شهادة الذمي على المسلم وانما جازت في اول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر
وعن مكحول نسخها قوله واشهدوا ذوي عدل منكم وروي انه خرج بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان
من المهاجرين مع عدي بن زيد وتميم بن اوس وكانا نصرانيين تجارا الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا
فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه واوصاهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا
متاعه فاخذا اناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهل بديل الصحيفة
فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت . تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما للحلف من بعد
الصلاة من بعد صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس . وعن الحسن بعد الظهر او العصر لان اهل الحجاز
كانوا يقعدون للحكومة بعدهما . وفي حديث بديل انها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا بعدي
وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدي . وقيل
هي صلاة اهل الذمة وهم يعظمون صلاة العصر ان ارتبتم اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى
ان ارتبتم في شانهما واتهمتموهما فحلفوهما وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين
وان اريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما . وعن علي رضي الله عنه انه كان يحلف الشاهد والراوي اذا اتهمهما
والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف
بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا على معنى ان هذه عادتهم في صدقهم وامانتهم
ابدا وانهم داخلون تحت قوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين
شهادة الله اي الشهادة التي امر الله بحفظها وتعظيمها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدا
آلله بالمد على طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد على ما ذكر سيبويه ان منهم
من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا . وقرئ لملاثمين بحذف
الهمزة وطرح حركتها على اللام وادغام نون من فيها كقوله عاد لولى . فان قلت ما موقع تحبسونهما
قلت هو استئناف كلام كانه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل ان ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما
فان قلت فكيف فسرت الصلاة بصلاة العصر وهي مطلقة قلت لما كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها اغنى
ذلك عن التقييد كما لو قلت في بعض ائمة الفقه اذا صلى احد في المسجد علم انها صلاة الفجر ويجوز
ان تكون اللام للجنس وان يقصد بالتحليف على اثر الصلاة ان تكون الصلاة لطفا في النطق
بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فان عثر فان اطلع
على انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما واستوجبا ان يقال انهما لمن الاثمين فاخران فشاهدان
اخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم اي من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه

صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه لانه في معنى الشهادة لعيسى عم بالصدق فيما يجيب به يوم القيمة قلت معناه الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم واخرتهم وعن قتادة متكلمان تكلما يوم القيمة اما ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق فصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه واما عيسى فكان صادقا في الحيوة وبعد الممات فنفعه صدقه فان قلت في السموات والارض العقلا وغيرهم فهلا غلب العقلا فقيل ومن فيهن قلت ما يتناول الاجناس كلها تناولا عاما الا ترى انك تقول اذا رايت شبحا من بعيد ما هو قبل ان تعرف اعاقل هو ام غير عاقل فكان اولى بارادة العموم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

تم الجزء الاول من اربعة اجزاء من كتاب الكشاف

بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ولله الحمد كثيرا وكان الفراغ يوم الثلث خامس شهر شعبان المكرم سنة [illegible]

مبتدأ الجزء الثاني

سورة الانعام مائة وخمس وستون آية

مكية غير ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى احدث وانشا كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور والى مفعولين اذا كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا والفرق بين الخلق والجعل ان الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التضمين كانشاء شي من شي او تصيير شي شيا او نقله من مكان الى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار وجعلناكم ازواجا اجعل الالهة الها واحدا فان قلت لم افرد النور قلت للقصد الى الجنس كقوله والملك على ارجائها او لان الظلمات كثيرة لانه ما من جنس من اجناس الاجرام الا وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار فان قلت علام عطف قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قلت اما على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فيكفرون نعمته واما على قوله خلق السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شي منه فان قلت فما معنى ثم قلت استبعاد ان يعدلوا به بعد وضوح ايات قدرته وكذلك ثم انتم تمترون استبعاد لان يمتروا فيه بعد ما ثبت انه محييهم ومميتهم وباعثهم ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيمة وقيل الاجل الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني الموت فان قلت المبتدا النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب تاخيره فلم جاز تقديمه في قوله واجل مسمى عنده قلت لانه تخصص بالصفة فقارب المعرفة كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك فان قلت الكلام السائر ان يقال عندي ثوب جيد ولي عبد كيس وما اشبه ذلك فما اوجب التقديم قلت اوجبه ان المعنى واي اجل مسمى عنده تعظيما لشان الساعة فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم في السموات متعلق بمعنى اسم الله كانه قيل وهو المعبود فيها ومنه قوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او وهو المعروف بالالهية او المتوحد بالالهية فيها او هو الذي يقال له الله فيها لا يشرك به في هذا الاسم ويجوز ان يكون الله في السموات خبرا بعد خبر على معنى انه الله وانه في السموات والارض بمعنى انه عالم بما فيهما لا يخفى عليه شي منه كان ذاته فيهما فان قلت كيف موقع قوله يعلم سركم وجهركم قلت ان اردت المتوحد بالالهية كان تقريرا له لان الذي استوى في علمه السر والعلانية هو الله وحده وكذلك اذا جعلت في السموات خبرا بعد خبر والا فهو كلام مبتدا بمعنى هو يعلم سركم وجهركم او خبر ثالث ويعلم ما تكسبون من الخير والشر فيثيب عليه ويعاقب من في من اية للاستغراق وفي من ايات ربهم للتبعيض يعني وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه ولا يرفعون به راسا لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب فقد كذبوا مردود على كلام محذوف كانه قيل ان كانوا معرضين عن الايات فقد كذبوا بما هو اعظم اية واكبرها وهو الحق لما جاءهم يعني القران الذي تحدوا به على تباليهم في الفصاحة فعجزوا عنه فسوف ياتيهم انباء الشي الذي كانوا به يستهزءون وهو القران اي اخباره واحواله بمعنى سيعلمون باي شي استهزءوا وسيظهر لهم انه لم يكن بموضع استهزاء

وذلك

وذلك عند ارسال العذاب عليهم في الدنيا او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام وعلو كلمته مكن له في الارض جعل له مكانا ونحوه ارض له ومنه قوله انا مكنا له في الارض اولم نمكن لهم واما مكنته في الارض فاثبته فيها ومنه قوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ولتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم والمعنى لم نعط اهل مكة نحو ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الاجسام والسعة في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا والسماء المظلة لان الماء ينزل منها الى السحاب او السحاب او المطر والمدرار المغزار فان قلت ما فائدة في ذكر انشاء قرن اخرين بعدهم قلت الدلالة على انه لا يتعاظمه ان يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم فانه قادر على ان ينشئ مكانهم اخرين يعمر بهم بلاده كقوله ولا يخاف عقباها كتابا مكتوبا في قرطاس في ورق فلمسوه بايديهم ولم يقتصر بهم على الروية لئلا يقولوا سكرت ابصارنا ولا تبقى لهم علة لقالوا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره لقضي الامر لقضي امر اهلاكهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين اما لانهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله في صورته وهي اية لا شي ابين منها وايقن ثم لا يؤمنون كما قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة لم يكن بد من اهلاكهم كما اهلك اهل المائدة واما لانه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملك فيجب اهلاكهم واما لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت ارواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجاة الشدة اشد من نفس الشدة ولو جعلناه ملكا ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون لولا انزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لجعلناه رجلا لارسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في اعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يبقون مع روية الملك في صورهم وللبسنا عليهم ولخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حينئذ فانهم يقولون اذا راوا الملك في صورة الانسان هذا انسان وليس بملك فان قال لهم الدليل على اني ملك اني جئت بالقران المعجز وهو ناطق باني ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا فاذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الان فهو لبس الله عليهم ويجوز ان يراد ولبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة في كفرهم بايات الله البينة وقرا ابن محيصن ولبسنا بلام واحدة وقرا الزهري وللبسنا عليهم ما يلبسون بالتشديد ولقد استهزئ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من قومه فحاق بهم فاحاط بهم الشي الذي كانوا يستهزءون به وهو الحق حيث اهلكوا من اجل الاستهزاء فان قلت اي فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا قلت جعل النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا فكانه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين واما قوله سيروا في الارض ثم انظروا فمعناه اباحة السير في الارض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر في اثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح لمن ما في السموات والارض سؤال تبكيت قل لله تقرير لهم اي هو الله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون ان تضيفوا شيا منه الى غيره كتب على نفسه الرحمة اي اوجبها على ذاته في هدايتكم الى معرفته ونصب الادلة لكم على توحيده بما انتم مقرون به من خلق السموات والارض ثم اوعدهم على اغفالهم النظر واشراكهم به من لا يقدر على خلق شي بقوله ليجمعنكم الى يوم القيمة فيجازيكم على اشراككم وقوله الذين خسروا انفسهم نصب على الذم او رفع اي اريد الذين خسروا انفسهم او انتم الذين خسروا انفسهم فان قلت كيف جعل عدم ايمانهم مسببا عن خسرانهم والامر على العكس قلت معناه الذين خسروا انفسهم في علم الله لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وهو السميع العليم يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شي مما يشتمل عليه الملوان اغير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو اتخذ لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان اولى بالتقديم ونحوه افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون الله اذن لكم وقرئ فاطر السموات بالجر صفة لله وبالرفع على المدح وقرا الزهري فطر وعن ابن عباس ما عرفت ما فاطر السموات حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بير فقال احدهما انا فطرتها اي ابتداتها وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق ولا يرزق كقوله ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون والمعنى ان المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وروى ابن المامون عن يعقوب وهو يطعم ولا يطعم على بناء الاول للمفعول والثاني للفاعل والضمير لغير الله وقرا الاشهب وهو يطعم ولا يطعم على بنائهما للفاعل وفسر بان معناه وهو يطعم ولا يستطعم وحكى الازهري اطعمت بمعنى استطعمت ونحوه افدت ويجوز ان يكون المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم اخرى على حسب المصالح كقولك هو يعطي ويمنع ويبسط ويقدر ويغني ويفقر اول من اسلم لان النبي سابق امته في الاسلام كقوله وبذلك امرت وانا اول المسلمين وكقول موسى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ولا تكونن وقيل لي ولا تكونن من المشركين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه الله الرحمة العظمى وهي النجاة كقولك ان اطعمت زيدا من جوعه فقد احسنت اليه تريد فقد اتممت الاحسان اليه او فقد ادخله الجنة لان من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب وقرئ من يصرف على البناء للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه في ذلك اليوم فقد رحمه بمعنى من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه وترك ذكر المصروف لكونه معلوما او مذكورا قبله وهو العذاب ويجوز ان ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به اي من يصرف الله عنه ذلك اليوم اي هوله فقد رحمه وتنصره قراءة ابي من يصرف الله عنه وان يمسسك الله بضر من مرض او فقر او غير ذلك من بلاياه فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير من غنى او صحة فهو على كل شي قدير فكان قادرا على ادامته او ازالته

وهو القاهر فوق عباده تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كقوله وإنا فوقهم قاهرون ۞ الشيء أعم العام لوقوعه على كل ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجوهر والعرض والمحال والمستقيم ولذلك صح أن يقال في الله عز وجل شيء لا كالأشياء كأنك قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولم يصح جسم لا كالأجسام. وأراد أي شهيد أكبر شهادة فوضع شيئا مقام شهيد ليبالغ بالتعميم قل الله شهيد بيني وبينكم يحتمل أن يكون تمام الجواب عند قوله قل الله أكبر شهادة ثم ابتدأ شهيد بيني وبينكم أي هو شهيد بيني وبينكم وأن يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لدلالته على أن الله عز وجل إذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فأكبر شيء شهادة شهيد له. ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين من أهل مكة أي لأنذركم به والذين بلغهم القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه إلى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا صلى الله عليه وسلم أئنكم لتشهدون تقرير لهم مع إنكار واستبعاد قل لا أشهد شهادتكم الذين آتيناهم الكتاب يعني اليهود والنصارى يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته ونعته الثابت في الكتابين معرفة خالصة كما يعرفون أبناءهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لأهل مكة بمعرفة أهل الكتاب وبصحة نبوته ثم قال الذين خسروا أنفسهم من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين فهم لا يؤمنون به جمعوا بين أمرين متناقضين فكذبوا على الله بما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة والبرهان الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا وقالوا والله أمرنا بها وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونسبوا إليه تحريم البحائر والسوائب وذهبوا فكذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول ويوم نحشرهم ناصبه محذوف تقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الإبهام الذي هو أدخل في التخويف أين شركاؤكم أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقوله الذين كنتم تزعمون معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان ويجوز أن يحشرهم ثم يقول بالأيتها وإنما يقال لهم ذلك على جهة التوبيخ ويجوز أن يشاهدوهم إلا أنهم حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة فكأنهم غيب عنهم وأن يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم فتنتهم كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا دين آبائنا إلا جحوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين به ويجوز أن يراد ثم لم يكن جوابهم إلا أن قالوا فسمي فتنة لأنه كذب وقرئ تكن بالتاء وفتنتهم بالنصب وإنما أنث أن قالوا لوقوع الخبر مؤنثا كقولهم من كانت أمك وقرئ بالياء ونصب الفتنة وبالياء والتاء مع رفع الفتنة وقرئ ربنا بالنصب على النداء وضل عنهم وغاب عنهم ما كانوا يفترونه أي يفترون إلهيته وشفاعته فإن قلت كيف يصح أن يكذبوا حين يطلعون على حقائق الأمور وعلى أن الكذب والجحود لا وجه لمنفعته قلت الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشة ألا تراهم يقولون ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون وقد أيقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا أنه لا يقضي عليهم وأما قول من يقول معناه ما كنا مشركين عند أنفسنا وما علمنا أنا على خطأ في معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا على أنفسهم يعني في الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لأفصح الكلام إلى ما هو عي وإفحام لأن المعنى الذي ذهبوا إليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه أشد النبو وما أدري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون بعد قوله ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا ومنهم من يستمع إليك حين تتلو القرآن روي أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر يا أبا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته يعني الكعبة ما أدري ما يقول إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال أبو سفيان إني لأراه حقا فقال أبو جهل كلا فنزلت ۞ والأكنة على القلوب والوقر في الآذان مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه إسناد الفعل إلى ذاته وهو قوله وجعلنا للدلالة على أنه أمر ثابت فيهم لا يزول عنهم كأنهم مجبولون عليه أو هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وفي طلحة تكرير الواو حتى إذا جاءوك يجادلونك هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة قوله إذا جاءوك يقول الذين كفروا ويجادلونك في موضع الحال ويجوز أن تكون الجارة ويكون إذا جاءوك في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بأنهم يقولون إن هذا إلا أساطير الأولين فيجعلون كلام الله وأصدق الحديث خرافات وأكاذيب وهي الغاية في التكذيب ۞ وهم ينهون الناس عن القرآن أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعه ويثبطونهم عن الإيمان وينأون عنه بأنفسهم فيضلون ويضلون وإن يهلكون بذلك إلا أنفسهم ولا يتعداهم الضرر إلى غيرهم وإن كانوا يظنون أنهم يضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو أبو طالب لأنه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به وروي أنهم اجتمعوا إلى أبي طالب وأرادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا فقال والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا ۞ ۞ ۞ ۞ ۞

۞ فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ۞ وابشر بذاك وقر منك عيونا ۞ ودعوتني وزعمت أنك ناصح ۞ ولقد صدقت وكنت ثم أمينا ۞ وعرضت دينا لا محالة أنه ۞ من خير أديان البرية دينا ۞ لولا الملامة أو حذار مسبة ۞ لوجدتني سمحا بذاك مبينا ۞

ولو ترى جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرأيت أمرا شنيعا وقفوا على النار أروها حتى يعاينوها أو اطلعوا عليها اطلاعا هي تحتهم أو أدخلوها فعرفوا مقدار عذابها من قولك وقفته على كذا إذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا يا ليتنا نرد تم تمنيهم ثم ابتدؤوا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين واعدين الإيمان كأنهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه الإثبات وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا أعود بمعنى دعني وأنا لا أعود تركتني أو لم تتركني ويجوز أن يكون معطوفا على نرد أو حالا على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل تحت حكم التمني فإن قلت يدفع ذلك قوله وإنهم لكاذبون لأن المتمني لا يكون كاذبا قلت هذا تمن قد تضمن معنى العدة فجاز أن يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل ليت الله يرزقني مالا فأحسن إليك وأكافئك على صنيعك فهذا متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن إلى صاحبه ولم يكافئه كذبه كأنه قال إن رزقني الله مالا كافأتك على الإحسان وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب بإضمار أن على جواب التمني ومعناه إن رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من الناس من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا أنهم عازمون على أنهم لو ردوا لآمنوا وقيل هو في المنافقين وأنه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه وقيل هو في أهل الكتاب وأنه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ردوا إلى الدنيا بعد وقوفهم على النار لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وإنهم لكاذبون فيما وعدوا من أنفسهم لا يفون به وقالوا عطف على لعادوا أي ولو ردوا لكفروا ولقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة ويجوز أن يعطف على قوله وإنهم لكاذبون على معنى وإنهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقيل عرفوه حق التعريف قال مردود على قول قائل قال ماذا قال لهم ربهم إذ وقفوا عليه فقيل قال أليس هذا بالحق وهذا تعيير من الله لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو بحق وما هو إلا باطل بما كنتم تكفرون بكفركم بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل بها وقد حقق الكلام فيه في مواضع أخر حتى غاية لكذبوا لا لخسر لأن خسرانهم لا غاية له أي ما زال بهم التكذيب إلى حسرتهم وقت مجيء الساعة فإن قلت أما يتحسرون عند موتهم قلت لما كان الموت وقوعا في أحوال الآخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمي باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته أو جعل مجيء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة بغتة فجأة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة أو على المصدر كأنه قيل بغتتهم الساعة بغتة فرطنا فيها الضمير للحياة الدنيا جيء بضميرها وإن لم يجر لها ذكر لكونها معلومة أو للساعة على معنى قصرنا في شأنها وفي الإيمان بها كما تقول فرطت في فلان ومنه فرطت في جنب الله يحملون أوزارهم على ظهورهم كقوله فبما كسبت أيديكم لأنه اعتيد حمل الأثقال على الظهور كما ألف الكسب بالأيدي ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون وزرهم كقوله ساء مثلا القوم جعل أعمال الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا بما لا يعني ولا يعقب منفعة كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة وقوله للذين يتقون دليل على أن ما سوى أعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عباس ولدار الآخرة وقرئ يعقلون بالياء والتاء قد نعلم بمعنى ربما الذي تجيء لزيادة الفعل وكثرته كقوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في إنه ضمير الشأن ليحزنك قرئ بفتح الياء وضمها والذي يقولون هو قولهم ساحر كذاب لا يكذبونك قرئ بالتشديد والتخفيف من كذبه إذا جعله كاذبا في زعمه وأكذبه إذا وجده كاذبا والمعنى أن تكذيبك أمر راجع إلى الله لأنك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وإنما يكذبون الله بجحود آياته فاله عن حزنك لنفسك وأنهم كذبوك وأنت صادق وليشغلك عن ذلك ما هو أهم وهو استعظامك لجحود آيات الله والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه إذا أهانه بعض الناس إنهم لم يهينوك وإنما أهانوني ومن هذه الطريقة قوله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وقيل فإنهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بألسنتهم وقيل فإنهم لا يكذبونك لأنك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الأمين فعرفوا أنه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وكان أبو جهل يقول ما نكذبك وإنك عندنا لمصدق وإنما نكذب ما جئتنا به وروي أن الأخنس بن شريق قال لأبي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس عندنا أحد غيرنا فقال له والله إن محمدا لصادق وما كذب قط ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقوله ولكن الظالمين من إقامة المظهر مقام المضمر للدلالة على أنهم ظلموا في جحودهم ولقد كذبت تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا دليل على أن قوله فإنهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه وإنما هو من قولك لغلامك ما أهانوك ولكنهم أهانوني على ما كذبوا وأوذوا على تكذيبهم وإيذائهم ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبإ المرسلين بعض أنبائهم وقصصهم وما كابدوا

من متشابهة المشركين كان يكبر على النبي صلعم كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزلت لعلك باخع نفسك الا لاهدى
من احببت وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض منفذا تنفذ فيه الى ما
تحت الارض يعني حتى تطلع لهم اية يؤمنون بها او سلما في السما فتاتيهم منها باية فافعل انك لا تستطيع
ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وانه لو استطاع ان ياتيهم باية من تحت
الارض او من فوق السما لاتى بها رجا ايمانهم وقيل كانوا يقترحون الايات فكان يود ان يجابوا
اليها لتمادي حرصه على ايمانهم فقيل له ان استطعت كذا فافعل دلالة على انه بلغ من حرصه انه لو استطاع
ذلك لفعله حتى ياتيهم بما اقترحوا لعلهم يؤمنون ويجوز ان يكون ابتغا النفق في الارض او السلم في السما
هو الاتيان بالاية كانه قيل لو استطعت النفوذ الى ما تحت الارض او الرقي في السما لعل ذلك
يكون لك اية يؤمنون عندها لحذف جواب اذ لا تقول ان شئت ان تقوم بنا الى فلان نزوره ولو شا الله
لجمعهم على الهدى بان ياتيهم باية ملجية ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين من الذين
يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه انما يستجيب الذين يسمعون يعني ان الذين تحرص على ان يصدقوك بمنزلة
الموتى الذين لا يسمعون وانما يستجيب من يسمع كقوله انك لا تسمع الموتى والموتى يبعثهم الله مثل لقدرته
على الجائهم الى الاستجابة بانه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيمة ثم اليه يرجعون للجزا فكان
قادرا على هولاء الموتى بالكفر على ان يحييهم بالايمان وانت لا تقدر على ذلك وقيل معناه وهولاء الموتى
يعني الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك فلا سبيل الى استماعهم وقرئ يرجعون
بفتح اليا لولا نزل عليه اية نزل بمعنى انزل وقرئ ان ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مؤنث
لان تانيث اية غير حقيقي وحسن للفصل وانما قالوا ذلك مع تكاثر ما انزل من الايات على رسول الله لتركهم
الاعتداد بما انزل عليه كانه لم ينزل عليه شي من الايات عنادا منهم قل ان الله قادر على ان ينزل اية تضطرهم
الى الايمان كنتق الجبل على بني اسرائيل ونحوه او اية ان جحدوها جاءهم العذاب ولكن اكثرهم لا يعلمون ان
الله تعالى قادر على ان ينزل تلك الاية وان صارفا من الحكمة يصرفه عن انزالها امم امثالكم مكتوبة اعمالها وارزاقها
واجالها كما كتبت ارزاقكم واجالكم واعمالكم ما فرطنا ما تركنا وما اغفلنا في الكتاب في اللوح المحفوظ من شي من ذلك
لم نكتبه ولم نثبت ما وجب ان يثبت مما يختص به ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها من الدواب والطير فيعوضها
وينصف لبعضها من بعض كما روي انه ياخذ للجما من القرنا فان قلت كيف قيل الا امم مع افراد الدابة
والطاير قلت لما كان قوله وما من دابة ولا طاير دالا على معنى الاستغراق ومغنيا عن ان يقال وما من دواب
ولا طير حمل قوله الا امم على المعنى فان قلت هلا قيل وما من دابة ولا طاير الا امم امثالكم وما معنى زيادة قوله
في الارض ويطير بجناحيه قلت معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كانه قيل وما من دابة قط في جميع
الارضين السبع وما من طاير قط في جو السما من جميع ما يطير بجناحيه الا امم امثالكم محفوظة احوالها
غير مهمل امرها فان قلت فما الغرض في ذكر ذلك قلت الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه
وتدبيره تلك الخلايق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة الاصناف وهو حافظ لما لها وما عليها مهيمن
على احوالها لا يشغله شان عن شان وان المكلفين ليسوا مخصوصين بذلك دون من عداهم من ساير الحيوان
وقرئ ابن ابي عبلة ولا طاير بالرفع على المحل كانه قيل وما دابة ولا طاير وقرئ علقمة ما فرطنا
بالتخفيف يعني قربنا فان قلت كيف اتبعه قوله والذين كذبوا باياتنا قلت لما ذكر من خلايقه واثاره ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال والمكذبون صم لا يسمعون كلام المنبه بكم لا ينطقون
بالحق خابطون في ظلمات الكفر فهم غافلون عن تامل ذلك والتفكر فيه ثم قال ايذانا بانهم من اهل الطبع
من يشا الله يضلله اي يخذله ويخله وضلاله لم يلطف به لانه ليس من اهل اللطف ومن يشا يجعله على
صراط مستقيم اي يلطف به لان اللطف يجري عليه ارايتكم اخبروني والضمير الثاني لا محل له من الاعراب
لانك تقول ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت للكاف محلا لكنت كانك تقول ارايت نفسك زيدا ما شانه وهو خلف
من القول ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة من تدعون
ثم بكتهم بقوله اغير الله تدعون بمعنى اتخصون الهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا اصابكم ضر ام
تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعا دون الالهة فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه
الى كشفه ان شا ان اراد ان يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة وتنسون ما تشركون وتتركون الهتكم او لا تذكرونها في ذلك الوقت
لان اذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز ان يتعلق الاستخبار
بقوله اغير الله تدعون كانه قيل ارايتكم اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله فان قلت ان علقت الاستخبار
به فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون اليه مع قوله او اتتكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين
قلت قد اشترط في الكشف المشية وهو قوله ان شا ايذانا بانه ان فعل كان له وجه من الحكمة الا انه
لا يفعل لوجه اخر من الحكمة ارجح منه بالباسا والضرا البوس والضر وقيل الباسا القحط والجوع والضرا
المرض ونقصان الانفس والمغني ولقد ارسلنا اليهم الرسل فكذبوهم فاخذناهم لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم

ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم باسنا ولكنه
جا بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي
زينها لهم الشيطان فلما نسوا ما ذكروا به من الباسا والضرا اي تركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم
فتحنا عليهم ابواب كل شي من الصحة والسعة وصنوف النعمة ليزاوج عليهم بين نوبتي الضرا والسرا كما يفعل الاب
المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه اخرى طلبا لصلاحه حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الخير والنعم لم
يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر الله ولا قصد لتوبة واعتذار اخذناهم بغتة فاذا هم
مبلسون واجمون متحسرون ايسون فقطع دابر القوم اخرهم لم يترك منهم احد قد استوصلت شافتهم
والحمد لله رب العالمين ايذان بوجوب الحمد عند هلاك الظلمة وانه من اجل النعم واجزل القسم وقرئ
فتحنا بالتشديد ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان يصمكم ويعميكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما
يذهب عنه فهمكم وعقلكم ياتيكم به اي ياتيكم بذلك اجرا للضمير مجرى اسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه
يصدفون يعرضون عن الايات بعد ظهورها لما كانت البغتة ان يقع الامر من غير ان يشعر به وتظهر اماراته
قيل بغتة او جهرة وعن الحسن ليلا او نهارا وقرئ بغتة او جهرة هل يهلك اي ما يهلك هلاك تعذيب
وسخط الا الظالمون وقرئ هل يهلك بفتح اليا الا مبشرين ومنذرين من امن بهم بالنجاة والثواب واطاعهم
ومن كذبهم وعصاهم ولم نرسلهم ليقترح عليهم الايات بعد وضوح امرهم بالبراهين القاطعة
واصلح ما يجب عليه اصلاحه فهو مما كلف جعل الخذلان ماسا كانه حي يفعل بهم ما يريد من الالام ومنه لقيت
منه الامرين والاقورين حيث جمعوا جمع العقلا وقوله اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا
اي لا ادعي ما يستبعد في العقول ان يكون لبشر من ملك خزاين الله وهي قسمه بين الخلق وارزاقه وعلم الغيب
واني من الملائكة الذين هم اشرف جنس خلقه وافضله واقربه منزلة منه اي لم ادع الالهية ولا الملكية لانه ليس
بعد الالهية ارفع من منزلة الملائكة حتى تستبعدوا دعواي وتستنكروها وانما ادعي ما كان مثله لكثير
من البشر وهو النبوة هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي ويجوز ان يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى
اليه ومن لم يتبع او لمن ادعى المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالهية او الملكية افلا تتفكرون فلا تكونوا
ضالين اشباه العميان او فتعلموا اني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر او فتعلموا ان اتباع ما يوحى الي مما لا بد لي منه
فان قلت اعلم الغيب ما محله من الاعراب قلت النصب عطفا على محل قوله عندي خزاين الله لانه من جملة المقول
كانه قال لا اقول لكم هذا القول ولا هذا القول وانذر به الضمير راجع الى قوله ما يوحى الي والذين يخافون
ان يحشروا اما قوم داخلون في الاسلام مقرون بالبعث الا انهم مفرطون في العمل فينذرهم بما يوحى اليه
لعلهم يتقون اي يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين واما اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث
واما ناس من المشركين علم من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا
فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار دون المتمردين منهم فامره ان ينذر هولاء وقوله ليس لهم من دونه
ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا والمعنى يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من
هذه الحال لان كلا محشور فالمخوف انما هو الحشر على هذه الحال ذكر غير المتقين من المسلمين وامر بانذارهم
ليتقوا ثم اردفهم ذكر المتقين وامره بتقريبهم واكرامهم وان لا يطيع فيهم من اراد بهم خلاف ذلك
واثنى عليهم بانهم يواصلون دعا ربهم اي عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام
وقيل معناه يصلون صلوة الصبح والعصر ووسمهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله يريدون وجهه والوجه
يعبر به عن ذات الشي وحقيقته روي ان رؤسا من المشركين قالوا لرسول الله صلعم لو طردت عنا هولا الا
يعنون فقرا المسلمين وهم عمار وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم وارواح جبابهم وكانت عليهم جباب
من صوف جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المومنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا
فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت فقال نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى
ماذا يصيرون قالوا فاكتب بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي كرم الله وجهه ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة
واعتذر عمر عن مقالته قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله صلعم يقعد معنا وندنو منه حتى
تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك
القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم
المحيا ومعكم الممات ما عليك من حسابهم من شي كقوله ان حسابهم الا على ربي وذلك انهم طعنوا في دينهم
وفي اخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شي بعد شهادته لهم بالاخلاص وبارادة وجه الله في اعمالهم
على معنى وان كان الامر على ما يقولون عند الله فما يلزمك الا اعتبار الظاهر والاتسام بسمة المتقين
وان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم
كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى فان قلت اما كفى قوله ما عليك من حسابهم من شي حتى ضم اليه وما من حسابك
عليهم من شي قلت قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى في قوله
ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا يستقل بهذا المعنى الا الجملتان جميعا كانه قيل لا تواخذ انت ولا هم
بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا يواخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك
ايمانهم ويحركك الحرص عليه الى ان تطرد المومنين فتطردهم جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي

ويجوز ان يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب لان كونه ظالما مسبب عن طردهم وقرئ بالغدوة
والعشي وكذلك فتنا ومثل ذلك الفتن العظيم فتنا بعض الناس ببعض اي ابتليناهم بهم وذلك
ان المشركين كانوا يقولون للمسلمين اهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا اي انعم الله عليهم
بالتوفيق لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا ونحن المقدمون والرؤسا وهم
العبيد والفقرا انكارا لان يكون امثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه أأ
لقي الذكر عليه من بيننا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك خذلناهم فافتتنوا
حتى كان افتتانهم سببا لهذا القول لانه لا يقول مثل قولهم هذا الا مخذول مفتون أليس
الله باعلم بالشاكرين اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه للايمان وبمن يصمم على كفره
فيخذله ويمنعه التوفيق فقل سلام عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله اليهم واما ان يكون
امرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة
من جملة ما يقوله لهم ليبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم وقرئ انه فانه
بالكسر على الاستئناف كأن الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل منكم وبالفتح على الابدال من الرحمة
بجهالة في موضع الحال اي عمله وهو جاهل وفيه معنيان احدهما انه فاعل فعل الجهلة لان من عمل ما يؤدي
الى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك او ظان فهو من اهل السفه والجهل لا من اهل الحكمة والتدبير
ومنه قول الشاعر على انها قالت عشية زرتها ٭ جهلت على عمد ولم تك جاهلا والثاني انه
جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم ان لا يقدم على شي حتى يعلم كيفيته وحاله
وقيل انها نزلت في عمر رضي الله عنه حين اشار باجابة الكفرة الى ما سالوا ولم يعلم انها مفسدة وكذلك ولتستبين
بالياء والتاء مع رفع السبيل لانها تذكر وتؤنث وبالتاء على خطاب الرسول مع نصب السبيل يقال استبان
الامر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن
ونلخصها في صفة احوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى اسلامه ومن ترى فيه امارة القبول
وهو الذي يخاف اذا سمع ذكر القيامة ومن دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده ولتستوضح سبيلهم
فتعامل كلا منهم بما يجب ان يعامل به فصلنا ذلك التفصيل نهيت صرفت وزجرت بما ركب في من
ادلة العقل وبما اوتيت من ادلة السمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله وفيه استجهال لهم ووصف
بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة قل لا اتبع اهواءكم اي لا اجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع
الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من اراد اصابة
الحق ومجانبة الباطل قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فانا ضال وما انا من الهدى في شي يعني انكم
كذلك ولما نفى ان يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل اني على بينة من ربي ومعنى قوله اني على بينة من
ربي اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به
غيره يقال انا على بينة من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان ثابتا عندك بدليل او يريد بالبينة ما جاءه
به على استعظامكم تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك وانهم احقاء بان يغافصوا بالعذاب
المستأصل فقال ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فامطر علينا
حجارة من السماء ان الحكم الا لله في تاخير عذابكم يقضي الحق اي القضاء الحق في كل ما يقضي من التاخير
والتعجيل في اقسامه وهو خير الفاصلين اي القاضين وقرئ يقص الحق اي يتبع الحق والحكمة
فيما يحكم به ويقدره من قص اثره قل لو ان عندي اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون به من العذاب
لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وامتعاضا من تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعا
والله اعلم بالظالمين وبما يجب في الحكمة من كنه عقابهم وقيل على بينة من ربي على حجة من جهة ربي وهي
القرآن وكذبتم به اي بالبينة وذكر الضمير على تاويل البيان او القرآن فان قلت بم انتصب الحق قلت
بانه صفة لمصدر يقضي اي يقضي القضاء الحق ويجوز ان يكون مفعولا به من قولهم قضى الدرع اذا
صنعها اي يصنع الحق ويدبره وفي قراءة عبد الله يقضي بالحق فان قلت لم اسقطت الياء في الخط
قلت اتباعا للخط اللفظ وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة
لان المفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن المستوثق منها بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل اليها فاراد انه هو
المتوصل الى المغيبات وحده لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل
الى ما في المخازن والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل هي جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن
ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كانه قيل وما يسقط من شي من هذه
الاشياء الا يعلمه وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى الا
في كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله او اللوح المحفوظ وقرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس
بالرفع وفيه وجهان ان يكون عطفا على محل من ورقة وان يكون رفعا على الابتداء وخبره الا في
كتاب مبين كقولك لا رجل منهم ولا امراة الا في الدار وهو الذي يتوفاكم بالليل الخطاب للكفرة
اي انهم منسدحون الليل كله كالجيف ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الآثام فيه ثم يبعثكم فيه

ثم يبعثكم

ثم يبعثكم من القبور في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار
ومن اجله كقولك فيم دعوتني فيقول في امر كذا ليقضى اجل مسمى وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث
الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف الحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون
في ليلكم ونهاركم حفظة ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن ابي حاتم السجستاني
انه كان يكتب عن الاصمعي كل شي يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه انت شبيه الحفظة تكتب لغط
اللفظة فقال ابو حاتم وهذا ايضا مما يكتب فان قلت الله تعالى غني بعلمه عن كتبة الملائكة فما فائدتها
قلت فيها لطف للعباد لانهم اذا علموا ان الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم اشرف خلقه موكلون
بهم يحفظون عليهم اعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤوس الاشهاد في مواقف القيامة
كان ذلك ازجر لهم عن القبيح وابعد من السوء توفته رسلنا اي استوفت روحه وهم ملك
الموت واعوانه وعن مجاهد جعلت الارض له مثل الطست يتناول منها من يتناوله وما من اهل بيت
الا وهو يطوف عليهم في كل يوم مرتين وقرئ توفاه ويجوز ان يكون ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفاه ويفرطون
بالتشديد والتخفيف فالتفريط التواني والتاخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد اي لا ينقصون
مما امروا به ولا يزيدون فيه ثم ردوا الى الله اي الى حكمه وجزائه مولاهم مالكهم الذي يلي عليهم امورهم
الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق الا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره وهو اسرع الحاسبين لا يشغله حساب
عن حساب وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد لله الحق ظلمات البر والبحر مجاز عن مخاوفهما واهوالهما
يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب اي اشتدت ظلمته حتى صار كالليل ويجوز ان يراد ما يشفون
عليه من الخسف في البر والغرق في البحر بذنوبهم فاذا دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من
ظلماتهما لئن انجيتنا على ارادة القول اي يقولون لئن انجيتنا من هذه الظلمة والشدة وقرئ ينجيكم بالتخفيف
والتشديد وانجانا وخفية بالضم والكسر هو القادر هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة عذابا
من فوقكم كما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة وارسل على قوم نوح الطوفان او من تحت ارجلكم
كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم من قبل اكابركم وسلاطينكم ومن تحت ارجلكم من قبل سفلتكم
وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات او يلبسكم شيعا او يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى كل فرقة
منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله
وكتيبة لبستها بكتيبة ٭ حتى اذا التبست نفضت لها يدي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سالت الله ان لا يبعث
على امتي عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعني واخبرني
جبريل ان فناء امتي بالسيف وعن جابر بن عبد الله لما نزل من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ بوجهك فلما
نزل او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا قال هاتان اهون ومعنى الآية الوعيد باحد اصناف العذاب
المعدودة والضمير في قوله وكذب به قومك راجع الى العذاب وهو الحق اي لا بد ان ينزل بهم قل لست عليكم بوكيل
بحفيظ وكل الي امركم انما انا منذر لكل نبإ مستقر لكل شي ينبأ به يعني انباءه بانهم
يعذبون وايعاده لهم به مستقر وقت استقرار وحصول لا بد منه وقيل الضمير في به للقرآن يخوضون
في آياتنا في الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش في انديتهم يفعلون ذلك فاعرض عنهم ولا تجالسهم وقم
عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره فلا باس ان تجالسهم حينئذ واما ينسينك الشيطان وان شغلك بوسوسته
حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد معهم بعد الذكرى بعد ان تذكر النهي وقرئ ينسينك بالتشديد
ويجوز ان يراد وان كان الشيطان ينسينك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول فلا
تقعد بعد الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم وما على الذين يتقون من حسابهم من شي
وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شي مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى اذا سمعوهم
يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم وموعظتهم لعلهم يتقون لعلهم يجتنبون الخوض حياء
منكم وكراهة لمساءتهم ويجوز ان يكون الضمير للذين يتقون اي يذكرونهم ارادة ان يثبتوا على تقواهم
ويزدادوها وروي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في
المسجد الحرام وان نطوف فرخص لهم فان قلت ما محل ذكرى قلت يجوز ان يكون نصبا على ولكن يذكرونهم
ذكرى اي تذكيرا او رفعا على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز ان يكون عطفا على محل من شي كقولك ما في الدار
من احد ولكن زيد لان قوله من حسابهم يابى ذلك وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وذلك ان عبادة
الاصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتباع هوى النفس
والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد واتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الاصنام وغيرها
دينا لهم او اتخذوا ما هو دينهم الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا
به واستهزؤوا وقيل جعل الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم
من المشركين واهل الكتاب اتخذوا عيدهم لعبا ولهوا غير المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم كما شرعه
الله ومعنى ذرهم اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم
وذكر به اي بالقرآن ان تبسل نفس مخافة ان تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها
واصل الابسال المنع لان المسلم اليه يمنع المسلم قال ٭ وابسالي بني بغير جرم ٭

ومنه هذا عليك بَسْلٌ أي حرامٌ محظورٌ والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه او لانه شديد البسور يقال بَسَرَ الرجل اذا اشتد عبوسه فاذا زاد قالوا بَسَلَ والعابس منقبض الوجه وان تعدل كل عدل وان تَفْدِ كلّ فداء والعدل الفدية لان الفادي يعدل المفدي بمثله وكل عدل نصب على المصدر وفاعل يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا مصدر فلا يسند اليه الا الاخذ واما في قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدي به فيصح اسناده اليه اولئك اشارة الى المتخذين دينهم لعبا ولهوا قيل نزلت في ابي بكر رض حين دعاه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان قل اندعوا أنعبد من دون الله الضار النافع ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا راجعين الى الشرك بعد اذ هدانا الله منه وهدانا للاسلام كالذي استهوته الشياطين ذهبت به مردة الجن والغيلان في الارض في المهمه حيران تائها ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع له اي لهذا المستهوى اصحاب رفقة يدعونه الى الهدى اي الى ان يهدوه الطريق المستوي او سمي الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده ان الجن تستهوي الانسان والغيلان تستولي عليه كقوله كالذي يتخبطه الشيطان فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم قل ان هدى الله وهو الاسلام هو الهدى وحده وما وراءه ضلال وغي ومن يبتغ غير الاسلام دينا فماذا بعد الحق الا الضلال فان قلت ما محل الكاف في قوله كالذي استهوته قلت النصب على الحال من الضمير في نرد على اعقابنا اي انَنْكص مشبهين من استهوته الشياطين فان قلت ما معنى استهوته قلت هو استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كأن معناه طلبت هويه وحرصت عليه فان قلت ما محل امرنا قلت النصب عطفا على محل قوله ان هدى الله هو الهدى على انهما مقولان كانه قيل قل هذا القول وقل امرنا لنسلم فان قلت ما معنى اللام في لنسلم قلت هي تعليل للامر بمعنى امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم فان قلت فاذا كان هذا واردا في شان ابي بكر فكيف قيل للرسول قل اندعوا قلت للاتحاد الذي كان بين رسول الله صلعم والمؤمنين خصوصا بينه وبين الصديق رض فان قلت علام عطف قوله وان اقيموا قلت على موقع قوله لنسلم كانه قيل امرنا ان نسلم وان اقيموا وكذا ان يكون التقدير وامرنا لان نسلم ولان اقيموا اي للاسلام ولاقامة الصلوة قوله الحق مبتدأ خبره ويوم يقول مقدما عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى انه خلق السموات والارض قائما بالحق والحكمة وحين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء قوله الحق والحكمة اي لا يكون شيء من السموات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب ويوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم ويجوز ان يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اي لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق وانتصاب اليوم بمحذوف دل عليه قوله بالحق كانه قيل وحين يكون ويقدر يقوم بالحق عالم الغيب هو عالم الغيب وارتفاعه على المدح آزر هو اسم ابي ابراهيم وفي كتب التواريخ ان اسمه بالسريانية تارخ والاقرب ان يكون وزن آزر فاعل مثل تارخ وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما اشبهها من الاسماء وهو عطف بيان لابيه وقرئ آزرُ بالضم على النداء وقيل آزر اسم صنم فيجوز ان ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتي كان يشبب بهن فقيل ابن قيس الرقيات وفي شعر بعض المحدثين أدعى بأسماء نبزا في قبائلها كأن أسماء أضحت بعض أسمائي او اريد عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ أأزرا تتخذ اصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه أتعبد آزرا على الانكار ثم قال تتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل في حكم الانكار لانه كالبيان له فلما جن عليه الليل عطف على قال ابراهيم لابيه وقوله وكذلك نري ابراهيم جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف ابراهيم ونبصره ملكوت السموات والارض يعني الربوبية والالهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا صدره وسددنا نظره وكان ابوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فاراد ان ينبههم على الخطأ في دينهم وان يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى ان شيئا منها لا يصح ان يكون الها لقيام دليل الحدوث فيها وان وراءها محدثا احدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر طلوعها وافولها وانتقالها ومسيرها وسائر احوالها هذا ربي قول من ينصف خصمه مع علمه بانه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لان ذلك ادعى الى الحق وانجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة لا احب الآفلين لا احب عبادة الارباب المتغيرين عن حال الى حال المتنقلين من مكان الى مكان المحتجبين بستر فان ذلك من صفات الاجرام بازغا مبتدئا في الطلوع لئن لم يهدني ربي تنبيه لقومه على ان من اتخذ القمر الها وهو نظير الكواكب في الافول فهو ضال وان الهداية الى الحق بتوفيق الله ولطفه هذا اكبر من باب استعمال النصفة ايضا مع خصومه اني بريء مما تشركون من الاجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض اي للذي دلت هذه المحدثات عليه وعلى انه مبتدئها ومبتدعها وقيل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله والاول اظهر لقوله لئن لم يهدني ربي وقوله يا قوم اني بريء مما تشركون فان قلت لم احتج عليهم

بالافول

بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال قلت الاحتجاج بالافول اظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب فان قلت ما وجه التذكير في قوله هذا ربي والاشارة للشمس قلت جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم ما جاءت حاجتك ومن كانت امك ولم تكن فتنتهم الا ان قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التأنيث الا تراهم قالوا في صفة الله علام ولم يقولوا علامة وان كان العلامة ابلغ احترازا من علامة التأنيث وقرئ ترى ابراهيم ملكوت السموات والارض بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وكانوا حاجوه في توحيد الله ونفي الشركاء عنه منكرين لذلك وقد هدان يعني الى التوحيد ولا اخاف ما تشركون به وقد خوفوه ان معبوداتهم تصيبه بسوء الا ان يشاء ربي الا وقت مشيئة ربي شيئا يخاف فحذف الوقت يعني لا اخاف معبوداتكم في وقت قط لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربي ان يصيبني بمخوف من جهتها ان اصبت ذنبا استوجبت به انزال المكروه مثل ان يرجمني بكوكب او بشقة من الشمس او القمر او يجعلها قادرة على مضرتي وسع ربي كل شيء علما اي ليس بعجب ولا مستبعد ان يكون في علمه انزال المخوف بي من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف لتخويفكم شيئا مامون الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه وانتم لا تخافون ما يتعلق به كل خوف وهو اشراككم بالله ما لم ينزل باشراكه به سلطانا اي حجة لان الاشراك لا يصح ان يكون عليه حجة كانه قال وما لكم تنكرون علي الامن في موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن في موضع الخوف ولم يقل فأينا احق بالامن انا ام انتم احترازا من تزكيته نفسه فعدل عنها الى قوله فاي الفريقين يعني فريقي المشركين والموحدين ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي لم يخلطوا ايمانهم بمعصية تفسقهم وابى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس حجتنا تلك اشارة الى جميع ما احتج به ابراهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون ومعنى آتيناها ارشدناه اليها ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء يعني بالعلم والحكمة وقرئ بالتنوين ومن ذريته الضمير لنوح او لابراهيم وداود عطف على نوحا اي وهدينا داود ومن آبائهم في موضع النصب عطفا على كلا بمعنى وفضلنا بعض آبائهم ولو اشركوا مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك آتيناهم الكتاب يريد الجنس فان يكفر بها بالكتاب والحكم والنبوة او بالنبوة هؤلاء يعني اهل مكة قوما هم الانبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وبدليل وصل قوله فان يكفر بها هؤلاء بما قبله وقيل هم اصحاب النبي وكل من آمن به وقيل كل مؤمن من بني آدم وقيل الملائكة وقيل الانصار وعن مجاهد هم الفرس ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه والباء في بها صلة كافرين وفي بكافرين تأكيد النفي فبهداهم اقتده فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد الا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله وتوحيده واصول الدين دون الشرائع فانها مختلفة وهي هدى ما لم تنسخ فاذا نسخت لم تبق هدى بخلاف اصول الدين فانه هدى ابدا والهاء في اقتده للوقف تسقط في الدرج واستحسن ايثار الوقف لثبات الهاء في المصحف وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده واللطف بهم حين انكروا بعثة الرسل والوحي وذلك من اعظم رحمته واجل نعمته وما ارسلناك الا رحمة للعالمين او ما عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من انكار النبوة والقائلون هم اليهود بدليل قراءة من قرأ تجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وتخفونها وانما قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن على رسول الله صلعم فألزموا ما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى وادرج تحت الالزام توبيخهم وان نعي عليهم سوء جهلهم لكتابهم وتحريفهم وابداء بعض واخفاء بعض فقيل جاء به موسى وهو نور وهدى للناس حتى غيروه ونقصوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الابداء والاخفاء وروي ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلعم انشدك بالذي انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه اغضبني فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقيل القائلون قريش وقد الزموا انزال التوراة لانهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتوراة وكانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم الخطاب لليهود اي علمتم على لسان محمد مما اوحي اليه ما لم تعلموا انتم وانتم حملة التوراة ولم يعلمه آباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم قل الله اي انزله الله فانهم لا يقدرون ان يناكروك ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون ولا عليك بعد الزام الحجة ويقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه انما انت لاعب يلعبون حال من ذرهم او من خوضهم ويجوز ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة له او لذرهم مبارك كثير المنافع والفوائد ولتنذر معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كانه قيل انزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والانذار

ذكره ولينذر رسالتنا والنبا وسميت مكة ام القرى لانها مكان اول بيت وضع للناس ولانها قبلة اهل القرى
كلها ومحجهم ولانها اعظم القرى شانا ولبعض المحدثين فمن يلق في بعض القريات رحله فام القرى ملقى رحالي ومنابي
والذين يؤمنون بالآخرة يصدقون بالعاقبة ويخافونها يؤمنون به بهذا الكتاب وذلك ان اصل
الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وهم على صلاتهم يحافظون خص الصلوة لانها عماد الدين ومن حافظ
عليها كانت لطفا له في المحافظة على اخواتها ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا او قال اوحي
الي ولم يوح اليه شيء وهو مسيلمة الحنفي الكذاب او كذاب صنعاء الاسود العنسي وعن النبي صلعم رايت
فيما يرى النائم كان في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحى الله الي ان انفخهما فنفختهما
فطارا عني فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسي
ومن قال سانزل مثل ما انزل الله هو عبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي كان يكتب لرسول الله صلعم فاذا
املى عليه سميعا عليما كتب عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين الى اخر الاية عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين
فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه وان كان
كاذبا فلقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر بن الحارث
والمستهزئون ولو ترى جوابه محذوف اي لرايت امرا عظيما اذ الظالمون يريد الذين ذكرهم من اليهود
والمتنبئة فتكون اللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله في غمرات الموت
شدائده وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة والملئكة باسطوا ايديهم يبسطون
اليهم يقولون هاتوا ارواحكم اخرجوها الينا من اجسادكم وهذه عبارة عن العنف في السياق والالحاح
والتشديد في الازهاق اخرجوها من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملظ يبسط
يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله ويقول له اخرج الي مالي عليك الساعة ولا
اريم مكاني حتى انزعه من احداقك وقيل معناه باسطوا ايديهم عليهم بالعذاب اخرجوا انفسكم خلصوها
من ايدينا اي لا تقدرون على الخلاص اليوم تجزون يجوز ان يريدوا وقت الاماتة وما يعذبون
به من شدة النزع وان يريدوا الوقت الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ
والقيمة والهون الهوان الشديد واضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء يريد العراقة في
الهوان والتمكن فيه عن اياته تستكبرون فلا تؤمنون بها فرادى منفردين عن اموالكم واولادكم
وما حرصتم عليه واثرتموه من دنياكم وعن اوثانكم الذين زعمتم انهم شفعاؤكم وشركاء لله كما خلقناكم
اول مرة على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم
به عن الاخرة وراء ظهوركم لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لانفسكم فيكم شركاء في استعبادكم
لانهم حين دعوهم الهة وعبدوها فقد جعلوها لله شركاء فيهم وفي استعبادهم وقرئ فردا بالتنوين وفراد
مثل ثلاث وفردى نحو سكرى فان قلت كما خلقناكم في اي محل هو قلت في محل النصب صفة لمصدر جئتمونا اي مجيئا
مثل ما خلقناكم لقد تقطع بينكم وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين تريد اوقع الجمع بينهما على اسناد الفعل
الى مصدره بهذا التاويل ومن رفع فقد اسند الفعل الى الظرف كما تقول قوتل خلفكم وامامكم وفي قراءة عبد الله
لقد تقطع ما بينكم فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وعن مجاهد اراد الشقين اللذين في النواة والحنطة يخرج
الحي من الميت اي الحيوان والنامي من النطف والبيض والحب والنوى ومخرج هذه الاشياء الميتة من الحيوان
والنامي فان قلت كيف قال ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت قلت عطفه على فالق
الحب والنوى لا على الفعل ويخرج الحي من الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى
لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر النامي من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان
الا ترى الى قوله يحيي الارض بعد موتها ذلكم الله ذلكم المحيي والمميت هو الله الذي يحق له الربوبية فانى
تؤفكون فكيف تصرفون عنه وعن توليه الى غيره فالق الاصباح مصدر سمي به الصبح وقرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح
وانشد قوله افنى رباحا وبني رباح تناسخ الامساء والاصباح بالكسر والفتح مصدرين
وجمع مسي وصبح فان قلت فما معنى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال تفري ليل عن بياض نهار
قلت فيه وجهان احدهما ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش في اخر الليل ومنقضاه الذي يلي
الصبح والثاني ان يراد فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره وقالوا انشق
عمود الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق وانصدع الفجر قال الطائي وازرق الفجر يبدو قبل ابيضه
وقرئ فالق الاصباح وجاعل الليل بالنصب على المدح وقرأ النخعي فلق الاصباح وجعل الليل سكنا
ما يسكن اليه الرجل ويطمئن استئناسا به واسترواحا اليه من زوج او حبيب ومنه قيل للنار
سكن لانه يستأنس بها الا تراهم سموها المؤنسة والليل يطمئن اليه المتعب بالنهار لاستراحته
فيه وجمامه ويجوز ان يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه والشمس والقمر قرئ
بالحركات الثلاث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل اي وجعل الشمس والقمر حسبانا او
يعطفان على محل الليل فان قلت كيف يكون لليل محل والاضافة حقيقية لان اسم الفاعل المضاف اليه
في معنى المضي ولا تقول زيد ضارب عمرا امس قلت ما هو في معنى المضي وانما هو دال على جعل مستمر

في الازمنة

المختلفة وكذا كذا في الحب وفالق الاصباح كما تقول الله قادر عالم فلا تقصد زمانا دون زمان والجر
عطف على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والشمس والقمر مجعولان حسبانا
او محسوبان حسبانا ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لان حساب الاوقات يعلم
بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران
والشكران ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز العليم الذي
قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما في ظلمات البر والبحر
[illegible]
القاف وبفتحها على انه اسم جمع لركب لان فعلان ليس من زنات التكسير دانية سهلة المجتنى
معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد
فانها تاتي بالثمر لا تنتظر الطول وقال الحسن دانية قريب بعضها من بعض وقيل ذكر القريبة وترك
البعيدة لان النعمة فيها اظهر ودلالة القريبة على ذكر البعيدة كقوله سرابيل تقيكم الحر وقوله وجنات
من اعناب فيه وجهان احدهما ان يراد وثم جنات من اعناب اي مع النخل والثاني ان يعطف
على قنوان على معنى وحاصلة او ومخرجة من النخل قنوان وجنات من اعناب اي من نبات اعناب
وقرئ وجنات بالنصب عطفا على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات من اعناب وكذلك قوله والزيتون
والرمان والاحسن ان ينتصبا على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة لفضل هذين الصنفين مشتبها
وغير متشابه يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا والافتعال والتفاعل
يشتركان كثيرا وقرئ متشابها وغير متشابه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك
كقوله رماني بامر كنت منه ووالدي بريا والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه
في القدر واللون والطعم وذلك دليل على التعمد دون الاهمال انظروا الى ثمره اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف
يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به وانظروا الى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيئا جامعا لمنافع
وملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال
وقرئ وينعه بالضم يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا وقرأ ابن محيصن ويانعه وجعلوا لله شركاء الجن ان جعلت لله شركاء
مفعولي جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء وان جعلت لله لغوا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول
فان قلت فما فائدة التقديم قلت فائدته استعظام ان يتخذ لله شريك من كان ملكا او جنيا او انسيا او غير ذلك
ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي للتبيين
والمعنى اشركوهم في عبادته لانهم اطاعوهم كما يطاع الله وقيل هم الذين زعموا ان الله خالق الخير وكل
نافع وابليس خالق الشر وكل ضار وخلقهم وخلق الجاعلين لله شركاء ومعناه وعلموا ان الله خالقهم دون
الجن ولم يمنعهم علمهم ان يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن وقرئ وخلقهم اي اختلاقهم للافك
يعني وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله في قولهم والله امرنا بها وخرقوا له وخلقوا له اي افتعلوا
له بنين وبنات وهو قول اهل الكتاب في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة يقال خلق الافك وخرقه
واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل اذا كذب كذبة
في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا
له بنين وبنات وقرئ وخرّقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات وقرأ ابن عباس وابن عمر وحرفوا
له بمعنى وزوروا له اولادا لان المزور محرف مغير للحق الى الباطل بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة
ما قالوه من خطأ او صواب ولكن رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية بديع السموات
من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر اي بديع شعره او هو بديع في السموات والارض
كقولك فلان ثبت الغدر اي ثابت فيه والمعنى انه عديم النظير والمثل فيهما وقيل البديع بمعنى المبدع
وارتفاعه على انه خبر مبتدا محذوف او هو مبتدا وخبره انى يكون له ولد او فاعل تعالى وقرئ بالجر
ردا على قوله وجعلوا لله او على سبحانه وبالنصب على المدح وفيه ابطال الولد من ثلاثة اوجه

الحقيقة انه مبتدع السموات والارض وهي اجرام عظيمة لا يستقيم ان توصف بالولادة لان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا والثاني ان الولادة لا تكون الا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس فلم يصح ان تكون له صاحبة فلم تصح الولادة والثالث انه ما من شيء الا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه المحتاج وقرئ ولم يكن له صاحبة بالياء وانما جاز للفصل كقوله لقد ولد الاخيطل ام سوء ذلكم اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدا وما بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اي ذلكم الجامع لهذه الصفات فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على معنى ان من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال وهو على كل شيء وكيل يعني وهو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الارزاق والآجال رقيب على الاعمال البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظر به تدرك المبصرات والمعنى ان الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال ان يكون مبصرا في ذاته لان الابصار انما تتعلق بما كان في جهة اصلا او تابعا كالاجسام والهيئات وهو يدرك الابصار وهو للطف ادراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك وهو اللطيف يلطف عن ان تدركه الابصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك الابصار ولا تلطف عن ادراكه وهذا من باب اللف قد جاءكم بصائر من ربكم هو وارد على لسان رسول الله صلعم لقوله وما انا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به تبصر اي جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر فمن ابصر الحق وآمن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي واياها ضر بالعمى وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم وليقولوا جوابه محذوف تقديره وليقولوا درست نصرفها ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست اي دارست العلماء ودرست اي قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا وجاز الاضمار لان الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز ان يكون الفعل للآيات وهو لاهلها اي دارس اهل الآيات وحملتها محمدا وهم اهل الكتاب ودرس اي درس محمد ودارسات على هي دارسات اي قديمات او ذات دروس كعيشة راضية فان قلت اي فرق بين اللامين في ليقولوا ولنبينه قلت الفرق بينهما ان الاولى مجاز والثانية حقيقة وذلك ان الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لانه حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه فان قلت الام يرجع الضمير في قوله لنبينه قلت الى الآيات لانها في معنى القرآن كانه قيل وكذلك نصرف القرآن او الى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيدا ويجوز ان يراد فمن قرأ درست ودارست درست الكتاب ودارسته فيرجع الى الكتاب المقدر لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحي لا محل له من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ربك وهي حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا ولا تسبوا الآلهة الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله وذلك انهم قالوا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله وان قيل سب الآلهة حق وطاعة فكيف صح النهي عنه وانما يصح النهي عن المعاصي قلت رب طاعة علم انها تكون مفسدة فتخرج عن ان تكون طاعة فيجب النهي عنها لانها معصية لا لانها طاعة كالنهي عن المنكر وهو من اجل الطاعات فاذا علم انه يؤدي الى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهي عن ذلك النهي كما يجب النهي عن المنكر فان قلت فقد روي عن الحسن وابن سيرين انهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لاجل المعصية لاسرع ذلك في ديننا قلت ليس ذلك مما نحن بصدده لان حضور الرجال الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فانهن يحضرنها حضر الرجال او لم يحضروا بخلاف سب الآلهة وانما خيل الى محمد انه مثله حتى نبه عليه الحسن عدوا ظلما وعدوانا وقرئ عدوا بضم العين وتشديد الواو بمعناه يقال عدا عدوا وعدوانا وعدوا وعداء وعن ابن كثير رحمه عدوا بفتح العين بمعنى اعداء بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به كذلك زينا لكل امة مثل ذلك التزيين زينا لكل امة من امم الكفار سوء عملهم اي خليناهم وشانهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم او امهلنا الشيطان حتى زين لهم او زيناه في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بها وزينه لنا فينبئهم فيخبرهم عليه ويعاتبهم ويعاقبهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها من مقترحاتهم قل انما الآيات عند الله وهو قادر عليها ولكنه لا ينزلها الا على موجب الحكمة او انما الآيات عند الله لا عندي فكيف اجيبكم اليها او آتيكم بها وما يشعركم وما يدريكم ان الآيات التي يقترحونها اذا جاءت لا يؤمنون بها يعني انا اعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وانتم لا تدرون بذلك وذلك ان المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآيات ويتمنون مجيئها فقال عز وجل وما يدريكم انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون ما سبق علمي به من انهم لا يؤمنون الا ترى الى قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة وقيل انها بمعنى لعلها من قول العرب ائت السوق انك تشتري لنا لحما وقال امرؤ القيس عوجا على الطلل المحيل لاننا نبكي الديار كما بكى ابن خذام ويقويها قراءة ابي لعلها اذا جاءتهم لا يؤمنون وقرئ انها بالكسر على ان الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم

ما يكون منهم ثم اخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل لا مزيدة في قراءة الفتح وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءت لا يؤمنون اي يحلفون بانهم يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم ان تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنوا بها ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم وما يشعركم بمعنى وما يشعركم انهم لا يؤمنون وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم اي نطبع على قلوبهم وابصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا اولا لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم وما يشعركم انا نذرهم في طغيانهم اي نخليهم وشانهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه وقرئ ويقلب ويذرهم اي الله عز وجل وقرئ وتقلب افئدتهم وابصارهم على البناء للمفعول

ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة كما قالوا لولا انزل علينا الملائكة وكلمهم الموتى كما قالوا فاتوا بآبائنا وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما قالوا او تأتي بالله والملائكة قبيلا قبلا كفلاء بصحة ما بشرنا به وانذرنا او جماعات وقيل قبلا مقابلة ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله مشيئة اكراه واضطرار ولكن اكثرهم يجهلون فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون الا ان يضطرهم فيطمعون في ايمانهم اذا جاءت الآيات المقترحة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا وكما خلينا بينك وبين اعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبياء واعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر وانتصب شياطين على البدل من عدوا او على انهما مفعولان كقوله وجعلوا لله شركاء الجن يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وعن مالك بن دينار ان شياطين الانس اشد علي من شياطين الجن لاني اذا تعوذت بالله من شياطين الجن ذهب عني وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا زخرف القول ما يزينه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي ويموهه غرورا خدعا واخذا على غرة ولو شاء ربك ما فعلوه ما فعلوا ذلك اي ما عادوك او ما اوحى بعضهم الى بعض زخرف القول بان يكفهم ولا يخليهم وشانهم ولتصغى جوابه محذوف تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا على ان اللام لام الصيرورة وتحقيقها ما ذكر والضمير في اليه يرجع الى ما رجع اليه الضمير في فعلوه اي ولتميل الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه لانفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون من الآثام افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل يا محمد افغير الله اطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وهو الذي انزل اليكم الكتاب المعجز مفصلا مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة على ان القرآن حق بعلم اهل الكتاب بانه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له فلا تكونن من الممترين من باب التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن من المشركين او فلا تكونن في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم وكفرهم به ويجوز ان يكون فلا تكونن خطابا لكل احد على معنى انه اذا تعاضدت الادلة على صحته وصدقه فما ينبغي ان يمتري فيه احد وقيل الخطاب لرسول الله صلعم خطاب لامته وتمت كلمات ربك اي تم كل ما اخبر به وامر ونهى ووعد واوعد صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا من ذلك مما هو اصدق واعدل وصدقا وعدلا نصب على الحال وقرئ كلمة ربك اي ما تكلم به وقيل هي القرآن وان تطع اكثر من في الارض من الناس يضلوك لان الاكثر في غالب الامر يتبعون اهواءهم ثم قال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم وان هم الا يخرصون يقدرون انهم على شيء او يكذبون في ان الله حرم كذا واحل كذا وقرئ من يضل بضم الياء اي يضله الله فكلوا مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحلون الحرام وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله احق ان تاكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم او مات حتف انفه وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى ببسم الله وما لكم الا تاكلوا واي غرض لكم في ان لا تاكلوا وقد فصل لكم وقد بين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم وهو قوله حرمت عليكم الميتة وقرئ فصل لكم ما حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو الله عز وجل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه حلال لكم في حال الضرورة وان كثيرا ليضلون قرئ بفتح الياء وضمها اي يضلون فيحرمون ويحللون باهوائهم وشهواتهم بغير تعلق بشريعة وذروا ظاهر الاثم وباطنه اي ما اعلنتم منه وما اسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهره الزنا في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر وانه لفسق الضمير راجع الى المصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي يعني وان الاكل منه لفسق او الى الموصول على وان اكله لفسق او جعل ما لم يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقا فان قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين الى جواز اكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان او عمد قلت قد تاولوه بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه كقوله او فسقا اهل لغير الله به ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم بقولهم ولا تاكلوا مما قتله الله وبهذا يرجح تاويل من تاوله بالميتة انكم لمشركون لان من اتبع غير الله في دينه فقد اشرك به ومن حق ذي البصيرة في دينه ان لا ياكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيف ما كان لما يرى في الآية من التشديد العظيم وان كان ابو حنيفة مرخصا في النسيان دون العمد وكذلك الشافعي في العمد مثل الذي هداه الله بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين المحق والمبطل والمهتدي والضال بمن كان ميتا فاحياه الله عز وجل وجعل له نورا يمشي به في الناس

مشتملين بهم يحيط به بعضهم ويتصرفين خلالهم ومن بقي على الضلالة كالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص ومعنى قوله كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كمن صفته هذه وهي قوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار اي صفتها وهو قوله فيها انهار كذلك زين للكافرين اي زينه الشيطان او الله عز وجل على قوله زينا لهم اعمالهم ويدل عليه قوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها ومعناه خليناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر وخص الاكابر لانهم اقدر على استتباع الناس والمكر بهم اكابر مجرميها على قولك هم اكابر قومهم وما يمكرون الا بانفسهم لان مكرهم يحيق بهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدمة موعد بالنصرة عليهم وروي ان الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وروي ان ابا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت ونحوها قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة الله اعلم كلام مستانف للانكار عليهم وان الله لا يصطفي للنبوة الا من يعلم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم سيصيب الذين اجرموا من اكابرها صغار ذل وهوان عند الله وعذاب شديد في الدارين من الاسر والقتل وعذاب النار فمن يرد الله ان يهديه اي يلطف به ولا يريد ان يلطف الا بمن له لطف يشرح صدره للاسلام حتى يرغب في الاسلام وتسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد ان يضله ان يخذله ويخليه وشانه وهو الذي لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه الطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف والتشديد حرجا بالكسر وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة وتضيق عنه المقدرة وقرئ يصّعّد واصله يتصعد وقرأ عبد الله يتصعد ويصّاعد واصله يتصاعد ويصعد من اصعد كذلك يجعل الله الرجس الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيب او اراد الفعل المؤدي الى الرجس وهو العذاب وهو من الارتجاس وهو الاضطراب وهذا صراط ربك وهذا طريقه الذي اقتضته الحكمة وعادته في التوفيق والخذلان مستقيما عادلا مطردا وانتصابه على انه حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا لقوم يذكرون لهم دار السلام دار الله يعني الجنة واضافها الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من كل آفة وكدر عند ربهم في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى او ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها كقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وهو وليهم مواليهم ومحبهم او ناصرهم على اعدائهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون ويوم يحشرهم منصوب بمحذوف اي واذكر يوم نحشرهم او ويوم نحشرهم قلنا يا معشر الجن او ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير لمن يحشر من الثقلين وغيرهم والجن هم الشياطين قد استكثرتم من الانس اضللتم منهم كثيرا وجعلتموهم اتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الامير من الجنود واستكثر فلان من الاشياع وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم واستمعوا الى وسوستهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى اسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث اطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم في اغوائهم وقيل استمتاع الانس بالجن ما في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وان الرجل كان اذا نزل واديا وخاف قال اعوذ برب هذا الوادي يعني به كبير الجن واستمتاع الجن بالانس اعتراف الانس لهم بانهم يقدرون على الدفع عنهم واجارتهم لهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم خالدين فيها الا ما شاء الله اي يخلدون في عذاب النار الابد كله الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار الى الزمهرير فقد روي انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم او يكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه انيابه وقد طلب اليه ان ينفس عن خناقه اهلكني الله ان نفست عنك الا اذا شئت وقد علم انه لا يشاء الا التشفي منه باقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد فيكون قوله الا اذا شئت من اشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه اطماع ان ربك حكيم لا يفعل شيئا الا بموجب الحكمة عليم بانهم يستوجبون عذاب الابد نولي بعض الظالمين بعضا نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الانس او نجعل بعضهم اولياء بعض يوم القيامة وقرناءهم كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ الم ياتكم رسل منكم واختلف في ان الجن هل بعث اليهم رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر الآية ولم يفرق بين مكلفين ومكلفين ان يبعث اليهم رسول من جنسهم لانهم به آنس وله آلف وقال الآخرون الرسل من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلين في الخطاب صح ذلك وان كان من احدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقيل اراد رسل الرسل من الجن اليهم

كقوله

كقوله ولوا الى قومهم منذرين وعن الكلبي كانت الرسل قبل ان بعث محمد يبعثون الى الانس ورسول الله صلى الله عليه وسلم الى الانس والجن قالوا شهدنا على انفسنا حكاية لتصديقهم وايجابهم قوله الم ياتكم لان الهمزة الداخلة على نفي اتيان الرسل للانكار فكان تقريرا لهم وقولهم شهدنا على انفسنا اقرار منهم بان حجة الله لازمة لهم وانهم محجوجون بها مالهم مغترين وهذه الآية جاحدين في قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت تتفاوت الاحوال والمواطن في ذلك اليوم المتطاول فيقرون في بعضها ويجحدون في البعض او اريد شهادة ايديهم وارجلهم وجلودهم حين يختم على افواههم لم كرر ذكر شهادتهم على انفسهم قلت الاولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون والثانية ذم لهم وتخطئة لرايهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحياة الدنيا واللذات الحاضرة وكانت عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه وانما قال ذلك تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى تعليل اي الامر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على ان ان هي التي تنصب الافعال ويجوز ان تكون مخففة من الثقيلة على معنى لان الشان والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ولك ان تجعله بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع بظلم بسبب ظلم اقدموا عليه او ظالما على انه لو اهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظالما وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح ولكل من المكلفين درجات منازل مما عملوا من جزاء اعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون بساه عنه يخفى عليه مقاديره واحواله وما يستحق عليه من الاجر وربك الغني عن عباده وعبادتهم ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة ان يشا يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق المطيع كما انشاكم من ذرية قوم آخرين من اولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم او اعملوا على جهتكم وحالكم التي انتم عليها يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حاله على مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه اني عامل اي عامل على مكانتي التي انا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة وطريقة هذا الامر طريقة قوله اعملوا ما شئتم وهي التخلية والتسجيل على المامور بانه لا ياتي منه الا الشر فكانه كان مامور به عنه علو انفعل العجز او النصب اذا كان بمعنى الذي وعاقبة الدار العاقبة الحسنى التي خلق الله هذه الدار لها وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف في المقال وادب حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بان المنذر محق وان المنذر مبطل كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج لله واشياء منها لآلهتهم فاذا راوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه لآلهتهم واذا زكا ما جعلوه للاصنام تركوه لآلهتهم واعتلوا بان الله غني وانما ذلك لحبهم لآلهتهم وايثارهم لها وقوله مما ذرا فيه ان الله كان اولى بان يجعل له الزاكي لانه هو الذي ذراه وزكاه ولا يرد الى ما لا يقدر على تزكيته وذرا بزعمهم وقرئ بالضم اي بدعواهم انه لله والله لم يامرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك لانهم اشركوا بين الله وبين اصنامهم في القربة فلا يصل الى الله اي لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين فهو يصل الى شركائهم من انفاق عليها بذبح النسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون في ايثار آلهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع لهم وكذلك ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله والآلهة او ومثل ذلك التزيين البليغ الذي علم من الشياطين والمعنى ان شركاءهم من الشياطين او من سدنة الاصنام زينوا لهم قتل اولادهم بالواد او بنحرهم للآلهة وكان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وقرئ زين على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم ونصب قتل اولادهم وقرئ زين على البناء للمفعول الذي هو القتل ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين كانه لما قيل زين لهم قتل اولادهم قيل من زينه فقيل زينه لهم شركاؤهم واما قراءة ابن عامر قتل اولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا كما سمج ورد زج القلوص ابي مزاده فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته والذي حمله على ذلك ان راى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء ولو قرئ بجر الاولاد والشركاء لان الاولاد شركاؤهم في اموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل حتى زلوا عنه الى الشرك وقيل دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه وقيل معناه وليوقعوهم في دين ملتبس فان قلت ما معنى اللام قلت ان كان التزيين من الشياطين فهي على حقيقة التعليل وان كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة ولو شاء الله مشيئة قسر ما فعلوه لما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او لما فعل الشياطين او السدنة التزيين او الارداء او اللبس او جميع ذلك ان جعلت الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة وما يفترون وما يفترونه من الافك او وافتراءهم حجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وقرئ الحسن وقتادة حُجْر بضم الحاء وعن ابن عباس حِرج وهو من التضييق وكانوا اذا عينوا اشياء من حرثهم

وانعامهم لالهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النسا **وانعام** حرمت
ظهورها وهي البحاير والسوايب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون
عليها اسما الاصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى انهم قسموا انعامهم وقالوا
هذه انعام حجر وانعام محرمة الظهور وهذه انعام لا يذكرون عليها اسم الله فجعلوها اجناسا
بهواهم ونسبوا ذلك التجنيس الى الله افترا عليه اي فعلوا ذلك كله على جهة الافترا وانتصابه
على انه مفعول له او حال او مصدر مؤكد لان قولهم ذلك في معنى الافترا كانوا يقولون في اجنة
البحاير والسوايب ما ولدتها حيا فهو خالص للذكور ولا تاكل منه الاناث وما ولد ميتا اشترك فيه
الذكور والاناث وانث خالصة للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكر محرم للحمل على اللفظ
ونظيره ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك ويجوز ان تكون التا للمبالغة مثلها في راوية
الشعر وان يكون مصدرا وقع موقع الخالص كالعافية اي ذو خالصة وتدل عليه قراة من قرا
خالصة بالنصب على ان قوله لذكورنا هو الخبر وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز ان يكون حالا لتقدمه
لان المجرور لا تتقدم عليه حاله وقرا ابن عباس خالصه على الاضافة وفي مصحف عبد الله
خالص **وان يكن ميتة** وان يكن ما في بطونها ميتة وقرى وان تكن بالتانيث على وان تكن الاجنة ميتة وقرى
اهل مكة وان تكن ميتة على التانيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير في قوله فهم فيه شركا لان الميتة
لكل ميت ذكرا وانثى فكانه قيل وان يكن ميت فهم فيه شركا **سيجزيهم وصفهم** اي جزا وصفهم الكذب على الله
في التحليل والتحريم من قوله وتصف السنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام نزلت في ربيعة ومضر والعرب
الذين كانوا يدفنون بناتهم مخافة السبي والفقر **سفها** بغير علم لخفة احلامهم وجهلهم بان الله هو رازق
اولادهم لا هم وقرى قتّلوا بالتشديد ما رزقهم الله من البحاير والسوايب وغيرها انشا جنات من
الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات على وجه الارض لم تعرش وقيل المعروشات ما في
الارياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات ما انبته الله وحشيا في
البراري والجبال فهو غير معروش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعايم وسمكا تعطف عليه القضبان
وسقفت البيت عرشته **مختلفا** اكله في اللون والطعم والحجم والرايحة وقرى اكله بالضم والسكون وهو
الذي يوكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن ثم
لا نشاة كذلك كقوله تعالى فادخلوها خالدين وقرى ثمره بضمتين فان قلت فايدة قوله اذا اثمر وقد
علم انه اذا لم يثمر لم يوكل منه قلت لما ابيح لهم الاكل من ثمره قيل اذا اثمر ليعلم ان اول وقت
اباحته وقت اطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك واينع وان قلت هلا
قيل من ثمره وينعه قلت في هذا الاسلوب وهو ان الينع وقع به معطوفا على الثمر على سنن الاختصاص
في نحو قوله ميكال بعد جبريل دلالة على ان الينع اولى من الغض **وآتوا حقه** يوم حصاده الاية مكية والزكوة
انما فرضت في المدينة فاريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه
افتراض العشر ونصف العشر وقيل مدنية والحق هو الزكوة المفروضة ومعناه واعزموا على ايتا
الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا تاخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتا ولا تسرفوا في الصدقة
كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسماية نخلة ففرق ثمرها كله لم يدخل منها شيئا الى منزله ولا تبسطها كل البسط
فتقعد ملوما محسورا **حمولة وفرشا** عطف على جنات اي وانشا من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح
او ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان
والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش المفروش عليها ولا تتبعوا خطوات
الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية **ثمانية** ازواج بدل من حمولة وفرشا
اثنين زوجين اثنين يريد الذكر والانثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز
والواحد اذا كان وحده فهو فرد واذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان
بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والانثى والدليل عليه قوله ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من الضان
اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط ان يكون معه
اخر من جنسه تسميتهم الزجاجة كاسا بشرط ان يكون فيها خمر والضان والمعز جمع ضاين
وماعز كتاجر وتجر وقريا بفتح العين وقرى ابي ومن المعزى وقرى اثنان على الابتدا والهمزة في الذكرين
للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضان والذكر من المعز وبالانثيين الانثى من الضان والانثى من المعز
على طريق الجنسية والمعنى انكار ان يحرم الله من الغنم ضانها وماعزها شيئا من نوعي ذكورها واناثها ولا
مما تحمل اناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسي الابل والبقر والانثيان منهما وما تحمل اناثهما وذلك انهم
كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف ما كانت ذكورا او اناثا او مختلطة
تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فانكر عليهم **نبئوني بعلم** اخبروني بامر معلوم من جهة الله يدل
على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين في ان الله حرمه ام كنتم شهدا بل اكنتم شهدا ومعنى الهمزة الانكار
يعني ام شاهدتم ربكم حين امركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم لانهم كانوا لا يؤمنون
برسول وهم يقولون الله حرم هذا الذي تحرمه فتهكم بهم في قوله ام كنتم شهدا على معنى اعرفتم التوصية

به شيئا هدين لانكروا او يوتون بالرسل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم [illegible]
وهو عمرو بن لحي بن قمعة الذي بحر البحاير وسيب السوايب ليضل الناس بغير علم [illegible]
[illegible]
قل لا اجد فيما اوحي الي [illegible]
[illegible] او دما مسفوحا اي مصبوبا [illegible]
[illegible] او فسقا عطف على المنصوب [illegible]
[illegible] فمن اضطر غير باغ [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ذلك تحريم الطيبات [illegible]
[illegible]
[illegible]
وارتباطها في قولهم حالتي او من شيرين ذلك الجزا جزيناهم وهو تحريم الطيبات ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون
فيما اوعدنا به العصاة لا نخلفه كما لا نخلف ما وعدنا اهل الطاعة فلما عصوا وبغوا الحقناهم الوعيد واحللنا
بهم العقاب فان كذبوك في ذلك وزعموا ان الله واسع الرحمة وانه لا يواخذ بالبغي ويخلف الوعيد جودا وكرما
فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لاهل طاعته ولا يرد باسه مع سعة رحمته عن القوم المجرمين فلا يغتروا برجا رحمته
عن خوف نقمته سيقول الذين اشركوا اخبار لما سوف يقولونه ولما قالوا قال وقال الذين اشركوا لو شا الله
ما عبدنا من دونه من شي يعنون بكفرهم وتمردهم ان شركهم وشرك ابايهم وتحريمهم ما احل الله بمشيته الله وارادته
ولولا مشيته وارادته لم يكن شي من ذلك كمذهب المجبرة بعينه كذلك كذب الذين من قبلهم اي جاوا بالتكذيب المطلق
لان الله عز وجل ركب في العقول وانزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشيته القبايح وارادتها والرسل
اخبروا بذلك فمن علق وجود القبايح من الكفر والمعاصي بمشية الله وارادته فقد كذب التكذيب كله وهو
تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ ادلة العقل والسمع وراء ظهره حتى ذاقوا باسنا حتى انزلنا عليهم
العذاب بتكذيبهم **قل هل عندكم** من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم فتخرجوه لنا وهذا من
التهكم والشهادة بان مثل قولهم محال ان تكون له حجة ان تتبعون الا الظن في قولكم هذا وان انتم
الا تخرصون تقدرون ان الامر كما تزعمون او تكذبون وحرك كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف **قل فلله**
الحجة البالغة يعني فان كان الامر كما زعمتم ان ما انتم عليه بمشية الله فلله الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم
فلو شا لهداكم اجمعين منكم ومن مخالفيكم في الدين فان تعليقكم دينكم بمشية الله يقتضي ان تعلقوا دين
من يخالفكم ايضا بمشيته فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لان المشية تجمع بين ما انتم
عليه وبين ما هم عليه هلم يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث عند الحجازيين وبنو تميم تونث
وتجمع والمعنى هاتوا [illegible] شهداكم وقربوهم فان قلت كيف امرهم
باستحضار شهدايهم الذين يشهدون ان الله حرم ما زعموه محرما ثم امره بان لا يشهد معهم قلت امره
باستحضارهم وهم شهدا بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهدا
انهم ليسوا على شي لتساوي اقدام الشاهدين والمشهود لهم في انهم لا يرجعون الا الى ما لا يصح التمسك به وقوله
تعالى فلا تشهد معهم يعني فلا تشهد معهم ولا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لانه اذا
سلم لهم فكانه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم ولا تتبع اهوا الذين كذبوا باياتنا من وضع
الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان من كذب بايات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوا لا غير
لانه لو تبع الدليل لم يكن الا مصدقا بالايات موحدا لله فان قلت هلا قيل هلم شهدا يشهدون
ان الله حرم هذا واي فرق بينه وبين المنزل قلت المراد ان يحضروا شهداهم الذين علم انهم يشهدون
لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم
ليهدم ما يثقون به بحق الحق ويبطل الباطل فاضيفت الشهدا لذلك وجي بالذين للدلالة
على انهم شهدا معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذاهبهم والدليل عليه قوله فان شهدوا
فلا تشهد معهم ولو قيل هلم شهدا يشهدون لكان معناه هاتوا اناسا يشهدون بتحريم ذلك فكان
الظاهر طلب شهدا بالحق وذلك يلتبس بالغرض ويناقضه قوله فان شهدوا فلا تشهد معهم تعالى

من الخاص الذي حرم ربعانا واصله ان يتوله من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم
وما حرم منصوب بفعل التلاوة بمعنى اتل الذي حرمه ربكم او بحرم بمعنى اتل اي شيء حرم
ربكم لان التلاوة من القول وان في ان لا تشركوا مفسرة ولا للنهي فان قلت هلا قلت هي التي تنصب الفعل
وجعلت ان لا تشركوا بدلا مما حرم قلت وجب ان يكون لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل
نواهي لانعطاف الاوامر عليها وهي قوله وبالوالدين احسانا لان التقدير واحسنوا بالوالدين احسانا
واوفوا واذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله اوفوا فان قلت فما تصنع بقوله وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه فيمن قرأ بالفتح وانما يستقيم عطفه على ان لا تشركوا اذا جعلت ان هي الناصبة للفعل
حتى يكون المعنى اتل عليكم نفي الاشراك والتوحيد واتل عليكم ان هذا صراطي مستقيما قلت اجعل
قوله وان هذا صراطي مستقيما علة للاتباع بتقدير اللام كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع
الله احدا بمعنى ولان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه والدليل عليه القراءة بالكسر
كانه قيل واتبعوا صراطي لانه مستقيم او واتبعوا صراطي انه مستقيم فان قلت اذا جعلت ان مفسرة
لفعل التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم وجب ان يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله كالشرك وما
بعده مما دخل عليه حرف النهي فما تصنع بالاوامر قلت لما وردت هذه الاوامر مع النواهي وتقدمهن
جميعا فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه علم ان التحريم راجع الى اضدادها وهي الاساءة
الى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله املاق من اجل
فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق ما ظهر منها وما بطن مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه الا
بالحق كالقصاص والقتل على الردة والرجم الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما يفعل
بمال اليتيم وهو حفظه وتثميره والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ اشده فادفعوه اليه بالقسط
بالسوية والعدل لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا تعجز عنه وانما اتبع الامر
بايفاء الكيل والميزان ذلك لان مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان
مما يجري فيه الحرج فامر ببلوغ الوسع وان ما وراءه معفو عنه ولو كان ذا قربى ولو كان
المقول له او عليه في شهادة او غيرها من اهل قرابة القائل فما ينبغي ان يزيد في القول او ينقص كقوله
ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين وقرئ وان هذا صراطي بتخفيف ان واصله وانه هذا صراطي على ان
الهاء ضمير الشان والحديث وقرأ الاعمش وهذا صراطي وفي مصحف عبد الله وهذا صراط ربكم
وفي مصحف ابي وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية
والمجوسية وسائر البدع والضلالات فتفرق بكم فتفرقكم ايادي سبا عن سبيله عن صراط الله المستقيم
وهو دين الاسلام وقرئ فتفرق بادغام التاء وروى ابو وائل عن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل
سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الاية وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وعن ابن عباس
رضي الله عنه هذه الايات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل انهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة
ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه الايات لاول شيء في التوراة
فان قلت علام عطف قوله ثم اتينا موسى الكتاب قلت على وصاكم به فان قلت كيف صح عطفه عليه بثم
والايتاء قبل التوصية بدهر طويل قلت هذه التوصية قديمة لم تزل توصاها كل امة على لسان نبيها
كما قال ابن عباس محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب فكانه قيل ذلكم وصاكم به يا بني ادم قديما وحديثا
ثم اعظم من ذلك انا اتينا موسى الكتاب وانزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم
قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب تماما على الذي احسن تماما للكرامة والنعمة على الذي
احسن على من كان صالحا يريد جنس المحسنين وتدل عليه قراءة عبد الله على الذين احسنوا او اراد به
موسى علما من العلم والشرائع من احسن الشيء اذا اجاد معرفته اي زيادة على علمه على وجه التتميم
وقرأ يحيى بن يعمر على الذي احسن اي على الذي هو احسن بحذف المبتدأ كقراءة من قرأ مثلا ما بعوضة بالرفع اي على
الدين الذي هو احسن دين وارضاه او اتينا موسى الكتاب تماما اي تاما كاملا على احسن ما تكون عليه
الكتب اي على الوجه والطريق الذي هو احسن وهو معنى قول الكلبي اتم له الكتاب على احسنه ان تقولوا
كراهة ان تقولوا على طائفتين يريد اهل التوراة واهل الانجيل وان كنا هي المخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا عن دراستهم لغافلين على ان الهاء ضمير الشان
عن دراستهم عن قراءتهم اي لم نعرف مثل دراستهم لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا
وغزارة حفظنا لايام العرب ووقائعها وخطبها واشعارها واسجاعها وامثالها على انا اميون
وقرئ ان يقولوا او يقولوا بالياء فقد جاءكم بينة من ربكم تبكيت لهم وهو على قراءة من قرأ يقولوا على لفظ
الغيبة احسن لما فيه من الالتفات والمعنى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم فقد جاءكم بينة
من ربكم فحذف الشرط وهو من احاسن الحذوف فمن اظلم ممن كذب بايات الله بعدما عرف صحتها وصدقها
او تمكن من معرفة ذلك وصدف عنها الناس فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب
كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب الملائكة ملك

او العذاب او ياتي ربك او ياتي كل ايات ربك بدليل قوله او ياتي بعض ايات ربك يريد ايات القيامة والهلاك
الكلي وبعض الايات اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك وعن البراء بن عازب كنا نتذاكر
الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة فقال انها لا تقوم
حتى تروا قبلها عشر ايات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بجزيرة العرب والدجال
وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن لم تكن امنت من قبل صفة
لقوله نفسا وقوله او كسبت في ايمانها خيرا عطف على امنت والمعنى ان اشراط الساعة اذا جاءت وهي
ايات ملجئة مضطرة ذهب اوان التكليف عندها فلم ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها من
قبل ظهور الايات او مقدمة ايمانها غير كاسبة خيرا في ايمانها فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة اذا
امنت في غير وقت الايمان وبين النفس التي امنت في وقته ولم تكسب خيرا في ايمانها لتعلم ان قوله
الذين امنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغي ان تنفك احداهما عن الاخرى حتى يفوز صاحبهما
ويسعد والا فالشقوة والهلاك قل انتظروا انا منتظرون وعيد وقرئ ان تاتيهم الملائكة بالياء والتاء وقرأ ابن سيرين
لا تنفع بالتاء لكون الايمان مضافا الى ضمير المؤنث الذي هو بعضه كقولك ذهبت بعض اصابعه فرقوا دينهم
اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في
الهاوية الا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة
وتفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقيل فرقوا دينهم فامنوا ببعض وكفروا
ببعض وقرئ فارقوا دينهم اي تركوه وكانوا شيعا فرقا كل فرقة تشيع اماما لها لست منهم في شيء اي من
السؤال عنهم وعن تفرقهم وقيل من عقابهم وقيل هي منسوخة باية السيف عشر امثالها على اقامة صفة الجنس
المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات امثالها وقرئ عشر امثالها برفعهما جميعا على الوصف وهذا
اقل ما وعد من الاضعاف وقد وعد بالواحد سبعمائة ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات
فضل ومكافاة السيئات عدل وهم لا يظلمون لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم دينا على البدل من محل
الى صراط لان معناه هداني صراطا بدليل قوله ويهديكم صراطا مستقيما والقيم فيعل من قام كسيد من ساد
وهو ابلغ من قائم وقرئ قيما والقيم مصدر بمعنى القيام وصف به وملة ابراهيم عطف بيان وحنيفا حال
من ابراهيم ان صلاتي ونسكي عبادتي وتقربي كله وقيل وذبحي وجمع بين الصلاة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر
وقيل صلاتي وحجي من مناسك الحج ومحياي ومماتي وما اتيه في حياتي واموت عليه من الايمان والعمل الصالح لله
رب العالمين خالصة لوجهه وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام
امته اغير الله ابغي ربا جواب عن دعائهم له الى عبادة الهتهم والهمزة للانكار اي منكر ان ابغي ربا غيره وهو
رب كل شيء فكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما قال افغير الله اعبد ولا تكسب كل نفس
الا عليها جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم جعلكم خلائف الارض لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين
خلفت امته سائر الامم او جعلهم يخلف بعضهم بعضا او هم خلفاء الله في ارضه يملكونها ويتصرفون فيها ورفع
بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والرزق ليبلوكم فيما اتاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة
وتصنع الشريف بالوضيع والحر بالعبد والغني بالفقير ان ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته وانه لغفور رحيم
لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو ات قريب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة
الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه اولئك
السبعون الف ملك بعدد كل اية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية غير ثمان ايات

واسالهم عن القرية الى واذ نتقنا الجبل وهي مائتان وست ايات

بسم الله الرحمن الرحيم المص كتاب خبر مبتدا محذوف اي هو كتاب وانزل اليك صفة له
والمراد بالكتاب السورة فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك منه كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك وسمي الشك
حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه اي لا تشك في انه منزل من الله
او حرج منه تبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه واذاهم فكان يضيق صدره من الاداء
ولا ينبسط له فامنه الله ونهاه عن المبالاة بهم فان قلت بم تعلق قوله لتنذر قلت بانزل اي انزل اليك
لانذارك به او بالنهي لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذلك اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار
لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته فان قلت فما محل ذكرى قلت يحتمل الحركات الثلاث
النصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا لان الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع عطفا
على كتاب او بانه خبر مبتدأ محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر اي للانذار وللذكرى فان قلت النهي في
قوله فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه قلت هو من قولهم لا ارينك ههنا اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم
من القرآن والسنة ولا تتبعوا من دونه من دون الله اولياء اي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس
فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويضلوكم عن دين الله وما انزل عليكم وامركم باتباعه
وعن الحسن يا ابن ادم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد والله ما انزلت اية الا ... من الابتغاء ومن
يبتغ غير الاسلام دينا ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما انزل علي ولا تتبعوا من

اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه من دون الله اوليا قليلا ما تذكرون حيث تتركون
دين الله وتتبعون غيره . وقرى تذكرون بحذف التا ويتذكرون بالياء وقليلا نصب بتذكرون اى تذكرون
تذكرا قليلا وما مزيده لتوكيد القله وكم من قرية اهلكناها فجاها باسنا بياتا مصدر واقع موقع الحال بمعنى بايتين بيانا
يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة او هم قايلون حال معطوفه على بياتا كانه قيل فجاهم باسنا بايتين او قايلين
فان قلت لا بد من تقدير حذف المضاف الذى هو الاهل قبل قرية وقبل الضمير فى اهلكناها قلت انما يقدر المضاف للحاجة
ولا حاجة فان القرية تهلك كما يهلك اهلها وانما قدرناه قبل الضمير فى فجاها لقوله او هم قايلون فان قلت لا يقال
جاءني زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله هم قايلون قلت قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج
وقال لو قلت جاءني زيد راجلا او هو فارس لم يحتج الى واو لان الذكر قد عاد الى الاول
والصحيح انها اذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي عطف لان واو الحال هي واو
العطف استعيرت للوصل فقولك جاءني زيد راجلا او هو فارس كلام فصيح وارد على حده واما جاءني
زيد هو فارس فخبيث فان قلت فما معنى قوله اهلكناها فجاها باسنا والاهلاك انما هو بعد مجي الباس
قلت معناه اردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلوة وانما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت
القيلوله لانهما وقتا الغفله والدعه فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافظع وقوم لوط اهلكوا بالليل
وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلوله فما كان دعواهم ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم
الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم انا كنا ظالمين فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم الا قولهم هذا لانه
لا مستغاث من الله بغيره من قولهم دعواهم يا لكعب ويجوز فما كان دعواهم ربهم الا اعترافهم
لعلمهم ان الدعا لا ينفعهم وانه لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم انفسهم وتحسرهم على ما كان منهم و
دعواهم نصب خبر لكان وان قالوا رفع اسمه ويجوز العكس فلنسالن الذين ارسل اليهم ارسل مسند الى
الجار والمجرور وهو اليهم ومعناه فلنسالن المرسل اليهم وهم الامم نسالهم عما اجابوا به رسلهم ولنسالن
ولنسالن المرسلين عما اجيبوا به كقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول
ماذا اجبتم فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم الباطنه والظاهره واقوالهم
وافعالهم وما كنا غايبين عنهم وعما وجد منهم فان قلت فاذا كان عالما وكان يقصه عليهم فما معنى سوالهم
قلت معناه التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا به بالسنتهم وشهد عليهم انبياوهم والوزن يوميذ
الحق يعني وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على الابتدا وخبره يوميذ والحق صفته اى والوزن
يوم يسال الله الامم ورسلهم الوزن الحق اى العدل وقرى القسط واختلف فى كيفية الوزن فقيل توزن
صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان تنظر اليه الخلايق تاكيدا للحجة واظهارا للنصفة وقطعا
للمعذرة كما يسالهم عن اعمالهم فيعترفون بها بالسنتهم وتشهد عليهم بها ايديهم وارجلهم وجلودهم
وتشهد عليهم الانبيا والملايكة والاشهاد وكما يثبت فى صحايفهم فيقرونها فى موقف الحساب وقيل هي
عباره عن القضا السوي والحكم العادل فمن ثقلت موازينه جمع ميزان او موزون اى فمن رجحت
اعماله الموزونه التي لها وزن وقدر وهي الحسنات او ما توزن به حسناتهم وعن الحسن وحق
لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيات ان يخف بما كانوا بايتنا يظلمون يكذبون
بها كقوله فظلموا بها ولقد مكناكم فى الارض جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او مكناكم فيها واقدرناكم
على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشه وهي ما يتعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها
او ما يتوصل به الى ذلك والوجه تصريح اليا وعن ابن عامر انه همز على التشبيه بصحايف ولقد خلقناكم
ثم صورناكم يعني خلقنا اباكم ادم طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك الا ترى الى قوله ثم قلنا
للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لادم قال ما منعك الا تسجد صلة بدليل قوله ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم اهل الكتاب بمعنى ليعلم فان قلت ما فايدة زيادتها قلت توكيد معنى الفعل
الذي تدخل عليه وتحقيقه كانه قيل ليتحقق علم اهل الكتاب وما منعك ان تحقق السجود وتلزمه نفسك اذ
امرتك لان امري لك بالسجود اوجبه عليك ايجابا وحتمه عليك حتما لا بد لك منه فان قلت لم سالة عن
المانع من السجود وقد علم ما منعه قلت للتوبيخ وللاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله
وازدرايه باصل ادم وانه خالف امر ربه معتقدا انه غير واجب عليه لما راى ان سجود الفاضل
للمفضول خارج عن الصواب فان قلت كيف يكون قوله انا خير منه جوابا لما منعك وانما الجواب ان
يقول منعني كذا قلت قد استانف قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على ادم وبعلة فضله عليه وهو
اصله من نار واصل ادم من طين فعلم منها الجواب وزيادة عليه وهو انكار الامر واستبعاد ان يكون
مثله مامورا بالسجود لمثله كانه يقول من كان على مثل هذه الصفة كان مستبعدا ان يومر بما امر به
قال فاهبط منها من السما التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملايكة الى الارض التي هي مقر العاصين
المتكبرين من الثقلين فما يكون لك فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من الصاغرين من اهل الصغار
والهوان على الله وعلى اوليايه لتكبرك كما تقول للرجل قم صاغرا اذا اهنته وفي ضده قم راشدا وذلك انه
لما اظهر الاستكبار البس الصغار وعن عمر رض من تواضع لله رفع الله حكمته اى كلمته وقال

استعني لتعتك الله وبين تكبرك وعد اطوعه وهضته الى الارض فان قلت لم اجيب الى الاستنظار وانما
استنظر ليفسد عباده ويغويهم قلت لما فى ذلك من الابتلا للعباد وفى مخالفته من اعظم الثواب
وحكمه حكم ما خلق فى الدنيا من صنوف الزخارف وانواع الملاذ والملاهي وما ركب فى الانفس من الشهوات
ليمتحن بها عباده قال فبما اغويتني فبسبب اغوايك اياي والاغوا وهو تكليفه اياه ما وقع به فى الغي ولم يثبت
كما ثبتت الملايكة مع كونهم افضل منه ومن ادم انفسا ومناصب وعن الاصم امرتني بالسجود فحملني الانف
على معصيتك والمعنى فبسبب وقوعي فى الغي لاجتهدن فى اغوايهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم فان قلت
بما تعلقت الباء فان تعلقها بلاقعدن يصد عنه لام القسم لا تقول والله بزيد لامرن قلت تعلقت بفعل القسم المحذوف
تقديره فبما اغويتني اقسم بالله لاقعدن اى فبسبب اغوايك اقسم ويجوز ان تكون الباء للقسم اى فاقسم
باغوايك لاقعدن وانما اقسم بالاغوا لانه كان تكليفا والتكليف من احسن افعال الله تعالى لكونه
تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بان يقسم به ومن تكاذيب المجبرة ما حكوا عن طاوس
انه كان فى المسجد الحرام فجا رجل من كبار الفقها يرمى بالقدر فجلس اليه فقال له طاوس تقوم او تقام فقام
الرجل فقيل له اتقول هذا لرجل فقيه فقال ابليس افقه منه قال رب بما اغويتني وهذا يقول انا اغوي
نفسي وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم على اضافة القبايح الى الله سبحانه ان لفقوا الاكاذيب على الرسول
وعلى الصحابه والتابعين وقيل ما للاستفهام كانه قيل باي شي اغويتني ثم ابتدا لاقعدن واثبات الالف
اذا ادخل حرف الجر على ما الاستفهاميه قليل شاذ واصل الغي الفساد ومنه غوي الفصيل اذا بشم والبشم
لفساد لاقعدن لهم صراطك المستقيم لاعترضن لهم على طريق الاسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على
السابله وانتصابه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وشبهه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر
والبطن اى على الظهر والبطن وعن رسول الله صلعم ان الشيطان قعد لابن ادم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام
فقال له تدع دين ابايك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امراتك
فعصاه فقاتل ثم لاتينهم من الجهات الاربع التي ياتي منها العدو فى الغالب وهذا مثل لوسوسته اليهم
وتسويله ما امكنه وقدر عليه كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك
فان قلت كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتدا وعن ايمانهم وعن شمايلهم بحرف المجاوزة قلت
المفعول فيه عدي اليه الفعل نحو تعديته الى المفعول به فكما اختلفت حروف التعديه فى ذلك اختلفت
فى هذا وكانت لغة توخذ ولا تقاس وانما يفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه
وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه
ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل فى المتجافي
وغيره كما ذكرنا فى تعال ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم
يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدي الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه
بمعنى فى لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع فى بعض الجهتين كما تقول جيته من الليل
تريد بعض الليل وعن شقيق ما من صباح الا قعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي
وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرا واني لغفار لمن تاب وامن وعمل
صالحا واما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرا وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها واما
من قبل يميني فياتيني من قبل الثنا فاقرا والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فياتيني من قبل الشهوات
فاقرا وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولا تجد اكثرهم شاكرين قاله تظنيا بدليل قوله ولقد صدق عليهم ابليس
ظنه وقيل سمعه من الملايكة باخبار الله لهم قال اخرج منها مذؤوما من ذامه اذا ذمه وقرى الزهري مذوما بالتخفيف
مثل مسول والمسول مدحورا لمن تبعك منهم اللام فى لمن تبعك موطية للقسم ولاملان جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط
منكم منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما فى قوله انكم قوم تجهلون وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك
بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملان جهنم منكم اجمعين على ان لاملان فى محل
الابتدا ولمن تبعك خبره ويا ادم وقلنا يا ادم وقرى هذي الشجرة والاصل اليا والها بدل منها
فوسوس لهما وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره ومنه وسوس الحلي وهو فعل غير متعد كولولت المراة
ووعوع الذيب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بفتح الواو ولكن موسوس له
وموسوس اليه وهو الذي يلقي اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس
اليه القاها اليه ليبدي لهما جعل ذلك غرضا له ليسوءهما اذا رايا ما يوثران ستره وان لا يطلع عليه
مكشوفا وفيه دليل على ان كشف العورة من عظايم الامور وانه لم يزل مستهجنا فى الطباع مستقبحا
فى العقول فان قلت ما للواو المضمومة فى ووري لم تقلب همزة كما فى اويصل تصغير واصل قلت لان
الثانية مدة كالف وارى وقد جا فى قراة عبد الله اوري بالقلب الا ان تكونا ملكين الا كراهة
ان تكونا ملكين ومنه دليل على ان الملايكة بالمنظر الاعلى وان البشرية تلمح مرتبتها كلا ولا وقرى
ملكين بكسر اللام لقوله وملك لا يبلى او تكونا من الخالدين من الذين لا يموتون ويبقون فى الجنة ساكنين وقرى
سوتهما بالتوحيد وسواتهما بالواو المشدده وقاسمهما واقسم لهما انى لكما لمن الناصحين

وقاسمهما المقاسمة ان تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلانا حالفته وتقاسما تحالفا ومنه
قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله كأنه قال لهما أقسم لكما اني لمن الناصحين وقالا له أتقسم بالله انك
لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم او اقسم لهما بالنصيحة واقسما له بقبولها او اخرج قسم ابليس
على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة بغرور بما غرهما
به من القسم بالله وعن قتادة وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر انه كان اذا رأى من عبده طاعة
وحسن صلاة اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا
له فلما ذاقا الشجرة وجدا طعمها آخذين في الاكل منها وقيل الشجرة هي السنبلة وقيل شجرة الكرم بدت لهما سوآتهما
اى تهافت عنهما اللباس وظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الاخر وعن عائشة رضي الله عنها
ما رأيت منه ولا رأى مني وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الاظفار وعن وهب كان لباسهما نورا
يحول بينهما وبين النظر وطفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل كذا وقرئ ابو السمال وطفقا بالفتح يخصفان
ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستراها كما يخصف النعل بان تجعل طرقة فوق طرقة وتوثق بالسيور وقرئ
الحسن يخصفان بكسر الخا وتشديد الصاد واصله يختصفان وقرئ الزهري يخصفان من اخصف وهو
منقول من خصف اى يخصفان انفسهما وقرئ يخصفان بالتشديد من ورق الجنة قيل كان ورق التين
الم انهكما عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه على الخطا حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله من عداوة ابليس وروى انه
قال لادم الم يكن فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك
يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط آدم وعلم صنعة الحديد وامر
بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وطحن وعجن وخبز وتسميتهما ذنبهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما لا
وقولهما لنكونن من الخاسرين على عادة الاولياء والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات واستصغارهم
العظيم من الحسنات اهبطوا الخطاب لادم وحواء وابليس بعضكم لبعض عدو في موضع الحال اى متعادين يعاديهما ابليس
ويعاديانه مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وانتفاع بعيش الى حين الى انقضاء آجالكم وعن ثابت
البناني لما اهبط آدم وحضرته الوفاة احاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها آدم خلي ملائكة
ربي فانما اصابني ما اصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب
وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده انزلنا عليكم جعل ما في الارض منزلا
من السماء لانه قضي ثم وكتب ومنه وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج والريش لباس الزينة استعير
من ريش الطير لانه لباسه وزينته اى انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم لان الزينة
غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقرئ عثمان رضي الله عنه ورياشا جمع ريش كشعب وشعاب ولباس
التقوى ولباس الورع والخشية من الله وارتفاعه على الابتدا وخبره اما الجملة التي هي ذلك خير كانه قيل
ولباس التقوى هو خير لان اسما الاشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع الى عود الذكر واما المفرد
الذي هو خير وذلك صفة للمبتدا كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير ولا تخلو الاشارة
من ان يراد بها تعظيم لباس التقوى او ان يكون اشارة الى اللباس المواري للسوءة لان مواراة السوءة
من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدا محذوف اى وهو لباس
التقوى ثم قال ذلك خير وفي قراءة عبد الله وابي ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى
ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به في الحروب وقرئ ولباس التقوى بالنصب
عطفا على لباسا وريشا ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني انزال اللباس لعلهم
يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف
الورق عليهما اظهارا للمنة فيما خلق الله من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة
واشعارا بان التستر باب عظيم من ابواب التقوى لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بان لا تدخلوا الجنة
كما محن ابويكم بان اخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما حال اى اخرجهما نازعا عنهما لباسهما بان كان سببا
في ان نزع عنهما لباسهما انه يراكم هو تعليل للنهي وتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو المداجي
يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤونة
الا من عصم الله وقبيله وجنوده من الشياطين وفيه دليل بين ان الجن لا يرون ولا
يظهرون للانس وان اظهارهم انفسهم ليس في استطاعتهم وان زعم من يدعي رؤيتهم زور
ومخرقة انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اي خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى
تولوهم واطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير آخر ابلغ من الاول فان قلت
علام عطف وقبيله قلت على الضمير في يراكم المؤكد بهو والضمير في انه ضمير الشان والحديث وقرئ
اليزيدي وقبيله بالنصب وفيه وجهان احدهما ان يكون عطفا على اسم ان وان تكون الواو بمعنى مع واذا
عطف على اسم ان وهو الضمير في انه كان راجعا الى ابليس الفاحشة ما يبالغ في قبحه من الذنوب
اذا فعلوها اعتذروا بان اباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبان الله امرهم بان يفعلوها وكلاهما
باطل من العذر لان احدهما تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم والثاني افترا على الله والحاد في صفاته كانوا

يقولون لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه وعن الحسن ان الله تعالى بعث محمدا الى العرب وهم قدرية
مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قوله عز وجل واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا
والله امرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء لان فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود الصارف
فكيف يأمر بفعله اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار لاضافتهم القبيح اليه وشهادة على ان مبنى قولهم
على الجهل المفرط وقيل الفاحشة طوافهم بالبيت عراة بالقسط بالعدل وبما قام في النفوس انه
مستقيم حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد واقيموا وجوهكم وقل اقيموا وجوهكم اى اقصدوا عبادته
مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها عند كل مسجد في وقت كل سجود او في كل مكان سجود وهو الصلاة وادعوه
واعبدوه مخلصين له الدين اى الطاعة مبتغين بها وجه الله خالصا كما بدأكم تعودون كما انشأكم ابتداء
يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى انه يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة
فريقا هدى وهم الذين اسلموا بعد اى وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة اى كلمة الضلالة وعلم
الله انهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب فريقا بفعل مضمر يفسره ما بعده كانه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة
انهم اى الفريق الذي حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين اولياء اى تولوهم بالطاعة فيما امروهم به وهذا
دليل على ان علم الله تعالى لا اثر له في ضلالهم وانهم هم الضالون اختيارا وهم توليهم الشياطين دون الله خذوا زينتكم
اى ريشكم ولباس زينتكم عند كل مسجد كلما صليتم او طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس لم يامرهم بالحرير والديباج
وانما كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لانهم
قالوا لا نعبد الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل
الزينة المشط وقيل الطيب والسنة ان يأخذ الرجل احسن هيئته للصلاة وكان بنو عامر في ايام حجهم لا
ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون فانا احق ان نفعل فقيل لهم
وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وحكي
ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شي والعلم
علمان علم الاديان وعلم الابدان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابنا قال وما هي قال قوله
كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر عن رسولكم شي من الطب فقال قد جمع رسول الله الطب
في الفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية راس الدواء وعودوا كل جسم ما اعتاد
واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا زينة الله من الثياب وكل ما
يتجمل به والطيبات من الرزق والمستلذات من الماكل والمشارب ومعنى الاستفهام في من انكار تحريم هذه
الاشيا وقيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها قل هي للذين امنوا في الحياة
الدنيا غير خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها خالصة يوم القيامة لا يشركهم فيها احد فان قلت هلا قيل هي للذين
امنوا ولغيرهم قلت التنبيه على انها خلقت للذين امنوا على طريق الاصالة وان الكفرة تبع لهم كقوله ومن
كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على الحال وبالرفع على انها خبر بعد خبر
الفواحش ما تفاحش قبحه اى تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج والاثم عام لكل ذنب وقيل شرب الخمر والبغي
الظلم والكبر افرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشا والمنكر والبغي ما لم ينزل به سلطانا فيه تهكم لانه لا
يجوز ان ينزل برهانا بان يشرك به غيره وان تقولوا على الله وان تتقولوا على الله وتفتروا الكذب من التحريم وغيره
ولكل امة اجل وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل في اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم وقرئ فاذا جا آجالهم
ولا يستاخرون ساعة لانها اقل الاوقات في استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد اقصر وقت واقربه
اما يأتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة فان قلت
فما جزا هذا الشرط قلت الفا وما بعده من الشرط والجزا والمعنى فمن اتقى واصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ
فاتسكم بالتا فمن اظلم فمن اشنع ظلما ممن يقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب
اى مما كتب لهم من الارزاق والاعمار حتى اذا جاءتهم رسلنا حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له اى الى وقت
وفاتهم وهي حتى التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام ههنا الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم رسلنا قالوا
يتوفونهم حال من الرسل اي متوفيهم والرسل ملك الموت واعوانه وما وقعت موصولة باين في خط
المصحف وكان حقها ان تفصل لانها موصولة بمعنى اين الالهة الذين تدعون ضلوا عنا غابوا عنا فلا
نراهم ولا ننتفع بهم اعترافا منهم بانهم لم يكونوا على شي فيما كانوا عليه وانهم لم يحمدوه في العاقبة قال ادخلوا
اي يقول الله تعالى يوم القيامة لاولئك الذين قال فيهم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته وهم
كفار العرب في امم في موضع الحال اى كائنين في جملة امم وفي غمارهم مصاحبين لهم اى ادخلوا في النار
مع امم قد خلت من قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم لعنت اختها التي ضلت بالاقتدا بها حتى اذا اداركوا فيها
اى تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار قالت اخراهم منزلة وهي الاتباع والسفلة لاولاهم منزلة
وهي القادة والرؤوس ومعنى لاولاهم لاجل اولاهم لان خطابهم مع الله لا معهم عذابا ضعفا مضاعفا
لكل ضعف لان كلا من القادة والاتباع كانوا ضالين مضلين ولكن لا تعلمون قرئ بالتا واليا فما كان لكم علينا
من فضل عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا
وانا متساوون في استحقاق الضعف فذوقوا العذاب من قول القادة او من قول الله لهم جميعا لا تفتح لهم ابواب السما الا بصعود

عمل صالح اليه يصعد الكلم الطيب • كلا ان كتاب الابرار لفي عليين • وقيل ان الجنة في السماء والمعنى لا يؤذن
لهم في صعود السماء ولا يطرق لهم اليها ليدخلوا الجنة • وقيل لا تصعد ارواحهم اذا ماتوا كما تصعد
ارواح المؤمنين • وقيل لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون • ففتحنا ابواب السماء • وقرى لا يفتح بالتشديد
ولا يفتح بالياء ولا تفتح بالتاء وبالبناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل لله عز وجل • وقرأ ابن عباس
الجمل بوزن القمل وسعيد بن جبير الجمل بوزن النغر وقرى الجمل بوزن القفل والجمل بوزن النصب
والجمل بوزن الحبل ومعناها القلس الغليظ لانه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة • وعن
ابن عباس ان الله احسن تشبيها من ان يشبه بالجمل يعني ان الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم
الابرة والبعير لا يناسبه الا ان قراءة العامة اوقع لان سم الابرة مثل في ضيق المسلك يقال
اضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر خريت لاهتدائه في المضايق المشبهة باخرات الابر
والجمل مثل في عظم الجرم قال ✱ جسم الجمال واحلام العصافير ✱ ان الرجال ليسوا بجزر تراد منهم
الاجسام • وقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون ابدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج الا في
باب واسع في ثقب الابرة • وعن ابن مسعود انه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل
واشارة الى ان طلب معنى اخر تكلف • وقرى في سم بالحركات الثلاث وقرأ عبد الله في سم المخيط
والخياط والمخيط كالحزام والمحزم ما يخاط به وهو الابرة • وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي
المجرمين ليؤذن ان الاجرام هو السبب الموصل الى العقاب وان كل من اجرم عوقب وقد كرره
فقال وكذلك نجزي الظالمين لان كل مجرم ظالم لنفسه مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية • وقرى غواش بالرفع
كقوله وله الجوار المنشآت في قراءة عبد الله لا نكلف نفسا الا وسعها جملة معترضة بين المبتدأ والخبر
للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع وهو
الامكان الواسع غير الضيق من الايمان والعمل الصالح • وقرأ الاعمش لا تكلف نفس • من غل كان في قلبه
على اخيه في الدنيا ينزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم الا التواد والتعاطف • وعن علي اني
لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم • هدانا لهذا اي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو
الايمان والعمل الصالح وما كنا لنهتدي اللام لتوكيد النفي يعنون وما كان يستقيم ان نكون مهتدين
لولا هداية الله وتوفيقه • وفي مصاحف اهل الشام ما كنا لنهتدي بغير واو على انها جملة موضحة
للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا
واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما ترى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك
ولا يتمالك ان لا يقوله للفرح لا للتقرب ان تلكم الجنة ان مخففة من الثقيلة تقديره ونودوا بانه
تلكم الجنة اورثتموها والضمير ضمير الشان والحديث او تكون بمعنى اي لان المناداة من القول كانه قيل
وقيل لهم تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون بسبب اعمالكم لا بالتفضل كما تقوله المبطلة ان في ان قد وجدنا
تحتمل ان تكون مخففة من الثقيلة وان تكون مفسرة كالتي سبقت انفا وكذلك ان لعنة الله على الظالمين
وانما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة باصحاب النار وزيادة في غمهم ولتكون حكايته لطالبي سماعها
وكذلك قول المؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين وهو ملك يامره الله فينادي بينهم نداء يسمع اهل
الجنة واهل النار • وقرى ان لعنة الله بالتشديد والنصب • وقرأ الاعمش ان لعنة الله بكسر ان على
ارادة القول او على اجرى اذن مجرى قال • فان قلت هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا قلت حذف ذلك
تخفيفا لدلالة وعدنا عليه • ولقائل ان يقول اطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب
والعقاب وسائر احوال القيامة لانهم كانوا مكذبين بذلك اجمع ولان الموعود كله مما ساءهم وما نعيم
اهل الجنة الا عذاب لهم فاطلق لذلك • وبينهما حجاب يعني بين الجنة والنار او بين الفريقين وهو السور
المذكور في قوله فضرب بينهم بسور • وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار
وهي اعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك رجال من المسلمين من اخرهم دخولا في
الجنة لقصور اعمالهم كانهم المرجون لامر الله يحبسون بين الجنة والنار الى ان ياذن الله لهم في
دخول الجنة يعرفون كلا من زمرة السعداء والاشقياء بسيماهم بعلاماتهم التي اعلمهم الله بها يلهمهم الله
ذلك او تعرفهم الملائكة اذا نظروا الى اصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم • واذا صرفت ابصارهم
تلقاء اصحاب النار وراوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا بالله وفزعوا الى رحمته ان لا يجعلهم
معهم ونادوا رجالا من رؤساء الكفرة يقولون لهم اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اشارة
لهم الى اهل الجنة الذين كانت الرؤساء يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم
من الدنيا • وكانوا يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة يقال لاصحاب الاعراف ادخلوا
الجنة وذلك بعد ان يحبسوا على الاعراف وينظروا الى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا
ما يقولون • وفائدة ذلك بيان ان الجزاء على قدر الاعمال وان التقدم والتاخر على حسبها وان
احدا لا يسبق عند الله الا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنه الا بتخلفه فيه • وليرغب السامعون
في حال السابقين ويحرصوا على احراز قصبهم وليتصوروا ان كل احد يعرف ذلك اليوم بسيماه
الذي استوجب ان يوسم به من اهل الخير والشر فيرتدع المسيء عن اساءته ويزيد المحسن في احسانه

وليعلم

وليعلم ان العصاة يوبخهم كل احد حتى اقصر الناس عملا • وقوله واذا صرفت ابصارهم فيه ان صارفا يصرف ابصارهم
لينظروا ويعتبروا • وقرأ الاعمش واذا قلبت ابصارهم • وقرى ادخلوا الجنة على البناء للمفعول وقرأ عكرمة دخلوا
الجنة فان قلت كيف لاءم هذا الكلام قوله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون قلت ... ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون
قلت لا محل له لانه استئناف كان سائلا سال عن حال اصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون
ان دخولهم الجنة استاخر عن دخول اهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون يعني حالهم
ويجوز ان يكون له محل بان يقع صفة لرجال ما اغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون
واستكباركم عن الحق وعلى الناس • وقرى تستكثرون من الكثرة • افيضوا علينا • فيه دليل على ان الجنة
فوق النار • او مما رزقكم الله من غيره من الاشربة لدخوله في حكم الافاضة ويجوز ان يراد والقوا علينا
مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله ✱ علفتها تبنا وماء باردا ✱ وانما يطلبون ذلك مع ياسهم من
الاجابة اليه تحيرا في امرهم كما يفعل المضطر الممتحن حرمهما على الكافرين منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع
المكلف ما يحرم عليه ويحظره كقوله ✱ حرام على عيني ان تطعما الكرى ✱ فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين
الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم كما نسوا لقاء يومهم هذا • كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه
ببالهم ولم يهتموا به فصلناه على علم عالمين بكيف نفصل احكامه ومواعظه وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكيما
قيما غير ذي عوج • وقرأ ابن محيصن فضلناه بالضاد المعجمة بمعنى فضلناه على جميع الكتب عالمين بانه اهل للتفضيل
عليها هدى ورحمة حال من منصوب فصلناه كما ان على علم حال من مرفوعه الا تاويله الا عاقبة امره وما يؤول
اليه من تبيين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد قد جاءت رسل ربنا بالحق اي تبين وصح انهم
جاءوا بالحق او نرد جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام كانه قيل هل لنا من شفعاء
او هل نرد • ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كما تقول ابتداء هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل اخر
يعطف عليه فلا يقدر هل يشفع لنا شافع او نرد • وقرأ ابن ابي اسحق او نرد بالنصب عطفا على فيشفعوا او تكون
او بمعنى حتى ان اي يشفعوا لنا حتى نرد فنعمل • وقرأ الحسن بنصب نرد ورفع فنعمل يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا
وقرى يغشي بالتشديد اي يلحق الليل بالنهار او النهار بالليل يحتملهما جميعا • والدليل على الثاني قراءة حميد بن قيس
يغشى الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار اي يدرك النهار الليل ويطلبه حثيثا حسن الملاءمة
لقراءة حميد بامره بمشيئته وتصريفه وهو متعلق بمسخرات اي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره وكما يريد
ان يصرفها سمى ذلك امرا على التشبيه كانهن مامورات بذلك • وقرى والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع
ولما ذكر انه خلقهن مسخرات بامره قال الا له الخلق والامر اي هو الذي خلق الاشياء كلها وهو
الذي صرفها على حسب ارادته تضرعا وخفية نصب على الحال اي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا والتضرع
تفعل من الضراعة وهي الذل اي تذللا وتملقا • وقرى خفية • وعن الحسن ان الله يعلم القلب التقي والدعاء الخفي
ان كان الرجل لقد جمع القران وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس
وان كان الرجل ليصلي الصلوة الطويلة وعنده الزور وما يشعرون به • ولقد ادركنا اقواما ما على الارض
من عمل يقدرون على ان يعملوه في السر فيكون علانية ابدا • ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت
ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية • ولقد اثنى الله على زكريا فقال
اذ نادى ربه نداء خفيا • وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به
في كل شيء من الدعاء وغيره • وعن ابن جريج هو رفع الصوت بالدعاء • وعنه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة • وقيل هو
الاسهاب في الدعاء • وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسالك الجنة
وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل • ثم قرأ قوله تعالى انه لا يحب المعتدين • ان
رحمة الله قريب من المحسنين كقوله واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا • وانما ذكر قريب على تاويل الرحمة بالرحم او الترحم
او لانه صفة موصوف محذوف اي شيء قريب او على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول كما شبه ذاك به فقيل قتلاء
واسرى او على انه بزنة المصدر الذي هو النقيض والضغيب • او لان تانيث الرحمة غير حقيقي • وقرى نشرا وهو مصدر
نشر وانتصابه اما لان ارسل ونشر متقاربان فكانه قيل نشرها نشرا • واما على الحال بمعنى منتشرات ونشرا جمع نشور
ونشرا بتخفيف نشر كرسل ورسل • وقرى نشرا بفتح النون بمعنى منشورات بفعل بمعنى مفعول كنفض وخبط ومنه
قولهم ضمير نشر • وبشرا جمع بشير وبشرا بتخفيفه وبشرى بفتح الباء مصدر من بشره بمعنى بشره اي باشرات
وبشرى بين يدي رحمته امام رحمته وهو الغيث الذي هو من اجل النعم واحسنها اثرا اقلت حملت ورفعت
واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا سحابا ثقالا سحابا جمع سحابة كانه قيل ثقالا بالماء
سقناه الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا لبلد
ميت لاجل بلد ليس فيه حيا ولسقيه • وقرى ميت فانزلنا به بالبلد او بالسحاب او بالسوق وكذلك فاخرجنا به
كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى لعلكم تذكرون فيؤديكم التذكر الى انه لا فرق
بين الاخراجين اذ كل واحد منهما اعادة للشيء بعد انشائه والبلد الطيب الارض العذاة الكريمة التربة والذي خبث
الارض السبخة التي لا تنبت ما ينتفع به باذنه بتيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لانه
في مقابلة نكدا • والنكد الذي لا خير فيه • وقرى يخرج نباته اي يخرجه البلد وينبته • وقوله والذي خبث صفة للبلد ومعناه

والبلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف الذي هو النبات واقيم المضاف اليه الذي هو الراجع الى البلد مقامه الا انه كان مجرورا بارزا فانقلب مرفوعا مستكنا لوقوعه موقع الفاعل او يقدر ونبات الذي خبث • وقرئ نكدا بفتح الكاف على المصدر اي ذا نكد • ونكدا باسكانها للتخفيف كقوله نزه عن الريبة بمعنى نزه • وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك • وعن مجاهد رحمه الله آدم وذريته منهم خبيث وطيب • وعن قتادة المؤمن سمع كتاب الله فوعاه وانتفع به كالارض الطيبة اصابها الغيث فانبتت والكافر بخلاف ذلك • وهذا التمثيل واقع على اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد **كذلك** مثل ذلك التصريف **نصرف الآيات** نرددها ونكررها **لقوم يشكرون** نعمة الله وهم المؤمنون ليتفكروا فيها ويعتبروا بها • وقرئ يصرف بالياء اي يصرفها الله **لقد ارسلنا** جواب قسم محذوف • فان قلت ما بالهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد وقل عنهم نحو قوله حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث ولا صال قلت انما كان ذلك لان الجملة القسمية لا تساق الا تاكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم **قال يا قوم** نوح عليه السلام وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس النبي عليه السلام • وقرئ غيره بالحركات الثلاث فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم اله غيره • والجر على اللفظ • والنصب على الاستثناء بمعنى ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيدا وغير زيد • فان قلت ما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله قلت الاولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة • والثانية بيان للداعي الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون ما كانوا يعبدونه من دون الله • واليوم العظيم يوم القيامة او يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان **الملأ** الاشراف والسادة • وقيل الرجال ليس معهم نساء **في ضلال** في ذهاب عن طريق الصواب والحق • ومعنى الرؤية رؤية القلب • فان قلت لم قال ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا قلت الضلالة اخص من الضلال فكانت ابلغ في نفي الضلال عن نفسه كانه قال ليس بي شيء من الضلال كما لو قيل لك الك تمر فقلت ما لي تمرة • فان قلت كيف وقع قوله ولكني رسول من رب العالمين استدراكا للانتفاء عن الضلالة قلت كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته ناصحا في معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك ان يكون استدراكا للانتفاء عن الضلالة • وقرئ ابلغكم بالتخفيف • فان قلت كيف موقع قوله ابلغكم قلت فيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا بيانا لكونه رسول رب العالمين • والثاني ان يكون صفة لرسول • فان قلت كيف جاز ان يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغائب قلت جاز ذلك لان الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب وكان في معناه كما قال انا الذي سمتني امي حيدره **رسالات ربي** ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة او في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي والمواعظ والزواجر والبشائر والنذائر • ويجوز ان يريد رسالاته اليه والى الانبياء قبله من صحف جده ادريس وهي ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة **وانصح لكم** يقال نصحته ونصحت له • وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وانها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة امحض من نصيحة الله تعالى ورسله **واعلم من الله ما لا تعلمون** اي من صفات الله واحواله يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على اعدائه وان باسه لا يرد عن القوم المجرمين • وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه نوح عليه السلام بوحي الله اليه • او اراد واعلم من جهة الله اشياء لا علم لكم بها قد اوحي الي بها **او عجبتم** الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل اكذبتم وعجبتم **ان جاءكم** من ان جاءكم **ذكر** موعظة **من ربكم على رجل منكم** على لسان رجل منكم كقوله تعالى ما وعدتنا على رسلك وذلك انهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين يعنون ارسال البشر ولو شاء ربك لانزل ملائكة **لينذركم** ولتتقوا ليحذركم عاقبة الكفر ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار **ولعلكم ترحمون** ولترحموا بالتقوى ان وجدت منكم **والذين معه** قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امراة • وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به معه • فان قلت في الفلك بم تعلق قلت هو متعلق بمعه كانه قيل والذين استقروا معه في الفلك او صحبوه في الفلك • ويجوز ان يتعلق بفعل الانجاء اي انجيناهم في السفينة من الطوفان **عمين** عمي القلوب غير مستبصرين • وقرئ عامين • والفرق بين العمي والعامي ان العمي يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث • ونحوه قوله وضائق به صدرك **اخاهم** واحدا منهم من قولك يا اخا العرب للواحد منهم وانما جعله واحدا منهم لانهم عن رجل منهم افهم وبحاله في صدقه وامانته اعرف • وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح واخاهم عطف على نوحا وهودا عطف بيان له • فان قلت لم حذف العاطف من قوله قال يا قوم ولم يقل فقال كما في قصة نوح عليه السلام قلت هو على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك قال الملأ • فان قلت لم وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم نوح قلت كان في اشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذي اسلم وكان يكتم ايمانه فاريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في اشراف قوم نوح مؤمن • ونحوه قوله وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة • ويجوز ان يكون وصفا واردا للذم لا غير **في سفاهة** في خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك الى دين آخر

وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز اراد وانه متمكن فيها غير منفك عنها • وفي اجابة الانبياء عليهم السلام من نسبهم الى الضلال والسفاهة بما اجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بان خصومهم اضل الناس واسفههم ادب حسن وخلق عظيم • وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون اذيالهم على ما يكون منهم **ناصح امين** اي عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فما حقي ان اتهم • او انا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه **خلفاء من بعد قوم نوح** اي خلفتموهم في الارض او جعلكم ملوكا في الارض قد استخلفكم فيها بعدهم **في الخلق بسطة** فيما خلق من اجرامكم ذهابا في الطول والبدانة • قيل كان اقصرهم ستين ذراعا واطولهم مائة ذراع **فاذكروا آلاء الله** في استخلافكم وبسطة اجرامكم وما سواهما من عطاياه • وواحد الآلاء الى نحو اني وآناء وضلع واضلاع وعنب واعناب • فان قلت اذ في قوله اذ جعلكم خلفاء ما وجه انتصابه قلت هو مفعول به وليس بظرف اي اذكروا وقت استخلافكم **اجئتنا لنعبد الله وحده** انكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الاصنام شركاء معه حبا لما نشاوا عليه والفا لما صادفوا اباهم يتدينون به • فان قلت فما معنى المجيء في قوله اجئتنا قلت فيه اوجه ان يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما اوحي اليه جاء قومه يدعوهم • وان يريدوا به الاستهزاء لانهم يعتقدون ان الله لا يرسل الا الملائكة فكانهم قالوا اجئتنا من السماء كما يجيء الملك • وان لا يريدوا به حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كانهم قالوا اقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك **فاتنا بما تعدنا** استعجال منهم للعذاب **قد وقع عليكم** اي قد حق عليكم ووجب او قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع • ونحوه قولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان ذلك • وعن حسان ان ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء اليه يبكي فقال له يا بني ما لك قال لسعني طوير كانه ملتف في بردي حبرة فضمه الى صدره وقال له يا بني قد قلت الشعر • **والرجس** العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب في اسماء سميتموها في اشياء ما هي الا اسماء ليس تحتها مسميات لانكم تسمونها آلهة ومعنى الالهية فيها معدوم ومحال وجوده • وهذا كقوله ما تدعون من دونه من شيء • ومعنى سميتموها سميتم بها من قولك سميته زيدا **وقطعنا دابر** استاصلناهم وتدميرهم عن آخرهم • وقصتهم ان عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صدا وصمود والهباء • فبعث الله اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد من اماثلهم الى مكة سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية فلما راى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك فقال قد هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي ان يكلمهم خيفة ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال ألا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا لا يبينون الكلاما • فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا • ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشا الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لقومك ولنفسك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود عليه السلام والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا • فان قلت ما فائدة نفي الايمان عنهم في قوله وما كانوا مؤمنين مع اثبات التكذيب بآيات الله قلت هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عليه السلام كانه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليؤذن ان الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤمنين • وقرئ والى ثمود بمنع الصرف بتاويل القبيلة • والى ثمود بالصرف بتاويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح • وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل • وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى **قد جاءتكم بينة** آية ظاهرة وشاهد على صحة نبوتي وكانه قيل ما هذه البينة فقال **هذه ناقة الله لكم آية** وآية نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل كانه قيل اشير اليها آية • و **لكم** بيان لمن هي له آية موجبة عليه الايمان خاصة وهم ثمود لانهم عاينوها وسائر الناس اخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كانه قال لكم خصوصا وانما اضيف

الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشأنها وانها جاءت من عند الله مكونة من غير فحل وطروقة آية من آياته كما تقول
آية الله. وروي ان عادا لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض فكثروا وعمروا اعمارا طوالا
حتى ان الرجل كان يبني المنزل المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة
ورخاء من العيش فعتوا على الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا
قوما عربا وصالح عليه السلام من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم
فسألوه آية فقال اية آية تريدون فقالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك
وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا
اوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل
يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت من الابل الخراسانية
فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن به
قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا
لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط
من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب
الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون
ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون قال ابو موسى الاشعري اتيت ارض ثمود فذرعت مبركها
مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانت الناقة اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب
منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق
ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما
وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقى جبلا اسمه قارة فرغا
ثلاثا وكان صالح عليه السلام قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة
بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة
واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه
الله الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم
صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا. تأكل في ارض الله اي الارض ارض الله والناقة ناقة الله
فذروها تأكل في ارض ربها فليست الارض لكم ولا ما فيها من النبات من انباتكم ولا تمسوها بسوء
لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من الاذى اكراما لآية الله. ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء
المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال صلى الله عليه وسلم يا علي اتدري من اشقى
الاولين قلت الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الآخرين قلت الله ورسوله اعلم قال قاتلك
وقرأ ابو جعفر في رواية تأكل في ارض الله وهي في موضع الحال بمعنى آكلة. وبوأكم ونزلكم والمباءة
المنزل في الارض في ارض الحجر بين الحجاز والشام من سهولها قصورا اي تبنونها من سهولة الارض
بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر وقرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كقوله ينباع من
ذفرى اسيلة. جبالا بيوتا فان قلت علام انتصب بيوتا قلت على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابر هذه القصبة
قلما وهي من الحال المقدرة لان الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب ولا القصبة قميصا وقلما في حال الخياطة والبري وقيل
كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء. للذين استضعفوا للذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم ولمن آمن
منهم بدل من الذين استضعفوا فان قلت الضمير في منهم راجع الى ماذا قلت الى قومه او الى الذين استضعفوا فان قلت
هل لاختلاف المرجعين اثر في اختلاف المعنى قلت نعم وذلك ان الراجع اذا رجع الى قومه فقد جعل من آمن مفسرا لمن استضعف
منهم فدل ان استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين واذا رجع الى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصورا عليهم
ودل ان المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين. أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على سبيل الطنز والتخريج كما تقول
للمجسمة اتعلمون ان الله فوق العرش فان قلت كيف صح قولهم انا بما ارسل به مؤمنون جوابا عنه قلت سألوهم عن
العلم بارساله فجعلوا ارساله امرا معلوما مكشوفا مسلما لا يدخله ريب كأنهم قالوا العلم بارساله وبما ارسل به مما لا كلام
فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وانارته وانما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم انا به مؤمنون ولذلك كان جواب
الكفرة انا بالذي آمنتم به كافرون فوضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما واخذوه مسلما. فعقروا الناقة
اسند العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم وان لم يباشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة انتم فعلتم كذا وما فعله الا واحد منهم
وعتوا عن امر ربهم وتولوا عنه واستكبروا عن امتثاله وامر ربهم ما امر به على لسان نبيهم صالح عليه السلام من قوله فذروها تأكل في ارض الله
او شأن ربهم وهو دينه ويجوز ان يكون المعنى وصدر عتوهم عن امر ربهم كأن امر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم
ونحو عن هذه ما في قوله وما فعلته عن امري. ائتنا بما تعدنا اراد من العذاب وانما جاز الاطلاق لانه كان معلوما
واستعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين. الرجفة الصيحة التي زلزلت لها
الارض واضطربوا لها. في دارهم في بلادهم او في مساكنهم. جاثمين هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جثم اي قعود

لا حراك بهم

لا حراك بهم ولا ينبسون بنبسة. ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى
وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق
منهم الا رجل واحد كان في حرم الله قالوا من هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب
قومه. وروي ان صالحا كان بعثه الى قوم شباب فامروا و روي ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبر ابي رغال فقال
اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم فذكر قصة ابي رغال وانه دفن ههنا ودفن معه غصن
من ذهب فابتدروه وبحثوا عليه باسيافهم فاستخرجوا الغصن. فتولى عنهم الظاهر انه كان مشاهدا
لما جرى عليهم وانه تولى عنهم بعد ما ابصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم يتحزن عليهم
ويقول يا قوم لقد بذلت فيكم وسعي ولم آل جهدا في ابلاغكم والنصيحة لكم ولكنكم لا تحبون الناصحين. ويجوز
ان يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب. وروي ان عقرهم الناقة
كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت. وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى
الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار. وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم
فان قلت كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين قلت قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد
نصحه فلم يسمع منه حتى القى بنفسه في التهلكة يا اخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني. وقوله ولكن لا تحبون
الناصحين حكاية حال ماضية. ولوطا وارسلنا لوطا واذ ظرف لارسلنا او واذكر لوطا واذ بدل منه بمعنى
واذكر وقت قال لقومه. اتأتون الفاحشة اتفعلون السيئة المتمادية في القبح. ما سبقكم بها ما عملها قبلكم والباء
للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة. من احد من العالمين
من الاولى زائدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض فان قلت ما موقع هذه الجملة
قلت هي جملة مستأنفة انكر عليهم اولا بقوله اتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها.
او على انه جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا لم لا نأتيها فقال ما سبقكم بها احد من العالمين فلا تفعلوا ما
لم تسبقوا اليه. ائنكم لتأتون الرجال بيان لقوله اتأتون الفاحشة والهمزة مثلها في اتأتون للانكار
والتعظيم. وقرئ انكم على الاخبار المستأنف. لتأتون الرجال من اتى المرأة اذا غشيها. شهوة مفعول
له اي للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة من غير داع آخر ولا ذم اعظم منه لانه وصف لهم
بالبهيمية وانه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه. او حال بمعنى مشتهين
تابعين للشهوة غير ملتفتين الى السماجة. بل انتم قوم مسرفون اضراب
عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو الى اتباع الشهوات وهو انهم
قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود في كل شيء فمن ثم اسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد
الى غير المعتاد ونحوه بل انتم قوم عادون. وما كان جواب قومه الا ان قالوا يعني ما اجابوه بما يكون
جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام من انكار الفاحشة وتعظيم امرها ووسمهم بسمة الاسراف الذي هو اصل
الشر كله ولكنهم جاؤا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم
ضجرا بهم ولما يسمعونه من وعظهم ونصحهم وقولهم انهم اناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش
وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا
المتقشف وارحونا من هذا المتزهد. واهله ومن يختص به من ذويه او من المؤمنين. من الغابرين من الذين
غبروا في ديارهم اي بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم.
وروي انها التفتت فاصابها حجر فماتت. وقيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا اربعة آلاف بين الشام
والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار. وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم
وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم. وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته
وخرج من الحرم فوقع عليه. فان قلت اي فرق بين مطر وامطر قلت يقال مطرتهم السماء وواد ممطور. وفي
نوابغ الكلم حرى غير ممطور حري ان يكون غير ممطور. ومعنى مطرتهم اصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم ووبلتهم
وجادتهم ورهمتهم. ويقال امطرت عليهم كذا بمعنى ارسلته عليهم ارسال المطر فامطر علينا حجارة من السماء وامطرنا
عليهم حجارة من سجيل. والمعنى وامطرنا عليهم مطرا ارسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة الا ترى الى قوله
فساء مطر المنذرين. وكان يقال لشعيب عليه السلام خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل
والموازين. قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة شاهدة بصحة نبوتي اوجبت عليكم الايفاء والاخذ
بما امركم به والانتهاء عما نهاكم عنه فاوفوا ولا تبخسوا. فان قلت ما كانت معجزته قلت قد وقع العلم بانه
كانت له معجزة لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولانه لا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه والا لم تصح
دعواه وكان متنبيا لا نبيا غير ان معجزته لم تذكر في القرآن كما لم تذكر اكثر معجزات نبينا فيه. ومن معجزاته
ما روي من محاربة عصى موسى عليه السلام التنين حين دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين
وعد ان يكون له الدرع من اولادها ووقوع عصا آدم عليه السلام على يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات
لان هذه كلها كانت قبل ان يستنبئ موسى عليه السلام فكانت معجزات لشعيب عليه السلام. فان قلت كيف قيل الكيل والميزان
وهلا قيل المكيال والميزان كما في سورة هود قلت اريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال او سمى ما يكال به بالكيل

ما اسود راسه وابيض بدنه

كما قيل للعشي لما يعشى به وأريد فأوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز أن يكون الميزان كالميعاد والميلاد
بمعنى المصدر ولا تبخسوا الناس أشياءهم يقال بخسته حقه إذا نقصته إياه ومنه قيل للمكس البخس وفي أمثالهم تحسبها حمقاء وهي
باخس وقيل أشياءهم لأنهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم أو كانوا مكاسين لا يدعون شيئا
إلا مكسوه كما يفعل أمراء الحرمين وروي أنهم كانوا إذا دخل الغريب بلدهم أخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي
زيوف فقطعوها قطاعا ثم أخذوها بنقصان ظاهر أو أعطوه بدلها زيوفا بعد إصلاحها بعد
الإصلاح فيها أي لا تفسدوا فيها بعد ما أصلح فيها الصالحون من الأنبياء وأتباعهم العاملين بشرائعهم
وإضافته كإضافة قوله بل مكر الليل والنهار بمعنى بل مكركم في الليل والنهار أو بعد إصلاح أهلها على حذف
المضاف ذلكم إشارة إلى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والإفساد في الأرض أي والعمل بما
أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى خير لكم يعني في الإنسانية وحسن الأحدوثة وما تطلبونه من التكسب والتربح
لأن الناس أرغب في متاجرتكم إذا عرفوا منكم الأمانة والتسوية إن كنتم مؤمنين إن كنتم مصدقين لي في قولي
ذلكم خير لكم ولا تقعدوا بكل صراط أي بكل منهاج من مناهج الدين والدليل على أن المراد بالصراط سبيل
الحق قوله وتصدون عن سبيل الله ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال أي لا تقعدوا موعدين
وصادين عن سبيل الله وباغين عوجا فإن قلت صراط الحق واحد وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط قلت صراط الحق واحد ولكنه يتشعب إلى معارف
وحدود وأحكام كثيرة مختلفة فكانوا إذا رأوا أحدا يشرع في شيء منها أوعدوه وصدوه فإن قلت إلام
يرجع الضمير في آمن به قلت إلى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر
الذي هو سبيل الله موضع المضمر زيادة في تقبيح أمرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه وقيل كانوا
يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون لمن مر بهم إن شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما كانت قريش
تفعله بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا
أي تصفونها للناس بأنها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها أو يكون تهكما
بهم وأنهم يطلبون لها ما هو محال لأن طريق الحق لا يعوج واذكروا إذ كنتم قليلا إذ مفعول به غير ظرف أي
اذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم الله ووفر عددكم قيل إن مدين بن إبراهيم تزوج
بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا ويجوز إذ كنتم مقلين فقراء فكثركم فجعلكم
مكثرين موسرين أو كنتم أقلة أذلة فأعزكم بكثرة العدد والعدد عاقبة المفسدين آخر أمر من أفسد قبلكم
من الأمم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد بما أصاب المؤتفكة فاصبروا فتربصوا
وانتظروا حتى يحكم الله بيننا أي بين الفريقين بأن ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد
للكافرين بانتقام الله منهم كقوله فتربصوا إنا معكم متربصون أو هو عظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال
ما كان يلحقهم من أذى المشركين إلى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز أن يكون خطابا للفريقين أي ليصبر المؤمنون
على أذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوءهم من إيمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب وهو خير
الحاكمين لأن حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف أي ليكونن أحد الأمرين إما إخراجكم وإما عودكم في الكفر فإن قلت
كيف خاطبوا شعيبا عليه السلام بالعود في الكفر في قولهم أو لتعودن في ملتنا وكيف أجابهم بقوله إن عدنا في ملتكم بعد
إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها والأنبياء لا يجوز عليهم من الصغائر إلا ما ليس فيه تنفير فضلا عن
الكبائر فضلا عن الكفر قلت لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا
في الإيمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعا إجراء للكلام على
حكم التغليب وعلى ذلك أجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وهو يريد عود
قومه إلا أنه نظم نفسه في جملتهم وإن كان بريئا من ذلك إجراء لكلامه على حكم التغليب فإن قلت فما معنى قوله
وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا والله تعالى متعال أن يشاء ردة المؤمنين وعودهم في الكفر
قلت معناه إلا أن يشاء الله خذلاننا ومنعنا الألطاف لعلمه أنها لا تنفع فينا وتكون عبثا والعبث قبيح
لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله وسع ربنا كل شيء علما أي هو عالم بكل شيء مما كان وما يكون فهو يعلم أحوال عباده كيف
تتحول وقلوبهم كيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع إلى الكفر بعد الإيمان على الله توكلنا
أي في أن يثبتنا على الإيمان ويوفقنا لازدياد الإيقان ويجوز أن يكون قوله إلا أن يشاء الله حسما لطمعهم في العود
لأن مشيئة الله لعودهم في الكفر محال خارج عن الحكمة أو لو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو واو الحال
تقديره أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغي لنا وما يصح ربنا افتح بيننا
احكم بيننا والفتاحة الحكومة أو أظهر أمرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف بأن تنزل عليهم عذابا يتبين
معه أنهم على الباطل وأنت خير الفاتحين كقوله وهو خير الحاكمين فإن قلت فكيف أسلوب قوله قد افترينا على
الله كذبا إن عدنا في ملتكم قلت هو إخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان أحدهما أن يكون كلاما مستأنفا
فيه معنى التعجب كأنهم قالوا ما أكذبنا على الله إن عدنا في الكفر بعد الإسلام لأن المرتد أبلغ في الافتراء من الكافر
لأن الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم أن لله ندا ولا ند له والمرتد مثله في ذلك وزائد عليه حيث يزعم
أنه قد تبين له ما خفي عليه من التمييز بين الحق والباطل والثاني أن يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى
والله لقد افترينا على الله كذبا وقال الملأ الذين كفروا من قومه أي أشرافهم للذين دونهم يثبطونهم

عن الإيمان لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله أولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف لأنه ينهاكم عنهما ويحملكم
على الإيفاء والتسوية فإن قلت ما جواب القسم الذي وطأته اللام في لئن اتبعتم شعيبا وجواب الشرط قلت
قوله إنكم إذا لخاسرون ساد مسد الجوابين الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها وكذلك
كانوا هم الخاسرين وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون
بأن أهلكوا واستؤصلوا كأن لم يقيموا في دارهم لأن الذين اتبعوا شعيبا قد أنجاهم الله الذين كذبوا
شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون أتباعه فإنهم الرابحون وفي هذا الاستئناف والابتداء
وهذا التكرير مبالغة في رد مقالة الملأ لأشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام
لما جرى عليهم والأسى شدة الحزن قال العجاج وانحلبت عيناه من فرط الأسى اشتد حزنه على قومه ثم
قال كيف يشتد حزني على قوم ليسوا بأهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز أن يريد
لقد أعذرت إليكم في الإبلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تصدقوني فكيف آسى عليكم
يعني أنه لا يأسى عليهم لأنهم ليسوا أحقاء بالأسى وقرأ يحيى بن وثاب رحمه الله فكيف إيسى بكسر الهمزة إلا أخذنا أهلها
بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه لعلهم يضرعون
ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا أردية الكبر والعزة ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه
من البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا حتى كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم
من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر إذا كثرت ومنه قوله عليه السلام وأعفوا اللحى وقال الحطيئة
بمستأسد القريان عاف نباته وقال ولكنا نعض السيف منها بأسوق عافيات الشحم كوم وقالوا قد مس
آباءنا الضراء والسراء يعني وأبطرتهم النعمة وأشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء
وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده فلم يبق بعد ابتلائهم بالسيئات والحسنات إلا أن نأخذهم
بالعذاب فأخذناهم أشد الأخذ وأفظعه وهو أخذهم فجأة من غير شعور منهم اللام في القرى إشارة
إلى القرى التي دل عليها قوله وما أرسلنا في قرية من نبي كأنه قال ولو أن أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا آمنوا بدل
كفرهم واتقوا المعاصي مكان ارتكابها لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض لآتيناهم بالخير من كل وجه وقيل
أراد المطر والنبات ولكن كذبوا فأخذناهم بسوء كسبهم ويجوز أن تكون اللام في القرى للجنس فإن قلت ما معنى
فتح البركات عليهم قلت تيسيرها عليهم كما ييسر أمر الأبواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القارئ
إذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين بياتا يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا ومنه قوله تعالى
فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون وقد يكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بياتا
فيجوز أن يراد أن يأتيهم بأسنا بائتين أو وقت بيات أو مبيتا أو مبيتين أو يكون بمعنى تبييتا كأنه قيل أن
يبيتهم بأسنا بياتا وضحى نصب على الظرف يقال أتيته ضحى وضحيا وضحي والضحى في الأصل اسم لضوء الشمس
إذا أشرقت وارتفعت والفاء والواو في أفأمن وأوأمن حرفا عطف دخلت عليهما همزة الإنكار فإن قلت
ما المعطوف عليه ولم عطفت الأولى بالفاء والثانية بالواو قلت المعطوف عليه قوله فأخذناهم بغتة
وقوله ولو أن أهل القرى إلى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وإنما عطف بالفاء لأن المعنى
فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وأمنوا أن يأتيهم
بأسنا ضحى وقرئ أو أمن على العطف بأو وهم يلعبون يشتغلون بما لا يجدي عليهم كأنهم يلعبون فإن قلت فلم رجع
فعطف بالفاء قوله أفأمنوا مكر الله قلت هو تكرير لقوله أفأمن أهل القرى ومكر الله استعارة لأخذه
العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه فعلى العاقل أن يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من عدوه
الكمين والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم رحمه الله أن ابنته قالت له ما لي أرى الناس ينامون ولا أراك
تنام قال يا بنتاه إن أباك يخاف البيات أراد قوله أن يأتيهم بأسنا بياتا أو لم يهد قرئ أو لم يهد لهم بالياء
كأن أن لو نشاء مرفوعا بأنه فاعله بمعنى أو لم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم أرضهم
هذا الشأن وهو أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم فأهلكنا الوارثين كما أهلكنا
الموروثين وقرئ بالنون فهو منصوب كأنه قيل أو لم نهد للوارثين هذا الشأن بمعنى أو لم نبين
لهم أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وإنما عدي فعل الهداية باللام لأنه بمعنى التبيين
فإن قلت بم تعلق قوله ونطبع على قلوبهم قلت فيه أوجه أن يكون معطوفا على ما دل عليه معنى أو لم يهد
كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم أو على يرثون الأرض أو يكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع على
قلوبهم فإن قلت هل يجوز أن يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما كان لو نشاء بمعنى ولو شئنا ويعطف على أصبناهم
قلت لا يساعد عليه المعنى لأن القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من
اقتراف الذنوب والإصابة بها وهذا التفسير يؤدي إلى خلوهم عن هذه الصفة وأن الله تعالى لو شاء
لاتصفوا بها تلك القرى نقص عليك من أنبائها كقوله هذا بعلي شيخا في أنه مبتدأ وخبر وحال ويجوز أن تكون
القرى صفة لتلك ونقص خبرا وأن تكون القرى نقص خبرا بعد خبر فإن قلت ما معنى تلك القرى حتى يكون
كلاما مفيدا قلت هو مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك هو الرجل
الكريم فإن قلت ما معنى الإخبار عن القرى بنقص عليك من أنبائها قلت معناه أن تلك القرى
المذكورة نقص عليك بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل
بالبينات بما كذبوه من آيات الله من قبل مجيء الرسل أو فما كانوا ليؤمنوا إلى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولا

حين جاءتهم الرسل اي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل اليهم الى ان ماتوا مصرين لا يرعوون ولا
تلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات. ومعنى اللام تأكيد النفي
وان الايمان كان منافيا لحالهم في التصميم على الكفر. وعن مجاهد هو كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا
عنه. كذلك مثل ذلك الطبع الشديد نطبع على قلوب الكافرين. وما وجدنا لأكثرهم من عهد الضمير للناس على الاطلاق
اي وما وجدنا لاكثر الناس من عهد يعني ان اكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الايمان والتقوى. وان وجدنا
وان الشأن والحديث وجدنا اكثرهم لفاسقين خارجين عن الطاعة مارقين. والآية اعتراض ويجوز
ان يرجع الضمير الى الامم المذكورين وانهم كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن انجيتنا لنكونن ثم
لما نجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى قوله ثم لما نجاهم اذا هم
ينكثون. والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول ان المخففة واللام الفارقة
ولا يسوغ ذلك الا في المبتدأ والخبر والافعال الداخلة عليهما. من بعدهم الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم
او للأمم. فظلموا بها فكفروا بآياتنا اجرى الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد. ان الشرك لظلم عظيم. او فظلموا
الناس بسببها حين اوعدوهم وصدوهم عنها وآذوا من آمن بها. ولانه اذا وجب الايمان بها فكفروا بدل
الايمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها اي كفروا بها واضعين للكفر غير موضعه وهو موضع الايمان. يقال
لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الاكاسرة فكانه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد
بن مصعب بن الريان. حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق فيه اربع قراءات المشهورة وحقيق علي ان لا اقول وهي قراءة نافع وحقيق
ان لا اقول وهي قراءة عبد الله وحقيق بان لا اقول وهي قراءة ابي. وفي المشهورة اشكال ولا تخلو من وجوه احدها ان يكون مما
يقلب من الكلام لأمن الالباس كقوله. وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر. ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح والثاني
ان ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق اي لازما له والثالث ان تضمن حقيق معنى
حريص كما ضمن هيجني معنى ذكرني في بيت الكتاب. اذا تغنى الحمام الورق هيجني. ولو تغربت عنها ام عمار. والرابع وهو
الاوجه والادخل في نكت القرآن ان يغرق موسى عليه السلام في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لاسيما وقد روي ان عدو الله
فرعون قال له لما قال اني رسول رب العالمين كذبت فيقول انا حقيق على قول الحق اي واجب علي قول الحق ان اكون انا
قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلي ناطقا به. فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسة
التي هي وطنهم ومولد آبائهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفي وانقرضت الاسباط غلب فرعون اللعين نسلهم واستعبدهم
فانقذهم الله تعالى بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى اربعمائة عام
فان قلت كيف قال له فأت بها بعد قوله ان كنت جئت بآية **قلت** معناه ان كنت جئت من عند من ارسلك بآية فأتني
بها واحضرها عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك. ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان. وروي انه
كان ثعبانا ذكرا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل في الارض ولحيه الاعلى على
سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واحدث ولم يكن احدث قبل ذلك
وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون
البيت وصاح يا موسى خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فأخذه موسى عليه السلام فعاد عصا. **فان قلت** بم يتعلق
للناظرين **قلت** يتعلق ببيضاء والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا
عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه كما تجتمع النظارة للعجائب. وذلك ما يروى انه ارى فرعون يده
فقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع
الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الأدمة. ان هذا لساحر عليم اي عالم بالسحر ماهر فيه قد اخذ عيون
الناس بخدعة من خدعه حتى خيل اليهم العصا حية وانه قال للملأ وعزي ها هنا اليهم **قلت** قد قاله هو
وقالوه هم فحكي ثم قوله وحكي ها هنا قولهم او قاله ابتداء فتلقنه منه الملأ فقالوه لأعقابهم او قالوه عنه للناس
على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأي فيكلم به من يليه من الخاصة ثم تبلغه الخاصة العامة
والدليل عليه انهم اجابوه في قولهم ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وقرئ سحار
اي يأتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة او بخير منه وكانت هذه مؤامرة مع القبط وقولهم فماذا تأمرون
من امرته فامرني بكذا اذا شاورته فاشار عليك برأي وقيل فماذا تأمرون من كلام فرعون قاله
للملأ لما قالوا له ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم كانه قيل فقال فماذا تأمرون قالوا ارجه واخاه ومعنى
ارجه واخاه اخرهما واصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر امرهما وقيل احبسهما وقرئ ارجئه بالهمز
وارجه من ارجأه وارجاه. **فان قلت** هلا قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا **قلت** هو على تقدير سائل سأل
ما قالوا اذ جاءوه فاجيب بقوله قالوا ائن لنا لاجرا اي جعلا على الغلبة وقرئ ان لنا لاجرا على الاخبار
واثبات الاجر العظيم وايجابه كانهم قالوا لا بد لنا من اجر. والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له
لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة. **فان قلت** وانكم لمن المقربين ما الذي عطف عليه **قلت** هو
معطوف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كانه قال ايجابا لقولهم ان لنا لاجرا نعم ان لكم لاجرا
وانكم لمن المقربين اراد اني لا اقتصر بكم على الثواب وحده وان لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو
التقريب والتعظيم لان المثاب انما يتهنأ بما يصل اليه ويغتبط به اذا نال معه الكرامة والرفعة.
وروي انه قال لهم تكونون اول من يدخل وآخر من يخرج. وروي انه دعا برؤساء السحرة ومعلميهم فقال
لهم ما صنعتم قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة
لنا به. وروي انهم كانوا ثمانين الفا وقيل سبعين الفا وقيل بضعة وثلاثين الفا واختلفت الروايات
فمن مقل ومن مكثر وقيل كان يعلمهم مجوسيان من اهل نينوى وقيل قال فرعون لا نغالب موسى

الا بما هو منه يعني السحر. تخييرهم اياه ادب حسن راعوه معه كما يفعل اهل الصناعات اذا التقوا
كالمتناظرين قبل ان يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين قبل ان يتآخذوا للصراع. وقولهم واما
ان نكون نحن الملقين فيه ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل
وتعريف الخبر واقحام الفصل. وقد سوغ لهم موسى عليه السلام ما تراغبوا فيه ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة
بهم وثقة بما كان بصدده من التأييد السماوي وان المعجزة لن يغلبها سحر ابدا. سحروا اعين الناس
اروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه كقوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى.
وروي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي امثال الحيات قد ملأت الارض وركب بعضها
بعضا. واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم استدعوا رهبتهم. بسحر عظيم في
باب السحر. وروي انهم لونوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزيبق
ما يأفكون ما موصولة او مصدرية بمعنى ما يأفكونه اي يقلبونه من الحق الى الباطل ويزورونه. او
افكهم تسمية للمأفوك بالافك. وروي انها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى عليه السلام
فرجعت عصا كما كانت واعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان
هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا. فوقع الحق فحصل وثبت. ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم اي فاثر
فيها من قولهم قاس وقيع. وانقلبوا صاغرين وصاروا اذلاء مبهوتين. والقي السحرة ساجدين وخروا سجدا
كانما القاهم ملق لشدة خرورهم. وقيل لم يتمالكوا مما رأوا فكانهم القوا. وعن قتادة كانوا اول النهار
كفارا سحرة وفي آخره شهداء بررة. وعن الحسن تراه ولد في الاسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا.
وهؤلاء كفار نشأوا في الكفر بذلوا انفسهم لله. آمنتم به على الاخبار اي فعلتم هذا الفعل الشنيع
توبيخا لهم وتقريعا. وقرئ أآمنتم به بحرف الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد. ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة
ان صنيعكم هذا لحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا منها الى هذه الصحراء قد تواطأتم
على ذلك لغرض لكم وهو ان تخرجوا منها القبط وتسكنوها بني اسرائيل. وكان هذا الكلام من فرعون
تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان. وروي ان موسى عليه السلام قال للساحر الاكبر اتؤمن بي ان
غلبتك قال لآتين بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لأومنن بك وفرعون اللعين يسمع ولذلك قال ما قال. فسوف تعلمون
وعيد اجمله ثم فصله بقوله لاقطعن. وقرئ لأقطعن بالتخفيف وكذلك لاصلبنكم. من خلاف
من كل شق طرفا وقيل ان اول من قطع من خلاف وصلب لفرعون. انا الى ربنا منقلبون فيه اوجه ان يريدوا
انا لا نبالي بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك. او ننقلب الى الله يوم
الجزاء فيثيبنا على شدة القطع والصلب. او انا جميعا يعنون انفسهم وفرعون ننقلب الى الله فيحكم بيننا.
او انا لا محالة ميتون منقلبون الى الله فما تقدر ان تفعل بنا الا ما لا بد لنا منه. وما تنقم منا الا ان
آمنا وما تعيب منا الا الايمان بآيات الله اراد وما تعيب منا الا ما هو اصل المناقب والمفاخر
كلها وهو الايمان ومنه قوله. ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم. بهن فلول من قراع الكتائب. افرغ
علينا صبرا هب لنا صبرا واسعا واكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افراغا. وعن
بعض السلف ان احدكم ليفرغ على اخيه ذنوبا ثم يقول قد مازحتك اي يغمره بالحياء والخجل او صب
علينا ما يطهرنا من اوضار الآثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لانهم علموا انهم اذا
استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة لهم. وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام. ويذرك عطف على ليفسدوا
لانه اذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك مؤديا الى ما دعوه فسادا والى تركه وترك آلهته فكانه تركهم لذلك
او هو جواب للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة. الم اك جاركم ويكون بيني. وبينكم المودة والاخاء.
والنصب باضمار ان تقديره ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وآلهتك. وقرئ ويذرك والهتك
بالرفع عطفا على اتذر بمعنى اتذره وأيذرك اي اتطلق له ذلك او يكون مستأنفا او حالا على معنى اتذره
وهو يذرك والهتك. وقرأ الحسن ويذرك بالجزم كانه قيل يفسدوا كما قرئ واكن من الصالحين كانه قيل
اصدق. وقرأ انس رضي الله عنه ونذرك بالنون والنصب اي يصرفنا عن عبادتك فنذرها. وقرئ ويذرك والاهتك
اي عبادتك. وروي انهم قالوا له ذلك لانه وان نفى السحرة على الايمان ستمائة الف نفس فارادوا بالفساد
في الارض ذلك. وخافوا ان يغلبوا على الملك. وقيل صنع فرعون لقومه اصناما فامرهم ان يعبدوها
تقربا اليه كما يعبد عبدة الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال انا ربكم الاعلى. سنقتل ابناءهم
يعني سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم
مقهورون تحت ايدينا كما كانوا وان غلبة موسى لا اثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة انه
هو المولود الذي تحدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم
الى اتباعه وانه منتظر بعد. قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا قال لهم ذلك حين قال فرعون
اللعين سنقتل ابناءهم وتضجروا منه وتضجروا يسكنهم ويسليهم ويعدهم النصر عليهم ويذكرهم ما وعد الله

بني اسرائيل من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم **فان قلت** لم اخليت هذه الجملة عن الواو
وادخلت على التي قبلها **قلت** هي جملة مستانفة واما وقال الملا فمعطوفة على ما سبقها
من قوله قال الملا من قوم فرعون وقوله ان الارض لله يجوز ان تكون اللام للعهد ويراد ارض مصر
خاصة كقوله واورثنا الارض وان تكون للجنس فيتناول ارض مصر لانها من جنس الارض كما قال
ضمع النّا المرء باصغريه فاراد بالمرء الجنس وغرضه ان يقنوا ولا يتولوا **والعاقبة للمتقين**
بشارة بان العاقبة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط وان المشية متناولة لهم وقرئ والعاقبة
للمتقين بالنصب اي وان مسعود عطفا على الارض **اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا**
يعنون قتل ابنائهم قبل مولد موسى عليه السلام الى ان استنبئ واعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون
به ويمتهنون فيه من انواع المهن والخدم ويمسون به من العذاب **عسى ربكم ان يهلك عدوكم** تصريح
بما رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في ارض مصر **فينظر
كيف تعملون** فيرى الكاين منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجزيكم على حسب ما يوجد
منكم وعن عمرو بن عبيد رحمه الله انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف او رغيفان فطلب زيادة
لعمرو فلم يوجد فقرأ عمرو هذه الاية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون
بالسنين بسني القحط والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا اسنت القوم
بمعنى اقحطوا وقال ابن عباس اما السنون فكانت لاهل باديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكان في
امصارهم وعن كعب ياتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا تمرة **لعلهم يذكرون** فيتنبهوا على ان ذلك لاصرارهم على الكفر
وتكذيبهم بايات الله ولان الناس في حال الشدة اضرع خدودا والين اعطافا وارق افئدة وقيل
عاش فرعون اربعمائة سنة ولم ير مكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع
او حمى لما ادعى الربوبية **فاذا جاءتهم الحسنة** من الخصب والرخاء **قالوا لنا هذه** اي هذه مختصة بنا ونحن
مستحقوها ولم نزل في النعمة والرفاهية واللام مثلها في قولك الجل للفرس **وان تصبهم سيئة** من ضيق وجدب
يطيروا بموسى ومن معه يتطيروا بهم ويتشاءموا ويقولوا هذه بشومهم ولولا مكانهم لما اصابتنا كما قال الكفرة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه من عندك • **فان قلت** كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة باذا وتعريف الحسنة • وان تصبهم
سيئة بان وتنكير السيئة **قلت** لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه • واما السيئة فلا
تقع الا في الندرة ولا يقع الا شي منها ومنه قول بعضهم قد عددت ايام البلا فهلا عددت ايام الرخاء **طائرهم
عند الله** اي سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو حكمه ومشيته والله هو الذي يشاء ما يصيبهم من الحسنة
والسيئة وليس شوم احد ولا يمنه بسبب فيه كقوله قل كل من عند الله • ويجوز ان يكون معناه الا انما
سبب شومهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون له بعد
موتهم بما وعدهم الله تعالى في قوله النار يعرضون عليها الاية ولا طائر اشأم من هذا وقرئ انما
طيرهم عند الله وهو اسم لجمع طائر غير تكسير ونظيره التجر والركب وعند ابي الحسن هو تكسير
مهما هي ما المتضمنة معنى الجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج اخرج **اينما تكونوا يدرككم**
فاما تذهبن بك الا ان الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصري
ومن الناس من زعم ان مه هي الصوت الذي يصوت به الكاف وما للجزاء كانه قيل كف ما تاتنا به
من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين **فان قلت** ما محل مهما **قلت** الرفع بمعنى ايما شي تاتنا به او النصب
بمعنى اي ما شي تحضرنا تاتنا به ومن اية تبيين لمهما والضميران في به وبها راجعان الى مهما الا ان
احدهما ذكر على اللفظ والثاني انث على المعنى لانه في معنى الاية ونحوه قول زهير ومهما يكن عند امرئ من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم • وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية
فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتني اعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام
واضع العربية في شي ثم يذهب فيفسر مهما تاتنا به من اية بمعنى الوقت فيلحد في ايات الله وهو لا يشعر
وهذا وامثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه **فان قلت** كيف سموها اية ثم قالوا
لتسحرنا بها **قلت** ما سموها اية لاعتقادهم انها اية وانما سموها اعتبارا لتسمية موسى وقصدوا
بذلك الاستهزاء والتلهي **الطوفان** ما طاف بهم وغلبهم من مطر او سيل قيل طغا الماء فوق حروثهم وذلك
انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر احد ان يخرج من داره وقيل
ارسل الله تعالى عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلات
بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمن جلس غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل قطرة وفاض الماء
على وجه ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة ايام • وعن ابي قلابة
الطوفان الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون
فقالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما امنوا فنبت لهم
تلك السنة من الكلا والزرع ما لم يعهدوا مثله فاقاموا شهرا فبعث الله عليهم الجراد

فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شي حتى الابواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت
بني اسرائيل شي منه ففزعوا الى موسى ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة ايام فخرج موسى عليه السلام الى الفضا
فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركي ديننا فاقاموا
شهرا فسلط الله تعالى عليهم القمل وهو الحمنان في قول ابي عبيدة كبار القردان وقيل الدبا وهو
اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير رحمه الله السوس فاكل ما ابقاه الجراد
ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه وكان ياكل احدهم طعاما فيمتلئ قملا
وكان يخرج احدهم عشرة اجربة الى الرحا فلا يرد منها الا يسيرا وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر
فضربه موسى عليه السلام بعصاه فصار قملا فاخذت في ابشارهم واشعارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم
جلودهم كانه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى عليه السلام فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر
وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل الله عليهم بعد شهر الضفادع فدخلت بيوتهم وامتلات منها انيتهم
واطعمتهم فلا يكشف احدهم شيا من ثوب ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل اذا اراد
ان يتكلم وثب الضفدع الى فيه وكانت تمتلي منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها في القدور
وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فشكوا الى موسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي الا ان نتوب التوبة النصوح
ولا نعود فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله تعالى عنهم ثم نقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت
مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال انه سحركم فكان يجمع بين القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي
الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطي الدم وللاسرائيلي الماء حتى ان المراة
القبطية تقول لجارتها الاسرائيلية اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دما وعطش فرعون
حتى اشفى على الهلاك فكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا اجاجا وعن سعيد
بن المسيب رحمه الله سال عليهم النيل دما وقيل سلط الله عليهم الرعاف وروي ان موسى عليه السلام مكث فيهم بعد ما غلب
السحرة عشرين سنة يريهم هذه الايات وروي انه لما راهم لا يزدادون الا عتوا ونقضا للعهد قال يا رب
ان عبدك هذا قد علا في الارض فخذه بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي اية فبعث
الله عليهم الطوفان ثم الجراد ثم كذا بعده من النقم وقرئ الحسن والقمل بسكون الميم وفتح القاف يريد القمل
المعروف **ايات مفصلات** نصب على الحال ومعنى مفصلات مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل انها من ايات الله تعالى
التي لا تقدر عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم او فصل بين بعضها وبعض بزمان يمتحن فيه احوالهم وينظر
ايستقيمون على ما وعدوا من انفسهم ام ينكثون الزاما للحجة عليهم **بما عهد عندك** ما مصدرية والمعنى
بعهده عندك وهو النبوة • والبا اما ان تتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين احدهما اسعفنا الى ما
نطلب من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة او ادع لنا متوسلا اليه بعهده عندك • لئن
كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك **الى اجل هم بالغوه** الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم
ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله **اذا هم ينكثون** جواب لما يعني فلما كشفنا عنهم
فاجاوا النكث وبادروه ولم يؤخروه ولكن لما كشف عنهم نكثوا • **فانتقمنا منهم** فاردنا الانتقام منهم
فاغرقناهم **في اليم** البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم
لان المستنفعين به يقصدونه **بانهم كذبوا باياتنا** اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالايات وغفلتهم
عنها وقلة فكرهم فيها **القوم الذين كانوا يستضعفون** هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه
والارض ارض مصر والشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف شاءوا في اطرافها ونواحيها
الشرقية والغربية **باركنا فيها** بالخصب وسعة الارزاق **كلمة ربك الحسنى** قوله ونريد ان نمن على الذين
استضعفوا في الارض الى قوله ما كانوا يحذرون • **والحسنى** تانيث الاحسن صفة للكلمة ومعنى تمت على بني
اسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه **بما صبروا** بسبب صبرهم • وحسبك به حاثا
على الصبر ودالا على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج
وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله وتلا الاية ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم يرزن رزانة
اولي الصبر • وروى عاصم في رواية وتمت كلمات ربك الحسنى ونظيره من ايات ربه الكبرى **ما كان يصنع فرعون
وقومه** ما كانوا يعملون ويسوون من العمارات وبناء القصور **وما كانوا يعرشون** من الجنات وهو الذي انشاء
جنات معروشات او وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره • وقرئ يعرشون بالكسر
والضم وذكر اليزيدي ان الكسر افصح • وبلغني انه قرئ بعض الناس يغرسون من غرس الاشجار وما احسبه
الا تصحيفا منه • **وهذا اخر ما** اقتص الله من نبا فرعون والقبط وتكذيبهم بايات الله وظلمهم ومعاصيهم
ثم اتبعه اقتصاص نبا بني اسرائيل وما احدثوه بعد انقاذهم من مملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم
الايات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من انواع الكفر
والمعاصي ليعلم حال الانسان وانه كما وصفه تعالى ظلوم كفار جهول كنود الا من عصمه الله وقليل من عبادي الشكور

وليبتلي رسول الله ثم ما رأى من بني اسرائيل بالمدينة وروي انه عبر بهم موسى عليه السلام يوم عاشورا بعدما اهلك الله فرعون
وقومه فصاموه شكرا لله تعالى فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يواظبون على عبادتها ويلازمونها قال
ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل وقيل كانوا قوما من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين الذين
امر موسى عليه السلام بقتالهم وقرئ وجوّزنا بمعنى اجزنا يقال اجاز المكان وجوّزه وجاوزه بمعنى جازه كقولك
اعلاه وعلّاه وعالاه وقرئ يعكُفون بضم الكاف وكسرها اجعل لنا الها صنما نعكف عليه كما لهم
اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها وعن علي رضي الله عنه ان يهوديا قال له
اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا الها ولم تجف اقدامكم انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم
على اثر ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق واكده لانه لا جهل اعظم مما رأى منهم
ولا اشنع ان هؤلاء يعني عبدة تلك التماثيل متبّر ما هم فيه مدمّر مكسّر ما هم فيه من قولهم اناء متبّر اذا
كان فضاضا ويقال لكسار الذهب التبر اي يتبّر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يديّ ويحطّم
اصنامهم هذه ويتركها رضاضا وباطل ما كانوا يعملون اي ما عملوا شيئا من عبادتها فيما سلف الا وهو باطل مضمحل
لا ينتفعون به وان كان في زعمهم تقربا الى الله تعالى كما قال وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفي
ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاوثان بانهم هم المعرضون
للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا
اغير الله ابغيكم الها اغير المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا وهو فضلكم ما فعل دون غيركم من الاختصاص
بالنعمة التي لم يعطها احدا غيركم لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة الانكار والتعجب من طلبهم مع كونهم
مغمورين في نعمة الله تعالى عبادة غير الله يسومونكم سوء العذاب يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة اذا
طلبها فان قلت ما محل يسومونكم قلت هو استيناف لا محل له ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين او من
آل فرعون وذلكم اشارة الى الانجاء او الى العذاب وفي ذلكم بلاء النعمة والمحنة وقرئ يقتلون بالتخفيف وروي
ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون
وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين يوما وهو شهر ذي القعدة فلما
اتم الثلاثين انكر خلوف فمه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل
اوحى الله تعالى اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فامره الله تعالى ان يزيد عليها
عشرة ايام من ذي الحجة لذلك وقيل امره الله تعالى ان يصوم ثلاثين يوما وان يعمل فيها ما يقربه الى الله
ثم انزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها ولقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصلها ههنا
وميقات ربه ما وقّت له من الوقت وضربه له واربعين ليلة نصب على الحال اي تم بالغا هذا العدد
وهرون عطف بيان لاخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح كن مصلحا او
واصلح ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه
لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا له وحددنا ومعنى اللام الاختصاص فكانه قيل واختص مجيئه لميقاتنا
كما تقول اتيته لعشر خلون من الشهر وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا
به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في اللوح وروي ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن
ابن عباس كلمه اربعين يوما واربعين ليلة وكتب له في الالواح وقيل انما كلمه في اول الاربعين ارني انظر اليك
ثاني مفعولي ارني محذوف اي ارني نفسك انظر اليك فان قلت الرؤية عين النظر فكيف قيل ارني انظر اليك
قلت معنى ارني نفسك اجعلني متمكنا من رؤيتك بان تتجلى لي فانظر اليك واراك فان قلت فكيف قال لن تراني
ولم يقل لن تنظر الي لقوله انظر اليك قلت لما قال ارني بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية التي هي الادراك علم
ان الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا ادراك معه فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر الي فان قلت كيف طلب
موسى ذلك وهو من اعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية
التي هي ادراك ببعض الحواس وذلك انما يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال ان يكون
في جهة ومنع المجبرة احالته في العقول غير لازم لانه ليس باول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون
طالبه وقد قال حين اخذت الذين قالوا ارنا الله جهرة الرجفة اتهلكنا بما فعل السفهاء منا الى قوله تضل
بها من تشاء فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا قلت ما كان طلب الرؤية الا ليبكت هؤلاء
الذين دعاهم سفهاء وضلالا وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك انهم حين طلبوا الرؤية انكر عليهم واعلمهم
الخطا ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
فاراد ان يسمعوا النص من عند الله تبارك وتعالى باستحالة ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا
وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب ارني انظر اليك فان قلت فهلا قال ارهم ينظروا
اليك قلت لان الله سبحانه انما كلم موسى عليه السلام وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة
ارادوا ان يري موسى ذاته فيبصروه معه كما اسمعه كلامه فسمعوه معه ارادة مبنية على قياس

فاسد

فاسد فلذلك قال موسى ارني انظر اليك ولانه اذا زجر عما طلب وانكر عليه في نبوته عليه السلام واختصاصه وزلفته عند الله
وقيل له لن يكون ذلك كان غيره اولى بالانكار ولان الرسول امام امته فكان ما يخاطب به او ما يخاطب
راجعا اليهم وقوله انظر اليك وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل على انه
ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم وجل صاحب الجمل ان يجعل الله منظورا اليه مقابلا بحاسة
النظر فكيف بمن هو اعرق في معرفة الله تعالى من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وابي الهذيل
والشيخين وجميع المتكلمين فان قلت ما معنى لن قلت تاكيد النفي الذي تعطيه لا وذلك ان لا تنفي
المستقبل تقول لا افعل غدا فاذا اكدت نفيها قلت لن افعل غدا والمعنى ان فعله ينافي حالي كقوله
لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه الابصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تاكيد وبيان
لان المنفي مناف لصفاته فان قلت كيف اتصل الاستدراك في قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله قلت
اتصل به على معنى ان النظر الي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر اخر وهو ان تنظر الى الجبل الذي يرجف بك
وبمن طلبت الرؤية لاجلهم كيف افعل به وكيف اجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما اقدمت
عليه بما اريك من عظم اثره كانه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد اليه
في قوله وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فان استقر مكانه كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا في جهاته
فسوف تراني تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكا ويسويه
بالارض وهذا كلام مدمج بعضه في بعض وارد على اسلوب عجيب ونمط بديع الا ترى كيف تخلص من النظر
الى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود
الرؤية اعني قوله فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره وتصدى له
امره وارادته جعله دكا اي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الامير والدك والدق اخوان
كالشك والشق وقرئ دكاء والدكاء اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة او ارضا دكاء مستوية
ومنه قولهم ناقة دكاء متواضعة السنام وعن الشعبي قال لي الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاء
اي مدها مستوية وقرأ يحيى بن وثاب دكا اي قطعا دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا من هول
ما رأى وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقته فصعق واصله من الصاعقة ويقال لها الصاقعة
من صقعه اذا ضربه على رأسه ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت وروي ان الملائكة مرت
عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة
فلما افاق من صعقته قال سبحانك انزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها تبت اليك من
طلب الرؤية وانا اول المؤمنين بانك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس فان قلت فان كان
طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب قلت من اجرائه تلك المقالة العظيمة وان كان لغرض صحيح على لسانه
من غير اذن فيه من الله فانظر الى اعظام الله امر الرؤية في هذه الآية وكيف ارجف الجبل بطالبيها
وجعله دكا وكيف اصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة في اعظام الامر وكيف سبح ربه ملتجئا اليه وتاب
من اجراء تلك الكلمة على لسانه وقال انا اول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين باهل السنة
والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة اي بلا كيف فانه من منصوبات
اشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم لجماعة سموا هواهم سنة وجماعة حمر لعمري موكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفه وتفسير اخر وهو ان يريد بقوله انظر اليك عرفني نفسك
تعريفا واضحا جليا كانها اراءة في جلائها باية مثل ايات القيامة التي تضطر الخلق الى معرفتك انظر اليك اعرفك
معرفة اضطرار كاني انظر اليك كما جاء في الحديث سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية
هي في الجلاء كابصاركم القمر اذا امتلا واستوى قال لن تراني اي لن تطيق معرفتي على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك
تلك الاية المضطرة ولكن انظر الى الجبل فاني اورد عليه واظهر له اية من تلك الايات فان ثبت لتجليها
واستقر مكانه ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له اية من ايات قدرته
وعظمته جعله دكا وخر موسى صعقا لعظم ما رأى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك مما اقترحت وتجاسرت
وانا اول المؤمنين بعظمتك وجلالك وان شيئا لا يقوم لبطشك وباسك اصطفيتك على الناس اخترتك على اهل زمانك
واثرتك عليهم برسالاتي وهي اسفار التوراة وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما اتيتك ما اعطيتك من شرف النبوة
والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة في ذلك فهي من اجل النعم وقيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطي التوراة يوم النحر
فان قلت كيف قال اصطفيتك على الناس وكان هرون مصطفى مثله ونبيا قلت اجل ولكنه كان تابعا له
وردءا ووزيرا والكليم هو موسى والاصيل في حمل الرسالة وكتبنا له في الالواح ذكروا في عدد الالواح وفي جوهرها وطولها
انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبريل وقيل من
زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها باصابعه
وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة وان طولها كان عشرة اذرع وقوله من كل شيء
في محل النصب مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلا بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين

في سبعين من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل انزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام وعن مقاتل كتب الله في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبل ولا تحلفوا باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها فقلنا له خذها عطفا على كتبنا ويجوز ان يكون بدلا من قوله فعظة ما انعته والضمير في فخذها للالواح او لكل شي لانه في معنى الاشيا او للرسالات او للتوراة ومعنى بقوة بجد وعزيمة فعل اولي العزم من الرسل باحسنها اي فيها ما هو حسن واحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان يحملوا على انفسهم في الاخذ بما هو ادخل في الحسن واكثر للثواب كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وقيل باحسنها بما هو واجب او ندب لانه احسن من المباح ويجوز ان يراد باحسنوا ما امروا به دون ما نهوا عنه على قولك الصيف احر من الشتا ساريكم دار الفاسقين يريد دار فرعون وقومه وهي مصر كيف اقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين اهلكهم الله لفسقهم في ممركم عليهم في اسفاركم وقيل دار الفاسقين نار جهنم وقرى الحسن ساوريكم وهي لغة فاشية بالحجاز يقال اورني كذا واورثنيه لذا ووجهه ان يكون من اوريت الزند كان المعنى بينه لي وانره لاستبينه وقرى سأورثكم وهي قراءة حسنة يصححها قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون سأصرف عن آياتي بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عظمت امتي الدنيا نزع الله عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون ان يبطل آية موسى بان جمع لها السحرة فابى الله الا علو الحق وانتكاس الباطل ويجوز سأصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها سحرا باهلاكهم وفيه انذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الآيات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا مثلهم فيسلك بهم سبيلهم بغير الحق فيه وجهان ان يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده وان يكون صلة لفعل التكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم وان يروا كل آية من الآيات المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها وقرى مالك بن دينار وان يروا بضم اليا وقرى سبيل الرشد والرشد والرشاد كقولهم السقم والسقم والسقام وما اسفهه من ركب المفازة فان ذاى طريقا مستقيما اعرض عنه وتركه وان راى معتسفا مرديا اخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك في دينه اسفه ذلك يحتمل الرفع او النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم او صرفهم الله ذلك الصرف بسببه ولقاء الآخرة يجوز ان يكون من اضافة المصدر الى المفعول به اي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم احوالها او من اضافة المصدر الى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الآخرة من بعده من بعد فراقه اياهم الى الطور فان قلت لم قيل واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ هو السامري قلت فيه وجهان ان ينسب الفعل اليهم لان رجلا منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا كذا والقائل والفاعل واحد ولانهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكانهم اجتمعوا عليه والثاني ان يراد اتخذوه الها وعبدوه وقرى من حليهم بضم الحا والتشديد جمع حلي كثدي وثدي ومن حليهم بالكسر كدلي للاتباع ومن حليهم على التوحيد والحلي اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة فان قلت لم قال من حليهم ولم يكن الحلي لهم انما كانت عواري في ايديهم قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة وكونها عواري في ايديهم كفى به ملابسة على انهم قد ملكوا بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من املاكهم الا ترى الى قوله عز وجل فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرائيل جسدا بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد له خوار صوت البقر قال الحسن ان السامري قبض قبضة من تراب من اثر فرس جبريل يوم قطع البحر فقذفه في في العجل فكان عجلا له خوار وقرى علي عليه السلام جؤار بالجيم والهمز من جأر اذا صاح وانتصاب جسدا على البدل من عجلا الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على هدايته سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق الى سبيل الحق ومناهجه بما ركز في العقول من الادلة وبما انزل في كتبه ثم ابتدأ فقال اتخذوه اي اقدموا على ما اقدموا عليه من الامر المنكر وكانوا ظالمين واضعين كل شي في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا اول مناكيرهم ولما سقط في ايديهم ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان من شان من اشتد ندمه وحسرته ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط مسند الى في ايديهم وهو من باب الكناية وقرى ابو السميفع سقط في ايديهم على تسمية الفاعل اي وقع العض فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم في ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وان كان محالا ان يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين ورأوا انهم قد ضلوا وتبينوا ضلالهم تبينا كانهم ابصروه بعيونهم وقرى لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالتا وربنا بالنصب على النداء وهذا كلام التائبين كما قال آدم وحوا عليهما السلام وان لم تغفر لنا وترحمنا غضبان اسفا الاسف الشديد الغضب فلما آسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين بئسما خلفتموني قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي

وهذا الخطاب اما ان يكون لعبدة العجل من السامري واتباعه او لوجوه بني اسرائيل وهم هرون عليه السلام والمؤمنون معه ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله او حيث لم تكفوا من عبد غير الله فان قلت اين ما تقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم قلت الفاعل مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم فان قلت اي معنى لقوله من بعدي بعد قوله خلفتموني قلت معناه من بعد ما رايتم مني من توحيد الله ونفي الشركا عنه واخلاص العبادة له او من بعد ما كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد واكفهم عما طمحت نحوه ابصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه ونحوه فخلف من بعدهم خلف اي من بعد اولئك الموصوفين بالصفات الحميدة يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الامر على ان الميعاد قد بلغ آخره ولم ارجع اليكم فحدثتم انفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الامم بعد انبيائهم وروى ان السامري قال لهم حين اخرج لهم العجل وقال لهم هذا الهكم واله موسى ان موسى لن يرجع اليكم وانه قد مات وروى انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا والقى الالواح وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضبا لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون الين منه جانبا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى وروى ان التوراة كانت سبعة اسباع فلما القى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شي وفيما بقي الهدى والرحمة واخذ براس اخيه اي بشعر راسه يجره اليه بذوائبه وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر الذي استفزه وذهب بفطنته وظنا باخيه انه فرط في الكف ابن ام قرئ بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح يا الاضافة وابن امي بالياء وابن ام بكسر الهمزة والميم وقيل كان اخاه لابيه وامه فان صح فانما اضافه الى الام اشارة الى انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف والرقة واعظم للحق الواجب ولانها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولانها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها ان القوم استضعفوني يعني انه لم يال جهدا بالوعظ والانذار وما بلغته طاقته من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبق الا ان يقتلوه فلا تشمت بي الاعدا فلا تفعل بي ما هو امنيتهم من الاستهانة بي والاساءة الي وقرى فلا تشمت بي الاعدا على نهي الاعدا عن الشماتة والمراد ان لا يحل به ما يشمتون به لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين ولا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي قرينا لهم وصاحبا او ولا تعتقد اني واحد من الظالمين مع برائتي منهم ومن ظلمهم لما اعتذر اليه اخوه وذكر له شماتة الاعدا قال رب اغفر لي ولاخي ليرضي اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه الى اخيه ولاخيه ان عسى فرط في حسن الخلافة وطلب ان لا يتفرقا عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والآخرة غضب من ربهم وذلة الغضب ما امروا به من قتل انفسهم والذلة خروجهم من ديارهم لان ذل الغربة مثل مضروب وقيل هو ما نال ابنا ابنائهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله بالقتل والجلا ومن الذلة بضرب الجزية المفترين المتكذبين على الله ولا فرية اعظم من قول السامري هذا الهكم واله موسى ويجوز ان يتعلق في الحيوة الدنيا بالذلة وحدها ويراد سينالهم غضب في الآخرة وذلة في الحيوة الدنيا كقوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله والذين عملوا السيآت من الكفر والمعاصي كلها ثم تابوا ثم رجعوا من بعدها الى الله واعتذروا اليه وامنوا واخلصوا الايمان ان ربك من بعدها من بعد تلك العظائم لغفور لستور عليهم محاء لما كان منهم رحيم منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل ومن عداهم عظم جنايتهم اولا ثم اردفها بعظيم رحمته ليعلم ان الذنوب وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه اعظم واجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهي وجوب التوبة والانابة وما وراءه طمع فارغ واشعبية باردة لا يلتفت اليها حازم ولما سكت عن موسى الغضب هذا مثل كان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا والق الالواح وجر براس اخيك اليك فترك النطق بذلك وقطع الاغرا ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة والا فما لقراءة معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة وقرى ولما سكت واسكت اي اسكته الله او اخوه باعتذاره اليه وتنصله والمعنى ولما طفي غضبه اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها اي كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة لربهم يرهبون دخلت اللام لتقدم المفعول لان تأخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه للرويا تعبرون وتقول لك ضربت واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل كقوله ومنا الذي اختير الرجال سماحة وروى انه اختار من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة حتى تتاموا اثنين وسبعين رجلا فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروى انه لم يصب الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا ابناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبا فامرهم موسى ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سينا لميقات ربه وكان امره ربه ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال

القوم ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل
ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وانكر عليهم فقالوا يا موسى لن نؤمن
لك حتى نرى الله جهرة فقال رب ارني انظر اليك يريد ان يسمعوا الرد والانكار من جهته تعالى فاجيب بلن تراني
ورجف بهم الجبل فصعقوا ولما كانت الرجفة قال موسى رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وهذا
تمن للاهلاك قبل ان يرى ما رأى من تبعة طلب الرؤية كما يقول النادم على الامر اذا رأى سوء
المغبة لو شاء الله لاهلكني قبل هذا اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني نفسه واياهم لانه انما طلب الرؤية زجرا
للسفهاء وهم طلبوها سفها وجهلا ان هي الا فتنتك اي محنتك وابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا كلامك فاستدلوا
بالكلام على الرؤية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا وضلوا تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء تضل بالمحنة
الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل ذلك اضلالا من
الله وهدى منه لان محنته لما كانت سببا لان ضلوا واهتدوا فكانه اضلهم بها وهداهم على الاتساع
في الكلام انت ولينا مولانا القائم بامورنا واكتب لنا واثبت لنا واقسم في هذه الدنيا حسنة عافية وحياة طيبة
او توفيقا في الطاعة وفي الاخرة الجنة هدنا اليك تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا رجع وتاب والهود جمع
هائد وهو التائب ولبعضهم يا راكب الذنب هد هد واسجد كانك هدهد وقرأ ابو وجزة
السعدي هدنا اليك بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه وامالة ويحتمل امرين احدهما ان يكون مبنيا
للفاعل والمفعول بمعنى حركنا اليك انفسنا وامِلنا ها او حركنا اليك وامِلنا على تقدير فُعلنا كقولك عُدت
يا مريض بكسر العين فعلت من العيادة ويجوز عدت بالاشمام وعُدت باخلاص الضمة فيمن قال
عود المريض وقول القول ويجوز على هذه اللغة ان يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده يهيده عذابي
من حاله وصفته اصيب به من اشاء اي من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة
واما رحمتي فمن حالها وصفتها انها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو
متقلب في نعمتي وقرأ الحسن من اساء من الاساءة فساكتبها هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين
يكونون في اخر الزمان من امة محمد صلعم الذين هم بجميع اياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون
الرسول الذي يوحى اليه كتابا مختصا به وهو القرآن النبي صاحب المعجزات الذي يجدونه يجدون
نعته اولئك الذين يتبعونه من بني اسرائيل مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ويحل لهم الطيبات
ويحرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها او ما طاب في الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه
من الذبائح وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبائث ما يستخبث من نحو الميتة والدم ولحم
الخنزير وما اهل لغير الله به او ما خبث في الحكم كالربا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة
الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو
اشتراط قتل الانفس في صحة توبتهم وكذلك الاغلال مثل لما كان في شرائعهم من الاشياء الشاقة نحو
بت القضاء بالقصاص عمدا كان او خطأ من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة
من الثوب والجلد واحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت وعن عطاء كانت بنو اسرائيل
اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها السلسلة
واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ اصارهم على الجمع وعزروه ومنعوه حتى لا يقوى
عليه عدو وقرئ بالتخفيف واصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لانه منع من معاودة
القبيح الا ترى الى تسميته الحد والحد هو المنع النور القرآن فان قلت ما معنى قوله انزل معه وانما انزل
مع جبريل قلت معناه انزل مع نبوته لان استنباءه كان مصحوبا بالقرآن مشفوعا به ويجوز ان يتعلق
باتبعوا اي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي صلعم والعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او واتبعوا القرآن
كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه فان قلت كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى عليه السلام ودعائه قلت لما دعا
لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله تعالى وعلى كفرهم
بايات الله العظام التي اجراها على يد موسى وعرض بذلك في قوله والذين هم باياتنا يؤمنون واريد ان
يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين امنوا برسول الله صلعم وما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل
الكتاب لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح وفي ان يحشروا معهم ولا يفرق بينهم وبين اعقابهم
في رحمة الله التي وسعت كل شيء اني رسول الله اليكم جميعا قيل بعث كل رسول الى قومه خاصة وبعث محمد صلعم الى كافة
الانس وكافة الجن وجميعا نصب على الحال من اليكم فان قلت الذي له ملك السموات والارض ما محله قلت
الاحسن ان يكون منتصبا باضمار اعني وهو الذي يسمى النصب على المدح ويجوز ان يكون جرا على الوصف وان
حيل بين الصفة والموصوف بقوله اليكم جميعا وقوله لا اله الا هو بدل من الصلة التي هي له ملك السموات والارض
وكذلك يحيي ويميت وفي لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة وفي يحيي ويميت
بيان لاختصاصه بالالهية لانه لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره وكلماته وما انزل عليه وعلى من تقدمه من
الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على الافراد وهو القرآن او اراد جنس ما تكلم به وعن مجاهد اراد
عيسى بن مريم وقيل هي الكلمة التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن وانما قيل ان عيسى كلمة الله فخص
بهذا الاسم لانه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى لعلكم تهتدون ارادة ان تهتدوا فان قلت
هلا قيل فامنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم جميعا قلت عدل عن المضمر الى الاسم الظاهر

لتجري

لتجري عليه الصفات التي اجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة وليعلم ان الذي وجب الايمان
به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان انا او غيري
اظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه ومن قوم موسى امة هم المؤمنون التائبون من بني اسرائيل
لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حتى اقدموا على العظيمتين عبادة العجل واستجازة الرؤية
على الله تعالى ذكر ان منهم امة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم
وبالحق يعدلون بينهم في الحكم ولا يجورون او اراد الذين وصفهم ممن ادرك النبي صلعم وامن به من اعقابهم
وقيل ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا
وسألوا الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا
من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبي صلعم ان جبريل ذهب به ليلة
الاسرى نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل عليه السلام هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي
فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرأ عليه مني السلام فرد
محمد صلعم على موسى عليه السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم تكن نزلت فريضة غير الصلوة
والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وعن مسروق رضي الله عنه
قرئ بين يدي عبد الله فقال رجل اني منهم فقال عبد الله يعني لمن كان في مجلسه من المؤمنين وهل يزيد صالحكم
عليهم شيئا منكم من يهدي بالحق وبه يعدل وقيل لو كانوا في طرف من الدنيا متمسكين بشريعته ولم
تبلغهم نسخها لكانوا مهتدين وهذا من باب الفرض والتقدير والا فقد طار الخبر بشريعة محمد صلعم الى
كل افق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله اهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق الارض
ومغاربها الا وقد القاه اليهم وملأ به مسامعهم والزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيمة وقطعناهم
وصيرناهم قطعا اي فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الالفة بينهم وقرئ وقطعناهم بالتخفيف اثنتي عشرة
اسباطا كقولك اثنتي عشرة قبيلة والاسباط اولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا
من ولد يعقوب عليه السلام فان قلت مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل اثني عشر سبطا
قلت لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا
موضع قبيلة ونظيره قوله بين رماحي مالك ونهشل وامما بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم امما لان كل
اسباط كانت امة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد تأتلف
وقرئ اثنتي عشرة بكسر الشين فانبجست فانفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج
وكيف غربي دالج تبجسا فان قلت فهلا قيل فضرب فانبجست قلت لعدم الالباس وليجعل الانبجاس مسببا
عن الايحاء بضرب الحجر للدلالة على ان الموحى اليه وهو موسى لم يتوقف عن اتباع
الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به وقوله كل اناس نظير قوله اثنتي عشرة
اسباطا يريد كل امة من تلك الامم الاثنتي عشرة والاناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وتؤام
واخوات لها ويجوز ان يقال ان الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما ابدلت في نحو سكارى
وغيارى من الفتحة وظللنا عليهم الغمام وجعلناه عليهم ظليلا في التيه وكلوا على ارادة القول وما ظلمونا وما
رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا يضرون انفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم واذ قيل لهم واذكر
اذ قيل لهم والقرية بيت المقدس فان قلت كيف اختلفت العبارة ههنا وفي سورة البقرة قلت لا بأس
باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية فكلوا منها وبين
قوله وكلوا لانهم اذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم الى الاكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والاكل
منها وسواء قدموا الحطة على دخول الباب او اخروها فهم جامعون في الايجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض
اثباته وقوله يغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو
لا يخل بذلك لانه استيناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له
سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان فارسلنا وانزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد وقرئ تغفر لكم
خطيئاتكم ويغفر لكم خطاياكم وخطيئتكم على البناء للمفعول واسألهم وسل اليهود وقرئ واسألهم وهذا السؤال
معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم حدود الله والاعلام بان هذا من علومهم التي لا تعلم الا
بكتاب او وحي فاذا اعلمهم به من لم يقرأ كتابا علم انه من جهة الوحي ونظيره همزة الاستفهام التي يراد بها
التقرير في قوله اعد وتمر في السبت والقرية ايلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية وعن
ابي عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين افصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من اهل المدن حاضرة البحر قريبة منه
راكبة لشاطئه اذ يعدون في السبت اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت لانهم
نهوا عنه وقرئ يعدون بمعنى يعتدون ادغمت التاء في الدال ونقلت حركتها الى العين ويعدون من
الاعداد وكانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم مأمورون بان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت
مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا
اليوم وكذلك قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم امر السبت ويدل عليه قوله تعالى ويوم لا يسبتون
وقرأ عمر بن عبد العزيز ويوم اسباتهم وقرئ لا يسبتون بضم الباء وقرأ علي رضي الله عنه يسبتون بضم الياء من
اسبتوا وعن الحسن لا يسبتون على البناء للمفعول اي لا يدار عليهم السبت ولا يؤمرون بان يسبتوا

فان قلت اذ يعدون واذ تاتيهم ما محلهما من الاعراب قلت اما الاول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية اهلها كانه قيل وسئلهم عن اهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز ان يكون منصوبا بكانت او بحاضرة واما الثاني فمنصوب بيعدون ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل والحيتان السمك واكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمك شرعا ظاهرة على وجه الارض وعن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا واشرف علينا وشرعت على فلان في بيته فرايته يفعل كذا كذلك نبلوهم مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم واذ قالت معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب امة منهم جماعة من اهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول في موعظتهم حتى ايسوا من قبولهم لاخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم اي مخترمهم ومطهر الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا لتماديهم في الشر وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة الى ربكم اي موعظتنا ابلاء عذر الى الله ولئلا ننسب في النهي عن المنكر الى بعض التفريط ولعلهم يتقون ولطمعنا في ان يتقوا بعض الاتقاء وقرئ معذرة بالنصب اي وعظناهم معذرة الى ربكم واعتذرنا معذرة فلما نسوا يعني اهل القرية فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الظالمين الراكبين للمنكر فان قلت الامة الذين قالوا لم تعظون من اي الفريقين هم امن فريق الناجين ام من فريق المعذبين قلت من فريق الناجين لانهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا الا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي حال المنهي وان النهي لا يؤثر فيه سقط عنه النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث الا ترى انك لو ذهبت الى المكاسين القاعدين على المآصر او الجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن الا سببا للتلهي بك واما الاخرون فانما لم يعرضوا عنهم اما لان ياسهم لم يستحكم كما استحكم ياس الاولين ولم يخبروهم كما خبروهم او لفرط حرصهم وجدهم في امرهم كما وصف الله رسوله في قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون قوما تزعمون ان الله مهلكهم او معذبهم وعن ابن عباس انه قال ليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك الا ترى انهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم ازل به حتى عرفته انهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين اخذوا الحيتان وروي ان اليهود امروا باليوم الذي امرتم به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كانها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تاتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس لعنه الله فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتاخذونها يوم الاحد فاخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم صادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثني عشر الفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم اصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان للناس شانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسابها من الانس والانس لا يعرفون انسابهم من القردة فجعل القرد ياتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول الم ننهكم فيقول براسه بلى وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الاخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة ادهى وامر بئيس شديد يقال بؤس يبؤس باسا اذا اشتد فهو بئيس وقرئ بئس بوزن حذر وبئس على كتف ونقل حركتها الى الفاء كما يقال كبد في كبد وبيس على قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيس على فعيل وبكسر الهمزة ونحوها وبيئس بوزن ريئس على قلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيس كهين في هين وبائس على فاعل فلما عتوا عما نهوا عنه فلما تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة عبارة عن مسخهم قردة كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون والمعنى ان الله عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ واذ تاذن ربك عزم ربك وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم على الامر يحدث به نفسه ويؤذنها بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بما يجاب به القسم وهو قوله ليبعثن على اليهود الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب فكانوا يؤدون الجزية الى المجوس الى ان بعث محمد صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى اخر الدهر ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم منهم الصالحون الذين امنوا منهم بالمدينة او الذين وراء الصين ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة فان قلت ما محل دون ذلك قلت الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا الا له مقام معلوم بمعنى وما منا احد الا له مقام معلوم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون فينيبون فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التوراة بقيت في ايديهم

بعد سلفهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها ياخذون عرض هذا الادنى اي حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا الادنى تخسيس وتحقير والادنى اما من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب واما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا ياخذونه من الرشا في الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما اخذنا والفعل مسند الى الجار والمجرور وهو لنا ويجوز ان يكون الاخذ الذي هو مصدر ياخذون وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الواو للحال اي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة والمصر لا غفران له الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني قوله في التوراة من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر له الا بالتوبة ودرسوا ما فيه في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار رحمه الله ياتي على الناس زمان ان قصروا عما امروا به قالوا سيغفر لنا لانا لم نشرك بالله شيئا كل امرهم الى الطمع خيارهم فيه المداهنة هؤلاء من هذه الامة اشباه الذين ذكرهم الله وتلا الاية والدار الاخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشا ومحارم الله وقرئ ورثوا الكتاب وان لا تقولوا بالتاء وقرئ وادارسوا بمعنى تدارسوا افلا يعقلون بالياء والتاء فان قلت ما موقع قوله ان لا يقولوا على الله الا الحق قلت هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق المذكور في الكتاب وفيه ان اثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق وان فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان ان لا يقولوا مفعولا له ومعناه لئلا يقولوا ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا تقولوا نهيا كانه قيل الم نقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق فان قلت علام عطف قوله ودرسوا ما فيه قلت على الم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكانه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه والذين يمسكون بالكتاب فيه وجهان احدهما ان يكون مرفوعا بالابتداء وخبره انا لا نضيع اجر المصلحين والمعنى انا لا نضيع اجرهم لان المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتاب كقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا والثاني ان يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون ويكون قوله انا لا نضيع اعتراضا وقرئ يمسكون بالتشديد وفي قراءة ابي والذين مسكوا بالكتاب فان قلت التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها اقامة الصلوة فكيف افردت قلت اظهارا لمزية الصلوة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والايمان وقرئ ابن مسعود والذين تمسكوا بالكتاب واذ نتقنا الجبل قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقاء اذا نفضه ليقتلع الزبدة منه والظلة كل ما اظلك من سقيفة او سحاب وقرئ بالطاء من اطل عليه اذا اشرف وظنوا انه واقع بهم وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة التي رفعت بها عنا العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا يقرا عليه التوراة الا اهتز وانغض لها راسه خذوا ما اتيناكم بقوة على ارادة القول اي وقلنا خذوا ما اعطيناكم من الاية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة والانذار لعلكم تتقون ما انتم عليه وقرئ بن مسعود وتذكروا وقرئ واذكروا بمعنى وتذكروا من ظهورهم بدل من بني ادم بدل البعض من الكل ومعنى اخذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم من اصلابهم نسلا واشهادهم على انفسهم وقوله الست بربكم قالوا بلى شهدنا من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكانه اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال لهم الست بربكم وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب ونظيره قوله عز وعلا انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله اذ قالت الانساع للبطن الحق قالت له ريح الصبا قرقار ومعلوم انه لا قول ثم وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى ان تقولوا مفعول له اي فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه او كراهة ان تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالاباء كما لا عذر لابائهم في الشرك وادلة التوحيد منصوبة لهم فان قلت بنو ادم وذرياتهم من هم قلت عني ببني ادم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخلافهم المقتدين بابائهم والدليل على انها في المشركين واولادهم قوله او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل والدليل على انها في اليهود الايات التي عطفت عليها هي على نمطها واسلوبها وذلك قوله واسالهم عن القرية واذ قالت امة منهم واذ تاذن ربك واذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا افتهلكنا بما فعل المبطلون اي كانوا السبب

ذريتكم لما تقدم منهم من الشرك وتقدمهم فيه وتركهم سنة لنا ولكم ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات
ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعوا عن شركهم نفصلها وقرئ ذرياتهم على التوحيد واذ يقولوا نابيا
واتل عليهم على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها هو عالم من علماء بني اسرائيل وقيل من الكنعانيين
واسمه بلعم بن باعورا اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بان كفر بها ونبذها وراء ظهره
فاتبعه الشيطان فلحقه الشيطان فادركه وكان قرينا له او فاتبعه خطواته وقرئ فاتّبعه بمعنى فتبعه فكان
من الغاوين فصار من الضالين الكافرين روي ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى ومن معه فابا
وقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل ولو شئنا لرفعناه بها لعظمناه
ورفعناه الى منازل الابرار من العلماء بتلك الآيات ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا ورغب فيها
وقيل مال الى السفالة فان قلت كيف علق رفعه بمشيئة الله ولم يعلقه بفعله الذي يستحق به الرفع
قلت المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشيئة الله رفعه تابعة
للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها
الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك المشيئة باخلاده الذي هو فعله فوجب ان يكون
ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب ان يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا
لم نشأ فمثله كمثل الكلب فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في اخس احواله
واذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه اي شد عليه وهيج فطرد او ترك غير متعرض له
بالحمل عليه وذلك ان سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا هيج منه وحرك والا لم يلهث والكلب متصل
لهثه في الحالين جميعا وكان حق الكلام ان يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض فحططناه
ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ حط لان تمثيله بالكلب في اخس
احواله واذلها في معنى ذلك وعن ابن عباس رض الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل عليه
وقيل معناه ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته فسعى لهث
وان تركته على حاله لهث فان قلت ما محل الجملة الشرطية قلت النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب
ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالين وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث
كما يلهث الكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا من اليهود بعدما قرؤا نعت النبي صلعم في التوراة
وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فاقصص القصص
بلعم الذي هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه
زيغه ويعلمون انك علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك وتزداد الحجة لزوما لهم ساء مثلا القوم
اي مثل القوم او ساء اصحاب مثل القوم وقرأ الجحدري ساء مثل القوم وانفسهم كانوا يظلمون اما ان
يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بايات الله وظلمهم انفسهم
واما ان يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالظلم لم يتعدوها الى غيرها فهو المهتدي
حملا على اللفظ فاولئك هم الخاسرون حملا على المعنى كثيرا من الجن والانس هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله انه
لا لطف لهم وجعلهم في انهم لا يلقون اذهانهم الى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم الى ما خلق الله نظر اعتبار
ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كانهم عدموا فهم القلوب وابصار العيون واستماع
الآذان وجعلهم لاغراقهم في الكفر وشدة شكائمهم فيه وانه لا يأتي منهم الا افعال اهل النار مخلوقين للنار
دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رض الى خالد بن الوليد
بلغني ان اهل الشام اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر واني لاظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا
في بعض الامور ما خلق الا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما اقدموا عليه من تكذيب رسول الله صلعم
مع علمهم انه النبي الموعود وانهم من جملة الكثير الذين لا يكادون الايمان كانهم خلقوا للنار اولئك كالانعام
في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر بل هم اضل من الانعام عن الفقه والاعتبار والتدبر اولئك
هم الغافلون الكاملون في الغفلة وقيل الانعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعضها وتترك بعضها وهؤلاء اكثرهم
يعلم انه معاند فيقدم على النار ولله الاسماء الحسنى التي هي احسن الاسماء لانها تدل على معان حسنة من
تمجيد وتقديس وغير ذلك فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون
عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الاسماء الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون
بجهلهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي او ان يأبوا تسميته ببعض اسمائه الحسنى نحو ان يقولوا يا الله ولا يقولوا
يا رحمن وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ويجوز ان يراد
ولله الاوصاف الحسنى وهي الوصف بالعدل والخير والاحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها
وذروا الذين يلحدون في اسمائه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه
كالرؤية ونحوها وقيل الحادهم في اسمائه تسميتهم الاصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى
من العزيز لما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا فاخبر ان كثيرا من الثقلين عاملون باعمال اهل النار اتبعه قوله
وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون وعن النبي صلعم انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد
اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وعنه عليه الصلوة والسلام

ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من اهل الكتاب وقيل هم العلماء
والدعاة الى الدين سنستدرجهم الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد او الاستنزال درجة
بعد درجة قال الاعشى: فلو كنت في جب ثمانين قامة ... ورقيت اسباب السماء بسلم
ليستدرجنك القول حتى تهره ... وتعلم اني عنكم غير مفحم ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وادرج
الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم مات بعضهم اثر بعض ومعنى سنستدرجهم سنستدنيهم
قليلا قليلا الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك ان يواتر الله نعمه عليهم
مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية
فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين ان مواترة النعم اثرة من الله وتقريب
وانما هي خذلان منه وتبعيد فهو خذلان الله نعوذ بالله منه واملي لهم عطف على سنستدرجهم
وهو داخل في حكم السين ان كيدي متين سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان
وفي الحقيقة خذلان ما بصاحبهم بمحمد صلعم من جنة من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة
ان النبي صلعم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم باس الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا
لمجنون بات يهوت الى الصباح اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض فيما تدل عليه
من عظم الملك والملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله من شيء مما يقع عليه اسم الشيء من اجناس
لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف وان عسى ان مخففة من الثقيلة والاصل وانه عسى على ان الضمير ضمير الشان
والمعنى اولم ينظروا في ان الشان والحديث عسى ان يكون قد اقترب اجلهم ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا الى
النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغافصة الاجل وحلول العقاب ويكون ان يراد باقتراب الاجل اقتراب
الساعة ويكون من كان التي فيها ضمير الشان فان قلت بم يتعلق قوله فباي حديث بعده يؤمنون قلت بقوله
عسى ان يكون قد اقترب اجلهم كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت
وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا وقرئ ونذرهم بالياء والنون والرفع
على الاستئناف ونذرهم بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ونذرهم
يسألونك قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا
منهم مع علمهم ان الله قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش والساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة
بالساعة لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او على العكس لطولها او لانها عند الله على طولها كساعة من الساعات
عند الخلق ايان بمعنى متى وقيل اشتقاقه من أيّ فعلان منه لان معناه اي وقت واي فعل من أويت اليه
لان البعض آوٍ الى الكل متساند اليه قاله ابن جني وأبى ان يكون من اين لانه زمان واين مكان وقرأ
السلمي إيان بكسر الهمزة مرساها ارساؤها او وقت ارسائها اي اثباتها واقرارها وكل شيء ثقيل رسوه ثباته
واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة والمرسى الانجر الذي ترسى به ولا اثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت
في السموات والارض والمعنى متى يرسيها الله انما علمها عند ربي اي علم وقت ارسائها عنده قد استأثر به
لم يخبر به احدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل ليكون ذلك ادعى الى الطاعة وازجر
عن المعصية كما اخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلك لا يجليها لوقتها الا هو اي لا تزال خفية لا يظهر امرها
ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده اذا جاء بها في وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها احد من خلقه لاستمرار
الخفاء بها على غيره الى وقت وقوعها ثقلت في السموات والارض اي كل من اهلها من الملائكة والثقلين اهمه شان الساعة
ويود ان يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه او ثقلت فيها لان اهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها
واهوالها او لان كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها لا تأتيكم الا بغتة الا فجأة على غفلة منكم وعن النبي صلعم
ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم بسلعته في سوقه
والرجل يخفض ميزانه ويرفعه كانك حفي عنها كانك عالم بها وحقيقته كانك بليغ في السؤال عنها لان من
بالغ في المسألة عن الشيء والتنقير عنه استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه احفاه
لشاربه واحتفى البقل استأصله واحفى في المسألة اذا الحف وحفي بفلان وتحفى به اذا بالغ في البر به
وعن مجاهد استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقرأ ابن مسعود كانك حفي بها اي عالم بها او بليغ في العلم بها وقيل
عنها متعلق بيسألونك اي يسألونك عنها كانك حفي اي عالم بها وقيل ان قريشا قالوا له صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك
قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسألونك عنها كانك حفي تتحفى بهم فتختصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي
علمها عن غيرهم ولو اخبرت بوقتها لمصلحة علمها الله في اخبارك به لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص
كسائر ما اوحي اليك وقيل كانك حفي بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعني انك تكره السؤال عنها لانها من علم الغيب الذي
استأثر الله به ولم يؤته احدا من خلقه فان قلت لم كرر يسألونك وانما علمها عند الله قلت للتأكيد ولما
جاء به من زيادة في قوله كانك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة
زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه العالم بها وانه المختص
بالعلم بها قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا هو اظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب اي انا عبد ضعيف
لا املك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضر كالمماليك والعبيد الا ما شاء ربي ومالكي من النفع لي والدفع عني
ولو كنت اعلم الغيب لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار

حتى لا يبقى شيء منها ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى في الحروب ورابحا وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطيا في التدابير ان انا الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا وما من شاني اني اعلم الغيب لقوم يؤمنون يجوز ان يتعلق بالنذير والبشير جميعا لان النذارة والبشارة انما ينفعان فيهم او يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا اي الا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون من نفس واحدة وهي نفس ادم عليه السلم وجعل منها زوجها وهي حواء خلقها من جسد ادم من ضلع من اضلاعه اليسرى او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ليسكن اليها ليطمئن اليها ويميل ولا ينفر لان الجنس الى الجنس اميل وبه انس واذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة ابلغ كما يسكن الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكر بعد ما انث في قوله واحدة وجعل منها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين ان المراد بها ادم ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويتغشاها فكان التذكير احسن طباقا للمعنى والتغشي كناية عن الجماع وكذا الغشيان والاتيان حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما تستثقله وقد تسمع بعضهن تقول في ولدها ما كان اخفه على كبدي حين حملت به فمرت به فمضت به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق وقيل حملت به حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرأ ابن عباس فاستمرت به وقرأ يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف وقرئ عنه فمارت من المرية كقوله افتمارونه وافتمرونه ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل وارتابت به فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها كقولك اقربت وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها الحمل دعوا الله ربهما اي دعا ادم وحواء ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجأ اليه فقالا لئن اتيتنا لئن وهبت لنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه وبري اي سلم وقيل ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح والجودة والضمير في لئن اتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فلما اتاهما ما طلباه من الولد الصالح السوي جعلا له شركا اي جعل اولادهما له شركا على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك فيما اتاهما اي اتى اولادهما وقد دل على ذلك بقوله تعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير وادم وحوى بريان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما اتاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس وما اشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه اخر وهو ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ال قصي الا ترى الى قوله في قصة ام معبد فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فخار لا يبارى وسودد ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما اتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركا فيما اتاهما حيث سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا اشكال فيه وقرئ شركا اي ذوي شرك وهم الشركاء او احدث لله اشراكا في الولد اخرجت الاصنام مجرى اولي العلم في قوله وهم يخلقون لان الله خالقهم او لا يقدر على اختلاق شيء لانه جماد وهم يخلقون لان عبدتهم يختلقونهم فهم اعجز من عبدتهم ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عنهم وان تدعوهم وان تدعوا هذه الاصنام الى الهدى اي الى ما هو هدى ورشاد والى ان يهدوكم والمعنى وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبونكم كما يجيبكم الله ويدل عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون عن دعائهم في انه لا فلاح معهم فان قلت هلا قيل ام صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية قلت لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله دون اصنامهم كقوله واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه وكانت حالهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل ان دعوتموهم لم تفترق الحال بين احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم ان الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم الهة من دون الله عباد امثالكم وقوله عباد امثالكم استهزاء بهم اي قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم لا تفاضل بينكم ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالهم فقال الهم ارجل يمشون بها وقيل عباد امثالكم مملوكون امثالكم وقرئ سعيد بن جبير ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم بتخفيف ان ونصب عبادا امثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فاني لا ابالي بكم ولا يقول هذا الا واثق بعصمة الله وكانوا قد خوفوه بالهتهم فامر ان يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود عليه السلم له ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء قال لهم اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ان وليي الله اي ناصري عليكم الله الذي نزل الكتاب الذي اوحى الي كتابه واعزني برسالته وهو يتولى الصالحين ومن عادته ان ينصر الصالحين من عباده واوليائه ولا يخذلهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه وهم لا يبصرون وهم لا يدركون المرئي خذ العفو ضد الجهد اي خذ ما عفا لك من افعال الناس واخلاقهم وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلم يسروا ولا تعسروا قال الشاعر خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول اية الزكوة فلما نزلت امر ان ياخذهم بها طوعا او كرها والعرف المعروف والجميل من الافعال واعرض عن الجاهلين ولا تكافي السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغض على ما يسوءك منهم وقيل لما نزلت الاية سال جبريل

عنه فقال لا ادري حتى اسال ثم رجع فقال يا محمد ان ربك يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق امر الله نبيه بمكارم الاخلاق وليس في القران اية اجمع لمكارم الاخلاق منها واما ينزغنك من الشيطان نزغ واما ينخسنك منه نخس بان يحملك بوسوسته على خلاف ما امرت به فاستعذ بالله منه ولا تطعه والنزغ والنسغ الغرز والنخس كانه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده وروي انه لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل واما ينزغنك من الشيطان نزغ ويجوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول ابي بكر رضي الله عنه ان لي شيطانا يعتريني طيف من الشيطان لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا قال اني الم بك الخيال يطيف او هو تخفيف طيف فيعل من طاف يطيف كلين او من طاف يطوف كهين وقرئ طائف وهو يحتمل الامرين ايضا وهذا تاكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسته تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد ودفعوا ما وسوس به اليهم ولم يتبعوه انفسهم واما اخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم في الغي اي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم بمعنى يعاونونهم ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وقوله واخوانهم يمدونهم كقوله قوم اذا الخيل جالوا في كواثبها فان الخبر جار على غير من هو له ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا فان قلت لم جمع الضمير في اخوانهم والشيطان مفرد قلت المراد به الجنس كقوله اولياؤهم الطاغوت اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعه او جبي اليه فاجتباه اي اخذه كقولك جليت اليه العروس فاجتلاها ومعنى لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى او هلا اخذتها منزلة عليك مقترحة قل انما اتبع ما يوحى الي ولست بمقترح لها هذا بصائر هذا القران بصائر من ربكم اي حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى او هو بمنزلة بصائر القلوب واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القران في صلاة وغير صلاة وقيل كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت ثم صار سنة في غير الصلاة ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرا فيه القران وقيل معناه واذا تلا عليكم الرسول القران عند نزوله فاستمعوا له وقيل معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه واذكر ربك في نفسك هو عام في الاذكار من قراءة القران والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب الى حسن التفكر بالغدو والاصال لفضل هذين الوقتين او اراد الدوام ومعنى بالغدو باوقات الغدو وهي الغدوات وقرئ والايصال من اصل اذا دخل في الاصيل كاقصر واعتم وهو مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه ان الذين عند ربك هم الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عند دنو الزلفة والقرب من رحمة الله وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته ويسبحونه وينزهونه عما لا يليق به وله يسجدون ويخصونه بالعبادة ولا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان ادم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال مدنية وهي ست وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الانفال الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه قال لبيد ان تقوى ربنا خير نفل والنفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه او قال لسرية ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد وعند الشافعي في احد قوليه انه لا يلزم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها اللمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها ان انهزمتم وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم المغنم قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت وعن سعد بن ابي وقاص قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سالتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا يا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا وجعله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واصلاح ذات البين وقرئ ابن محيصن يسالونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن في اللام وقرئ ابن مسعود يسالونك الانفال اي يسالك الشبان ما شرطت لهم من الانفال فان قلت ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله قل الانفال لله والرسول قلت معناه ان حكمها مختص بالله

ورسوله بأمره بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول أمر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى رأي احد
والمراد ان الذي اقتضته حكمة الله فامر به رسوله ان يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند
الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يؤمن ان يقدح ذلك فيما بين
المسلمين من التحاب والتصافي **فاتقوا الله** في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متحابين في الله **واصلحوا ذات**
بينكم وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا
غنائمكم بينكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض **فان قلت** ما حقيقة قوله ذات
بينكم **قلت** احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور
وهي مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا اناءك يريدون ما في الاناء من
الشراب ويجعل التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم
ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله **ان كنتم مؤمنين** ان كنتم كاملي الايمان واللام في قوله انما المؤمنون
اشارة اليهم اي انما الكاملون الايمان الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله اولئك هم المؤمنون حقا
وجلت قلوبهم فزعت وعن ام الدرداء رضي الله عنها الوجل في القلب كاحتراق السعفة اما تجد له قشعريرة قالت بلى
قال فادع الله فان الدعاء يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه
بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك ذكر
رحمته ورأفته وثوابه وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع وقرئ وجلت بالفتح
وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراءة عبد الله فرقت **زادتهم** ايمانا ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لان
تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن ابي هريرة رضي الله عنه الايمان سبع وسبعون
شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان
وعن عمر بن عبد العزيز ان للايمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان
وعلى ربهم يتوكلون ولا يفوضون امورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه جمع بين اعمال القلوب من الخشية
والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلوة والصدقة **حقا** صفة للمصدر المحذوف اي اولئك هم المؤمنون
ايمانا حقا او هو مصدر مؤكد للجملة التي هي اولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وعن الحسن
ان رجلا سأله امؤمن انت قال الايمان ايمانان فان كنت تسألني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسألني عن قوله انما المؤمنون فوالله لا ادري
أمنهم انا ام لا وعن الثوري رحمه الله من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد آمن بنصف
الآية وهذا الزام منه يعني كما لا يقطع بانه من اهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا وبهذا
تعلق من يستثني في الايمان وكان ابو حنيفة رحمه الله ممن لا يستثني فيه وحكي عنه انه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك
قال اتباعا لابراهيم في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال له هلا اقتديت به في قوله اولم تؤمن قال بلى
درجات شرف وكرامة وعلو منزلة **ومغفرة** وتجاوز لسيئاتهم **ورزق كريم** نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل
التعظيم وهذا معنى الثواب **كما اخرجك** ربك فيه وجهان احدهما ان يرتفع محل الكاف على انه خبر مبتدأ محذوف
تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك
للحرب والثاني انه ينتصب على انه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الانفال لله والرسول اي الانفال
استقرت لله وللرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون
من بيتك يريد بيته في المدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص
البيت بساكنه **بالحق** اي اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذي لا محيد عنه **وان فريقا** من المؤمنين لكارهون
في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون
راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين
فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا
اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت
اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء فاخذ
صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل
ما يرضى رجالهم ان يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير في المثل السائر لا في العير ولا
في النفير فقيل له ان العير قد اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك
ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا
لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة
ونزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه
وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل
العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل
البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر
وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين
ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت

لا نقول

لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما
مقاتلون ما دامت منا عين تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا
له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع
منه نساءنا وابناءنا وانفسنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا يكون الانصار ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه
بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا
ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما
اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره
ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله
ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله عز وجل وعدني احدى الطائفتين
والله لكأني الآن انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها
شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك
ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون والحق الذي جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقي النفير لايثارهم
عليه تلقي العير **بعد ما تبين** بعد اعلام رسول الله بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا
لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة
بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها
وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وروي انه ما كان فيهم الا فارسان المقداد والزبير **اذ** منصوب
باضمار اذكر وانها لكم بدل من احدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير وغير ذات الشوكة العير لانه لم
يكن فيها الا اربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم **والشوكة** الحدة مستعارة من واحدة
الشوك ويقال شوك القنا لشباها ومنها قولهم شائك السلاح اي تتمنون ان تكون لكم العير لانها الطائفة
التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الاخرى **ان يحق الحق** ان يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة في
محاربة ذات الشوكة وبما امر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر والدابر
الآخر فاعل من دبر اذا ادبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستيصال يعني انكم تريدون الفائدة
العاجلة وسفساف الامور وان لا تلقوا ما يرزؤكم في ابدانكم واحوالكم والله عز وعلا يريد معالي الامور وما يرجع الى
عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات
الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم واعزكم واذلهم وحصل لكم ما لا تعارض ادناه العير وما فيها
وروي بكلماته على التوحيد **فان قلت** بم يتعلق قوله ليحق الحق **قلت** بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك
ما فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه **فان قلت** اليس هذا تكريرا **قلت** لا لان المعنيين
متباينان وذلك ان الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم
ونصرتهم عليها وانه ما نصرهم ولا خذل اولئك الا لهذا الغرض الذي هو سيد الاغراض ويجب ان يقدر المحذوف
متأخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع **فان قلت** بم يتعلق اذ تستغيثون
قلت هو بدل من اذ يعدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال
طفقوا يدعون الله ويقولون اي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني
اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبيه
والتزمه من ورائه وقال يا رسول الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك **اني ممدكم** اصله باني
ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله وعن ابي عمرو رضي الله عنه انه قرأ اني ممدكم بالكسر على ارادة القول
او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول **فان قلت** هل قاتلت الملائكة يوم بدر **قلت** اختلف فيه
فقيل نزل جبريل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها ابو بكر رضي الله عنه وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي رضي الله عنه في صور الرجال
عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب
ويوم حنين وعن ابي جهل لعنه الله انه قال لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا
قال من الملائكة قال ابو جهل هم غلبونا لا انتم وروي ان رجلا من المسلمين بينا هو يشتد في اثر رجل من المشركين
اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال صدقت ذلك من مدد السماء وعن ابي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع
رأسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المسلمين والا
فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل عليه السلام اهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط واهلك
بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه اذا تبعه ومنه
قوله تعالى ردف لكم بعض الذي تستعجلون بمعنى ردفكم وأردفته اياه اذا اتبعته ويقال اردفته كقولك
اتبعته اذا جئت بعده فلا يخلو المكسور الدال من ان يكون بمعنى متبعين او متبعين فان كان بمعنى متبعين
فلا يخلو اما ان يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا او متبعين بعضهم لبعض او بمعنى متبعين اياهم المؤمنين اي
يتقدمونهم فيتبعونهم انفسهم او متبعين لهم يشيعونهم ويتقدمونهم بين ايديهم وعلى اثرهم ليكونوا
على اعينهم وحفظهم او بمعنى متبعين انفسهم ملائكة آخرين او متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا
الوجه قوله تعالى في سورة آل عمران بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ومن قرئ

وقرئ مُردَّفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصله مرتدفين أو متبعين

مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين او متبعين من اردفته اذا جئت بعده فادغمت تا الافتعال في الدال فالتقى ساكنان فحركت الرا بالكسر على الاصل او على اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم وعن السدي بآلاف من الملئكة على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران **فان قلت** فبم يعتضد من قرا على التوحيد ولم يفسر المردفين بارداف الملئكة ملائكة اخرين والمردفين بارتدافهم غيرهم **قلت** بان المراد بالالف من قاتل منهم او الوجوه منهم الذين من سواهم اتباع لهم **فان قلت** الام يرجع الضمير في قوله وما جعله الله **قلت** الى قوله اني ممدكم لان المعنى فاستجاب لكم بامدادكم **فان قلت** ففي من قرا بالكسر **قلت** الى قوله اني ممدكم لانه مقول القول المضمر فهو في معنى القول ويجوز ان يرجع الى الامداد الذي يدل عليه ممدكم الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني اسرائيل يعني انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الامداد بالملئكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم وما النصر الا من عند الله يريد ولا تحسبوا النصر من الملئكة فان الناصر هو الله لكم وللملئكة او وما النصر بالملئكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله اذ يغشاكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او بما في من عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر وقرئ يغشيكم بالتشديد والتخفيف ونصب النعاس والضمير لله عز وجل وامنة مفعول له **فان قلت** اما وجب ان يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا **قلت** بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس تنعسون انتصب امنة على ان النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون امنة بمعنى امنا اي لامنكم ومنه صفة لها اي امنة حاصلة لكم من الله **فان قلت** فعلى غير هذه القراءة **قلت** يجوز ان تكون الامنة بمعنى الايمان اي ينعسكم ايمانا منه او على يغشيكم النعاس فتنعسون امنا **فان قلت** هل يجوز ان ينتصب على ان الامنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم اي يغشاكم النعاس لامنه على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة او على انه انامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم امنة حاصلة من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل **قلت** لا تبعد فصاحة القران على احتماله وله فيه نظائر وقد الم به من قال

يهاب النوم ان يغشى عيونا ٭ تهابك فهو نفار شرود ٭

وقرئ امنة بسكون الميم ونظير امن امنة حيي حياة ونحو امن امنة رحم رحمة والمعنى ان ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وامنهم رقدوا وعن ابن عباس رضه النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلوة وسوسة من الشيطن وينزل قرئ بالتخفيف والتثقيل وقرئ الشعبي ما ليطهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكانه قال ما للطهور به ورجز الشيطن وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش وقيل الجنابة لانها من تخييله وقرئ رجس الشيطن وذلك ان ابليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم فقال لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانتم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله صم واصحابه الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطن وطابت النفوس والضمير في به للماء ويجوز ان يكون للربط لان القلب اذا تمكن فيه الصبر والجرأة ثبتت القدم في مواطن القتال اذ يوحي يجوز ان يكون بدلا ثالثا من اذ يعدكم وان ينتصب بيثبت اني معكم مفعول يوحي وقرئ اني بالكسر على ارادة القول او على اجراء يوحي مجرى يقول كقوله اني ممدكم والمعنى اني معينكم على التثبيت فثبتوهم وقوله سالقي فاضربوا يجوز ان يكون تفسيرا لقوله اني معكم فثبتوا ولا معونة اعظم من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت اعظم من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز ان يكون غير تفسير وان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال وان يظهروا ما يتيقنون به انهم ممدون بالملئكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فياتي ويقول اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهولاء لا يعبدونه وقرئ الرعب بالتثقيل فوق الاعناق اراد اعالي الاعناق التي هي المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزا وتطييرا للرؤوس وقيل اراد الرؤوس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام قال واضرب هامة البطل المشيح وقال غشيته وهو في جاواء باسلة عضبا اصاب سواء الراس فانفلقا والبنان الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل او غير مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز ان يكون قوله سالقي الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين امنوا تلقينا للملئكة ما يثبتونهم به كانه قال قولوا لهم قولي سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب ذلك اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتدا وبانهم خبره اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لان كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه كما قيل المحادة لان هذا في حد وذاك في حد الكاف في ذلك لخطاب الرسول او لخطاب كل احد وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع على ذلكم العقاب او العقاب ذلكم

ذلكم فذوقوه ويجوز ان يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه وان للكفرين عطف على ذلكم في وجهيه اي ذلكم العقاب وان للكفرين او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الاجل الذي لكم في الاخرة فوضع الظاهر موضع المضمر وقرئ الحسن وان للكفرين بالكسر زحفا حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تفروا فضلا عن ان تدانوهم في العدد او تساووهم او حال من الفريقين اي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم او حال من المؤمنين كانهم اشعروا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا وتقدمة نهي لهم عن الفرار يومئذ وفي قوله ومن يولهم يومئذ امارة عليه الا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم منه ثم يعطف عليه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها او متحيزا او منحازا الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعن ابن عمر رضه خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال انتم العكارون اي الكرارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضه فقال يا امير المؤمنين فررت من الزحف فقال عمر انا فئتك وعن ابن عباس رضه ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر **فان قلت** بم انتصب الا متحرفا لقتال **قلت** على الحال والا لغو او على الاستثناء من المولين اي ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا وقرئ الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز لما كثروا اهلكهم وقتلوا واسروا اقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول قتلت واسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله صم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه جبريل فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلي بن ابي طالب رضه اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم وياسرونهم ثم قيل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي انزل الملئكة والقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع وما رميت انت يا محمد ولكن الله رمى يعني ان الرمية التي رميتها لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها على الحقيقة لما بلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية لرسول الله صم لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذي لا يطيقه البشر فعل الله عز وعلا فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من الرسول اصلا وقرئ ولكن الله رمى ولكن الله قتلهم بتخفيف لكن ورفع ما بعدها وليبلي المؤمنين وليعطيهم بلاء حسنا عطاء جميلا قال زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو والمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل وما فعل الا لذلك ان الله سميع لدعائهم عليم باحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي الغرض ذلكم وان الله موهن معطوف على ذلكم يعني ان الغرض ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكفرين وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الاضافة وعلى الاصل الذي هو التنوين والاعمال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وروي ان ابا جهل لعنه الله قال يوم بدر اللهم اينا كان افجر واقطع للرحم فاحنه اليوم اي فاهلكه وقيل ان تستفتحوا خطاب للمؤمنين وان تنتهوا خطاب للكفرين يعني وان تنتهوا عن عداوة رسول الله صم فهو خير لكم واسلم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم وان الله قرئ بالفتح على ولان الله معين المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذه اوجه تعضدها قراءة ابن مسعود رضه والله مع المؤمنين وقرئ ولن يغني عنكم بالياء للفصل ولا تولوا قرئ بطرح احدى التائين وادغامها والضمير في عنه لرسول الله صم لان المعنى واطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقوله الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة اي ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعون او ولا تتولوا عن رسول الله ولا تخالفوه وانتم تسمعون اي تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اي ادعوا السماع وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقران والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق واشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال ان شر الدواب اي ان شر ما يدب على وجه الارض او ان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم الله من جنس البهائم ثم جعلهم شرها ولو علم الله في هؤلاء الصم البكم خيرا اي انتفاعا باللطف لاسمعهم للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال ولو اسمعهم لتولوا يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة وكانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن رضه اهل الكتاب اذا دعاكم وحد الضمير ايضا كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله كاستجابته وانما يذكر احدهما مع الاخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض وروى ابو هريرة رضه ان النبي صم مر على باب ابي بن كعب فناداه وهو في الصلوة فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك وفيه وجهان احدهما ان هذا مما اختص به رسول الله صم والثاني ان دعاءه كان لامر لم يحتمل التاخير واذا وقع مثل ذلك للمصلي فله ان يقطع صلاته لما يحييكم من علوم الديانات

والشرائع لان العلم حياة كما ان الجهل موت ولبعضهم ٥ لا تعجبن الجهول حلته ٥ فذاك ميت وثوبه كفن ٥
وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله تعالى ولكم في القصاص حياة وقيل للشهادة
لقوله بل احياء عند ربهم يرزقون واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يعني انه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها
وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا
قلوبكم لطاعة الله ورسوله وانه اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة وقيل معناه
ان الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدل له بالخوف امنا وبالامن خوفا
وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جائز على الله عز وجل فاما ما يثاب عليه العبد
ويعاقب من افعال القلوب فلا والمجبرة على انه يحول بين العبد والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا
آمن تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه انه يطلع على كل ما يخطر ببال العبد لا يخفى عليه شيء من
ضمائره فكانه بينه وبين قلبه وقرئ بين المر بتشديد الراء ووجهه انه قصد تخفيف الهمزة والقى حركتها على الراء
كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمر فتنة ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين اظهرهم وقيل هو افتراق
الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله لا تصيبن لا يخلو من ان يكون جوابا للامر او نهيا بعد امر او صفة
لفتنة فاذا كانت جوابا فالمعنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا
كما يحكى ان علماء بني اسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم الله بالعذاب واذا كانت نهيا بعد امر
فكانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب او اثر الذنب ووباله
من ظلم منكم خاصة وكذلك اذا جعلته صفة على ارادة القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها
لا تصيبن ونظيره قوله ٥ حتى اذا جن الظلام واختلط ٥ جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط ٥ اي
بمذق مقول فيه هذا القول لانه سمار فيه لون الورقة التي هي لون الذئب ويعضد المعنى
الاخير قراءة ابن مسعود لتصيبن على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير
وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقراناها زمانا وما ارانا من اهلها فاذا
نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروي ان الزبير كان يساير
النبي صلعم يوما اذ اقبل علي فضحك اليه الزبير فقال رسول الله صلعم كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله
بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله **فان قلت**
كيف جاز ان يدخل النون المؤكدة في جواب الامر **قلت** لان فيه معنى النهي اذا قلت انزل عن
الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبن ولا يحطمنكم **فان قلت** فما معنى من في قوله الذين
ظلموا منكم **قلت** التبعيض على الوجه الاول والتبيين على الثاني لان المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم
لان الظلم اقبح منكم من سائر الناس اذ انتم نصبه على انه مفعول به مذكور لا ظرف اي اذكروا وقت
كونكم اقلة اذلة مستضعفين في الارض ارض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش تخافون ان يتخطفكم الناس
لان الناس كانوا لهم جميعا اعداء منافقين مضادين فآواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد
الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان
هذا الحي من العرب اذل الناس واشقاهم عيشا واعراهم جلدا وابينهم ضلالا يؤكلون ولا يأكلون فمكن الله
لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا معنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام
ومنه تخونه اذا انتقصه ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شيء فقد ادخلت
النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لانه اذا انقطع به فكانه
لم يف له ومنه قوله تعالى وتخونوا اماناتكم والمعنى لا تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه ورسوله بان لا تستنوا
به وتخونوا اماناتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله وقيل وانتم تعلمون انكم تخونون يعني
ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن وروي
ان نبي الله صلعم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان
يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحاء من ارض الشام فابى رسول الله صلعم الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا
وقالوا ارسل الينا ابا لبابة يعني ابنه مروان بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لان ماله وعياله في ايديهم
فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي
حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق
طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه
فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلعم هو الذي يحلها فجاء صلى الله عليه
فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام
يجزيك الثلث ان تتصدق به وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان رضي الله عنه وقيل اماناتكم ما يأتمنكم الله عليه من فرائضه
وحدوده **فان قلت** وتخونوا جزم هو ام نصب **قلت** يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا
باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وقرئ مجاهد وتخونوا امانتكم على التوحيد جعل الاموال والاولاد فتنة لانهم
سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم والعذاب او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده
وان الله عنده اجر عظيم فعليكم ان تنوطوا بطلبه هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال
وحب الولد حتى تورطوا انفسكم من اجلهما كقوله المال والبنون الآية وقيل هي من جملة ما نزل في ابي لبابة
وما فرط منه لاجل ماله وولده فرقانا نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله

ومنه

ومنه قوله تعالى يوم الفرقان او بيانا وظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم وآثاركم في اقطار الارض من قولهم
بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي طلع الفجر او مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور او تفرقة
بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا ومزية في الدنيا والآخرة واذ يمكر بك لما فتح الله عليه ذكر مكر قريش به حين
كان بمكة ليشكر نعمة الله عليه في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما اتاح الله له من حسن العاقبة
صلوات الله عليه والمعنى اذكر اذ يمكرون بك وذلك ان قريشا لما اسلمت الانصار وبايعوه فرقوا ان يتفاقم
امره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد
ما انا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري
رايي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتربصوا به ريب
المنون فقال ابليس لعنه الله بئس الراي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي
ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال ابليس بئس الراي يفسد قوما
غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل لعنه الله انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه
ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه
واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم رايا فتفرقوا على راي ابي جهل مجمعين على قتله فاخبر جبريل
رسول الله صلعم وامره ان لا يبيت في مضجعه واذن الله له في الهجرة فامر عليا رضي الله عنه فنام في مضجعه وقال له اتشح
ببردتي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا
فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل الله مكرهم ليثبتوك ليسجنوك او يوثقوك ويثخنوك بالضرب والجرح
من قولهم ضربوه حتى اثبتوه لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرئ النخعي ليبيتوك
من البيات وعن ابن عباس ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالايثاق ويمكرون ويخفون المكايد له ويمكر الله
ويخفي الله ما اعد لهم حتى يأتيهم بغتة والله خير الماكرين اي مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تأثيرا او لانه لا ينزل الا ما هو
عدل وحق ولا يصيب الا بما هو مستوجب لو نشاء لقلنا مثل هذا نفاجة منهم وصلف تحت الراعدة فانهم لم
يتوانوا في مشيئتهم لو شاؤا وقد عدتهم الاستطاعة والا فما منعهم ان كانوا مستطيعين ان يشاؤا وغلبة من تحداهم وقرعهم
بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلى ومن مع فرط انفتهم واستنكافهم ان يغلبوا في باب البيان خاصة وان يماتنهم واحد
فيتعللوا بامتناع المشيئة ومنع ما علم وظهر ظهور الشمس من حرصهم على ان يقهروا رسول الله صلعم وتهالكهم على ان يغمروه
وقيل قائله النضر بن الحارث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص الله تعالى احاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو
الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم ان هذا مثل ذلك وانه من جملة تلك الاساطير وهو القائل
ان كان هذا هو الحق من عندك وهذا اسلوب من الجحود بليغ يعني ان كان القرآن هو الحق فعاقبنا على انكاره بالسجيل
كما فعلت باصحاب الفيل او بعذاب آخر ومراده نفي كونه حقا واذا انتفى كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا فكان
تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد انه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك ان كان الباطل حقا فامطر علينا
حجارة وقوله هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق وقرئ الاعمش هو الحق بالرفع على انه
مبتدا غير فصل وهو في القراءة الاولى فصل ويقال امطرت السماء كقولك انجمت واسبلت ومطرت كقولك
هتنت وهتلت وقد كثر الامطار في معنى العذاب **فان قلت** ما فائدة قوله من السماء والامطار لا يكون الا منها
قلت كانه اريد ان يقال فامطر علينا السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل
كما تقول صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا بعذاب اليم اي بنوع آخر من جنس العذاب الاليم يعني ان امطار
الحجارة بعض العذاب الاليم فعذبنا بها او بنوع آخر من انواعه وعن معاوية انه قال لرجل من سبأ ما اجهل
قومك حين ملكوا عليهم امراة قال اجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله صلعم حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو
الحق فامطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له اللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم
وانت بين اظهرهم غير مستقيم في الحكمة لان عادة الله وقضيته وحكمته ان لا يعذب قوما عذاب استئصال
ما دام نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر عنهم والدليل على هذا الاشعار
قوله وما لهم الا يعذبهم الله وانما يصح هذا بعد اثبات التعذيب كانه قال وما كان ليعذبهم وانت فيهم وهو
معذبهم اذا فارقتهم وما لهم الا يعذبهم وهم يستغفرون في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم
اي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ٥
ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر
وهم المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلعم من المستضعفين وما لهم الا يعذبهم الله واي شيء لهم
في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وحالهم انهم يصدون
عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلعم عام الحديبية واخراجهم رسول الله والمؤمنين من الصد وكانوا
يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء وما كانوا اولياءه وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم
للدين ان يكونوا ولاة امره وارباب ان اولياؤه الا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم ايضا ممن يصلح لان يلي امره
انما يستاهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة عبدة الاصنام ولكن اكثرهم لا يعلمون كانه استثنى من كان
يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء
من مكا يمكو اذا صفر ومنه المكاء كانه سمي بذلك لكثرة مكائه واصله الصفير نحو الوضاء والقراءة
وقرئ مكا بالقصر كانه سمي بذلك لكثرة حكايته ونظيرها البكا والبكاء والتصدية التصفيق تفعلة

من الصدا او من صدَّ يصدّ اذا ضج ومنه يصدون • وقرى الاعمش وما كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر
كان على اسمه فان قلت ما وجه هذا الكلام قلت هو من قوله وما كنت اخشى ان يكون عطاؤه اداهم سودا او محدرجة
والمعنى انه جعل وضع القيود والسياط موضع العطا ووضعوا المكا والتصدية موضع الصلوة و ذلك
انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنسا وهم يشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا
يفعلون نحو ذلك اذا قرأ صلى الله عليه وسلم في صلاته يخلطون عليه فذوقوا العذاب عذاب القتل والاسر يوم
بدر بسبب كفركم وافعالكم التي لا يقدم عليها الا الكفرة • وقيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد
منهم كل يوم عشر جزائر وقيل قالوا لكل من كانت له تجارة في العير اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا
ندرك منه ثارنا بما اصيب منا يوم بدر • وقيل نزلت في ابي سفيان وقد استاجر يوم احد الفين من الاحابيش
سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية والاوقية اثنان واربعون مثقالا ليصدوا عن
سبيل الله اي كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك ثم تكون عليهم حسرة
اي تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب
بينهم وبين المسلمين سجالا قبل ذلك ثم يرجعون طلقا كتب الله لاغلبن انا ورسلي • والذين كفروا • والكافرون
منهم الى جهنم يحشرون لان منهم من اسلم وحسن اسلامه ليميز الله الخبيث الفريق الخبيث من الكفار
من الفريق الطيب من المومنين فيجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكموا
كقوله كادوا يكونون عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم • اولئك اشارة الى الفريق الخبيث • وقيل ليميز المال
الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلعم من المال الطيب الذي انفقه المسلمون كابي بكر وعثمن
في نصرته • فيركمه جميعا في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
الاية • واللام على هذا متعلقه بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الاول بيحشرون واولئك اشارة الى
الذين كفروا • وقرى ليميز على التخفيف قل للذين كفروا من ابي سفيان واصحابه اي قل لاجلهم هذا القول
وهو ان ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وهي قراة ابن مسعود ونحوه وقال الذين
كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم لاجلهم ليسمعوه • اي ان ينتهوا عما هم عليه
من عداوة رسول الله صلعم وقتاله بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف لهم من العداوة وان يعودوا
لقتاله فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او فقد مضت سنة الذين تحزبوا
على انبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا • وقيل معناه ان الكفار اذا
انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم ما قد سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين
ومنه قوله عليه السلام الاسلام يجب ما قبله • وقالوا الحربي اذا اسلم لم تبق عليه تبعة قط • واما الذمي
فلا يلزمه قضا حقوق الله وتبقى عليه حقوق الادميين وبه احتج ابو حنيفة في ان المرتد اذا اسلم
لا يلزمه قضا العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها • وفسر وان يعودوا بالارتداد • وقرى
يغفر لهم على ان الضمير لله عز وجل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى ان لا يوجد فيهم شرك قط ويكون الدين كله لله
ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى دين الاسلام وحده فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما يعملون بصير
يثيبهم على توبتهم واسلامهم وقرى تعملون بالتا فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله
والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه احسن الجزا وان تولوا
ولم ينتهوا فان الله مولاكم اي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته • انما غنمتم ما موصولة ومن شي
بيان من شي حتى الخيط والمخيط فان لله مبتدا خبره محذوف تقديره فحق او فواجب ان لله خمسه • وروى الجعفي عن ابي عمرو
فان لله بالكسر وتقويه قراة النخعي فلله خمسه والمشهورة اكد واثبت للايجاب كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا
سبيل الى الاخلال به والتفريط فيه من حيث انه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب
حق لازم وما اشبه ذلك كان اقوى للايجاب من النص على واحد • وقرى خمسه بالسكون • فان قلت كيف قسمة الخمس قلت
عند ابي حنيفة انها كانت على عهد رسول الله صلعم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلعم وسهم لذوي قرباه من بني هاشم
وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمن وجبير بن مطعم انهما قالا
لرسول الله صلعم هولاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا
وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال صلى الله عليه وسلم انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب
شي واحد وشبك بين اصابعه • وثلاثة اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله صلعم فسهمه ساقط
بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقرا ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى
والمساكين وابن السبيل • واما عند الشافعي فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلعم يصرف الى ما كان يصرفه اليه
من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم
للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلاث • وعند مالك بن انس الامر مفوض فيه الى اجتهاد الامام ان
راى قسمه بين هولا وان راى اعطاه بعضهم دون بعض • وان راى غيرهم اولى واهم فغيرهم • فان قلت ما معنى
ذكر الله وعطف الرسول وغيره عليه قلت يحتمل ان يكون معنى لله وللرسول لرسول الله كقوله والله ورسوله احق
ان يرضوه • وان يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه القرب • وان يراد بقوله فان لله خمسه
ان من حق الخمس ان يكون متقربا به اليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها
كقوله وجبريل وميكائيل فعلى الاحتمال الاول مذهب الامامين وعلى الثاني ما قال ابو العالية انه يقسم على ستة انتهى

سهم الله تعالى يصرف الى رتاج الكعبة • وعنه كان رسول الله صلعم ياخذ الخمس فيضرب بيده فيه فياخذ منه قبضة فيجعلها
للكعبة وهو سهم الله ثم انه كان على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر الخمس
على ثلاثة وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفا • وروي ان ابا بكر منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم
ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم واما الغني منكم فهو بمنزلة ابن السبيل غني لا يعطى من الصدقة شيا ولا
يتيم موسر • وعن زيد بن علي كذلك قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين • وقيل الخمس كله
للقرابة • وعن علي انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا • وعن الحسن في سهم
رسول الله صلعم انه لولي الامر من بعده • وعن الكلبي ان الاية نزلت ببدر • وقال الواقدي كان الخمس في غزوة
بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة فان قلت بم تعلق قوله
ان كنتم امنتم بالله قلت بمحذوف يدل عليه واعلموا المعنى ان كنتم امنتم بالله فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب
به فاقطعوا عنه اطماعكم واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لامر الله
لان العلم المجرد يستوي فيه المومن والكافر وما انزلنا معطوف على بالله اي ان كنتم امنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقرى
عبدنا كقوله وعبد الطاغوت بضمتين يوم الفرقان يوم بدر والجمعان الفريقان من المومنين والكافرين • والمراد
ما انزل الله من الايات والملائكة والفتح يومئذ والله على كل شي قدير يقدر على ان ينصر القليل على الكثير والذليل على
العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم اذ بدل من يوم الفرقان والعدوة شط الوادي بالكسر والضم والفتح وقرى بهن • وبالعدية
على قلب الواو يا لان بينها وبين الكسرة حاجزا غير حصين كما في الصبية • والدنيا والقصوى تانيث الادنى والاقصى
فان قلت كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت احداهما بالواو والاخرى باليا قلت القياس هو قلب الواو يا كالعليا واما
القصوى فكالقود في مجيئه على الاصل وقد جا القصيا الا ان استعمال القصوى اكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجي استصاب
واغيلت مع اغالت والعدوة الدنيا مما يلي المدينه • والقصوى مما يلي مكه • والركب اسفل منكم يعني الركب الاربعين
الذين كانوا يقودون العير اسفل منكم بالساحل واسفل نصب على الظرف معناه مكانا اسفل من مكانكم وهو
مرفوع المحل لانه خبر المبتدا فان قلت ما فايدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وان العير كانت
اسفل منهم قلت الفايدة فيه الاخبار عن الحال الدالة على قوة شان العدو وشوكته وتكامل عدته
وتمهد اسباب الغلبة له وضعف شان المسلمين والتياث امرهم وان غلبتهم في مثل هذه الحال ليست الا
صنعا من الله ودليلا على ان ذلك امر لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك ان العدوة القصوى التي اناخ
بها المشركون كان فيها الماء وكانت ارضا لا باس بها والعدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الاقدام
ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم
وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم واموالهم ليبعثهم الذب عن الحرم
والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم في القتال وان لا يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك
قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على ان لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم
وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر الله سبحانه من امر وقعة بدر ليقضي الله امرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلا
كلمته حين وعد المسلمين احدى الطايفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا لياخذوا العير راغبين في الخروج وشخص بقريش
مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله صلعم لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب حتى اناخ هولا بالعدوة
الدنيا وهولا بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان ولو تواعدتم انتم واهل مكة
وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفا بالموعد وثبطهم ما في
قلوبهم من تهيب رسول الله صلعم والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له ليقضي متعلق بمحذوف اي
ليقضي امرا كان واجبا ان يفعل وهو نصر اوليايه وقهر اعدايه دبر ذلك وقوله ليهلك بدل منه واستعير الهلاك
والحيوة للكفر والاسلام اي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا تبقى له على الله حجة
ويصدر اسلام من اسلم ايضا عن يقين وعلم بانه الدين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان ما كان من
وقعة بدر من الايات الغر المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه ومغالطا لها • وقرى ليهلك بفتح اللام
وحيي بالاظهار والتصحيح لسميع عليم يعلم كيف يدبر اموركم ويسوي مصالحكم او لسميع عليم بكفر من كفر
وعقابه وبايمان من امن وثوابه اذ يريكهم الله نصبه باضمار اذكر او هو بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق
بقوله لسميع عليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في منامك في رؤياك وذلك ان الله عز وجل اراهم اياه في رؤياه
قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم • وعن الحسن في منامك في عينك لانها مكان النوم كما قيل
للقطيفة المنامة لانه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف • وما احسب الرواية صحيحة عن الحسن وما يلائم علمه
بكلام العرب وفصاحته لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم في الراي وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم
بين الثبات والفرار ولكن الله سلم اي عصم وانعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف انه عليم بذات الصدور
يعلم ما سيكون فيها من الجراة والجبن والصبر والجزع واذ يريكموهم الضميران مفعولان يعني واذ يبصركم اياهم وقليلا
نصب على الحال وانما قللهم في اعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلعم وليعاينوا ما اخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا
ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي اتراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا
رجلا منهم فقلنا له كم كنتم قال الفا • ويقللكم في اعينهم حتى قال قائل منهم انما هم اكلة جزور • فان قلت الغرض
في تقليل الكفار في اعين المومنين ظاهر فما الغرض في تقليل المومنين في اعينهم قلت قد قللهم في اعينهم قبل اللقا
ثم كثرهم فيما بعده ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجاهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم
يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله تعالى يرونهم مثليهم راي العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم

في استيضاح الاية البينة من قلتهم اولا وكثرتهم اخرا فان قلت باي طريق يبصرون الكثير قليلا قلت بان يستر
الله عنهم بعضه بساتر او يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما احدث في عيون الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل
لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا ارى هذين الديكين اربعة
اذا لقيتم فئة اذا حاربتم جماعة من الكفار وترك ان يصفها لان المومنين ما كانوا يلقون الا الكفار
دمرهم الله . واللقا اسم للقتال غالب فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب مستظهرين
بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم تفلحون لعلكم تظفرون بمرادكم
من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان على العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه اشغل ما يكون قلبا واكثر ما يكون هما وان
تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب امير المومنين الحق ما شهدت به الاعدا
في ايام صفين وفي مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطايف المعاني وبليغات المواعظ والنصايح
دليلا على انهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وان تفاقم الامر ولا تنازعوا بتشديد التا فتفشلوا منصوب
باضمار ان او مجزوم لدخوله في حكم النهي ويدل عليه قراة من قرا وتذهب ريحكم بالتا والنصب وقراة من قرا
ويذهب ريحكم بالياء والجزم . والريح الدولة شبهت في نفوذ امرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح
فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره ومنه قوله . اتنظران قليلا ريث غفلتهم . ام تعدوان فان الريح للعادي
وقيل لم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله . وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور . حذرهم بالنهي عن التنازع
واختلاف الراي نحو ما وقع لهم باحد لمخالفتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من فشلهم وذهاب ريحهم كالذين خرجوا من
ديارهم هم اهل مكة حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول ابي سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت
عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القينات ونطعم بها من حضرنا
من العرب فذلك بطرهم ورياوهم الناس باطعامهم فوافوها فسقوا كوس المنايا مكان الخمر وناحت
عليهم النوايح مكان القينات فنهاهم ان يكونوا مثلهم بطرين مرائين باعمالهم وان يكونوا من اهل
التقوى والحزن والكابة من خشية الله مخلصين اعمالهم لله واذ زين لهم الشيطان اعمالهم التي عملوها
في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع خطوات الشيطان
وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرا منهم اي بطل كيده حين نزلت جنود الله
وكذا عن الحسن . كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت
الذي بينها وبين بني كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم
الشاعر الكناني وكان من اشرافهم في جند من الشياطين معه راية فقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من
بني كنانة فلما راى الملايكة تنزل نكص وقيل كانت يده في يد الحرث بن هشام فلما نكص قال له الحرث الى اين
اتخذلنا في هذه الحال فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم
الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفي
الحديث ما رؤي ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما رؤي يوم بدر فان قلت
هلا قيل لا غالبا لكم اليوم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا قلت لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالبا اياكم لكان
الامر كما قلت ولكنه خبر تقديره لا غالب كاين لكم اذ يقول المنافقون بالمدينة والذين في قلوبهم مرض يجوز ان
يكون من صفة المنافقين وان يراد الذين هم على حرف لم يثبتوا ثابتي الاقدام في الاسلام . وعن الحسن هم المشركون غر
هولا دينهم يعنون ان المسلمين اغتروا بدينهم وانهم يتقوون به وينصرون من اجله فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر
الى زهاء الف ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي ولو ترى
ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال . واذ نصب
على الظرف . وقرى يتوفى بالياء والتا والملايكة رفعها بالفعل . ويضربون حال منهم ويجوز ان يكون في يتوفى
ضمير الله عز وجل والملايكة مرفوعة بالابتدا ويضربون خبر . وعن مجاهد ادبارهم استاههم ولكن الله كريم
يكني وانما خصوهما بالضرب لان الخزي والنكال في ضربها اشد . وبلغني عن اهل الصين ان عقوبة الزاني
عندهم ان يضرب يعطى الرجل القوي البطش شيا عملا من حديد كهيئة الطبق فيه رزانة وله مقبض
فيضرب به على دبره ضربة واحدة بقوته فيتجلى في مكانه وقيل يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا
معطوف على يضربون على ارادة القول اي ويقولون ذوقوا عذاب الحريق مقدمة عذاب النار او وذوقوا
عذاب الاخرة بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار او يقال لهم يوم القيمة
ذوقوا وجواب لو محذوف اي لو رايت لرايت امرا فظيعا منكرا ذلك بما قدمت ايديكم يحتمل ان يكون من كلام الله
ومن كلام الملايكة وذلك رفع بالابتدا وبما قدمت خبره وان الله عطف عليه اي ذلك العذاب بسبب
بسبب كفركم ومعاصيكم وبان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة المومنين
وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد او لان العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب
بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه الكاف في محل الرفع اي داب هولا مثل داب ال فرعون وداب اهم عادتهم
وعملهم الذي دابوا فيه اي داموا عليه وواظبوا . كفروا تفسير لداب ال فرعون ذلك اشارة الى ما حل بهم
يعني ذلك العذاب او الانتقام بسبب ان الله لم ينبغ له ولم يصح في حكمته ان يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال
فان قلت ما كان من تغيير ال فرعون ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم يكن لهم حال مرضية فيغيروها
الى حال مسخوطة قلت كما تغير الحال المرضية الى الحال المسخوطة كذلك تغير الحال المسخوطة الى اسخط منها واولئك
كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة اصنام فلما بعث اليهم بالايات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه

ساعي

ساعين في اراقة دمه غيروا حالهم الى اسوا مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب
وان الله سميع لما يقول مكذبو الرسل عليم بما يفعلون كداب ال فرعون تكرير للتاكيد وفي قوله بايات ربهم
زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب وكل كانوا ظالمين وكلهم
من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي . الذين كفروا فهم لا يومنون اي اصروا
على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم ايمان وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فنكثوا
بان اعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا واخطانا ثم عاهدهم فنكثوا ومالوا معهم يوم الخندق وانطلق
كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم . الذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا اي جعلهم شر الدواب لان شر الناس
الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة الغدر ولا
يبالون بما فيه من العار والنار فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم فشرد بهم من خلفهم ففرق عن محاربتك
ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك احد بعدهم اعتبارا
بهم واتعاظا بحالهم وقرى ابن مسعود فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكانه مقلوب شذر من
قولهم ذهبوا شذر مذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه . وقرا ابو حيوة من خلفهم ومعناه
فافعل التشريد من ورايهم لانه اذا شرد الذين وراهم فقد فعل التشريد في الورا واوقعه فيه لان الورا
جهة المشردين فاذا جعلوا الورا ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القرائتين
لعلهم يذكرون لعل المشردين من ورايهم يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة ونكثا بامارات تلوح
فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد على سوا على طريق مستو قصد وذلك ان تظهر لهم نبذ العهود وتخبرهم
اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقا العهد فيكون ذلك خيانة
منك ان الله لا يحب الخاينين فلا يكن منك اخفا نكث العهد والخداع وقيل على استوا في العلم بنقض العهد
وقيل على استوا في العداوة والجار والمجرور في موضع الحال كانه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوي
او حاصلين على استوا في العلم او العداوة على انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا سبقوا فاتوا
وافلتوا من ان يظفر بهم انهم لا يعجزون انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم
وقرى انهم بالفتح بمعنى لانهم كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل الا ان المكسورة على طريقة الاستيناف
والمفتوحة تعليل صريح وقرى يعجزون بالتشديد وقرى ابن محيصن يعجزون بكسر النون . وقرى الاعمش ولا تحسب
الذين كفروا بكسر البا وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقرى حمزة ولا يحسبن بالياء على ان الفعل للذين كفروا
والمراد اصله ان سبقوا فحذفت ان كقوله ومن اياته يريكم البرق . واستدل عليه بقراة ابن مسعود
انهم سبقوا وقيل وقع الفعل على انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا في محل الحال بمعنى سابقين اي
مفلتين هاربين وقيل ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل ولا يحسبن قبيل
المومنين الذين كفروا سبقوا . وهذه الاقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراة التي تفرد بها حمزة بنابية
وعن الزهري انها نزلت فيمن افلت من قتل المشركين من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وعن عقبة
بن عامر الجهني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ومات عقبة عن
سبعين قوسا في سبيل الله . وعن عكرمة هي الحصون والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ويجوز ان
يسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصيل وفصال . وقرى الحسن ومن ربط الخيل
بضم البا وسكونها جمع رباط ويجوز ان يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله
وجبريل وميكال وعن ابن سيرين انه سيل عمن اوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشترى به الخيل فتربط
في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما اوصى في الحصون فقال الم تسمع قول الشاعر . ان الحصون الخيل لا مدر القرى
ترهبون قرى بالتخفيف والتشديد وقرى ابن عباس ومجاهد تخزون به والضمير في به راجع الى ما
استطعتم عدو الله وعدوكم هم اهل مكة واخرين من دونهم هم اليهود وقيل المنافقون . وعن السدي
هم اهل فارس وقيل هم كفرة الجن وجا في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق
وروي ان صهيل الخيل يرهب الجن جنحوا له ومال اليه اذا مال والسلم يونث تانيث نقيضها وهي
الحرب قال . السلم تاخذ منها ما رضيت به . والحرب يكفيك من انفاسها جرع . وقرى بفتح السين وكسرها
وعن ابن عباس ان الاية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يومنون بالله وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم والصحيح ان الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب او سلم وليس
بحتم ان يقاتلوا ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا وقرى الاشهب العقيلي فاجنح بضم النون
وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم
وخديعتهم . قال مجاهد يريد قريظة فان حسبك الله فان محسبك الله قال جرير . اني وجدت
من المكارم حسبكم . ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا . والف بين قلوبهم التاليف بين قلوب
من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطوا
على الضغينة في ادنى شي والقايه بين اعينهم الى ان ينتقموا لا يكاد ياتلف منهم قلبان ثم ائتلفت
قلوبهم على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم واتحدوا وانشوا يرمون عن قوس واحدة وذلك لما نظم الله من الفتهم
وجمع من كلمتهم واحدث بينهم من التواد والتحاب واماط عنهم التباغض والتماقت وكلفهم
من الحب في الله والبغض في الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها كما يشا ويصنع
فيها ما اراد . وقيل الاوس والخزرج كانت بينهم من الحروب والوقايع ما اهلك سادتهم ودق
جماجمهم ولم يكن لبغضائهم امد ومنتهى وبينهم التجاور الذي يهيج الضغاين ويديم

التحاسد والتنافس وكان عادة كل طائفة كانت بهذه المثابة ان تجتنب هذه ما آثرته اختها
وتكرهه وتنفر عنه فانشاهم الله ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا انصار رسول الله واعوانا
وما ذاك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته **ومن** اتبعك الواو بمعنى مع وما بعده منصوب
تقول حسبك وزيدا درهم ولا تجر لان عطف الظاهر المجرور على المكني ممتنع قال فحسبك والضحاك سيف مهند
والمعنى كفاك وكفى تباعك من المؤمنين الله ناصرا او يكون في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه
الاية نزلت بالبيدا في غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس رضه نزلت في اسلام عمر وعن
سعيد بن جبير رضه انه قال اسلم مع النبي صم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر
نزلت **التحريض** المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفي
على الموت او ان تسميه حرضا وتقول له ما اراك الا حرضا في هذا الامر ومحرضا فيه لتهيجه
وتحركه منه وقرئ وحرص بالصاد غير المعجمة حكاها الاخفش من الحرص وحرضه وحرصه وحرشه
وحربه وهذا عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم من الكفار
بعون الله وتاييده **بانهم قوم لا يفقهون** اي بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب
وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على
بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والاظهار من الله وعن ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة
وكان رسول الله صم بعث حمزة رضه في ثلاثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلاثمائة راكب قيل ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا
منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد للاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتدا ثم لما
كثروا بعد نزل التخفيف وقرئ ضعفا بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفا جمع ضعيف
وقرئ الفعل المسند الى المائة بالياء والتاء في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن وقيل في البصيرة
والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك **فان قلت** لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر
منها مرتين قبل التخفيف وبعده **قلت** للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت لان الحال
قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف كذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف
الالفين وقرئ للنبي على التعريف واسارى ويثخن بالتشديد ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة
فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبتته حتى تثقل عليه الحركة واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة
التي هي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر ويضعفه باشاعة القتل في اهله ويعز الاسلام ويقويه
بالاستيلا والقهر ثم الاسر بعد ذلك ومعنى ما كان ما صح له وما استقام له وكان هذا يوم بدر فلما
كثر المسلمون نزل فاما منا بعد واما فدا وروي ان رسول الله صم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل
بن ابي طالب فاستشار ابا بكر رضه فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم
فدية يتقوى بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم فان هولا ائمة الكفر وان الله
قد اغناك عن الفدا مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم
فقال صم ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون
اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك
يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد
منهم الا بفدا او ضرب عنق وروي انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم
بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفدا فاستشهدوا باحد وكان فدا الاسارى عشرين اوقية وفدا العباس اربعين
اوقية وعن محمد بن سيرين كان فداوهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما وستة دنانير وروي
انهم لما اخذوا الفدا نزلت الاية فدخل عمر على رسول الله صم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله
اخبرني فان وجدت بكا بكيت وان لم اجد بكا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفدا ولقد عرض علي عذابهم
ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه قال لو نزل عذاب من السما لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ
لقوله كان الاثخان في القتل احب الي **عرض الدنيا** حطامها سمي بذلك لانه حدث قليل اللبث يريد الفدا **والله
يريد الاخرة** يعني ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل وقرئ يريدون بالياء وقرا بعضهم
والله يريد الاخرة بجر الاخرة على حذف المضاف وابقا المضاف اليه على حاله كقوله ونار توقد بالليل نارا
ومعناه والله يريد عرض الاخرة على التقابل يعني ثوابها والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه يتمكنون منهم
قتلا واسرا ويطلق لهم الفدا ولكنه حكيم يؤخر ذلك الى ان يكثروا ويعزوا وهم يعجلون **لولا كتاب من الله سبق** لولا حكم
منه سبق اثباته في اللوح وهو انه لا يعاقب احدا بخطا وكان هذا خطا في الاجتهاد لانهم نظروا في ان استبقاهم
ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وان فداهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام
واهيب لمن وراهم وافل لشوكتهم وقيل كتابه انه سيحل لهم الفدية التي اخذوها وقيل ان اهل بدر
مغفور لهم وقيل انه لا يعذب قوما الا بعد تاكيد الحجة وتقديم النهي ولم يتقدم نهي عن ذلك **فكلوا مما غنمتم** روي
انهم امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفدا لانه من جملة الغنائم
واتقوا الله فلا تقدموا على شي لم يعهد اليكم فيه **فان قلت** ما معنى الفا **قلت** للتسبيب والسبب محذوف معناه
قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم حلالا نصب على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وقوله
ان الله غفور رحيم معناه انكم اذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفدا قبل ان يؤذن لكم فيه
غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم **في ايديكم** في ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم وقرئ من الاسرى **في قلوبكم خيرا** خلوص
ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفدا اما ان يخلفكم في الدنيا اضعافه او يثيبكم في الاخرة

وفي قراءة الاعمش رضه يثبكم خيرا وعن العباس رضه انه قال كنت مسلما لكنهم استكرهوني فقال رسول الله صم ان يكن
ما تذكره حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا وكان احد الذين ضمنوا الطعام لاهل بدر وخرج بالذهب
لذلك وروي ان رسول الله صم قال للعباس افد ابني اخيك عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث فقال يا محمد
تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال له فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت
لها لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل فقال
العباس وما يدريك قال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك
عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك
فاما اذ اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس رضه فابدلني الله خيرا من ذلك لي الان عشرون عبدا وان
ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم
وروي انه قدم على رسول الله مال البحرين ثمانون الفا فتوضا لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس
ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وارجو المغفرة وقرئ مما اخذ منكم
على البنا للفاعل **وان يريدوا خيانتك** نكث ما بايعوك عليه من الاسلام والردة واستحباب دين ابائهم فقد
خانوا الله من قبل في كفرهم ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه **فامكن منهم** كما رايتم يوم بدر فسيمكن منهم
ان اعادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفدا **والذين** هاجروا اي فارقوا اوطانهم حبا لله
ورسوله هم المهاجرون **والذين اووهم** الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم هم الانصار **بعضهم اوليا بعض** اي يتولى
بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك
بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر اي من توليهم في الميراث ووجه الكسر
ان تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كانه بتوليه صاحبه يزاول امرا ويباشر عملا **فعليكم النصر** فواجب
عليكم ان تنصروهم على المشركين **الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق** عهد فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لا يبتدئون
بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك والذين كفروا بعضهم اوليا بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم كقوله في المسلمين
ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم
وان كانوا اقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال الا تفعلوه اي الا تفعلوا ما امرتكم به من
تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا
العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين
ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا وقرئ كثير بالثا **اولئك هم المؤمنون حقا**
لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ من المال لاجل الدين
وليس بتكرار لان هذه الاية واردة للثنا عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والاولى للامر بالتواصل
والذين امنوا من بعد يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة كقوله والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا
اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا **واولوا الارحام** اولوا
القرابات اولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة **في كتاب الله** في حكمه وقسمته وقيل في اللوح المحفوظ وقيل في القران
وهو اية المواريث وقد استدل به اصحاب ابي حنيفة على توريث ذوي الارحام عن رسول الله صم من قرا
سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بري من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد
كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته في الدنيا **سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلثون
اية** وقيل تسع وعشرون اية لها عدة اسما براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة
المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب لان فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق
اي تبرئ منه وتبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم
وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت
احدا الا نالت منه **فان قلت** هلا صدرت باية التسمية كما في سائر السور **قلت** سال ابن عباس عن ذلك
عثمان رضه فقال ان رسول الله صم كان اذا نزلت عليه السورة او الاية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر
فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله صم ولم يبين لنا اين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما
وكانتا تدعيان القرينتين وعن ابي بن كعب انما توهموا ذلك لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود
وسئل ابن عيينة فقال اسم الله سلام وامان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى
اليكم السلام لست مومنا قيل فان النبي صم قد كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتدا
يدعوهم به ولم ينبذ اليهم الا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي الى الله فاجاب ودعي الى
الجزية فاجاب فقد اتبع الهدى واما النبذ فانما هو البراءة واللعنة واهل الحرب لا يسلم عليهم ولذلك
لا تفرق ولا تخف ومترس ولا باس هذا امان كله وقيل سورة الانفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما
نزلت في القتال تعدان السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لانهما معا
مائتان وست فهما بمنزلة احدى الطول وقد اختلف اصحاب رسول الله صم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة
وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة
واحدة **براءة** خبر مبتدا محذوف اي هذه براءة ومن لابتدا الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما
في قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب
من فلان الى فلان ويجوز ان تكون براءة مبتدا لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كما تقول رجل
من بني تميم في الدار وقرئ براءة بالنصب على اسمعوا براءة وقرا اهل نجران من الله بكسر النون والوجه
الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين
فانه منبوذ اليهم **فان قلت** لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين **قلت** قد اذن
الله في معاهدة هولا المشركين اولا فاتفق المسلمون مع رسول الله صم وعاهدوهم فلما نقضوا

العهد او حب الله النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك وقيل لهم اعلموا ان الله ورسوله قد برئا
مما عاهدتم به المشركين • وروي انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم
وهم بنو ضمرة وبنو كنانة • فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر امنين حيث
شاؤا • ولا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم في قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم
من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن
أسيد فامر رسول الله صلعم ابا بكر رضه على الموسم سنة تسع ثم اتبعه عليا رضه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم
فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال
هذا رغاء ناقة رسول الله صلعم فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور • وروي ان ابا بكر لما كان ببعض
الطريق هبط جبريل عليه السلام فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا فرجع ابو بكر الى رسول الله صلعم
فقال يا رسول الله اشيء نزل من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي ينادي بالاي فلما كان قبل التروية
خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي رضه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني
رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلاثين او اربعين اية وعن مجاهد ثلاث عشرة اية
ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا
كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده • فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد
وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وقيل انما امر ان لا يبلغ عنه
الا رجل منه لان العرب عادتها في نقض عهودها ان يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه ابو بكر لجاز
ان يقولوا هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود فازيحت علتهم بتولية ذلك عليا عليه السلام **فان قلت**
الاشهر الاربعة الحرم ما هي **قلت** عن الزهري ان براءة نزلت في شوال فهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة
وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الاخر
وكانت حرما لانهم اومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل لعشر
من ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم
صار في السنة الثانية في ذي الحجة **فان قلت** ما وجه اطباق اكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين في الاشهر
الحرم وقد نهانا الله عن ذلك **قلت** قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وابيح قتال المشركين فيها غير معجزي الله
لا تفوتونه وان امهلكم وهو مخزيكم اي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالعذاب • واذان ارتفاعه
كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال
عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد والاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان العطاء
والامان بمعنى الاعطاء والايمان **فان قلت** اي فرق بين معنى الجملة الاولى والثانية **قلت** تلك اخبار بثبوت
البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت **فان قلت** لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق
الاذان بالناس **قلت** لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم واما الاذان فعام لجميع الناس
من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث يوم الحج الاكبر يوم عرفة وقيل يوم النحر
لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله من الطواف والحلق والنحر والرمي • وعن علي رضه ان رجلا اخذ بلجام دابته
فقال ما الحج الاكبر قال يومك هذا خل عن دابتي وعن ابن عمر رضه ان رسول الله صلعم وقف يوم النحر عند
الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او
جعل الوقوف بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج وكذلك ان اريد به يوم النحر
لان ما يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج الاكبر • وعن الحسن رحه سمي يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين
فيه وموافقته لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم ذلك في قلب كل مؤمن وكافر ان الله حذفت
الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر لان الاذان في معنى القول ورسوله عطف على
المنوي في بريء او على محل ان المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي
بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك • ويحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرؤها فقال ان
كان الله بريئا من رسوله فانا بريء منه فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابي قراءته فعندها امر عمر
بتعلم العربية فان تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي والاعراض عن
الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير سابقين الله ولا فائتين اخذه وعقابه **فان قلت** مم استثني قوله
الا الذين عاهدتم من المشركين **قلت** وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب
للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم
منهم ثم لم ينقصوا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان
امروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي
كالغادر ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى ان لا يسوى بين القبيلين فاتقوا الله في ذلك لم
ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم عدوا كما عدت بنو بكر
على خزاعة عيبة رسول الله صلعم وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلعم
فانشده ٥ لا هم اني ناشد محمدا ٥ حلف ابينا وابيه الاتلدا ٥ ان قريشا اخلفوك الموعدا ٥
ونقضوا ذمامك المؤكدا ٥ هم بيتونا بالحطيم هجدا ٥ وقتلونا ركعا وسجدا ٥ فقال رسول الله صلعم
لا نصرت ان لم انصركم وقرئ لم ينقضوكم بالضاد المعجمة اي لم ينقضوا عهدكم ومعنى فاتموا اليهم فادوا
اليهم تاما كاملا قال ابن عباس رضه بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم فاذا انسلخ الاشهر
كقولهم انجرد الشهر وسنة جرداء والاشهر الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا فاقتلوا المشركين
يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم واسروهم والاخيذ
الاسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم

وبين المسجد

المسجد الحرام كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم به • وانتصابه على الظرف كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم
فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر او فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله ٥ خل السبيل لمن يبني المنار به ٥
وعن ابن عباس رضه دعوهم واتيان المسجد الحرام ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر ٥
احد مرتفع بفعل الشرط مضمرا يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك ولا يرتفع بالابتداء
لان ان من عوامل الفعل لا يدخل على غيره والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر
لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستامنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن وتبين ما بعثت له
فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك داره التي يامن فيها
ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت • وعن الحسن هي محكمة
الى يوم القيامة • وعن سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين الى علي عليه السلام فقال ان اراد الرجل منا ان ياتي محمدا بعد
انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله عز وجل او ياتيه لحاجة قتل قال لا لان الله تعالى يقول وان احد من
المشركين استجارك الاية وعن السدي والضحاك هي منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين ذلك اي ذلك الامر
بالاجارة في قوله فاجره بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد
من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق كيف استفهام في معنى الانكار والاستبعاد لان يكون للمشركين
عهد عند رسول الله وهم اضداد وغرة صدورهم يعني محال ان يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك
ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين عاهدتم اي ولكن الذين عاهدتم
منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا
لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين • يعني ان التربص بهم من اعمال المتقين كيف تكرار
لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال ٥ وخبرتماني انما الموت بالقرى ٥
فكيف وهاتا هضبة وقليب ٥ يريد فكيف مات اي كيف يكون لهم عهد وحالهم هذه انهم ان يظهروا عليكم بعد
ما سبق لهم من تاكيد الايمان والمواثيق لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا الا ولا ذمة
لا يراعوا حلفا وقيل قرابة وانشد لحسان ٥ لعمرك ان الك من قريش ٥ كال السقب من رال النعام ٥ وقيل الا الها
وقرئ ايلا بمعناه وقيل جبريل وجبرايل من ذلك • وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن •
والوجه ان اشتقاق الال بمعنى الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه من الال وهو
الجؤار وله اليل اي انين يرفع به صوته ودعت الكليبة اذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق ال وسميت به
القرابة لان القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق يرضونكم كلام مبتدا في وصف حالهم من مخالفة
الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد وابا القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه
على السنتهم من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون متمردون خلعاء لا مروءة تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم
كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم العرض ويجر احدوثة السوء اشتروا
استبدلوا بايات الله بالقرآن والاسلام ثمنا قليلا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا
عنه وصرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم هم المعتدون المجاوزون الغاية
في الظلم والشرارة فان تابوا عن الكفر ونقض العهد فاخوانكم فهم اخوانكم على حذف المبتدا كقوله تعالى
فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم ونفصل الايات ونبينها وهذا اعتراض كانه قيل وان من تامل تفصيلها
فهو العالم بعثا وتحريضا على تامل ما فصل الله من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها
وطعنوا في دينكم وثلبوه وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع ضميرهم
اشعارا بانهم اذا نكثوا في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الاوفياء من العرب ثم امنوا
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن دين الاسلام
ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون ليس
دين محمد بشيء فهم ائمة الكفر وذوو الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا اذا طعن الذمي
في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث
عهده وخرج من الذمة انهم لا ايمان لهم جمع يمين وقرئ لا ايمان لهم اي لا اسلام لهم او لا يعطون الامان
بعد الردة والنكث ولا سبيل اليه **فان قلت** كيف اثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا
ايمانهم ثم نفاها عنهم **قلت** اراد ايمانهم التي اظهروها ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وايمانهم
ليست بايمان وبه استشهد ابو حنيفة على ان يمين الكافر لا تكون يمينا وعند الشافعي يمينهم يمين
ومعناه انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا ائمة
الكفر اي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم ان تكون المقاتلة سببا
في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد **فان قلت** كيف
لفظ ائمة **قلت** همزة بعدها همزة بين بين اي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة
وان لم تكن بمقبولة عند البصريين واما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز ان تكون ومن صرح بها
فهو لاحن محرف الا تقاتلون دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض
عليها على سبيل المبالغة نكثوا ايمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا باخراج الرسول من مكة
حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله تعالى له في الهجرة فخرج بنفسه وهم بدءوكم

أو لأنهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم أولاً بالكتاب المنير وتحداهم
به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها إلى القتال فهم البادئون بالقتال والبادئ أظلم فما يمنعكم من أن
تقابلوهم بمثله وأن تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم
بما يوجب الحض عليها ويقرر أن من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد وإخراج الرسول والبدء بالقتال
من غير موجب حقيق بأن لا تترك مصادمته وأن يوبخ من فرط فيها أتخشونهم تقرير بالخشية منهم وتوبيخ
عليها فالله أحق أن تخشوه فقاتلوا أعداءه إن كنتم مؤمنين يعني أن قضية الإيمان الصحيح أن لا يخشى المؤمن
إلا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله تعالى ولا يخشون أحداً إلا الله. لما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم
الأمر به فقال قاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم أنه يعذبهم بأيديهم قتلاً ويخزيهم
أسراً وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنهما
هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديداً فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون
إليه فقال أبشروا فإن الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقيتم منهم من المكروه وقد حصل الله لهم هذه
المواعيد كلها فكان ذلك دليلاً على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام
وإخبار بأن بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضاً فقد أسلم ناس منهم وحسن إسلامهم وقرئ
ويتوب بالنصب بإضمار أن ودخول التوبة في جملة ما أجيب به الأمر من طريق المعنى والله عليم يعلم ما سيكون
كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل إلا ما اقتضته الحكمة. أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان
والمعنى أنكم لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله
ولم يتخذوا وليجة أي بطانة من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين. ولما معناها التوقع وقد دلت على أن
تبين ذلك وإيضاحه متوقع كائن وأن الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين. وقوله ولم يتخذوا
معطوف على جاهدوا وداخل في حيز الصلة كأنه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين
وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول
القائل ما علم الله مني ما قيل فيّ يريد ما وجد ذلك مني ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام أن يعمروا مساجد الله
يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام وأما القراءة بالجمع ففيها وجهان أحدهما أن يراد المسجد الحرام
وإنما قيل مساجد لأنه قبلة المساجد كلها وإمامها فعامره كعامر جميع المساجد ولأن كل بقعة منه مسجد
والثاني أن يراد جنس المساجد وإذا لم يصلحوا لأن يعمروا جنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذي
هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد لأن طريقته طريقة الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله
كنت أنفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك شاهدين حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا
بين أمرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على أنفسهم بالكفر
ظهور كفرهم وأنهم نصبوا أصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب
قد أصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا شوطاً سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك
تملكه وما ملك وقيل قد أقبل المهاجرون والأنصار على أسارى بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي بن أبي طالب
يوبخ العباس رضي الله عنه بقتال رسول الله وقطيعة الرحم وأغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا
وتكتمون محاسننا فقالوا أولكم محاسن قالوا نعم ونحن أفضل منكم أجراً إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب
الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت حبطت أعمالهم التي هي السقاية والحجابة والعمارة وفك العناة
وإذا هدم الكفر والكبيرة الأعمال الثابتة الصحيحة إذا تعقبها فما ظنك بالمقارن وإلى ذلك أشار
بقوله شاهدين حيث جعله حالاً عنهم ودل على أنهم قارنون بين العمارة والشهادة على أنفسهم بالكفر
في حالة واحدة وذلك محال غير مستقيم إنما يعمر مساجد الله وقرئ بالتوحيد أي إنما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون
معتداً بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها
للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو أجله وأعظمه وصيانتها عما لم تبن له المساجد
من أحاديث الدنيا فضلاً عن فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون
المساجد فيقعدون فيها حلقاً ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث
الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى إن بيوتي في أرضي المساجد
وإن زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم الزائر وعنه
من ألف المسجد ألفه الله وقال صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان وعن
أنس رضي الله عنه من أسرج في مسجد سراجاً لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوءه **فإن قلت**
هلا ذكر الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم **قلت** لما علم وشهر أن الإيمان بالله قرينته الإيمان بالرسول لاشتمال
كلمة الشهادة والأذان والإقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كأنهما شيء واحد غير منفك أحدهما عن
صاحبه انطوى تحت ذكر الإيمان بالله الإيمان بالرسول وقيل دل عليه بذكر إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة **فإن قلت**
كيف قيل ولم يخش إلا الله والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك أن لا يخشاها **قلت** هي الخشية والتقوى في أبواب
الدين وأن لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف وإذا اعترضه أمران أحدهما حق الله والآخر حق
نفسه خاف الله فآثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الأصنام ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية
عنهم فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لأطماعهم في الانتفاع

باعمالهم

بأعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها وأملوا عاقبتها بأن الذين آمنوا وضموا إلى إيمانهم العمل بالشرائع
مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون أنهم مهتدون
ونائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار
بالله. السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف
تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وتصدقه قراءة ابن الزبير وأبي وجزة السعدي
وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم
المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلماً بعد ظلمهم بالكفر وروي أن المشركين قالوا لليهود
نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقالت اليهود لهم أنتم أفضل وقيل إن علياً رضي الله عنه
قال للعباس يا عم ألا تهاجرون ألا تلحقون برسول الله فقال ألست في أفضل من الهجرة أسقي حاج بيت الله وأعمر
المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما أراني إلا تارك سقايتنا فقال عليه السلام أقيموا على سقايتكم فإن لكم فيها
خيراً أعظم درجة عند الله من أهل السقاية والعمارة عندكم وأولئك هم الفائزون لا أنتم والمختصون بالفوز
دونكم يبشرهم بالتخفيف والتثقيل وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الوصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس
هي في المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم إيمانه إلا بأن يهاجر ويصارم أقاربه الكفرة ويقطع
موالاتهم فقالوا يا رسول الله إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهب
تجارتنا وهلكت أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه أبوه أو ابنه أو أخوه
أو بعض أقاربه فلا يلتفت إليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين
ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم أحدكم طعم الإيمان حتى يحب في الله ويبغض في الله
حتى يحب في الله أبعد الناس ويبغض في الله أقرب الناس إليه وقرئ عشيراتكم وقرأ الحسن وعشائركم
حتى يأتي الله بأمره وعيد وعن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن عقوبة عاجلة أو آجلة وهذه آية شديدة
لا ترى أشد منها كأنها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف أورع
الناس وأتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه
على الآباء والأبناء والإخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لأجله أم يزوي
الله عنه أحقر شيء منها لمصلحته فلا يدري أي طرفيه أطول ويغويه الشيطان عن أجل حظ من حظوظ الدين فلا
يبالي كأنما وقع على أنفه ذباب فطيره في مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال الشاعر وكم موطن لولاي طحت كما هوى
بأجرامه من قلة النيق منهوي وامتناعه من الصرف لأنه جمع على صيغة لم يأت عليها واحد والمواطن الكثيرة
وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة **فإن قلت** كيف عطف الزمان على المكان وهو
يوم حنين على المواطن **قلت** معناه وموطن يوم حنين أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز أن يراد
بالموطن الوقت كمقتل الحسين على أن الواجب أن يكون يوم حنين منصوباً بفعل مضمر لا بهذا الظاهر
وموجب ذلك أن قوله إذ أعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لأن كثرتهم لم تعجبهم
في تلك المواطن ولم يكونوا كثيراً في جميعها فبقي أن يكون ناصبه فعلاً خاصاً به إلا إذا نصبت إذ بإضمار اذكر
وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفاً الذين حضروا فتح مكة منضماً
إليهم ألفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فيمن ضامهم من إمداد سائر العرب
وهم الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله وقيل قائلها
رسول الله وقيل أبو بكر وذلك قوله إذ أعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا قتالاً شديداً وأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة
وزل عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله وحده وهو ثابت في
مركزه لا يتحلحل ليس معه إلا عمه العباس آخذاً بلجام دابته وأبو سفيان بن الحارث ابن عمه وناهيك بهذه
الوحدة شهادة صدق على تناهي شجاعته ورباطة جأشه وما هي إلا من آيات النبوة وقال يا رب ائتني بما وعدتني
وقال للعباس وكان صيتاً صح بالناس فنادى الأنصار فخذاً فخذاً ثم نادى يا أصحاب الشجرة يا أصحاب
سورة البقرة فكروا عنقاً واحداً وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض على خيول بلق فنظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس ثم أخذ كفاً من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا
ورب الكعبة فانهزموا قال العباس لكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته بما رحبت ما مصدرية
والباء بمعنى مع أي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه
بثياب السفر أي ملتبساً بها لم أحلها أي مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعاً تستصلحونه لهربكم إليه
ونجاتكم لفرط الرعب فكأنها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين سكينته رحمته التي سكنوا بها وأمنوا وعلى
المؤمنين الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله حين وقع الهرب وأنزل جنوداً يعني الملائكة
وكانوا ثمانية آلاف وقيل خمسة آلاف وقيل ستة عشر ألفاً وعذب الذين كفروا بالقتل والأسر وسبي الذراري
والنساء ثم يتوب الله أي يسلم بعد ذلك ناس منهم وروي أن ناساً منهم جاءوا فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الإسلام وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا
قيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الإبل والغنم ما لا يحصى فقال إن عندي ما ترون إن خير القول
أصدقه اختاروا إما ذراريكم ونساءكم وإما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً فقام رسول الله
وقال إن هؤلاء جاؤوا مسلمين وإنا خيرناهم بين الذراري والأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيئاً فمن كان
بيده شيء وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضاً علينا حتى نصيب شيئاً فنعطيه مكانه
قالوا رضينا وسلمنا فقال إني لا أدري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك إلينا فرفعت إليه
العرفاء أنهم قد رضوا النجس مصدر يقال نجس نجساً وقذر قذراً ومعناه ذوو نجس لأن معهم الشرك
الذي هو بمنزلة النجس ولأنهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم
أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس أعيانهم نجسة كالكلاب

والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ واهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون
وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كانه قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء
تابعا لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد في كبد **فلا يقربوا** المسجد الحرام فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون
في الجاهلية **بعد عامهم هذا** بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم
وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك
ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم وعند الشافعي يمنعون من المسجد الحرام
خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطاء ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين
ان لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد ان
يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك **وان خفتم عيلة** اي فقرا بسبب منع المشركين
من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب **فسوف** يغنيكم الله من فضله من عطائه
او من تفضله بوجه آخر فارسل السماء عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة
وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن ابن عباس
القى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من اين تاكلون فامرهم الله بقتال اهل الكتاب فاغناهم بالجزية
وقيل بفتح البلاد والغنائم وقرئ عائلة بمعنى المصدر كالعاقبة او حالا عائلة ومعنى قوله ان شاء
ان اوجبت الحكمة اغناءكم وكان مصلحة لكم في دينكم ان الله عليم باحوالكم حكيم لا يعطي ولا يمنع
الا عن حكمة وصواب **من الذين اوتوا الكتاب** بيان للذين مع ما في حيزه نفي عنهم الايمان بالله
لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة وايمانهم باليوم الاخر لانهم فيه على خلاف ما يجب وتحريم ما
حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم الله في الكتاب والسنة وعن ابي روق لا يعملون بما في التوراة
والانجيل وان يدينوا دين الحق وان يعتقدوا دين الاسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل وقيل
دين الله يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده وسميت جزية لانها طائفة مما
على اهل الذمة ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها من من عليهم بالاعفاء عن القتل **عن يد** اما
ان يراد يد المعطي او الاخذ فمعناه على ارادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد اي عن يد مؤاتية
غير ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا اعطى بيده اذا انقاد
واصحب الا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة من عنقه او حتى يعطوها عن
يد الى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد احد ولكن عن يد المعطي واما على ارادة يد الاخذ فمعناه
حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية او عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك ارواحهم لهم
نعمة عظيمة عليهم **وهم صاغرون** اي تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو ان يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب
ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان
يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط بالاسلام عند ابي حنيفة ولا يسقط به خراج الارض
واختلف فيمن تضرب عليه فعند ابي حنيفة تضرب على كل كافر من ذمي ومجوسي وصابي وحربي الا على مشركي
العرب وحدهم روى الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب
وقال لاهل مكة هل لكم في كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها العرب وادت اليكم الجزية العجم وعند الشافعي
لا تؤخذ من مشركي العجم والماخوذ عند ابي حنيفة في اول كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنا عشر
درهما ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية واربعون ولا تؤخذ من فقير
لا كسب له وعند الشافعي يؤخذ في اخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان او غنيا كان له كسب او لم يكن
عزير ابن الله مبتدا وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم اعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته
وتعريفه امتنع صرفه ومن نون فقد جعله عربيا واما قول من قال بسقوط التنوين لالتقاء الساكنين
كقراءة من قرأ احد الله او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فتمحل عنه مندوحة
وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام
ابن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص
وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم
فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل فقال له اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التوراة
فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة في صدره وهو غلام الا
لانه ابنه والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الاية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع
تهالكهم في التكذيب **فان قلت** كل قول يقال بالفم فما معنى قوله ذلك قولهم بافواههم **قلت** فيه
وجهان احدهما ان يراد انه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ عن معنى تحته
كالالفاظ المهملة التي هي اجراس ونغم لا تدل على معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم
ومعناه مؤثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني ان يراد بالقول المذهب كقولهم
قول ابي حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بافواههم لا بقلوبهم
لانه لا حجة عليه معهم ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب وذلك انهم اذا اعترفوا انه لا صاحبة
له لم تبق شبهة في انتفاء الولد **يضاهون** لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قول
فحذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى ان قول الذين كانوا
في عهد رسول الله من اليهود والنصارى يضاهي قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير
مستحدث او يضاهي قول المشركين الملائكة بنات الله تعالى الله عنه وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم
المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وقرئ يضاهئون بالهمز من قولهم
امراة ضهيا على فعيل وهي التي ضاهأت الرجال في انها لا تحيض وهمزتها مزيدة كما في غرقئ

قاتلهم الله اي هم احقاء بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعا قاتلهم الله
ما اعجب فعلهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق **اتخذوا احبارهم** اربابا بان اطاعوهم في الامر بالمعاصي وتحليل
ما حرم الله وتحريم ما حلله كما تطاع الارباب في اوامرهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة
بل كانوا يعبدون الجن يا ابت لا تعبد الشيطان وعن عدي بن حاتم انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب
من ذهب فقال القه واتلوا انهم كانوا يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم
وعن فضيل ما ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة واما المسيح فحين جعلوه
ابنا لله فقد اهلوه للعبادة الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين **وما
امروا الا ليعبدوا الها واحدا** امرتهم بذلك ادلة العقل والنصوص في الانجيل والمسيح عليه السلام انه من يشرك
بالله فقد حرم الله عليه الجنة **سبحانه** تنزيه له عن الاشراك به واستبعاد له ويجوز ان يكون الضمير في وما امروا
للمتخذين اربابا اي وما امر هؤلاء الذين هم عندهم ارباب الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم
مامورون مستعبدون مثلهم **مثل** حالهم في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم
منبث في الافاق يريد الله ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق والاضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه
ليظهره ليظهر الرسول **على الدين كله** على اهل الاديان كلهم او ليظهر دين الحق على كل دين **فان قلت** كيف جاز ابى
الله الا كذا ولا يقال كرهت او ابغضت الا زيدا **قلت** قد اجرى ابى مجرى لم يرد الا ترى كيف قوبل يريدون
ان يطفئوا بقوله ويابى الله وكيف اوقع موقع ولا يريد الله الا ان يتم نوره **ليأكلون** معنى اكل الاموال على وجهين اما ان
يستعار الاكل للاخذ الا ترى الى قولهم اخذ الطعام وتناوله واما على ان الاموال يؤكل بها فهي سبب للاكل
ومنه قوله ان لنا احمرة عجافا يأكلن كل ليلة اكافا اي يأكلن علفا يشترى بثمن الاكاف ومعنى **اكلهم** بالباطل
انهم كانوا ياخذون الرشا في الاحكام والتخفيف والمسامحة في الشرائع **والذين يكنزون** يجوز ان يكون اشارة
الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم اخذ البراطيل وكنز الاموال
والضن بها عن الانفاق في سبيل الخير ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين
المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على ان من ياخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم طيب ماله سواء
في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم وقيل نسخت الزكاة اية الكنز وقيل هي ثابتة وانما عني بترك الانفاق
في سبيل الله منع الزكاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما ادي زكاته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو
كنز وان كان ظاهرا وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا سأله عن ارض له باعها فقال له احرز مالك الذي اخذت احفر
له تحت فراش امراتك قال اليس بكنز قال ما ادي زكاته فليس بكنز وعن ابن عمر كل ما ادت زكاته فليس بكنز وان كان
تحت سبع ارضين وكل ما لم تؤد زكاته فهو الذي ذكره الله وان كان على وجه الارض **فان قلت** فما تصنع بما روى
سالم بن ابي الجعد انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب والفضة قالها ثلاثا فقالوا له اي مال نتخذ
قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه وبقوله عليه السلام من ترك صفراء او بيضاء
كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية وتوفي اخر فوجد في مئزره ديناران
فقال كيتان **قلت** كان هذا قبل ان تفرض الزكاة فاما بعد فرضها فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث
اذن له فيه ويؤدي عنه ما اوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وعبد الله
بن عبيد الله يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد ممن اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل
والادخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شيء حد وما روي عن علي
اربعة الاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام في الافضل **فان قلت** لم قيل ولا ينفقونها
وقد ذكر شيئان **قلت** ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة
ودنانير ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به الى الكنوز وقيل الى الاموال
وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما ان معنى قوله فاني وقيار بها لغريب وقيار كذلك **فان قلت**
لم خصا بالذكر من بين سائر الاموال **قلت** لانهما قانون التمول واثمان الاشياء ولا يكنزهما الا من
فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر اجناس الاموال فكان ذكر كنزهما دليلا
على ما سواهما **فان قلت** ما معنى قوله يحمى عليها وهلا قيل تحمى من قولك حمي الميسم واحميته ولا تقول
احميت على الحديد **قلت** معناه ان النار تحمى عليها اي توقد ذات حمي وحر شديد من قوله نار حامية
ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى **فان قلت** فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر الفعل **قلت** لانه
مسند الى الجار والمجرور اصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الاسناد
عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير وعن
ابن عامر انه قرأ تحمى بالتاء وقرأ ابو حيوة فيكوى بالياء **فان قلت** لم خصت هذه الاعضاء **قلت** لانهم
لم يطلبوا باموالهم حيث لم ينفقوها في سبيل الله الا الاغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس
وتقدم وان يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالاكرام ويبجلون
ومن اكل الطيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها
على ظهورهم كما ترى الاغنياء في زمانك هذه اغراضهم وطلباتهم من اموالهم لا يخطرون ببالهم قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب اهل الدثور بالاجور وقيل لانهم كانوا اذا ابصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم
واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوه ظهورهم وقيل معناه يكوون على الجهات الاربع
مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم وظهورهم **هذا ما كنزتم** على ارادة القول وقوله لانفسكم

اى كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الاغراض التى حامت حولها وما علمتم انكم
كنزتموه لتستضر به انفسكم وتعذب وهو توبيخ لهم «فذوقوا ما كنتم تكنزون» وقرئ تكنُزون بضم النون
اى وبال المال الذى كنزتموه او وبال كونكم كانزين «فى كتاب» الله فيما اثبته واوجبه من حكمه وراه
حكمة وصوابا وقيل فى اللوح «اربعة حرم» ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب
ومنه قوله عليه السلام فى خطبته فى حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض
السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب
مضر الذى بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج فى ذى الحجة
وبطل النسئ الذى كان فى الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابى بكر قبلها فى ذى القعدة
«ذلك الدين القيم» يعنى ان تحريم الاشهر الاربعة هو الدين المستقيم دين ابرهيم واسمعيل وكانت العرب قد تمسكت
به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقى الرجل قاتل ابيه او اخيه
لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثت النسئ فغيروا «فلا تظلموا فيهن انفسكم» اى لا تجعلوا
حرامها حلالا وعن عطاء تالله ما يحل للناس ان يغزوا فى الحرم ولا فى الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت
وعن عطاء الخراسانى احلت القتال فى الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تاثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن
كما عظم اشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق الاية وان كان ذلك محرما فى سائر الشهور «كافة» حال
من الفاعل او المفعول مع المتقين ناصرا لهم حثهم على التقوى بضمان النصر لاهلها «انما النسئ» تاخير حرمة الشهر الى شهر
اخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة
فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا اخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من شهور
العام اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله اى ليوافقوا العدة التى هى الاربعة ولا يخالفوها وقد
خالفوا التخصيص الذى هو احد الواجبين وربما زادوا فى عدة الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر شهرا او اربعة
عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال عز وعلا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعنى من غير زيادة
زادوها والضمير فى يحلونه ويحرمونه للنسئ اى اذا احلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه فى العام
القابل يروى انه حدث ذلك فى كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكنانى
مطاعا فى الجاهلية وكان يقوم على جمل فى الموسم فيقول باعلى صوته ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه
ثم يقوم فى القابل فيقول ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه فجعل النسئ زيادة فى الكفر لان الكافر كلما احدث معصية
ازداد كفرا فزادتهم رجسا الى رجسهم كما ان المؤمن اذا احدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون
وقرئ يضل على البناء للمفعول ويضل بفتح الياء والضاد ويضل على ان الفعل لله عز وجل وقرئ الزهرى
ليوطئوا بالتشديد والنسئ مصدر نساه اذا اخره يقال نساه نسا ونساء كقولك مسه مسا ومساسا
ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ النسى بوزن الهدى والنسى بوزن النهى وهما تخفيف النسئ والنسى «فان قلت»
ما معنى قوله فيحلوا ما حرم الله «قلت» معناه فيحلوا بمواطاة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله
من القتال او من ترك الاختصاص للاشهر بعينها «زين لهم سوء اعمالهم» خذلهم فحسبوا اعمالهم القبيحة
حسنة «والله لا يهدى» اى لا يلطف بهم بل يخذلهم وقرئ زين لهم سوء اعمالهم على البناء للفاعل وهو الله
«اثاقلتم» تثاقلتم وبه قرئ الاعمش اى تباطاتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والاخلاد فعدى بالى والمعنى
ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه اخلد الى الارض واتبع هواه وقيل ملتم الى الاقامة
بارضكم ودياركم وقرئ اثاقلتم على الاستفهام الذى معناه الانكار والتوبيخ «فان قلت» فما العامل فى اذا وحرف
الاستفهام مانع ان يعمل فيه ما قبله «قلت» ما دل عليه او ما فى ما لكم من معنى الفعل كانه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم
كما تعمل فى الحال اذا قلت ما لك قائما وكان ذلك فى غزوة تبوك فى سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا
فى وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم وقيل ما خرج رسول الله صلعم فى غزوة
الا ورى عنها بغيرها الا فى غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة «من الاخرة» بدل الاخرة كقوله لجعلنا
منكم ملئكة فى الارض «فى» جنب «الاخرة» «الا تنفروا» سخط عظيم على المتثاقلين حيث اوعدهم بعذاب اليم مطلق
يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم ويستبدل بهم قوما اخرين خيرا منهم واطوع وانه غنى عنهم
فى نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير للرسول اى ولا تضروه لان الله وعده ان يعصمه
من الناس وان ينصره ووعد الله كائن لا محالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم اهل اليمن وقيل ابناء فارس
والظاهر مستغن عن التخصيص «فان قلت» كيف يكون قوله فقد نصره الله جوابا للشرط «قلت» فيه وجهان
احدهما الا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد ولا اقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره
الله على انه تعالى ينصره فى المستقبل كما نصره فى ذلك الوقت والثانى انه اوجب له النصرة وجعله منصورا فى ذلك
الوقت فلن يخذله من بعده واسند الاخراج الى الكفار كما اسنده اليهم فى قوله من قريتك التى اخرجتك
لانهم حين هموا باخراجه اذن الله له فى الخروج فكانهم اخرجوه «ثانى اثنين» احد اثنين كقوله ثالث ثلاثة
وهما رسول الله صلعم وابو بكر رضه يروى ان جبريل عم لما امره بالخروج قال من يخرج معى قال ابو بكر وانتصابه
على الحال وقرئ ثانى اثنين بالسكون واذ هما بدل من اذ اخرجه «والغار» ثقب فى اعلى ثور وهو جبل
فى يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا «اذ يقول» بدل ثان «لصاحبه» قيل لما طلع المشركون فوق الغار
اشفق ابو بكر على رسول الله صلعم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين
الله ثالثهما وقيل لما دخل الغار بعث الله حمامتين فباضتا فى اسفله والعنكبوت فنسجت عليه

وقال رسول الله صلعم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار فلا يفطنون قد اخذ الله
بابصارهم عنه وقالوا من انكر صحبة ابى بكر فقد كفر لانكاره كلام الله عز وجل وليس ذلك لسائر الصحابة
«سكينته» ما القى فى قلبه من الامنة التى سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه «وجنود» الملئكة
يوم بدر والاحزاب وحنين «وكلمة الذين كفروا» دعوتهم الى الكفر «وكلمة الله» دعوته الى الاسلام
وقرئ وكلمة الله بالنصب والرفع اوجه وهى فصل او مبتدا وفيها تاكيد فضل كلمة الله فى العلو
وانها المختصة به دون سائر الكلم «خفافا وثقالا» خفافا فى النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته
عليكم او خفافا لقلة عيالكم واذيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا
ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلعم
اعلى ان انفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا
على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من اهل
دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد اعذر الله اليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخى استنفرنا
الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتليه وعن الزهرى خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد
ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكنى
الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع «وجاهدوا باموالكم وانفسكم» ايجاب للجهاد بهما ان امكن او
باحدهما على حسب الحال والحاجة «عرضا» ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر
ياكل منه البر والفاجر اى لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل المنال «وسفرا قاصدا» وسطا مقاربا
«الشقة» المسافة الشاقة الشاطة وقرئ عيسى بن عمر بعدت بكسر العين والشين ومنه قوله
يقولون لا تبعد وهم يدفنونه ولا بعد الا ما توارى الصفائح «بالله» متعلق بسيحلفون او هو من جملة
كلامهم والقول مراد فى الوجهين اى سيحلفون يعنى المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين
يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم او وسيحلفون بالله ويقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد
مسد جوابى القسم ولو جميعا والاخبار بما سوف يكون بعد القفول من تخلفهم واعتذارهم وقد كان
من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة العدة او استطاعة الابدان كانهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم
الواو تشبيها لها بواو الجمع فى قوله فتمنوا الموت «يهلكون انفسهم» اما ان يكون بدلا من سيحلفون او حالا
بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها فى الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل ان يكون
حالا من قوله لخرجنا اى لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا والقيناها فى التهلكة بما نحملها من المسير فى تلك
الشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم الا ترى انه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان
سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولافعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية «عفا الله عنك»
كناية عن الجناية لان العفو رادف لها ومعناه اخطات وبئس ما فعلت و«لم اذنت لهم» بيان لما كنى
عنه بالعفو ومعناه ما لك اذنت لهم فى القعود عن الغزو حين استاذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا
استانيت بالاذن «حتى يتبين لك» من صدق فى عذره ممن كذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلعم ولم
يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه من الاسارى فعاتبه الله «لا يستاذنك» ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك
فى ان يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والانصار يقولون لا نستاذن النبى صلعم ابدا ولنجاهدن ابدا
معه باموالنا وانفسنا ومعنى ان يجاهدوا فى ان يجاهدوا او كراهة ان يجاهدوا «والله عليم بالمتقين»
شهادة لهم بالانتظام فى زمرة المتقين وعدة لهم باجزال الثواب «انما يستاذنك» يعنى المنافقين وكانوا تسعة
وثلاثين رجلا «يترددون» عبارة عن التحير لان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات والاستقرار ديدن
المستبصر وقرئ عدة بمعنى عدته فعل بالعدة ما فعل بالعدة من قال واخلفوك عد الامر الذى وعدوا
من حذف تا التانيث وتعويض المضاف اليه منها وقرئ عدة بكسر العين بغير اضافة وعدة باضافة «فان قلت»
كيف موقع حرف الاستدراك «قلت» لما كان قوله ولو ارادوا الخروج معطيا معنى نفى خروجهم واستعدادهم
للغزو قيل ولكن كره الله انبعاثهم كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ما
احسن الى زيد ولكن اساء اليه «فثبطهم» فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم فى الانبعاث «وقيل اقعدوا»
جعل القاء الله فى قلوبهم كراهة الخروج امرا بالقعود «فان قلت» كيف جاز ان يوقع الله فى نفوسهم كراهة
الخروج الى الغزو وهى قبيحة وتعالى الله عن الهام القبيح «قلت» خروجهم كان مفسدة لقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم
الا خبالا فكان ايقاع كراهة ذلك الخروج فى نفوسهم حسنا ومصلحة «فان قلت» فلم خطئ رسول الله صلعم
فى الاذن لهم فيما هو مصلحة «قلت» لان اذن رسول الله صلعم لم يكن للنظر فى هذه المصلحة ولا علمها الا بعد القفول
باعلام الله ولكن لانهم استاذنوا واعتذروا اليه فكان عليه ان يتفحص عن معاذيرهم ولا يتجوز فى قبولها فمن ثم
اتاه العتاب ويجوز ان يكون فى ترك رسول الله صلعم الاذن لهم مع تثبيط الله اياهم مصلحة اخرى فباذنه لهم
فسدت تلك المصلحة وذلك انهم اذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان قعودهم بغير اذن من رسول الله صلعم قامت
عليهم الحجة ولم تبق لهم معذرة ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك الله استارهم وكشف اسرارهم وشهد
عليهم بالنفاق وانهم لا يؤمنون بالله واليوم الاخر «فان قلت» ما معنى قوله مع القاعدين «قلت» هو ذم لهم
وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شانهم القعود والجثوم فى البيوت وهم القاعدون
والخالفون والخوالف ويبينه قوله تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف «الا خبالا» ليس من الاستثناء
المنقطع فى شئ كما يقولون لان الاستثناء المنقطع هو ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقوله
ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه فى هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء من اعم
العام الذى هو الشئ فكان استثناء متصلا لان الخبال بعض اعم العام كانه قيل ما زادوكم شيئا

الاخبال والخبال الفساد والشر ولأوضعوا خلالكم ولسعوا بينكم بالتضريب والنمايم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا والمعنى ولأوضعوا ركايبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمايم لان الراكب اسرع من الماشي وقرا ابن الزبير ولأرفضوا من رفضت الناقة رفضا اذا اسرعت وارفضتها انا قال والراقصات الى منى فالغبغب وقرى ولأوفضوا فان قلت كيف خط في المصحف ولا أوضعوا بزيادة الف قلت كانت الفتحة تكتب الفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القران وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا اخرى ونحوه أولأاذبحنه يبغونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم او فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم لقد ابتغوا الفتنة اي العنت ونصب الغوايل والسعي في تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك كما فعل عبد الله بن ابي يوم احد حين انصرف بمن معه وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به من قبل من قبل غزوة تبوك وقلبوا لك الامور ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الاراء في ابطال امرك وقرى وقلبوا بالتخفيف حتى جاء الحق وهو تاييدك ونصرك وظهر امر الله وغلب دينه وعلا شرعه ايذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا تاذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت وقيل ولا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني اعينك بمال فاتركني وقرى ولا تفتني من افتنه الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وفي مصحف ابي سقط لان من موحد اللفظ مجموع المعنى لمحيطة بالكافرين يعني انها تحيط بهم يوم القيمة او هي محيطة بهم الان لان اسباب الاحاطة معهم فكانهم في وسطها ان تصبك في بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم وان تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم احد يفرحوا بحالهم في الانحراف عنك ويقولوا قد اخذنا امرنا اي امرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من قبل ما وقع وتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له وهم الى اهاليهم وهم فرحون مسرورون وقيل تولوا اعرضوا عن رسول الله صلعم وقرأ ابن مسعود قل هل يصيبنا وقرى طلحة هل يصيبنا بتشديد الياء ووجهه ان يكون يفيعل لا يفعّل لانه من بنات الواو لقولهم الصواب وصاب السهم يصوب ومصاوب في جمع مصيبة فحق تفعّل منه يصوّب الا ترى الى قولهم صوّب رايه الا ان يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومنه قوله اسهم صايبات والصيب واللام في قوله الا ما كتب الله لنا مفيد معنى الاختصاص كانه قيل لن يصيبنا الا ما اختصنا الله به باثباته وايجابه من النصر عليكم او الشهادة الا ترى الى قوله هو مولانا اي الذي يتولانا ونتولاه وذلك بان الله هو مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم وعلى الله فليتوكل المومنون وحق المومنين ان لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصر والشهادة ونحن نتربص بكم احدى السوءيين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة من السما كما نزلت على عاد وثمود او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فلا بد ان يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه طوعا او كرها نصب على الحال اي طايعين او مكرهين انفقوا يعني في سبيل الله ووجوه البر فان قلت كيف امرهم بالانفاق ثم قال لن يتقبل منكم قلت هو امر في معنى الخبر كقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها ونحوه قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم وقوله اسيئي بنا او احسني لا ملومة اي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم ولا نلومك اساءت الينا او احسنت فان قلت متى يجوز نحو هذا قلت اذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك رحم الله زيدا وغفر له فان قلت لم فعل ذلك قلت لنكتة فيه وهي ان كثيرا كانه يقول لعزة امتحني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك وعامليني بالاساءة والاحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة كنت او محسنة وفي معناه قول القائل اخوك الذي ان قمت بالسيف عامدا لتضربه لم يستغشك في الود وكذلك المعنى انفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم او لا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه فان قلت ما الغرض في نفي التقبل اهو ترك رسول الله قبوله منهم ورده عليهم ما يبذلون منه ام هو كونه غير مقبول عند الله ذاهبا هباء لا ثواب له قلت يحتمل الامرين جميعا وقوله طوعا او كرها معناه طايعين من غير الزام من الله ورسوله او ملزمين وسمى الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه او طايعين من غير اكراه من رؤسايكم لان رؤسا اهل النفاق كانوا يحملون على الانفاق لما يرون فيه من المصلحة او مكرهين من جهتهم وروي انها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلعم هذا مالي اعينك به فاتركني انكم تعليل لرد انفاقهم والمراد بالفسق التمرد والعتو انهم فاعل منع وهم وان لم تقبل مفعولاه وقرى ان يقبل بالياء والتاء على البنا للمفعول ونفقاتهم على الجمع والتوحيد وقرى السلمي ان يقبل منهم نفقاتهم على ان الفعل لله عز وجل كسالى بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى وغيارى في سكران وغيران وكسلهم انهم لا يرجون بصلاتهم ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا فهي ثقيلة عليهم كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقرأه في بعض الاخبار ان رسول الله صلعم كره للمومن ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الاية فان الكسل من صفات المنافقين فما ينبغي ان يسنده المومن الى نفسه

فان على

فان قلت الكراهة خلاف الطواعية وقد جعلهم الله طايعين في قوله طوعا ثم وصفهم بانهم لا ينفقون الا وهم كارهون قلت المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله صلعم او من رؤسايهم وما طوعهم ذلك الا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار فلا تعجبك الاعجاب بالشي ان يسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن بما اوتوا من زينة الدنيا كقوله ولا تمدن عينيك فان الله انما اعطاهم ما اعطاهم للعذاب بان عرضه للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالافات والمصايب وكلفهم الانفاق منه في ابواب الخير وهم كارهون له على رغم انوفهم واذاقهم انواع الكلف والمحاشم في جمعه واكتسابه وفي تربية اولادهم فان قلت ان صح تعليق التعذيب بارادة الله فما بال زهوق انفسهم وهم كافرون قلت المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما كانه قيل ويريد ان يديم عليهم نعمته الى ان يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر في العاقبة لمنكم لمن جملة المسلمين يفرقون يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية ملجا مكانا يلجاون اليه متحصنين به من راس جبل او قلعة او جزيرة او مغارات او غيرانا وقرى بضم الميم من اغار الرجل وغار اذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار الشي واغرته انا يعني امكنة يغيرون فيها اشخاصهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومفار او مدخلا او نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرى مدخلا من دخل ومدخلا من ادخل مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرى ابي بن كعب متدخلا وقرى لولوا اليه لالتجؤا اليه يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شي من الفرس الجموح وهو الذي اذا حمل لم يرده اللجام وقرى انس يجمزون فسيل عنه فقال يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد يلمزك يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك فيها وهم المولفة قلوبهم وقيل هو ابن ذي الخويصرة راس الخوارج كان رسول الله صلعم يقسم غنايم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك من يعدل اذا لم اعدل وقيل ابو الجواظ من المنافقين قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله صلعم لا ابا لك اما كان موسى عليه راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون وقرى يلمزك بالضم ويلمّزك ويلامزك التثقيل والبنا على المفاعلة مبالغة في اللمز ثم وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح لاهله لان رسول الله استعطف قلوب اهل مكة يوميذ بتوفير الغنايم عليهم فضجر المنافقون منه واذا للمفاجاة اي وان لم يعطوا منها فاجوا السخط وجواب لو محذوف تقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو انهم رضوا ما اصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا الله غنيمة اخرى فيوتينا رسول الله صلعم اكثر مما اتانا اليوم انا الى الله في ان يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون انما الصدقات للفقرا قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة وانها مختصة بها لا تتجاوز الى غيرها كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها وعليه مذهب ابي حنيفة وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين انهم قالوا في اي صنف منها وضعتها اجزاك وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقرا متعففين فجبرتهم بها كان احب الي وعند الشافعي لا بد من صرفها الى الاصناف وعن عكرمة انها تفرق في الاصناف الثمانية وعن الزهري انه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الاصناف الثمانية والعاملين عليها السعاة الذين يقبضونها والمولفة قلوبهم اشراف من العرب كان رسول الله صلعم يستالفهم على ان يسلموا فيرضخ لهم شيا منها حين كان في المسلمين قلة وفي الرقاب المكاتبون يعانون منها وقيل الاسارى وقيل يبتاع الرقاب فتعتق والغارمين الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين يحملون الحمالات فتدينوا فيها وغرموا وفي سبيل الله فقرا الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله وهو فقير حيث هو غني حيث ماله فريضة في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقرا معناه فرض الله الصدقات لهم وقرى فريضة بالرفع على تلك فريضة فان قلت لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة قلت للايذان بانهم ارسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على انهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة او الرق او الاسر وفي فك الغارمين من الغرم من التخلص والانقاذ ولجمع الغازي الفقير او المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير في في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين فان قلت فكيف وقعت هذه الاية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم قلت دل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا منهم حسما لاطماعهم واشعارا باستحقاقهم الحرمان وانهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها صلى الله عليه وسلم الاذن الرجل الذي يصدق كل ما سمع ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة التي هي الة السماع كان جملته اذن سامعة ونظيره قولهم للربية عين وايذاؤهم له هو قولهم فيه هو اذن اذن خير هو كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يريد هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ويدل عليه قراة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه اذن خير بانه يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويقبل من المومنين الخلص من المهاجرين والانصار وهو رحمة لمن امن منكم اي اظهر الايمان ايها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما راى الله من المصلحة في الابقاء عليكم فهو اذن كما قلتم الا انه اذن خير لكم لا اذن سوء فسلم لهم قولهم فيه الا انه فسره بما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته وانه من اهل سلامة القلوب والغرة وقيل ان جماعة منهم ذموا الرسول وبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فانما هو اذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فاتي ونحن ناتيه فنعتذر اليه فيسمع عذرنا ايضا فيرضى فقيل هو اذن خير لكم وقرى اذن خير لكم على ان اذن خبر مبتدا محذوف وخير كذلك اي هو اذن هو خير لكم يعني ان كان كما تقولون فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا يكافيكم على سوء خلتكم وقرى بالتخفيف الذال فيهما فان قلت لم عدى فعل الايمان بالباء الى الله والى المومنين باللام قلت لانه قصد التصديق بالله الذي هو

نقيض الكفرية فعدّي بالباء وقصد التسامع من المؤمنين وان لم يسلّم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين
عنده فعدّي باللام الا ترى الى قوله تعالى وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما انباه عن الباء ونحوه فما امن
لموسى الا ذرية من قومه انؤمن لك واتبعك الارذلون آمنتم له قبل ان آذن لكم فان قلت ما وجه قراءة
ابن ابي عبلة ورحمة بالنصب قلت هي علة معللها محذوف تقديره ورحمة لكم يأذن لكم فحذف لان قوله
اذن خير لكم يدل عليه ليرضوكم الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن او يتخلفون
عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم
ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فاحق من ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق وانما وحد الضمير لانه لا
تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا في حكم مرضي واحد كقولك احسان زيد واجماله نعشني وجبر مني
او والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق فان له على حذف الخبر
اي فحق ان له نار جهنم وقيل معناه فله وان تكرير لان في قوله انه تاكيد ويجوز ان يكون فان له معطوفا على انه
على ان جواب من محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم وقرئ الم تعلموا بالتاء
كانوا يستهزئون بالاسلام واهله وكانوا يحذرون ان يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم والله
لا ارانا الا شر خلق الله لوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة وان لا ينزل فينا شيء يفضحنا والضمير في عليهم
وتنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين وصح ذلك لان المعنى يقود اليه ويجوز ان تكون الضماير للمنافقين
لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كانها تقول لهم في
قلوبكم كيت وكيت يعني انها تذيع اسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكانها تخبرهم بها
وقيل معنى يحذر الامر بالحذر اي ليحذر المنافقون فان قلت الحذر واقع على انزال السورة في قوله
يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة فما معنى قوله مخرج ما تحذرون قلت معناه محصّل مبرز
انزال السورة او ان الله مظهر ما كنتم تحذرونه اي تحذرون اظهاره من نفاقكم. بينا رسول الله صلعم
يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد
ان يفتتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب
فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شيء
مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر. ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لم يعبا باعتذارهم
لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كانهم معترفون باستهزائهم وبانه موجود منهم حتى وبخوا باخطائهم
موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزئ به يلي حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته
لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم قد اظهرتم كفركم
باستهزائكم بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم باحداثهم للتوبة واخلاصهم
الايمان بعد النفاق نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين منه. او ان
يعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله ولم يستهزئوا فلم يعذبهم الله في العاجل نعذب
في العاجل طائفة بانهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله صلعم مستهزئين وقرئ مجاهد ان تعف عن طائفة
على البناء للمفعول مع التانيث والوجه التذكير لان المسند اليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول
سيرت بالدابة ولكنه ذهب الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة فانث لذلك وهو غريب والجيد
قراءة العامة ان يعف عن طائفة منكم بالتذكير وتعذب طائفة بالتانيث وقرئ ان يعف عن طائفة يعذب طائفة على البناء للفاعل وهو
الله عز وجل بعضهم من بعض اريد به نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويحلفون بالله انهم لمنكم وتقرير
قوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين يامرون بالمنكر والمعاصي وينهون
عن المعروف عن الايمان والطاعات ويقبضون ايديهم شحا بالمبار والصدقات والانفاق في سبيل الله
نسوا الله اغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله هم الفاسقون هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد
في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا ان يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله
به المنافقين حين بالغ في ذمهم واذا كره رسول الله للمسلم ان يقول كسلت لان المنافقين وصفوا
بالكسل في قوله كسالى فما ظنك بالفسق خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم دلالة على عظم عذابها
وانه لا شيء ابلغ منه وانه بحيث لا يزاد عليه نعوذ بالله من سخطه وعذابه ولعنهم الله واهانهم
مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين كما عظم اهل الجنة والحقهم بالملائكة
المكرمين ولهم عذاب ولهم نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب النار ويجوز
ان يريد ولهم عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف
للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه ابدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم كالذين
محله رفع على انتم مثل الذين من قبلكم او نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو انكم استمتعتم وخضتم
كما استمتعوا وخاضوا وكيف قول النمر كاليوم مطلوبا ولا طلبا باضمار لم ار. وقوله كانوا اشد
منكم قوة تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم والخلاق النصيب وهو ما خلق للانسان اي قدر من خير
كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب اي اثبت والخوض الدخول في الباطل واللهو كالذي خاضوا
كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه فان قلت اي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما
استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما اغنى قوله كالذي خاضوا عن ان يقال وخاضوا فخضتم كالذي
خاضوا قلت فائدته ان يذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم
بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة وان يخسس امر الاستمتاع ويهجن امر الراضي به
ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد ان تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول انت مثل فرعون
كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وانت تفعل مثل فعله. واما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف
على ما قبله مستند اليه مستغن باسناده اليه عن تلك التقدمة حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة نقيض قوله و

احده في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين واصحاب مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات مدائن قوم لوط
وقيل قريات قوم لوط وهود وصالح وائتفاكهن انقلاب احوالهن عن الخير الى الشر فما كان الله
ليظلمهم فما صح منه ان يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وان يعاقبهم بغير جرم ولكن ظلموا انفسهم حيث
كفروا به فاستحقوا عقابه بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض سيرحمهم الله
السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سانتقم منك يوما تعني انك لا تفوتني
وان تباطأ ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك ولسوف يؤتيهم اجورهم عزيز غالب
على كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق ومساكن
طيبة عن الحسن قصورا من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي
وعد الرحمن عباده بالغيب ويدل عليه ما روى ابو الدرداء عن رسول الله صلعم عدن دار الله التي لم ترها عين
ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله طوبى لمن دخلك وقيل هي
مدينة في الجنة وقيل نهر جناته على حافاته ورضوان من الله اكبر وشيء من رضوان الله اكبر من ذلك كله لان
رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة اكبر اصناف الثواب
ولان العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو اكبر في نفسه مما وراءه من النعم وانما يتهنا له برضاه كما اذا
علم بسخطه تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وان عظمت وسمعت بعض اولي الهمة البعيدة والنفس المرة من مشايخنا
يقول لا تطمح عيني ولا تنازع نفسي الى شيء مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع الى رضاه عني وان احشر في
زمرة المهتدين المرضيين عنده ذلك اشارة الى ما وعد الله او الى الرضوان اي هو الفوز العظيم وحده دون
ما يعده الناس فوزا. وروي ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا
ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم خيرا من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني
فلا اسخط عليكم ابدا جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في الجهادين جميعا ولا تحابهم
وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما امكن منها عن ابن مسعود
ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه يريد الكراهة والبغضاء
والتبرؤ منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها اقام رسول الله صلعم
في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم الجلاس بن سويد
فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير
فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا لصادق وانت شر من الحمار فبلغ ذلك رسول الله صلعم
فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب
فنزل يحلفون بالله ما قالوا فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر
فتاب الجلاس وحسنت توبته وكفروا بعد اسلامهم واظهروا كفرهم بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا
وهو الفتك برسول الله صلعم وذلك عند مرجعه من تبوك توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عن راحلته الى
الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما
كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله
فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض
رسول الله صلعم وما نقموا وما انكروا وما عابوا الا ان اغناهم الله وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلعم المدينة
في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلعم
بديته اثني عشر الفا فاستغنى فان يتوبوا هي الآية التي تاب عندها الجلاس في الدنيا والآخرة بالقتل والنار
روي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره
خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق
حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه
رسول الله صلعم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلعم مصدقين لاخذ الصدقات
فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلعم الذي فيه الفرائض
فقال ما هي الا جزية ما هي الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلعم قبل ان
يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على راسه
فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلعم فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها وجاء الى عمر فلم
يقبلها وهلك في زمن عثمان وقرئ لنصدقن ولنكونن بالنون الخفيفة فيهما من الصالحين قال ابن عباس
يريد الحج فاعقبهم عن الحسن وقتادة ان الضمير للبخل يعني فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه
وداعيا اليه والظاهر ان الضمير لله عز وجل والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا
بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق وقرئ يكذبون بالتشديد
الم تعلموا بالتاء وعن علي سرهم ونجواهم ما اسروا من النفاق والعزم على اخلاف ما وعدوه وما
يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها الذين يلمزون محله النصب
او الرفع على الذم ويجوز ان يكون في محل الجر بدلا من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين
المتبرعين روي ان رسول الله صلعم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقية من ذهب وقيل
باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف فاقرضت ربي اربعة الاف وامسكت اربعة لعيالي فقال رسول الله صلعم
بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبورك له حتى صولحت زوجته تماضر عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق

عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر وقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين
فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى
عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه
ليعطى من الصدقات فنزلت الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح والضم ❊ سخر الله منهم كقوله
الله يستهزئ بهم في انه خبر غير دعاء الا ترى الى قوله ولهم عذاب اليم ❊ سأل عبد الله بن عبد الله بن ابي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت فقال لاعلم ان الله قد رخص لي
فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وقد ذكرنا ان هذا الامر في معنى
الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وان فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في المجيء
به على لفظ الامر والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير قال علي بن ابي طالب علم لاصبحن العاصي
وابن العاص سبعين الفا عاقدي النواصي فان قلت كيف خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو افصح العرب واخبرهم
باساليب الكلام وتمثيلاته والذي يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بانهم
كفروا الاية فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص لي ربي فسازيده على السبعين قلت لم
يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال اظهارا لغاية رحمته ورأفته على من بعث اليه كقول ابرهيم ومن عصاني
فانك غفور رحيم وفي اظهار النبي الرحمة لطف لامته ودعاء لهم الى ترحم بعضهم على بعض المخلفون الذين
استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك او الذين خلفهم كسلهم
ونفاقهم والشيطان بمقعدهم بقعودهم عن الغزو خلاف رسول الله خلفه يقال اقام خلاف الحي بمعنى
بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم ويشهد له قراءة ابي حيوة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم
خالفوه حيث قعد ونهض واقاموا وانتصابه على انه مفعول له او حال اي قعدوا لمخالفته او مخالفين له وكرهوا ان يجاهدوا
باموالهم وانفسهم تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله وبما فعلوا من بذل اموالهم
وارواحهم في سبيل الله وايثارهم ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم
ما في المؤمنين من باعث الايمان وداعي الايقان قل نار جهنم استجهال لهم لان من تصون من مشقة
ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل ولبعضهم ❊ مسرة احقاب تلقيت بعدها
مساءة يوم انها شبه انصاب ❊ فكيف بان تلقى مسرة ساعة ❊ وراء تقضيها مساءة احقاب ❊ معناه فسيضحكون قليلا
ويبكون كثيرا جزاء الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان اهل النفاق يبكون في النار
عمر الدنيا لا يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم وانما قال الى طائفة منهم لان منهم من تاب عن النفاق وندم
على التخلف او اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فاراد بالطائفة المنافقين منهم فاستأذنوك
للخروج يعني الى غزوة بعد غزوة تبوك واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك وكان اسقاطهم عن ديوان
الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله انه لم يدعهم اليه الا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين مع الخالفين
قد مر تفسيره وقرأ مالك بن دينار مع الخلفين على قصر الخالفين فان قلت مرة نكرة وضعت موضع المرات
للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف اليها وهو دال على واحدة من المرات قلت اكثر اللغتين هند اكبر النساء
وهي اكبرهن ثم ان قولك هي كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه ولكن هي اكبر امرأة واول مرة واخر مرة وعن قتادة
ذكر لنا انهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو
لهم فلما مرض راس النفاق عبد الله بن ابي بعث اليه ليأتيه فلما دخل عليه قال اهلكك حب اليهود فقال
يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وساله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات
دعاه ابنه حباب الى جنازته فساله عن اسمه فقال انت عبد الله بن عبد الله الحباب اسم شيطان فلما هم
بالصلاة عليه قال له عمر اتصلي على عدو الله فنزلت وقيل اراد ان يصلي عليه فجذبه جبريل فان قلت كيف جازت
له تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع له سبق وذلك ان العباس عم رسول الله
لما اخذ اسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية
انا لا ناذن لمحمد ولكنا ناذن لك فقال لا ان لي في رسول الله اسوة حسنة فشكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابة له
الى مسئلته اياه وقد كان عليه السلام لا يرد سائلا وكان يتوفر على دواعي المروءة ويعمل بعادات الكرام واكراما لابنه
الرجل الصالح فقد روي انه قال له اسألك ان تكفنه في بعض قمصانك وان تقوم على قبره لا يشمت به الاعداء
وعلما بان تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الاكفان وليكون الباسه اياه لطفا
لغيره فقد روي انه قيل له لم وجهت اليه بقميصك وهو كافر فقال ان قميصي لن يغني عنه من الله شيئا واني
اؤمل من الله ان يدخل في الاسلام كثير بهذا السبب فيروى انه اسلم الف من الخزرج لما رأوه طلب
الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء الى التراحم والتعاطف لانهم اذا
رأوه يترحم على من يظهر الايمان وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم الى ان يتعطف على من واطأ لسانه
قلبه وراه حتما عليه فان قلت فكيف جازت الصلاة عليه قلت لم يتقدم نهي عن الصلاة عليهم وكانوا يجرون
مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك من المصلحة وعن ابن عباس ما ادري ما هذه الصلاة الا اني اعلم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخادع مات صفة لاحد وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير
الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة انهم كفروا تعليل للنهي وقد اعيد قوله ولا تعجبك لان
تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل له وتأكيده وارادة ان يكون على بال من المخاطب لا ينساه
ولا يسهو عنه وان يعتقد ان العمل به مهم يفتقر الى فضل عناية به لا سيما اذا تراخى ما بين
النزولين فاشبه الشيء الذي اهم صاحبه فهو يرجع اليه في اثناء حديثه ويتخلص اليه وانما اعيد هذا المعنى

لقوته

لقوته فيما يجب ان يجدد زمنه ويجوز ان يراد السورة بتمامها وان يراد بعضها في قوله واذا انزلت سورة كما يقع القران والكتاب
على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد ❊ ان امنوا اي بان امنوا اولوا الطول ذوو السعة
والفضل من طال عليه طولا مع القاعدين مع الذين لهم علة وعذر في التخلف فهم لا يفقهون ما في الجهاد من الفوز
العظيم والسعادة وما في التخلف من الشقاء والهلاك لكن الرسول اي ان تخلف هؤلاء فقد نهد الى الغزو من هو
خير منهم واخلص نية ومعتقدا كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما فان استكبروا فالذين عند ربك ❊
الخيرات تتناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان ❊ المعذرون من عذر
في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام
التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم ولكن
لم تثبت بهما قراءة وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم وقرئ المعذرون
بالتخفيف وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا
فائذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا ومواشينا
فقال صلى الله عليه وسلم سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله ❊ وعن قتادة اعتذروا
بالكذب ❊ وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لان التاء لا تدغم في
العين ادغامها في الطاء والزاي والصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل اريد المعتذرون بالصحة وبه
فسر المعذرون على قراءة ابن عباس الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله هم منافقوا
الاعراب الذين لم يجيبوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان ❊ وقرئ كذبوا
بالتشديد سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار ❊ الضعفاء
الهرمى والزمنى والذين لا يجدون هم الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة ❊ والنصح لله ورسوله الايمان بهما
وطاعتهما في السر والعلن وتوليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه على المحسنين على المعذورين
الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم قلت لا اجد حال من الكاف في اتوك
وقد قبله مضمرة كما قيل في قوله او جاؤكم حصرت صدورهم اي اذا ما اتوك قائلا لا اجد تولوا ولقد خص الله المعوزين
في التخلف الذين ليس لهم في ابدانهم استطاعة والذين عدموا آلة الخروج والذين سألوا المعونة فلم تجدوها قيل
المستحملون ابو موسى الاشعري واصحابه وقيل البكاؤون وهم ستة نفر من الانصار تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو
ابلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كانها كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك افديك من رجل ومحل الجار
والمجرور النصب على التمييز الا يجدوا لئلا يجدوا ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو حزنا ❊
فان قلت رضوا ما موقعه قلت هو استئناف كانه قيل ما بالهم استأذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة
والانتظام في جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم يعني ان السبب في استئذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله اياهم
فان قلت فهل يجوز ان يكون قوله قلت لا اجد استئنافا مثله كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين
فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت نعم ويحسن لن نؤمن لكم علة
للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به فاذا علم انه مكذب وجب عليه الاخلال به وقوله قد
نبانا الله من اخباركم علة لانتفاء تصديقهم لان الله عز وجل اذا اوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم
واحوالهم وما في ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى الله عملكم
اتتوبون ام تثبتون على كفركم ثم تردون اليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك
لتعرضوا عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم انهم رجس تعليل لترك معاتبتهم
يعني ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره
التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار واما هؤلاء فارجاس لا سبيل الى تطهيرهم ومأواهم جهنم يعني وكفتهم النار
عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم لترضوا عنهم اي غرضهم في الحلف طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم فان
ترضوا عنهم فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته واجلها
وانما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضا المؤمنين يقتضي رضا الله عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب
بن قشير واصحابهما كانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل
جاء عبد الله بن ابي يحلف الا يتخلف عنه ابدا الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم
وقسوتهم وتوحشهم ونشئهم في بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة واجدر ان لا يعلموا
حدود ما انزل الله واحق بجهل حدود الدين وما انزل الله من الشرائع والاحكام ومنه قوله عليه السلام ان الجفاء
والقسوة في الفدادين والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من
عقابه وثوابه مغرما غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لانه لا ينفق الا تقية
من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ❊ دوله
وعقبه لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة عليهم دائرة السوء دعاء معترض دعا عليهم بنحو ما دعوا
كقوله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم وقرئ السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة
والسوء بالفتح ذم للدائرة كقولك رجل سوء في نقيض قولك رجل صدق ولان من دارت عليه ذام لها والله سميع
لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة عليم بما يضمرون وقيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم قربات مفعول ثان
ليتخذ والمعنى ان ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول لان الرسول كان يدعو
للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على ال ابي اوفى وقال تعالى وصل عليهم ❊ لانهم اذا تصدقوا

اموالهم طيبة بها نفوسهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات الا انها شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقده من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستيناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك سيدخلهم وما في السين من تحقيق الوعد وما ادل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها وقرئ قربة بضم الراء وقيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل هم الذين شهدوا بدرا وعن الشعبي من بايع بالحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن وقرأ عمر رضي الله عنه والانصار بالرفع عطفا على والسابقون وعن عمر انه كان يرى ان قوله والذين اتبعوهم باحسان بغير واو صفة للانصار حتى قال له زيد انه بالواو فقال ائتوني بأبي فقال تصديق ذلك في اول الجمعة واخرين منهم واوسط الحشر والذين جاءوا من بعدهم واخر الانفال والذين امنوا من بعد وروي انه سمع رجلا يقرؤه بالواو فقال من اقرأك فقال ابي فدعاه فقال اقرأنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك لتبيع القرظ بالبقيع قال صدقت وان شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم ثم قال عمر لقد كنت ارانا رفعنا رفعة لا يبلغها احد بعدنا وارتفع السابقون بالابتداء وخبره رضي الله عنهم ومعنى رضي الله عنهم لاعمالهم ورضوا عنه لما افاض عليهم من نعمه الدينية والدنيوية وفي مصاحف اهل [redacted] مكة تجري من تحتها الانهار وهي قراءة ابن كثير وفي سائر المصاحف تحتها بغير من ومن حولكم يعني حول بلدتكم وهي المدينة منافقون وهم جهينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على خبر المبتدأ الذي هو ممن حولكم ويجوز ان يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر اذا قدرت ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق على ان مردوا صفة موصوف محذوف كقوله انا ابن جلا وعلى الوجه الاول لا يخلو من ان يكون كلاما مبتدأ او صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بالمعطوف على خبره مردوا على النفاق تمهروا فيه من مرد فلان على عمله ومرد عليه اذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم اي يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشككك في امرهم ثم قال نحن نعلمهم اي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداء قلوبهم ابطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين لا تشك معه في ايمانهم وذلك انهم مردوا على النفاق وضروا به فلهم فيه اليد الطولى سنعذبهم مرتين قيل هما القتل وعذاب القبر وقيل الفضيحة وعذاب القبر وعن ابن عباس انهم اختلفوا في هاتين المرتين فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الاول والثاني عذاب القبر وعن الحسن رحمه الله اخذ الزكاة من اموالهم ونهك ابدانهم ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار واخرون اعترفوا بذنوبهم اي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على انفسهم بانهم بئسما فعلوا متذممين نادمين وكانوا ثلاثة ابو لبابة بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فايقنوا بالهلاك اوثقوا انفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله هو الذي يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اؤمر فيهم فنزلت فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فنزلت خذ من اموالهم خلطوا عملا صالحا خروجهم الى الجهاد واخر سيئا تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبي التوبة والاثم فان قلت قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به قلت كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لان المعنى خلطا كل واحد منهما بالاخر كقولك خلطت الماء واللبن ~~لانك جعلت الماء مخلوطا~~ تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم فان قلت كيف قيل ان يتوب الله عليهم وما ذكرت توبتهم قلت اذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم تطهرهم صفة لصدقة وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر ولم يقرأ وتزكيهم الا باثبات الياء والتاء في تطهرهم للخطاب او لغيبة المؤنث والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه او بمعنى الانماء والبركة في المال وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا اخذها وعن الشافعي رحمه الله احب ان يقول الوالي عند اخذ الصدقة اجرك الله فيما اعطيت وجعله لك طهورا وبارك لك فيما ابقيت وقرئ ان صلواتك على التوحيد سكن لهم يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم والله سميع يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم وقرئ الم يعلموا بالياء والتاء وفيه وجهان احدهما ان يراد المتوب عليهم يعني الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم ان الله هو يقبل التوبة اذا صحت ويقبل الصدقات اذا صدرت عن النية وهو للتخصيص والتاكيد وان الله من شانه قبول توبة التائبين وقيل معنى التخصيص هو ان ذلك ليس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه وقيل لهولاء التائبين اعملوا فان عملكم لا يخفى على الله خيرا كان او شرا وعلى عباده كما رأيتم وتبين لكم والثاني

ان يراد

ان يراد غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي انهم لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هولاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت فان قلت فما معنى قوله ويأخذ الصدقات قلت هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود ان الصدقة تقع في يد الله قبل ان تقع في يد السائل والمعنى انه يتقبلها ويضاعف عليها وقوله تعالى فسيرى الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة وقرئ مرجون ومرجؤن من ارجأته وارجيته اذا اخرته ومنه المرجئة يعني واخرون من المتخلفين موقوف امرهم اما يعذبهم ان بقوا على الاصرار ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله واخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله تعالى والله عليم حكيم وفي قراءة عبد الله غفور رحيم واما للعباد اي خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة وفي مصاحف اهل المدينة والشام الذين اتخذوا بغير واو لانها قصة على حيالها وفي سائرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذي احدثه المنافقون على سائر قصصهم روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا على مسجد ساعة من قبا بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقال لرسول الله يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام يستجيش جيشا ويغير على رسول الله صلى الله عليه وسلم اعداءه فارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنوده ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سالوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم امضوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام بقنسرين ضرارا مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قبا ومعازة وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا بين المؤمنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قبا فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وارصادا واعدادا لاجل من حارب الله ورسوله وهو الراهب اعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كل مسجد بني مباهاة او رياء وسمعة او لغرض سوى ابتغاء وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق انه لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا احب ان اصلي فيه فانه بني على ضرار وكل مسجد بني على ضرار او رياء او سمعة فان اصله ينتهي الى المسجد الذي بني على ضرار وعن عطاء لما فتح الله الامصار على يد عمر رضي الله عنه امر المسلمين ان يبنوا المساجد وان لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار احدهما صاحبه فان قلت والذين اتخذوا ما محله من الاعراب قلت محله النصب على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة وقيل هو مبتدأ خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة فان قلت بم يتصل قوله من قبل قلت باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هولاء بالتخلف ان اردنا ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين لمسجد اسس على التقوى قيل هو مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقبا وهو يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وهو اولى لان الموازنة بين مسجدي قبا اوقع وقيل هو مسجد رسول الله بالمدينة وعن ابي سعيد الخدري سالت رسول الله عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من اول يوم من ايام وجوده فيه رجال يحبون ان يتطهروا قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر من النجاسات كلها وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء اثر البول وعن الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم فان قلت ما معنى المحبتين قلت محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء المشتهى له على ايثاره ومحبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه وقرئ أسس بنيانه وأسس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول وأسس بنيانه جمع اساس على الاضافة وإساس بنيانه بالفتح والكسر جمع اس وأساس بنيانه على افعال جمع اس ايضا وأس بنيانه والمعنى افمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير ام من اسسه على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها واقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافي التقوى وهو الباطل فان قلت فما معنى قوله فانهار به في نار جهنم قلت لما جعل الجرف الهار مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم الا انه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصور ان المبطل كانه اسس بنيانا على شفا جرف من اودية جهنم فانهار به في ذلك الجرف والشفا الحرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر اصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهاير وهو المتصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره شاك وصات في شائك وصائت والفه ليست بالف فاعل انما هي عينه واصله هور وصوت وشوك ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل وكنه امره وقرئ جرف بسكون الراء فان قلت فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى على تقوى من الله قلت قد جعل الالف للالحاق لا للتانيث كتترى فيمن نون

المنها لجعفر وبي يصيف ابي نا فارت به دواعله وقيل حفرت بقعة في مسجد الضرار فراي الدخان يخرج منه •
وروي ان مجمع بن جارية كان امامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف اصحاب مسجد قبا عمر
ابن الخطاب ان ياذن لمجمع فيومهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين اليس بامام مسجد الضرار فقال
يا امير المومنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم اني لا اعلم ما اضمروا فيه ولو علمت ما صليت
معهم فيه كنت غلاما قاريا للقران وكانوا شيوخا لا يقرون من القران شيا فعذره وصدقه وامره
بالصلاة بقومه ريبة شكا في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وانما حملهم على بنا ذلك المسجد كفرهم
ونفاقهم كما قال ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله صلعم ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم
تصميما على النفاق ومقتا للاسلام فمعنى قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال هدمه سبب
شك ونفاق زايد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل اثره الا ان تقطع قلوبهم قطعا
وتفرق اجزا فحينيذ يسلون عنه واما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة فيجوز ان يكون ذكر
التقطع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كاين منه بقتلهم او في القبور
او في النار • وقري يقطع بالياء ويقطع بالتخفيف وتقطع بفتح التا بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على ان الخطاب للرسول
اي الا ان تقطع انت قلوبهم بقتلهم وقري الى ان • وفي قراة عبد الله رضه ولو قطعت • وعن طلحة
ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب • وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما
واسفا على تفريطهم • مثل الله اثابتهم بالجنة على بذلهم اموالهم وانفسهم في سبيل الله بالشرى • وروي
تاجرهم فاغلا لهم الثمن وعن عمر رضه جعل لهم الصفقتين جميعا • وعن الحسن انفسا هو خلقها واموالا
هو رزقها • وروي ان الانصار حين بايعوه صلعم على العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك
ما شيت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم
قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل • ومر برسول الله صلعم اعرابي
وهو يقراها فقال كلام من فقال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد
يقاتلون فيه معنى الامر كقوله تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم • وقري فيقتلون ويقتلون على
بنا الاول للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس وعدا مصدر موكد • واخبر بان هذا الوعد الذي وعده
للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد اثبته في التوراة والانجيل كما اثبته في القران ثم قال ومن اوفى بعهده
من الله • لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغني
الذي لا يجوز عليه قبيح قط • ولا ترى ترغيبا في الجهاد احسن منه وابلغ • التايبون • رفع على المدح
اي هم التايبون يعني المومنين المذكورين ويدل عليه قراة عبد الله وابي رضه التايبين بالياء الى والحافظين
نصبا على المدح ويجوز ان يكون مبتدا وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر • اي التايبون من الكفر
على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال • وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبروا من النفاق والعابدون
الذين عبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة وحرصوا عليها والسايحون الصايمون شبهوا بذوي
السياحة في الارض في امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الارض يطلبونه في مظانه
• قيل قال لعمه ابي طالب انت اعظم الناس علي حقا واحسنهم عندي يدا فقل كلمة تجب لك بها شفاعتي فابى
فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت • وقيل لما فتح مكة سال اي ابويه احدث به عهدا فقيل
امك امنة فزار قبرها بالابوا ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبرها فاذن لي
واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي ونزلت وهذا اصح لان موت ابي طالب كان قبل الهجرة وهذا
اخر ما نزل بالمدينة وقيل استغفر لابيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لاباينا وذوي قراباتنا وقد استغفر
ابرهيم لابيه وهذا محمد صلعم يستغفر لعمه • ما كان للنبي ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته من بعد ما تبين
لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك • وقري وما استغفر ابرهيم لابيه وعنه وما
يستغفر ابرهيم على حكاية الحال الماضية الا عن موعدة وعدها اياه اي وعدها ابرهيم اباه وهو قوله
لاستغفرن لك وتدل عليه قراة الحسن رضه وعدها اباه • فان قلت كيف خفي على ابرهيم ان الاستغفار
للكافر غير جايز حتى وعده • قلت يجوز ان يظن انه ما دام يرجى منه الايمان جاز الاستغفار له على ان امتناع جواز
الاستغفار للكافر انما علم بالوحي لان العقل يجوز ان يغفر الله للكافر الا ترى الى قوله عليه السلام لعمه لاستغفرن لك ما لم انه
عنك وعن الحسن قيل لرسول الله صلعم ان فلانا يستغفر لابايه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن علي
رايت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له فقال اليس قد استغفر ابرهيم • فان قلت ما معنى قوله
فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه • قلت معناه فلما تبين له من جهة الوحي انه لن يومن وانه يموت كافرا وانقطع
رجاوه عنه قطع استغفاره فهو كقوله من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم • اواه فعال من اوه
كلال من اللولو • وهو الذي يكثر التاوه ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على ابيه الكافر
ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لارجمنك • يعني ما امر الله بعا باتقايه واجتنابه كالاستغفار للمشركين
وغيره مما نهى عنه وبين انه محظور لا يواخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم
الا اذا قدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بانه واجب الاتقا والاجتناب • واما قبل العلم والبيان
فلا سبيل عليهم كما لا يواخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف
المواخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه • وفي هذه الاية شديدة ما ينبغي ان يغفل عنها وهي ان المهدي
للاسلام اذا اقدم على بعض محظورات الله داخل في حكم الاضلال والمراد بما يتقون ما يجب اتقاوه للنهي فاما ما
يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف • لقد تاب الله على النبي كقوله ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر واستغفر لذنبك وهو بعث للمومنين على التوبة وانه ما من مومن الا وهو
محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرين والانصار وابانة لفضل التوبة ومقدارها
عند الله وان صفة التوابين الاوابين صفة الانبيا كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح ودل

معناه

معناه تاب الله عليه من اذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله تعالى عفا الله عنك في ساعة العسرة في وقتها والساعة
مستعملة في معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم • غداة طفت علماء بكر بن وايل
عشية قارعنا جذام وحميرا • اذا جاءت يوما وارثي يبتغي الغنى • والعسرة حالهم في غزوة تبوك كانوا
في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد • وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير
المسوس والاهالة الزنخة المنتنة • وبلغت بهم الشدة ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها
الما • وفي عسرة من الما حتى نحروا الابل واعتصروا فرثها • وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط
والضيقة الشديدة كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة
والخروج معه وفي كاد ضمير الشان • وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله • وقري يزيغ بالياء • وفي
قراة عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المومنين كابي لبابة وامثاله ثم
تاب عليهم تكرير للتوكيد ويجوز ان يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم • الثلاثة كعب بن مالك ومرارة
بن الربيع وهلال بن امية • ومعنى خلفوا عن الغزو وقيل عن ابي لبابة واصحابه حيث تيب عليهم بعدهم
وقري خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقري جعفر الصادق رضه
خالفوا • وقري الاعمش وعلى الثلاثة المخلفين بما رحبت برحبها اي مع سعتها وهو مثل للحيرة في امرهم
كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم
لا يسعها انس ولا سرور لانها حرجت من فرط الوحشة والغم وظنوا وعلموا ان لا ملجا من سخط الله الا
الى استغفاره ثم تاب عليهم ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا
وليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة علما منهم ان الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم ماية مرة • روي
ان ناسا من المومنين تخلفوا عن رسول الله صلعم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به • عن الحسن بلغني انه كان لاحدهم
حايط كان خيرا من ماية الف درهم فقال يا حايطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن له
الا اهله فقال يا اهلاه ما بطاني ولا خلفني الا الضن بك لا جرم والله لاكابدن المفاوز حتى الحق برسول الله صلعم
فركب ولحق به ولم يكن لاخر الا نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفني الا حب الحياة لك والله لاكابدن
الشدايد حتى الحق برسول الله فتابط زاده ولحق به • قال الحسن كذلك والله المومن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها
وعن ابي ذر الغفاري ان بعيره ابطا به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله صلعم ماشيا فقال رسول الله لما راى
سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده • وعن ابي خيثمة
انه بلغ بستانه وكانت له امراة حسنا فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والما البارد
فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وما بارد وامراة حسنا ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته
واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلعم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة
فكانه ففرح به رسول الله صلعم واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول الله صلعم
سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه
والنظر في عطفيه • فقال معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس
ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة
اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض
بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلعم فاذا هو
جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وقال ليهنك توبة الله
عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله صلعم وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك
منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الاية • وعن ابي بكر الوراق انه سيل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق
على التايب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه • مع الصادقين • وقري
من الصادقين وهم الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا • والذين صدقوا في اسلامهم ومعاهدتهم الله
ورسوله على الطاعة من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه • وقيل هم الثلاثة اي كونوا مثلهم في صدقهم
وثباتهم • وعن ابن عباس الخطاب لمن امن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار ووافقوهم
وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقا عن غزوة تبوك • وعن ابن
مسعود رضه ما يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه ثم لا ينجز له اقروا ان شيتم وكونوا
مع الصادقين • فهل فيها من رخصة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه امروا بان يصحبوه على الباسا والضرا
ويجاهدوا معه الاهوال برغبة ونشاط واغتباط وان يلقوا انفسهم من الشدايد ما تلقاه نفسه علما
بانها اعز نفس عند الله واكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهول وجب على ساير
الانفس ان تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون اخف شي عليهم واهونه
فضلا عن ان يربوا بانفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا
نهي بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بانفة وحمية ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله
ما كان لهم ان يتخلفوا من وجوب متابعته كانه قيل ذلك الوجوب بسبب انهم لا يصيبهم شي من عطش ولا
تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم
وارجلهم ولا يتصرفون في ارضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا ولا يرزونهم
شيا بقتل او اسر او غنيمة او هزيمة او غير ذلك الا كتب لهم به عمل صالح واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى
عند الله وذلك مما يوجب المشايعة • ويجوز ان يراد بالوطي الايقاع والابادة لا الوطي بالاقدام
والحوافر كقوله صلعم اخر وطية وطيها الله بوج • والموطي اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا
فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطوه فحذف المضاف • يجوز ان يكون مصدرا موكدا وان يكون بمعنى

المنيل ويقال نال منه اذا رزاه ونقصه وهو عام في كل ما ينكيهم ويشوهم ويلحق بهم ضررا • وفيه دليل ان من قصد
خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وكذلك الشر • وبهذه الاية استشهد اصحاب
ابي حنيفه ان المدد القادم بعد انقضا الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطي ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم
ولقد اسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وامد ابو بكر رضي الله عنه المهاجرين ابي اميه وزياد بن
لبيد بعكرمه بن ابي جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعد ما فتحوا فاسهم لهم • وعند الشافعي لا يشارك المدد
الغانمين • وقرى عبيد بن عمير ظما بالمد يقال ظمي ظماة وظما **ولا ينفقون نفقة صغيرة** ولو تمرة ولو علاقة سوط
ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان بن عفان في جيش العسرة **ولا يقطعون واديا** اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم والوادي
كل منفرج بين جبال واكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه الودي وقد
شاع في استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل في وادي غيرك **الا كتب لهم** ذلك من الانفاق
وقطع الوادي • ويجوز ان يرجع الضمير فيه الى عمل صالح وقوله ليجزيهم متعلق بكتب • اي اثبت في صحائفهم لاجل
الجزا **اللام** لتاكيد النفي ومعناه ان نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه انه
لو صح وامكن ولم يود الى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم
ومسلمة **فلولا نفر** فحين لم يكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر من كل فرقة طائفة اي من كل جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير
ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في اخذها وتحصيلها **ولينذروا قومهم**
وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء
من الاغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه
بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق احدهم
اذا لمح ببصره مدرسة لآخر او شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على ان يكون موطأ العقب دون الناس كلهم
فما ابعد هؤلاء من قوله عز وجل لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا **لعلهم يحذرون** ارادة ان يحذروا الله فيعملوا
عملا صالحا • ووجه آخر وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعد ما انزل في المتخلفين من الآيات
الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه في الدين فامروا
ان ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو
الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة اعظم اثرا من الجلاد بالسيف • وقوله تعالى ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقية
بعد الطوائف النافرة من بينهم **ولينذروا قومهم** ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا
اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم • وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه **يلونكم**
يقربون منكم • والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب اوجب • ثم غزا الشام
وقيل هم بنو قريظة والنضير وفدك وخيبر • وقيل الروم لانهم كانوا يسكنون الشام والشام اقرب الى المدينة
من العراق وغيره • وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم ما لم يضطر اليهم اهل ناحية اخرى
وعن ابن عمر انه سئل عن قتال الديلم فقال عليكم بالروم • وقرى غلظة بالحركات الثلاث فالغلظة كالشدة
والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة • ونحوه واغلظ عليهم **ولا تهنوا** وهو يجمع الجراة والصبر على
القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والاسر • ونحوه ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله **مع المتقين** ينصر
من اتقاه فلم يترا على عدوه **فمنهم من يقول** فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه السورة ايمانا انكارا
واستهزا بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به • وايكم مرفوع بالابتدا • وقرى
عبيد بن عمير ايكم بالفتح على اضمار فعل يفسره زادته تقديره ايكم زادت زادته هذه ايمانا • **فزادتهم
ايمانا** لانها ازيد للمتقين والثبات واثلج للصدور او فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة في الايمان لان الايمان
يقع على الاعتقاد والعمل **وزادتهم رجسا** الى رجسهم كفرا مضموما الى كفرهم لانهم كلما جددوا تجديد الله
الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم • وقرى اولا يرون بالياء والتاء **يفتنون** يبتلون بالمرض
والقحط وغيرهما من بلاء الله تعالى ثم لا ينتبهون ولا يتوبون عن نفاقهم ولا يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون
في امرهم • او يبتلون بالجهاد مع رسول الله فيعاينون امره وما ينزل الله عليه من نصرته وتاييده او يفتنهم
الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون **نظر بعضهم الى بعض**
تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين هل يراكم من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر
على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم • او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج **والانسلال
لواذا** يقولون هل يراكم من احد • وقيل معناه واذا ما انزلت سورة في عيب المنافقين **صرف الله قلوبهم**
دعا عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب اهل الايمان من الانشراح **بانهم** بسبب انهم قوم لا يفقهون
لا يتدبرون حتى يفقهوا **من انفسكم** من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة
من النتائج بقوله عزيز عليه ما عنتم اي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف
عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب **حريص عليكم** حتى لا يخرج احد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق
الذي جاء به • بالمؤمنين منكم ومن غيركم **رؤف رحيم** وقرى من انفسكم اي من اشرفكم وافضلكم وقيل هي قراءة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعائشة رضي الله عنها • وقيل لم يجمع الله تعالى اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم في
قوله رؤف رحيم **فان تولوا** فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك فاستعن بالله وفوض اليه فهو كافيك معرتهم
ولا يضرونك • وهو ناصرك عليهم • وقرى العظيم بالرفع • وعن ابن عباس العرش لا يقدر احد قدره • وعن
ابي بن كعب آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل علي القران الا آية
آية وحرفا حرفا • ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة
سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات • بسم الله الرحمن الرحيم
الر تعديد للحروف على طريق التحدي **تلك آيات** الكتاب اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات **والكتاب**

السور **والحكيم** ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها او وصف لصفة محدثه قال الاعشى • وغريبة تاتي الملوك حكيمة
قد قلتها ليقال من ذا قالها • الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه **ان اوحينا** اسم كان وعجبا خبره • وقرى
ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة وان اوحينا خبرا وهو معرفة كقوله • يكون مزاجها عسل وماء •
والاجود ان تكون كان تامة وان اوحينا بدلا من عجب **فان قلت** فما معنى اللام في قوله
اكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك اكان عند الناس عجبا **قلت** معناه انهم جعلوه لهم اعجوبة
يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى •
والذي تعجبوا منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون
العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة
وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وقال الله تعالى قل لو كان
في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا • وارسال الفقير واليتيم ليس بعجب ايضا لان
الله تعالى انما يختار من يستحق الاختيار لجمعه اسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس
من تلك الاسباب في شيء وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى • والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون
عجبا انما العجب العجيب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء **ان انذر الناس** ان هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ويجوز ان
تكون المخففة من الثقيلة واصله انه انذر الناس على معنى ان الشان قولنا انذر الناس • وان لهم الباء محذوفة
قدم صدق عند ربهم اي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة **فان قلت** لم سميت السابقة قدما **قلت** لما كان
السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد • وباعا لان صاحبها يبوع
بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى الصدق دلالة على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق
ان هذا ان هذا الكتاب وما جاء به محمد لسحر • ومن قرا لساحر فهذا اشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم به
وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا • وفي قراءة ابي ما هذا الا سحر **يدبر** يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل
المتحري للصواب الناظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره آخرا **الامر** امر الخلق كله وامر ملكوت السموات
والارض والعرش **فان قلت** ما موقع هذه الجملة **قلت** قد دل بالجملة قبلها على عظمة شانه وملكه بخلق السموات والارض
مع بسطتها واتساعها في وقت يسير وبالاستواء على العرش واتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه لا يخرج
امر من الامور من قضائه وتقديره وكذلك قوله ما من شفيع الا من بعد اذنه دليل على العزة والكبرياء كقوله يوم
يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا **ذلكم** اشارة الى المعلوم بتلك العظمة
اي ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم وهو الذي يستحق العبادة منكم **فاعبدوه** وحده ولا تشركوا
به بعض خلقه من ملك او انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع **افلا تذكرون** فانه ادنى التفكر والنظر ينبهكم
على الخطا فيما انتم عليه **اليه مرجعكم جميعا** لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه **وعد الله** مصدر
مؤكد لقوله اليه مرجعكم وحقا مصدر مؤكد لقوله وعد الله **انه يبدا الخلق ثم يعيده** استئناف معناه
التعليل لوجوب المرجع اليه وهو ان الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم
وقرى انه يبدا الخلق بمعنى لانه او هو منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله اي وعد الله وعد بداية الخلق
ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه • وقرى وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من ابدا • ويجوز ان يكون
مرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بداة الخلق كقوله • احقا عباد الله ان لست جائيا • ولا ذاهبا الا علي رقيب
وقرى حق انه يبدا الخلق كقوله حق ان ربنا منطلق **بالقسط** بالعدل وهو متعلق بيجزي والمعنى ليجزيهم بقسطه
ويوفيهم اجورهم او بقسطهم وبما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا صالحا لان الشرك ظلم قال الله تعالى
ان الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام لانفسهم وهذا اوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون • والياء في ضياء
منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها • وقرى ضئاء بهمزتين بينهما الف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل في عاق
عقا • والضياء اقوى من النور **وقدره** وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره منازل او وقدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه
منازل **والحساب** وحساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي **ذلك** اشارة الى المذكور اي ما خلقه الا ملتبسا
بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا • وقرى يفصل بالياء **يتقون** خص المتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم
الحذر الى النظر والتدبر • لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم
المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق او ولا يأملون حسن لقائنا كما يامله السعداء او لا يخافون
سوء لقائنا الذي يجب ان يخاف **ورضوا بالحياة الدنيا** من الآخرة وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي كقوله ارضيتم
بالحياة الدنيا من الآخرة • واطمانوا بها وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا واملوا بعيدا **يهديهم ربهم**
بايمانهم يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار
بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها • ويجوز ان يريد يهديهم في الآخرة بنور ايمانهم
الى طريق الجنة كقوله تعالى يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم • ومنه الحديث ان المومن
اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة • والكافر اذا خرج
من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار • **فان قلت** فلقد دلت هذه الآية
على ان الايمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيامة هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون
بالعمل الصالح والايمان الذي لم يقترن به العمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور **قلت** الامر كذلك الا ترى كيف
اوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل الصالح كانه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال
بايمانهم هذا • المضموم اليه هذا العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه **دعواهم** دعاؤهم لان اللهم نداء
لله ومعناه اللهم انا نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد • ويجوز ان يراد
بالدعاء العبادة • واعتزلكم وما تدعون من دون الله على معنى ان لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم

الا ان تحمدوا الله وتسبحوه وذلك ليس بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله تعالى وما كا
صلاتهم عند البيت الا مكا وتصدية واخر دعواهم وخاتمة دعاهم الذي هو التسبيح ان يقولوا الحمد لله
رب العالمين ومعنى وتحيتهم فيها سلام ان بعضهم يحيي بعضا بالسلام وقيل هي تحية الملائكة اياهم
اضافة للمصدر الى المفعول وقيل تحية الله عز وجل لهم وان هي المخففة من الثقيلة واصله انه الحمد لله
على ان الضمير للشان كقوله ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد
اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا
بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل له والمراد اهل مكة وقولهم
فامطر علينا حجارة من السما يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه
لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرئ لقضى اليهم اجلهم على البنا للفاعل وهو الله عز وجل وتنصره
قراة عبد الله لقضينا اليهم اجلهم **فان قلت** فكيف اتصل به قوله فنذر الذين لا يرجون لقانا
وما معناه **قلت** قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كانه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم
فنذرهم في طغيانهم اي نمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم لجنبه في موضع
الحال بدليل عطف الحالين عليه اي دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما **فان قلت** فما فائدة ذكر هذه الاحوال
قلت معناه ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعا حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها
كان منبطحا عاجزا عن النهوض متحاذلا او كان قاعدا لا يقدر على القيام او كان قائما لا يطيق المشي
والمضطرب الى ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز ان يراد ان من المضرور من هو
اشد حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام
وكلهم لا يستغنون عن الدعا واستدفاع البلا لان الانسان للجنس مر اي مضى على طريقته الاولى قبل
مس الضر ونسي حال الجهد او مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به كان لم يدعنا
كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان قال كان ثدياه حقان كذلك مثل ذلك التزيين
زين للمسرفين زين الشيطان بوسوسته او الله عز وجل بخذلانه وتخليته ما كانوا يعملون من الاعراض واتباع
الشهوات لما ظلموا ظرف لاهلكنا والواو في وجاتهم للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاتهم رسلهم بالحجج
والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله تعالى وما كانوا ليومنوا يجوز ان يكون عطفا على ظلموا وان يكون
اعتراضا واللام لتاكيد النفي يعني وما كانوا يومنون حقا تاكيد النفي ايمانهم وان الله قد علم منهم انهم يصرون
على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه
لا فايدة في امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزا يعني الاهلاك نجزي
كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ يجزي بالياء ثم جعلناكم خلائف
للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم اي استخلفناكم في الارض بعد القرون التي اهلكناها لننظر انعملون خيرا ام شرا فنعاملكم
على حسب عملكم وكيف في محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يحجب ان يتقدم عليه عامله
فان قلت كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة **قلت** هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم
بالشي موجود شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه غاظهم ما في القران من ذم عبادة الاوثان والوعيد
للمشركين فقالوا ايت بقران اخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك او بدله بان تجعل مكان اية عذاب اية رحمة
مما انزل وان تسقط ذكر الالهة وذم عبادتها فاما الاتيان بقران اخر فغير مقدور عليه للانسان
ما يكون لي ما ينبغي لي وما يحل لي كقوله ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان ابدله من تلقا نفسي من قبل نفسي
وقرئ بفتح التا من غير ان يامرني بذلك ربي ان اتبع الا ما يوحى الي لا اتي ولا اذر شيا من نحو ذلك الا متبعا
لوحي الله تعالى واوامره ان نسخت اية تبعت النسخ واذ بدلت اية مكان اية تبعت التبديل وليس الي تبديل
ولا نسخ اني اخاف ان عصيت ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي عذاب يوم عظيم **فان قلت** اما ظهر وتبين لهم
العجز عن الاتيان بمثل القران حتى قالوا ايت بقران غير هذا **قلت** بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز
وكانوا يقولون لو نشا لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبا فينسبونه الى الرسول ويزعمون انه قادر
عليه وعلى مثله مع علمهم بان العرب مع كثرة فصحايها وبلغايها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم اعجز **فان قلت**
لعلهم ارادوا ايت بقران غير هذا او بدله من جهة الوحي كما اتيت بالقران من جهته واراد بقوله
ما يكون لي ما يتسهل لي وما يمكنني ان ابدله **قلت** يرده قوله اني اخاف ان عصيت ربي **فان قلت** فما كان غرضهم
وهم ادهى الناس وانكرهم في هذا الاقتراح **قلت** الكيد والمكر اما اقتراح ابدال قران بقران ففيه انه من
عندك وانك قادر على مثله فابدل مكانه اخر واما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار الحال وانه
ان وجد منه تبديل فاما ان يهلكه الله فينجوا منه او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا
لافترايه على الله ولو شا الله ما تلوته عليكم يعني ان تلاوته ليست الا بمشية الله واحداثه امرا عجيبا
خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلما ساعة من عمره ولا نشا
في بلد فيه علما فيقرا عليكم كتابا فصيحا يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم
من علوم الاصول والفروع واخبار مما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله وقد بلغ بين ظهرانيكم
اربعين سنة تطلعون على احواله ولا يخفى عليكم شي من اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به
احد من اقرب الناس اليه والصقهم به ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لساني وقرئ الحسن ولا ادراتكم به
على لغة من يقول اعطاته وارضاته في معنى اعطيته وارضيته وتعضده قراة ابن عباس ولا انذرتكم به
ورواه الفرا ولا ادراتكم بالهمز وفيه وجهان احدهما ان تقلب الالف همزة كما قيل لبات بالحج ورثات الميت
وحلات السويق وذلك لان الالف والهمزة من واد واحد الا ترى ان الالف اذا مستها الحركة انقلبت همزة

والمالي ان يكون من درايته اذا دريته وادريته اذا جعلته داريا والمعنى ولا اجعلكم بتلاوته خصما تدرونني
بالجدال وتكذبونني وعن ابن كثير ولادراكم به بلام الابتدا لاثبات الادرا ومعناه لو شا الله ما تلوته
انا عليكم ولاعلمكم به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشا من عباده فخصني بهذه الكرامة ورءاني اهلا
لها دون سائر الناس فقد لبثت فيكم عمرا وقرئ عمرا بالسكون يعني فقد اقمت فيما بينكم يافعا وكهلا
فلم تعرفوني متعاطيا شيا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهمونني باختراعه افلا تعقلون
فتعلموا انه ليس الا من الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ايت بقران غير هذا من اضافة الافترا
اليه افترا على الله كذبا يحتمل ان يريد افترا المشركين على الله في قولهم انه ذو شريك وذو ولد وان يكون تفاديا
مما اضافوه اليه من الافترا ما لا يضرهم ولا ينفعهم الاوثان التي هي جماد لا تقدر على نفع ولا ضر وقيل ان عبدوها
لم تنفعهم وان تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود ان يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان اهل
الطايف يعبدون اللات واهل مكة العزى ومناة وهبل واساف ونايلة وكانوا يقولون هولا شفعاونا
عند الله وعن النضر بن الحرث اذا كان يوم القيمة شفعت لي اللات والعزى اتنبيون الله بما لا يعلم اتخبرونه بكونهم
شفعا عنده وهو انبا بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيا
لان الشي ما يعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه **فان قلت** كيف انبوا الله بذلك **قلت** هو تهكم بهم وبما ادعوه
من المحال الذي هو شفاعة الاصنام واعلام بان الذي انبوا به باطل غير منطو تحت الصحة فكانهم يخبرونه بشي
لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه وقرئ اتنبيون الله بالتخفيف وقوله في السموات ولا في الارض
تاكيد لنفيه لان ما لا يوجد فيهما فهو منتف معدوم وقرئ يشركون بالياء والتا وما موصولة او مصدرية اي
عن الشركا الذين تشركونهم به او عن اشراكهم وما كان الناس الا امة واحدة حنفا متفقين على ملة واحدة من غير
ان يختلفوا بينهم وذلك في عهد ادم الى ان قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا
ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تاخير الحكم بينهم الى يوم القيمة لقضي بينهم عاجلا فيما اختلفوا فيه وتميز المحق
من المبطل وسبق كلمته بالتاخير لحكمة اوجبت ان تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب ويقولون
لولا انزل عليه اية من ربه ارادوا اية من الايات التي كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما انزل عليه
من الايات العظام المتكاثرة التي لم ينزل على احد من الانبيا مثلها وكفى بالقران وحده اية باقية على وجه الدهر
بديعة غريبة في الايات دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكانه لم ينزل عليه اية قط حتى
قالوا لولا انزل عليه اية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي فقيل
انما الغيب لله اي هو المختص بعلم الغيب المستاثر به لا علم لي ولا لاحد به يعني ان الصارف عن انزال الايات
المقترحة امر مغيب لا يعلمه الا هو فانتظروا نزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم
الايات سلط الله القحط سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكوا ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في ايات الله
ويعادون رسول الله ويكيدونه واذا الاولى للشرط والاخرى جوابها وهي للمفاجاة والمكر اخفا الكيد وطيه
من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى احسوا بسو اثرها فيهم **فان قلت** ما وصفهم
بسرعة المكر فكيف صح قوله اسرع مكرا **قلت** بلى دلت على ذلك كلمة المفاجاة كانه قال واذا رحمناهم من بعد ضرا فاجاوا وقوع
المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رووسهم من مس الضرا ولم يلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى ان
الله تعالى دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل ان تدبروا كيف تعملون في اطفا نور الاسلام ان رسلنا يكتبون اعلام بان
ما تظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وقرئ يمكرون بالياء والتا وقيل مكرهم قولهم سقينا
بنوا كذا وعن ابي هريرة ان الله تعالى ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فتصبح طايفة منهم بها كافرين تقول
مطرنا بنو كذا وقرئ زيد بن ثابت ينشركم ومثله قوله سبحانه فانتشروا في الارض ثم اذا انتم بشر تنتشرون **فان قلت**
كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير في البحر انما هو الكون في الفلك **قلت** لم يجعل الكون في الفلك
غاية للتسيير في البحر ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت
هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجي الريح العاصف وتراكم الامواج والظن للهلاك والدعا بالانجا **فان قلت** ما جواب
اذا **قلت** جاتها **فان قلت** فدعوا بدل من ظنوا لان دعاهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به **فان قلت** فما فايدة
صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة **قلت** المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار
والتقبيح **فان قلت** ما وجه قراة ام الدردا في الفلكي بزيادة يا النسب **قلت** فيه وجهان ان يراد الفلك اللجي وزيادتها كما في الاحمري والخارجي وكول
ان يراد به اللج والما الغمر الذي لا تجري الفلك الا فيه والضمير في جرين للفلك لانه جمع فلك كالاسد في فعل اخي فعل وفي
قراة ام الدردا للفلكي ايضا لان الفلكي يدل عليه جاتها جات الريح الطيبة اي تلقتها وقيل الضمير للفلك من كل مكان من جميع
امكنة الموج اجيط بهم جعل احاطة العدو بالحي مثلا في الهلاك مخلصين له الدين من غير اشراك به تعالى لانهم لا يدعون
لا يدعون غيره معه لين انجيتنا على ارادة القول او لان دعوا من جملة القول يبغون في الارض يفسدون
فيها ويعبثون مترقين في ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد **فان قلت** ما معنى قوله بغير الحق والبغي
لا يكون الا بغير الحق **قلت** بلى وهو استيلا المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم
كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة وقرئ متاع الحيوة الدنيا بالنصب **فان قلت** ما العامل في المرفوع **قلت** اذا رفعت
كان المتاع خبر المبتدا الذي هو بغيكم وعلى انفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم على امثالكم والذين جنسهم
جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحيوة الدنيا لا بقا لها واذا نصبت فعلى انفسكم خبر غير صلة معناه
انما بغيكم وبال على انفسكم ومتاع الحيوة الدنيا في موضع المصدر المؤكد كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا
ويجوز ان يكون الرفع على هو متاع الحيوة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا
ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه عليه السلام اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل
الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي اثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس
لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وكان المامون يتمثل بهذين البيتين في اخيه محمد بن زبيدة
يا صاحب البغي ان البغي مصرعة فاربع فخير فعال المرء اعدله فلو بغى جبل يوما على جبل لاندك منه اعاليه واسفله
وعن محمد بن كعب القرظي ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم

هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا اخذت الارض زخرفها وازينت كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون من الالوان فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان الزين واصل ازينت تزينت فادغم وبالاصل قرأ عبد الله وقرئ وأزينت على أفعلت من غير اعلال الفعل كأغيلت اي صارت ذات زينة وازيانّت بوزن ابياضّت قادرون عليها متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها أتاها امرنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم انه قد سلم فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله كأن لم تغن كأن لم يغن زرعها اي لم يلبث زرعها على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه والا لم يستقم المعنى وقرأ الحسن كأن لم يغن بالياء على ان الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع وعن مروان انه قرأ على المنبر كأن لم تتغن بالامس من قول الاعشى طويل الثواء طويل التغني والامس مثل في الوقت القريب كأنه قيل لم تغن آنفا دار السلام الجنة اضافها الى اسمه تعظيما لها وقيل السلام السلامة لان اهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا سلاما سلاما ويهدي ويوفق من يشاء وهم الذين علم الله تعالى ان اللطف يجدي عليهم لان مشيئته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهتدون الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة وهي التفضل ويدل عليه قوله ويزيدهم من فضله وعن علي رضي الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الجنة والزيادة عشر امثالها وعن الحسن عشر امثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة ان الزيادة النظر الى وجهه وجاءت بحديث مرقوع اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا يا اهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا هو احب اليهم منه ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار اذكارا بما ينقذهم منه برحمته الا ترى الى قوله ترهقها قترة وترهقهم ذلة فان قلت فما وجه قوله والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وكيف يتلاءم قلت لا يخلو اما ان يكون والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين احسنوا الحسنى كأنه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها واما ان يقدر وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم ان تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا اوجه من الاول لان في الاول عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه وفي هذا دليل على ان المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ يرهقهم ذلة بالياء من الله من عاصم اي لا يعصمهم احد من سخط الله وعذابه او ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين مظلما حال من الليل ومن قرأ قطعا بالسكون جعله صفة له وتعضده قراءة ابي بن كعب كأنما تغشى وجوههم قطع من الليل مظلم فان قلت اذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه قلت لا يخلو اما ان يكون أغشيت من قبل ان من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة واما ان يكون معنى الفعل في من الليل مكانكم الزموا مكانكم حتى لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وانتم اكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرئ وشركاءكم على ان الواو بمعنى مع والعامل فيه ما في مكانكم من معنى الفعل فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا او فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم كقوله اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون فلو اضلوا عنا وقرئ فزايلنا بينهم كقولك صاعر خده وصعره وكالمه وكلمه ما كنتم ايانا تعبدون انما كنتم تعبدون الشياطين حيث امروكم ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من اولي العقل وقيل الاصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها اطماعهم هنالك في ذلك المقام وفي ذلك الموقف او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلوا كل نفس تختبر وتذوق ما اسلفت من العمل فتعرف كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار امقبول ام مردود كما يتختبر الرجل الشيء ويتعرفه لتكتنه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن عاصم نبلوا كل نفس بالنون ونصب كل اي نختبرها باختبار ما اسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها ان كان حسنا فهي سعيدة وان كان سيئا فهي شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا وان يراد نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر وقرئ تتلوا اي تتبع ما اسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير او شر مولاهم الحق ربهم الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم احدا وقرئ الحق بالنصب على تأكيد قوله ردوا الى الله كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل او على المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد وضل عنهم ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء لله او بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة من السماء والارض اي يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع عليكم رحمته امن يملك السمع والابصار من يستطيع خلقها وتسويتها على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة او من يحميها ويحفظها من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما ادنى شيء بكلاءته وحفظه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص افلا تتقون افلا تقون انفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما انتم بصدده من الضلال فذلكم الذي هذه قدرته وافعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد الحق الا الضلال

نعني

يعني ان الحق والضلال لا واسطة بينهما فمن تخطى الحق وقع في الضلال فأنى تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة الى الشقاء كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك على الذين فسقوا اي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال او كما حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا اي تمردوا في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه وانهم بدل من الكلمة اي حق عليهم انتفاء الايمان وعلم الله منهم ذلك او اراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون فان قلت كيف قيل لهم هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين بالاعادة قلت قد وضعت اعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما ان دفعه دافع كان مكابرا رادا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على انهم في انكارهم لها منكرون امرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال لنبيه قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأمره بان ينوب عنهم في الجواب يعني انه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم فأنى تؤفكون فكيف تصرفون عن قصد السبيل يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله امن لا يهدي بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال والاصل يهتدي وقرئ لا يهدي بمعنى يهتدي والمعنى ان الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين للنظر في الادلة التي نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم والهمهم واخطر بباليهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين جعلتم انداد الله احد يهدي الى الحق مثل هداية الله ثم قال افمن يهدي الى الحق هذه الهداية احق بالاتباع ام الذي لا يهدي اي لا يهتدي بنفسه او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وقيل معناه ام من لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء الا ان ينقله الله من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون انهم انداد لله وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله الا ظنا لانه قول غير مستند الى برهان عندهم ان الظن في معرفة الله لا يغني من الحق وهو العلم شيئا وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهة وانها شفعاء عند الله الا الظن والمراد بالاكثر الجميع ان الله عليم وعيد لهم على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء وما كان هذا القرآن افتراء من دون الله ولكن كان تصديق الذي بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد لصحتها ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم لا ريب فيه داخل في حيز الاستدراك كأنه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا ام يقولون افتراه بل أيقولون اختلقه على ان الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم او انكار لقولهم واستبعاد والمعنى ان كان الامر كما تزعمون فأتوا انتم على وجه الافتراء بسورة مثله فانتم مثلي في العربية والفصاحة ومعنى بسورة مثله اي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم وقرئ بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب مثله وادعوا من استطعتم من دون الله من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله يعني ان الله وحده هو القادر على ان يأتي بمثله لا يقدر على ذلك احد غيره فلا تستعينوا بالله وحده ثم استعينوا بكل من دونه ان كنتم صادقين انه افتراه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجؤوه في بديهة السماع قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ على التقليد من الحشوية اذا احس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه والفه وان كانت اضوأ من الشمس في ظهور الصحة وابين من فلق الصبح انكرها في اول وهلة واشمأز منها قبل ان يحس ادراكها بحاسة سمعه من غير فكر في صحته او فساده لانه لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب فان قلت ما معنى التوقع في قوله ولما يأتهم تأويله قلت معناه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو شأنه واعجازه لما كرر عليهم التحدي ورازوا قواهم في المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك كذب الذين من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات الانبياء وقبل تدبرها من غير انصاف من انفسهم ولكن قلدوا الآباء وعاندوا ويجوز ان يكون معنى ولما يأتهم تأويله ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اي عاقبته حتى يتبين لهم اهو كذب ام صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل ان يختبروا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه ومنهم من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ومنهم من يشك فيه لا يصدق به او يكون للاستقبال اي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين وان كذبوك وان تموا على تكذيبك ويئست من اجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد اعذرت ومنهم من يستمعون اليك ومعناه ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ثم قال اتطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس

واستدل اذا وقع في صماخه دوي الصوت. فاذا اجتمع سلب الصوت والعقل جميعا فقد تم الامر. افانت تهدي العمي انك تقدر على هداية العمي ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنن. واما الاحمق الذي لا بصيرة له فيجهد البلا يعني انهم في اليأس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصائر بل اعظم دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله عز وجل بالقسر والالجاء كما لا يقدر على رد الاصم والاعمى المسلوبي العقل حديدي البصر والسمع راجحي العقل الا هو وحده ان الله لا يظلم الناس شيئا اي لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وانزال الكتب ولكنهم يظلمون انفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز ان يكون وعيدا للمكذبين يعني ان ما يحيق بهم يوم القيمة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف ما كان سببا فيه الا ساعة من نهار يستقربون وقت لبثهم في الدنيا وقيل في القبور لهول ما يرون يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتعارفوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم فان قلت كان لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما قلت اما الاولى فحال من هم اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة واما الثانية فاما ان يتعلق بالظرف واما ان تكون مبينة لقوله كان لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا قد خسر على ارادة القول اي يتعارفون بينهم قائلين ذلك او هي شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى انهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا مهتدين للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم فالينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كانه قيل واما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه في الآخرة ثم الله شهيد على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم قلت ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كانه قيل ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرأ ابن ابي عبلة ثَمّ بالفتح اي هنالك ويجوز ان يراد ان الله مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة حين ينطق جلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم شاهدة عليهم ولكل امة رسول يبعث اليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق فاذا جاءهم رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم اي بين النبي ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول وعذب المكذبين كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا او ولكل امة من الامم يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاءهم رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم متى هذا الوعد استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له لا املك لنفسي ضرا من مرض او فقر ولا نفعا من صحة او غنى الا ما شاء الله استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف املك لكم الضر وجلب العذاب لكل امة اجل يعني ان عذابكم له اجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان اذا جاء ذلك الوقت انجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرأ ابن سيرين فاذا جاء اجالهم بياتا نصب على الظرف بمعنى وقت بيات فان قلت هلا قيل ليلا او نهارا قلت لانه يريد ان اتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وانتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله نهارا معناه وقت انتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون. الضمير في منه للعذاب. والمعنى ان العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فاي شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال ويجوز ان يكون معناه التعجب كانه قيل اي شيء هول شديد يستعجلون منه ويجب ان تكون من للبيان في هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى فان قلت بم يتعلق الاستفهام واين جواب الشرط قلت تعلق بارأيتم لان المعنى اخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطأ فيه فان قلت فهلا قيل ماذا تستعجلون منه قلت اريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وان ابطأ فضلا ان يستعجله ويجوز ان يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط كقولك ان اتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بارأيتم وان يكون اثم اذا ما وقع آمنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله افأمن اهل القرى اوامن اهل القرى آلآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وقد كنتم به تستعجلون يعني وقد كنتم به تكذبون لان استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار وقرئ آلان بحذف الهمزة التي بعد اللام والقاء حركتها على اللام ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المضمر قبل آلان ويستنبئونك ويستخبرونك فيقولون احق هو وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء وقرأ الاعمش آلحق هو وهو ادخل في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بانه باطل وذلك لان اللام للجنس فكانه قيل احق هو ام الباطل او هو الذي سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود واي بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون في التصديق ايو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده وما انتم بمعجزين بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ظلمت صفة لنفس على ان ولو ان لكل نفس ظالمة ما في الارض اي ما في الدنيا اليوم من خزائنها واموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت به لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الامر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل اسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل اسروها

احلصوها

احلصوها اما لان اخفاها اخلاصها واما من قولهم سر الشي لخالصه وفيه تهكم بهم وباخطائهم وقت اخلاص الندامة وقيل اسروا الندامة اظهروها من قولهم اسر الشي واشره اذا اظهره وليس هنالك تجلد وقضي بينهم اي بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله وانه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الاحياء والاماتة لا يقدر عليهما غيره والى حسابه وجزائه المرجع ليعلم ان الامر كذلك هو شفا اي دوا لما في صدوركم من العقائد الفاسدة ودعا الى الحق ورحمة لمن آمن به منكم. اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجيئهما فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا بالتاء وهو الاصل والقياس وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي وعنه لتأخذوا مصافكم قالها في بعض الغزوات وفي قراءة ابي فافرحوا هو راجع الى ذلكما مما يجمعون بالياء والتاء وعن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضيلة الاسلام ورحمته ما وعد عليه أرأيتم اخبروني وما انزل الله ما في موضع النصب بانزل او بأرأيتم في معنى اخبرونيه فجعلتم منه حراما وحلالا اي انزل الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقوله هذه انعام وحرث حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا آلله اذن لكم متعلق بأرأيتم وقل مكرر للتوكيد والمعنى اخبروني آلله اذن لكم في التحليل والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه ام تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه ويجوز ان يكون الهمزة للانكار وام منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله تقريرا للافتراء وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسأل عنه من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط وان لا يقول احد في شيء جائز او غير جائز الا بعد ايقان واتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت والا فهو مفتر على الله يوم القيمة منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعني اي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث ابهم امره وقرأ عيسى بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه واي ظن ظنوه يوم القيمة وجيء به على لفظ الماضي لانه كائن فكأن قد كان ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه وما تكون في شأن ما نافية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشأن الامر واصله الهمز بمعنى القصد من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير في منه للشأن لان تلاوة القرآن شأن من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شأنه او للتنزيل كانه قيل وما تتلو من التنزيل من قرآن لان كل جزء منه قرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له او لله عز وجل ولا تعملون انتم جميعا من عمل اي عمل كان الا كنا عليكم شهودا شاهدين رقباء نحصي عليكم اذ تفيضون فيه من افاض في الامر اذا اندفع فيه وما يعزب عن ربك وقرئ بالضم والكسر وما يبعد وما يغيب ومنه الروض العازب ولا اصغر من ذلك ولا اكبر القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه وفي العطف على محل مثقال ذرة او على لفظ مثقال فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف اشكال لان قولك لا يعزب عنه شيء الا في كتاب مشكل فان قلت لم قدمت الارض على السماء بخلاف قوله في سورة سبأ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض قلت حق السماء ان تقدم على الارض ولكنه لما ذكر شهادته على شؤون اهل الارض واحوالهم واعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك ان قدم الارض على السماء على ان العطف بالواو حكمه حكم التثنية اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون فهو توليهم اياه لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة فهو توليه اياهم وعن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني السمت والهيئة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الاخبات والسكينة وقيل هم المتحابون في الله عز وجل وعن عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم الذين تحابوا في الله عز وجل على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الآية الذين آمنوا رفع او نصب على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء والخبر لهم البشرى والبشرى في الدنيا ما بشر به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن وعن ابي ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده كقوله ما يبدل القول لدي وذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يحزنك وقرئ ولا يحزنك من احزنه قولهم تكذيبهم لك وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتكلمون به في شأنك ان العزة استئناف بمعنى التعليل كانه قيل ما لي لا احزن فقيل ان العزة لله جميعا اي ان الغلبة والقهر في ملكة الله جميعا لا يملك احد شيئا منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا وقرأ ابو حيوة ان العزة لله بالفتح بمعنى لان العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم انكره فالمنكر هو تخريجه لا ما انكره من القراءة به هو السميع لما يقولون العليم بما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك من في السموات ومن في الارض يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له وفي مملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون له ندا وشريكا وليدل على ان من اتخذ غيره ربا من ملك او انسي فضلا عن صنم او غير ذلك فهو مبطل تابع للتقليد وترك النظر ومعنى

وما يتبعون شركاء أي وما يتبعون حقيقة الشركاء وإن كانوا يسمونها شركاء لأن شركة الله في الربوبية محال إن يتبعون
إلا الظن ظنهم أنها شركاء وإن هم إلا يخرصون يحزرون ويقدرون أن يكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز أن
يكون وما يتبع في معنى الاستفهام يعني فأي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الأول بيتبع وكان
حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على أحدهما للدلالة ويجوز أن يكون ما موصولة
معطوفة على من كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي وله شركاؤهم وقرئ على الخطاب
تدعون بالتاء ووجهه أن يحمل وما يتبع على الاستفهام أي وأي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين
يعني أنهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة
ثم صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة فقال إن يتبع هؤلاء المشركون إلا الظن ولا يتبعون ما يتبعه الملائكة والنبيون
من الحق ثم نبه على عظم قدرته ونعمته الشاملة للعباد التي يستحق بها أن يوحدوه بالعبادة بأنه جعل لهم
الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم من تعب التردد في المعاش والنهار مضيئا يبصرون فيه مطالب
أرزاقهم ومكاسبهم لقوم يسمعون سماع معتبر مدكر سبحانه تنزيه عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء
هو الغني علة لنفي الولد لأن ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه له السبب في كله الحاجة فمن الحاجة منفية
عنه كان الولد عنه منتفيا له ما في السموات وما في الأرض فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ أحد منهم
ولدا إن عندكم من سلطان بهذا أي ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها أن تتعلق بقوله إن عندكم على
أن يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بأرضكم موز كأنه قيل إن عندكم فيما تقولون سلطان
أتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان وجعلهم غير عالمين فدل على أن كل قول لا برهان عليه
لقائله فذلك جهل وليس بعلم يفترون على الله الكذب بإضافة الولد إليه متاع في الدنيا أي افتراؤهم هذا
منفعة في الدنيا قليلة وذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبة النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم يلقون
الشقاء المؤبد بعده كبر عليكم عظم عليكم وشق وثقل كما تقول تعاظمت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل
ومنه ولمن خاف مقام ربه ومنه قوله تعالى وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ويقال تعاظمه الأمر مقامي
مكاني يعني نفسه أو قيامي ومكثي بين أظهركم مددا طوالا ألف سنة إلا خمسين عاما أو مقامي وتذكيري
لأنهم كانوا إذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى
عن عيسى عليه السلام أنه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود فأجمعوا أمركم وشركاءكم من أجمع الأمر وأزمعه إذا
نواه وعزم عليه قال هل أغدون يوما وأمري مجمع والواو بمعنى مع يعني فأجمعوا أمركم مع شركائكم
وقرئ الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تأكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه
لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو وقرئ فاجمعوا من الجمع وشركاءكم نصب للعطف على المفعول أو لأن الواو
بمعنى مع وفي قراءة أبي فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم فإن قلت كيف جاز إسناد الإجماع إلى الشركاء قلت على وجه
التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون فإن قلت ما معنى الأمرين أمرهم والذي لا يكون عليهم غمة
قلت أما الأمر الأول فالقصد إلى إهلاكه يعني فأجمعوا ما تريدون من إهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا
وسعكم في كيدي وإنما قال ذلك إظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته وأنهم
لن يجدوا إليه سبيلا وأما الثاني ففيه وجهان أحدهما أن يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال
الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعني ثم أهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة أي غما وهما
والغم والغمة كالكرب والكربة والثاني أن يراد به ما أريد بالأمر الأول والغمة السترة من غمه إذا ستره ومنه قوله
ولا غمة في فرائض الله أي لا تستر ولكن تجاهر بها يعني ولا يكن قصدكم إلى إهلاكي مستورا عليكم
ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به ثم اقضوا إلي ذلك الأمر الذي تريدون بي أي أدوا إلي قطعه وتصحيحه
كقوله وقضينا إليه ذلك الأمر أو أدوا إلي ما هو حق عليكم عندكم من إهلاكي كما يقضي الرجل غريمه
ولا تنظرون ولا تمهلون وقرئ ثم أفضوا بالفاء بمعنى ثم انتهوا إلي بشركم وقيل هو من أفضى الرجل إذا
خرج إلى الفضاء أي أصحروا به إلي وأبرزوه لي فإن توليتم فإن أعرضتم عن تذكيري ونصيحتي فما سألتكم من أجر
فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهمونني لأجله من طمع في أموالكم وطلب أجر على عظتكم إن أجري إلا على الله وهو
الثواب الذي يثيبني به في الآخرة أي ما نصحتكم إلا لوجه الله تعالى لا لغرض من أغراض الدنيا وأمرت أن أكون
من المسلمين الذين لا يأخذون على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون به دنيا يريد أن ذلك مقتضى الإسلام والذي
كل مسلم مأمور به والمراد أن يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر أن توليهم لم يكن عن تفريط منه
في سوق الأمر معهم على الطريق الذي يجب أن يساق عليه وإنما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير فكذبوه فنجيناه
على تكذيبه وكان تكذيبهم له في آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم في أولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان
وجعلناهم خلائف يخلفون الهالكين بالغرق فكيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول الله
عن مثله وتسلية له ثم بعثنا من بعده من بعد نوح رسلا إلى قومهم يعني هودا وصالحا وإبراهيم ولوطا وشعيبا فجاءوهم
بالبينات بالحجج الواضحة المبينة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما كان إيمانهم إلا ممتنعا كالمحال لشدة شكيمتهم
في الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع
فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كأن لم يبعث إليهم أحد كذلك نطبع مثل ذلك الطبع المحكم نطبع
على قلوب المعتدين وإسناد الطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لأن الخذلان يتبعه ألا ترى كيف
أسند إليهم الاعتداء ووصفهم به من بعدهم من بعد الرسل بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن قبولها
وهو أعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين كفارا
ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترءوا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا أنه هو الحق
وأنه من عند الله لا من قبل موسى وهرون قالوا لحبهم الشهوات إن هذا لسحر مبين
وهم يعلمون أن الحق أبعد شيء من السحر الذي ليس إلا تمويها وباطلا فإن قلت هم قطعوا بقولهم إن هذا
لسحر على أنه سحر فكيف قيل لهم أتقولون أسحر هذا قلت فيه أوجه أن يكون معنى قوله أتقولون للحق أتعيبونه
وتطعنون فيه وكان عليكم أن تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول
إذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال أسحر هذا فأنكر ما قالوه

في عيبه

في عيبه والطعن عليه وأن يحذف مفعول أتقولون وهو ما دل عليه قولهم إن هذا لسحر مبين كأنه قيل أتقولون
ما تقولون يعني قولهم إن هذا لسحر مبين ثم قيل أسحر هذا وأن يكون جملة قوله أسحر هذا ولا يفلح الساحرون
حكاية لكلامهم كأنهم قالوا أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى للسحرة ما
جئتم به السحر إن الله سيبطله لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل أخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال
عما وجدنا عليه آباءنا يعنون عبادة الأصنام وتكون لكما الكبرياء أي الملك لأن الملوك موصوفون بالكبر ولذلك
قيل للملك الجبار ووصف بالصيد والشوس ولذلك وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله ملكه ملك رأفة ليس فيه
جبروت منه ولا كبرياء ينفي ما عليه الملوك من ذلك ويجوز أن يقصدوا ذمهما وأنهما إن ملكا أرض مصر تجبرا
وتكبرا كما قال القبطي لموسى إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين أي مصدقين لكما فيما جئتما
به وقرئ ويكون لكما الكبرياء بالياء ما جئتم به السحر ما موصولة واقعة مبتدأ والسحر خبر أي الذي
جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله وقرئ آلسحر على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية
أي أي شيء جئتم به أهو السحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر وقرأ أبي ما أتيتم به سحر والمعنى لا ما أتيت به
إن الله سيبطله سيمحقه أو يظهر بطلانه بإظهار المعجزة على الشعوذة لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يديمه
ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق ويثبته بكلماته بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بأمره ومشيئته
فما آمن لموسى في أول أمره إلا ذرية من قومه إلا طائفة من ذراري بني إسرائيل كأنه قيل إلا أولاد من أولاد
قومه وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف وقيل الضمير
في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته فإن قلت
إلام يرجع الضمير في قوله وملئهم قلت إلى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له
ويجوز أن يرجع الضمير إلى الذرية أي على خوف من فرعون وخوف من أشراف بني إسرائيل لأنهم كانوا يمنعون
أعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم ويدل عليه قوله أن يفتنهم يريد أن يعذبهم فرعون لعال في الأرض
لغالب فيها قاهر وإنه لمن المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية إن كنتم آمنتم بالله
صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا فإليه أسندوا أمركم في العصمة من فرعون ثم شرط في التوكل الإسلام
وهو أن يسلموا نفوسهم لله أي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لأن التوكل لا يكون مع التخليط
ونظيره في الكلام إن ضربك زيد فاضربه إن كانت بك قوة فقالوا على الله توكلنا إنما قالوا ذلك لأن القوم كانوا
مخلصين لا جرم أن الله تعالى قبل توكلهم وأجاب دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم
خلفاء في أرضه فمن أراد أن يصلح للتوكل على ربه والتفويض إليه فعليه برفض التخليط إلى الإخلاص لا تجعلنا فتنة
موضع فتنة لهم أي عذاب يعذبوننا أو يفتنوننا عن ديننا أو فتنة لهم يفتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء
على الحق لما أصيبوا تبوآ المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه إذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا
من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون إليه للعبادة والصلاة فيه واجعلوا بيوتكم تلك قبلة أي
مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون إلى الكعبة وكانوا في أول الأمر مأمورين
بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون
على ذلك في أول الإسلام بمكة فإن قلت كيف نوع الخطاب فثني أولا ثم جمع ثم وحد آخرا قلت خوطب موسى
وهرون عليهما السلام أن يتبوءا لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض إلى الأنبياء ثم سيق الخطاب
عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها لأن ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه السلام بالبشارة
التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها زينة ما يتزين به من لباس أو حلي أو فرش أو أثاث أو غير ذلك
وعن ابن عباس كانت لهم من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد
وياقوت ربنا ليضلوا عن سبيلك قلت هو دعاء بلفظ الأمر كقوله ربنا اطمس
على أموالهم واشدد وذلك أنه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا وردد عليهم النصائح
والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم من عذاب الله وانتقامه وأنذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر
والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات إلا كفرا وعلى الإنذار إلا استكبارا وعن النصيحة
إلا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة أنه لا يجيء منهم إلا الغي والضلال
وأن إيمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة أو علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وأفرط مقته
وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم أنه لا يكون غيره كما تقول لعن الله إبليس وأخزى الله الكفرة مع علمك
أنه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بأنه لم يبق له فيهم حيلة وأنهم لا يستأهلون إلا أن يخذلوا ويخلى بينهم
وبين ضلالهم يتسكعون فيه كأنه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على
قلوبهم فلا يؤمنوا وما علي منهم هم أحق بذلك كما يقول الأب المشفق لولده العاق إذا لم يقبل منه حتى
على ما فاته من قبول نصيحته وتمردا عليه لا أريد خلافه واتباعه هواه ومعنى اشدد على قلوبهم اقسها
حتى لا يدخلها الإيمان فلا يؤمنوا جواب للدعاء الذي هو اشدد أو دعاء بلفظ النهي وقد حملت اللام
في ليضلوا وقوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وقرئ
ليضلوا بضم الياء إنك آتيت على الاستفهام واطمس بضم الميم قد أجيبت دعوتكما قيل كان موسى يدعو وهرون
يؤمن ويجوز أن يكونا جميعا يدعوان والمعنى أن دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته فاستقيما
فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والزيادة في إلزام الحجة فقد لبث نوح في قومه ألف عام إلا قليلا ولا تعجلا قالوا مكث موسى
بعد الدعاء أربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون لا تتبعا طريق الجهلة بعادة الله في تعليق الأمور
بالمصالح ولا تعجلا فإن العجلة ليست لمصلحة وهذا كما قال لنوح إني أعظك أن تكون من الجاهلين وقرئ ولا تتبعان
بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع وقرئ الحسن وجوزنا

لانه لو كان منه لكان
من انجاه المكان وجاوزه وجوزه وليس منجوك الذي في بيت الاعشى ه واذا تجوزها حبال قبيلة ه
ان يقال وجوزنا بني اسرائيل البحر كما قال ه كما جوز السكي في الباب فيتق ه فاتبعهم فلحقهم يقال تبعته حتى اتبعته
وقرئ الحسن وعدوا ه وقرئ انه بالفتح على حذف الباء التي هي الايمان وبالكسر على الاستئناف بدلا من امنت كرر المخذول
المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث اخطأ وقته وقاله حين لم يقبله
اختيار وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف آلآن اتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين
ادركك الغرق وايست من نفسك قيل قال ذلك حين الجمه الغرق فيجيء وشك ان يغرق وقيل قاله بعد ان غرق
في نفسه والذي يحكى انه حين قال امنت اخذ جبريل من حال البحر فدسه في فيه للغضب لله على الكافر في وقت قد علم
ان ايمانه لا ينفعه واما ما يضم اليه من قولهم خشية ان تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله والملائكة وفيه
جهالتان احداهما ان الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى ان من كره ايمان الكافر
واحب بقاءه على الكفر فهو كافر لان الرضا بالكفر كفر وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان كقوله الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وروي ان جبريل اتاه بفتيا ما قول الامير في عبد
لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون يقول ابو العباس الوليد
ابن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماه ان يغرق في البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه فاليوم ننجيك
ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الارض وقرئ ننحيك بالحاء نلقيك
بناحية مما يلي البحر وذلك انه طرح بعد الغرق الى جانب البحر قال كعب رماه الماء الى الساحل كانه ثور ببدنك في
موضع الحال اي في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن او ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير او عريانا
ليس الا بدنا من غير لباس او بدرعك كما قال عمرو بن معدي كرب ه اعاذل شكتي بدني وسيفي ه وكل مقلص سلس القياده ه
وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ ابو حنيفة بابدانك وهو على وجهين احدهما ان يكون مثل قولهم هوى باجرامه
يعني ببدنك كله وافيا باجزائه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك اية لمن وراءك من الناس علامة وهم
بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شانا من ان يغرق وروي انهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت
ابدا وقيل اخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه الله على الساحل حتى عاينوه وكان مطرحه على ممر بني اسرائيل
حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن ياتي بعدك من القرون ومعنى كونه اية ان يظهر للناس عبوديته ومهانته وان
ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال وانه مع ما كان فيه من عظم الشان وكبرياء الملك آل امره الى ما ترون لعصيانه ربه
عز وجل فما الظن بغيره او ليكون عبرة تعتبر بها الامم بعدك فلا يجترئوا على نحو ما اجترأت عليه اذا سمعوا حالك وهوانك
على الله عز وجل وقرئ لمن خلقك بالقاف اي لتكون لخالقك اية كسائر اياته ويجوز ان يراد ليكون طرحك على الساحل
وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة ان مثله لا يغرق ولا يموت
اية من ايات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان ذلك تعمد منه لاماطة الشبهة في امرك مبوأ صدق منزلا صالحا
مرضيا وهو مصر والشام فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا الا من بعد ما قرءوا التوراة وكتبوا العلم
بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا ان الاختلاف فيه تفرق عنه وقيل هو العلم بمحمد صلعم واختلاف
بني اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وانه هو ام ليس به بعد ما جاءهم العلم والبيان انه
هو لم يتابعوا نبيه كما قال الله تعالى الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فان كنت قال لرسول الله صلعم فان كنت
في شك مما انزلنا اليك من قوله في الكفرة وانهم لفي شك منه مريب قلت فرق عظيم بين قوله وانهم لفي شك منه مريب
بفرض الشك لهم على سبيل التاكيد والتحقيق وبين قوله فان كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيل
لك الشيطان خيالا منه تقديرا فاسال الذين يقرءون الكتاب والمعنى ان الله عز وجل قدم ذكر بني اسرائيل وهم قراءة
الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان امر رسول الله مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون
ابناءهم فاراد ان يؤكد عليهم الحجة بصحة القران وصحة نبوة محمد صلعم ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا
وسبيل من خالجته شبهة في الدين ان يسارع الى حلها واماطتها اما بالرجوع الى قوانين الدين وادلته واما بمقادحة العلماء
المنبهين على الحق فسل علماء اهل الكتاب يعني انهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك
ومساءلتهم فضلا عن غيرك فالغرض وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل على رسول الله صلعم لا وصف رسول الله
بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق من ربك اي ثبت عندك بالايات والبراهين القاطعة ان ما اتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه
للمرية فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب
بايات الله ويجوز ان يكون على طريقة التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن ايات الله بعد اذ
انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا اشك ولا اسال بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس
لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل احدا منهم وقيل خوطب رسول الله صلعم والمراد خطاب امته ومعناه فان كنتم في شك
مما انزلنا اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز اخوك فهن
وقيل ان للنفي اي ما كنت في شك فسأل يعني انا لا امرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم بمعاينة
احياء الموتى وقرئ فسل الذين يقرءون الكتب من قبلك حقت عليهم كلمة ربك ثبتت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح
واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك فلولا كانت
فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة ووقت بقاء التكليف
وفي قراءة ابي وعبد الله فهلا كانت الا قوم يونس استثناء من القرى لان المراد اهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس
لما امنوا ويجوز ان يكون متصلا والجملة في معنى النفي كانه قيل ما امنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على اصل
الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل هكذا روي عن الجرمي والكسائي روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل
فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم
يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك امنا بك فلما مضت خمس وثلاثون ليلة اغامت السماء غيما

اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد
بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين البهائم واولادها فحن بعضها الى بعض
وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة
وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده
وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي
لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل
افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك مشيئة قسر والجاء لامن من في الارض كلهم على وجه الاحاطة والشمول
جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه الا ترى الى قوله افانت تكره الناس يعني انما يقدر على اكراههم واضطرارهم
الى الايمان هو لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشان في المكره من هو
وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه هو القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير
مستطاع للبشر وما كان لنفس يعني من النفوس التي علم انها تؤمن الا باذن الله الا بتسهيله وهو منح الالطاف
ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قابل الاذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم ايمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون
على الكفر كقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون وسمي الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرئ الرجز بالزاي وقرئ
ونجعل بالنون قل انظروا ماذا في السموات والارض من الايات والعبر وما تغني الايات والنذر والرسل المنذرون والانذارات
عن قوم لا يؤمنون لا ينتفع به لانهم لا يعقلون وقرئ وما يغني بالياء وما نافية او استفهامية ايام الذين خلوا من قبلهم
وقائع الله فيهم كما يقال ايام العرب لوقائعها ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله الا مثل ايام
الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية والذين امنوا ومن امن معهم كذلك
ننجي المؤمنين مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين ونهلك المشركين حقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا وقرئ
ننجي بالتشديد قل يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا وصفه واعرضوه
على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك وهو اني لا اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون
من هو الهكم وخالقكم ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وانما وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى ويعبد دون ما لا يقدر
على شيء وامرت ان اكون من المؤمنين يعني ان الله امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحى الي من كتابه وقيل معناه
ان كنتم في شك من ديني وما انا عليه اثبت عليه ام اتركه واوافقكم فلا تحدثوا انفسكم بالمحال ولا تشكوا في امري
واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني لا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولا اختار الضلالة على الهدى كقوله قل يا ايها الكافرون
لا اعبد ما تعبدون وان اقم اصله بان اكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل ان يكون من الحذف المطرد الذي
هو حذف الحروف الجارة مع ان وان وان يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله امرتك الخير فاصدع بما تؤمر
عطف قوله وان اقم على ان اكون فيه اشكال لان ان لا تخلو من ان تكون التي للعبارة او التي تكون مع الفعل في تاويل المصدر
فلا يصح ان تكون للعبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصولة يابى ذلك والقول بكونها موصولة
مثل الاولى لا يساعد عليه لفظ الامر وهو اقم ونظيره قولهم انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما تكون
معه في معنى المصدر وفعلا الامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال اقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا
ولا شمالا وحنيفا حال من الدين او من الوجه فان فعلت معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكني عنه
بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين اذن جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل
من الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر
ان الله عز وجل هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور
به وكذلك اذا اراد بك خيرا لم يرد احد ما يريده بك من فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذن بان توجه اليه
العبادة دونها وهو ابلغ من قوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته فان قلت
لم ذكر المس في احدهما والارادة في الاخرى قلت كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد
من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما
والارادة في الاخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة في الخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده والمراد
بالمشيئة مشيئة المصلحة قد جاءكم الحق فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع
باختياره الا نفسه ومن اثر الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر وكل اليهم الامر بعد ابانة الحق
وازاحة العلل وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وحملكم على ما اريد
انما انا بشير ونذير واصبر على دعوتهم واحتمال اذاهم واعراضهم حتى يحكم الله لك بالنصرة والغلبة وروي انها لما نزلت جمع
رسول الله صلعم الانصار فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني اني امرت في هذه الاية بالصبر على ما
سامني الكفرة فصبرت فاصبروا انتم على ما يسومكم الامراء الجورة قال انس فلم نصبر وروي ان ابا قتادة تخلف
عن تلقي معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه فقال له ما لك لم تتلقنا قال لم يكن عندنا دواب
قال فاين النواضح قال قطعناها في طلبك وطلب ابيك يوم بدر وقد قال رسول الله صلعم يا معشر الانصار ستلقون
بعدي اثرة قال معاوية فماذا قال قال فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبروا قال اذا نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان
الا ابلغ معاوية بن حرب ه امير الظالمين نثا كلامي ه بانا صابرون فمنظروكم ه الى يوم التغابن والخصام ه
عن رسول الله صلعم من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق
مع فرعون ه

سورة هود مكية وهي مائة وثلاث وعشرون اية ه بسم الله الرحمن الرحيم ه الر كتاب احكمت
اياته نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصف ويجوز ان يكون نقلا بالهمزة من حكم
بضم الكاف اذا صار حكيما اي جعلت حكيمة كقوله ايات الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد من قولهم احكمت
الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير ه ابني حنيفة احكموا سفهاءكم ه اني اخاف عليكم ان اغضبا ه
وعن قتادة احكمت من الباطل ثم فصلت كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ
والقصص او جعلت فصولا سورة سورة واية اية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها

ما يحتاج اليه العباد اى بيّن ولخص • وقرئ أُحكِمتُ آياته ثم فصّلتُ اي أحكمتها انا ثم فصّلتها • وعن عكرمة
والضحاك ثم فُصِّلت اى فَرَقت بين الحق والباطل فان قلت ما معنى ثم قلت ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال
كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل كتاب خبر
مبتدا محذوف واحكمت صفة له وقوله من لدن حكيم خبير صفة ثانية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان
يكون صلة لاحكمت وفصلت اى من عنده سبحانه احكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لان المعنى احكمها
حكيم وفصلها اى بيّنها وشرحها خبير عليم بكيفيات الامور الا تعبدوا مفعول له على معنى لان لا تعبدوا او يكون ان
مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كانه قيل قال لا تعبدوا الا الله او امركم ان لا تعبدوا الا الله وان استغفروا ربكم
اي امركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله على لسان النبي ص اغراء منه
على اختصاص الله عز وجل بالعبادة ويدل عليه قوله انني لكم منه نذير وبشير كانه قال ترك عبادة غير الله
انني لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب • والضمير في منه لله عز وجل اى انني لكم نذير وبشير من جهته
كقوله رسول من الله او هي صلة لنذير اى انذركم منه ومن عذابه ان كفرتم وابشركم بثوابه ان امنتم
فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم توبوا اليه قلت معناه استغفروا ربكم من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة
او استغفروا والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا يمتعكم يطول نفعكم
في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة الى اجل مسمى الى ان يتوفاكم كقوله فلنحيينه
حيوة طيبة ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس
منه شيئا او فضله في الثواب والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات وان تولوا عذاب يوم كبير
هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل وبين عذاب اليوم الكبير بان مرجعهم الى من هو قادر
على كل شيء فكان قادرا على اشد ما اراد من عذابهم لا يعجزه • وقرئ وان تولوا من ولي يثنون صدورهم يزورون
عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره
وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمومنون على ازورارهم
ونظير اضمار يريدون لعود المعنى الى اضمار الاضمار في قوله تعالى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه فضرب
فانفلق • ومعنى ألا حين يستغشون ثيابهم ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم ايضا كراهة
لاستماع كلام الله تعالى كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون
وما يعلنون • يعني انه لا تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من
الاستخفاء والله مطلع على تثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده
روي انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث
وكان يعجب رسول الله ص مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر • وقيل نزلت في المنافقين وقرئ
تثنوني صدورهم واثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة قرئ بالياء والتاء • وعن
ابن عباس ليثنوني وقرئ تثنون واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلاء يريد مطاوعة
صدورهم للثني كما ينثني الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان
افعال منه ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي فان قلت كيف قال على الله رزقها
بلفظ الوجوب وانما هو تفضل قلت هو تفضل الا انه لما ضمن ان يتفضل به عليهم رجع التفضل واجبا كنذور
العباد والمستقر مكانه من الارض ومسكنه والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة
كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه وكان عرشه
على الماء اي ما كان تحته [illegible] خلق قبل خلق السموات والارض وارتفاعه فوقها الا الماء وفيه دليل على ان العرش
والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض وقيل وكان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك وكيف كان ذلك
فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكلما ازدادت الاجرام كثرة كانت احوج اليه والى مساكه ليبلوكم متعلق
بخلق اى خلقهن لحكمة بالغة وهو ان يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات
واجتناب المعاصي فمن شكر اثابه ومن كفر وعصى عاقبه • ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم
يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان قلت كيف جاز تعليق فعل البلوى قلت لما في الاختبار
من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن وجها واسمع ايهم احسن صوتا
لان النظر والاستماع من طريق العلم فان قلت كيف قيل ايكم احسن عملا واعمال المومنين هي التي تتفاوت الى حسن
واحسن فاما اعمال المومنين والكافرين فتفاوتها الى حسن وقبيح قلت الذين هم احسن عملا هم المتقون
وهم الذين استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها
على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم • وعن النبي ص ليبلوكم ايكم احسن عقلا
واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقرئ ولئن قلت انكم مبعوثون بفتح الهمزة • ووجهه ان يكون من قولهم
ائت السوق انك تشتري لنا لحما وانك تشتري بمعنى علّك اي ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا
بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بانكاره لقالوا ان هذا الا سحر مبين يعني ان القول ببطلانه ويجوز ان يضمن
قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر ان البعث امر باطل وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به او
اشاروا بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه
من البعث وغيره وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل العذاب عذاب
الآخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين الى امة الى جماعة من الاوقات
ما يحبسه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء ويوم يأتيهم منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم
خبر ليس على ليس وذلك انه اذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع العامل
فلا يقع الا حيث يقع العامل وحاق بهم واحاط بهم ما كانوا به يستهزؤون العذاب الذي كانوا به يستعجلون وانما وضع
يستهزؤون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على وجه الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة الله

في اخبار ربّ الانسان للجنس رحمة نعمة من صحة وامن وجدة ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة انه ليؤوس شديد اليأس
من ان تعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع
كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله نساء له ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح
اشر بطر فخور على الناس بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين صبروا فان عادتهم ان نالتهم
رحمة ان يشكروا وان نالتهم نعمة ان يصبروا كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا
مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون
بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله ص ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه
فحرك الله منه وهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اى لعلك
تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك بان تتلوه عليهم • ان يقولوا مخافة
ان يقولوا لولا انزل عليه كنز اى هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم ينزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه
ثم قال انما انت نذير اي ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا
او اقترحوا والله على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل امرك اليه وعليك
بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم فان قلت
لم عدل عن ضيق الى ضائق قلت ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله ص كان افسح الناس صدرا
ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فاذا اردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه
كانوا قوما عاسين في بعض القراءات وقول السمهري العكلي • بمنزلة اما اللئيم فسامن بها وكرام الناس باد شحوبها •
ام منقطعة والضمير في افتراه لما يوحى اليك تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير لصاحبه في الخط
اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله بمعنى امثاله ذهابا
الى مماثلة كل واحدة منها له مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله
قاودهم على دعواهم وارخى معهم العنان وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي وان الامر كما قلتم
فاتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه
من الكلام فان قلت كيف يكون ما ياتون به من الكلام مثله وما ياتون به مفترى وهذا غير مفترى قلت معناه
مثله في حسن النظم والبيان وان كان مفترى فان قلت ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل
قلت معناه فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول الله والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع آخر فان لم يستجيبوا
لك ويجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله ص كقوله • فان شئت حرمت النساء سواكم • وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا •
ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب للمشركين والضمير في فان لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله
الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا انما انزل بعلم الله اى انزل ملتبسا
بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه • واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم فهل انتم مسلمون متابعون بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا
وجه حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم
على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون نوف اليهم نوصل اليهم اجور اعمالهم
وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الرزق والصحة وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت
ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقد قيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال
فلان جريء فقد قيل وعن ابن عباس هم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بالتوسعة
في الرزق وصحة في البدن • وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله ص فاسهم لهم في الغنائم • وقرئ يوف
اليهم بالياء على ان الفعل لله عز وجل وتوف اليهم اعمالهم بالتاء على البناء للمفعول • وفي قراءة الحسن نوفي بالتخفيف واثبات الياء
لان الشرط وقع ماضيا كقوله • يقول لا غائب مالي ولا حرم • وحبط ما صنعوا فيها • وحبط ما صنعوه في الآخرة
او صنيعهم اى الصنع لم يكن لهم ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما ارادوا به الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا
وباطل ما كانوا يعملون اى كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له
وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان ان تكون ما ابهامية وينتصب بيعملون ومعناه
وباطلا اي باطل كانوا يعملون وان تكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون افمن كان على بينة من ربه
معناه أمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين
تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره وكان على بينة من ربه اى على برهان
من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد منه اي شاهد يشهد بصحته
وهو القرآن منه من الله او شاهد من القرآن وقد تقدم ذكره آنفا ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى
وهو التوراة اى ويتلو ذلك البرهان ايضا من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه
هو الدليل على ان القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد منه شاهد ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد
من بني اسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلو من قبل
القرآن التوراة اماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم اولئك يعني من كان على بينة
يومنون به يومنون بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن ضامّهم من المتحزبين على رسول الله ص فالنار
موعده فلا تك في مرية بالضم والكسر الشك منه من القرآن او من الموعد يعرضون على ربهم يحبسون في الموقف
وتعرض اعمالهم ويشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون على الله عز وجل بانه اتخذ ولدا
وشريكا ويقال الا لعنة الله على الظالمين فواخزياه وافضيحتاه • والاشهاد جمع شاهد او شهيد كاصحاب واشراف
يبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم الثانية لتاكيد كفرهم
بالآخرة واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما
كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم الى هذا اليوم
وهو من كلام الاشهاد يضاعف لهم العذاب وقرئ يضعف ما كانوا يستطيعون السمع اراد انهم لفرط تصامّهم

عن استماع الحق وكراهتهم له كانهم لا يستطيعون السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه فيوعوع به على اهل العدل كانه لم يسمع الناس يقولوا في كل لسان هذا الكلام لا استطيع ان اسمعه وهذا مما يمجه سمعي ويحتمل ان يريد بقوله وما كان لهم من اولياء انهم جعلوا آلهتهم اولياء من دون الله وولايتها ليست بشيء فما كان لهم في الحقيقة من اولياء ثم بين نفي كونهم اولياء بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية • وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد خسروا انفسهم اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله فكان خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران اعظم منه وهو انهم خسروا انفسهم وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها لا جرم فسر في مكان آخرهم الاخسرون لا ترى احدا ابين خسرانا منهم واخبتوا الى ربهم واطمانوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة ومنه قولهم للشيء الدني الخبيت قال ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيت وقيل التاء فيه بدل من الثاء شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق وفيه معنيان ان يشبه الفريق تشبيهين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب قال كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي وان يشبهه بالذي جمع بين العمى والصمم او الذي جمع بين البصر والسمع على ان تكون الواو في والاصم وفي والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب هل يستويان مثلا يعني الفريقين تشبيها اي ارسلنا نوحا باني لكم نذير ومعناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كأن والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد وقرئ بالكسر على ارادة القول ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم نذير مبين اي ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله او تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير وصف اليوم باليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه فان قلت فاذا وصف به العذاب قلت مجازي مثله لان الاليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم وجد جده الملأ الاشراف من قولهم فلان مليء بكذا اذا كان مطيقا له وقد ملؤوا بالامر لانهم ملؤوا بكفايات الامور واضطلعوا بها وبتدبيرها او لانهم متمالئون اي يتظاهرون ويتساندون او لانهم يملؤون القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملأى بالاحلام والآراء الصائبة • ما نراك الا بشرا مثلنا • تعريض بانهم احق منه بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها في احد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد من الملأ وموازيهم في المنزلة فما جعلك احق منهم الا ترى الى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل او ارادوا انه كان ينبغي ان يكون ملكا لا بشرا • والاراذل جمع الارذل كقوله اكابر مجرميها • احاسنكم اخلاقا وقرئ بادئ الرأي بالهمز وغير الهمز بمعنى اتبعوك اول الرأي او ظاهر الرأي وانتصابه على الظرف اصله وقت حدوث اول رأيهم او وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه ارادوا ان اتباعهم لك انما هو شيء عن لهم بديهة من غير روية ونظر • وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتاخرهم في الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا لا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فكان الاشراف عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم ان التقدم في الدنيا لا يقرب به احدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا عن ان يجعله سببا في الاختيار للنبوة والتاهيل لها على ان الانبياء عليهم السلام بعثوا مرغبين في طلب الآخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشانها وشان من اخلد اليها فما ابعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والشرف انما هو بالتقدم عند الله عز وجل من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة • بل نظنكم كاذبين • فيما تدعونه ارايتم اخبروني ان كنت على بينة برهان من ربي وشاهد منه يشهد بصحة دعواي واتاني رحمة من عنده باتيان البينة على ان البينة في نفسها هي الرحمة • ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة فان قلت فقوله فعميت ظاهر على الوجه الاول فما وجهه على الوجه الثاني وحقه ان يقال فعميتا قلت الوجه ان يقدر فعميت بعد البينة وان يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت • وقرئ فعميت بمعنى اخفيت • وفي قراءة ابي فعماها عليكم فان قلت فما حقيقته قلت حقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد فان قلت فما معنى قراءة ابي قلت المعنى انهم صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله انلزمكموها وانتم لها كارهون يعني انكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وانتم تكرهونها ولا تختارونها ولا اكراه في الدين • وقد جيء بضميري المفعولين متصلين جميعا • ويجوز ان يكون الثاني منفصلا كقوله انلزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم ويجوز فسيكفيك اياهم • وحكي عن ابي عمرو اسكان الميم الاولى ووجهه ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا والاسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر وهو الضمير في قوله لا اسالكم عليه اجرا راجع الى قوله لهم اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله • وقرئ وما انا بطارد الذين آمنوا بالتنوين على الاصل فان قلت ما معنى قوله انهم ملاقوا ربهم قلت معناه انهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم • او يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما اعرف غيره منه او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الرأي من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية او هم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة تجهلون تتسفهون على المؤمنين تدعونهم اراذل من قوله الا لا يجهلن احد علينا او تجهلون لقاء ربكم او تجهلون انهم خير منكم من ينصرني من الله من يمنعني من انتقامه ان طردتهم وكانوا يسالون ان يطردهم ليؤمنوا به انفة من ان يكونوا معهم على سوى ولا اعلم الغيب معطوف على عندي خزائن الله اي لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اقول انا اعلم الغيب ومعناه لا اقول لكم عندي خزائن الله فادعي عليكم فضلا في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل • ولا ادعي علم الغيب حتى تنسبوني الى الكذب والافتراء او حتى اطلع على ما في نفوس اتباعي وضمائر قلوبهم ولا اقول اني ملك حتى تقولوا لي ما انت الا بشر مثلنا ولا احكم على من استرذلتم

من المؤمنين لفقرهم ان الله لن يؤتيهم خيرا في الدنيا والآخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك • والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وازرى به قصر به يقال ازدرته عينه واقتحمته عينه جادلتنا فاكثرت جدالنا معناه اردت جدالنا وشرعت فيه فاكثرته كقولك جاد فلان فاكثر واطاب فاتنا بما تعدنا من العذاب المعجل انما يأتيكم به الله اي ليس الاتيان بالعذاب الي انما هو الى من كفرتم به وعصيتموه • ان شاء • يعني ان اقتضت حكمته ان يعجله لكم وقرئ فاكثرت جدلنا فان قلت ما وجه ترادف هذين الشرطين قلت قوله ان كان الله يريد ان يغويكم جزاؤه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك ان احسنت الي احسنت اليك ان امكنني فان قلت فما معنى قوله ان كان الله يريد ان يغويكم قلت اذا عرف الله من الكافر الاصرار فخلاه وشانه ولم يلجئه سمي ذلك اغواء واضلالا كما انه اذا عرف منه انه يتوب ويرعوي فلطف به سمي ارشادا وهداية وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل اذا بشم فهلك • ومعناه انكم اذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا ينفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر الطافه فكيف ينفعكم نصحي • فعلي اجرامي وقرئ اجرامي على لفظ المصدر والجمع كقوله والله يعلم اسرارهم • واسرارهم ونحو جرم واجرام قفل واقفال وينصر الجمع ان فسره الاولون باثامي والمعنى ان صح وثبت انه فعلي عقوبة اجرامي اي افترائي وكان حقي حينئذ ان تعرضوا عني وان تتألبوا علي وانا بريء منه يعني ولم يثبت ذلك وانا بريء منه • ومعنى مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم الا من قد آمن ايئاسا من ايمانهم وانه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع الا من قد آمن الا من وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وقد للتوقع وقد اصابت محزها فلا تبتئس فلا تحزن حزن بائس مستكين قال ما يقسم الله اقبل غير مبتئس منه واقعد كريما ناعم البال والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم باعيننا في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا كأن لله معه اعينا تكلؤه ان يزيغ في صنعته عن الصواب وان لا يحول بينه وبين عمله احد من اعدائه ووحينا وانا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع • عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك • فاوحى الله اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شانهم واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك انهم مغرقون انهم محكوم عليهم بالاغراق قد وجب ذلك وقضي به وجف القلم فلا سبيل الى كفه كقوله يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود ويصنع الفلك حكاية حال ماضية سخروا منه ومن عمله السفينة وكان يعملها في برية بهماء في ابعد موضع من الماء في وقت عز الماء فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا • فانا نسخر منكم يعني في المستقبل كما تسخرون منا الساعة اي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل بحقيقة الامر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق وروي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وكانت من خشب الساج وكان لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام • وفي البطن الاوسط الدواب والانعام • وركب هو ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم وجعله معترضا بين الرجال والنساء • وعن الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن راسه وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحوش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا • من يأتيه في محل النصب بتعلمون اي فسوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل عليه حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه عذاب مقيم وهو عذاب الآخرة • حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام ادخلت على الجملة من الشرط والجزاء فان قلت وقعت غاية لماذا قلت لقوله ويصنع الفلك اي يصنعها الى ان جاء وقت الموعد فان قلت فاذا اتصلت حتى بيصنع فما بينهما من الكلام قلت هو حال من يصنع كانه قال يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه فان قلت فما جواب كلما قلت انت بين امرين اما ان تجعل سخروا جوابا وقال استئنافا على تقدير سؤال سائل او تجعل سخروا بدلا من مر او صفة لملأ وقال جوابا • واهلك عطف على اثنين • وكذلك ومن آمن يعني واحمل اهلك والمؤمنين من غيرهم • واستثنى من اهله من سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا للعلم بانه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته تعالى الله عن ذلك قال الضحاك اراد ابنه وامراته • الا قليل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم • وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة • وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامراة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء • يجوز ان يكون كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد ان يتصل باسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج • ويجوز ان يراد مكان الاجراء والارساء وانتصابهما بما في باسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول • والكلامان ان يكون باسم الله مجراها ومرساها جملة مقتضبة من مبتدأ وخبر اي باسم الله اجراؤها وارساؤها • يروى انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست • ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما • ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره • الى الحول ثم اسم السلام عليكما • ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر • وقرئ مجراها ومرساها

بفتح الميمين مجرا ومرسا اما مصدران او وقتان او مكانان وقرى مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ
اسم الفاعل مجروري المحل صفتين لله فان قلت ما معنى هذه الجملة مقتضية قلت معناه ان نوحا عليه السلام امرهم
بالركوب ثم اخبرهم ان مجراها ومرساها بذكر الله او بامره وقدرته ويحتمل ان تكون غير مقتضية
بان تكون في موضع الحال كقوله وجاءوا بهم شكر علينا بلا تكون كلاما برأسه ولكن فضلة من فضلات
الكلام الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كانه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله بمعنى
التقدير كقوله ادخلوها خالدين ان ربي لغفور رحيم لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما نجاكم فان قلت
بم اتصل قوله وهي تجري بهم قلت بمحذوف دل عليه قوله اركبوا فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون
باسم الله وهي تجري بهم وهم فيها في موج كالجبال يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل
في تراكمها وارتفاعها فان قلت الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق
ما بين السماء والارض وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج قلت كان ذلك
قبل التطبيق وقبل ان يغمر الطوفان الجبال الا ترى الى قول ابنه ساوي الى جبل يعصمني من الماء وقيل كان
اسم ابنه كنعان وقيل يام وقرى على عليه السلام ابنها والضمير لامرأته وقرى محمد بن علي وعروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء
يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة سألته فقال والله ما كان
ابنه فقلت ان الله حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب لا يختلفون في انه ابنه فقال ومن يأخذ دينه من اهل الكتاب واستدل بقوله من اهلي ولم يقل مني وهذه غضاضة عظيمة عصمت منها الانبياء
عليهم السلام وقرى السدي ونادى نوح ابناه على الندبة والترثي قالوا يا ابناه والمعزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه
وابعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان في معزل عن دين الله يا بني
قرى بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك
يا بنيا او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة لا عاصم
اليوم من الطوفان الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او لا عاصم الا مكان من رحم الله من المؤمنين وكان لهم غفورا رحيما في قوله
ان ربي لغفور رحيم وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى
معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله كقوله ماء
دافق وعيشة راضية وقيل الا من رحم استثناء منقطع كانه قيل لكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به
من علم الا اتباع الظن وقرى الا من رحم على البناء للمفعول ونادى الارض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على
لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله يا ارض ويا سماء ثم امرهما بما يؤمر
به اهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك واقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه
الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كانها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه
وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من
التوقيف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم امره كان المأمور به
مفعولا لا حبس ولا ابطاء والبلع عبارة عن النشف والاقلاع الامساك يقال اقلع المطر واقلعت الحمى وغيض
الماء من غاضه اذا نقصه وقضي الامر وانجز ما وعد الله عز وجل من هلاك قومه واستوت واستقرت
السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل وقيل بعدا يقال بعد بعدا وبعدا اذا ارادوا البعيد من حيث الهلاك
والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجي اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء
وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد لا يشاركه في افعاله
فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر الهائل غيره ولا
ان تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت
استفصح علماء البيان هذه الاية ورقصوا لها رؤسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي واقلعي وذلك
وان كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها
القشور وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم
واستقرت على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا
وقد اعتقه الله من الغرق وروي ان نوحا عليه السلام صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى
نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية اهله فان قلت فاذا كان
النداء هو قوله رب فكيف عطف قوله فقال رب على نادى بالفاء قلت اريد بالنداء ارادة النداء ولو اريد النداء نفسه
لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء ان ابني من اهلي اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه
او كان ربيبا له فهو بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه
والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل
لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب
اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون من الحكمة على ان يبنى من الحكمة احكم
بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل انه عمل غير صالح تعليل لانتفاء كونه من اهله
وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك ومعتقدك من الاباعد في المنصب وان
كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد
بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها فانما هي اقبال وادبار وقيل الضمير
لنداء نوح عليه السلام اي ان نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك فان قلت فهلا قيل انه عمل فاسد قلت لما نفاه
عن اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقي معها لفظ المنفي واذن بذلك انه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم
لا لانهم اهلك واقاربك وان هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه ابوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا الى
فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقرى عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح وقرى فلا تسألن بكسر اللام
بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة وبياء وبغير ياء يعني فلا تلتمس مني ملتمسا او التماسا لا تعلم اصواب هو ام
غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسألة دليل على ان النداء كان قبل ان يعرف حين خاف فان قلت لم
سمي نداؤه سؤالا ولا سؤال فيه قلت قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد

بنجاة اهله في وقت مشارفة الغرق وقبل استنجازه وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه
ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين فان قلت قد وعده ان ينجي اهله وما كان عنده ان ابنه ليس منهم
دينا فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه القبيح
وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمي سؤاله جهلا قلت ان الله
عز وجل قدم له الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه ان يعتقد ان في جملة اهله
من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بناجين وان لا تخالجه شبهة حين شارف ولده
الغرق في انه من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على ان اشتبه عليه ما لا يجب ان يشتبه وان اسالك
من ان اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا بادبك واتعاظا بموعظتك اكن من الخاسرين وقرى يا نوح
اهبط بضم الباء بسلام منا مسلما محفوظا من جهتنا او مسلما عليك مكرما وبركات عليك ومباركا عليك والبركات
الخيرات النامية وقرى وبركة عليك وعلى امم ممن معك يحتمل ان تكون من للبيان فتراد الامم الذين
كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او قيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم وان تكون لابتداء الغاية
اي على امم ناشئة ممن معك وهي الامم الى آخر الدهر وهو الوجه وقوله وامم رفع بالابتداء وسنمتعهم صفة
والخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن معك يدل عليه والمعنى ان السلام
منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشؤون ممن معك وممن معك امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان
نوح عليه السلام ابا الانبياء عليهم السلام والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي
دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد
هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة
قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وعلى سائر الانبياء والمؤمنين وبالعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح
ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها اخبار اي تلك القصة بعض انباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك
وعند قومك من قبل هذا من قبل ايحائي اليك واخباري لك بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي
او من قبل هذا الوقت فاصبر على تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك
كما قبض لنوح ولقومه ان العاقبة في الفوز والنصر والغلبة للمتقين وقوله ولا قومك معناه ان قومك
الذين انت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شأنهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل
منهم كما تقول لم تعرف هذا عبد الله ولا اهل بلده اخاهم واحدا منهم وانتصابه للعطف على ارسلنا
نوحا وهودا عطف بيان وغيره بالرفع صفة له على محل الجار والمجرور وقرى غيره بالجر صفة على اللفظ
ان انتم الا مفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء وما من رسول الا واجه قومه بهذا
القول لان شأنهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها ولا يمحضها الا حسم المطامع وما دام يتوهم شيء منها
لم ينجع ولم ينفع افلا تعقلون اذ تردون نصيحة من لا يطلب اجرا الا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شيء انفى
للتهمة من ذلك وقيل استغفروا ربكم آمنوا به ثم توبوا اليه من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان
والمدرار الكثير الدرور كالمغزار وانما قصد استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة
لان القوم كانوا اصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها اشد الحرص فكانوا احوج شيء الى الماء وكانوا مدلين
بما اوتوا من شدة القوة والبطش والبأس والنجدة مستحرزين بها من العدو ومهيبين في كل ناحية وقيل اراد
القوة في المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت ارحام نسائهم وعن الحسن
بن علي رضي الله عنهما انه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني
ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة
بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فسأله الرجل فقال الم تسمع قول هود
ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح عليه السلام ويمددكم باموال وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا عني وعما ادعوكم اليه وارغبكم
فيه مجرمين مصرين على اجرامكم وآثامكم ما جئتنا ببينة كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه
آية من ربه مع فوت آياته الحصر عن قولك حال من الضمير في تاركي آلهتنا كانه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك
وما نحن لك بمؤمنين وما يصح من امثالنا ان يصدقوا مثلك فيما تدعوهم اليه اقناطا له من الاجابة اعتراك مفعول نقول
والا لغو فالمعنى ما نقول الا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء اي خبلك ومسك بجنون لسبك اياها وصدك عنها
وعداوتك لها مكافأة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين والمعنى
نعجب من اولئك ان يسموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا وهم عاد اعلام الكفر واوتاد الشرك وانما العجب
من قوم من المتظاهرين بالاسلام سمعناهم يسمون التائب عن ذنبه مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا ولم نجدهم معه
على عشر مما كانوا عليه في ايام جاهليته من الموادة وما ذاك الا لاغرق من الالحاد اذ الان يتقبض وضبت من
الزبد فيه اذ ان تطلع راسه وتبدلت احوبتهم المتقدمة على ان القوم كانوا جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون
بالبهت ولا يلتفتون الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث
اعتقدوا في حجارة انها تنتصر وتنتقم ولعلهم حين اجازوا العقاب كانوا يجوزون الثواب ومن اعظم الآيات انه واجه به
هذا الكلام رجل واحد امة عطاشا الى اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه عز وجل وانه
يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح ثم اقضوا الي ولا تنظرون اكد براءته من آلهتهم
وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الامور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد
على اني لا افعل كذا او يقول لقومه كونوا شهداء علي اني لا افعله فان قلت هلا قيل اني اشهد
الله واشهدكم قلت لان اشهاد الله على البراءة من الشرك اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده
واما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما
وجيء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد علي اني احبك تهكما به واستهانة
بحاله مما تشركون من دونه من اشراككم آلهة من دونه او مما تشركونه من آلهة من دونه اي انتم تجعلونها شركاء له
ولم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا فكيدوني جميعا اي انتم وآلهتكم اعجل ما تفعلون من غير انظار فاني لا ابالي بكم
وبكيدكم ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم علي وانتم الاقوياء الشداد فكيف آلهتكم وما هي الا جماد لا تضر ولا

فكيف تنتصرني اذا ابطلت منها وصددت عن عبادتها بان تخيلني وتذهب بعقلي ۝ ولما ذكر توكله على الله
عزوجل وثقته بحفظه وكلايته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم
ومن كون كل دابة في ملكته وقبضته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بنواصيها تمثيل لذلك ان ربي على صراط
مستقيم يريد انه على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به فان تولوا فان يتولوا
فقد الابلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط قلت معناه فان تتولوا لم اعاتب على تفريط
في الابلاغ وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم فابيتم الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول ويستخلف
كلام مستانف يريد ويهلككم الله ويجي بقوم اخرين [illegible] يخلفونكم في دياركم واموالكم
ولا تضرونه بتوليكم شيا من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع وانما تضرون انفسكم وفي قراءة عبد الله ويستخلف
بالجزم وكذلك ولا تضروه عطفا على محل فقد ابلغتكم والمعنى ان تتولوا يعذرني ربي ويستخلف قوما غيركم ولا تضروا الا
انفسكم على كل شيء حفيظ اي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مواخذتكم او من كان رقيبا على الاشيا
كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم والذين امنوا معه بل كانوا اربعة الاف فان قلت
ما معنى تكرير التنجيه قلت ذكر اولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى
وكانت تلك التنجيه من عذاب غليظ وذلك ان الله عز وعلا بعث عليهم السموم فكانت تدخل في افواههم وتخرج من
ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل اراد بالثانيه التنجيه من عذاب الاخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد وقوله
برحمة منا يريد بسبب الايمان الذي انعمنا عليهم بالتوفيق له وتلك عاد اشارة الى قبورهم واثارهم كانه قال
سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استانف وصف احوالهم فقال جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله
لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع [illegible] رسل الله لا نفرق بين احد من رسله وقيل لم يرسل اليهم الا هود
وحده امر كل جبار عنيد يريد روساهم وكبراهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع امرهم طاعتهم ولما كانوا
تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله الا وتكرارها
مع النداء على كفرهم والدعا عليهم تهويل لامرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم فان قلت
بعدا دعا بالهلاك فما معنى الدعا عليهم به بعد هلاكهم قلت معناه الدلالة على انهم كانوا مستاهلين له الا ترى الى
اخوتي لا يبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا فان قلت ما الفايدة في هذا البيان قوم هود عطف بيان لعاد
والبيان حاصل بدونه قلت الفايدة فيه ان يوسموا بهذه الدعوة وسما ويجعل فيهم امرا محققا لا شبهة فيه
بوجه من الوجوه ولان عادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم هو انشاكم من
الارض لم ينشيكم منها الا هو ولم ينشيكم فيها غيره وانشاهم انشا ادم من التراب واستعمركم فيها امركم بالعمارة
والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار
وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسال نبي من انبيا زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحي
اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معوية ابن ابي سفيان انه اخذ في احيا ارض في اخر امره فقيل له فقال
ما حملني عليه الا قول القايل ليس الفتى بفتى لا يستضا به ولا تكون له في الارض اثار وقيل استعمركم من العمر
نحو استبقاكم من البقا وقد جعل من العمري وفيه وجهان احدهما ان يكون استعمر في معنى اعمر كقولك استهلكه في معنى
اهلكه ومعناه اعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضا اعماركم والثاني ان يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم
فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره قريب داني الرحمة سهل المطلب
مجيب لمن دعاه وساله مرجوا فينا كانت تلوح فيك مخايل الخير وامارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك

[illegible]

البقر حنيذ مشوي بالرضف في اخدود [illegible]

الحل حتى يقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم نكره وانكره واستنكره ومنكور قليل في كلامهم وكذلك انا انكرك
ولكن منكر ومستنكر وانكرك. قال الاعشى: وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا
قيل كان ينزل في طرف من الارض فخاف ان يريدوا به مكروها. وقيل كانت عادتهم انه اذا مس من يطرقهم
طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر انه احس بانهم ملايكة ونكرهم لانه تخوف ان يكون نزولهم لامر
انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى قولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم
ولم يعرف فيما ارسلوا. واوجس فاضمر وانما قالوا لا تخف لانهم راوا اثر الخوف والتغير في وجهه او عرفوه
بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم ملايكة يوجب الخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب وامراته قايمة قيل
كانت قايمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قايمة على رؤوسهم تخدمهم. وفي مصحف عبد الله وامراته
قايمة وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الخبايث او كان ضحكها ضحك انكار لغفلتهم
وقد اظلهم العذاب. وقيل كانت تقول لابراهيم اضمم لوطا ابن اخيك اليك فاني اعلم انه سينزل بهولا القوم
عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامر على ما توهمت. وقيل فضحكت فحاضت. وقرا محمد بن زياد الاعرابي فضحكت بفتح الحا
يعقوب رفع بالابتدا كانه قيل ومن ورا اسحق يعقوب مولود او موجود اي من بعده. وقيل الورا ولد الولد
وعن الشعبي انه قيل له هذا ابنك فقال نعم من الورا وكان ولد ولده. وقرئ يعقوب بالنصب كانه قيل ووهبنا
لها اسحق ومن ورا اسحق يعقوب على طريقة قوله ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب ۝ الالف في يا ويلتا
مبدلة من يا الاضافة وكذلك في يا لهفا ويا عجبا. وقرا الحسن يا ويلتي بالياء على الاصل. وشيخا نصب بما دل عليه
اسم الاشارة. وقرئ شيخ على انه خبر مبتدا محذوف اي هذا بعلي هو شيخ او بعلي بدل من المبتدا وشيخ خبر
او يكونان معا خبرين. قيل بشرت ولها تسع وتسعون سنة ولابراهيم مائة وعشرون ان هذا لشيء عجيب ان
يولد [illegible] ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة التي اجراها الله تعالى وانما
انكرت عليها الملايكة تعجبها فقالوا اتعجبين من امر الله لانها كانت في بيت الايات ومهبط المعجزات والامور
الخارقة للعادات فكان عليها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشيات في غير بيوت النبوة
وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك اشارت الملايكة صلوات الله عليهم في قولهم رحمة الله وبركاته
عليكم اهل البيت ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة
فليست بمكان عجب. وامر الله قدرته وحكمته وقوله رحمة الله وبركاته عليكم كلام مستانف علل به انكار
التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم. وقيل الرحمة النبوة
والبركات الاسباط من بني اسراييل لان الانبيا منهم وكلهم من ولد ابراهيم عليه السلام حميد فاعل ما يستوجب الحمد من عباده
مجيد كريم كثير الاحسان اليهم. واهل البيت نصب على النداء او على الاختصاص لان اهل البيت مدح لهم اذ
المراد اهل بيت خليل الرحمن الروع ما اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه. والمعنى انه لما اطمأن قلبه بعد الخوف
وملي سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة. فان قلت اين جواب لما قلت هو محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا
واجمعوا. وقوله يجادلنا كلام مستانف دال على الجواب وتقديره اجترا على خطابنا او فطن لمجادلتنا او قال كيت وكيت
ثم ابتدا فقال يجادلنا في قوم لوط. وقيل يجادلنا هو جواب لما وانما جي به مضارعا لحكاية الحال. وقيل ان لما
ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال. وقيل معناه اخذ يجادلنا واقبل يجادلنا. والمعنى
يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من
المومنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها
قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله. في قوم لوط في معنى هم. وعن ابن
عباس قالوا له ان كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب. وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير
وقيل كان فيها اربعة الاف الف انسان. ان ابراهيم لحليم غير عجول على كل من اسا اليه اواه كثير التاوه من الذنوب منيب
تايب راجع الى الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرافة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله
على المجادلة فيهم رجا ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة كما حمله على الاستغفار لابيه ۝
يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت له الملايكة اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فايدة فيه انه قد جا
امر ربك وهو قضاوه وحكمه الذي لا يصدر الا عن صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال
ولا دعا ولا غير ذلك. كانت مساءة لوط وضيق ذرعه لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن
مقاومتهم ومدافعتهم. وروي ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشا
معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض
عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امراته فاخبرت بهم قومها. يقال يوم عصيب
وعصوصب اذا كان شديدا من قولك عصبه اذا شده يهرعون يسرعون كانما يدفعون دفعا ومن قبل ذلك كانوا
يعملون السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم
استقباحها فلذلك جاوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حيا. وقيل معناه وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش
قبل ذلك هولا بناتي اراد ان يقي اضيافه ببناته وذلك غاية الكرم واراد هولا بناتي فتزوجوهن وكان تزويج
المسلمات من الكفار جايزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته من عتبة بن ابي لهب ومن ابي العاص بن الربيع قبل
الوحي وهما كافران. وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه. وقرا ابن مروان هن اطهر
بالنصب وضعفه سيبويه وقال احتبى ابن مروان في لحنه. وعن ابي عمرو بن العلا من قرا هن اطهر بالنصب
فقد تربع في لحنه وذلك لان انتصابه على ان يجعل حالا قد عمل فيها ما في هولا من معنى الفعل كقوله هذا بعلي شيخا
او ينتصب هولا بفعل مضمر كانه قيل خذوا هولا بناتي ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز
لان الفصل مختص بالوقوع بين جزي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال. وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه
فصلا وذلك ان يكون هولا مبتدا وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدا كقولك هذا اخي هو ويكون اطهر حالا
فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحيا في ضيفي
في حق ضيوفي فانه اذا خزي ضيف الرجل او جاره فقد خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروة اليس منكم
رجل رشيد رجل واحد يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وقري ولا تخزون بطرح الياء ويجوز
ان يكون تعرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم واظهارا لشدة امتعاضه مما اوردوه

عليه وطمعًا فيه وان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع اظهار الاسى واستغراق العلم عنه وعندهم ان لا مناكحة بينه وبينهم • ومن ثم قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق لانك لا ترى مناكحتنا وما هو الا عرض سابري • وقيل لما اتخذوا اتيان الذكور مذهبا ودينا لتواطيهم عليه كان عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق فبطلان نكاح الاناث امر خارج عن مذهبنا الذي نحن عليه • ويجوز ان يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة لتعلم ما نريد عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة وجواب لو محذوف كقوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال معنى لو ان لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت بكم يقال ما لي به قوة وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لهم بها وما لي به يدان لانه في معنى لا اضطلع به ولا استقل به والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او اويت الى القوي استند اليه وامتنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه قيل لو ان لي بكم قوة او اويا كقولها • للبس عباءة وتقر عيني • وقرئ الى ركن بضمتين • وروي انه اغلق بابه حين جاؤوا وجعل يرادهم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك لشديد انا رسل ربك لن يصلوا اليك فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم الله كما قال عز وجل فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجا النجا فان في بيت لوط قوما سحرة لن يصلوا اليك جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره • فاسر بالقطع والوصل والا امرأتك بالرفع والنصب • وروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح قال اريد اسرع من ذلك قالوا اليس الصبح بقريب • وقرئ الصبح بضمتين • فان قلت ما وجه قراءة من قرأ الا امرأتك بالنصب قلت استثناها من قوله فاسر باهلك والدليل عليه قراءة عبد الله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك ويجوز ان ينتصب عن لا يلتفت على اصل الاستثناء وان كان الفصيح هو البدل اعني قراءة من قرأ بالرفع فابدلها عن احد • وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامرهم ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه • فادركها حجر فقتلها • وروي انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها جعل جبريل جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم من سجيل قيل هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين • وقيل هي من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة • وقيل مما كتب الله ان يعذب به من السجل وسجل لفلان منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب • وقيل يرسل بعضه في اثر بعض متتابعا مسومة معلمة للعذاب وعن الحسن كانت معلمة ببياض وحمرة • وقيل علمها سيما يعلم بها انها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به • وما هي من كل ظالم ببعيد • وفيه وعيد لاهل مكة • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة • وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم ببعيد بشيء بعيد ويجوز ان يراد وما هي بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد الا انها اذا هوت منه فهي اسرع شيء لحوقا بالمرمي به فكانها بمكان قريب منه اني اراكم بخير يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف او اراكم بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون او اراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما انتم عليه كقوله يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا يوم محيط مهلك من قوله واحيط بثمره واصله من احاطة العدو • فان قلت وصف العذاب بالاحاطة ابلغ ام وصف اليوم بها قلت بل وصف اليوم لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه • فان قلت النهي عن النقصان امر بالايفاء فما فائدة قوله اوفوا قلت نهوا اولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا له ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط اي ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان امرا بما هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل وامر مندوب اليه • وفيه توقيف على ان الموفي عليه ان ينوي بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسنه انه قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد • البخس الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير • وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم • وروي مكس درهم وكانوا يأخذون من كل شيء يباع شيئا كما تفعل السماسرة او كانوا يمكسون الناس • او كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك ولا تعثوا في الارض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز ان يجعل التطفيف والبخس عثيا منهم في الارض بقية الله ما يبقي لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا وانما خوطبوا بترك التطفيف والبخس والفساد في الارض وهم كفرة بشرط الايمان فان قلت بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان قلت لظهور فائدتها مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع فقده لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك استعظام للايمان وتنبيه على جلالة شانه • ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح به اياكم ويجوز ان يراد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك واضافة البقية الى الله من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه واما الحرام فلا يضاف الى الله سبحانه وتعالى ولا يسمى رزقا ولو اريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله • وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن القبائح والمعاصي وما انا عليكم بحفيظ وما بعثت لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم وانما بعثت مبلغا

ومنبها على الخير وناصحا وقد اعذر حين انذر اصلاتك كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم اصلاتك تأمرك السخرية والهزء والصلاة وان جاز ان يكون امرا على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وان يقال ان الصلاة تأمر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو اليه وتبعث عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلاة آمرة على طريق التهكم بصلاته وارادوا ان هذا الذي يأمرنا به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته وان مثله لا يدعوك اليه داعي عقل ولا يأمرك به آمر فطنة فلم يبق الا ان يأمرك به آمر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلاتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك وعندهم انها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الاقوال والافعال ومعنى تأمرك ان نترك تأمرك بتكليف ان نترك ما يعبد اباؤنا فحذف المضاف الذي هو التكليف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره • وقرئ اصلواتك بالتوحيد وقرئ او ان تفعل في اموالنا ما تشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يأمرهم من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها وارادوا بقولهم انك لانت الحليم الرشيد نسبته الى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال له لو ابصرك حاتم لسجد لك • وقيل معناه انك للمتواصف بالحلم والرشد في قومك يعنون ان ما تأمر به لا يطابق حالك وما شهرت به ورزقني رزقا حسنا وهو ما رزقه من الحكمة والنبوة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف فان قلت اين جواب ارأيتم وما له لم يثبت كما اثبت في قصة نوح ولوط قلت جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته في القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه • والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ايصح لي ان لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك • يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم ان اريد الا الاصلاح ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف اي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدي • او بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته منه • ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف على قولك الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعولا به كقوله • ضعيف النكاية اعداءه • اي ما اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم وما توفيقي الا بالله وما كوني موفقا لاصابة الحق فيما آتي واذر ووقوعه موافقا لرضى الله عز وجل الا بمعونته وتأييده • والمعنى انه استوفقه في امضاء الامر على سننه وطلب منه التأييد والاظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم لاطماعهم فيه جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه قال • جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا • ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم اي لا يكسبنكم شقاقي اصابة العذاب • وقرأ ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال وكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما الا ان المشهورة افصح لفظا كما ان كسبته مالا افصح من اكسبته • والمراد بالفصاحة انها على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم ادور وهم له اكثر استعمالا • وقرأ ابو حيوة ورويت عن نافع مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله • لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت • وما قوم لوط منكم ببعيد يعني انهم اهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم او لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك فان قلت ما للبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه او معناه قلت اما ان يراد وما اهلاكهم ببعيد او ما هم بشيء بعيد او بزمان او مكان بعيد • ويجوز ان يسوى في بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان والاجمال ما نفقه لا نفهم كثيرا مما تقول لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهة له كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه او كانوا يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لم يفقهوه او قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادري ما تقول او جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف لا ينفهم كلامه وهو خطيب الانبياء وقيل كان الثغ فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها • وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا اعمى • وحمير تسمي المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس بسديد لان فينا يأباه الا ترى انه لو قيل انا لنراك فينا اعمى لم يكن كلاما لان الاعمى اعمى فيهم وفي غيرهم ولولا رهطك ولولا قومك حيث جعلوهم رهطا والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا رهطك احتراما لهم واعتدادا بهم لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لقتلناك شر قتلة وما انت علينا بعزيز اي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا • وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فان قلت فالكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف صح قوله ارهطي اعز عليكم من الله قلت تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله عز وجل وحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى الامس امسي ان ربي بما تعملون محيط قد احاط باعمالكم علما

ولا يخفى عليه شيء منها «على مكانتكم» لا تخلوا المكانة اما ان تكون بمعنى المكان. يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة او تكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين. والمعنى اعملوا قارّين على جهتكم التي انتم عليها من الشرك والشنآن لي او اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها «اني عامل» على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني «من يأتيه» يجوز ان تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه واينا هو كاذب. وان تكون موصولة قد عمل فيها فعل العلم كأنه قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب فان قلت اي فرق بين ادخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون قلت ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستيناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت على مكانتك فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستيناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب. واقوى الوصلين وابلغهما الاستيناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه «وارتقبوا» وانتظروا العاقبة وما اقول لكم «اني معكم رقيب» اي منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم او بمعنى المراقب كالعشير والنديم او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع فان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم اتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس ان يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي المبعوث اليهم قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم فان قلت ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الموعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت. واما الاخريان فلم تقعا بتلك المثابة وانما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما ان يعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة «الجاثمين» الميتين اللازمين لمكانهم لا يبرحون «كأن لم يغنوا فيها» يعني ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو قعصا كأن لم يقيموا في ديارهم احياء متصرفين مترددين «البعد» بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد الا ترى الى قوله كما بعدت ثمود. وقرأ السلمي بعدت بضم العين. والمعنى في البناءين واحد وهو نقيض القرب الا انهم ارادوا التفرقة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد واوعد. وقراءة السلمي جاءت على الاصل اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت. وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها «بآياتنا وسلطان مبين» فيه وجهان احدهما ان يراد ان هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته. وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها «وما امر فرعون برشيد» تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على امره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه ادنى مسكة من العقل وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي الا من شيطان مارد. ومثله عن الالهية بمعزل ذاتا وافعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته. والامر الرشيد الذي فيه رشد. اي وما في امره رشد انما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف. وانما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم. وفيه انهم عاينوا الآيات والسلطان المبين في امر موسى وعلموا ان معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في امره رشد قط «يقدم قومه» اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه. ويجوز ان يريد بقوله وما امر فرعون برشيد وما امره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وايضاحا اي كيف يرشد امر من هذه عاقبته. والرشد يستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط. ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش واقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين. فان قلت هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جيء بلفظ الماضي قلت لان الماضي يدل على امر موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة. «والورد المورود» الذي وردوه. شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده. «واتبعوا في هذه لعنة» اي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة «بئس الرفد المرفود» رفدهم اي بئس العون المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الآخرة وقيل بئس العطاء المعطى. «ذلك» مبتدأ «من انباء القرى نقصه عليك» خبر بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك «منها» الضمير للقرى اي بعضها باق وبعضها عافي الاثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد فان قلت ما محل هذه الجملة قلت هي مستأنفة لا محل لها «وما ظلمناهم» باهلاكنا اياهم «ولكن ظلموا انفسهم» بارتكاب ما به اهلكوا «فما اغنت عنهم آلهتهم» فما قدرت ان ترد عنهم بأس الله «يدعون» يعبدون وهي حكاية حال ماضية «ولما» منصوب بما اغنت «امر ربك» عذابه ونقمته «تتبيب» تخسير يقال تب اذا خسر وتببه غيره اذا اوقعه في الخسران. محل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الاخذ «اخذ ربك» والنصب فيمن قرأ وكذلك اخذ ربك بلفظ الفعل. وقرئ اذ اخذ القرى «وهي ظالمة» حال من القرى «اليم شديد» وجيع صعب على المأخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره او نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من اذنب ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد فيبادروا التوبة ولا يغتروا بالامهال «ذلك» اشارة الى ما قصه الله من قصص الامم الهالكة بذنوبهم «لآية لمن خاف» لعبرة له لانه ينظر الى ما احل الله بالمجرمين في الدنيا وما هو الا انموذج مما اعد لهم في الآخرة فاذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله. ونحوه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى. ذلك اشارة الى يوم القيامة لان عذاب الآخرة دل عليه «والناس» رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس فان قلت لأي فائدة اوثر اسم المفعول على فعله قلت لما في اسم المفعول من دلالة على معنى الجمع لليوم وانه يوم لا بد من ان يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وانه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو اثبت ايضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه. ونظيره قول المتهدد ان الكمنهوب

مالك

مالك لمحروب قومك. فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وان شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك. ومعنى يجمعون له يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب. «يوم مشهود» مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقوله: ويوم شهدناه سليما وعامرا. اي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه احد. والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه. ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور. قال: في محفل من نواصي الناس مشهود. فان قلت فما منعك ان تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون ان تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه قلت الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الايام فان جعلته مشهودا في نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز ان يكون مشهودا في نفسه لان سائر ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده. وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه. والمعنى فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه. يعني فمن كان منكم مقيما حاضرا في بلده شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر «الاجل» يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى الاجل وبلغ الاجل آخره ويقولون حل الاجل فاذا جاء اجلهم يراد آخر مدة التأجيل. والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف. وقرئ وما يؤخره بالياء «يوم يأت» بغير ياء ونحوه قولهم لا ادر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل فان قلت فاعل يأتي ما هو قلت الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله او يأتي ربك وتعضده قراءة من قرأ وما نؤخره بالنون وقوله بإذنه. ويجوز ان يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله تعالى هل ينظرون الا ان تأتيهم الساعة فان قلت بم انتصب الظرف قلت اما ان ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر واما بالانتهاء المحذوف في قوله الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم يأتي فان قلت فاذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لاتيان اليوم وحددت الشيء بنفسه قلت المراد اتيان هوله وشدائده «لا تكلم» لا تتكلم وهو نظير قوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن فان قلت كيف يوفق بين هذا وبين قوله يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون قلت ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون عن انفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على افواههم وتتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم «فمنهم» الضمير لاهل الموقف ولم يذكروا لان ذلك معلوم ولان قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس «شقي» الذي وجبت له النار لاساءته «وسعيد» الذي وجبت له الجنة لاحسانه. وقرأ العامة بفتح الشين. وقرئ الحسن شقوا بالضم كما قرئ سعدوا «الزفير» اخراج النفس «والشهيق» رده. قال الشماخ يصف حمارا:

بعيد مدى التطريب اول صوته ... زفير ويتلوه شهيق محشرج

«ما دامت السموات والارض» فيه وجهان احدهما ان يراد سموات الآخرة وارضها وهي دائمة مخلوقة للابد. والدليل على ان لها سموات وارضا قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله تعالى واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء. ولانه لا بد لاهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم اما سماء يخلقها الله او يظلهم العرش. وكل ما اظلك فهو سماء. والثاني ان يكون عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع كقول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد فان قلت ما معنى الاستثناء في قوله الا ما شاء ربك وقد ثبت خلود اهل الجنة والنار في الابد من غير استثناء قلت هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك ان اهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم واهانته اياهم. وكذلك اهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها واجل موقعا وهو رضوان الله تعالى كما قال تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر. ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو وهو المراد بالاستثناء. والدليل عليه قوله تعالى عطاء غير مجذوذ. ومعنى قوله في مقابلته ان ربك فعال لما يريد انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتأمله فان القرآن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول المجبرة ان المراد بالاستثناء خروج اهل الكبائر من النار بالشفاعة فان الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم. وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا. وقد بلغني ان من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد ان الكفار لا يخلدون في النار. وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على ان نغفل عنه. ولئن صح هذا عن ابن العاص فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها. واقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن ابي طالب رضوان الله عليه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث «غير مجذوذ» غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله لهم اجر غير ممنون «مما يعبد هؤلاء» فقص قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما اعد لهم من عذابه قال «فلا تك في مرية» مما يعبد هؤلاء فلا تشك بعد ما انزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال «ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم» يريد ان حالهم في الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالين. وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزل بهم مثله. وهو استئناف معناه تعليل النهي عن المرية. وما في مما وكما يجوز ان تكون مصدرية وموصولة اي من عبادتهم وكعبادتهم او مما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها «وانا لموفوهم نصيبهم» اي حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم انصباءهم فان قلت كيف نصب «غير منقوص» حالا عن النصيب الموفى قلت يجوز ان يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا «فاختلف فيه» آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن «ولولا كلمة» يعني كلمة الانظار الى يوم القيامة «لقضي بينهم» بين قوم موسى او قومك وهذه من جملة التسلية ايضا «وان كلا» التنوين عوض من المضاف اليه يعني وان كلهم وان جميع المختلفين فيه «ليوفينهم» جواب قسم محذوف واللام في لما

موطئة للقسم، وما مزيدة. والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود. وقرئ وان كلا بالتخفيف على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل. وقرئ وان كلا لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا. وقراءة عبد الله مفسرة لها وان كل الا ليوفينهم. وقرئ الزهري وسليمان بن ارقم وان كلا لما ليوفينهم بالتنوين كقوله اكلا لما. والمعنى وان كلا ملومين بمعنى مجموعين كانه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون **كما امرت** فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي امرت بها على جادة الحق غير عادل عنها. **ومن تاب معك** معطوف على المستتر في استقم وانما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه. والمعنى فاستقم انت وليستقم من تاب من الكفر وامن معك **ولا تطغوا** ولا تخرجوا عن حدود الله **انه بما تعملون بصير** عالم فهو مجازيكم به فاتقوه. وعن ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القران اية كانت اشد ولا اشق عليه من هذه الاية. ولهذا قال شيبتني هود والواقعة واخواتها. وروي ان اصحابه قالوا له لقد اسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود. وعن بعضهم رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها اقصص الانبياء وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت. وعن جعفر الصادق رضي الله عنه فاستقم كما امرت قال افتقر الى الله بصحة العزم. وقرئ ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء. وعن ابي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة الا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم. ونحوه قراءة من قرا فتمسكم النار بكسر التاء. وقرئ ابن ابي عبلة ولا تركنوا ولا تركنوا على البناء للمفعول من اركنه اذا اماله. والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم. وتامل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير. وقوله الى الذين ظلموا اي الى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين. وحكي ان الموفق صلى خلف الامام فقرا بهذه الاية فغشي عليه فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم. وعن الحسن جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا. ولما خالط الزهري السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك ابا بكر فقد اصبحت من الفتن بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه. واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك انست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك. اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام. وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك. وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا. وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه. ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت **وما لكم من دون الله من اولياء** حال من قوله فتمسكم النار اي فتمسكم النار وانتم على هذه الحال ومعناه وما لكم من دون الله من انصار يقدرون على منعكم من عذابه لا يقدر على منعكم منه غيره **ثم لا تنصرون** ثم لا ينصركم هو لانه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الابقاء عليكم **فان قلت** فما معنى ثم **قلت** معناها الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له **طرفي النهار** غدوة وعشية **وزلفا من الليل** وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من اخر النهار من ازلفه اذا قربه وازلف اليه وصلاة الغدوة الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء. وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك اقمت عنده جميع النهار واتيته نصف النهار واوله واخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه. وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم في ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو يسر في يسر والزلفى بمعنى الزلفة كما ان القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من اخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير ان تعطف على الصلاة اي اقم الصلاة طرفي النهار واقم زلفا من الليل على معنى واقم صلوات تتقرب بها الى الله عز وجل في بعض الليل **ان الحسنات يذهبن السيئات** فيه وجهان احدهما ان يراد تكفير الصغائر بالطاعات. وفي الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر. والثاني ان الحسنات يذهبن السيئات بان تكون لطفا في تركها كقوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر. وقيل نزلت في ابي اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع التمر فاتته امراة فاعجبته فقال لها ان في البيت اجود من هذا التمر فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت. وروي انه اتى ابا بكر فاخبره فقال استر على نفسك وتب الى الله فاتى عمر فقال له مثل ذلك ثم اتى الرسول صلى الله عليه وسلم فنزلت. فقال اعمر هذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة. وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له توضا وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات **ذلك** اشارة الى قوله فاستقم فما بعده **ذكرى للذاكرين** عظة للمتعظين. ثم كر الى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة للتذكير وهذا هو الكرور لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كانه قال وعليك بما هو اهم مما ذكرت به واحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به **فان الله لا يضيع اجر المحسنين** جاء بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون الى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات **فلولا كان من القرون** فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا في القران فمعناها هلا الا التي في الصافات وما صحت هذه الحكاية ففي غير الصافات

لولا

لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء ولولا رجال مؤمنون ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم **اولوا بقية** اولوا فضل وخير وسمي الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة ان تذنبوا ثم تاتيني بقيتكم. ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا. ويجوز ان تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم ذوو بقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه. وقرئ اولوا بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره. ومنه بقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والبقية المرة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم اولوا مراقبة وخشية من انتقام الله كانهم ينتظرون ايقاعه عز وجل بهم لاشفاقهم **الا قليلا** استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي. ومن في ممن انجينا حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هي للناهين وحدهم بدليل قوله عز وجل انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا **فان قلت** هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه **قلت** ان جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد الا القليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرا قومك القران الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القران. وان قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد الا القليل من الناجين معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان في القرون اولوا بقية الا قليلا كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على اصل الاستثناء وان كان الافصح ان يرتفع على البدل **واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه** اراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات اي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه من التنعم والترفه من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهني ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم. وقرئ ابو عمرو في رواية الجعفي واتبع الذين ظلموا يعني واتبعوا جزاء ما اترفوا فيه. ويجوز ان يكون المعنى في القراءة المشهورة انهم اتبعوا جزاء اترافهم وهذا معنى قوي لتقدم الانجاء كانه قيل الا قليلا ممن انجينا منهم وهلك السائرون **فان قلت** علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا **قلت** ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزاء الاتراف فالواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم. فان قلت فقوله وكانوا مجرمين على ما يعطف. اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالاثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر. او على اتبعوا اي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك. ويجوز ان يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم قوم مجرمون **وما كان ربك ليهلك القرى** واستحال والام لتاكيد النفي. وبظلم حال من الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة ان يهلك الله القرى ظالما لها **واهلها قوم مصلحون** تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين من الظلم. وقيل الظلم الشرك. ومعناه انه لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم فلا يضمون الى شركهم فسادا اخر **ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة** يعني لاضطرهم الى ان يكونوا اهل امة واحدة اي ملة واحدة وهي ملة الاسلام كقوله ان هذه امتكم امة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال ولا يزالون مختلفين. الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ولذلك خلقهم **ذلك** اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه يعني ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل لسوء اختياره **وتمت كلمة ربك** وهي قوله للملائكة لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين لعلمه بكثرة من يختار الباطل **وكلا** التنوين فيه عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل نبا نقص عليك ومن انباء الرسل نخبرك به **وما نثبت به** بدل من كلا. ويجوز ان يكون المعنى وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك يعني على الاساليب المختلفة وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمانينة قلبه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم **وجاءك** في هذه الحق اي في هذه السورة او في هذه الانباء المقتصة فيها ما هو حق **وموعظة وذكرى وقل للذين لا يؤمنون** من اهل مكة وغيرهم **اعملوا** على حالكم وجهتكم التي انتم عليها انا عاملون **وانتظروا** بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة باشباهكم **ولله غيب السموات والارض** لا تخفى عليه خافية مما يجري فيهما فلا تخفى عليه اعمالكم **واليه يرجع الامر كله** فلا بد ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم **فاعبده وتوكل عليه** فانه كافيك وكافلك **وما ربك بغافل عما تعملون**. وقرئ بالتاء اي انت وهم على تغليب المخاطب. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله

سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

تلك اشارة الى ايات السورة **والكتاب المبين** اي تلك الايات التي انزلت اليك في هذه السورة ايات السورة الظاهر امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم او قد ابين فيها ما سالت عنه اليهود من قصة يوسف. فقد روي ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل ال يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف **انا انزلناه** انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه قرانا عربيا وسمي بعض القران قرانا لان القران اسم جنس يقع على كله وبعضه **لعلكم تعقلون** ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته **القصص** على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا كقولك شله يشله شللا اذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب ونحوه النبا والخبر في معنى المنبا به والمخبر به ويجوز ان يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد فان اريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك احسن الاقتصاص بما اوحينا اليك هذا القران اي بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون احسن

منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه ويكون المقصوص محذوفا لان قوله بما اوحينا اليك هذا القران مغن عنه ويجوز ان ينتصب هذا القران بنقص كانه قيل نحن نقص عليك احسن الاقتصاص هذا القران بايحائنا اليك والمراد باحسن الاقتصاص انه اقتص على ابدع طريقة واعجب اسلوب الا ترى ان هذا الحديث مقتص في كتب الاولين وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتبهما مقاربا لاقتصاصه في القران وان اريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك احسن ما يقص من الاحاديث وانما كان احسنه لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها والظاهر انه احسن ما يقتص في بابه كما يقال في الرجل هو افضل الناس واعلمهم يراد في فنه فان قلت مما اشتقاق القصص قلت من قص اثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القران اذا قراه لانه يتلو اي يتبع ما حفظ منه اية بعد اية • وان كنت • مخففة من الثقيلة واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية والضمير في قبله راجع الى قوله اوحينا • والمعنى وان الشان والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الغافلين عنه • اي من الجاهلين به اي ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه اذ قال يوسف بدل من احسن القصص وهو من بدل الاشتمال لان الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص فاذا قص وقته فقد قص • او باضمار اذكر • ويوسف اسم عبراني وقيل عربي • وليس بصحيح لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب اخر سوى التعريف فان قلت فما تقول فيمن قرا يوسف بكسر السين او يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته ان يقال هو عربي لانه على وزن المضارع المبني للفاعل او المفعول من آسف وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل • قلت لا لان القراءة المشهورة قامت بالشهادة على ان الكلمة اعجمية فلا تكون عربية تارة واعجمية اخرى • ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلاث ولا يقال هو عربي لانه في لغتين منها بوزن المضارع من آنس وأونس • وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قيل من الكريم فقولوا الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم • يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم • يا ابت قرئ بالحركات الثلاث فان قلت ما هذه التاء • قلت تاء تانيث وقعت عوضا من ياء الاضافة • قلت لان تاء التانيث والاضافة يتناسبان في ان كل واحدة منهما زيادة مضمومة الى الاسم في اخره • فان قلت فما هذه الكسرة • قلت هي الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك يا ابي قد زحلقت الى التاء لاقتضاء تاء التانيث ان يكون ما قبلها مفتوحا فان قلت فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء وبقيت التاء ساكنة • قلت امتنع ذلك فيها لانها اسم والاسماء حقها التحريك لاصالتها في الاعراب • وانما جاز تسكين الياء واصلها ان تحرك تخفيفا لانها حرف لين واما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها • فان قلت يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لانها في حكم الياء اذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا ابتي لا يجوز يا ابت • قلت الياء والكسرة قبلها شيئان والتاء عوض من احد الشيئين وهو الياء والكسرة غير متعرض لها فلا يجمع بين العوض والمعوض منه الا اذا جمع بين التاء والياء لا غير الا ترى الى قولهم يا ابتا مع كون الالف فيه بدلا من الياء كيف جاز الجمع بينها وبين التاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالكسرة ابعد من ذلك • فان قلت فقد دلت الكسرة في يا غلام على الاضافة لانها قرينة الياء ولصيقتها فان دلت على مثل ذلك في يا ابت فالتاء المعوضة لغو ووجودها كعدمها • قلت بل حالها مع التاء كحالها مع الياء اذا قلت يا ابي • فان قلت فما وجه من قرئ بفتح التاء وضمها قلت اما من فتح فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء في يا غلام ويجوز ان يقال حركها بحركة الياء المعوض منها في قولك يا ابي • واما من ضم فقد راى اسما في اخره تاء تانيث فاجراه مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء فقال يا ابت كما تقول يا ابة من غير اعتبار لكونها عوضا من ياء الاضافة • وقرئ اني رايت بتحريك الياء واحد عشر بسكون العين تخفيفا لتوالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وكذلك الى تسعة عشر الا اثني عشر لئلا يلتقي ساكنان • ورايت من الرؤيا لا من الرؤية لان ما ذكره معلوم انه منام لان الشمس والقمر مع الكواكب لو اجتمعا ليوسف ساجدة في حال اليقظة لكانت اية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس • فان قلت فما اسماء تلك الكواكب • قلت روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه ان يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني ... فنزل جبريل واخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان • والطارق • والذيال • وقابس • وعمودان • والفليق • والمصبح • والضروح • والفرغ • ووثاب • وذو الكتفين • راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء تسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها • وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته • وعن وهب ان يوسف عليه السلام راى وهو ابن سبع سنين ان احد عشر عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون • فان قلت لم اخر الشمس والقمر • قلت اخرهما لتعظيمهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك • ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع اي رايت الكواكب مع الشمس والقمر • فان قلت ما معنى تكرار رايت • قلت ليس بتكرار انما هو كلام مستانف على تقدير سؤال وقع جوابا له كان يعقوب عليه السلام قال له عند قوله اني رايت احد عشر كوكبا كيف رايتها سائلا عن حال رؤيتها فقال رايتهم لي ساجدين • فان قلت فلم اجريت مجرى العقلاء في رايتهم لي ساجدين • قلت لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود اجرى عليها حكمهم كانها عاقلة وهذا كثير شائع في كلامهم ان يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه فيعطى حكما من احكامه اظهارا لاثر الملابسة والمقارنة • عرف يعقوب عليه السلام دلالة الرؤيا على ان يوسف يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل باباءه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم • والرؤيا بمعنى الرؤية الا انها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث كما قيل القربة والقربى • وقرئ رياك بقلب الهمزة واوا • وسمع الكسائي رياك وريّاك بالادغام وضم الراء وكسرها وهي ضعيفة لان الواو في تقدير الهمزة فلا يقوى ادغامها كما لم يقو الادغام في قولهم اتزر من الازار • واتجر من الاجر • فيكيدوا منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك • فان قلت هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدوني • قلت ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون اكد وابلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك الا ترى

الى

كيدا تاكيد بالمصدر عدو مبين ظاهر العداوة كما فعل بادم وحوى • وكقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فهو يحمل على الحسد والمكر وكل شيء ليورط من يحمله ولا يؤمن ان يحملهم على مثله • وكذلك ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك يعني وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شان كذلك يجتبيك لامور عظام • ويعلمك كلام مستانف غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك • ويتم نعمته عليك • والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء في الحوض جمعته • والاحاديث الرؤيا لان الرؤيا اما حديث نفس او ملك او شيطان • وتاويلها عبارتها وتفسيرها • وكان يوسف اعلم اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها • ويجوز ان يراد بتاويل الاحاديث معاني كتب الله عز وجل وسنن الانبياء وما غمض واشتبه على الناس من اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها • وسميت احاديث لانه يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله • وقال الرسول كذا وكذا • الا ترى الى قوله فباي حديث بعده يؤمنون • الله نزل احسن الحديث وهو اسم جمع للحديث • وليس بجمع احدوثة • ومعنى اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الاخرة بان جعلهم انبياء في الدنيا وملوكا في الاخرة ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة • وقيل اتمها على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد • وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه • وقيل علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته انبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى ال يعقوب • وقيل لما بلغت الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان تسجد له اخوته حتى تسجد له ابواه • وقيل كان يعقوب مؤثرا له بزيادة المحبة والشفقة لصغره • ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة فكان يضمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد • وقيل لما قص رؤياه على يعقوب قال له هذا امر متشتت يجمعه الله لك بعد دهر طويل • وال الرجل اهله وهم نسله وغيرهم واصل ال اهل بدليل تصغيره على اهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال ال النبي وال الملك • ولا يقال ال الحائك ولا ال الحجام ولكن اهلهما • واراد بالابوين الجد وابا الجد لانهما في حكم الاب في الاصالة • ومن ثم يقولون ابن فلان وان كان بينه وبين فلان عدة • وابرهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم يعلم من يحق له الاجتباء حكيم لا يتم نعمته الا على من يستحقها في يوسف واخوته ايات في قصتهم وحديثهم ايات علامات ودلائل على حكمة الله وقدرته في كل شيء • للسائلين لمن سال عن قصتهم وعرفها • وقيل ايات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم • للذين سالوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب • وقرئ اية • وفي بعض المصاحف عبرة • وقيل انما قص الله على النبي صلى الله عليه وسلم خبر يوسف وبغي اخوته عليه لما راى من بغي قومه عليه ليتاسى به • وقيل اسماؤهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وربالون ويشجر ودينة ودان ونفتالي وجاد واشر • السبعة الاولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والاربعة الاخرون من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف ليوسف اللام للابتداء وفيها تاكيد وتحقيق لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه واخوه هو بنيامين وانما قالوا اخوه وهم جميعا اخوته لان امهما كانت واحدة • وقيل احب في الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث اذا كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا اضيف جاز الامران • والواو في ونحن عصبة واو الحال يعني انه يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة • ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما ان ابانا لفي ضلال مبين اي لفي ذهاب عن طريق الصواب في ذلك والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور ويستكفون النوائب • وروى النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة • وعن ابن الانباري هذا كما تقول العرب انما العامري عمته اي يتعهد عمته اقتلوا يوسف من جملة ما حكى بعد قوله اذ قالوا كانهم اطبقوا على ذلك الامر الا من قال لا تقتلوا يوسف • وقيل الامر بالقتل شمعون • وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا امرين اطرحوه ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها من الوصف ولابهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم يقبل عليكم اقبالة واحدة ولا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم اياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا اقبل على الشيء اقبل بوجهه ويجوز ان يراد بالوجه الذات كما قيل ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام • وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل بيوسف من بعده من بعد يوسف اي من بعد كفايته بالقتل او التغريب او يرجع الضمير الى مصدر اقتلوا او اطرحوا وتكونوا قوما صالحين تائبين الى الله مما جنيتم عليه او يصلح ما بينكم وبين ابيكم بعذر تمهدونه • او تصلح دنياكم وتنتظم اموركم بعده بخلو وجه ابيكم وتكونوا اما جزم عطفا على يخل لكم او نصب باضمار ان والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق قال قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلن ابرح الارض قال لهم القتل عظيم • القوه في غيابات الجب • وهو غوره وما غاب منه عن عين الناظر واظلم من اسفله قال المنخل اني اذا انا غيبتني غيابتي [illegible] اراد غيابة حفرته التي يدفن فيها • وقرئ غيابات على الجمع • وغيابات بالتشديد • وقرئ في الجب جبة • والجب البئر لم تطو لان الارض تجب جبا لا غير • يلتقطه ياخذه بعض السيارة بعض الاقوام الذين يسيرون في الطريق • وقرئ تلتقطه بالتاء على المعنى لان بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم • ومنه ذهبت بعض اصابعه ان كنتم فاعلين ان كنتم على ان تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الراي ما لك لا تامنا على يوسف قرئ باظهار النونين وبالادغام باشمام وبغير اشمام • وتيمنا بكسر التاء مع الادغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجد منا في بابه ما يدل على خلاف النصيحة والمقة واراد بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رايه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على انه احس منهم بما اوجب ان لا يامنهم عليه • يرتع يتسع في اكل الفواكه وغيرها واصل الرتعة الخصب والسعة • وقرئ نرتع من ارتعى يرتعي • وقرئ يرتع ويلعب بالياء • ويرتع من ارتع ماشيته • وقرئ العلاء بن سيابة

يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء فان قلت كيف استجاز لهم يعقوب عليه السلام اللعب قلت كان لعبهم
الاستباق والانتضال ليتمرنوا بما يحتاج اليه لقتال العدو لا للهو بدليل قوله انا ذهبنا نستبق وانما سموه
لعبا لانه في صورته ليحزنني اللام لام الابتدا كقوله ان ربك ليحكم بينهم ودخولها احد ما ذكره سيبويه من شبهي
المضارع اعتذر لهم بشيئين احدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني
خوفه عليه من عدوة الذيب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او قل به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم
وقيل راى في المنام ان الذيب قد شد على يوسف وكان يحذره من ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفي امثالهم البلا
موكل بالمنطق وقرى الذيب بالهمزة على الاصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا اتت من كل جهة
العشر محذوف تقديره والله لان اكله الذيب واللام موطية للقسم وقوله انا اذا لخاسرون جواب للقسم مجزي
عن الجزا جزا الشرط والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا له لان كان ما خافه من خطفة الذيب اخاهم من بينهم
وحالهم انهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انا اذا لخاسرون اي هالكون ضعفا
وخورا وعجزا او مستحقون لان يهلكوا لانه لا غنا عندهم ولا جدوى في حياتهم او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار
والدمار وان يقال خسرهم الله ودمرهم حين اكل الذيب بعضهم وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ
بعضنا فقد اهلكت مواشينا اذن وخسرناها فان قلت قد اعتذر اليهم بعذرين فلم اجابوه عن احدهما دون
الاخر قلت هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الامرين فاعاروه اذانا صما ولم يعبأوا به ان يجعلوه مفعول اجمعوا
من قولك اجمع الامر وازمعه فاجمعوا امركم وفي غيابات الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بئر بارض الاردن
وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا به
من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث
بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك
اولاد الاما فقال يهوذا اما اعطيتموني موثقا الا تقتلوه فلما ارادوا القاه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها
من يده فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به وانما
نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك ودلوه
في البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ما فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فناداه
اخوته فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه بصخرة ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا ياتيه بالطعام وروي
ان ابرهيم حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم
الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاه جبريل فاخرجه والبسه اياه
واوحينا اليه قيل اوحى اليه في الصغر كما اوحى الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا وعن الحسن كان له
سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا وانما اوحي اليه ليونسه في الظلمة والوحشة ويبشره بما يؤول اليه امره ومعناه
لتتخلصن مما انت فيه ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وكبريا سلطانك وبعد
حالك عن اوهامهم ولطول العهد المبدل للهيات والاشكال وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم
وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ
من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله
الذيب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بقوله واوحينا على انا انسناه بالوحي وازلنا
عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون انه مستوحش لا انيس له وقرى لننبئنهم بالنون
على انه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وعن الحسن عشيا على تصغير عشي يقال
لقيته عشيا وعشيانا واصيلا واصيلانا وقرا ابن جني عشى بضم العين والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكا
يبكون روي ان امراة حاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبي يا ابا امية اما تراها تبكي فقال قد جا اخوة يوسف
يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر به ان يقضي به من السنة المرضية وروي انه لما سمع
صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شي قالوا لا قال فما لكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا
نستبق اي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتما والترامي وغيرهما والمعنى
نتسابق في العدو او في الرمي وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من
اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سي الظن بنا غير واثق بقولنا بدم كذب ذي كذب
او وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته
او كذبا فعني به جود وانتم به بخلاه وقرئ كذبا نصبا على الحال بمعنى جاءوا به كاذبين وقال ابن جني اصله من الكدب
وقرات عائشة كدب بالدال غير المعجمة اي كدر وقيل طري وقال ابن جني اصله من الكدب
وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه وروي انهم ذبحوا سخلة
ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروي ان يعقوب لما سمع
بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم
القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذيبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قيل كان في قميص
يوسف ثلاث ايات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براة يوسف
حين قد من دبره قال بل سولت محله النصب على الظرف قيل وجاوا فوق قميصه بدم كما
تقول جا على جماله باحمال وفيه هل يجوز ان يكون حالا متقدمه قلت لا لان حال المجرور لا يتقدم عليه
سولت سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه من يوسف وهو
في اعينكم صغير استدل على فعلهم به لما كان يعرف من حسدهم وسلامة قميصه او اوحي اليه انهم
فصبر جميل خبر او مبتدا لكونه موصوفا اي فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل وفي قراءة ابي فصبرا جميلا
والصبر الجميل جا في الحديث المرفوع انه الذي لا شكوى فيه ومعناه لا اشكو فيه الى الخلق الا ترى الى قوله انما اشكو

بثي

وحزني الى الله وقيل لا اعانيه بشكوى على كآبة الوجه بل الى الله وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه
فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني
فقال يا رب خطيئة فاغفرها لي والله المستعان على ما تصفون اي استعينه على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر
على الرزية فيه وجاءت سيارة رفقة يسيرون من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلاثة ايام من القا يوسف في الجب فاخطاوا الطريق
فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماوه ملحا فعذب حين القي فيه
يوسف علم فارسلوا واردهم فقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الما والوارد الذي يرد الما ليستقي للقوم
يا بشرى نادى البشرى كانه يقول تعالي فهذا من اوانك وقرى يا بشراي على اضافتها الى نفسه وفي رواية ورش عن
يا بشري بالياء مكان الالف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل يا الاضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعت اهل السرو
يقولون في دعايهم يا سيدي ويا مولي وعن نافع يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقا الساكنين
على غير حده الا ان يقصد الوقف قيل لما ادلى دلوه اي ارسلها في الجب تعلق يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو
بغلام احسن ما يكون فقال يا بشراي هذا غلام وقيل ذهب فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به واسروه
اي الوارد واصحابه اخفوه من الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الما لنبيعه
لهم بمصر وعن ابن عباس ان الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا
وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال
للتجارة اي قطع والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او هو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم
اي والله عليم بما يعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع وشروه وباعوه بثمن بخس مبخوس
ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا او زيف ناقص العيار دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن
لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدون ما دونها وقيل للقليلة معدودة لان
الكثير يمنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدي اثنين وعشرين درهما
وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشي متهاون به لا
يبالي بما باعه ولانه يخاف ان يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من اول مساوم باوكس ثمن ويجوز
ان يكون معنى وشروه اشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا انه ابق فخافوا
ان يخطروا بما لهم فيه ويروى ان اخوته اتبعوهم يقولون لهم استوثقوا منه لا يابق وفيه ليس من صلة الزاهدين
لان الصلة لا تتقدم على الموصول الا اذا كان ظرفا لا تقول وكانوا زيدا من الضاربين وانما هو بيان كانه قيل في اي شي زهدوا
فقال زهدوا فيه وقال الذي اشتراه من مصر قيل هو قطفير او اطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ
الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد امن بيوسف ومات في حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه
يوسف الى الاسلام فابى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره
ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة واتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن ماية
وعشرين سنة وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عاش اربعماية سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل
بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل
وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه
قطفير بذلك المبلغ لامراته اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربي احسن مثواي
والمراد تفقده بالاحسان والتعهد بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال
للرجل كيف ابو مثواك وام مثواك لمن ينزل به من رجل او امراة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل
يراعي حق نزولك به واللام في لامراته متعلقة بقال لا باشتراه عسى ان ينفعنا لعله اذا تدرب
وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به على ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وامانته او نتبناه نقيمه
مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له ولعله تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل افرس الناس ثلاثة
العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا والمراة التي اتت موسى وقالت لابيها
يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر وروي انه ساله عن نسبه فاخبره بنسبه فعرفه وكذلك
الاشارة الى ما تقدم من انجائه وعطفنا عليه العزيز مكنا له في الارض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه
ولنعلمه من تاويل الاحاديث كان ذلك الانجا والتمكين لان غرضنا ليس الا ما تحمد عاقبته من علم وعمل والله غالب على امره
اي على امر نفسه لا يمنع عما يشا ولا ينازع فيما يريد ويقضي او على امر يوسف يدبره لا يكله الى غيره وقد اراد اخوته
به ما ارادوا ولم يكن الا ما اراده الله ودبره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله ولما بلغ اشده قيل في الاشد ثماني عشرة
سنة وعشرون وثلاث وثلاثون واربعون وقيل اقصاه اثنتان وستون اتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل
واجتناب ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان
امره وان الله اتاه الحكم والعلم جزا على احسانه وعن الحسن من احسن عبادة ربه في شبيبته اتاه الله الحكمة
في اكتهاله وراودته مفاعلة من راد يرود اذا جا وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع
لصاحبه عن الشي الذي لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه وياخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته
اياها وغلقت الابواب قيل كانت سبعة وقالت هيت لك اي اقبل وبادر ورناه كينا اين وغيظ
وهيت كجير وهيت كحيث وهيت بمعنى تهيات تقال هاه يهيء كجا يجي اذا تهيا وهيت لك واللام من صلة الفعل
واما في الاصوات فللبيان كانه قيل لك اقول هذا كما تقول هلم لك قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان
الشان والحديث ربي سيدي ومالكي قطفير احسن مثواي حين قال لك اكرمي مثواه فما جزاوه ان اخلفه في
اهله سو الخلافة واخونه فيهما انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الحسن بالسي وقيل اراد الزناة فانهم ظالمون
انفسهم وقيل اراد الله تعالى لانه مسبب الاسباب ولقد همت به وهم بها قصد مخالطتها وعزم عليها فالهم بالامر اذا قصده
همت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلايله ومنه قولك لا افعل ذلك ولا كيدا ولا هما اي ولا اكاد ان افعله

لبدا ولا أهم بفعل همّا خيار سمو به ومنه الهمام وهو الذي اذا همّ بأمر امضاه ولم ينكل عنه ويقول
ولقد همت به معناه همت بمخالطته وهمّ بها وهمّ بمخالطتها لولا أن رأى برهان ربه جوابه محذوف
تقديره لولا أن رأى برهان ربه لخالطها وحذف لأن قوله وهمّ بها يدل عليه كقولك هممت بقتله لولا أني
خفت الله معناه لولا أني خفت الله لقتلته فإن قلت كيف جاز على نبي الله أن يكون منه همّ بالمعصية وقصد إليها
قلت المراد أن نفسه مالت الى المخالطة ونازعته اليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه
الهم به والقصد اليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده
بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى
همّا لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع لأن استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم
الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بأنه من عباده المخلصين ويجوز أن يريد بقوله
وهمّ بها وشارف أن يهم بها كما يقول قتلته لو لم أخف الله تريد مشارفة القتل ومشافهته كأنه
شرع فيه وقيل وهمّ بها داخل تحت حكم القسم في قوله ولقد همت به أم خارج منه قلت الامران
جائزان ومن حق القاري اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه أن يقف على قوله ولقد همت به
ويبتدي قوله وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه وفيه أيضا إشعار بالفرق بين الهمين فإن قلت لم جعلت جواب
لولا محذوفا يدل عليه وهمّ بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما قلت لأن لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل
انه في حكم الشرط وللشرط صدر الكلام وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض
الكلمة على بعض وأما حذف بعضها اذا دل الدليل عليه فجائز فإن قلت فلم جعلت لولا متعلقة بهمّ بها وحده
ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهمّ بها لأن الهمّ لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد
من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون الا بين اثنين معا فكأنه قيل ولقد همّا بالمخالطة لولا أن منع
مانع أحدهما قلت نعم ما قلت ولكن الله سبحانه قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به
وهمّ بها فكان اغفاله الحالة توجب أن يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهمّ بمخالطتها على أن المراد
بالمخالطة توصلها الى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله الى ما هو حظه من قضاء شهوته منها
لولا أن رأى برهان ربه فترك التوصل الى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بأن تعلق بهمّ بها وحده
وقد فسّر همّ يوسف بأنه حلّ الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبأنه حلّ تكة سراويله وقعد بين شعبها
الأربع وهي مستلقية على قفاها وفسّر البرهان بأنه سمع صوتا إياك وإياها فلم يكترث له فسمعه
ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا أعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على أنملته وقيل
ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من أنامله وقيل كل ولد يعقوب ولد له اثنا عشر ولدا الا يوسف
فإنه ولد له أحد عشر ولدا من أجل ما نقص من شهوته حين همّ وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر
كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وإن
عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته
ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة
فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء وقيل رأى تمثال العزيز
وقيل قامت المرأة الى صنم كان هناك فسترته وقالت أستحيي أن يرانا فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع
ولا يبصر ولا أستحيي من السميع البصير العليم بذات الصدور وهذا ونحوه مما يورده أهل الحشو
والجبر الذين دينهم بهت الله وأنبيائه وأهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالتهم ورواياتهم بسبيل
بحمد الله ولو وجدت من يوسف عليه السلام أدنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على آدم زلته
وعلى داود وعلى نوح وعلى أيوب وعلى ذي النون وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد أثني عليه وسمي مخلصا
فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام الدحض وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولي العزم ناظرا في
دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء فيما أنزل من كتب الأولين ثم في القرآن الذي
هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر الا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل
له لسان صدق في الآخرين كما جعله لجده الخليل ابراهيم وليقتدي به الصالحون الى آخر الدهر في العفة
وطيب الإزار والتثبت في مواقف العثار فأخزى الله أولئك في ايرادهم ما يؤدي الى أن يكون انزال
الله السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدي بنبي من أنبياء الله في القعود بين
شعب الزانية وفي حل تكته للوقوع عليها وفي أن ينهاه ربه ثلاث كرات ويصاح به من عنده ثلاث
صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه
حين سفد غير أنثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل وبإجباره
ولو أن أوقح الزناة وأشطرهم وأحدّهم حدقة وأجلحهم وجها لقي بأدنى ما لقي به مما
ذكروا لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك فيا له من مذهب ما أفحشه ومن ضلال ما أبينه كذلك
الكاف منصوب المحل أي مثل ذلك التثبيت ثبتناه أو مرفوعه أي الأمر مثل ذلك لنصرف عنه السوء من خيانة
السيد والفحشاء من الزنى انه من عبادنا المخلصين الذين أخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين
أخلصهم الله لطاعته بأن عصمهم ويجوز أن يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر
لشهوة ونحو ذلك وقوله من عبادنا معناه بعض عبادنا أي هو مخلص من جملة المخلصين أو هو ناشئ
منهم لأنه من ذرية ابراهيم الذين قال فيهم انا أخلصناهم بخالصة واستبقا الباب وتسابقا الى الباب
على حذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه أو على تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر
منها يوسف فأسرع يريد الباب ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج فإن قلت كيف وحد الباب

ورجعه

وبجمعهم

وقد جمعه في قوله وغلقت الأبواب قلت اراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص من العار فقد روى كعب
انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الأبواب وقدّت قميصه من دبر اجتذبته
من خلفه فانقد أي انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه وألفيا سيدها وصادفا بعلها وهو قطفير
تقول المرأة لبعلها سيدي وقيل انما لم يقل سيدهما لأن ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على الحقيقة
قيل ألفياه مقبلا يريد أن يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمرأة لما طلع منها سيدها على تلك الهيئة المريبة وهي
مغتاظة على يوسف إذ لم يؤاتها جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة
والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في أن يواتيها خيفة من مكرها وكرها لما أيست من مواتاته طوعا ألا ترى
الى قولها وإن لم يفعل ما آمره ليسجنن وما نافية أي ليس جزاؤه الا السجن ويجوز أن تكون استفهامية
بمعنى أي شيء جزاؤه الا السجن كما تقول من في الدار الا زيد فإن قلت كيف لم تصرح في قولها بذكر يوسف وأنه أراد
بها سوءا قلت قصدت العموم وأن كل من أراد بأهلك سوءا فحقه أن يسجن أو يعذب لأن ذلك أبلغ فيما
قصدت من تخويف يوسف وقيل العذاب الأليم الضرب بالسياط ولما أغرت به وعرضته للسجن والعذاب
ووجب عليه الدفع عن نفسه قال هي راودتني عن نفسي ولولا ذلك لكتم عليها وشهد شاهد من أهلها وإنما ألقى الله
الشهادة على لسان من هو من أهلها ليكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف
وأنفى للتهمة عنه وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك
ويستشيره ويجوز أن يكون بعض أهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فأغضبه الله ليوسف بالشهادة
له والقيام بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم أربعة وهم صغار ابن
ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم فإن قلت لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة
قلت لما أدى مؤدى الشهادة في أن ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمي شهادة فإن قلت الجملة الشرطية كيف
جازت حكايتها بعد فعل الشهادة قلت لأنها قول من القول أو على إرادة القول كأنه قيل وشهد شاهد
فقال ان كان قميصه فإن قلت ان دل قد قميصه من دبر على أنها كاذبة وأنها هي التي تبعته واجتذبت ثوبه
اليها فقدته فمن أين دل قده من قبل على أنها صادقة وأنه كان تابعها قلت من وجهين أحدهما أنه اذا كان
تابعها وهي دافعته عن نفسها قدت قميصه بالدفع من قدامه والثاني أن يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم
قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره وأما
التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن أبي اسحق أنه قرأ من قبل ومن دبر
بالفتح كأنه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتأنيث وقرئ بسكون العين فإن قلت كيف جاز
الجمع بين إن الذي هو للاستقبال وبين كان قلت لأن المعنى أن يعلم أنه كان قميصه قد ونحوه كقولك
إن أحسنت إلي فقد أحسنت إليك من قبل لمن يمتن عليك بإحسانه تريد إن تمتن علي أمتن عليك فلما رأى
يعني قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها قال إنه إن قولك ما جزاء من أراد بأهلك سوءا أو إن هذا
الأمر وهو طمعها في يوسف من كيدكن الخطاب لها ولأمتها وإنما استعظم كيد النساء لأنه وإن كان في
الرجال إلا أن النساء ألطف كيدا وأنفذ حيلة ولهن في ذلك نيقة ورفق وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله
ومن شر النفاثات في العقد والقصريات من بينهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء إني
أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لأن الله تعالى يقول إن كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء إن كيدكن عظيم يوسف
حذف منه حرف النداء لأنه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله أعرض عن هذا الأمر
واكتمه ولا تحدث به واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ إذا أذنب
متعمدا وإنما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الإناث وما كان العزيز إلا رجلا حليما روي
أنه كان قليل الغيرة وقال نسوة وقال جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة
صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي
كتأنيث اللمة ولذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث وفيه لغتان كسر النون وضمها في المدينة مصر امرأة العزيز يريدن
قطفير والعزيز الملك بلسان العرب فتاها غلامها يقال فتاي وفتاتي أي غلامي وجاريتي شغفها خرق حبه شغاف
قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة
وقد حال همّ دون ذلك والج مكان الشغاف تبتغيه الأصابع وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير
إذا هنأه فأحرقه بالقطران قال أيقتلني وقد شعفت فؤادها كما شعف المهنوءة الرجل الطالي
وحبا نصب على التمييز في ضلال مبين في خطأ وبعد عن طريق الصواب بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن
وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتتها وسمي الاغتياب مكرا لأنه في خفية وحال غيبة
كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فأفشينه عليها أرسلت إليهن دعتهن قيل دعت
أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات وأعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهي
قعودهن متكئات والسكاكين في أيديهن أن يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن
على أيديهن فيقطعنها لأن المتكئ اذا بهت لشيء وقعت يده على يده ولا يبعد أن تقصد الجمع بين المكر بهن
وبهن تبضع الخناجر في أيديهن ليقطعن أيديهن فتبكتهن ويتهول يوسف من مكرها اذا خرج على
أربعين نسوة مجتمعات في أيديهن الخناجر توهمه أنهن يثبن عليه وقيل متكأ مجلس طعام لأنهم
كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهى صلى الله عليه وسلم أن يأكل الرجل متكئا
وآتتهن السكاكين ليقطعن بها ما يأكلن وقيل متكأ طعاما من قولك اتكأنا عند فلان طعمنا

على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عنده اتخذت له متكأ يتكئ عليه قال جميل ٥ وظللنا بنعمة واتكانا
وشربنا الحلال من قلله ٥ وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كان المعنى يعتمد بالسكين لان القاطع يعتمد على
المقطوع بالسكين • وقرئ متكا بغير همز • وعن الحسن متكاء بالمد كانه مفتعال وذلك لاشباع فتحة الكاف
كقوله بمنتزاح بمعنى بمنتزح وعنه يتباع بمعنى ينبع وقرئ متكا وهو الاترج وانشد ٥ فاهدت متكة لبني ابيها
تخب بها العثمثمة الوقاح ٥ وكانت اهدت اترجة على ناقة وكانها الاترجة التي ذكرها ابو داود في سننه •
انها شقت بنصفين وحملا كالعدلين على جمل وقيل الزماورد • وعن وهب اترجا وموزا وبطيخا وقيل
اعتدت لهن ما يقطع • من متك الشيء بمعنى بتكه اذا قطعه • وقرئ الاعرج متكأ مفعلا من تكئ يتكأ
اذا اتكى اكبرنه اعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفايق • وقيل كان فضل يوسف على الناس في
الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السما • وعن النبي صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التي عرج بي
الى السما فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رايته قال كالقمر ليلة البدر
وقيل كان يوسف اذا سار في ازقة مصر يرى تلالؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من السما عليها
وقيل ما كان احد يستطيع وصف يوسف • وقيل كان يشبه ادم يوم خلقه ربه • وقيل ورث
الجمال من جدته سارة • وقيل اكبرن بمعنى حضن والها للسكت يقال اكبرت المراة اذا حاضت
وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر وكان ابا الطيب اخذ
من هذا التفسير قوله ٥ خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ٥ فان لحت حاضت في الخدور العواتق ٥
وقطعن ايديهن جرحنها كما تقول كنت اقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه
في باب الاستثنا تقول اساء القوم حاشا زيد قال ٥ حاشا ابي ثوبان ان به ٥ ضنا عن الملحاة والشتم ٥
وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله • وهي
قراءة ابن مسعود على اضافة البراءة • ومن قرا حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كانه قال براءة ثم قال
لله لبيان من يبرأ وينزه والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراءة ابي السمال حاشا لله بالتنوين • وقراءة
ابي عمرو وحاش لله بحذف الالف الاخرة وقرئ الاعمش حاشا الله بحذف الالف الاولى وقرئ حاش لله بسكون
الشين على ان الفتحة اتبعت الالف في الاسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقا الساكنين على غير حده وقرئ حاشا
الاله فان قلت فلم جاز في حاشا لله ان لا ينون بعد اجرايه مجرى براءة الله قلت مراعاة لاصله الذي هو الحرفية
الا ترى الى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على اصله وعلى في قوله غدت من عليه منقلب
الالف الى اليا مع الضمير والمعنى تنزيه الله سبحانه من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله
واما قوله حاشا لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما هذا بشرا نفين عنه
البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور واثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم وذلك
لان الله عز وجل ركز في الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك
يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيها الا لان الحقيقة كذلك كما ركز في الطباع ان لا ادخل
في الشر من الشيطان • ولا اجمع للخير من الملك الا ما عليه الفئة الخاسئة المجبرة من تفضيل الانسان
على الملك وما هو الا من تعكيسهم للحقايق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب • واعمال
ما عمل ليس هي اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القرآن • ومنها قوله ما هن امهاتهم • ومن قرئ على سليقته
من بني تميم قرئ بشر بالرفع وهي قراءة ابن مسعود • ما هذا بشرا اي ما هو بعبد مملوك لئيم ان هذا
الا ملك كريم تقول هذا بشرى اي حاصل • وقرئ بشرى بمعنى هذا مشترى وتقول هذا لك بشرى ام بكرى
والقراءة هي الاولى لموافقتها المصحف ومطابقة بشر لملك قالت فذلكن لم تقل فهذا وهو حاضر رفعا
لمنزلته في الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن به وربا بحاله واستبعادا لمحله ويجوز ان يكون اشارة الى
المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني
فيه يعني انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به • فاستعصم
بنا مبنا لغة تدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه
استمسك واستوسع الفتق واستجمع الراي واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد
عليه وبرهان لا شي انور منه على انه بري مما اضاف اليه اهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان •
الضمير في امره راجع الى الموصول ام الى يوسف قلت بل الى الموصول والمعنى ما امره به فحذف الجار كما في قوله
امرتك الخير • ويجوز ان تجعل ما مصدرية فيرجع الى يوسف ومعناه ولان لم يفعل امري اياه اي موجب امري ومقتضاه وقرئ وليكونا
بالتشديد والتخفيف والتخفيف اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة وقال
يدعونني على اسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن تنصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقا نفسك في السجن والصغار
فالتجا الى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن احب الي من ركوب المعصية فان قلت نزول السجن مشقة على النفس
شديد وما دعونه اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة احب اليه من اللذة قلت كانت احب اليه
واثر عنده نظرا في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفي قبح المعصية وفي عاقبة كل واحدة منهما لا نظرا
في مشتهى النفس ومكروهها • والا تصرف عني كيدهن فزع منه الى الطاف الله وعصمته كعادة الانبيا
والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر لان يطلب منه الاجبار على العفة والالجا
اليه اصب اليهن امل اليهن والصبو الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبوا اليها لطيب نسيمها
وروحها وقرئ اصب اليهن من الصبابة من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه

هو ومن لا يعلم سوا او من السفها • لان الحكيم لا يفعل القبيح ولما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعا لان قوله
والا تصرف عني فيه معنى طلب الصرف والدعا باللطف السميع لدعوات الملتجين اليه العليم باحوالهم وما
يصلحهم بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه • والمعنى بدا لهم بدا اي ظهر لهم راي
ليسجننه والضمير في لهم للعزيز واهله من بعد ما راوا الايات هي الشواهد على براءته وما كان ذلك الا باستنزال
المراة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعا لها وجملا ذلولا زمامه في يدها حتى انساه ذلك
ما عاين من الايات وعمل برايها في سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته به وذلك لما ايست من طاعته لها او
لطمعها في ان يذلله السجن ويسخره لها وفي قراءة الحسن لتسجننه بالتاء على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه
او العزيز وحده على وجه التعظيم حتى حين الى زمان كانها اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه • وفي
قراءة ابن مسعود عتى حين وهي لغة هذيل • وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقرا عتى حين فقال من اقراك قال ابن مسعود
فكتب اليه ان الله انزل هذا القرآن فجعله عربيا وانزله بلغة قريش فاقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم
بلغة هذيل والسلام مع تدل على معنى الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب ان
يكون دخولهما السجن مصاحبين له فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه • رقي اليه انهما يسمانه فامر بهما
الى السجن فادخلا السجن ساعة ادخل يوسف اني اراني يعني في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا يعني عنبا تسمية
للعنب بما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا • من المحسنين من الذين
يحسنون عبارة الرؤيا اي يجيدونها راياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤيا فيؤولها له فقالا له ذلك او من
العلما لانهما سمعاه يذكر للناس ما علما به انه عالم • او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بان تفرج
عنا الغمة بتاويل ما رايناه ان كانت لك يد في تاويل الرؤيا • وروي انه كان اذا مرض رجل منهم قام عليه واذا
ضاق اوسع عليه واذا احتاج جمع له • وعن قتادة كان ناس في السجن قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل
يقول ابشروا اصبروا تؤجروا ان لهذا لاجرا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك
لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابرهيم
فقال عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شيت • وروي ان
الفتيين قالا له انا لنحبك من حين رايناك • فقال انشدكما بالله ان لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي
من حبه بلا لقد احبتني عمتي فدخل علي من حبها بلا ثم احبني ابي فدخل علي من حبه بلا ثم احبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلا فلا تحباني بارك الله فيكما • وعن الشعبي انهما
تحالما له ليمتحناه • فقال الشرابي اني اراني في بستان فاذا انا باصل حبلة عليها ثلثة عناقيد من عنب فقطعتها
وعصرتها في كاس الملك وسقيته • وقال الخباز اني اراني وفوق راسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة واذا
سباع الطير تنهش منها بتاويله الا مرجع الضمير في قوله نبئنا بتاويله ... اي ما قص عليه والضمير كرجوع
اسم الاشارة في نحوه كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص ذلك
فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلما وهو الاخبار بالغيب وانه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام
في السجن قبل ان ياتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما اخبرهما
وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك بالله
وهذه طريقة على كل ذي علم ان يسلكها مع الجهال والفسقة اذا استفتاه واحد منهم ان يقدم له
الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة اولا ويدعوه الى ما هو اولى به واوجب عليه مما استفتى
فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان
يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية بتاويله ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه
تفسير المشكل والاعراب عن معناه ذلكما اشارة لهما الى التاويل اي ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات
مما علمني ربي واوحى به الي ولم اقله عن تكهن وتنجم اني تركت يجوز ان يكون كلاما مبتدا وان يكون تعليلا
لما قبله اي علمني ذلك واوحى الي لاني رفضت ملة اولئك واتبعت ملة الانبيا المذكورين وهي الملة الحنيفية واراد
باولئك الذين لا يؤمنون اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم • وتكرير هم للدلالة على انهم خصوصا
كافرون بالاخرة وان غيرهم قوما مؤمنون بها وهم الذين على ملة ابرهيم ولتوكيد كفرهم بالجزا تنبيها لما
هم عليه من الظلم والكباير التي لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزا • ويجوز ان يكون فيه تعريض
بما مني به من جهتهم حين او دعوه السجن بعد ما راوا الايات الشاهدة ببراءته وان ذلك مما لا يقدم
الا من هو شديد الكفر بالجزا • وذكر اباه ليريهما انه من اهل بيت النبوة بعد ما عرفهما انه نبي يوحى اليه
بما ذكر من اخباره بالغيوب لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه واتباع قوله ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبيا
ان نشرك بالله اي شي كان من ملك او جني فضلا عن ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال ذلك التوحيد
من فضل الله علينا وعلى الناس • اي على الرسل وعلى المرسل اليهم لانهم نبهوهم عليه وارشدوهم اليه
ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون فضل الله فيشركون ولا ينتبهون • وقيل ان ذلك من فضل الله
علينا لانه نصب لنا الادلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس من غير
تفاوت ولكن اكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين يا صاحبي
السجن يريد يا صاحبي في السجن فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكما ان الليلة مسروق
فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام ويجوز ان
يريد يا صاحبي السجن ... فتضيفهما الى الصدق ولا تريد انهما صحبا الصدق ولكن كما تقول رجلا

وتسميتها ما جعلتم لانهما صاحباك ويكون ان يريد يا ساكني السجن كقوله اصحاب النار واصحاب الجنة
يريد التفريق في التعبد والتكاثر يقول أأن يكون لهم ارباب شتى يستعبدكم هذا **الارباب متفرقون**
ويستعبدكم هذا خير لكما ام يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل هو القاهر
الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام **ما تعبدون** خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل
مصر **الا اسماء** يعني انكم سميتم ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكانكم لا تعبدون الا اسماء فارغة
لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد **ما انزل الله بها** اى بتسميتها **من سلطان**
من حجة **ان الحكم** في امر العبادة والدين الا لله ثم بين ما حكم به فقال امر ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم
اى الثابت الذي دلت عليه البراهين اما احدكما يريد الشرابي فيسقي ربه سيده وقرئ عكرمة فيسقى ربه
اى يسقى ما يروى به على البناء للمفعول وروي انه قال للاول ما رايت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك
عنده واما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود على ما كنت عليه وقال للثاني
ما رايت من السلال الثلاث ثلاثة ايام ثم تخرج فتقتل **قضي** الامر قطع وتم ما تستفتيان فيه من امركما وشانكما
فان قلت ما استفتيا في امر واحد بل في امرين مختلفين فما وجه التوحيد قلت المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما
سجنا من اجله وظنا ان ما رأياه في معنى ما نزل بهما فكانهما كانا يستفتيانه في الامر الذي نزل بهما اعاقبته نجاة ام هلاك
فقال لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي ما يجر اليه من العاقبة وهي هلاك احدهما ونجاة الآخر وقيل جحدا وقالا ما راينا
شيئا على ما روي انهما تحالما له فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما ام كذبتما **ظن انه ناج** الظان هو يوسف عليه السلام ان كان
تاويله بطريقة الاجتهاد وان كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي ويكون الظن بمعنى اليقين **اذكرني عند ربك**
صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني من هذه الورطة **فانساه الشيطان** فانسى الشرابي
ذكر ربه ان يذكره لربه وقيل فانسى يوسف ذكر الله حين وكل امره الى غيره **بضع سنين** البضع ما بين الثلاث الى التسع
واكثر الاقاويل على انه لبث فيه سبع سنين فان قلت كيف يقدر الشيطان على الانساء قلت يوسوس الى العبد بما
يشغله عن الشيء من اسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزول من قلبه ذكره واما الانساء ابتداء فلا يقدر عليه الا
الله عز وجل ما ننسخ من آية او ننسها فان قلت ما وجه اضافة الذكر الى ربه اذا اريد به الملك وما هي اضافة
المصدر الى الفاعل ولا الى المفعول قلت قد لابسه في قولك فانساه الشيطان ذكره ربه او عند ربه فجازت
اضافته اليه لان الاضافة تكون بادنى ملابسة او على تقدير فانساه الشيطان ذكر اخبار ربه فحذف
المضاف الذي هو الاخبار فان قلت لم انكر على يوسف علم الاستعانة بغير الله وقد قال الله تعالى وتعاونوا
على البر والتقوى وقال حكاية عن عيسى علم من انصاري الى الله وفي الحديث الله في عون العبد ما كان
في عون اخيه المسلم من فرج على مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة وعن عائشة رضي
ان رسول الله صلعم لم يأخذه النوم ليلة من الليالي ولم يجد من يحرسه حتى جاء سعد بن ابي وقاص فسمعت
غطيطه وهذا كله الا مثل التداوي بالادوية والتقوي بالاشربة والاطعمة وان كان ذلك لان
الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز ان يستغاث بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار
قلت كما اصطفى الله الانبياء على خليقته عز وجل فقد اصطفى لهم احسن الامور واحسنها واولاها والاولى
بالنبي ان لا يكل امره اذا ابتلي ببلاء الا الى ربه ولا يعتضد الا به خصوصا اذا كان المعتضد به
كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولون لو كان هذا على الحق وكان له رب يغيثه لما استغاث بنا وعن الحسن
انه كان يبكي اذا قراها ويقول نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس **وقال الملك** قيل رأى يوسف ملك مصر
الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف
فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبع اخر يابسات قد استحصدت
وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها **سمان**
جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام فان قلت هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات
دون المميز وهو سبع وان يقال سبع بقرات سمانا قلت اذا اوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت الى ان
تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت الى تمييز السبع
بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن فان قلت هلا قيل سبع عجاف على الاضافة
قلت التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده فان قلت فقد يقولون ثلاثة فرسان
وخمسة اصحاب قلت الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الاسماء فاخذت حكمها وجاز فيها
ما لم يجز في غيرها الا تراك لا تقول عندي ثلاثة ضخام واربعة غلاظ فان قلت ذلك مما يشكل وما نحن بسبيله لا
اشكال فيه الا ترى انه لم يقل بقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان المراد البقرات قلت ترك الاصل لا يجوز
مع وقوع الاستغناء عما ليس باصل وقد وقع الاستغناء بقولك سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف **والعجف**
الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع عجاف جمعا لعجفاء وافعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على سمان لانه
نقيضه ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض فان قلت هل في الآية دليل على ان السنبلات اليابسة
كانت سبعا كالخضر قلت الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب
ان يتناول معنى الاخر السبع ويكون قوله واخر يابسات بمعنى وسبعا اخر فان قلت هل يجوز ان يعطف قوله
واخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل قلت يؤدي الى تدافع وهو ان عطفها على سنبلات خضر
ان يدخل في حكمها فيكون معها مميزا للسبع المذكورة ولفظ الاخر يقتضي ان تكون غير السبع بيانه ان تقول عنده

سبعه

سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لانك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود على ان بعضهم
قيام وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام واخرين قعود تدافع ففسد **يا ايها الملأ** كانه اراد
الاعيان من العلماء والحكماء واللام في قوله للرؤيا اما ان تكون للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين واما
ان تدخل لان العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه مثله اذا تأخر عنه فعضد بها كما يعضد
بها اسم الفاعل اذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما تقول كان
فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا آخر او حالا وان يضمن تعبرون معنى فعل
يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر امرها
كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره اي شطه ونحوه اولت الرؤيا اذا ذكرت
مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورايتهم ينكرون عبّرت بالتشديد
والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت انشده المبرد في كتابه الكامل لبعض الاعراب: رأيت رؤيا ثم عبرتها
وكنت للاحلام عبارا **اضغاث احلام** تخاليطها واباطيلها وما يكون منها من حديث نفس او وسوسة شيطان
واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من
اى اضغاث من احلام والمعنى هي اضغاث احلام فان قلت ما هو الا حلم واحد فلم قال اضغاث احلام
قلت هو كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدا وما له الا عمامة فردة تزيدا
في الوصف فهؤلاء ايضا تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام ويجوز ان يكون قد قص عليهم مع هذه
الرؤيا رؤيا غيرها **وما نحن** بتاويل الاحلام بعالمين اما ان يريدوا بالاحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا
ليس لها عندنا تاويل فان التاويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة واما ان يعترفوا بقصور علمهم وانهم
ليسوا في تاويل الاحلام بنحارير وقرئ وادكر بالدال المهملة وهو الفصيح وعن الحسن واذكر بالذال اى تذكر
الذي نجا من الفتيين من القتل يوسف وما شاهد منه **بعد امة** بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك في رؤياه
واعضل على الملأ تاويلها تذكر الناجي يوسف وتاويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اياه ان يذكره عند
الملك وقرئ الاشهب العقيلي بعد امة بكسر الهمزة والامة النعمة قال عدي: ثم بعد الفلاح والملك
والامة وارتهم هناك القبور. اي بعد ما انعم الله عليه بالنجاة وقرئ بعد امه اى بعد نسيان
يقال امه يامه امها اذا نسي ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ **انا انبئكم** بتاويله انا اخبركم به عمن عنده
علمه وفي قراءة الحسن انا آتيكم بتاويله **فارسلون** فابعثوني اليه لاسأله ومروني باستعباره وعن
ابن عباس لم يكن السجن في المدينة والمعنى فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يوسف ايها الصديق
ايها البليغ في الصدق وانما قال ذلك لانه ذاق احواله وتعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه
حيث جاء كما اول ولذلك كلمه كلام محترز فقال لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون لانه ليس على يقين من الرجوع
فربما اخترم دونه ولا من علمهم فربما لم يعلموا ومعنى لعلهم يعلمون يعلمون فضلك ومكانك من العلم
فيطلبوك ويخلصوك من محنتك **تزرعون** خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاد المامور به فيجعل كانه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه
في معنى الامر قوله فذروه في سنبله **دأبا** بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا دأب في العمل وهو حال من
المامورين اى دائبين اما على تدأبون دأبا واما على ايقاع المصدر حالا يعني ذوي دأب فذروه في
سنبله لئلا يتسوس ويأكلن من الاسناد المجازي جعل اكل اهلهن مسندا اليهن **تحصنون** تحرزون
وتخبئون **يغاث الناس** من الغوث او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت ومنه قول الاعرابية غثنا
ما شئنا **يعصرون** بالياء والتاء يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع وقرئ يعصرون
على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل بمعنى
ينجون كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون انفسهم اى يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا
وقيل يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة وفيه وجهان اما ان يضمن اعصرت معنى مطرت
فيعدى تعديته واما ان يقال الاصل اعصرت عليهم فحذف الجار واوصل الفعل تاول البقرات
السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم
بعد الفراغ من تاويل الرؤيا بان العام الثامن يجيء مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من
جهة الوحي وعن قتادة زاده الله علم سنة فان قلت معلوم ان السنين المجدبة اذا انتهت كان
انتهاؤها بالخصب والا لم توصف بالانتهاء فلم قلت ان علم ذلك من جهة الوحي قلت ذلك معلوم علما مطلقا
لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم الا بالوحي
وانما تأنى وتثبت في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قذف به وسجن
فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا
يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به ان يسجن ويعذب ويستكف
شره وفيه دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها قال علم
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم ومنه قال الرسول للذين مرا به
في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة اتقاء للتهمة وعن النبي صلعم لقد عجبت من يوسف وكرمه
وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط
ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن

ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا اناة • وانما قال سل الملك عن شان النسوة ولم يقل سله ان يفتش عن حالهن لان السؤال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث عما سئل عنه فاراد ان يورد عليه السؤال ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة وفص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل • وقرئ النسوة بضم النون • ومن كرمه وحسن ادبه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من سجنه وعذابه واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن ان ربي ان الله تعالى بكيدهن عليم اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره او استشهد بعلم الله على انهن كدنه وانه بريء مما قذف به او اراد الوعيد لهن اي هو عليم بكيدهن فيجازيهن عليه قال ما خطبكن ما شانكن اذ راودتن يوسف هل وجدتن منه ميلا اليكن قلن حاش لله تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها قالت امراة العزيز الان حصحص الحق اي ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير اذا القى ثفناته للاناخة قال • حصحص في صم الصفا ثفناته • وناء بسلمى نوءة ثم صمما • ولا مزيد على شهادتهن بالبراءة والنزاهة واعترافهن على انفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما قذفنه به لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال • وقالت المجبرة والحشوية نحن قد بقي لنا مقال ولابد لنا ان نقذف في حرم مرتبة نزاهته ذلك ليعلم من كلام يوسف اي ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز اني لم اخنه بظهر الغيب في حرمته • ومحل بالغيب الحال من الفاعل او المفعول على معنى وانا غائب عنه خفي عن عينه او وهو غائب عني خفي عن عيني ويجوز ان يكون ظرفا اي بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة •

ولتعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وكانه تعريض بامراته في خيانتها امانة زوجها وبه في خيانته امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الايات على حبسه ويجوز ان يكون تاكيدا لامانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده • ثم اراد ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها في الامانة معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر وليبين ان ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال وما ابرئ نفسي من الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها ولا يخلو اما ان يريد في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية لا عن طريق القصد والعزم واما ان يريد عموم الاحوال ان النفس لامارة بالسوء اراد ان هذا الجنس يامر بالسوء ويحمل عليه لما فيه من الشهوات الا ما رحم ربي الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة ويجوز ان يكون ما رحم في معنى الزمان الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت واوان الا وقت العصمة ويجوز ان يكون استثناء منقطعا اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة • وقيل معناه ذلك ليعلم الله اني لم اخنه لان المعصية خيانة • وقيل هو من كلام امراة العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه بالغيب ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق لما سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قذفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف ان ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت • فان قلت كيف صح ان يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك قلت كفى بالمعنى دليلا قائدا الى ان يجعل من كلامه • ونحوه قوله قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ثم قال فماذا تامرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم • وعن ابن جريج هذا من تقديم القران وتاخيره ذهب الى ان ذلك ليعلم متصل بقوله فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن • ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا ان يوسف حين قال اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها • وقالت له امراة العزيز ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف • وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسوله • يقال استخلصه واستخصه اذا جعله خالصا لنفسه وخاصا به فلما كلمه وشاهد منه ما لم يحتسب قال يا ايها الصديق انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء • روي ان الرسول جاءه فقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله وقال اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار • فهم اعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان فقال لسان ابي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه • وقال ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي منك قال رايت بقرات فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي راها الملك لا يخرم منها حرفا • وقال له من حقك ان تجمع الطعام في الاهراء ويأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك اجعلني على خزائن الارض ولني خزائن ارضك اني حفيظ عليم امين احفظ ما تستحفظه عالم بوجوه التصرف وصفا لنفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله يبعث الانبياء الى العباد ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه

بذلك

بذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الدنيا والملك • وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة • فان قلت كيف جاز ان يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت امره وطاعته • قلت روي عن مجاهد انه كان اسلم • وعن قتادة هو دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان عملا من يد سلطان جائر • وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبي او العالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به • وقيل كان الملك يصدر عن رايه ولا يعترض عليه في كل ما راى فكان في حكم التابع له والمطيع وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف في ارض مصر • وروي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين • يتبوأ منها حيث يشاء • وقرئ بالنون • والتاء اي كل مكان اراد ان يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت ملكته وسلطانه • وروي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت • وروي انه قال له اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس ابائي فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امراته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال للملك كيف رايت صنع الله بي فيما خولني فما ترى • قال الراي رايك قال فاني اشهد الله واشهدك اني قد اعتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت عليهم املاكهم • وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب ارض مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين نصيب برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء من اقتضت الحكمة ان نشاء له ذلك ولا نضيع اجر المحسنين ان ناجرهم في الدنيا ولاجر الاخرة خير لهم • قال سفيان بن عيينة المسلم يثاب على حسناته في الدنيا والاخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق • وتلا هذه الاية • لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته اياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن اوهامهم لقلة فكرهم فيه • ولاهتمامهم بشانه ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحا في البئر مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم انه هو لكذبوا انفسهم وظنونهم ولان الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل راوه على زي فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى راسه تاج فما خطر ببالهم انه هو • وقيل ما راوه الا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوائج • وانما عرفهم لانه فارقهم وهم رجال وراى زيهم اذ ذاك زيهم • ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم فكان يتامل ويتفطن • وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له ولما جهزهم بجهازهم اي اصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون واوقر ركائبهم بما جاؤوا له من الميرة • وقرئ بجهازهم بكسر الجيم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجتر القول هذه المسالة روي انه لما راهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما شانكم فاني انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم عيونا وان الذي تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت القرعة شمعون وهو كان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده وقد كان احسن ضيافتهم وانزالهم ولا تقربون فيه وجهان احدهما ان يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل قوله فلا كيل لكم كانه قيل فان لم تاتوني به تحرموا ولا تقربوا وان يكون بمعنى النهي سنراود عنه اباه سنخادعه ونستجهد ونحتال حتى ننتزعه من يده وانا لفاعلون وانا لقادرون على ذلك لا نتعايا به او وانا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى لفتيانه وقرئ لفتيته وهما جمع فتى كاخوة واخوان في اخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة اي لغلمانه الكيالين لعلهم يعرفونها يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم • وقيل تخوف ان لا يكون عند ابيه من المتاع ما يرجعون به • وقيل لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه واخوته ثمنا • وقيل علم ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها • وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردونها منع منا الكيل يريدون قول يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم لانهم اذا انذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه • وقرئ يكتل بمعنى يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا او يكون سببا للاكتيال فان امتناعه بسببه هل امنكم عليه يعني انكم قلتم في يوسف وانا له لحافظون كما تقولونه في اخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك ثم قال فالله خير حافظا فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وحفظا تمييز كقولك هو خيرهم رجلا ولله دره فارسا ويجوز ان يكون حالا • وقرئ حفظا • وقرأ الاعمش فالله خير حافظ • وقرأ ابو هريرة خير الحافظين وهو ارحم الراحمين فارجو ان ينعم علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين • وقرئ ردت الينا بكسر الراء على ان كسرة الدال المدغمة نقلت الى الراء كما في قيل وبيع وحكى قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها الى الضاد • ما نبغي ما للنفي اي ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه

وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته • وما نبغي
ورا ما فعل بنا من الاحسان • او على الاستفهام بمعنى اي شي نطلب ورا هذا وفي قراءة ابن مسعود ما تبغي
بالتاء على مخاطبة يعقوب معناه اي شي تطلب ورا هذا من الاحسان او من الشاهد على صدقنا • وقيل
معناه ما نريد منك بضاعة اخرى وقوله هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستانفة موضحة لقوله
ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها على معنى ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا في رجوعنا
الى الملك ونحفظ اخانا فما يصيبه شي مما تخافه ونزداد باستصحاب اخينا زائدا على اوساق
اباعرنا فاي شي نبغي ورا هذه المباغي التي نستصلح بها احوالنا ونوسع ذات ايدينا وانما قالوا
ونزداد كيل بعير لما ذكرنا انه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط هذا اذا فسرت البغي
بالطلب فاما اذا فسرته بالكذب والتزيد في القول كانت الجملة الاولى وهي قوله هذه بضاعتنا ردت
الينا بيانا لصدقهم وانتفا التزيد عن قولهم فما تصنع بالجمل البواقي قلت اعطفها على قوله ما نبغي على
معنى لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز ان يكون كلاما مبتدا كقولك وينبغي
لي ان لا اقصر ويجوز ان يراد ما نبغي وما ننطق الا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع اخينا
ثم قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل ونصنع بيانا لانهم لا يبغون في رايهم
وانهم مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح ذلك كيل يسير اي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون
ما يكال لهم فارادوا ان يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى كيل بعير اي ذلك
الكيل شي قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه • او هو سهل عليه متيسر لا يتعاظمه • ويجوز
ان يكون من كلام يعقوب وان حمل بعير واحد شي يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم • لن ارسله
معكم منافي لحالي وقد رايت منكم ما رايت حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق
به من عند الله اراد ان يحلفوا له بالله وجعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما تؤكد به العهود
وتشدد وقد اذن الله في ذلك فهو اذن منه لتاتنني به جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتاتنني به
الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا الاتيان به او الا ان تهلكوا فان قلت اخبرني عن حقيقة هذا
الاستثنا ففيه اشكال قلت ان يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله لتاتنني به في
تاويل النفي معناه لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم اي لا تمتنعون منه لعلة من العلل
الا لعلة واحدة وهي ان يحاط بكم فهو استثنا من اعم العام في المفعول له والاستثنا من اعم العام
لا يكون الا في النفي وحده فلا بد من تاويله بالنفي ونظيره من الاثبات المتاول بمعنى النفي قولهم
اقسمت بالله لما فعلت والا فعلت تريد ما اطلب منك الا الفعل على ما نقول من طلب الموثق واعطائه
وكيل رقيب مطلع وانما نهاهم ان يدخلوا من باب واحد لانهم كانوا ذوي بها وشارة حسنة
وقد اشتهرهم اهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح
الابصار اليهم من بين الوفود وان يشار اليهم بالاصابع ويقال هؤلا اضياف الملك انظروا اليهم
ما احسنهم من فتيان وما احقهم بالاكرام لامر ما اكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين
عليه فخاف لذلك ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوهم
ولذلك لم يوصهم بالتفرق في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس فان قلت هل للاصابة
بالعين وجه يصح عليه قلت يجوز ان يحدث الله عز وجل عند النظر الى الشي والاعجاب به نقصانا فيه وخللا
من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلا من الله وامتحانا من الله لعباده ليتميز به المحققون من اهل الحشو
فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول الحشوي هذا اثر العين كما قال وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين
كفروا الاية • وعن النبي انه كان يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة
ومن كل عين لامة • وما اغني عنكم من الله من شي يعني ان اراد الله بكم سوا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما اشرت به
عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله ثم قال ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي متفرقين ما كان يغني
عنهم راي يعقوب ودخولهم متفرقين شيا قط حيث اصابهم ما ساهم مع تفرقهم من اضافة السرقة
اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم
الا حاجة في نفس يعقوب استثنا منقطع على معنى ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها • وهي شفقته عليهم
واظهارها بما قاله لهم ووصاهم به • وانه لذو علم يعني قوله وما اغني عنكم وعلمه بان القدر
لا يغني عنه الحذر آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين وروي انهم قالوا له هذا اخونا قد جيناك به فقال لهم
احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم
على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال لهم يوسف
بقي اخوكم وحيدا فاجلسه معه على مائدته فجعل يواكله وقال لهم انتم عشرة فلينزل كل اثنين
منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون عندي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح
وساله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماهم من اسم اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون
اخاك بدل اخيك الهالك فقال ومن يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك راحيل ولا يعقوب فبكى يوسف
وقام اليه وعانقه وقال اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله
قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك وعن ابن عباس تعرف اليه • وعن وهب
انما قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود ولا تبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم
وروي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل
الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل فقال لا ابالي فافعل ما بدا لك فقال اني ادس صاعي في رحلك ثم انادي
عليك بانك سرقته ليتهيا لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل السقاية مشربة يسقى بها وهي
الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى بها الدواب ويكال بها

وقيل

وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مستطيلا يشبه المكوك وقيل هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه تشرب به
الاعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر ثم اذن مؤذن ثم نادى
مناد يقال آذنه اعلمه واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه • وروي انهم ارتحلوا
وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم امر بهم فادركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك والعير الابل التي عليها
الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجي وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع
عير واصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد اصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي
وفي قراءة ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لما كانه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل
اخيه امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن وقرا ابو عبد الرحمن السلمي يفقدون من افقدته اذا وجدته
فقيدا • وقرئ صواع وصاع وصوع وصوغ بفتح الصاد وضمها والعين معجمة وغير معجمة وانا به زعيم يقوله
المؤذن يريد وانا بحمل البعير كفيل اوديه الى من جاء به واراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله
تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم وانما قالوا لقد علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من
دلائل دينهم وامانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا وافواه رواحلهم مكعومة
لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وما كنا
سارقين وما كنا نوصف قط بالسرقة وهي منافية لحالنا فما جزاؤه الضمير للصواع اي فما جزا سرقته ان كنتم
كاذبين في جحودكم وادعائكم البراة منه قالوا جزاؤه من وجد في رحله اي جزا سرقته اخذ من وجد في رحله
وكان حكم السارق في آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه وقولهم فهو جزاؤه تقرير
للحكم اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد ان يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك
حقه او فهو حقه [illegible] لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز
ان يكون جزاؤه مبتدا والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والاصل جزاؤه
من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزا موضع هو كما تقول لصاحبك من اخو زيد فيقول لك اخوه من
يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم تقول فهو اخوه مقيما للظاهر مقام
المضمر ويحتمل ان يكون جزاؤه خبر مبتدا محذوف اي المسؤول عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد
في رحله فهو جزاؤه كما يقول من يستفتي في جزا صيد المحرم جزا صيد المحرم ثم يقول ومن قتله منكم متعمدا
فجزا مثل ما قتل من النعم فبدا باوعيتهم قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم
الى يوسف فبدا بتفتيش اوعيتهم قبل وعا بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاه فقال ما اظن
هذا اخذ شيا فقالوا والله ما نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فاستخرجوه منه
وقرا الحسن وعا اخيه بضم الواو وهي لغة • وقرا سعيد بن جبير اعا اخيه بقلب الواو همزة فان قلت
لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم انثه قلت قالوا رجع بالتانيث على السقاية او انث الصواع لانه يذكر ويؤنث
ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما يتصل بهم منه صواعا
كذلك كدنا ليوسف مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان لياخذ اخاه في دين الملك
تفسير للكيد وبيان له لانه كان في دين ملك مصر وما كان يحكم به في السارق ان يغرم مثلي ما اخذ لا ان
يلزم ويستعبد الا ان يشا الله اي ما كان لياخذه الا بمشية الله واذنه فيه نرفع درجات من نشا في العلم كما
رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين وفوق كل ذي علم عليم فوقه ارفع درجة منه
في علمه او فوق العلما كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وجل فان قلت ما اذن الله فيه يجب
ان يكون حسنا فمن اي وجه حسن هذا الكيد وما هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب
وهو قوله انكم لسارقون فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قلت هو في صورة البهتان وليس ببهتان في الحقيقة
لان قوله انكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك القول من المؤذن
لا من يوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفا براتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح
لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لانهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند
متاعنا فاكله الذيب • هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع
دينية كقوله لايوب وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول ابراهيم هي اختي
ليسلم به من كيد الكافر • وما الشرائع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع في المفاسد
وقد علم الله تعالى في هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت
حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا اخ له اراد به يوسف وروي انهم لما استخرجوا
الصواع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤوسهم حيا وقالوا له ما هذا الذي صنعت فضحتنا وسودت
وجوهنا • يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلا اخذت هذا الصاع • فقال بنو راحيل الذين
لا يزال عليهم منكم البلا • ذهبتم باخي فاهلكتموه • ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة
في رحالكم • واختلف فيما اضافوا الى يوسف من السرقة فقيل كان اخذ في صباه صنما لجده ابي امه
فكسره والقاه بين الجيف في الطريق • وقيل دخل كنيسة فوجد تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه
فدفنه وقيل كانت في المنزل عناق او دجاجة فاعطاها السائل • وقيل كانت لابراهيم منطقة
يتوارثها اكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده فحضنت يوسف وهي
عمته بعد وفاة امه وكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب ان ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة
فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على

فقالت انه لي بعلي ابعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت فاسرها اضمار على شريطة التفسير
تفسيره انتم شر مكانا وانما انث لان قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة على تسميتهم الطايفة
من الكلام كلمة كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة التي هي قوله انتم شر مكانا والمعنى قال في نفسه
انتم شر مكانا لان قوله قال انتم شر مكانا بدل من اسرها وفي قراءة ابن مسعود فاسره على التذكير
يريد القول او الكلام ومعنى انتم شر مكانا انتم شر منزلة في السرق لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم
اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون يعلم انه لا يصح لي ولا لاخي سرقة وليس الامر كما تصفون استعطفوه
باذكارهم اياه حق ابيهم يعقوب وانه شيخ كبير السن او كبير القدر وان بنيامين احب
اليه منهم وكانوا قد اخبروه بان ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه مستأنس باخيه فخذ
احدنا مكانه فخذه بدله على وجه الاسترهان او الاستعباد انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك
او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها معاذ الله هو كلام موجه ظاهره انه وجب
على قضية فتواكم اخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده فلو اخذنا غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم
فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله عز وجل امرني واوحى الي باخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة
او لمصالح جمة علمها في ذلك فلو اخذت غير من امرني باخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحي ومعنى
معاذ الله ان ناخذ نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف من واذا جواب
وجزاء لان المعنى ان اخذنا بدله ظلمنا استيأسوا يئسوا وزيادة السين والتاء في المبالغة نحو ما مر
في استعصم والنجي على معنيين يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه
قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجي
كما قيل واذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الاوصاف ويجوز ان يقال هم نجي كما قيل هم صديق
لانه بزنة المصادر تجمع انجية قال اني اذا ما القوم كانوا انجيه ومعنى خلصوا اعتزلوا
وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوي نجوى او فوجا نجيا اي مناجيا
لمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه انهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام
كانهم في انفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان تناجيهم في تدبير امرهم على اي صفة يذهبون
وماذا يقولون لابيهم في شأن اخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور
كبيرهم في السن وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم في العقل والرأي وهو يهوذا
ما فرطتم في يوسف فيه وجوه ان تكون ما صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شأن يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم
وان تكون مصدرية على ان محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع
من قبل تفريطكم في يوسف او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا وهو ان اباكم كانه قيل الم تعلموا
اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف وان تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه
اي قدمتموه في حق يوسف من الخيانة العظيمة ومحله الرفع او النصب على الوجهين فلن ابرح الارض فلن افارق
ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الانصراف اليه او يحكم الله لي بالخروج منها او بالانتصاف ممن اخذ اخي او بخلاصه
من يده بسبب من الاسباب وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم ابدا الا بالعدل والحق سرق اي نسب الى السرقة
وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما علمنا من سرقته وتيقناه لان الصواع استخرج من وعائه ولا شيء ابين
من هذا وما كنا للغيب حافظين وما علمنا انه سيسرق حين اعطيناك الموثق او ما علمنا انك تصاب به كما اصبت
بيوسف ومن قرأ سرق فمعناه وما شهدنا الا بقدر ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب للامر الخفي
حافظين اسرق بالصحة ام دس الصاع في رحله ولم يشعر القرية التي كنا فيها هي مصر اي ارسل الى اهلها
فسلهم عن كنه القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب
وقيل من اهل صنعاء معناه ارجعوا الى ابيكم فقولوا له ما قال لهم اخوهم فقال بل سولت لكم انفسكم
امرا اردتموه والا فما ادرى ذلك الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم بهم جميعا
بيوسف واخيه وروبيل او غيره انه هو العليم بحالي في الحزن والاسف الحكيم الذي لم يبتلني بذلك الا لحكمة
ومصلحة وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما جاءوا به يا اسفا اضاف الاسف وهو اشد الحزن والحسرة
الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمل
فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون من سبا بنبا
وعن النبي صلعم لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى
الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفا فان قلت كيف تأسف على يوسف دون
اخيه ودون الثالث والرزء الاحدث اشد على النفس واظهر اثرا قلت هو دليل على تمادي اسفه على يوسف
وانه لم يقع فائت عنده موقعه وان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا قال
ولم ينسني اوفى المصيبات بعده ولكن نكأ القرح بالقرح اوجع ولان الرزء في يوسف كان
قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده فكان الاسف عليه اسفا على من لحق به وابيضت عيناه
اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى البياض الكدر قيل قد عمي بصره وقيل
كان يدرك ادراكا ضعيفا من الحزن من البكاء من الحزن لان سبب البكاء الذي حدث منه البياض
فكانه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى وقت لقائه ثمانين
عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب وعن رسول الله صلعم انه سأل جبريل ما بلغ
من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد

وربما اطلقه بالبه سماعه قطعا فان قلت كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الحزن ذلك المبلغ قلت الانسان مجبول
على ان لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمد صبره ان يضبط نفسه حتى لا يخرج الى ما لا
يحسن ولقد بكى رسول الله صلعم على ولده ابرهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب
وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الخدود
والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلعم انه بكى على بعض ولد بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله
تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح
وصوت عند الترح وعن الحسن رحمه الله انه بكى على ولد او غيره فقيل له في ذلك فقال ما رأيت الله
جعل الحزن عارا على يعقوب فهو كظيم فهو مملوء من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول
بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه والكظم بفتح الظاء مخرج النفس يقال اخذ
باكظامه تفتأ اراد لا تفتأ فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد
من اللام والنون ونحوه فقلت يمين الله ابرح قاعدا ومعنى لا تفتأ لا تزال وعن
مجاهد لا تفتر عن حبه كانه جعل الفتوء والفتور اخوين يقال ما فتئ يفعل قال اوس فما فتئت خيل تثوب وتدعي
ويلحق منها لاحق وتقطع حرضا مشفيا على الهلاك مرضا ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
لانه مصدر والصفة حرض بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف وجاءت القراءة بهما جميعا وقرئ الحسن حرضا
بضمتين ونحوه في الصفات رجل جنب وغرب البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس
اي ينشره ومنه باثه امره وابثه اياه ومعنى انما اشكو بثي لا اشكو الى احد منكم ومن غيركم انما اشكو
~~بثي الى احد منكم ومن غيركم انما~~ اشكو الى ربي داعيا له وملتجئا اليه فخلوني وشكايتي
وهذا معنى توليه عنهم اي فتولى عنهم الى الله تعالى والشكاية اليه وقيل دخل على يعقوب جار له فقال
يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ ابوك فقال هشمني وافناني ما ابتلاني الله به
من هم يوسف فاوحى الله عز وجل اليه يا يعقوب اتشكوني الى الخلق قال يا رب خطيئة اخطأتها فاغفر لي
فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله وروي انه اوحي الى يعقوب انما وجدت
عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الي الانبياء ثم المساكين فاصنع
طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية وولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم من الله ما لا تعلمون
اي اعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به انه ياتيني بالفرج من حيث لا احتسب وروي انه رأى ملك الموت
في منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه وقرئ الحسن وحزني بفتحتين وحزني بضمتين
تناده فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وقرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات وهما تفعل من
الاحساس وهو المعرفة فلما احس عيسى منهم الكفر ومن الجس وهو الطلب ومنه قالوا لمشاعر الانسان الحواس
والجواس من روح الله من فرجه وتنفيسه وقرئ الحسن وقتادة من روح الله بالضم اي من رحمته التي يحيى بها العباد
الضر الهزال من الشدة والجوع مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا
دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء
وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق
علينا وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة او زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه
صدقة لان الصدقات محظورة على الانبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا صلعم وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال الم تسمع
وتصدق علينا اراد انها كانت حلالا لهم والظاهر انهم تمسكنوا له وطلبوا اليه ان يتصدق عليهم ومن ثم
رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك ان عرفهم بنفسه وقوله ان الله يجزي المتصدقين شاهد لذلك لذكر الله
عز وجل وجزائه والصدقة العطية التي يبتغى بها المثوبة من الله ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي
ان الله لا يتصدق انما يتصدق الذي يبتغي الثواب قل اللهم اعطني او تفضل علي وارحمني هل علمتم اتاهم من جهة
الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي يجب ان يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح
ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك اقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتبتم الى الله منه
لان علم القبح يدعو الى الاستقباح والاستقباح يجر الى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم ونصحا لهم في الدين
لا معاتبة وتثريبا ايثارا لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور
ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثاره الموتور فلله اخلاق الانبياء ما اوطاها واسجحها ولله حصى
عقولهم ما ازنها وارجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه
العلم ولا يقدم عليه الا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه اذ انتم صبيان في حد السفه والطيش
قبل ان تبلغوا اوان الحلم والرزانة وروي انهم لما قالوا مسنا واهلنا الضر وتضرعوا اليه ارفضت عيناه
ثم قال هذا القول وقيل ادوا اليه كتاب يعقوب من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله
الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار
ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله
واما انا فكان لي ولد وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم
وقالوا قد اكله الذيب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى
به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا
فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف الكتاب
لم يتمالك وعيل صبره وقال لهم ذلك وروي انه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبروا كما صبروا
تظفروا كما ظفروا ما فعلتم بيوسف واخيه فعلهم باخيه تعريضهم اياه للغم والتنكيل بافراده عن اخيه لابيه وامه
وجفائهم به حتى لا يستطيع ان يكلم احدا منهم الا كلام الذليل للعزيز وايذائهم له بانواع الاذى

أئنك على الاستفهام، وإنك على الإيجاب. وفي قراءة أبي: أئنك أو أنت يوسف، على معنى أئنك يوسف أو أنت يوسف
فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات. فإن قلت
كيف عرفوه؟ قلت: رأوا في روائه وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به أنه هو، مع علمهم أن ما خاطبهم
به لا يصدر مثله إلا عن حنيف مسلم من سنخ إبراهيم لا عن بعض أعزاء مصر. وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه
بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم. وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن رأسه فنظروا إلى علامة
بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء. فإن قلت قد سألوه عن نفسه فلم أجابهم
عنها وعن أخيه؟ قلت لأنه كان في ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه. من يتق
من يخف الله وعقابه ويصبر على المعاصي وعلى الطاعات فإن الله لا يضيع أجرهم، فوضع المحسنين موضع الضمير
لاشتماله على المتقين والصابرين. لقد آثرك الله علينا أي فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين. وإن
شأننا وحالنا أنا كنا خاطئين متعمدين للإثم، لم نتق ولم نصبر، لا جرم أن الله أعزك بالملك وأذلنا بالتمسكن
بين يديك. لا تثريب عليكم لا تأنيب عليكم ولا عتب، وأصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية
الكرش، ومعناه إزالة الثرب كما أن التجليد والتقريع إزالة الجلد والقرع، لأنه إذا ذهب كان ذلك غاية
الهزال والعجف الذي ليس بعده، فضرب مثلاً للتقريع الذي يمزق الأعراض ويذهب بماء الوجوه. فإن قلت
بم تعلق اليوم؟ قلت بالتثريب أو بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار، أو بيغفر. والمعنى لا أثربكم اليوم
وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب، فما ظنكم بغيره من الأيام. ثم ابتدأ فقال يغفر الله لكم، فدعا لهم
بمغفرة ما فرط منهم. يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع جميعاً. ومنه قول المشمت
يهديكم الله ويصلح بالكم. أو اليوم يغفر الله لكم، بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم
على خطيئتهم. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترون أني
فاعل بكم؟ قالوا نظن خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت. فقال أقول ما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم
اليوم ففعل. وروي أن أبا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس إذا أتيت الرسول فاتل عليه لا
تثريب عليكم اليوم ففعل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولمن علمك. ويروى أن إخوته لما عرفوه أرسلوا إليه
إنك تدعونا إلى طعامك بكرة وعشياً ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك. فقال يوسف إن أهل مصر وإن ملكت
فيهم فهم ينظرون إلي بالعين الأولى ويقولون سبحان من بلّغ عبداً بيع بعشرين درهماً ما بلغ. ولقد
شرفت الآن بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس أنكم إخوتي وأني من حفدة إبراهيم. اذهبوا بقميصي
هذا قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة أمره جبريل أن يرسله إليه
فإن فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم إلا عوفي. يأت بصيراً يصر بصيراً كقولك جاء البناء محكماً
بمعنى صار، ويشهد له فارتد بصيراً. أو يأت إلي وهو بصير. وينصره قوله وأتوني بأهلكم أي يأتيني أبي
ويأتيني آله جميعاً. وقيل يهوذا هو الحامل، قال أنا أحزنته بحمل القميص ملطوخاً بالدم إليه فأفرحه كما أحزنته
وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر إلى كنعان وبينهما ثمانون فرسخاً. فصلت العير خرجت من عريش
مصر. يقال فصل من البلد فصولاً إذا انفصل منه وجاوز حيطانه. وقرأ ابن عباس ولما انفصل العير
قال لولد ولده ومن حوله من قومه إني لأجد ريح يوسف. أوجده الله ريح القميص حين أقبل من مسيرة
ثمان. والتفنيد النسبة إلى الفند وهو الخرف وإنكار العقل من هرم. يقال شيخ مفند، ولا يقال عجوز
مفندة لأنها لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها. والمعنى لولا تفنيدكم إياي لصدقتموني. لفي ضلالك القديم
لفي ذهابك عن الصواب قدماً في إفراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه، وكان عندهم أنه قد
مات. ألقاه طرح البشير القميص على وجه يعقوب أو ألقاه يعقوب. فارتد بصيراً فرجع بصيراً. يقال رده
فارتد وارتده إذا ارتجعه. ألم أقل لكم يعني قوله إني لأجد ريح يوسف، أو قوله ولا تيأسوا من روح الله، وقوله
إني أعلم كلام مبتدأ لم يقع عليه القول، ولك أن توقعه عليه وتريد قوله إنما أشكو بثي وحزني إلى الله
وأعلم من الله ما لا تعلمون. وروي أنه سأل البشير كيف يوسف، قال هو ملك مصر، فقال ما أصنع بالملك، على أي
دين تركته؟ قال على دين الإسلام، قال الآن تمت النعمة. سوف أستغفر لكم ربي قيل أخر الاستغفار إلى وقت
السحر، وقيل إلى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الإجابة، وقيل ليتعرف حالهم في صدق التوبة وإخلاصها، وقيل
أراد الدوام على الاستغفار لهم، فقد روي أنه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة. وقيل
قام إلى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه، واغفر
لولدي ما أتوا به إلى أخيهم، فأوحى الله إليه إني قد غفرت لك ولهم أجمعين. وروي أنهم قالوا له وقد غلبتهم
الكآبة ما يغني عنا عفوكما إن لم يعف عنا ربنا، فإن لم يوح إليك بالعفو فلا قرت لنا عين أبداً، فاستقبل
الشيخ القبلة قائماً يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين عشرين سنة حتى
بلغ جهدهم وظنوا أنها الهلكة، نزل جبريل فقال إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم
بعدك على النبوة. وقد اختلف في استنبائهم. فلما دخلوا على يوسف قيل وجه يوسف إلى أبيه جهازاً ومائتي
راحلة ليتجهز إليه بمن معه، وخرج يوسف والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم
فتلقوا يعقوب وهو يمشي متوكئاً على يهوذا، فنظر إلى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر؟ قال لا
هذا ولدك. فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الأحزان. وقيل إن يوسف قال له لما التقيا
يا أبت بكيت علي حتى ذهب بصرك، ألم تعلم أن القيامة تجمعنا؟ قال بلى ولكن خشيت أن تسلب دينك
فيحال بيني وبينك. وقيل إن يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة
وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلاً سوى الذرية والهرمى
وكانت الذرية ألف ألف. آوى إليه أبويه ضمهما إليه واعتنقهما. قال ابن إسحاق كانت أمه حية، وقيل
هما أبوه وخالته، ماتت أمه فتزوجها وجعلها أحد الأبوين لأن الرابة تدعى أماً لقيامها مقام الأم، أو لأن الخالة أم

كأن العرب. ومنه قوله وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق. فإن قلت ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر؟
قلت كأنه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب أو بيت ثم دخلوا عليه وضم إليه أبويه. ثم قال
لهم ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين. ولما دخلوا مصر وجلس في مجلسه مستوياً على سريره واجتمعوا إليه أكرم
أبويه فرفعهما على السرير. وخروا له يعني الإخوة الأحد عشر والأبوين. سجداً ويجوز أن يكون قد خرج
في قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال فأمر أن يرفع إليه أبواه فدخلا عليه القبة فآواهما
إليه بالضم والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر. فإن قلت بم تعلقت المشيئة؟ قلت
بالدخول مكيفاً بالأمن لأن القصد إلى اتصافهم بالأمن في دخولهم، فكأنه قيل لهم اسلموا وآمنوا
في دخولكم إن شاء الله. ونظيره قولك للغازي ارجع سالماً غانماً إن شاء الله، فلا تعلق المشيئة
بالرجوع مطلقاً ولكن مقيداً بالسلامة والغنيمة مكيفاً بهما. والتقدير ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله
دخلتم آمنين، ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام، ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال.
ومن بدع التفاسير أن قوله إن شاء الله من باب التقديم والتأخير وأن موضعها ما بعد قوله سوف
أستغفر لكم ربي في كلام يعقوب، وما أدري ما أقول فيه وفي نظائره. فإن قلت كيف جاز لهم أن يسجدوا لغير الله؟
قلت كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد، ونحوها
مما جرت عليه عادة الناس من أفعال شهرت في التعظيم والتوقير. وقيل ما كانت إلا انحناء دون تعفير الجباه
وخرورهم سجداً يأباه. وقيل معناه خروا لأجل يوسف سجداً لله شكراً، وهذا أيضاً فيه نبوة. يقال أحسن
إليه وبه، وكذلك أساء إليه وبه. قال: أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة. من البدو من البادية
لأنهم كانوا أهل عمد وأصحاب مواش يتنقلون في المياه والمناجع. نزغ أفسد بيننا وأغرى، وأصله من نخس
الرائض الدابة وحملها على الجري، يقال نزغه ونسغه إذا نخسه. لطيف لما يشاء لطيف التدبير لأجله رفيق
حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب. وروي أن يوسف أخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فأدخله
خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك، فلما أدخله خزانة القراطيس
قال يا بني ما أعقك، عندك هذه القراطيس وما كتبت إلي على ثمان مراحل. قال أمرني جبريل، قال أوما تسأله؟
قال أنت أبسط إليه مني فسله. قال جبريل أمرني الله بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب، قال فهلا خفتني.
وروي أن يعقوب أقام معه أربعاً وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب أبيه
إسحاق، فمضى بنفسه ودفنه ثمة، ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثاً وعشرين سنة، فلما تم أمره وعلم
أنه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم الخالد فتاقت نفسه إليه فتمنى الموت. وقيل ما تمناه نبي
قبله ولا بعده، فتوفاه الله طيباً طاهراً فتخاصم أهل مصر وتشاجروا في دفنه كل يحب أن يدفن في محلتهم
حتى هموا بالقتال، فرأوا من الرأي أن عملوا له صندوقاً من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر
عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعاً واحداً. وولد له افرائيم وميشا، وولد لافرائيم نون،
ولنون يوشع فتى موسى. ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم يزل بنو إسرائيل تحت أيديهم
على بقايا دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله موسى عليه السلام. من في من الملك ومن تأويل الأحاديث للتبعيض لأنه
لم يؤت إلا بعض ملك الدنيا أو بعض ملك مصر وبعض التأويل. أنت وليي أنت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل
الملك الفاني بالملك الباقي. توفني مسلماً طلب للوفاة على الإسلام وأن يختم له بالخير والحسنى، كما قال يعقوب
لولده ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون. ويجوز أن يكون تمنياً للموت على ما قيل. وألحقني بالصالحين
من آبائي أو على العموم. وعن عمر بن عبد العزيز أن ميمون بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسألة للموت
فقال له صنع الله على يديك خيراً كثيراً، أحييت سنناً وأمت بدعاً، وفي حياتك خير وراحة للمسلمين. فقال
أفلا أكون كالعبد الصالح لما أقر الله عينه وجمع له أمره قال توفني مسلماً وألحقني بالصالحين. فاطر السموات علام
انتصب على أنه وصف لقوله رب كقولك أخا زيد حسن الوجه، أو على النداء. ذلك إشارة
إلى ما سبق من نبأ يوسف، والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومحله الابتداء، وقوله من أنباء الغيب نوحيه إليك خبران.
ويجوز أن يكون اسماً موصولاً بمعنى الذي، ومن أنباء الغيب صلته، ونوحيه الخبر. والمعنى أن هذا النبأ
غيب لم يحصل لك إلا من جهة الوحي لأنك لم تحضر بني يعقوب حين أجمعوا أمرهم وهو إلقاؤهم أخاهم
في البئر لقوله وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب، وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه، لأنه لم يخف على أحد
من المكذبين أنه لم يكن من حملة هذا الحديث ومن أشباهه ولا لقي فيها أحداً ولا سمع منه، ولم يكن من علم
قومه، فإذا أخبر به وقصه هذا القصص العجيب الذي أعجز حملته ورواته لم تقع شبهة في أنه ليس منه
وأنه من جهة الوحي، فإذا أنكروه تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم يا مكابرة أنه لم يكن مشاهداً لمن مضى
من القرون الخالية، ونحوه وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر. وهم يمكرون بيوسف ويبغون
له الغوائل. وما أكثر الناس يريد العموم كقوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون. وعن ابن عباس أراد أهل
مكة، أي وما هم بمؤمنين ولو حرصت وتهالكت على إيمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم. وما تسألهم
عليه على ما تحدثهم به وتذكرهم أن ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطي حملة الأحاديث والأخبار. إن هو إلا ذكر
وموعظة من الله للعالمين عامة، وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله. من آية من علامة ودلالة
على الخالق وعلى صفاته وتوحيده. يمرون عليها ويشاهدونها وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها. وقرئ
والأرض بالرفع على الابتداء ويمرون عليها خبره. وقرأ السدي والأرض بالنصب على ويطوون الأرض يمرون
عليها. وفي مصحف عبد الله والأرض يمشون عليها، برفع الأرض، والمراد ما يرون من آثار الأمم الهالكة
وغير ذلك من العبر. وما يؤمن أكثرهم في إقراره بالله وبأنه خلقه وخلق السموات والأرض إلا وهو مشرك بعبادته الوثن
وعن الحسن هم أهل الكتاب معهم شرك وإيمان. وعن ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه. غاشية نقمة تغشاهم. وقيل

ما يغشاهم من العذاب وقيل الصواعق. قل هذه سبيلي هذه السبيل التي هي الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلي. والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان. ثم فسر سبيله بقوله ادعوا الى الله على بصيرة اى ادعوا الى دينه مع حجة واضحة غير عمياء. انا تاكيد للمستتر في ادعوا ومن اتبعني عطف عليه. ويريد ادعوا اليها انا ويدعوا من اتبعني. ويجوز ان يكون انا مبتدا وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعني عطفا على انا اخبارا مبتدا بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى. ويكون على بصيرة حالا من ادعو عامله الرفع في انا ومن اتبعني. وسبحان الله وانزهه من الشركاء. الا رجالا لا ملائكة لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة. وعن ابن عباس يريد ليست فيهم امراة. وقيل في سجاح المتنبية. ولم تزل انبياء الله ذكرانا. وقرئ نوحي اليهم بالنون. من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة. ولدار الآخرة ولدار الساعة او الحال الآخرة. للذين اتقوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه. وقرئ افلا تعقلون بالتاء والياء. حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استياسوا عن النصر وظنوا انهم قد كذبوا اى كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او رجاؤهم لقولهم رجا صادق ورجا كاذب. والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار واستطالة النصر من الله وتاميله قد تطاول عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا جاءهم نصرنا فجاة من غير احتساب. وعن ابن عباس ظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر وقال كانوا بشرا وتلا وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله. فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية. واما الظن الذي هو ترجيح احد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح. وقيل وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا اي اخلفوا اى وظن المرسل اليهم انهم كذبوا من جهة الرسل اى كذبتهم الرسل في انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه. وقرئ وكذبوا بالتشديد اى وظن الرسل انهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصر عليهم. وقرئ مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل على وظن الرسل انهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصر اما على تاويل ابن عباس واما على ان قومهم اذا لم يروا لموعدهم اثرا قالوا لهم انكم قد كذبتمونا فيكونون كاذبين عند قومهم او وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا. ولو قرئ بهذا مشددا لكان معناه وظن الرسل ان قومهم كذبوهم في موعدهم. فنجي من نشاء النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستاهلون ان يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم. وقرئ فنجي على لفظ الماضي المبني للمفعول. وقرئ ابن محيصن فنجا. والمراد بمن نشاء المؤمنون لانهم الذين يستاهلون ان يشاء نجاتهم. وقد بين ذلك بقوله ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين. الضمير في قصصهم للرسل وتنصره قراءة من قرا قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع الى يوسف واخيه. ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه اى قبله من الكتب السماوية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي يستند اليه السنة والاجماع والقياس بعد ادلة العقل. وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان. وقرئ بالرفع على ولكن هو تصديق الذي بين يديه. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما.

سورة الرعد مكية وقيل مدنية وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

المر تلك اشارة الى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها. ثم قال والذي انزل اليك من ربك هو الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها. وفي اسلوب هذا الكلام قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها. تريد الكملة. الله مبتدا والذي خبره بدليل قوله وهو الذي مد الارض ويجوز ان يكون صفته وقوله يدبر الامر يفصل الآيات خبر بعد خبر وينصره ما تقدمه من ذكر الآيات. رفع السماوات بغير عمد ترونها كلام مستانف استشهاد برؤيتهم لذلك. وقيل هي صفة لعمد ويعضده قراءة ابي ترونه. وقرئ عمد بضمتين. يدبر الامر امر ملكوته. يفصل الآيات في كتبه المنزلة لعلكم توقنون بالجزاء. تامل النفي الموصوف وحده دون الصفة التي ترونها على ان ثم عمدا الا انها غير مرئية وهي امساكه اياها بقدرته وان ينفي الصفة والموصوف جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر. وبان هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع اليه. وقرئ الحسن ندبر بالنون. جعل فيها زوجين اثنين خلق فيها من جميع الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت. وقيل اراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفة. يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعد ما كان ابيض منيرا. وقرئ يغشي بالتشديد. وفي الارض قطع متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متلاصقة متجاورة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الارضية. وذلك دليل على قادر مدبر موقع لافعاله على وجه دون وجه وكذلك الكروم والزروع والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الاجناس والانواع. وهي تسقى بماء واحد وتراها متفاوتة في الثمر في الاشكال والالوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها. وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات على وجعل. وقرئ وجنات بالنصب للعطف على زوجين او بالجر على كل الثمرات. وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات. والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها راسان واصلها واحد. وقرئ بالضم والكسر لغة اهل الحجاز والضم لغة تميم. وقرئ تسقى بالياء والتاء. ونفضل بالنون والياء على البناء للفاعل والمفعول جميعا في الاكل بضم الكاف وسكونها. وان تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بان يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك

من الفطر

من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة اهون شيء عليه وايسر فكان انكارهم اعجوبة من العجائب. ءاذا كنا ترابا الى آخر قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول. واذا نصب بما دل عليه قوله انا لفي خلق جديد. اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث. واولئك الاغلال في اعناقهم وصف بالاصرار كقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ونحوه او هو من جملة الوعيد. ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافية والاحسان اليهم بالامهال. وذلك انهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره. وقد خلت من قبلهم المثلات اى عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزءوا. والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها. ويقال امثلت الرجل من صاحبه اذا اقصصته منه والمثال القصاص. وقرئ المثلات بضمتين لاتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كالسمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة وركب. وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم اى مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال والعامل فيه المغفرة. وفيه اوجه ان يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر او الكبائر بشرط التوبة او يريد بالمغفرة الستر والامهال. روي انها لما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل واحد. لولا انزل عليه آية من ربه لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى عليهما السلام من انقلاب العصا حية واحياء الموتى فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت منذر مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة باية آية كانت فان الآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها والذي عنده كل شيء بمقدار يعطي كل نبي آية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها. ولكل قوم هاد من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله عز وجل بوجه من الهداية وباية خص بها ولم يجعل الانبياء شرعا واحدا في آيات مخصوصة. ويحتمل ان يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك آيات ويعاندون فلا يهمنك ذلك انما انت منذر فما عليك الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان في صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء وهو الله تعالى. ولقد دل بما اردفه من ذكر آيات علمه وتقديره للاشياء على قضاء حكمته ان اعطاءه كل منذر آيات خلاف آيات غيره امر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في اجابتهم الى مقترحهم خيرا ومصلحة لاجابهم اليه. واما على الوجه الثاني فقد دل به على ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم باي طريق يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغير الله. الله يعلم يحتمل ان يكون كلاما مستانفا وان يكون المعنى هو الله تفسيرا لهاد على الوجه الاخير ثم ابتدا فقيل يعلم ما تحمل كل انثى. وما في ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما موصولة واما مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على اي حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة او يعلم بالعائد. الارحام اي تنقصه يقال غاض الماء وغضته انا ومنه قوله تعالى وغيض الماء. وما تزداد اي تاخذه زيادة يقال اخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا. ويقال زدته وزاد بنفسه وازداد. فما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلاثة واربعة. وروي ان شريكا كان رابع اربعة في بطن امه. ومنه جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا. ومنه مدة ولادته فانها قد تكون اقل من تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابي حنيفة والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك رحمهم الله. وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن امه اربع سنين ولذلك سمي هرما. ومنه الدم فانه يقل ويكثر. وان كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك ولا من اوقاته واحواله. ويجوز ان يراد غيوض ما في الارحام وزيادته فاسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها على ان الفعلين غير متعديين. ويعضده قول الحسن رحمه الله الغيوضة ان تضع لثمانية اشهر او اقل من ذلك والازدياد ان تزيد على تسعة اشهر. وعنه الغيض الذي يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام. بمقدار بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر. الكبير العظيم الشان الذي كل شيء دونه. المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنها. وسارب ذاهب في سربه بالفتح اى في طريقه ووجهه. يقال سرب في الارض سروبا. والمعنى سواء عنده من استخفى اى طلب الخفاء في مختبا بالليل في ظلمته ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل احد. فان قلت كان حق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب والا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب. قلت فيه وجهان احدهما ان قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف. والثاني انه عطف على مستخف الا ان من في معنى الاثنين كقوله تكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار. والضمير في له مردود على من كانه قيل لمن اسر ولمن جهر ولمن استخفى ولمن سرب معقبات جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه وكلايته. والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون. او معقبات بكسر العين ولم يقرا به او هو مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه كما يقال قفاه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه. يحفظونه من امر الله هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ كانه قيل له معقبات من امر الله او يحفظونه من اجل امر الله اي من اجل ان الله

أمرهم بحفظه والدليل عليه قراءة علي وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة يحفظونه بأمر الله. أو
يحفظونه من بأس الله ونقمته إذا أذنب بدعائهم له ومسألتهم ربهم أن يمهله رجاء أن يتوب
وينيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن. وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول
السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من أمر الله أي من قضاياه ونوازله أو على التهكم به. وحكى
معاقيب جمع معقب أو معقبة والياء عوض من حذف إحدى القافين في التكسير. إن الله لا يغير ما بقوم من العافية
والنعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي. من وال ممن يلي أمرهم ويدفع عنهم. خوفا
وطمعا لا يصح أن يكونا مفعولا لهما لأنهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل إلا على تقدير حذف المضاف أي إرادة
خوف وطمع أو على معنى إخافة وإطماعا. ويجوز أن يكونا منتصبين على الحال من البرق كأنه في نفسه خوف وطمع
أو على ذا خوف وذا طمع أو من المخاطبين أي خائفين وطامعين. ومعنى الخوف والطمع أن وقوع الصواعق يخاف
عند لمع البرق ويطمع في الغيث. قال أبو الطيب: فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى ... يرجى الحيا منها ويخشى الصواعق
وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف
ومن البلاد ما لا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيى به. السحاب اسم الجنس
والواحدة سحابة والثقال جمع ثقيلة تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امرأة كريمة ونساء كرام وهي
الثقال بالماء. ويسبح الرعد بحمده ويسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له أي يضجون بسبحان الله
والحمد لله. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده. وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له. وإذا
اشتد الرعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك. وعن ابن عباس
أن اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار
يسوق بها السحاب. وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك. ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة
والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم. والملائكة من خيفته ويسبح الملائكة من هيبته
وجلالته. ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته
ثم قال وهم يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكروا آياته يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله
ما يصفه به من القدرة على البعث وإعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية
باتخاذ الشركاء والأنداد ويجعلونه بعض الأجسام المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل
كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق. وقيل الواو للحال أي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك
أن أربد أخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله
فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وأرسل على أربد صاعقة فقتلته: أخبرني عن ربنا
أمن نحاس هو أم من حديد. المحال المماحلة وهو شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا إذا تكلف
استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان إذا كاده وسعى به إلى السلطان. ومنه الحديث اللهم لا تجعله لنا ماحلا
مصدقا ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا. وقال الأعشى: فرع نبع يهتز في غصن المجد غزير الندى شديد المحال
والمعنى أنه شديد المكر والكيد لأعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون. وقرأ الأعرج بفتح الميم
على أنه مفعل من حال يحول محالا إذا احتال. ومنه أحول من ذئب أي أشد حيلة ويجوز أن يكون المعنى
شديد الفقار ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله أشد وموساه أحد لأن الحيوان إذا
اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره ألا ترى إلى قولهم فقرته الفواقر وذلك
أن الفقار عماد الظهر وقوامه. دعوة الحق فيه وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة إلى الحق الذي هو
نقيض الباطل كما تضاف الكلمة إليه في قولك كلمة الحق للدلالة على أن الدعوة ملابسة للحق مختصة به وأنها
بمعزل من الباطل. والمعنى أن الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤاله إن كان مصلحة
له فكانت دعوته ملابسة للحق لكونه حقيقا بأن يوجه إليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع
بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه. والثاني أن تضاف إلى الحق الذي هو الله عز وعلا على معنى دعوة
المدعو الحق الذي يسمع فيجيب. وعن الحسن الحق هو الله وكل دعاء إليه دعوة الحق. فإن قلت ما وجه
اتصال هذين الوصفين بما قبله. قلت أما على قصة أربد فظاهر لأن إصابته بالصاعقة محال من الله
ومكر به من حيث لا يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اخسفهما بما شئت
فأجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق. وأما على الأول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله
بهم وإجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إن دعا عليهم فيهم. والذين يدعون والآلهة الذين يدعوهم الكفار من
دون الله لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم إلا كباسط كفيه أي كاستجابة الماء من بسط كفيه إليه
يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه ولا يقدر أن يجيب
دعاءه ويبلغ فاه. وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولا يقدر على نفعهم
وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغترف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا
أصابعه فلم يلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه. وقرئ يدعون بالياء وكباسط كفيه بالتنوين
إلا في ضلال إلا في ضياع لا منفعة فيه لأنهم إن دعوا الله لم يجبهم وإن دعوا الآلهة لم تستطع إجابتهم
ولله يسجد أي ينقادون لإحداث ما أراده الله بهم من أفعاله شاؤوا أو أبوا لا يقدرون أن يمتنعوا
عليه وتنقاد له أيضا ظلالهم حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال وقرئ
بالغدو والإيصال من آصلوا إذا دخلوا في الأصيل. قل الله حكاية لاعترافهم وتأكيد له عليهم لأنهم

إذا قال لهم من رب السموات والأرض لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله كقوله من رب السموات السبع ورب
العرش العظيم سيقولون الله. وهذا كما يقول المناظر لصاحبه أهذا قولك فإذا قال هذا قولي قال هذا قولك
فيحكي إقراره تقريرا له عليه واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت. ويجوز أن يكون
هذا القول تلقينا أي إن كعوا عن الجواب فلقنهم فإنهم يتلقنونه ولا يقدرون أن ينكروه. أفاتخذتم من دونه
أولياء أبعد أن علمتموه رب السموات والأرض اتخذتم من دونه أولياء فجعلتم ما كان يجب أن يكون سبب التوحيد
من علمكم وإقراركم سبب الإشراك. لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا لا يستطيعون لأنفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا
عنها ضررا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما أبين ضلالتكم
أم جعلوا بل أجعلوا ومعنى الهمزة الإنكار. وخلقوا صفة لشركاء يعني أنهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين
قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا
العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد إذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين
لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق. قل الله خالق كل شيء لا خالق غير الله
ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة وهو الواحد القهار المتوحد بالربوبية القهار
لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور. وهذا مثل ضربه الله للحق وأهله وللباطل وحزبه كما ضرب
الأعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به أودية
الناس فيحيون به وينفعهم بأنواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الأواني
والآلات المختلفة ولو لم يكن إلا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به وإن ذلك ماكث في الأرض باق
بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه وتبقى آثاره في العيون والبئار والحبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر
ويكنز وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة. وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه
عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب. فإن قلت لم نكرت
الأودية. قلت لأن المطر لا يأتي إلا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الأرض دون
بعض. فإن قلت فما معنى قوله بقدرها. قلت بمقدارها الذي عرف الله أنه نافع للممطور عليهم غير
ضار. ألا ترى إلى قوله وأما ما ينفع الناس لأنه ضرب المطر مثلا للحق فوجب أن يكون مطرا خالصا للنفع خاليا من
المضرة ولا يكون كبعض الأمطار والسيول الجواحف. فإن قلت فما معنى قوله ابتغاء حلية أو متاع. قلت الفائدة
فيه كالفائدة في قوله بقدرها لأنه جمع الماء والفلز في قوله وأما ما ينفع الناس لأن المعنى وأما ما ينفعهم من
الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه ويذاب وهو الحلية والمتاع وقوله ومما يوقدون عليه
في النار ابتغاء حلية أو متاع عبارة جامعة لأنواع الفلز مع إظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به كما هو هجيرى
الملوك نحو ما جاء في ذكر الآجر فأوقد لي يا هامان على الطين. ومن لابتداء الغاية أي ومنه ينشأ زبد مثل
زبد الماء أو للتبعيض بمعنى وبعضه زبد. رابيا منتفخا مرتفعا على وجه السيل. جفاء يجفؤه السيل
أي يرمي به وجفأت القدر بزبدها وأجفأ السيل وأجفل. وفي قراءة رؤبة بن العجاج جفالا. وعن أبي
حاتم لا تقرأ بقراءة رؤبة لأنه كان يأكل الفار. وقرئ يوقدون بالياء أي يوقد الناس. للذين استجابوا اللام
متعلقة بيضرب أي كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا أي هما
مثلا الفريقين. والحسنى صفة لمصدر استجابوا أي استجابوا الاستجابة الحسنى. وقوله لو أن لهم كلام مبتدأ
في ذكر ما أعد لغير المستجيبين. وقيل قد تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الأمثال وما بعده كلام
مستأنف. والحسنى كلام مستأنف مبتدأ للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة. والذين لم يستجيبوا
مبتدأ خبره لو وما في حيزه. وسوء الحساب المناقشة. وعن النخعي أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء.
دخلت همزة الإنكار على الفاء في قوله أفمن يعلم لإنكار أن تقع شبهة بعدما ضرب من المثل في أن حال من
علم أن ما أنزل إليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد
والماء والخبث والإبريز. إنما يتذكر أولو الألباب أي الذين عملوا على قضايا عقولهم فنظروا واستبصروا.
الذين يوفون بعهد الله مبتدأ وأولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله
أولئك لهم اللعنة ويجوز أن يكون صفة لأولي الألباب والأول أوجه. وعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة
بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى. ولا ينقضون الميثاق ولا ينقضون كل ما وثقوه على أنفسهم
وقبلوه من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص. ما أمر الله
به أن يوصل من الأرحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان
إنما المؤمنون إخوة بالإحسان إليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة
لهم وطرح التفرقة بين أنفسهم وبينهم وإفشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم
ومنه مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاج.
وعن الفضيل بن عياض أن جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من أين أنتم قالوا من أهل خراسان قال اتقوا الله
وكونوا من حيث شئتم واعلموا أن العبد لو أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن
من المحسنين. ويخشون ربهم أي يخشون وعيده كله ويخافون خصوصا سوء الحساب فيحاسبون أنفسهم
قبل أن يحاسبوا. صبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والأموال ومشاق التكليف ابتغاء
وجه الله لا ليقال ما أصبره وأحمله للنوازل وأوقره عند الزلازل ولئلا يعاب بالجزع ولئلا
تشمت به الأعداء كقوله: وتجلدي للشامتين أريهم ... ولا لأنه لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت
كقوله: ما إن جزعت ولا هلعت ولا يرد بكاي زندا. وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن أن ينوي

منها ما كان به حسنا عند الله والالم يستحق به ثوابا وكان نفلا كلا نفل مما رزقناهم من الحلال لان الحرام لا يكون
رزقا ولا يسند الى الله سرا وعلانية يتناول النوافل لانها في السر افضل والفرايض لوجوب المجاهرة بها نفيا
للتهمة ويدرءون بالحسنة السيئة يدفعونها وعن ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم
من سيء غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان
اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا رأوا منكرا امروا بتغييره عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها
التي اراد الله ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع اهلها وجنات عدن بدل من عقبى الدار وقرئ فنعم
بفتح النون والاصل نعم فسكن العين ومن كسر النون فلنقل كسرة العين اليها ومن فتح سكن العين ولم ينقل وقرئ
يدخلونها على البناء للمفعول وقرأ ابن ابي عبلة صلح بضم اللام والفتح افصح اعلم ان الانساب لا تنفع
اذا تجردت عن الاعمال الصالحة وآبائهم جمع ابوي كل واحد منهم فكانه قيل من ابائهم وامهاتهم
سلام عليكم في موضع الحال لان المعنى قائلين سلام عليكم او مسلمين فان قلت بم تعلق قوله بما صبرتم
قلت بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم يعنون هذا الثواب بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من مشاق
الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى لان تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة كقوله
بما قد ارى فيها اوانس بدنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول السلام عليكم
بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز ان يتعلق بسلام اي يسلم عليكم ويكرمكم بصبركم من بعد ميثاقه من
بعد ما اوثقوه به من الاعتراف والقبول سوء الدار يحتمل ان يراد سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار
ويجوز ان يراد بالدار جهنم وبسوئها عذابها الله يبسط الرزق اي الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون
غيره وهو الذي بسط رزق اهل مكة ووسعه عليهم وفرحوا بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر واشر
لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الاخرة وخفي عليهم ان
نعيم الدنيا في جنب نعيم الاخرة ليس الا شيئا نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهو ما يتعجله من تميرات
او شربة سويق او نحو ذلك فان قلت كيف طابق قولهم لولا انزل عليه آية من ربه قوله ان الله يضل
من يشاء قلت هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك ان الايات الباهرة المتكاثرة التي اوتيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤتها نبي قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية فاذا جحدوها ولم يعتدوا بها
وجعلوه كان آية لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكانه قيل لهم ما اعظم عنادكم
وما اشد تصميمكم على كفركم ان الله يضل من يشاء من كان على مثل صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة
في الكفر فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل آية ويهدي اليه من كان على خلاف صفتكم اناب اقبل
الى الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير والذين آمنوا بدل من قوله من اناب وتطمئن قلوبهم بذكر الله
بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله
او تطمئن بذكر دلائله الدالة على وحدانيته او تطمئن بالقرآن لانه معجزة بينة تسكن القلوب
وتثبت اليقين فيها الذين آمنوا مبتدأ وطوبى لهم خبره ويجوز ان يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف
المضاف اي تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى
لك اصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب او الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك
والقراءة في قوله وحسن مآب بالرفع والنصب تدلك على محليها واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك
والواو في طوبى منقلبة عن الضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرأ مكوزة الاعرابي طيبى لهم فكسر الطا ٢
لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة كذلك ارسلناك اي مثل ذلك الارسال ارسلناك يعني ارسلناك
ارسالا له شان وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف ارسله فقال في امة قد خلت من قبلها امم
اي ارسلناك في امة قد تقدمتها امم كثيرة فهي اخر الامم وانت خاتم الانبياء لتتلوا عليهم الذي اوحينا اليك
لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن وحال هؤلاء انهم يكفرون بالرحمن
بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في ارسال مثلك
اليهم وانزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم قل هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء
عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم ولو ان قرآنا جوابه
محذوف كما تقول لغلامك لو اني قمت اليك وتترك الجواب والمعنى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال
عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها او قطعت به الارض حتى تتصدع وتتزايل قطعا او
كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار والتخويف
كما قال لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا يعضد ما في
قوله لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك من ارادة تعظيم ما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن وقيل
معناه ولو ان قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به
ولما تنبهوا عليه كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية وقيل ان ابا جهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطايع كما سخرت لداود
ان كنت نبيا كما تزعم فلست باهون على الله من داود وسخر لنا الريح لنركبها ونتجر الى الشام
ونرجع في يومنا فقد شق علينا قطع البعيد كما سخرت لسليمان او ابعث لنا رجلين او ثلاثة ممن
قد مات من ابائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها بالسير
ومجاوزتها وعن الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرآنا سيرت
به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد وقيل قطعت به الارض شققت

فجعلت

فجعلت انهارا وعيونا بل لله الامر جميعا على معنيين احدهما بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الايات
التي اقترحتموها الا ان علمه بان اظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله ان يلجئهم الى الايمان وهو
قادر على الالجاء لولا انه بنى امر التكليف على الاختيار ويعضده قوله افلم ييأس الذين آمنوا ان لو
يشاء الله لهدى الناس جميعا يعني مشيئة الالجاء والقسر لهدى الناس جميعا ومعنى افلم ييأس افلم يعلم
قيل هي لغة قوم من النخع وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن الشيء
عالم بانه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل
الرياحي اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم ويدل عليه ان عليا
وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرءوا افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس وقيل انما كتبه الكاتب
وهو ناعس مستوي السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الامام وكان متقلبا في ايدي اولئك الاعلام ٢
المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذي
اليه المرجع والقاعدة التي عليها البنا وهذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز ان يتعلق ان لو يشاء
الله بآمنوا على ولم يقنط عن ايمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم
بما صنعوا قارعة من كفرهم وسوء اعمالهم قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل
وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم واولادهم واموالهم او تحل القارعة قريبا منهم
فيفزعون ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها وتتعدى اليهم شرورها حتى يأتي وعد الله وهو
موتهم او القيامة وقيل ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب
قارعة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم
او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد
وعده ذلك فامليت الامهال وان يترك ملاوة من الزمان في خفض وامن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد
لهم وجواب عن اقتراحهم الايات على رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به وتسلية له افمن هو قائم احتجاج عليهم
في اشراكهم بالله يعني افالله الذي هو قائم رقيب على كل نفس صالحة او طالحة بما كسبت يعلم خيره وشره
ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ويجوز ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدأ ويعطف عليه وجعلوا وتمثيله افمن
هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده قل سموهم
اي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه باسمائهم ثم قال ام تنبئونه على ام المنقطعة كقولك للرجل
قل لي من زيد ام هو اقل من ان يعرف ومعناه بل اتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات
والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي ان يكون له شركاء ونحوه قل اتنبئون الله
بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ام بظاهر من القول من غير ان يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم
بافواههم ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد عليها
مناد على نفسه بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه فتبارك الله
احسن الخالقين وقرئ اتنبئونه بالتخفيف مكرهم كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا قرئ بالحركات الثلاث
وقرأ ابن ابي اسحق وصد بالتنوين ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه بانه لا يهتدي فما له من هاد
فما له من احد يقدر على هدايته لهم عذاب في الحياة الدنيا وهو ما ينالهم من القتل والاسر وسائر المحن فلا يلحقهم الا
عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا وما لهم من الله من واق وما لهم من حافظ من عذابه او ما لهم
من جهته واق من رحمته مثل الجنة صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف
على مذهب سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر تجري من تحتها الانهار كما تقول
صفة زيد اسمر وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار على حذف الموصوف
تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد وقرأ علي امثال الجنة على الجمع اي صفاتها اكلها دائم كقوله لا مقطوعة
ولا ممنوعة وظلها دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس والذين آتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود
كعبد الله بن سلام وكعب واصحابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران
وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بارض الحبشة فرحوا بما انزل اليك ومن الاحزاب يعني ومن احزابهم وهم
كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب
اسقفي نجران واشياعهما من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام
والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك
مما حرفوه وبدلوه من الشرايع فان قلت كيف اتصل قوله قل انما امرت ان اعبد الله بما قبله قلت هو جواب
للمنكرين معناه قل انما امرت فيما انزل الي بان اعبد الله ولا اشرك به فانكاركم له انكار لعبادة
الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وان لا يشرك به قال
يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وقرأ نافع
في رواية ابي خليد ولا اشرك به بالرفع على الاستئناف كانه قال وانا لا اشرك على الاستئناف
ويجوز ان يكون في موضع الحال على معنى امرت ان اعبد الله غير مشرك به اليه ادعوا خصوصا لا ادعو
الى غيره واليه لا الى غيره مرجعي وانتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم وكذلك انزلناه ومثل ذلك
الانزال انزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء

حكماً عربياً جملة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال • كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امور
يوافقهم عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له لئن اتبعتهم على دين ما هو الا
اهواء وشبه بعد ثبوت العلم بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر واهلكك
فلا يقيك منه واق وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب
فيه وان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله من شدة الشكيمة بمكان
كانوا يعيبونه بالزواج والاولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام وكانوا يقترحون عليه
الايات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشراً مثله ذوي ازواج وذرية وما كان لهم ان يأتوا
بآيات برأيهم وانما يأتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم
يكتب على العباد اي يفرض عليهم ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت
بدله ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا
سيئة لانهم مأمورون بكتبة كل قول وفعل ويثبت غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت
ايمانهم وطاعتهم وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضاً من الاناسي وسائر الحيوان والنبات •
والاشجار وصفاتها واحوالها والكلام في نحو هذا واسع المجال وعنده ام الكتاب اصل كل كتاب وهو اللوح
المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه وقرئ ويثبت • وإما نرينك وكيف ما ارينك الحال اريناك مصارعهم
وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم او نتوفينك قبل ذلك فانما عليك البلاغ الا تبليغ الرسالة فحسب
وعلينا الحساب لا عليك حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم ولا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم اولم يروا انا نأتي
الارض ارض الكفر ننقصها من اطرافها بما نفتح على المسلمين من بلادهم فينقص دار الحرب ويزيد في
دار الاسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم
الغالبون سنريهم آياتنا في الافاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن
نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر به ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم
طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر • وقرئ ننقصها بالتشديد لا معقب لحكمه
لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه بالرد والابطال
ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب قال لبيد طلب المعقب حقه المظلوم
والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس وهو سريع الحساب
فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا فان قلت ما محل قوله لا معقب لحكمه قلت هو جملة محلها
النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذاً حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة تريد
حاسراً وقد مكر الذين من قبلهم وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال فلله المكر
جميعاً ثم فسر بعد ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار لان من علم ما تكسب كل
نفس واعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة عما يراد بهم • وقرئ الكفار
والكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله والمراد بالكافر الجنس وقرأ جناح بن حبيش وسيعلم
الكافر من اعلمه اي سيخبر كفى بالله شهيداً بما اظهر من الادلة على رسالتي ومن عنده علم الكتاب والذي عنده
علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل ومن هو من علماء اهل
الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله عز وعلا والكتاب اللوح المحفوظ
وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في
اللوح الا هو شهيداً بيني وبينكم • ويعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة
وعلم من يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلاً لان الظرف اذا وقع صلة اوغل من على البناء للمفعول
وقرئ ومن عنده علم الكتاب فان قلت بم ارتفع علم الكتاب قلت في القراءة التي وقع فيها عنده صلة على
في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل
كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه وفي القراءة التي لم يقع عنده فيها صلة يرتفع العلم بالابتداء عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون
الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله

سورة ابراهيم مكية وهي اثنتان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب هو كتاب يعني السورة وقرئ لتخرج الناس من الظلمات
الى النور استعارتان للضلال والهدى باذن ربهم بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب
وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا
لمن آمن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستيناف كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وقوله الله
عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة
كما غلب النجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله الويل نقيض الوأل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه
لا يشتق منه فعل انما يقال ويلاً له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل له
كقولك سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل فان قلت ما وجه اتصال
قوله من عذاب شديد بالويل قلت لان المعنى انهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه
ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبوراً الذين يستحبون مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد
ويجوز ان يكون مجروراً صفة للكافرين ومنصوباً على الذم او مرفوعاً على اعني الذين يستحبون او هم الذين يستحبون

والاستحبا

والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه
ان يكون احب اليها وافضل عندها من الآخر وقرئ الحسن ويُصِدّون بضم الياء وكسر الصاد يقال صدّه
عن كذا واصده قال اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم والهمزة فيه داخلة على صد صدوداً
لنقله من غير المتعدي واما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كاوقفه لان الفصحاء
استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة • ويبغونها عوجاً • ويطلبون لسبيل الله زيغاً واعوجاجاً
وان يدلوا الناس على انها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل يبغون لها فحذف الجار واوصل
الفعل في ضلال بعيد اي ضلوا عن طريق الحق ووقفوا دونه بمراحل فان قلت فما معنى وصف الضلال بالبعيد
قلت هو من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف فعله
كما تقول جد جده ويجوز ان يراد في ضلال ذي بعد وفيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكاناً قريباً
وبعيداً الا بلسان قومه ليبين لهم اي ليفهموا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا
لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرآناً اعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته فان قلت لم يبعث رسول الله
الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعاً قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً بل الى الثقلين
وهم على السنة مختلفة فان لم يكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وان لم تكن لغيرهم الحجة فلو نزل بالعجمية لم
يكن للعرب حجة ايضاً قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة
او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان ينزل بلسان
واحد فكان اولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم
وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل امة من امم العجم
مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد المتباعدة والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة
على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد وما
يتكاثر في اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية الى جزيل الثواب ولانه ابعد
من التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين كلها مع اختلافها
وكثرتها وكان مستقلاً بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل امة بلسانها كما كلم امته
التي هو منها يتلوه عليهم معجزاً لكان ذلك قريباً من الالجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه • وقرئ بلسن
قومه واللسن واللسان كالريش والرياش بمعنى اللغة • وقرئ بلسُن قومه بضم اللام والسين مضمومة
او ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد وعمد على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد ورووه عن الضحاك
وان الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير للقوم وهم
العرب فيؤدي الى ان الله تعالى انزل التوراة من السماء بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد فيضل الله
من يشاء ويهدي من يشاء كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا يضل الا من يعلم انه لا يؤمن ولا يهدي الا
من يعلم انه يؤمن والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف وكان ذلك كناية عن الكفر
والايمان وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف ان اخرج
بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه وقلنا له اخرج ويجوز ان تكون ان الناصبة
للفعل وانما صلح ان توصل بفعل الامر لان الغرض وصلها بما تكون معه في تأويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره
سواء في الفعلية والدليل على جواز ان تكون الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل فادخلوا عليها حرف
الجر وكذلك التقدير بان اخرج قومك وذكرهم بايام الله وانذرهم بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد
وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر
وعن ابن عباس نعماؤه وبلاؤه فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم
البحر واما بلاؤه فاهلاك القرون لكل صبار شكور يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه فاذا سمع بما انزل الله من
البلاء على الامم وافاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر • وقيل اراد لكل مؤمن
لان الصبر والشكر من سجاياهم تنبيهاً عليهم اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي انعامه عليكم ذلك
الوقت فان قلت هل يجوز ان ينتصب بعليكم قلت لا يخلو من ان يكون صلة للنعمة بمعنى الانعام او غير صلة اذا
اردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة لم يعمل فيه واذا كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم
عمل فيها ويتبين الفرق بين الوجهين انك اذا قلت بنعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاماً حتى تقول
فاشية او ذائعة والا كان كلاماً ويجوز ان يكون اذ بدلاً من نعمة الله اي اذكروا وقت انجائكم وهو بدل
الاشتمال ويذبحون وفي سورة البقرة يذبحون وفي سورة الاعراف يقتلون وههنا ويذبحون مع الواو قلت
الفرق ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيراً للعذاب وبياناً له وحيث اثبت جعل التذبيح لانه
اوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كأنه جنس آخر فان قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم
قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله • ووجه آخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجاء
وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعاً قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير
فابلاهما خير البلاء الذي يبلو واذ تأذن ربكم من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على
قوله نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم
ومعنى تأذن ربكم آذن ربكم ونظير تأذن وآذن توعد واوعد وتفضل وافضل ولا بد في

تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل كأنه قيل وإذ أذن ربكم إيذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك وتنزاح معه العلل والمعنى وإذ تأذن ربكم فقال لئن شكرتم • أو أجري تأذن مجرى قال لأنه ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود وإذ قال ربكم لئن شكرتم أي لئن شكرتم يا بني إسرائيل ما خولتكم من نعمة الإنجاء وغيرها من النعم بالإيمان الخالص والعمل الصالح لأزيدنكم نعمة إلى نعمة ولأضاعفن لكم ما آتيتكم ولئن كفرتم وغمطتم ما أنعمت به عليكم • إن عذابي لشديد لمن كفر نعمتي ﴿وقال موسى إن تكفروا أنتم﴾ يا بني إسرائيل والناس كلهم فإنما ضررتم أنفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه وأنتم إليه محاويج والله غني عن شكركم حميد مستوجب للحمد بكثرة أنعمه وأياديه وإن لم يحمده الحامدون ﴿والذين من بعدهم﴾ لا يعلمهم إلا الله • جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضا أو عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم إلا الله اعتراض والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله • وعن ابن عباس بين عدنان وإسمعيل ثلاثون أبا لا يعرفون وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني أنهم يدعون علم الأنساب وقد نفى الله علمها عن العباد ﴿فردوا أيديهم في أفواههم﴾ فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الأنامل من الغيظ أو ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه أو أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم إنا كفرنا بما أرسلتم به أي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره إقناطا لهم من التصديق ألا ترى إلى قوله فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وهذا أقوى أو وضعوها على أفواههم يقولون للأنبياء أطبقوا أفواهكم واسكتوا أو ردوها في أفواه الأنبياء يشيرون لهم إلى السكوت أو وضعوها على أفواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون • وقيل الأيدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الأيادي أي ردوا نعم الأنبياء التي هي أجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما أوحي إليهم من الشرائع والآيات في أفواههم لأنهم إذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها في أفواههم ورجعوها إلى حيث جاءت منه على طريق المثل ﴿مما تدعوننا إليه﴾ من الإيمان بالله وقرئ تدعونا بإدغام النون ﴿مريب﴾ موقع في الريبة أو ذي ريبة من أرابه وأراب الرجل وهي قلق النفس وأن لا تطمئن إلى الأمر ﴿أفي الله شك﴾ أدخلت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام ليس في الشك وإنما هو في المشكوك فيه وأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وشهادتها عليه ﴿يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم﴾ أي يدعوكم إلى الإيمان ليغفر لكم أو يدعوكم لأجل المغفرة كقولك دعوته لينصرني ودعوته ليأكل معي وقال • دعوت لما نابني مسورا • فلبى فلبي يدي مسور • فإن قلت ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم قلت ما علمته جاء هكذا إلا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل أدلكم على تجارة إلى أن قال يغفر لكم ذنوبكم إلى غير ذلك يقفك عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوي بين الفريقين في الميعاد • وقيل أريد أنه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ إلى وقت قد سماه وبين مقداره يبلغكموه إن آمنتم وإلا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت ﴿إن أنتم إلا بشر مثلنا﴾ لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو أرسل الله إلى البشر رسلا لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة ﴿بسلطان مبين﴾ بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وإنما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا • ﴿إن نحن إلا بشر مثلكم﴾ تسليم لقولهم وأنهم بشر مثلهم يعنون أنهم مثلهم في البشرية وحدها فأما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة لأنه قد علم أنه لا يختصهم بتلك الكرامة إلا وهم أهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استأثروا بها على أبناء جنسهم ﴿إلا بإذن الله﴾ أرادوا أن الإتيان بالآية التي اقترحوها ليس إلينا ولا في استطاعتنا وما هو إلا أمر يتعلق بمشيئة الله ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا وأمروها به كأنهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم ألا ترى إلى قوله ﴿وما لنا ألا نتوكل على الله﴾ ومعناه وأي عذر لنا في أن لا نتوكل عليه ﴿وقد هدانا﴾ وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهدايته كل واحد منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين • فإن قلت كيف كرر الأمر بالتوكل قلت الأول لاستحداث التوكل وقوله فليتوكل المتوكلون معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم إلى أنفسهم على ما تقدم ﴿لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن﴾ ليكونن أحد الأمرين لا محالة إما إخراجكم وإما عودكم حالفين على ذلك • فإن قلت كأنهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عدت أراه عاد لفلان مال أو خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد ﴿لنهلكن الظالمين﴾ حكاية تقتضي إضمار القول أو إجراء الإيحاء مجرى القول لأنه ضرب منه وقرأ أبو حيوة ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لأوحى وأن لفظه لفظ الغيبة ونحوه قولك أقسم زيد ليخرجن ولأخرجن والمراد بالأرض أرض الظالمين وديارهم ونحوه وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها وأورثكم أرضهم وديارهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من آذى جاره ورثه الله داره • ولقد عاينت هذا في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي أنا فيها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما إلى أبناء خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويأمرون وينهون

فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثتهم به وسجدنا شكرا لله تعالى ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما قضى الله به من إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين ديارهم أي ذلك الأمر حق ﴿لمن خاف مقامي﴾ موقفي وهو موقف الحساب لأنه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة أو على إقحام المقام وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لأعماله والمعنى أن ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين • ﴿واستفتحوا﴾ واستنصروا الله على أعدائهم إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح • أو استحكموا الله وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على أوحى إليهم • وقرئ واستفتحوا بلفظ الأمر وعطفه على لنهلكن أي أوحى إليهم ربهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا • ﴿وخاب كل جبار عنيد﴾ معناه ولم يفلح باستفتاحه ﴿من ورائه﴾ من بين يديه قال • عسى الكرب الذي أمسيت فيه • يكون وراءه فرج قريب • وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لأنه مرصد لجهنم فكأنها بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف ﴿ويسقى﴾ فإن قلت علام عطف قوله ويسقى قلت على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد كأنه أشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت • فإن قلت ما وجه قوله من ماء صديد قلت صديد عطف بيان لماء لأنه أبهمه إبهاما ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود أهل النار ﴿يتجرعه﴾ يتكلف جرعه ﴿ولا يكاد يسيغه﴾ دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الإساغة كقوله لم يكد يراها أي لم يقرب رؤيتها فكيف يراها • ﴿ويأتيه الموت من كل مكان﴾ كأن أسباب الموت وأصنافه كلها قد تألبت عليه وأحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام وقيل من كل مكان من جسده حتى من إبهام رجله وقيل من أصل كل شعرة • ﴿ومن ورائه﴾ ومن بين يديه ﴿عذاب غليظ﴾ أي في كل وقت يستقبله يتلقى فيه عذابا أشد مما قبله وأغلظ • وعن الفضيل هو قطع الأنفاس وحبسها في الأجساد ويحتمل أن يكون أهل مكة قد استفتحوا أي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي أرسلت عليهم بدعوة رسول الله فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وأنه خيب رجاء كل جبار عنيد وأنه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد أهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل وأممهم ﴿مثل الذين كفروا﴾ مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره وفيما نقص عليكم مثل الذين كفروا بربهم والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله أعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد ويجوز أن يكون المعنى مثل أعمال الذين كفروا بربهم أو هذه الجملة خبر للمبتدأ أي صفة الذين كفروا أعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول • أو يكون أعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل أعمالهم وكرماد الخبر • وقرئ الرياح ﴿في يوم عاصف﴾ جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وإنما السكور لريحها • وقرئ في يوم عاصف بالإضافة • وأعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الأرحام وعتق الرقاب وفداء الأسارى وعقر الإبل للأضياف وإغاثة الملهوفين والإجارة وغير ذلك من صنائعهم شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير أساس من معرفة الله والإيمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف ﴿لا يقدرون﴾ يوم القيامة مما كسبوا على شيء من أعمالهم أي لا يرون له أثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ إشارة إلى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الثواب ﴿بالحق﴾ بالحكمة والغرض الصحيح والأمر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة • وقرئ خالق السموات والأرض ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ أي هو قادر على أن يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم إعلاما منه باقتداره على إعدام الموجود وإيجاد المعدوم يقدر على الشيء وجنس ضده ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ بل هو هين عليه يسير لأنه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فإذا خلص له الداعي إلى شيء وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريك أصبعك إذا دعاك إليه داع ولم يعترض دونه صارف • وهذه الآية بيان لإبعادهم في الضلال وعظم خطائهم في الكفر بالله لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وأنه هو الحقيق بأن يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء ﴿وبرزوا لله﴾ ويبرزون يوم القيامة وإنما جيء بلفظ الماضي لأن ما أخبر به عز وجل لصدقه كأنه قد كان ووجد ونحوه ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار ونظائر له • ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله تعالى فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا أن الله لا يخفى عليه خافية أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه • فإن قلت لم كتب الضعفا بواو قبل الهمزة قلت كتب على لفظ من يفخم الألف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو ونظيره علمؤا بني إسرائيل • والضعفاء الأتباع والعوام والذين استكبروا ساداتهم وكبراؤهم الذين استغووهم وصدوهم عن الاستماع إلى الأنبياء واتباعهم ﴿تبعا﴾ تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغائب وغيب أو ذوي تبع والتبع الأتباع يقال تبعه تبعا ﴿فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء﴾ من الأولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل هل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو بعض عذاب الله • فإن قلت فما معنى قولهم لو هدانا الله لهديناكم قلت الذي قال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم فهل أنتم مغنون عنا من باب التبكيت لأنهم قد علموا أنهم لا يقدرون على الإغناء عنهم فأجابوهم معتذرين عما كان منهم إليهم بأن الله لو هداهم إلى الإيمان لهدوهم ولم يضلوهم إما موركين الذنب في ضلالهم وإضلالهم على الله كما حكى الله تعالى عنهم • وقالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يقولون ذلك في الآخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء • ويجوز أن يكون المعنى لو كنا من أهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا

لهديناكم الى الايمان وقيل معناه لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم اي لاغنينا عنكم وسلكنا
بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل الهلكة سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة
وام للتسوية ۞ ونحوه اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم ۞ وروي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام
فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا اجزعنا ام صبرنا فان قلت
كيف اتصل قوله سواء علينا بما قبله قلت اتصاله به من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا
لهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ... يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا
مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع والتوبيخ كما لا فائدة في
الصبر والامر في ذلك اعظم او لما قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لاغنينا عنكم واجبناكم اتبعوه الاقناط
من النجاة فقالوا ما لنا من محيص اي منجى ومهرب جزعنا ام صبرنا ۞ ويجوز ان يكون من كلام الضعفاء
والمستكبرين جميعا كانه قيل قالوا جميعا سواء علينا كقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب ۞ والمحيص يكون
مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف ويقال حاص عنه وجاض بمعنى واحد لما قضي الامر
لما قطع الامر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخول احدهما الجنة ودخول الاخر النار
وروي ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في الاشقياء من الجن والانس فيقول ان الله وعدكم وعد الحق
وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان
من تسلط وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصي والجئكم اليها الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم الى الضلالة بوسوستي
وتزييني وليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك ما تحيتهم الا الضرب فلا تلوموني ولوموا انفسكم
حيث اغتررتم بي واطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا دليل على ان الانسان هو الذي
يختار الشقاوة او السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان
الامر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه فان قلت
باطلا لا يصح ... لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه واظهر انكاره على انه لا طائل
له في النطق بالباطل في ذلك المقام الا ترى الى قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم كيف اتى
فيه بالحق والصدق وفي قوله وما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل قول الله ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين ۞ ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله
ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة وقرئ بمصرخي بكسر الياء وهي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول
قال لها هل لك يا تافي قالت له ما انت بالمرضي وكأنه قدر ياء الاضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر
لما عليه اصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لان ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها الف
في نحو عصاي فما بالها وقبلها ياء فان قلت جرت الياء الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكأنها ياء وقعت
ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل قلت هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض
الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل اليه القياسات ۞ بما اشركتمون من قبل ما مصدرية ومن متعلقة
باشركتمون يعني كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا كقوله ويوم القيامة يكفرون
بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله انا برآء منكم ومما تعبدون
من دون الله كفرنا بكم وقيل من متعلقة بكفرت وما موصولة اي كفرت من قبل حين ابيت السجود
لآدم بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا فاذا نقلت بالهمزة قلت اشركنيه
فلان اي جعلني له شريكا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان
وغيرها وهذا اخر قول ابليس وقوله ان الظالمين لهم عذاب اليم قول الله عز وجل ويحتمل ان يكون من جملة
قول ابليس وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم
والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول اليه وان يتصوروا في انفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان
ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم ۞ وقرأ الحسن وادخل الذين امنوا على فعل المتكلم بمعنى
وادخل انا وهذا دليل على ان قوله ان الظالمين ... باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وامره
فبم يتعلق في القراءة الاخرى وقولك وادخلهم انا باذن ربهم كلام غير ملتئم قلت الوجه في هذه القراءة ان
يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده اي تحيتهم فيها سلام باذن ربهم يعني ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم ۞ كيف
ضرب الله مثلا اي اعتمد مثلا ووضعه ۞ كلمة طيبة نصب بمضمر اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة
وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس
ويجوز ان ينتصب مثلا وكلمة بضرب اي ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة
على انها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هي كشجرة طيبة اصلها ثابت يعني في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها
واعلاها ورأسها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس وقرأ انس
بن مالك كشجرة طيبة ثابت اصلها فان قلت اي فرق بين القراءتين قلت قراءة الجماعة اقوى معنى لان
في قراءة انس اجريت الصفة على الشجرة واذا قلت مررت برجل ابوه قائم فهو اقوى معنى من قولك مررت برجل
قائم ابوه ۞ والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وكل كلمة حسنة كالتسبيحة
والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن عباس شهادة ان لا اله الا الله واما الشجرة
فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله ضرب مثل المؤمن شجرة فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر

في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي انها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقولها وانا اصغر القوم ۞ وروي
فمنعني مكان عمر واستحييت فقال لي عمر يا بني لو كنت قلتها لكان احب الي من حمر النعم ۞ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا انها النخلة ۞ وعن ابن عباس شجرة في الجنة ۞ وقوله في السماء معناه في جهة العلو والصعود ولم يرد
المظلة كقولك في الجبل طويل في السماء تريد ارتفاعه وشموخه ۞ تؤتي اكلها كل حين تعطي ثمرها كل وقت وقته
الله لاثمارها باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه لعلهم يتذكرون لان في ضرب الامثال زيادة افهام
وتذكير وتصوير للمعاني ۞ كشجرة خبيثة ومثل شجرة خبيثة اي صفتها كصفتها ۞ وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا
على كلمة طيبة ۞ والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة ۞ واما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها
كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك ۞ وقوله اجتثت من فوق الارض في مقابلة قوله اصلها ثابت ومعنى اجتثت استؤصلت
وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها ما لها من قرار اي استقرار يقال قر الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا
شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذي لا يبقى انما يضمحل عن قريب لبطلانه
من قولهم الباطل لجلج ۞ وعن قتادة انه قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا
ولا في السماء مصعدا الا ان تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها القيمة ۞ والقول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان
في قلب صاحبه وتمكن فيه واعتقده واطمأنت اليه نفسه ۞ وتثبيتهم به في الدنيا انهم اذا فتنوا عن
دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط
الحديد وكما ثبت جرجيس وشمعون وغيرهما ۞ وتثبيتهم في الآخرة انهم اذا سئلوا عند مواقف الاشهاد
عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم اهوال الحشر ۞ وقيل معناه الثبات عند سؤال
القبر ۞ وعن البراء بن عازب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن ثم قال يعاد روحه في جسده فيأتيه
ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول الله ربي وديني الاسلام ومحمد نبيي
فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي وذلك قوله تعالى يثبت الذين امنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين
الذين لم يتمسكوا بحجة في دينهم وانما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون اباءهم فقالوا انا وجدنا
اباءنا على امة ۞ واضلالهم في الدنيا انهم لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل اقدامهم اول شيء وهم في الآخرة اذل واضل
ويفعل الله ما يشاء اي ما توجبه الحكمة لان مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتأييدهم وعصمتهم
وثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شأنهم عند زللهم بدلوا نعمة الله
اي شكر نعمة الله كفرا لان شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه
تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه ۞ ووجه اخر
وهو انهم بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر
بدل النعمة وهم اهل مكة اسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته واكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم
من الشكر العظيم او اصابهم الله بالنعمة في الرخاء والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم بالقحط
سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين اسروا وقتلوا يوم بدر وقد ذهبت عنهم النعمة وبقي
الكفر طوقا في اعناقهم ۞ وعن عمر رضي الله عنه هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية ۞ فاما بنو المغيرة
فكفيتموهم يوم بدر ۞ واما بنو امية فمتعوا حتى حين ۞ وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه
واحلوا قومهم ممن تابعهم على الكفر دار البوار دار الهلاك ۞ وعطف جهنم على دار البوار عطف بيان ۞ وقرئ
ليضلوا بفتح الياء وضمها ۞ فان قلت الضلال والاضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ الانداد فما معنى اللام قلت لما كان
الضلال والاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان الاكرام في قولك جئتك لتكرمني نتيجة المجيء دخلته اللام
وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب ۞ تمتعوا ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون
غيره ولا يريدونه مأمورون به قد امرهم امر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا يملكون لانفسهم امرا دونه
وهو امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار ۞ ويجوز
ان يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار ۞ المقول محذوف لان جواب قل يدل
عليه وتقديره قل لعبادي الذين امنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا ۞ وجوزوا ان يكون يقيموا
وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي هو قل
عوض منه ولو قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز ۞ فان قلت علام انتصب سرا وعلانية قلت
على الحال اي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين ۞ او على الظرف اي وقتي سر وعلانية ۞ او على المصدر
اي انفاق سر وانفاق علانية ۞ والمعنى اخفاء المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب والخلال المخالة
فان قلت كيف طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال قلت من قبل ان الناس
يخرجون اموالهم في عقود المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفي المكارمات ومهاداة الاصدقاء
ليستجروا بهداياهم امثالها او خيرا منها ۞ واما الانفاق لوجه الله خالصا كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى
الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال
اي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا بمخالة ولا بما ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع
فيه بالانفاق لوجه الله ۞ وقرئ لا بيع فيه ولا خلال بالرفع ۞ الله مبتدأ والذي خلق خبره ۞ من الثمرات بيان
للرزق اي اخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز ان يكون من الثمرات مفعول اخرج ورزقا حالا من المفعول
او نصبا على المصدر من اخرج لانه في معنى رزق ۞ بامره بقوله كن ۞ دائبين يدأبان في سيرهما
وانارتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات ۞ وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم

وآتاكم من كل ما سألتموه من للتبعيض أي آتاكم بعض ما سألتموه نظرا في مصالحكم. وقرئ من كلٍّ بالتنوين وما سألتموه نفي ومحله النصب على الحال أي آتاكم من جميع ذلك غير سائليه. ويجوز أن تكون ما موصولة على وآتاكم من كل ما احتجتم إليه ومما تصلح أحوالكم ومعايشكم به كأنكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدّ بعضها فضلا عن كلها إلا الله لظلوم كفار يظلم النعمة بإغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والإنسان للجنس فيتناول الإخبار بالظلم والكفران من يوجد منه هذا البلد يعني البلد الحرام زاده الله أمنا وكفاه كل ظالم باغ وأجاب فيه دعوة خليله إبراهيم آمنا ذا أمن فإن قلت أي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا قلت قد سأل في الأول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها فيها ولا يخافون وفي الثاني أن يخرجه من صفة كانت عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا واجنبني وبنيّ واجنبني وفيه ثلاث لغات جنبه الشر وجنّبه وأجنبه وأهل الحجاز يقولون جنّبني شرّه بالتشديد وأهل نجد جنبني شرّه وأجنبني والمعنى ثبتنا وأدمنا على اجتناب عبادتها وبنيّ أراد بنيه من صلبه وقيل ابن عيينة كيف عبدت العرب الأصنام قال ما عبد أحد من بني إسماعيل صنما واحتج بقوله تعالى واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام وإنما كانت أنصابا حجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب أن يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت إنهن أضللن كثيرا من الناس فأعوذ بك أن تعصمني وبنيّ من ذلك وإنما جعلن مضلات لأن الناس ضلوا بسببهن فكأنهن أضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم أي افتتنوا بها واغتروا بسببها فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي فإنه مني أي بعضي لفرط اختصاصه بي وملابسته لي وكذلك قوله من غشنا فليس منا أي ليس بعض المؤمنين على أن الغش ليس من أفعالهم وأوصافهم ومن عصاني فإنك غفور رحيم تغفر له ما سلف منه من عصياني إذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لي وقيل معناه ومن عصاني فيما دون الشرك من ذريتي بعض أولادي وهم إسماعيل ومن ولد منه بواد هو وادي مكة غير ذي زرع لا يكون فيه شيء من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه إلا الاستقامة لا غير وقيل للبيت المحرم لأن الله تعالى حرّم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما آمنا لمكانه أو لأنه لم يزل ممتنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه أن يجتنب أو لأنه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها أو لأنه حرّم على الطوفان أي منع منه كما سمي عتيقا لأنه أعتق منه فلم يستول عليه ليقيموا الصلاة اللام متعلقة بأسكنت أي ما أسكنتهم بهذا الوادي الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق إلا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما يعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين إليك بالعكوف عند بيتك والطواف والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك أفئدة من الناس من للتبعيض ويدل عليه ما روي عن مجاهد لو قال أفئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليه حتى الروم والترك والهند ويجوز أن تكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي فكأنه قيل أفئدة ناس وإنما نكرت المضاف إليه في هذا التمثيل للتنكير أفئدة لأنها في الآية نكرة ليتناول بعض الأفئدة وقرئ آفدة بوزن عاقدة وفيه وجهان أحدهما أن يكون من القلب كقولهم آدر في أدور والثاني أن يكون اسم فاعل من أفدت الرحلة أي عجلت أي أن تطرح الهمزة للتخفيف وإن كان الوجه أن تخفف بإخراجها بين بين وأن يكون من أفد تهوي إليهم تسرع إليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا ومن قوله: تهوي مخارمها هوي الأجدل. وقرئ تُهوَى إليهم على البناء للمفعول من هوى إليه وأهواه غيره وتَهوَى إليهم من هوي يهوى إذا أحب ضمّن معنى تنزع فعدّي تعديته وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا ما فيه شيء منها بأن تجلب إليهم من البلاد لعلهم يشكرون النعمة في أن يرزقوا أنواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم أن الله عز وجل أجاب دعوته فجعله حرما آمنا تجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله في وجود أصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى أخصب البلاد وأكثرها ثمارا وفي أي بلاد من بلاد الشرق والغرب ترى الأعجوبة التي يريكها الله بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الأزمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه وأدام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة إبراهيم عليه السلام ورزقنا طرفا من سلامة ذلك القلب السليم النداء المكرر دليل التضرع واللجأ إلى الله تعالى إنك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لأن غيبا من الغيوب لا يحتجب عليك والمعنى أنك أعلم بأحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا وأنت أرحم بنا وأنصح لنا منا بأنفسنا ولها فلا حاجة إلى الدعاء والطلب وإنما ندعوك إظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا إلى ما عندك واستعجالا لنيل أياديك وولها إلى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في إصابة معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة وعن بعضهم أنه رفع حاجته إلى كريم فأبطأ عليه النجح فأراد أن يذكّره فقال مثلك لا يذكَّر استقصارا ولا توهما للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته أن لا يتكلم فيها وقيل ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع إلى من تكلنا قال إلى الله أكلكم قالت آلله أمرك بهذا قال نعم قالت

إذن لا نخشى تركتنا إلى كاف وما يخفى على الله من شيء من كلام الله عز وجل تصديقا لإبراهيم عليه السلام كقوله وكذلك يفعلون أو من كلام إبراهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان ومن للاستغراق كأنه قيل وما يخفى على الله شيء ما على في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله: إني على ما ترين من كبري ٭ أعلم من حيث تؤكل الكتف. وهو في موضع الحال ومعناه وهب لي وأنا كبير وفي حال الكبر. وروي أن إسماعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له إسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة وقد روي أنه ولد له إسماعيل لأربع وستين وإسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لإبراهيم إلا بعد مائة وسبع عشرة سنة وإنما ذكر حال الكبر لأن المنة بهبة الولد فيها أعظم من حيث إنها حال وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب اليأس من أجل النعم وأحلاها في نفس الظافر ولأن الولادة في تلك السن العالية كانت آية لإبراهيم عليه السلام إن ربي لسميع الدعاء كان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر الله على ما أكرمه به من إجابته فإن قلت الله تعالى يسمع كل دعاء أجابه أو لم يجبه قلت هو من قولك سمع الملك كلام فلان إذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده. وفي الحديث ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن فإن قلت ما هذه الإضافة إضافة السميع إلى الدعاء قلت إضافة الصفة إلى مفعولها وأصلها لسميعٌ الدعاءَ وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيدا وضراب أخاه ومنحار إبله وحذر أمورا ورحيم أباه ويجوز أن يكون من إضافة فعيل إلى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على الإسناد المجازي والمراد سماع الله ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني وإنما بعّض لأنه علم بإعلام الله أنه يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين. وتقبل دعاءِ أي عبادتي واعتزلكم وما تدعون من دون الله في قراءة أبيّ ولأبويّ وقرئ ولوالدي على الإفراد يعني أباه وقرئ ولولديّ يعني إسماعيل وإسحق وقرئ لوُلدي بضم الواو والوُلد بمعنى الولد كالعُدم والعَدم وقيل جمع ولد كأُسْد في أَسَد وفي بعض المصاحف ولذريتي فإن قلت كيف جاز له أن يستغفر لأبويه وكانا كافرين قلت هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه إلا بالتوقيف وقيل أراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الإسلام ويأباه قوله إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك لأنه لو شرط الإسلام لكان استغفارا صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بإبراهيم يوم يقوم الحساب أي يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس إذا أشرقت وثبت ضوءها كأنها قامت على رجل ويجوز أن يسند إلى الحساب قيام أهله إسنادا مجازيا أو يكون مثل واسأل القرية. وعن مجاهد قد استجاب الله له فيما سأل فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد آمنا ورزق أهله من الثمرات وجعله إماما وفي ذريته من يقيم الصلاة وأراه مناسكه وتاب عليه. وعن ابن عباس أنه قال كانت الطائف من أرض فلسطين فلما قال إبراهيم ربنا إني أسكنت من ذريتي الآية رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم فإن قلت يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أعلم الناس به غافلا حتى قيل ولا تحسبن الله غافلا قلت إن كان خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان أحدهما التثبيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله إلها آخر كما جاء في الأمر يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والثاني أن المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الإيذان بأنه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وأنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز أن يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعمل ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وإن كان خطابا لغيره ممن يجوز أن يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا سؤال فيه. وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال إنما قاله من علمه. وقرئ نؤخرهم بالنون ليوم تشخص فيه الأبصار أي أبصارهم لا تقر في أماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين إلى الداعي وقيل الإهطاع أن تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر إليه ولا تطرف مقنعي رؤوسهم رافعيها لا يرتد إليهم طرفهم لا يرجع إليهم أن يطرفوا بعيونهم أي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للأجفان أو لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم وأفئدتهم هواء الخلاء الذي لم تشغله الأجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء إذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جرأة ويقال للأحمق أيضا قلبه هواء قال زهير: كأن الرحل منها فوق صعل ٭ من الظلمان جؤجؤه هواء. لأن النعام مثل في الجبن والحمق وقال حسان: فأنت مجوف نخب هواء. وعن ابن جريج أفئدتهم هواء صفر من الخير خاوية منه قال أبو عبيدة جوف لا عقول لهم يوم يأتيهم العذاب مفعول ثان لأنذر وهو يوم القيامة ومعنى أخرنا إلى أجل قريب ردنا إلى الدنيا وأمهلنا إلى أمد من الزمان نتدارك ما فرطنا فيه من إجابة دعوتك واتباع رسلك أو أريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وأنهم يسألون يومئذ أن يؤخرهم ربهم إلى أجل قريب كقوله لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق أولم تكونوا أقسمتم على إرادة القول وفيه وجهان أن يقولوا ذلك بطرا وأشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه وأن يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا ما لكم جواب القسم وإنما جاء بلفظ الخطاب لقوله أقسمتم ولو حكي لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال والمعنى أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون إلى دار أخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت يقال سكن الدار

وسكن فيها ومنه قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم لان السكنى من السكون الذي هو
اللبث والاصل تعديته بفي كقولك قر في الدار وغني فيها واقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص
تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها واوطنها ويجوز ان يكون سكنوا من السكون اي
قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها
بما لقي الاولون من ايام الله فكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا وتبين لكم بالاخبار
والمشاهدة كيف اهلكناهم وانتقمنا منهم وقرئ ونبين لكم بالنون وضربنا لكم الامثال اي صفات
ما فعلوا وفعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم وقد مكروا مكرهم اي
مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وعند الله مكرهم لا يخلو اما ان يكون مضافا الى
الفاعل كالاول على ان المعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه
او ان يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي
يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون وان كان مكرهم لتزول منه الجبال
وان عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته اي وان كان
مكرهم مسوى لازالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان
الله ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله وشرائعه
لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وتنصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وقرئ لتزول بلام
الابتداء على وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع عن اماكنها وقرأ علي وعمر رضي الله عنهما
وان كاد مكرهم مخلف وعده رسله يعني قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي فان قلت
هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الاول قلت قدم الوعد ليعلم انه لا يخلف الوعد
اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده احدا وليس من شانه
اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد
وهذه في الضعف كمن قرأ قتل اولادهم شركائهم عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه
يوم تبدل الارض انتصابه على البدل من يوم يأتيهم او على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض
ارضا اخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات التي تعرفونها والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات
كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفي الاوصاف كقولك
بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات واختلف في تبديل الارض والسموات فقيل تبدل اوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها
وتسوى فلا ترى فيها عوجا ولا امتا وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير وانشد
وما الناس بالناس الذين عرفتهم ولا الدار بالدار التي كنت اعلم
وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وقيل يخلق بدلها ارض وسموات اخر وعن ابن مسعود
وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطأ عليها احد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات
من ذهب وعن الضحاك ارضا من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم نبدل الارض بالنون وبرزوا لله
الواحد القهار قلت هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد
غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار كان الامر في غاية الصعوبة والشدة مقرنين
قرن بعضهم مع بعض او مع الشياطين او قرنت ايديهم الى ارجلهم مغللين وقوله في الاصفاد اما ان يتعلق
بمقرنين اي يقرنون في الاصفاد واما ان لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود
وقيل الاغلال وانشد لسلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق
القطران فيه ثلاث لغات قطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب
من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وحره والجلد وقد تبلغ حرارته
الجوف ومن شانه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فتطلى
به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص ليجتمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته
واسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين
وكل ما وعده الله او وعد به في الآخرة فبينه وبين ما يشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكانه ما عندنا
منه الا الاسامي والمسميات ثمة فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق فيما ينجينا من عذابه
وقرئ من قطر آن والقطر النحاس والصفر المذاب والآني المتناهي حره وتغشى وجوههم النار كقوله افمن
يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة يوم يسحبون في النار على وجوههم لان الوجه اعز شيء في ظاهر البدن
واشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى وتغشى وجوههم
بمعنى وتتغشى وجوههم اي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة
ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم هذا بلاغ للناس كفاية
في التذكير والموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله الى قوله سريع الحساب ولينذروا
به معطوف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ وقرئ ولينذروا بفتح الياء من نذر
اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر
حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر

عشر

عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبدها

سورة الحجر مكية تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن
المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قرآن مبين
كانه قيل الجامع للكمال والغرابة في البيان وقرئ ربما وربتما بالتشديد وربما بالضم والفتح مع التخفيف
فان قلت لم دخلت على المضارع وقد ابوا دخولها الا على الماضي قلت لان المترقب في اخبار الله تعالى
بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قيل ربما ود فان قلت متى تكون ودادتهم قلت عند الموت
او يوم القيامة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا رأوا المسلمين يخرجون من النار وهذا ايضا باب
من الودادة فان قلت ما معنى التقليل قلت هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على
فعلك وربما ندم الانسان على ما فعل ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا
لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض
للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما من الكثير وكذلك المعنى في الآية لو كانوا يودون
الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة لو كانوا مسلمين حكاية
ودادتهم وانما جيء به على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله
لافعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان
حانت منهم افاقة في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا ذرهم يعني اقطع طمعك من ارعوائهم
ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم
وتنفيذ شهواتهم ويشغلهم املهم وتوقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة
الا خيرا فسوف يعلمون سوء صنيعهم والغرض الايذان بانهم من اهل الخذلان وانهم لا يجيء منهم الا ما هم
فيه وانه لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى اتعاظهم قبل
ذلك فامر رسوله بان يخليهم وشأنهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وان يبالغ في تخليتهم حتى يأمرهم
بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار واعذار فيه وفيه تنبيه
على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل وهذه هجيرى اكثر الناس ليس من اخلاق المؤمنين
وعن بعضهم التمتع في الدنيا من اخلاق الهالكين ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط
الواو بينهما كما في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة
بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كتاب معلوم مكتوب وهو اجلها
الذي كتب في اللوح وبين الا ترى الى قوله ما تسبق من امة اجلها في موضع كتابها وانث الامة اولا ثم ذكرها
آخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال وما يستاخرون بحذف عنه لانه معلوم وقرأ الاعمش يا ايها الذي
ألقي عليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم
مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله عز وجل في مواضع منها فبشرهم بعذاب اليم انك لانت الحليم الرشيد
وقد يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين حتى تدعي ان الله نزل عليك الذكر
لو ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض واما هل فلم تركب
الا مع لا وحدها للتحضيض قال ابن مقبل لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري
والمعنى هلا تاتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله لولا انزل
اليه ملك فيكون معه نذيرا او هلا تاتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما
كانت تاتي الامم المكذبة برسلها وقرئ تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل وننزل الملائكة بالنون
ونصب الملائكة الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان تاتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون
لكم بصدق النبي لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي او العذاب واذا جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء الشرط مقدر
تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم
في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فاكد عليهم انه هو المنزل على القطع والبتات وانه
هو الذي بعث به جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم وبين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين
وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه
لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف
ولم يكل القرآن الى غير حفظه فان قلت فحين كان قوله انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم
فكيف اتصل به قوله وانا له لحافظون قلت قد جعل ذلك دليلا على انه منزل من عنده آية لانه
لو كان من قول البشر او غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه
وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك من الناس في شيع الاولين في فرقهم
وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعناه ارسلنا فيهم
رسلا وجعلناه رسولا فيما بينهم وما ياتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع

الا وهو في معنى الحال ولا على ماضي الا وقريب من الحال يقال سلكت الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير للذكر اي مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر في قلوب المجرمين على معنى انا نلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزا به غير مقبول كما لو انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام يعني مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية وكلامه له

لا يومنون به النصب على الحال اي غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه وقد خلت سنة الاولين طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم فظلوا فيه يعرجون بالضم والكسر وسكرت حيرت او حبست من الابصار من السكر او السكر وقرئ سكرت بالتخفيف اي حبست كما يحبس النهر من الجري وقرئ سكرت من السكر اي حارت كما يحار السكران والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ في غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السما ويسر لهم معراج يصعدون به اليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة اي لو اريناهم الملائكة يصعدون في السما عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار بروجا منازل للكواكب في محل النصب على الاستثنا وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السما فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد منعوا من السموات كلها شهاب مبين ظاهر للمبصرين موزون وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان او له وزن وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها معايش بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث فان تصريح اليا فيها خطا والصواب الهمزة او اخراج اليا بين بين وقد قرئ معائش بالهمز على التشبيه ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم كانه وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين او جعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون انهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرازق يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب وكل ما هو بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم انهم هم الرازقون ولا يجوز ان يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور لواقح فيه قولان احدهما ان الريح لاقح اذا جاءت بخير من انشا سحاب ماطر كما قيل للتي لا تاتي بخير ريح عقيم والثاني ان اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السما وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهارا لعجزهم ونحن الوارثون اي الباقون بعد هلاك الخلق كلهم وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله صلعم في دعائه واجعله الوارث منا ولقد علمنا من استقدم ولادة وموتا ومن تاخر من الاولين والاخرين او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تاخر وقيل المستقدمين في صفوف الجماعة والمستاخرين وروي ان امراة حسنا كانت في المصليات خلف رسول الله صلعم فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعض يستاخر لينظر اليها فنزلت هو يحشرهم اي هو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد اطراف عددهم انه حكيم عليم باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب وقد احاط علما بكل شيء الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت به ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن والحما الطين الاسود المتغير والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ اي افرغ صورة انسان كما يفرغ الصور من الجواهر المذوبة في امثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا من حما صفة لصلصال اي خلقه من صلصال كائن من حما ومن مسنون بمعنى مصور اي يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحما فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر اخر والجان للجن كادم للناس وقيل هو ابليس اللعين ويجوز ان يراد بالجان الجنس كما هو الظاهر وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد والجأن بالهمز من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان واذ قال ربك واذكر وقت قوله سويته عدلت خلقته واكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها ومعنى ونفخت فيه من روحي واحييته وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه واستثنى ابليس من الملائكة لانه كان بينهم مامورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثني بعد التغليب كقولك رأيتهم الا هندا او اي استيناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد ابى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس ابى حرف الجر مع ان محذوف تقديره ما لك في ان لا تكون مع الساجدين بمعنى اي غرض لك في ابايك السجود واي داع لك اليه اللام في لاسجد لتاكيد النفي ومعناه لا يصح مني ويتنافى حالي ان اسجد لبشر رجيم شيطان من الذين يرجمون بالشهب او مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه

ملعون لان اللعن هو الطرد من الرحمة والابعاد منها والضمير في منها عايد الى الجنة او السما او الى جملة الملائكة وضرب يوم الدين حدا للعنة اما لانه ابعد غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله ما دامت السموات والارض في التابيد واما ان يراد انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جا ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سال الانتظار الى يوم الدين لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك وانظر الى اخر ايام التكليف بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن والمعنى اقسم باغوايك اياي لازينن لهم ومعنى اغوايه اياه تسبيبه لغيه بان امره بالسجود لادم عليه السلم فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لامر الله ولكن ابليس اختار الابا والاستكبار فهلك والله تعالى بري من غيه ومن ارادته والرضى به ونحوه قوله فبما اغويتني لاقعدن وقوله فبعزتك لاغوينهم في انه اقسام بصفته والثاني اقسام بفعله وقد فرق الفقها بينهما ويجوز ان لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك لاغوايي اقسم لافعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لاغوايهم بان ازين لهم المعاصي واوسوس اليهم ما يكون سبب هلاكهم في الارض في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او اراد اني اقدر على الاحتيال لادم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو في السما فانا على التزيين لاولاده في الارض اقدر او اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزييني فيها اي لازيننها في اعينهم ولاحدثنهم بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الاخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه يخرج في عراقيبها نصلي استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه هذا طريق حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ علي من علو الشرف والفضل لموعدهم الضمير للغاوين وقيل ابواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقرئ جزء بالتخفيف والتثقيل وقرأ الزهري جز بالتشديد كانه حذف الهمزة والقى حركتها على الزاي كقولك خب ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم اجرى الوصل مجرى الوقف المتقي على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس رضه اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها ادخلوها على ارادة القول وقرئ ادخلوها بسلام سالمين او مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة الغل الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل اي ان كان لاحدهم في الدنيا غل على اخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي عليه السلم ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم وعن الحرث الاعور كنت جالسا عنده اذ جا ابن طلحة فقال له علي مرحبا بك يا ابن اخي اما والله اني لارجو ان اكون انا وابوك ممن قال الله فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قايل كلا والله اعدل من ان يجمعك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه الاية لا ام لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التواد والتحاب واخوانا نصب على الحال على سرر متقابلين كذلك وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيث ما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين لما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه نبئ عبادي تقريرا لما ذكر وعده وتمكينا له في النفوس وعن ابن عباس غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف ونبئهم على نبئ عبادي ليتخذوا ما احل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمت سلاما وجلون خائفون وكان وجله لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت وقرأ الحسن لا توجل بضم التا من اوجله اذا اخافه وقرئ لا تاجل ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل اراد وا انك بمثابة الامن المبشر فلا توجل يعني ابشرتموني مع مس الكبر بان يولد لي اي ان الولادة امر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال فباي اعجوبة تبشروني او اراد انكم تبشروني بما هو غير متصور في العادة فباي شيء تبشرون يعني لا تبشروني في الحقيقة بشيء لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء ويجوز ان تكون صلة للبشر ويكون سوالا عن الوجه والطريقة يعني باي طريقة تبشروني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة وقوله بشرناك بالحق يحتمل ان تكون الباء فيه صلة اي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك بطريقة هي حق وهي قول الله ووعده وانه قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ تبشرون بادغام نون الجمع في نون العماد وكسرها على حذف نون الجمع والاصل تبشرونني وتبشرون بفتح النون وقرئ من القنطين من قنط يقنط وقرئ ومن يقنط بالحركات الثلاث في النون اراد ومن يقنط من رحمة ربه الا المخطئون طريق الحق او الا الكافرون كقوله لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يعني لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها الله فان قلت قوله الا ال لوط استثنى متصل ام منقطع قلت لا يخلو اما ان يكون استثنى من قوم فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان او يكون استثنى من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كانه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا ال لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فان قلت فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناين قلت نعم وذلك ان ال لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال وعلى انهم ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة

ولم نتوسلوا الى آل لوط اصلاً ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الحجر او السهم الى المرمى في انه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوماً مجرمين ولكن آل لوط نجيناهم واما في المنقطع فهم داخلون في حكم الارسال وعلى ان الملئكة ارسلوا اليهم جميعاً ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الارسال مخلصاً بمعنى الاهلاك والتعذيب كما في الوجه الاول. فان قلت فقوله انا لمنجوهم بم يتعلق على الوجهين قلت اذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاماً مستانفاً كأن ابرهيم صلى الله عليه وسلم قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم. فقوله الا امرأته مم استثني وهل هو استثناء من استثناء قلت استثني من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس الاستثناء من الاستثناء في شيء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امرأته كما اتحد الحكم في قول المطلق انت طالق ثلاثاً الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان علي عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهماً. فاما في الآية فقد اختلف الحكمان لان الا آل لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امرأته قد تعلق بمنجوهم فانى يكون استثناء من استثناء. وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا انها لمن الغابرين والتعليق من خصائص افعال القلوب قلت لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله اعمال العباد بالعلم. فان قلت فلم اسند الملئكة فعل التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله قلت لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما تقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه. وقرئ قدرنا بالتخفيف منكرون اي تنكركم نفسي وتنفر عنكم فاخاف ان تطرقوني بشر. بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم به فيمترون فيه ويكذبونك. وآتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بنزوله بهم. وقرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها من اسرى وسرى. وروى صاحب الاقليد فسر من السير. والقطع في آخر الليل قال

افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم

وقيل هو بعد ما يمضي شيء صالح من الليل. فان قلت ما معنى امره باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات قلت قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجراً فلم يكن له بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعاً عليهم وعلى احوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاماً منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحالة المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما نزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدماً غير ملتفتين الى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي اليه اخادعه كما قال

تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا

او جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان من يتلفت لا بد له في ذلك من ادنى وقفة. حيث تؤمرون قيل هو مصر. وعدي وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرون. وعدي وقضينا بالى لانه ضمن معنى اوحينا كانه قيل واوحينا اليه مقضياً مبتوتاً. وفسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم له. وقرأ الاعمش انه بالكسر على الاستئناف كان قائلاً قال اخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هؤلاء وفي قراءة ابن مسعود وقلنا ان دابر هؤلاء. ودابرهم آخرهم يعني يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد. اهل المدينة اهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور مستبشرين بالملئكة. فلا تفضحون بفضيحة ضيفي لان من اسيء الى ضيفه او جاره فقد اسيء اليه كما ان من اكرم من يتصل به فقد اكرم. ولا تخزون ولا تذلوني باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان او ولا تشوروا بي من الخزاية وهي الحياء. عن العالمين عن ان تجير منهم احداً او تدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان يقوم صلى الله عليه وسلم بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين. وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم وكانوا نهوه ان يضيف احداً قط. هؤلاء بناتي اشارة الى النساء لان كل امة اولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكانه قال هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا بني فلا تتعرضوا لهم. ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون. وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم. لعمرك على ارادة القول اي قالت الملئكة للوط عليه السلام لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اي في غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطا الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات. يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك. وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه اقسم بحياته وما اقسم بحياة احد قط كرامة له. والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف منه وذلك لان الحلف كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما اقسم به كما حذفوا الفعل في قولك بالله. وقرئ في سكرهم وفي سكراتهم. الصيحة صيحة جبريل عليه السلام مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس. من سجيل قيل من طين عليه كتاب من السجيل ودليله قوله حجارة من طين مسومة عند ربك اي معلمة بكتاب. للمتوسمين للمتفرسين المتاملين. وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء. يقال توسمت في فلان كذا اي عرفت وسمه فيه. وانها وان هذه القرى يعني آثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين. اصحاب الايكة قوم شعيب وانهما يعني قرى قوم لوط والايكة. وقيل الضمير للايكة ومدين لان شعيباً عليه السلام كان مبعوثاً اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما. لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به. اصحاب الحجر ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام. المرسلين يعني بتكذيبهم صالحاً لان من كذب واحداً منهم فكانما كذب جميعهم او اراد صالحاً ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير واصحابه. وعن جابر مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذراً ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله راحلته فاسرع حتى خلفها. آمنين لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تنهدم ويتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الاعداء وحوادث الدهر. او آمنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه. ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال والعدد. الا بالحق الا خلقاً ملتبساً بالحق والحكمة لا باطلاً وعبثاً او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال. وان الساعة لآتية وان الله لينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك. فاصفح فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضاً جميلاً بحلم واغضاء. وقيل هو منسوخ بآية السيف ويجوز ان يراد به المخالقة فلا يكون منسوخاً. ان ربك هو الخلاق العليم الذي خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم او ان ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح. وفي مصحف ابي وعثمان ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب وقطع الثوب والثياب. سبعاً سبع آيات وهي الفاتحة او سبع سور وهي الطوال واختلف في السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بآية التسمية. وقيل سورة يونس وقيل هي الحواميم او سبع صحائف وهي الاسباع. والمثاني من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلاة وغيرها او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله تعالى الواحدة مثناة او مثنية صفة للآية. واما السور والاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء كانها تثني على الله تعالى بافعاله العظمى وصفاته الحسنى. ومن اما للبيان او للتبعيض اذا اردت بالسبع الفاتحة او الطوال وللبيان اذا اردت الاسباع. ويجوز ان يكون كتب الله كلها مثاني لانها تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها. فان قلت كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع وهل هو الا عطف الشيء على نفسه قلت اذا عني بالسبع الفاتحة او الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل. الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف. واذا عنيت الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم اي الجامع لهذين النعتين وهو الثناء او التثنية والعظم. اي لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له. الى ما متعنا به ازواجاً منهم اصنافاً من الكفار. فان قلت كيف وصل هذا بما قبله قلت يقول لرسوله قد اوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة ضئيلة وهي القرآن العظيم فعليك ان تستغني به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا. ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن. وحديث ابي بكر من اوتي القرآن فرأى ان احداً اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيماً وعظم صغيراً. وقيل وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجوهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله عز وجل فقال لهم الله تعالى لقد اعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه السبع القوافل. ولا تحزن عليهم اي لا تتمن اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المؤمنون. وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفساً عن ايمان الاغنياء والاقوياء. وقل لهم اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم. فان قلت بم تعلق قوله كما انزلنا قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بقوله ولقد آتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه. وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي. ويجوز ان يراد بالقرآن ما يقرؤونه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود اقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى اقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض. وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم. وقولهم سحر وشعر واساطير الاولين بان غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم. والثاني ان يتعلق بقوله وقل اني انا النذير اي وانذر قريشاً مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين. وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم. او مثل ما انزلنا على الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحاً عليه السلام والاقتسام بمعنى التقاسم. فان قلت اذا علقت قوله كما انزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن الى آخره بينهما قلت لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بمجامعه على المؤمنين. عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء قال رؤبة وليس دين الله بالمعضى. وقيل

هي فعلة من عضهته. وعن عكرمة العضه السحر بلغة قريش يقولون للساحرة عاضهة ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
العاضهة والمستعضهة نقصا بها على الواو او على الثاني فيها لنسألنهم عبارة عن الوعيد وقيل نسألنهم
سؤال التقريع. وعن ابي العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا المرسلين
فاصدع بما تؤمر فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا كقولك صرح بها من الصديع وهو
الفجر والصدع في الزجاجة الابانة. وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر. والمعنى بما تؤمر به
من الشرائع فحذف الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان تكون ما مصدرية اي
بامرك مصدر من المبني للمفعول. وعن عروة بن الزبير ان المستهزئين خمسة نفر ذوو اسنان وشرف الوليد
بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب والحارث بن الطلاطلة. وعن
ابن عباس ماتوا كلهم قبل بدر قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر
بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات. واومى الى اخمص العاص
ابن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى فمات. واشار الى عيني
الاسود بن المطلب فعمي واشار الى انف الحارث بن قيس فامتخط قيحا فمات. واشار الى الاسود بن عبد يغوث
وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات بما يقولون من اقاويل
الطاعنين فيك وفي القرآن فسبح فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفيك ويكشف
عنك الغم ودم على عبادة ربك حتى ياتيك اليقين اي الموت اي ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة. وعن النبي
انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر
عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها
وتسمى سورة النعم ايضا وهي مائة وثمان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم كانوا يستعجلون ما وعدوا
من قيام الساعة او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم اتى امر الله اي هو بمنزلة
الآتي الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه فلا تستعجلوه روي انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا
يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا
فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما
تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزل فلا تستعجلوه فاطمأنوا. وقرئ
تستعجلوه بالياء والتاء سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ عز وجل من ان يكون له شريك وان تكون آلهتهم له شركاء
او عن اشراكهم على ان ما موصولة او مصدرية فان قلت كيف اتصل هذا باستعجالهم قلت لان استعجالهم استهزاء
وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ يشركون بالياء والتاء ينزل قرئ بالتخفيف والتشديد وقرئ تنزل الملائكة اي تتنزل
بالروح بالوحي من امره اي مما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه او بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وان
انذروا بدل من الروح اي ينزلهم بان انذروا او تقديره بان انذروا اي بان الشأن اقول لكم انذروا وتكون
ان مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول. ومعنى انذروا انه لا اله الا انا اعلموا بان الامر ذلك
من نذرت بكذا اذا علمته. والمعنى يقول لهم اعلموا الناس قولي لا اله الا انا فاتقون فيه دلالة على وحدانيته
وانه لا اله الا هو لما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وخلق الانسان وما يصلحه وما لا بد له منه
وخلق البهائم لاكله وركوبه وجر اثقاله وسائر حاجته وخلق ما لا تعلمون من اصناف خلائقه ومثله متعال عن
ان يشرك به غيره وقرئ يشركون بالياء والتاء فاذا هو خصيم مبين فيه معنيان احدهما فاذا هو منطيق مجادل
عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعد ما كان نطفة من مني جامدا لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته والثاني
فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم وصفا للانسان بالافراط في الوقاحة والجهل
والتمادي في كفران النعمة. وقيل نزلت في ابي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اترى
الله يحيي هذا بعد ما قد رم الانعام الازواج الثمانية واكثر ما يقع على الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر
كقوله والقمر قدرناه. ويجوز ان يعطف على الانسان اي خلق الانسان والانعام. ثم قال خلقها لكم اي ما خلقها
الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان فيها دفء اسم ما يدفأ به كما ان الملء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول
من صوف او وبر او شعر وقرئ دف بطرح الهمزة والقاء حركتها على الفاء ومنافع وهي نسلها ودرها وغير ذلك فان قلت
تقديم الظرف في قوله ومنها تاكلون مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت الاكل منها هو الاصل الذي
يعتمده الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به
وكالجاري مجرى التفكه. ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التي تاكلونها منها وتكتسبون
باكراء الابل وتبيعون نتاجها والبانها وجلودها منّ الله تعالى بالتجمل بها كما منّ بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب
المواشي بل هو من معاظمها لان الرعيان اذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة زينت باراحتها وتسريحها
الافنية وتجاوب فيها الرغاء والثغاء آنست اهلها وفرحت اربابها واجلتهم في عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه
والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة يواري سوآتكم وريشا فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح
قلت لان الجمال في الاراحة اظهر اذا اقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظائر حاضرة
لاهلها وقرأ عكرمة رضي الله عنه حينا تريحون وحينا تسرحون على ان تريحون وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون
وتسرحون فيه كقوله تعالى يوما لا تجزي الا بشق الانفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان في معنى المشقة

وقرئ وهو ان المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع واما الشق فالنصف
كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد فان قلت ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه كانهم كانوا زمانا يتحملون المشاق
في بلوغه حتى حملت الابل اثقالهم قلت معناه وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد
انفسكم لا انهم لم يكونوا بالغيه في الحقيقة فان قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم وهلا قيل
لم تكونوا حامليها اليه قلت طابقه من حيث ان معناه وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم
الا بجهد ومشقة فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بشق
الانفس وقيل اثقالكم اجرامكم. وعن عكرمة رضي الله عنه البلد مكة لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير
هذه المصالح والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام اي وخلق هؤلاء للركوب والزينة. وقد احتج على حرمة
اكل لحومهن بان علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره في الانعام فان قلت لم انتصب وزينة
قلت لانه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها فان قلت فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد
قلت لان الركوب فعل المخاطبين واما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو اي وخلقها
زينة لتركبوها او تجعل زينة حالا من ها اي وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال ويخلق ما لا تعلمون يجوز ان
يريد به ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما من بالاشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته
ويجوز ان يخبرنا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه
لحكمة له في طيه. وقد حمل على ما خلق في الجنة والنار مما لم تبلغه اوهامنا ولا خطر على قلوبنا المراد بالسبيل الجنس
ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر. والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد
وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه. ومعنى قوله وعلى الله قصد السبيل
ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله ان علينا للهدى فان قلت لم غير اسلوب الكلام في قوله
ومنها جائر قلت ليعلم ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر على ما تزعم المجبرة لقيل
وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او وعليه الجائر. وقرأ عبد الله رضي الله عنه ومنكم جائر يعني ومنكم جائر عن القصد
بسوء اختياره والله منه بريء ولو شاء لهداكم اجمعين قسرا والجاء ولكم متعلق بانزل او بشراب خبر له والشراب
ما يشرب منه شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي. وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلأ تسيمون
من سامت الماشية اذا رعت وهي سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات
في الارض وقرئ ينبت بالياء والنون فان قلت لم قيل ومن كل الثمرات قلت لان كل الثمرات لا تكون الا في الجنة وانما انبت
في الارض بعضا من كلها للتذكرة يتفكرون ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والآية الدلالة الواضحة
وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرأ ابي بن كعب رضي الله عنه ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخل والاعناب بالرفع وقرئ
كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات او على ان معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل
ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكانه قيل
ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقت له. ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى
تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه الله مسرحا كانه قيل وسخرها لكم تسخيرات بامره. وقرئ بنصب الليل
والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر. وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله بالنصب وقال ان في ذلك
لآيات لقوم يعقلون فجمع الآية وذكر العقل لان الآثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة
للكبرياء والعظمة وما ذرأ لكم معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيئات
والمناظر لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى اكله خيفة الفساد عليه
فان قلت ما بال الفقهاء قالوا اذا حلف الرجل لا يأكل لحما فاكل سمكا لم يحنث والله سماه لحما كما ترى قلت مبنى الايمان
على العادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق لم يفهم منه السمك فاذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم
لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار ومثاله ان الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو
حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث حلية هي اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولانهن
انما يتزين بها من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم المخر شق الماء بحيزومها. وعن الفراء هو صوت جري الفلك بالرياح و
ابتغاء الفضل التجارة ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب والمائد الذي يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله الارض فجعلت
تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت
وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معنى جعل الا ترى الى قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وعلامات
هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم في ايدي
الناس. وعن السدي رضي الله عنه هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقرئ وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون
وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف. وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفا فان قلت قوله وبالنجم هم يهتدون
مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم
قلت كانه اراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر
اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا فان قلت من لا يخلق اريد به الاصنام فلم جيء بمن الذي هو لاولي العلم
خاصة قلت فيه اوجه احدها انهم سموها آلهة وعبدوها فاجروها مجرى اولي العلم الا ترى الى قوله على اثره
والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون. والثاني المشاكلة بينه وبين من يخلق والثالث

الحيزوم وسط الصدر وما يضم عليه الحزام

ان يكون المعنى أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بمن لا علم عنده كقوله ألهم أرجل يمشون بها يعني
ان الالهة حالهم منحطة عن حال من له ارجل وايد واذان وقلوب لان هؤلاء احياء وهم اموات فكيف
تصح لهم العبادة لانها لو صحت لهم هذه الاعضا لصح ان يعبدوا فان قلت هذا الالزام للذين عبدوا الاوثان
وسموها الهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الالزام ان يقال لهم افمن لا يخلق كمن يخلق
قلت حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس
المخلوقات وشبيها بها فانكر عليهم ذلك بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق لا تحصوها لا تضبطوا عددها
ولا تبلغه طاقتكم فضلا عن ان تطيقوا القيام بحقها من اداء الشكر اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها
على ان وراءها ما لا ينحصر ولا ينعد ان الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكر النعمة ولا
يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من اعمالكم
وعيد والذين يدعون والالهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله تعالى وقرئ بالياء والتاء وقرئ يدعون على البناء
للمفعول نفي عنهم خصائص الالهية بنفي كونهم خالقين واحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث واثبت لهم صفات
الخلق بانهم مخلوقون وانهم اموات وانهم جاهلون بالبعث ومعنى اموات غير احياء انهم لو كانوا الالهة على الحقيقة
لكانوا احياء غير اموات اي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وامرهم على العكس من ذلك والضمير في
يبعثون للداعين اي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وان الهتهم لا يعلمون وقت بعثهم
فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على انه لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف
ووجه اخر وهو ان يكون المعنى ان الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز
ممن عبدهم اموات جمادات لا حياة فيها غير احياء يعني ان من الاموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي
ينشئها الله حيوانا واجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها فاما الحجارة فاموات لا يعقب بعد موتها حياة
وذلك اعرق في موتها وما يشعرون ايان يبعثون اي وما يعلم هؤلاء الالهة متى تبعث الاحياء تهكما بحالها لان شعور
الجماد محال فكيف يشعر ما لا يعلم حي الا الحي القيوم سبحانه ووجه ثالث وهو ان يراد بالذين تدعون الملائكة وكان ناس
منهم يعبدونهم وانهم اموات اي لا بد لهم من الموت غير احياء غير باقية حياتهم وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم
وفي [illegible] ايان بكسر الهمزة الهكم اله واحد يعني انه قد ثبت بما تقدم من ابطال ان تكون الالهية لغيره وانه واحد
وحده لا شريك له فيها فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم وان قلوبهم منكرة
للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن الاقرار بها لا جرم حقا ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد
انه لا يحب المستكبرين يجوز ان يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين ويجوز ان يعم كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه
ماذا منصوب بانزل بمعنى اي شيء انزل ربكم او مرفوع بالابتداء بمعنى اي شيء انزله ربكم فاذا نصبت فمعنى اساطير الاولين ما
تدعون نزوله اساطير الاولين واذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير الاولين كقوله ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفع
هو على السخرية كقوله ان رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض او قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين
اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلعم اذا سألهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله صلعم قالوا احاديث
الاولين واباطيلهم ليحملوا اوزارهم اي قالوا ذلك اضلالا للناس وصدا عن رسول الله صلعم فحملوا اوزار ضلالهم كاملة
وبعض اوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه
على اضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير ان يكون غرضا كقولك خرجت من البلد مخافة الشر
بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من اضلوه ولم
يعلم لانه كان عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل قد مكر الذين من قبلهم اي سووا منصوبات ليمكروا بها الله ورسله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال
قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف
وهلكوا ونحوه من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة
آلاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى اتى الله بنيانهم من القواعد [illegible]
من حيث لا يشعرون [illegible] ثم يوم القيامة يخزيهم [illegible]
يعني هذا لهم في الدنيا ثم العذاب في الآخرة شركائي على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها
على طريق الاستهزاء بهم تشاقون فيهم تعادون وتخاصمون المؤمنين في شانهم ومعناهم وقرئ تشاقون بكسر
النون بمعنى تشاقونني لان مشاقة المؤمنين كانها مشاقة الله عز وجل قال الذين اوتوا العلم هم الانبياء والعلماء من اممهم
الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك
شماتة بهم وحكى الله عز وجل ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه [illegible]
وقرئ الذين توفاهم بالياء والتاء [illegible] فالقوا السلم فسالموا واخبتوا وجاؤوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سوء وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم اولو العلم
ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم
خيرا انزل خيرا فان قلت لم نصب هذا ورفع الاول قلت فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعني ان هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا اي انزل خيرا واولئك

عدلوا

عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال في شيء وروي ان احياء العرب كانوا يبعثون
في ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلعم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك
فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب رسول الله صلعم فيخبرونه بصدقه
وانه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وقوله للذين احسنوا وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا
اي قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ عدة للقائلين ويجعل قولهم
من جملة احسانهم ويحمدوا عليه حسنة مكافاة في الدنيا باحسانهم ولهم في الآخرة ما هو خير منها كقوله فاتاهم الله
ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره وجنات عدن
خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالمعاصي والكفر لانه في مقابلة
ظالمي انفسهم يقولون سلام عليكم قيل اذا اشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله
الله يقرأ عليك السلام ويبشره بالجنة ان تاتيهم الملائكة وقرئ بالياء والتاء يعني ان تاتيهم لقبض الارواح او يأتي امر ربك العذاب
المستأصل او القيامة كذلك اي مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن
كانوا انفسهم يظلمون لانهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير سيئات ما عملوا جزاء سيئات اعمالهم او هو كقوله وجزاء
سيئة سيئة مثلها هذا من جملة ما عدد من اصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله وانكار وحدانيته بعد قيام
الحجج وانكار البعث واستعجالهم له استهزاء به وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعني انهم
اشركوا بالله وحرموا ما احل الله من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله تعالى وقالوا لو شاء الله
لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم اي اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا
على قبح فعلهم وركوه على ربهم فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان الله لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان
ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله تعالى من افعال العباد وانهم فاعلوها بقصدهم وارادتهم واختيارهم
والله عز وجل باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها ومتوعدهم عليه ولقد امد ابطال قدر السوء
ومشيئة الشر بانه ما من امة الا وقد بعث فيهم رسولا يامرهم بالخير الذي هو الايمان وعبادة الله وباجتناب
الشر الذي هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله اي لطف به لانه عرفه من اهل اللطف ومنهم من حقت عليه الضلالة
اي ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا ياتي منه خير فسيروا فانظروا ما فعلت
بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة في اني لا اقدر الشر ولا اشاؤه حيث افعل ما افعل بالاشرار ثم ذكر عناد
قريش وحرص رسول الله صلعم على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت عليه الضلالة وانه لا يهدي من يضل ولا يلطف
بمن يخذل لانه عبث والله متعال عن العبث لانه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه وقرئ لا يهدى اي لا يقدر
احد على هدايته وقد خذله الله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان الذي هو
نقيض النصرة ويجوز ان يكون لا يهدي بمعنى لا يهتدي يقال هداه الله فهدى وفي قراءة ابي فان الله لا هادي
لمن يضل ولمن اضل وهي معاضدة لمن قرأ لا يهدى على البناء للمفعول وفي قراءة عبد الله يهدي بادغام تا يهتدي وهي
معاضدة للاولى وقرئ يضل بالفتح وقرئ ان تحرص بفتح الراء وهي لغة واقسموا بالله معطوف على وقال الذين
اشركوا ايذانا بانهما كفرتان عظيمتان موصوفتان بان تعدا وتؤثر في ذنوبهم على مشيئة الله وانكار البعث
مقسمين عليه بلى اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم ووعد الله مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله
وبين ان الوفاء بهذا الوعد حق واجب عليه في الحكمة ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون او انه وعد واجب على الله
لانهم يقولون لا يجب على الله شيء لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة ليبين لهم متعلق بما دل عليه بلى اي يبعثهم
ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين والذي اختلفوا فيه هو الحق وليعلم الذين كفروا انهم
كانوا كاذبين في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وفي قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله ولقد
بعثنا في كل امة رسولا اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب
قولنا مبتدأ وان نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اي اذا اردنا وجود شيء فليس
الا ان نقول له احدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل لان مرادا لا يمتنع عليه وان وجوده عند
ارادته غير متوقف كوجود المأمور به عند امر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى
ان ايجاد كل مقدور على الله عز وعلا بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شق المقدورات ويجوز
ان يكون عطفا على نقول والذين هاجروا هم رسول الله صلعم واصحابه ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم
من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين
معذبين بعد هجرة رسول الله صلعم وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار رضي الله عنهم
وعن صهيب رضه انه قال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله
وهاجر فلما رآه ابو بكر رضه قال له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر رضه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه
وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله عز وجل نارا لاطاعه فكيف وقد خلقها في الله في حقه ولوجهه حسنة صفة للمصدر
اي لنبوئنهم تبوئة حسنة وفي قراءة علي رضه لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة وقيل لنبوئنهم في الدنيا منزلة
حسنة وهي الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وعن عمر رضه انه كان
اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك في الدنيا وما ذخر لك في الآخرة اكبر
وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث آواهم اهلها ونصروهم لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله

جمع لهولاء المستضعفين بين النصر في الدنيا والاخرة لرغبوا في دينهم ويجوز ان يرجع الضمير الى المهاجرين اى لو كانوا
يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا هم الذين صبروا او اعني الذين صبروا وكلاهما
مدح اى صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذى هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب
قوم هو مسقط رؤسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح في سبيل الله تعالى قالت قريش الله اعظم من ان يكون
رسوله بشرا فقيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم على السنة الملائكة فاسئلوا اهل الذكر وهم اهل
الكتاب ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا بم تعلق قوله بالبينات قلت له متعلقات
شتى فاما ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا اى وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت
الا زيدا بالسوط لان اصله ضربت زيدا بالسوط واما برجالا صفة له اى رجالا ملتبسين بالبينات واما
بارسلنا مضمرا كانما قيل بم ارسلوا فقيل بالبينات فهو على كلامين والاول على كلام واحد واما بيوحى اى يوحى
اليهم بالبينات واما بلا تعلمون على ان الشرط في معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني
حقي وقوله فاسئلوا اهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة واهل الذكر اهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر
لانه موعظة وتنبيه للغافلين ما نزل اليهم يعنى ما نزل الله عز وجل اليهم في الذكر مما امروا به ونهوا عنه ووعدوا
واوعدوا لعلهم يتفكرون وارادة ان يصغوا الى تنبيهاته فيتنبهوا ويتاملوا مكروا السيئات اى المكرات
السيئات وهم اهل مكة وما مكروا به رسول الله صلى الله عليه وسلم في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم واسباب دنياهم
على تخوف متخوفين وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياخذهم العذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله
من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته وتخونته اذا انتقصته قال زهير تخوف الرحل منها تامكا قردا
كما تخوف عود النبعة السفن اى ياخذهم على ان ينتقصهم شيئا بعد شئ في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا وعن
عمر رضي الله عنه انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص قال فهل
تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا وانشد البيت فقال عمر ايها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما
ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم فان ربكم لرؤف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم
وقرئ اولم يروا وتتفيأ بالياء والتاء وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شئ يتفيأ ظلاله واليمين بمعنى
الايمان وسجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله تعالى
من كل شئ له ظل وجمع بالواو لان الدخور من اوصاف العقلاء او لان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى
اولم يروا الى ما خلقه الله من الاجرام التى لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اى عن جانبي كل واحد منها
وشقيه استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشئ اى ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله
غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله تعالى
لا تمتنع من دابة يجوز ان يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون فيها كما
تدب الاناسي في الارض وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذى يقال له الروح
وان يكون بيانا لما في الارض ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين
لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة
وغيرهم فان قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد قلت المراد
بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقيادهم لارادة الله وانها غير ممتنعة عليها وكلا
السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد فان قلت فهلا جئ بمن دون ما
تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم قلت لانه لو جئ بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء
خاصة فجئ بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة للعموم يخافون يجوز ان يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون اى
لا يستكبرون خائفين وان يكون بيانا لنفي الاستكبار وتاكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته
من فوقهم ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه
يخافون ربهم غالبا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفيه دليل على ان
الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهى والوعد والوعيد كسائر المكلفين وانهم بين الخوف والرجاء
فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة وافراس اربعة
لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فاما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما
دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله الهين اثنين
قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا
اريدت الدلالة على ان المعنى به منهما والذى يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على
القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك
تثبت الالهية لا الوحدانية فاياى فارهبون نقل للكلام عن الغيبة الى التكلم وجاز لان الغائب هو المتكلم
وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ في الترهيب من قوله فاياه فارهبوه ومن ان يجئ ما قبله على لفظ
المتكلم الدين الطاعة واصبا حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه
فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ويجوز ان يكون من الوصب اى وله الدين ذا كلفة ومشقة
ولذلك سمى تكليفا او وله الجزاء دائما ثابتا سرمدا لا يزول يعنى الثواب والعقاب وما بكم من نعمة

اى اى شئ حل بكم واتصل بكم من نعمة فهو من الله فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت
بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يصف الراهب يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا
وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم وقرأ قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو اقوى
من كشف لان بناء المغالبة يدل على المبالغة فان قلت فما معنى قوله اذا فريق منكم بربهم يشركون قلت يجوز
ان يكون الخطاب في قوله وما بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون الخطاب
للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله
فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما اتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران
النعمة فتمتعوا فسوف تعلمون تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا من الامر الوارد في معنى الخذلان والتخلية واللام
لام الامر لا يعلمون اى لالهتهم ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها الهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله
عز وجل وليس كذلك لان حقيقتها انها جماد لا يضر ولا ينفع فهم اذا جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للالهة اى للاشياء
غير موصوفة بالعلم ولا يشعرون اجعلوا لها نصيبا في انعامهم وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم
لتسئلن وعيد عما كنتم تفترون من الافك في زعمكم انها الهة وانها اهل للتقرب اليها كانت خزاعة وكنانة تقول
الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم ولهم ما يشتهون يعنى البنين
ويجوز فيما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على ان يكون معطوفا على البنات اى وجعلوا لانفسهم ما يشتهون
من الذكور وظل بمعنى صار كما يستعمل بات واصبح وامسى بمعنى الصيرورة ويجوز ان يجئ ظل لان الوضع يتفق بالليل
فيظل نهاره مغتما مربد الوجه من الكآبة والحياء من الناس وهو كظيم مملوء حنقا على المرأة يتوارى من القوم
يستخفى منهم من اجل سوء المبشر به ومن اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر ايمسك ما بشر به على هون وذل
ام يدسه في التراب يئده وقرئ ايمسكها على هون ام يدسها في التراب على التانيث وقرئ على هوان الا ساء
ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذى هذا محله عندهم لله تعالى ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف
مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق
واقرارهم على انفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلى وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين
وهو الجواد الكريم بظلمهم بمعاصيهم وكفرهم ما ترك عليها من دابة على الارض من دابة قط ولاهلكها كلها
بشؤم ظلم الظالمين وعن ابي هريرة رضى الله عنه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان
الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن ادم
او من دابة ظالمة وعن ابن عباس رضي الله عنه من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو اهلك الاباء بكفرهم لم تكن الابناء
ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم
ويجعلون لله اراذل اموالهم ولاصنامهم اكرمها وتصف السنتهم مع ذلك ان لهم الحسنى عند الله كقوله ولئن رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم انه قال لرجل من ذوي اليسار كيف تكون يوم القيامة اذا قال الله تعالى هاتوا
ما دفع الى السلاطين واعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وانواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الي فيؤتى
بالكسر والخرق وما لا يؤبه له اما تستحي من ذلك الموقف وقرئ هذه الاية وعن مجاهد ان لهم الحسنى هو قولهم
ولنا البنون وان لهم الحسنى بدل من الكذب وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة مفرطون قرئ
مفتوح الراء ومكسورها مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت فلانا وفرطته
في طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف
من الافراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات وما يلزمهم فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية وكان
يزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم
ومتولى اغوائهم ويجوز ان يكون اليوم حكاية للحال الاتية وهو حال كونهم معذبين في النار اى فهو ناصرهم اليوم
لا ناصر لهم غيره نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش وانه زين للكفار قبلهم
اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانه منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اى فهو ولي امثالهم اليوم وهدى ورحمة
معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي انزل الكتاب ودخل اللام على
لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما ينتصب مفعولا له ما كان فعلا لفاعل الفعل المعلل والذي اختلفوا فيه
البعث لانه كان فيهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب واشياء من التحليل والتحريم والانكار والاقرار لقوم يسمعون
سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه اصم لا يسمع ذكر سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف
في الاسماء المفردة الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا واما
في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز ان يقال في الانعام وجهان احدهما ان يكون تكسير نعم كاجبال في جبل
وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله في كل عام نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونه
واذا انث ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه في معنى الجمع وقرئ نسقيكم بالفتح والضم وهو استيناف كانه قيل كيف
العبرة فقيل نسقيكم من بين فرث ودم اى يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما
برزخ من قدرة الله عز وجل لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا اكلت
البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة على هذه
الاصناف الثلاثة تقسمها فيجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش فسبحان الله العظيم

ما أعظم قدرته وألطف حكمته لمن تفكر وتأمّل • وسئل شقيق عن الإخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم ﴿سائغا للشاربين﴾ سهل المرور في الحلق ويقال لم يغصّ أحد باللبن قط • وقرئ سيّغا بالتشديد وسيْغا بالتخفيف كهيّن وليْن ﴿فإن قلت﴾ أي فرق بين من الأولى والثانية ﴿قلت﴾ الأولى للتبعيض لأنّ اللبن بعض ما في بطونها كقولك أخذت من مال زيد ثوبا والثانية لابتداء الغاية لأنّ بين الفرث والدم مكان الإسقاء الذي منه يبتدئ فهي صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز أن يكون حالا من قوله لبنا • مقدّما عليه فيتعلّق بمحذوف أي كائنا من بين فرث ودم ألا ترى أنه لو تأخر فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وإنما قدّم لأنه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم • وقد احتج بعض من يرى أنّ المني طاهر على من جعله نجسا لجريه في مسلك البول بهذه الآية وأنه ليس بمستنكر أن يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا ﴿فإن قلت﴾ بم تعلّق قوله ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب﴾ ﴿قلت﴾ بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب أي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله تتخذون منه سكرا بيان وكشف عن كنه الإسقاء أو يتعلّق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد كقولك زيد في الدار فيها • ويجوز أن يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله بكفّي كان من أرمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لأنهم كانوا يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر ﴿فإن قلت﴾ فالام يرجع الضمير في منه إذا جعلته ظرفا مكررا ﴿قلت﴾ إلى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع في قوله تعالى أو هم قائلون إلى الأهل المحذوف • والسكر الخمر سمّيت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا قال وجاؤونا بهم سكر علينا فأجلى اليوم والسكران صاحي • وفيه وجهان أحدهما أن تكون منسوخة وممّن قال بنسخها الشعبي والنخعي رحمهما الله • والثاني أن يجمع بين العتاب والمنّة • وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتدّ وهو حلال عند أبي حنيفة إلى حد السكر ويحتج بهذه الآية وبقوله عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وبأخبار جمّة • ولقد صنّف شيخنا أبو علي الجبائي رحمه الله كتابا في تحليل النبيذ فلما شيخ وأخذت منه السنّ العالية قيل له لو شربت منه ما تقوّى به فأبى فقيل له فقد صنّفت في تحليله فقال تناولته الدعارة فسمج في المروءة • وقيل السكر الطعم وأنشد ٥ جعلت أعراض الكرام سكرا ٥ أي تنقلت بأعراضهم • وقيل هو من الخمر وأنه إذا ابترك في أعراض الناس فكأنه تخمّر بها ﴿والرزق الحسن﴾ الخلّ والرب والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز أن يجعل السكر رزقا حسنا كأنه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن ﴿وأوحى﴾ إلى النحل إلهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو أعلم به لا سبيل لأحد إلى الوقوف عليه وإلا فنيقتها في صنعتها ولطفها في تدبير أمورها وإصابتها فيما يصلحها دلائل بيّنة شاهدة على أنّ الله تعالى أودعها علما بذلك وفطّنها كما أولى أولي العقول عقولهم • وقرأ يحيى بن وثاب إلى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنخل وتأنيثه على المعنى أنّ الخيل هي المفتوحة لأنّ الإيحاء فيه معنى القول • وقرئ بيوتا بكسر الباء لأجل الياء ويعرشون بكسر الراء وضمها يرفعون من سقوف البيوت • وقيل هو ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الأماكن التي تتعسّل فيها والضمير في يعرشون للناس ﴿فإن قلت﴾ ما معنى من في قوله أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل في الجبال وفي الشجر ﴿قلت﴾ أريد معنى البعضية وأن لا تبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها من كل الثمرات إحاطة بالثمرات التي تجرس النحل وتعتاد أكلها أي ابني البيوت ثم كلي كل ثمرة تشتهيها فإذا أكلتها فاسلكي سبل ربك أي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المرّ عسلا من أجوافك ومنافذ مأكلك وإذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة فاسلكي إلى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعّر عليك ولا تلتبس بلغني أنها ربما أجدب عليها ما حولها فتسافر إلى البلد البعيد في طلب النجعة وأراد بقوله ثم كلي ثم اقصدي الأكل ثم فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك ﴿ذللا﴾ جمع ذلول وهي حال من السبل لأنّ الله عزّ وجلّ ذلّلها لها ووطّأها وسهّلها كقوله هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا أو من الضمير في فاسلكي أي وأنت ذلل منقادة لما أمرت به غير ممتنعة ﴿شراب﴾ يريد العسل لأنه مما يشرب ﴿مختلف ألوانه﴾ منه أبيض وأصفر وأحمر وأسود ﴿فيه شفاء للناس﴾ لأنه من جملة الأشفية والأدوية المشهورة النافعة وقلّ معجون من المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض كما أنّ كل دواء كذلك وتنكيره إما لتعظيم الشفاء الذي فيه أو لأنّ فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل • وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنّ رجلا جاء إليه فقال إنّ أخي يشتكي بطنه فقال اسقه عسلا فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله عزّ وجلّ فبرأ فكأنما أنشط من عقال • وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل • ومن بدع تأويلات الرافضة أنّ المراد بالنحل علي كرّم الله وجهه وقومه • وعن بعضهم أنه قال عند المهدي ابن المنصور إنما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم فضحك المهدي وحدّث به المنصور فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم ﴿إلى أرذل﴾ العمر إلى أخسّه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة عن قتادة رحمه الله لأنه لا عمر أسوأ حالا من عمر الهرم • ﴿لكيلا يعلم بعد علم شيئا﴾ ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وأن يعلم شيئا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه إن سئل عنه • وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الأول شيئا • وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه أي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم أفضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم وإخوانكم فكان ينبغي أن تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم كما يحكى عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنما هم إخوانكم فاكسوهم مما تكتسون وأطعموهم مما تطعمون فما رئي عبده بعد ذلك إلا ورداؤه رداؤه

رداؤه وإزاره إزاره من غير تفاوت ﴿أفبنعمة الله يجحدون﴾ فجعل ذلك من جملة جحود النعمة • وقيل هو مثل ضربه الله تعالى للذين جعلوا له شركاء فقال لهم أنتم لا تسوّون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدي لي شركاء • وقيل معناه أنّ الموالي والمماليك أنا رازقهم جميعا فهم في رزقي سواء فلا تحسبنّ الموالي أنهم يردّون على مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق فإنما ذلك رزقي أجريه إليهم على أيديهم • وقرئ تجحدون بالياء والتاء ﴿من أنفسكم﴾ من جنسكم • وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم • والحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد أي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت وإليك نسعى ونحفد وقال ٥ حفد الولائد بينهن وأسلمت ٥ بأكفهن أزمّة الأجمال ٥ واختلف فيهم فقيل هم الأختان على البنات • وقيل أولاد الأولاد • وقيل أولاد المرأة من الزوج الأول • وقيل المعنى وجعل لكم حفدة أي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم • ويجوز أن يراد بالحفدة البنون أنفسهم كقوله سكرا ورزقا حسنا كأنه قيل وجعل لكم منهنّ أولادا هم بنون وهم حافدون أي جامعون بين الأمرين ﴿من الطيبات﴾ يريد بعضها لأنّ كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا إلا أنموذج منها • ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ وهو ما يتعتقدون من منفعة الأصنام وبركتها وشفاعتها وما هو إلا وهم باطل لم يتوصلوا إليه بدليل ولا أمارة فليس لهم إيمان إلا به كأنه شيء معلوم مستيقن ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا يتصوّره العقل • وقيل الباطل ما يسوّل لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما أحلّ لهم • ﴿الرزق﴾ يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فإن أردت المصدر نصبت به شيئا كقوله أو إطعام مسكينا على لا يملك أن يرزق شيئا وإن أردت المرزوق كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا • ويجوز أن يكون تأكيدا لـ لا يملك أي لا يملك شيئا من الملك • ومن السموات والأرض صلة للرزق إن كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الأرض نباتا أو صفة إن كان اسما لما يرزق والضمير في ﴿ولا يستطيعون﴾ لما لأنه في معنى الآلهة بعدما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز أن يكون للكفار يعني ولا يستطيع هؤلاء مع أنهم أحياء متصرفون أولو الألباب من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حسّ به ﴿فإن قلت﴾ ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله ولا يملك وهل هما إلا شيء واحد ﴿قلت﴾ ليس في لا يستطيعون تقدير راجع وإنما المعنى لا يملكون أن يرزقوا والاستطاعة منفيّة عنهم أصلا لأنهم أموات إلا أن يقدّر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد أو يراد أنهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه ولا يتأتّى ذلك فيهم ولا يستقيم ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ تمثيل للإشراك بالله تعالى والتشبيه به لأنّ من يضرب الأمثال مشبّه حالا بحال وقصة بقصة ﴿إنّ الله يعلم﴾ كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم لأنّ العقاب على قدر الإثم ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ كنهه وكنه عقابه فذلك هو الذي جرّكم إليه وجرّأكم عليه فهو تعليل للنهي عن الشرك • ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله الأمثال إنّ الله يعلم كيف يضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ثم علّمهم كيف يضرب الأمثال فقال مثلكم في إشراككم بالله الأوثان ﴿مثل من سوّى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف﴾ وبين حرّ مالك قد رزقه الله مالا فهو متصرف فيه وينفق منه كيف يشاء ﴿فإن قلت﴾ لم قال مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد مملوك وعاجز عن الشيء ﴿قلت﴾ إنما ذكر المملوك ليميّز من الحرّ لأنّ اسم العبد يقع عليهما جميعا لأنهما من عباد الله وأما لا يقدر على شيء فليجعل غير مكاتب ولا مأذون له لأنهما يقدران على التصرف • واحتلفوا في العبد هل يصحّ له ملك فالمذهب الظاهر أنه لا يصحّ له ﴿فإن قلت﴾ من في قوله ومن رزقناه ما هي ﴿قلت﴾ الظاهر أنها موصوفة كأنه قيل وحرّا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع أن تكون موصولة ﴿فإن قلت﴾ لم قيل يستوون على الجمع ﴿قلت﴾ معناه هل يستوي الأحرار والعبيد • الأبكم الذي ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم ﴿وهو كلّ على مولاه﴾ أي ثقل وعيال على من يلي أمره ويعوله ﴿أينما يوجهه﴾ حيثما يرسله ويصرّفه في مطلب حاجة أو كفاية مهمّ لم ينفع ولم يأت بنجح ﴿هل يستوي هو ومن﴾ هو سليم الحواس نفّاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم • وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته وألطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللأصنام التي هي أموات لا تضرّ ولا تنفع • وقرئ أينما توجهه بمعنى أينما يتوجّه من قولهم أينما أوجّه ألق سعدا • وقرأ ابن مسعود أينما يوجّه على البناء للمفعول ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ أي يختصّ به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه أو أراد بغيب السموات والأرض يوم القيامة على أنّ علمه غائب عن أهل السموات والأرض لم يطّلع عليه أحد منهم ﴿إلا كلمح البصر﴾ أو هو أقرب أي هو عند الله وإن تراخى كما تقولون أنتم في الشيء الذي تستقربونه هو كلمح البصر أو هو أقرب إذا بالغتم في استقرابه ونحوه قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإنّ يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أي هو عنده دان وهو عندكم بعيد • وقيل المعنى أنّ إقامة الساعة وإماتة الأحياء وإحياء الأموات من الأولين والآخرين يكون في أقرب وقت أي أسرعه وأوحاه ﴿إنّ الله على كل شيء قدير﴾ فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لأنه بعض المقدورات ثم دلّ على قدرته بما بعده • وقرئ إمّهاتكم بضم الهمزة وكسرها • والهاء مزيدة في أمّهات كما زيدت في أراق فقيل أهراق • وشذّت زيادتها في الواحدة في قوله ٥ أمّهتي خندف والياس أبي ٥ ﴿لا تعلمون شيئا﴾ في موضع الحال ومعناه غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسوّاكم وصوّركم ثم أخرجكم من الضيق إلى السعة • وقوله ﴿وجعل لكم﴾ معناه وما ركّب فيكم هذه الأشياء والآلات • إلا لإزالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي إلى ما يسعدكم • والأفئدة في فؤاد كالأغربة في غراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة إذ لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع في جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى • وقرئ ألم يروا بالياء والتاء ﴿مسخرات﴾ مذلّلات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب

لموانيه لذلك والجو الهوا المتباعد من الارض في سمت العلو والسكاك ابعد منه واللوح مثله ما يمسكهن الا الله
في قبضهن وبسطهن ووقوفهن الا الله بقدرته من بيوتكم التي تسكنونها من الحجر والمدر والاخبية وغيرها والسكن
فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت او الف بيوتا هي القباب والابنية من الادم
والانطاع تستخفونها ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقل يوم ظعنكم ويوم اقامتكم اي يوم ترحلون خف عليكم
حملها ونقلها ويوم تنزلون تقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها او هي خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر جميعا على ان
اليوم بمعنى الوقت ومتاعا وشيئا ينتفع به الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان تبلى وتفنى او الى ان تموتوا. وقرئ
يوم ظعنكم بالسكون مما خلق من الشجر وسائر المستظلات اكنانا جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة في الجبال
والغيران والكهوف سرابيل القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر ولم يذكر البرد لان الوقاية
من الحر اهم عندهم وقيل ما يقيهم البرد لكونه يسيرا محتملا وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد
وسرابيل تقيكم بأسكم يريد الدروع والجواشن والسربال عام يقع على ما كان من حديد وغيره لعلكم تسلمون اي تنظرون
في نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تسلم
قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعد ما اديت ما
وجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب يعرفون نعمة الله التي عددناها
حيث يعترفون بها وانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا
وقيل انكارهم قولهم ورثناها من ابائنا وقيل قولهم لولا فلان ما اصبت كذا لبعض نعم الله عز وجل وانما لا يجوز التكلم
بنحو هذا اذا لم يعتقد انها من الله وانه اجراها على يد فلان وجعله سببا في نيلها واكثرهم الكافرون اي الجاحدون غير المعترفين
وقيل نعمة الله نبوة محمد صلعم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا واكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم فان قلت ما معنى ثم
قلت الدلالة على ان انكارهم امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان من حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر
شهيدا نبيا يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار والمعنى لا حجة
لهم فدل بترك الاذن على ان لا حجة لهم ولا عذر وكذا عن الحسن ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون اي
لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الاخرة ليست بدار عمل فان قلت فما معنى ثم هذه قلت معناها انهم يمنون بعد شهادة
الانبيا عليهم السلام بما هو اطم منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء بحجة وانتصاب
اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث او ويوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك واذا راى الذين ظلموا العذاب بغتهم وثقل
عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله بل تاتيهم بغتة فتبهتهم الاية ان ارادوا بالشركا الهتهم فمعنى شركاؤنا
الهتنا التي دعوناها شركا وان ارادوا الشياطين فلانهم شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم في الغي وندعو بمعنى
نعبد فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم على الصحة قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكأن
عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه قوله الملئكة كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن كانوا راضين بعبادتهم
لا نحن فهم المعبودون دوننا او كذبوهم في تسميتهم شركا والهة تنزيها لله تعالى سبحانه من الشريك وان اريد بالشركا
الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين في قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتمون من قبل والقوا
اليهم السلم يعني الذين ظلموا والقوا السلم الاستسلام لامر الله تعالى وحكمه بعد الاباء والاستكبار في الدنيا
وضل عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركا وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم
الذين كفروا في انفسهم وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم وقيل في زيادة عذابهم
حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل
يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين
الناس بصدهم عن سبيل الله شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم لانه كان يبعث انبيا الامم منهم وجئنا بك
يا محمد شهيدا على هولا على امتك تبيانا بيانا بليغا ونظير تبيان تلقا في كسر اوله وقد جوز الزجاج فتحه
في غير القران فان قلت كيف كان القران تبيانا لكل شي قلت المعنى انه بين كل شي من امور الدين حيث كان نصا على
بعضها واحالة على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله صلعم وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على
الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله صلعم لامته اتباع الصحابة والاقتدا باثارهم
في قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤوا طرق القياس والاجتهاد فكانت
السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شي العدل هو الواجب
لان الله عز وجل عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم والاحسان الندب وانما علق
امره بهما جميعا لان الفرض لا بد من ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله صلعم لمن علمه الفرائض
فقال والله لا ازيد فيها ولا انقص افلح ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط
وقال استقيموا ولن تحصوا فما ينبغي ان يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل والفحشاء ما جاوز حدود الله عز وجل والمنكر
ما تنكره العقول والبغي طلب التطاول بالظلم وحين اسقطت من الخطب لعنة الملاعين على امير المؤمنين رض اقيمت
هذه الاية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا على اجابته
لدعوة نبيه صلعم وعاد من عاداه وكانت سبب اسلام عثمان بن مظعون رض بعهد الله هي البيعة لرسول الله صلعم
على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا ايمان البيعة بعد توكيدها اي بعد توثيقها باسم الله
واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن

عليه

اى اثبتت عليه

عليه ولا تكونوا في نقض الايمان كالمراة التي انحت على غزلها بعد ان احكمته وابرمته فجعلته انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث
فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقا اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة
على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن تتخذون حال ودخلا احد
مفعولي اتخذ يعني ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة ودغلا ان تكون امة بسبب ان تكون امة يعني جماعة قريش
هي اربى من امة هي ازيد عددا واوفر مالا من امة من جماعة المؤمنين انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون امة
لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفا بعهد الله وما عقدتم على انفسكم ووكدتم
من ايمان البيعة لرسول الله صلعم ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم وليبينن
لكم انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام ولو شا الله لجعلكم امة واحدة حنيفة مسلمة على طريق الالجا والاضطرار وهو
قادر على ذلك ولكن الحكمة اقتضت ان يضل من يشا وهو ان يخذل من علم انه يختار الكفر ويصمم عليه ويهدي من يشا وهو
ان يلطف بمن علم انه يختار الايمان يعني انه بنى الامر على الاختيار الذي لا يستحق به شيا من ذلك وحققه بقوله ولتسالن
عما كنتم تعملون ولو كان هو المضطر الى الضلال والهدى لما اثبت لهم عملا يسالون عنه ثم كرر النهي عن اتخاذ الايمان
دخلا بينهم تاكيدا عليهم واظهارا لعظم ما يركب منه فتزل قدم بعد ثبوتها فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها
وتذوقوا السوء في الدنيا بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم من الدين او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا
لاتخذوا نقضها سنة يستنون بها ولكم عذاب عظيم في الاخرة كان قوم ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما راوه من غلبة قريش
واستضعافهم للمسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد ان ينقضوا ما بايعوا
عليه رسول الله صلعم فثبتهم الله عز وجل ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله صلعم ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا
وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا ان ما عند الله من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الاخرة خير لكم ما عندكم
من اعراض الدنيا ينفد وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وقرئ لنجزين بالنون وليجزين الذين صبروا على اذى المشركين
ومشاق الاسلام فان قلت لم وحدت القدم ونكرت قلت لاستعظام ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه
فكيف باقدام كثيرة فان قلت من متناول في نفسه الذكر والانثى فما معنى تبيينه بهما قلت هو مبهم صالح على الاطلاق
للنوعين الا انه اذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر او انثى على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا حيوة طيبة
يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله ولنجزينهم وعدهم الله عز وجل ثواب الدنيا والاخرة كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن
ثواب الاخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال فيه
وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله عز وجل واما الفاجر فامره على العكس ان كان
معسرا فلا اشكال في امره وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنا بعيشه وعن ابن عباس رض الحيوة الطيبة الرزق
الحلال وعن الحسن رح القناعة وعن قتادة رح يعني في الجنة وقيل هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه لما ذكر
العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله فاذا قرات القران فاستعذ بالله ايذانا بان الاستعاذة من جملة الاعمال
الصالحة التي يجزل الله عز وجل عليها الثواب والمعنى فاذا اردت قراءة القران فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا
وجوهكم وكقوله اذا اكلت فسم الله فان قلت لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل قلت لان الفعل يوجد عند القصد
والارادة بغير فاصل على حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود رض قرات على رسول الله صلعم
فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي يا ابن ام عبد قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه
جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ ليس له سلطان اي تسلط وولاية على اولياء الله يعني انهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه
فيما يريد منهم من اتباع خطواته انما سلطانه على من يتولاه ويطيعه به مشركون الضمير يرجع الى ربهم ويجوز ان يرجع الى
الشيطان على معنى بسببه تبديل الاية مكان الاية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع لانها مصالح وما كان مصلحة
امس يجوز ان يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله عز وجل اعلم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشا وينسخ ما يشا
بحكمته وهذا معنى قوله والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر ووجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم
وبعدهم من العلم بالناسخ والمنسوخ فكانوا يقولون ان محمدا يسخر من اصحابه يامرهم بامر اليوم وينهاهم عنه غدا
فياتيهم بما هو اهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق والاهون بالاهون والاشق
بالاشق لان الغرض المصلحة لا الهوان والمشقة فان قلت هل في ذكر تبديل الاية بالاية دليل على ان القران انما
ينسخ بمثله لا بغيره من السنة والاجماع والقياس قلت فيه ان قرانا ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على ان السنة
المكشوفة المتواترة مثل القران في ايجاب العلم فنسخه به كنسخه بمثله واما الاجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها
فلا يصح نسخ القران بها وفي ينزل وتركه ما فيهما من التنزيل شيا فشيا على حسب الحوادث والمصالح اشارة الى ان التبديل
من باب المصالح كالتنزيل وان ترك النسخ بمنزلة انزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة روح القدس جبريل
اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد الخير
والمقدس المطهر من الماثم وقرئ بضم الدال وسكونها بالحق في موضع الحال اي نزله ملتبسا بالحكمة يعني ان النسخ
من جملة الحق ليثبت الذين امنوا ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم
وصحة اليقين وطمانينة القلوب على ان الله عز وجل حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب وهدى وبشرى
معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال
لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ارادوا بالبشر غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه

ثمة عايش او يعيش وكان صاحب كتب وقيل جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل جبر ويسار كانا يصنعان
السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل فكان رسول الله صلعم اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل
لاحدهما فقال بل هو يعلمني وقيل هو سلمان الفارسي واللسان اللغة ويقال الحد القبر ولحده وهو ملحد و
ملحود اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا الحد فلان
في قوله والحد في دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها لم يمله من دين الى دين والمعنى
لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين
ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وابطالا لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفي قراءة الحسن اللسان الذي
يلحدون اليه بتعريف اللسان وهذه الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما محلها قلت لا محل لها
لانها مستانفة جواب لقولهم ومثله قوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن
حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله ان الذين لا يؤمنون بآيات الله اي يعلم الله منهم انهم لا يؤمنون لا يهديهم
الله لا يلطف بهم لانهم من اهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة لا من اهل اللطف والثواب انما يفتري الكذب
ردا لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه واولئك اشارة الى قريش
هم الكاذبون اي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون او الى الذين لا يؤمنون اي اولئك هم الكاذبون على الحقيقة
الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله عز وجل اعظم الكذب او واولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا تحجبهم
عنه مروة ولا دين او واولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله على ان يجعل
واولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه
واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا اي طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب
من الله ويجوز ان يكون بدلا من المبتدأ الذي هو اولئك على تقدير ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون او من
الخبر الذي هو الكاذبون على تقدير واولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه ويجوز ان ينتصب على الذم وقد جوزوا
ان يكون من كفر بالله شرطا مبتدا ويحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب
روي ان ناسا من اهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من اكره فاجرى كلمة الكفر على
لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم رضوان الله عليهم عذبوا
فاما سمية فربطت بين بعيرين ووجئ في قبلها بحربة وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما اول قتيلين
في الاسلام واما عمار فقد اعطاهم بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ
ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلعم وهو يبكي فجعل رسول الله صلعم يمسح عينيه وقال
ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمي اكرهه سيده فكفر ثم اسلم مولاه واسلم وحسن
اسلامهما وهاجرا رضم فان قلت اي الامرين افضل فعل عمار ام فعل ابويه قلت بل فعل ابويه لان في ترك التقية والصبر
على القتل اعزازا للاسلام وقد روي ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله
قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله صلعم قال فما تقول في قال انا اصم
فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلعم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني
فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الوعيد وان الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب انهم استحبوا الدنيا
على الآخرة واستحقاقهم خذلان الله عز وجل بكفرهم اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان
الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها ثم ان ربك دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال اولئك
وهم عمار واصحابه رضم ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون
الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب والاكراه على الكفر وقرئ فتنوا
على البناء للفاعل اي من بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي واشباهه من بعدها من بعد هذه الافعال وهي الهجرة
والجهاد والصبر يوم تاتي منصوب برحيم او باضمار اذكر فان قلت ما معنى النفس المضافة الى النفس قلت يقال
لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها
فكانه قيل يوم ياتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها
كقوله هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك وضرب الله مثلا قرية اي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم
انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله عز وجل بهم نقمته فيجوز ان يراد قرية مقدرة على هذه
الصفة وان تكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله عز وجل مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها
مطمئنة لا يزعجها خوف لان الطمانينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف رغدا واسعا وانعم جمع نعمة
على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس وفي الحديث نادى منادي رسول الله صلعم بالموسم بمنى
انها ايام طعم ونعم فلا تصوموا فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة
موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه قلت اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها
في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك
من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي
الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة

عما يغشى منهما

عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان
الاستنكار لا يقع الا لمن فقدهما احدهما ان ينظروا فيه الى المستعار له كما نظر اليه ههنا ونحوه قول كثير
غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون
الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له والثاني ان
ينظروا فيه الى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر
اراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم
لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا وهم ظالمون في حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم
الملائكة ظالمي انفسهم نعوذ بالله من مفاجاة النقمة والموت على الغفلة وقرئ والخوف عطفا على اللباس او على تقدير
حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اصله ولباس الخوف وقرئ لباس الخوف والجوع لما وعظهم بما ذكر
من حال القرية وما اوتيت به من كفرها وسوء صنيعها وصل ذلك بالفاء في قوله فكلوا صدهم عن افعال الجاهلية
ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها بان امرهم باكل ما رزقهم الله عز وجل من الحلال الطيب وشكر انعامه بذلك
وقال ان كنتم اياه تعبدون يعني تطيعون او ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لانها شفعاؤكم
عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله
على لسان انبيائه وانتصاب الكذب بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولهم
ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى وحي من الله عز وجل او الى قياس
مستند اليه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب
ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام او تصف
السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به السنتكم ويجول في افواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج
ودعوى فارغة فان قلت ما معنى وصف السنتهم الكذب قلت هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كانه عين الكذب ومحضه
فاذا نطقت به السنتهم فقد حليت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر
وقرئ الكذب بالجر صفة لما المصدرية كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم
بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب
من قولك كذب كذابا ذكره ابن جني واللام في لتفتروا من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض متاع قليل خبر مبتدا
محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة وعقاب عظيم ما قصصنا عليك يعني في سورة الانعام
بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه او غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم
من بعدها من بعد التوبة كان امة فيه وجهان احدهما انه كان وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير
كقوله وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وعن مجاهد رضه كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار والثاني
ان يكون امة بمعنى ماموم اي يؤمه الناس لياخذوا منه الخير او بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما اشبه ذلك مما
جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله قال اني جاعلك للناس اماما وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الاشجعي عن
ابن مسعود انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله فقلت غلطت انما هو ابراهيم صلعم فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت
المطيع لله ولرسوله وكان معاذ رضه كذلك وعن عمر رضه انه قال حين قيل له الا تستخلف لو كان ابو عبيدة حيا
لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله صلعم يقول ابو عبيدة
امين هذه الامة ومعاذ امة لله قانت ليس بينه وبين الله يوم القيامة الا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف
الله لم يعصه وهو ذلك المعنى اي كان اماما في الدين لان الائمة معلمو الخير والقانت القائم بما امره الله تعالى والحنيف المائل
الى ملة الاسلام غير الزائل عنه ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابيهم ابراهيم شاكرا لانعمه
روي انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة
البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الآن وجبت مواكلتكم شكرا لله تعالى على انه عافاني وابتلاكم
اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام حسنة عن قتادة رضه هي تنويه الله
بذكره حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم
لمن الصالحين لمن اهل الجنة ثم اوحينا اليك في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلعم واجلال محله والايذان
بان اشرف ما اوتي خليل الله ابراهيم عليه من الكرامة واجل ما اوتي من النعمة اتباع رسول الله صلعم ملته من قبل انها
دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي اثنى الله عز وجل عليه بها السبت مصدر سبتت
اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد
فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعدما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد
فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بانعم الله تعالى مثلا وغير ذلك وهو الانذار من سخط
الله على العصاة والمخالفين لاوامره والخالعين ربقة طاعته فان قلت فما معنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا
محلين او محرمين قلت معناه انه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرمين اخرى ووجه آخر وهو
ان موسى عليه السلام امرهم ان يجعلوا في الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي
فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت
لان بعضهم اختاره وبعضهم اختار عليه الجمعة فاذن لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فاطاع امر الله

الرضوان بالجمعة فكانوا لا يصيدون وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله عز وجل دون أولئك وهو يحكم بينهم
يوم القيمة فيجازي كل واحد منهم من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد
فيه • وقرئ إنما جَعَلَ السبتَ على البناء للفاعل وقرئ عبد الله إنا أنزلنا السبت ادع إلى سبيل ربك إلى الإسلام بالحكمة
بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي لا يخفى عليهم أنك
تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها • ويجوز أن يريد القرآن أي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة
وجادلهم بالتي هي أحسن بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف إن ربك أعلم
بهم من كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكأنك تضرب
منه في حديد بارد ثم أتبع الفعل الأول بما يتم النافي للمزاوجة والمعنى إن صنع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه فقابلوه
بمثله ولا تزيدوا عليه • وقرئ فإن عقبتم فعقبوا أي وإن قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم • روي
أن المشركين مثّلوا بالمسلمين يوم أحد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا أحدا غير ممثول به إلا حنظلة
ابن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة رضي الله عنه وقد مثل به • وروي فرآه مبقور البطن • فقال أما والذي
أحلف به لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما أراده ولا خلاف في تحريم
المثلة وقد وردت الأخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور • إما أن يرجع الضمير في لهو إلى الصبر وهو مصدر
صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون أي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله
عز وجل بأنهم صابرون على الشدائد أو وصفهم بالصفة التي تحصل لهم إذا صبروا عن المعاقبة وإما أن يرجع
إلى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كأنه قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه قوله عز وجل
فمن عفى وأصلح فأجره على الله وأن تعفوا أقرب للتقوى ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم واصبر أنت فعزم عليه بالصبر
وما صبرك إلا بالله أي بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبه ولا تحزن عليهم أي على الكافرين كقوله فلا تأس على القوم
الكافرين أو على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون ولا تك في ضيق وقرئ ولا تكن في ضيق أي ولا يضيقن صدرك من مكرهم
والضيق تخفيف الضيق أي في أمر ضيق ويجوز أن يكون الضَّيق والضِّيق مصدرين كالقيل والقول إن الله مع الذين اتقوا
أي هو ولي الذين اجتنبوا المعاصي وولي الذين هم محسنون في أعمالهم • وعن هرم بن حيان أنه قيل له حين احتضر أوص
فقال إنما الوصية من المال ولا مال لي • وأوصيكم بخواتيم سورة النحل • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل
لم يحاسبه الله بما أنعم عليه في دار الدنيا وإن مات في يوم تلاها أو ليلة كان له من الأجر كالذي مات وأحسن
الوصية سورة بني إسرائيل مكية وهي مائة وعشر آيات • بسم الله الرحمن الرحيم • سبحان
علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك إظهاره تقديره أسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل
فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها إليه أعداء الله الذي أسرى وسرى لغتان ليلا نصب
على الظرف فإن قلت الإسراء لا يكون إلا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة
الإسراء وأنه أسري به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة وذلك أن التنكير فيه قد دل على معنى
البعضية • ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة رضي الله عنهما من الليل أي بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به يعني
الأمر بالقيام في بعض الليل واختلف في المكان الذي أسري منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر • وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم بينا أنا في المسجد الحرام عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق • وقيل أسري به
من دار أم هانئ بنت أبي طالب • والمراد بالمسجد الحرام الحرم لإحاطته بالمسجد والتباسه به • وعن ابن عباس رضي الله عنهما
الحرم كله مسجد • وروي أنه كان نائما في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسري به ورجع من ليلته وقص القصة
على أم هانئ رضي الله عنها • وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج إلى المسجد فتشبثت أم هانئ بثوبه فقال ما لك
قالت أخشى أن يكذبك قومك إن أخبرتهم قال وإن كذبوني فخرج فجلس إليه أبو جهل فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الإسراء
فقال أبو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وإنكارا وارتد ناس ممن كان
آمن به وسعى رجال إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال إن كان قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك قال إني لأصدقه
على أبعد من ذلك فسمي الصديق • ومنهم من سافر إلى ثم فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر إليه
وينعته لهم فقالوا أما النعت فقد أصاب فقالوا أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم
يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس
قد أشرقت وقال آخر وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا • وقالوا ما هذا إلا سحر
وقد عرج به إلى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس وأخبر قريشا أيضا بما رأى في السماء من العجائب وأنه
لقي الأنبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الإسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة • وعن أنس
والحسن رضي الله عنهما أنه كان قبل البعث واختلف في أنه هل كان في اليقظة أم في المنام فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت والله
ما فقد جسد رسول الله ولكن عرج بروحه • وعن معاوية إنما عرج بروحه • وعن الحسن رضي الله عنه كان في المنام رؤيا رآها
وأكثر الأقاويل بخلاف ذلك إلى المسجد الأقصى بيت المقدس لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد باركنا حوله يريد بركات الدين
والدنيا لأنه متعبد الأنبياء من وقت موسى عليه السلام ومهبط الوحي وهو محفوف بالأنهار الجارية والأشجار المثمرة
وقرأ الحسن رضي الله عنه ليريه بالياء ولقد تصرف في الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل أسرى ثم باركنا حوله ثم ليريه على قراءة
الحسن رضي الله عنه ليريه ثم من آياتنا ثم إنه هو وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة إنه هو السميع
لأقوال محمد البصير بأفعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك ألا تتخذوا قرئ

بالياء على ليلا يتخذوا وبالتاء على أي لا تتخذوا كقولك كتبت إليه أن افعل كذا وكيلا ربا تكلون إليه أموركم ذرية من
حملنا نصب على الاختصاص وقيل على البدل وفيمن قرأ أن لا تتخذوا بالتاء على النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا
يا ذرية من حملنا مع نوح وقد يجعل وكيلا ذرية من حملنا مفعولي تتخذوا أي لا تجعلوهم أربابا كقوله ولا يأمركم
أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير عليهما السلام • وقرئ ذرية من حملنا بالرفع بدلا
من واو تتخذوا • وقرأ زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال • وروي عنه أنه قد فسرها بولد الولد ذكرهم
الله عز وجل النعمة في إنجاء آبائهم من الغرق إنه إن نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا قيل كان إذا أكل قال الحمد لله الذي
أطعمني ولو شاء لأجاعني وإذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء لأظمأني وإذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني
ولو شاء لأعراني وإذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء لأحفاني وإذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي أخرج عني
أذاه في عافية ولو شاء حبسه • وروي أنه كان إذا أراد الإفطار عرض طعامه على من آمن به فإن وجده محتاجا آثره به فجعله
أسوتكم كما جعله أباكم أسوتهم ويجوز أن يكون تعليلا لاختصاصهم والثناء عليهم بأنهم أولاد المحمولين مع نوح فهم
متوصلون به فاستأهلوا لذلك الاختصاص ويجوز أن يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد وقضينا إلى بني إسرائيل
وأوحينا إليهم وحيا مقضيا أي مقطوعا مبتوتا بأنهم يفسدون في الأرض لا محالة ويعلون أي يتعظمون ويبغون في الكتاب
في التوراة لتفسدن جواب قسم محذوف • ويجوز أن يجري القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كأنه
قال وأقسمنا لتفسدن • وقرئ لتفسدن على البناء للمفعول ولتفسدن بفتح التاء من فسد مرتين أولاهما قتل زكريا
وحبس إرمياء حين أنذرهم سخط الله تعالى والأخرى قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم عبادا لنا وقرئ عبيدا لنا
وأكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنحاريب وجنوده وقيل بخت نصر • وعن ابن عباس رضي الله عنهما جالوت قتلوا علماءهم
وأحرقوا التوراة وأخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفا فإن قلت كيف جاز أن يبعث الله عز وجل الكفرة على ذلك ويسلطهم
عليهم قلت معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على أن الله عز وجل أسند بعث الكفرة عليهم إلى نفسه فهو
كقوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف بين كلمتهم وأسند الجوس وهو التردد
خلال الديار بالفساد إليهم • فتخريب التوراة وإخراب المسجد من جملة الجوس المسند إليهم • وقرأ طلحة رضي الله عنه فحاسوا بالحاء
وقرئ فجوسوا وخلل الديار فإن قلت ما معنى وعد أولاهما قلت معناه وعد عقاب أولاهما وكان وعدا مفعولا أي وعد
العقاب وعدا لا بد أن يفعل ثم رددنا لكم الكرة عليهم أي الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم
عن الفساد والعلو فقيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني إسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع الملك إليهم وقيل
هي قتل داود جالوت أكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز أي الإحسان
والإساءة كلاهما مختص بأنفسكم لا يتعدى النفع والضر إلى غيركم • وعن علي رضي الله عنه ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه وتلاها فإذا
جاء وعد المرة الآخرة بعثناهم ليسوؤا وجوهكم حذف لدلالة ذكره أولا عليه • ومعنى ليسوؤا وجوهكم ليجعلوها بادية
آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا • وقرئ ليسوء والضمير لله عز وجل أو للوعد أو للبعث ولنسوء
بالنون • وفي قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن وليسوءن بالنون الخفيفة واللام في وليدخلوا على هذا متعلق بمحذوف
وهو وبعثناهم ليدخلوا وليسوؤن جواب إذا ما علوا مفعول ليتبروا أي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه أو بمعنى
مدة علوهم عسى ربكم أن يرحمكم بعد المرة الثانية إن تبتم توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصي وإن عدتم مرة ثالثة عدنا
إلى عقوبتكم وقد عادوا فأعاد الله عز وجل عليهم النقمة بتسليط الأكاسرة وضرب الإتاوة عليهم • وعن الحسن عادوا
فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون • وعن قتادة ثم كان آخر ذلك أن بعث الله عليهم
هذا الحي من العرب فهم منه في عذاب إلى يوم القيمة حصيرا محبسا يقال للسجن محصر وحصير • وعن الحسن بساطا كما يبسط
الحصير المرمول • للتي هي أقوم للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدها أو للملة أو للطريقة وأينما قدرت لم تجد مع الإثبات ذوق
البلاغة الذي تجده مع الحذف لما في إبهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع إيضاحه • وقرئ ويبشر بالتخفيف فإن قلت
كيف ذكر المؤمنين الأبرار والكفار ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس حينئذ إما مؤمن تقي وإما مشرك وإنما حدثت
المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك فإن قلت علام عطف قوله وأن الذين لا يؤمنون قلت على أن لهم أجرا كبيرا على معنى
أنه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب أعدائهم ويجوز أن يراد ويخبر بأن الذين لا يؤمنون
معذبون ويدع الإنسان بالشر أي ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله كما يدعوه لهم بالخير
كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وكان الإنسان عجولا يتسرع إلى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله
لا يتأنى فيه تأني المتبصر • وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دفع إلى سودة بنت زمعة أسيرا فأقبل يئن بالليل فقالت له ما لك
تئن فشكى ألم القد فأرخت من كتافه فلما نامت أخرج يده وهرب فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فأعلم بشأنه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اقطع يديها • فرفعت سودة يديها تتوقع الإجابة وأن يقطع الله عز وجل يديها فقال النبي صلى الله عليه وسلم
إني سألت الله تعالى أن يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من أهلي رحمة لأني بشر أغضب كما يغضب البشر
فلترد سودة يديها • ويجوز أن يريد بالإنسان الكافر وأنه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير
إذا مسته الشدة وكان الإنسان عجولا • يعني أن العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال • وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هو النضر بن الحارث قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية فأجيب له فضربت عنقه صبرا فيه
وجهان أحدهما أن يراد أن الليل والنهار آيتان في أنفسهما فتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين
كإضافة العدد إلى المعدود أي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة والثاني أن يراد
وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل أي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما

لا يثبتان فيه شي كما يثبت في اللوح الممحي وجعلنا النهار مبصرا اي تبصر فيه الاشيا وتستبان او وجعلنا ايه
الليل لاهل القمر حيث لم يخلق لها شعاعا كشعاع الشمس فترى به الاشيا رؤية بينة وجعلنا الشمس
ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شي لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف
في معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين وجنس الحساب وما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك
ما علم احد حساب الاوقات ولتعطلت الامور وكل شي مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه بيناه تبيينا غير
ملتبس فازحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا طائره عمله وقد حققنا القول فيه في سورة النمل وعن العرب
هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه ما طار له من عمله والمعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة والغل
لا ينفك عنه ومنه مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذا ربقة في رقبته وعن الحسن يا ابن
آدم بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها في عنقك وقرئ في عنقه بسكون النون ونخرج له بالنون ويخرج بالياء والضمير
لله عز وجل ويخرج على البنا للمفعول ويخرج من خرج والضمير للطائر اي يخرج الطائر كتابا وانتصاب كتابا على الحال
وقرئ يلقاه بالتشديد مبنيا للمفعول يلقاه ومنشورا صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه
اقرأ على ارادة القول وعن قتادة يقرأ في ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قاريا ونفسك فاعل كفى وحسيبا تمييز
وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه وعلى متعلق به
من قولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون بمعنى الكافي ووضع موضع الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد يكفي المدعي
ما اهمه فان قلت لم ذكر حسيبا قلت لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاها
الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز ان يتأول النفس بالشخص كما يقال ثلاثة انفس
اي كل نفس حاملة وزرها لا وزر نفس اخرى
وما كنا معذبين وما صح منا صحة تدعو اليها الحكمة ان نعذب قوما الا بعد ان نبعث اليهم رسولا فتلزمهم الحجة
فان قلت الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسول لان معهم ادلة العقل التي بها يعرف الله وقد اغفلوا النظر وهم
متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفال الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف
والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان قلت بعثة الرسول من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا
كنا غافلين فلولا بعثت الينا رسولا ينبهنا على النظر في ادلة العقل واذا اردنا واذا دنا وقت اهلاكهم ولم يبق من زمان
اهلاكهم الا قليل امرناهم ففسقوا اي امرناهم بالفسق ففعلوا والامر مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول
لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى
المعاصي واتباع الشهوات فكانهم مامورون بذلك لتسبب ايلا النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا
فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم اصحا اقويا واقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة
على المعصية فاثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهي كلمة العذاب فدمرهم فان قلت هلا زعمت ان معناه
امرناهم بالطاعة ففسقوا قلت لان حذف ما لا دليل عليه غير جايز فكيف بحذف ما الدليل قايم على نقيضه
وذلك ان المامور به انما حذف لان فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته فقرا لا يفهم منه
الا ان المامور به قيام او قراة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم هذا قولهم
امرته فعصاني او فلم يمتثل امري لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مامورا به فكان محالا
ان يقصد اصلا حتى يجعل دالا على المامور به فكان المامور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي لان من يتكلم
بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره مامورا به فكانه يقول كان مني امر فلم تكن منه طاعة كما ان من يقول فلان
يعطي ويمنع ويامر وينهى غير قاصد الى مفعول فان قلت هلا كان ثبوت العلم بان الله لا يامر بالفحشا وانما يامر
بالقسط والخير دليلا على ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا قلت لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه
فكانك اظهرت شيا وانت تدعي اضمار خلافه فكان صرف الامر الى المجاز هو الوجه ونظير امر شا في ان
مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شا لاحسن اليك ولو شا لاسا اليك تريد لو شا
الاحسان ولو شا الاساة فلو ذهبت تضمر خلاف ما اظهرت وقلت قد دلت حال من اسندت اليه المشية
انه من اهل الاحسان او من اهل الاساة فاترك الظاهر المنطوق به واضمر ما دلت عليه حال صاحب المشية لم تكن
على سداد وقد فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته فامر من باب فعلته ففعل كثبرته فتبره وفي الحديث خير
المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى امرك
هذا حقيرا فقال صلى الله عليه وسلم انه سيأمر اي سيكثر ويكبر وقرئ امرنا من امر امارة عليهم وامرنا بمعنى امرنا ومن امر امارة
وامره الله اي وجعلناهم امرا وسلطناهم وكم مفعول اهلكنا ومن القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد
بالجنس يعني عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا ونبه بقوله وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا على ان الذنوب
هي اسباب الهلكة لا غير وانه عالم بها فمعاقب عليها من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة واكثر الفسقة
تفضلنا عليه من منافعها ما نشا لمن نريد فقيد الامر بقيدين احدهما تقييد المعجل بمشيته والثاني تقييد المعجل له
بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هولا يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض
وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الاخرة واما المومن التقي فقد اختار مراده وهو غنا الاخرة فما يبالي اوتي حظا
من الدنيا او لم يؤت فان اوتي فبها والا فربما كان الفقر خيرا له واعون على مراده وقوله لمن نريد بدل من له وهو
بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو في معنى الكثرة وقرئ يشا وقيل الضمير لله عز وجل فلا فرق اذا بين القرايتين

في المعنى ويجوز ان يكون العبد ما يشا من الدنيا وان ذلك لواحد من الدهما يريد به الله ذلك وقيل هو من يريد
الدنيا بعمل الاخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال صلى الله عليه وسلم من كانت هجرته الى الله ورسوله
فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه مدحورا مطرودا من رحمة الله
سعيها حقها من السعي وكفاها من الاعمال الصالحة اشترط ثلاث شرايط في كون السعي مشكورا ارادة الاخرة بان
يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين
من لم يكن معه هذه الثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلى هذه الآية وشكر الله الثواب على
الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من المضاف اليه نمدهم نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه
مددا للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع به والعاصي جميعا على وجه التفضيل وما كان عطا ربك وفضله محظورا اي
ممنوعا لا يمنعه من عاص لعصيانه انظر بعين الاعتبار كيف جعلناهم متفاوتين في التفضيل وللآخرة التفاوت اكبر
لانها ثواب واعواض وتفضل وكلها متفاوتة وروي ان قوما من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن
لبلال وصهيب فشق على ابي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما اتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام
فاسرعوا وابطانا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولان حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة اكثر
وروي واكثر تفضيلا وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا اما ترغب في المباهات بالرفع في مجالس الآخرة
وهي اكبر وافضل فتقعد من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة بمعنى صارت فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه
من الهلاك من الهك والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به الا تعبدوا ان مفسرة
ولا تعبدوا نهي او بان لا تعبدوا وبالوالدين احسانا واحسنوا بالوالدين احسانا او بان تحسنوا بالوالدين احسانا وقرئ واوصى
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ووصى وعن بعض ولد معاذ بن جبل وقضا ربك ولا يجوز ان تتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان لان المصدر لا تتقدم
عليه صلته اما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو افردت ان
لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه واحدهما فاعل يبلغن وهو فيمن قرا يبلغان بدل من الف
الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا وبدلا فان قلت لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا
فما لك زعمت انه بدل قلت لانه معطوف على ما لا يصح ان يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب ان يكون مثله
فان قلت ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل قلت لو اريد توكيد التثنية
لقيل كلاهما فحسب فلما قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الاول اف صوت يدل على تضجر
وقرئ اف بالحركات الثلاث منونا وغير منون الكسر على اصل البنا والفتح تخفيف للضمة والتشديد كثم والضم اتباع
كمنذ فان قلت ما معنى عندك قلت هو ان يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك
اشق عليه واشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولة فهو مامور بان يستعمل معهما وطاة
الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما اذا اضجره ما يستقذر منهما او يستثقل من مونهما اف فضلا عما يزيد
عليه ولقد بالغ سبحانه وتعالى في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضا بهما معا
ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع احوال لا يكاد
يدخل صبر الانسان معها في الاستطاعة ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر والنهم اخوات
وقل لهما بدل التافيف والنهر قولا كريما جميلا كما يقتضيه حسن الادب والنزول على المروة وقيل هو ان يقول يا ابتاه
يا اماه كما قال ابراهيم لابيه يا ابت مع كفره ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفا وسو الادب وعادة الدعار قالوا
ولا باس به في غير وجهه كما قالت عايشة رضي الله عنها نحلني ابو بكر كذا وقرئ جناح الذل والذل بالضم والكسر فان قلت
ما معنى جناح الذل قلت فيه وجهان احدهما ان يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمومنين
فاضافه الى الذل او الذل كما اضيف حاتم الى الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل او الذلول والثاني ان
تجعل لذله او لذله لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة في التذلل والتواضع لهما من الرحمة
من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله عز وجل اليهما بالامس ولا تكتف
برحمتك عليهما التي لا بقا لها وادع الله بان يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما
لك فان قلت الاسترحام لهما انما يصح اذا كانا مسلمين قلت واذا كانا كافرين فله ان يسترحم لهما بشرط الايمان
وان يدعو الله عز وجل لهما بالهداية والارشاد ومن الناس من قال كان الدعا للكفار جايزا ثم نسخ وسيل
ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شي انفع له من الاستغفار ولو كان شي افضل منه
لامركم به في الابوين ولقد كرر الله سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا الوالد
وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما يشا ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما يشا ان يفعل فلن يدخل
الجنة وروى سعيد بن المسيب رضي الله عنه ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من
الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاك
وانت تفعله وانت تريد موتهما وشكى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اباه وانه ياخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكا
على عصى فساله فقال انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه شيا من مالي واليوم انا ضعيف
وهو قوي وانا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال
للولد انت ومالك لابيك انت ومالك لابيك مرتين وشكى اليه آخر سو خلق امه فقال لم تكن سيية الخلق
حين حملتك تسعة اشهر وقال انها سيية الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك حولين قال انها سيية الخلق

مالي لم تكن كذا لك حين اسهرت لك ليلها واظمأت لك نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال فجحت بها على عاتقي قال ما جزيتها ولو طلقة • وعن ابن عمر رضه انه رأى رجلا في الطواف يحمل امه ويقول

انى لها مطية لا تذعر ٥ اذا الركاب نفرت لا تنفر ٥ ما حملت وارضعتني اكثر ٥ الله ربي ذو الجلال الاكبر

تظنني جزيتها يا ابن عمر • قال لا ولو زفرة واحدة • وعنه صلعم اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة يوجد ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين • وقال الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر ويأخذ الاناء منه اذا شربها • وعن ابي يوسف اذا امره ان يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير اوقد • وعن حذيفة رضه انه استأذن رسول الله صلعم في قتل ابيه وهو في صف المشركين فقال دعه يليه غيرك • وسئل الفضيل بن عياض رضه عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة في باطن ولا ظاهر وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اودائهما من بعدهما • وعن النبي صلعم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه • ربكم اعلم بما في نفوسكم بما في ضمائركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر هنة مما لا يخلو منه البشر بحميته الاسلام هنة تؤدي الى اذاهما ثم انبتم الى الله واستغفرتم منها فان الله غفور للاوابين • وعن سعيد بن جبير رضه هي في البادرة تكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير • وعن سعيد بن المسيب رضه الاواب الرجل كلما اذنب بادر الى التوبة • ويجوز ان يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره • وآت ذا القربى حقه وصى بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية بهما وان يؤتوا حقهم وحقهم اذا كانوا محارم كالابوين والولد وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا ان ينفق عليهم عند ابي حنيفة والشافعي رضه لا يرى النفقة الا على الولد والوالدين فحسب وان كانوا مياسير او لم يكونوا محارم كابناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المؤالفة والمعاشرة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك • والمسكين وابن السبيل يعني وآت هؤلاء حقهم من الزكاة وهذا دليل على ان المراد بما يؤتى ذو القربى من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل اراد بذوي القربى اقارب رسول الله صلعم • التبذير تفريق المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر اموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في اشعارها فامر الله عز وجل بالنفقة في وجوهها فيما يقرب اليه ويزلف • وعن عبد الله رضه هو انفاق المال في غير حقه • وعن مجاهد رضه لو انفق مدا في باطل كان تبذيرا ولقد انفق بعضهم نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير • وعن عبد الله بن عمر رضه مر رسول الله صلعم بسعد رضه وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال او في الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار • اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لانه لا اشر من الشيطان او هم اخوانهم واصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يامرونهم به من الاسراف او هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد • وكان الشيطان لربه كفورا فما ينبغي ان يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله • وقرئ اخوان الشيطان • وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد • فقل لهم قولا ميسورا ولا تتركهم غير مجابين اذا سألوك وكان النبي صلعم اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء وقوله ابتغاء رحمة من ربك اما ان يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه اي فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك اي ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم واما ان يتعلق بالشرط اي وان اعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجوا ان يفتح الله لك به فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب • ويجوز ان يكون معنى واما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان من ابى ان يعطي اعرض بوجهه • يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم بان ييسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور • فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وعند الناس يقول المحتاج اعطى فلانا وحرمني ويقول المستغني ما يحسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت • محسورا منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وحسره بالمسألة • وعن جابر رضه بينا رسول الله صلعم جالسا اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلوة • وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصن كذلك فجاء عباس بن مرداس رضه وانشأ يقول ٥

اتجعل نهبي ونهب العبيد ٥ بين عيينة والاقرع ٥ وما كان حصن ولا حابس ٥ يفوقان مرداس في مجمع ٥ وما كنت دون امرئ منهما ٥ ومن تضع اليوم لا يرفع ٥

فقال يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل فنزلت ٥ ثم سلى رسول الله صلعم بما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان مشيئته في بسط الارزاق وقدرها

تابعه

تابعة للحكمة والمصلحة • ويجوز ان يريد ان البسط والقبض انما هو من امر الله الذي الخزائن بيده فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا • ويحتمل انه عز وجل يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط • ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم • وقرئ خشية بكسر الخاء • الاملاق الفاقة • خطأ يقال خطئ خطأ كاثم اثما وخطاء وهو ضد الصواب اسم من اخطأ وقرئ خطاء بالكسر والمد وخطأ بالفتح والمد وخطأ بالفتح والسكون • وعن ابن ذكوان خطأ بالفتح وحذف الهمز كالخب • وعن ابي رجاء بكسر الخاء غير مهموز • فاحشة قبيحة زائدة على حد القبح • وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو ان يغصب على غيره امرأته او اخته او بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله تعالى • الا بالحق الا باحدى ثلاث الا بان يكفر بعد ايمان او يزني بعد احصان او يقتل مؤمنا معصوما عمدا • مظلوما غير راكب واحدة منهن • لوليه للذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن له ولي فالسلطان وليه • سلطانا تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه • فلا يسرف الضمير للولي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كانوا اذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى ان مهلهلا اخا كليب حين قتل بجير بن الحارث بن عباد قال بؤ بشسع نعل كليب • وقال كل قتيل في كليب غرة حتى ينال القتل آل مرة • وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن بواء • وقيل الاسراف المثلة • وقرأ ابو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على انه خبر في معنى النهي وفيه مبالغة ليست في النهي • وعن مجاهد رضه ان الضمير للقاتل الاول • وقرئ فلا تسرفوا على خطاب الولي او قاتل المظلوم • وفي قراءة ابي رضه فلا تسرفوا في القتل • انه كان منصورا الضمير اما للولي يعني حسبه ان الله قد نصره بان اوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك واما للمظلوم لان الله ناصره حيث اوجب القصاص بقتله وينصره في الآخرة بالثواب • واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف • بالتي هي احسن بالخصلة او الطريقة التي هي احسن وهي حفظه عليه وتثميره • ان العهد كان مسؤولا اي مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به • ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث • كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت • ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤولا • وقرئ بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغير او كبير من موازين الدراهم وغيرها • واحسن تاويلا واحسن عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه • ولا تقف ولا تتبع • وقرئ ولا تقف يقال قفا اثره وقافه • ومنه القافة تعني ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده فهو ضال • والمراد النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده • وعن ابن الحنفية رضه شهادة الزور • وعن الحسن رضه لا تقف اخاك المسلم اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا ورأيته يفعل وسمعته ولم تر ولم تسمع • وقيل القفو شبيه بالعضيهة • ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج • وانشد ٥ ومثل الدمى شم العرانين ساكن ٥ بهن الحياء لا يشعن التقافيا ٥ اي التقاذف • وقال الكميت بن زيد ٥ ولا ارمي البريء بغير ذنب ٥ ولا اقفو الحواصن ان قفينا ٥ وقد استدل به مبطلوا الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع غالب الظن مقام العلم وامر بالعمل به • اولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد كقوله ٥ والعيش بعد اولئك الايام ٥ وعنه في موضع الرفع بالفاعلية اي كل واحد منها كان مسؤولا عنه فمسؤول مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم • يقال للانسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه • وقرئ والفواد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفؤاد ثم استصحب القلب مع الفتح • مرحا حال اي ذا مرح • وقرئ مرحا وفضل الاخفش المصدر على اسم الفاعل لما فيه من التأكيد • لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطأتك • وقرئ لن تخرق بضم الراء • ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال • وقرئ سيئه وسيئة وسيئا • وفي بعض المصاحف سيئاته • وقراءة ابي بكر الصديق كان شانه • فان قلت كيف قيل سيئة مع اضافته الى ضمير كل ثم قال مكروها • قلت السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتانيثه ولا فرق بين من قرأ سيئة ومن قرأ سيئا • الا تراك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر ومؤنث • ولقد ذكرت الخصال بعضها سيئ وبعضها حسن ولذلك من قرأ سيئه بالاضافة • ذلك اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل الى هذه الغاية • وقيل كل ذلك احاطة بما نهي عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة • وسماه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه • وعن ابن عباس رضه هذه الثماني عشرة آية كانت في الواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها آخر قال الله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر آيات في التوراة • ولقد جعل الله عز وجل فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد هو راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وان بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما اغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم • افاصفاكم خطاب الذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار يعني افخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بافضل الاولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ ادونهم وهي البنات وهذه خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون باجود الاشياء واصفاها من الشوب ويكون ارذلها وادونها للسادات • انكم لتقولون قولا عظيما باضافتكم الى الله الاولاد وهي خاصة بالاجسام ثم بانكم تفضلون عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بان تجعلوا الملائكة وهم اعلى خلق الله

د اشرفهم ادون خلق الله وهي الاناث ولقد صرفنا في هذا القران يجوز ان يريد بهذا القران ابطال اضافتهم الى البنات لانه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز ان يشير بهذا القران الى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا وقرئ ليذكروا اي كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا الى ما يحتج به عليهم وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طماعية له وعن سفيان الثوري رحمه الله كان اذا قراها قال زادني لك خضوعا ما زاد اعداءك نفورا كما تقولون بالتاء والياء واذا دالة على ان ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو ومعنى لابتغوا الى ذي العرش سبيلا لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم ببعض كقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقيل لتقربوا اليه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة علوا في معنى تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به المراد انه تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكانها تنطق بذلك وكانها تنزه الله تعالى مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها وقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا التسبيح مفقوه معلوم قلت الخطاب للمشركين وهم وان كانوا اذا سئلوا عن خالق السموات والارض قالوا الله الا انهم لما جعلوا معه الهة مع اقرارهم فكانهم لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فاذا لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق فان قلت من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والارض فما وجهه قلت التسبيح المجازي حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه والا كانت الكلمة الواحدة في الحالة الواحدة محمولة على الحقيقة والمجاز انه كان حليما غفورا حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم حجابا مستورا ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو افعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز ان يراد انه حجاب من دونه حجاب او حجب فهو مستور بغيره او حجاب يستر ان يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كانه قال واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه فقال وحده يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحده من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في انه مصدر ساد مسد الحال اصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده والنفور مصدر بمعنى التولية او جمع نافر كقاعد وقعود اي يحبون ان تذكر معه الهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا بما يستمعون به من الهزء بك وبالقران ومن اللغو كان يقوم عن يمينه اذا قرا رجلان من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبه في موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزء اي هازئين واذ يستمعون نصب باعلم اي اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون واذ هم نجوى واذ يتناجون به اذ هم ذوو نجوى اذ يقول بدل من اذ هم مسحورا سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرية اي هو بشر مثلكم ضربوا لك الامثال مثلوك بالساحر والشاعر والمجنون فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في امره لا يدري ما يصنع قالوا اذا كنا عظاما قيل لهم كونوا حجارة او حديدا فرد قوله كونوا على قولهم كنا كانه قيل كونوا حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم والمعنى انكم تستبعدون ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحيوة والى رطوبة الحي وغضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره فليس ببدع ان يردها الله عز وجل بقدرته الى الحالة الاولى ولكن لو كنتم ابعد شيء من الحيوة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب منه البشر وهو ان تكونوا حجارة يابسة او حديدا مع ان طباعها الجساوة والصلابة لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحيوة او خلقا مما يكبر في صدوركم يعني او خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة ويعظم في زعمكم على الخالق احياؤه فانه يحييه وقيل ما يكبر في صدوركم الموت وقيل السموات والارض فسينغضون فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله بحمده حال منهم اي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تامره بركوب ما يشق عليه فيتابى ويمتنع ستركبه وانت حامد شاكر يعني انك تحمل عليه وتقسر عليه قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه وعن سعيد بن جبير رحمه الله ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون ترون الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما او بعض يوم وعن قتادة رحمه الله تحاقرت الدنيا في انفسهم حين عاينوا الاخرة وقل لعبادي وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي احسن والين ولا يخاشنوهم كقوله وجادلهم بالتي هي احسن وفسر التي هي احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض يعني يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشارة والمشاقة وما ارسلناك عليهم وكيلا اي ربا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمشاقة وذلك قبل نزول اية السيف وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه حين شتمه رجل فامره الله تعالى بالعفو وقيل افرط ايذاء المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن ان تقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وقرا طلحة رحمه الله ينزغ بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون ويعرشون هو رد على اهل مكة في انكارهم واستبعادهم ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه كصهيب وبلال

وخباب

وخباب وغيرهم رضي الله عنهم دون ان يكون ذلك في بعض الاكابر والصناديد يعني وربك اعلم بمن في السموات والارض واحوالهم وبما يستاهل كل واحد منهم وقوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله واتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داود عليه السلام قال الله سبحانه ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد صلى الله عليه وسلم وامته فان قلت هلا عرف الزبور كما عرف في قوله ولقد كتبنا في الزبور قلت يجوز ان يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وان يريد واتينا داود بعض الزبر وهي الكتب وان يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزبور فسمي ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما سمي بعض القران قرانا هم الملائكة وقيل عيسى بن مريم وعزير وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا اي ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى اخر او يبدلوه اولئك مبتدا والذين يدعون صفته ويبتغون خبره يعني ان الهتهم اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله عز وجل وايهم بدل من واو يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب منهم وازلف الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب او ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم الهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم نحن مهلكوها بالموت والاستئصال او معذبوها بالقتل وانواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وعن مجاهد رحمه الله وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فتخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا في الكتاب في اللوح المحفوظ استعير المنع لترك ارسال الايات من اجل صارف الحكمة وان الاولى منصوبة والثانية مرفوعة تقديره وما منعنا ارسال الايات الا تكذيب الاولين والمراد الايات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك وعادة الله في الامم ان من اقترح منهم اية فاجيب اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستئصال والمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الايات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا العذاب المستاصل وقد عزمنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الايات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح عليه السلام لان اثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم مبصرة بينة وقرئ مبصرة بفتح الميم فظلموا بها فكفروا بها وما نرسل بالايات ان اراد بها الايات المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الايات كايات القران وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الاخرة واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله كان قد كان ووجد فقال احاط بالناس على عادته في اخباره وحين تزاحف الفريقان يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش مع ابي بكر رضي الله عنه كان يدعو ويقول اللهم اني اسالك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله سبحانه اراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومئ الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر بدر وما اري في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويسخرون ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجرة وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ذلك وما انكروا ان يجعل الله الشجرة من جنس لا تاكله النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك يتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحمى باحمرار النار فلا يضرها ثم اقرب من ذلك انه خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها فما انكروا ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الايات انما نرسلها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما اريناك منه في منامك بعد الوحي اليك الا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الاخرة وبشجرة الزقوم فما اثر فيهم ثم قال ونخوفهم اي نخوفهم بمخاوف الدنيا والاخرة فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الايات وقيل الرؤيا هي الاسرى وبه تعلق من يقول كان الاسرى في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل انما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رايتها وخيال خيل اليك استبعادا منهم كما سمى اشياء باسمائها عند الكفرة كقوله فراغ الى الهتهم اين شركائي ذق انك انت العزيز الكريم وقيل هي رؤيا انه سيدخل مكة وقيل راى في المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة فان قلت اين لعنت شجرة الزقوم في القران قلت لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن اصحابها على المجاز وقيل وصفها الله عز وجل باللعن لان اللعن هو الابعاد من الرحمة وهي في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون وسالت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب الممحوق وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي الكشوث التي تلتوي بالشجر تجعل في الشراب وقيل هي الشيطان وقيل ابو جهل وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على انها مبتدا محذوف الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة

والقرآن كذلك طينا حال إما من الموصوف والعامل فيه أأسجد على أأسجد له وهو طين أي أصله طين أو من الراجع
إليه من الصلة على أأسجد لمن كان في وقت خلقه طينا أرأيتك الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى أخبرني
عن هذا الذي كرمته علي أي فضلته لم كرمته علي وأنا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال لئن
أخرتني واللام موطئة للقسم المحذوف لأحتنكن ذريته لأستأصلنهم بالإغواء من احتنك الجراد الأرض إذا
جرد ما عليها أكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم أحنك الشاتين أي آكلهما فإن قلت من أين علم
أن ذلك يتسهل له وهو من الغيب قلت إما أن سمعه من الملائكة وقد أخبرهم الله سبحانه به أو خرجه من
قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها أو نظر إليه فتوسم في مخايله أنه خلق شهواني وقيل قال ذلك لما علم وسوسته
في آدم علم أنه لا طاقة له بذلك قيل أكل آدم من الشجرة اذهب ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء وإنما
معناه امض لشأنك الذي اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره سوء اختياره في قوله فمن تبعك منهم
فإن جهنم جزاؤكم كما قال موسى عليه السلام للسامري فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس فإن قلت لم كان
من حق الضمير في الجزاء أن يكون على لفظ الغيبة ليرجع إلى من تبعك قلت بلى ولكن التقدير فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤك
ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم ويجوز أن يكون للتابعين على طريق الالتفات وانتصب جزاء موفورا
بما في جهنم جزاؤكم من معنى تجازون أو بإضمار تجازون أو على الحال لأن الجزاء موصوف بالموفور والموفور الموفر
يقال فر لصاحبك عرضه فرة استفزز استخفه والفز الخفيف واجلب من الجلبة وهي الصياح والخيل الخيالة
ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل جمع الراجل ونظيره الركب والصحب وقرئ ورجلك على أن
فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه أيضا فيكون مثل حدث وحدث وندس
وندس وأخوات لهما يقال رجل رجل وقرئ ورجالك ورجالك فإن قلت ما معنى استفزاز إبليس بصوته وإجلابه
بخيله ورجله قلت هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم
فصوت بهم صوتا يستفزهم من أماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى
استأصلهم وقيل بصوته بدعائه إلى الشر وخيله ورجله كل راكب وماش من أهل العيث وقيل يجوز أن
يكون لإبليس خيل ورجال وأما المشاركة في الأموال والأولاد فكل معصية يحملهم عليها في بابهما كالربا والمكاسب
المحرمة والبحيرة والسائبة والإنفاق في الفسوق والإسراف ومنع الزكاة والتوصل إلى الأولاد بالسبب الحرام ودعوى
بغير سبب والتسمية بعبد العزى وعبد الحارث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والأعمال
المحظورة وغير ذلك وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله تعالى بالأنساب الشريفة وتسويف
التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في الكبائر والخروج من النار بعد
أن يصيروا حمما وإيثار العاجل على الآجل إن عبادي يريد الصالحين ليس لك عليهم سلطان أي لا تقدر أن تغويهم وكفى بربك وكيلا
لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك ونحو قوله إلا عبادك منهم المخلصين فإن قلت كيف جاز أن يأمر الله إبليس بأن
يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا إلى الشر صادا عن الخير قلت هو من الأوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية
كما قال للعصاة اعملوا ما شئتم يزجي يجري ويسير والضر خوف الغرق ضل من تدعون إلا إياه ذهب عن أوهامكم
وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم إلا إياه وحده فإنكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه في ذلك الوقت ولا
تعتقدون برحمته رجاءكم ولا تخطرون ببالكم أن غيره يقدر على إغاثتكم ولم يهتد لإنقاذكم أحد غيره من سائر
المدعوين ويجوز أن يراد ضل من تدعون من الآلهة عن إغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه على
الاستثناء المنقطع أفأمنتم الهمزة للإنكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الإعراض
فإن قلت بم انتصب جانب البر قلت بيخسف مفعولا به كالأرض في قوله فخسفنا به وبداره الأرض وبكم حال
والمعنى أن يخسف جانب البر أي يقلبه وأنتم عليه فإن قلت ما معنى ذكر الجانب قلت معناه أن الجوانب والجهات
كلها في قدرته سواء وله في كل جانب برا كان أو بحرا سبب مرصد من أسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده
مختصا بذلك بل إن كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لأنه تغييب تحت التراب
كما أن الغرق تغييب تحت الماء فالبر والبحر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل
أن يستوي خوفه من الله تعالى في جميع الجوانب وحيث كان أو يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي تحصب أي ترمي بالحصباء
يعني أو إن لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها
فيكون أشد عليكم من الغرق في البحر وكيلا من يتوكل بصرف ذلك عنكم أم أمنتم أن يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم
إلى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فأعرضتم فينتقم منكم بأن يرسل عليكم قاصفا وهو الريح التي لها قصيف وهو
الصوت الشديد كأنها تتقصف أي تتكسر وقيل التي لا تمر بشيء إلا قصفته فيغرقكم وقرئ بالتاء أي الريح وبالنون
وكذلك يخسف ويرسل ونعيدكم ويرسل بالياء والنون تبيعا المطالب من قوله تعالى فاتباع بالمعروف أي مطالبة قال
الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع ويقال فلان على فلان تبيع بحقه أي مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى أنا نفعل
ما نفعل بهم ثم لا تجد أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثأر من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف
عقباها بما كفرتم بكفران النعمة يريد إعراضهم حين نجاهم قيل في تكرمة ابن آدم كرمه الله بالعقل والنطق
والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الأرض
وتسخيره لهم وقيل كل شيء يأكل بفيه إلا ابن آدم وعن الرشيد أنه أحضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده
أبو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس في قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون
بها فأحضرت الملاعق فردها وأكل بأصابعه على كثير ممن خلقنا هو ما سوى الملائكة وحسب بني آدم

أن نزع عليهم وهو هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا حتى جسرتهم
عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الإنسان على الملك وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله أمرهم وتكثيره
مع التعظيم لذكرهم وعلموا أين أسكنهم وأنى قربهم وكيف نزلهم من أنبيائه منزلة أنبيائهم منهم ثم جرهم
فرط التعصب عليهم إلى أن لفقوا أقوالا وأخبارا منها قالت الملائكة ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون
منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فأعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له
كن فكان ورووا عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده ومن أركانهم أنهم فسروا
كثيرا بمعنى جميع في هذه الآية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا
على أن معنى قولهم على جميع ممن خلقنا أشجى لحلوقهم وأقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر إلى تمحلهم وتشبثهم
بالتأويلات البعيدة في عداوة الملأ الأعلى كأن جبريل عليه السلام غاظهم حين أهلك مدائن قوم لوط فتلك السخيمة لم
تنحل عن قلوبهم وقرئ يدعو بالياء والنون ويدعى كل أناس على البناء للمفعول وقرأ الحسن يدعو كل أناس
على قلب الألف واوا في لغة من يقول أفعو والظرف نصب بإضمار اذكر ويجوز أن يقال إنها علامة الجمع كما في وأسروا
النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بها لأنها غير ضمير ليست إلا علامة بإمامهم
بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين فيقال يا أتباع فلان يا أهل دين كذا أو كتاب كذا وقيل بكتاب
أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر وفي قراءة الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير
أن الإمام جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم وأن الحكمة في الدعاء بالأمهات دون الآباء رعاية حق عيسى
وإظهار شرف الحسن والحسين عليهم السلام وأن لا يفتضح أولاد الزنا وليت شعري أيهما أبدع أصحة لفظه أم بهاء حكمته
من أوتي من هؤلاء المدعوين كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم قيل أولئك لأن من أوتي في معنى الجمع فإن قلت
لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم كأن أصحاب الشمال لا يقرءون كتابهم قلت بلى ولكن إذا اطلعوا على ما في كتابهم
أخذهم ما يأخذ المطالب بالنداء على جنايته والاعتراف بمساويه أمام التنكيل به والانتقام منه من الحياء والخجل
والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن إقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية القول فكان قراءتهم
كلا قراءة وأما أصحاب اليمين فأمرهم على عكس ذلك لا جرم أنهم يقرءون كتابهم أحسن قراءة وأبينها ولا
يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لأهل المحشر هاؤم اقرءوا كتابيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون
من ثوابهم أدنى شيء كقوله ولا يظلمون شيئا فلا يخاف ظلما ولا هضما ومعناه ومن كان في الدنيا في هذه أعمى فهو في
الآخرة أعمى كذلك وأضل سبيلا من الأعمى والأعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي
إلى طريق النجاة أما في الدنيا فلفقد النظر وأما في الآخرة فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه وقد جوزوا أن يكون
الثاني بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ أبو عمرو رضي الله عنه الأول ممالا والثاني مفخما لأن أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت
ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك أعمالكم وأما الأول فلم يتعلق به شيء فكانت ألفه واقعة في الطرف
معرضة للإمالة روي أن ثقيفا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب
لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وأن تمتعنا باللات
سنة ولا نكسرها بأيدينا عند رأس الحول وأن تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فإذا سألتك العرب
لم فعلت ذلك فقل إن الله أمرني به [redacted] وجاءوا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله
لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب
ينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عمر بن الخطاب فسل سيفه وقال أسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف أسعر الله قلوبكم نارا
فقالوا لسنا نكلم إياك إنما نكلم محمدا فنزلت وروي أن قريشا قالت له اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة
حتى نؤمن بك فنزلت وإن كادوا ليفتنونك إن مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى
إن الشأن قاربوا أن يفتنوك أي يخدعوك فاتنين عن الذي أوحينا إليك من أوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا
لتفتري علينا غيره لتتقول علينا ما لم نقل يعني ما أرادوه عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وما
اقترحته ثقيف من أن تضيف إلى الله ما لم ينزل عليه وإذا لاتخذوك أي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك
خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ولولا أن ثبتناك ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لقد كدت تركن إليهم لقاربت أن تميل
إلى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله عز وجل له وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين إذا لو قاربت تركن
إليهم أدنى ركنة لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات أي لأذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين فإن قلت
كيف حقيقة هذا الكلام قلت أصله لأذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لأن العذاب عذابان عذاب في الممات وهو
عذاب القبر وعذاب في حياة الآخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله تعالى فآتهم عذابا ضعفا
في الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم أضيفت الصفة إضافة الموصوف فقيل ضعف
الحياة وضعف الممات كما لو قيل لأذقناك أليم الحياة وأليم الممات ويجوز أن يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا
وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة
في الحياة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع إتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف
في الدارين دليل بين على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ
العدل والتوحيد رضي الله عنهم نسبة المجبرة القبائح إلى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على أن أدنى مداهنة الغواة
مضادة لله تعالى وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن إذا تلا هذه الآية أن يجثو
عندها ويتدبرها فهي جديرة بالتدبر وبأن يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله

وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك
بعداوتهم ومكرهم من الارض ارض مكة واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا لا يبقون بعد اخراجك الا
زمانا قليلا فان الله مهلكهم وكان كما قال سبحانه فقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه
ولو اخرجوك لا ستوصلوا عن بكرة ابيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من ارض العرب وقيل من ارض
المدينة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه فاجتمعوا اليه وقالوا يا ابا القسم
ان الانبيا انما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابرهيم فلو خرجت الى الشام لامنا بك
واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم على اميال من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس عازما
على الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس في دين الله عز وجل فنزلت فرجع وقرئ لا يلبثون وفي قراءة ابي
لا يلبثوا على اعمال اذا فان قلت ما وجه القراءتين قلت اما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع
لوقوعه خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم واما قراءة ابي ففيها الجملة برأسها التي هي اذا لا يلبثوا عطف على جملة
قوله وان كادوا ليستفزونك وقرئ خلافك قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا
اي بعدهم سنة من قد ارسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله ان يهلكهم
ونصب نصب المصدر المؤكد اي سن الله ذلك سنة دلكت الشمس غربت وقيل زالت وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينه عند النظر اليها
فان كان الدلوك الزوال فالاية جامعة للصلوات الخمس وان كان الغروب فقد خرج منها الظهر والعصر والغسق
الظلمة وهو وقت صلوة العشا وقران الفجر صلاة الفجر سميت قرانا وهو القراة لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا
وقنوتا وهي حجة على ابن علية والاصم في زعمهما ان القراة ليست بركن مشهودا تشهده ملائكة الليل والنهار
ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء وهو في اخر ديوان الليل واول ديوان النهار او يشهده الكثير من المصلين في العادة او
من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز ان يكون وقران الفجر حثا على طول القراءة في صلوة الفجر لكونها
مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر اطول الصلوات قراءة ومن الليل وعليك
بعض الليل فتهجد به والتهجد ترك الهجود للصلاة ونحوه التأثم والتحرج ويقال ايضا في النوم تهجد نافلة لك
عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة
يجمعهما معنى واحد والمعنى ان التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك
لانه تطوع لهم مقاما محمودا وضمن يبعثك معنى يقيمك ويجوز ان يكون حالا بمعنى ان يبعثك ذا مقام محمود
ومعنى المقام المحمود المقام الذي يحمده القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد
من انواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهي نوع واحد مما يتناوله وعن ابن عباس رضي الله عنه مقاما يحمدك
فيه الاولون والاخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك
وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن حذيفة رضي الله عنه يجمع الناس
في صعيد فلا تكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت
وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال ثم هذا قوله عسى
ان يبعثك ربك مقاما محمودا قرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح ادخلني فادخل مدخل
صدق اي ادخلني القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات واخرجني منه عند البعث
اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة امنا من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث وقيل نزلت حين امر
بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها امنا
من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة
واخراجه منها مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل الطاعة وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من امور
ومكان سلطانا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه
فاجيبت دعوته بقوله تعالى والله يعصمك من الناس الا ان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله
ليستخلفنهم في الارض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه صلى الله عليه وسلم انه استعمل عتاب بن اسيد
على اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على اهل الله فكان شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال لا والله لا اعلم
متخلفا يتخلف عن الصلوة في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلوة الا منافق فقال اهل مكة يا رسول الله
لقد استعملت على اهل الله عتاب بن اسيد اعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم اني رأيت فيما يرى النائم كان عتاب بن
اسيد اتى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فاعز الله به الاسلام
لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير كان حول البيت ثلثماية وستون صنما صنم كل قوم
بحيالهم وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت لقبائل العرب يحجون اليها وينحرون لها فشكى البيت الى الله فقال اي رب
حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك فاوحى الله الى البيت اني ساحدث لك توبة جديدة فاملاك خدودا
سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الاية
يوم الفتح قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ مخصرتك ثم القها فجعل ياتي صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول
جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال
يا علي ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا رجلا اسحر

من محمد

من محمد وشكاية البث والوحي اليه تمثيل وتخييل وزهق الباطل وذهب وهلك من قولهم زهقت نفسه اذا
خرجت والحق الاسلام والباطل الشرك كان زهوقا كان مضمحلا غير ثابت في كل وقت وننزل وقرئ بالتشديد
والتخفيف من القرآن من للتبيين كقوله من الاوثان او للتبعيض اي كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين
يزدادون به ايمانا ويستصلحون به دينهم فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف
بالقرآن فلا شفاه الله ولا يزيد به الكافرون الا خسارا اي نقصانا لتكذيبهم وكفرهم كقوله فزادتهم رجسا الى
رجسهم واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله كانه مستغن عنه مستبد بنفسه ونأى
بجانبه تأكيد للاعراض لان الاعراض عن الشيء ان يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه
ظهره او اراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل
كان يؤسا شديد اليأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرئ وناء على تقديم
اللام على العين كقولهم راء في رأى ويجوز ان يكون من ناء بمعنى نهض قل كل يعمل على شاكلته اي على مذهبه وطريقته
التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه والدليل عليه قوله
فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي اشد مذهبا وطريقة الاكثر على انه الروح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته
فاخبر انه من امر الله مما استأثر بعلمه وعن ابن بريدة رضي الله عنه لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم
روحاني اعظم من الملك وقيل جبريل وقيل القرآن من امر ربي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر بعثت
اليهود الى قريش ان سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان
اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على
سؤالهم وما اوتيتم الخطاب عام وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا
فيه فقال بل نحن وانتم لم نؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وليس ما قالوه بلازم لان القلة والكثرة تدوران مع
الاضافة فيوصف الشيء بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التي اوتيها العبد خير كثير
في نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم الله فهي قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي
قد اوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب
علم الله تعالى لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان الموطئة للقسم والمعنى
ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور وعن المصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب
ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك الا ان يرحمك
ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد او يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته
غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه فعلى كل
ذي علم ان لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله تعالى عليه بحفظه العلم ورسوخه في صدره
ومنته عليه في بقاء المحفوظ وعن ابن مسعود رضي الله عنه اول ما تفقدون من دينكم الامانة واخر ما تفقدون الصلوة
وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا
واثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقرا ترفع
المصاحف وينزع ما في القلوب لا ياتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز ان يكون جوابا للشرط كقوله
يقول لا غائب مالي ولا حرم لان الشرط وقع ماضيا اي لو تظاهروا على ان ياتوا بمثل القرآن في بلاغته وحسن نظمه
وتاليفه وفيهم العرب العاربة ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله والعجب من النوابت ومن زعمهم ان القرآن
قديم مع اعترافهم انه معجز وانما المعجز حيث تكون القدرة فيقال الله تعالى قادر على خلق الاجسام والعباد
عاجزون عنه واما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا
هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله تعالى بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال الا ان يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال
فان راس مالهم المكابرة وقلب الحقائق ولقد صرفنا رددنا وكررنا في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو كالمثل
في غرابته وحسنه والكفور الجحود فان قلت كيف جاز فابى اكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا قلت
لان ابى متأول بالنفي كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا لما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات الاخر والبينات
ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الايات فعل المبهوت المحجوج المتحير فقالوا لن نؤمن
لك حتى تفجر وتفجر بالتخفيف من الارض يعنون ارض مكة ينبوعا عينا غزيرة من شأنها ان تنبع
بالماء لا تنقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء كما زعمت يعنون قول الله تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض
او نسقط عليهم كسفا من السماء وقرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة كسدرة وسدر وبفتحه قبيلا كفيلا
بما تقول شاهدا بصحته والمعنى او تاتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله كنت منه ووالدي بريا واني وقيار
بها لغريب او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا او جماعة حالا من
الملائكة من زخرف من ذهب في السماء في معارج السماء فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة ولن نؤمن لاجل
رقيك حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال عبد الله بن ابي امية لن نؤمن لك
حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها ثم تاتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون
لك انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل اية لقالوا هذا سحر
كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون وحين انكروا الاية

الباقية التي هي القرآن وسائر الآيات وليست هي بدون ما اقترحوا بل هي أعظم لم يكن لي أن أتحكم بسبيل **قل سبحان ربي** وقرئ قال سبحان ربي أي قال الرسول صم سبحان ربي تعجب من اقتراحهم عليه ● هل كنت إلا بشرا رسولا كسائر الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل عليهم السلام لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات إلي إنما هو إلى الله فما بالكم تتخيرونها علي. أن الأولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعل له والهدى الوحي أي وما منعهم الإيمان بالقرآن وبنبوة محمد صم إلا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي إنكارهم أن يرسل الله البشر والهمزة في أبعث الله للإنكار وما أنكروه فخلافه هو المنكر عند الله عز وجل لأن قضية حكمته أن لا يرسل ملكا إلا إلى أمثاله أو إلى الأنبياء ثم قرر ذلك بأنه لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين على أقدامهم كما يمشي الإنس ولا يطيرون بأجنحتهم إلى السماء فيسمعون من أهلها ويعلمون ما يجب علمه مطمئنين ساكنين في الأرض قارين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يعلمهم الخير ويهديهم إلى المراشد فأما الإنس فما هم بهذه المثابة إنما يرسل الملك إلى المختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وإرشادهم فإن قلت هل يجوز أن يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا قلت وجه حسن والمعنى له أجوب **شهيدا** على أني بلغت ما أرسلت به إليكم وأنكم كذبتم وعاندتم إنه كان بعباده المنذرين والمنذرين خبيرا عالما بأحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله صم ووعيد للكفرة وشهيدا تمييز أو حال **ومن يهد الله** ومن يوفقه ويلطف به فهو المهتد لأنه لا يلطف إلا بمن عرف أن اللطف ينفع فيه **ومن يضلل** ومن يخذل **فلن تجد لهم أولياء** أنصارا ● على وجوههم كقوله يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله صم كيف يمشون على وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم **عميا وبكما وصما** كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى ● ويجوز أن يحشروا مؤوفي الحواس من الموقف إلى النار بعد الحساب فقد أخبر عنهم في موضع آخر أنهم يقرؤون ويتكلمون **كلما خبت** كلما أكلت جلودهم ولحومهم وأفنتها فسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كأنهم لما كذبوا بالإعادة بعد الإفناء جعل الله جزاءهم أن سلط النار على أجزائهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الإفناء والإعادة ليزيد ذلك في تحسرهم على تكذيبهم البعث ولأنه أدخل في الانتقام من الجاحد وقد دل سبحانه على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم إلى قوله أئنا لمبعوثون خلقا جديدا أولم يروا أولم يعلموا وجعل لهم أجلا قلت على قوله أولم يروا لأن المعنى قد علموا بدليل العقل أن من قدر على خلق السماوات والأرض قادر على خلق أمثالهم من الإنس لأنهم ليسوا بأشد خلقا منهن كما قال سبحانه وتعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء **وجعل** لهم أجلا لا ريب فيه وهو الموت أو القيامة فأبوا مع وضوح الدليل إلا جحودا. لو حقها أن تدخل على الأفعال دون الأسماء فلا بد من فعل بعدها في لو أنتم تملكون وتقديره لو تملكون تملكون فأضمر تملك إضمارا على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو أنتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فأنتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الإعراب فأما ما يقتضيه علم البيان فهو أن أنتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وأن الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتني وقول المتلمس ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي ● وذلك لأن الفعل الأول لما سقط لأجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هو لأهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والأنهار وغيرها وأنهم لو ملكوا خزائن الأرزاق لبخلوا بها **قتورا** ضيقا بخيلا فإن قلت هل يقدر لأمسكتم مفعولا قلت لا لأن معناه لبخلتم كقوله للبخيل ممسك **ولقد آتينا موسى تسع آيات** عن ابن عباس رضه هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني إسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز رضه أنه سأل محمد بن كعب رضه فذكر اللسان والطمس فقال عمر كيف يكون الفقيه إلا هكذا أخرج يا غلام ذلك الجراب فأخرجه فنفضه فإذا بيض مكسور بنصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة ● وعن صفوان بن عسال رضه أن بعض اليهود سأل رسول الله صم عن ذلك فقال أوحى الله إلى موسى أن قل لبني إسرائيل لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء إلى سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وأنتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت **فاسأل بني إسرائيل** فقلنا له سل بني إسرائيل أي سلهم من فرعون وقل له أرسل بني إسرائيل أو سلهم عن إيمانهم وعن حال دينهم أو سلهم أن يعاضدوك وتكون قلوبهم معك ويدل عليه قراءة رسول الله صم فسال بني إسرائيل على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بني إسرائيل وهم عبد الله بن سلام وأصحابه رضهم عن الآيات ليزداد يقينا وطمأنينة قلب لأن الأدلة إذا تظاهرت كان ذلك أقوى وأثبت كقول إبراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي فإن قلت بم تعلق إذ جاءهم قلت أما على الوجه الأول فبالقول المحذوف أي فقلنا له سلهم حين جاءهم أو بسال في القراءة الثانية وأما على الأخير فبآتينا أو بإضمار اذكر أو يخبروك ومعنى إذ جاءهم إذ جاء آباءهم **مسحورا** سحرت فخولط عقلك لقد علمت يا فرعون ما أنزل هؤلاء الآيات إلا الله عز وجل **بصائر** بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ● وقرئ علمت بالضم على معنى أني لست بمسحور كما وصفتني بل أنا عالم بصحة الأمر وأن هذه الآيات

نزلها رب السماوات والأرض ثم قارع ظنه بظنه كأنه قال إن ظننتني مسحورا فأنا أظنك مثبورا هالكا وظني أصح من ظنك لأن له أمارة ظاهرة وهي إنكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها ● وأما ظنك فكذب بحت لأن قولك مع علمك بصحة أمري إني لأظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا أي ما منعك وصرفك ● وقرأ أبي بن كعب رضه وإن إخالك يا فرعون لمثبورا على إن المخففة واللام الفارقة فأراد فرعون أن يستفز موسى وقومه من أرض مصر ويخرجهم منها أو ينفيهم عن ظهر الأرض بالقتل والاستئصال فحاق به مكره بأن استفزه الله عز وجل بإغراقه مع قبطه **اسكنوا الأرض** التي أراد فرعون أن يستفزكم منها **فإذا جاء وعد الآخرة** يعني قيام الساعة **جئنا بكم لفيفا** جميعا مختلطين إياكم وإياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم وأشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى **وبالحق أنزلناه وبالحق نزل** وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة المقتضية لإنزاله وما نزل إلا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية إلى كل خير أو ما أنزلناه من السماء إلا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول إلا محفوظا بهم من تخليط الشياطين وما أرسلناك إلا مبشرا بالجنة ونذيرا من النار فليس إليك وراء ذلك شيء من إكراه على الدين أو نحو ذلك وقرآنا منصوب بفعل يفسره فرقناه ● وقرأ أبي رضه فرقناه بالتشديد أي جعلنا نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس رضه أنه قرأه مشددا وقال لم ينزل في يومين أو ثلاثة بل كان بين أوله وآخره عشرون سنة يعني أن فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب ● على مكث بالفتح والضم على مهل وتؤدة وتثبت **ونزلناه تنزيلا** على حسب الحوادث قل آمنوا به أو لا تؤمنوا أمر بالإعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشأنهم وأن لا يكترث بهم وبإيمانهم وبامتناعهم عنه وأنهم إن لم يدخلوا في الإيمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم أهل جاهلية وشرك فإن خيرا منهم وأفضل وهم العلماء الذين قرؤوا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم أنه النبي العربي الموعود في كتبهم فإذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لأمره ولإنجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صم وإنزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد في قوله إن كان وعد ربنا لمفعولا **ويزيدهم** خشوعا أي يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فإن قلت إن الذين أوتوا العلم من قبله تعليل لماذا قلت يجوز أن يكون تعليلا لقوله آمنوا به أو لا تؤمنوا وأن يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صم وتطييب نفسه كأنه قيل تسل عن إيمان الجهلة بإيمان العلماء وعلى الأول إن لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم فإن قلت ما معنى الخرور للذقن قلت السقوط على الوجه وإنما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لأن الساجد أول ما يلقى به الأرض من وجهه الذقن فإن قلت حرف الاستعلاء ظاهر المعنى إذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قال فخر صريعا لليدين وللفم قلت معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لأن اللام للاختصاص فإن قلت لم كرر يخرون للأذقان قلت لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين وعن ابن عباس رضه أنه سمعه أبو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال إنه ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلها آخر وقيل إن أهل الكتاب قالوا إنك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثر الله تعالى في التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى إلى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم تترك أحدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى وأو للتخيير يعني ادعوا الله أو ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم أو بهذا واذكروا إما هذا وإما هذا والتنوين في أيا عوض من المضاف إليه وما صلة للإبهام المؤكد لما في أي أي هذين الاسمين سميتم وذكرتم فله الأسماء الحسنى والضمير في فله ليس براجع إلى أحد الاسمين المذكورين ولكن إلى مسماهما وهو ذاته عز وعلا لأن التسمية للذات لا للاسم والمعنى أياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الأسماء الحسنى لأنه إذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لأنهما منها ومعنى كونها أحسن الأسماء أنها مستقلة بمعاني التمجيد والتقديس والتعظيم **بصلاتك** بقراءة صلاتك على حذف المضاف لأنه لا يلتبس من قبل أن الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة أفعال وأذكار وكان رسول الله صم يرفع صوته بقراءته فإذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فأمر بأن يخفض من صوته والمعنى لا تجهر حتى يسمع المشركون ولا تخافت حتى لا يسمع من خلفك وابتغ بين الجهر والمخافتة **سبيلا** وسطا ● وروي أن أبا بكر رضه كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته ويقول أناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر رضه يرفع صوته ويقول أزجر الشيطان وأوقظ الوسنان فأمر أبا بكر أن يرفع قليلا وعمر أن يخفض قليلا ● وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار ● وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم إلى أن الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة **ولي من الذل** ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به أو لم يوال أحدا من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته فإن قلت كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد قلت لأن من هذا وصفه هو الذي يقدر على إيلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد ● وكان النبي صم إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية ● عن رسول الله صم من قرأ سورة بني إسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية ●

سورة الكهف مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم ● لقن الله عز وجل عباده ووفقهم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الإسلام وما أنزل على عبده محمد صم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم **ولم يجعل له عوجا**

ولم يجعل له شيئا من العوج قط، والعوج في المعاني كالعوج في الأعيان، والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والإصابة فيه. فإن قلت بم انتصب قيما؟ قلت: الأحسن أن ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لأن قوله ولم يجعل معطوف على أنزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة، وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما، لأنه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة. فإن قلت ما فائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر؟ قلت: فائدته التأكيد، فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند السبر والتصفح. وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها. وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع. وقرئ قيما. لينذر متعد إلى مفعولين كقوله إنا أنذرناكم عذابا قريبا، فاقتصر على أحدهما، وأصله لينذر الذين كفروا بأسا شديدا. والبأس من قوله بعذاب بئيس، وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأسا وبآسة. من لدنه صادرا من عنده. وقرئ من لدنه بسكون الدال مع إشمام الضمة وكسر النون. ويبشر بالتخفيف والتثقيل. فإن قلت لم اقتصر على أحد مفعولي أنذر؟ قلت: قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق إليه فوجب الاقتصار عليه، والدليل عليه تكرير الإنذار في قوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به، كما ذكر المبشر به في قوله أن لهم أجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره. والأجر الحسن الجنة. ما لهم به من علم أي بالولد أو باتخاذه، يعني أن قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء، وقد اشتملته آباؤهم من الشيطان وتسويله. فإن قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم؟ قلت: معناه ما لهم به من علم لأنه ليس مما يعلم لاستحالته، وانتفاء العلم بالشيء إما للجهل بالطريق الموصل إليه وإما لأنه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به. وقرئ كبرت كلمة بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية، والنصب أقوى وأبلغ، وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أكبرها كلمة. وتخرج من أفواههم صفة للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم، فإن كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدثون به أنفسهم من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوهوا به ويطلقوا به ألسنتهم بل يكظمون عليه تشورا من إظهاره، فكيف بمثل هذا المنكر. وقرئ كبرت بسكون الباء مع إشمام الضمة. فإن قلت إلام يرجع الضمير في كبرت؟ قلت: إلى قوله اتخذ الله ولدا، وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها. شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والأسف على توليهم برجل فارقته أحبته وأعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم. وقرئ باخع نفسك على الأصل وعلى الإضافة أي قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرأ إن لم يؤمنوا، وللمضي فيمن قرأ أن لم يؤمنوا. بهذا الحديث بهذا القرآن. أسفا مفعول له أي لفرط الحزن، ويجوز أن يكون حالا. والأسف المبالغة في الحزن والغضب، يقال رجل أسف وأسيف. ما على الأرض يعني ما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها. لنبلوهم أيهم أحسن عملا، وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها، ثم زهد في الميل إليها بقوله وإنا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا، يعني مثل أرض بيضاء لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة، في إزالة بهجته وإماطة حسنه وإبطال ما به كان زينة من إماتة الحيوان وتجفيف النبات والأشجار ونحو ذلك. ذكر من الآيات الكلية تزيين الأرض بما خلق فوقها من الأجناس التي لا حصر لها وإزالة ذلك كله كأن لم يكن، ثم قال أم حسبت يعني أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وإبقاء حياتهم مدة طويلة. والكهف الغار الواسع في الجبل. والرقيم اسم كلبهم، قال أمية بن أبي الصلت: وليس بها إلا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد. وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه أسماؤهم جعل على باب الكهف، وقيل إن الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل، وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف، وقيل الجبل، وقيل قريتهم، وقيل مكانهم بين غضبان وأيلة دون فلسطين. كانوا آية عجبا من آياتنا وصفا بالمصدر، أو على ذات عجب. من لدنك رحمة أي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والأمن من الأعداء. وهيئ لنا من أمرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون بسببه راشدين مهتدين، أو اجعل أمرنا رشدا كله كقولك رأيت منك أسدا. فضربنا على آذانهم أي ضربنا عليها حجابا من أن تسمع، يعني أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات، كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه، فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما تقول بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة. سنين عددا ذوات عدد، فيحتمل أن يريد الكثرة وأن يريد القلة لأن الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا إلا ساعة من نهار. وقال الزجاج إذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج أن يعد، وإذا كثر احتاج إلى أن يعد. أي يتضمن معنى الاستفهام فعلق عنه لنعلم فلم يعمل فيه. وقرئ ليعلم وهو معلق عنه أيضا لأن ارتفاعه بالابتداء لا بإسناد يعلم إليه، وفاعل يعلم مضمون الجملة كما أنه مفعول نعلم. أي الحزبين المختلفين منهم في مدة لبثهم لأنهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك، وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم، وهم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول، أو أي الحزبين المختلفين من غيرهم. وأحصى فعل ماض، أي أيهم ضبط أمدا لأوقات لبثهم. فإن قلت فما تقول فيمن جعله من أفعل التفضيل؟ قلت: ليس بالوجه السديد، وذلك أن بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس، ونحو أعدى من الجرب وأفلس من ابن المذلق شاذ، والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به، ولأن أمدا لا يخلو

إما أن ينتصب بأفعل فأفعل لا يعمل، وإما أن ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى. فإن زعمت أني أنصبه بإضمار فعل يدل عليه أحصى كما أضمر في قوله: واضرب منا بالسيف القوانسا، على نضرب القوانس، فقد أبعدت المتناول وهو قريب حيث أبيت أن يكون أحصى فعلا ثم رجعت مضطرا إلى تقديره وإضماره. فإن قلت كيف جعل الله تعالى العلم بإحصائهم المدة غرضا في الضرب على آذانهم؟ قلت: الله عز وجل لم يزل عالما بذلك، وإنما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم ليزدادوا إيمانا واعتبارا ويكون لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفارهم. وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت. وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الأوطان والنعيم والفرار بالدين إلى بعض الغيران، وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام إذ قاموا بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والأرض. شططا قولا ذا شطط وهو الإفراط في الظلم والإبعاد فيه من شط إذا بعد، ومنه أشط في السوم وفي غيره. هؤلاء مبتدأ وقومنا عطف بيان، واتخذوا خبر، وهو إخبار في معنى الإنكار. لولا يأتون عليهم هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف. بسلطان بين وهو تبكيت لأن الإتيان بالسلطان على عبادة الأوثان محال، وهو دليل على فساد التقليد وأنه لا بد في الدين من حجة حتى يصح ويثبت. افترى على الله كذبا بنسبة الشرك إليه. وإذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم. وما يعبدون نصب عطف على الضمير، يعني وإذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم. إلا الله يجوز أن يكون استثناء متصلا على ما روي أنهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما أهل مكة، وأن يكون منقطعا. وقيل هو كلام معترض إخبار من الله تعالى عن الفتية أنهم لم يعبدوا غير الله عز وجل. مرفقا وقرئ بكسر الميم وفتحها وهو ما يرتفق به أي ينتفع. إما أن يقولوا ذلك ثقة بفضل الله عز وجل وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم، وإما أن يخبرهم به نبي في عصرهم، وإما أن يكون بعضهم نبيا. تزاور أصله تتزاور فخفف بإدغام التاء في الزاي أو حذفها. وقرئ تزور وتزوار، وكلها من الزور وهو الميل، ومنه زاره إذا مال إليه، والزور الميل عن الصدق. ذات اليمين جهة اليمين، وحقيقتها الجهة المسماة باليمين. تقرضهم تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم. وهم في فجوة منه في متسع من الكهف، والمعنى أنهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع أنهم في مكان واسع منفتح معرض لإصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم. وقيل في متفتح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار. ذلك من آيات الله أي ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته، يعني أن ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة. وقيل باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقنأة أبدا، ومعنى ذلك من آيات الله أن شأنهم وحديثهم من آيات الله. من يهد الله ثناء عليهم بأنهم جاهدوا في الله وأسلموا له وجوههم فلطف بهم وأعانهم وأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالآية العظيمة، وأن كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذي أصاب الفلاح واهتدى إلى السعادة، ومن تعرض للخذلان فلن يجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله عز وجل. وتحسبهم بكسر السين وفتحها، وهو خطاب لكل أحد. والأيقاظ جمع يقظ كأنكاد في نكد، لأن أعينهم منفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك أيقاظا. وقيل لكثرة تقلبهم. وقيل لهم تقلبتان في السنة، وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشوراء. وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله عز وجل، وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم أيقاظا كأنه قيل ونرى ونشاهد تقلبهم. وقرأ جعفر الصادق رضي الله عنه وكالبهم أي صاحب كلبهم. باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لأن اسم الفاعل لا يعمل إذا كان في معنى المضي، وإضافته إذا أضيف حقيقية معرفة كغلام زيد إلا إذا نويت حكاية الحال الماضية. والوصيد الفناء، وقيل العتبة، وقيل الباب. وأنشد: بأرض فضاء لا يسد وصيدها علي ومعروفي بها غير منكر. وقرئ لو اطلعت بضم الواو. ولملئت بتشديد اللام للمبالغة، وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء. ورعبا بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذي يرعب الصدر أي يملؤه، وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة، وقيل لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم، وقيل لوحشة مكانهم. وعن معاوية أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم، فقال له ابن عباس ليس لك ذلك، قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا. فقال معاوية لا أنتهي حتى أعلم علمهم، فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا، ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأحرقتهم. وكذلك بعثناهم وكما أنمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم إذكارا بقدرته على الإنامة والبعث جميعا ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله عز وجل بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله تعالى ويزدادوا يقينا ويشكروا ما أنعم الله عليهم وكرموا به. قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم جواب مبني على غالب الظن، وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب، وأنه لا يكون كذبا وإن جاز أن يكون خطأ. قالوا ربكم أعلم بما لبثتم إنكار عليهم من بعضهم، وأن الله أعلم بمدة لبثهم، كأن هؤلاء قد علموا بالأدلة أو بإلهام من الله تعالى أن المدة متطاولة وأن مقدارها مبهم لا يعلمه إلا الله تعالى. وروي أنهم لما دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال ظنوا أنهم في يومهم، فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك. فإن قلت كيف وصلوا قولهم فابعثوا بتذاكر حديث المدة؟ قلت: كأنهم قالوا ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم إلى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم. والورق الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة، ومنه الحديث أن عرفجة رضي الله عنه أصيب أنفه يوم الكلاب فاتخذ أنفا من ورق فأنتن فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخذ أنفا من ذهب.

وقرئ بورقكم بسكون الراء والواو مفتوحة او مكسورة وقرئ ابن كثير رحمه بورقكم بكسر الراء وادغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن انه كسر الواو واسكن الراء وادغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حده وقيل المدينة طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على ان حمل النفقة وما يصلح المسافر هو راي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في اوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة رضي الله عنها لمن سالها عن محرم يشد عليه هميانه اوثق عليك نفقتك وما حكي عن بعض صعاليك العلماء انه كان شديد الحنين الى ان يرزق حج بيت الله تعالى ويقول ذلك فيما بين ناس من اهل بلده كلما عزم منهم فوج على الحج اتوه فبذلوا له نفقته والحوا عليه فيعتذر لهم ويحمد اليهم بذلهم فاذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن ايها اي اهلها فحذف الاهل كما في قوله واسال القرية ازكى طعاما احل واطيب واكثر وارخص وليتلطف وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا يعني ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه الى الشعور بنا فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه والضمير في انهم راجع الى الاهل المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم اخبث قتلة وهي الرجم وكانت عادتهم او يعيدوكم في ملتهم او يدخلوكم في ملتهم بالاكراه العنيف ويصيروكم اليها والعود في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا يريدون ابتداء الفعل ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في دينهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله حق وهو البعث لان حالتهم في نومتهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث واذ يتنازعون بينهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم يقول تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى الله عز وجل اصحاب الكهف ابنوا عليهم بنيانا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله بالحظيرة قال الذين غلبوا على امرهم من المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن على باب الكهف مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل اذ يتنازعون بينهم امرهم اي يتذاكر الناس بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما اظهر الله عز وجل من الاية فيهم او يتنازعون بينهم تدبير امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا روي ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت فيهم ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله عز وجل فقال ما تريدون مني انا احب احباء الله عز وجل فناموا وانا احرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف وكانوا يعبدون الله فيه فضرب الله عز وجل على اذانهم وقبل ان يبعثهم الله عز وجل ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف اهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسال ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله تعالى في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام واخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله تعالى على الايات الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد منهم تابوت من ذهب فراهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم اعلم بهم او هو من كلام الله تعالى رد لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين او من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله من اهل الكتاب سيقولون الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله من اهل الكتاب والمؤمنين سالوا رسول الله عنهم فاخر الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن عباس رضي الله عنهما انا من اولئك القليل وروي ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبي فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله عن لسان جبريل عليه السلام وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير فان قلت لم جاء بسين الاستقبال في الاول دون الاخرين قلت فيه وجهان احدهما ان يدخل الاخرين في حكم السين كما تقول قد اكرم وانعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وان تريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له رجما رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب اي ياتون به او وضع الرجم موضع الظن فكانه قيل ظنا بالغيب لانهم اكثروا ان يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين الا ترى الى قول زهير وما هو عنها بالحديث المرجم اي المظنون

وقرئ ثلاثة رابعهم كلبهم بادغام الثاء في التاء وثلاثة خبر مبتدا محذوف اي هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدا وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم فان قلت فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الاولين قلت هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا من المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه اخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها تاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي اذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمانينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل عليه ان الله سبحانه اتبع القولين الاولين رجما بالغيب واتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس رضي الله عنهما حين وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات وقيل الا قليل من اهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين فلا تمار فيهم فلا تجادل اهل الكتاب في شان اهل الكهف الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى الله سبحانه اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي احسن ولا تستفت ولا تسال احدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده لان ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سؤال مسترشد لان الله قد ارشدك بان اوحى اليك قصتهم ولا تقولن لشيء ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء غدا اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة الا ان يشاء الله متعلق بالنهي لا بقوله اني فاعل لانه لو قال اني فاعل كذا الا ان يشاء الله كان معناه الا ان تعترض مشية الله دون فعله وذلك لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين احدهما ولا تقولن ذلك القول الا ان يشاء الله ان تقوله بان ياذن لك فيه والثاني ولا تقولنه الا بان يشاء الله اي الا بمشية الله وهو في موضع الحال يعني الا ملتبسا بمشية الله قائلا ان شاء الله وفيه وجه ثالث وهو ان يكون ان شاء الله في معنى كلمة تابيد كانه قيل ولا تقولنه ابدا ونحوه قوله وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله لان عودهم في ملتهم مما لن يشاءه الله وهذا نهي تاديب من الله تعالى لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش واذكر ربك اي مشية ربك وقل ان شاء الله اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة ما لم تحنث وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ولو بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة وعن طاوس رضي الله عنه هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن رضي الله عنه نحوه وعن عطاء رضي الله عنه يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء انه لا اثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا وروي انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له ابو حنيفة هذا يرجع عليك انك تاخذ البيعة بالايمان افترضى ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك اذا تركت بعض ما امرك به وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلوة المنسية عند ذكرها وهذا اشارة الى نبا اصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على اني نبي صادق ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا من نبا اصحاب الكهف وقد فعل سبحانه ذلك حيث اتاه الله من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربي ان يهديني لشيء اخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله او ننسها نات بخير منها ولبثوا في كهفهم يريد لبثهم فيه احياء مضروبا على اذانهم هذه المدة وهو بيان لما اجمل في قوله فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ومعنى قوله قل الله اعلم بما لبثوا انه اعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما اخبرك به وعن قتادة رضي الله عنه انه حكاية لكلام اهل الكتاب وقل الله اعلم رد عليهم وقال في حرف عبد الله وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلثمائة وقرئ ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالاخسرين اعمالا وفي قراءة ابي رضي الله عنه ثلث مائة سنة تسعا تسع سنين لان ما قبله يدل عليه ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والارض وخفي فيها من احوال اهلها ومن غيرها وانه هو وحده العالم به وجاء بما دل على التعجب من ادراكه المسموعات والمبصرات للدلالة على ان امره تعالى في الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك السامعين والمبصرين لانه يدرك الطف الاشياء واصغرها كما يدرك اكبرها حجما واكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه من ولي من متول لامورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم وقرئ ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي كانوا يقولون له ائت بقران غير هذا او بدله فقيل له واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القران ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلماته اي لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده ولن تجد من دونه ملتحدا ملجا تعدل اليه ان هممت بذلك قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله نح هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم ريح الضان وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت واصبر نفسك واحبسها معهم وثبتها قال ابو ذؤيب فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع بالغداة والعشي داثبين على الدعاء في كل وقت وقيل المراد صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وبالغداة اجود لان غدوة علم في اكثر الاستعمال وادخال اللام على تاويل

اولد ونزدكا بهم حاجب وابراثو ابن جندل

السكير كما قال ۞ والزبد زبد المتدارك ۞ ونحوه قليل في كلامهم يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره
وجاني القوم عدا زيدا وانما عدي بعن لتضمين عدا معنى علا ونبا في قولك نبت عنه عينه وعلت
عنه عينه اذا اقتحمته ولم تعلق به فان قلت اي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك
او لا تعل عنهم عيناك قلت الغرض فيه اعطا مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطا معنى فذ الا
ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك متجاوزين الى غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تاكلوا
اموالهم الى اموالكم اي ولا تضموها اليها اكلين لها وقري ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من
اعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله ۞ فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له ۞ لان معناه
فعد همك عما ترى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يزدري بفقرا المومنين وان تنبو عينه عن رثاثة زيهم طموحا
الى زي الاغنيا وحسن شارتهم تريد زينة الحيوة الدنيا في موضع الحال من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه
غافلا عن الذكر بالخذلان او وجدناه غافلا عنه كقولك اجبنته وافحمته واخلته اذا وجدته كذلك
او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان
وقد ابطل الله تعالى توهم المجبرة بقوله واتبع هواه وقري اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى القلب على معنى
حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا فرطا متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره
من قولهم فرس فرط متقدم للخيل وقل الحق من ربكم الحق خبر مبتدا محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل
فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة او في طريق الهلاك وجي بلفظ الامر والتخيير
لانه لما مكن من اختيار ايهما شا فكانه مخير مامور بان يتخير ما شا من النجدين شبه ما يحيط بهم من النار
بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار
قبل دخولهم النار وقيل حائط من نار يطيف بهم يغاثوا بما كالمهل كقوله ۞ فاعتبوا بالصيلم ۞ الداهية
وفيه تهكم والمهل ما اذيب من جواهر الارض وقيل دردي الزيت يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى الوجه
من حرارته عن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه بيس الشراب ذلك وساءت
النار مرتفقا متكا من المرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكا الا
ان يكون من قوله ۞ اني ارقت فبت الليل مرتفقا ۞ كان عيني فيها الصاب مذبوح ۞ اولئك خبران وانا لا نضيع
اعتراض ولك ان تجعل انا لا نضيع واولئك خبرين معا او تجعل اولئك كلاما مستانفا بيانا للاجر المبهم فان قلت
اذا جعلت انا لا نضيع خبرا فاين الضمير الراجع منه الى المبتدا قلت من احسن عملا والذين امنوا
وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من احسن مقام الضمير او اردت من احسن عملا منهم فكان
كقولهم السمن منوان بدرهم من الاولى للابتدا والثانية للتبيين وتنكير اساور لابهام امرها في الحسن
وجمع بين السندس وهو ما رق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين وخص
الاتكا لانه هيئة المتنعمين والملوك على اسرتهم واضرب لهم مثلا رجلين اي ومثل حال الكافرين والمومنين
بحال رجلين وكانا اخوين في بني اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والاخر مومن اسمه يهوذا وقيل هما
المذكوران في سورة الصافات في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية الاف درهم
فتشاطراها فاشترى الكافر ارضا بالف فقال المومن اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف دينار وانا
اشتري منك ارضا في الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بالف فقال اللهم اني اشتري منك
دارا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج اخوه امراة بالف فقال اللهم اني جعلت الفا صداقا
للحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين بالف
فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على
التصدق بماله وقيل هما مثل لاخوين من بني مخزوم مومن وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد
وكان زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافر وهو الاسود بن عبد الاسد جنتين من اعناب بستانين
من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يوثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها
موزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا طافوا به وحففته بهم اي جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول
واحد فتزيده البا مفعولا ثانيا كقولك غشيه وغشيته به وجعلنا بينهما زرعا جعلناها ارضا جامعة
للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها
مع الشكل الحسن والترتيب الانيق ونعتهما بوفا الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو اصل الخير
ومادته من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو النهر الجاري فيها والاكل الثمر وقري بضم
الكاف ولم تظلم ولم تنقص وانت حملا على اللفظ لان كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل اتتا على المعنى
جاز وقري وفجرنا على التخفيف وفي قراة عبد الله كل الجنتين اتى اكله برد الضمير على كل وكان له ثمر اي
انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد الذهب والفضة اي كان له الى الجنتين الموصوفتين
الاموال الدثرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة الارض كيف
شا واعز نفرا يعني انصارا وحشما وقيل اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث يحاوره
يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وسالته فما احار كلمة يعني قطروس اخذ بيد المسلم يطوف به
في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه فان قلت لم افرد الجنة بعد التثنية
قلت معناه ودخل ما هو جنته ما له جنة غيرها يعني انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المومنون فما
ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب
بما اوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله تعالى وهو افحش الظلم اخباره عن نفسه

واتم القتود على عيرانة اجد

غضبت تميم ان تقتل عامر يوم النسار

بالشك

بالشك في بيدودة جنته لطول امله واستيلا الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه
النظر في عواقب امثاله وترى اكثر الاغنيا من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا السنتهم فان السنة احوالهم
ناطقة به منادية عليه ولين رددت الى ربي اقسام منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير
كما يزعم صاحبه ليجدن في الاخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعا لكرامته عليه ومكانته
عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستيهاله وان معه هذا الاستحقاق اين توجه كقوله ان لي عنده
للحسنى لاوتين مالا وولدا وقري خيرا منهما ردا على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز اي
منقلب تلك خير من منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية خلقك من تراب اي خلق اصلك لان خلق اصله سبب في خلقه
فكان خلقه خلقا له ثم سواك عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله اي جاحدا لانعمه لشكه
في البعث كما يكون المكذب بالرسول صلى الله عليه وسلم كافرا لكنا هو الله ربي اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون
لكن فتلاقت النونان فكان الادغام ونحوه قوله ۞ وترمينني بالطرف اي انت مذنب ۞ وتقلينني لكن اياك لا اقلي ۞
اي لكن انا لا اقليك وهو ضمير الشان والشان الله ربي فالجملة خبر انا والراجع منها اليه ضمير الشان وقرا ابن عامر
باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الالف عوضا من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها الا في
الوقف وعن ابي عمرو انه وقف بالها لكنه وقري لكن هو الله ربي بسكون النون وطرح انا وقرا ابي بن كعب
لكن انا على الاصل وفي قراة عبد الله رضي الله عنه لكن انا لا اله الا هو ربي فان قلت هو استدراك لماذا قلت لقوله
اكفرت قال لاخيه انت كافر بالله لكني مومن موحد كما تقول زيد غايب لكن عمرا حاضر ما شا الله يجوز ان تكون ما
موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدا محذوف تقديره الامر ما شا الله او شرطية منصوبة الموضع والجزا محذوف
بمعنى اي شي شا الله كان ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال ۞ والمعنى هلا قلت
عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شا الله اعترافا بانها وكل خير فيها انما حصل بمشية الله تعالى
وفضله وان امرها بيده ان شا تركها عامرة وان شا خربها وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها
وتدبير امرها هو بمعونته وتاييده اي لا يقوى احد في بدنه ولا في ملك يده الا بالله وعن عروة بن الزبير
انه كان يثلم حايطه ايام الرطب فيدخل من شا وكان اذا دخله ردد هذه الاية حتى يخرج من قرا انا
اقل منك بالنصب فقد جعل انا فصلا ومن رفع جعله مبتدا واقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترني وفي قوله
وولدا نصرة لمن فسر النفر بالاولاد في قوله واعز نفرا والمعنى ان ترني افقر منك فانا اتوقع من صنع الله
عز وجل ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك
والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب اي مقدارا قدره الله عز وجل وحسبه وهو الحكم بتخريبها
وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامي الواحدة حسبانة
وهو الصواعق صعيدا زلقا ارضا بيضا يزلق عليها لملاستها زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر واحيط به
عبارة عن اهلاكه واصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل
اهلاك ومنه قوله تعالى الا ان يحاط بكم ومثله قولهم اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا
عليهم وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كني عن ذلك بعض الكف
والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي في عمارتها
وهي خاوية على عروشها يعني ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم وقيل
ارسل الله تعالى عليها نارا فاكلتها يا ليتني تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم
يكن مشركا حتى لا يهلك الله عز وجل بستانه ويجوز ان يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا
في الايمان وقري ولم يكن بالياء والتاء وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله واخرى
كافرة ترونهم فان قلت ما معنى قوله ينصرونه من دون الله قلت معناه يقدرون على نصرته من دون الله
اي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر احد ان ينصره الا انه لم ينصره لصارف وهو استيجابه ان يخذل
وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك
وقد قرئ بهما والمعنى هنالك اي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها
احد سواه تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله او هنالك السلطان والملك لله لا يغلب
ولا يمتنع منه او في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويومن به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك
بربي احدا كلمة الجي اليها فقالها جزعا مما دهاه من شوم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى
هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياه المومنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من اعدائهم
يعني انه نصر فيما فعل بالكافر اخاه المومن وصدق قوله عسى ربي ان يوتين خيرا من جنتك ويرسل عليها
حسبانا من السما ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليايه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة
اي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم وقري الحق بالرفع والجر صفة للولاية ولله وقرا عمرو
ابن عبيد من افصح الناس وانصحهم وقري عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة
فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات الما فاختلط
به حتى روي ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه صحته ان
كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة وقري تذروه
الريح وعن ابن عباس رضي الله عنه تذريه الرياح من اذرى ۞ شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك

بن عبيد بالنصب على التاكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد

[illegible]

والفنا بحال النبات يكون اخضر وارقا ثم هيج فتطيره الرياح كان لم يكن وكان الله على كل شي من الانشا والافنا مقتدرا
والباقيات الصالحات اعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان ويفنى عنه كل ما تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا
وقيل هي الصلوات الخمس. وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر. وعن قتادة رح كل ما
اريد به وجه الله عز وجل خير ثوابا اي ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الامال لان صاحبها يامل
في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الاخرة. وقرئ تسير من سيرت ونسير من سيرناه وتسير من سارت.
اي تسير في الجو وتذهب بها بان تجعل هباء منثورا وترى الارض على البنا للمفعول بارزة ليس عليها
ما يسترها مما كان عليها وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف. وقرئ فلم نغادر بالنون واليا يقال غادره واغدره
اذا تركه ومنه الغدر ترك الوفا والغدير ما غادره السيل. وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين على
السلطان صفا مصطفين ظاهرين ترى كل واحد لا يحجب احد احدا. ولقد جئتمونا اي قلنا لهم لقد
جئتمونا وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم نسير. ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم
كما انشاناكم اول مرة. وقيل جئتمونا عراة لا شي معكم كما خلقناكم اولا كقوله ولقد جئتمونا فرادى. فان قلت
لم جي بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى قلت للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز
ليعاينوا تلك الاهوال العظائم كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك موعدا وقتا لانجاز ما وعدناهم
على السنة الانبيا من البعث والنشور الكتاب للجنس وهو صحف الاعمال. يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي
هلكوها خاصة من بين الهلكات صغيرة ولا كبيرة هنة صغيرة ولا كبيرة. وهما عبارة عن الاحاطة
يعني لا يترك شيا من المعاصي الا احصاها اي احصاها كلها كما يقولون ما اعطاني قليلا ولا كثيرا.
لان الاشيا اما صغار واما كبار. ويجوز ان يريدوا ما كان عندهم من صغائر وكبائر. وقيل
لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة. وعن ابن عباس رض الصغيرة التبسم والكبيرة
القهقهة. وعن سعيد بن جبير رح الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا. وعن الفضيل رح قال كان
اذا قراها قال ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر الا احصاها الا ضبطها وحصرها ووجدوا ما عملوا حاضرا
في الصحف عتيدا او جزا ما عملوا ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد في عقابه المستحق او يعذبه بغير
جرم كما يزعم من ظلم الله في تعذيب اطفال المشركين بذنوب ابائهم. كان من الجن كلام مستانف جار مجرى
التعليل بعد استثنا ابليس من الساجدين كان قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن
امر ربه. والفا للتسبيب ايضا جعل كونه من الجن سببا في فسقه يعني انه لو كان ملكا كسائر من سجد لادم
لم يفسق عن امر الله لان الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس كما قال سبحانه وتعالى
لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون. وهذا الكلام المعترض تعمد من الله عز وجل لصيانة الملائكة عن
وقوع شبهة في عصمتهم فما ابعد البون بين ما تعمده الله تعالى وبين قول من ضاده فزعم انه كان ملكا ورئيسا
على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس رض. ومعنى فسق عن امر ربه خرج عما امره به
ربه من السجود قال ٥ نواسقا عن قصدها جوائرا ٥ او صار فاسقا كافرا بسبب امر ربه الذي هو قوله
اسجدوا لادم فتسجدوا. افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجب كانه قيل اعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته
اوليا من دوني وتستبدلونهم بي بئس للظالمين بدلا من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته. ما
اشهدتهم وقرئ ما اشهدناهم يعني انكم اتخذتموهم شركاي في العبادة وانما كانوا يكونون شركا فيها
لو كانوا شركا في الالهية فنفى مشاركتهم في الالهية بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم في خلقها
ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم وما كنت متخذ المضلين عضدا
يعني وما كنت متخذهم عضدا اي اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا
لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركا لي في العبادة. وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله صلعم والمعنى وما
صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتز بهم. وقرئ علي رض وما كنت متخذا المضلين بالتنوين على الاصل
وروي الحسن رح عضدا بسكون الضاد ونقل ضمتها الى العين. وقرئ عضدا بالفتح وسكون العين وعضدا
~~عضدا بالفتح وسكون الضاد~~ وعضدا بضمتين وعضدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد
ورصد من عضده اذا قواه واعانه ويوم يقول باليا والنون واضافة الشركا اليه على زعمهم توبيخا لهم واراد
الجن. والموبق المهلك من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك واوبقه غيره. ويجوز ان يكون مصدرا
كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد
مشتركا يهلكون فيه جميعا. وعن الحسن رح موبقا عداوة. والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله
لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا. وقال الفرا البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة
ويجوز ان يريد الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم عليهم والموبق البرزخ البعيد اي وجعلنا بينهم امدا بعيدا
يهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلا الجنان. فظنوا فايقنوا مواقعوها
مخالطوها واقعون فيها مصرفا معدلا. قال [illegible] عن شيبة بن مصرف اكثر شي جدلا اكثر الاشيا التي
يتاتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز
يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شي ونحوه فاذا هو خصيم مبين. ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها
مضاف محذوف وسنة وما منع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار ان تاتيهم سنة الاولين وهي الاهلاك
او انتظار ان ياتيهم العذاب يعني عذاب الاخرة قبلا عيانا وقرئ قبلا انواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا

ليدحضوا

ليدحضوا ليزيلوا ويبطلوا من ادحاض القدم وهو ازلاقها وازالتها عن مواطنها وما انذروا يجوز ان تكون ما
موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفا اي وما انذروه من العقاب او مصدرية بمعنى وانذارهم
وقرئ هزوا بالسكون اي اتخذوها موضع استهزا وجدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو
شا الله لانزل ملائكة وما اشبه ذلك بايات ربه بالقران ولذلك رجع اليها الضمير مذكرا في قوله ان يفقهوه
فاعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير مفكر فيها
ولا ناظر في ان المسي والمحسن لا بد لهما من جزا ثم علل اعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الافراد
حملا على لفظ من ومعناه فلن يهتدوا فلا يكون منهم اهتدا البتة كانه محال منهم لشدة تصميمهم ابدا مدة
التكليف كلها واذن جواب وجزا يدل على انتفا اهتدائهم لدعوة النبي صلعم بمعنى انهم جعلوا ما يجب ان يكون سبب
وجود الاهتدا سببا في انتفايه وعلى انه جواب للرسول على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم حرصا على اسلامهم فقيل
وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا والغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك
بترك مواخذة اهل مكة عاجلا من غير امهال مع افراطهم في عداوة رسول الله صلعم بل لهم موعد وهو يوم بدر
لن يجدوا من دونه موئلا منجا ولا ملجا يقال وال اذا نجا ووال اليه اذا لجا اليه وتلك القرى يريد قرى الاولين من ثمود
وقوم لوط وغيرهم اشار لهم اليها ليعتبروا وتلك مبتدا والقرى صفة لان اسما الاشارة توصف باسما الاجناس
واهلكناهم خبر ويجوز ان يكون تلك القرى نصبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب القرى
اهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يتاخرون عنه
كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة
اي لهلاكهم او وقت هلاكهم والموعد وقت او مصدر واذ قال موسى لفتاه لعبده وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي
ولا يقل عبدي وامتي وقيل هو يوشع بن نون وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان
ياخذ منه العلم فان قلت لا ابرح ان كان بمعنى لا ازول من برح المكان فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان
بمعنى لا ازال فلا بد من الخبر قلت هو بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لان الحال والكلام معا يدلان عليه
اما الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي
غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين. ووجه اخر وهو ان يكون المعنى
لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم
فانقلب الفعل عن لفظ الغايب الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف. ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح ما انا
عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان ومجمع البحرين
المكان الذي وعد فيه موسى لقا الخضر عليهما وهو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق. وقيل
افريقية. ومن بدع التفاسير ان البحرين موسى والخضر عليهما لانهما كانا بحرين في العلم. وقرئ مجمع بكسر الميم
وهو في الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والحقب
ثمانون سنة. روي انه لما ظهر موسى عليه على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره
الله سبحانه ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله عز وجل وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه
فقالوا له قد علمنا هذا فاي الناس اعلم فقال انا فعتب الله عز وجل عليه حين لم يرد العلم الى الله
فاوحى الله اليه بلى اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر عليه في ايام افريدون قبل
موسى عليه وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى. وقيل ان موسى عليه سال ربه اي
عبادك احب اليك فقال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع
الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده
عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال فاين اطلبه قال
على الساحل عند الصخرة قال رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه
اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى عليه فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جا وقت الغدا
طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال
واني بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله
لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جا عصفور فوقع على حرفها فنقر في الما فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من
علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر نسيا حوتهما اي نسيا تفقد امره وما يكون منه مما جعل
امارة على الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع ان يقدمه ونسي موسى ان يامره فيه بشي وقيل كان الحوت
سمكة مملوحة وقيل ان يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلا على شاطي عين تسمى عين الحيوة ونام
موسى فلما اصاب السمكة روح الما وبرده عاشت. وروي انهما اكلا منها وقيل توضا يوشع من تلك العين
فانتضح الما على الحوت فعاش ووقع في الما سربا امسك الله تعالى جرية الما على الحوت فصار
عليه مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى والخضر عليهما فلما جاوزا الموعد وهو
الصخرة لنسيان موسى عليه تفقد امر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع ان يذكر لموسى ما راى من
حيوته ووقوعه في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى الظهر والقي على موسى
النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه. وقوله
من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة فان قلت كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه

امارة لهما على الطلبة التي تناهضا من أجلها ولكونه معجزتين ثنتين حياة السمكة المملوحة المأكول منها
وقيل ما كانت إلا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه
ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة إلى ظهر الغد حتى طلب موسى صلى الله عليه وسلم
الحوت قلت قد شغله الشيطان بوسواسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان
وانضم إلى ذلك أنه ضري بمشاهدة أمثاله عند موسى من العجائب واستأنس بإخوانه فأعان الإلف على قلة
الاهتمام أرأيت بمعنى أخبرني فإن قلت ما وجه التئام هذا الكلام فإن كل واحد من أرأيت وإذ أوينا
وفإني نسيت الحوت لا متعلق له قلت لما طلب موسى عليه السلام الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه
من نسيانه إلى تلك الغاية فدهش فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك كأنه قال أرأيت ما دهاني
إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت وأن أذكره بدل من
الهاء في أنسانيه أي وما أنساني ذكره إلا الشيطان وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه أن أذكركه وعجبا ثاني
مفعولي اتخذ مثل سربا يعني واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبيه السرب أو قال عجبا في آخر كلامه
تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها أو مما رأى من المعجزتين وقوله وما أنسانيه إلا الشيطان
أن أذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل إن عجبا حكاية لتعجب موسى عليه السلام وليس بذاك
ذلك إشارة إلى اتخاذه سبيلا أي ذلك الذي كنا نطلب لأنه أمارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر وقرئ
نبغ بغير ياء في الوصل وإثباتها أحسن وهي قراءة أبي عمرو وأما الوقف فالأكثر فيه طرح الياء اتباعا
لخط المصحف فارتدا فرجعا في أدراجهما قصصا يقصان قصصا أي يتبعان آثارهما اتباعا أو فارتدا
مقتصين رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة من لدنا مما يختص بنا من العلم وهو الإخبار عن الغيوب
رشدا قرئ بفتحتين وبضمة وسكون أي علما ذا رشد أرشد به في ديني فإن قلت أما دلت حاجته إلى
التعلم من آخر في عهده أنه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لأن النبي يجب أن يكون
أعلم أهل زمانه وإمامهم المرجوع إليه في أبواب الدين قلت لا غضاضة بالنبي في أخذ العلم من نبي مثله
وإنما يغض منه أن يأخذه ممن دونه وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه أنه قال لابن عباس رضي الله عنه إن نوفا ابن امرأة كعب
يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى وأن موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله والله نفى استطاعة
الصبر معه على وجه التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بأنه يتولى أمورا هي في ظاهرها
مناكير والرجل الصالح فكيف إذا كان نبيا لا يتمالك أن يشمئز ويمتعض إذا رأى ذلك ويأخذ في الإنكار
وخبرا تمييز أي لم يحط به خبرك أو لأن لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر ولا أعصي في محل
النصب عطفا على صابرا أي ستجدني صابرا وغير عاص أو لا في محل عطفا على ستجدني رجا موسى عليه السلام لحرصه على العلم
وازدياده أن يستطيع معه صبرا بعد إفصاح الخضر عليه السلام عن حقيقة الأمر فوعده الصبر معلقا بمشيئة
الله سبحانه وتعالى علما منه بشدة الأمر وصعوبته وأن الحمية التي تأخذ المصلح عند مشاهدة الفساد
شيء لا يطاق هذا مع علمه أن المعصوم الذي أمره الله تعالى بالمسافرة إليه واتباعه واقتباس العلم
منه بريء من أن يباشر ما فيه غميزة في الدين وأنه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف
إذا لم يعلم وقرئ فلا تسألني بالنون الثقيلة يعني من شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت مني شيئا وقد علمت
أنه صحيح إلا أنه خفي عليك وجه صحته فحميت وأنكرت في نفسك أن لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني
فيه حتى أكون الفاتح عليك وهذا من أدب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع فانطلقا على
ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركباها قال أهلها هما من اللصوص وأمروهما بالخروج فقال صاحب السفينة
أرى وجوه الأنبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا أخذ الخضر الفأس فخرق السفينة
بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء فجعل موسى عليه السلام يسد الخرق بثيابه ويقول أخرقتها
لتغرق أهلها وقرئ لتغرق بالتشديد وليغرق أهلها من غرق وأهلها مرفوع جئت شيئا إمرا
أتيت شيئا عظيما من أمر الأمر إذا عظم قال داهية دهياء إدا إمرا بما نسيت بالذي نسيته أو
بشيء نسيته أو بنسياني أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي أو أخرج الكلام في معرض النهي
عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه أنه قد نسي ليبسط عذره في الإنكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى
بها الكذب مع التوصل إلى الغرض كقول إبراهيم عليه السلام هذه أختي وإني سقيم أو أراد بالنسيان الترك أي
لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة يقال رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه أي ولا تغشني عسرا
من أمري وهو اتباعه إياه يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالإغضاء وترك المناقشة
وقرئ عسرا بضمتين فقتله قيل كان قتله فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وعن سعيد بن جبير
أضجعه ثم ذبحه بالسكين فإن قلت لم قيل حتى إذا ركبا في السفينة خرقها بغير فاء وحتى إذا لقيا غلاما
فقتله بالفاء قلت جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال أقتلت
فإن قلت فلم خولف بينهما قلت لأن خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام وقرئ
زاكية وزكية وهي الطاهرة من الذنوب إما لأنها طاهرة عنده لأنه لم يرها قد أذنبت وإما لأنها
صغيرة لم تبلغ الحنث بغير نفس يعني لم تقتل نفسا فتقتص منها وعن ابن عباس رضي الله عنه أن نجدة الحروري
كتب إليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب إليه إن علمت من حال الولدان ما علمه
عالم موسى فلك أن تقتل نكرا قرئ بضمتين وهو المنكر قيل النكر أقل من الإمر لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة وقيل معناه

جئت شيئا أنكر من الأول لأن ذاك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل إلى تداركه فإن قلت ما معنى
زيادة لك قلت زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية بعدها
الكرة أو المسألة فلا تصاحبني فلا تقاربني وإن طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك وقرئ فلا تصحبني فلا تكن صاحبي
وقرئ فلا تصحبني أي فلا تصحبني إياك ولا تجعلني صاحبك من لدني عذرا قد أعذرت وقرئ لدني بتخفيف
النون ولدني بسكون الدال وكسر النون كقولهم في عضد عضد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي موسى استحيى
فقال ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى أخي موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب العجائب أهل قرية هي أنطاكية
وقيل الأبلة وهي أبعد أرض الله عز وجل من السماء أن يضيفوهما وقرئ يضيفوهما يقال ضافه إذا كان له ضيفا
وحقيقته مال إليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار وأضافه وضيفه أنزله وجعله ضيفه وعن
النبي صلى الله عليه وسلم كانوا أهل قرية لئاما وقيل شر القرى الذي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه يريد
أن ينقض استعيرت الإرادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي في مهمه قلقت به هاماتها
قلق الفؤوس إذا أردن نصولا وقال يريد الرمح صدر أبي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال حسان
إن دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالإحسان وسمعت من يقول عزم السراج أن يطفأ وطلب أن يطفأ وإذا كان القول
والنطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد والإباء والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارا للجماد
ولما لا يعقل فما بال الإرادة قال إذ قالت الأنساع للبطن الحق تقول سني للنواة طني لا ينطق اللهو حتى ينطق العود
وشكا إلي جملي طول السرى فإن يك ظني صادقا وهو صادقي ولما سكت عن موسى الغضب تمرد مارد وعز الأبلق
ولبعضهم يأبى على أجفانه إغفاءه هم إذا انقاد الهموم تمردا ومن أبيات الحماسة يأبى الروادف والثدي لقمصها
مس البطون وأن تمس ظهورا قالتا أتينا طائعين ولقد بلغني أن بعض المحرفين لكلام الله سبحانه ممن لا يعلم
كان يجعل الضمير للخضر لأن ما كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم أراه أعلى الكلام طبقة أدناه منزلة فتمحل
ليرده إلى ما هو عنده أصح وأفصح وعنده أن ما كان من أبعد المجاز كان أدخل في الإعجاز وانقض إذا أسرع
سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ أن ينقض
من النقض وأن ينقاص من انقاصت السن إذا انشقت طولا قال ذو الرمة منقاص ومنكثب بالصاد غير
معجمة فأقامه قيل أقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى وقيل أقامه بعمود عمده به وقيل نقضه
وبناه وقيل كان طول الجدار في السماء مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار إلى المطعم وقد لزتهما
الحاجة إلى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا مواسيا فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى عليه السلام لما رأى من الحرمان
ومساس الحاجة أن قال لو اتخذت عليه أجرا وطلبت على عملك جعلا حتى ننتعش به ونستدفع به الضرورة
وقرئ لتخذت والتاء في تخذ أصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الأخذ في شيء فإن قلت هذا
إشارة إلى ماذا قلت قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام إن سألتك عن شيء بعدها
فلا تصاحبني فأشار إليه وجعله مبتدأ وأخبر عنه كما تقول هذا أخوك فلا يكون هذا إشارة إلى غير الأخ
ويجوز أن يكون إشارة إلى السؤال الثالث أي هذا الاعتراض سبب الفراق والأصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرئ
به ابن أبي عبلة رضي الله عنه فأضيف المصدر إلى الظرف كما يضاف إلى المفعول به لمساكين قيل كانت لعشرة إخوة خمسة
منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وراءهم أمامهم كقوله ومن ورائهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم
عليه وما كان عندهم خبره فأعلم الله تعالى به الخضر وهو جلندى فإن قلت قوله فأردت أن أعيبها مسبب عن
خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب فلم قدم عليه قلت النية به التأخير وإنما قدم للعناية
ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم فلذلك فصلت
بين المبتدأ والخبر بقولك ظني وكذلك فصلت بين الشيئين بذكر السبب وقيل في قراءة أبي وعبد الله رضي الله عنهما كل
سفينة صالحة وقرأ الجحدري فكان أبواه مؤمنان على أن كان فيه ضمير الشأن فخشينا أن يرهقهما
طغيانا وكفرا فخشينا أن يغشي الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق
بهما شرا وبلاء أو يقرن بإيمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر أو يعديهما بدائه
ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الإيمان وإنما خشي الخضر منه ذلك لأن الله عز وجل أعلمه بحاله
وأطلعه على سر أمره وأمره إياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة أبي رضي الله عنه فخاف ربك والمعنى
فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الأمر فغيره ويجوز أن يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله تعالى بمعنى
فكرهنا كقوله لأهب لك وقرئ يبدلهما بالتشديد والزكاة الطهارة والنقاء من الذنوب والرحم الرحمة والعطف
وروي أنه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه أمة من الأمم وقيل ولدت سبعين نبيا
وقيل أبدلهما ابنا مؤمنا مثلهما وقيل اسم الغلامين أصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحيسور واختلف
في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن
وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل
وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم
والظاهر لإطلاقه أنه مال وعن قتادة رضي الله عنه أحل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم وأحلت
لنا أراد قوله والذين يكنزون الآية وكان أبوهما صالحا اعتداد بصلاح أبيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد
كان بين الغلامين وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال لبعض الخوارج في كلام
جرى بينهما بم حفظ الله مال الغلامين قال بصلاح أبيهما قال فأبي وجدي خير منه قال قد أنبأنا الله أنكم
قوم خصمون رحمة مفعول له أو مصدر منصوب بأراد ربك لأنه في معنى رحمهما وما فعلته وما فعلت

ما رايت عن امري عن اجتهادي ورأيي وانما فعلته بامر الله ذا القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها
مومنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود وبخت نصر وكان بعد نمرود واختلف فيه فقيل
كان عبدا صالحا ملكه الله تعالى الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة
فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورايه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملئكة وعن
عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تتسموا باسما الانبيا حتى تسميتم
باسما الملئكة وعن علي رضي الله عنه سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال احبه الله
فاحبه وساله ابن الكوى ما ذو القرنين املك ام نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا
ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين
وفيكم مثله قيل كان يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله تعالى وعن النبي صلى الله عليه وسلم سمي ذا القرنين لانه
طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس
وعن وهب رحمه الله لانه ملك الروم وفارس وروي الروم والترك وعنه كانت صفحتا راسه من نحاس وقيل كان
تاجه قرنان وقيل كان على راسه ما يشبه القرنين ويجوز ان يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا
لانه ينطح اقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره والسايلون هم اليهود سالوه على جهة الامتحان
وقيل ساله ابو جهل واشياعه والخطاب في عليكم للنبي … من كل شي اي من اسباب كل شي اراده
من اغراضه ومقاصده في ملكه سببا طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة
او الة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك اراد المشرق فاتبع سببا واراد
بلوغ السدين فاتبع سببا وقرئ حمئة من حمئت البير اذا صارت فيه الحماة وحامية بمعنى حارة
وعن ابي ذر رضي الله عنه كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فراى الشمس حين غابت فقال اتدري يا ابا ذر اين تغرب
هذه قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حامية وهي قراة ابن مسعود وطلحة وابن عامر والحسن
وقرا ابن عباس حمئة وكان ابن عباس رضي الله عنهما عند معاوية فقرا معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة
فقال معاوية وكيف تقرا فقال كما يقرا امير المومنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب
فقال في ما وطين كذلك نجده في التوراة وروي في ثاط فوافق ابن عباس وكان ثمة رجل فانشد قول تبع
فراى مغيب الشمس عند مآبها في عين ذي خلب وثاط حرمد اي في عين ما ذي طين وحما اسود
ولا تنافي بين الحمئة والحامية فجايز ان تكون العين جامعة للوصفين جميعا كانوا كفرة فخيره الله تعالى
بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال
فاما من دعوته فابى الا البقا على الظلم العظيم الذي هو الشرك فذلك هو المعذب في الدارين واما من
امن وعمل ما يقتضيه الايمان فله جزا الحسنى وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل
فله جزا الحسنى فله ان يجازى المثوبة الحسنى او فله جزا الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة وقرئ فله جزا
الحسنى فله الفعل الحسنى جزا وعن قتادة رحمه الله كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن
اعطاه وكساه من امرنا يسرا اي لا نامره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك
وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر والمعنى
بلغ مكان مطلع الشمس كقوله كاتيك خفوق النجم يريد وقت خفوق النجم على قوم قيل
هم الزنج والستر الابنية وعن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس
دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسالت عن
هولا فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب
يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة
فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الما اذ هي فوق الما كهيئة الزيت
فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس
فينضج لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد رحمه الله من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع
الشمس اكثر من جميع اهل الارض كذلك اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه تعظيما لامره احطنا
بما لديه خبرا من الجنود والالات واسباب الملك خبرا تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا
مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس والثياب
من كل صنف وقد بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب
عليهم يعني انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر واحسانه لمن امن منهم
بين السدين بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما سدين بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله
سبحانه وتعالى فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول اي هو مما
فعله الله تعالى وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس وانتصب بين على انه مفعول به مبلوغ
كما انجر على الاضافة في قوله هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع في قوله لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التي
تستعمل اسما وظرفا وهذا المكان في منقطع ارض الترك مما يلي المشرق من دونهما قوما هم الترك لا يكادون
يفقهون قولا لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما تفهم البكم وقرئ
يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة ياجوج وماجوج اسمان اعجميان
بدليل منع الصرف وقرئا مهموزين وقرا رؤبة آجوج وماجوج وهما من ولد يافث وقيل ياجوج من الترك

وماجوج

وماجوج من الجيل والديلم مفسدون في الارض قيل كانوا ياكلون الناس وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع
فلا يتركون شيا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا واذى شديدا وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفتهم لا يموت احد منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم
على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر وقرئ خرجا وخراجا اي جعلا نخرجه من اموالنا
ونظيرهما النول والنوال وقرئ سدا وسدا بالفتح والضم ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من
كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي اليه كما قال سليمان صلى الله عليه وسلم فما اتاني الله خير مما اتاكم
وقرئ بالادغام وبفكه فاعينوني بقوة بفعلة وصناع يحسنون البنا والعمل وبالالات ردما حاجزا حصينا موثقا
والردم اكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع … الاساس حتى بلغ الما وجعل
الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين
الى اعلاهما ثم وضع المنافخ حتى صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه
ببعض فصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وقرئ سوى وسوى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان رجلا اخبره به فقال كيف رايته قال كالبرد المحبر طريقة سودا وطريقة حمرا قال قد رايته الصدفين
بفتحتين جانبي الجبلين لانهما يتصادفان اي يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين بضم
وسكون والصدفين بضمة وفتحة والقطر النحاس المذاب لانه يقطر قطرا منصوب بافرغ وتقديره اتوني
قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ قال ايتوني اي جيئوني فما اسطاعوا بحذف التا
للخفة لان التا قريبة المخرج من الطا وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا واما من قرا بادغام التا
في الطا فلاق بين ساكنين على غير الحد ان يظهروه ان يعلوه اي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه
ولا نقب لصلابته وثخانته هذا اشارة الى السد اي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده
او هذا الاقدار والتمكين من تسويته فاذا جا وعد ربي يعني فاذا دنا مجي يوم القيمة وشارف ان ياتي جعل
السد دكا اي مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكلما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك
المنبسط السنام وقرئ دكا بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا اخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا
وجعلنا بعضهم بعض الخلق يموج في بعض اي يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز ان يكون
الضمير لياجوج وماجوج وانهم يموجون حين يخرجون مما ورا السد مزدحمين في البلاد وروي انهم ياتون البحر
فيشربون ماه وياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون
ان ياتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عز وجل نغفا في اقفائهم فيدخل في اذانهم فيموتون
وعرضنا جهنم وبرزناها لهم فراوها وشاهدوها عن ذكري عن اياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن القران
وتامل معانيه وتبصرها ونحوه صم بكم عمي وكانوا لا يستطيعون سمعا يعني وكانوا صما عنه الا انه ابلغ اذ الاصم
قد يستطيع السمع اذا صيح به وهولا كانهم اصميت اسماعهم فلا استطاعة لهم للسمع عبادي من دوني اوليا
هم الملئكة يعني انهم لا يكونون لهم اوليا كما حكى عنهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقرا ابن مسعود رضي الله عنه افظن الذين
كفروا وقرا علي رضي الله عنه افحسب الذين كفروا اي افكافيهم ومحسبهم ان يتخذوهم اوليا على الابتدا والخبر او على
الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك اقايم الزيدان والمعنى ان ذلك
لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله عز وجل كما حسبوا وهي قراة محكمة جيدة نزلا ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه
تبشيرهم بعذاب اليم ضل سعيهم ضاع وبطل وهم الرهبان عن علي رضي الله عنه كقوله تعالى عاملة ناصبة وعن مجاهد
اهل الكتاب وعن علي رضي الله عنه ان ابن الكوا ساله عنهم فقال منهم اهل حروراء وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ياتي ناس
باعمال يوم القيمة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيا فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدري بهم
ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيات
من الموحدين وقرئ فلا يقيم بالياء ذلك … الاوجه ان يكون في محل الرفع
على هم الذين ضل سعيهم لانه جواب عن السوال ويجوز ان يكون نصبا على الذم او جرا على البدل جهنم عطف
بيان لقوله جزاوهم … حولا يقال حال من مكانه حولا كقولك عاد في حبها عودا يعني لا مزيد عليها
حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع لاغراضهم وامانيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في اي نعيم كان
فهو طامح الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد الخلود مدادا اسم لما تمد به الدواة من
الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السما مداد الارض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر
مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لنفد البحر قبل ان تنفد الكلمات ولو جينا بمثل البحر مددا اذا لنفد ايضا والكلمات غير نافدة
ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا … والمدد مثل المداد وهو ما يمد به وعن ابن عباس رضي الله عنهما بمثله مدادا
وقرا الاعرج رحمه الله مددا بكسر الميم جمع مدة وهو ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ ينفد بالياء وقيل قال
حيي بن اخطب في كتابكم ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت
يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله فمن كان يرجو لقا ربه فمن كان ياما حسن لقا ربه وان يلقاه
لقا رضا وقبول وقد فسرنا اللقا او فمن كان يخاف سو لقا ربه والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائي
بعمله وان لا يبتغي به الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره وقيل نزلت في جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني
اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي انه قال لك اجران اجر السر واجر العلانية
وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الريا وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكهف من اخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قراها كلها كانت له نورا

من الارض الى السماء. وعنه صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له في مضجعه نور يتلالا الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه وان كان مضجعه بمكة كان له نور يتلالا من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ

تم الجزء الثاني من كتاب الكشاف

بحمد الله وكرمه ويتلوه الجزء الثالث بحول الله وعونه

الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

والامام المطهر اجازة للمشرقي ... وهو للامام شرف الدين وهو للسيد احمد بن الوزير ... للامام القاسم وهو لولده محمد ... [illegible]

بن داود رضي الله عنهما اجاز له جميع مسموعاته ... بالامام المطهر بن محمد بن سليمان ... [illegible]

وانا احدث الاجازة ... ومن طرق ... [illegible]

والاوزري الى المصنف من طرق ... القاضي احمد بن سعد الدين ... [illegible]

وهذه الاجازات على هذا الكتاب ... [illegible]

عن المسلمين خيرا قال ... [illegible] ... ابو الوليد انه قال

الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكتاب والسنة ... عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من رواية ابن عمر ... وتاويل الجاهلين

الامام زيد بن علي عليه السلام انه قال اما بعد فقد روي عن ... ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين

يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ... انه قال الاسناد من الدين لولا الاسناد لقال من شاء ما شاء

وروي عن عبد الله بن المبارك انه قال الاسناد سلاح ... فاذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء ...

وعن سفيان الثوري رحمه الله تعالى انه قال ... [illegible] ... عند اهل العلم المتصل الاسناد

... [illegible] ... بطرق الرواية المعتبرة ...

... [illegible] ... المنصور بالله القاسم بن محمد عليه

الى مصنفها ... اهل البيت عليهم السلام ... والامام المتوكل يحيى شرف الدين بطريقه الى الامام

وهو طريقنا الى جدنا الحسن بن علي بن داود بطريقه الى الامام الناصر ... الامام المطهر بن محمد بن سليمان والامام عز الدين بن الحسن المؤيدي بطرقهما

محمد بن علي السراجي بطريقه الى ... المرتضى بطريقه الى الامام صلاح الدين محمد بن علي ووالده الامام المهدي

الى الامام المهدي احمد بن يحيى المرتضى بطريقه الى الامام السعيد المهدي احمد بن الحسين

علي بن محمد بطريقهما الى الامام المؤيد يحيى بن حمزة بطرقه ... يحيى ومحمد ابني احمد بن يحيى بن يحيى بطرقهم

الى الامام المنصور عبد الله بن حمزة ... وشيخ آل الرسول ... الحسن الهاروني ... ومن الامام ابو طالب

بطرقه الى الامام المتوكل احمد بن سليمان بطرقه الى الامام المؤيد احمد بن الحسين ... الحسني بطرقهم الى الامام

يحيى بن الحسين الهاروني ... الى الامام ابي العباس احمد بن ابراهيم الحسني ... الناصر احمد بن يحيى الهادي عليهم السلام بطرقه

يحيى بن محمد المرتضى بن الامام الهادي الى الحق يحيى بن الحسين عن والده الحسين عن والده نجم آل الرسول القاسم بن ابراهيم

الى والده ... عن ابيه اسماعيل الديباج عن ابيه ابراهيم الشبه عن ابيه

عن ابيه ابراهيم الغمر ... عن ابيه الحسن السبط عن ابيه امير المؤمنين وسيد الوصيين

الحسن الرضا عن ابيه

علي بن ابي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

الجزء الثالث من الكشاف عن حقائق التنزيل

وعيون الاقاويل في وجوه التاويل

تاليف الامام العلامة فخر خوارزم شيخ العرب والعجم جار الله محمود بن عمر الزمخشري رحمه الله ... [illegible]

لبعضهم

ان التفاسير في الدنيا بلا عدد ● وليس فيها لعمري مثل كشاف

ان كنت تبغي الهدى فالزم قراءته ● فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

نظم في عدد آيات القرآن الكريم ...

● بدأت بحمد الله هو الذي يبدي ● لانظم عد الآي في الذكر كالعقد ... [illegible]

● فللوعد ألف ثم ألف وعيدها ... [illegible]

● وحكم ... [illegible]

● وصلى الالٰه كل يوم وليلة ● على احمد والآل ... [illegible]

تم ذلك النظم ... [illegible]

سورة مريم مكية وهي تسعون وثمان او تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿كهيعص﴾ قرأ ابو عمرو بكسر الها وفتح اليا وحمزة بكسرهما وعاصم بضمهما والحسن وقرأ الحسن ﴿ذكر رحمة ربك﴾ اي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك • وقرى ذكّر على الامر وراعى سنة الله في اخفاء دعوته لان الجهر والاخفاء عند الله سيان فكان الاخفاء اولى لانه ابعد من الريا وادخل في الاخلاص • وعن الحسن ﴿نداء﴾ لا ريا فيه • او اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبر والشيخوخة • او اسره من مواليه الذين خافهم • او خفت صوته لضعفه وهرمه كما جا في صفة الشيخ • صوته خفات • وسمعه تارات • واختلف في سن زكريا عليه السلام فقيل ستون وقيل خمس وستون • وخمس وسبعون • وخمس وثمانون • وقرى ﴿وهن﴾ بالحركات الثلاث • وانما ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه • وهو اصل بنائه • فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان ما وراه اوهن • ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية • وقصده الى ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام واشد ما تركب منه الجسد قد اصابه الوهن • ولو جمع لكان قصدا الى معنى اخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها • ادغام السين في الشين عن ابي عمرو • شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ • باشتعال النار • ثم اخرجه مخرج الاستعارة • ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الراس واخرج الشيب مميزا ولم يضف الراس اكتفا بعلم المخاطب انه راس زكريا • فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة توسل الى الله بما سلف له معه من الاستجابة • وعن بعضهم ان محتاجا ساله وقال انا الذي احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته • ﴿كان﴾ مواليه وهم عصبته • اخوته وبنوا عمه شرار بني اسرائيل فخافهم على الدين ان يغيروه ويبدلوه وان لا يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به في احيا الدين • ويرتسم مراسمه فيه ﴿من وراي﴾ بعد موتي • وقرى ابن كثير من وراي بالقصر • وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف • او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي • او خفت الذين يلون الامر من ورائي • وقرى عثمن ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم خفت الموالي من ورائي • وهذا على معنيين احدهما ان يكون وراي بمعنى خلفي وبعدي فيتعلق الظرف بالموالي اي قلوا وعجزوا عن اقامة امر الدين فسال ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه • والثاني ان يكون بمعنى قدامي فيتعلق بخفت ويريد انهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقوٍّ واعتضاد • ﴿من لدنك﴾ تاكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله وصادرا من عنده • والا فهب لي وليا يرثني كاف • او اراد اختراعا منك بلا سبب لاني وامراتي لا نصلح للولادة • ﴿يرثني ويرث﴾ • الجزم جواب الدعا • والرفع صفة ونحوه ردا يصدقني • وعن ابن عباس والجحدري يرثني وارث من ال يعقوب على الحال • وعن علي رضي الله عنه وجماعة وارث من ال يعقوب اي يرثني به وارث • ويسمى التجريد في علم البيان • والمراد بالارث ارث الشرع والعلم لان الانبيا لا تورث المال • وقيل يرث الحبورة وكان حبرا • ويرث من ال يعقوب الملك • يقال ورثته وورثت منه لغتان • وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان ال يعقوب لم يكونوا كلهم انبيا ولا علما وكان زكريا عليه السلام من نسل يعقوب بن اسحق • وقيل هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا • وقيل يعقوب هذا وعمران ابو مريم اخوان من نسل سليمان بن داود • ﴿سميا﴾ لم يسم احد بيحيى قبله • وهذا شاهد على ان الاسامي السنع جديرة بالاثرة • واياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها انبه وانوه وانزه عن النبز حتى قال القائل في مدح قوم • شنع الاسامي مسبلي الازر • حمر تمس الارض بالهدب • وقال روبة للنسابة البكري وقد سأله عن نسبه • انا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت • وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد كقوله هل تعلم له سميا • وانما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه • ونحو ﴿يحيى﴾ في اسمائهم يعمر ويعيش ان كانت التسمية عربية وقد سموا بيموت ايضا وهو يموت بن المزرع • قالوا لم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا • اي كانت على صفة العقر حين انا شاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال احد السببين افحين اختل السببان جميعا ارزقه • ﴿فان قلت﴾ لم طلب اولا وهو وامراته على صفة العتي والعقر فلما اسعف بطلبته استبعد واستعجب • ﴿قلت﴾ ليجاب بما اجيب به فيزداد المومنون ايقانا ويرتدع المبطلون • والا فمعتقد زكريا اولا واخرا كان على منهاج واحد في ان الله غني عن الاسباب • اي ﴿بلغت عتيا﴾ وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاحل • يقال عتا العود وعسى من اجل الكبر والطعن في السن العالية • او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا • وقرى ابن وثاب وحمزة والكسائي

بكسر العين وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرى ابي ومجاهد عسيا ﴿كذلك﴾ الكاف رفع اي الامر كذلك تصديق له • ثم ابتدا ﴿قال ربك﴾ او نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره ﴿هو علي هين﴾ ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هولاء مقطوع مصبحين • وقرى الحسن وهو علي هين ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول اي الامر كما قلت وهو على ذلك يهون علي • ووجه اخر وهو ان يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله لا الى قول زكريا وقال محذوف في كلتا القراتين اي قال هو علي هين قال وهو علي هين وان شئت لم تنوه لان الله تعالى هو المخاطب والمعنى انه قال ذلك ووعده وقوله الحق • ﴿شيئا﴾ لان المعدوم ليس بشي او شيئا يعتد به كقولهم عجبت من لا شي وقوله اذا رأى غير شي ظنه رجلا • وقرى الاعمش والكسائي وابن ثابت ﴿خلقناك﴾ اي اجعل لي علامة اعلم بها وقوع ما بشرت به قال علامتك ان تمنع الكلام فلا تطيقه وانت سليم الجوارح سوي الخلق ما بك خرس ولا بكم • دل ذكر الليالي هنا والايام في ال عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلاثة ايام ولياليهن • اوحى اشار • عن مجاهد ويشهد له الا رمزا • وعن ابن عباس كتب لهم على الارض • سبحوا صلوا او على الظاهر وان هي المفسرة • اي خذ التوراة بجد واستظهار بالتوفيق والتاييد ﴿الحكم﴾ الحكمة ومنه احكم لحكم فتاة الحي • يقال حكم حكما كحلم حلما وهو الفهم للتوراة والفقه في الدين عن ابن عباس وقيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا عن الضحاك • وعن معمر العقل • وقيل النبوة لان الله احكم عقله في صباه واوحى اليه ﴿حنانا﴾ رحمة لابويه وغيرهما وتعطفا وشفقة وانشد سيبويه • وقالت حنان ما اتى بك هاهنا • اذو نسب ام انت بالحي عارف • وقيل حنانا من الله عليه وحن في معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرافة • وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة ﴿والزكاة﴾ الطهارة وقيل الصدقة اي يتعطف على الناس ويتصدق عليهم • سلم الله عليه في هذه الاحوال • قال ابن عيينة انها اوحش المواطن ﴿اذ﴾ بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة فيه ﴿والانتباذ﴾ الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس او من دارها معتزلة عن الناس • وقيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او بشي يسترها وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت الى المسجد • فبينا هي في مغتسلها اتاها الملك في صورة ادمي شاب امرد وضي الوجه جعد الشعر ﴿سويا﴾ سوي الخلق لم ينتقص من الصورة الادمية شيئا • او حسن الصورة مستوي الخلق • وانما مثل لها في صورة الانسان لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه ودل على عفافها وورعها انها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصورة ابتلا لها وسبرا لعفتها • وقيل كانت في منزل زوج خالتها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق الباب عليها فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي راسها فانفجر السقف لها فخرجت فجلست في المشرفة وراء الجبل فاتاها الملك • وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس • وقيل ان النصارى اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم ﴿مكانا شرقيا﴾ • الروح جبريل لان الدين يحيا به او سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك انت روحي • وقرى ابو حيوة روحنا بالفتح لانه سبب لما فيه روح العباد واصابة الروح عند الله الذي هو عدة المقربين في قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان • او لانه من المقربين وهم الموعودون بالروح اي مقربنا وذا روحنا • اراد ان كان يرجى منك ان تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فاني عائذة به منك كقوله تعالى بقية الله خير لكم ان كنتم مومنين • اي انما انا رسول من استعذت به ﴿لاهب لك﴾ لاكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع • وفي بعض المصاحف انما انا رسول ربك امرني ان اهب لك • او هي حكاية لقول الله عز وجل • جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه كقوله من قبل ان تمسوهن او لامستم النسا • والزنا ليس كذلك انما يقال فيه فجر بها وخبث بها وما اشبه ذلك • وليس بقمن ان تراعى فيه الكنايات والاداب ﴿والبغي﴾ الفاجرة التي تبغي الرجال وهي فعول عند المبرد بغوي فادغمت الواو في اليا • وقال ابن جني في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر ﴿ولنجعله﴾ تعليل معلله محذوف اي ولنجعله اية للناس فعلنا ذلك • او هو معطوف على تعليل مضمر اي لنبين به قدرتنا ولنجعله اية • ونحوه وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت • وقوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه ﴿مقضيا﴾ مقدرا مسطورا في اللوح لا بد لك من جريه عليك • او كان امرا حقيقا بان يكون ويقضى لكونه اية ورحمة والمراد بالاية العبرة والبرهان على قدرة الله وبالرحمة الشرائع والالطاف وما كان سببا في قوة الاعتقاد والتوصل الى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين • عن ابن عباس فاطمانت الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت • وقيل كانت مدة الحمل ستة اشهر • وعن عطا وابي العالية والضحاك سبعة اشهر • وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى • وقيل ثلاث ساعات • وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها • وعن ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته • وقيل حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة • وقيل بنت عشر • وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل • وقالوا ما من مولود الا يستهل غيره ﴿فانتبذت به﴾ اي اعتزلت وهو في بطنها كقوله • تدوس بنا الجماجم والتريبا • اي تدوس الجماجم ونحن على ظهورها • ونحوه قوله تعالى تنبت بالدهن اي تنبت ودهنها فيها • الجار والمجرور في موضع الحال ﴿قصيا﴾ بعيدا من اهلها وراء الجبل • وقيل اقصى الدار • وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنا خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بان يقتلها فاتاه جبريل فقال انه من روح القدس فلا تقتلها • ﴿فاجاءها﴾ منقول من جا الا ان استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجا الا تراك لا تقول جئت المكان

واجانيه زيد لما تقول بلجنة وأبلغته ونظيره أتى حيث لم تستعمل الا في الاعطا ولم يقل انيت المكان وأتاه
تلاث • قرى ابن كثير في رواية المخاض بالكسر يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وهو تمخض الولد في بطنها
طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع نخلة يابسة في الصحرى ليس لها راس ولا ثمر
ولا خضرة وكان الوقت شتاء • والتعريف لا يخلو اما ان يكون من تعريف الاسما الغالبة كتعريف النجم والصعق
الصعق • كان تلك الصحرى كان فيها جذع نخلة متعالما عند الناس فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذاك دون
غيره من جذوع النخل واما ان يكون تعريف الجنس اى جذع هذه الشجرة خاصة كان الله تعالى انما ارشدها
الى النخلة ليطعمها منها الرطب الذى هو خرسة النفسا الموافقة لها ولان النخلة اقل شى صبرا على البرد
ولا تثمر الا من جمارها فلموافقتها لها مع جمع الايات فيها اختارها لها والجاها اليها وقرى متّ بالضم
والكسر يقال مات يموت ومات يمات النسى ما من حقه ان يطرح وينسى كخرق الطامث ونحوها كالذبح
اسم ما من شانه ان يذبح في قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم • وعن يونس العرب اذا ارتحلوا عن الدار
قالوا انظروا انساءكم اى الشى اليسير نحو العصى والقدح والشظاظ • تمنت لو كانت شيئا تافها لا يوبه
له من شانه وحقه ان ينسى في العادة وقد نسى وطرح فوجد فيه النسيان الذى هو حقه وذلك لما لحقها من
الحيا والنشوز من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله او لشدة التكليف عليها اذا بهتوها وهى
عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت به من اختصاص الله اياها بغاية الاجلال والاكرام لانه مقام
دحض قلّما تثبت عليه الاقدام ان تعرف اغتباطك بامر عظيم وفضل باهر يستحق به المدح ويستوجب التعظيم
ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا يعاب به ويعنف بسببه او لخوفها على الناس ان يعصوا الله بسببها وقرى
ابن وثاب والاعمش وحمزة نسيا بالفتح • قال الفرا هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز ان
يكون مسمى بالمصدر كالحمل • وقرا محمد بن كعب القرظى نسأ بالهمز وهو الحليب المخلوط بالما ينسأه اهله
لقلته ونزارته • وقرا الاعمش منسيا بالكسر على الاتباع كالمغيرة والمنخر من تحتها هو جبريل عليه السلام قيل كان يقبل
الولد كالقابلة وقيل هو عيسى وهو قراءة عاصم وابي عمرو • وقيل تحتها اسفل من مكانها كقوله تجرى من تحتها
الانهار • وقيل كان اسفل منها تحت الاكمة فصاح بها الا تحزنى وقرا نافع وحمزة والكسائى وحفص من
تحتها وفى نادها ضمير الملك او عيسى عليه السلام • وعن قتادة الضمير في تحتها للنخلة • وقرى زر وعلقمة فخاطبها
من تحتها • سئل النبى صلعم عن السرى فقال هو الجدول قال لبيد • فتوسطا عرض السرى فصدعا • مسجورة
متجاورا قلامها • وقيل هو من السرو والمراد عيسى • وعن الحسن كان والله عبدا سريا فان قلت ما كان
حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسرى والرطب قلت لم تقع التسلية بهما من حيث انهما
طعام وشراب ولكن من حيث انهما معجزتان تريان الناس انها من اهل العصمة والبعد من الريبة
وان مثلها مما قذفوها به بمعزل وان لها امورا الاهية خارجة من العادات خارقة لما الفوا واعتادوا
حتى يتبين لهم ان ولادها من غير فحل ليس ببدع من شانها تساقط فيه تسع قراءات تساقط بادغام التا
وتتساقط باظهار التاءين وتساقط بطرح الثانية ويساقط باليا وادغام التا وتساقط وتسقط ويسقط وتسقط
التا للنخلة واليا للجذع ورطبا تمييز او مفعول على حسب القراءة • وعن المبرد جواز انتصابه بهزى وليس
بذاك • والبا في بجذع النخلة صلة للتاكيد كقوله ولا تلقوا بايديكم او على معنى افعلى الهز به كقوله
يجرح في عراقيبها نصلى • قالوا التمر للنفسا عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة
وقيل ما للنفسا خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل • وقيل اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من
الرطب • عن طلحة بن سليمان جنيا بكسر الجيم للاتباع اى جمعنا لك في السرى والرطب فايدتين
احديهما الاكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين • وهو معنى قوله فكلى واشربى
وقرى عينا • او وطيبى نفسا ولا تغتمى وارفضى عنك ما احزنك واهمك • وقرئ وقرى بالكسر لغة نجد
ترين بالهمز ابن الرومى عن ابى عمرو وهذا من لغة من يقول لبأت بالحج وحلأت السويق وذلك
لتآخ بين الهمزة وحروف اللين في الابدال صوما صمتا • وفى مصحف عبد الله صمتا وعن انس
ابن مالك مثله وقيل صياما كانوا لا يتكلمون في صيامهم • وقد نهى رسول الله صلعم عن صوم
الصمت لانه نسخ في امته امرها الله بان تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين
لها في الكلام لمعنيين احدهما ان عيسى عليه السلام يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها • والثانى كراهة
مجادلة السفها ومناقلتهم • وفيه ان السكوت عن السفيه واجب ومن اذل الناس سفيه
لم يجد مسافها قيل اخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقيل سوغ لها ذلك بالنطق
انسيا اى اكلم الملائكة دون الانسى الفرى البديع وهو من فرى الجلد يا اخت هرون وكان اخاها
من ابيها من امثل بنى اسرائيل وقيل هو اخو موسى عليه السلام • وعن النبى صلعم انما عنوا هرون
النبى وكانت من اعقابه في طبقة الاخوة وبينهما وبينه الف سنة واكثر • وعن السدى
كانت من اولاده • وانما قيل يا اخت هرون كما يقال يا اخا همدان اى يا واحدا منهم • وقيل
رجل صالح او طالح في زمانها شبهوها به • اى كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به ولم
ترد اخوة النسب • ذكر ان هرون الصالح تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هرون تبركا به
وباسمه فقالوا كنا نشبهك بهرون هذا • وقرى عمر بن لجا التيمى ما كان اباك امرؤ سوء
وقيل احتملها يوسف النجار من المغارة فلبثوا فيه اربعين يوما حتى تعلت من نفاسها
ثم جات تحمله تحمله عيسى في الطريق فقال يا اماه ابشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت به
على قومها وهم اهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها
فاشارت اليه اى هو الذى يجيبكم اذا نطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليه السلام •
وعن السدى لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا من زناها • وروى
انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكا على يساره واشار بسبابته

قالوا كيف نكلم من كان

وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان • كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم
يصلح لقريبه وبعيده وهو هاهنا لقريبه خاصة والدال عليه معنى الكلام وانه مسوق للتعجب • ووجه
آخر ان يكون نكلم حكاية حال ماضية اى كيف عهد قبل عيسى ان يكلم الناس صبيا في المهد
فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا • انطقه الله اولا بانه عبد الله ردا لقول النصارى
والكتاب هو الانجيل واختلفوا في نبوته فقيل اعطيها في طفولته اكمل الله عقله واستنباه طفلا
نظرا في ظاهر الاية وقيل معناه ان ذلك سبق في قضائه او جعل الاتى لا محالة كانه قد وجد
مباركا اينما كنت • عن رسول الله صلعم نفاعا حيث كنت • وقيل معلما للخير • قرى وبرا عن ابى نهيك
جعل ذاته برا لفرط بره او نصبه بفعل في معنى اوصانى وهو كلفنى لان اوصانى بالصلوة وكلفنيهما واحد
والسلام على قيل ادخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاءنا رجل فكان من فعل الرجل كذا
والمعنى وذلك السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلاثة موجه الى • والصحيح ان يكون هذا التعريف
تعريضا باللعنة على متهمى مريم عليها السلام واعدائها من اليهود وتحقيقه ان اللام للجنس فاذا قال وجنس
السلام على خاصة فقد عرض بان ضده عليكم ونظيره قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى يعنى
ان العذاب على من كذب وتولى • وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله عز • وعن الحسن قول الله الحق
بضم القاف وكذلك في الانعام قوله الحق والقول والقال والقول في معنى واحد كالرهب والرهب
والرهب • وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدا محذوف واما انتصابه فعلى المدح
ان فسر بكلمة الله وعلى انه مصدر مؤكد مضمون الجملة ان اريد قول الثبات والصدق كقولك هو عبد الله
الحق لا الباطل وانما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها وهى قوله كن من غير
واسطة اب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمى العشب بالسما والشحم بالندى • ويحتمل اذا اريد بقول الحق
عيسى ان يكون اسم الله عز وجل وان يكون بمعنى الثبات والصدق ويعضده قوله الذى فيه يمترون
اى امره حق ويقين وهم فيه شاكون تمترون يشكون والمرية الشك او يتمارون يتلاحون قالت
اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة • وقرا على بن ابى طالب تمترون على الخطاب
وعن ابى بن كعب قول الحق الذى كان الناس فيه يمترون كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على الولد
عنه وانه مما لا يتاتى ولا يتصور في العقول وليس بمقدور عليه اذ من المحال غير المستقيم ان يكون
ذاته كذات من ينشا منه الولد ثم بين احالة ذلك بان من اذا اراد شيا من الاجناس كلها
اوجده بكن • كان منزها من شبه الحيوان الوالد والقول هاهنا مجاز ومعناه ان ارادته للشى
يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك بامر الامر المطاع اذا ورد على المامور الممتثل
قرا المدنيون وابو عمرو بفتح ان ومعناه ولانه ربى وربكم فاعبدوه كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا
مع الله احدا • والاستقلال وابو عبيد بالكسر على الابتدا • وفى حرف ابى ان الله بالكسر بغير واو وبان الله
اى بسبب ذلك فاعبدوه الاحزاب اليهود والنصارى عن الكلبى • وقيل النصارى لتحزبهم ثلاث فرق
نسطورية ويعقوبية وملكانية • وعن الحسن الذين تحزبوا على الانبيا لما قص عليهم قصة عيسى
اختلفوا فيه من بين الناس من مشهد يوم عظيم اى من شهودهم هول الحساب والجزا في يوم القيمة او من
مكان الشهود فيه وهو الموقف او من وقت الشهود او من شهادة ذلك اليوم عليهم وان تشهد
عليهم الملائكة والانبيا والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر وسوء الاعمال او من مكان الشهادة
او وقتها • وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وامه لا يوصف الله تعالى بالتعجب • وانما المراد ان
اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب منها بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا • وقيل معناه التهديد
بما سيسمعون وسيبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم • اوقع الظاهر اعنى الظالمين موقع الضمير اشعارا
بان لا ظلم اشد من ظلمهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين يجدى عليهم ويسعدهم والمراد
بالضلال المبين اغفال النظر والاستماع قضى الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار • وعن
النبى صلعم انه سئل عنه اى عن قضى الامر فقال حين يذبح الكبش والفريقان ينظران واذ بدل من يوم
الحسرة او منصوب بالحسرة وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال مبين عن الحسن وانذرهم اعتراض
وهو متعلق بانذرهم اى وانذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين يحتمل ان يتهمهم ويحتمل ان يورثهم
وانه يفنى اجسادهم ويفنى الارض ويذهب بها الصديق من ابنية المبالغة ونظيره الضحيك والنطيق
والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله وكان الرجحان والغلبة
في هذا التصديق للكتب والرسل • اى كان مصدقا لجميع الانبيا وكتبهم وكان نبيا في نفسه
كقوله بل جاء بالحق وصدق المرسلين • او كان بليغا في الصدق لان ملاك امر النبوة الصدق
ومصدق الله باياته ومعجزاته حرى ان يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا •
بين المبدل منه وبدله اعنى ابراهيم واذ قال نحو قولك رايت زيدا ونعم الرجل اخاك ويجوز ان يتعلق اذ بكان
او بصديقا نبيا اى كان جامعا لخصائص الصديقين والانبيا حين خاطب اباه تلك المخاطبات والمراد
بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب ان يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبا ابراهيم
والا فالله عز وعلا هو ذاكره ومورده في تنزيله التا في يا ابت عوض من يا الاضافة ولا يقال يا ابتى لئلا
يجمع بين العوض والمعوض منه • وقيل يا ابتا لكون الالف بدلا من اليا وشبه ذلك سيبويه باينق
وتعويض اليا فيه عن الواو الساقطة • انظر حين اراد ان ينصح اباه ويعظه فيما كان متورطا فيه
من الخطا العظيم والارتكاب الشنيع الذى عصى فيه امر العقل وانسلخ عن قضية التمييز ومن الغباوة
التى ليس بعدها • كيف رتب الكلام معه في احسن اتساق وساقه ارشق مساق • مع استعمال
المجاملة واللطف والرفق واللين والادب الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة ربه جل وعلا
حدث ابو هريرة قال قال رسول الله صلعم اوحى الله الى ابراهيم عليه السلام انك خليلى حسن خلقك ولو مع الكفار
تدخل مداخل الابرار فان كلمتى سبقت لمن حسن خلقه اظله تحت عرشى واسكنه حظيرة القدس
وادنيه من جوارى • وذلك انه طلب منه اولا العلة في خطيئة طلب منبه على تماديه موقظ
لافراطه وتناهيه • لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب نافعا
ضارا الا انه بعض الخلق لاستخف عقل من اهله للعبادة ووصفه بالربوبية ولسجل عليه بالغى
المبين والظلم العظيم وان كان من اشرف الخلق واعلاهم منزلة كالملائكة والنبيين قال الله تعالى ولا يامركم
ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون • وذلك ان العبادة هى غاية التعظيم

فلا يحق العبادة الا لمن له غاية الانعام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه اصول النعم وفروعها فاذا وجهت الى غيره وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ان تكون هذه الصفة لغيره لم يكن الا ظلما وعتوا وغيا وكفرا وجحودا وخروجا عن الصحيح النير الى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته الى جماد ليس به حس ولا شعور فلا يسمع يا عابده ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى هيئات خضوعك وخشوعك له فضلا ان يغني عنك بان تستدفعه بلاء فيدفعه او تسنح لك حاجة فيكفيكها ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا متلطفا فلم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف وهب اني واياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني انجك من ان تضل وتتيه ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بان الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك الذي لا يريد بك الا كل هلاك وخزي ونكال وعدو ابيك ادم وابناء جنسك كلهم وهو الذي ورطك في هذه الضلالة وامرك بها وزينها لك فانت ان حققت النظر عابد الشيطان الا ان ابرهيم عليه السلم لامعانه في الاخلاص وارتقاء همته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان الا التي تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر سوء العاقبة وربع ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الادب حيث لم يصرح بان العقاب لاحق له وان العذاب لاصق به ولكنه قال اخاف ان يمسك عذاب فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة اشياعه واوليائه اكبر من العذاب وذلك ان رضوان الله اكبر من الثواب نفسه وسماه الله المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله اكبر من العذاب نفسه واعظم وصدر كل نصيحة من النصائح الاربع بقوله يا ابت توسلا اليه واستعطافا ما في ما لا يسمع وما لم ياتك يجوز ان تكون موصولة وموصوفة والمفعول في لا يسمع ولا يبصر منسي غير منوي كقولك ليس به استماع ولا ابصار شيئا يحتمل وجهين احدهما ان يكون في موضع المصدر اي شيئا من الغناء ويجوز ان يقدر نحوه مع الفعلين السابقين والثاني ان يكون مفعولا به من قولهم اغن عني وجهك قد جاءني فيه تجدد العلم عنده لما اطلعه على سماجة صورة امره وهدم مذهبه بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات اقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني وقدم الخبر على المبتدا في قوله اراغب انت عن الهتي لانه كان اهم عنده وهو عنده اعنى وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن الهته وان الهته ما ينبغي ان يرغب عنها احد وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله صلعم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه لارجمنك لارمينك بلساني يريد الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي باللعن او لاقتلنك من رجم الزاني او لاطردنك رميا بالحجارة واصل الرجم الرمي بالرجام مليا زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني والهجران قبل ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح يقال فلان ملي بكذا اذا كان مطيقا له مضطلعا به فان قلت علام عطف واهجرني قلت على معطوف عليه محذوف يدل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني لان لارجمنك تهديد وتقريع سلام عليك توديع ومتاركة كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح والحال هذه ويجوز ان يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له الا ترى انه وعده الاستغفار فان قلت كيف جاز له ان يستغفر للكافر وان يعده ذلك قلت اراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الاوامر والنواهي الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الايمان وكما يؤمر المحدث والفقير بالصلاة والزكاة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب وقالوا انما استغفر له بقوله واغفر لابي انه كان من الضالين لانه وعده ان يؤمن واستشهدوا بقوله تعالى وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه ولقائل ان يقول الذي منع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فاما القضية العقلية فلا تابى والذي يدل على صحته قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجبت فيه الاسوة واما عن موعدة وعدها اياه فالواعد هو ابرهيم لا ازر اي ما قال واغفر لابي الا عن قوله لاستغفرن لك وتشهد له قراءة حماد الراوية وعدها اباه والله اعلم الحفي البليغ في البر والالطاف حفي به وتحفى به اراد بالاعتزال المهاجرة الى الشام المراد بالدعاء العبادة لانه منها ومن وسائطها ومنه قوله عليه السلم الدعاء هو العبادة ويدل عليه قوله فلما اعتزلهم وما يعبدون ويجوز ان يراد الدعاء الذي حكاه الله في سورة الشعراء عرض بشقاوتهم بدعاء الهتهم في قوله عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا مع التواضع لله في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس ما خسر على الله احد ترك الكفار الفسقة لوجهه فعوضه اولادا مؤمنين انبياء من رحمتنا هي النبوة عن الحسن وعن الكلبي المال والولد وتكون عامة في كل خير ديني ودنيوي اوتوه لسان الصدق الثناء الحسن عبر باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية قال اني اتتني لسان لا اسر بها يريد الرسالة ولسان العرب لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته واجعل لي لسان صدق في الاخرين فصيره قدوة حتى ادعاه اهل الاديان كلهم وقال عز وجل ملة ابيكم ابرهيم وملة ابرهيم حنيفا ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا واعطى ذلك ذريته فاعلى ذكرهم واثنى عليهم كما اعلى ذكره واثنى عليه المخلص بالكسر الذي اخلص العبادة عن الشرك والرياء او اخلص نفسه واسلم وجهه لله وبالفتح الذي اخلصه الله الرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع الايمن من اليمين اي من ناحيته اليمنى او من اليمن

صفة للطور او للجانب شبهه بمن قربه بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك وعن ابي العالية قربه حتى سمع صريف القلم الذي كتبت به التوراة من رحمتنا من اجل رحمتنا له وترؤفنا عليه وهبنا له هرون او بعض رحمتنا كما في قوله ووهبنا لهم من رحمتنا واخاه على هذا الوجه بدل وهرون عطف بيان كقولك رأيت رجلا اخاك زيدا وكان هرون اكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته وموازرته كذا عن ابن عباس رضه ذكر اسمعيل عليه السلم بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبياء تشريفا له واكراما كالتلقيب بنحو الحليم والاواه والصديق ولانه المشهور المتواصف من خصاله عن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره سنة وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدني ان شاء الله من الصابرين كان يبدا باهله في الامر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولانهم اولى من سائر الناس وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا الا ترى انهم احق بالتصدق عليهم فالاحسان الديني اولى وقيل اهله امته كلهم من القرابة وغيرهم لان امم النبيين في عداد اهاليهم وفيه ان من حق الصالح ان لا يالو نصحا للاجانب فضلا عن الاقارب والمتصلين به وان يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في ذلك قيل سمي ادريس لكثرة دراسته كتاب الله وكان اسمه اخنوخ وهو غير صحيح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة وكذلك ابليس اعجمي وليس من الابلاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا اسرائيل باسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه امثال هذه الهنات ويجوز ان يكون معنى ادريس عليه السلم في تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوي مشتقا من الدرس المكان العلي شرف النبوة والزلفى عند الله وقد انزل الله عليه ثلاثين صحيفة وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود وعن انس بن مالك يرفعه انه رفع الى السماء الرابعة وعن ابن عباس الى السماء السادسة وعن الحسن الى الجنة لا شيء اعلى من الجنة وعن النابغة الجعدي انه لما انشد رسول الله الشعر الذي اخره: بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا * وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا * فقال له رسول الله الى اين يا ابا ليلى قال الى الجنة اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من لدن زكريا الى ادريس ومن في من النبيين للبيان مثلها في قوله تعالى في اخر سورة الفتح وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان جميع الانبياء منعم عليهم ومن الثانية للتبعيض وكان ادريس من ذرية ادم لقربه منه لانه جد ابي نوح وابرهيم من ذرية من حملنا مع نوح لانه من ولد سام بن نوح واسمعيل من ذرية ابرهيم وموسى وهرون وزكريا ويحيى من ذرية اسرائيل وكذلك عيسى لان مريم من ذريته وممن هدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية ان جعلت الذين خبرا لاولئك كان اذا تتلى كلاما مستانفا وان جعلته صفة له كان خبرا وقرئ يتلى بالتذكير لان التانيث غير حقيقي مع وجود الفاصلة البكي جمع باك كالسجود في جمع ساجد وعن رسول الله صلعم اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري قرات القران على رسول الله في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فاين البكاء وعن ابن عباس اذا قراتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وعن رسول الله ان القران نزل بحزن فاذا قراتموه فتحازنوا وقالوا ينبغي ان يدعو في سجدة التلاوة بما يليق باياتها فان قرا اية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك وان قرا سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرا هذه الاية قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة اياتك خلفه اذا عقبه ثم قيل في عقب الخير خلف بالفتح وفي عقب السوء خلف بالسكون كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد في ضمان الشر عن ابن عباس هم اليهود تركوا الصلوة المفروضة الا من تاب وامن يعني الكفار وعن علي رضه في قوله واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة هو في هذه الامة وقرئ ابن مسعود والحسن والضحاك الصلوات بالجمع كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد: من يلق خيرا يحمد الناس امره * ومن يغو لا يعدم على الغي لائما * وعن الزجاج جزاء غي كقوله يلق اثاما اي مجازاة اثام او غيا عن طريق الجنة وقيل واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها وقرئ الاخفش يلقون وقرئ يدخلون ويدخلون اي لا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم بيانا لان تقدم الكفر لا يضرهم اذا تابوا من ذلك من قولك ما ظلمك ان تفعل كذا بمعنى ما منعك او لا يظلمون البتة اي شيئا من الظلم لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن ابدلت منها كقولك ابصرت دارك القاعة والعلالي وعدن معرفة علم بمعنى العدن وهو الاقامة كما جعلوا فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفه اعلاما لمعاني الفينة والسحر والامس فجرى مجرى العدن لذلك او هو علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتي وقرئ جنات عدن وجنة عدن بالرفع على الابتداء اي وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة او هم غائبون عنها لا يشاهدونها او بتصديق الغيب والايمان به قيل في مأتيا مفعول بمعنى فاعل والوجه ان الوعد هو الجنة وهم ياتونها او هو من قولك اتى اليه احسانا اي كان وعده مفعولا منجزا اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها وما احسن قوله واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض فيما لا يعنينا اي ان كان تسليم بعضهم على بعض او تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك فهو من وادي قوله: ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب * او لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع او لان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة واهلها عن الدعاء بالسلامة اغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحد

لولا ما فيه من فائدة الإكرام ومن الناس من يأكل الوجبة ومنهم من يأكل متى وجد وهي عادة
المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى وهي العادة الوسطى المحمودة ولا يكون ثم ليل ولا نهار
ولكن على التقدير ولأن المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء. وقيل أراد دوام الرزق
ودروره كما تقول أنا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا تريد الديمومة ولا تقصد الوقتين
المعلومين وقرئ نورث. نورث استعارة أي نبقي عليه الجنة كما يبقي على الوارث مال الموروث
ولأن الأتقياء يلقون ربهم يوم القيامة وقد انقضت أعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة
فإذا أدخلهم الجنة فقد أورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى. وقيل
أورثوا من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا. وما نتنزل حكاية قول جبريل ع
حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم روي أنه احتبس خمسة عشر يوما وقيل أربعين وذلك حين سئل
عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجى أن يوحى إليه
به فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبريل قال له
النبي صلى الله عليه وسلم أبطأت حتى ساء ظني واشتقت إليك قال إني كنت أشوق ولكني عبد مأمور إذا
بعثت نزلت وإذا حبست احتبست وأنزل الله هذه الآية وسورة والضحى. والتنزل
على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الإطلاق كقوله: فلست لإنسي ولكن لملأك
تنزل من جو السماء يصوب. لأنه مطاوع نزّل ونزّل يكون بمعنى أنزل وبمعنى التدريج
واللائق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد أن نزولنا في الأحايين وقتا
غب وقت ليس إلا بأمر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمة. وله ما بين أيدينا وما خلفنا من
الجهات والأماكن وما نحن فيها فما نتمالك أن ننتقل من جهة إلى جهة ومكان إلى مكان
إلا بأمر المليك ومشيئته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد
من الأحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فأنى لنا أن نتقلب في ملكوته إلا إذا
رأى ذلك مصلحة وحكمة وأطلق لنا الإذن فيه. وقيل ما سلف من أمر الدنيا وما
نستقبل من أمر الآخرة وما بين ذلك ما بين النفختين وهو أربعون سنة. وقيل ما مضى من
أعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها. وقيل ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا. وقيل
الأرض التي بين أيدينا إذا نزلنا والسماء التي وراءنا وما بين السماء والأرض والمعنى
أنه المحيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل
نحدثه إلا صادرا عما توجبه حكمته ويأمرنا به ويأذن لنا فيه. وقيل معنى وما كان ربك نسيا
وما كان تاركا لك كقوله ما ودعك ربك وما قلى أي ما كان امتناع النزول إلا لامتناع
الأمر به وأما احتباس الوحي فلم يكن عن ترك الله لك وتوديعه إياك ولكن لتوقفه
على المصلحة. وقيل هي حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة أي وما ننزل الجنة إلا بأمر من الله علينا
بثواب أعمالنا وأمرنا بدخولها وهو المالك لرقاب الأمور كلها السالفة والمترقبة
واللاطف في أعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها. ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم
وما كان ربك نسيا لأعمال العاملين غافلا عما يجب أن يثابوا به وكيف يجوز النسيان
والغفلة على ذي ملكوت السماوات والأرض وما بينهما. ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرف حاله
على هذه الصفة فأقبل على العمل واعبده يثبك كما أثاب غيرك من المتقين. وقرأ الأعرج
وما يتنزل بالياء على الحكاية عن جبريل والضمير للوحي. وعن ابن مسعود إلا بقول ربك
يجب أن يكون الخلاف في النبي مثله في المعنى. رب السماوات والأرض بدل من ربك ويجوز
أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هو رب السماوات والأرض فاعبده كقوله:
وقائلة خولان فانكح فتاتهم. وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين
وما بعده من كلام رب العزة. فإن قلت هلا عدي اصطبر بعلى التي هي صلته كقوله واصطبر
عليها. قلت لأن العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك أي
اثبت له فيما يورد عليك من شداته أريد أن العبادة تورد عليك شدائد ومشاق
فاثبت لها ولا تهن ولا يضق صدرك عن إلقاء أهل الكتاب إليك الأغاليط
وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين أي لم يسم شيء بالله قط وكانوا يقولون
لأصنامهم آلهة والعزى إله. وأما الذي عوض فيه الألف واللام من الهمزة فمخصوص به
المعبود الحق غير مشارك فيه. وعن ابن عباس لا يسمى أحد الرحمن غيره. ووجه آخر
هل تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل لأن التسمية على الباطل في كونها غير معتد
بها كلا تسمية. وقيل مثلا وشبيها أي إذا صح أن لا معبود يوجه إليه العبادة إلا هو
وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها. ويقول الإنسان يجوز أن يراد
بالإنسان الجنس بأسره وأن يراد بعض الجنس وهم الكفرة. فإن قلت لم جازت إرادة
الأناسي كلهم وكلهم غير قائلين ذلك. قلت لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو
من جنسهم صح إسناده إلى جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وإنما القاتل
رجل منهم. وقال الفرزدق: فسيف بني عبس وقد ضربوا به ... نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد
فقد أسند الضرب إلى بني عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة
العبسي. فإن قلت لم انتصب إذا وانتصابه بأخرج ممتنع لأجل اللام لا تقول اليوم لزيد قائم
قلت بفعل مضمر يدل عليه المذكور. فإن قلت لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى
الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال. قلت لم تجامعها إلا مخلصة للتوكيد كما أخلصت
الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف. وما في إذا ما للتوكيد أيضا فكأنهم
قالوا أحقا أنا سنخرج أحياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك.

على وجه

على وجه الاستنكار والاستبعاد والمراد الخروج من الأرض أو من حال الفناء أو هو من قولهم خرج
فلان عالما وخرج شجاعا إذا كان نادرا في ذلك يريد سأخرج حيا نادرا على سبيل الهزؤ وقرأ ابن ذكوان
أئذا ما مت لسوف أخرج. وعن طلحة بن مصرف لسأخرج كقراءة ابن مسعود. فإن قلت ما معنى تقديم
الظرف وإيلائه حرف الإنكار قلت معنى ذلك أن ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء إنكارهم
فهو كقولك للمسيء إلى المحسن أحين تمت عليك نعمة فلان أسأت إليه. أولا يذكر الواو عطفت لا يذكر على يقول
ووسطت همزة الإنكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني أيقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الأولى
حتى لا ينكر الأخرى فإن تلك أعجب وأغرب وأدل على قدرة الخالق حيث أخرج الجواهر والأعراض من العدم
إلى الوجود ثم أوقع التأليف مشحونا بضروب الحكم التي تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء
بمؤلف ولكن اختراعا وإبداعا من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته وأما الثانية فقد تقدمت
نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه وليس فيها إلا تأليف الأجزاء الموجودة الباقية وتركيبها
وردها إلى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله ولم يك شيئا دليل على هذا المعنى وكذلك
قوله وهو أهون عليه على أن رب العزة سواء عليه النشأتان لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل
ولا يحتاج إلى احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر في مقياس ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا
في نحره وكشفا عن صفحة جهله. وقرأ القراء كلهم لا يذكر بالتشديد إلا نافعا وابن عامر وعاصما
على أن الأصل يتذكر وقرأ أبي يتذكر. فوربك في إقسام الله باسمه تعالى مضافا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم تفخيم لشأن رسول الله ورفع منه كما رفع من شأن
السماء والأرض في قوله فورب السماء والأرض إنه لحق والواو في والشياطين يجوز أن تكون للعطف وبمعنى مع
وهي بمعنى مع أوقع والمعنى أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم يقرن كل كافر مع
شيطان في سلسلة. فإن قلت هذا إذا أريد بالإنسان الكفرة خاصة فإن أريد الأناسي على العموم
فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين. قلت إذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين
بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة. فإن قلت هلا عزل السعداء عن الأشقياء
في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء قلت لم يفرق بينهم وبينهم في المحشر وأحضروا حيث تجاثوا حول جهنم
وأوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الأحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة
إلى غبطة وسرورا إلى سرور ويشمتوا بأعداء الله وأعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم
من سعادة أولياء الله وشماتتهم بهم. فإن قلت ما معنى إحضارهم جثيا. قلت أما إذا فسر الإنسان
بالخصوص فالمعنى أنهم يقبلون من المحشر إلى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم
غير مشاة على أقدامهم وذلك أن أهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل أمة جاثية على العادة
المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي أهلها على الركب لما في ذلك من الاستيفاز والقلق
وإطلاق الحبا وخلاف الطمأنينة أو لما يدهمهم من شدة الأمر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم
فيجثون على ركبهم جثوا. وإن فسر بالعموم فالمعنى أنهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على أن جثيا
حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين لأنه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل إلى الثواب والعقاب.
المراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفتية الطائفة التي شاعت أي تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى
إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا. يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد أعصاهم
فأعصاهم وأعتاهم فأعتاهم فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم أو أراد
بالذين هم أولى بها صليا المنتزعين كما هم كأنه قال ثم لنحن أعلم بتصلية هؤلاء وهم أولى بالصلي من بين
سائر الصالين ودركاتهم أسفل وعذابهم أشد. ويجوز أن يريد بأشدهم عتيا رؤساء الشيع
وأئمتهم لتضاعف جرمهم لكونهم ضلالا ومضلين قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم
عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم. واختلف في إعراب أيهم
أشد فعن الخليل أنه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد وسيبويه على أنه مبني
على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لأعرب وقيل أيهم هو أشد. ويجوز أن يكون
النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا أي لننزعن بعض كل شيعة فكأن قائلا
قال من هم فقيل أيهم أشد عتيا. وأيهم أشد بالنصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ بن مسلم
الهراء أستاذ الفراء. فإن قلت بم يتعلق على والباء فإن تعلقهما بالمصدرين لا سبيل إليه. قلت هما
للبيان لا للصلة أو يتعلقان بأفعل أي عتوهم أشد على الرحمن وصليهم أولى بالنار كقولهم هو أشد
على خصمه وهو أولى بكذا. وإن منكم التفات إلى الإنسان يعضده قراءة ابن عباس وعكرمة وإن منهم.
أو خطاب للناس من غير التفات إلى المذكور فإن أريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهي
خامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم. عن ابن عباس يردونها كأنها إهالة وروي دواية
وعن جابر بن عبد الله أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد
وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة. وعنه رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية
فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين
بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجا من بردها. وأما قوله أولئك عنها مبعدون فالمراد
عن عذابها. وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لأن الصراط ممدود عليها. وعن
ابن عباس قد يرد الشيء الشيء ولم يدخله كقوله ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة البلد
وإن لم تدخله ولكن قربت منه. وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام
الحمى من فيح جهنم. وفي الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار. ويجوز أن يراد بالورود ج

حنوصم حولها وان اريد الكفار خاصة فالمعنى بيّن الحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه فسمى به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الامير اى كان ورودهم واجبا على الله اوجبه على نفسه وقضى به وعزم
على ان لا يكون غيره وقرئ ننجّي وننجي على ما لم يسم فاعله ان اريد الجنس باسره فهو ظاهر وان
اريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجي الذين اتقوا ان المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود
الكفار لا انهم يواردونهم ثم يتخلصون وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس والجحدري وابن ابي ليلى ثَمّ
ننجي بفتح الثاء اى هناك وقوله ونذر الظالمين فيها جثيا دليل على ان المراد بالورود الجثو
حواليها وان المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الكفرة في مكانهم جاثين بينات
مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني مبينات المقاصد اما محكمات او متشابهات قد تبعها البيان
بالمحكمات او بتبيين الرسول قولا او فعلا او ظاهرات الاعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها
او حججا وبراهين والوجه ان تكون حالا مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا لان آيات الله لا تكون
الا واضحة وحججا للذين آمنوا يحتمل انهم يناطقون المؤمنين بذلك ويواجهونهم به وانهم
يفوهون به لاجلهم وفي معناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا
اليه قرأ ابن كثير مُقاما بالضم وهو موضع الاقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع
القيام والمراد المكان والموضع والندي المجلس ومجتمع القوم وحيث ينتدون والمعنى
انهم اذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا قالوا ذلك عيارا على الفقر
والنقص والرثة والضعف وتركوا انهم كانوا يرجّلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون
ويتزينون بالزين الفاخرة ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله منهم
(١) كم مفعول اهلكنا ومن للتبيين لا ابهامها اى كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن
لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم وهم احسن في محل النصب صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم
لم يكن لك بد من نصب احسن على الوصفية الاثاث متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش
والخرثي ما لبس منها وانشد الحسن بن علي الطوسي تقادم العهد من ام الوليد بنا دهرا وصار اثاث البيت خرثيا
وفي هذه خمسة اوجه رئيا وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت وريّا على القلب كقولهم
راء في رأى وريا على قلب الهمزة ياء والادغام او من الري وهو النعمة والترفه من قولهم ريان من النعيم
وزيا على حذف الهمزة رأسا ووجهه ان يخفف المقلوب وهو رئيا بحذف همزته والقائه حركتها على الياء
الساكنة قبلها وزيا واشتقاقه من الزي وهو الجمع لان الزي محاسن مجموعة والمعنى احسن من هؤلاء فليمدد له
الرحمن يعني امهله واملى له في العمر فاخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمامور
به الممتثل ليقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيامة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او كقوله
انما نملي لهم ليزدادوا اثما او من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن في معنى الدعاء بان يمهله الله وينفس
في مدة حياته في هذه الآية وجهان احدهما ان تكون متصلة بالآية التي هي رابعتها والآيتان
اعتراض بينهما اى قالوا اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا حتى اذا رأوا ما يوعدون اى لا يبرحون
يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه ان يشاهدوا الموعود رأي عين اما العذاب
في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم في الدنيا وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واظهار الله دينه
على الدين كله على ايديهم واما يوم القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة
ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف جندا لا خير مقاما واحسن نديا وان المؤمنين
على خلاف صفتهم والثاني ان تتصل بما يليها والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم
والخذلان لاصق بهم لعلم الله بهم وبان الالطاف لا تنفع فيهم وليسوا من اهلها والمراد
بالضلالة ما دعاهم من جهلهم وغلوهم في كفرهم الى القول الذي قالوه لا ينفكون عن ضلالتهم
الى ان يعاينوا نصرة الله المؤمنين او يشاهدوا الساعة ومقدماتها فان قلت حتى هذه ما هي قلت
هي التي تحكى بعدها الجمل الا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله اذا رأوا ما يوعدون
فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا في مقابلة خير مقاما واحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم
ومسكنهم والندي المجلس الجامع لوجوه قومهم واعوانهم وانصارهم والجند هم الانصار والاعوان
(١) ويزيد معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة مد او يمد له الرحمن
ويزيد اى يزيد في ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه الباقيات الصالحات
اعمال الآخرة كلها وقيل الصلوات وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اى هي خير ثوابا
من مفاخرات الكفار وخير مردا اى مرجعا وعاقبة او منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد وهل
يرد بكائي زندا فان قلت كيف قيل خير ثوابا كأن لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه قلت
كأنه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم وقوله شجعاء جربها الذميل
تلوكه اصلا اذا راح المطي غراثا وقوله تحية بينهم ضرب وجيع ثم بني عليه خير ثوابا
وفيه ضرب من التهكم الذي هو اغيظ للمتهدد من ان يقال له عقابك النار فان قلت فما وجه التفضيل في الخير
كأن لمفاخرهم شركا فيه قلت هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف احر من الشتاء اى ابلغ
في حره من الشتاء في برده لما كانت مشاهدة الاشياء ورؤيتها طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر عنها
استعملوا أرأيت في معنى اخبر والفاء جاءت لافادة معناها الذي هو التعقيب كانه قال اخبر ايضا
بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث اولئك اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى
الى اعلاه وطلع الثنية قال جرير لاقيت مطلع الجبال وعورا ويقولون مر مطلعا لذلك الامر
اى عاليا مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شأن يقول او قد بلغ من عظمة شأنه ان ارتقى الى علم الغيب

واما عهد الذي توحد به الواحد القهار والمعنى ما ادعى ان يؤتاه وتالى عليه لا يتوصل اليه الا باحد
الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فبايهما توصل الى ذلك وفي حمزة والكسائي ولْدا وهو جمع
ولد كاسد في اسد او بمعنى الولد كالعرب في العرب وعن يحيى بن يعمر وِلدا بالكسر وقيل في العهد
كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبي هل عهد
الله اليه انه يؤتيه ذلك عن الحسن نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور انها في العاص بن وائل
قال خباب بن الارت كان لي على العاص بن وائل دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا اكفر
بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فاني اذا مت بعثت قال نعم قال فاذا بعثت جئتني وسيكون
لي ثم مال وولد فاعطيك وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون
انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فاني اوتى مالا وولدا حينئذ
كلا ردع وتنبيه على الخطأ اى هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه فان قلت كيف قيل
سنكتب بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد قلت فيه وجهان احدهما سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة
اى تبين وعلم بالانتساب اني لست بابن لئيمة والثاني ان المتوعد يقول للجاني سوف انتقم
منك يعني انه لا يخل بالانتصاف وان تطاول به الزمان واستأخر فجرد ههنا لمعنى الوعيد ونمد له من
العذاب اى نطول له من العذاب ما يستأهله ونعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزؤون
او نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مده وامده بمعنى ويدل عليه قراءة علي بن ابي طالب
ونمد له بالضم واكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله نعوذ به من التعرض لما نستوجب به غضبه
ونرثه ما يقول اى نزوي عنه ما زعم انه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى مسمى ما يقول
ومعنى ما يقول وهو المال والولد يقول الرجل انا املك كذا فتقول له ولي فوق ما تقول ويحتمل
انه قد تمنى وطمع ان يؤتيه الله في الدنيا مالا وولدا وبلغت به اشعبيته ان تألى
على ذلك في قوله لأوتين لانه جواب قسم مضمر ومن يتأل على الله يكذبه فيقول الله عز وعلا هب انا
اعطيناه ما اشتهاه اما نرثه منه في العاقبة ويأتينا فردا غدا بلا مال ولا ولد كقوله عز وجل ولقد جئتمونا
فرادى الآية فما يجدي عليه تمنيه وتأليه ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه
حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل له او لا ينسى قوله هذا ولا يلغيه
بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال
والولد لم نوله سؤله ولم نؤته متمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه
فردا على الوجه الاول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء في اثباته فردا حين يأتي
ثم يتفاوتون بعد ذلك اى ليتعززوا بآلهتهم حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وانصارا ينقذونهم
من العذاب كلا ردع لهم وانكار لتعززهم بالآلهة وقرأ ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم كقوله
زيدا مررت بغلامه وفي محتسب ابن جني كَلًّا بفتح الكاف والتنوين وزعم ان معناه كل هذا الرأي
والاعتقاد كلا ولقائل ان يقول ان صحت هذه الرواية فهي كلا التي للردع قلب الواقف عليها
الفها نونا كما في قواريرا والضمير في سيكفرون للآلهة اى سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما
عبدتمونا وانتم كاذبون قال الله تعالى واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا
الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون او للمشركين اى ينكرون لسوء العاقبة
ان يكونوا قد عبدوها قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين
فان المعنى ويكونون عليهم ضدا اى اعداء وخصماء يعبدونها الا ان والعز
ولا تستغزه اخوات ومعناها التهييج وشدة الازعاج اى تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس
والتسويلات والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرا والمراد
تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة المردة من الكفار واقاويلهم وملاحتهم
ومعاندتهم للرسل واستهزاءهم بالدين من تماديهم في الغي وافراطهم في العناد وتصميمهم على الكفر
واجماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسول
لهم عجلت عليه بكذا اذا استعجلته منه اى لا تعجل عليهم بان يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح انت والمسلمون
من شرورهم وتطهر الارض بقطع دابرهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة
وانفاس معدودة كأنها في سرعة تقضيها الساعة التي تعدّ فيها لو عدّت ونحوه قوله تعالى
ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه كان اذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد دخول قبرك
وعن ابن السماك انه كان عند المأمون فقرأها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها
مدد فما اسرع ما تنفد (٥) نصب يوم بمضمر اى يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف
او اذكر يوم نحشر ويجوز ان ينتصب بلا يملكون ذكر المتقين بلفظ التبجيل وهو انهم يجمعون
الى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته كما تفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة
عندهم وعن علي رضي الله عنه ما يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب
سروجها ياقوت وذكر الكافرين بانهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش
تساق الى الماء والورد العطاش لان من يرد الماء لا يرده الا العطش وحقيقة الورد المسير
الى الماء قال ردي ردي ورد قطاة صما كدرية اعجبها برد الماء فسمى به الواردون وقرئ
يحشر المتقون ويساق المجرمون الواو في لا يملكون ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين
والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز ان تكون علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ
لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل او على الفاعلية والمراد لا يملكون ان يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان

والعمل وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ عند كل صباح ومسا
عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول عند كل صباح ومسا اللهم فاطر السموات والارض
عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا
عبدك ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك
فاجعل لي عهدا توفينيه يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع
ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيمة نادى مناد اين الذين لهم عند الله عهد فيدخلون
الجنة وقيل كلمة الشهادة ويكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به اي لا يشفع الا
المامور بالشفاعة المأذون له فيها وتعضده مواضع في التنزيل وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم
شيا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشا ويرضى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له لا تنفع
الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا * قرى ادا بالكسر والفتح قال ابن خالويه الاد
والادة العجب وقيل العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر وادني اثقلني وعظم علي
ادا * يكاد قراه الكسائي ونافع بالياء وقرى ينفطرن الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره
اذا شققه وكرر الفعل فيه وفي قراة ابن مسعود ينصدعن اي تهد هدا او مهدودة او مفعول له لانها تهد
فان قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات
قلت فيه وجهان احدهما ان الله سبحانه يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود
هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري واني لا اعجل بالعقوبة كما قال ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا والثاني ان يكون
استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لاركانه وقواعده وان مثال
ذلك الاثر في المحسوسات ان يصيب هذه الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر
وفي قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل
عليهم بالجراة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا * في ان دعوا ثلاثة اوجه
ان يكون مجرورا بدلا من الهاء في منه كقوله * على حالة لو ان في القوم حاتما * على جوده لضن بالماء حاتم *
ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل اي هدا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء
الولد للرحمن ومرفوعا بانه فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وفي اختصاص الرحمن وتكريره
مرات من الفايدة انه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل ان اصول النعم وفروعها منه
خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما عندك
عطاؤه فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن
هو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين فاقتصر على احدهما الذي هو الثاني طلبا للعموم والاحاطة
بكل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله عليه السلام من ادعى الى غير مواليه
وقول الشاعر * انا بني نهشل لا ندعي لاب * اي لا ننتسب اليه * انبغى مطاوع بغى اذا طلب اي
ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلا لانه محال غير داخل تحت الصحة اما الولادة
المعروفة فلا مقال في استحالتها واما التبني فلا يكون الا فيما هو من جنس المتبني وليس للقديم
سبحانه جنس تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا من موصوفة لانها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب
في قوله * رب من انضجت غيظا صدره * وقرأ ابن مسعود وابو حيوة آت الرحمن على اصله
قبل الاضافة لقد احصاهم حصرهم وضبطهم بعلمه واحاط بهم وعدهم عدا الذين اعتقدوا في
الملائكة وعيسى وعزير انهم اولاد الله كانوا بين كفرين احدهما القول بان الرحمن يصح ان يكون والدا
والثاني اشراك الذين زعموهم لله اولادا في عبادته كما يخدم الناس ابناء الملوك خدمتهم
لابايهم فهدم الله الكفر الاول فيما تقدم من الايات ثم عقبه بهدم الكفر الاخر والمعنى
ما من معبود لهم في السموات والارض من الملائكة والناس الا وهو ياتي الرحمن اي ياوي اليه
ويلتجي الى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا خاشعا خاشيا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعي
لنفسه ما يدعيه له هولاء الضلال ونحوه قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكلهم متقلبون في ملكوته مقهورون
بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل امورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته
شي من احوالهم وكل واحد منهم ياتيه يوم القيمة منفردا ليس معه من هولاء المشركين احد وهم
براء منهم * قرأ جناح ابن حبيش ودا بالكسر والمعنى سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها
لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للاسباب التي يكتسب بها الناس مودات القلوب من
قرابة او صداقة او اصطناع بمبرة او غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا
منه لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف في قلوب اعدائهم الرعب والهيبة اعظاما لهم
واجلالا لمكانهم والسين اما لان السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين
بين الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا دجا الاسلام واما ان يكون ذلك يوم القيمة يحببهم
الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان اعمالهم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه
يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فانزل الله هذه
الاية وعن ابن عباس يعني يحبهم الله ويحببهم اليه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل
يا جبريل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السموات ان الله قد احب فلانا
فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يضع له المحبة في الارض وعن قتادة ما اقبل العبد الى الله
الا اقبل الله بقلوب العباد اليه هذه خاتمة السورة ومقطعها فكانه قال بلغ هذا المنزل
او بشر به وانذر فانما يسرناه بلسانك اي بلغتك وهو اللسان العربي المبين وسهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر

والله

والله الالداء الخصومة بالباطل الآخذون في كل لديد اي في كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم يريد اهل مكة
وقوله وكم اهلكنا تخويف لهم وانذار * وقرى تحس من احسه اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات وقرى
تسمع مضارع اسمعت والركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض
والركاز المدفون * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب
زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وهرون واسمعيل وادريس
وعشر حسنات بعدد من دعا الله في الدنيا وبعدد من لم يدع الله عز وجل

سورة طه مكية وهي مائة و[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم * ابو عمرو فخم الطاء لاستعلائها وامال الهاء وفخمهما ابن كثير وابن عامر
على الاصل والباقون اما لوهما * وعن الحسن طه وفسر بانه امر بالوطء وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده
على احدى رجليه فامر بان يطا الارض بقدميه معا وان الاصل طا فقلبت همزته هاء او قلبت الفا في يطا فيمن قال
لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر والهاء للسكت ويجوز ان يكتفي بشطري الاسمين وهما الدالان بلفظهما
على المسميين والله اعلم بصحة ما يقال ان طاها في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا في يا هذا
كانهم في لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا في يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها واثر الصنعة ظاهر لا يخفى
في البيت المستشهد به وهو * ان السفاهة طاها في خلايقكم * لا قدس الله اخلاق الملاعين * والاقوال
الثلاثة في الفواتح اعني التي قدمتها في اول الكاشف عن حقايق التنزيل هي التي يعول عليها الالباء المتقنون
ما انزلنا ان جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما
للسورة احتملت ان تكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدا والقران ظاهر اوقع موقع الضمير لانها قران وان
يكون جوابا لها وهي قسم وقرى ما نزل عليك القران لتشقى لتتعب بفرط تاسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك
على ان يؤمنوا كقوله لعلك باخع نفسك والشقاء يجي في معنى التعب ومنه المثل اتعب من رايض مهر واشقى
من رايض مهر اي ما عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك ان يؤمنوا لا محالة بعد ان لم تفرط في اداء الرسالة
والموعظة الحسنة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا له انك شقي لانك تركت دين ابايك فاريد رد ذلك
بان دين الاسلام وهذا القران هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو
الشقاوة بعينها وروي انه عليه السلام صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك
حقا اي ما انزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وكل
واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا ان الاول وجب مجيه مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته
شرايط الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرايط فان قلت اما يجوز
ان تقول ما انزلنا عليك القران ان تشقى كقوله ان تحبط اعمالكم قلت بلى ولكنها نصبة طارية كالنصبة
في واختار موسى قومه واما النصبة في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لانه احد المفاعيل الخمسة التي هي اصول
وقوانين لغيرها فان قلت هل يجوز ان يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى قلت لا لاختلاف الجنسين ولكنها
نصب على الاستثناء المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن ويحتمل ان يكون المعنى انا انزلنا عليك القران لتحمل
متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من اعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من انواع المشاق وتكاليف
النبوة وما انزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز ان تكون تذكرة حالا
ومفعولا له لمن يخشى لمن يؤول امره الى الخشية ولمن يعلم الله منه انه يبدل بالكفر ايمانا وبالقسوة خشية
في نصب تنزيلا وجوه ان يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا جعل مفعولا له لان الشي لا يعلل بنفسه
وان ينصب بنزل مضمرا وان ينصب بانزلنا لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة وان ينصب
على المدح والاختصاص وان ينصب بيخشى مفعولا له اي انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى
حسن واعراب بين وقرى تنزيل بالرفع على خبر مبتدا محذوف ما بعد تنزيلا الى قوله له الاسماء الحسنى
تعظيم وتفخيم لشان المنزل لنسبته الى من هذه افعاله وصفاته ولا يخلو من ان يكون متعلقه اما
تنزيلا نفسه فيقع صلة له واما محذوفا فيقع صفة له فان قلت ما فايدة النقلة من لفظ المتكلم الى لفظ الغايب
قلت غير واحدة منها عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ومنها ان هذه الصفات
انما تسردت مع لفظ الغيبة ومنها انه قال اولا انزلنا ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى
بالنسبة الى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين ويجوز ان يكون انزلنا
حكاية لكلام جبريل والملايكة النازلين معه وصف السموات العلى دلالة على عظم قدرة من يخلق
مثلها في علوها وبعد مرتقاها قرى الرحمن مجرورا صفة لمن خلق والرفع احسن لانه اما ان يكون
رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن واما ان يكون مبتدا مشارا بلامه الى من خلق فان قلت الجملة التي
هي على العرش استوى ما محلها اذا جررت الرحمن او رفعته على المدح قلت اذا جررت فهي خبر مبتدا محذوف
لا غير وان رفعت جاز ان تكون مع الرحمن خبرين للمبتدا لما كان الاستواء على العرش
وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم
يقعد على السرير البتة وقالوه ايضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وان كان اشرح وابسط
وادل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى انه جواد وبخيل
لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال او من لم تكن له يد راسا قيل
فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم جواد ومنه قول الله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة
اي هو بخيل بل يداه مبسوطتان اي هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتفسير بالنعمة

والنجم الملتفية من ضيق العطن والمسافة عن علم البيان مشبهة اعوامره ما تحت الثرى ما تحت سبع الارضين
عن محمد ابن كعب وعن السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة اي يعلم ما اسررته الى غيرك
واخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك او ما اسررته في نفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيها وعن
بعضهم ان اخفى فعل يعني انه يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم ولا يحيطون به علما وليس بذاك فان قلت كيف طابق الجزاء الشرط قلت معناه ان
تجهر بذكر الله من دعا او غيره فاعلم انه غني عن جهرك فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر
ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله
وانما هو لغرض اخر الحسنى تانيث الاحسن وصفت بها الاسما لان حكمها حكم المؤنث كقولك الجماعة
الحسنى ومثلها مارب اخرى ومن اياتنا الكبرى والذي فضلت به اسماوه في الحسن سائر الاسما
دلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن
قفاه بقصة موسى عليه السلام ليتاسى به في تحمل اعبا النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة
الشدايد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود يجوز ان ينتصب اذ ظرفا للحديث لانه حدث
او لمضمر اي حين راى نارا كان كيت وكيت او مفعولا لاذكر استاذن موسى شعيبا عليهما السلام في الخروج
الى امه وخرج باهله فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت
ماشيته ولا ما عنده وقدح فصلد زنده فراى النار عند ذلك قيل كانت ليلة جمعة امكثوا اقيموا
في مكانكم الايناس الابصار البين الذي لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشي والانس
لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو ابصار ما يونس به لما وجد منه الايناس فكان مقطوعا
متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين
بنى الامر فيهما على الرجا والطمع وقال لعلي ولم يقطع فيقول اني اتيكم لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفا به
القبس النار المقتبسة في راس عود او فتيلة او غيرهما ومنه قيل المقبسة لما يقتبس فيه من سعفة
او نحوها هدى اي قوما يهدونني الطريق او ينفعونني بهداهم في ابواب الدين عن مجاهد وقتادة وذلك
ان افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية في جميع احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوي هدى او
اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى الاستعلا في على النار ان اهل النار يستعلون المكان
القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد او لان المصطلين بها
والمستمتعين اذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه قول الاعشى وبات على النار الندى والمحلق
قرى ابو عمرو وابن كثير اني بالفتح اي نودي باني انا ربك وكسر الباقون اي نودي فقيل يا موسى او لان النداء
ضرب من القول فعومل معاملته تكرير الضمير في اني انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة
الشبهة روي انه لما نودي يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل اني انا ربك وان ابليس
وسوس اليه لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع الجهات
وبجميع اعضاي وروي انه نودي يا موسى حين انتهى راى شجرة خضرا من اسفلها الى اعلاها
كانها نار بيضا تتقد وسمع تسبيح الملائكة وراى نورا عظيما فخاف وبهت فالقيت عليه السكينة
ثم نودي وكانت الشجرة عوسجة وروي كلما دنا او بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت
وعن ابن اسحق لما دنا استاخرت عنه فلما راى ذلك رجع واوجس في نفسه خيفة فلما اراد الرجعة
دنت منه ثم كلم قيل اخلع نعليك لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدي وقتادة
وقيل ليباشر الوادي بقدميه متبركا به وقيل لان الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف
بالكعبة حافين ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا ندر منه الدخول منتعلا
تصدق والقران يدل على ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها وروي
انه خلع نعليه والقاهما من ورا الوادي طوى بالضم والكسر منصرف وغير منصرف بتاويل المكان
والبقعة وقيل مرتين نحو ثنى اي نودي نداءين او قدس الوادي كرة بعد كرة اخترتك اصطفيتك للنبوة
وقرى حمزة وانا اخترناك لما يوحى للذي يوحى تعلق اللام باستمع او باخترتك لذكري لتذكرني فان ذكري
ان اعبد ويصلى لي او لتذكرني فيها لاشتمال الصلوة على الاذكار عن مجاهد او لاني ذكرتها في الكتب
وامرت بها او لان اذكرك بالمدح والثنا واجعل لك لسان صدق او لذكري خاصة لا تشوبه بذكر
غيري او لاخلاص ذكري وطلب وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا اخر او لتكون لي ذاكرا غير ناس
فعل المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وافكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله او لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة لقوله ان الصلوة كانت على المومنين
كتابا موقوتا واللام مثلها في قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك لست ليال خلون وقوله تعالى يا ليتني
قدمت لحياتي وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها من قوله عليه السلام من نام عن صلاة او نسيها فليصلها
اذا ذكرها وكان حق العبارة ان يقال لذكرها كما قال رسول الله صلعم اذا ذكرها ومن يتمحل له يقول اذا
ذكر الصلوة فقد ذكر الله او بتقدير حذف المضاف اي لذكر صلاتي او لان الذكر والنسيان من الله عز وجل
في الحقيقة وقرا رسول الله صلعم للذكرى اي اكاد اخفيها فلا اقول هي اتية لفرط ارادتي اخفاها ولولا
ما في الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما اخبرت به وقيل معناه اكاد اخفيها من نفسي ولا
دليل في الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه ان في مصحف ابي اكاد اخفيها

من نفسي

اي عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني ان صد الكافر

من نفسي وفي بعض المصاحف اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها وعن ابي الدردا وسعيد بن جبير
اخفيها بالفتح من خفاه اذا اظهره اي قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة وقد جا في بعض اللغات
اخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس فان تدفنوا الدا لا نخفه وان تبعثوا الحرب لا نقعد
اي فاكاد اخفيها محتمل للمعنيين لتجزى متعلق باتية فلا يصدنك اي لا يصدنك عن تصديقها والضمير
للقيمة ويجوز ان يكون للصلوة فان قلت العبارة لنهي من لا يومن عن صد موسى والمقصود نهي موسى عن التكذيب
بالبعث او امره بالتصديق فكيف صحت هذه العبارة لادا هذا المقصود قلت فيه وجهان
احدهما ان صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب دليلا على السبب
كانه قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث انه يطمع في صدك
عما انت عليه يعني ان من لا يومن بالاخرة هم الجم الغفير اذ لا شي اطم على الكفرة ولا هم اشد له
نكيرا من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم ولا عظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك
واعلم انهم وان كثروا تلك الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره
وفي هذا حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وانذار بان الهلاك والردى
مع التقليد واهله تلك بيمينك كقوله وهذا بعلي شيخا في انتصاب الحال بمعنى الاشارة ويجوز
ان تكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك انما ساله ليريه عظم ما يخترعه عز وعلا في الخشبة اليابسة
من قلبها حية نضناضة وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وينبهه على
قدرته الباهرة ونظيره ان يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هي فتقول زبرة حديد ثم يريك
بعد ايام لبوسا مسردا فيقول لك هي تلك الزبرة صيرتها الى ما ترى من عجيب الصنعة وانيق السرد
وقرى ابن ابي اسحق عصي على لغة هذيل ومثله يا بشرى ارادوا كسر ما قبل يا المتكلم فلم يقدروا عليه
فقلبوا الالف الى اخت الكسرة وفي قراءة الحسن عصاي بالكسر لالتقا الساكنين وهو مثل قراءة حمزة بمصرخي
وعن ابن ابي اسحق سكون اليا اتوكا عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على راس القطيع وعند الطفرة
هش الورق خبطه اي اخبطه على رؤوس غنمي تاكله وعن لقمان بن عاد اكلت حقا وابن لبون وجذع
وهشة ينحت وسيلا دفع والحمد لله من غير شبع وبحث واحد ترتب من اللطايف كثيرا لسد
وفي قراءة النخعي اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا كان يتكسر لهشاشته وعن عكرمة اهس
بالسين اي انحي عليها زاجرا لها والهس زجر الغنم ذكر على التفصيل والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا
كانه احس بما يعقب هذا السوال من امر عظيم يحدثه الله تعالى فقال ما هي الا عصا لا تنفع الا منافع بنات
جنسها وكما تنفع العيدان ليكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز ان
يريد عز وجل ان يعدد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يريه على عقب ذلك
الاية العظيمة كانه يقول اين انت عن هذه المنفعة العظمى والماربة الكبرى المنسية عندها
كل منفعة وماربة كنت تعتد بها وتحتفل بشانها وقالوا انما ساله ليبسط منه ويقلل هيبته وقالوا
انما اجمل موسى ليساله عن تلك المارب فيزيد في اكرامه وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فاجمل وقالوا اسم
العصا نبعة وقيل في المارب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا طلب كسره
لواه بالشعبتين واذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها
واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكسا واستظل واذا قصر رشاه
وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات انه كان يستقي بها فتطول
بطول البير وتصير شعبتاها دلوا ويكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا
اشتهى ثمرة ركزها فاورقت واثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الما
فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام السعي المشي بسرعة وخفة حركة فان قلت كيف ذكرت
بالفاظ مختلفة بالحية والجان والثعبان قلت اما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير
والكبير واما الثعبان والجان فبينهما تناف لان الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفي ذلك
وجهان احدهما انها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفرا دقيقة ثم تتورم ويتزايد جرمها
حتى تصير ثعبانا فاريد بالجان اول حالها وبالثعبان مالها والثاني انها كانت في شخص الثعبان
وسرعة حركة الجان والدليل عليه قوله فلما راها تهتز كانها جان وقيل كان لها عرف كعرف الفرس
وقيل كان بين لحييها اربعون ذراعا لما راى ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك
البشر عند الاهوال والمخاوف وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر فلما راه
يبتلع كل شي خاف ونفر وعن بعضهم انما خافها لانه عرف ما لقي ادم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف
بلغ من ذهاب خوفه وطمانينة نفسه ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها السيرة من السير
كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة
وقيل سير الاولين فيجوز ان ينتصب على الظرف اي سنعيدها في طريقتها الاولى اي في حال ما كانت عصا
وان يكون اعاد منقولا من عاده بمعنى عاد اليه ومنه بيت زهير وعادك ان تلاقيها عدا فيتعدى
الى مفعولين ووجه ثالث حسن وهو ان يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى
انها انشئت اول ما انشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد الذهاب
كما انشاناها اولا ونصب سيرتها بفعل مضمر اي تسير سيرتها الاولى يعني سنعيدها سايرة سيرتها

واضمم الى جناحك

الاولى حيث كنت تتوكأ عليها وتكشنها المآرب التي عرفتها • قيل لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر لجنبتيه وجناحا الانسان لجنبيه جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران • والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج ◎ السوء الرداءة والقبح في كل شيء فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوأة وكان جذيمة صاحب الزباء ابرص فكنوا عنه بالابرش والبرص ابغض شيء الى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة واسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا بان يكنى عنه • ولا ترى احسن ولا الطف ولا احز للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه • يروى انه كان آدم فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشي البصر ◎ بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء • وفي نصب آية وجه آخر وهو ان يكون باضمار نحو خذ ودونك وما اشبه ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف لنريك اي خذ هذه الآية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى او لنريك بهما الكبرى من آياتنا او لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك ◎ لما امره بالذهاب الى فرعون الطاغي لعنه الله عرف انه كلف امرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله الا ذو جاش رابط وصدر فسيح فاستوهب ربه ان يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا ◎ يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات • وان يسهل عليه في الجملة امره الذي هو خلافة الله في ارضه وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب • فان قلت لي في قوله اشرح لي صدري ويسر لي امري ما جدواه والكلام بدونه مستتب قلت قد ابهم الكلام اولا فقيل اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وامره من ان يقول اشرح صدري ويسر امري على الايضاح الساذج لانه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الاجمال والتفصيل ◎ عن ابن عباس كان في لسانه رتة لما روي في حديث الجمرة • ويروى ان يده احترقت وان فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ فلما دعاه قال الى اي رب تدعوني • قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنها • وعن بعضهم انما لم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المواكلة • واختلف في زوال العقدة بكمالها فقيل بقي بعضها لقوله واخي هرون هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين وكان في لسان الحسين بن علي رضي الله عنهما رتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من عمه موسى • وقيل زالت لقوله قد اوتيت سؤلك • وفي تنكير العقدة وانه لم يقل واحلل عقدة لساني انه طلب حل بعضها ارادة ان يفقهوا عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لساني صفة للعقدة كانه قيل عقدة من عقد لساني ◎ الوزير من الوزر لانه يتحمل عن الملك اوزاره ومؤنه او من الوزر لان الملك يعتصم برايه ويلجئ اليه اموره او من الموازرة وهي المعاونة عن الاصمعي قال وكان القياس ازيرا فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها ان فعيلا جاء في معنى مفاعل مجيئا صالحا كقولهم عشير وجليس وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلبت في اخيه قلبت فيه وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز ونظرا الى يوازر واخواته والى الموازرة ◎ وزيرا وهرون مفعولا قوله اجعل قدم ثانيهما على اولهما عناية بامر الوزارة • او لي وزيرا مفعولاه وهرون عطف بيان آخر للوزير واخي في بدل من هرون وان جعل عطف بيان آخر جاز وحسن ◎ قرأوا جميعا اشدد • واشركه على الدعاء • وابن عامر وحده اشدد واشركه على الجواب • وفي مصحف ابن مسعود اخي واشدد به • وعن ابي بن كعب اشركه في امري واشدد به ازري • ويجوز فيمن قرأ على لفظ الامر ان يجعل اخي مرفوعا على الابتداء واشدد به خبره ويوقف على هرون ◎ الازر القوة وازره قواه • اي اجعله شريكي في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك فان التعاون يهيج الرغبات ويتزايد به الخير ويتكاثر ◎ انك كنت بنا بصيرا اي عالما باحوالنا وبان التعاون مما يصلحنا وان هرون نعم المعين والشاد لعضدي بانه اكبر مني سنا وافصح مني لسانا ◎ السؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز واكل بمعنى مأكول ◎ الوحي الى ام موسى اما ان يكون على لسان نبي في وقتها كقوله واذ اوحيت الى الحواريين او يبعث اليها ملكا لا على وجه النبوة كما بعث الى مريم او يريها ذلك في المنام فتتنبه عليه او يلهمها كقوله واوحى ربك الى النحل اي اوحينا اليها امرا لا سبيل الى التوصل اليه ولا الى العلم به الا بالوحي وفيه مصلحة دينية فوجب ان يوحى ولا يخل به اي هو مما يوحى لا محالة وهو امر عظيم مثله يحق بان يوحى ◎ ان هي المفسرة لان الوحي بمعنى القول ◎ القذف مستعمل في معنى الالقاء والوضع فيه ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي قال * غلام رماه الله بالحسن يافعا * اي حصل فيه الحسن ووضعه فيه • والضمائر كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدي اليه من تنافر النظم • فان قلت المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل قلت ما ضرك لو قلت المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو ام اعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته اهم ما يجب على المفسر ◎ لما كانت مشيئة الله وارادته ان لا تخطئ جرية ماء اليم الوصول به الى الساحل والقاءه اليه سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كانه ذو تمييز امر بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل • روي انها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم القته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على راس بركة مع آسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك ان يصبر عنه • وظاهر اللفظ ان البحر القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله اي يقشره

ويجوز ان يكون قد القاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم اداه النهر الى البركة ◎ مني لا يخلو اما ان يتعلق بالقيت فيكون المعنى على اني احببتك ومن احبه الله احبته القلوب • واما ان يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة اي محبة خالصة او واقعة مني قد ركزتها انا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك احبك فرعون وكل من ابصرك • روي انه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه ◎ لتصنع لتربى ويحسن اليك وانا مراعيك ومراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينه اذا اعتنى به وتقول للصانع اصنع هذا على عيني انظر اليك لئلا تخالف به عن مرادي وبغيتي ◎ ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك وترأم ونحوه • او حذف معلله اي ولتصنع فعلت ذلك • وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر • وقرئ ولتصنع بفتح التاء والنصب اي وليكون عملك وتصرفك على عين مني ◎ العامل في اذ تمشي القيت او تصنع • ويجوز ان يكون بدلا من اذ اوحينا • فان قلت كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان قلت كما يصح وان اتسع الوقت وتباعد طرفاه ان يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو في اولها وانت في آخرها • يروى ان اخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وذلك انه لا يقبل ثدي امرأة فقالت هل ادلكم فجاءت بالام فقبل ثديها • ويروى ان آسية استوهبته من فرعون وتبنته وهي التي اشفقت عليه وطلبت له المراضع ◎ هي نفس القبطي الذي استغاثه الاسرائيلي وهو ابن اثنتي عشرة سنة اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر له باستغفاره حين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون ان ينشب فيه اظفاره حين هاجر به الى مدين ◎ فتونا يجوز ان يكون مصدرا على فعول في المتعدي كالثبور والشكور والكفور وجمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بتاء التانيث كحجوز وبدور في حجزة وبدرة اي فتناك ضروبا من الفتن ◎ سأل سعيد بن جبير ابن عباس فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله • وقتل قبطيا • وآجر نفسه عشر سنين • وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير • والفتنة المحنة وكل ما يشق على الانسان وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة ◎ مدين على ثماني مراحل من مصر • وعن وهب انه لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة منها مهر ابنته عشر وقضى اوفى الاجلين ◎ اي سبق في قضائي وقدري ان اكلمك واستنبئك في وقت بعينه قد وقته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر • وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء وهو راس اربعين سنة ◎ هذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكريم والتكليم مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه وخصائص اهلا لئلا يكون احد اقرب منزلة منه اليه ولا الطف محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر ولا يسمع الا بعينه واذنه ولا يأتمن على مكنون سره الا سواء ضميره ◎ الونى الفتور والتقصير • وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة للاتباع اي لا تنسياني ولا ازال منكما على ذكر حيثما تقلبتما • واتخذا ذكري جناحا تطيران به مستمدين بذلك العون والتأييد مني معتقدين ان امرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري • ويجوز ان يريد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من اجلها واعظمها فكان جديرا بان يطلق عليه اسم الذكر ◎ روي ان الله تعالى اوحى الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى وقيل سمع باقباله • وقيل الهم ذلك ◎ قولا لينا بالتخفيف والقول اللين نحو قوله تعالى هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه الفوز العظيم • وقيل وعداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وان تبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته • وقيل لا تجبهاه بما يكره والطفا له في القول لما له من حق تربية موسى ولما ثبت له من مثل حق الابوة • وقيل كنياه وهو من ذوي الكنى الثلاث ابو العباس وابو الوليد وابو مرة ◎ والترجي لهما اي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى وسعه ◎ وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك • اي يتذكر ويتأمل فيبذل النصفة من نفسه والاذعان للحق او يخشى ان يكون الامر كما تصفان فيجره انكاره الى الهلكة ◎ فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة • وفرس فرط يسبق الخيل اي نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها • وقرئ يفرط من افرطه غيره اذا حمله على العجلة • خافا ان يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان او من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية او من حبه الرياسة او من قومه القبط المتمردين الذين حكى عنهم رب العزة وقال الملأ من قومه • وقرئ يفرط من الافراط في الاذية اي نخاف ان يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة او يجاوز الحد في معاقبتنا ان لم يعاجل بناء على ما عرفنا وجربنا من شرارته وعتوه ◎ او ان يطغى بالتخطي الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته عليك وقسوة قلبه • وفي المجيء به هكذا على الاطلاق وعلى سبيل الرمز باب من حسن الادب وتحاش عن التفوه بالعظيمة ◎ معكما اي حافظكما وناصركما ◎ اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل ما يوجب حفظي ونصرتي لكما • فجائز ان يقدر اقوالكم وافعالكم وجائز ان لا يقدر شيء وكانه قيل انا حافظ لكما وناصر سامع مبصر واذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وصح النصر وذهبت المبالاة بالعدو ◎ كانت بنو اسرائيل في ملكة فرعون والقبط يعذبونهم ويكلفونهم الاعمال الصعبة

فأتياه فقولا انا رسولا ربك

الذي يعوا الاستماع وكذلك الانف واليد والرجل واللسان

من الحرث والبنا ونقل الحجارة والتسخير في كل شي مع قتل الولدان واستخدام النسا قد جئناك باية من ربك جارية
من الجملة الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا يثبت الا ببينتها
التي هي المجي بالاية • انما وحد قوله باية ولم يثن ومعه آيتان لان المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى
ببرهانها فكانه قال قد جئناك بحجة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم
ببينة من ربكم فات باية ان كنت من الصادقين او لو جئتك بشي مبين والسلام على من اتبع الهدى وسلام الملائكة الذين هم
خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين قال فمن ربكما يا موسى الا انه وحده النبا
الى احدهما وهو موسى لانه الاصل في النبوة وهرون وزيره وتابعه ويحتمل ان يحمله خبثه ودعارته على استدعا
كلام موسى دون كلام اخيه لما عرف من فصاحة هرون والرتة في لسان موسى ويدل عليه قوله انا خير
من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين خلقه اول مفعولي اعطى اي اعطى خليقته كل شي يحتاجون اليه ويرتفقون
به الا على به من المنفعة غير نا ب عنه او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر
زوجين والبعير والناقة والرجل والمراة فلم يزاوج منها شيئا غير جنسه وما هو على خلاف خلقه وقرئ
خلقه صفة للمضاف او المضاف اليه اي كل شي خلقه الله لم يخله من عطاياه وانعامه ثم هدى اي عرف كيف
يرتفق بما اعطي وكيف يتوصل اليه ولله در هذا الجواب ما اخصره وما اجمعه وما ابينه لمن القى الذهن
ونظر بعين الانصاف وكان طالبا للحق قال فما بال القرون الاولى فما حال من تقدم وخلا من القرون وعن شقا من شقي منهم وسعادة
من سعد فاجابه بان هذا سؤال عن الغيب وقد استاثر الله به لا يعلمه الا هو وما انا الا عبد مثلك
لا اعلم منه الا ما اخبرني به علام الغيوب وعلم احوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ ولا
على ربه اي يخطئ شيا او ينساه يقال ضللت الشي اذا اخطاته في مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق
والمنزل • وقرئ يضل من اضله اذا ضيعه وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من شكره
حتى يجازيه ويجوز ان يكون فرعون قد نازعه في احاطة الله بكل شي وتبيينه لكل معلوم فتعنت وقال ما تقول
في سوالف القرون وتمادي كثرتهم وتباعد اطراف عددهم كيف احاط بهم وباجزائهم وجواهرهم فاجاب
بان كل كاين محيط به علمه وهو مثبت عنده في كتاب لا يجوز عليه الخطا والنسيان كما يجوزان عليك
ايها العبد الذليل والبشر الضئيل اي لا يضل كما تضل انت ولا ينسى كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة
الذي جعل مرفوع صفة لربي او خبر مبتدا محذوف او منصوب على المدح وهذا من مظانه مهدا
قراة اهل الكوفة اي تمهدونها مهدا او يتمهدونها فهي لهم كالمهد وهو ما يمهد للصبي وسلك لكم فيها سبلا
سلككم في سبلها كذلك نسلكه في قلوب المجرمين اي جعل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية
والبراري تسلكونها فاخرجنا التفت فيه من لفظ الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت من الافتنان والايذان
بانه مطاع تنقاد الاشيا المختلفة لامره وتذعن الاجناس المتفاوتة لمشيئته لا يمتنع شي على ارادته ومثله
قوله تعالى وهو الذي انزل من السما ما فاخرجنا به نبات كل شي الم تر ان الله انزل من السما ما فاخرجنا
به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات والارض وانزل من السما ما فانبتنا به حدائق وفيه
تخصيص ايضا بانا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة احد ازواجا اصنافا سميت بذلك لانها
مزدوجة مقترنة بعضها مع بعض شتى صفة للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز ان يكون صفة
للنبات والنبات مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة
النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم قالوا من نعمته عز وعلا
ان ارزاق العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله
اي قايلين كلوا وارعوا حال من الضمير في فاخرجنا اصناف النبات اذنين في الانتفاع بها مبيحين ان تاكلوا
بعضها وتعلفوا بعضها منها خلقناكم اراد ان اصلكم وهو ادم خلق من الارض وقيل ان الملك لينطلق
فياخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معا واراد
باخراجهم منها انه يؤلف اجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا احيا ويخرجهم الى المحشر يوم
يخرجون من الاجداث سراعا عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا
ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤوا وانبت فيها اصناف
النبات التي منها اقواتهم وعلوفات بهائمهم وهي اصلهم الذي منه تفرعوا وامهم التي منها ولدوا
ثم هي كفاتهم اذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض فانها بكم برة ولقد اريناه بصرناه
او عرفناه صحتها وتيقناه بها وانما كذب لظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا
وقوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر • وفي قوله اياتنا كلها جهتان احدهما
ان يحذى التعريف الاضافي حذو التعريف باللام لو قيل الايات كلها اعني انها كانت لا تعطي الا تعريف
العهد • والاشارة الى الايات المعلومة التي هي تسع الايات المختصة بموسى العصا واليد وفلق البحر
والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل والثاني ان يكون موسى قد اراه اياته وعدد
عليه ما اوتيه غيره من الانبيا من اياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما
يشاهد به فكذبها جميعا وابى ان يقبل شيئا منها وقيل فكذب الايات وابى قبول الحق بلوغ من حيث
قوله اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك ان ترايكم كانت توعد خوفا بما جا به موسى لما لعله وايقانه

انه على الحق وان المحق لو اراد قود الجبال لانقادت له وان مثله لا يخذل ولا يقل ناصره وانه غالبه على
ملكه لا محالة • وقوله بسحرك تعلل وتحير والا فكيف يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه
ويغلبه على ملكه بالسحر لا يخلو الموعد في قوله اجعل بيننا وبينك موعدا من ان يجعل زمانا او مكانا او مصدرا
فان جعلته زمانا نظرا في ان قوله موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك ايضا ان توقع الاخلاف على الزمان
وان يطابق قوله موعدكم يوم الزينة • وقراة الحسن غير مطابقة له مكانا وزمانا جميعا لانه قرئ يوم
الزينة بالنصب فبقي ان يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف اي مكان موعد ويجعل الضمير
في نخلفه للوعد ومكانا بدل من المكان المحذوف فان قلت فكيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد
من ان تجعله زمانا والسوال واقع عن المكان لا عن الزمان قلت هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه
لا بد لهم من ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان
واما قراة الحسن فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطباق هذا ايضا من
طريق المعنى ويجوز ان لا يقدر مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وعدا لا نخلفه فان قلت فبم
ينتصب مكانا قلت بالمصدر او بفعل يدل عليه المصدر فان قلت فكيف يطابقه الجواب قلت اما على قراة
الحسن فظاهر واما على قراة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة • ويجوز على قراة الحسن ان يكون
موعدكم مبتدا بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه وقيل في يوم
الزينة يوم عاشوراء ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم في كل عام ويوم كانوا يتخذون فيه سوقا
ويتزينون ذلك اليوم قرئ نخلفه بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الامر وقرئ سوى وسوى
بالكسر والضم ومنونا وغير منون ومعناه منصفا بيننا وبينك عن مجاهد وهو من الاستوا لان
المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها • ومن لم ينون فوجهه ان يجري الوصل مجرى
الوقف • وقرئ وان يحشر الناس بالياء والتاء يريد وان تحشر يا فرعون وان يحشر اليوم • ويجوز ان يكون فيه ضمير
فرعون ذكره بلفظة الغيبة اما على العادة التي يخاطب بها الملوك او خاطب القوم بقوله موعدكم
وجعل يحشر لفرعون ومحل ان يحشر الرفع او الجر عطفا على اليوم او الزينة وانما واعدهم ذلك اليوم
ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤوس الاشهاد في المجمع الغاص
لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العلم في كل
بدو وحضر ويشيع في جميع اهل الوبر والمدر لا تفتروا على الله كذبا اي لا تدعوا اياته ومعجزاته سحرا فيسحتكم
والسحت لغة اهل الحجاز والاسحات لغة نجد وبني تميم ومنه قول الفرزدق الا مسحتا او مجلف
في بيت لا تزال الركب تصطك في تسوية اعرابه • عن ابن عباس فتناجوا ان غلبنا اتبعناه • وعن قتادة
ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السما فله امر • وعن وهب لما قال ويلكم الاية قالوا ما هذا بقول
ساحر والظاهر انهم تشاوروا في السر وتجاذبوا اهداب القول ثم قالوا ان هذان لساحران فعلى هذا
ان ربك لمنطلق • واللام هي الفارقة بين النافية والمخففة من الثقيلة وقرا ابي ان ذان لساحران
وابن مسعود ان هذان ساحران بفتح ان وبغير لام بدل من النجوى • وقيل في القراة المشهورة ان هذان
لساحران هي لغة بلحارث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الاسما التي اخرها الف كعصى وسعدى فلم يقلبوها يا في
الجر والنصب • وقال بعضهم ان بمعنى نعم ولساحران خبر مبتدا محذوف واللام داخلة على الجملة
تقديره لهما ساحران وقد اعجب به ابو اسحق سموا مذاهبهم الطريقة المثلى والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم
فرحون وقيل ارادوا اهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وقيل
الطريقة اسم لوجوه الناس واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد ايضا
هو طريقة قومه فاجمعوا كيدكم يعضده قوله فجمع كيده وقرئ فاجمعوا كيدكم اي ازمعوه واجعلوه مجمعا عليه حتى
لا تختلفوا ولا يتخلف عنه واحد منكم كالمسالة المجمع عليها • امروا بان ياتوا صفا لانه اهيب في صدور الرائين
وروي انهم كانوا سبعين الفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد اقبلوا اقبالة واحدة • وعن ابي عبيدة
انه مسمى الصف بالمصلى لان الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلاتهم مصطفين ووجه صحته ان يقع علما
لمصلى بعينه فامروا بان ياتوه • او يراد ايتوا مصلى من المصليات وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض يعني
وقد فاز من غلب ان ما بعده منصوب بفعل مضمر او مرفوع بانه خبر مبتدا محذوف معناه اختر احد الامرين
او الامر القاوك او القاونا وهذا التخيير منهم استعمال ادب حسن معه وتواضع له وخفض جناح
وتنبيه على اعطايهم النصفة من انفسهم وكان الله عز وعلا الهمهم ذلك وعلم موسى اختيار القائهم
اولا مع ما فيه من مقابلة ادب بادب حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويستنفدوا اقصى طوقهم ومجهودهم
فاذا فعلوا اظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت اية نيرة
للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين يقال في اذا هذه اذا المفاجاة والتحقيق فيها انها اذا الكاينة بمعنى الوقت
الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت في بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل
المفاجاة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم ففاجا موسى وقت تخييل سعي حبالهم
وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجاته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي وقرئ عصيهم بالضم وهو الاصل
والكسر اتباع ونحوه دلي ودلي وقسي وقسي • وقرئ تخيل على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال قوله انها تسعى
من الضمير بدل الاشتمال كقولك اعجبني زيد كرمه وتخيل على كون الحبال والعصي مخيلة سعيها وتخيل بمعنى تتخيل
وطريقه طريق تخيل ونخيل على ان الله هو المخيل للمحنة والابتلا يروى انهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس

اصطربت واهتزت تخيلت ذلك ايجاس الخوف اضمار شي منه وكذلك توجس الصوت تسمع نبأة يسيرة منه وكان
ذلك لطبع الجبلة البشرية وانه لا يكاد يمكن الخالق من مثله وقيل خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه
انك انت الاعلى تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستيناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ
العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل • وقوله ما في يمينك ولم يقل عصاك جائز ان يكون تصغيرا لها
اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فانه بقدرة الله يتلقفها
على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها • وجائز ان يكون تعظيما لها اي لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة
الكثيرة فان في يمينك شيا اعظم منها كلها وهذه على كثرتها اقل شي وانزره عندها فالقه يتلقفها
باذن الله ويمحقها • وقرئ تلقف بالرفع على الاستيناف او على الحال اي القها متلقفة • وقرئ تلقف بالتخفيف
ما صنعوا يعني زوروا وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يافكون • وقرئ كيد ساحر بالرفع والنصب فمن رفع
فعلى ان ما موصولة • ومن نصب فعلى انها كافة • وقرئ كيد سحر بمعنى ذي سحر او ذوي سحر او هم
لتوغلهم في سحرهم كانهم السحر بعينه وبذاته • او بين الكيد لانه يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائة
بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو • فان قلت لم وحد ساحر ولم يجمع قلت لان القصد في هذا الكلام الى
معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع لخيل ان المقصود هو العدد الا ترى الى قوله ولا يفلح الساحر اي هذا
الجنس • فان قلت فلم نكر اولا وعرف ثانيا قلت انما نكر من اجل تنكير المضاف لا من اجل تنكيره في نفسه
كقول العجاج • في سعي دنيا طال ما قد مدت • وفي حديث عمر رضي الله عنه لا في امر دنيا ولا في امر اخرة • المراد
تنكير الامر كانه قيل انما صنعوا كيدا سحريا • وفي سعي دنيوي وامر دنيوي واخروي • حيث اتى كقولهم حيث سلك
راية سلك واين ما كان • سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم
القوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين • وروي انهم لم يرفعوا
رؤوسهم حتى راوا الجنة والنار وراوا ثواب اهلها • وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله في سجودهم منازلهم
التي يصيرون اليها في الجنة • لكبيركم لعظيمكم يريد انه اسحرهم واعلاهم درجة في صناعتهم او لمعلمكم
من قول اهل مكة للمعلم امرني كبيري وقال لي كبيري كذا • يريدون معلمهم واستاذهم في القران وفي كل شي
• وقرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف والقطع من خلاف ان تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من
العضوين خالف الاخر بان هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال • ومن لابتداء الغاية لان
القطع مبتدئ وناشئ من مخالفة العضو العضو لا من موافقته اياه ومحل الجار والمجرور النصب على الحال اي
لاقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف • شبه تمكن المصلوب في الجذع
بتمكن الشي الموعى في وعائه فلذلك قيل في جذوع النخل • اينا يريد نفسه لعنه الله وموسى صلى الله عليه وسلم بدليل
قوله امنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين • وفيه
نفاجة باقتداره وقهره وما الفه وضري به من تعذيب الناس بانواع العذاب • وتوضيع لموسى عليه السلام
واستضعاف له مع الهزء به لان موسى لم يكن قط من التعذيب في شي • والذي فطرنا عطف على ما جانا
او قسم • وقرئ تقضى هذه الحيوة الدنيا • ووجهها ان الحياة في القراءة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع
في الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقولك في صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة • وروي ان السحرة كانوا
اولهم كانوا اثنين وسبعين الاثنان من القبط والسائر من بني اسرائيل وكان فرعون اكرههم
على تعلم السحر • وروي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا
بسحر الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه • من تزكى تطهر من ادناس الذنوب • وعن ابن عباس
قال لا اله الا الله • قيل في هذه الايات الثلاث هي حكاية قولهم وقيل هي خبر من الله لا على وجه الحكاية
فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله • اليبس مصدر وصف به
يقال يبس يبسا ويبسا ونحوهما العدم والعدم ومن ثم وصف به المونث فقيل شاتنا يبس وناقتنا
يبس اذا جف لبنها • وقرئ يبسا ويابسا • ولا يخلو اليبس من ان يكون مخففا عن اليبس او صفة
على فعل او جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تاكيدا كقوله • ومعا جياعا • جعله لفرط جوعه
كجماعة جياع • لا تخاف حال من الضمير في فاضرب • وقرئ لا تخف على الجواب • وقرأ ابو حيوة دركا بالسكون
والدرك والدرك اسمان من الادراك اي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك • في ولا تخشى
اذا قرئ لا تخف ثلاثة اوجه ان يستانف كانه قيل وانت لا تخشى اي ومن شانك انك امن لا تخشى وان لا
تكون الالف المنقلبة عن اليا التي هي لام الفعل ولكن زائدة للاطلاق من اجل الفاصلة كقوله فاضلونا
السبيلا وتظنون بالله الظنونا وان يكون مثل قوله • كان لم ترى قبلي اسيرا يمانيا • ما غشيهم من باب
الاختصار ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة اي غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله
وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم والتغشية التغطية وفاعل غشاهم اما الله سبحانه او ما غشاهم او فرعون
لانه الذي ورط جنوده وتسبب لهلاكهم وقوله وما هدى تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد
• يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك ال فرعون • وقيل هو للذين كانوا منهم في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله عليهم بما فعل بابائهم والوجه هو الاول اي قلنا يا بني اسرائيل وحذف القول
كثير في القران • وقرئ انجيتكم الى رزقتكم وعلى لفظ الوعد والمواعدة • وقرئ الايمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب
خرب • ذكرهم النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى صلى الله عليه وسلم من المناجاة بجانب الطور
وكتب التوراة في الالواح • وانما عدى المواعدة اليهم لانها لابستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم

ونعماهم

ونعماهم واليهم رجعت منافعها التي قام بها شرعهم ودينهم • ولا تطغوا فيه ولا تتعدوا حدود الله فيه بان تكفروا النعمة وتشغلكم اللذة والتنعم عن القيام بشكرها وان تنفقوها في المعاصي وان يظلم بعضكم بعضا وان تدخروا وتمنعوا الحقوق • وعن عبد الله لا تدخروا منه • فيحل عليكم غضبي • وقرئ فيحل ومن يحلل • وغضب الله عقوبته ولذلك وصف بالنزول • هوى هلك واصله ان يسقط من جبل فيهلك قالت • هوى من راس مرقبة • ففتت تحتها كبده • ويقولون هوت امه • الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح ونحوه قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا • وكلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين ... لان منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه لانها اعلى منها وافضل • وما اعجلك اي شي عجل بك عنهم على سبيل الانكار وكان قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه ان ذلك اقرب الى رضا الله • وزل عنه انه عز وجل ما وقت افعاله الا نظرا الى دواعي الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم النقباء • وليس لقول من جوز ان يراد جميع قومه وان يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح يأباه قوله هم اولاء على اثري • وعن ابي عمرو ويعقوب اثري بالكسر • وعن عيسى بن عمر اثري بالضم • وعنه ايضا اولى بالقصر • والاثر افصح من الاثر • واما الاثر فمسموع في فرند السيف مدون في الاصول يقال اثر السيف واثره وهو بمعنى الاثر غريب • فان قلت ما اعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان الذي ينطبق عليه من الجواب ان يقال طلب زيادة رضاك او الشوق الى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم اولاء على اثري كما ترى غير منطبق عليه قلت قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين احدهما انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان اهم الامرين الى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها
الوفد راسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى ولقائل ان يقول
حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فاذهله ذلك عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام •
اراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا
اثنا عشر الفا • فان قلت في القصة انهم اقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع ايامها
وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى
عند مقدمه انا قد فتنا قومك قلت قد اخبر الله تعالى عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجود الكائن
على عادته • او افترص السامري غيبته فعزم على اضلالهم غب انطلاقه واخذ في تدبير ذلك فكان بدء الفتنة
موجودا • وقرئ واضلهم السامري اي وهو اشدهم ضلالا لانه ضال مضل وهو منسوب الى قبيلة من
بني اسرائيل يقال لها السامرة • وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم • وقيل كان من اهل باجرما
وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون
البقر • الاسف الشديد الغضب • ومنه قوله عليه السلام في موت الفجاة رحمة للمؤمن واخذة اسف للكافر •
وقيل الحزين • فان قلت متى رجع الى قومه قلت بعد ما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة
وعدهم الله سبحانه ان يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور • ولا وعد احسن من ذلك واجمل حكي لنا انها
كانت الف سورة كل سورة الف اية يحمل اسفارها سبعون جملا • العهد الزمان يريد مدة مفارقته لهم
يقال طال عهدي بك اي طال زماني بسبب مفارقتك • وعدوه ان يقيموا على امره وما تركهم عليه
من الايمان فاخلفوا موعده بعبادتهم العجل • بملكنا قرئ بالحركات الثلاث اي ما اخلفنا موعدك بان
ملكنا امرنا اي لو ملكنا امرنا وخلينا وراينا لما اخلفناه ولكنا غلبنا من جهة السامري وكيده • اي حملنا
احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم • او اراد بالاوزار انها اثام وتبعات لانهم كانوا
معهم في حكم المستامنين في دار الحرب وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربي على ان الغنائم لم تكن تحل
حينئذ • فقذفناها في نار السامري التي اوقدها في الحفرة وامرنا ان نطرح فيها الحلي • وقرئ حملنا
فكذلك القى السامري اراهم انه يلقي حليا في يده مثل ما القوا وانما القى التربة التي اخذها من
موطئ حيزوم فرس جبريل اوحى اليه وليه الشيطان انها اذا خالطت مواتا صار حيوانا فاخرج
لهم السامري من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلي التي سبكتها النار يخور كما تخور العجاجيل
فان قلت كيف اثرت تلك التربة في احياء الموات قلت اما يصح ان يؤثر الله سبحانه روح القدس بهذه
الكرامة الخاصة كما اثره بغيرها من الكرامات وهو ان يباشر فرسه بحافره تربة اذا لاقت تلك
التربة جمادا انشاه الله ان شا عند مباشرته حيوانا الا ترى كيف انشا المسيح من غير اب
عند نفخه في الدرع • فان قلت لم خلق الله العجل من الحلي حتى صار فتنة لبني اسرائيل وضلالا قلت
ليس باول محنة محن الله بها عباده ليثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة
ويضل الله الظالمين • ومن عجب من خلق العجل فليعجب من خلق ابليس اعجب • والمراد بقوله انا قد
فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان اي امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامري على الضلال
واوقعهم فيه حين قال لهم هذا الهكم واله موسى فنسي • اي فنسي موسى ان يطلبه ههنا وذهب
يطلبه عند الطور • او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر • يرجع من
رفعه فعلى ان ان المخففة من الثقيلة ومن نصب فعلى انها الناصبة للافعال • من قبل من قبل ان

لهم السامري ما قاله كأنهم أول ما وقعت عليه أبصارهم حين طلع من الجمع افتتنوا به واستحسنوه فقبل أن ينطق السامري بادرهم هرون عليه السلام بقوله إنما فتنتم به وان ربكم الرحمن. لا مزيدة والمعنى ما منعك أن تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر عن الكفر والمعاصي وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ومالك لا تباشر الأمر كما كنت أباشره أنا لو كنت شاهدا أو ومالك لم تلحقني. قرئ بلحيتي بفتح اللام وهي لغة أهل الحجاز. كان موسى صلوات الله عليه رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون عجلا من دون الله بعد ما رأوا من الآيات العظام أن ألقى ألواح التوراة لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية. وعنف بأخيه وخليفته على قومه فأقبل عليه إقبال العدو المكاشف قابضا على شعر رأسه وكان أفرع وعلى شعر وجهه يجره إليه. أي لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فاستأنيتك أن تكون أنت المتدارك بنفسك المتلافي برأيك وخشيت عتابك على اطراح ما وصيتني به من ضم النشر وحفظ الدهماء ولم يكن لي بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها. الخطب مصدر خطب الأمر إذا طلبه فإذا قيل لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك له. قرئ بصرت بما لم يبصروا به بالكسر والمعنى علمت ما لم يعلموه وفطنت ما لم يفطنوا له. وقرئ تبصروا بالتاء. وقرئ فقبضت قبضة بضم القاف وهي اسم المقبوض كالغرفة والمضغة. وأما القبضة فالمرة من القبض وإطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الأمير. وقرأ الحسن قبصة بالصاد المهملة فالضاد بجميع الكف والصاد بأطراف الأصابع ونحوهما الخضم والقضم الخاء لأكل الرطب والقاف لليابس. وقرأ ابن مسعود من أثر فرس الرسول. فإن قلت لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس؟ قلت حين حل ميعاد الذهاب إلى الطور أرسل الله إلى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به فأبصره السامري فقال إن لهذا لشأنا فقبض قبضة من تربة موطئه فلما سأله موسى عن قصته قال قبضت قبضة من أثر فرس المرسل إليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف أنه جبريل. عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء أطم منها وأوحش وذلك أنه منع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا وإذا اتفق أن يماس أحدا رجلا أو امرأة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في الناس أوحش من القاتل اللاجئ إلى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية. ويقال إن قومه باق فيهم ذلك إلى اليوم. وقرئ لا مساس بوزن فجار ونحوه قولهم في الظباء إن وردت الماء فلا عباب وإن فقدته فلا أباب. وهي أعلام للمسة والعبة والأبة وهي المرة من الأب وهو الطلب. لن تخلفه لن يخلفك الله موعده الذي وعدك على الشرك والفساد في الأرض ينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا فأنت ممن خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين. وقرئ لن تخلفه وهذا من أخلفت الموعد إذا وجدته خلفا قال الأعشى: أثوى وقصر ليلة ليزودا فمضى وأخلف من قتيلة موعدا. وعن ابن مسعود نخلفه بالنون أي لن نخلفه الله كأنه حكى قوله عز وجل كما مر في لأهب لك. ظلت وظلت وظللت والأصل ظللت فحذفوا اللام الأولى ونقلوا حركتها إلى الظاء ومنهم من لم ينقل. لنحرقنه ولنحرقنه ولنحرقنه وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه. اللهب من الإحراق وذكر أبو علي الفارسي في لنحرقنه أنه يجوز أن يكون حرق مبالغة في حرق إذا برد بالمبرد وعليه القراءة الثالثة وهي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. لننسفنه بكسر السين وضمها. وهذه عقوبة ثالثة وهي إبطال ما افتتن به وفتن وإهدار سعيه وهدم مكره. ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين. وقرأ طلحة الله الذي لا إله إلا هو الرحمن رب العرش وسع كل شيء علما. وعن مجاهد وقتادة وسع ووجهه أن وسع متعد إلى مفعول واحد وهو كل شيء. وأما علما فانتصابه على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما ثقل نقل إلى التعدية إلى مفعولين فنصبهما معا على المفعولية لأن المميز فاعل في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فترد بالنقل ما كان فاعلا مفعولا. كذلك الكاف محلها النصب صفة لمصدر محذوف أي نقص عليك قصصا مثل ذلك القصص من أنباء ما قد سبق من أخبار الأمم الماضية تكثيرا لبيناتك وزيادة في معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر في دينه بصيرة وتتأكد الحجة على من عاند وكابر. وأن هذا الذكر الذي آتيناك يعني القرآن مشتملا على هذه الأقاصيص والأخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار لذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة والسعادة لمن أقبل عليه ومن أعرض عنه فقد هلك وشقي. يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره ويلقي عليه بهره أو لأنها جزاء الوزر وهو الإثم. وقرئ يحمل. جمع خالدين على المعنى لأن من مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد الضمير في أعرض وما بعده للحمل على اللفظ. ونحوه قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها. فيه أي في ذلك الوزر أو في احتماله. وساء في حكم بئس والضمير الذي فيه يجب أن يكون مبهما يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف في قوله تعالى نعم العبد أيوب أي أيوب هو المخصوص بالمدح. ومنه قوله تعالى وساء مصيرا أي وساءت مصيرا جهنم. فإن قلت اللام في لهم ما هي وبم تتعلق؟ قلت

حكم بئس ضمير شيء بعينه غير مبهم فإن قلت فلا يكون

هي للبيان كما في هيت لك. فإن قلت أنكرت أن يكون في ساء ضمير الوزر قلت لا يصح أن يكون في ساء وحكمه بئس وليكن ساء الذي منه سيئت وجوه الذين كفروا بمعنى أهم وأحزن قلت كفاك صادا عنه أن يؤول كلام الله إلى قولك وأحزن الوزر لهم يوم القيامة حملا وذلك بعد أن تخرج عن عهدة هذه اللام وعهدة هذا المنصوب. أسند النفخ إلى الآمر به فيمن قرأ ننفخ بالنون أو لأن الملائكة المقربين وإسرافيل منهم بالمنزلة التي هم بها من رب العزة فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه أن يسند ما يتولونه إلى ذاته. وقرئ ينفخ بلفظ ما لم يسم فاعله وينفخ ويحشر بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله تعالى أو لإسرافيل عليه السلام. وأما يحشر المجرمون فلم يقرأ به إلا الحسن. وقرئ في الصور بفتح الواو جمع صورة. وفي الزرق قولان أحدهما أنه يعني الصود وهذه القراءة تدل عليه والثاني أنه القرن. قيل في الزرق قولان أحدهما أن الزرقة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب لأن الروم أعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو أسود الكبد أصهب السبال أزرق العين. والثاني أن المراد العمي لأن حدقة من يذهب نور بصره تزراق. يتخافتون يتسارون بينهم لما ملأ صدورهم من الرعب والهول يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا إما لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم أيام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لأن أيام السرور قصار وإما لأنها ذهبت عنهم وتقضت والذاهب وإن طالت مدته قصير بالانتهاء ومنه توقيع عبد الله بن المعتز تحت أطال الله بقاءك كفى بالانتهاء قصرا. وإما لاستطالتهم الآخرة وأنها أبد سرمد يستقصر إليها عمر الدنيا ويتقال لبث أهلها فيها بالقياس إلى لبثهم في الآخرة. وقد استرجح الله قول من يكون أشد تقالا منهم في قوله إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما. ونحوه قوله تعالى قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين. وقيل المراد لبثهم في القبور ويعضده قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث. ينسفها يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذرى الطعام. فيذرها أي فيذر مقارها ومراكزها أو يجعل الضمير للأرض وإن لم يجر لها ذكر كقوله ما ترك على ظهرها من دابة. فإن قلت قد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا العوج بالكسر في المعاني والعوج بالفتح في الأعيان والأرض عين فكيف صح فيها المكسور العين؟ قلت اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الأرض بالاستواء والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على أبلغ ما يكون وذلك أنك لو عمدت إلى قطعة أرض فسويتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم على أنه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت رأي المهندس فيها وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي فنفى الله عز وجل ذلك العوج الذي دق ولطف عن الإدراك اللهم إلا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك إلا بالقياس دون الإحساس لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر. الأمت النتوء اليسير يقال مد حبله حتى ما فيه أمت. أضاف اليوم إلى وقت نسف الجبال في قوله يومئذ أي يوم إذ نسفت ويجوز أن يكون بدلا بعد بدل من يوم القيامة. والمراد الداعي إلى المحشر قالوا هو إسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل أوب إلى صوبه لا يعدلون. لا عوج له أي لا يعوج له مدعو بل يستوون إليه من غير انحراف متبعين لصوته. أي خفضت الأصوات من شدة الفزع وخفتت. فلا تسمع إلا همسا وهو الركز الخفي ومنه الحروف المهموسة. وقيل هو من همس الإبل وهو صوت أخفافها إذا مشت أي لا تسمع إلا خفق الأقدام ونقلها إلى المحشر. من يصلح أن يكون مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف أي لا تنفع الشفاعة إلا شفاعة من أذن له الرحمن والنصب على المفعولية. ومعنى أذن له ورضي له لأجله أي أذن للشافع ورضي قوله لأجله ونحو هذه اللام اللام في قوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه. أي يعلم ما تقدمهم من الأحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون بمعلوماته علما. المراد بالوجوه وجوه العصاة وأنهم إذا عاينوا يوم القيامة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية أي ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم الأسارى. ونحوه قوله فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة. وقوله وقد خاب وما بعده اعتراض كقولك خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر. الظلم أن يأخذ من صاحبه فوق حقه والهضم أن يكسر من حق أخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين الذين إذا اكتالوا يستوفون ويبخسون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون. أي فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لأنه لم يظلم ولم يهضم. وقرئ فلا يخف على النهي. وكذلك عطف على كذلك نقص أي ومثل ذلك الإنزال وكما أنزلنا عليك هؤلاء الآيات المضمنة للوعيد أنزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة مكررين فيه آيات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي أو فعل الخير والطاعة. والذكر كما ذكرنا يطلق على الطاعة والعبادة. وقرئ نحدث وتحدث بالنون والتاء أي تحدث أنت. وسكن بعضهم الثاء للتخفيف كما في فاليوم أشرب غير مستحقب. فتعالى الله الملك الحق استعظام له ولما يصرف عليه عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده والإدارة بين ثوابه وعقابه على حسب أعمالهم وغير ذلك مما يجري عليه أمر ملكوته. ولما ذكر القرآن وإنزاله قال على سبيل الاستطراد وإذا لقنك جبريل ما يوحى إليك من القرآن فتأن عليك ريثما يسمعك ويفهمك ثم أقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قارنا مساوقا له في القراءة

وقوله بما لا تحرك به لسانك لتعجل به • وقيل معناه لا تبلّغ ما كان منه مجملا حتى يأتيك البيان • وقرئ
حتى نقضي اليك وحيه • وقوله ﴿رب زدني علما﴾ متضمن للتواضع لله والشكر له عندما علم من ترتيب
التعلم اي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وادبا جميلا ما كان عندي فزدني
علما الى علم فان لك في كل شيء حكمة وعلما • وقيل ما امر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء الا في العلم
يقال في اوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك الى فلان واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه • عطف
الله سبحانه قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون • والمعنى واقسم قسما لقد
امرنا اباهم آدم ووصيناه ان لا يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين ان قربها
وذلك من قبل وجودهم ومن قبل ان نتوعدهم فخالف الى ما نهي عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم
ولم يلتفت الى الوعيد كما لا يلتفتون كأنه يقول ان اساس امر بني آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه
فان قلت ما المراد بالنسيان قلت يجوز ان يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر وانه لم يعن بالوصية
العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد منه النسيان
وان يراد الترك وانه ترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة واكل ثمرتها • وقرئ ﴿فنسّي﴾ اي نساه
الشيطان • والعزم التصميم والمضي على ترك الاكل وان يتصلب في ذلك تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل
له • والوجود يجوز ان يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزما • وان يكون نقيض العدم كأنه قال
وعدمنا له عزما • واذ منصوب بمضمر اي واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة ابليس ووسوسته
اليه وتزيينه له الاكل من الشجرة وطاعته له بعدما تقدمت معه النصيحة والموعظة
البليغة والتحذير من كيده حتى يتبين لك انه لم يكن من اولي العزم والثبات • فان قلت ابليس
كان جنيا بدليل قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه فمن اين تناوله الامر وهو
للملائكة خاصة قلت كان في صحبتهم وكان يعبد الله عبادتهم فلما امروا بالسجود لآدم
والتواضع له كرامة له كان الجني الذي معهم اجدر بان يتواضع كما لو قام لمقبل على المجلس
علية اهله وسراتهم كان القيام على واحد بينهم هو دونهم في المنزلة اوجب حتى ان لم يقم
عنف وقيل له قد قام فلان وفلان فمن انت حتى تترفع عن القيام • فان قلت فكيف صح استثناؤه
وهو جني عن الملائكة قلت عمل على حكم التغليب في اطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فاخرج الاستثناء
على ذلك كقولك خرجوا الا فلانة لامرأة بين الرجال ﴿ابى﴾ جملة مستأنفة كأنه جواب قائل قال
لم لم يسجد • والوجه ان لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا • وان
يكون معناه اظهر الاباء وتوقف وتثبط ﴿فلا يخرجنكما﴾ فلا يكونن سببا لاخراجكما وانما اسند الى
آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد اشتراكهما في الخروج لان في ضمن شقاء الرجل وهو قيم
اهله واميرهم شقاءهم كما ان في ضمن سعادته سعادتهم فاختصر الكلام باسناده اليه
دونها مع المحافظة على الفاصلة • او اريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك معصوب براس
الرجل وهو راجع اليه وروي انه اهبط الى آدم ثور احمر وكان يحرث عليه ويمسح العرق
من جبينه • وقرئ وانك بالكسر والفتح • ووجه الفتح العطف على ان لا تجوع • فان قلت ان لا تدخل على
أنّ فلا يقال ان ان زيدا منطلق والواو نائبة عن ان وقائمة مقامها فلم ادخلت عليها
قلت الواو لم توضع لتكون ابدا نائبة عن ان انما هي نائبة عن كل عامل فلما لم تكن حرفا
موضوعا للتحقيق خاصة كان لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع ان وان • الشبع والري
والكسوة والكن هي الاقطاب التي يدور عليها كفاف الانسان فذكره استجماعها له في الجنة
وانه مكفي لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما يحتاج الى ذلك اهل الدنيا • وذكرها
بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعري والظمأ والضحى ليطرق سمعه باسامي اصناف الشقوة
التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها • فان قلت كيف عدى وسوس
تارة باللام في قوله فوسوس لهما الشيطان واخرى بالى قلت وسوسة الشيطان كولولة
الثكلى ووعوعة الذئب ووقوقة الدجاجة في انها حكايات للاصوات وحكمها حكم صوت واجرس
ومنه وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر والفتح لحن وانشد ابن الاعرابي
وسوس يدعو مخلصا رب الفلق • فاذا قلت وسوس له فمعناه لاجله كقوله • اجرس لها يا ابن ابي كباش
ومعنى وسوس اليه انهى اليه الوسوسة كقولك حدث اليه واسر اليه • اضاف الشجرة
الى الخلد وهو الخلود لان من اكل منها خلد بزعمه كما قيل لحيزوم فرس الحياة لان من
باشره نجا • وملك لا يبلى دليل على قراءة الحسن بن علي وابن عباس ﴿الا ان تكونا ملكين﴾ بالكسر
طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل واخذ وانشأ وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا
وبينها وبينه مسافة قصيرة هي للشروع في اول الامر وكاد لمشارفته والدنو منه • وقرئ
﴿يخصّفان﴾ للتكثير والتكرير من خصف النعل وهو ان يخرز عليها الخصاف اي يلزقان الورق
بسوآتهما للتستر وهو ورق التين • وقيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت اصابعهما
وقيل كان لباسهما الظفر فلما اصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في اطراف
الاصابع • عن ابن عباس لا شبهة في ان آدم لم يمتثل ما رسم الله وتخطى فيه ساحة
الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من ان يكون رشدا وخيرا فكان غيا لا محالة

لان الغي

لان الغي خلاف الرشد ولكن قوله وعصى آدم ربه فغوى بهذا الاطلاق وبهذا التصريح وحيث لم يقل
وزل آدم واخطأ وما اشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة
بليغة وموعظة كافة وكأنه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله الذي
لا يجوز عليه الا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا
بما يفرط منكم من السيئات والصغائر فضلا ان تجسروا على التورط في الكبائر • وعن بعضهم فغوى فبشم من
كثرة الاكل وهذا وان صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها الفا فيقول في فني وبقي فنا وبقا
وهم بنو طي تفسير خبيث • فان قلت ما معنى ﴿ثم اجتباه ربه﴾ قلت ثم قبله بعد التوبة وقربه اليه
من جبى الي كذا فاجتبيته ونظيره جليت على العروس فاجتليتها ومنه قوله تعالى واذا لم تأتهم باية
قالوا لولا اجتبيتها اي هلا جبيت اليك فاجتبيتها واصل الكلمة الجمع يقولون اجتبت الفرس
نفسها اذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار ﴿وهدى﴾ اي وفقه لحفظ التوبة وغيره من اسباب
العصمة والتقوى • لما كان آدم وحواء عليهما السلام اصلي البشر والسببين اللذين منهما نشؤوا وتفرعوا جعلا
كأنهما البشر في انفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فاما يأتينكم على لفظ الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل
الى السبب وهو في الحقيقة للمسبب ﴿هدى﴾ كتاب وشريعة • وعن ابن عباس ضمن الله لمن اتبع القرآن ان
لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا قوله ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾ والمعنى ان الشقاء في الآخرة
هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه
نجا من الضلال ومن عقابه • ﴿الضنك﴾ مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث • وقرئ ضنكى
على فعلى ومعنى ذلك ان مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه
بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا كما قال عز وجل فلنحيينه حياة طيبة • والمعرض عن الدين مستول
عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق
فعيشته ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته
وتشوش عليه رزقه • ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله لانهم كانوا يكفرون
بآيات الله وقال ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم
وقال ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال استغفروا ربكم انه كان
غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا وقال وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا • وعن الحسن هو
الضريع والزقوم في النار • وعن ابي سعيد الخدري عذاب القبر • وقرئ ﴿ونحشره﴾ بالجزم عطفا على محل فان له
معيشة ضنكا لانه جواب الشرط • وقرئ ونحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف وهذا مثل قوله ونحشرهم
يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وكما فسر الزرق بالعمى ﴿كذلك﴾ اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسر
بان آياتنا ﴿اتتك﴾ واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تبصر وتركتها وعميت عنها ﴿وكذلك اليوم﴾
نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك • لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الد
نيا وحشره اعمى في الآخرة ختم آيات الوعيد بقوله ولعذاب الآخرة اشد وابقى كانه قال وللحشر على العمى
الذي لا يزول ابدا اشد من ضيق العيش المنقضي • او اراد ولتركنا اياه في العمى اشد وابقى من تركه لآياتنا
فاعل لم يهد الجملة بعدها يريد الم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين
سلام على نوح في العالمين اي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز ان يكون فيه ضمير الله او الرسول ويدل عليه القراءة
بالنون • وقرئ ﴿يمشون﴾ يريد ان قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون آثار
هلاكهم ﴿الكلمة السابقة﴾ هي العدة بتأخير جزائهم الى الآخرة يقول لولا هذه العدة لكان مثل اهلاكنا
عادا وثمود لازما لهؤلاء الكفرة • واللزام اما مصدر لزم فوصف به واما فعال بمعنى مفعل اي ملزم كأنه
آلة اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم ﴿واجل مسمى﴾ لا يخلو من ان يكون معطوفا على كلمة او على الضمير
في كان اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ
العاجل ﴿بحمد ربك﴾ في موضع الحال وانت حامد لربك على ان وفقك للتسبيح واعانك عليه والمراد بالتسبيح
الصلوة او على ظاهره قدم الفعل على الاوقات اولا والاوقات على الفعل آخرا فكانه قال صل لله قبل طلوع
الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال
الشمس وغروبها وتعمد آناء الليل واطراف النهار مختصا لها بصلاتك وذلك ان افضل الذكر ما كان بالليل
لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب وقال الله عز وجل ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا
وقال امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ولان الليل وقت السكون والراحة فاذا صرف الى العبادة
كانت على النفس اشد واشق وللبدن اتعب وانصب فكان ادخل في معنى التكليف وافضل عند الله • وقد
تناول التسبيح في آناء الليل صلوة العتمة وفي اطراف النهار صلوة المغرب وصلوة الفجر على التكرار
ارادة الاختصاص كما اختصت في قوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى عند بعض المفسرين
فان قلت ما وجه قوله واطراف النهار على الجمع وانما هو طرفان كما قال اقم الصلوة طرفي النهار قلت
الوجه امن الالباس وفي التثنية زيادة بيان ونظير مجيء الامرين في الآية مجيئهما في قوله
ظهراهما مثل ظهور الترسين • وقرئ واطراف النهار عطفا على آناء الليل ﴿لعلك ترضى﴾ اي اذكر الله
في هذه الاوقات طمعا ورجاء ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك • وقرئ ترضى اي يرضيك ربك

ولا تمدن عينيك أي نظر عينيك، ومد النظر تطويله، وأن لا يكاد يرده استحسانا للمنظور إليه وإعجابا به
وتمنيا أن يكون له، كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم، حتى
واجههم أولوا العلم والإيمان: ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا. وفيه أن النظر إلى الزخارف
كالمركوز في الطباع، وأن من أبصر منها شيئا أحب أن يمد إليه نظره ويملأ منه عينيه. وقيل
ولا تمدن عينيك أي لا تفعل ما أنت معتاد له وضار به. ولقد شدد العلماء من أهل التقوى في وجوب
غض البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك، لأنهم إنما اتخذوا
هذه الأشياء لعيون النظارة، فالناظر إليها محصل لغرضهم، وكالمغري لهم على اتخاذها. أزواجا
أصنافا من الكفرة. ويجوز أن ينتصب حالا من هاء الضمير، والفعل واقع على منهم، كأنه قال إلى الذي
متعنا به وهو أصناف بعضهم وناسا منهم. فإن قلت علام انتصب زهرة؟ قلت على أحد أربعة أوجه:
على الذم، وهو النصب على الاختصاص، وعلى تضمين متعنا معنى أعطينا وخولنا، وكونه مفعولا
ثانيا له، وعلى إبداله من محل الجار والمجرور، وعلى إبداله من أزواجا على تقدير ذوي زهرة. فإن قلت
ما معنى الزهرة فيمن حرك؟ قلت معنى الزهرة بعينه، وهو الزينة والبهجة، كما جاء في الجهرة الجهرة، وفي أرنا
الله جهرة. وأن يكون جمع زاهر وصفا لهم بأنهم زاهروا هذه الدنيا لصفاء ألوانهم مما يلهون ويتنعمون
وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم، بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب الألوان والتقشف
في الثياب. لنفتنهم لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم، أو لنعذبهم في الآخرة بسببه.
ورزق ربك هو ما ادخر له من ثواب الآخرة الذي هو خير منه في نفسه وأدوم، أو ما رزقه من نعمة
الإسلام والنبوة، أو لأن أموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه، والحلال
خير وأبقى لأن الله لا ينسب إلى نفسه إلا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث، والحرام لا يسمى رزقا أصلا.
وعن عبد الله بن قسيط عن أبي رافع قال: بعثني رسول الله صلعم إلى يهودي وقال قل له يقول لك رسول
الله أقرضني إلى رجب، فقال والله لا أقرضته إلا برهن، فقال رسول الله صلعم: إني لأمين في السماء وإني
لأمين في الأرض، احمل إليه درعي الحديد. فنزلت: ولا تمدن عينيك. وأمر أهلك بالصلاة، فإن رزقك
مكفي من عندنا ونحن رازقوك، ولا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك، ففرغ بالك لأمر الآخرة.
وفي معناه قول الناس: من كان في عمل الله كان الله في عمله. وعن عروة بن الزبير أنه كان إذا رأى
ما عند السلاطين قرأ: ولا تمدن عينيك الآية، ثم ينادي الصلاة الصلاة رحمكم الله.
اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة، فقيل لهم أولم تأتهم بينة، هي أم الآيات
وأعظمها في باب الإعجاز، يعني العرب من قبل أن القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة
ودليل صحته لأنه معجز، وتلك ليست بمعجزات، فهي مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتاج
عليه إلى شهادة الحجة. وقرئ الصحف بالتخفيف. ذكر الضمير الراجع إلى البينة لأنها في معنى البرهان
والدليل. وقرئ نذل ونخزى على لفظ ما لم يسم فاعله. كل أي كل واحد منا ومنكم متربص للعاقبة
ولما يؤول إليه أمرنا وأمركم. وقرئ السواء بمعنى الوسط والجيد، والسوء والسوأى والسوي
تصغير السوء. وقرئ فتمتعوا فسوف تعلمون. قال أبو رافع حفظته من رسول الله صلعم: من قرأ سورة طه
أعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والأنصار. وقال: لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا طه ويس.

سورة الأنبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه اللام لا تخلو من أن تكون صلة لاقترب، أو تأكيدا لإضافة الحساب إليهم، كقولك أزف للحي رحيلهم،
والأصل أزف رحيل الحي، ثم أزف للحي الرحيل، ثم أزف للحي رحيلهم. ونحوه ما أورده سيبويه في باب ما
يثنى فيه المستقر توكيدا: عليك زيد حريص عليك، وفيك زيد راغب فيك. ومنه قولهم لا أبا لك،
لأن اللام مؤكدة لمعنى الإضافة. وهذا الوجه أغرب من الأول. والمراد اقتراب الساعة،
وإذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك. ونحوه
واقترب الوعد الحق. فإن قلت كيف وصف بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول أكثر من خمسمائة عام؟
قلت هو مقترب عند الله، والدليل عليه قوله عز وعلا: ويستعجلونك بالعذاب وإن يوما عند
ربك كألف سنة مما تعدون. ولأن كل آت وإن طالت أوقات استقباله وترقبه قريب، وإنما
البعيد هو الذي وجد وانقرض. ولأن ما بقي من الدنيا أقصر وأقل مما سلف منها، بدليل انبعاث
خاتم النبيين الموعود مبعثه في آخر الزمان. وقال عليه السلام: بعثت في نسم الساعة. وفي خطبة
بعض المتقدمين: ولت الدنيا حذاء ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء. وإذا كانت
بقية الشيء وإن كثرت في نفسها قليلة بالإضافة إلى معظمه كانت خليقة بأن توصف بالقلة
وقصر الذرع. وعن ابن عباس أن المراد بالناس المشركون، وهذا من إطلاق اسم الجنس على
بعضه للدليل القائم، وهو ما يتلوه من صفات المشركين. وصفهم بالغفلة مع الإعراض على معنى
أنهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون لما ترجع إليه
خاتمة أمرهم مع اقتضاء عقولهم أنه لا بد من جزاء للمحسن والمسيء، وإذا قرعت لهم العصا
ونبهوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات والنذر أعرضوا وسدوا
أسماعهم ونفروا، وقرر إعراضهم عن تنبيه المنبه وإيقاظ الموقظ بأن الله يجدد لهم الذكر

وقتا

وقتا فوقتا، ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة، ليكرر على أسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم
يتعظون، فما يزيدهم استماع الآي والسور وما فيها من فنون المواعظ والبصائر التي هي أحق الحق
وأجد الجد إلا لعبا وتلهيا واستسخارا. والذكر هو الطائفة النازلة من القرآن. وقرئ محدث
بالرفع صفة على المحل. قوله وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفتان أو متداخلتان. ومن قرأ لاهية
بالرفع فالحال واحدة، لأن لاهية قلوبهم خبر بعد خبر لقوله وهم. واللاهية من لهى عنه إذا ذهل
وغفل، يعني أنهم وإن فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كأنهم لم يفطنوا أصلا، وثبتوا على غفلتهم وذهولهم
عن التأمل والتبصر بقلوبهم. فإن قلت النجوى وهي اسم من التناجي لا تكون إلا خفية، فما معنى قوله وأسروا؟ قلت
معناه وبالغوا في إخفائها، أو جعلوها بحيث لا يفطن أحد لتناجيهم ولا يعلم أنهم متناجون. أبدل
الذين ظلموا من واو وأسروا إشعارا بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسروا به، أو جاء على لغة من قال
أكلوني البراغيث، أو هو منصوب المحل على الذم، أو هو مبتدأ خبره أسروا النجوى قدم عليه، والمعنى وهؤلاء
أسروا النجوى، فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بأنه ظلم. هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون
السحر وأنتم تبصرون. هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى، أي وأسروا هذا الحديث. ويجوز
أن يتعلق بقالوا مضمرا. اعتقدوا أن رسول الله لا يكون إلا ملكا، وأن كل من ادعى الرسالة من البشر
وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر، فلذلك قالوا على سبيل الإنكار أفتحضرون السحر وأنتم تشاهدون
وتعاينون أنه سحر. فإن قلت لم أسروا هذا الحديث وبالغوا في إخفائه؟ قلت كان ذلك شبه التشاور
فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق إلى هدم أمره وعمل المنصوبة في التثبيط عنه، وعادة المتشاورين
في خطب أن لا يشركوا أعداءهم في شوراهم، ويتجاهدوا في طي سرهم عنهم ما أمكن واستطيع. ومنه قول
الناس: استعينوا على حوائجكم بالكتمان. ويرفع إلى رسول الله صلعم. ويجوز أن يسروا نجواهم بذلك
ثم يقولوا لرسول الله والمؤمنين إن كان ما تدعونه حقا فأخبرونا بما أسررنا. فإن قلت هلا قيل
يعلم السر لقوله وأسروا النجوى؟ قلت القول عام يشمل السر والجهر، فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة،
فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول يعلم السر، كما أن قوله يعلم السر آكد من أن يقول
يعلم سرهم. ثم بين ذلك بأنه السميع العليم لذاته، فكيف تخفى عليه خافية. فإن قلت فلم ترك هذا
الآكد في سورة الفرقان في قوله قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض؟ قلت ليس بواجب أن يجيء بالآكد
في كل موضع، ولكن يجيء بالوكيد تارة وبالآكد أخرى، كما يجيء بالحسن في موضع وبالأحسن في غيره، ليفتن الكلام
افتنانا، وتجمع الغاية وما دونها، على أن أسلوب تلك الآية خلاف أسلوب هذه، من قبل أنه قدم هاهنا أنهم
أسروا النجوى، فكأنه أراد أن يقول إن ربي يعلم ما أسروه، فوضع القول موضع ذلك للمبالغة، وثم قصد
وصف ذاته بأن أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض، فهو كقوله علام الغيوب عالم الغيب
لا يعزب عنه مثقال ذرة. وقرئ قال ربي حكاية لقول رسول الله صلعم. بل قالوا أضربوا عن قولهم هو سحر إلى
أنه تخاليط أحلام، ثم إلى أنه كلام مفترى من عنده، ثم إلى أنه قول شاعر، وهكذا الباطل لجلج،
والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد. ويجوز أن يكون تنزيلا من الله تعالى لأقوالهم في درج
الفساد، وأن قولهم الثاني أفسد من الأول، والثالث أفسد من الثاني، وكذلك الرابع أفسد من
الثالث. صحة التشبيه في قوله كما أرسل الأولون من حيث إنه في معنى كما أتى الأولون بالآيات، لأن
إرسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات، ألا ترى أنه لا فرق بين أن تقول أرسل محمد، وبين قولك أتى محمد
بالمعجزة. أفهم يؤمنون فيه أنهم أعتى من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها،
فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله، فلو أعطيناهم ما يقترحون لكانوا أنكث. وأمرهم
أن يستعلموا أهل الذكر، وهم أهل الكتاب، حتى يعلموهم أن رسل الله الموحى إليهم كانوا بشرا ولم يكونوا
ملائكة كما اعتقدوا، وإنما أحالهم على أولئك لأنهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله. قال الله
ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا، فلا يكادون يواطئونهم فيما هو
رد لرسول الله صلعم. لا يأكلون الطعام صفة لجسدا، والمعنى وما جعلنا الأنبياء قبله ذوي جسد
غير طاعمين. ووحد الجسد لإرادة الجنس، كأنه قال ذوي ضرب من الأجساد. وهذا رد لقولهم
ما لهذا الرسول يأكل الطعام. فإن قلت نعم قد رد إنكارهم أن يكون الرسول بشرا يأكل ويشرب بما ذكرت،
فماذا رد من قولهم بقوله وما كانوا خالدين؟ قلت يحتمل أن يقولوا إنه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت
كما نموت، أو يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد، إما معتقدين أن الملائكة لا يموتون، أو مسمين حياتهم
المتطاولة وبقاءهم الممتد خلودا. صدقناهم الوعد مثل واختار موسى قومه، والأصل في الوعد ومن قومه، ومنه
صدقوهم القتال، وصدقني سن بكره. ومن نشاء هم المؤمنون ومن في بقائه مصلحة. ذكركم شرفكم
وصيتكم، كما قال وإنه لذكر لك ولقومك، أو موعظتكم، أو فيه مكارم الأخلاق التي كنتم تطلبون بها
الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث وأداء الأمانة والسخاء وما
أشبه ذلك. وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم، لأن القصم أفظع
الكسر، وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء، بخلاف الفصم. وأراد بالقرية أهلها، ولذلك وصفها بالظلم،
وقال قوما آخرين لأن المعنى أهلكنا قوما وأنشأنا قوما آخرين. وعن ابن عباس أنها حضور، وهي
وسحول قريتان باليمن تنسب إليهما الثياب. وفي الحديث كفن رسول الله صلعم في ثوبين سحوليين،
وروي حضوريين. بعث الله إليهم نبيا فقتلوه، فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلطه على أهل بيت المقدس
فاستأصلهم. وروي أنه لما أخذتهم السيوف نادى مناد من السماء يا لثارات الأنبياء، فندموا واعترفوا بالخطأ

وذلك حين لم ينفعهم الندم وظاهر الآية على الكثرة ولعل ابن عباس رضي الله عنه ذكر حضور بأنها إحدى القرى
التي أرادها الله بهذه الآية فلما علموا شدة عذابنا وبطشتنا علم حس ومشاهدة لم يشكوا فيها ركضوا
من ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز أن يركبوا دوابهم
يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم
على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم لا تركضوا والقول محذوف فإن قلت من القائل قلت
يحتمل أن يكون بعض الملائكة أو من ثم من المؤمنين أو يجعلون خلقاء بأن يقال لهم ذلك وإن لم
يقل أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم أو يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم وارجعوا
إلى ما أترفتم فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والإتراف إبطار النعمة وهي الترفه ومساكنكم لعلكم تسألون
تهكم بهم وتوبيخ أي ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا واجلسوا
كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره وينفذ فيه
أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وماذا ترسمون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين
أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاون في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض
ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بآرائكم أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون
سحائب أكفكم ويمترون أخلاف معروفكم وأياديكم إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء
الناس وطلب الثناء أو لأنهم كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما إلى تهكم وتوبيخا إلى توبيخ فما زالت تلك إشارة
إلى يا ويلنا لأنها دعوى كأنه قيل فما زالت تلك الدعوى دعواهم والدعوى بمعنى الدعوة
قال الله تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين فإن قلت لم سميت دعوى قلت لأن المولول
كأنه يدعو الويل فيقول تعال يا ويل فهذا وقتك وتلك مرفوع أو منصوب اسما أو خبرا
وكذلك دعواهم الحصيد الزرع المحصود أي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استئصالهم
واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا أي مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان
هو والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا على المفعولية فإن قلت كيف ينصب جعل
ثلاثة مفاعيل قلت حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد لأن معنى قولك جعلته حلوا حامضا
جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود أي وما
سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلائق مشحونة بضروب
البدائع والعجائب كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب وإنما
سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر
لعبادنا وانتفاعه عن أفعالي هو أن الحكمة صارفة عنه وإلا فأنا قادر على اتخاذه إن كنا فاعلين
لأني على كل شيء قدير وقوله لاتخذناه من لدنا كقوله رزقا من لدنا أي من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد
بلغة اليمن وقيل المرأة وقيل من لدنا أي من الملائكة لا من الإنس ردا لولادة المسيح وعزير بل إضراب
عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته كأنه قال سبحاننا أن نتخذ اللهو واللعب بل من
عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح أن نغلب اللهو بالجد وندحض الباطل بالحق واستعار
لذلك القذف والدمغ تصويرا لإبطاله وإهداره ومحقه فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة
مثلا قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه ثم قال ولكم الويل مما تصفونه به مما لا يجوز عليه
وعلى حكمته وقرئ فيدمغه بالنصب وهو في ضعف قوله سأترك منزلي لبني تميم وألحق بالحجاز فأستريحا
وقرئ فيدمغه من عنده هم الملائكة والمراد أنهم مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين
عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه فإن قلت الاستحسار مبالغة
في الحسور فكان الأبلغ في وصفهم أن ينفى عنهم أدنى الحسور قلت في الاستحسار بيان أن ما هم فيه
يوجب غاية الحسور وأقصاه وأنهم أحقاء لتلك العبادات الباهظة بأن يستحسروا فيما يفعلون
أي تسبيحهم متصل دائم في جميع أوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ أو بشغل آخر هذه أم المنقطعة الكائنة
بمعنى بل والهمزة قد آذنت بالإضراب عما قبلها والإنكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم آلهة
من الأرض هم ينشرون الموتى ولعمري أن من أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات فإن قلت كيف
أنكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم وكيف وهم أبعد شيء عن هذه الدعوى
وذلك أنهم كانوا مع إقرارهم لله عز وجل بأنه خالق السموات والأرض ولئن سألتهم من خلق
السموات والأرض ليقولن الله وبأنه القادر على المقدورات كلها وعلى النشأة الأولى منكرين
البعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن
قدرة القادر كثاني القديم فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة رأسا قلت
الأمر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها الإلهية يلزمهم أن يدعوا لها الإنشار لأنه لا يستحق هذا الاسم
إلا القادر على كل مقدور والإنشار من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ
والتجهيل وإشعار بأن ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لأن الإلهية لما صحت صح
معها الاقتدار على الإبداء والإعادة ونحو قوله من الأرض قولك فلان من مكة
أو من المدينة تريد مكي أو مدني ومعنى نسبتها إلى الأرض الإيذان بأنها الأصنام التي تعبد
في الأرض لأن الآلهة على ضربين أرضية وسماوية ومن ذلك حديث الأمة التي قال لها رسول
الله صلى الله عليه وسلم أين ربك فأشارت إلى السماء فقال إنها مؤمنة لأنه فهم منها أن مرادها نفي الآلهة

الارضية

الأرضية التي هي الأصنام لا إثبات السماء مكانا لله عز وجل ويجوز أن يراد آلهة من جنس الأرض لأنها إما
أن تنحت من بعض الحجارة أو تعمل من بعض جواهر الأرض فإن قلت لا بد من نكتة في قوله هم فما النكتة
فيه قلت إفادة معنى الخصوصية كأنه قيل أم اتخذوا آلهة لا يقدر على الإنشار إلا هم وحدهم وقرأ الحسن ينشرون
وهما لغتان أنشر الله الموتى ونشرها وصفت آلهة بإلا كما توصف بغير لو قيل آلهة غير الله فإن قلت ما منعك
من الرفع على البدل قلت لأن لو بمنزلة إن في أن الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ إلا في الكلام غير الموجب
كقوله تعالى ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك وذلك لأن أعم العام يصح نفيه ولا يصح إيجابه والمعنى لو كان يتولاهما
ويدبر أمرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على أمرين أحدهما وجوب أن لا يكون
مدبرهما إلا واحدا والثاني أن لا يكون ذلك الواحد إلا إياه وحده لقوله إلا الله فإن قلت لم وجب الأمران قلت
لعلمنا أن الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك
بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق كان والله أعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول
وهذا ظاهر وأما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد ولأن هذه الأفعال محتاجة إلى تلك الذات المتميزة
بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر لما كانت عادة الملوك والجبابرة ألا يسألهم من في مملكتهم عن أفعالهم وعما
يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا وإجلالا مع جواز الخطإ والزلل وأنواع الفساد عليهم كان
ملك الملوك ورب الأرباب خالقهم ورازقهم أولى بأن لا يسأل عن أفعاله مع ما علم واستقر في العقول من
أن ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح وهم يسألون أي هم مملوكون مستعبدون
خطاؤون فما أخلقهم بأن يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه كرر أم اتخذوا من دونه آلهة استفظاعا لشأنهم
واستعظاما لكفرهم أي وصفتم الله تعالى بأن له شريكا فهاتوا برهانكم على ذلك إما من جهة العقل وإما من جهة
الوحي فإنكم لا تجدون كتابا من كتب الأولين إلا وتوحيد الله وتنزيهه عن الأنداد مدعو إليه والإشراك به منهي
عنه متوعد عليه أي هذا الوحي الوارد في معنى توحيد الله ونفي الشركاء عنه كما ورد علي فقد ورد على جميع الأنبياء
فهو ذكر أي عظة للذين معي يعني أمته وذكر للذين قبلي يريد أمم الأنبياء وقرئ ذكر من معي وذكر من قبلي
بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وهو الأصل والإضافة من
إضافة المصدر إلى المفعول كقوله غلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقرئ من معي ومن قبلي على من
الإضافية في هذه القراءة وإدخال الجار على مع غريب والعذر فيه أنه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعند
ولدن وما أشبه ذلك فدخل عليه من كما تدخل على أخواته وقرئ ذكر معي وذكر قبلي كأنه قيل بل عندهم
ما هو أصل الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء هذا
الإعراض ومن هناك ورد هذا الإنكار وقرئ الحق بالرفع على توسيط التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى
أن إعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز أن يكون المنصوب أيضا على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل
يوحى ونوحي مشهورتان وهذه الآية مقررة لما سبقها من آي التوحيد نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة
بنات الله نزه ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بأنهم عباد والعبودية تنافي الولادة إلا أنهم مكرمون
منهم من زعم أنهم أولادي تعاليت عن ذلك علوا كبيرا وقرئ مكرمون ولا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته
والمعنى أنهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقولهم فأنيبت اللام
مناب الإضافة أي لا يتقدم قولهم قوله كما تقول سبقت بفرسي فرسه وكما أن قولهم تابع لقوله
فعملهم أيضا كذلك مبني على أمره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به وجميع ما يأتون وما يذرون مما قدموا وأخروا
بعين الله تعالى وهو مجازيهم عليه فلإحاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم ويراعون أحوالهم ويعمرون أوقاتهم
ومن تحفظهم أنهم لا يجسرون أن يشفعوا إلا لمن ارتضاه الله وأهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم
ثم إنهم مع هذا كله من خشيته مشفقون أي متوقعون لأن الشفقة الحذر من أدنى شيء من أمارة ضعيفة
كأنهم على حذر ورقبة لا يأمنون مكر الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج ساقطا
كالحلس من خشية الله تعالى وبعد أن وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده وأثنى عليهم وأضاف إليهم
تلك الأفعال السنية والأعمال المرضية فاجأ بالوعيد الشديد وأنذر بعذاب جهنم من أشرك منهم وإن
كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع إحاطة علمه بأنه لا يكون كما قال ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون
قصد بذلك تفظيع أمر الشرك وتعظيم شأن التوحيد قرئ ألم ير بغير واو ورتقا بفتح التاء
وكلاهما في معنى المفعول كالخلق والنقض أي كانتا مرتوقتين فإن قلت الرتق صالح لأن يقع موقع مرتوقتين
لأنه مصدر فما بال الرتق قلت هو على تقدير موصوف أي كانتا شيئا رتقا ومعنى ذلك أن السماء كانت
لاصقة بالأرض لا فضاء بينهما أو كانت السموات متلاصقات وكذلك الأرضون لا فرج بينها ففتقهما
الله وفرج بينهما وقيل ففتقناهما بالمطر والنبات بعدما كانت مصمتة وإنما قيل كانتا دون كن
لأن المراد جماعة السموات وجماعة الأرض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان أي جماعتان فعل في
المضمر نحو ما فعل في المظهر فإن قلت متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلت فيه وجهان
أحدهما أنه وارد في القرآن الذي هو معجز في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد والثاني أن تلاصق الأرض
والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه
وجعلنا لا يخلو أن يتعدى إلى واحد أو اثنين فإن تعدى إلى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله
خلق كل دابة من ماء أو كأنما خلقناه من الماء لفرط احتياجه إليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الإنسان

من عجل وان تعدى الى اسمين فالمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من في قوله عليه السلام
ما انا من دد ولا الدد مني وقرئ حيا وهو المفعول الثاني والظرف لغو اى كراهة ان تميد بهم وتضطرب او
لئلا تميد بهم فحذف لا واللام واضمر ان وجاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك في نحو قوله لئلا يعلم اهل
الكتاب وهذا مذهب الكوفيين الفج الطريق الواسع فان قلت في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر
كما في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا قلت لم تقدم وهي صفة ولكن جعلت حالا كقوله لعزة موحشا طلل قديم
فان قلت ما الفرق بينهما من جهة المعنى قلت فيه وجهان احدهما اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة
والثاني بانه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثمه محفوظا حفظه بالامساك بقدرته من ان
تقع على الارض وتتزلزل او بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانها من الملائكة عن آياتها اى عما وضع الله
فيها من الادلة والعبر كالشمس والقمر وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم
والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة واي جهل اعظم من جهل من اعرض عنها ولم
يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على عظمة شان من اوجدها عن عدم ودبرها
ونصبها هذه النصبة واودعها ما اودعها مما لا يعرف كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن آيتها
على التوحيد اكتفاء بالواحدة في الدلالة على الجنس اى هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية
كالاستضاءة بقمريها والاهتداء بكواكبها وحيوة الارض والحيوان بامطارها وهم عن كونها آية بينة على
الخالق معرضون كل التنوين فيه عوض من المضاف اليه اى كلهم في فلك يسبحون والضمير للشمس والقمر
والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعها بالشموس والاقمار
والا فالشمس واحدة والقمر واحد وانما جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة فان قلت الجملة
ما محلها قلت محلها النصب على الحال من الشمس والقمر فان قلت كيف استبد بها دون الليل والنهار
قلت كما تقول رأيت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك اذا جئت بصفة يختص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه
قوله تعالى في هذه السورة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او لا محل لها لاستينافها فان قلت لكل واحد
القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون في فلك قلت هو كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا اى كل واحد منهم او كساهم وقلدهم هذين
الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا ولان الغرض الدلالة على الجنس كانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون
بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا اى قضى الله ان لا يخلد في الدنيا بشرا فلا انت ولا هم الا عرضة للموت
فاذا كان الامر كذلك فان مت انت ايبقى هؤلاء وفي معناه قول القائل فقل للشامتين بنا افيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا اى نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم والينا
مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر او الشكر وانما سمى ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من
اعمال العاملين قبل وجودهم لانه في صورة الاختبار وفتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه
الذكر يكون بخير وبخلافه فاذا دلت الحال على احدهما اطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا
يذكرك فان كان الذاكر صديقا فهو ثناء وان كان عدوا فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم وقوله
اهذا الذي يذكر آلهتكم والمعنى انهم عاكفون بهممهم على ذكر آلهتهم وما يجب ان لا يذكر به من كونهم شفعاء
وشهداء ويسوؤهم ان يذكرها ذاكر بخلاف ذلك واما ذكر الله وما يجب ان يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون
لا يصدقون به اصلا فهم احق بان يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن
قولهم ما نعرف الرحمن الا مسيلمة وقولهم وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وقيل بذكر الرحمن بما انزل
عليك من القرآن والجملة في موضع الحال اى يتخذونك هزوا وهم على حال هي اصل الهزو والسخرية وهي الكفر بالله
كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة الى العلم والاقرار ويقولون متى هذا الوعد فاراد نهيهم
عن الاستعجال وزجرهم فقدم اولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم
كانه قال ليس ببدع منكم ان تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس
انه اراد بالانسان آدم وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروى لما دخل
الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله في آخر النهار
يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل مغيبها وعن ابن عباس انه النضر بن الحارث
والظاهر ان المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير قال شاعرهم والنخل ينبت بين الماء والعجل
والله اعلم بصحته فان قلت لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله وكان
الانسان عجولا اليس هذا من تكليف ما لا يطاق قلت هذا كما ركب فيه الشهوة وامره ان يغلبها لانه
اعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقرئ خلق الانسان جواب لو محذوف
وحين مفعول به ليعلم اى لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت
صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من انفسهم ولا يجدون
ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي
هونه عندهم ويجوز ان يكون يعلم متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين
لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر اى حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا على الباطل
وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم اى لا يكفونها بل تفجأهم فتغلبهم يقال للمغلوب في المحاجة مبهوت ومنه
فبهت الذي كفر اى غلب ابراهيم الكافر وقرأ الاعمش يأتيهم فيبهتهم على التذكير والضمير للوعد او للحين

فان قلت

فان قلت فالام يرجع الضمير المؤنث في هذه القراءة قلت الى النار او الى الوعد لانه في معنى النار وهي التي وعدوها
او على تأويل العدة والموعدة او الى الحين لانه في معنى الساعة او الى البغتة وقيل في القراءة الاولى الضمير
للساعة وقرأ الاعمش بغتة بفتح الغين ولا هم ينظرون تذكير بانظاره اياهم وامهاله وتفسيح وقت التذكر
عليهم اى لا يمهلون بعد طول الامهال سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بان له في الانبياء عليهم السلام اسوة
وان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا من الرحمن اى من بأسه وعذابه بل هم
معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ
وصلحوا للسؤال عنه والمراد انه امر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن
ذكر من يكلؤهم ثم اضرب عن ذلك بما في ام من معنى بل وقال ام لهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا
وحفظنا ثم استأنف وبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف
يمنع غيره وينصره ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما
كلأناهم وآباءهم الماضين الا تمتيعا لهم بالحيوة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وامهلناهم حتى
طال عليهم الامد وامتدت ايام الروح والطمأنينة فحسبوا ان لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم
ثوب امنتهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وامل كاذب افلا يرون انا ننقص ارض الكفرة ودار الحرب
ونحذف اطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على اهلها وردها دار اسلام فان قلت اي فائدة في
قوله نأتي الارض قلت الفائدة فيه تصوير ما كان الله عز وجل يجريه على ايدي المسلمين وان عساكرهم
وسراياهم كانت تغزو ارض المشركين وتأتيها غالبة عليها ناقصة من اطرافها وقرئ ولا تسمع الصم ولا يسمع
الصم بالتاء والياء اى لا تسمع انت الصم ولا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يسمع الصم من اسمع فان قلت الصم لا
يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل اذا ما ينذرون قلت اللام في الصم اشارة الى هؤلاء
المنذرين كائنة للعهد لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة
على تصامهم وسدهم اسماعهم اذا انذروا اى هم على هذه الصفة من الجرأة والجسارة على التصام
من آيات الانذار ولئن مستهم من هذا الذي ينذرون به ادنى شيء لاذعنوا وذلوا واقروا بانهم ظلموا
انفسهم حين تصاموا واعرضوا وفي المس والنفحة ثلاث مبالغات لان النفح في معنى القلة والنزارة يقال
نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه بعطية رضخه ولبناء المرة وصفت الموازين بالقسط وهو
العدل مبالغة كانها في انفسها قسط او على حذف المضاف اى ذوات القسط واللام في ليوم القيامة
مثلها في قولك جئت لخمس ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة توهمت آيات لها فعرفتها
لستة اعوام وذا العام سابع وقيل لاهل يوم القيامة اى لاجلهم فان قلت ما المراد بوضع الموازين
قلت فيه قولان احدهما ارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير ان يظلم
عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات والثاني انه يضع الموازين الحقيقية وتوزن
بها الاعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان ويروى ان داود عليه السلام سأل ربه ان يريه الميزان فلما رآه
غشي عليه ثم افاق فقال يا الهي من الذي يقدر ان يملأ كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملأتها
بتمرة فان قلت كيف توزن الاعمال وانما هي اعراض قلت فيه قولان احدهما توزن صحائف الاعمال والثاني
تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي السيئات جواهر سود مظلمة وقرئ مثقال حبة على كان التامة كقوله
وان كان ذو عسرة وقرأ ابن عباس ومجاهد آتينا بها وهي مفاعلة من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافأة
لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وقرأ حميد اثبنا بها من الثواب وفي حرف ابي جئنا بها وانث ضمير المثقال لاضافته
الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه اي آتيناهما الفرقان وهو التوراة وآتينا به ضياء وذكرى للمتقين والمعنى
انه في نفسه ضياء وذكر او آتيناهما بما فيه من الشرائع والمواعظ ضياء وذكرا وعن ابن عباس الفرقان الفتح
كقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات وقرئ ضياء بغير
واو وهو حال عن الفرقان والذكر الموعظة او ذكر ما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم ... الذين في محل الجر على
الوصفية او نصب على المدح او رفع عليه ذكر مبارك هو القرآن وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره الرشد
الاهتداء لوجوه الصلاح قال الله تعالى فان آنستم منهم رشدا وقرئ رشده والرشد والرشد
كالعدم والعدم ومعنى اضافته اليه انه رشد مثله وانه رشد له شان من قبل من قبل موسى وهرون ومعنى
علمه به انه علم منه احوالا بديعة واسرارا عجيبة وصفات قد رضيها واحمدها حتى اهله لمخالته ومخالصته
وهذا كقولك في خير من الناس انا عالم بفلان فكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الاوصاف بمنزل اذ
اما ان يتعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اى اذكر من اوقات رشده هذا الوقت وقوله ما هذه التماثيل
تجاهل لهم وتغاب ليحقر آلهتهم ويصغر شانها مع علمه بتعظيمهم واجلالهم لها لم ينو للعاكفين مفعولا
واجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها او واقفون لها فان قلت هلا قيل عليها عاكفون كقوله
يعكفون على اصنام لهم قلت لم ينو التعدية وعداه باللام التي هي ... ما اقبح التقليد والقول المتقبل
بغير برهان وما اعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم الى ان قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل
وعفروا لها جباههم وهم معتقدون انهم على شيء وجادون في نصرة مذهبهم ومجادلون لاهل الحق عن باطلهم
وكفى اهل التقليد سبة ان عبدة الاصنام منهم انتم من التأكيد الذي لا يصح الكلام مع الاخلال به

لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن انت وزوجك الجنة اراد ان المقلدين والمقلدين جميعا منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على كل ذي مسكة لاستناد الفريقين الى غير دليل بل الى هوى متبع وشيطان مطاع لاستبعادهم ان يكون ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله اياهم وحسبوا ان ما قاله انما قاله على وجه المزاح والمداعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذي جئتنا به اهو جد وحق ام لعب وهزل ﴿الضمير في فطرهن﴾ للسموات والارض او للتماثيل وكونه للتماثيل ادخل في تضليلهم واثبت للاحتجاج عليهم وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه وتصحيحه بها كما تصحح الدعوى بالشهادة كانه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه كما تبين الدعاوى بالبينات لاني لست مثلكم فاقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على انكم وجدتم عليه اباءكم وقرأ معاذ بن جبل ﴿بالله﴾ وقرئ ﴿تولوا﴾ بمعنى تتولوا ويقويها قوله فتولوا عنه مدبرين **فان قلت** ما الفرق بين الباء والتاء **قلت** ان الباء هي الاصل والتاء بدل من الواو المبدل منها وان التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كانه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه لان ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري ان مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمرود مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ولكن اذا الله سنى عقد شيء تيسرا روي ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدأوا ببيت الاصنام فدخلوه فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع بركت الالهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابرهيم فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفاس في يده حتى لم يبق الا الكبير علق الفاس في عنقه عن قتادة قال ذلك سرا من قومه وروي سمعه رجل واحد ﴿جذاذا﴾ قطاعا من الجذ وهو القطع وقرئ بالكسر والفتح وقرئ جذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة وانما استبقى الكبير لانه غلب في ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لالهتهم فيبكتهم بما اجاب به من قوله ﴿بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم﴾ وعن الكلبي اليه الى كبيرهم ومعنى هذا لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات فيقولون ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا والفاس على عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في الهتهم وتعظيمهم لها او قاله مع علمه انهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم واستجهالا وان قياس حال من يسجد له ويؤهل للعبادة ان يرجع اليه في حل المشكل **فان قلت** فاذا رجعوا الى الصنم بكاء بتهم لعقولهم ورسوخ الاشراك في اعراقهم فاي فائدة دينية في رجوعهم اليه حتى يجعله ابرهيم صلوات الله عليه غرضا **قلت** اذا رجعوا اليه تبين انه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر انهم في عبادته على جهل عظيم ﴿اي من فعل هذا﴾ الكسر والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة اما لجرأته على الالهة الحقيقة عندهم بالتوقير والاعظام واما لانهم رأوا افراطا في حطمها وتماديا في الاستهانة بها **فان قلت** ما حكم الفعلين بعد سمعنا فتى واي فرق بينهما **قلت** هما صفتان لفتى الا ان الاول وهو يذكرهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع واما الثاني فليس كذلك **فان قلت** ﴿ابرهيم﴾ ما هو **قلت** قيل هو خبر مبتدا محذوف او منادى والصحيح انه فاعل يقال لان المراد الاسم لا المسمى ﴿على اعين الناس﴾ في محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا اي بمرأى منهم ومنظر **فان قلت** ما معنى الاستعلاء في على **قلت** هو وارد على طريق المثل اي يثبت اتيانه في الاعين ويتمكن ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه ﴿لعلهم يشهدون﴾ عليه بما سمع منه او بما فعله او يحضرون عقوبتنا له روي ان الخبر بلغ نمرود واشراف قومه فامروا باحضاره هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها الا اذهان الراضة من علماء المعاني والقول فيه ان قصد ابرهيم صلوات الله عليه لم يكن الى ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط أانت كتبت هذا وصاحبك امي لا يحسن الخط ولا يقدر الا على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامي او المخرمش لان اثباته والامر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به واثبات للقادر ولقائل ان يقول غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها اكبر واشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه هو السبب في استهانته بها وحطمه لها والفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز ان يكون حكاية لما يقود اليه تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا واشد منه ويحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها وقرأ محمد بن السميفع فعله كبيرهم يعني فلعله اي فلعل الفاعل كبيرهم ﴿فرجعوا الى انفسهم﴾ فلما القمهم الحجر واخذ بمخانقهم رجعوا الى انفسهم فقالوا انتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين ﴿نكسوا﴾ قلبته فجعلت اسفله اعلاه وانتكس انقلب اي استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاءوا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا عن تلك الحالة فاخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وان هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق الهة معبودة مضارة منهم او انتكسوا عن كونهم مجادلين لابرهيم مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق او قلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم به ابرهيم فما احاروا جوابا الا ما هو حجة عليهم وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على لفظ ما لم يسم فاعله اي نكسوا انفسهم على رؤسهم وهي قراءة رضوان بن عبد المعبود ﴿اف﴾ صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر اضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق

الباطل فتأفف بهم واللام لبيان المتأفف به اي لكم ولالهتكم هذا التأفف ﴿اجمعوا﴾ رأيهم لما غلبوا بالحجة وهكذا المبطل اذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن احب اليه من المحق ولم يبق له مفزع الا مناصبته كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم حين عجزوا عن المعارضة والذي اشار باحراقه نمرود وعن ابن عمر رجل من اعراب العجم يريد الاكراد وروي انهم لما هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثا وجمعوا شهرا اصناف الخشب الصلاب حتى ان كانت المرأة لتمرض فتقول ان عافاني الله لاجمعن حطبا لابرهيم ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحرق في الجو من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها فناداها جبريل ﴿يا نار كوني بردا وسلاما﴾ ويحكى انه ما احرقت منه الا وثاقه وقال له جبريل حين رمي به هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فاسأل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي وعن ابن عباس انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل واطل عليه نمرود من الصرح فاذا هو في روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة الاف بقرة وكف عن ابرهيم وكان ابرهيم اذ ذاك ابن ست عشرة سنة واختاروا المعاقبة بالنار لانها اهول ما يعاقب به وافظعه ولذلك جاء لا يعذب بالنار الا خالقها ثم قالوا ان كنتم فاعلين اي ان كنتم ناصرين الهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له اهول المعاقبات وهي الاحراق بالنار والا فرطتم في نصرتها ولهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير امرها وتفخيم شأنها ولم يالوا جهدا في ذلك جعلت النار لمطاوعتها فعل الله وارادته كمأمور امر بشيء فامتثله والمعنى ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كان ذاتها برد وسلام والمراد ابردي فيسلم منك ابرهيم او ابردي بردا غير ضار وعن ابن عباس لو لم يقل ذلك لاهلكته بردها **فان قلت** كيف بردت النار وهي نار **قلت** نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والاحراق وابقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شيء قدير ويجوز ان يدفع الله عن جسم ابرهيم صلوات الله عليه اذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله على ابرهيم ﴿وارادوا﴾ ان يكيدوه ويمكروا به فما كانوا الا مغلوبين مقهورين غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه المبكت وفزعوا الى القوة والجبروت فنصره الله وقواه نجيا من العراق الى الشام وبركاته الواصلة الى العالمين ان اكثر الانبياء بعثوا فيها فانتشرت في العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية وهي البركات الحقيقية وقيل بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغني والفقير وعن سفيان انه خرج الى الشام فقيل له الى اين فقال الى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم وقيل ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وروي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ﴿نافلة﴾ ولد الولد وقيل سأل اسحق فاعطيه واعطي يعقوب نافلة اي زيادة وفضلا من غير سؤال ﴿يهدون بامرنا﴾ فيه ان من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مأمور هو بها من جهة الله ليس له ان يخل بها ويتثاقل عنها واول ذلك ان يهتدي بنفسه لان الانتفاع بهداه اعم والنفوس الى الاهتداء بالمهدي اميل ﴿فعل الخيرات﴾ اصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك ﴿اقام الصلوة وايتاء الزكوة﴾ ﴿حكما﴾ حكمة وهو ما يجب فعله او فصلا بين الخصوم وقيل هو النبوة و﴿القرية﴾ سدوم ﴿في رحمتنا﴾ في اهل رحمتنا او في الجنة ومنه الحديث هذه رحمتي ارحم بها من اشاء ﴿من قبل﴾ من قبل هؤلاء المذكورين هو نصره الذي مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه اي اجعلهم منتصرين منه ﴿والكرب﴾ الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه اي واذكرهما ﴿واذ﴾ بدل منهما ﴿والنفش﴾ الانتشار بالليل وجمع الضمير لانه ارادهما والمتحاكمين اليهما وقرئ لحكمهما ﴿والفهم في ففهمناها﴾ للحكومة او الفتوى قيل فهمناها حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمن وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال ارى ان تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى ارباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم افسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك **فان قلت** احكما بوحي ام باجتهاد **قلت** حكما جميعا بالوحي الا ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمن وقيل اجتهدا جميعا فجاء اجتهاد سليمن اشبه بالصواب **فان قلت** ما وجه كل واحدة من الحكومتين **قلت** اما وجه حكومة داود فلان الضرر لما وقع بالغنم سلمت بجنايتها الى المجني عليه كما قال ابو حنيفة في العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه وعند الشافعي يبيعه في ذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه حكومة سليمن انه جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك عن الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال اصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فأبق من يده انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا **فان قلت** فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها **قلت** ابو حنيفة واصحابه لا يرون فيها ضمانا بالليل او بالنهار الا ان يكون مع البهيمة سائق او قائد والشافعي يوجب الضمان بالليل وفي قوله ففهمناها سليمن دليل على ان الاصوب كان مع سليمن وفي قوله وكلا اتينا حكما وعلما دليل على انهما جميعا كانا على الصواب ﴿يسبحن﴾ حال بمعنى مسبحات او استيناف كان قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن ﴿والطير﴾ اما معطوف على الجبال واما مفعول معه **فان قلت** لم قدمت الجبال على الطير **قلت** لان تسخيرها وتسبيحها اعجب وادل على القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق روي انه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار **فان قلت** كيف تنطق وتسبح **قلت** بان يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم سبحانه موسى وجواب اخر وهو ان يسبح من رآها تسير بتسيير الله فلما حملت على التسبيح وصفت به ﴿وكنا فاعلين﴾ اي قادرين على ان نفعل هذا وان كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل مثل ذلك بالانبياء ﴿اللبوس﴾ اللباس قال البس لكل حالة لبوسها اما نعيمها واما بوسها والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح فاول من سردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين ﴿لتحصنكم﴾ قرئ بالنون والتاء والياء وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون لله عز وجل والتاء للصنعة او للبوس على تأويل الدرع والياء لداود عليه السلام او للبوس ﴿فهل انتم شاكرين﴾ ﴿الريح﴾ والرياح بالرفع والنصب فيهما فالرفع على الابتداء والنصب للعطف

على الجبال فان قلت وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة اخرى فما التوفيق بينهما قلت كانت في نفسها رخية
طيبة كالنسيم فاذا مرت بكرسيه ابعدت به في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر فكان جمعها بين الامرين
ان تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم آية الى آية ومعجزة الى معجزة
وقيل كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفا لهبوبها على حكم ارادته وقد احطنا بكل شيء علما فنجري الاشياء كلها على ما يقتضيه
علمنا وحكمتنا اي يغوصون له في البحار فيستخرجون الجواهر ويتجاوزون ذلك الى الاعمال والمهن وبنا المداين والقصور
واختراع الصنايع العجيبة كما قال تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل والله حافظهم ان يزيغوا عن امره او
يبدلوا او يغيروا او يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون فيه اي ناداه بانى مسني وقرى اني بالكسر
على اضمار القول او لتضمن النداء معناه والضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال
فرق بين البنائين لافتراق المعنيين الطف في السوال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة
ولم يصرح بالمطلوب ويحكى ان عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا امير المومنين مشت جرذان بيتي
على العصي فقال لها الطفت في السوال لاجرم لاردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبا كان ايوب عليه السلم روميا
من ولد اسحق بن يعقوب عليهم السلم وقد استنباه الله وبسط عليه الدنيا وكثر اهله وماله كان له سبعة بنين وسبع
بنات وله اصناف البهائم وخمسماية فدان يتبعها خمسماية عبد لكل عبد امراة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب
ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وعن قتادة ثلاث عشرة سنة
وعن مقاتل سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات وقالت له امراته يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخا
فقالت ثمانين سنة فقال لها اني استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه
احيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم وروي ان امراته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا اي لرحمتنا
العابدين وانا نذكرهم بالاحسان لا ننساهم او رحمة منا لايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر
حتى يثابوا كما اثيب في الدنيا والاخرة قيل في ذي الكفل هو الياس وقيل هو زكريا وقيل يوشع بن نون وكانه سمي بذلك
لانه ذو الحظ من الله والمجدود على الحقيقة وقيل كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقيل
خمسة من الانبياء ذوو اسمين اسرائيل ويعقوب الياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد واحمد النون
الحوت فاضيف اليه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يذكروا واقاموا على كفرهم فراغمهم وظن ان ذلك يسوغ حيث
لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه وبغضا للكفر واهله وكان عليه ان يصابر وينتظر الاذن من الله في المهاجرة
فابتلي ببطن الحوت ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها وقرى ابو شرف
مغضبا وقرى نقدر ونقدر بالنون مخففا ومثقلا ويقدر بالياء بالتخفيف ويقدر ويقدر على البناء للمفعول مخففا
ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه عقوبته وعن ابن عباس انه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني
امواج القران البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسي خلاصا الا بك قال وما هي يا معاوية فقرا هذه الاية وقال او يظن
نبي الله ان لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف يصح ان يفسر بالقدرة على معنى ان لن نعمل فيه
قدرتنا وان يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله ممثلة بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير
انتظار لامر الله تعالى ويجوز ان يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المومن
المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس اليه في كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمومنين
في الظلمات اي الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجونهم
من النور الى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في
ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر اي بانه لا اله الا انت او بمعنى اي وعن النبي صلعم ما من مكروب يدعو بهذا الدعا
الا استجيب له وعن الحسن والله ما نجا الا اقراره على نفسه بالظلم ننجي ونجي وننجي والنون لا تدغم
في الجيم ومن تمحل لصحته فجعله فعل وقال نجي النجاء المومنين وارسل اليا واسكنه في المصدر ونصب المومنين بالنجا
فتعسف بارد التعسف سال ربه ان يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد امره الى الله
مستسلما فقال وانت خير الوارثين اي ان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي فانك خير وارث اصلاح زوجه ان جعلها
صالحة للولادة بعد عقرها وقيل تحسين خلقها وكانت سيئة الخلق الضمير للمذكورين من الانبيا عليهم السلم يريد
انهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمبادرتهم ابواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الامور
الجادون وقرى رغبا ورهبا بالاسكان وهو كقوله يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه خاشعين قال الحسن ذللا
لامر الله وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم في القلب وقيل متواضعين وسئل الاعمش فقال اما اني سالت
ابرهيم فقال الا تدريه قلت افدني قال بينه وبين الله اذا ارخى ستره واغلق بابه فليرا الله منه خيرا لعلك
ترى انه ان ياكل خشنا ويلبس خشنا ويطاطي راسه احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت
ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا ونفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي اي احييته واذا ثبت ذلك كان قوله فنفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل على احياء مريم
قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها اي احييناه في جوفها ونحو ذلك ان يقول الزمار نفخت في بيت فلان اي نفخت في
المزمار في بيته ويجوز ان يراد وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ
الى جوفها فان قلت هلا قيل ايتين كما قال وجعلنا الليل والنهار ايتين قلت لان حالهما بمجموعهما اية واحدة
وهي ولادتها اياه من غير فحل الامة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام اي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب
ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة وانا الهكم اله واحد فاعبدون ونصب الحسن امتكم
على البدل من هذه ورفع امة خبرا وعنه رفعهما جميعا خبرين لهذه او نوى للثاني مبتدا والخطاب للناس كافة
والاصل وتقطعتم الا ان الكلام حرف الى الغيبة على طريقة الالتفات كانه ينعي عليهم ما افسدوه الى اخرين

ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب هولاء في دين الله والمعنى جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا
كما يتوزع الجماعة الشي ويتقسمونه فيصير لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا
شتى ثم توعدهم بان هولاء الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم الكفران مثل في حرمان
الثواب كما ان الشكر مثل في اعطايه اذا قيل لله شكور وقد نفى نفي الجنس ليكون ابلغ من ان يقول فلا نكفر
سعيه وانا له كاتبون اي نحن كاتبوا ذلك السعي ومثبتوه في صحيفته وما نحن مثبتوه فهو غير ضايع ومثاب عليه
صاحبه استعير الحرام للممتنع وجوده ومنه قوله عز وجل ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهما منهم وابى
ان يكونا لهم وقرى وحرم وحرم بالفتح والكسر وحرم وحرم ومعنى اهلكناها عزمنا على اهلاكها او قدرنا
اهلاكها ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر الى الاسلام والانابة ومجاز الاية ان قوما عزم
الله عز وجل على اهلاكهم غير متصور ان يرجعوا وينيبوا الى ان تقوم القيمة فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا
قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين يعني انه مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب
وقرى انهم بالكسر وحق هذا ان يتم الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف كانه قيل وحرام على قرية اهلكناها
ذاك وهو المذكور في الاية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور ثم علل فقيل انهم لا يرجعون
عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراة بالفتح يصح حملها على هذا اي لانهم لا يرجعون ولا صلة
على الوجه الاول فان قلت بم تعلقت حتى واقعة غاية له واية الثلاث هي قلت هي متعلقة بحرام وهي غاية
له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيمة وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط
والجزا اعني اذا وما في حيزها حذف المضاف الى ياجوج وماجوج وهو سدهما كما حذف المضاف الى القرية
وهو اهلها وقيل فتحت كما قيل اهلكناها وقرى اجوج وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة
اجزا تسعة منها ياجوج وماجوج وهم راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم ياجوج وماجوج
يخرجون حين يفتح السد الحدب النشز من الارض وقرى ابن عباس رضه من كل جدث وهو القبر
الثاء حجازية والفاء تميمية وقرى ينسلون بضم السين ونسل وعسل اسرع واذا هي اذا المفاجاة وهي تقع
في المجازاة سادة مسد الفا كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفا معها تعاونتا على وصل الجزا بالشرط
فيتاكد ولو قيل اذا هي شاخصة او فهي شاخصة كان سديدا هي ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره
كما فسر الذين ظلموا واسروا يا ويلنا متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون في موضع الحال
من الذين كفروا وما تعبدون من دون الله يحتمل الاصنام وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في
حكم عبدتهم ويصدقه ما روي ان رسول الله صلعم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثماية
وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلعم حتى افحمه ثم تلى عليهم انكم وما تعبدون
من دون الله الاية فاقبل عبد الله بن الزبعرى فرآهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فاخبره الوليد
بن المغيرة بقول رسول الله صلعم فقال عبد الله اما والله لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن الزبعرى
انت قلت ذلك قال نعم قال خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح
وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلعم بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى الاية يعني عزيرا والمسيح والملائكة فان قلت لم قرنوا بالهتهم قلت لانهم لا يزالون لمقارنتهم
في زيادة غم وحسرة حيث اصابهم ما اصابهم بسببهم والنظر الى وجه العدو باب من العذاب ولانهم
قدروا انهم يستشفعون بهم في الاخرة ويستنفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على عكس ما
قدروا لم يكن شي ابغض اليهم منهم فان قلت اذا عنيت بما تعبدون الاصنام فما معنى لهم فيها زفير
قلت اذا كانوا هم واصنامهم في قرن واحد جاز ان يقال لهم زفير وان لم يكن الزافر
الا هم دون الاصنام للتغليب ولعدم الالباس والحصب المحصوب به اي يحصب بهم في النار والحصب
الرمي وقري بسكون الصاد وصفا بالمصدر وقرى حطب وحضب بالضاد متحركا وساكنا وعن ابن مسعود
يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون ويجوز ان يصمهم الله كما يعميهم الحسنى الخصلة الحسنى المفضلة في
الحسن تانيث الاحسن اما السعادة واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة وروي ان عليا رضه
قرا هذه الاية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمن وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف ثم اقيمت
الصلوة فقام يجر رداه وهو يقول لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت الذي يحس والشهوة طلب النفس اللذة
وقرى لا يحزنهم من احزن الفزع الاكبر قيل النفخة الاخيرة لقوله يوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض
وعن الحسن الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش
املح اي تستقبلهم الملائكة مهنئين على ابواب الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم قد حل
العامل في يوم نطوي لا يحزنهم او تتلقاهم وقرى تطوى السما على البنا للمفعول والسجل بوزن العتل
والسجل بلفظ الدلو وروي فيه الكسر وهو الصحيفة اي كما يطوى الطومار للكتابة اي ليكتب فيه او لما
يكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبنا ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فمعناه للمكتوبات اي لما يكتب فيه
من المعاني الكثيرة وقيل السجل ملك يطوي كتب بني ادم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلعم
والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها اول خلق مفعول نعيد الذي يفسره نعيده والكاف
مكفوفة بما والمعنى نعيد اول الخلق كما بداناه تشبيها للاعادة بالابتدا في تناول القدرة لهما على السوا
فان قلت وما اول الخلق حتى يعيده كما بداه قلت اوله ايجاده عن العدم فكما اوجده اولا عن عدم يعيده
ثانيا عن عدم فان قلت ما بال خلق منكرا قلت هو كقولك اول رجل جاءني زيد تريد اول الرجال ولكنك
وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى اول خلق اول الخلق بمعنى اول الخلايق

لان الخلق مصدر لا لجمع ووجه آخر وهو ان ينصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة اي نعيد مثل الذي بداناه
نعيده واول خلق ظرف لبدانا اي اول ما خلق او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى
وعدا مصدر مؤكد لان قوله نعيده عدة للاعادة انا كنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل ذلك عن الشعبي
الزبور ... والذكر التوراة وقيل اسم لجنس ما انزل على الانبياء من الكتب والذكر ام الكتاب يعني اللوح اي
يرثها المؤمنون بعد اجلاء الكفار كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وعن
ابن عباس هي ارض الجنة وقيل الارض المقدسة ترثها امة محمد ﷺ ان في هذا اي المذكور في هذه السورة
من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة لبلاغا لكفاية وما تبلغ به الى البغية وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فانما اتي من عند نفسه حيث ضيع نصيبه
منها ومثاله ان يفجر الله عينا غديقة فيسقي ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون
عن السقي فيضيعوا فالعين المفجرة في نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث
حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار من حيث ان عقوبتهم اخرت بسببه وامنوا به عذاب الاستيصال
انما لقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثلان في هذه الاية
لان انما يوحى الي مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما
الدلالة على ان الوحي الى رسول الله ﷺ مقصور على استيثار الله بالوحدانية وفي قوله فهل انتم مسلمون ان الوحي
الوارد على هذا السنن موجب ان تخلصوا التوحيد لله وان تخلعوا الانداد وفيه ان صفة الوحدانية يصح ان
يكون طريقها السمع ويجوز ان يكون المعنى ان الذي يوحى الي ان تكون ما موصولة آذن منقول من اذن اذا
علم ولكنه كثر استعماله في الجري مجرى الانذار ومنه قوله تعالى فاذنوا بحرب من الله ورسوله وقول ابن حلزة آذنتنا
ببينها اسماء والمعنى اني بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله عز وجل
وتنزيهه عن الانداد والشركاء كرجل بينه وبين اعدائه هدنة فاحس منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ
واشاعه وآذنهم جميعا بذلك على سواء اي مستوين في الاعلام به لم يطوه عن احد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا
عن لحائها وما توعدون من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة ولا بد ان يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت لا ادري
متى يكون ذلك لان الله لم يعلمني علمه ولم يطلعني عليه والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام الطعانين
في الاسلام وما تكتمونه في صدوركم من الاحن والاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه وما ادري لعل تاخير هذا
الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون او تمتيع لكم الى الحين ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة قرئ
قل وقال على حكاية رسول الله ﷺ ورب احكم على الاكتفاء بالكسرة ورب احكم على الضم ورب احكم على افعل التفضيل
ورب احكم من الاحكام امر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا ببدر ومعنى بالحق لا تحابهم وشدد عليهم
كما هو حقهم كما قال اشدد وطاتك على مضر وقرئ تصفون بالياء وكانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه
وكانوا يطمعون ان تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب امالهم ونصر رسول الله ﷺ والمؤمنين
وخذلهم ۞ قال رسول الله ﷺ من قرا اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه
كل نبي ذكر اسمه في القرآن ۞ سورة الحج مكية غير ست آيات وهي هذان خصمان الى صراط الحميد وهي [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ الزلزلة شدة التحريك والازعاج وان يضاعف
زليل الاشياء عن مقارها ومراكزها ولا تخلو الساعة من ان تكون على تقدير الفاعلة لها كانها هي التي تزلزل
الاشياء على المجاز الحكمي فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله او على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع
في الظرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله اذا زلزلت الارض
زلزالها واختلف في وقتها فعن الحسن انها تكون يوم القيامة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها
امر بني آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول صفة لينظروا الى تلك الصفة
ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على انفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما امرهم
به ربهم من التردي بلباس التقوى الذي لا يؤمنهم من تلك الافزاع الا ان يتردوا به وروي ان هاتين
الايتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق فقراهما رسول الله ﷺ فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم
يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين وباك ومتفكر
يوم ترونها منصوب بتذهل والضمير للزلزلة وقرئ تذهل كل مرضعة على البناء للمفعول وتذهل كل مرضعة
اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر مع دهشة فان قلت لم قيل مرضعة دون مرضع قلت
المرضعة التي هي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال
وصفها به فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجئت به وقد القمت الرضيع ثديها نزعته من
فيه لما يلحقها من الدهشة عما ارضعت عن ارضاعها او عن الذي ارضعته وهو الطفل وعن الحسن تذهل المرضعة
عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام وقرئ وترى بالضم من اريتك قائما او رؤيتك
قائما والناس سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى وعطشى في جوعان وعطشان وسكارى وبسكارى نحو كسالى وعجالى
وعن الاعمش سكرى وبسكرى بالضم وهو غريب والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى
على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي اذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب
السكر بعقله وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب فان قلت لم قيل اولا ترون
ثم قيل ترى على الافراد قلت لان الرؤية اولا علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا رائين لها وهي معلقة
اخيرا بكون الناس على حال السكر فلا بد ان يجعل كل واحد رائيا لسائرهم قيل نزلت في النضر

بن الحارث

بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين والله غير قادر على احياء من بلي وصار
ترابا وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز من الصفات والافعال ولا يرجع
الى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء
غير فارق بين الحق والباطل ويتبع في ذلك خطوات كل شيطان عات علم من حاله وظهر وتبين انه من جعله
وليا لم تثمر له ولايته الا الاضلال عن طريق الجنة والهداية الى النار وما ارى رؤساء اهل الاهواء والبدع
والحشوية المتلقبين بالائمة في دين الله تعالى الا داخلين تحت كل هذا وهم اولى باشد الشياطين
واضلهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدوينا ولقنوه اشياعهم تلقينا وكانهم ساطوه بلحومهم ودمائهم
واياهم عنى من قال ۞ ورب مقفي الخطا عند قومه ۞ طريق نجاة عندهم مستوي نهج ۞ ولو قرؤوا في اللوح ما خط فيه من
بيان اعوجاج في طريقته نجوا ۞ اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي رضيته لملائكتك في سماواتك وانبيائك
في ارضك وادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين والكتبة عليه مثل اي كانما كتب اضلال من يتولاه عليه
ورقم به لظهور ذلك في حاله قرئ انه فانه بالفتح والكسر فمن فتح فلان الاول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر
فعلى حكاية المكتوب كما هو كانما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت ان الله هو الغني الحميد او على تقدير قيل او على
ان كتب فيه معنى القول قرأ الحسن من البعث بالتحريك ونظيره الجلب والطرد في الجلب والطرد كانه قيل ان
ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا في بدء خلقكم والعلقة قطعة الدم الجامدة والمضغة اللحمة الصغيرة
قدر ما يمضغ والمخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه
من قولهم صخرة خلقاء اذا كانت ملساء كان الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة املس من العيوب
ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم
ونقصانهم وانما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان من
قدر على خلق البشر من تراب اولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على ان يجعل
النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما بداه
بل هذا ادخل في القدرة من تلك واهون في القياس وورود الفعل غير معدى الى المبين اعلام بان افعاله
هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف وعن ابن ابي عبلة ليبين لكم ويقر بالياء
وقرئ ونقر ونخرجكم بالنون والنصب ويقر ويخرجكم بالنصب والرفع وعن يعقوب نقر بالنون وضم القاف
من قر الماء اذا صبه فالقراءة بالرفع اخبار بانه يقر في الارحام ما يشاء ان يقره من ذلك الى اجل مسمى وهو وقت الوضع
آخر ستة اشهر او تسعة اشهر او سنتين او اربع او كما شاء وقدر وما لم يشأ اقراره مجته الارحام او اسقطته
والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين احدهما ان نبين
قدرتنا والثاني ان نقر في الارحام من نقر حتى يولدوا وينشؤوا ويبلغوا حد التكليف فاكلفهم ويعضد هذه
القراءة قوله ثم لتبلغوا اشدكم ووحده لان الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل نخرج كل واحد منكم طفلا الاشد
كمال القوة والعقل والتمييز وهو من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود والابابيل وغير ذلك
وكانها شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع وقرئ ومنكم من يتوفى اي يتوفاه الله ارذل العمر الهرم
والخرف حتى يعود كهيئته الاولى في اوان طفوليته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم بين انه
كما قدر على ان يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام فهو قادر على ان يحطه حتى ينتهي به الى
الحالة السفلى لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اي ليصير نساء بحيث اذا كسب علما في شيء لم ينشب ان ينساه ويزل
عنه علمه حتى يسال عنه من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة الا سالك عنه وقرا
ابو عمرو العمر بسكون الميم الهامدة الميتة اليابسة وهذه دلالة ثانية على البعث ولظهورها وكونها
مشاهدة معاينة كررها الله تعالى في كتابه اهتزت وربت تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ ربات اي ارتفعت البهيج
الحسن السار للناظر اليه ذلك اي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم واحياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك من اصناف
الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب في حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو ان الله هو الحق اي الثابت
الموجود وانه قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث
فلا بد ان يفي بما وعد عن ابن عباس رضي الله عنه ابو جهل وقيل كرر كما كررت سائر الاقاصيص وقيل الاول في المقلدين
وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب
المنير الوحي اي يجادل بظن وتخمين لا باحد هذه الثلاثة وثني عطفه عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير
الخد ولي الجيد وقيل عن الاعراض عن الذكر وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين اي مانع تعطفه
ليضل تعليل للمجادلة قرئ بضم الياء وفتحها فان قلت ما كان غرضه في جداله الضلال عن سبيل الله فكيف
علل به وما كان ايضا مهتديا حتى اذا جادل خرج بالجدال من الهدى الى الضلال قلت لما ادى جداله
الى الضلال جعل كانه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل
جعل كالخارج من الهدى الى الضلال وخزيه ما اصابه يوم بدر من الصغار والقتل والسبي فيما في
به من خزي الدنيا وعذاب الحريق هو بما قدمت يداه وعدل الله عز وجل في معاقبته الفجار واثابته الصالحين
على حرف على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون
وطمانينة كالذي يكون على طرف من العسكر فان احس بظفر وغنيمة قر واطمان والا فر وطار على وجهه
قالوا نزلت في اعاريب قدموا المدينة فكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت
امراته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمان
وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد الخدري ان رجلا من اليهود

اسلم فاصابته مصائب تشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله والخروج الى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين احداهما ذهاب ما اصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين وقرئ خاسر الدنيا والآخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع المضمر وهو وجه حسن او على انه خبر مبتدأ محذوف ○ استعير الضلال البعيد من ضلال من ابعد في التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلالته فان قلت الضر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها في الآيتين وهذا تناقض قلت اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله انه سينتفع به حين يستشفع به ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى اثر الشفاعة التي ادعاها لها لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير او كرر يدعو كأنه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا اقرب من نفعه لكونه شفيعا لبئس المولى وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام ● المولى الناصر ● والعشير الصاحب كقوله فبئس القرين هذا الكلام قد دخله اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه واعاديه ان الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه انه لا يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في ازالة ما يغيظه بان يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سماء بيته فاختنق فلينظر وليصور في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمي الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع وسمي فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره او على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظ وقيل فليمدد بحبل الى السماء المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحي ان ينزل عليه وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من النصر واخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق وقيل معناه ان الارزاق بيد الله عز وجل لا تنال الا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن ان الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا ○ وكذلك اي ومثل ذلك الانزال انزلنا القرآن كله آيات بينات ولان الله يهدي به الذين يعلم انهم يؤمنون او يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى انزله كذلك مبينا الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل الاديان خمسة اربعة للشيطان وواحد للرحمن جعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع منهم وقيل يفصل بينهم يقضي بينهم اي بين المؤمنين والكافرين وادخلت ان على كل واحد من جزئي الجملة لزيادة التوكيد ونحوه قول جرير ○ ان الخليفة ان الله سربله ○ سربال ملك به ترجى الخواتيم سميت مطاوعتها له فيما يحدث فيها من افعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها سجودا له تشبيها لمطاوعتها له بادخال افعال المكلف في باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه فان قلت فما تصنع بقوله وكثير من الناس وبما فيه من الاعتراضين احدهما ان السجود على المعنى الذي فسرته لا يسجده بعض الناس دون بعض والثاني ان السجود قد اسند على سبيل العموم الى من في الارض من الانس والجن اولا فاسناده الى كثير منهم آخرا مناقضة قلت لا انظمه كثيرا في المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل وانما ارفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ولم اقل افسر يسجد الذي هو ظاهر بمعنى الطاعة والعبادة في حق هؤلاء لان اللفظ الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين او ارفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب لان خبر مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب ويجوز ان يجعل من الناس خبرا له اي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز ان يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كأنه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليه العذاب وقرئ حق بالضم وقرئ حقا اي حق عليهم العذاب حقا ومن اهانه الله بان كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره او فسقه فقد بقي مهانا لن تجد له مكرما وقرئ مكرم بفتح الراء بمعنى الاكرام انه يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة ولا يشاء من ذلك الا ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين الخصم صفة وصف بها الفوج او الفريق فكأنه قيل هذان فوجان او فريقان يختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا ولو قيل هؤلاء خصمان او اختصما جاز ان يراد المؤمنون والكافرون قال ابن عباس رضي الله عنه رجع الى اهل الاديان الستة في ربهم في دينه وصفاته وروي ان اهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم فالذين كفروا هو فصل الخصومة المعني بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة وفي رواية عن الكسائي خصمان بالكسر وقرئ قطعت بالتخفيف كأن الله تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة ويجوز ان تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المتظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران الحميم الماء الحار عن ابن عباس رضي الله عنه لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها يصهر يذاب وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة اي اذا صب الحميم على رؤوسهم كان تأثيره في الباطن نحو تأثيره في الظاهر فيذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم وهو ابلغ من قوله سبحانه وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم والمقامع السياط في الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها وقرأ الاعمش

ردوا فيها والاعادة والرد لا يكون الا بعد الخروج فالمعنى كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم فخرجوا اعيدوا فيها ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن رضي الله عنه ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق والحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك يحلون عن ابن عباس رضي الله عنه من حليت المرأة فهي حال ولؤلؤا بالنصب على ويؤتون لؤلؤا كقوله وحورا عينا ولولؤا بقلب الهمزة الثانية واوا ولولوا بقلبهما واوين ولوليا بقلب الثانية ياء كأدل ولؤلؤ بالجر ولولئا بقلبها ياء عن ابن عباس رضي الله عنه وهداهم الله والهمهم ان يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم الى طريق الجنة يقال فلان يحسن الى الفقراء وينعش المضطهدين لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان منه والنعش في جميع ازمنته واوقاته ومنه قوله تعالى ويصدون عن سبيل الله اي الصدود منهم مستمر دائم للناس اي للذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وتائه وطارئ ومكي وآفاقي وقد استشهد به اصحاب ابي حنيفة قائلين ان المسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها وعند الشافعي لا يمتنع ذلك وقد حاور اسحق بن راهويه فاحتج بقوله الذين اخرجوا من ديارهم وقال اتنسب الديار الى مالكيها او الى غير مالكيها واشترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه دار السجن من مالكيه او غير مالكيه سواء بالنصب قراءة حفص رضي الله عنه والباقون على الرفع ووجه النصب انه ثاني مفعولي جعلناه اي جعلناه مستويا العاكف فيه والباد وفي القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان الالحاد العدول عن القصد واصله الحاد الحافر وقوله بالحاد بظلم حالان مترادفتان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كأنه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم يعني ان الواجب على من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده وقيل الالحاد في الحرم منع الناس من عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطاء رضي الله عنه قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله بن عمر انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فسئل فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرئ يرد بفتح الياء من الورود ومعناه من اتى فيه بالحاد ظالما وعن الحسن ومن يرد الحاده بظلم اراد الحادا فيه فاضافه على الاتساع في الظرف كمكر الليل ومعناه من يرد ان يلحد فيه ظالما وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك عن ابن مسعود الهمة في الحرم تكتب ذنبا واذكر حين جعلنا لابراهيم مكان البيت مباءة اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله ابراهيم مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم وان هي المفسرة فان قلت كيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة قلت كانت التبوئة مقصودة من اجل العبادة فكأنه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي من الاصنام والاوثان والاقذار ان تطرح حوله وقرئ يشرك بالياء على الغيبة واذن في الناس ناد فيهم وقرأ ابن محيصن وآذن والنداء بالحج ان يقول حجوا او عليكم بالحج وروي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم وعن الحسن رضي الله عنه انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ رجالا كأنه قيل رجالا وركبانا ياتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرئ ياتون صفة للرجال والركبان والعميق البعيد وقرأ ابن مسعود معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعيق ليشهدوا نكر المنافع لانه اراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات وعن ابي حنيفة رحمه الله انه كان يفاضل بين العبادات قبل ان يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لان اهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسم الله اذا نحروا او ذبحوا وفيه تنبيه على ان الغرض الاصلي فيما يتقرب به الى الله عز وجل ان يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا ان جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وبين قوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا في ايام معلومات بهيمة الانعام لم تر شيئا من ذلك الحسن والروعة الايام المعلومات ايام العشر عند ابي حنيفة وهو قول الحسن وقتادة رضي الله عنهما وعند صاحبيه هي ايام النحر البهيمة مبهمة في كل ذات اربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضأن والمعز الامر بالاكل منها امر اباحة لان اهل الجاهلية كانوا لا ياكلون نسائكهم ويجوز ان يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال التواضع ومن ثم استحب الفقهاء ان ياكل الموسع من اضحيته مقدار الثلث وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه بعث بهدي وقال فيه اذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه الى عتبة يعني ابنه وفي الحديث كلوا وادخروا واتجروا البائس الذي اصابه بؤس اي شدة والفقير الذي اضعفه الاعسار قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد والتفث الوسخ والمراد قضاء ازالة التفث وقرئ وليوفوا بتشديد الفاء نذورهم مواجب حجهم او ما عسى ينذرونه من اعمال البر في حجهم وليطوفوا طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من اركان الحج ويقع به تمام التحليل وقيل طواف الصدر وهو طواف الوداع العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس عن الحسن رضي الله عنه وعن قتادة اعتق من الجبابرة كم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله وعن مجاهد لم يملك قط وعنه اعتق من الغرق وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير فان قلت قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع قلت ما قصد التسلط على البيت وانما تحصن به ابن الزبير فاحتال لاخراجه

ثم بناه ولما قصد التسلط عليه ابرهة فعل به ما فعل ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر والشان ذلك كما يقدم
الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني ثم اذا اراد الخوض في معنى اخر قال هذا وقد كان كذا ومن يعظم حرمات الله اي ما لا
يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل ان يكون عاما في جميع
تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن اسلم رض الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد
الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل فهو خير له اي فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم العلم بانها
واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها المتلو لا يستثنى من الانعام ولكن المعنى الا ما يتلى عليكم
اية تحريمه وذلك قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والمعنى ان الله قد احل لكم الانعام كلها الا
ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده واياكم ان تحرموا مما احل شيئا كتحريم عبدة الاوثان البحيرة
والسائبة وغير ذلك وان تحلوا مما حرم الله كاحلالهم اكل الموقوذة والميتة وغير ذلك ولما حث على
تعظيم حرماته واحمد من يعظمها اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور لان توحيد الله تعالى ونفي
الشركا عنه وصدق القول اعظم الحرمات فاجتنبوا وجمع الشرك وقول الزور في قران واحد وذلك
ان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن تحق له العبادة فكانه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان
التي هي راس الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيئا منه لتماديه في القبح والسماجة وما ظنك
بشي من قبيله عبادة الاوثان وسمى الاوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والازلام على طريق التشبيه
يعني انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم ان تنفروا عن هذه الاشيا مثل تلك
النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه انه رجس
والرجس مجتنب من الاوثان بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من الدراهم لان الرجس مبهم
يتناول غير شي كانه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان والزور من الزور والازورار وهو الانحراف
كما ان الافك من افكه اذا صرفه وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما اشبه ذلك من افترائهم
وقيل شهادة الزور عن النبي صلعم انه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت
شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله وتلا
هذه الاية وقيل الكذب والبهتان وقيل قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك
تملكه وما ملك ويجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها مركبا فكانه قال من اشرك
بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من السما فاختطفته
الطير فتفرق مزعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وان كان مفرقا
فقد شبه الايمان في علوه بالسما والذي ترك الايمان واشرك بالله بالساقط من السما والاهوا
التي توزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما
عصفت به في بعض المهاوي المتلفة وقرى فتخطفه [redacted] وبكسر الخا والطا وبكسر التا مع كسرهما
وهي قراة الحسن رح واصلها تختطفه وقرى الرياح تعظيم الشعائر وهي الهدايا لانها من معالم الحج ان يختارها
عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون
المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة وروى ابن عمر عن ابيه رض انه اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة
دينار فسال رسول الله صلعم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها واهدى
رسول الله صلعم مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وكان ابن عمر رض يسوق البدن مجللة بالقباطي
فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقد ان طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم امر عظيم
لا بد ان يقام به ويسارع فيه فانها من تقوى القلوب اي فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت
هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزا الى من ليرتبط به وانما ذكر
القلوب لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في سائر الاعضا الى اجل مسمى الى
ان تنحر ويتصدق بلحومها ويوكل منها ثم للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الاحوال والمعنى ان
لكم فيها منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وانما يعتد الله عز وجل بالمنافع الدينية قال الله تعالى تريدون
عرض الدنيا والله يريد الاخرة واعظم هذه المنافع وابعدها شوطا في النفع محلها الى البيت العتيق
اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت كقوله هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم
الذي هو في حكم البيت لان الحرم هو حريم البيت ومثل هذا في الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه واتصل
مسيركم بحدوده وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها الى البيت العتيق ياباه ليذكروا اسم الله
ان ينسكوا له اي يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك ان يذكر اسمه تقدست اسماوه على
المناسك وقرى منسكا بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور يكون بمعنى الموضع
فله اسلموا اي اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما اي خالصا لا تشوبوه باشراك المخبتين
المتواضعين الخاشعين من الخبت وهو المطمئن من الارض وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا
لم ينتصروا وقرى الحسن رح والمقيمي الصلوة بالنصب على تقدير النون وعن ابن مسعود رض والمقيمين الصلوة
على الاصل والبدن جمع بدنة سميت به لعظم بدنها وهي الابل خاصة ولان رسول الله صلعم الحق البقر بالابل
حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر في حكم الابل صارت البدنة في الشريعة
متناولة للجنسين عند ابي حنيفة واصحابه رح والا فالبدن هي الابل وعليه تدل الاية

وقرى الحسن رح والبدن بضمتين كثمر في جمع ثمرة وعن ابي اسحق بالضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف
وقرى بالنصب والرفع كقوله والقمر قدرناه من شعائر الله اي من اعلام الشريعة التي شرعها الله تعالى واضافتها
الى اسمه تعظيم لها لكم فيها خير كقوله لكم فيها منافع ومن شان الحاج ان يحرص على شي فيه خير ومنافع
بشهادة الله عن بعض السلف انه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال
سمعت ربي يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس رض دنيا واخرة وعن ابراهيم رح من احتاج الى ظهرها ركب
ومن احتاج الى لبنها شرب واذكروا اسم الله ان يقول عند النحر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك
صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرى صوافن من صفون الفرس وهو ان يقوم على ثلاث وينصب
الرابعة على طرف سنبكه لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرى صوافي اي خوالص لوجه الله
وعن عمرو بن عبيد صوافنا بالتنوين عوضا عن حرف الاطلاق عند الوقف وعن بعضهم صواف بالتنوين نحو مثل
قول العرب اعط القوس باريها بسكون اليا وجبت جنوبها وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اذا سقط
ووجبت الشمس جبة غربت والمعنى فاذا وجبت جنوبها وسكنت نسائسها حل لكم الاكل منها والاطعام
القانع السائل من قنعت اليه وكنعت اذا خضعت له وسالته قنوعا والمعتر المعترض بغير سوال او القانع
والمعتري وعره وعراه واعتره بمعنى وقرى ابو رجا القنع وهو الراضي لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع من الله
سبحانه وتعالى على عباده واستحمد اليهم بان سخر لهم البدن مثل التسخير الذي ترون وعلموا ياخذونها منقادة
للاخذ طيعة فيعقلونها ويحبسونها صافة قوائمها ثم يطعنون في لباتها ولولا تسخير الله عز وجل لم
تطق ولم تكن باعجز من بعض الوحوش التي هي اصغر منها جرما واقل قوة وكفى بما يتابد من الابل شاهدا
وعبرة اي لن تصيب رضى الله اللحوم المتصدق بها ولا الدما المهراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم
والدما والمعنى لن يرضى المضحون والمتقربون ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتياط بشروط
التقوى في حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية واوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم
التضحية والتقرب وان كثر ذلك منهم وقرى لن تنال ولكن تناله بالتا واليا وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا
البدن نضحوا الدما حول البيت ولطخوه بالدما فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك فنزلت كرر تذكير النعمة بالتسخير
ثم قال لتكبروا الله على هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك حجه لتكبروا وتهللوا فاختصر الكلام بان ضمن
التكبير معنى الشكر وعدي تعديته خص المومنين بدفعه عنهم ونصرته لهم كما قال انا لننصر رسلنا والذين
امنوا وقال انهم لهم المنصورون واخبر كونها نصر من الله وفتح قريب وجعل العلة في ذلك انه لا يحب اضدادهم
وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون اماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن
قرا يدافع فمعناه يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل المغالب يجي اقوى وابلغ اذن للذين يقاتلون قرى
على لفظ المبني للفاعل والمفعول جميعا والمعنى اذن لهم في القتال فحذف الماذون فيه لدلالة يقاتلون
عليه بانهم ظلموا اي بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب رسول الله صلعم كان مشركو مكة يوذونهم اذى شديدا
وكانوا ياتون رسول الله صلعم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال
حتى هاجر فنزلت هذه الاية وهي اول اية اذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين اية
وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فاذن لهم في مقاتلتهم والاخبار بكونه قادرا
على نصرهم عدة منه بالنصرة واردة على سنن كلام الجبابرة وما مر من دفعه عن الذين امنوا
موذن بمثل هذه العدة ايضا ان يقولوا في محل الجر على الابدال من حق اي بغير موجب سوى التوحيد
الذي ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله هل تنقمون منا الا ان
امنا بالله دفع الله بعض الناس ببعض واظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة
ولولا ذلك لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة في ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى
بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد ولغلب المشركون في امة محمد صلعم على المسلمين
وعلى اهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقرى دفاع الله ولهدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة
صلوة لانه يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوتا من ينصره اي ينصر دينه واولياءه
هذا هو اخبار من الله عز وجل بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين رض ان مكناهم في الارض بسط
لهم في الدنيا وكيف يقومون بامر الدين وعن عمر رض هذا ثنا قبل بلا يريد ان الله تعالى اثنى عليهم قبل
ان يحدثوا من الخير ما احدثوا وقالوا فيه دليل على صحة امر الخلفا الراشدين لان الله عز وجل لم يعط التمكين
ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك للانصار والطلقا وعن الحسن رح هم امة
محمد صلعم وقيل الذين منصوب بدل من قوله من ينصره والظاهر انه مجرور تابع للذين اخرجوا ولله عاقبة الامور
اي مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تاكيد لما وعده من اظهار اوليائه واعلا كلمتهم تسلية
له لست باوحدي في التكذيب فقد كذبت الرسل قبلك اقوامهم وكفاك بهم اسوة فان قلت لم قيل وكذب
موسى ولم يقل وقوم موسى قلت لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه
وهم القبط وفيه شي اخر كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح

بمعنى الانكار والتغيير حيث ابدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا. كل مرتفع اظلك من سقف بيت او خيمة او ظلة او كرم فهو عرش. والخاوي الساقط من خوى النجم اذا سقط. او الخالي من خوى المنزل اذا خلا من اهله وخوى بطن الحامل. وقوله على عروشها لا يخلو من ان يتعلق بخاوية فيكون المعنى انها ساقطة على سقوفها اي خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او انها ساقطة او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها. واما ان يكون خبرا بعد خبر كانه قيل هي خاوية وهي على عروشها اي قائمة مطلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان ماثلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة. فان قلت ما محل الجملتين من الاعراب اعني وهي ظالمة فهي خاوية. قلت الاولى في محل النصب على الحال والثانية لا محل لها لانها معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل. وقرئ معطلة من اعطله بمعنى عطله. ومعنى المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء الا انها عطلت اي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها. والمشيد المجصص او المرفوع البنيان. والمعنى كم قرية اهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد اخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه. وفي هذا دليل على ان على عروشها بمعنى مع اوجه. وروي ان هذه بئر نزل عليها صالح مع اربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وثم بلدة عند البئر اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وامروا عليهم جلهس بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما فارسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فاهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم. يحتمل انهم لم يسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا وان يكونوا قد سافروا وراوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كان لم يسافروا ولم يروا. وقرئ فيكون لهم قلوب بالياء اي يعقلون ما يجب ان يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي. الضمير في فانها ضمير الشان والقصة يجيء مذكرا ومؤنثا. وفي قراءة ابن مسعود فانه. ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار. وفي تعمى ضمير راجع اليه. والمعنى ان ابصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم. او لا يعتد بعمى الابصار فكانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب. فان قلت اي فائدة في ذكر الصدور. قلت الذي قد تعورف واعتقد ان العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو ان تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة ومثل. فلما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك. فقولك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانك وتثبيت لان محل المضاء هو هو لا غير وكانك قلت ما نفيت المضاء عن السيف واثبته للسانك فلتة ولا سهوا مني ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا. انكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل او الآجل كانه قال ولم يستعجلون به كانهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين. وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال ان يوما واحدا عنده كالف سنة عندكم. قيل معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام عذابه في طول الف سنة من سنيكم لان ايام الشدائد مستطالة. او كان ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كالف سنة من سني العذاب. وقيل ولن يخلف الله وعده في النظرة والامهال. وقرئ تعدون بالتاء والياء. ثم قال وكاين من قرية اي وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتهم بالعذاب والمرجع الي والى حكمي. فان قلت لم كانت الاولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو. قلت الاولى وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو اعني قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك. [illegible]

من رسول ولا نبي دليل بين على تغاير الرسول والنبي. وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا. قيل فكم الرسل منهم. قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا. والفرق بينهما ان الرسول من الانبياء من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه. والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما امر ان يدعو الناس الى شريعة من قبله. والسبب في نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من اعراضهم ولحرصه وتهالكه على اسلامهم ان لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة النجم وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه فاخذ يقرؤها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان في امنيته التي تمناها اي وسوس اليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط الى ان قال تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى. وروي الغرانقة. ولم يفطن له حتى ادركته العصمة فتنبه عليه. وقيل نبهه جبريل عليه السلام. او تكلم الشيطان بذلك فاسمعه الناس فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء زاد المنافقون به شكا وظلمة والمؤمنون نورا وايقانا

والمعنى

والمعنى ان الرسل والانبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقي في امانيهم مثل ما القي في امنيتك ارادة امتحان من حولهم والله سبحانه له ان يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وانواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين. وقيل تمنى قرا وانشد:

تمنى كتاب الله اول ليله ... تمنى داود الزبور على رسله

وامنيته قراءته. وقيل تلك الغرانيق اشارة الى الملائكة اي هم الشفعاء لا الاصنام. فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهب به ويبطله. ثم يحكم الله اياته اي يثبتها. والذين في قلوبهم مرض الشاكون والمنافقون. والقاسية قلوبهم المشركون المكذبون. وان الظالمين يريد وان هؤلاء المنافقين والمشركين واصله وانهم فوضع الظاهر موضع المضمر قضاء عليهم بالظلم. انه الحق من ربك اي ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق من ربك والحكمة. وان الله لهادي الذين آمنوا الى ان يتاولوا ما يتشابه في الدين بالتاويلات الصحيحة ويطلبوا لما اشكل منه المحمل الصحيح الذي تقتضيه الاصول المحكمة والقوانين الممهدة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا تزل اقدامهم. وقرئ لهاد الذين آمنوا بالتنوين. الضمير في مرية منه للقرآن او للرسول. اليوم العقيم يوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كانهن عقم لم يلدن. او لان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب فاذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز. وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا. وقيل لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة فيه. وعن الضحاك انه يوم القيامة وان المراد بالساعة مقدماته. ويجوز ان يراد بالساعة ويوم عقيم يوم القيامة فكانه قيل حتى تاتيهم الساعة او ياتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير. فان قلت التنوين في يومئذ عن اي جملة ينوب. قلت تقديره الملك يوم يؤمنون او يوم تزول مريتهم لقوله ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة. لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد وان يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل تفضلا منه واحسانا. والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه. روي ان طوائف من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله عز وجل هاتين الايتين. تسمية الابتداء بالجزاء لملابسته له من حيث انه سبب وذلك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة. فان قلت كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع. قلت المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل على الاخلال بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب عند الله المدح ان آثر ما ندب اليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ان الله لعفو غفور اي لا يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصرته في كرته الثانية من اخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه. ويجوز ان يضمن له النصر على الباغي ويعرض مع ذلك بما كان اولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين. او دل بذكر العفو والمغفرة على انه قادر على العقوبة لانه لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده. ذلك اي ذلك النصر بسبب انه قادر ومن آيات قدرته البالغة انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل. او بسبب انه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على ايدي عباده من الخير والشر والبغي والانصاف وانه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون. فان قلت ما معنى ايلاج احدهما في الآخر. قلت تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذلك بغيبوبة الشمس وضياء ذلك في مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضيء البيت بالسراج ويظلم بفقده. وقيل هو زيادته في احدهما ما ينقص من الآخر من الساعات. وقرئ تدعون بالتاء والياء. وقرئ اليماني وان ما تدعون بلفظ المبني للمفعول والواو راجعة الى ما لانه في معنى الآلهة. اي ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والاحاطة بما يجري فيهما وادراك كل قول وفعل بسبب انه الله الحق الثابت الالهية وان كل ما يدعى الها دونه باطل الدعوة وانه لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا. قرئ مخضرة اي ذات خضر على مفعلة كمبقلة ومسبعة. فان قلت هلا قيل فاصبحت ولم صرف الى لفظ المضارع. قلت لنكتة فيه وهي افادة بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول انعم علي فلان عام كذا فاروح واغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع. فان قلت فما له رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام. قلت لو نصب لاعطى ما هو عكس الغرض لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار. مثاله ان تقول لصاحبك الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان نصبته فانت ناف لشكره شاك تفريطه فيه وان رفعته فانت مثبت للشكر. وهذا وامثاله مما يجب ان يرغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب وتوقير اهله. لطيف واصل علمه او فضله الى كل شيء. خبير بمصالح الخلق ومنافعهم. ما في الارض من البهائم مذللة للركوب في البر ومن المراكب جارية في البحر وغير ذلك من سائر المسخرات. وقرئ والفلك بالرفع على الابتداء. ان تقع كراهة ان تقع. احياكم بعد ان كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة. لكفور لجحود لما افاض عليه من ضروب النعم. هو نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من ان ينازعوك. او هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنازعة في الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة. روي ان بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون ما تقتلون ولا تاكلون ما قتله الله يعنون الميتة. وقال الزجاج هو نهي عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان اي لا تضاربه وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون الا بين اثنين. في الامر اي في امر الدين. وقيل في امر النسائك. وقرئ فلا ينزعنك اي اثبت في دينك ثباتا لا يطمعون ان يجذبوك ليزيلوك عنه. والمراد زيادة التثبيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله

ولا يصدنك عن آيات الله ولا تكونن من المشركين فلا يلوين ظهيرا للكافرين وهيهات أن يرتع همة رسول الله
حول ذلك الحمى ولكنه وارد على ما قلت لك من إرادة التهييج والإلهاب وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته
أنزعه أي غلبته أي لا يغلبنك في المنازعة فإن قلت لم جاءت نظيرة هذه الآية معطوفة بالواو وقد نزعت عن
هذه قلت لأن تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآي الواردة في أمر النسائك فعطفت على أخواتها وأما هذه
فواقعة مع أباعد عن معناها فلم تجد معطفا وإن جادلوك أي وإن أبوا للجاجهم إلا المجادلة بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم
تنازع فادفعهم بأن الله أعلم بأعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وإنذار
ولكن برفق ولين الله يحكم بينكم خطاب من الله للمؤمنين والكافرين أي يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة لرسول الله
مما كان يلقى منهم وكيف يخفى عليه ما يعملون ومعلوم عند العلماء بالله أنه يعلم كل ما يحدث في السموات والأرض وقد كتبه
في اللوح قبل حدوثه والإحاطة بذلك وإثباته وحفظه عليه يسير لأن العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع
تعلقه بمعلوم ويعبدون ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع ولا ألجأهم إليها علم
ضروري ولا حملهم عليها دليل عقلي وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوب مذهبهم المنكر الفظيع
من التجهم والبسور أو الإنكار كالمكرم بمعنى الإكرام وقرئ يعرف والمنكر يسطون الوثب والبطش وقرئ النار بالرفع
على أنه خبر مبتدأ محذوف كأن قائلا قال ما هو فقيل النار أي هو النار وبالنصب على الاختصاص وبالجر على البدل
من بشر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم وعدها الله
استئناف كلام ويحتمل أن تكون النار مبتدأ ووعدها خبرا وأن تكون حالا عنها إذا نصبتها أو جررتها بإضمار قد
فإن قلت الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت قد سميت الصفة أو القصة الرائعة الملتقاة بالاستحسان
والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الأمثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم وقرئ تدعون بالياء والتاء
ويدعون مبنيا للمفعول لن أخت لا في نفي المستقبل إلا أن لن تنفيه نفيا مؤكدا وتأكيده ههنا الدلالة على أن
خلق الذباب منهم مستحيل مناف لأحوالهم كأنه قال محال أن يخلقوا فإن قلت ما محل ولو اجتمعوا له قلت
النصب على الحال كأنه قال مستحيل أن يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا
من أبلغ ما أنزل الله عز وجل في تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على أن الشيطان قد خزمهم بخزائمه
حيث وصفوا بالإلهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والإحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا
وتماثيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه الله عز وجل وأذله وأصغره وأحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا
وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم أن هذا الخلق الأقل الأذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على أن
يستخلصوه منه لم يقدروا وقوله ضعف الطالب والمطلوب كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت
وجدت الطالب أضعف وأضعف لأن الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذلك مغلوب وعن ابن عباس
أنهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤوسها بالعسل ويغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله
ما قدروا الله حق قدره أي ما عرفوه حق معرفته حتى لا يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته بأسرها ولا
يؤهلوه للعبادة ولا يتخذوه شريكا له إن الله قادر غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به هذا رد
لما أنكروه من أن يكون الرسول من البشر وبيان أن رسل الله على ضربين ملكية وبشرية ثم ذكر أنه عز وجل دراك
للمدركات عالم بأحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر لا تخفى عليه منهم خافية وإليه مرجع الأمور كلها
والذي هو بهذه الصفات لا يسأل عما يفعل وليس لأحد أن يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار
رسله للذكر شأن ليس لغيره من الطاعات وفي هذه السورة دلالات على ذلك فمن ثم دعا
المؤمنين أولا إلى الصلاة التي هي ذكر خالص ثم إلى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج والغزو ثم
بالحث على سائر الخيرات وقيل كان الناس أول ما أسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فأمروا
أن تكون صلاتهم بركوع وسجود وقيل معنى اعبدوا ربكم اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله عز وجل
وعن ابن عباس في قوله وافعلوا الخير صلة الأرحام ومكارم الأخلاق لعلكم تفلحون أي افعلوا هذا
كله وأنتم راجون للفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على أعمالكم وعن عقبة بن عامر
قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه في سورة الحج سجدتان قال نعم إن لم تسجدهما فلا تقرأها وعن عبد الله بن عمر
فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعي فرأى سجدتين في سورة الحج وأبو حنيفة وأصحابه رأوا
فيها سجدة واحدة لأنهم يقولون قرن السجود بالركوع فدل ذلك على أنها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة وجاهدوا
أمر بالغزو أو بمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الأكبر عن النبي عم أنه رجع من بعض غزواته فقال
رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر في الله أي في ذات الله ومن أجله يقال هو حق عالم وجد عالم
أي عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده فإن قلت ما وجه هذه الإضافة وكان القياس حق الجهاد
فيه أو حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله قلت الإضافة تكون بأدنى ملابسة واختصاص فلما
كان الجهاد مختصا بالله من حيث إنه مفعول لوجهه ومن أجله صحت إضافته إليه ويجوز أن يتسع
في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته وما جعل عليكم في الدين
من حرج فتح باب التوبة للمجرمين وفسح بأنواع الرخص والكفارات والديات والأروش ونحوه قوله
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وأمة محمد هي الأمة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة
نصب الملة بمضمون ما تقدمها كأنه قيل وسع دينكم توسعة ملة أبيكم ثم حذف المضاف وأقام المضاف
إليه مقامه أو على الاختصاص أي أعني بالدين ملة أبيكم كقولك الحمد لله الحميد فإن قلت لم يكن إبراهيم

أبا للأمة كلها قلت هو أبو رسول الله صلعم فكان أبا لأمته لأن أمة الرسول في حكم أولاده
هو يرجع إلى الله تعالى وقيل إلى إبراهيم ويشهد للقول الأول قراءة أبي بن كعب الله سماكم من قبل
وفي هذا أي من قبل القرآن في سائر الكتب وفي القرآن أي فضلكم على الأمم وسماكم بهذا الاسم الأكرم
ليكون الرسول شهيدا عليكم أنه قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس بأن الرسل قد بلغتهم وإذ خصكم
بهذه الكرامة والأثرة فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية إلا منه فهو خير مولى وناصر
عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الحج أعطي من الأجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر
فيما مضى وفيما بقي اللهم اجعلني ممن يكون القرآن حجة لهم بفضلك يا عظيم يا رؤوف يا ذا الفضل والإحسان

سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة آية وثماني عشرة عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم قد نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك أن المؤمنين
كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الإخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه
والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء في الخير وأفلح دخل في الفلاح كأبشر دخل في البشارة ويقال أفلحه
أصاره إلى الفلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف رضه أفلح على البناء للمفعول وعنه أفلحوا على أكلوني
البراغيث أو على الإبهام والتفسير وعنه أفلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله فلو أن الأطباء كان حولي
فإن قلت ما المؤمن قلت هو في اللغة المصدق وأما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين أحدهما
أن كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن والآخر أنه صفة مدح لا يستحقها إلا البر التقي
دون الفاسق الشقي الخشوع في الصلاة خشية القلب وإلباد البصر عن قتادة رضه وهو إلزامه موضع
السجود وعن النبي عم أنه كان يصلي رافعا بصره إلى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره نحو مسجده وكان
الرجل من العلماء إذا قام إلى الصلاة هاب الرحمن أن يشد بصره إلى شيء أو يحدث نفسه بشيء من شأن الدنيا
وقيل هو جمع الهمة لها والإعراض عما سواها ومن الخشوع أن يستعمل الآداب فيتوقى كف الثوب والعبث
بجسده وثيابه والالتفات والتمطي والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك
والاختصار وتقليب الحصى وروي عن رسول الله صلعم أنه أبصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع
قلب هذا خشعت جوارحه ونظر الحسن رضه إلى رجل يعبث بالحصى وهو يقول اللهم زوجني من الحور العين
فقال بئس الخاطب أنت وأنت تعبث فإن قلت لم أضيفت الصلاة إليهم قلت لأن الصلاة دائرة بين المصلي
والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلاته وأما المصلى له فغني متعال عن
الحاجة إليها والانتفاع بها اللغو ما لا يعنيك من قول أو فعل كاللعب والهزل وما توجب المروءة إلغاءه
واطراحه يعني أن بهم من الجد ما شغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلاة أتبعه الوصف
بالإعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الأنفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف الزكاة
اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب إلى الفقير والمعنى فعل المزكي
الذي هو التزكية وهو الذي أراده الله سبحانه فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لأنه ما من مصدر
إلا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي
فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه أنك تقول في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله
أو بعض الخلق ولم يمتنع الزكاة الدالة على العين أن يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة أن يتناولها الفاعل
ولكن لأن الخلق ليسوا بفاعليها وقد أنشدوا لأمية بن أبي الصلت المطعمون الطعام في السنة الأزمة والفاعلون للزكوات
ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الأداء وحمل البيت على هذا أصح لأنها فيه مجموعة
على أزواجهم في موضع الحال أي إلا والين على أزواجهم أو قوامين عليها من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها
فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة أي واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المرأة
فراشا والمعنى أنهم لفروجهم حافظون في كافة الأحوال إلا في حال تزوجهم أو تسريهم أو تعلق على بمحذوف يدل عليه
غير ملومين كأنه قيل يلامون إلا على أزواجهم أي يلامون على كل مباشر إلا ما أطلق لهم فإنهم غير ملومين عليه
أو تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ علي عنان فرسي على تضمينه معنى النفي
كما ضمن قولهم نشدتك بالله إلا فعلت بمعنى ما طلبت منك إلا فعلك والحاصل كأنه قال والذين هم لفروجهم عن
حافظون إلا على أزواجهم فإن قلت هلا قيل من ملكت قلت لأنه أريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير
العقلاء وهم الإناث حط المتمني جدا أوجب الوقوف عنده ثم قال فمن أحدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته
واتساعه وهو إباحة أربع من الحرائر ومن الإماء ما شئت فأولئك هم العادون الكاملون في العدوان المتناهون
فيه فإن قلت هل فيه دليل على تحريم المتعة قلت لا لأن المنكوحة نكاح المتعة من جملة الأزواج إذا صح
النكاح وقرئ لأمانتهم سمي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهدا ومنه قوله تعالى إن الله
يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وقال وتخونوا أماناتكم وإنما تؤدى العيون لا المعاني ويخان
المؤتمن عليه لا الأمانة في نفسها والراعي القائم على الشيء بحفظ وإصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية
ويقال من راعي هذا الشيء أي متوليه وصاحبه ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله
عز وجل ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من أمانات الناس وعهودهم وقرئ على صلواتهم فإن
قلت كيف كرر ذكر الصلاة أولا وآخرا قلت هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا أولا بالخشوع
في صلاتهم وآخرا بالمحافظة عليها وذلك أن لا يسهوا عنها ويؤدوها في أوقاتها ويقيموا أركانها ويوكلوا

نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي ان تتم به اوصافها. والثاني فقد وحدت اولا ليفاد الخشوع في جنس
الصلوة اي صلوة كانت. وجمعت اخرا ليفاد المحافظة على اعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر
والسنن المرتبة مع كل صلوة وصلوة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف
وصلوة الضحى والتهجد وصلوة التسبيح وصلوة الحاجة وغيرها من النوافل. اي اولئك
الجامعون لهذه الاوصاف هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين
بقوله الذين يرثون الفردوس فجاء بفخامة وجزالة لارثهم لا تخفى على الناظر ومعنى الارث ما مر في سورة
مريم. انث الفردوس على تأويل الجنة وهو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر. روي ان الله عز وجل
بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية
ولبنة من مسك مذري وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان. السلالة الخلاصة لانها تسل
من بين الكدر. وفعالة بناء للقلة كالقلامة والقمامة. وعن الحسن رح ماء بين ظهراني الطين. فان
قلت ما الفرق بين من ومن. قلت الاول للابتداء والثاني للبيان كقوله من الاوثان. ما معنى
قوله جعلنا الانسان نطفة. قلت معناه انه خلق جوهر الانسان اولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك
نطفة. القرار المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر
او بمكانتها في نفسها لانها مكنت بحيث هي واحرزت. وقرئ عظما فكسونا العظم. وعظاما فكسونا العظام
وعظما فكسونا العظام وعظاما فكسونا العظم. وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو
عظام كثيرة. خلقا اخر اي خلقا مباينا للخلق الاول مباينة ما ابعدها حيث جعله حيوانا وكان
جمادا وناطقا وكان ابكم وسميعا وكان اصم وبصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره بل كل عضو
من اعضائه وكل جزء من اجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح
الشارح. وقد احتج به ابو حنيفة فيمن غصب بيضة فافرخت عنده قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ
لانه خلق اخر سوى البيضة. فتبارك الله فتعالى امره في قدرته وعلمه احسن الخالقين اي احسن المقدرين
تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه. ونحوه طرح المأذون فيه في قوله اذن للذين يقاتلون لدلالة
الصلة. وروي عن عمر رض ان رسول الله صلعم لما بلغ قوله خلقا اخر قال فتبارك الله احسن الخالقين وروي
انه عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلعم فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلعم
اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق بمكة كافرا ثم اسلم
يوم الفتح. قرئ ابن ابي عبلة وابن محيصن لمائتون. والفرق بين الميت والمائت ان الميت كالحي صفة ثابتة. واما
المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت الان ومائت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق وضائق في قوله تعالى
وضائق به صدرك. جعل الاماتة التي هي اعدام الحيوة والبعث الذي هو اعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين
ايضا على اقتدار عظيم بعد الانشاء والاختراع. فان قلت فاذا لا حيوة الا حيوة الانشاء وحيوة البعث. قلت
ليس في ذكر الحياتين نفي الثالثة وهي حيوة القبر كما لو ذكرت ثلثي ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على
ان الثلث ليس عندك وايضا فالغرض ذكر هذه الاجناس الثلاثة الانشاء والاماتة والاعادة والمطوي
ذكرها من جنس الاعادة. الطرائق السموات لانه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل شيء فوقه مثله
فهو طريقة. او لانها طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل الافلاك لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها. اراد بالخلق
السموات كانه قال خلقناها فوقهم وما كنا عنهم غافلين وعن حفظها وامساكها ان تقع فوقهم بقدرتنا
او اراد به الناس وانه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها وينفعهم بانواع منافعها وما
كان غافلا عن حاجاتهم ومصالحهم. فاسكناه في الارض كقوله فسلكه ينابيع في الارض وقيل جعلناه ثابتا في الارض
وقيل انها خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها
الله سبحانه وتعالى من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس
في اصناف معايشهم. وكما قدر على انزاله فهو قادر على رفعه وازالته. وقوله على ذهاب به من اوقع النكرات واحزها
للمفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه. وفيه ايذان باقتدار المذهب وانه لا يتعايا
عليه شيء اذا اراده. وهو ابلغ في الايعاد من قوله ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين فعلى العباد
ان يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها اذا لم تشكر. خص هذه الانواع
الثلاثة لانها اكرم الشجر وافضلها واجمعها للمنافع. ووصف النخل والاعناب بان ثمرها جامع بين امرين
انه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا. والزيتون بان دهنه صالح
للاستصباح والاصطباغ جميعا. ويجوز ان يكون قوله ومنها تاكلون من قولهم فلان ياكل من حرفة يحترفها
ومن صنعة يعملها ومن تجارة يتربح بها يعني انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كانه قال وهذه
الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتتعيشون. وشجرة عطف على جنات وقرئت مرفوعة على
الابتداء اي ومما انشئ لكم شجرة. طور سيناء وطور سينين لا يخلو اما ان يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها
سيناء وسينون واما ان يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وكبعلبك فيمن اضاف
فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة او التانيث لانها بقعة وفعلاء لا يكون الفه للتانيث
كعلباء وحرباء ومن فتح لم يصرفه لان الالف للتانيث كصحراء. وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وايلة ومنه
نودي موسى عليه السلام. وقرى الاعمش سينا على القصر. بالدهن في موضع الحال اي تنبت وفيها الدهن وفي تنبت

وفيه

وفيه وجهان احدهما ان انبت بمعنى نبت وانشد لزهير: رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل
والثاني ان مفعوله محذوف اي تنبت زيتونها وفيه الزيت. وقرئ تنبت بضم التاء وفتح الباء وحكمه حكم
تنبت. وقرأ ابن مسعود رض تخرج الدهن وصبغ الاكلين. وغيره تخرج بالدهن. وفي حرف ابي رض تثمر
بالدهن. وعن بعضهم تنبت بالدهان. وقرئ الاعمش وصبغا وقرئ وصباغا ونحوهما دبغ ودباغ
والصبغ الغمس للائتدام. وقيل هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها الله سبحانه وتعالى بالبركة
في قوله يوقد من شجرة مباركة. وقرئ تسقيكم بتاء مفتوحة اي تسقيكم الانعام. ومنها تاكلون اي تتعلق بها
منافع من الركوب والحمل وغير ذلك كما تتعلق بما لا يؤكل لحمه من البغال والحمير والخيل وفيها منفعة
زائدة وهي الاكل الذي هو انتفاع بذواتها والقصد بالانعام الى الابل لانها هي المحمول عليها في العادة
وقرنها بالفلك التي هي السفائن لانها سفائن البر قال ذو الرمة: سفينة بر تحت خدي زمامها
يريد صيدحه. غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استئناف تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة
افلا تتقون افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم ورازقكم وشكر نعمته التي
لا تحصونها واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء. ان يتفضل عليكم
ان يطلب الفضل عليكم ويترأسكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في الارض. بهذا اشارة الى نوح
والى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله سبحانه اي ما سمعنا بمثل هذا الكلام او بمثل هذا الذي يدعي
وهو بشر انه رسول الله. وما اعجب شان الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية بحجر
وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على انهم وآباءهم كانوا في فترة متطاولة. او تكذبوا في ذلك لانهماكهم في الغي
وتشمرهم لان يدفعوا الحق بما امكنهم وبما عن لهم من غير تمييز منهم بين صدق وكذب. الا تراهم
كيف جننوه وقد علموا انه ارجح الناس عقلا واوزنهم قولا. والجنة الجنون والجن اي به جن يخبلونه
حتى حين اي احتملوه واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلي امره عن عاقبة فان افاق من جنونه والا
قتلتموه. في نصرتي اهلاكهم فكانه قال اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي. او انصرني بدل ما كذبوني كما تقول
هذا بذاك اي بدل ذاك ومكانه والمعنى ابدلني من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم. او انصرني بانجاز ما وعدتهم
من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم. باعيننا بحفظنا وكلاءتنا كان معه
من الله حفاظا يكلؤونه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله. ومنه قولهم عليه من الله عين كالئة
ووحينا اي نامرك كيف تصنع ونعلمك. روي انه اوحى اليه ان يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر. روي انه قيل لنوح
اذا رايت الماء يفور من التنور فاركب انت ومن معك في السفينة فلما نبع الماء من التنور اخبرته امراته فركب. وقيل
كان تنور آدم عليه السلام وكان من حجارة فصار الى نوح عليه السلام واختلف في مكانه فعن الشعبي في مسجد الكوفة عن يمين
الداخل مما يلي باب كندة وكان نوح عليه السلام عمل السفينة في وسط المسجد. وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة. وقيل
بالهند. وعن ابن عباس رض التنور وجه الارض. وعن قتادة رض اشرف موضع في الارض اي اعلاه. وعن علي عليه السلام فار
التنور طلع الفجر. وقيل معناه ان فوران التنور كان عند تنوير الفجر. وقيل هو مثل كقولهم حمي الوطيس. والقول
هو الاول. يقال سلك فيه دخله وسلكه غيره واسلكه قال: حتى اذا اسلكوهم في قتائدة. من كل زوجين
من كل امتي زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك. اثنين واحدين مزدوجين
كالجمل والناقة والحصان والرمكة. روي انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض. وقرئ من كل بالتنوين اي من كل امة زوجين
اثنين تاكيد وزيادة بيان. وجيء بعلى مع سبق الضار كما جيء باللام مع سبق النافع قال الله تعالى
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين. ونحوه قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
وقول عمر رض ليتها كانت كفافا لا علي ولا لي. فان قلت لم نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة. قلت لما تضمنته الآية من
كونهم ظالمين وايجاب الحكمة ان يغرقوا لا محالة لما عرف من المصلحة في اغراقهم والمفسدة في استبقائهم وبعد
ان املى لهم الدهر المتطاول فلم يزيدوا الا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين
ولقد بالغ في ذلك حيث اتبع النهي عنها الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله عز وجل فقطع دابر القوم
الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين. ثم امره ان يدعو بدعاء هو اهم وانفع وهو طلب ان ينزله في
السفينة او في الارض عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين وان يشفع
الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسالته وهو قوله وانت خير المنزلين. فان قلت هلا قيل فقولوا لقوله فاذا
استويت انت ومن معك لانه في معنى فاذا استويتم. قلت لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه
من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبرياء الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك او نبي
وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه. ان هي المخففة من الثقيلة واللام
هي الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وان الشان والقصة كنا مبتلين اي مصيبين قوم نوح ببلاء
عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله ولقد تركناها آية
فهل من مدكر. قرنا آخرين هم عاد قوم هود عليه السلام عن ابن عباس رض وتشهد له حكاية الله تعالى قول هود واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح. ومجيء قصة هود على اثر قصة نوح عليه السلام في سورة الاعراف وسورة هود والشعراء
فان قلت حق ارسل ان يعدى بالى كاخواته التي هي وجه وانفذ وبعث فما باله عدي في القرآن بالى تارة
وبفي اخرى كقوله كذلك ارسلناك في امة وما ارسلنا في قرية من نذير فارسلنا فيهم رسولا اي في عاد وفي
موضع آخر والى عاد اخاهم هودا. قلت لم يعد بفي كما عدي بالى ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة او القرية

جعلت موضعا للارسال كما قال رؤبة ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام وقد جاء بعث على ذلك في قوله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا أن مفسرة لأرسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله فان قلت ذكر مقال قوم هود في جوابه في سورة الاعراف وسورة هود بغير واو قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وههنا مع الواو فأي فرق بينهما قلت الذي بغير واو على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت واما الذي مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه انه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما هما بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب كقولك يا حبذا جوار مكة اي جوار الله في مكة وحذف الضمير والمعنى من مشروبكم او حذف منه لدلالة ما قبله عليه اذا واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم اي تخسرون عقولكم وتغبنون في آرائكم ثني انكم للتوكيد وحسن ذلك لفصل ما بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن الاول او جعل انكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبرا على معنى اخراجكم اذا متم ثم أخبر بالجملة عن انكم او رفع مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كأنه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم أوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم وفي قراءة ابن مسعود أيعدكم اذا متم وقرئ هيهات بالفتح والكسر والضم كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون على لفظ الوقف فان قلت ما توعدون هو المستبعد ومن حقه ان يرتفع بهيهات كما ارتفع في قوله فهيهات هيهات العقيق واهله فما هذه اللام قلت قال الزجاج في تفسيره البعد لما توعدون او بعد لما توعدون فيمن نون فنزله منزلة المصدر وفيه وجه آخر وهو ان تكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا ثم وضع هي موضع الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه هي النفس ما حملتها تتحمل وهي العرب تقول ما شاءت والمعنى لا حياة الا هذه الحياة لان ان النافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي نفت ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيى اي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي قرن آخر ثم قالوا ما هو الا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث وما نحن بمصدقين قليل صفة للزمان كقديم وحديث في قولك ما رأيته قديما ولا حديثا وفي معناه عن قريب وما توكيد لمعنى قلة المدة وقصرها الصيحة صيحة جبريل عليه السلام صاح عليهم فدمرهم بالحق بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك او بالعدل من الله عز وجل من قولك فلان يقضي بالحق اذا كان عادلا في قضاياه شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان ومنه قوله تعالى فجعله غثاء احوى وقد جاء مشددا في قول امرئ القيس من السيل والغثاء فلكة مغزل بعدا وسحقا ودفرا ونحوها مصادر موضوعة مواضع افعالها وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت بافعال لا يستعمل اظهارها ومعنى بعدا بعدوا اي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا وللقوم الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون قرونا قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس بني اسرائيل اجلها الوقت الذي حد لهلاكها وكتب تترى فعلى الالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرئ تترا بالتنوين والتاء بدل من الواو كما في تولج وتيقور اي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد أضاف الرسل اليه والى امهم ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول يلابس المرسل والمرسل اليه جميعا فأتبعنا الامم او القرون بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم احاديث اخبارا يسمر بها ويتعجب منها والاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكون جمعا للاحدوثة التي هي مثل الاضحوكة والالعوبة والاعجوبة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد ههنا فان قلت ما المراد بالسلطان المبين قلت يجوز ان تراد العصا لانها كانت أم آيات موسى واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة مثمرة ودلوا ورشاء فجعلت كأنها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى وجبريل وميكال ويجوز ان يراد الآيات انفسها اي هي آيات وحجة بينة عالين متكبرين ان فرعون علا في الارض لا يريدون علوا في الارض او متطاولين على الناس قاهرين بالبغي والظلم البشر يكون واحدا وجمعا بشرا سويا لبشرين فاما ترين من البشر ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث انكم اذا مثلهم ومن الارض مثلهن ويقال ايضا هما مثلاه وهم امثاله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم وقومهما يعني بني اسرائيل كانهم يعبدوننا خضوعا وتذللا او لانه كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة موسى الكتاب اي قوم موسى التوراة لعلهم يعملون بشرائعها ومواعظها كما قال على خوف من فرعون وملائهم يريد آل فرعون وملأهم لان التوراة انما اوتيها بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون وملئه ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى فان قلت لو قيل آيتين هل كان يكون له وجه قلت نعم لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله تعالى القي اليها وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات اخر فكان آية من غير وجه واللفظ محتمل للتثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم آية وامه آية ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها الربوة والرباوة في رائهما الحركات الثلاث وقرئ بربوة ورباوة بالضم والكسر وهي الارض المرتفعة قيل هي ايليا ارض بيت المقدس وانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن فلسطين والرملة وعن ابي هريرة الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التي ذكرها الله وقيل مصر والقرار المستقر من ارض مستوية منبسطة وعن قتادة ذات ثمار وماء يعني انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه الارض وقد اختلف في زيادة ميمه واصالته فوجه من جعله مفعولا انه مدرك بالعين لظهوره من عانه

اذا ادركه

اذا ادركه بعينه كركبه اذا ضربه بركبته ووجه من جعله فعيلا انه نفاع لظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل انما ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي بذلك ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل طيبات الرزق حلال وصاف وقوام فالحلال الذي لا يعصى الله عز وجل فيه والصافي الذي لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل او اريد ما يستطاب ويستلذ من المأكل والفواكه ويشهد له مجيئه على عقب قوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز ان يكون هذا الاعلام عند ايواء عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية اي آويناهما وقلنا لهما هذا اي اعلمناهما ان الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل وقرئ وان بالكسر على الاستئناف وأن بمعنى ولان وأن مخففة من الثقيلة وامتكم مرفوعة معها وقرئ زبرا جمع زبور اي كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم اديانا وزبرا قطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد وزبرا مخففة الباء كرسل في رسل اي كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم فرح بباطله مطمئن النفس معتقد انه على الحق الغمرة الماء الذي يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم او شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال كأنني ضارب في غمرة لعب وعن علي في غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ونهى عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره وقرئ يمدهم ويسارع ويسرع بالياء والفاعل الله سبحانه ويجوز في يسارع ويسرع ان يتضمن ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول والمعنى ان هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصي واستجرارا الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وفيما لهم فيه نفع واكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته ويجوز ان يراد في جزاء الخيرات كما يفعل باهل الخير من المسلمين وبل استدراك لقوله أيحسبون يعني بل هم اشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتأملوا ويتفكروا في ذلك أهو استدراج ام مسارعة في الخير فان قلت اين الراجع من خبر ان الى اسمها اذا لم يستكن فيه ضمير قلت هو محذوف تقديره نسارع به ويسارع الله به كقوله ان ذلك لمن عزم الامور اي ان ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام مع امن الالباس يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوا وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة يأتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوا وعنها انها قالت قلت يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو مع ذلك يخاف الله ان لا يتقبل منه يسارعون في الخيرات يحتمل معنيين احدهما ان يراد يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها والثاني انهم يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الاكرام كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها وهذا الوجه احسن طباقا للآية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين وقرئ يسرعون في الخيرات لها سابقون اي فاعلون السبق لاجلها او سابقون الناس لاجلها او اياها سابقون اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز ان يكون لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى قوله انت لها احمد من بين البشر يعني ان هذا الذي وصف به الصالحون غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه من الاعمال فغير ضائع عنده بل هو مثبت لديه في كتاب يريد اللوح او صحيفة الاعمال بالحق لا يقرؤون منه يوم القيامة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم احدا او اراد ان الله لا يكلف الا الوسع فان لم يبلغ المكلف ان يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد ان يستفرغ وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد ولا يظلم احدا منهم من حقه ولا يحطه دون درجته بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من هذا اي مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين ولهم اعمال متجاوزة متخطية لذلك اي لما وصف به المؤمنون هم لها معتادون وبها ضارون لا يفطمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب وحتى هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية والعذاب قتلهم يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والاولاد الجؤار الصراخ باستغاثة قال جأر ساعات النيام لربه اي يقال لهم حينئذ لا تجأروا فان الجؤار غير نافع لكم منا لا تنصرون لا تغاثون ولا تمنعون منا او من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة قالوا الضمير في به للبيت العتيق او للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وانه لم يكن لهم مفخر الا انهم ولاته والقائمون به ويجوز ان يرجع الى آياتي الا انه ذكر لانها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي تعديته او يحدث لكم استماعه استكبارا وعتوا فانتم مستكبرون بسببه او تتعلق الباء بسامرا اي تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم او بتهجرون والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع وقرئ سمرا وسمارا وتهجرون وتهجرون من اهجر في منطقه اذا افحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى والهجر بالفتح الهذيان القول القرآن يقول افلم يتدبروه ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به بل جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين

فلما كذا انكروه واستبعدوه كقوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فهم غافلون او ليخافوا عند تدبر اياته
واقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين ام جاءهم من الامن ما لم يات اباءهم
الاولين حين خافوا الله فامنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه واباؤهم اسمعيل واعقابه من عدنان
وقحطان وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فانه كان مسلما
ولا تسبوا الحارث بن كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه
من شيء فلا تشكوا في ان تبعا كان مسلما وروي ان ضبة كان مسلما وكان على شرطة سليمن
ابن داود ام لم يعرفوا محمدا وصحة نسبه وحلوله في سطة هاشم وامانته وصدقه وشهامته وعقله
واتسامه بانه خير فتيان قريش والخطبة التي خطبها ابو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد كفى برغائها
مناديا ام به جنة الجنون وكانوا يعلمون انه بريء منها وانه ارجحهم عقلا واثقبهم ذهنا ولكنه جاءهم
بما خالف شهواتهم واهواءهم ولم يوافق ما نشؤوا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم
يجدوا له مردا ولا مدفعا لانه الحق الابلج والصراط المستقيم فاخلدوا الى البهت وعولوا على الكذب
من النسبة الى الجنون والسحر والشعر فان قلت قوله واكثرهم فيه ان اقلهم كانوا لا يكرهون الحق قلت
كان فيهم من يترك الايمان به انفة واستنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صبأ وترك دين ابائه لا كراهة
للحق كما يحكى عن ابي طالب فان قلت يزعم بعض الناس ان ابا طالب صح اسلامه قلت يا سبحان الله كان
ابا طالب كان اخمل اعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشتهر اسلام حمزة والعباس ويخفى اسلام ابي طالب دل بهذا على عظم
شان الحق وان السموات والارض ما قامت ولا من فيهن الا به فلو اتبع اهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم
فلا يبقى لهم بعده قوام او اراد ان الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو الاسلام لو اتبع اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة
ولاهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة ان الحق هو الله ومعناه ولو كان الله الها يتبع اهواءهم ويامر بالشرك
والمعاصي لما كان الها ولكان شيطانا ولما قدر على ان يمسك السموات والارض بذكرهم اي بالكتاب الذي هو ذكرهم
اي وعظهم او وصيتهم وفخرهم او بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله
المخلصين وقرئ بذكراهم خرجا فخراج وقرئ خرجا فخرج وخراجا فخراج وهو ما تخرجه الى الامام من زكاة ارضك
والى كل عامل من اجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه والوجه ان الخرج اخص
من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة
من قرا خرجا فخراج ربك يعني ام تسالهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير وقد
الزمهم الحجة في هذه الايات وقطع معاذيرهم وعللهم بان الذي ارسل اليهم رجل معروف امره وحاله مخبور سره
وعلنه خليق بان يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعي مثل هذه الدعوى العظيمة بباطل
ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم واستعطاء اموالهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذي هو الصراط المستقيم مع
ابراز المكنون من ادوائهم وهو اخلالهم بالتدبر والتامل واستهتارهم بدين الاباء الضلال من غير برهان وتعللهم
بانه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والايات النيرة وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم
من الذكر يجوز ان يكون هؤلاء وصفهم بانهم لا يؤمنون بالاخرة لناكبون اي عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله
الى صراط مستقيم وان كل من لا يؤمن بالاخرة فهو عن القصد ناكب روي انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة
ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انشدك
الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع والمعنى لو كشف
الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي اصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من
الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وافراطهم فيها ولذهب عنهم هذا الابلاس وهذا التملق بين يديه
يسترحمونه واستشهد على ذلك بانا اخذناهم اولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم
فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو اشد من الاسر والقتل وهو
اطم العذاب فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد يستعطفك او محناهم
بكل محنة من القتل والجوع فما رئي فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم
تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون والابلاس الياس من كل خير وقيل السكوت
مع التحير فان قلت ما وزن استكان قلت استفعل من الكون اي انتقل من كون الى كون كما قيل استحال
اذا انتقل من حال الى حال ويجوز ان يكون افتعل من السكون اشبعت فتحة عينه كما جاء بمنتزاح فان قلت هلا قيل
تضرعوا او فما يستكينون قلت لان المعنى محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء
ان يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد وقرئ فتحنا انما خص السمع والابصار والافئدة
لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها ان يعملوا اسماعهم وابصارهم
في ايات الله وافعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال فما اغنى عنهم
سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بايات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الاقرار بالمنعم بها
وان لا يجعل له شريك ولا ند اي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتاكيد بمعنى حقا ذرأكم خلقكم وبثكم
بالتناسل واليه تحشرون يوم القيامة بعد تفرقكم وله اختلاف الليل والنهار اي هو مختص به وهو متوليه
ولا يقدر على تصريفهما غيره وقرئ يعقلون بالياء عن ابي عمرو اي قال اهل مكة كما قال الكفار قبلهم الاساطير
جمع اسطار جمع سطر قال رؤبة اني واسطار سطرن سطرا وهي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له وجمع

قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون

اسطورة او في اي اجيبوني عما استعلمتكم منه ان كان عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم
بالديانات ان يجهلوا مثل هذا الظاهر البين وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية ومعناه افلا
تتذكرون فتعلمون ان من فطر الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا بان لا
يشرك به بعض خلقه في الربوبية قرئ الاول باللام لا غير والاخيران باللام وهو هكذا في مصاحف
اهل الحرمين والكوفة والشام وبغير اللام وهو هكذا في مصاحف اهل البصرة فباللام على المعنى لان
قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وبغير اللام على اللفظ ويجوز قراءة الاول بغير لام ولكنها لم تثبت في
الرواية افلا تتقون افلا تخافونه فلا تشركون به وتعصوا رسله اجرت فلانا على فلان اذا اغثته منه
ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث احد منه احدا تسحرون تخدعون عن توحيده وطاعته
والخادع هو الشيطان والهوى وقرئ اتيتهم واتيتهم بالفتح والضم بالحق بان نسبة الولد اليه محال
والشرك باطل وانهم لكاذبون حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا لذهب كل اله بما خلق لانفرد كل واحد
من الالهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرايتم ملك كل واحد منهم متميزا عن ملك الاخرين ولغلب
بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا اثرا لتمايز
الممالك وللتغالب فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شيء فان قلت اذن لا تدخل الا على كلام هو جزاء
وجواب فكيف وقع قوله لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل قلت الشرط محذوف تقديره
ولو كان معه الهة وانما حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن معه المحاجة
من المشركين عما يصفون من الانداد والاولاد عالم الغيب بالجر صفة لله وبالرفع خبر مبتدا محذوف
ما والنون مؤكدتان اي ان كان لا بد من ان تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا او في الاخرة فلا تجعلني قرينا
لهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن اخبره الله ان له في امته نقمة ولم يخبره افي حياته ام بعد
موته فامره ان يدعو بهذا الدعاء فان قلت كيف يجوز ان يجعل الله عز وجل نبيه المعصوم مع الظالمين
حتى يطلب ان لا يجعله منهم قلت يجوز ان يسال العبد ربه ما علم انه يفعله وان يستعيذ به مما علم
انه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واخباتا له واستغفاره صلى الله عليه وسلم اذا قام من مجلسه سبعين
مرة ومائة مرة لذلك وما احسن قول الحسن في قول ابي بكر وليتكم ولست بخيركم كان يعلم انه خيرهم
لكن المؤمن يهضم نفسه وقرئ فاما ترئنهم بالهمز مكان تريني كما قرئ فاما ترئن ولترؤن الجحيم وهي
ضعيفة وقوله رب مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء حث على فضل تضرع وجؤار كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون
منه واستعجالهم له لذلك فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تاملتم فما وجه هذا الانكار وهو ابلغ
من ان يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كانه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن
اسائتهم ومقابلتها بما امكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة
مضاعفة بازاء سيئة وهذه قضية قوله بالتي هي احسن وعن ابن عباس هي شهادة ان لا اله الا الله والسيئة
الشرك وعن مجاهد السلام يسلم عليه اذا لقيه وعن الحسن الاغضاء والصفح وقيل هي منسوخة باية السيف
وقيل هي محكمة لان المداراة محثوث عليها ما لم تؤد الى ثلم دين او ازراء بمروءة بما يصفون بما يذكرونه
من احوالك بخلاف صفتها او بوصفهم لك به وسوء ذكرهم والله اعلم بذلك منك واقدر على جزائهم الهمز
النخس والهمزات جمع المرة منه ومنه مهماز الرائض والمعنى ان الشياطين يحثون الناس
على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على المشي ونحو الهمز الاز في قوله تؤزهم ازا امر
بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من ان يحضروه اصلا ويحوموا حوله
وعن ابن عباس رضي الله عنهما عند تلاوة القران وعن عكرمة عند النزع حتى يتعلق بيصفون اي لا يزالون على سوء
الذكر الى هذا الوقت والاية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتاكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله
على الشيطان ان يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم او على قوله وانهم لكاذبون خطاب الله
عز وجل بلفظ الجمع للتعظيم كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم وقوله الا فارحموني يا اله محمد
اذا ايقن بالموت واطلع على حقيقة الامر ادركته الحسرة على ما فرط فيه من الايمان والعمل الصالح فسال
ربه الرجعة وقال لعلي اعمل صالحا في الايمان الذي تركته والمعنى لعلي اتي بما تركته من الايمان
واعمل فيه صالحا كما تقول لعلي ابني على اس يريد اسس اسا وابني عليه وقيل فيما تركت من المال
وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى دار الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان
بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد
والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهي قوله لعلي اعمل صالحا فيما تركت
هو قائلها لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم او هو قائلها وحده
لا يجاب اليها ولا تسمع منه ومن ورائهم برزخ والضمير للجماعة اي امامهم حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم
البعث وليس المعنى انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم الله انه لا رجعة يوم البعث
الا الى الاخرة الصور بفتح الواو عن الحسن والصور بالكسر والفتح عن ابي رزين وفي هذا دليل لمن
فسر الصور بجمع الصورة ونفي الانساب يحتمل ان التقاطع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين
ولا يكون التواصل بينهم والتالف الا بالاعمال فتلغو الانساب وتبطل وانه لا يعتد بالانساب لزوال
التعاطف والتراحم بين الاقارب اذ يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه وعن
مسعودة ولا يتساءلون بادغام التاء في السين فان قلت قد ناقض هذا ونحوه قوله ولا يسأل حميم حميما

قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم فكيف التوفيق بينهما قلت فيه جوابان احدهما ان يوم القيمة مقداره خمسين الف سنة ففيه ازمنة واحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون في بعضها وفي بعضها لا يفطنون لذلك لشدة الهول والفزع والثاني ان التناكر عند النفخة الاولى فاذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا وعن ابن عباس رضه الموازين جمع موزون وهي الموزونات من الاعمال اي الصالحات التي لها وزن وقدر عند الله من قوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا في جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها او خبر بعد خبر لاولئك او خبر مبتدا محذوف تلفح تسفع وقال الزجاج اللفح والنفح واحد الا ان اللفح اشد تاثيرا والكلوح ان تتقلص الشفتان وتتشمرا عن الاسنان كما ترى الرؤوس المشوية وعن مالك بن دينار رضه كان سبب توبة عتبة الغلام انه مر في السوق براس اخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة ايام ولياليهن وروي عن النبي صلعم انه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقرئ كلحون غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه منك وامتلكه والشقاوة سوء العاقبة التي علم الله عز وجل انهم يستحقونها بسوء اعمالهم وقرئ شقوتنا وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما اخسؤوا فيها ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسا الكلب وخسا بنفسه ولا تكلمون في رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وعن ابن عباس رضه ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فينادون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم فينادون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون الفا ربنا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فينادون الفا رب ارجعون فيجابون اخسؤوا فيها وفي حرف ابي رضه انه كان فريق بالفتح بمعنى لانه سخريا بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر الا ان في ياء النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفراء ان المكسور من الهزء والمضموم من السخرة والعبودية اي تسخروهم واستعبدوهم والاول مذهب الخليل وسيبويه قيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة خاصة رضه ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ذكري فتركتموه اي تركتم ان تذكروني فتخافوني في اوليائي وقرئ انهم بالفتح والكسر فالكسر استئناف اي قد فازوا حيث صبروا فجزوا بصبرهم احسن الجزاء والفتح على انه مفعول جزيتهم كقولك جزيتهم فوزهم قال في مصاحف اهل الكوفة وقل في مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام ففي قال ضمير الله او المامور بسؤالهم من الملئكة وفي قل ضمير الملك او بعض رؤساء اهل النار استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر ما مر عليه من ايام الدعة اليها او لانهم كانوا في سرور وايام السرور قصار او لان المنقضي في حكم ما لم يكن وصدقهم الله تعالى في تقالهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها وقرئ فسل العادين والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين الا انا نستقله ونحسبه يوما او بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما فينا ان نعدها فسل من فيه ان يعد ومن يقدر ان يلقي اليه فكره وقيل فسل الملئكة الذين يعدون اعمار العباد ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون كما نقول وقرئ العاديين اي القدماء المعمرين فانهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم وعن ابن عباس رضه انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين عبثا حال اي عابثين كقوله لاعبين او مفعول له اي ما خلقناكم للعبث ولم يدعنا الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك وهي ان نتعبدكم ونكلفكم المشاق من الطاعات وترك المعاصي ثم نرجعكم من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسيء وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا اي للعبث ولترككم غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء الحق الذي يحق له الملك لان كل شيء منه واليه او الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة او لنسبته الى اكرم الاكرمين كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد لا برهان له به كقوله ما لم ينزل به سلطانا وهي صفة لازمة نحو قوله يطير بجناحيه جيء بها للتوكيد لا ان يكون في الآلهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان ويجوز ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه وقرئ انه لا يفلح بفتح الهمزة ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدعو في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون جعل فاتحة السورة قد افلح المؤمنون واورد في خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة

عن رسول الله صلعم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملئكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وروي ان اول سورة قد افلح وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ باربع آيات من آخرها فقد نجا وافلح وعن عمر بن الخطاب رضه كان رسول الله صلعم اذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وارضنا ثم قال لقد انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر

سورة النور مدنية وهي ثنتان

وستون

وستون آية وقيل اربع وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة خبر مبتدا محذوف وانزلناها صفة او هي مبتدا موصوف والخبر محذوف اي فيما اوحينا اليك سورة انزلناها وقرئ بالنصب على زيدا ضربته ولا محل لانزلناها لانها مفسرة فرضناها فرضنا احكامها التي فيها واصل الفرض القطع اي جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة في الايجاب وتوكيده او لان فيها فرائض شتى وانا فرضناها عليكم وعلى من بعدكم الى قيام الساعة تذكرون الزانية والزاني رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم الزانية والزاني اي جلدهما ويجوز ان يكون الخبر فاجلدوا وانما دخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من سورة انزلناها لاجل الامر وقرئ والزان بلا ياء فان قلت اهذا حكم جميع الزناة والزواني ام حكم بعضهم قلت بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم وشرائط الاحصان عند ابي حنيفة ست الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول اذا فقدت واحدة منها فلا احصان وعند الشافعي الاسلام ليس بشرط لما روي ان رسول الله صلعم رجم يهوديين زنيا وحجة ابي حنيفة قوله صلعم من اشرك بالله فليس بمحصن فان قلت اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله الزانية والزاني عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن قلت الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافيين لجنسي العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك وقرئ ولا ياخذكم بالياء ورافة بفتح الهمزة ورآفة على فعالة والمعنى ان الواجب على المؤمنين ان يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا ياخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده وكفى برسول الله صلعم اسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وقيل لا تترحموا عليهما حتى لا تعطلوا الحدود او حتى لا توجعوهما ضربا وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال له انت ارحم بهم مني فيؤمر به الى النار ويؤتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك فيؤمر به الى النار وعن ابي هريرة رضه اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة وعلى الامام ان ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قائما على مجرده ليس عليه الا ازاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضاء كلها لا يستثنى منها الا ثلاثة الوجه والراس والفرج وفي لفظ الجلد اشارة الى انه لا ينبغي ان يتجاوز الالم الى اللحم والمراة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو وبهذه الآية استشهد ابو حنيفة ان الجلد حد غير المحصن بلا تغريب وما احتج به الشافعي رضه على وجوب التغريب من قوله صلعم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وما يروى عن الصحابة انهم جلدوا ونفوا منسوخ عنده وعند اصحابه بالآية او محمول على وجه التعزير والتاديب من غير وجوب وقول الشافعي رضه في تغريب الحر واحد وله في العبد ثلاثة اقاويل يغرب سنة كالحر ويغرب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرب كما قال ابو حنيفة وبهذه الآية نسخ الحبس والاذى في قوله فامسكوهن في البيوت وقوله فآذوهما قيل تسميته عذابا دليل على انه عقوبة ويجوز ان يسمى عذابا لانه يمنع من المعاودة كما سمي نكالا الطائفة الفرقة التي يمكن ان تكون حلقة واقلها ثلاثة او اربعة وهي صفة غالبة كانها الجماعة الحافة حول الشيء وعن ابن عباس رضه في تفسيرها اربعة الى اربعين رجلا من المصدقين بالله وعن الحسن رضه عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعدا وعن عكرمة رجلان فصاعدا وعن مجاهد الواحد فما فوقه وفضل قول ابن عباس رضه لان الاربعة هي التي يثبت بها هذا الحد والصحيح ان هذه الكبيرة من امهات الكبائر ولهذا قرنها الله تعالى بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما وقال ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا وعن النبي صلعم يا معشر الناس اتقوا الزنى فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فاما التي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر واما اللاتي في الآخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود في النار ولذلك وفى الله عز وجل فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه القتلة الهولة وهي الرجم ونهى المؤمنين عن الرافة على المجلود فيه وامر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب ان تكون طائفة يحصل بها التشهير والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة واختصاصه المؤمنين لان ذلك افضح والفاسق بين صلحاء قومه اخجل ويشهد له قول ابن عباس رضه الى اربعين رجلا من المصدقين بالله الفاسق الخبيث الذي من شانه الزنى والتقحب لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء واللاتي على خلاف صفته وانما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله او في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة او المشركين ونكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنى محرم عليه محظور لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة وانواع المفاسد ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب وقد نبه الله سبحانه وتعالى على ذلك بقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقيل كان في المدينة موسرات من بغايا المشركين فرغب فقراء المهاجرين في نكاحهن فاستاذنوا رسول الله صلعم

فنزلت. وعن عائشة رضي الله عنها ان الرجل اذا زنى بامرأة ليس له ان يتزوجها لهذه الآية واذا باشرها
كان زانيا. وقد اجازه ابن عباس رضي الله عنهما وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه. وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن ذلك
فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال. وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لامرين احدهما
ان هذه الكلمة اينما وردت في القرآن لم ترد الا في معنى العقد. والثاني فساد المعنى واداؤه الى قولك
الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا يزني بها الا زان. وقيل كان نكاح الزانية محرما في اول الاسلام ثم نسخ والناسخ قوله
وانكحوا الايامى منكم. وقيل الاجماع. وروي ذلك عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه. فان قلت اي فرق بين معنى الجملة الاولى
ومعنى الثانية. قلت معنى الاولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر. ومعنى الثانية صفة
الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان. فان قلت كيف قدمت الزانية على الزاني
اولا ثم قدم عليها ثانيا. قلت سيقت تلك الآية لعقوبتهما على ما جنيا والمرأة هي المادة التي منها نشأت الجناية
لانها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت اصلا واولا في ذلك بدئ بذكرها. واما
الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه هو الراغب والخاطب ومنه يبدأ الطلب. وعن عمرو
بن عبيد لا ينكح بالجزم على النهي. والمرفوع ايضا فيه معنى النهي ولكن ابلغ وآكد كما ان رحمك الله ويرحمك ابلغ
من ليرحمك الله. ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن ان لا يدخل نفسه تحت
هذه العادة ويتصون عنها. وقرئ وحرم بفتح الحاء. القذف يكون بالزنا وبغيره والذي دل على ان المراد قذفهن بالزنا شيئان
احدهما ذكر المحصنات عقيب الزواني. والثاني اشتراط اربعة شهداء لان القذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان. والقذف
بالزنا ان يقول الحر العاقل البالغ لمحصنة يا زانية او لمحصن يا زاني يا ابن الزانية يا ابن الزاني يا ولد الزنا لست
لابيك لست لرشدة. والقذف بغير الزنا ان يقول يا آكل الربا يا شارب الخمر يا يهودي يا مجوسي يا فاسق
يا خبيث يا ماص بظر امه فعليه التعزير ولا يبلغ به ادنى حد العبيد وهو اربعون بل ينقص منه. وقال
ابو يوسف يجوز ان يبلغ به تسعة وتسعون. وقال للامام ان يعزر الى المائة. وشروط احصان القذف
خمسة الحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة. وقرئ باربعة شهداء بالتنوين وشهداء صفة. فان قلت
كيف يشهدون مجتمعين او متفرقين. قلت الواجب عند ابي حنيفة واصحابه ان يحضروا في مجلس واحد
وان جاءوا متفرقين كانوا قذفة. وعند الشافعي رضي الله عنه يجوز ان يحضروا متفرقين. فان قلت هل يجوز ان يكون زوج
المقذوفة واحدا منهم. قلت يجوز عند ابي حنيفة رضي الله عنه خلافا للشافعي رضي الله عنه. فان قلت كيف يجلد القاذف. قلت
كما جلد الزاني الا انه لا ينزع عنه من ثيابه الا ما ينزع عن المرأة من الحشو والفرو. والقاذفة ايضا كالزانية. واشد
الضرب ضرب التعزير ثم ضرب الزاني ثم ضرب شرب الخمر ثم ضرب القاذف. قالوا لان سبب عقوبته محتمل للصدق
والكذب الا انه عوقب صيانة للاعراض وردعا عن هتكها. فان قلت فاذا لم يكن المقذوف محصنا.
قلت يعزر القاذف ولا يحد الا ان يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير. رد شهادة
القاذف معلق عند ابي حنيفة رضي الله عنه باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام استيفائه قبلت شهادته
فاذا استوفي لم تقبل شهادته ابدا وان تاب وكان من الابرار الاتقياء. وعند الشافعي رضي الله عنه يتعلق رد شهادته
بنفس القذف فاذا تاب عن القذف بان يرجع عنه عاد مقبول الشهادة. وكلاهما متمسك بالآية فابو حنيفة
جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التأبيد فكانوا مردودي الشهادة
عنده في ابدهم وهو مدة حياتهم. وجعل قوله واولئك هم الفاسقون كلاما مستأنفا غير داخل في حيز
جزاء الشرط كانه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية. والا الذين تابوا استثناء
من الفاسقين ويدل عليه قوله عز وجل فان الله غفور رحيم. والشافعي رضي الله عنه جعل جزاء الشرط الجملتين ايضا غير انه
صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف. وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة
الثانية. وحق المستثنى عنده ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم. وحقه عند ابي حنيفة ان يكون
منصوبا لانه عن موجب. والذي يقتضيه ظاهر الآية ونظمها ان تكون الجمل الثلاث بمجموعهن جزاء الشرط
كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق
الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبوا غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين. فان
قلت الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالاجماع والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف
فلا تقبل شهادته عند ابي حنيفة كان القذف مع الكفر اهون من القذف مع الاسلام. قلت المسلمون
لا يعبأون بسب الكفار لانهم شهروا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر
من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على القاذف من المسلمين ردعا وكفا عن الحاق الشنار.
فان قلت هل للمقذوف او للامام ان يعفوا عن حد القاذف. قلت لهما ذلك قبل ان يشهد الشهود
ويثبت الحد. والمقذوف مندوب الى ان لا يرافع القاذف ولا يطالبه بالحد. ويحسن من الامام ان يحمل المقذوف
على كظم الغيظ ويقول له اعرض عن هذا ودعه لوجه الله ولهذا لم يصح ان يصالح عنه بمال. فان قلت
هل يورث الحد. قلت عند ابي حنيفة لا يورث لقوله صلى الله عليه وسلم الحد لا يورث. ويورث عند الشافعي رحمه الله. واذا تاب
القاذف قبل ان يثبت الحد سقط. وقيل نزلت هذه الآية في حسان بن ثابت حين تاب مما قال في عائشة
رضي الله عنها. قاذف امرأته اذا كان مسلما حرا بالغا عاقلا غير محدود في القذف والمرأة بهذه الصفة مع العفة
صح اللعان بينهما اذا قذفها بصريح الزنا وهو ان يقول لها يا زانية او زنيت او رأيتك تزنين. واذا كان
الزوج عبدا او محدودا في قذف والمرأة محصنة حد كما في قذف الاجنبيات. وما لم ترافعه الى الامام لم يجب

اللعان. واللعان ان يبدأ الرجل فيشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا ثم يقول في الخامسة ان
لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا. وتقول المرأة اربع مرات اشهد بالله انه لمن
الكاذبين فيما رماني به من الزنا ثم تقول في الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيما رماني به من الزنا.
وعند الشافعي رضي الله عنه يقام الرجل قائما حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام المرأة والرجل قاعد حتى تشهد
ويأمر الامام من يضع يده على فيه ويقول له اني اخاف ان لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله. وقال اللعان
بمكة بين المقام والبيت وبالمدينة على المنبر وببيت المقدس في مسجده. ولعان المشرك بالكنيسة وحيث
يعظمه. واذا لم يكن له دين ففي مساجدنا الا في المسجد الحرام لقوله انما المشركون نجس فلا يقربوا
المسجد الحرام. ثم يفرق القاضي بينهما ولا تقع الفرقة بينهما الا بتفريقه عند ابي حنيفة واصحابه الا
زفر. فان الفرقة تقع باللعان. وعن عثمان البتي لا فرقة اصلا. وعند الشافعي رضي الله عنه تقع بلعان الزوج. وتكون
هذه الفرقة في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد رضي الله عنهما ولا يتأبد حكمها فاذا اكذب نفسه الرجل
بعد ذلك فحد جاز ان يتزوجها. وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رضي الله عنهم هي فرقة بغير طلاق
توجب تحريما موبدا ليس لهما ان يجتمعا بعد ذلك بوجه. وروي ان آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم
على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري رضي الله عنه فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل مع امرأته رجلا فاخبر جلد
ثمانين وردت شهادته ابدا وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجيء
باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى. اللهم افتح. وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر
فقال ما وراءك قال شر وجدت على بطن امرأتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال هذا والله سؤالي
ما اسرع ما ابتليت به. فرجعا فاخبر عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فقالت لا ادري الغيرة ادركته
ام بخلا على الطعام. وكان شريك نزيلهم. وقال هلال لقد رأيته على بطنها فنزلت. ولاعن بينهما وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قوله وقولها ان لعنة الله عليه ان غضب الله عليها آمين وقال القوم آمين. وقال لها
ان كنت الممت بذنب فاعترفي به فالرجم اهون عليك من غضب الله ان غضبه هو النار. وقال تحينوا
بها الولادة فان جاءت به اصيهب اثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك وان جاءت به اورق جعدا جماليا
خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به. قال ابن عباس رضي الله عنهما فجاءت باشبه خلق الله بشريك فقال صلى الله عليه وسلم لولا الايمان
لكان لي ولها شأن. وقرئ ولم تكن بالتاء لان الشهداء جماعة او لانهم في معنى الانفس التي هي بدل. ووجه من قرأ
اربع ان ينتصب لانه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو فشهادة احدهم وهي مبتدأ محذوف
الخبر تقديره فواجب شهادة احدهم اربع شهادات. وقرئ ان لعنة الله وان غضب الله على تخفيف ان
ورفع ما بعدها. وقرئ ان غضب الله على فعل الغضب. وقرئ بنصب الخامستين على معنى وتشهد الخامسة. فان
قلت لم خصت الملاعنة بان تخمس بغضب الله. قلت تغليظا عليها لانها هي اصل الفجور ومنبعه
بخلابتها واطماعها ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد. ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم لخولة فالرجم اهون عليك من
غضب الله. الفضل التفضل وجواب لولا متروك وتركه دال على امر عظيم لا يكتنه ورب مسكوت عنه
ابلغ من منطوق به. الافك ابلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك
واصله الافك وهو القلب لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة رضي الله عنها. والعصبة الجماعة
من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن ابي رأس النفاق وزيد
بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم. وقرئ كبره بالضم والكسر
وهو عظمه والذي تولاه عبد الله لامعانه في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهازه الفرص وطلبه سبيلا الى
الغميزة اي يصيب كل خائض في حديث الافك من تلك العصبة نصيبه من الاثم على مقدار خوضه. والعذاب العظيم
لعبد الله لان معظم الشيء كان منه. يحكى ان صفوان مر بهودجها عليه وهو في ملأ من قومه فقال من هذه
فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها. وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها.
والخطاب في قوله هو خير لكم لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعائشة وصفوان بن
المعطل. ومعنى كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم لانه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة
وانه نزلت فيه ثماني عشرة آية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له
وتنزيه لام المؤمنين رضي الله عنها وتطهير لاهل البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك او سمع به فلم تمجه اذناه. وعدة
الطاف للسامعين والتالين الى يوم القيامة وفوائد دينية واحكام وآداب لا تخفى على متأمليها. بانفسهم
اي بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم. وذلك نحو ما يروى ان ابا ايوب الانصاري
قال لام ايوب الا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا قال لا
قالت ولو كنت بدل عائشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير مني وصفوان خير منك. فان قلت هلا
قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر. قلت
ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه مقتض ان لا يصدق
مؤمن على اخيه ولا مؤمنة على اختها قول عائب ولا طاعن. وفيه تنبيه على ان حق المؤمن اذا سمع قالة
في اخيه ان يبني الامر فيها على الظن لا على الشك وان يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير هذا افك
مبين هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الادب
الحسن الذي قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوات. جعل الله

لتفصيل بين الرمى الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفاؤها والذين رموا عائشة رضي الله عنها لم يكن
لهم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله اي في حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف
للذين سمعوا الافك فلم يجدّوا في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب
القاذف بغير بينة والتنكيل به اذا قذف امراة محصنة من عرض نساء المؤمنين فكيف بام المؤمنين الصديقة
بنت الصديق حرمة رسول الله صلعم وحبيبة حبيب الله عز وجل لولا الاولى للتحضيض وهذه لامتناع الشيء
لوجود غيره والمعنى ولولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة
وان اترحم عليكم في الاخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم به من حديث الافك يقال افاض
في الحديث واندفع وهضب وخاض اذ ظرف لمسكم او لافضتم تلقونه ياخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول
وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وقرئ على الاصل تتلقونه واذّلقونه بادغام الذال
في التاء وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والألق
وهو الكذب وتلقونه محكية عن عائشة رضي الله عنها وعن سفيان سمعت امي تقرا اذ تثقفونه وكان ابوها
يقرا بحرف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فان قلت ما معنى قوله بافواهكم والقول لا يكون الا بالفم قلت
معناه ان الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجري على السنتكم
ويدور في افواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم اي تحسبونه
صغيرة وهو عند الله كبيرة وعن بعضهم انه جزع عند الموت فقيل له فقال اخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند
الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقولن لشيء من سيئاتك حقير فلعله عند الله نخلة وعندك نقير وصفهم بارتكاب
ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها احدها تلقي الافك بالسنتهم وذلك ان الرجل كان يلقى
الرجل فيقول له ما وراك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه
والثاني التكلم بما لا علم لهم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظائم فان قلت كيف جاز
الفصل بين لولا وقلتم قلت للظروف شان وهو تنزلها من الاشياء منزلة انفسها لوقوعها فيها
وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فان قلت فاي فائدة في تقديم الظرف حتى اوقع
فاصلا قلت الفائدة فيه بيان انه كان الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم
به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم فان قلت فما معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل ما لنا
ان نتكلم بهذا قلت معناه معنى ينبغي ويصح اي ما ينبغي لنا ان نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لي
ان اقول ما ليس لي بحق سبحانك للتعجب من عظم الامر فان قلت ما معنى التعجب في كلمة التسبيح قلت
الاصل في ذلك ان يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او لتنزيه الله سبحانه
من ان تكون حرمة نبيه صلعم فاجرة قلت لان الانبياء مبعوثون الى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم
فيجب ان لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر واما الكشخنة فمن اعظم المنفرات اي كراهة
ان تعودوا او في ان تعودوا من قولك وعظت فلانا في كذا فتركه ابدا ما داموا احياء مكلفين وان كنتم مؤمنين
فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالايمان الصاد عن كل مقبح ويبين
الله لكم الآيات الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من الآداب الجميلة ويعظكم به
من المواعظ الشافية والله عالم بكل شيء فاعل لما يفعله بدواعي الحكمة المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد
الى الاشاعة وارادة ومحبة لها وعذاب الدنيا الحد ولقد ضرب رسول الله صلعم عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا
وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد بقوله والذي تولى كبره منهم
والله يعلم ما في القلوب من الاسرار والضمائر وانتم لا تعلمون يعني انه قد علم محبة من احب الاشاعة
وهو معاقبه عليها وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمه وفي هذا
التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذا في التواب والرؤوف والرحيم الفحشاء والفاحشة ما
افرط قبحه قال ابو ذؤيب ضرائر حرمي تفاحش غارها اي افرطت غيرتها
والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه وقرئ خطوات بفتح الطاء وسكونها وزكى
بالتشديد والضمير لله عز وجل ولولا ان الله عز وجل تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم احد
آخر الدهر من دنس اثم الافك ولكن الله يطهر التائبين بقبول التوبة اذا محضوها وهو سميع لقولهم عليم
بضمائرهم واخلاصهم وهو من ائتلى اذا حلف افتعال من الالية وقيل من قولهم ما الوت جهدا اذا لم
تدخر منه شيئا ويشهد للاول قراءة الحسن ولا يتال والمعنى ولا يحلفوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان
او لا يقصروا في ان يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها فليعودوا عليهم بالعفو والصفح
وليفعلوا بهم مثل ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم نزلت في شأن مسطح وكان ابن
خالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان فقيرا من فقراء المهاجرين وكان ابو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط
آلى ان لا ينفق عليه وكفى به داعيا الى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافاة للمسيء ويروى ان رسول الله صلعم
قراها على ابي بكر فقال بلى احب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح نفقته وقال والله لا انزعها ابدا وقرى
ابو حيوة وابن قطيب ان تؤتوا بالتاء على الالتفات ويعضده قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم الغافلات
السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن
الاحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرافات قال ولقد لهوت بطفلة ميالة بلهاء تطلعني على اسرارها
وكذلك البله من الرجال في قوله اكثر اهل الجنة البله وقرئ يشهد بالياء والحق بالنصب صفة للدين

وهو الجزا

وهو الجزاء وبالرفع صفة لله ولو فليت القرآن كله وفتشت عما اوعد به العصاة لم تر الله عز وجل قد غلظ في شيء
تغليظه في افك عائشة رضي الله عنها ولا انزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر
العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستفظاع ما اقدم عليه ما انزل فيه على طرق مختلفة واساليب مفتنة كل
واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا
وتوعدهم بالعذاب العظيم في الاخرة وبان السنتهم وايديهم وارجلهم تشهد عليهم بما افكوا وبهتوا
وانه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم اهله حتى يعلموا عند ذلك ان الله هو الحق المبين فاوجز
في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة
وما ذاك الا لامر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسال عن تفسير القرآن حتى سئل عن
هذه الآيات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة رضي الله عنها وهذا منه مبالغة
وتعظيم لامر الافك ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف عليه السلام بلسان الشاهد وشهد شاهد من اهلها
وبرأ موسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها عليه السلام حين نادى من
حجرها اني عبد الله وبرأ عائشة رضي الله عنها بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه
التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة اولئك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول الله صلعم
والتنبيه على انافة محل سيد ولد آدم وخيرة الاولين والآخرين وحجة الله على العالمين ومن
اراد ان يتحقق عظمة شانه وتقدم قدمه واحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الافك وليتأمل
كيف غضب الله له في حرمته وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه فان قلت ان كانت عائشة هي المرادة فكيف قيل المحصنات
قلت فيه وجهان احدهما ان يراد بالمحصنات ازواج رسول الله صلعم وان يخصصن بان من قذفهن فهذا
الوعيد لاحق به واذا اردن وعائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله صلعم كانت المرادة اولا والثاني انها
ام المؤمنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات بالاحصان والغفلة والايمان كما قال
قدني من نصر الخبيبين قدي اراد عبد الله بن الزبير واشياعه وكان اعداؤه يكنونه بخبيب ابنه وكان مضعوفا
وكنيته المشهورة ابو بكر الا ان هذا في الاسم وذاك في الصفة فان قلت ما معنى قوله هو الحق المبين قلت
معناه ذو الحق البين اي العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته
لم تسقط عنده اساءة مسيء ولا احسان محسن فحق مثله ان يتقى وتجتنب محارمه اي الخبيثات من القول تقال
او تعد للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون منهم يتعرضون للخبيثات من القول وكذلك الطيبات
والطيبون اولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار
مجرى المثل لعائشة رضي الله عنها وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب ويجوز ان يكون اولئك
اشارة الى اهل البيت عليهم السلام وانهم مبرؤون مما يقول اهل الافك وان يراد بالخبيثات والطيبات النساء اي
الخبائث يتزوجن الخباث والخباث الخبائث وكذلك اهل الطيب وذكر الرزق الكريم ههنا مثله في قوله
واعتدنا لها رزقا كريما وعن عائشة رضي الله عنها لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امراة لقد نزل جبريل عليه السلام
بصورتي في راحته حين امر رسول الله صلعم ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد
توفي وان راسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وان الوحي لينزل عليه في اهله فيتفرقون
عنه وان كان لينزل وانا معه في لحافه واني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السماء ولقد
خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما تستأنسوا فيه وجهان احدهما انه من الاستئناس
الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لان الذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له ام لا فهو كالمستوحش
من خفاء الحال عليه فاذا اذن له استأنس فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم
وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستئناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن
والثاني ان يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من آنس الشيء اذا ابصره ظاهرا
مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم ام لا ومنه قولهم استأنس هل ترى احدا
واستأنست فلم ار احدا اي تعرفت واستعلمت ومنه قول النابغة على مستأنس وحد ويجوز ان يكون
من الانس وهو ان يتعرف هل ثمة انسان وعن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه قلنا يا رسول الله ما الاستئناس قال يتكلم الرجل
بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة يتنحنح يؤذن اهل البيت والتسليم ان يقول السلام عليكم ءادخل ثلاث
مرات فان اذن له والا رجع وعن ابي موسى الاشعري انه اتى باب عمر رضي الله عنه فقال السلام عليكم ءادخل
ثلاثا ثم رجع وقال سمعت رسول الله صلعم يقول الاستئذان ثلاث مرات واستاذن رجل على رسول الله صلعم
فقال ءالج فقال صلعم لامراة يقال لها روضة قومي الى هذا فعلميه فانه لا يحسن ان يستاذن قولي له يقول السلام
عليكم ءادخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل وكان اهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا
غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف واحد فصد الله عز وجل عن
ذلك وعلم الاحسن والاجمل وكم من باب من ابواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به
وباب الاستئذان من ذلك بينا انت في بيتك اذ رعف عليك الباب بواحد من غير استئذان ولا تحية من
تحايا الاسلام ولا الجاهلية وهو ممن سمع ما انزل الله عز وجل فيه وما قال رسول الله صلعم ولكن اين الاذن
الواعية وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه حتى تستاذنوا فاخطا الكاتب ولا يعول على هذه الرواية وفي قراءة ابي
حتى تستاذنوا ذلكم الاستئذان والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن

واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كأن صاحبه دامر لعظم ما ارتكب . وفي الحديث من سبقت عينه استيذانه فقد دمر . وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أأستأذن على امي قال نعم قال انها ليس لها خادم غيري أأستاذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستاذن . لعلكم تذكرون اي انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما امرتم به في باب الاستيذان . فان لم تجدوا فيها احدا من الآذنين فلا تدخلوها ... وذلك ان الاستيذان لم يشرع لئلا يطلع الدامر على عورته ولا تسبق عينه الى ما لا يحل النظر اليه فقط وانما شرع لئلا يوقف على الاحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع احد عليها ولانه تصرف في ملك غيرك فلابد ان يكون برضاه والا اشبه الغصب والتغلب . فارجعوا اي لا تلحوا في اطلاق الاذن ولا تلحوا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الابواب منتظرين لان هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوي مروة ومرتاضين بالآداب الحسنة فاذا نهي عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي اليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من اكثر الناس . وعن ابي عبيدة ما قرعت بابا على عالم قط . وكفى بقصة بني اسد زاجرة وما نزل فيها من قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون . **فان قلت** هل يصح ان يكون المعنى وان لم يؤذن لكم وامرتم بالرجوع فامتثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم **قلت** بعد ان جزم النهي عن الدخول مع فقد الاذن وحده من اهل الدار حاضرين وغائبين لم تبق شبهة في كونه منهيا عنه مع انضمام الامر بالرجوع الى فقد الاذن . **فان قلت** فاذا عرض امر في دار من حريق او هجوم سارق او ظهور منكر يجب انكاره **قلت** ذلك مستثنى بالدليل . ازكى لكم اي الرجوع اطيب لكم واطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد من الريبة او انفع وانمى خيرا . ثم اوعد المخاطبين بذلك بانه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه . استثنى من البيوت التي يجب الاستيذان على داخلها ما ليس بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين . والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع والشرى والبيع . ويروى ان ابا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله ان الله قد انزل عليك اية في الاستيذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن . وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز . والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من اهل الريبة . من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل . وجوز الاخفش ان تكون مزيدة واباه سيبويه . **فان قلت** كيف دخلت في غض البصر دون حفظ الفرج **قلت** دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى ان المحارم لا باس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وثديهن واعضادهن واسوقهن واقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات والاجنبية ينظر الى وجهها وكفيها وقدميها في احدى الروايتين . واما امر الفرج فمضيق وكفاك فرقا ان ابيح النظر الا ما استثني منه وحظر الجماع الا ما استثني منه . ويجوز ان يراد مع حفظها عن الافضاء الى ما لا يحل حفظها عن الابداء . وعن ابن زيد كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا هذا فانه اراد به الاستتار . ثم اخبر انه خبير باحوالهم وافعالهم وكيف يجيلون ابصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم فعليهم اذا عرفوا ذلك ان يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون . النساء مأمورات ايضا بغض الابصار ولا يحل للمرأة ان تنظر من الاجنبي الى ما تحت سرته الى ركبته وان اشتهت غضت بصرها رأسا ولا تنظر من المرأة الا الى مثل ذلك . وغضها بصرها من الاجانب اصلا اولى بها واحسن ومنه حديث ابن ام مكتوم وذلك بعد ان امرنا بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله اليس اعمى لا يبصرنا فقال افعمياوان انتما الستما تبصرانه . **فان قلت** لم قدم غض الابصار على حفظ الفروج **قلت** لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه اشد واكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه . الزينة ما تزينت به المرأة من حلي او كحل او خضاب فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا باس بابدائه للاجانب وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط فلا تبديه الا لهؤلاء المذكورين . وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الامر بالتصون والتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر اليها لغير هؤلاء وهي الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر والاذن فنهي عن ابداء الزين نفسها ليعلم ان النظر اذا لم يحل اليها لملابستها تلك المواقع بدليل ان النظر اليها غير ملابسة لها لا مقال في حله كان النظر الى المواقع انفسها متمكنا في الحظر ثابت القدم في الحرمة شاهدا على ان النساء حقهن ان يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها . **فان قلت** ما تقول في القراميل هل يحل نظر هؤلاء اليها **قلت** نعم . **فان قلت** أليس موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر الى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر فوقعت القراميل على ما يحاذي ما تحت السرة **قلت** الامر كما قلت ولكن امر القراميل خلاف امر سائر الحلي لانه لا يقع الا فوق اللباس ويجوز النظر الى الثوب الواقع على الظهر والبطن للاجانب فضلا عن هؤلاء الا اذا كان يصف لرقته فلا يحل النظر اليه فلا يحل النظر الى القراميل واقعة عليه . **فان قلت** ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله ام المقدار الذي تلابسه الزينة منه **قلت** الصحيح انه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل في عينيه والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه والغمرة في خديه والكف والقدم موقع الخاتم والفتخة والخضاب بالحناء . **فان قلت** لم سومح مطلقا في الزينة الظاهرة **قلت** لان سترها فيه حرج فان المرأة لا تجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن . وهذا معنى قوله سبحانه الا ما ظهر منها يعني الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره

والاصل فيه الظهور . وانما سومح في الزينة الخفية اولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المرأة الى صحبتهم في الاسفار للنزول والركوب وغير ذلك . كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فامرن بان يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها . ويجوز ان يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب . وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه . وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن الى مرطها المرحل فصدعت منه صدعة فاختمرن فاصبحن كأن على رؤوسهن الغربان . وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لاجل الياء وكذلك بيوتا غير بيوتكم . قيل في نسائهن هن المؤمنات لانه ليس للمؤمنة ان تتجرد بين يدي مشركة او كتابية عن ابن عباس رضي الله عنهما والظاهر انه عنى بنسائهن وما ملكت ايمانهن من في صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والاماء والنساء كلهن سواء في حل نظر بعضهن الى بعض . وقيل ما ملكت ايمانهن هم الذكور والاناث جميعا . وعن عائشة انها اباحت النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر . وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم آية النور فان المراد بها الاماء . وهذا هو الصحيح لان عبد المرأة بمنزلة الاجنبي منها خصيا كان او فحلا . وعن ميسون بنت بحدل الكلابية ان معاوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال هو خصي فقالت يا معاوية اترى ان المثلة به تحلل ما حرم الله . وعند ابي حنيفة لا يحل استخدام الخصيان وامساكهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن احد من السلف امساكهم . **فان قلت** روي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم خصي فقبله **قلت** لا يقبل فيما تعم به البلوى الا حديث مكشوف فان صح فلعله قبله ليعتقه او لسبب من الاسباب . الاربة الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيئا من امرهن او شيوخ صلحاء اذا كانوا معهن غضوا ابصارهم او بهم عنانة . وقرئ غير بالنصب على الاستثناء او الحال والجر على الوصفية . وضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده انه يراد به الجمع ونحوه نخرجكم طفلا . لم يظهروا اما من ظهر على الشيء اذا اطلع عليه اي لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها واما من ظهر على فلان اذا قوي عليه وظهر على القرآن اخذه واطاقه اي لم يبلغوا اوان القدرة على الوطء . وقرئ عورات وهي لغة هذيل . **فان قلت** لم لم يذكر الله الاعمام والاخوال **قلت** سئل الشعبي عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك ومعناه ان سائر القرابات يشترك الاب والابن في المحرمية الا العم والخال وابناءهما فاذا رآها الاب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم فيداني تصوره لها بالوصف نظره اليها . وهذا ايضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في التستر . كانت المرأة تضرب الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم انها ذات خلخالين . واذا نهين عن اظهار صوت الحلي بعد ما نهين عن اظهار الحلي علم بذلك ان النهي عن اظهار مواضع الحلي ابلغ وابلغ . اوامر الله ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار وبتأميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا . وعن ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والآخرة . **فان قلت** قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة **قلت** اراد بها ما يقوله العلماء ان من اذنب ذنبا ثم تاب عنه يلزمه كلما تذكره ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه ان يستمر على ندمه وعزمه الى ان يلقى ربه . وقرئ ايه المؤمنون بضم الهاء ووجهه انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها . الايامى واليتامى اصلهما ايائم ويتائم فقلبا . والايم للرجل والمرأة وقد آم وآمت وتأيما اذا لم يتزوجا بكرين كانا او ثيبين قال : فان تنكحي انكح وان تتأيمي ... وان كنت افتى منكم اتأيم . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انا نعوذ بك من العيمة والغيمة والايمة والكزم والقرم . والمراد انكحوا من تأيم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم . وقرئ من عبيدكم . وهذا الامر للندب لما علم من ان النكاح امر مندوب اليه وقد يكون للوجوب في حق الاولياء عند طلب المرأة ذلك . وعند اصحاب الظواهر النكاح واجب . ومما يدل على كونه مندوبا اليه قوله صلى الله عليه وسلم من احب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح . وعنه صلى الله عليه وسلم من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا . وعنه اذا تزوج احدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن آدم مني ثلثي دينه . وعنه صلى الله عليه وسلم يا عياض لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر بكم الامم . والاحاديث فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والآثار كثيرة . وربما كان واجب الترك اذا ادى الى معصية او مفسدة . وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتى على امتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤوس الجبال . وفي الحديث يأتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان حلت العزبة . **فان قلت** لم خص الصالحين **قلت** ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين من الارقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد في الاثرة والمودة فكانوا مظنة للتوصية بشأنهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم . واما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك . او اريد بالصلاح القيام بحقوق النكاح . ينبغي ان تكون شريطة الله غير منسية في هذا الموعد ونظائره وهي مشيئته ولا يشاء الحكيم الا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة . ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب . وقد جاءت الشريطة منصوصة في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم . ومن لم ينس هذه الشريطة لم ينتصب معترضا بعزب كان غنيا فافقره النكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شيء ففني واصبح مسكينا . وعن النبي صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق بالنكاح وشكا اليه رجل الحاجة

فقال عليك بالباءة وعن عمر رضي الله عنه عجب لمن لا يطلب الغنى بالباءة ولقد كان عندنا رجل رث الحال ثم رأيته بعد سنتين وقد انتعشت حاله وحسنت فسألته فقال كنت في أول امري على ما علمت وذلك قبل ان ارزق ولدا فلما رزقت بكرا وولدي تراخيت عن الفقر فلما ولد لي الثاني زدت خيرا فلما تتابعوا بلا ثنه صب الله علي الخير صبا فأصبحت الى ما ترى **والله واسع** اي غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق ولكنه **عليم** يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر **وليستعفف** وليجتهد في العفة وظلف النفس كأن المستعفف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه **الذين لا يجدون نكاحا** اي استطاعة تزوج ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به من المال **حتى يغنيهم الله** ترجية للمستعفين وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأميله لطفا لهم في استعفافهم وربطا على قلوبهم وليظهر بذلك ان فضله اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء وما احسن ما رتب هذه الاوامر حيث امر اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الامارة بالسوء وعزفها عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يرزق القدرة عليه **والذين يبتغون** مرفوع بالابتداء او منصوب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط **الكتاب** والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان اداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت علي العتق ويجوز عند ابي حنيفة رضي الله عنه حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لان الله عز وجل لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر العقود وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز الا مؤجلا منجما ولا يجوز عنده بنجم واحد لان العبد لا يملك شيئا فعقده حالا منع من حصول الغرض لانه لا يقدر على اداء البدل عاجلا ويجوز عقده على مال قليل وكثير وعلى خدمة في مدة معلومة وعلى عمل معلوم موقت مثل حفر بئر في مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار قد اراه آجرها وجصها وما تبنى به وان كاتبه على قيمته لم يجز فاذا اداها عتق وان كاتبه على وصيف جاز لقلة الجهالة ووجب الوسط وليس له ان يطالب المكاتبة فاذا اداها عتق وكان ولاؤه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في الاصل له وهذا الامر للندب عند عامة العلماء وعن الحسن رضي الله عنه عزمة من عزمات الله وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود **خيرا** قدرة على اداء ما يفارقون عليه وقيل امانة وتكسبا وعن سلمان رضي الله عنه ان مملوكا له ابتغى ان يكاتبه فقال اعندك مال قال لا قال افتأمرني ان آكل غسالة ايدي الناس **وآتوهم** امر للمسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال كقوله وفي الرقاب عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله **فان قلت** هل لمولاه اذا كان غنيا ان يأخذ ما تصدق به عليه **قلت** نعم وكذلك اذا لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز عن اداء الباقي طاب للمولى ما اخذه لانه لم يأخذه بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد الكتابة كمن اشترى الصدقة من الفقير او ورثها او وهبت له ومنه قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعند الشافعي هو ايجاب على الموالي ان يحطوا لهم من مال الكتابة وان لم يفعلوا اجبروا وعن علي رضي الله عنه يحط له الربع وعن ابن عباس رضي الله عنه يرضخ له من كتابته شيئا وعن عمر رضي الله عنه انه كاتب عبدا له يكنى ابا امية وهو اول عبد كوتب في الاسلام فأتاه باول نجم فدفعه اليه عمر وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو اخرته الى آخر نجم فقال اخاف ان لا ادرك ذلك وهذا عند ابي حنيفة رضي الله عنه على وجه الندب وقال انه عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى وآتوهم اسلفوهم وقيل انفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وهذا كله مستحب وروي انه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سأل مولاه ان يكاتبه فأبى فنزلت وكانت اماء اهل الجاهلية يساعين على مواليهن وكان لعبد الله بن ابي رأس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة واميمة وعمرة واروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي والبغاء مصدر البغي **فان قلت** لم اقحم قوله **ان اردن تحصنا** **قلت** لان الاكراه لا يتأتى الا مع ارادة التحصن وآمر المطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا امره اكراها وكلمة ان وايثارها على اذا ايذان بان المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وان ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر **غفور رحيم** لهن او لهم او لهن وان تابوا واصلحوا وفي قراءة ابن عباس رضي الله عنه لهن غفور رحيم **فان قلت** لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة على الزنا بخلاف المكره عليه في انها غير آثمة **قلت** لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل او بما يخاف منه التلف او ذهاب العضو من ضرب عنيف او غيره حتى تسلم من الاثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون آثمة **مبينات** هي الآيات التي بينت في هذه السورة واوضحت في معاني الاحكام والحدود ويجوز ان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف وبالكسر اي بينت هي الاحكام والحدود جعل الفعل لها على المجاز او من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين **ومثلا من الذين خلوا من قبلكم** من امثال من قبلكم اي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله عنها **وموعظة** ما وعظ به في الآيات والمثل من نحو قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ولولا اذ سمعتموه ولولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا اي نظير قوله تعالى **الله نور السموات والارض** مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات وصاحب نور السموات ونور السموات والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الباطل الى الحق واضاف النور الى السموات والارض لاحد معنيين اما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض واما ان يراد اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به **مثل نوره** اي صفة نوره العجيبة الشأن في الاضاءة **كمشكاة** كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة **فيها مصباح** سراج ضخم ثاقب **في زجاجة**

الزجاجة كأنها كوكب دري

اراد قنديلا من زجاج شامي ازهر شبهه في زهرته باحد الدراري من الكواكب وهي المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها **توقد** هذا المصباح **من شجرة** اي ابتداء ثقوبه من شجرة الزيتون يعني زويت ذبالته بزيتها **مباركة** كثيرة المنافع او لانها تنبت في الارض التي بارك الله فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم وعن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانها مصحة من الباسور **لا شرقية ولا غربية** اي منبتها الشام واجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا في مضحى ولا في مقناة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك اجود لحملها واصفى لدهنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات فيها في مقناة ولا خير فيها في مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها او غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية وغربية ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص وانه لتلألؤه **يكاد** يضيء من غير نار **نور على نور** اي هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق مما يقوي النور ويزيده اشراقا ويمده باضاءة بقية وذلك ان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اضوأ له واجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه **يهدي الله** لهذا النور الثاقب **من يشاء** من عباده اي يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله والانصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة اليه يمينا ولا شمالا ومن لم يتدبر فهو كالاعمى الذي سواء عليه جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس وعن علي رضي الله عنه الله نور السموات والارض اي نشر فيها الحق وبثه فأضاءت بنوره او نور قلوب اهلها به وعن ابي بن كعب رضي الله عنه مثل نور من آمن به وقرئ زجاجة الزجاجة بالفتح والكسر **دري** منسوب الى الدر اي ابيض متلألئ ودري بوزن سكيت يدرأ الظلام بضوئه ودري كمريق ودرئ كالسكينة عن ابي زيد وتوقد بمعنى يتوقد والفعل للزجاجة وتوقد وتوقد بالتخفيف ويوقد بالتشديد ويوقد بحذف التاء وحذف التاء لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب ويمسسه بالياء لان التأنيث ليس بحقيقي والضمير فاصل **في بيوت** يتعلق بما قبله اي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد كأنه قيل مثل نوره كما يرى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت او بما بعده وهو يسبح اي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار جالس فيها او بمحذوف كقوله في تسع آيات اي سبحوا في بيوت والمراد **بالاذن** الامر ورفعها بناؤها كقوله بناها رفع سمكها فسواها واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وعن ابن عباس رضي الله عنه هي المساجد امر الله ان تبنى او تعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن رضي الله عنه ما امر الله ان ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم **ويذكر فيها اسمه** اوفق له وهو عام في كل ذكر وعن ابن عباس رضي الله عنه وان يتلى فيها كتابه وقرئ يسبح على البناء للمفعول ويسند الى احد الظروف الثلاثة اعني له فيها بالغدو **رجال** مرفوع بما دل عليه يسبح وهو يسبح له وتسبح بالتاء وكسر الباء وعن ابي جعفر بالتاء وفتح الباء ووجهها ان تسند الى اوقات الغدو والآصال على زيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة او يريد ربها كصيد عليه يومان والمراد وحشهما **والآصال** جمع اصل وهو العشي والمعنى باوقات الغدو اي بالغدو وهي الايصال وهو الدخول في الاصيل يقال اصل كاظهر واعتم **تجارة** صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح فاما ان يريد لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة ثم خص البيع لانه اوغل في الالهاء من قبل ان التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية من صناعته الهته ما لا يلهيه شيء آخر يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني لان هذا يقين وذلك مظنون واما ان يسمي الشراء تجارة اطلاقا لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة رابحة اذا اتجه له بيع صالح او شراء وقيل التجارة لاهل الجلب تجر فلان في كذا اذا جلبه التاء في **اقامة** عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام حرف التاء فسقطت ونحوه واخلفوك عد الامر الذي وعدوا **تتقلب فيه القلوب والابصار** اما ان تتقلب وتتغير في انفسها وهو ان تضطرب من الهول والفزع وتشخص كقوله واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر واما ان تتقلب احوالها وتتغير فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا لا تبصر **احسن ما عملوا** اي احسن جزاء اعمالهم كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل وعطاء الله عز وجل اما تفضل واما ثواب واما عوض والله يرزق ما يتفضل به **بغير حساب** فاما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق **السراب** ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كأنه ماء يجري **والقيعة** بمعنى القاع او جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الارض كجيرة في جار وقرئ بقيعات بتاء مطوطة كديمات وقيمات في ديمة وقيمة وقد جعل بعضهم بقيعات بتاء مدورة كرجل عزهاة شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله عز وجل وتنجيه من عذابه ثم تخيب في العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله عز وجل فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام **اللجي** العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر وفي **اخرج** ضمير الواقع **لم يكد يراها** مبالغة في لم يرها اي لم يقرب من ان يراها فضلا عن ان يراها ومثله قول ذي الرمة اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح اي لم يقرب من البراح فما باله يبرح شبه اعمالهم اولا في فواتها نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكمدا ان لم يجد شيئا

كغيره من التراب حتى وجد عنده ... الى النار ولا يقتل ظمأه بالماء. وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها
باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب ثم قال ومن لم يوله نور توفيقه
وعصمته ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات لان الالطاف انما تردف الايمان
والعمل او كونهما مترقبين الا ترى الى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا. وقوله ويضل الله الظالمين
وقرئ سحاب ظلمات على الاضافة وسحاب ظلمات برفع السحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات الاولى. صافات
يصففن اجنحتهن في الهواء والضمير في علم لكل او لله عز وجل وكذلك في صلاته وتسبيحه والصلاة الدعاء ولا يبعد ان
يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما الهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها. يزجي يسوق
ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها كل احد لا يرضاها والسحاب يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب ومعنى تأليف
الواحد انه يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وجاز بينه وهو واحد لان المعنى بين اجزائه كما قيل في قوله بين
الدخول فحومل. والركام المتراكم بعضه على بعض. والودق المطر. من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ
من خلله. وينزل بالتشديد. ويكاد سنا على الادغام. برقه جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وبرقه
بضمتين للاتباع كما قيل في جمع فعلة فعلات كظلمات. وسناء برقه على المد المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى
العلو والارتفاع من قولك سني للمرتفع. يذهب بالابصار على زيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم عن ابي جعفر المدني
وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور امره حيث ذكر تسبيح من في السموات والارض وكل ما يطير بين
السماء والارض ودعاءهم له وابتهالهم اليه وانه سخر السحاب التسخير الذي وصفه وما يحدث فيه من افعاله حتى
ينزل المطر منه وانه يقسم رحمته بين خلقه ويبسطها ويقبضها على ما تقتضيه حكمته ويريهم البرق في السحاب الذي
يكاد يخطف ابصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه الا
براهين في غاية الوضوح على وجوده وثباته ودلائل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر. فان قلت
متى رأى رسول الله ص تسبيح من في السموات ودعاءهم وتسبيح الطير ودعاءه وتنزيل المطر من جبال برد في السماء حتى قيل
له الم تر. قلت علمه من جهة اخبار الله تعالى اياه بذلك على طريق الوحي. فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية
والثالثة في قوله من السماء من جبال فيها من برد. قلت الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة
للبيان او الاوليان للابتداء والاخرة للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول
ينزل من جبال. فان قلت ما معنى من جبال فيها من برد. قلت فيه معنيان احدهما ان يخلق الله في السماء
جبال برد كما خلق في الارض جبال حجر والثاني ان يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب. وقرئ
خالق كل دابة. ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير المميز غلب المميز فاعطي ما وراءه حكمه كأن الدواب كلهم
مميزون فمن ثم قيل فمنهم وقيل من يمشي في الماشي على بطن والماشي على اربع قوائم. فان قلت لم نكر الماء في قوله
من ماء. قلت لان المعنى انه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة او خلقها من ماء مخصوص وهو
النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها ناس ونحوه قوله تسقى بماء واحد
ونفضل بعضها على بعض في الاكل. فان قلت فما باله معرفا في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي. قلت قصد
ثم معنى آخر وهو ان اجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وذلك انه هو الاصل وان
تخللت بينه وبينها وسائط قالوا خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه
منه. فان قلت لم جاءت الاجناس الثلاثة على هذا الترتيب. قلت قدم ما هو اعرق في القدرة وهو الماشي
بغير آلة مشي من ارجل او قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع. فان قلت لم سمي الزحف على البطن مشيا.
قلت على سبيل الاستعارة كما قالوا في الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا يتمشى له امر ونحوه استعارة
الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك او على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشيين. وما اولئك
بالمؤمنين اشارة الى القائلين آمنا واطعنا او الى الفريق المتولي منهم فمعناه على الاول اعلام من الله بان
جميعهم منتف عنهم الايمان لا الفريق المتولي وحده وعلى الثاني اعلام بان الفريق المتولي لم يكن ما سبق لهم من الايمان
ايمانا انما كان ادعاء باللسان من غير مواطأة القلب لانه لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمأنينة نفس لم يعقبه
التولي والاعراض. والتعريف في قوله بالمؤمنين دلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون
على الايمان الموصوفون في قوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا. معنى الى الله ورسوله
الى رسول الله كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله غلسته قبل القطا وفرطه اراد قبل فرط القطا.
روي انها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في ارض فجعل اليهودي يجره الى رسول الله ص والمنافق يجره
الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا. وروي ان المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي رضي الله عنه خصومة
في ماء وارض فقال المغيرة اما محمد فلست آتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي. اليه
صلة يأتوا لان اتى وجاء قد جاءا معديين بالى او يتصل بمذعنين لانه في معنى مسرعين في الطاعة وهذا
احسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق المر والعدل
البحت يزورون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من احداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وان
ثبت لهم حق على خصم اسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتأخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم. ثم قسم الامر
في صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين ان يكونوا مرضى القلوب منافقين او مرتابين في امر نبوته
او خائفين الحيف في قضائه ثم ابطل خوفهم حيفه بقوله بل اولئك هم الظالمون اي لا يخافون ان يحيف عليهم لمعرفتهم
بحاله وانما هم ظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله
فمن ثم يأبون المحاكمة اليه. وعن الحسن رحمه الله قول المؤمنين بالرفع والنصب اقوى لان اولى الاسمين بكونه اسما لكان
اوغلهما في التعريف وان يقولوا اوغل لانه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا

من قبيل كان في قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد ما يكون لنا ان نتكلم بهذا. وقرئ ليحكم على البناء للمفعول. فان قلت
الام اسند يحكم في هذه القراءة ولا بد له من فاعل. قلت هو مسند الى مصدره لان معناه ليفعل الحكم بينهم
ومثله جمع بينهما وألف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بينكم منصوبا اي وقع التقطع بينكم وهذه القراءة
مجاوبة لقوله دعوا. وقرئ ويتقه بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل وبسكون الهاء وبسكون القاف وكسر الهاء
شبه تقه بكتف فخفف كقوله قالت سليمى اشتر لنا سويقا. ولقد جمع الله سبحانه وتعالى في هذه الآية اسباب الفوز. وعن
ابن عباس رضي الله عنه في تفسيرها ومن يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل. وعن
بعض الملوك انه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية. جهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها
وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها. وعن ابن عباس رضي الله عنه من قال بالله فقد جهد يمينه. واصل اقسم
جهد اليمين اقسم يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب
وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم. طاعة معروفة خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اي
امركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين الذين طابق باطن
امرهم ظاهره لا ايمان تقسمون بها بافواهكم وقلوبكم على خلافها. او طاعتكم طاعة معروفة بانها بالقول دون
الفعل او طاعة معروفة امثل واولى بكم من هذه الايمان الكاذبة. وقرأ اليزيدي طاعة معروفة بالنصب على معنى
اطيعوا طاعة. ان الله خبير يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على
نفاقكم. صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات وهو ابلغ في تبكيتهم يريد فان تتولوا فما ضررتموه
وانما ضررتم انفسكم فان الرسول ليس عليه الا ما حمله الله وكلفه من اداء الرسالة فاذا ادى فقد خرج عن عهدة
تكليفه واما انتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله
وعذابه وان اطعتموه فقد احرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة الى الهدى فالنفع والضرر عائدان اليكم وما الرسول
الا ناصح وهاد وما عليه الا ان يبلغ ما له نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم. والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التأدية.
المبين كونه مقرونا بالآيات والمعجزات. الخطاب لرسول الله ص ولمن معه ومنكم للبيان كالتي في آخر سورة الفتح. وعدهم الله
ان ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببني اسرائيل حين اورثهم مصر والشام بعد اهلاك
الجبابرة وان يمكن الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده. وان يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف
الذي كانوا عليه وذلك ان رسول الله ص واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون
في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما يأتي يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال عليه السلام لا تغبرون الا يسيرا
حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليست فيه حديدة فانجز الله وعده واظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعد
بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا
تلك الانعم وفسقوا وذلك قوله عليه السلام الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكا ثم تصير بزيزى قطع
سبيل وسفك دماء واخذ اموال بغير حقها. وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول. وليبدلنهم بالتشديد. فان قلت
اين القسم المتلقى باللام والنون في ليستخلفنهم. قلت هو محذوف تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم. او
نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم فتلقي بما يتلقى به القسم كانه قيل اقسم الله ليستخلفنهم. فان قلت ما محل يعبدونني.
قلت ان جعلته استئنافا لم يكن له محل كأن قائلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني وان جعلته
حالا عن وعدهم اي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب. ومن كفر يريد كفران النعمة
كقوله فكفرت بانعم الله. فاولئك هم الفاسقون اي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة وجسروا على غمطها.
فان قلت هل في هذه الآية دليل على امر الخلفاء الراشدين. قلت اوضح دليل وابينه لان المستخلفين الذين
آمنوا وعملوا الصالحات هم هم. واقيموا الصلاة معطوف على اطيعوا الله واطيعوا الرسول وليس ببعيد ان يقع بين المعطوف
والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول لتأكيد وجوبها.
وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه اوجه ان يكون معجزين في الارض هما المفعولان والمعنى لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله
في الارض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك وهذا معنى قوي جيد. وان يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله واطيعوا
الرسول. وان يكون الاصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك
ان الفاعل والمفعولين لما كانت لشيء واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث. وعطف قوله ومأواهم النار على لا يحسبن
الذين كفروا معجزين كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار والمراد بهم المقسمون جهد ايمانهم. أمر
بان يستأذن العبيد وقيل العبيد والاماء والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار ثلاث مرات في اليوم والليلة
قبل صلاة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة. وبالظهيرة
لانه وقت وضع الثياب للقائلة. وبعد صلاة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم.
وسمى كل واحدة من هذه الاحوال عورة لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها اعور الفارس
واعور المكان والاعور المختل العين. ثم عذرهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات وبين وجه العذر في
قوله طوافون عليكم يعني ان بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام
فلو جزم الامر بالاستئذان في كل وقت لادى الى الحرج. وروي ان مدلج بن عمرو وكان غلاما انصاريا ارسله رسول الله ص
وقت الظهر الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل
نهى آباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى النبي فوجده وقد انزلت
هذه الآية وهي احدى الآيات المنزلة بسبب عمر رضي الله عنه. وقيل نزلت في اسماء بنت ابي مرثد قالت انا لندخل على الرجل والمرأة
ولعلهما يكونان في لحاف واحد. وقيل دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فاتت رسول الله ص فقالت ان خدمنا

وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها ٭ وعن ابي عمرو الحلم بالسكون ٭ وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا من ثلاث مرات اي اوقات ثلاث عورات ٭ وعن الاعمش عورات على لغة هذيل فان قلت ما محل ليس عليكم قلت اذا رفعت ثلاث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف والمعنى هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستيذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستيذان في تلك الاحوال خاصة فان قلت بم ارتفع بعضكم قلت بالابتداء وخبره على بعض على معنى طائف على بعض وحذف لان طوافون يدل عليه ويجوز ان يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة الاطفال منكم اي من الاحرار دون المماليك الذين من قبلهم يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال او الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الاية والمعنى ان الاطفال مأذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا من حد الطفولة بان يحتلموا او يبلغوا السن الذي يحكم عليهم فيها بالبلوغ وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستاذنوا في جميع الاوقات كما الرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن وهذا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة ٭ وعن ابن عباس رضي الله عنه اية لا يؤمن بها اكثر الناس اية الاذن واني لآمر جاريتي ان تستاذن علي ٭ وسأله عطاء أستاذن على اختي قال نعم وان كانت في حجرك تمونها وتلا هذه الاية ٭ وعنه ثلاث ايات جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم فقال ناس اعظمكم بيتا ٭ وقوله اذا حضر القسمة ٭ وعن ابن مسعود رضي الله عنه عليكم ان تستاذنوا على ابائكم وامهاتكم واخواتكم ٭ وعن الشعبي ليست منسوخة فقيل له ان الناس لا يعملون بها ونلا هذه الاية فقال الله المستعان ٭ وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة ولا والله ما هي بمنسوخة ولكن الناس تهاونوا بها فان قلت ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ قلت قال ابو حنيفة رضي الله عنه ثماني عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة في الجارية وعامة العلماء على خمس عشرة سنة فيهما ٭ وعن علي رضي الله عنه انه كان يعتبر القامة ويقدره بخمسة اشبار وبه اخذ الفرزدق في قوله ٭ ما زال مذ عقدت يداه ازاره ٭ فسما فادرك خمسة الاشبار ٭ واعتبر غيره الانبات ٭ وعن عثمان رضي الله عنه انه سئل عن غلام فقال هل اخضر ازاره القواعد التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها لا يرجون نكاحا لا يطمعون فيه والمراد بالثياب الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التي اراد ها في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف اذا احتجن اليه والاستعفاف من الوضع خير لهن لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار افضل الاعمال واحسنها كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وان تصدقوا خير لكم فان قلت ما حقيقة التبرج قلت تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج سعة العين حتى يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا انه اختص بان تنكشف المراة للرجال بابداء زينتها واظهار محاسنها وبدا وبرز بمعنى ظهر من اخوات تبرج وتبلج كذلك كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات الى بيوت ازواجهم واولادهم والى بيوت قراباتهم واصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة في ذلك وخافوا ان يلحقهم فيه حرج وكرهوا ان يكون اكلا بغير حق لقوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على الضعفاء ولا على انفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك ٭ وعن عكرمة كانت الانصار في انفسها قزازة فكانت لا تاكل من هذه البيوت اذا استغنوا ٭ وقيل كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس ومؤاكلتهم لما عسى يؤدي الى الكراهة من قبلهم ولان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت عين اكيله اليه وهو لا يشعر والاعرج يتفسح في مجلسه وياخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة تؤذي او جرح يبض او انف يذن ونحو ذلك ٭ وقيل كانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح وياذنون لهم ان ياكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون ٭ وحكي عن الحارث بن عمرو انه خرج غازيا وخلف مالك ابن زيد في بيته وماله فلما رجع راه مجهودا فقال ما اصابك قال لم يكن عندي شيء ولم يحل لي ان اكل من مالك فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم ان تاكلوا من هذه البيوت وهذا كلام صحيح وكذلك اذا فسر بان هؤلاء ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو ولا عليكم ان تاكلوا من البيوت المذكورة لالتقاء الطائفتين في ان كل واحد منهما منفي عنها الحرج ٭ ومثال هذا ان يستفتيك مسافر عن الافطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج ان يفطر ولا عليك يا حاج ان تقدم الحلق على النحر فان قلت هلا ذكر الاولاد قلت دخل ذكرهم تحت قوله من بيوتكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه ٭ وفي الحديث ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه ٭ ومعنى من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم ولان الولد اقرب ممن عدد من القرابات فاذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الولد الذي هو اقرب منهم اولى فان قلت ما معنى او ما ملكتم مفاتحه قلت اموال الرجل اذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له ان ياكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتح كونها في يده وحفظه ٭ وقيل بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه ٭ وقرئ مفتاحه ٭ وعن ابن عباس وهو وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته له ان ياكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته او صديقكم والصديق يكون واحدا وجمعا وكذلك الخليط والقطين والعدو ٭ ويحكى عن الحسن انه دخل داره واذا حلقة من اصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص واطايب الاطعمة وهم مكبون عليها ياكلون فتهللت اسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدريين ٭ وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسال جاريته كيسه فياخذ منه ما شاء فاذا حضر مولاها فاخبرته اعتقها سرورا بذلك ٭ وعن جعفر بن محمد من عظم حرمة الصديق ان جعله الله من الانس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والاب والاخ والابن ٭ وعن ابن عباس رضي الله عنه الصديق اكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالاباء والامهات وانما قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ٭ وقالوا اذا دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج الاستيذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستاذن صاحبه في الاكل منه جميعا او اشتاتا اي مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يؤاكله اكل ضرورة ٭ وقيل في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف

لا ياكلون الا مع ضيفهم ٭ وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتاكلوا فابدؤا بالسلام على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه او لان التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والمحيا من عند الله ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله عز وجل زيادة الخير وطيب الرزق ٭ وعن انس رضي الله عنه قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وروى تسع سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا قال لي لشيء كسرته لم كسرته وكنت قائما على راسه اصب الماء على يديه فرفع راسه فقال الا اعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى بابي وامي يا رسول الله قال متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين ٭ وقالوا ان لم يكن في البيت احد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته ٭ وعن ابن عباس اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله وانتصب تحية بسلموا لانها في معنى تسليما كقولك قعدت جلوسا اراد عز وجل ان يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه اذا كانوا معه على امر جامع فجعل ترك ذهابهم حتى يستاذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المؤمنين مبتدا مخبرا عنه بموصول احاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث اعاده على اسلوب اخر وهو قوله ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيئا اخر وهو انه جعل الاستيذان كالمصداق لصحة الايمانين ٭ وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا ٭ ومعنى قوله لم يذهبوا حتى يستاذنوه لم يذهبوا حتى يستاذنوه ويأذن لهم الا تراه كيف علق الامر بعد وجود استيذانهم بمشيئته واذنه لمن استصوب ان ياذن له والامر الجامع الذي يجمع له الناس فوصف الامر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو او تشاور في خطب مهم او تضام لارهاب مخالف او تماسح في حلف وغير ذلك ٭ او الامر الذي يعم بضرره او بنفعه ٭ وقرئ امر جميع ٭ وفي قوله اذا كانوا معه على امر جامع انه خطب جليل لا بد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه من ذوي راي وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضيء بارائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته فمفارقة احدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه رايه فمن ثم غلظ عليهم وضيق عليهم الامر في الاستيذان مع العذر المبسوط ومساس الحاجة اليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله لبعض شانهم وذكر الاستغفار للمستاذنين دليل على ان الافضل ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستاذنوا فيه ٭ وقيل نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن ٭ وقالوا كذلك ينبغي ان يكون الناس مع ائمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم والامر في الاذن مفوض الى الامام ان شاء اذن وان شاء لم ياذن على حسب ما اقتضاه رايه اذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تتفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعي ٭ او لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذي سماه به ابواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع ٭ ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يساله حاجة فربما اجابه وربما رده فان دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم مسموعة مستجابة يتسللون ينسلون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرج وتدخل واللواذ الملاوذة وهو ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعني يتسللون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض ولواذا حال اي ملاوذين ٭ وقيل كان بعضهم يلوذ بالرجل اذا استاذن فياذن له فينطلق الذي لم يؤذن له معه ٭ وقرئ لواذا بالفتح يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه ٭ ومعنى الذين يخالفون عن امره الذين يصدون عن امره دون المؤمنين وهم المنافقون فحذف المفعول لان الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه ٭ الضمير في امره لله سبحانه او للرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى عن طاعته ودينه فتنة محنة في الدنيا او عذاب اليم في الاخرة ٭ وعن ابن عباس رضي الله عنه فتنة قتل ٭ وعن عطاء زلازل واهوال ٭ وعن جعفر بن محمد رضي الله عنه يسلط عليهم سلطان جائر ادخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ويرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى التكثير في نحو قوله ٭ فان تمس مهجور الفناء فربما ٭ اقام به بعد الوفود وفود ٭ ونحو قول زهير ٭ اخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ٭ ولكنه قد يهلك المال نائله ٭ والمعنى ان جميع ما في السموات والارض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف تخفى عليه احوال المنافقين وان كانوا يجتهدون في سترها عن العيون واخفائها وسينبئهم يوم القيامة بما ابطنوا من سوء اعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه يجوز ان يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز ان يكون ما انتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين والله اعلم ٭ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية وهي سبعون وسبع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

البركة كثرة الخير وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر وتزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمي به القران لفصله بين الحق والباطل او لانه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض في الانزال الا ترى الى قوله وقرانا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه قال ٭ ومشركي كافر بالفرق ٭ وعن ابن الزبير على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته كما قال لقد انزلنا اليكم ولقد انزلنا اليكم وما انزل الينا والضمير في ليكون لعبده او للفرقان ويعضد رجوعه الى الفرقان قراءة ابن الزبير للعالمين للجن والانس نذيرا منذرا اي مخوفا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار ومنه قوله فكيف كان عذابي ونذر الذي رفع على الابدال من الذي نزل او رفع على المدح او نصب عليه فان قلت كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه قلت ما فصل بينهما بشيء لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم الا به فان قلت في الخلق معنى التقدير فما معنى قوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا كانه قال وقدر كل شيء فقدره قلت المعنى انه احدث كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهياه لما يصلح له مثاله انه خلق الانسان على هذا الشكل

المقدر والمسوّى الذي تراه فقدّره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بأمثلة الحكمة والتدبير فقدّره لأمر ما ومصلحة مطابقًا لما قدّر له غير متجافٍ عنه أو سمّى إحداث الله خلقًا لأنه لا يحدث شيئًا لحكمته إلا على وجه التقدير من غير تفاوت فإذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك أحدث وأوجد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق فكأنه قيل وأوجد كل شيء فقدّره في إيجاده لم يوجده متفاوتًا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدّره للبقاء إلى أمد معلوم ٥ الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله إنما تعبدون من دون الله أوثانًا وتخلقون إفكًا ٥ والمعنى أنهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا عجز أبين من عجزهم لا يقدرون على شيء من أفعال الله ولا شيء من أفعال العباد حيث لا يفتعلون شيئًا وهم يفتعلون لأن عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير ولا يملكون أي لا يستطيعون لأنفسهم دفع ضرر عنها أو جلب نفع إليها وهم يستطيعون وإذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع التي يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحياة والنشور التي لا يقدر عليها إلا الله عز وجل أعجز ٥ قوم آخرون هم اليهود وقيل عدّاس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وأبو فكيهة الرومي قال ذلك النضر بن الحارث بن عبد الدار جاءوا وأتوا يستعملان في معنى فعل فيعدّيان تعديته وقد يكونان على معنى وردوا ظلمًا كما تقول جئت المكان ويجوز أن يحذف الجار ويوصل الفعل وظلمهم أن جعلوا العربي يتلقف من العجمي الرومي كلامًا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور أن بهتوا بنسبة ما هو بريء منه إليه أساطير الأولين ما سطره المتقدمون من نحو أحاديث رستم واسفنديار جمع أسطار أو أسطورة كأحدوثة ٥ اكتتبها كتبها لنفسه وأخذها كما تقول استكبّ الماء واصطبّه إذا سكبه وصبّه لنفسه وأخذه ٥ وقرئ اكتُتِبها على البناء للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لأنه صلى الله عليه وسلم كان أميًا لا يكتب بيده وذلك من تمام إعجازه ثم حذفت اللام فأفضى الفعل إلى الضمير فصار اكتتبها إياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي هو إياه فانقلب مرفوعًا مستترًا بعد أن كان بارزًا منصوبًا وبقي ضمير الأساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى فإن قلت كيف قيل اكتتبها فهي تملى عليه وإنما يقال أمليت عليه فهو يكتتبها قلت فيه وجهان أحدهما أراد اكتتابها وطلبه فهي تملى عليه أو كتبت له وهو أمي فهي تملى عليه أي تلقى عليه من كتابه يتحفظها لأن صورة الإلقاء على الحافظ كصورة الإلقاء على الكاتب ٥ وعن الحسن أنه قول الله يكذبهم وإنما يستقيم أن لو فتحت الهمزة للاستفهام الذي في معنى الإنكار ووجهه أن يكون نحو قوله أفرح أن أرزأ الكرام ٥ وحق الحسن أن يقف على الأولين بكرة وأصيلا أي دائمًا أو في الخفية قبل أن ينتشر الناس وحين يأوون إلى مساكنهم أي يعلم كل سر خفي في السموات والأرض ومن جملته ما تسرونه أنتم من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمكم أن ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبراءته مما تبهتونه وهو مجازيكم ومجازيه على ما علم منكم وعلم منه ٥ فإن قلت كيف طابق قوله إنه كان غفورًا رحيمًا هذا المعنى قلت لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد عقّبه بما يدل على القدرة عليه لأنه لا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادر على العقوبة أو هو تنبيه على أنهم استوجبوا بمكابرتهم هذه أن يصب عليهم العذاب صبًا ولكن صرف ذلك عنهم أنه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل ٥ وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن أوضاع الخط العربي وخط المصحف سنة لا تغيّر وفي هذا استهانة وتصغير لشأنه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز كأنهم قالوا ما لهذا الزاعم أنه رسول ونحوه قول فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون أي إن صح أنه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا يأكل الطعام كما نأكل ويتردد في الأسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكًا مستغنيًا عن الأكل والتعيش ٥ ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكًا إلى اقتراح أن يكون إنسانًا معه ملك يساعده على الإنذار والتخويف ٥ ثم نزلوا أيضًا فقالوا وإن لم يكن مرفودًا بملك فليكن مرفودًا بكنز يلقى إليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش ٥ ثم نزلوا فاقتنعوا بأن يكون رجلًا له بستان يأكل منه ويرتزق كما الدهاقين والمياسير أو يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم وأراد بالظالمين إياهم بأعيانهم ٥ وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا وقرئ فيكون بالرفع أو يكون له جنة نأكل بالنون فإن قلت ما وجه الرفع والنصب في فيكون قلت النصب لأنه جواب لولا بمعنى هلّا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على أنه معطوف على أنزل ومحله الرفع ألا تراك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى وتكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لأنهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون إلا مرفوعًا ٥ والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد ومن ضامّهم مسحورًا سحر فغلب على عقله أو ذا سحر وهو الرئة عنوا أنه بشر لا ملك ضربوا لك الأمثال أي قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال النادرة من نبوة مشتركة بين إنسان وملك وإلقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالًا لا يجدون قولًا يستقرون عليه أو فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقًا إليه ٥ تكاثر خير الذي إن شاء وهب لك في الدنيا خيرًا مما قالوا وهو أن يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور وقرئ ويجعل بالرفع عطفًا على جعل لأن الشرط إذا وقع ماضيًا جاز في جوابه الرفع والجزم كقوله ٥ وإن أتاه خليل يوم مسغبة ٥ يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز في يجعل لك إذا أدغمت أن تكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعًا وقرئ بالنصب على أنه جواب الشرط بالواو بل كذبوا بالساعة عطف على ما حكي عنهم يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز أن يتصل بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة السعير النار الشديدة الاستعار وعن الحسن أنه اسم من أسماء جهنم رأتهم من قولهم دورهم تتراءى أي تتناظر ومن قوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما كأن بعضها يرى بعضًا على سبيل المجاز والمعنى إذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر ويجوز أن يراد إذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبًا على الكفار وشهوة للانتقام منهم الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بأن عرضها السموات والأرض وجاء في الحديث أن لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله عز وجل على أهل النار أنواع التضييق والإرهاق

حيث ألقاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصًّا كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره أنه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الأصفاد والثبور الهلاك ودعاؤه أن يقولوا واثبوراه أي تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك وادعوا ثبورًا كثيرًا أي إنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدًا إنما هو ثبور كثير إما لأن العذاب أنواع وألوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته أو لأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودًا غيرها فلا غاية لهلاكهم ٥ الراجع إلى الموصولين محذوف يعني وعدها المتقون وما يشاءونه وإنما قيل كانت لأن ما وعده الله وحده فهو في تحققه كأنه قد كان أو كان مكتوبًا في اللوح قبل أن برأهم بأزمنة متطاولة أن الجنة جزاؤهم ومصيرهم فإن قلت ما معنى قوله كانت لهم جزاء ومصيرًا قلت هو كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقًا فمدح الثواب ومكانه كما قال بئس الشراب وساءت مرتفقًا فذم العقاب ومكانه لأن النعيم لا يتم للمتنعم إلا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة وإلا تنغص وكذلك العقاب يتضاعف بغثاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لأسباب الاجتواء والكراهة فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء والضمير في كان لما يشاءون والوعد الموعود أي كان ذلك موعودًا واجبًا على ربك إنجازه حقيقًا أن يسأل ويطلب لأنه جزاء وأجر مستحق وقيل قد سأله الناس والملائكة في دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم يحشرهم يقول كلاهما بالنون والياء وقرئ يحشرهم بكسر الشين وما يعبدون يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبي الأصنام ينطقها الله ويجوز أن يكون عامًا لهم جميعًا فإن قلت كيف صح استعمال ما في العقلاء قلت هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك إذا رأيت شبحًا من بعيد ما هو فإذا قيل لك إنسان قلت حينئذ من هو ويدلك قولهم من لما يعقل أو أريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم ألا تراك تقول إذا أردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تعني أطويل أم قصير أفقيه أم طبيب فإن قلت ما فائدة أنتم وهم وهلا قيل أأضللتم عبادي هؤلاء أم ضلوا السبيل قلت ليس السؤال عن الفعل ووجوده لأنه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وإنما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وإيلائه حرف الاستفهام حتى يعلم أنه المسؤول عنه فإن قلت فالله سبحانه قد سبق علمه بالمسؤول عنه فما فائدة هذا السؤال قلت فائدته أن يجيبوا بما أجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم إياهم فيبهتوا وينخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعًا مما يلحقهم من غضب الله وعذابه ويغتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة أولئك وليكون حكاية ذلك في القرآن لطفًا للمكلفين وفيه كسر بيّن لقول من يزعم أن الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أأنتم أضللتموهم أم ضلوا السبيل بأنفسهم فيتبرؤون من إضلالهم ويستعيذون به أن يكونوا مضلين ويقولون بل أنت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها أن تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فإذا برأت الملائكة والرسل أنفسهم من نسبة الإضلال الذي هو عمل الشياطين إليهم واستعاذوا منه فهم لربهم الغني العدل أشد تبرئة وتنزيهًا منه ولقد نزهوه حين أضافوا إليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها وأسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار إلى الكفرة فشرحوا الإضلال المجازي الذي أسنده الله عز وجل إلى ذاته في قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد أن يقولوا بل أنت أضللتهم والمعنى أأنتم أوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق أم هم ضلوا عنه بأنفسهم وضلّ مطاوع أضلّه وكان القياس ضل عن السبيل إلا أنهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والأصل إلى الطريق وللطريق وقولهم أضل البعير بمعنى جعله ضالًا أي ضائعًا لما كان أكثر ذلك بتفريط من صاحبه وقلة احتياط في حفظه قيل أضله سواء كان منه فعل أم لم يكن سبحانك تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل لهم لأنهم ملائكة وأنبياء معصومون فما أبعدهم عن الإضلال الذي هو مختص بإبليس وحزبه أو نطقوا بسبحانك ليدلوا على أنهم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم أن يضلوا عباده أو قصدوا به تنزيهه عن الأنداد وأن يكون له ملك أو نبي أو غيرهما ندًا ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون أن نتولى أحدًا دونك فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك أو ما كان ينبغي لنا أن نكون أمثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار وقال الله تعالى فقاتلوا أولياء الشيطان يريد الكفرة وقال والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت وقرأ أبو جعفر المدني نُتَّخذ على البناء للمفعول وهذا الفعل أعني اتخذ يتعدى إلى مفعول واحد كقولك اتخذ وليًا وإلى مفعولين كقولك اتخذ فلانًا وليًا قال الله تعالى أم اتخذوا آلهة من الأرض وقال واتخذ الله إبراهيم خليلًا فالقراءة الأولى من المتعدي إلى واحد وهو من أولياء والأصل أن نتخذ أولياء فزيدت من لتأكيد معنى النفي والثانية من المتعدي إلى مفعولين فالأول ما بني له الفعل والثاني من أولياء ومن للتبعيض أي لا نتخذ بعض أولياء وتنكير أولياء من حيث إنهم أولياء مخصوصون وهم الجن والأصنام والذكر ذكر الله والإيمان به أو القرآن والشرائع والبور الهلاك يوصف به الواحد والجمع ويجوز أن يكون جمع بائر كعائذ وعوذ هذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة وخاصة إذا انضم إليها الالتفات وحذف القول ونحوها قوله عز وعلا يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم وقول القائل قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ٥ ثم القفول فقد جئنا خراسانا ٥ وقرئ يقولون بالتاء والياء فمعنى من قرأ بالتاء فقد كذبوكم بقولكم إنهم آلهة ومعنى من قرأ بالياء فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء فإن قلت هل يختلف حكم الباء مع التاء والياء قلت أي والله هي مع التاء كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كأنه قيل فقد كذبوا بما تقولون وهي مع الياء كقولك كتبت بالقلم ٥ وقرئ يستطيعون بالتاء والياء أيضًا يعني فما تستطيعون أنتم يا أيها الكفار صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم إنه ليتصرف أي يحتال أو فما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو أن يحتالوا لكم الخطاب على العموم للمكلفين والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله إن الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ٥ وقرئ يذقه بالياء وفيه

ضمير الله او ضمير مصدر يظلم، والجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا
آكلين الطعام وماشين، وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور اعني من المرسلين ونحوه قوله عز من قائل وما منا
الا له مقام معلوم على معنى وما منا احد. وقرئ ويُمَشَّون على البناء للمفعول اي تمشيهم حوائجهم او الناس ولو قرئ
يُمَشُّون لكان اوجه لولا الرواية. وقيل هو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق
فتنة اي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلعم على ما قالوه واستبعدوه من اكله الطعام ومشيه في الاسواق
بعدما احتج عليهم بسائر الرسل يقول وجرت عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم ايها الناس ببعض. والمعنى انه ابتلى
المرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة واقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف وانواع اذاهم وطلب منهم
الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا
وتتقوا فان ذلك من عزم الامور. وموقع اتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم
ايكم احسن عملا. بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلي به وغيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك اقاويلهم فان
في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين. وقيل هو تسلية له عما عيروه به من الفقر حين قالوا او يلقى اليه
كنز او تكون له جنة وانه جعل الاغنياء فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون وانها حكمته ومشيئته يغني من يشاء
ويفقر من يشاء. وقيل جعلناكم فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك
للدنيا او ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي
وقيل كان ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل ومن في طبقتهم يقولون ان اسلمنا وقد اسلم قبلنا
عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا ادلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض. لا يرجون
لا يأملون لقاءنا بالخير لانهم كفرة او لا يخافون لقاءنا بالشر. والرجاء في لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله تعالى
لا ترجون لله وقارا. جعلت الصيرورة الى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقيا. اقترحوا من الآيات
ان ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بان محمدا صادق حتى يصدقوه او يروا الله جهرة فيامرهم بتصديقه واتباعه
ولا يخلوا اما ان يكونوا عالمين بان الله عز وجل لا يرسل الملائكة الى غير الانبياء وان الله لا يصح ان يرى وانما
علقوا ايمانهم بما لا يكون. واما ان لا يكونوا عالمين بذلك وانما ارادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات
التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة. فان قلت ما معنى
في انفسهم قلت معناه انهم اضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال ان في صدورهم
الا كبر ما هم ببالغيه. وعتوا وجاوزوا الحد في الظلم. يقال عتا علينا فلان. وقد وصف العتو بالكبير فبالغ في افراطه يعني
انهم في حين استيفائها غاية ذي اشتكوها نحو قول القائل وجارة جساس ابأنا بنابها كليبا غلت ناب كليب بواؤها
وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب الا ترى ان المعنى ما اشد استكبارهم وما اكبر عتوهم وما اغلى نابا
بواؤها كليب. يوم يرون منصوب باحد شيئين اما بما دل عليه لا بشرى اي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى او يعدمونها
ويومئذ للتكرير. واما باضمار اذكر اي اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال لا بشرى يومئذ للمجرمين. وقوله للمجرمين اما ظاهر في موضع
ضمير واما لانه عام فقد تناولهم بعمومه. حجرا محجورا ذكره سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بافعال
متروك اظهارها نحو معاذ الله وقعدك الله وعمرك الله [illegible]
وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور او هجوم نازلة او نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة
قال سيبويه ويقول الرجل للرجل اتفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهي من حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله
ان يمنع المكروه فلا يلحقه وكان المعنى اسأل الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومجيئه على فعل او فعل في قراءة الحسن
تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وانشدت لبعض الرجاز قالت وفيها حيدة وذعر
عوذ بربي منكم وحجر. فان قلت فاذا قد ثبت انه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجورا. قلت جاءت هذه
الصفة لتاكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل الهوان وموت مائت. والمعنى في الآية انهم يطلبون نزول الملائكة
ويقترحونه وهم اذا راوهم عند الموت او يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون وقالوا
عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور وشدة النازلة. وقيل هو من قول الملائكة ومعناه حراما محرما
عليكم الغفران والجنة والبشرى اي جعل الله ذلك حراما عليكم. ليس هاهنا قدوم ولكن مثلت حال هؤلاء
واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم
ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافسدها
ومزقها كل ممزق ولم يترك لها اثرا ولا عثيرا. والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي
امثالهم اقل من الهباء. منثورا صفة للهباء شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده وانه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه
لانك تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته الريح رايته قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله كعصف ماكول
لم يكف ان شبههم بالعصف حتى جعله موؤوفا بالاكال ولا ان شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا او
مفعول ثالث لجعلناه اي فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين اي جامعين
للمسخ والخسء. ولام الهباء واو بدليل الهبوة. المستقر المكان الذي يكونون فيه في اكثر اوقاتهم مستقرين يتجالسون
ويتحادثون والمقيل المكان الذي ياوون اليه للاسترواح الى ازواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن
كما ان المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب. وروي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل
الجنة في الجنة واهل النار في النار. وفي معناه قوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم
في ظلال على الارائك متكئون. قيل في تفسير الشغل افتضاض الابكار. ولا نوم في الجنة وانما
سمي مكان دعتهم واسترواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه. وفي لفظ الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم

ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا

من حسن الوجوه وملاحة الصور الى غير ذلك من التحاسين والتزاين. وقرئ تشقق والاصل تتشقق فحذف بعضهم التاء
وغيره ادغمها. ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كانه الذي تشقق به السماء كما تقول شققت السنام
بالشفرة وانشق بها. ونظيره قوله السماء منفطر به. فان قلت اي فرق بين قولك انشقت الارض بالنبات وانشقت عن النبات
قلت معنى انشقت به ان الله عز وجل شقها بطلوعه فانشقت به. ومعنى انشقت عنه انشقت عند طلوعه. والمعنى ان السماء
تنفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي ايديهم صحائف اعمال العباد. وروي تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة الى
الارض. وقيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم. وفي معناه قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم
الله في ظلل من الغمام والملائكة. وقرئ ونزل الملائكة وننزل ونزل وانزل ونزل الملائكة وانزل الملائكة ونزل الملائكة
على حذف النون الذي هو فاء الفعل من ننزل قراءة اهل مكة. الحق الثابت لان كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى الا الملك
عض اليدين والانامل والسقوط في اليد واكل البنان وحرق الاسنان والارم وقرعها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها
من روادفها فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة
والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه. وقيل نزلت في عقبة بن ابي معيط بن امية بن عبد شمس وكان يكثر مجالسة
رسول الله صلعم. وقيل اتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله صلعم فابى ان ياكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان
ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبات يا عقبة قال لا ولكن ابى ان ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت
له والشهادة ليست في نفسي فقال وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فوجده
ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله صلعم لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فقتل يوم بدر امر
عليا رض بقتله. وقيل قتله عاصم بن ثابت بن ابي الافلح الانصاري وقال يا محمد الى من الصبية قال الى النار وطعن رسول الله صلعم
ابيا باحد فرجع الى مكة فمات. واللام في الظالم يجوز ان يكون للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز ان تكون للجنس فيتناول
عقبة وغيره. تمنى ان لو صحب الرسول وسلك طريقا معه واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب به طرق الضلالة والهوى
او اراد اني كنت ضالا لم يكن لي سبيل قط فليتني حصلت لنفسي في صحبة الرسول سبيلا. وقرئ يا ويلتي بالياء وهو الاصل
لان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا اوانك. وانما قلبت الياء الفا كما في صحاري ومداري. فلان كناية عن
الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس. فان اريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتني لم اتخذ ابيا خليلا فكنى عن اسمه وان اريد به
الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه. عن الذكر عن ذكر الله او القرآن
او موعظة الرسول صلعم ويجوز ان يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام. والشيطان اشارة الى خليله سماه شيطانا
لانه اضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة او اراد ابليس وانه هو الذي حمله على مخالة المضل ومخالفة
الرسول ثم خذله او اراد الجنس وكل من تشيطن من الجن والانس. ويحتمل ان يكون وكان الشيطان كلام الظالم
وان يكون كلام الله عز وجل. الخذول [illegible]. الرسول محمد رسول الله صلعم وقومه قريش
حكى الله عز وجل شكواه قومه اليه وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء عليهم السلام كانوا اذا التجأوا اليه
وشكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا. ثم اقبل عليه مسليا ومواسيا وواعدا النصرة عليهم فقال كذلك كان كل نبي
قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بي هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم. مهجورا تركوه وصدوا
عنه وعن الايمان به. وعن النبي صلعم من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة
متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه. وقيل هو من هجر اذا هذى اي جعلوه مهجورا
فيه فحذف الجار وهو على وجهين احدهما زعمهم انه هذيان وباطل واساطير الاولين والثاني انهم كانوا اذا سمعوه
هجروا فيه كقوله لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه. ويجوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول. والمعنى اتخذوه
هجرا والعدو يجوز ان يكون واحدا وجمعا كقوله فانهم عدو لي. لان المعنى وقال الرسول يوم القيامة. نزل ههنا بمعنى
انزل لا غير كخبر بمعنى اخبر والا كان متدافعا. وهذا ايضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق
وتجافيهم عن اتباعه. قالوا هلا نزل عليه دفعة في وقت واحد كما انزلت الكتب الثلاثة. وما له انزل على التفاريق. والقائلون
قريش. وقيل اليهود. وهو فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته لان امر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله
جملة واحدة او مفرقا. وقوله كذلك جواب لهم اي كذلك انزل مفرقا والحكمة فيه ان نقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه
وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء. ولو القي عليه جملة واحدة لبعل به
وتعيا بحفظه. والرسول صلعم فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان اميا لا يقرا ولا يكتب وهم كانوا
قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فانزل عليه منجما في عشرين سنة وقيل في ثلاث وعشرين
وايضا فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتاتى ذلك الا فيما انزل مفرقا
فان قلت ذلك في كذلك يجب ان تكون اشارة الى شيء تقدمه والذي تقدم هو انزاله جملة فكيف فسرته بكذلك انزلناه مفرقا
قلت لان قولهم لولا انزل عليه جملة معناه لم انزل مفرقا والدليل على فساد هذا الاعتراض انهم عجزوا عن ان
ياتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من اصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم وتحلوا به على انفسهم
حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة ثم قالوا هلا نزل جملة واحدة كانهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا
على جملته. ورتلناه معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه. ومعنى ترتيله
ان قدره اية بعد اية ووقفة عقيب وقفة. ويجوز ان يكون المعنى وامرنا بترتيل قراءته وذلك قوله ورتل القرآن
ترتيلا اي اقراه بترتيل وتثبت. ومنه حديث عائشة رض في صفة قراءته عليه السلام لا كسردكم هذا لو اراد السامع
ان يعد حروفه لعدها. واصله الترتيل في الاسنان وهو تفليجها يقال ثغر رتل ومرتل ويشبه بنور
الاقحوان في تفليجه. وهو ان نزله مع كونه متفرقا على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه
في مدة متقاربة. ولا ياتونك بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان الا اتيناك نحن بالجواب الحق
الذي لا محيد عنه وبما هو احسن معنى ومؤدى من سؤالهم. ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام

وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا او لا ياتونك بحال وصفة عجيبة يقولون
هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو ان يقرن بك ملك ينذر معك او يلقى اليك كنز او تكون لك جنة او ينزل عليك القران جملة
الا اعطيناك نحن من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا ان نعطيكه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته
يعني ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان ياتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها ادخل في الاعجاز وانور للحجة من
ان ينزل كله جملة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه • كانه قيل لهم ان حاملكم على
هذه السؤالات انكم تضللون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وانتم من المسحوبين على وجوههم
الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه وسبيلكم اضل من سبيله وفي طريقته • وقوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة
عند الله من لعنه الله وغضب عليه الاية ويجوز ان يراد بالمكان الشرف والمنزلة وان يراد الدار والمسكن كقوله
اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي • وعن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة
على ثلاثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا • الوزارة لا تنافي النبوة فقد كان
يبعث في الزمن الواحد انبيا ويؤمرون ان يوازروا بعضهم بعضا • والمعنى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم كقوله
اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق اراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها اولها واخرها لانهما المقصود من
القصة بطولها اعني الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم • وعن علي فدمرتهم وعنه
فدمراهم • وروي فدمرانهم على التاكيد بالنون الثقيلة كانهم كذبوا نوحا عليه السلام ومن قبله من الرسل صريحا او كان
تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع • اولم يروا بعثة الرسل اصلا كالبراهمة وجعلناهم وجعلنا اغراقهم او قصتهم للناس
اية وللظالمين اما ان يعني بهم قوم نوح واصله واعتدنا لهم الا انه قصد تظليمهم فاظهر واما ان يتناولهم بعمومه عطف عادا
على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين • وقرئ وثمود على تاويل القبيلة واما المنصرف فعلى
تاويل الحي او لانه اسم الاب الاكبر قيل في اصحاب الرس كانوا قوما من عبدة الاصنام اصحاب ابار ومواش فبعث الله
سبحانه اليهم شعيبا فدعاهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم وفي ايذائه فبيناهم حول الرس وهو البئر غير المطوية
عن ابي عبيدة انهارت بهم فخسف الله بهم وبديارهم • وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية
ثمود وقوم صالح • وقيل هم اصحاب النبي حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهي اعظم ما يكون من الطير سميت لطول
عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ وهي تنقض على اطفالهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد فدعا عليها
حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا • وقيل اصحاب الاخدود والرس هو الاخدود
وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار • وقيل كذبوا نبيهم ورسوه في بئر اي دسوه فيها بين ذلك اي ذلك
المذكور وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على
معنى فذلك المحسوب والمعدود • ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين ووصفنا لهم ما اجروا اليه
من تكذيب الانبيا عليهم السلام وجرى عليهم من عذاب الله عز وجل وتدميره • والتتبير التفتيت والتكسير • ومنه التبر
وهو كسار الذهب والفضة والزجاج وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا او حذرنا
والثاني بتبرنا لانه فارغ له اراد بالقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمسا اهلك الله عز وجل اربعا باهلها
وبقيت واحدة • ومطر السوء الحجارة يعني ان قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم الى الشام على تلك القرية التي اهلكت
بالحجارة من السما افلم يكونوا في مرار مرورهم ينظرون الى اثار عذاب الله ونكاله ويذكرون بل كانوا قوما لا يبصرون لانهم
كفرة بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة فوضع الرجا موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم
لم ينظروا ولم يذكروا ومروا بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول الى ثواب
اعمالهم او لا يخافون على اللغة التهامية ان الاولى نافية والثانية مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما واتخذه
هزوا في معنى استهزأ به والاصل اتخذه موضع هزؤ او مهزوا به اهذا محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار
وبعث الله رسولا واخراجه في معرض التسليم والاقرار وهم على غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزئوا
لقالوا اهذا الذي زعم او ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا • وقولهم ان كاد ليضلنا دليل على فرط مجاهدة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم مع عرض الايات والمعجزات عليهم حتى
شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة الهتهم ولولا في مثل هذا
الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة مجرى التقييد للحكم المطلق وسوف يعلمون وعيد ودلالة على
انهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال ولا بد للوعيد ان يلحقهم فلا يغرنهم التاخير • وقوله من اضل سبيلا
كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الضلال من حيث لا يضل غيره الا من هو ضال
في نفسه • ويروى انه من قول ابي جهل لعنه الله من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما ياتي به ويذر لا
يتبصر دليلا ولا يصغي الى برهان فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول لرسوله هذا الذي لا ارى معبودا
الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى افتتوكل عليه وتجبره على الاسلام وتقول لا بد ان تسلم شئت
ام ابيت ولا اكراه في الدين وهذا كقوله وما انت عليهم بجبار لست عليهم بمسيطر • ويروى ان الرجل منهم كان
يعبد الحجر فاذا راى احسن منه رمى به واخذ اخر ومنهم الحرث بن قيس السهمي ام هذه منقطعة معناه بل
اتحسب كان هذه المذمة اشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهي كونهم مسلوبي الاسماع
والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة
والضلالة ثم ارجح ضلالة منها فان قلت لم اخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها قلت ما هو
الا تقديم المفعول الثاني على الاول للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق فان قلت ما معنى
ذكر الاكثر قلت كان فيهم من لم يصده عن الاسلام الا داء واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا
فان قلت كيف جعلوا اضل من الانعام قلت لان الانعام تنقاد لارباب التي تعلفها وتتعهدها وتعرف

من يحسن

من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا
يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون
العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي الم تر الى ربك الم
تنظر الى صنع ربك وقدرته ومعنى مد الظل ان جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ولو شاء لجعله ساكنا اي لاصقا باصل كل
مظل من جبل وبناء وشجر غير منبسط فلم ينتفع به احد سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا ومعنى
كون الشمس دليلا ان الناس يستدلون بالشمس وباحوالها في مسيرها على احوال الظل من كونه ثابتا في مكان وزائلا
ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم الى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك وقبضه اليه انه ينسخه بضح الشمس
يسيرا اي على مهل وفي هذا القبض اليسير شيئا بعد شيء من المنافع ما لا يعد ولا يحصر ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت
اكثر منافع مرافق الناس بالظل والشمس جميعا فان قلت ثم في هذين الموضعين كيف موقعها قلت موقعها
لبيان تفاضل الامور الثلاثة كان الثاني اعظم من الاول والثالث اعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينها في الفضل
بتباعد ما بين الحوادث في الوقت ووجه اخر وهو انه مد الظل حين بنى السما كالقبة المضروبة ودحا
الارض تحتها فالقت القبة ظلها على الارض فينانا ما في اديمه جوب لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا
على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل
في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل ان يريد قبضه عند
قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاءه بانشاء اسبابه
وقوله قبضناه الينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر
والسبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحيوة وهذا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل فان قلت هلا فسرته بالراحة
قلت النشور في مقابلته يأباه اباء العيوف الورد وهو مرنق وهذه الاية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها
اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية ودنيوية والنوم واليقظة
وشبههما بالموت والحيوة اي عبرة فيهما لمن اعتبر • وعن لقمان انه قال لابنه كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وقرئ
الريح والرياح نشرا احيا ونشرا جمع نشور وهي المحيية ونشرا تخفيف نشر وبشرا تخفيف بشر جمع بشور وبشرى
بين يدي رحمته استعارة مليحة اي قدام المطر طهورا بليغا في طهارته • وعن احمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره
فان كان ما قاله شرحا لبلاغته في الطهارة كان سديدا ويعضده قوله وينزل من السما ما ليطهركم به والا فليس فعول من
التفعيل في شيء • والطهور على وجهين في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر والاسم قولك لما يتطهر به
طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار • وقولهم تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ذكره سيبويه ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة الا بطهور اي بطهارة فان قلت ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور قلت تيقن مخالطة النجاسة او
غلبة الظن تغير احد اوصافه الثلاثة او لم يتغير • او استعماله في البدن لاداء عبادة عند ابي حنيفة وعند مالك بن انس ما لم
يتغير احد اوصافه فهو طهور فان قلت فما تقول في قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن بئر بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه شيء الا
ما غير لونه او طعمه او ريحه قلت قال الواقدي كان بئر بضاعة طريقا للماء الى البساتين وانما قال ميتا لان
البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه الى بلد ميت وانه غير جار على الفعل كفعول ومفعال ومفعل • وقرئ نسقيه بالفتح
وسقى واسقى لغتان • وقيل اسقاه جعل له سقيا اناسي جمع انسي او انسان ونحوه ظرابي في ظربان على قلب النون
ياء والاصل اناسين وظرابين • وقرئ بالتخفيف بحذف ياء افاعيل نحو اناعم في اناعيم فان قلت انزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله
بالاحيا والسقي يؤذن بان الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول حملني الامير على فرس جواد لاصيد عليه الوحش قلت لما كان
سقي الاناسي من جملة ما انزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا ان من حقهم حين اراد الله
تبارك وتعالى لهم الطهارة وارادهم عليها ان يؤثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم وان يربؤا بانفسهم عن مخالطة القاذورات
كلها كما رباهم ربهم فان قلت لم خص الانعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب قلت لان الطير والوحش تبعد في
طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام ولانها قنية الاناسي وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم
بسقي انعامهم كالانعام بسقيهم فان قلت فما معنى تنكير الانعام والاناسي ووصفها بالكثرة قلت معنى ذلك ان
علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من الاودية والانهار ومنابع الماء فبهم غنية عن سقي السماء واعقابهم وهم كثير
منهم لا يغيثهم الا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه • وكذلك قوله لنحيي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان
الماء فان قلت لم قدم احياء الارض وسقي الانعام على سقي الاناسي قلت لان حيوة الاناسي بحيوة ارضهم وحيوة
انعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم ولانهم اذا ظفروا بما يكون سقيا ارضهم ومواشيهم لم يعدموا
سقياهم يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القران وفي سائر الكتب والصحف التي انزلت على الرسل وهو ذكر انشاء
السحاب وانزال القطر ليفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا فابى اكثرهم الا كفران النعمة وجحودها وقلة
الاكتراث لها • وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل
وجود ورذاذ وديمة ورهام • فابوا الا الكفور وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته • وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ما من عام اقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الاية • وروي ان الملائكة يعرفون
عدد المطر ومقداره في كل عام لانه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد • وينتزع من ههنا جواب في تنكير البلدة والانعام
والاناسي كانه قال لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الانعام والاناسي وذلك البعض كثير فان قلت هل
يكفر من ينسب الامطار الى الانوا قلت ان كان لا يراها الا من الانوا ويجحد ان تكون هي والانوا من خلق الله فهو كافر
وان كان يرى ان الله خالقها وقد نصب الانوا دلائل وامارات لم يكفر • يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولو شئنا لخففنا عنك اعباء
نذارة جميع القرى لبعثنا في كل قرية نبيا ينذرها وانما قصرنا الامر عليك وعظمناك به واجللناك وفضلناك على سائر
الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وانما اراد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم

والضمير للقرآن او لترك الطاعه التي يدل عليه ولا تطع • والمراد ان الكفار يجدّون ويجتهدون في توهين امرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم • وجعله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من المشاق العظام • ويجوز ان يرجع الضمير في به الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكثر جهاده من اجل ذلك وعظم فقال وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة • سمّى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين • الفرات البليغ العذوبة حتى يضرب الى الحلاوه • والاجاج نقيضه • ومرجهما خلاهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره • وفي كلام بعضهم • وبحران احدهما مع الآخر ممروج • وماء العذب منهما بالاجاج ممزوج • برزخا حائلا من قدرته كقوله بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية وهو قدرته سبحانه • وقرئ ملح على فعل وقيل كأنه حذف من مالح تخفيفا كما قال • وصلّيانا بردا • يريد باردا • فان قلت • وحجرا محجورا ما معناه • قلت هي الكلمه التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي هنا واقعه على سبيل المجاز كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان • اي لا يبغي احدهما على صاحبه بالممازجه فانتفاء البغي كالتعوذ هنا • جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من احسن الاستعارات واشهدها على البلاغه • اراد تقسيم البشر قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان ابن فلان وفلانه بنت فلان • وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن ونحوه قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى • وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفه الواحده بشرا نوعين ذكرا وانثى • الظهير والمظاهر كالعوين والمعاون وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز • والمعنى ان الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة • وروي انها نزلت في ابي جهل • ويجوز ان يريد بالظهير الجماعه كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليط • ويريد بالكافر الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور دين الله • وقيل معناه وكان الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت اليه • وهذا نحو قوله اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم • مثال الا من شاء والمراد الا فعل من شاء واستثناؤه عن الاجر • قول ذي شفقه عليك قد سعى لك في تحصيل مال • ما اطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه • فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوّره هو بصورة الثواب وسمّاه باسمه فافاد فايدتين احداهما قلع شبهة الطمع في الثواب من اصله كانه يقول لك ان كان حفظك لمالك ثوابا فاني اطلب الثواب والثانيه اظهار الشفقه البالغه وانك ان حفظت مالك اعتدّ بحفظك ثوابا ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب • ولعمري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع المبعوث اليهم بهذا الصدد وفوقه • ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه وطلبهم عنده الزلفى بالايمان والطاعه • وقيل المراد التقرب بالصدقه والنفقه في سبيل الله [illegible]

والصلوات جميعا واعداد النصب والجدود والكفارات وغير ذلك والايقاع بدواعي الحكمة في جميع افعاله وبان ما قدّره حق وصواب • هو الايمان وقد نص عليه في قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا • ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو • وهو الجواب ايضا في ان لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك • وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه انما خلقها في ستة ايام وهو يقدر على ان يخلقها في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت • وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين • الذي خلق مبتدأ والرحمن خبره وهو صفة للحي والرحمن خبر مبتدأ محذوف او بدل عن المستتر في استوى • وقرئ الرحمن بالجر صفة للحي • وقرئ فاسأل والباء في به صلة سل كقوله سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلته في نحو قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم فسأل به كقوله اهتم به واعتنى به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه ونقر عنه • او صلة خبيرا • ويجعل خبيرا مفعول سل يريد فسل عنه رجلا خبيرا عارفا يخبرك برحمته • او فسل رجلا خبيرا به وبرحمته • او فسل بسؤاله خبيرا كقولك رأيت به اسدا اي برؤيته • والمعنى ان سألته وجدته خبيرا او تجعله حالا عن الهاء تريد فسل عنه عالما بكل شيء • وقيل الرحمن اسم من اسماء الله عز وجل مذكور في الكتب المتقدمه ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى تعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمان اليمامة • وما الرحمن يجوز ان يكون سؤالا عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما • ويجوز ان يكون سؤالا عن معناه لانه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم او لانهم انكروا اطلاقه على الله • لما تأمرنا اي للذي تأمرناه بمعنى تأمرنا بسجوده على قوله امرتك الخير • او لامرك لنا • وقرئ بالياء كأن بعضهم قال لبعض انسجد لما يأمرنا محمد او يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو • وفي زادهم ضمير اسجدوا للرحمن لانه هو المقول • البروج منازل الكواكب السبعة السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت • سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج من التبرج لظهوره

والسراج الشمس كقوله وجعل الشمس سراجا • وقرئ سُرُجا وهي الشمس والكواكب الكبار معها • وقرأ الحسن والاعمش رضي الله عنهما وقمرا منيرا وهو جمع ليلة قمراء كأنه قال وذا قمر منيرا لان الليالي تكون قمرا بالقمر فأضافه اليها • ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان رضي الله عنه • بردى يصفق بالرحيق السلسل • يريد ماء بردى • ولا يبعد ان يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب • الخلفه من خلف كالركبه من ركب وهي الحاله التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوي خلفة اي ذوي عقبة يعقب هذا ذاك وذاك هذا • ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان • ومنه قوله سبحانه واختلاف الليل والنهار • ويقال بفلان خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا الى متبرزه • وقرئ يذّكّر ويذكر • وعن ابي بن كعب رضي الله عنه يتذكر • والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم ان لا بد لانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير • ويستدل بذلك على عظم قدرته • ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز وعلا ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله • او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته في احدهما ورده من العبادة قام به في الآخر • وعن الحسن رضي الله عنه من فاته عمله من التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعتب ومن فاته في الليل كان له في النهار مستعتب • وعباد الرحمن مبتدأ خبره في آخر السورة كأنه قال وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم اولئك يجزون الغرفة • ويجوز ان يكون خبره الذين يمشون واضافهم الى الرحمن تخصيصا وتفضيلا • وقرئ وعباد الرحمن وقرئ يمشّون • هونا حال او صفة للمشي بمعنى هينين او مشيا هينا الا ان في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة • والهون الرفق واللين • ومنه الحديث احبب حبيبك هونا ما • وقوله المؤمنون هينون لينون • والمثل اذا عز اخوك فهن • ومعناه اذا عاسر فياسر • والمعنى انهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا • ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الاسواق • ولقوله ويمشون في الاسواق • سلاما تسلما منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر اي نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسليم • وقيل قالوا سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرعة من قوله • الا لا يجهلن احد علينا • فنجهل فوق جهل الجاهلينا • وعن ابي العالية نسختها آية القتال • ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الادب والمروءة والشريعة واسلم للعرض والورع • البيتوتة خلاف الظلول وهو ان يدركك الليل نمت او لم تنم • وقالوا من قرأ شيئا من القرآن في صلاة وان قل فقد بات ساجدا وقائما • وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل او اكثره • يقال فلان يظل صائما ويبيت قائما • غراما هلاكا وخسرانا ملحّا لازما • قال • ويوم النسار ويوم الجفار • كانا عذابا وكانا غراما • وقال • ان يعاقب يكن غراما • وان يعط جزيلا فانه لا يبالي • العزم لا يحاجّه والوامه • وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله تعالى في صرف العذاب عنهم كقوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة • ساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي • وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها • ويجوز ان تكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز • والتعليلان يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين • وان يكونا من كلام الله عز وجل وحكاية لقولهم • وقرئ يقتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا بالتخفيف والتشديد • والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف • والاسراف مجاوزة الحد في النفقة • ووصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير • وبمثله امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط • وقيل الاسراف انما هو الانفاق في المعاصي فاما في القرب فلا اسراف • وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير • وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته واحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن • فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام اعده لهذا المقام • فسكت عبد الملك فلما كان بعد ايام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته واحواله فقال له الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك انه اراد ما في هذه الآية فقال لابنه يا بني اهذا ايضا مما اعده • وقيل اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للتجمل والزينه ولكن كانوا يأكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويكنّهم من الحر والقر • وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفا ان لا يشتهي الرجل شيئا الا اشتراه فأكله • القوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما • ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء • وقرئ قواما بالكسر وهو ما يقام به الشيء يقال انت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص • والمنصوبان اعني بين ذلك قواما جائز ان يكونا خبرين معا وان يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وان يكون الظرف خبرا وقواما حالا مؤكدة • واجاز الفراء ان يكون بين ذلك اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن كقوله • لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت • وهو من جهة الاعراب لا بأس به ولكن المعنى ليس بقوي لان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة • حرم الله اي حرمها والمعنى حرم قتلها • والا بالحق متعلق بهذا القتل المحذوف او بلا يقتلون • ونفي هذه المقبحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين للتعريض بما كان عليه اعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كأنه قيل والذين برأهم الله وطهرهم مما انتم عليه • والقتل بغير حق يدخل فيه الوأد وغيره • وعن ابن مسعود رضي الله عنه قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يأكل معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك • فانزل الله تصديقه • وقرئ يلق فيه اثاما • وقرئ يلقى باثبات الالف وقد مر مثله • والاثام جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما • قال • جزى الله ابن عروة حيث امسى • عقوقا والعقوق له اثام • وقيل هو الاثم ومعناه يلق جزاء اثام • وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام لليوم العصيب • يضاعف بدل من يلق لانهما في معنى واحد كقوله • متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تأججا • وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب • وقرئ بالرفع على الاستيناف او على الحال • وكذلك يخلد • وقرئ ويخلد على البناء للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد والتخليد • وقرئ وتخلد بالتاء على الالتفات • يبدل مخفف ومثقل وكذلك سيئاتهم • فان قلت ما معنى مضاعفة العذاب وابدال السيئات حسنات • قلت اذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه • وابدال السيئات حسنات انه يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة والتقوى • وقيل

يبدل لهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا ومن يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب او فانه تائب متابا الى الله الذي يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون والذي يحب التوابين ويحب المتطهرين وفي كلام بعض العرب لله افرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمآن الوارد والعقيم الوالد او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا واي مرجع. يحتمل انهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر واهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لان مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك قيل في النظارة الى كل ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الاثم لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا به وسبب وجوده والزيادة فيه لان الذي سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم في النظر اليه وفي مواعظ عيسى بن مريم اياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل انهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغناء وعن مجاهد اعياد المشركين. **اللغو** كل ما ينبغي ان يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليهم والخوض معهم كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وعن الحسن رضي الله عنه لم تسفههم المعاصي وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا عنه وصفحوا وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه. **لم يخروا عليها** ليس بنفي للخرور انما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصا على استماعها واقبلوا على المذكر بها وهم في اكبابهم عليها سامعون باذان واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يبصرون ما فيها كالمنافقين واشباههم. **وذرياتنا** وقرئ وذريتنا وقرة اعين سألوا ربهم ان يرزقهم ازواجا واعقابا عمالا لله يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وعن محمد بن كعب ليس شيء اقر لعين المؤمن من ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله عز وجل وعن ابن عباس هو الولد اذا رآه يكتب الفقه وقيل سألوا ان يلحق الله بهم ازواجهم وذرياتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم. اراد ائمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او اراد واجعل كل واحد منا اماما او اراد جمع آم كصائم وصيام او اراد واجعلنا اماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا وعن بعضهم في الاية ما يدل على ان الرياسة في الدين يجب ان تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الآيات في العشرة المبشرين بالجنة. **فان قلت** من في قوله من ازواجنا ما هي **قلت** يحتمل ان تكون بيانية كانه قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعلهم الله لهم قرة اعين وهو من قولهم رأيت منك اسدا اي انت اسد وان تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح. **فان قلت** لم قال قرة اعين فنكر وقلل **قلت** اما التنكير فلاجل تنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه كانه قيل هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل اعين دون عيون لانه اراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله وقليل من عبادي الشكور ويجوز ان يقال في تنكير اعين انها اعين خاصة وهي اعين المتقين. المراد **يجزون الغرفات** وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس والدليل على ذلك قوله وهم في الغرفات آمنون وقراءة من قرأ في الغرفة آمنون **بما صبروا** بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى اذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك واطلاقه لاجل الشياع في كل مصبور عليه وقرئ يلقون كقوله ولقاهم نضرة وسرورا ويلقون كقوله يلق اثاما **والتحية** دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة يعني ان الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا من اهل رحمتك وارزقنا مما ترزقهم في دار رضوانك. لما وصف عبادة العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم واثنى عليهم من اجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة اتبع ذلك بيان انه انما اكترث لاولئك وعبأ بهم واعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم فامر رسوله ان يصرح للناس ويجزم لهم القول بان الاكتراث لهم عند ربهم انما هو للعبادة وحدها لا لمعنى آخر ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئا يبالى به والدعاء العبادة **وما** متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كانه قيل واي عبء يعبأ بكم لولا دعاؤكم يعني انكم لا تستاهلون شيئا من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ما عبأت به ما اعتددت به من فوادح همومي ومما يكون عبئا علي كما تقول ما اكترثت له اي ما اعتددت به من كوارثي ومما يهمني وقال الزجاج في تأويل ما يعبأ بكم ربي اي وزن يكون لكم عنده ويجوز ان تكون ما نافية. **فقد كذبتم** يقول اذا اعلمتكم اني لا اعتد بعبادي الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم اثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام ان يقول الملك لمن استعصى عليه ان من عادتي ان احسن الى من يطيعني ويتبع امري فقد عصيت فسوف ترى ما احل بك بسبب عصيانك وقيل ما معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة. **فان قلت** الى من يتوجه هذا الخطاب **قلت** الى الناس على الاطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب وقرئ فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب **لزاما** وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والوجه ان ترك اسم كان غير منطوق به بعدما علم انه مما توعد به لاجل الابهام وتناوله ما لا يكتنهه الوصف والله اعلم بالصواب. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله يوم القيامة وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب.

سورة الشعراء مكية الا قوله تعالى والشعراء الى آخر السورة وهي مائتان وسبع وعشرون آية وفي رواية ست وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم. **طسم** بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها. **الكتاب المبين** الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به السورة او القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين. **البخع** ان يبلغ بالذبح البخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذابح **ولعل** للاشفاق اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك **الا يكونوا مؤمنين** لئلا يؤمنوا او لامتناع ايمانهم او خيفة ان لا يؤمنوا وعن قتادة باخع نفسك على الاضافة اراد آية ملجئة الى الايمان قاسرة عليه **فظلت** معطوف على الجزاء الذي هو ننزل لانه لو قيل انزلنا لكان صحيحا ونظيره فاصدق واكن كانه قيل اصدق وقد قرئ لو شئنا لانزلنا وقرئ فتظل اعناقهم. **فان قلت** كيف صح مجيء **خاضعين** خبرا عن الاعناق **قلت** اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله كقولهم ذهبت اهل اليمامة كان الاهل غير مذكور او لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله لي ساجدين وقيل اعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم الرؤوس والنواصي والصدور قال في محفل من نواصي الناس مشهود وقيل جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ فظلت اعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت هذه الاية فينا وفي بني امية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة اي وما يجدد الله لهم بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه وكفرا به. **فان قلت** كيف خولف بين الالفاظ والغرض واحد وهو الاعراض والتكذيب والاستهزاء **قلت** انما خولف بينها لاختلاف الاغراض كانه قيل حين اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لان من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقرا له. **فسيأتيهم** وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيامة ما الشيء الذي كانوا يستهزئون به وهو القرآن وسيأتيهم انباؤه واحواله التي كانت خافية عليهم. وصف **الزوج** وهو الصنف من النبات بالكرم والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم اذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال حتى يشق الصفوف من كرمه اي من كونه مرضيا في شجاعته وبأسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع ان في انبات الله تلك الاصناف **لاية** على ان منبتها قادر على احياء الموتى وقد علم الله ان اكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو ايمانهم **وان ربك لهو العزيز** في انتقامه من الكفرة **الرحيم** لمن تاب وآمن وعمل صالحا. **فان قلت** ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل **كم انبتنا فيها من زوج كريم** لكان كافيا **قلت** قد دل كل على الاحاطة بازواج النبات على وجه التفصيل وكم على ان هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته. **فان قلت** ما معنى وصف الزوج بالكريم **قلت** يحتمل معنيين احدهما ان النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما انبت في الارض من جميع اصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار والثاني ان يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعا بالكرم وينبه على انه ما انبت شيئا الا وفيه فائدة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لغرض صحيح ولحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون. **فان قلت** فحين ذكر الازواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة وكانت بحيث لا يحصيها الا عالم الغيب كيف قال ان في ذلك لاية وهلا قال لآيات **قلت** فيه وجهان ان يكون ذلك مشارا به الى مصدر انبتنا فكانه قال ان في الانبات لاية اي آية وان يراد ان في كل واحد من تلك الازواج لاية وقد سبقت لهذا الوجه نظائر. سجل عليهم بالظلم بان قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان كان معنى القوم الظالمين وترجمته **قوم فرعون** وكانهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد ان شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وان شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم انفسهم بالكفر وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني اسرائيل باستعبادهم لهم قرئ **الا يتقون** بكسر النون بمعنى الا يتقونني فحذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة. **فان قلت** بم تعلق قوله الا يتقون **قلت** هو كلام مستأنف اتبعه الله عز وجل ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه السلام من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف ومن امنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من ايام الله ويحتمل ان يكون الا يتقون حالا من الضمير في الظالمين اي يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال واما من قرأ الا تتقون على الخطاب فعلى طريقة الالتفات اليهم وجبههم وضرب وجوههم بالانكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جناية الى بعض اخصائه والجاني حاضر فاذا اندفع في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه قطع مباثة صاحبه واقبل على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له الم تتق الله الم تستح من الناس. **فان قلت** فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه السلام في وقت المناجاة والملتفت اليهم غيب لا يشعرون **قلت** اجراء ذلك في تكليم المرسل اليهم في معنى اجرائه بحضرتهم والقائه الى مسامعهم لانه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم من آية انزلت في شأن الكافرين وفيها اوفر نصيب للمؤمنين تدبرا لها واعتبارا بموردها وفي الا يتقون بالياء وكسر النون وجه آخر وهو ان يكون المعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يسجدوا. **ويضيق وينطلق** بالرفع لانهما معطوفان على خبر ان وبالنصب لعطفهما على صلة ان والفرق بينهما في المعنى ان الرفع يفيد ان فيه ثلاث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان والنصب على ان خوفه متعلق بهذه الثلاث. **فان قلت** في النصب تعليق الخوف بالامور الثلاثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف انما هو غم يلحق الانسان لامر سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به **قلت** قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان زائدة على ما كان به على ان تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة. **فان قلت** اعتذارك هذا يرده الرفع لان المعنى اني خائف ضيق الصدر غير منطلق اللسان **قلت** يجوز ان يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز ان يراد القدر اليسير الذي كان بقي به ويجوز ان لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين اوتوا سلاطة الالسنة وبسطة المقال وهرون كان بتلك الصفة فاراد ان يقرن به ويدل عليه قوله واخي هرون هو افصح مني لسانا ومعنى **فارسل الى هرون** ارسل اليه جبرئيل واجعله نبيا وازرني به واشدد به عضدي وهذا كلام مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد احسن في الاختصار حيث قال فارسل الى هرون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله في تقصير الطويلة والحسن قوله سبحانه وتعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا حيث اقتصر على طرفي القصة اولها وآخرها وهما الانذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو انهم قوم كذبوا بآيات الله عز وجل فاراد الزام الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فاهلكهم. **فان قلت** كيف ساغ لموسى عليه السلام ان يأمره الله عز وجل فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل

وقد علم ان الله عز وجل من ورائه قلت قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده باخيه حتى يتعاونا على
تنفيذ امره وتبليغ رسالاته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر في التماس
المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف في امتثال الامر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على
التعلل ۞ اراد بالذنب قتله القبطي وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعني ولهم علي تبعة ذنب وهي قود
ذلك القتل فاخاف ان يقتلون به فحذف المضاف او سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة سيئة فان قلت
قد ابيت ان تكون تلك الثلاث عللا وجعلتها تمهيدا للعذر فيما التمسه فما قولك في هذه الرابعة قلت هذه
استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من ان يقتل قبل اداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل عليه ما جاء بعده
من كلمة الردع والموعد بالكلاءة والدفع ۞ جمع الله عز وجل له الاستجابتين معا في قوله كلا فاذهبا لانه استدفعه
بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه الموازرة باخيه فاجابه بقوله اذهبا اي اذهب انت
والذي طلبته وهو هرون فان قلت علام عطف قوله فاذهبا قلت على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه
قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهرون وقوله معكم مستمعون من مجاز الكلام يريد انا لكما ولعدوكما
كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فاظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه
ويجوز ان يكونا خبرين لان او يكون مستمعون مستقرا ومعكم لغوا فان قلت لم جعلت مستمعون قرينة معكم في كونه
من باب المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بانه سميع وسامع قلت ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لان
الاستماع جار مجرى الاصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر
من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا ويقال استمع الى حديثه وسمع حديثه اي اصغى اليه وادركه بحاسة السمع ومنه
قوله عليه السلم من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب الله في اذنيه الآنك فان قلت هلا ثني الرسول كما ثني في قوله
انا رسولا ربك قلت الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعله
ههنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل في الصفة بالمصادر نحو صوم
وزور قال ۞ الكني اليها وخير الرسول اعلمهم بنواحي الخبر ۞ فجعله للجماعة والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة قوله
۞ لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول ۞ ويجوز ان يوحد لان حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة
واحدة واتحادهما لذلك وللاخوة كان حكمهما واحدا فكانهما رسول واحد او اريد ان كل واحد منا ان ارسل بمعنى اي ارسل
لتضمن الرسول معنى الارسال وتقول ارسلت اليك ان افعل كذا لما في الارسال من معنى القول كما في المناداة والكتابة ونحو ذلك
ومعنى هذا الارسال التخلية والاطلاق كقولك ارسل البازي يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما
ويروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يوذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين
فقال ايذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى فقال له الم نربك حذف فاتيا فرعون فقالا له
لانه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل الوليد الصبي لقرب عهده بالولادة وفي رواية عن
ابي عمرو من عمرك بسكون الميم سنين قيل مكث عندهم ثلاثين سنة وقيل وكز القبطي وهو ابن اثني عشر سنة وفر
منهم على اثرها والله اعلم بصحيح ذلك وعن الشعبي فعلتك بالكسر وهي قتلة القبطي لانه قتله بالوكزة وهو ضرب من
القتل واما الفعلة فلانها كانت وكزة واحدة عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه على ما جرى
على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين يجوز ان يكون حالا اي قتلته
وانت لذلك من الكافرين لنعمتي او وانت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه او جهل امره لانه كان يعايشهم
بالتقية فان الله عز وعلا عاصم من يريد ان يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفر ويجوز ان يكون قوله
وانت من الكافرين حكما عليه بانه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا
منه او بانه من الكافرين بفرعون والاهيته او من الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونهم يشهد لذلك قوله
ويذرك وآلهتك وقرئ والاهتك فاجابه موسى بان تلك الفعلة انما فرطت منه وهو من الضالين اي الجاهلين وقراءة
ابن مسعود من الجاهلين مفسرة والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه كما قال يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم
بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون او المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل او الذاهبين عن الصواب او الناسين من قوله
ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته بان وضع الضالين
موضع الكافرين ربئا بمحل من رشح للنبوة عن تلك الصفة ثم كر على امتنانه عليه بالتربية فابطله من اصله واستأصله
من منبته وابى ان يسمي نعمته الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه تعبيد بني اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم
بذبح ابنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته فكانه امتن عليه بتعبيد قومه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم
واتخاذهم عبيدا يقال عبدت الرجل واعبدته اذا اتخذته عبدا قال ۞ علام يعبدني قومي وقد كثرت فيهم اباعر ما شاؤا وعبدان ۞
فان قلت اذن جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء قلت قول فرعون وفعلت فعلتك فيه
معنى انك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان نعمته كانت عنده جديرة بان تجازى
بنحو ذلك الجزاء فان قلت لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع افراده في تمنها وعبدت قلت الخوف والفرار لم يكونا
منه وحده ولكن منه ومن ملائه المؤتمرين بقتله بدليل قوله ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك واما الامتنان فمنه
وحده وكذلك التعبيد فان قلت تلك اشارة الى ماذا وان عبدت ما محلها من الاعراب قلت تلك اشارة
الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا
اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز ان يكون
ان في موضع نصب المعنى انما صارت نعمة علي لان عبدت بني اسرائيل اي لو لم تفعل ذلك لكفلني اهلي ولم يلقوني
في اليم لما قال له بوابه ان ههنا من يزعم انه رسول رب العالمين قال له عند دخوله وما رب العالمين يريد
اي شيء رب العالمين وهذا السؤال لا يخلو اما ان يريد به اي شيء هو من الاشياء التي شوهدت وعرفت

اجناسها

واما ان يريد به اي شي هو على الاطلاق تفتيشا عن حقيقته الخاصة ما هي فاجابه بان الذي اليه سبيل
بصفاته استدلالا بافعاله الخاصة على ذلك

اجناسها فاجاب بما يستدل به عليه من افعاله الخاصة ليعرفه انه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الاجرام والاعراض
وانه شيء مخالف لجميع الاشياء ليس كمثله شيء واما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيش عما
لا سبيل اليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام ان يكون سؤاله هذا
انكارا لان يكون للعالمين رب سواه لادعائه الالهية فلما اجاب موسى بما اجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية
الى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه الى قومه وطنز به حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير آخر احتد واحتدم وقال
لئن اتخذت الها غيري وهذا يدل على صحة هذا الوجه الاخير فان قلت كيف قيل وما بينهما على التثنية والمرجوع اليه مجموع
قلت اريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر ما فعل بالظاهر من قال في الهيجا جمالين فان قلت ما معنى قوله ان كنتم
موقنين وان فرعون وملأه لا يوقنون قلت معناه ان كان يرجى منكم الايقان الذي يؤدي اليه النظر الصحيح
نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع او ان كنتم موقنين بشيء قط فهذا اولى ما توقنون به لظهوره وانارة دليله فان قلت
ومن كان حوله قلت اشراف قومه قيل كانوا خمسمائة رجل عليهم الاسورة وكانت للملوك خاصة فان قلت ذكر
السموات والارض وما بينهما قد استوعب به الخلائق كلها فما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب
قلت قد عمم اولا ثم خصص من العام للبيان انفسهم وآباءهم لان اقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه
ومن شاهد وعاين من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة الى هيئة وحال الى حال من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم
خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها من الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب
مستو من اظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الله عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمروذ بن
كنعان فبهت الذي كفر وقرئ رب المشارق والمغارب الذي ارسل اليكم بفتح الهمزة فان قلت كيف قال اولا ان كنتم موقنين
وآخرا ان كنتم تعقلون قلت لاين اولا فلما رأى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الاصغاء الى عرض الحجج خاشن
وعارض ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون فان قلت الم يكن لاسجننك اخصر من قوله لاجعلنك
من المسجونين ومؤديا مؤداه قلت اما اخصر فنعم واما مؤد مؤداه فلا لان معناه لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم
في سجوني وكان من عادته ان ياخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها
ولا يسمع فكان ذلك اشد من القتل واشد الواو في قوله اولو جئتك واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه
اتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين اي جائيا بالمعجزة وفي قوله ان كنت من الصادقين انه لا ياتي بالمعجزة الا الصادق
في دعواه لان المعجزة تصديق من الله لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب ان مثل فرعون لم يخف عليه هذا
وخفي على ناس من اهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله تعالى حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وتقديره ان كنت من الصادقين
في دعواك اتيت به فحذف الجزاء لان الامر بالاتيان به يدل عليه ثعبان مبين ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما تكون
الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر وروي انها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت
تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون اسألك بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذها فعادت عصا فاذا هي بيضاء للناظرين
دليل على ان بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضا نورانيا روي ان فرعون لما ابصر
الآية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال له ما هذه فقال فرعون يدك فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع
يكاد يغشي الابصار ويسد الافق فان قلت ما العامل في حوله قلت هو منصوب نصبين نصب في اللفظ ونصب
في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف والعامل في النصب المحلي وهو النصب على الحال قال ولقد تحير فرعون
لما ابصر الآيتين وبقي لا يدري اي طرفيه اطول حتى زل عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت
فرائصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا وبلغت به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم ان طفق يؤامرهم
ويعترف لهم بما حذره وتوقعه واحس به من جهة موسى وغلبته على ملكه وارضه وقوله ان هذا لساحر عليم
قول باهت اذا غلب ومتمحل اذا الزم تأمرون من المؤامرة وهي المشاورة او من الامر الذي هو ضد النهي جعل العبيد
ربهم آمرين لما استولى عليه من فرط الدهش والحيرة وماذا منصوب اما لكونه في معنى المصدر واما لانه مفعول
من قولك امرتك الخير فقرئ ارجه وارجئه بالهمزة والتخفيف وهما لغتان يقال ارجأته وارجيته اذا اخرته ومنه المرجئة
وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم مرجون لامر الله والمعنى اخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة
وقيل احبسه حاشرين شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله ان هذا لساحر عليم بقولهم بكل سحار فجاؤوا بكلمة
الاحاطة وصفة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه وقرأ الاعمش بكل ساحر اليوم المعلوم يوم الزينة
وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذي وقته لهم موسى من يوم الزينة في قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس
ضحى والميقات ما وقت به اي حدد من زمان او مكان ومنه مواقيت الاحرام هل انتم مجتمعون استبطاء لهم
في الاجتماع والمراد به استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل انت منطلق اذا اراد ان يحرك منه ويحثه
على الانطلاق كانما يخيل له ان الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تأبط شرا ۞ هل انت باعث دينار لحاجتنا
او عبد رب اخا عون بن مخراق ۞ يريد ابعثه الينا سريعا ولا تبطئ به لعلنا نتبع السحرة اي في دينهم ان غلبوا موسى
ولا نتبع موسى في دينه وليس غرضهم باتباع السحرة وانما الغرض الكلي ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق
الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى عليه السلم وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان ولما كان قوله ان
لنا لاجرا في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله وانكم اذا لمن المقربين معطوفا عليه ومدخلا في حكمه دخلت اذن
قارة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم ان يجمع لهم الى الثواب على سحرهم الذي قدروا انهم يغلبون
به موسى القربة عنده والزلفى فاقسموا بعزة فرعون وهي من ايمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله
ولا يصح في الاسلام الا الحلف بالله معلقا ببعض اسمائه او صفاته كقولك بالله والرحمن وربي ورب العرش
وعزة الله وقدرة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلعم لا تحلفوا بآبائكم ولا بامهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا

الا بالله ولا تحلفوا بالله الا وانتم صادقون ولقد استحدث الناس في هذا الباب في اسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية الاولى وذلك ان الواحد منهم لو اقسم باسماء الله كلها وصفاته على شيء لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم برأس سلطانه فاذا اقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف ما يأفكون ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون في حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين او افكهم سمى تلك الاشياء افكا مبالغة ○ وروي انهم قالوا ان يك ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب وان يك من عند الله فلن يخفى علينا فلما القى عصاه فتلقفت ما اتوا به علموا انه من الله فآمنوا ○ وعن عكرمة رضي الله عنه اصبحوا سحرة وامسوا شهداء ○ وانما عبر عن الخرور بالالقاء لانه ذكر مع الالقاءات فسلك به طريق المشاكلة وفيه ايضا مع مراعاة المشاكلة انهم حين رأوا ما رأوا لم يتمالكوا ان رموا بانفسهم الى الارض ساجدين كانهم اخذوا فطرحوا طرحا فان قلت فاعل الالقاء ما هو لو صرح به قلت هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق او ايمانهم او ما عاينوا من المعجزة الباهرة ولك ان لا تقدر فاعلا لان القوا بمعنى خروا وسقطوا رب موسى وهرون عطف بيان لرب العالمين لان فرعون لعنه الله كان يدعي الربوبية فارادوا ان يعزلوه ومعنى اضافته اليهما في ذلك المقام انه الذي يدعو اليه هذان والذي اجرى على ايديهما ما اجرى فلسوف تعلمون اي وبال ما فعلتم ○ الضير والضر والضور واحد ارادوا لا ضير علينا في ذلك بل لنا فيه اعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الاعواض الكثيرة او لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل لانه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهون اسبابه وارجاها او لا ضير علينا في قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق الى الايمان ○ وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير في ذلك او علينا ان كنا معناه لان كنا وكانوا اول جماعة مؤمنين من اهل زمانهم او من رعية فرعون او من اهل المشهد وقرئ ان كنا بالكسر وهو من الشرط الذي يجيء به المدل بامره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين انهم اول المؤمنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله ان كنت عملت لك فوفني حقي ومنه قوله تعالى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه انهم لم يخرجوا الا لذلك قرئ اسر بقطع الهمزة ووصلها وقرئ ان سر انكم متبعون علل الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم والمعنى اني بنيت تدبير امركم وامرهم على ان تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فاطبقه عليهم فاهلكهم ○ وروي انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه ○ وروي ان الله اوحى الى موسى ان اجمع بني اسرائيل كل اربعة ابيات في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على ابوابكم فاني سآمر الملائكة ان لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل ابكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فيأتيك امري فارسل فرعون في اثره الف الف وخمسمائة الف ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة ○ وعن ابن عباس رضي الله عنهما خرج فرعون في الف الف حصان سوى الاناث فلذلك استقل قوم موسى وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا وسماهم شرذمة قليلين هؤلاء محكي بعد قول مضمر ○ والشرذمة الطائفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة وقد يجمع القليل على اقلة وقلل ويجوز ان يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج الينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون وحاذرون وحادرون بالدال المهملة والحذر اليقظ والحاذر الذي يجدد حذره وقيل المؤدي في السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه والحادر السمين القوي قال ○ احب الصبي السوء من اجل امه ○ وابغضه من بغضها وهو حادر ○ اراد انهم اقوياء اشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدة في اجسامهم ○ وعن مجاهد سماها كنوزا لانهم لا ينفقونها في سبيل الله ○ والمقام المكان يريد المنازل الحسنة والمجالس البهية ○ وعن الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال كذلك يحتمل ثلاثة اوجه النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا والجر على انه وصف لمقام اي لمقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم ○ والرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي الامر كذلك فاتبعوهم فلحقوهم وقرئ فاتّبعوهم مشرقين داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت تراءى الجمعان ترائي الجمعان بوزن تراعى ○ وقرئ انا لمدّركون بتشديد الدال وكسر الراء من ادرك الشيء اذا تتابع ففني ومنه قوله تعالى بل ادارك علمهم في الآخرة قال الحسن جهلوا علم الآخرة وفي معناه بيت الحماسة ○ ابعد بني امي الذين تتابعوا ○ ارجّي الحياة ام من الموت اجزع ○ والمعنى انا لمتتابعون في الهلاك على ايديهم حتى لا يبقى منا احد ○ الفرق الجزء المتفرق منه وقرئ كل فلق والمعنى واحد والطود الجبل العظيم المنطاد في السماء وازلفنا ثم حيث انفلق البحر الآخرين قوم فرعون اي قربناهم من بني اسرائيل او ادنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم احد او قدمناهم الى البحر ○ وقرئ وازلقنا بالقاف اي ازللنا اقدامهم والمعنى اذهبنا عزهم كقوله ○ تداركتما عبسا وقد ثل عرشها ○ وذبيان اذ زلت باقدامها النعل ○ ويحتمل ان يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني اسرائيل يبسا فيزلقهم فيه ○ وعن عطاء بن السائب ان جبريل كان بين بني اسرائيل وبين آل فرعون وكان يقول لبني اسرائيل ليلحق آخركم باولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم ليلحقكم آخركم فلما انتهى موسى الى البحر قال له مؤمن آل فرعون وكان بين يدي موسى اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولا يدري موسى ما يصنع ○ فاوحى الله عز وجل اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق ○ وروي ان يوشع قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال موسى عليه السلام ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه فدخلوا ○ وروي ان موسى عليه السلام قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء

ويقال

وبعدا لهذا البحر بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف ان في ذلك لآية اية آية وآية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع امرها فيهم وما تنبه عليها اكثرهم ولا آمن بالله وبنو اسرائيل الذين كانوا اصحاب موسى المخصوصين بالانجاء قد سألوه بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه ○ كان ابراهيم قد علم انهم عبدة اصنام ولكنه سألهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء كما تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال فان قلت ما تعبدون سؤال عن المعبود فحسب فكان القياس ان يقولوا اصناما كقوله ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا انزل ربكم قالوا خيرا قلت هؤلاء قد جاؤوا بقصة امرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب ابراهيم وعلى ما قصدوه من اظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار الا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد فنظل لها عاكفين ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله ان تقول لبعض الشطار ما تلبس في بلادك فيقول البس البرد الاتحمي فاجر ذيله بين جواري الحي وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل لا بد في يسمعونكم من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم وقرأ قتادة يُسمعونكم اي هل يسمعونكم الجواب استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا او اسمعوا قط وهذا ابلغ في التبكيت ○ لما اجابوه بجواب المقلدين لآبائهم قال لهم رقّوا امر تقليدكم هذا الى اقصى غاياته وهي عبادة الاقدمين الاولين من آبائكم فان التقدم والاولية لا تكون برهانا على الصحة والباطل لا ينقلب حقا بالقدم وما عبادة من عبد هذه الاصنام الا عبادة اعداء له ومعنى العداوة قوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولان المغري على عبادتها اعدى اعداء الانسان وهو الشيطان وانما قال عدو لي تصويرا للمسألة في نفسه على معنى اني فكرت في امري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه واراهم بذلك انها نصيحة نصح بها نفسه اولا وبنى عليها تدبير امره لينظروا فيقولوا ما نصحنا ابراهيم الا بما نصح به نفسه وما اراد لنا الا ما اراد لروحه ليكون ادعى لهم الى القبول وابعث على الاستماع منه ولو قال فانه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل في باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لانه يتأمل فيه فربما قاده التأمل الى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعي ان رجلا واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث انت لاحتجت الى ادب وسمع رجل ناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو ببيتي ولا ببيتكم والعدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة والجماعة قال ○ وقوم علي ذوي مئرة ○ اراهم عدوا وكانوا صديقا ○ ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل ○ الا رب العالمين استثناء منقطع كانه قال لكن رب العالمين فهو يهدين يريد انه حين اتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدايته المتصلة التي لا تنقطع الى كل ما يصلحه ويعنيه والا فمن هداه الى ان يغتذي بالدم في البطن امتصاصا ومن هداه الى معرفة الثدي عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد ○ وانما قال مرضت دون امرضني لان كثيرا من اسباب المرض تحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قالت الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ما سبب آجالكم لقالوا التخم وقرئ خطاياي والمراد ما يندر منه من بعض الصغائر لان الانبياء معصومون مختارون على العالمين وقيل هي قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي وما هي الا معاريض كلام وتخييلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار فان قلت اذا لم يندر منه الا الصغائر وهي تقع مكفرة فما له اثبت لنفسه خطيئة او خطايا وطمع ان يغفر له قلت الجواب ما سبق من ان استغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه قوله اطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لاممهم وليكون لطفا لهم في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم فان قلت لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وانما تغفر في الدنيا قلت لان اثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفي لا يعلم ○ الحكم الحكمة او الحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لان النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله والالحاق بالصالحين ان يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم او يجمع بينه وبينهم في الجنة ولقد اجابه حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين والاخزاء من الخزي وهو الهوان ومن الخزاية وهي الحياء وهذا ايضا من نحو استغفارهم مما علموا انه مغفور وفي يبعثون ضمير العباد لانه معلوم او ضمير الضالين وان يجعل من جملة الاستغفار لابيه يعني ولا تخزني يوم يبعث الضالون وابي فيهم الا من اتى الله الا حال من اتى الله بقلب سليم وهو من قوله ○ تحية بينهم ضرب وجيع ○ وما ثوابه الا السيف ومثاله ان يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه ○ ولك ان تجعل الاستثناء منقطعا ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هي من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى ان المال والبنين لا ينفعان وانما تنفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى وقد جعل من مفعولا لينفع اي لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث انفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا الا من اتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصي ومما اكرم الله به خليله ونبه على جلالة قدره في الاخلاص ان حكى استثناءه هذا حكاية راض باصابته فيه ثم جعله صفة له في قوله وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ○ ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم السليم باللديغ من خشية الله وقول آخر هو الذي سلم وسلّم واسلم وسالم واستسلم ○ وما احسن ما رتب ابراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سألهم اولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم انحى على آلهتهم فابطل امرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الاقدمين فكسره واخرجه من ان يكون شبهة فضلا ان يكون حجة ثم صور المسألة في نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله عز وعلا فعظم شأنه وعدد نعمته من لدن خلقه وانشائه الى حين وفاته مع ما يرجى في الآخرة من رحمته ثم اتبع ذلك ان دعاه بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاوابين ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا ○ الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون اليها ويغتبطون بانهم المحشورون اليها والنار

تكون بارزة مكشوفة للاشقيا بمرأى منهم يتحسرون على انهم المسوقون اليها قال الله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقال فلما
رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا تجمع عليهم الغموم كلها والحسرات فتجعل النار بمرأى منهم فيهلكون غما في كل لحظة ويوبخون
على اشراكهم فيقال لهم اين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم لانهم وآلهتهم وقود النار
وهو قوله فكبكبوا فيها هم اي الآلهة والغاوون وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ
دليلا على التكرير في المعنى كأنه اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها اللهم اجرنا منها يا خير مستجار وجنود
ابليس شياطينه او متبعوه من عصاة الانس والجن يجوز ان ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز
ان يجري ذلك بين العصاة والشياطين والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساهم وكبراهم كقوله ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا
فاضلونا السبيلا وعن السدي الاولون الذين اقتدينا بهم وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه اول من سن القتل
وانواع المعاصي فما لنا من شافعين ولا صديق كما نرى المؤمنين لهم شفعا من الملائكة والنبيين ولا صديق كما نرى المؤمنين لهم اصدقا لانه لا
يتصادق في الآخرة الا المؤمنون واما اهل النار فبينهم التعادي والتباغض قال الله تعالى الاخلا يومئذ بعضهم لبعض عدو
الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعا واصدقا لانهم كانوا يعتقدون في
اصنامهم انهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقا من شياطين الانس او ارادوا انهم وقعوا في مهلكة علموا ان
الشفعا والاصدقا لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم
والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك او من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص فان
قلت لم جمع الشافع ووحد الصديق قلت لكثرة الشفعا في العادة وقلة الصديق رحمة له وحسبة وان لم يسبق
له باكثرهم معرفة واما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما اهمك فاعز من بيض الانوق وعن بعض الحكما
انه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز ان يريد بالصديق الجمع الكرة الرجعة الى الدنيا ولو في مثل
هذا الموضع في معنى التمني كأنه قيل فليت لنا كرة وذلك لما بين معنى لو وليت من التلاقي في التقدير ويجوز ان
تكون على اصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة ونظير قوله المرسلين
والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له الا دابة واحدة وبرد وقيل اخوهم لانه كان
منهم من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة لا يسألون اخاهم حين يندبهم
في النائبات على ما قال برهانا كان امينا فيهم مشهورا بالامانة كمحمد صلى الله عليه وسلم في قريش واطيعون في نصحي لكم وفيما ادعوكم
اليه من الحق عليه على هذا الامر وعلى ما انا فيه يعني دعاءه ونصحه ومعنى فاتقوا الله واطيعون فاتقوا الله في
طاعتي وكرره ليؤكده عليهم ويقرره في نفوسهم مع تعلق كل واحد منهما بعلة جعل علة الاول كونه امينا فيما بينهم
والثاني حسم طمعه عنهم وقرئ واتباعك جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع كبطل وابطال والواو للحال وحقها
ان تضمر بعدها قد في واتبعك وقد جمع الارذال على الصحة وعلى التكسير في قوله الذين هم اراذلنا والرذالة والنذالة
الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الدنية
كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزري بالديانة وهكذا كانت قريش تقول في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالت اتباع
الانبيا كذلك حتى صارت من سماتهم واماراتهم الا ترى الى هرقل حين سأل ابا سفيان عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما قال ضعفا الناس واراذلهم قال ما زالت اتباع الانبيا كذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الغاغة وعن عكرمة
الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة وما علمي اي وما علمي والمراد انتفا علمه باخلاص اعمالهم لله واطلاعه على سر امرهم
وباطنه وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم وانهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما آمنوا هوى
وبديهة كما حكى الله عز وجل عنهم في قوله الذين هم اراذلنا بادي الرأي ويجوز ان يتغابى بهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم
الارذلين بما هو الرذالة عنده من سوء الاعمال وفساد العقائد ولا يلتفت الى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابه
على ذلك فيقول ما علي الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن اسرارهم والشق عن قلوبهم وان كان لهم عمل سيء فالله محاسبهم
ومجازيهم عليه وما انا الا منذر لا محاسب ولا مجازي لو تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث
سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار ان يسمى المؤمن رذلا وان كان افقر الناس واوضعهم نسبا فان
الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى وما انا بطارد المؤمنين يريد ليس من شأني ان اتبع شهواتكم واطيب نفوسكم
بطرد المؤمنين الذين صح ايمانهم طمعا في ايمانكم وما علي الا ان انذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من
الباطل ثم انتم اعلم بشأنكم ليس هذا اخبارا بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة اعلم ولكنه اراد اني
لا ادعوك عليهم لما غاظوني وآذوني وانما ادعوك لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبوني في وحيك ورسالتك فاحكم
بيني وبينهم والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمي فيصلا لانه يفصل بين الخصومات
الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن اسد
كسروا فعلا على فعل كما كسروا فعلا على فعل لانهما اخوان في قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا
اسد واسد وفلك وفلك ونظيره بعير هجان وابل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن
كناز والجمع بوزن كرام والمشحون المملوء يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا وقرئ بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان
المرتفع قال المسيب بن علس يصف الظعن في الآل يرفعها ويخفضها ريع يلوح كأنه سحل ومنه قولهم كم ريع
ارضك وهو ارتفاعها والآية العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في اسفارهم فاتخذوا في طرقهم اعلاما طوالا
فعبثوا بذلك لانهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام والمصانع مآخذ الماء وقيل
القصور المشيدة والحصون لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا او يشبه حالكم حال من يخلد وفي حرف ابي كأنكم
وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا واذا بطشتم بسوط او سيف كان ذلك ظلما وعلوا وقيل الجبار الذي يقتل
ويضرب على الغضب وعن الحسن تبادرون تعجيل العذاب ولا تتثبتون متفكرين في العواقب بالغ في
تنبيههم على نعم الله حيث اجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك انه ايقظهم عن سنة غفلتهم عنها

حين قال

حين قال امدكم بما تعلمون ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته وانه كما قدر ان يتفضل عليكم
بهذه النعمة فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله سبحانه ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد فان
قلت كيف قرن البنين بالانعام قلت هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها فان قلت لو قيل اوعظت
ام لم تعظ كان اخصر والمعنى واحد قلت ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لان المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل
الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله ومباشريه فهو ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك ام لم تعظ
من قرأ خلق الاولين بالفتح فمعناه ان ما جئت به اختلاق الاولين وتخرصهم كما قالوا اساطير الاولين او ما خلقنا
هذا الا خلق القرون الخالية نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرأ خلق بضمتين وبواحدة
فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون او ما هذا
الذي نحن فيه من الحياة والموت الا عادة لم تزل عليها الناس في قديم الدهر او ما هذا الذي جئت به من الكذب الا عادة
الاولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه اتتركون يجوز ان يكون انكارا لان يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه وان يكون تذكيرا
بالنعمة في تخلية الله اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الامن والدعة فيما ها هنا في الذي استقر
في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله في جنات وعيون وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل فان قلت لم قال
ونخل بعد قوله في جنات والجنات تتناول النخل اول شيء كما يتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج حتى انهم
ليذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخيل كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل قال زهير تسقي جنة سحقا
قلت فيه وجهان ان يخص النخل بافراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها
وان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل الطلعة هي التي تطلع من النخلة كنصل
السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه والهضيم اللطيف الضامر
من قولهم كشح هضيم وطلع اناث النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل جفاء وكذلك طلع البرني الطف من طلع اللون
فذكرهم نعمة الله في ان وهب لهم اجود النخل وانفعه لان الاناث ولادة التمر والبرني اجود التمر واطيبه
ويجوز ان يريد ان نخيلهم اصابت جودة المنابت وسعة الماء وسلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير واذا كثر الحمل
هضم واذا قل جاء فاخرا وقيل الهضيم اللين النضيج كأنه قيل ونخل قد ارطب ثمره وقرئ الحسن وتنحتون بفتح الحاء
وقرئ فرهين وفارهين والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة استعير لامتثال الامر وارتسامه طاعة
الآمر المطاع او جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الآمر ومنه قولهم لك علي امرة مطاعة وقوله تعالى
واطيعوا امري فان قلت ما فائدة قوله ولا يصلحون قلت فائدته ان فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء
من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح المسحرين الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم وقيل هو من
السحر الرئة وانه بشر الشرب النصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم وروي انهم [illegible]
[illegible] قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا
فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل عليه السلام صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم ونتجت
سقبا مثلها في العظم وعن ابي موسى رأيت مصدرها فاذا هو ستون ذراعا وعن قتادة اذا كان يوم شربها شربت
ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء بسوء ضرب او عقر او غير ذلك عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف
اليوم به ابلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد وروي ان مسطعا
الجأها الى مضيق في شعب فرماها بسهم فاصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وروي ان عاقرها قال لا
اعقرها حتى ترضوا اجمعين فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون اترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم
فان قلت لم اخذهم العذاب وقد ندموا قلت لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن ندم خائفين ان يعاقبوا
على العقر عقابا عاجلا كمن يرى في بعض الامور رأيا فاسدا ويبني عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعي
او ندموا ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب وقال الله تعالى وليست التوبة للذين
يعملون السيئات الآية وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد واللام في العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم
اراد بالعالمين الناس اي اتأتون من بين اولاد آدم على فرط كثرتهم وتفاوت اجناسهم وغلبة اناثهم على ذكورهم
في الكثرة ذكرانهم كأن الاناث قد اعوزتكم او اتأتون انتم من بين من عداكم من العالمين الذكران يعني انكم يا قوم لوط وحدكم
مختصون بهذه الفاحشة والعالمون على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان من ازواجكم يصلح ان يكون تبيينا لما خلق
وان يكون للتبعيض ويراد بما خلق العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود ما اصلح لكم ربكم من ازواجكم وكأنهم
كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم العادون المتعدون في ظلمه المتجاوزون فيه الحد ومعناه اترتكبون هذه المعصية على
عظمها بل انتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة ذاك او بل انتم قوم احقاء بان توصفوا بالعدوان حيث
ارتكبتم مثل هذه المعصية لئن لم تنته عن نهينا وتقبيح امرنا لتكونن من جملة من اخرجناه من بين اظهرنا
وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على اسوأ حال من تعنيف به واحتباس لاملاكه
وكما تكون حال الظلمة اذا اجلوا بعض من يغضبون عليه وكما كان يفعل اهل مكة بمن يريد المهاجرة من القالين
ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون ابلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد له بكونه
معدودا في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم ويجوز ان يريد من الكاملين في قلاكم والقلا البغض الشديد
كأنه بغض يقلي الفؤاد والكبد وفي هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلا من حيث الدين والتقوى وقد
تقوى همة الدين في دين الله حتى تقرب كراهته للمعاصي من الكراهة الجبلية مما يعملون من عقوبة عملهم وهو
الظاهر ويحتمل ان يريد بالتنجية العصمة فان قلت فما معنى قوله فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا قلت معناه
انه عصمه واهله من ذلك الا العجوز فانها كانت غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرضة

والراضي بالمعصية في حكم العاصي فان قلت كان اهله مومنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت الكافرة منهم قلت الاستثناء انما وقع من الاهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزواج وان لم تشاركهم في الايمان فان قلت في الغابرين صفة لها كانه قيل الا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم قلت معناه الا عجوزا مقدرا غبورها والمعنى غابرين في الهلاك والعذاب غير الناجين حين قيل لها هلكت مع من خرج من القرية بما امطر عليهم من الحجارة والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم واما الامطار فعن قتادة امطر الله عز وجل على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالائتفاك حتى اتبعه مطرا من حجارة وفاعل ساء مطر المنذرين ولم يرد بالمنذرين قوما باعيانهم انما هو للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم وقرئ اصحاب الايكة بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرأ بالنصب وزعم ان ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير الف وفي المصحف اشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وانما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب اصحاب النحو لان ولولا على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في سائر القرآن على الاصل والقصة واحدة على ان ليكة اسم لا يعرف وروي ان اصحاب ليكة كانوا اصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم فان قلت هلا قيل اخوهم شعيب كما في سائر المواضع قلت قالوا ان شعيبا لم يكن من اصحاب ليكة وفي الحديث ان شعيبا اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة الكيل على ثلاثة اضرب واف وطفيف وزائد فأمر بالواجب الذي هو الايفاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزائد وكان تركه عن الامر والنهي دليلا على انه ان فعله فقد احسن وان لم يفعله فلا عليه وقرئ بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان وقيل القرسطون فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي وقيل هو بالرومية العدل يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وهو عام في كل حق ثبت لاحد ان لا يهضم وفي كل ملك ان لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه الا باذنه تصرفا شرعيا يقال عثى في الارض وعاث وذلك نحو قطع الطريق والغارة واهلاك الزرع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم انواع الفساد فنهوا عن ذلك وقرئ الجبلة بوزن الابلة والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن واحد اي ذوي الجبلة وهو كقولك والخلق الاولين فان قلت هل اختلف المعنى بادخال الواو هاهنا وتركها في قصة ثمود قلت اذا دخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز ان يكون مسحرا ولا يجوز ان يكون بشرا واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم فان قلت ان المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه قلت اصلهما ان يتفرقا على المبتدأ والخبر كقولك ان زيد لمنطلق فلما كان باب كان وظننت من جنس باب المبتدأ والخبر فعل ذلك في البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا وقرئ كسفا بالسكون والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة وكسفه قطعه والسماء السحاب او المظلة وما كان طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم ادنى ميل الى التصديق لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه والمعنى ان كان صادقا انك نبي فادع الله ان يسقط علينا كسفا من السماء ربي اعلم بما تعملون يريد ان الله اعلم باعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب فان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان اراد عقابا آخر فاليه الحكم والمشيئة فأخذهم الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة ان ارادوا بالسماء السحاب وان ارادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم يروى انه حبس عنهم الريح سبعا وارسل عليهم الومد فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا شرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وروي ان شعيبا بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب ليكة فاهلكت مدين بصيحة جبريل واصحاب ليكة بعذاب يوم الظلة فان قلت كيف كرر في هذه السورة في اول كل قصة وآخرها ما كرر قلت كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في ان تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به ولان في التكرير تقريرا للمعاني في الانفس وتثبيتا لها في الصدور الا ترى انه لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده كان امكن له في القلب وارسخ في الفهم واثبت للذكر وابعد من النسيان ولان هذه القصص طرقت بها آذان وقر عن الانصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح اذنا او يفتق ذهنا او يصقل عقلا طال عهده بالصقل او يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدأ وانه وان هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص والآيات والمراد بالتنزيل المنزل والباء في نزل به الروح ونزل به الروح على القراءتين للتعدية ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلا به على قلبك اي حفظكه وفهمك اياه واثبته في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى بلسان اما ان يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسمعيل ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم واما ان يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي لتنذر به لانه لو نزله باللسان الاعجمي لتجافوا عنه اصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفي هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه ويفهمه قومك ولو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع اجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي لقنها اولا ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه الا الى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد

يفطن للالفاظ كيف جرت وان كلم بغير تلك اللغة وان كان ماهرا بمعرفتها كان نظره اولا في الفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير انه نزل على قلبك لنزوله بلسان عربي مبين وانه وان القرآن يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وبه يحتج لابي حنيفة رحمه الله في جواز القراءة بالفارسية في الصلاة على ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وانه لفي زبر الاولين لكون معانيه فيها وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في ان يعلمه وليس بواضح وقرئ يكن بالتذكير وآية بالنصب على انها خبره وان يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتانيث وجعلت آية اسما وان يعلمه خبرا وليست كالاولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل في تكن ضمير القصة وآية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا ان يكون لهم آية هي جملة الشان وان يعلمه بدلا عن آية ويجوز مع نصب الآية تانيث تكن كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا ومنه بيت لبيد فمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي عردت اقدامها وقرئ تعلمه بالتاء وعلماء بني اسرائيل عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين فان قلت كيف خط في المصحف علمؤا بواو قبل الالف قلت خط على لغة من يميل الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا الاعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والاعجمي مثله الا ان فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تاكيد وقرأ الحسن الاعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له اعجم واعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها اعجم قال حميد ولا عربيا شاقه صوت اعجما سلكناه ادخلناه ومكناه والمعنى انا انزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز لا يعارض بكلام مثله وانضم الى ذلك اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة قبله على البشارة بانزاله وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك انها من عند الله وليست باساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعرا تارة وسحرا اخرى وقالوا هو من تلفيق محمد وافترائه ولو نزلناه على بعض الاعاجم الذي لا يحسن العربية فضلا ان يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا فصيحا معجزا متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال كذلك سلكناه اي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه فيها وعلى مثل هذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه فيها فكيف ما فعل بهم وصنع وعلى اي وجه دبر امرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من جحوده وانكاره كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين فان قلت كيف اسند السلك بصفة التكذيب الى ذاته قلت اراد به الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم اشد التمكن واثبته فجعله بمنزلة امر قد جبلوا عليه وفطروا الا ترى الى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لان الامور الخلقية اثبت من العارضة والدليل عليه انه اسند ترك الايمان به اليهم على عقبه وهو قوله لا يؤمنون به فان قلت ما موقع لا يؤمنون به من قوله سلكناه في قلوب المجرمين قلت موقعه موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من انهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز ان يكون حالا اي سلكناه فيها غير مؤمن به وقرأ الحسن فتاتيهم بالتاء يعني الساعة وبغتة بالتحريك وفي حرف ابي رضي الله عنه ويروه بغتة فان قلت ما معنى التعقيب في قوله فياتيهم بغتة فيقولوا قلت ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجاته وسؤال النظرة فيه في الوجود وانما المعنى ترتبها في الشدة كانه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو اشد منها وهو لحوقه بهم مفاجاة فما هو اشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك ان تقول لمن تعظه ان اسات مقتك الصالحون فمقتك الله عز وجل فانك لا تقصد بهذا الترتيب ان مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين فما هو اشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم يقع في هذا الاسلوب فيحل موقعه افبعذابنا يستعجلون تبكيت لهم بانكار وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسال فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والامهال طرفة عين فلا يجاب اليها ويحتمل ان يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه آخر متصل بما بعده وذلك ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم ممتعون باعمار طوال في سلامة وامن فقال عز وعلا افبعذابنا يستعجلون اشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول اعمارهم وطيب معايشهم وعن ميمون بن مهران انه لقي الحسن رضي الله عنه في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال له ميمون لقد وعظت فابلغت وقرئ يمتعون بالتخفيف منذرون رسل ينذرونهم ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة اما لان انذر وذكر متقاربان فكانه قيل مذكرون تذكرة واما لانها حال من الضمير في منذرون اي ينذرونهم ذوي تذكرة واما لانها مفعول له على معنى انهم ينذرون لاجل الموعظة والتذكرة او مرفوعة على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية او صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى او جعلوا ذكرى لامعانهم في التذكرة واطنابهم فيها ووجه آخر وهو ان يكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى وما اهلكنا من اهل قرية ظالمين الا بعدما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول فان قلت كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها في قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قلت الاصل عزل الواو لان الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله سبعة وثامنهم كلبهم كانوا يقولون ان محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما يتنزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا بان ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه لانهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام اهل السماء وقرأ الحسن رحمه الله الشياطون ووجهه انه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين فتخير بين ان يجري الاعراب على النون وبين ان يجريه على ما قبله فيقول الشياطين والشياطون كما تخيرت العرب بين ان يقولوا هذه يبرون ويبرين

وتلبطون وتلسطين وحقه ان يشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل وعن الفراء غلط الشيخ في قراءته
الشياطون ظن انها النون التي على هجائين فقال النضر بن شميل ان جاز ان يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز
ان يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميفع مع انا نعلم انهما لم يقرآ به الا وقد سمعا فيه وعلم ان ذلك لا يكون
ولكنه اراد ان يحرك منه لان دعاءه الى الاخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين كما قال ولو تقول علينا بعض الاقاويل
فان كنت في شك مما انزلنا اليك فيه وجهان احدهما ان يؤمر بانذار الاقرب فالاقرب من قومه ويبدأ في ذلك بمن
هو اولى بالبداءة ثم بمن يليه وان يقدم انذارهم على انذار غيرهم كما روي عنه عليه السلام انه لما دخل مكة قال كل ربا
في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين واول ما اضعه ربا العباس والثاني ان يؤمر بان لا ياخذه ما ياخذ القريب
للقريب من العطف والرأفة ولا يحابيهم في الانذار والتخويف وروي انه صعد الصفا لما نزلت فنادى الاقرب فالاقرب
فخذا فخذا وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني لا املك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم وروي انه جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ اربعون رجلا
الرجل منهم ياكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعب من لبن فاكلوا وشربوا حتى صدروا فانذرهم
فقال يا بني عبد المطلب لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي
عذاب شديد وروي انه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا انفسكم من النار فاني
لا اغني عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد
اشترين انفسكن من النار فاني لا اغني عنكن شيئا الطائر اذا اراد ان ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا
اراد ان ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب ومنه قول بعضهم
وانت الشهير بخفض الجناح فلا تك في رفعه اجدلا ينهاه عن التكبر بعد التواضع فان قلت المتبعون للرسول
هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون للرسول فما معنى قوله لمن اتبعك من المؤمنين قلت فيه وجهان ان
يسميهم قبل الدخول في الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك وان يريد بالمؤمنين المصدقين بالسنتهم وهم صنفان
صنف صدق واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به وصنف ما وجد منه الا التصديق فحسب ثم اما ان يكونوا منافقين
او فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهم الجناح فان عصوك فلم يتبعوك فتبرأ منهم ومن اعمالهم من الشرك
وغيره وتوكل على الله يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل امره الى من يملك امره ويقدر
على نفعه وضره وقالوا المتوكل من اذا دهمه امر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله فعلى هذا
اذا وقع الانسان في محنة ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج من حد التوكل لانه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه
بمعصية الله عز وجل وفي مصاحف اهل المدينة والشام فتوكل وبه قرأ نافع وابن عامر وله محملان في العطف
على ان يعطف على فقل او فلا تدع على العزيز الرحيم الذي هو يقهر اعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته ثم اتبع
كونه رحيما على رسوله ما هو من اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه
في تصفح احوال المتهجدين من اصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سرائرهم وكيف يعبدون
الله وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما
يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير
لما سمع من دندنتهم بذكر الله والتلاوة والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم
للصلاة بالناس جماعة وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا امهم
وعن مقاتل انه سأل ابا حنيفة رحمه الله هل تجد الصلاة في الجماعة في القرآن فقال لا يحضرني فتلا له هذه الآية ويحتمل
انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية امور الدين انه هو السميع لما تقوله العليم بما
تنويه وتعمله وقيل هو تقلب بصره فيمن يصلي خلفه من قوله صلى الله عليه وسلم اتموا الركوع والسجود فوالله اني لاراكم من
خلف ظهري اذا ركعتم وسجدتم وقرئ ويقلبك كل افاك اثيم هم الكهنة والمتنبئة كشق وسطيح ومسيلمة
وطليحة يلقون السمع هم الشياطين كانوا قبل ان يحجبوا بالرجم يسمعون الى الملأ الاعلى فيختطفون بعض ما
يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به الى اوليائهم من اولئك واكثرهم كاذبون فيما يوحون به
اليهم لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون الى اوليائهم السمع اي المسموع من الملائكة وقيل الافاكون
يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون وحيهم اليهم او يلقون المسموع من الشياطين الى الناس واكثر الافاكين
كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم وترى اكثر ما يحكون باطلا وزورا وفي الحديث
الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة والقر الصب فان قلت كيف
دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام الا ترى الى قولك اعلى زيد مررت
ولا تقول على ازيد مررت قلت ليس معنى التضمن ان الاسم دل على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف
وانما معناه ان الاصل امن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل اهل
قال اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم فاذا ادخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كانك
تقول اعلى من تنزل الشياطين كقولك اعلى زيد مررت فان قلت يلقون ما محله قلت يجوز ان يكون
في محل النصب على الحال اي تنزل ملقين السمع وفي محل الجر صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع وان لا يكون له محل
بان يستأنف كان قائلا قال لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت فان قلت كيف قيل واكثرهم كاذبون
بعد ما قضى عليهم ان كل واحد منهم افاك قلت الافاكون هم الذين يكثرون الافك ولا يدل ذلك على انهم
لا ينطقون الا بالافك فاراد ان هؤلاء الافاكين قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني واكثرهم مفتر عليه
فان قلت وانه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل انبئكم على من تنزل الشياطين

لم فرق بينهن وهن اخوات قلت اريد التفريق بينهن بآيات ليثبت في معناهن ليرجع الى المجيء بهن وتطرية
ذكر ما فيهن كلما حدث نكره فيدل بذلك على ان المعنى الذي نزلن فيه من المعاني التي اشتدت كراهة الله
لخلافها ومثاله ان يحدث الرجل بحديث وفي صدره اهتمام بشيء منه وفضل عناية فتراه يعيد
ذكره ولا ينفك عن الرجوع اليه والشعراء مبتدأ ويتبعهم الغاوون خبره ومعناه انه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم
وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب والنسيب بالحرم والغزل
والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم الا الغاوون والسفهاء والشطار
وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابي
وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول
محمد وكانوا يهجونه ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون اشعارهم واهاجيهم وقرأ عيسى بن عمر والشعراء
بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر قال ابو عبيد كان الغالب عليه حب النصب قرأ حمالة الحطب والسارق
والسارقة وسورة انزلناها وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد ذكر الوادي
والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة
حد القصد فيه حتى يفضلوا اجبن الناس على عنترة واشحهم على حاتم وان يبهتوا البريء ويفسقوا التقي
وعن الفرزدق ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله فبتن بجانبي مصرعات وبت افض اغلاق الختام فقال قد وجب
عليك الحد فقال يا امير المؤمنين قد درأ الله عني الحد بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون استثنى الشعراء المؤمنين
الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه
في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلحاء
الامة وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان هجاؤهم
على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وذلك من غير اعتداء
ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن عمرو بن عبيد
ان رجلا من العلوية قال له ان صدري ليجيش بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا بأس به والقول فيه ان الشعر باب من الكلام
فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان
كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس
معك ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء اهيب منه واهول ولا انكى لقلوب المتأملين ولا اصدع لاكباد
المتدبرين وذلك قوله وسيعلم وما فيه من الوعيد البليغ وقوله الذين ظلموا واطلاقه وقوله اي منقلب ينقلبون
وابهامه وقد تلاها ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدتها
وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولأن تخاف فتبلغ الامن خير من ان تأمن فتبلغ الخوف وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما اي منفلت
ينفلتون ومعناه ان الذين ظلموا يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات
وهو النجاة اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها وعلم ان من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا
والله اعلم بالصواب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب
به وهود وشعيب وصالح وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون آية وقيل اربع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طس قرئ بالتفخيم والامالة تلك اشارة
الى آيات السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه ابانة
واما السورة واما القرآن وابانتهما انهما يبينان ما اودعاه من العلوم والحكم والشرائع وان اعجازهما ظاهر
مكشوف واضافة الآيات الى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لان المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة
اليه فان قلت لم نكر الكتاب المبين قلت ليبهم بالتنكير فيكون افخم له كقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر
فان قلت ما وجه عطفه على القرآن اذا اريد به القرآن قلت كما تعطف احدى الصفتين على الاخرى في نحو قولك هذا
فعل السخي والجواد الكريم لان القرآن هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات المستقلة
بالمدح فكأنه قيل تلك الآيات آيات المنزل المبارك واي كتاب مبين وقرأ ابن ابي عبلة وكتاب مبين
بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فان قلت ما الفرق بين هذا وبين
قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين قلت لا فرق بينهما الا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم
والتأخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب وضرب فيه ترجح فالاول نحو قوله وقولوا
حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه ما نحن بصدده والثاني نحو قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم
هدى وبشرى في محل النصب او الرفع فالنصب على الحال اي هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة والرفع
على ثلاثة اوجه على هي هدى وبشرى وعلى البدل من الآيات وعلى ان يكون خبرا بعد خبر اي جمعت انها آيات وانها
هدى وبشرى والمعنى في كونها هدى للمؤمنين انها زائدة في هداهم قال الله تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا
فان قلت وهم بالآخرة هم يوقنون كيف يتصل بما قبله قلت يحتمل ان يكون من جملة صلة الموصول ويحتمل ان تتم
الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقامة الصلاة
وايتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه انه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي
هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح
لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق فان قلت كيف اسند تزيين اعمالهم الى ذاته

ذنب اسنده الى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان اعمالهم قلت بين الاسنادين فرق وذلك ان اسناده
الى الشيطان حقيقة واسناده الى الله عز وجل مجاز وله طريقان في علم البيان احدهما ان يكون من المجاز الذي
يسمى استعارة والثاني ان يكون من المجاز الحكمي فالطريق الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق
وجعلوا انعام الله عليهم بذلك واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الروح
والترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكانه زين لهم بذلك اعمالهم واليه
اشارت الملائكة في قولهم ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر والطريق الثاني ان امهاله الشيطان وتخليته
حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فاسند اليه لان المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات وقيل هي اعمال
الخير التي وجب عليهم ان يعملوها زينها لهم الله فعموا عنها وضلوا ويعزى الى الحسن والعمه التحير والتردد
كما يكون حال الضال عن الطريق وعن بعض الاعراب انه دخل السوق وما ابصرها قط فقال رايت الناس عمهين
اراد مترددين في اعمالهم واشغالهم سوء العذاب القتل والاسر يوم بدر والاخسرون اشد الناس خسرانا لانهم
لو امنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله عز وجل لتلقى القرآن لتؤتاه
وتلقنه من عند اي حكيم واي عليم وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الاية بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق
بعدها من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه اذ منصوب بمضمر وهو اذكر كانه قيل
على اثر ذلك خذ من اثار حكمته وعلمه قصة موسى عليه السلام ويجوز ان ينتصب بعليم روي انه لم يكن مع موسى عليه السلام
غير امراته وقد كنى الله عز وجل عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا الشهاب
الشعلة والقبس النار المقبوسة واضاف الشهاب الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس ومن قرأ بالتنوين
جعل القبس بدلا او صفة لما فيه من معنى القبس والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لانه كان قد ضله
فان قلت ساتيكم منها بخبر ولعلي اتيكم منها بخبر كالمتدافعين لان احدهما ترج والاخر تيقن قلت قد
يقول الراجي اذا قوي رجاؤه سافعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة فان قلت كيف جاء بسين التسويف قلت
عدة لاهله انه ياتيهم به وان ابطا او كانت المسافة بعيدة فان قلت فلم جاء باو دون الواو قلت بنى الرجاء
على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ثقة بعادة الله
انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما ادراه حين قال ذلك انه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعا
وهما العزان عز الدنيا وعز الاخرة ان هي المفسرة لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك فان قلت
هل يجوز ان تكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بانه بورك والضمير ضمير الشان قلت لا لانه لا بد
من قد فان قلت فعلى اضمارها قلت لا يصح لانها علامة لا تحذف ومعنى بورك من في النار ومن حولها بورك
من في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله
نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة ويدل عليه قراءة ابي تباركت الارض ومن حولها وعنه بوركت
النار والذي بوركت له البقعة وبورك من فيها ومن حواليها حدوث امر ديني فيها وهو تكليم الله عز وجل موسى عليه السلام
واستنباؤه له واظهاره المعجزات عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في اقاصيها
ويبث اثار يمنه في اباعدها فكيف بمثل ذلك الامر العظيم الذي جرى في تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك
فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر انه عام في كل من كان في تلك الارض وفي ذلك الوادي وحواليهما
من ارض الشام ولقد جعل الله ارض الشام بالبركات موسومة في قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا
فيها للعالمين وحقت ان تكون كذلك فهي مبعث الانبياء ومهبط الوحي اليهم وكفاتهم احياء وامواتا فان
قلت ما معنى ابتداء خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه قلت هي بشارة له بانه قد قضي امر عظيم
تنتشر منه في ارض الشام كلها البركة وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى من ذلك وايذان بان ذلك الامر
مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤون انه انا الله يجوز
ان يكون ضمير الشان والشان انا الله مبتدا وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر وهو تمهيد لما اراد
ان يظهره على يده من المعجزة يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله
بحكمة وتدبير فان قلت علام عطف قوله والق عصاك قلت على بورك لان المعنى نودي ان بورك من في النار وان
الق عصاك كلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل له الق عصاك والدليل على ذلك
قوله عز وجل وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليك
ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر وقرأ الحسن جأن على لغة من يجد في الهرب من التقاء
الساكنين فيقول شأبة ودأبة ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضألين ولم يعقب لم يرجع يقال عقب المقاتل
اذا كر بعد الفرار قال فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا وانما رعب لظنه
ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه اني لا يخاف لدي المرسلون والا بمعنى لكن لانه لما اطلق نفي الخوف
عن الرسل كان ذلك مظنة لطرو الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم اي فرطت منه صغيرة
مما يجوز على الانبياء كالذي فرط من ادم ويونس وداود وسليمان واخوة يوسف عليهم السلام ومن موسى عليه السلام بوكزه
القبطي ويوشك ان يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التي يلطف ماخذها
وسماه ظلما كما قال موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي والحسن والسوء حسن التوبة وقبح الذنب وقرئ الا
من ظلم بحرف التنبيه وعن ابي عمرو في رواية عصمة حسنا في تسع ايات كلام مستانف وحرف الجر فيه
يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع ايات الى فرعون ونحوه فقلت الى الطعام فقال منهم فريق اتانا الطعام فاه
ويجوز ان يكون المعنى والق عصاك وادخل يدك في جيبك في تسع ايات اي في جملة تسع ايات وعدادهن

ولقايل

ولقايل ان يقول كانت الايات احدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم مبصرة الظاهرة البينة جعل الابصار لها
وهو في الحقيقة لمتامليها لانهم لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز ان يراد بحقيقة الابصار
كل ناظر فيها من كافة اولي العقل وان يراد ايضا فرعون وملاه لقوله سبحانه واستيقنتها انفسهم او جعلت
كانها تبصر فتهدي لان العمي لا تقدر على الاهتداء فضلا ان تهدي غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء
لان الكلمة الحسنة ترشد والكلمة السيئة تغوي ونحوه قوله تعالى لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض
بصائر فوصفها بالبصائر كما وصفها بالابصار وروي علي بن الحسين وقتادة رضي الله عنهما مبصرة وهو نحو مجبنة
ومبخلة ومجفرة اي مكانا يكثر فيه التبصر الواو في واستيقنتها واو الحال وقد بعدها مضمرة والعلو
الكبر والترفع عن الايمان بما جاء به موسى عليه السلام كقوله فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا انؤمن لبشرين
مثلنا وقومهما لنا عابدون وهي ظلميا بالظلم والكبر كما مر عيبا وعتيا وفائدة ذكر الانفس انهم جحدوها
بالسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والاستيقان ابلغ من الايقان وقد قوبل بين المبصرة والمبين واي ظلم
افحش من ظلم من اعتقد واستيقن انها ايات بينات واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا بينا
مكشوفا لا شبهة فيه علما طائفة من العلم او علما سنيا عزيزا فان قلت اليس هذا موضع الفاء دون
الواو كقولك اعطيته فشكر ومنعته فصبر قلت بلى ولكن عطفه بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما احدث
فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه قال ولقد اتيناهما علما فعملا به
وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله الذي فضلنا والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما
او من لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفي الاية دليل على شرف العلم وانافة
محله وتقدم حملته واهله وان نعمة العلم من اجل النعم واجزل القسم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا على كثير من
عباد الله كما قال والذين اوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الانبياء الا لمداناتهم لهم في الشرف
والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من اجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها ان يحمدوا الله
عز وجل على ما اوتوه من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وان يعتقد العالم انه وان فضل على كثير
فقد فضل عليه مثلهم وما احسن قول عمر رضي الله عنه كل الناس افقه من عمر وورث منه النبوة والملك دون سائر
بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود اكثر تعبدا وسليمان اقضى واشكر لنعمة الله وقال يا ايها الناس تشهيرا
لنعمة الله عز وجل وتنويها بها واعترافا بمكانها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق
الطير وغير ذلك مما اوتيه من عظائم الامور والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير
المفيد وقد ترجم يعقوب كتابه باصلاح المنطق وما اصلح فيه الا مفردات الكلم وقالت العرب نطقت الحمامة
وكل صنف من الطير يتفاهم اصواته والذي علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض
معانيه واغراضه ويحكى انه مر على بلبل في شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا
الله ونبيه اعلم قال يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم
يخلقوا وصاح طاووس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح
طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول
سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وارضه وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى وقال الحدأ يقول كل شيء هالك الا الله
والقطا يقول من سكت سلم والببغاء يقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول
يا ابن ادم عش ما شئت اخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس
واراد بقوله من كل شيء كثرة ما اوتي كما تقول فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء تريد كثرة قصاده ورجوعه الى غزارة
في العلم واستكثاره منه ومنه قوله واوتيت من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد ادم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا ولا اقوله فخرا فان قلت كيف قال علمنا واوتينا وهو من كلام المتكبرين
قلت فيه وجهان احدهما ان يريد نفسه واباه والثاني ان هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا
مطاعا فكلم اهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخيمه
واظهار ابهته وسياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحوا من ذلك اذا وفد عليه
وفد واحتاج ان يرجح في عين عدوه الا ترى كيف امر العباس رضي الله عنه بان يحبس ابا سفيان حتى تمر الكتائب عليه روي ان
معسكره كان مائة فرسخ في مائة فرسخ خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير
وخمسة وعشرون للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن
بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف
كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس
الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة
شهر وروي انه كان يامر الريح العاصف تحمله ويامر الرخاء تسيره فاوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض
اني قد زدت في ملكك لا يتكلم احد بشيء الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي ال داود
ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال
لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما اوتي ال داود يوزعون يحبس اولهم على اخرهم اي يوقف سلاف العسكر حتى تلحقهم
التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك للكثرة العظيمة قيل هو واد بالشام كثير النمل فان قلت
لم عدي اتوا بعلى قلت يتوجه على معنيين احدهما ان اتيانهم كان من فوق فاتى بحرف الاستعلاء كما قال

ابو الطيب ولشد ما ثبت عليك الاعجم لما كان ثوابا من فوق. واما ان يراد قطع الوادى وبلوغ اخره من قولهم اتى على الشئ اذا انفذه وبلغ اخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند منقطع الوادى لانهم ما دامت الريح تحملهم فى الهوى لا يخاف حطمهم. وقرئ نملة يا ايها النمل بضم الميم وبضم النون والميم وكان الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذى عليه الاستعمال تخفيف عنه كقولهم السبع فى السبع. قيل كانت تمشى وهى عرجاء تتكاوس فنادت يا ايها النمل الاية فسمع سليمن كلامها من ثلاثة اميال وقيل كان اسمها طاخية. وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتفت عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان ابو حنيفة رح حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمن اكانت ذكرا ام انثى فسألوه فافحم فقال ابو حنيفة رح كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة. وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة فى وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهى. وقرئ مسكنكم ولا يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله يحتطمنكم ولما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما تقول فى اولى العقل اجرى خطابهم مجرى خطابهم فان قلت لا يحطمنكم ما هو قلت يحتمل ان يكون جوابا للامر وان يكون نهيا بدلا من الامر والذى جوز ان يكون بدلا انه فى معنى لا تكونوا حيث انتم يحطمكم على طريقة لا ارينك ههنا اراد لا يحطمنكم جنود سليمن فجاء بما هو ابلغ ونحوه عجبت من نفسى ومن اشفاقها. ومعنى تبسم ضاحكا تبسم شارعا فى الضحك واخذا فيه يعنى انه قد جاوز حد التبسم الى الضحك وكذلك ضحك الانبياء. واما ما روى ان رسول الله صلعم ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة فى وصف ما وجد منه من الضحك النبوى والا فبدو النواجذ على الحقيقة انما يكون عند الاستغراب. وروى بن السميفع رح ضحكا فان قلت ما اضحكه من قولها قلت شيئان احدهما اعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم فى باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون يعنى انهم لو شعروا لم يفعلوا. والثانى سروره بما اتاه الله مما لم يؤت احدا من ادراكه لسمعه ما قالته النملة. وقيل ان الريح اطارت كلامها اليه من ثلاثة اميال حتى سمعه وقد اوزعه به بعض الحكل الذى هو مثل فى الصغر والقلة ومن احاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما انعم به عليه من ذلك وعلى استيفاقه لزيادة العمل الصالح والتقوى وحقيقة اوزعنى اجعلنى ازع شكر نعمتك عندى واكفه وارتبطه لا ينفلت عنى حتى لا انفك شاكرا لك. وانما ادرج ذكر والديه لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا النعمة الراجعة الى الدين فانه اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضى الله عنك وعن والديك. وروى ان النملة احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم فى الهواء فامر سليمن عليه السلام الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة. ومعنى وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين واجعلنى من اهل الجنة ام هى المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال ما لى لا اراه على معنى انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول ام هو غائب كانه يسال عن صحة ما لاح له ونحوه قولهم انها لابل ام شاء. وذكر من قصة الهدهد ان سليمن عليه السلام حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة الاف ناقة وخمسة الاف بقرة وعشرين الف شاة. ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فراى ارضا حسناء اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلى فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء فى الزجاجة فتجئ الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وحين نزل سليمن عليه السلام حلق الهدهد فراى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمن وما سخر له من كل شئ وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها اثنى عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمن فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب على به فارتفعت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدته بالله وقال بحق الله الذى قواك واقدرك علىّ الا ما رحمتنى فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبى الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى او لياتينى بسلطان مبين فلما قرب من سليمن عليه السلام ارخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ براسه فمده اليه فقال يا نبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله فارتعد سليمن وعفا عنه ثم سأله. تعذيبه ان يؤدب بما يحتمله حاله ليعتبر به ابناء جنسه وقيل كان عذاب سليمن عليه السلام للطير ان ينتف ريشه ويشمسه وقيل ان يطليه بالقطران ويشمسه وقيل ان يلقيه للنمل تاكله وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل لالزمنه صحبة الاضداد. وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة الاضداد وقيل لالزمنه خدمة اقرانه فان قلت من اين حل له تعذيب الهدهد قلت يجوز ان يبيح الله له ذلك لما راى فيه من المصلحة والمنفعة كما اباح ذبح البهائم والطيور للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير ولم يتم التسخير الا بالتاديب والسياسة جاز ان يباح له ما يستصلح به. وقرئ ليأتينى والسلطان الحجة والعذر فان قلت قد حلف على احد ثلاثة اشياء فحلفه على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف صح حلفه على فعل الهدهد ومن اين درى انه ياتى بسلطان حتى يقول والله ليأتينى بسلطان قلت لما نظم الثلاثة باو فى الحكم الذى هو الحلف آل كلامه الى قولك ليكونن احد الامور يعنى ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان احدهما

من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له فى علمه وتنبيها على ان فى ادنى خلقه واضعفه من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له فى ترك الاعجاب الذى هو فتنة العلماء واعظم بها فتنة والاحاطة بالشئ علما ان يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شئ ولا يكون فى زمانه احد اعلم منه سبأ قرئ بالصرف ومنعه وقد روى بسكون الباء وعن ابن كثير فى رواية سبا بالالف كقولهم ذهبوا ايدى سبا. وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحى او للاب الاكبر صرف قال من سبأ الحاضرين مأرب اذ يبنون من دون سيله العرما وقال الواردون وتيم فى ذرا سبا قد عض اعناقهم جلد الجواميس ثم سميت مأرب بسبا وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث كما سميت معافر بمعافر بن اد. ويحتمل ان يراد المدينة والقوم والنبأ الخبر الذى له شان وقوله من سبأ بنبأ من الكلام الذى سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام الذى يتعلق باللفظ بشرط ان يجئ مطبوعا او يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء ههنا زائدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى الا ترى انه لو وضع مكان بنبأ بخبر لكان صحيحا وهو كما جاء اصح لما فى النبأ من الزيادة التى يطابقها وصف الحال المرأة بلقيس بنت شراحيل وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها وقد ولده اربعون ملكا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هى وقومها مجوسا يعبدون الشمس. والضمير فى تملكهم راجع الى سبا فان اريد به القوم فالامر ظاهر وان اريدت المدينة فمعناه تملك اهلها وقيل فى وصف عرشها كان ثمانين ذراعا فى ثمانين وسمكه ثمانين وقيل ثلاثين وكان من ذهب وفضة مكللا بانواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق فان قلت كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمن قلت يجوز ان يستصغر حالها الى حال سليمن فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز ان لا يكون لسليمن مثله وان عظمت مملكته فى كل شئ كما يكون لبعض امراء الاطراف شئ لا يكون مثله للملك الذى يملك عليهم امورهم ويستخدمهم ومن نوكى القصاص من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدئ عظيم وجدتها يريد امر عظيم ان وجدتها وقومها يسجدون للشمس فر من استعظام الهدهد عرشها فوقع فى عظيمة وهى مسخ كتاب الله فان قلت كيف قال واوتيت من كل شئ مع قول سليمن واوتينا من كل شئ كانه سوى بينهما قلت بينهما فرق بين لان سليمن عليه السلام عطف قوله على ما هو معجزة من الله عز وجل وهو تعليم منطق الطير فرجع اولا الى ما اوتى من النبوة والحكمة واسباب الدين ثم الى الملك واسباب الدنيا وعطفه الهدهد على الملك فلم يرد الا ما اوتيت من اسباب الدنيا اللائقة بحالها فبين الكلامين بون بعيد فان قلت كيف خفى على سليمن مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهى مسيرة ثلاث بين صنعاء ومأرب قلت لعل الله عز وجل اخفى عنه ذلك لمصلحة رآها كما اخفى مكان يوسف على يعقوب عليهما السلام فان قلت من اين للهدهد التهدى الى معرفة الله عز وجل ووجوب السجود له وانكار سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه قلت لا يبعد ان يلهمه الله ذلك كما الهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التى لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها. ومن اراد استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصا فى زمان نبى سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له. من قرأ بالتشديد اراد فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا فحذف الجار مع ان ويجوز ان تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا. ومن قرأ بالتخفيف فهو الا يا اسجدوا الا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف كما حذفه من قال الا يا اسلمى يا دارمى على البلى. وفى حرف عبد الله وهى قراءة الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء. وعن عبد الله رح هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب. وفى قراءة ابى رح الا تسجدون لله الذى يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون. وسمى المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما مما خبأه الله عز وجل من غيوبه. وقرئ الخب على تخفيف الهمزة بالحذف والخبا على تخفيفها بالقلب وهى قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار رح ووجهها ان تخرج على لغة من يقول فى الوقف هذا الخبو ورايت الخبا ومررت بالخبى ثم اجرى الوصل مجرى الوقف لا على لغة من يقول الكماة والحماة لانها ضعيفة مسترذلة. وقرئ يخفون ويعلنون بالتاء والياء وقرئ من احطت الى العظيم هو كلام الهدهد. وقيل كلام رب العزة وفى اخراج الخبء امارة على انه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الارض وذلك بالهام من يخرج الخبء فى السموات والارض جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد يخفى على ذى الفراسة النظار بنور الله مخايل كل مختص بصناعة او فن من العلم فى روائه ومنطقه وشمائله ولهذا ورد ما عمل عبد عملا الا القى الله عليه رداء عمله فان قلت اسجدة التلاوة واجبة فى القراءتين جميعا ام فى احديهما قلت هى واجبة فيهما جميعا لان مواضع السجدة اما امر بها او مدح لمن اتى بها او ذم لمن تركها واحدى القراءتين امر بالسجود والاخرى ذم للتارك وقد اتفق ابو حنيفة والشافعى رح على ان سجدات القرآن اربع عشرة وانما اختلفا فى سجدة ص فهى عند ابى حنيفة سجدة تلاوة وعند الشافعى سجدة شكر وفى سجدتى سورة الحج. وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه فان قلت هل يفرق الواقف بين القراءتين قلت نعم اذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ الا يا اسجدوا وان شاء وقف على الا يا ثم ابتدأ اسجدوا واذا شدد لم يقف الا على العرش العظيم فان قلت كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله عز وجل فى الوصف بالعظم قلت بين الوصفين بون عظيم لان وصف عرشها بالعظم تعظيم له بالاضافة الى عروش ابناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله عز وجل بالعظم تعظيم له بالنسبة الى سائر ما خلق الله من السموات والارض وقرئ العظيم بالرفع سننظر من النظر الذى هو التأمل والتصفح واراد اصدقت ام كذبت الا ان كنت من الكاذبين ابلغ لانه اذا كان معروفا بالانخراط فى سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما اخبر به فلم يوثق به تول عنهم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك ويرجعون من قولهم يرجع بعضهم الى بعض القول فيقال دخل عليها من كوة فالقى الكتاب اليها وتوارى فى الكوة فان قلت لم قال فالقه اليهم على لفظ الجمع قلت لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فالقه الى الذين هذا

دونهم اهتماما منه بامر الدين واشتغالا به عن غيره وبنى الخطاب على لفظ الجمع لذلك كريم حسن مضمونه وما فيه او وصفته بالكرم لانه من عند ملك كريم او مختوم قال النبي صلى الله عليه وسلم كرم الكتاب ختمه وكان صلى الله عليه وسلم يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه خاتم فاصطنع خاتما . وعن ابن المقفع من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به . وقيل مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم هو استئناف وتبيين لما القي اليها كانها لما قالت اني القي الي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه من سليمن وانه كيت وكيت . وقرئ عبد الله رضي الله عنه وانه من سليمن وانه عطفا على اني وقرئ انه من سليمن وانه بالفتح على انه بدل من كتاب كانه قيل القي الي انه من سليمن ويجوز ان يريد لانه من سليمن ولانه كانها عللت كرمه بكونه من سليمن وتصديره باسم الله . وقرئ ابي رضي الله عنه ان من سليمن وان بسم الله على ان المفسرة وان في ان لا تعلوا مفسرة ايضا لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك وقرئ ابن عباس رضي الله عنه بالغين معجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد يروى ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمن بن داود الى بلقيس ملكة سبا . السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين . وكانت كتب الانبياء جملا لا يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمارب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت راسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت راسها فالقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ما قالت مستهن . فتاه افتوني اشيروا علي بما عندي في الجواب فيما حدث لي ثم اشتقت على طريق الاستخارة من الفتا والفتي فالمراد بالفتوى ههنا الاشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الراي والتدبير وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع الى استشارتهم واستطلاع رايهم استعطافهم وتطييب انفسهم ليمالئوها ويقوموا معها قاطعة امرا فاصلة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه قاضية اي لا ابت امرا الا بمحضركم وقيل كان اهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل واحد على عشرة الاف . اراد وا بالقوة قوة الاجساد وقوة الالات والعدد . وبالباس النجدة والبلاء في الحرب والامر اليك اي هو موكول اليك ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك نطعك ولا نخالفك كانهم اشاروا عليها بالقتال او ارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الراي والمشورة وانت ذات الراي والتدبير فانظري ماذا ترين نتبع رايك لما احست منهم الميل الى المحاربة . رات من الراي الميل الى الصلح والابتداء بما هو احسن ورتبت الجواب فزيفت اولا ما ذكروه واريتهم الخطا فيه بان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا افسدوها اي خربوها ومن ثمة قالوا للفساد الخربة واذلوا اعزتها واهانوا اشرافها وقتلوا واسروا فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها . ثم قالت وكذلك يفعلون ارادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورات . ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رات من الراي السديد وقيل هو تصديق من الله عز وجل لقولها وقد يتعلق الساعون في الارض بالفساد بهذه الاية ويجعلونها حجة لانفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فاذا احتج له بالقران على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين مرسلة اليهم بهدية اي مرسلة رسلا بهدية اصانعه بها عن ملكه فناظرة ما يكون منه حتى اعمل على حسب ذلك . فروي انها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من اشراف قومها المنذر بن عمرو واخر ذا راي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رايته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر سليمن عليه السلام فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وامر باولاد الجن وهم خلق كثير فقاموا على اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي عن جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا وراوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال اين الحق فاخبر جبريل عليه السلام بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم امر الارضة فاخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها في الشجرة واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها فجعل رزقها في الفواكه . ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم فقالت هو نبي وما لنا به طاقة فشخصت اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف . وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فلما جاؤا سليمن . اتمدونني . وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وبالادغام كقوله اتحاجوني وبنون واحدة اتمدوني الهدية اسم المهدى كما ان العطية اسم المعطى فتضاف الى المهدي والمهدى اليه تقول هذه هدية فلان تريد هي التي اهداها او اهديت اليه والمضاف اليه ههنا هو المهدى اليه والمعنى ان ما عندي خير مما عندكم وذلك ان الله اتاني الدين الذي فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع . واتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بان يمد بمال ويصانع عليه بل انتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فلذلك تفرحون

بما تزادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم وما ارضى منكم بشيء ولا افرح الا بالايمان وترك المجوسية فان قلت ما الفرق بين قولك اتمدونني بمال وانا اغنى منك وبين ان تقوله بالفاء قلت اذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدني بالمال واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فانا اخبره الساعة بما لا احتاج معه الى امداده كاني اقول له انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه وعليه ورد قوله فما اتاني الله فان قلت فما وجه الاضراب قلت لما انكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضى ولا فرح الا ان يهدى اليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها ويجوز ان تجعل الهدية مضافة الى المهدي ويكون المعنى بل انتم بهدية بعضكم هذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بانكم قدرتم على اهداء مثلها ويحتمل ان يكون عبارة عن الرد كانه قال بل انتم من حقكم ان تاخذوا هديتكم وتفرحوا بها ارجع خطاب للرسول وقيل للهدهد محملا كتابا اخر لا قبل لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة اي لا يقدرون ان يقابلوهم . وقرئ ابن مسعود رضي الله عنه لا قبل لهم بهم والضمير في منها لسبا والذل ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار ان يقعوا في اسر واستعباد ولا يقتصر بهم على ان يرجعوا سوقة بعد ان كانوا ملوكا . يروى انها امرت عند خروجها الى سليمن عليه السلام فجعل عرشها في اخر سبعة ابيات بعضها في بعض في اخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله اوحي الى سليمن صلى الله عليه وسلم باستيثاقها من عرشها فاراد ان يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه الله عز وجل من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله سبحانه وعلى ما يشهد لنبوة سليمن عليه السلام ويصدقها . وعن قتادة اراد ان ياخذه قبل ان تسلم لعلمه انها اذا اسلمت لم يحل له اخذ مالها وقيل اراد ان يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر اتثبته ام تنكره اختبارا لعقلها . وقرئ عفرية . والعفر والعفريت والعفرية والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر اقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان لقوي على حمله امين اتي به كما هو لا اختزل منه شيئا ولا ابدله الذي عنده علم من الكتاب رجل كان عنده اسم الله الاعظم وهو يا حي يا قيوم وقيل يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا انت وقيل يا ذا الجلال والاكرام . وعن الحسن الله والرحمن وقيل هو اصف بن برخيا كاتب سليمن عليه السلام وكان صديقا عالما وقيل اسمه اسطوم وقيل هو جبريل عليه السلام وقيل ملك ايد الله به سليمن وقيل هو سليمن نفسه كانه استبطا العفريت فقال له انا اريك ما هو اسرع مما تقول وعن ابن لهيعة بلغني انه الخضر عليه السلام علم من الكتاب المنزل وهو علم الوحي والشرائع وقيل هو اللوح والذي عنده علم منه جبريل عليه السلام وانا اتيك في الموضعين يجوز ان يكون فعلا واسم فاعل الطرف تحريكك اجفانك اذا نظرت فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفا بارسال الطرف في نحو قوله وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف برد الطرف بالارتداد . ومعنى قوله قبل ان يرتد اليك طرفك انك ترسل طرفك الى شيء فقبل ان ترده ابصرت العرش بين يديك . ويروى ان اصف رضي الله عنه قال لسليمن عليه السلام مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا اصف فغار العرش في مكانه بمارب ثم نبع عند مجلس سليمن عليه السلام بالشام بقدرة الله عز وجل قبل ان يرد اليه طرفه ويجوز ان يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجيء به كما تقول لصاحبك افعل ذلك في لحظة وفي ردة طرف والتفت ترني وما اشبه ذلك تريد السرعة . ليشكر لنفسه لانه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويرتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي بعض كلام المتقدمين ان كفران النعمة بوار وقلما اقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم ان سبوغ ستر الله متقلص عما قريب اذا انت لم ترج لله وقارا غني عن الشكر كريم بالانعام على من يكفر نعمته والذي قاله سليمن عليه السلام عند رؤية العرش شاكرا لربه جري على شاكلة ابناء جنسه من الانبياء والمخلصين من عباد الله يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر نكروا اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره واعلاه اسفله . وقرئ ننظر بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستئناف اتهتدي لمعرفته او للجواب الصواب اذا سئلت عنه او للدين والايمان بنبوة سليمن اذا رات تلك المعجزات البينة من تقدم عرشها وقد خلفته واغلقت عليه الابواب ونصبت عليه الحراس اهكذا ثلاث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة لم يقل اهذا عرشك ولكن امثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا فقالت كانه هو ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل واوتينا العلم من كلام سليمن عليه السلام وملائه فان قلت علام عطف هذا الكلام وبما اتصل قلت لما كان المقام الذي سئلت فيه عن عرشها واجابت بما اجابت به مقاما اجرى فيه سليمن وملاؤه ما يناسب قولهم واوتينا العلم نحو ان يقولوا عند قولها كانه هو قد اصابت في جوابها وطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله عز وجل وصحة النبوة بالايات التي تقدمت عند وفدة المنذر وبهذه الاية العجيبة من امر عرشها عطفوا على ذلك قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله عز وجل على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله والاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشوها بين ظهراني الكفرة . ويجوز ان يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها كانه هو والمعنى واوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمن قبل هذه المعجزة او قبل هذه الحالة تعني ما تبينت من الايات عند وفدة المنذر ودخلنا في الاسلام . ثم قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل وصدها الله او سليمن عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل . وقرئ انها بالفتح على انه بدل من فاعل صد او بمعنى لانها

الصرح القصر وقيل صحن الدار. وقرأ ابن كثير سأقيها بالهمز ووجهه انه سمع سؤوقا فاجرى عليه الواحد. والممرد المملس. وروي ان سليمان امر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج ابيض واجري من تحته الماء والقي فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد تجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو اشد وافظع فقالوا له ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء فصرف بصره وناداها انه صرح ممرد من قوارير. وقيل هي السبب في اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها. واستنكحها سليمان واحبها واقرها على ملكها وامر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة ايام وولدت له وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل اميرا حتى مات سليمان ظلمت نفسي تريد بكفرها فيما تقدم وقيل حسبت ان سليمان يغرقها في اللجة فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان. وقرئ أن اعبدوا بالضم على اتباع النون الباء فريقان فريق مؤمن وفريق كافر وقيل اريد بالفريقين صالح وقومه قبل ان يؤمن احد منهم يختصمون يقول كل فريق منهم الحق معي السيئة العقوبة والحسنة التوبة فان قلت ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة وانما يكون ذلك اذا كانتا متوقعتين احداهما قبل الاخرى قلت كانوا يقولون بجهلهم ان العقوبة التي يعدها صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة مقبولة في ذلك الوقت وان لم تقع فلسنا على ما نحن عليه فخاطبهم صالح على حسب قولهم واعتقادهم ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون تنبيها لهم على الخطا فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته او من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة فما قالوا اطيرنا لا طائركم اي قدر الله الغالب الذي يحب الخير والشر لا طائركم الذي تتشاءمون به وتتيمنون به لما قالوا اطيرنا بكم اي تشاءمنا وكانوا قد قحطوا قال طائركم عند الله اي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم ويجوز ان يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه قوله طائركم معكم وكل انسان الزمناه طائره في عنقه. وقرئ تطيرنا بكم على الاصل ومعنى تطير به تشاءم وتطير منه نفر منه تفتنون تختبرون او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة المدينة الحجر وانما جاز تمييز التسعة بالرهط لانه في معنى الجماعة كانه قيل تسعة انفس والفرق بين الرهط والنفر ان الرهط من الثلاثة الى العشرة ومن السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب غنم بن غنم رئاب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن صفي قدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم ولا يصلحون يعني ان شانهم الافساد البحت الذي لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح تقاسموا يحتمل ان يكون امرا وخبرا في محل الحال باضمار قد اي قالوا متقاسمين وقرئ تقسموا وقرئ لنبيتنه بالياء والتاء والنون فتقاسموا مع النون والتاء يصح فيه الوجهان ومع الياء لا يصح فيه الا ان يكون خبرا والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف واليمين التبييت مباغتة العدو ليلا. وعن الاسكندر انه اشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر. وقرئ مهلك بفتح الميم واللام وكسرها من هلك وبضم الميم من اهلك ويحتمل ان يكون المصدر والزمان والمكان فان قلت كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه قلت كانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله فذكروا احدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا لا احدهما وفي هذا دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم الا ترى انهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لانفسهم بان يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب مكرهم ما اخفوه من تدبير الفتك بصالح واهله ومكر الله عز وجل اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة. روي انه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله عز وجل صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله عز وجل كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤوا بالليل شاهرين سيوفهم وقد ارسل الله عز وجل الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون الرامي انا دمرناهم استئنافا ومن قرأ بالفتح رفعه بدلا من العاقبة او خبر مبتدا محذوف تقديره هي تدميرهم او نصبه على معنى لانا او على انه خبر كان اي كان عاقبة مكرهم الدمار خاوية حال عمل فيها ما دل عليه تلك. وقرئ خاوية بالرفع على خبر المبتدا المحذوف واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه واذ بدل على الاول ظرف على الثاني وانتم تبصرون من بصر القلب اي تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها وان الله انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهي مضادة لله في حكمته وحكمه وعلمكم بذلك اعظم لذنوبكم وادخل في القبح والسماجة وفيه دليل على ان القبيح من الله سبحانه اقبح منه من عباده لانه

اعلم

اعلم العالمين واحكم الحاكمين او تبصرونها بعضكم من بعض لانهم كانوا في ناديهم يرتكبونها معالنين بها لا يتستر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكا في المعصية وكان ابا نواس بنى على مذهبهم قوله: وبح باسم من تاتي ودعني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر. او تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم فان قلت فسرت تبصرون بالعلم وبعده بل انتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء جهلاء قلت اراد تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك او تجهلون العاقبة او اراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها فان قلت تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء قلت اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها اقوى وارسخ اصلا من الغيبة. وقرئ الاعمش جواب قومه بالرفع والمشهورة احسن يتطهرون يتنزهون عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو استهزاء قدرناها قدرنا كونها من الغابرين كقوله قدرنا انها لمن الغابرين فالتقدير واقع على الغبور في المعنى. امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وان يستفتح بتحميده والسلام على انبيائه المصطفين من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على ادب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى الى السامعين واصغائهم اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التي يبتغيها المستمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الادب فحمدوا الله عز وجل وصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم امام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فاجروا عليه اوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شان. وقيل هو متصل بما قبله وامر بالتحميد على الهالكين من كفار الامم والصلاة على الانبياء واتباعهم الناجين. وقيل هو خطاب للوط عليه السلام وان يحمد الله عز وجل على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله عز وجل ونجاه من هلكتهم وعصمهم من ذنوبهم معلوم ان لا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه وانما هو الزام لهم وتبكيت وتهكم بحالهم وذلك انهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله سبحانه ولا يؤثر عاقل شيئا على شيء الا لداع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما آثروه وانهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطا المفرط والجهل المورط واضلالهم التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون للخير الزائد ونحوه ما حكاه عن فرعون أم انا خير من هذا الذي هو مهين مع علمه انه ليس لموسى مثل انهاره التي كانت تجري تحته ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله كما عددها في موضع آخر فقال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء. وقرئ يشركون بالياء والتاء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها قال بل الله خير وابقى واجل واكرم فان قلت ما الفرق بين أم وأم في أما تشركون وأمن خلق قلت تلك متصلة لان المعنى ايهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال الله خير أم الآلهة قال بل أمن خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بان من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء. وقرئ الاعمش أمن بالتخفيف ووجهه ان يجعل بدلا من الله كانه قال أمن خلق السموات والارض خير أم ما تشركون فان قلت اي نكتة في نقل الاخبار عن الغيبة الى التكلم عن ذاته في قوله فأنبتنا قلت تاكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان بان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والروائح والاشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده الا ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ومعنى الكينونة الانبغاء اراد ان تأتي ذلك محال من غيره وكذلك قوله بل هم بعد الخطاب ابلغ في تخطئة رايهم والحديقة البستان عليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة وقيل ذات لان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت والبهجة الحسن لان الناظر يبتهج به أإله مع الله اغيره يقرن به ويجعل شريكا له وقرئ أإلها مع الله بمعنى اتدعون او اتشركون ولك ان تحقق الهمزتين وتوسط بينهما مدة وتخرج الثانية بين بين يعدلون به غيره او يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد أمن جعل وما بعده بدل من أمن خلق فكان حكمها حكمه قرارا دحاها وسواها للاستقرار عليها حاجزا كقوله برزخا المضطر الحاجة المحوجة الى اللجا والاضطرار افتعال منها يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي احوجه مرض او فقر او نازلة من نوازل الدهر الى اللجا والتضرع الى الله. وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو المجهود وعن السدي الذي لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر فان قلت قد عم المضطرين بقوله يجيب المضطر اذا دعاه وكم من مضطر يدعو فلا يجاب قلت الاجابة موقوفة على ان يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد الا شارطا فيه المصلحة واما المضطر فمتناول للجنس مطلقا يصلح لكله ولبعضه فلا طريق الى الجزم على احدهما الا بدليل وقد قام الدليل على البعض وهو الذي اجابته مصلحة فبطل التناول على العموم خلفاء الارض خلفاء فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن او اراد بالخلافة الملك والتسلط. وقرئ يذكرون بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام والحذف وما مزيدة اي تذكرون تذكرا قليلا والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل في معنى النفي يهديكم بالنجوم في السماء والعلامات في الارض اذا جن الليل عليكم مسافرين في البر والبحر فان قلت كيف قيل لهم أمن يبدأ الخلق ثم يعيده وهم منكرون للاعادة قلت قد ازيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار ومن السماء الماء ومن الارض النبات ان كنتم صادقين ان مع الله الها فاين دليلكم عليه فان قلت لم رفع اسم الله والله يتعالى ان يكون ممن في السموات والارض قلت جاء على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كان احدا لم يذكر. ومنه قوله: عشية ما تغني الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفي المصمم وقولهم ما اتاني زيد الا عمرو وما اعانه اخوانكم الا اخوانه فان قلت ما الداعي الى اختيار المذهب التميمي على الحجازي قلت دعت اليه نكتة سرية حيث اخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم الغيب

كاستحالة ان يكون الله منهم كما ان معنى ما في البيت ان كانت اليعافير انيسها نفيا للانيس بتا، للقول بخلوها عن الانيس فان قلت
هلا زعمت ان الله ممن في السموات والارض كما يقول المتكلمون الله في كل مكان على معنى ان علمه في الاماكن كلها فكان ذاته
فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم قلت يأبى ذلك ان كونه في السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم
بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيحة على ان قولك من في السموات والارض وجمعك بينه وبينهم في اطلاق اسم واحد
فيه ايهام تسوية والايهامات مزالة عنه وعن صفاته الا ترى كيف قال صلى الله عليه وسلم لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس
خطيب القوم انت • وعن عائشة رضي من زعم انه يعلم ما في غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله • وعن بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا لئلا يأمن احد من عبيده مكره وقيل نزلت في
المشركين حين سألوا رسول الله صلعم عن وقت الساعة ايان بمعنى متى ولو سمي به لكان فعالا من آن يئين ولا يصرف وقرئ إيان
بكسر الهمزة وقرئ بل ادارك بل ادّارك بل تدارك بل أأدرك بهمزتين بل آأدرك بالف بينهما بل ادرك بالتخفيف والنقل
بلَ ادّرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل أدّرك على الاستفهام بلا ادّرك بلى أأدرك ام تدارك ام أدرك فهذه ثنتي
عشرة قراءة وادّارك اصله تدارك فادغمت التاء في الدال وادّرك افتعل ومعنى ادرك علمهم انتهى وتكامل وادارك تتابع
واستحكم وهو على وجهين احدهما ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيمة كائنة لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من
معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في السموات والارض لانهم لما كانوا
في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقول بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله ناس منهم فان قلت ان الاية سيقت لاختصاص
الله تعالى بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشيء منه وان وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به فكيف لاءم هذا
المعنى وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام اسباب العلم والتمكن من المعرفة قلت لما ذكر ان العباد لا يعلمون
الغيب ولا يشعرون بالبعث الكائن ووقته الذي يكون فيه وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به
ان عندهم عجزا ابلغ منه وهو انهم يقولون للكائن الذي لا بد ان يكون وهو وقت جزاء اعمالهم لا يكون مع ان عندهم
اسباب معرفة كونه واستحكام العلم به والوجه الثاني ان وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس
ما اعلمك على سبيل الهزؤ وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه
الذي لا طريق الى معرفته وفي ادّارك علمهم وادرك وجه اخر وهو ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولك ادركت الثمرة
لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تداركت بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك
فان قلت فما وجه قراءة من قرا بل أأدرك على سبيل الاستفهام قلت هو استفهام على وجه الانكار لادراك علمهم وكذلك
من قرا أم أدرك وأم تدارك لانها أم التي بمعنى بل والهمزة فان قلت فمن قرا بلى ادرك وبلى أأدرك قلت لما جاء بلى
بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله ادرك علمهم في الاخرة على سبيل التهكم الذي معناه
المبالغة في نفي العلم فكانه قال شعورهم بوقت الاخرة انهم لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ ما يكون واما من قرا
بلى أأدرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها واذا انكر علمهم بكونها لم يتحصل شعورهم
بوقت كونها لان العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن في الاخرة في شان الاخرة ومعناها فان قلت هذه الاضرابات
الثلاث ما معناها قلت ما هي الا تنزيل لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيمة
كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة • الا ترى ان من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل
اربابها بعضهم لبعض كان امره اهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يتخصص به طلب التمييز بين الحق والباطل ثم بما هو اسوأ
حالا وهو العمى وهو ان يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه • لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر في
عاقبة وقد جعل الاخرة مبدأ عماهم ومنشاه فلذلك عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي
جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون • العامل في اذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لان بين يدي
عمل اسم الفاعل فيه عقابا وهي همزة الاستفهام وان ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعن والمراد
الاخراج من الارض او من حال الفناء الى الحيوة وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على اذا وان جميعا انكار على انكار
وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والضمير في انا لهم ولآبائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم
فان قلت لم قدم في هذه الاية هذا على نحن وآباؤنا وفي اية اخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا قلت التقديم دليل
على ان المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر وان الكلام انما سيق لاجله ففي احدى الايتين دل على ان ايجاد البعث هو الذي تعمد
بالكلام وفي الاخرى على ان ايجاد المبعوث بذلك الصدد • لم يلحق علامة التانيث بفعل العاقبة لان تانيثها غير حقيقي
ولان المعنى كيف كان اخر امرهم واراد بالمجرمين الكافرين وانما عبر عن الكفر بلفظ الاجرام ليكون لطفا للمسلمين في ترك
الجرائم وتخوف عاقبتها الم تر الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطيئاتهم اغرقوا ولا تحزن عليهم لانهم
لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم قومه قريش كقوله فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث •
في ضيق في حرج صدر من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال بذلك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقا
وضيقا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما والضيق ايضا تخفيف الضيق قال الله تعالى ضيقا حرجا وهي مخففا ومثقلا ويكون
ان يراد في امر ضيق من مكرهم • استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم عسى ان يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر
فزيدت اللام للتأكيد كالباء في ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وازف
لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وقد عدي بمن قال فلما ردفنا من عمير وصحبه تولوا سراعا والمنية تعنق
يعني دنونا من عمير وقرئ الاعرج ردف لكم بوزن ذهب والكسر افصح وهما لغتان وعسى ولعل وسوف في وعد
الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده وما لا مجال للشك بعده وانما يعنون بذلك اظهار وقارهم وانهم لا يعجلون بالانتقام

لادلالهم

لادلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بان عدوهم لا يفوتهم وان الرمزة الى الاغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى
وعد الله ووعيده • والفضل والفاضلة الافضال ولفلان فواضل في قومه وفضول ومعناه انه مفضل عليهم بتاخير
العقوبة وانه لا يعاجلهم بها واكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العقاب وهم قريش
وقرئ تكن يقال كننت الشيء واكننته اذا سترته واخفيته يعني انه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلعم
ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه • سمي الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها
في العافية والعاقبة ونظائرها النطيحة والرمية والذبيحة في انها اسماء غير صفات ويجوز ان يكونا صفتين وتاؤهما
للمبالغة كالرواية في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كانه قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء الا وقد علمه الله
واحاط به واثبته في اللوح المبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة • قد اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه احزابا ووقع
بينهم التناكر في اشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو انصفوا واخذوا به
واسلموا يريد اليهود والنصارى للمؤمنين لمن انصف منهم وآمن اي من بني اسرائيل او منهم ومن غيرهم بينهم
اي بين من آمن بالقرآن ومن كفر به فان قلت ما معنى يقضي بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه قلت معناه بما يحكم به
وهو عدل لانه لا يقضي الا بالعدل فسمى المحكوم به حكما او اراد بحكمته ويدل عليه قراءة من قرا بحكمه جمع حكمة وهو العزيز
فلا يرد قضاؤه العليم بمن يقضي له وبمن يقضي عليه او العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين
امره بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء الدين وعلل التوكل بانه على الحق الابلج الذي لا يتعلق به الشك والظن وفيه
بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله عز وجل وبنصرته وان مثله لا يخذل فان قلت انك لا تسمع الموتى
يشبه ان يكون تعليلا اخر للتوكل فما وجه ذلك قلت وجهه ان الامر بالتوكل جعل مسببا عما كان يغيظ رسول الله صلعم
من جهة المشركين واهل الكتاب من ترك اتباعه وتشييع ذلك بالعداوة والاذى فلاءم ذلك ان يعلل توكل متوكل مثله
بان اتباعهم امر قد يئس منه فلم يبق الا الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم واذاهم وشبهوا بالموتى وهم احياء
صحاح الحواس لانهم اذا سمعوا ما يتلى عليهم من ايات الله فكانوا اقماع القول لا تعيه اذانهم وكان سماعهم كلا سماع كانت
حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا
بالعمي حيث يضلون الطريق ولا يقدر احد ان ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله عز وجل فان قلت ما معنى قوله
اذا ولوا مدبرين قلت هو تاكيد لحال الاصم لانه اذا تباعد عن الداعي بان تولى عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته
وقرئ ولا يسمع الصم وما انت تهدي العمي على الاصل وتهدي العمي • وعن ابن مسعود وما ان تهدي العمي وهداه عن الضلال كقولك
سقاه عن العيمة اي ابعده عنها بالسقي وابعده عن الضلال بالهدى ان تسمع اي ما يجدي اسماعك الا على الذين علم الله انهم
يؤمنون باياته اي يصدقون بها فهم مسلمون اي مخلصون من قوله بلى من اسلم وجهه لله يعني جعله سالما لله خالصا له • سمي
معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة
وظهور اشراطها وحين لا تنفع التوبة ودابة الارض الجساسة جاء في الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب
ولا يفوتها هارب • وروي لها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان • وعن ابن جريج في وصفها رأس ثور وعين خنزير واذن
فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر
ذراعا بذراع ادم عليه السلام • وروي لا تخرج الا راسها وراسها يبلغ اعنان السماء او يبلغ السحاب وعن ابي هريرة فيها من كل
لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب • وعن الحسن لا يتم خروجها الا بعد ثلثة ايام وعن علي رضي انها تخرج ثلثة ايام والناس ينظرون
فلا يخرج الا ثلثها • وعن النبي صلعم انه سئل من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام
وروي انها تخرج ثلث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تتكمن ثم تخرج بالبادية ثم تتكمن دهرا طويلا فبينا الناس
في اعظم المساجد حرمة واكرمها على الله فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم وعن يمين الخارج من المسجد
فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق فتقول ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون
يعني ان الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لان خروجها من الايات وتقول الا لعنة الله على الظالمين وعن السدي تكلمهم
ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام • وعن ابن عمر تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق
ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك • وروي تخرج من اجياد • وروي بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب
الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصى موسى وخاتم سليمان
فتضرب المؤمن في مسجده او فيما بين عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه او فتترك
وجهه كانه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن • وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو تلك النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب
بين عينيه كافر • وروي تجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم انف الكافر بالخاتم ثم تقول له يا فلان انت من اهل الجنة
ويا فلان انت من اهل النار • وقرئ تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم • ويجوز ان يكون تكلمهم
من الكلم ايضا على معنى التكثير يقال فلان مكلم اي مجرح ويجوز ان يستدل بالتخفيف على ان المراد بالتكليم التجريح كما فسر
لنحرقنه بقراءة علي لنحرقنه وان يستدل بقراءة ابي تنبئهم وبقراءة ابن مسعود تكلمهم بان الناس على انه من
الكلام والقراءة بان مكسورة حكاية لقول الدابة اما لان الكلام بمعنى القول او باضمار القول اي تقول الدابة ذلك
او هي حكاية لقول الله تعالى عند ذلك فان قلت اذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول باياتنا قلت قولها حكاية
لقول الله تعالى او على معنى بايات ربنا او لاختصاصها بالله واثرتها عنده وانها من خواص خلقه اضافت ايات الله
عز وجل الى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وانما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرا بالفتح فعلى
حذف الجار اي تكلمهم بان فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار

وهي عبارة عن كثرة العدد وتباعد أطرافه كما وصفت جنود سليمان بذلك وكذلك قوله «فوجا» فإن الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى «يدخلون في دين الله أفواجا» وعن ابن عباس رضي الله عنه أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الأمم بين أيديهم إلى النار فإن قلت أي فرق بين من الأولى والثانية قلت الأولى للتبعيض والثانية للتبيين كقوله «من الأوثان» «أكذبتم بآياتي» الواو للحال كأنه قال أكذبتم بها بادي الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي إلى إحاطة العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب أو للعطف أي أجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا أذهانكم لتحققها وتبصرها فإن المكتوب إليه قد يجحد أن يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك أن يقرأه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه «أم ماذا كنتم تعملون» بها للتبكيت لا غير وذلك أنهم لم يعملوا إلا التكذيب فلا يقدرون أن يكذبوا ويقولوا قد صدقنا بها وليس إلا التصديق بها أو التكذيب ومثاله أن تقول لراعيك وقد عرفته رويعي سوء أتأكل نعمي أم ماذا تعمل بها فتجعل ما تبتدئ به وتجعله أصل كلامك وأساسه هو الذي صح عندك من أكله وفساده وترمي بقولك أم ماذا تعمل بها مع علمك أنه لا يعمل بها إلا الأكل لتبهته وتعلمه علمك بأنه لا يجيء منه إلا أكلها وأنه لا يقدر أن يدعي الحفظ والإصلاح لما شهر من حاله في ذلك أو أراد أماذا كان لكم عمل في الدنيا إلا الكفر والتكذيب بآيات الله أم ماذا كنتم تعملون من غير ذلك يعني أنه لم يكن لهم عمل غيره كأنهم لم يخلقوا إلا للكفر والمعصية وإنما خلقوا للإيمان والطاعة يخاطبون بهذا قبل كبهم في النار ثم يكبون فيها وذلك قوله تعالى «ووقع القول عليهم» يريد أن العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله «هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون» جعل الإبصار للنهار وهو لأهله فإن قلت ما للتقابل لم يراع في قوله «ليسكنوا» و«مبصرا» حيث كان أحدهما علة والآخر حالا قلت هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لأن معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب فإن قلت لم قيل «ففزع» دون فيفزع قلت لنكتة وهي الإشعار بتحقق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة واقع على أهل السماوات والأرض لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصعقون «إلا من شاء الله» إلا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وقيل الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر منهم موسى لأنه صعق مرة ومثله قوله تعالى «ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله» وقرئ «أتوه» و«أتاه» و«داخرين» بالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ والداخر والدخر الصاغر وقيل معنى الإتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز أن يراد رجوعهم إلى أمره وانقيادهم له «جامدة» من جمد في مكانه إذا لم يبرح تجمع الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب فإذا نظر إليها الناظر حسبها ثابتة واقفة في مكان واحد وهي تمر مرا حثيثا كما يمر السحاب وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذا تحركت لا تكاد تبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش: بأرعن مثل الطود تحسب أنهم ... وقوف لحاج والركاب تهملج «صنع الله» من المصادر المؤكدة كقوله «وعد الله» و«صبغة الله» إلا أن مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور فكان كيت وكيت أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال «صنع الله» يريد به الإثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب حيث قال «صنع الله الذي أتقن كل شيء» يعني أن مقابلة الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة إحكامه للأشياء وإتقانه لها وإجرائه لها على قضايا الحكمة «إنه خبير بما يفعلون» عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله «من جاء بالحسنة» إلى آخر الآيتين فانظر إلى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة إضماره ورصانة تفسيره وأخذ بعضه بحجزة بعض كأنما أفرغ إفراغا واحدا ولأمر ما أعجز القوى وأخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر إذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادي على سداده وأنه ما كان ينبغي أن يكون إلا كما قد كان ألا ترى إلى قوله «صنع الله» و«صبغة الله» و«وعد الله» و«فطرة الله» بعدما وسمها بإضافتها إليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله «الذي أتقن كل شيء» «ومن أحسن من الله صبغة» «إن الله لا يخلف الميعاد» «لا تبديل لخلق الله» وقرئ «تفعلون» على الخطاب «فله خير منها» يريد الأضعاف وأن العمل يتقضى والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل فله خير منها أي له خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس رضي الله عنه الحسنة كلمة الشهادة وقرئ «يومئذ» مفتوحا مع الإضافة لأنه أضيف إلى غير متمكن ومنصوبا مع تنوين فزع فإن قلت ما الفرق بين الفزعين قلت الفزع الأول هو ما لا يخلو منه أحد عند الإحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وإن كان المحسن يأمن لحاق الضرر به كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب وقلب وجاب وإن كانت ساعة إعزاز وتكرمة وإحسان وتولية وأما الثاني فالخوف من العذاب فإن قلت فمن قرأ من فزع بالتنوين ما معناه قلت يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العقاب وأما ما يلحق الإنسان من التهيب والرعب لما يرى من الأهوال والعظائم فلا يخلون منه لأن البشرية تقتضي ذلك وفي الأخبار والآثار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار «آمن» يعدى بالجار وبنفسه كقوله تعالى «أفأمنوا مكر الله» وقيل السيئة الإشراك يعبر عن الجملة بالوجه والرأس والرقبة فكأنه قيل فكبوا في النار كقوله «فكبكبوا فيها» ويجوز أن يكون ذكر الوجوه إيذانا بأنهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين «هل تجزون» يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكب بإضمار القول أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول أمرت أن أخص الله وحده بالعبادة ولا أتخذ له شريكا كما فعلت قريش وأن أكون من الحنفاء الثابتين على ملة الإسلام «وأن أتلو القرآن» من التلاوة أو من التلو كقوله تعالى «واتبع ما يوحى إليك» «البلدة» مكة حرسها الله تعالى واختصها من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها لأنها أحب بلاده إليه وأكرمها عليه وأعظمها عنده وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال إني أعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت وأشار إليها إشارة تعظيم لها وتقريب دالا على أنها موطن نبيه صلى الله عليه وسلم ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم

الذي هو خاص وصفها فأجزل بذلك قسمتها في الشرف والعلو ووصفها بأنها محرمة لا ينتهك حرمتها إلا ظالم مضاد لربه «ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم» لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها واللاجئ إليها آمن وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما وفي ذلك إشارة إلى أن ملكا ملك مثل هذه البلدة عظيم الشأن قد ملكها وملك إليها كل شيء اللهم بارك لنا في سكناها وآمنا فيها شر كل ذي شر ولا تنقلنا من جوار بيتك إلا إلى دار رحمتك وقرئ التي حرمها «وأن أتلو» عليهم هذا القرآن عن أبي وأن اتل عن ابن مسعود «فمن اهتدى» باتباعه إياي فيما أنا بصدده من توحيد الله ونفي الأنداد عنه والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما أنزل علي من الوحي فمنفعة اهتدائه راجعة إليه لا إلي «ومن ضل» ولم يتبعني فلا علي وما أنا إلا رسول منذر وما على الرسول إلا البلاغ ثم أمره أن يحمد الله عز وجل على ما خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة وأن يهدد أعداءه بما سيريهم الله عز وجل من آياته التي تلجئهم إلى المعرفة والإقرار بأنها آيات الله وذلك حين لا تنفعهم المعرفة يعني في الآخرة عن الحسن رضي الله عنه وعن الكلبي رضي الله عنه الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله تعالى في الدنيا وقيل هو كقوله «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم» الآية وكل عمل يعملونه فإن الله عالم به غير غافل عنه لأن الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم الذات وهو من وراء جزاء العاملين وقرئ «يعملون» بالياء والتاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طس سليمان كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله

سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

«من نبإ موسى وفرعون» مفعول نتلو أي نتلو عليك بعض خبرهما «بالحق» محقين كقوله «تنبت بالدهن» «لقوم يؤمنون» لمن سبق في علمنا أنه يؤمن لأن التلاوة إنما تنفع هؤلاء دون غيرهم «إن فرعون» جملة مستأنفة كالتفسير للمجمل كأن قائلا قال وكيف كان نبؤهما فقال إن فرعون «علا في الأرض» يعني أرض مملكته قد طغى فيها وجاوز الحد في الظلم والعسف «شيعا» فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم أن يلوي عنقه قال الأعشى: وبلدة يرهب الجواب دلجتها ... حتى تراه عليها يبتغي الشيعا أو يشيع بعضهم بعضا في طاعته أو أصنافا في استخدامه يسخر صنفا في بناء وصنفا في حرث وصنفا في حفر ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة وهم بنو إسرائيل والقبط «والطائفة» المستضعفة بنو إسرائيل وسبب ذبح الأبناء أن كاهنا قال له يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل بين على ثخانة حمق فرعون فإنه إن صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وإن كذب فما وجه القتل «ويستضعف» حال من الضمير في وجعل أو صفة لشيعا أو كلام مستأنف و«يذبح» بدل من يستضعف وقوله «إنه كان من المفسدين» بيان أن القتل ما كان إلا فعل المفسدين فحسب لأنه فعل لا طائل تحته صدق الكاهن أو كذب فإن قلت علام عطف قوله «ونريد أن نمن» وعطفه على «نتلو» و«يستضعف» غير سديد قلت هي جملة معطوفة على قوله «إن فرعون علا في الأرض» لأنها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا لنبإ موسى وفرعون واقتصاصا له «ونريد» حكاية حال ماضية ويجوز أن يكون حالا من يستضعف أي يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم فإن قلت كيف اجتمع استضعافهم وإرادة المنة عليهم وإذا أراد الله شيئا كان ولم يتوقف إلى وقت آخر قلت لما كانت منة الله عز وجل بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت إرادة وقوعها كأنها مقارنة لاستضعافهم «أئمة» مقدمين في الدين والدنيا يطأ الناس أعقابهم وعن ابن عباس رضي الله عنه قادة يقتدى بهم في الخير وعن مجاهد دعاة إلى الخير وعن قتادة ولاة كقوله «وجعلكم ملوكا» «الوارثين» يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم «نمكن لهم» إذا جعل له مكانا يقعد عليه أو يرقد وطأه ومهده ونظيره أرض له ومعنى التمكين لهم في الأرض وهي أرض مصر والشام أن يجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت في أيام الجبابرة وينفذ أمرهم ويطلق أيديهم ويسلطهم وقرئ «ويرى فرعون وهامان وجنودهما» أي يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم «اليم» البحر قيل هو نيل مصر فإن قلت ما المراد بالخوفين حتى أوجب أحدهما ونهى عن الآخر قلت أما الأول فالخوف عليه من القتل لأنه كان إذا صاح خافت أن يسمع الجيران صوته فينموا عليه وأما الثاني فالخوف عليه من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف فإن قلت ما الفرق بين الخوف والحزن قلت الخوف غم يلحق الإنسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والإخطار به فنهيت عنهما جميعا وأومنت بالوحي إليها ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها ويملؤه غبطة وسرورا وهو رده إليها وجعله من المرسلين وروي أنه ذبح في طلب موسى تسعون ألف وليد وروي أنها حين أقربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني إسرائيل مصافية لها فقالت لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع إلى الأرض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك إلا لأقتل مولودك وأخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله عز وجل النار عليه بردا وسلاما فلما ألح فرعون في طلب الولدان أوحى الله عز وجل إليها «فألقيه في اليم» وقد روي أنها أرضعته ثلاثة أشهر في تابوت من بردي مطلي بالقار من داخله اللام في «ليكون» هي لام كي التي معناها التعليل كقوله جئتك لتكرمني سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لأنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله وهو الإكرام الذي هو نتيجة المجيء والتأدب الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتأدب وتحريره أن هذه اللام حكمها حكم الأسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الأسد لمن يشبه الأسد وقرئ «وحزنا» وهما لغتان كالعدم والعدم «كانوا خاطئين» في كل شيء فليس خطؤهم في تربيته عدوهم ببدع منهم أو كانوا مذنبين

بمن دعاقبهم الله بان ربّا عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم • وقرئ خاطين بتخفيف خاطئين او خاطين
الصواب الى الخطاء • روى انهم لما التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنت
آسية فرأت في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا بصبي نوره بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فاحبوه
وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الاطبا لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه انسان دواها ريقه فلطخت
البرصاء برصها بريقه فبرأت وقيل لما نظرت الى وجهه برأت فقالت ان هذه لنسمة مباركة فهذا احد ما عطفهم
عليه فقال الغواة من قومه هو الصبي الذي تحذر منه فأذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية قرة عين
لي ولك فقال فرعون لك لا لي • وروي في حديث لو قال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض
والتقدير اي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولأسلم كما اسلمت هذا ان صح الحديث تاويله والله اعلم
بصحته • وروى انها قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بني اسرائيل • قرة عين خبر مبتدا محذوف ولا يقوى ان تجعله
مبتدأ ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان اقوى وقراءة ابن مسعود رضه دليل على انه خبر قرأ لا تقتلوه قرة عين لي ولك وذلك لم
لا تقتلوه عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع لاهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء
البرصاء ولعلها توسمت في سيماه النجابة المؤذنة بكونه نفاعا او نتبناه فانه اهل للتبني ولأن يكون ولدا لبعض
الملوك فان قلت وهم لا يشعرون حال ممن ذو حالها قلت ذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون
لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطا عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله
ان فرعون الاية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطايهم وما احسن نظم هذا الكلام
عند المرتاض بعلم محاسن النظم فارغا صفرا من العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها
لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وافئدتهم هوا اي جوف لا عقول فيها ومنه بيت حسان رضه
الا ابلغ ابا سفيان عني فانت مجوف نخب هواء وذلك ان القلوب مراكز العقول الا ترى الى قوله تعالى فتكون لهم
قلوب يعقلون بها ويدل عليه قراءة من قرأ فزعا وقرئ قرعا اي خاليا من قولهم اعوذ بالله من صفر الاناء وقرع الفنا
وفرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدر يعني بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها •
لتبدي به لتصحر به والضمير لموسى والمراد بامره وقصته وانه ولدها لولا ان ربطنا على قلبها بالهام الصبر كما يربط على
الشيء المنفلت ليقر ويطمئن لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك ويجوز واصبح
فؤادها فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي بانه ولدها لانها لم تملك
نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا انا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث منه من شدة الفرح والابتهاج لتكون
من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه وقرئ مؤسى بالهمز جعلت الضمة في جارة الواو وهي الميم
كانها فيها فهمزت كما همزوا وجوه • قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره وقرئ فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن
جنابة بمعنى عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد الى جنبه والى جانبه اي نظرت اليه مزورة
متجانفة مخاتلة وهم لا يحسون بانها اخته وكان اسمها مريم التحريم استعارة للمنع لان من حرم عليه الشيء فقد منعه
الا ترى الى قولهم محظور وحجر وذلك لان الله منعه ان يرضع ثديا فكان لا يقبل ثدي مرضع قط حتى اهمهم ذلك •
والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع او جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي او الرضاع من قبل من قبل قصصها
اثره • وروى انها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف اهله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون والنصح
اخلاص العمل من شائبة الفساد فانطلقت الى امها بامرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه
وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استانس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن انت منه فقد ابى كل ثدي
الا ثديك قالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها وذهبت به
الى بيتها وانجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في علمها ان سيكون نبيا وكذلك قوله ولتعلم ان وعد الله حق
يريد وليثبت علمها ويتمكن فان قلت كيف حل لها ان تاخذ الاجر على رضاع ولدها قلت ما كانت تاخذه على انه اجر
على الرضاع ولكنه مال حربي كانت تاخذه على وجه الاستباحة وقوله ولكن اكثرهم لا يعلمون داخل تحته علمها المعنى
لتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر
موسى فجزعت واصبح فؤادها فارغا يروى انها حين القت التابوت في اليم جاءها الشيطان فقال لها يا ام موسى
كرهت ان يقتل فرعون موسى فتوجري ثم ذهبت فتوليت قتله فلما اتاها الخبر بان فرعون اصابه قالت وقع في
يد العدو فنسيت وعد الله عز وجل ويجوز ان يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه ان الرد انما كان لهذا الغرض
الديني وهو علمها بصدق وعد الله ولكن الاكثر لا يعلمون بان هذا هو الغرض الاصلي الذي ما سواه تبع له من
قرة العين وذهاب الحزن واستوى واعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه كما قال لقيط •
واستحملوا امركم لله دركم شزر المريرة لا قحما ولا ضرعا وذلك اربعون سنة ويروى انه لم يبعث نبي الا على راس
اربعين سنة الحكم والحكمة السنة وحكمة الانبيا سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله
والحكمة وقيل معناه اتيناه سيرة الحكما العلما وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه المدينة مصر وقيل
مدينة منف من ارض مصر وقيل قرية يقال لها حانين على فرسخين من مصر على حين غفلة ما بين العشائين وقيل
وقت القايلة وقيل يوم عيد لهم مشتغلون فيه بلهوهم وقيل لما شب وعقل اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فاخافوه
فلا يدخل قرية الا على تغفل • وقرئ على حين غفلة كقراءة سيبويه فاستغاثه من شيعته ممن شايعه على دينه من بني اسرائيل وقيل هو
السامري من عدوه من مخالفيه من القبط وهو فاتون وكان يتسخر الاسرائيلي يحمل الحطب الى مطبخ فرعون والوكز
الدفع باطراف الاصابع وقيل بجمع الكف وقرأ ابن مسعود رضه فلكزه باللام فقضى عليه فقتله فان قلت لم جعل

قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه قلت لانه قتله قبل ان يؤذن له في القتل فكان ذنبا يستغفر منه
وعن ابن جريج ليس لنبي ان يقتل ما لم يؤمر بما انعمت علي يجوز ان يكون قسما جوابه محذوف تقديره اقسم بانعامك
علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين وان يكون استعطافا كانه قال رب اعصمني بحق ما انعمت علي من المغفرة
فلن اكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثيره سواده حيث
كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من ادت مظاهرته الى الجرم والاثم
كمظاهرة الاسرائيلي المؤدية الى القتل الذي لم يحل له وعن ابن عباس رضه لم يستثن فابتلي به مرة اخرى يعني لم يقل
ان شاء الله وهذا نحو قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا وعن عطاء رضه ان رجلا قال له ان اخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه
قال فمن الراس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فاين قول موسى وتلا هذه الاية • وفي الحديث
ينادي مناد يوم القيامة اين الظلمة واشباه الظلمة واعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة او برى لهم قلما فيجمعون
في تابوت من حديد فيرمى به في جهنم وقيل معناه بما انعمت علي من القوة فلن استعملها الا في مظاهرة اوليائك
واهل طاعتك والايمان بك ولا ادع قبطيا يغلب احدا من بني اسرائيل يترقب المكروه وهو الاستقادة منه او
الاخبار وما يقال فيه ووصف الاسرائيلي بالغوي لانه كان سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر وقرئ يبطش بالضم
والذي هو عدو لهما القبطي لانه ليس على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل والجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب
والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله عز وجل ولما قال
هذا افشى على موسى عليه السلام فانتشر الحديث في المدينة ورقي الى فرعون وهموا بقتله • قيل الرجل مؤمن آل فرعون
وكان ابن عم فرعون ويسعى يجوز ارتفاعه وصفا لرجل وانتصابه حالا عنه لانه قد تخصص بان وصف بقوله من اقصى
المدينة واذا جعل صلة لجاء لم يجز في يسعى الا الوصف والايتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لان
كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء او يشير عليه بامر والمعنى يتشاورون بسببك لك بيان وليس بصلة الناصحين
يترقب التعرض له او ان يلحق تلقاء مدين قصدها ونحوها ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم تكن في
سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسى عليه السلام لا يعرف اليها الطريق قال ابن عباس رضه خرج وليس له علم
بالطريق الا حسن ظنه بربه وسوا السبيل وسطه ومعظم نهجه وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى
سقط خف قدميه وقيل جاءه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به الى مدين ماء مدين ماءهم الذي يستقون منه
وكان بيرا فيما روي وورده مجيئه والوصول اليه وجد عليه على شفيره ومستقاه امة جماعة كثيفة العدد
من الناس من اناس مختلفين من دونهم في مكان اسفل من مكانهم والذود الطرد والدفع وانما كانتا تذودان لان
على الماء من هو اقوى منهما فلا يتمكنان من السقي وقيل كانتا تكرهان المزاحمة على الماء وقيل لئلا تختلط اغنامهما
باغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما ما خطبكما ما شانكما وحقيقته ما مخطوبكما اي
مطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب خطبا كما سمي المشؤون شانا في قولك ما شانك يقال شأنت شانه اي قصدت قصده
وقرئ لا نسقي ونصدر والرعا بضم الراء والرعاء اسم جمع كالرخال والثناء واما الرعاء بالكسر فقياس
كصيام وقيام كبير كبير السن فيسقي لهما فيسقي غنمهما لاجلهما • وروي ان الرعاة كانوا يضعون على راس البير
حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله وحده • وروي انه سالهم دلوا
من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكان لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا
بالبركة وروى غنمهما واصدرهما • وروي انه دفعهم عن الماء حتى سقى لهما وقيل كانت بير اخرى عليها الصخرة وانما فعل
هذا رغبة في المعروف واغاثة للملهوف والمعنى انه وصل الى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه امة من اناس
متكاثفة العدد ورأى الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم فما اخطات همته في دين الله
تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع ولكنه رحمهما فاغاثهما وكفاهما امر السقي
في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما آتاه الله من الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلة وفيه
مع ارادة اقتصاص امره وما اوتي من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان به من انتهاز فرصة
الاحتساب ترغيب في الخير وانتهاز فرصه وبعث على الاقتدا في ذلك بالصالحين والاخذ بسيرهم ومذاهبهم
فان قلت لم ترك المفعول غير مذكور في قوله يسقون وتذودان ولا نسقي قلت لان الغرض هو الفعل
لا المفعول الا ترى انه انما رحمهما لانهما كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما لان مذودهما غنم
ومسقيهم ابل مثلا وكذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعا المقصود فيه السقي لا المسقي فان قلت كيف
طابق جوابهما سؤاله قلت سالهما عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك انا امرأتان ضعيفتان مستورتان
لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تاخير السقي الى ان يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك
وابونا شيخ قد اضعفه الكبر لا يصلح للقيام به ابلتا اليه عذرهما في توليهما السقي بانفسهما فان قلت كيف ساغ
لنبي الله الذي هو شعيب عليه السلام ان يرضى لابنتيه بسقي الماشية قلت الامر في نفسه ليس بمحظور فالدين لا ياباه واما المروءة فالناس مختلفون في ذلك والعادات متباينة فيه واحوال العرب فيه خلاف
احوال العجم ومذهب اهل البدو غير مذهب اهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة لما
انزلت الي قليل او كثير غث او سمين لفقير وانما عدى فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب قيل ذكر ذلك لاي شيء

وإن خضرة البقل تتراءى في بطنه من الهزال ما سأل الله إلا أكلة. ويحتمل أن يريد إني فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت إليّ من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لأنه كان عند فرعون في ملك وثروة، قال ذلك رضا بالبدل السني وفرحا به وشكرا له. وكان الظل ظل سمرة. **على استحياء** في موضع الحال أي مستحيية متخفرة. وقيل قد استترت بكم درعها. روي أنهما لما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفّل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لإحداهما اذهبي فادعيه لي فتبعها موسى عليه السلام فألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق. **فلما قص عليه** قصته قال لا تخف فلا سلطان لفرعون في أرضنا. **فإن قلت** كيف ساغ لموسى أن يعمل بقول امرأة وأن يمشي معها وهي أجنبية. **قلت** أما العمل بقول امرأة فكما يعمل بقول الواحد حرا كان أو عبدا ذكرا كان أو أنثى في الأخبار وما كانت إلا مخبرة عن أبيها بأنه يدعوه ليجزيه. وأما مماشاته امرأة أجنبية فلا بأس بها في نظائر تلك الحال مع ذلك الاحتياط والتورع. **فإن قلت** كيف صح له أخذ الأجر على البر والمعروف. **قلت** يجوز أن يكون فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل البر والمعروف وقبل إطعام شعيب وإحسانه لا على سبيل أخذ الأجر ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف وقد قص عليه قصصه وعرّفه أنه من بيت النبوة من أولاد يعقوب ومثله حقيق بأن يضيّف ويكرم خصوصا في دار نبي من أنبياء الله وليس بمنكر أن يفعل ذلك لاضطرار الفقر والفاقة طلبا للأجر. وقد روي ما يعضد ذلك أولا: روي أنها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم إليه الطعام امتنع وقال إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الأرض ذهبا ولا نأخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا. وعن عطاء بن السائب رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له ليجزيك أجر ما سقيت أي جزاء سقيك. والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص. كبراهما كانت تسمى صفرا والصغرى صفيرا وصغرى هي التي ذهبت به وطلبت إلى أبيها أن يستأجره وهي التي تزوجها. وعن ابن عباس رضي الله عنه أن شعيبا أحفظته الغيرة فقال وما علمك بقوته وأمانته فذكرت إقلال الحجر ونزع الدلو وأنه صوّب رأسه حتى بلغته رسالته وأمرها بالمشي خلفه. وقولها **إن خير من استأجرت القوي الأمين** كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان أعني الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك. وقد استغنت بإرسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل والحكمة أن تقول استأجره لقوته وأمانته. **فإن قلت** كيف جعل خير من استأجرت اسما لإن والقوي الأمين خبرا. **قلت** هو مثل قوله:
ألا إن خير الناس حيا وهالكا ... أسير ثقيف عندهم في السلاسل
في أن العناية هي سبب التقديم وقد صدقت حتى جعل لها ما هو أحق بأن يكون خبرا اسما. وورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة على أنه أمر قد جرب وعرف. ومنه قولهم أهون ما أعملت لسان ممخ. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أفرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى أن ينفعنا وأبو بكر في عمر. روي أنه أنكحه صفورا. وقوله **هاتين** فيه دليل على أنه كانت له غيرهما. **تأجرني** من أجرته إذا كنت له أجيرا كقولك أبوته إذا كنت له أبا. وثماني حجج ظرفه أو من أجرته كذا إذا أثبته إياه ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه وسلم آجركم الله ورحمكم وثماني حجج مفعول به ومعناه رعية ثماني حجج. **فإن قلت** كيف صح أن ينكحه إحدى ابنتيه من غير تمييز. **قلت** لم يكن ذلك عقدا للنكاح ولكن مواعدة ومواضعة أمر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال قد أنكحتك ولم يقل إني أريد أن أنكحك. **فإن قلت** فكيف صح أن يمهرها إجارة نفسه في رعية الغنم ولا بد من تسليم ما هو مال ألا ترى أن أبا حنيفة كيف منع أن يتزوج امرأة بأن يخدمها سنة وجوّز أن يتزوجها بأن يخدم لها عبده سنة أو يسكنها داره سنة لأنه في الأول مسلم نفسه وليس بمال وفي الثاني مسلم مالا وهو العبد أو الدار. **قلت** الأمر على مذهب أبي حنيفة على ما ذكرت وأما الشافعي فقد جوّز التزوج على الإجارة لبعض الأعمال والخدمة إذا كان المستأجر له أو المخدوم فيه أمرا معلوما ولعل ذلك كان جائزا في تلك الشريعة. ويجوز أن يكون المهر شيئا آخر وإنما أراد أن يكون راعي غنمه هذه المدة وأراد أن ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الإنكاح بالرعية على معنى إني أفعل هذا إذا فعلت ذلك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة. ويجوز أن يستأجره لرعيه ثماني سنين بمبلغ معلوم ويوفيه إياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على أن تأجرني ثماني حجج عبارة عما جرى بينهما. **فإن أتممت عشرا فمن عندك** فإتمامه من عندك والمعنى فهو من عندك لا من عندي يعني لا ألزمكه ولا أحتمه عليك ولكنك إن فعلته فهو منك تفضل وتبرع وإلا فلا عليك. **وما أريد أن أشق عليك** بإلزام أتم الأجلين وإيجابه. **فإن قلت** ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الأمر. **قلت** حقيقته أن الأمر إذا تعاظمك فكأنه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة أطيقه وتارة لا أطيقه. أو وعده المساهلة والمسامحة من نفسه وأنه لا يشق عليه فيما استأجره له من رعي غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل بعض المعاسير من المسترعين من المناقشة في مراعاة الأوقات والمداقة في استيفاء الأعمال وتكليف الرعاة أشغالا خارجة عن حد الشرط. وهكذا كان الأنبياء عليهم السلام آخذين بالأسمح في معاملات الناس. ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكي فكان خير شريك لا يداري ولا يشاري ولا يماري. وقوله **ستجدني إن شاء الله من الصالحين** يدل على ذلك يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطأة الخلق ولين الجانب. ويجوز أن يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال

على

على توفيقه فيه ومعونته لا أنه يستعمل الصلاح إن شاء الله وإن شاء استعمل خلافه. **ذلك** مبتدأ وما بعده خبره وهو إشارة إلى ما عاهده عليه شعيب يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا نخرج كلانا عنه لا أنا عما شرطت عليّ ولا أنت عما شرطت على نفسك ثم قال أي أجل قضيت من الأجلين أطولهما الذي هو العشر ~~لا عدوان ولا إشكال فيه فكذلك إن طولبت بالزيادة~~ أو أقصرهما وهو الثماني **فلا عدوان عليّ** أي لا يعتدى عليّ في طلب الزيادة عليه. **فإن قلت** تصور العدوان إنما هو في أحد الأجلين الذي هو الأقصر وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعلق العدوان بهما جميعا. **قلت** معناه كما أني إن طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا لا شك فيه فكذلك إن طولبت بالزيادة على الثماني أراد بذلك تقرير أمر الخيار وأنه ثابت مستقر وأن الأجلين على السواء إما هذا وإما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء. وأما التتمة فموكولة إلى رأيي إن شئت أتيت بها وإلا لم أجبر عليها. وقيل معناه فلا أكون معتديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا إثم عليّ ولا تبعة عليّ. وفي قراءة ابن مسعود أي الأجلين ما قضيت. وقرئ أيما بسكون الياء كقوله:
تنظرت نصرا والسماكين أيهما ... عليّ من الغيث استهلت مواطره
وعن ابن قطيب عدوان بالكسر. **فإن قلت** ما الفرق بين موقعي ما المزيدة في القراءتين. **قلت** وقعت في المستفيضة مؤكدة لإبهام أي زائدة في شياعها وفي الشاذة تأكيدا للقضاء كأنه قال أي الأجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتي له. **الوكيل** الذي وكل إليه الأمر ولما استعمل في موضع الشاهد والمهيمن والمقيت عدي بعلى لذلك. روي أن شعيبا كانت عنده عصي الأنبياء عليهم السلام فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده إلا هي سبع مرات فعلم أن له شأنا. وقيل أخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي بها موسى عليه السلام ليلا. وقيل أودعها شعيبا ملك في صورة رجل فأمر بنته أن تأتيه بعصا فأتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها إليه ثم ندم لأنها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع فأتاهما الملك فقال ألقياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى. وعن الحسن ما كانت إلا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا. وعن الكلبي الشجرة التي نودي منها شجرة العوسج ومنها كانت عصاه. ولما أصبح قال له شعيب إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فإن الكلأ وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا بالتنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع إلى شعيب مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا وقال إني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع ودرعاء. فأوحى الله إليه في المنام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم أسقى فما أخطأت واحدة إلا وضعت أدرع ودرعاء فوفى له بشرطه. سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأجلين قضى موسى فقال أبعدهما وأبطأهما. وروي أنه قال قضى أوفاهما وتزوج صغراهما. وهذا خلاف الرواية التي سبقت. **الجذوة** باللغات الثلاث. وقرئ بهن جميعا العود الغليظ كانت في رأسه نار أو لم يكن. قال كثير:
باتت حواطب ليلى يلتمسن لها ... جزل الجذى غير خوار ولا دعر
وقال:
والقى على قبس من النار جذوة ... شديدا عليها حرها والتهابها
من الأولى والثانية لابتداء الغاية أي أتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة. ومن الشجرة بدل من قوله من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لأن الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا. وقرئ **الرهب** بالضم والفتح والرهب بفتحتين وضمتين والرهب بفتح وسكون وضم وسكون وهو الخوف. **فإن قلت** ما معنى قوله **واضمم إليك جناحك من الرهب**. **قلت** فيه معنيان أحدهما أن موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له إن اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران اجتناب ما هو غضاضة عليك وإظهار معجزة أخرى. والمراد بالجناح اليد لأن يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضم جناحه إليه. والثاني أن يراد بضم جناحه إليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما وإلا فجناحاه مضمومان إليه مشمران. ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أن كاتبا له كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الأرض فقال له عمر خذ قلمك واضمم إليك جناحك وليفرخ روعك فإني ما سمعتها من أحد أكثر مما سمعتها من نفسي. ومعنى قوله **من الرهب** من أجل الرهب أي إذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم إليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا وعلة فيما أمر به من ضم جناحه إليه. ومعنى واضمم إليك جناحك وقوله اسلك يدك في جيبك على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وإنما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك أن الغرض في أحدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني إخفاء الرهب. **فإن قلت** قد جعل الجناح وهو اليد في أحد الموضعين مضموما

مضموماً وفي الآخر مضموماً إليه وذلك قوله واضمم إليك جناحك وقوله واضمم يدك إلى جناحك فكيف التوفيق بينهما
قلت المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم إليه اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين
ويسراهما جناح. ومن بدع التفاسير أن الرهب الكم بلغة حمير وأنهم يقولون أعطني مما في رهبك وليت شعري
كيف صحته في اللغة وهل سمع من الأثبات الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعري كيف موقعه في
الآية وكيف تطبيقه بالمفصل كسائر كلمات التنزيل على أن موسى صلوات الله عليه ليلة المناجاة ما كان عليه إلا زرمانقة
من صوف لا كمي لها. فذانك قرئ مخففاً ومشدداً فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك. برهانان حجتان بينتان نيرتان
فإن قلت لم سميت الحجة برهاناً قلت لبياضها وإنارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام
والدليل على زيادة النون قولهم أبره الرجل إذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم إياها سلطاناً
من السليط وهو الزيت لإنارتها. يقال ردأته أعنته. والردء اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول به كما
أن الدفء اسم ما يدفأ به قال سلامة بن جندل: وردئي كل أبيض مشرفي شحيذ الحد عضب ذي فلول. وقرئ
رداً على التخفيف كما قرئ الخب. يصدقني بالرفع والجزم صفة وجواب نحو وليا يرثني. فإن قلت
تصديق أخيه ما الفائدة فيه قلت ليس الغرض بتصديقه أن يقول له صدقت أو يقول للناس
صدق موسى وإنما هو أن يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل
المنطيق ذو العارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان ألا ترى إلى قوله
وأخي هرون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لذلك لا لقوله صدقت
فإن سحبان وباقلاً يستويان فيه أو يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه الذي يخاف تكذيبه فأسند
التصديق إلى هرون لأنه السبب فيه إسناداً مجازياً. ومعنى الإسناد المجازي أن التصديق حقيقة
في المصدق فإسناده إليه حقيقة وليس في السبب تصديق ولكن استعير له الإسناد لأنه لابس التصديق
بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه قوله إني أخاف أن يكذبون. وقراءة من قرأ رداً
يصدقوني وفيها تقوية للقراءة بجزم يصدقني. العضد قوام اليد وبشدتها تشتد قال طرفة
أبني لبينى لستم بيد إلا يداً ليست لها عضد. ويقال في دعاء الخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله في عضدك
ومعنى سنشد عضدك بأخيك سنقويك به ونعينك فإما أن يكون ذلك لأن اليد تشتد بشدة العضد
والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الأمور وإما لأن الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد
فجعل كأنه يد مشتدة بعضد شديدة. سلطاناً غلبة وتسلطاً أو حجة واضحة. بآياتنا يتعلق بنحو ما تعلق به
في تسع آيات أي اذهبا بآياتنا أو بنجعل لكما سلطاناً بآياتنا أو بلا يصلون أي تمتنعون منهم بآياتنا أو
هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقدم الصلة على الموصول ولو تأخر لم يحسن أن يكون صلة له ويجوز أن يكون
قسماً جوابه لا يصلون مقدماً عليه أو من لغو القسم. سحر مفترى سحر تعمله أنت ثم تفتريه على الله
أو سحر ظاهر افتراؤه أو موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله. في آبائنا حال منصوب
عن هذا أي كائناً في زمانهم وأيامهم. يريدون ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو من أن يكونوا كاذبين في ذلك
وقد سمعوا وعلموا بنحوه أو يريدوا أنهم لم يسمعوا بمثله فيحقق عنده أو ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى ومجيئه
بما جاء به وهذا دليل على أنهم حجوا وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم به من الآيات إلا قولهم هذا سحر
وبدعة لم يسمعوا بمثلها. يقول ربي أعلم منكم بحال من أهله الله للفلاح الأعظم حيث جعله نبياً وبعثه
بالهدى ووعده حسن العقبى يعني نفسه ولو كان كما تزعمون كاذباً ساحراً مفترياً لما أهله لذلك لأنه غني حكيم
فلا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون. وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة والدليل عليه
قوله عز وعلا أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا
وعاقبتها وعقباها أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى عند الموت. فإن قلت
العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح أن تسمى عاقبة الدار لأن الدنيا إما أن تكون خاتمتها بخير
أو بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر قلت قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازاً إلى الآخرة
وأراد بعباده أن لا يعملوا فيها إلا الخير وما خلقهم إلا لأجله ليتلقوا خاتمة الخير وأما عاقبة السوء
فلا اعتداد بها لأنها من نتائج تحريف الفجار. وقرأ ابن كثير قال موسى بغير واو وهي في مصاحف أهل مكة وهي
قراءة حسنة لأن الموضع موضع سؤال وبحث عما أجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة سحراً
مفترى ووجه الأخرى أنهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد أحدهما
وصحة الآخر وبضدها تتبين الأشياء. ومن يكون بالياء والتاء. روي أنه لما أمر ببناء الصرح جمع هامان العمال
حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء وأمر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير
فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان أحد من الخلق فكان الباني لا يقدر أن يقوم على رأسه يبني فبعث الله
جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت
ألف ألف رجل ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق أحد من عماله إلا هلك. ويروى في هذه القصة

ان فرعون

أن فرعون لعنه الله ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فأراد الله أن يفتنهم فردت إليه وهي ملطوخة بالدم
فقال قد قتلت إله موسى فعندها بعث الله جبريل لهدمه والله أعلم بصحته. قصد بنفي علمه بإله غيره نفي وجوده
معناه ما لكم من إله غيري كما قال عز وجل قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض معناه بما ليس فيهن
وذلك لأن العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به إلا على ما هو عليه فإذا كان الشيء معدوماً لم يتعلق به موجوداً
فمن ثم كان انتفاء العلم بوجوده لانتفاء وجوده وعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده. ويجوز أن يكون
على ظاهره وأن إلهاً غيره غير معلوم عنده ولكنه مظنون بدليل قوله وإني لأظنه من الكاذبين. وإذا ظن
موسى كاذباً في إثباته إلهاً غيره ولم يعلمه كاذباً فقد ظن أن في الوجود إلهاً غيره. ولو لم يكن المخذول ظاناً ظناً
كاليقين بل عالماً بصحة قول موسى لقول موسى له لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر
لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولما تعب في بنيانه ما تعب لعله يطلع بزعمه إلى إله موسى وإن كان جاهلاً
مفرط الجهل به وبصفاته حيث حسب أنه في مكان كما كان هو في مكان وأنه يطلع إليه إذا قعد في عليته
وأنه ملك السماء كما أنه ملك الأرض ولا ترى بينة أثبت شهادة على إفراط جهله وغباوته وجهل ملئه وغباوتهم
من أنهم راموا نيل أسباب السموات بصرح يبنونه وليت شعري أكان يلبس على أهل بلاده ويضحك من عقولهم
حيث صادفهم أغبى الناس وأخلاهم من الفطن وأشبههم بالبهائم بذلك أم كان في نفسه بتلك الصفة وإن صح
ما حكي من رجوع النشابة إليه ملطوخة بالدم فتهكم به بالفعل كما جاء التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله
بنظرائه من الكفرة. ويجوز أن يفسر الظن على القولين الأولين باليقين كقوله: فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج.
ويكون بناء الصرح مناقضاً لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم أو لم تخف عليهم
ولكن كلا كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه. وإنما قال فأوقد لي يا هامان على الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه لأنه
أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولأن هذه العبارة أحسن طباقاً لفصاحة القرآن وعلو طبقته وأشبه
بكلام الجبابرة وأمر هامان وهو وزيره ورديفه بالإيقاد على الطين منادى باسمه بيا في وسط الكلام دليل التعظيم
والتجبر. وعن عمر أنه حين سافر إلى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر قال ما علمت أن أحداً بنى بالآجر
غير فرعون. والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع بمعنى. الاستكبار بالحق إنما هو لله عز وجل وهو
المتكبر على الحقيقة أي المبالغ في كبرياء الشأن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة إزاري
فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق. يرجعون بالضم والفتح. فأخذناه
وجنوده فنبذناهم من الكلام المفخم الذي دل به على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه شبههم استحقاراً لهم
واستقلالاً لعددهم وإن كانوا الكثر الكثير والجم الغفير بحصيات أخذهن آخذ في كفه فطرحهن في البحر ونحو ذلك
قوله وألقينا فيها رواسي شامخات وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره
والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وما هي إلا تصويرات وتمثيلات لاقتداره وأن
كل مقدور وإن عظم وجل فهو مستصغر إلى جنب قدرته. فإن قلت ما معنى قوله وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار
قلت معناه ودعوناهم أئمة دعاة إلى النار وقلنا إنهم أئمة دعاة إلى النار كما يدعى خلفاء الحق
أئمة دعاة إلى الجنة وهو من قولك جعله بخيلاً وفاسقاً إذا دعاه وقال إنه بخيل وفاسق ويقول
أهل اللغة في تفسير فسقه وبخله جعله بخيلاً وفاسقاً. ومنه قوله عز وعلا وجعلوا الملائكة الذين هم
عباد الرحمن إناثاً ومعنى دعوتهم إلى النار دعوتهم إلى موجباتها من الكفر والمعاصي. ويوم القيامة لا ينصرون
كما ينصر الأئمة الدعاة إلى الجنة ويجوز خذلناهم حتى كانوا أئمة الكفر ومعنى الخذلان منع الألطاف
وإنما يمنعها من علم أنها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذي لا تغني عنه الآيات والنذر ومجراه مجرى
الكناية لأن منع الألطاف يردف التصميم والغرض بذكره التصميم نفسه فكأنه قيل صمموا على الكفر حتى كانوا
أئمة فيه دعاة إليه وإلى سوء عاقبته. فإن قلت فأي فائدة في ترك المردوف إلى الرادف قلت ذكر الرادف
يدل على وجود المردوف فيعلم وجود المردوف مع الدليل الشاهد بوجوده فيكون أقوى لإثباته من ذكره ألا ترى
أنك تقول لولا أنه مصمم على الكفر مقطوع أمره مبتوت حكمه لما منعت منه الألطاف فبذكر منع الألطاف
يحصل العلم بوجود التصميم على الكفر وزيادة وهو قيام الحجة على وجوده وتقرير هذا الوجه قوله ويوم القيامة
لا ينصرون كأنه قيل وخذلناهم في الدنيا وهم يوم القيامة مخذولون. وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة أي طرداً
لهم وإبعاداً عن الرحمة. ويوم القيامة هم من المقبوحين أي من المطرودين المبعدين. بصائر نصب على الحال والبصيرة
نور القلب الذي يستبصر به كما أن البصر نور العين الذي يبصر به يريد آتيناه التوراة أنواراً للقلوب
لأنها كانت عمياً لا تستبصر ولا تعرف حقاً من باطل وإرشاداً لأنهم كانوا يخبطون في ضلال ورحمة لأنهم لو عملوا بها
وصلوا إلى نيل الرحمة. لعلهم يتذكرون إرادة أن يتذكروا شبهت الإرادة بالترجي فاستعير لها ويجوز أن يراد
ترجي موسى لتذكرهم كقوله لعله يتذكر. الغربي المكان الواقع في شق الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات
موسى من الطور وكتب الله له في الألواح. والأمر المقضي إلى موسى الوحي الذي أوحي إليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول وما كنت حاضراً المكان الذي أوحينا فيه إلى موسى ولا كنت من جملة الشاهدين للوحي إليه أو على الوحي إليه

وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى في ميقاته وكتبة
التوراة له في الألواح وغير ذلك فإن قلت كيف يتصل قوله ولكنا أنشأنا قروناً بهذا الكلام ومن أي وجه يكون
استدراكاً له قلت اتصاله به وكونه استدراكاً له من حيث أن معناه ولكنا أنشأنا بعد عهد الوحي
إلى عهدك قروناً كثيرة فتطاول على آخرهم وهو القرن الذي أنت فيهم العمر أي أمد انقطاع الوحي واندرست
العلوم فوجب إرسالك إليهم فأرسلناك وكسبناك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى كأنه قال وما كنت
شاهداً لموسى وما جرى عليه ولكنا أوحيناه إليك فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة الفترة ودل به على
المسبب على عادة الله في اختصاراته فإذن هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده وما كنت ثاوياً أي مقيماً
في أهل مدين وهم شعيب والمؤمنون به تتلوا عليهم آياتنا تقرؤها عليهم تعلماً منهم يريد الآيات التي فيها
قصة شعيب وقومه ولكنا أرسلناك وأخبرناك بها وعلمناكها إذ نادينا يريد مناداة موسى ليلة
المناجاة وتكليمه ولكن علمناك رحمة وقرئ رحمة بالرفع أي هي رحمة ما أتاهم من نذير في زمان الفترة
بينك وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة ونحوه قوله لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم لولا الأولى امتناعية
وجوابها محذوف والثانية تحضيضية وإحدى الفاءين للعطف والأخرى جواب لولا لكونها في حكم الأمر
من قبل أن الأمر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والمعنى ولولا أنهم قائلون
إذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا أرسلت إلينا رسولاً محتجين علينا بذلك لما أرسلنا
إليهم يعني أن إرسال الرسول إليهم إنما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل أن يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك فإن قلت كيف استقام
هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الإرسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه قلت
القول هو المقصود بأن يكون سبباً لإرسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده
بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب الإرسال بواسطة القول فأدخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفاً
عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه إلى قولك ولولا قولهم هذا إذا أصابتهم مصيبة
لما أرسلنا ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهي أنهم لو لم يعاقبوا مثلاً على كفرهم وقد عاينوا ما ألجئوا به
إلى العلم اليقين لم يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولاً وإنما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف
على ما فاتهم من الإيمان بخالقهم وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى
كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما كانت أكثر الأعمال تزاول بالأيدي جعل كل عمل معبراً عنه
باجتراح الأيدي وتقديم الأيدي وإن كان من أعمال القلوب وهذا من الاتساع في الكلام وتصيير الأقل
تابعاً للأكثر وتغليب الأكثر على الأقل فلما جاءهم الحق وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات
وقطعت معاذيرهم وسد طريق احتجاجهم قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن
قلب العصا حية وفلق البحر وغيرها من الآيات فجاءوا بالاقتراحات المبنية على التعنت والعناد كما
قالوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وما أشبه ذلك أو لم يكفروا يعني أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم
وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى بما أوتي موسى وعن الحسن قد كان للعرب أصل في أيام
موسى فمعناه على هذا أو لم يكفر آباؤهم قالوا في موسى وهرون ساحران تظاهرا أي تعاونا وقرئ اظاهرا
على الإدغام وسحران بمعنى ذوا سحر أو جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر إنا بكل
بكل واحد منهما فإن قلت بم علقت قوله من قبل في هذا التفسير قلت بأو لم يكفروا ولي أن أعلقه بأوتي
فينقلب المعنى إلى أن أهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد عليه السلام وبالقرآن فقد كفروا بموسى وبالتوراة
وقالوا في موسى ومحمد ساحران تظاهرا أو في الكتابين سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط إلى رؤساء
اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد عليه السلام فأخبروهم أنه نعته وصفته وأنه في كتابهم فرجع الرهط إلى قريش
فأخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا هو أهدى منهما مما أنزل على موسى ومما أنزل علي هذا
الشرط من نحو ما ذكرت أنه شرط المدل بالأمر المتحقق لصحته لأن امتناع الإتيان بكتاب أهدى من الكتابين أمر
معلوم متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز أن يقصد بحرف الشك التهكم به فإن قلت ما الفرق بين فعل الاستجابة في الآية
وبينه في قوله ٥ فلم يستجبه عند ذاك مجيب ٥ حيث عدي بغير اللام قلت هذا الفعل يتعدى إلى الدعاء بنفسه
وإلى الداعي باللام ويحذف الدعاء إذا عدي إلى الداعي في الغالب فيقال استجاب الله دعاءه واستجاب له ولا يكاد يقال
استجاب له دعاءه وأما البيت فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف فإن قلت الاستجابة تقتضي دعاء فأين الدعاء
قلت قوله فأتوا بكتاب أمر بالإتيان والأمر بعث على الفعل ودعاء إليه فكأنه قال فإن لم يستجيبوا دعاءك
إلى الإتيان بالكتاب الأهدى فاعلم أنهم قد ألزموا ولم تبق لهم حجة إلا اتباع الهوى ثم قال ومن أضل ممن لا يتبع
في دينه إلا الهوى بغير هدى أي مطبوعاً على قلبه ممنوع الألطاف إن الله لا يهدي أي لا يلطف بالقوم
الثابتين على الظلم الذين اللطف بهم عابث وقوله بغير هدى في موضع الحال يعني مخذولاً مخلى بينه وبين هواه
وقرئ وصلنا بالتشديد والتخفيف والمعنى أن القرآن أتاهم متتابعاً متواصلاً وعداً ووعيداً وقصصاً

وعبراً

وعبراً ومواعظ ونصائح إرادة أن يتذكروا فيفلحوا أو نزل عليهم نزولاً متصلاً بعضه في أثر بعض كقوله وما يأتيهم
من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين نزلت في مؤمني أهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظة نزلت
في عشرة أنا أحدهم وقيل في أربعين من مسلمي أهل الإنجيل اثنان وثلاثون جاءوا مع جعفر من أرض الحبشة
وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقرآن فإن قلت أي فرق بين الاستئنافين إنه وإنا قلت
الأول تعليل للإيمان به لأن كونه حقاً من الله حقيق بأن يؤمن به والثاني بيان لقوله آمنا به لأنه يحتمل
أن يكون إيماناً قريب العهد وبعيده فأخبروا أن إيمانهم به متقادم لأن آباءهم القدماء قرءوا في الكتب
الأول ذكره وأبناءهم من بعدهم من قبله من قبل وجوده ونزوله مسلمين كائنين على دين الإسلام لأن
الإسلام صفة كل موحد مصدق للوحي بما صبروا بصبرهم على الإيمان بالتوراة والإيمان بالقرآن أو بصبرهم
على الإيمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب ونحوه يؤتكم كفلين من رحمته
بالحسنة السيئة بالطاعة المعصية المتقدمة أو بالحلم الأذى سلام عليكم توديع ومتاركة وعن الحسن كلمة
حلم من المؤمنين لا نبتغي الجاهلين لا نريد مخالطتهم وصحبتهم فإن قلت من خاطبوا بقولهم ولكم أعمالكم قلت
اللاغين الذين دل عليهم قوله وإذا سمعوا اللغو لا تهدي من أحببت لا تقدر أن تدخل في الإسلام كل من أحببت
أن يدخل فيه من قومك وغيرهم لأنك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره ولكن الله يدخل في الإسلام
من يشاء وهو الذي علم أنه غير مطبوع على قلبه وأن الألطاف تنفع فيه فيقرن به ألطافه حتى تدعوه إلى
القبول وهو أعلم بالمهتدين بالقابلين من الذين لا يقبلون قال الزجاج أجمع المسلمون أنها نزلت في أبي طالب وذلك أن
أبا طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم أطيعوا محمداً وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي عم تأمرهم
بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخي قال أريد منك كلمة واحدة فإنك في آخر يوم من أيام
الدنيا أن تقول لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله قال يا ابن أخي قد علمت أنك لصادق ولكني أكره أن يقال
جزع عند الموت ولولا أن تكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة ومسبة لقلتها ولأقررت بها عينك عند
الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد
مناف قالت قريش وقيل إن القائل الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف
إن اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وإنما نحن أكلة رأس أي قليلون أن يتخطفونا من أرضنا فألقمهم الله الحجر
بأنه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت وآمن قطانه بحرمته وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون
ويتناحرون وهم آمنون في حرمهم لا يخافون وبحرمة البيت هم قارون بواد غير ذي زرع والثمرات والأرزاق
تجبى إليهم من كل أوب فإذا خولهم الله ما خولهم من الأمن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة
أصنام فكيف يستقيم أن يعرضهم للتخوف والتخطف ويسلبهم الأمن إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة الإسلام
وإسناد الأمن إلى أهل الحرم حقيقة وإلى الحرم مجاز يجبى إليه تجلب وتجمع وقرئ بالياء والتاء وقرئ تجنى بالنون
من الجنى وتعديته بإلى كقولك يجنى إلى فيه ويجنى إلى الخافة وثمرات بضمتين وضمة وسكون ومعنى الكلية
الكثرة كقوله وأوتيت من كل شيء ولكن أكثرهم لا يعلمون متعلق بقوله من لدنا أي قليل منهم يقرون بأن ذلك
رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له ولو علموا أنه من عند الله لعلموا أن
الخوف من عنده ولما خافوا التخطف إذا آمنوا به وخلعوا أنداده فإن قلت بم انتصب رزقاً قلت إن
جعلته مصدراً جاز أن ينتصب بمعنى ما قبله لأن معنى تجبى إليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء واحد وأن
يكون مفعولاً له وإن جعلته بمعنى مرزوق كان حالاً من الثمرات لتخصصها بالإضافة كما ينتصب عن النكرة
المتخصصة بالصفة هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من إنعام الله عليهم
بالرقود في ظلال الأمن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالأشر والبطر فدمرهم الله وخرب
ديارهم وانتصبت معيشتها إما بحذف الجار وإيصال الفعل كقوله واختار موسى قومه وإما على الظرف
بنفسها كقولك زيد ظني مقيم أو بتقدير حذف الزمان المضاف أصله بطرت أيام معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج
وإما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو أن لا يحفظ حق الله فيه إلا قليلاً
من السكنى قال ابن عباس لم يسكنها إلا المسافر ومار الطريق يوماً أو ساعة ويحتمل أن شؤم معاصي المهلكين بقي
أثره في ديارهم فكل من سكنها من أعقابهم لم يبق فيها إلا قليلاً وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها
أي تركناها على حال لا يسكنها أحد أو خربناها وسويناها بالأرض قال ٥ تتخلف الآثار عن أصحابها ٥
حيناً ويدركها الفناء فتتبع ٥ وما كان عادة ربك أن يهلك القرى في كل وقت حتى يبعث في القرية التي
هي أمها أي أصلها وقصبتها التي هي أعمالها وتوابعها رسولاً لإلزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه أنهم لا يؤمنون
أو وما كان في حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى في الأرض حتى يبعث في أم القرى يعني مكة رسولاً وهو
محمد خاتم الأنبياء وقرئ في إمها بضم الهمزة وكسرها لاتباع الجر وهذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم
حيث أخبر بأنه لا يهلكهم إلا إذا استحقوا الإهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين إلا بعد تأكيد

الحجة والالزام ببعثة الرسل ولا يجعل علمه باحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته ان يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون فنص في قوله بظلم انه لو اهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما
منه وان حاله في غناه وحكمته منافية للظلم ودل على ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال وما كان الله ليضيع ايمانكم
واي شي اصبتموه من اسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة اياما قلائل وهي مدة الحياة المتقضية وما عند الله
وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك وابقى لان بقاءه دائم سرمد وقرئ يعقلون بالياء وهو ابلغ في الموعظة
وعن ابن عباس ان الله خلق الدنيا وجعل اهلها ثلاثة اصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود
والمنافق يتزين والكافر يتمتع هذه الاية تقرير وايضاح للتي قبلها والوعد الحسن الثواب لانه منافع دائمة
على وجه التعظيم والاستحقاق واي شي احسن منها ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى ولاقيه كقوله ولقاهم نضرة
وسرورا وعكسه فسوف يلقون غيا من المحضرين من الذين احضروا النار ونحوه لكنت من المحضرين فكذبوه فانهم
لمحضرون قيل نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي جهل لعنه الله وقيل في علي وحمزة وابي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد
بن المغيرة فان قلت فسر لي الفاءين وثم واخبرني عن مواقعها قلت قد ذكر في الاية التي قبلها متاع الحياة الدنيا
وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله افمن وعدناه على معنى ابعد هذا التفاوت يسوى بين ابناء
الاخرة وابناء الدنيا فهذا معنى الفاء الاولى وبيان موقعها واما الثانية فللتسبيب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد
الذي هو الضمان في الخير واما ثم فلتراخي حال الاحضار عن حال التمتيع لا للتراخي وقته عن وقته وقرئ ثم هو
بسكون الهاء كما قيل عضد في عضد تشبيها للمنفصل بالمتصل وسكون الهاء في فهو وهو لهو احسن لان الحرف الواحد
لا ينطق به وحده فهو كالمتصل شركاءي مبني على زعمهم وفيه تهكم فان قلت زعم يطلب مفعولين كقوله
ولم ازعمك عن ذاك معزلا فاين هما قلت محذوفان تقديره الذين كنتم تزعمونهم شركاءي ويجوز حذف
في باب ظننت ولا يصح الاقتصار على احدهما الذين حق عليهم القول الشياطين او ائمة الكفر ورؤسهم ومعنى حق
عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهولاء مبتدا والذين
صفته والراجع الى الموصول محذوف واغويناهم الخبر والكاف صفة مصدر محذوف تقديره اغويناهم فغووا غيا
مثل ما غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا لا ان فوقنا مغوين اغوونا بقسر منهم والجاء او دعونا الى
الغي وسولوه لنا فهولاء كذلك غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا والجاء
فلا فرق اذن بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم
الى الايمان بما وضع فيهم من ادلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد
والوعيد والمواعظ والزواجر وناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان وهذا المعنى ما حكاه الله
عز وجل عن الشيطان ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم موعدي وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم والله عز وجل قد قدم هذا المعنى اول شي حيث قال
لابليس ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تبرانا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر
بانفسهم هوى منهم للباطل ومقتا للحق لا بقوة منا على استكراههم ولا سلطان ما كانوا ايانا يعبدون انما كانوا
يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى لو انهم
كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او لو انهم كانوا مهتدين مؤمنين لما راوه او تمنوا لو كانوا
مهتدين او تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون طريقا حكى اولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء
ثم بقوله ما يقوله الشياطين او ائمتهم عند توبيخهم لانهم اذا وبخوا بعبادة الالهة اعتذروا بان الشياطين
هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها ثم ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم الهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم
ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل فعميت عليهم الانباء فصارت الانباء كالعمى
عليهم جميعا لا تهتدي اليهم فهم لا يتساءلون لا يسال بعضهم بعضا كما يتساءل الناس في المشكلات لانهم يتساوون
جميعا في عمى الانباء عليهم والعجز عن الجواب وقرئ فعميت والمراد بالنبا الخبر عما اجاب به المرسل اليهم رسوله
واذا كانت الانبياء لهول ذلك اليوم يتتعتعون في الجواب عن مثل هذا السؤال ويفوضون الامر الى علم
الله وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب فما ظنك
بالضلال من اممهم فاما من تاب من المشركين من الشرك وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان
يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق ويجوز ان يراد ترجي التائب وطمعه كانه قال فليطمع ان يفلح الخيرة
من التخير كالطيرة من التطير تستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه
ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار لان معناه ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى ان الخيرة
لله في افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه قيل السبب فيه قول
الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم يعني لا يبعث الله الرسل باختيار
المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة اي يختار للعباد ما هو خير لهم واصلح وهو اعلم بمصالحهم

من العتهم

من العتهم من قولهم في الامرين ليس فيهما خيرة لمختار فان قلت فاين الراجع من الصلة الى الموصول اذا جعلت
ما موصولة قلت اصل الكلام ما كان لهم فيه الخيرة فحذف فيه كما حذف منه في قوله ان ذلك لمن عزم الامور
لانه مفهوم سبحان الله اي الله بري من اشراكهم ومما يحملهم عليه من الجراة على الله واختيارهم عليه ما لا
يختار ما تكن صدورهم من عداوة رسول الله وحسده وما يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير
عليه غيره في النبوة وهو الله وهو المستاثر بالالهية المختص بها لا اله الا هو تقرير لذلك كقولك الكعبة
القبلة لا قبلة الا هي فان قلت الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد في الاخرة قلت هو قولهم الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد هنالك على وجه اللذة لا الكلفة
وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس وله الحكم القضاء بين عباده ارايتم وقرئ ارايتم بحذف الهمزة
وليس بحذف قياسي ومعناه اخبروني من يقدر على هذا والسرمد الدائم المتصل من السرد وهو المتابعة
ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص
فان قلت هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه قلت ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التي
تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء افلا تسمعون
لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل افلا تبصرون لان غيرك يبصر
من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون ونحوه ومن رحمته زاوج بين الليل والنهار لاغراض ثلاثة لانه
لتسكنوا في احدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضله في الاخر وهو النهار ولارادة شكركم وقد سلكت بهذه
الاية طريقة اللف في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء ايذان بان لا شي اجلب لغضب الله من الاشراك كما لا شي ادخل
في مرضاته من توحيده اللهم فكما ادخلتنا في اهل توحيدك فادخلنا في الناجين من وعيدك ونزعنا واخرجنا
من كل امة شهيدا وهو نبيهم لان انبياء الامم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه فقلنا للامة هاتوا برهانكم فيما
كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسل فعلموا حينئذ ان الحق لله ولرسوله لا لهم ولشياطينهم وضل عنهم وغاب عنهم
غيبة الشي الضائع ما كانوا يفترون من الباطل والكذب قارون اسم اعجمي مثل هرون ولم ينصرف للعجمة والتعريف
ولو كان فاعولا من قرنت لانصرف وقيل معنى كونه من قومه انه امن به وقيل كان اسرائيليا ابن عم لموسى
هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى ابن اخيه وكان
يسمى المنور لحسن صورته وكان اقرا بني اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى
والمذبح والقربان الى هرون فما لي وروي انه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة لموسى والحبورة لهرون
يقرب القربان ويكون راسا فيهم وكان القربان الى موسى فجعله موسى الى اخيه وجد قارون في نفسه وحسدهما
فقال لموسى الامر لكما ولست على شي الى متى اصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا اصدقك حتى تاتي باية
فامر رؤساء بني اسرائيل ان يجي كل واحد بعصاه فحزمها والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون
عصيهم بالليل فاصبحوا واذا بعصا هرون تهتز ولها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ما هو باعجب
مما تصنع من السحر فبغى عليهم من البغي وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم وقيل من البغي
وقيل البغي هو الكبر والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم في الثياب شبرا المفاتح
جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل هي الخزائن وقياس واحدها مفتح بالفتح ويقال ناء به الحمل اذا
اثقله حتى اماله العصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها واعصوصبوا اجتمعوا وقيل كانت تحمل مفاتيح
خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت من جلود قال ابو رزين يكفي
الكوفة مفتاح وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح والنوء والعصبة واولي القوة وقرئ لينوء
بالياء ووجهه ان يفسر المفاتح بالخزائن ويعطيها حكم ما اضيفت اليه للملابسة والاتصال
كقولك ذهبت اهل اليمامة ومحل اذ منصوب بتنوء لا تفرح كقوله ولا تفرحوا بما اتاكم وقول القائل
ولست بمفراح اذا الدهر سرني وذلك انه لا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمان واما من قلبه الى الاخرة ويعلم
انه مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وما احسن ما قال القائل اشد الغم عندي في سرور
تيقن عنه صاحبه انتقالا وابتغ فيما اتاك الله من الغنى والثروة الدار الاخرة بان تفعل فيه افعال الخير من
اصناف الواجب والمندوب اليه وتجعله زادك الى الاخرة ولا تنس نصيبك وهو ان تاخذ منه ما يكفيك ويصلحك
واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك او احسن بشكرك وطاعتك لله كما احسن اليك الفساد في الارض
ما كان عليه من الظلم والبغي [illegible] على علم اي على استحقاق واستيجاب
لما في من العلم الذي فضلت به الناس وذلك انه كان اعلم بني اسرائيل بالتوراة وقيل هو علم الكيميا عن سعيد
بن المسيب كان موسى يعلم علم الكيميا فافاد يوشع بن نون ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون
ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه فكان ياخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا وقيل علم الله
موسى علم الكيميا فعلمه موسى اخته فعلمته قارون وقيل هو بصره بانواع التجارة والدهقنة وسائر
المكاسب وقيل عندي معناه في ظني كما تقول الامر عندي كذا كانه قال انما اوتيته على علم كقوله تعالى
ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم ثم زاد عندي اي هو في ظني ورايي هكذا ويجوز ان يكون

أثاثا لعله الكنوز قد أهلك من قبله من القرون من هو أقوى منه وأغنى لأنه قد قرأه في التوراة وأخبر به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ والأيام كأنه قيل أولم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته ويجوز أن يكون نفيا لعلمه بذلك لأنه لما قال أوتيته على علم عندي فتنفخ بالعلم وتعظم به قيل أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي نفسه مصارع الهالكين وأكثر جمعا للمال أو أكثر جماعة وعددا فإن قلت ما وجه اتصال قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون بما قبله قلت لما ذكر قارون من أهلك من قبله من القرون الذين كانوا أقوى منه وأغنى قال على سبيل التهديد له والله مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج إلى سؤالهم عنها واستعلامهم وهو قادر على أن يعاقبهم عليها كقوله والله خبير بما تعملون والله بما تعملون عليم وما أشبه ذلك في زينته قال الحسن في الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة شهباء عليه الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين ألفا عليهم المعصفرات وهو أول يوم رئي فيه المعصفر كان المتمنون قوما مسلمين وإنما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار والاستغناء كما هو عادة البشر وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به إلى الله وينفقوه في سبيل الخير وقيل كانوا قوما كفارا الغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه والحاسد هو الذي يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه فمن الغبطة قوله يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون ومن الحسد قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلعم هل يضر الغبط فقال لا إلا كما يضر العضاه الخبط والحظ الجد وهو البخت والدولة وصفوه بأنه رجل مجدود مبخوت يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا إلا أحاظ وجدود ويلك أصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا أبا لك وأصله الدعاء على الرجل بالإقراف في الحث على الفعل والراجع في ولا يلقاها للكلمة التي تكلم بها العلماء أو للثواب لأنه في معنى المثوبة أو الجنة أو للسيرة والطريقة وهي الإيمان والعمل الصالح الصابرون على الطاعات وعن الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير كان قارون يؤذي نبي الله صلعم كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني إسرائيل وقال إن موسى أرادكم على كل شيء وهو يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فترفضه بنو إسرائيل فجعل لها ألف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل طستا من ذهب مملوءة ذهبا وقيل حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني إسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وإن أحصن رجمناه فقال قارون وإن كنت أنت قال وإن كنت أنا قال فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر وأنزل التوراة أن تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على أن أقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي وقال يا رب إن كنت رسولك فاغضب لي فأوحى الله إليه أن مر الأرض بما شئت فإنها مطيعة لك فقال يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق وقارون وأصحابه يتضرعون إلى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت إليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فأوحى الله إلى موسى ما أفظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم أما وعزتي لو إياي دعوني مرة واحدة لوجدوني قريبا مجيبا فأصبحت بنو إسرائيل يتناجون بينهم إنما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله عز وجل حتى خسف بداره وأمواله من المنتصرين من المنتقمين من موسى أو من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر أي منعه فامتنع قد يذكر الأمس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة مكانه منزلته من الدنيا وي مفصولة عن كأن وهي كلمة تنبه على الخطأ وتندم ومعناه أن القوم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون وتندموا ثم قالوا كأنه لا يفلح الكافرون أي ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه قال

وي كأن من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر

وحكى الفراء أن أعرابية قالت لزوجها أين ابنك فقال ويكأنه وراء البيت وعند الكوفيين أن ويك بمعنى ويلك وأن المعنى ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون ويجوز أن تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة إلى وي كقوله ويك عنتر أقدم وأنه بمعنى لأنه واللام لبيان المقول لأجله هذا القول أو لأنه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وي ويبتدئ كأنه ومنهم من يقف على ويك وقرأ الأعمش لولا من الله علينا وقرئ لخسف بنا وفيه ضمير الله ولانخسف بنا كقولك انقطع به ولتخسف بنا تلك تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما كما قال ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن علي رضي الله عنه إن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل أنه قرأها ثم قال ذهبت الأماني

ههنا وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددها حتى قبض ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله إن فرعون علا في الأرض ولا تبغ الفساد في الأرض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله والعاقبة للمتقين كما تدبره علي والفضيل وعمر معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لأن في إسناد عمل السيئة إليهم مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة إلى قلوب السامعين إلا ما كانوا يعملون إلا مثل ما كانوا يعملون وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع أن لا يجزي السيئة إلا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة وهو معنى قوله فله خير منها فرض عليك القرآن أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعني أن الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف ولرادك بعد الموت إلى معاد أي معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك وقيل المراد به مكة ووجهه أن يراد رده إليها يوم الفتح ووجه تنكيره أنها كانت في ذلك اليوم معادا له شأن ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله صلعم عليها وقهره لأهلها وظهور عز الإسلام وأهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية فكأن الله وعده وهو بمكة في أذى وغلبة من أهلها أنه يهاجر به منها ويعيده إليها ظاهرا ظافرا وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق إلى مولده ومولد آبائه وحرم إبراهيم فنزل جبريل فقال له أتشتاق إلى مكة قال نعم فأوحاها إليه فإن قلت كيف اتصل قوله قل ربي أعلم بما قبله قلت لما وعد رسوله الرد إلى معاد قال قل للمشركين ربي أعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما يستحقه من الثواب في معاده ومن هو في ضلال مبين يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم فإن قلت قوله إلا رحمة من ربك ما وجه الاستثناء فيه قلت هذا كلام محمول على المعنى كأنه قيل وما ألقي عليك الكتاب إلا رحمة من ربك ويجوز أن يكون إلا بمعنى لكن للاستدراك أي ولكن لرحمة من ربك ألقي إليك وقرئ يصدنك من أصده بمعنى صده وهي في لغة كلب قال

أناس أصدوا الناس بالسيف عنهم صدود السواقي عن أنوف الحوائم

بعد إذ أنزلت إليك بعد وقت إنزاله وإذ يضاف إليه أسماء الزمان كقولك حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما أشبه ذلك والنهي عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من باب التهييج الذي سبق ذكره إلا وجهه إلا إياه والوجه يعبر به عن الذات عن رسول الله صلعم من قرأ سورة طسم القصص كان له من الأجر بعدد من صدق موسى وكذب به ولم يبق ملك في السماوات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا أن كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون

سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل ألا ترى أنك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لأن قولك زيد عالم أو الفرس جواد كلام دال على مضمون فأردت الإخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بدا في العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطري الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك فإن قلت فأين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الآية قلت هو في قوله أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك أن تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولي حسب ولقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين فتتمة الترك لأنه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع ينشنه ألا ترى أنك قبل المجيء بالحسبان تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام فإن قلت أن يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح أن يقع خبر مبتدأ قلت كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتأديب وقد كان التأديب والمخافة في قولك خرجت مخافة الشر وضربته تأديبا تعليلين وتقول أيضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وخبرا والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان ومجاهدة الأعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط وأنواع المصائب في الأنفس والأموال ومصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى أحسب الذين أجروا كلمة الشهادة على ألسنتهم وأظهروا القول بالإيمان أنهم يتركون بذلك غير ممتحنين بل يمحنهم الله بضروب المحن حتى يبلو صبرهم وثبات أقدامهم وصحة عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص والراسخ في الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور وروي أنها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله صلعم قد جزعوا من أذى المشركين وقيل نزلت في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله وقيل في ناس أسلموا بمكة فكتب إليهم المهاجرون لا يقبل منكم إسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم المشركون فردوهم فلما نزلت كتبوا بها إليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي فقال رسول الله صلعم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة فجزع عليه أبواه وامرأته ولقد فتنا موصول بأحسب أو بلا يفتنون كقولك ألا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعني أن أتباع الأنبياء قبلهم قد أصابهم من الفتن والمحن نحو ما أصابهم أو ما هو أشد منه فصبروا كما قال وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير

فما وهنوا الآية . وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه
ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله الذين
صدقوا في الايمان وليعلمن الكاذبين فيه فان قلت كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل قلت لم يزل يعلمه معدوما
ولا يعلمه موجودا الا اذا وجد والمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب ويجوز ان يكون وعدا ووعيدا
كانه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين . وقرأ علي والزهري وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم
الله الناس من هم او وليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقتها
ان يسبقونا ان يفوتونا يعني ان الجزاء يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم ولكنهم
لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة واصرارهم على المعاصي في صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره وما هم
بمعجزين في الارض ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون فان قلت اين مفعولا حسب قلت اشتمال صلة
أن على مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ويجوز ان يضمن حسب معنى
قدر وأم منقطعة . ومعنى الاضراب فيها ان هذا الحسبان ابطل من الحسبان الاول لان ذاك يقدر انه لا يمتحن
لايمانه وهذا يظن انه لا يجازى بمساويه ساء ما يحكمون بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا او بئس حكما يحكمونه حكمهم
هذا فحذف المخصوص بالذم لقاء الله مثل للوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب
والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان يأتي ويذر فاما
ان يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من افعاله او بضد ذلك لما سخطه منها فمعنى قوله من كان يرجو لقاء الله من
كان يأمل تلك الحال وان يلقى فيها الكرامة من الله والبشرى فان اجل الله وهو الموت لآت لا محالة فليبادر العمل
الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق امله ويكتسب به القربة عند الله والزلفى وهو السميع العليم الذي لا يخفى عليه
شيء مما يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية وقيل يرجو يخاف من قول الهذلي في صفة عسال
اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها . فان قلت فان اجل الله لآت كيف وقع جوابا للشرط قلت اذا علم ان لقاء الله
عنيت به تلك الحال الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك الحال هو الاجل المضروب للموت فكانه قال من كان يرجو
لقاء الله فان لقاء الله لآت لان الاجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب
اذا علم انه يقعد للناس يوم الجمعة ومن جاهد في دينه نفسه بما تأمر به وحملها على ما تأباه فانما يجاهد لنفسه لان منفعة ذلك
راجعة اليها وانما امره الله ونهاه رحمة لعباده وهو الغني عنهم وعن طاعتهم اما ان يريد قوما مسلمين صالحين
قد اساءوا في بعض اعمالهم وسيئاتهم مغمورة بحسناتهم فهو يكفرها عنهم اي يسقط عقابها بثواب الحسنات ويجزيهم
احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم واما قوما مشركين آمنوا وعملوا الصالحات فالله عز وجل يكفر سيئاتهم
بان يسقط عقاب ما تقدم لهم من الكفر والمعاصي ويجزيهم احسن جزاء اعمالهم في الاسلام . ووصى حكمه حكم
أمر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما تقول امرته بان يفعل ومنه بيت الاصلاح . وذبيانية
وصت بنيها . بان كذب القراطف والقروف . كما تقول امرتهم بان ينتهبوها ومنه قوله تعالى ووصى
بها ابراهيم بنيه اي وصاهم بكلمة التوحيد وامرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد
عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا وصيناه بايتاء والديه حسنا او بايلاء
والديه حسنا اي فعلا ذا حسن او ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا ويجوز
حسنا واحسانا ويجوز ان تجعل حسنا من باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رأيته متهيئا للضرب فتنصبه باضمار
اولهما او افعل بهما لان التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كانه قال قلنا اولهما معروفا ولا تطعهما
في الشرك اذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير ان وقف على بوالديه وابتدأ حسنا حسن الوقف وعلى التفسير
الاول لا بد من اضمار القول معناه وقلنا ان جاهداك ايها الانسان ما ليس لك به علم اي لا علم لك بالاهيته
والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال لتشرك بي شيئا لا يصح ان يكون الها ولا يستقيم . ووصاه بوالديه وامره
بالاحسان اليهما ثم نبه بنهيه عن طاعتهما اذا ارادا على ما ذكر على ان كل حق وان عظم ساقط اذا جاء حق الله
وانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ثم قال الي مرجعكم مرجع من آمن منكم ومن اشرك فاجازيكم حق جزائكم وفيه
شيئان احدهما ان الجزاء الي فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك
في الدنيا كما اني لا امنعهما رزقي . والثاني التحذير من متابعتهما على الشرك والحث على الثبات والاستقامة
في الدين بذكر المرجع والوعيد . روي ان سعد بن ابي وقاص الزهري حين اسلم قالت امه وهي حمنة
بنت ابي سفيان بن امية بن عبد شمس يا سعد بلغني انك قد صبأت فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح
والريح وان الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد وكان احب ولدها اليها فابى سعد وبقيت ثلاثة
ايام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الآية والتي في لقمن والتي في الاحقاف فامره رسول الله
ان يداريها ويترضاها بالاحسان . وروي انها نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر
بن الخطاب مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل بن هشام والحرث بن هشام اخواه لامه اسماء بنت مخرمة
امرأة من بني حنظلة فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك
لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتا حتى تراك وهي اشد حبا لك منا فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب

فاستشار عمر فقال هما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر فقال اما
اذا عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهم ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء
قال ابو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني معك قال نعم فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه فشداه وثاقا وجلد
كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت في الصالحين
في جملتهم والصلاح من ابلغ صفات المؤمنين وهو متمنى انبياء الله قال الله تعالى حكاية عن سليمن وادخلني
برحمتك في عبادك الصالحين وقال في ابراهيم وانه في الآخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين وهي الجنة وهذا
نحو قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الآية هم ناس كانوا يؤمنون بالسنتهم
فاذا مسهم اذى من الكفار وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الايمان كما ان عذاب الله
صارف للمؤمنين عن الكفر وكما يجب ان يكون عذاب الله صارفا واذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم
وقالوا انا كنا معكم اي متابعين لكم في دينكم ثابتين عليه بثباتكم ما قدرنا ان يفتنونا فاعطونا نصيبنا
من المغنم ثم اخبر سبحانه انه اعلم بما في صدور العالمين من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك ما تكن صدور
هؤلاء من النفاق وهذا اطلاع منه للمؤمنين على ما ابطنوه ثم وعد المؤمنين واوعد المنافقين . وقرئ
ليقولن بفتح اللام امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وامروا انفسهم بحمل خطاياهم
فعطف الامر على الامر واراد ليجتمع هذان الامران في الحصول ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق
الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى كان ذلك
فانا نتحمل عنكم الاثم وترى في المتسمين بالاسلام من يستن باولئك فيقول لصاحبه اذا اراد ان يشجعه على
ارتكاب بعض العظائم افعل هذا واثمه في عنقي وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم
ومنه ما يحكى ان ابا جعفر المنصور رفع اليه بعض اهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال يا امير المؤمنين بقيت
الحاجة العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم القيمة فقال له عمرو بن عبيد اياك وهؤلاء فانهم قطاع الطريق في المأمن
فان قلت كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيئا علم الله انهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره على
الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشيء لا على
ما هو عليه قلت شبه الله حالهم حيث علم ان ما ضمنوه لا طريق لهم الى ان يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على
ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز ان يريد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك
وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم نية الخلف وليحملن اثقالهم اي اثقال انفسهم واثقالا
مع اثقالهم اثقالا اخر غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي اثقال الذين كانوا سببا في اضلالهم وليسألن سؤال
تقريع عما كانوا يفترون اي يختلقون من الاكاذيب والاباطيل ... كان عمر نوح عليه السلام الفا وخمسين
سنة بعث على رأس اربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين . وعن وهب انه عاش
الفا واربعمائة سنة فان قلت هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة قلت ما اورده الله احكم لانه لو قيل كما قلت لجاز
ان يتوهم اطلاق هذا العدد على اكثره وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك وكأنه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة
وافية العدد الا ان ذلك اخصر واعذب لفظا واملأ بالفائدة . وفيه نكتة اخرى وهي ان القصة مسوقة
لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من امته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فكان
ذكر رأس العدد الذي لا رأس اكثر منه اوقع واوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره فان قلت
لم جاء المميز اولا بالسنة وثانيا بالعام قلت لان تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب
في البلاغة الا اذا وقع ذلك لاجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم او تهويل او تنويه او نحو ذلك والطوفان ما اطاف واحاط
بكثرة وغلبة من سيل او ظلام ليل او نحوهما قال العجاج . وعم طوفان الظلام الاثأبا . واصحاب السفينة كانوا
ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم اولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم وعن محمد
بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة
والضمير في وجعلناها للسفينة او للحادثة والقصة . نصب ابراهيم باضمار اذكر وابدل عنه اذ بدل الاشتمال لان
الاحيان تشتمل على ما فيها او هو معطوف على نوحا واذ ظرف لارسلنا يعني ارسلناه حين بلغ من السن والعلم
مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويأمرهم بالعبادة والتقوى . وقرأ ابراهيم النخعي وابو حنيفة
وابراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابراهيم ان كنتم تعلمون يعني ان كان لكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم
او ان نظرتم بعين الدراية المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم انه خير لكم وقرئ تخلقون من خلق بمعنى التكثير
في خلق وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ افكا وفيه وجهان ان يكون مصدرا نحو كذب ولعب
والافك مخفف منه كالكذب واللعب من اصلهما وان يكون صفة على فعل اي خلقا افكا اي ذا افك وباطل واختلاقهم
الافك تسميتهم الاوثان آلهة وشركاء لله او شفعاء اليه او سمى الاصنام افكا وعملهم لها ونحتهم خلقا للافك فان
قلت لم نكر الرزق ثم عرفه قلت لانه اراد لا يستطيعون ان يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله
فانه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره اليه ترجعون وقرئ بفتح التاء فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له

على نعمه ﴿وإن تكذبوا﴾ فلا تضروني بتكذيبكم فإن الرسل قبلي قد كذبتهم أممهم وما ضروهم وإنما ضروا أنفسهم حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل وأما الرسول فقد تم أمره حين بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته أو وإن كنت مكذبًا فيما بينكم فلي في سائر الأنبياء أسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول أن يبلغ وما عليه أن يصدق ولا يكذب وهذه الآية والآيات التي بعدها إلى قوله فما كان جواب قومه محتملة أن تكون من جملة قول إبرهيم صلوات الله عليه لقومه وأن تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأن قريش بين أول قصة إبرهيم وآخرها ﴿فإن قلت﴾ إذا كانت من قول إبرهيم فما المراد بالأمم قبله ﴿قلت﴾ قوم شيث وإدريس ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح أمة في معنى أمم جمة مكذبة ولقد عاش إدريس ألف سنة في قومه إلى أن رفع إلى السماء وآمن به ألف إنسان منهم على عدد سنيه وأعقابهم على التكذيب ﴿فإن قلت﴾ ما تصنع بقوله قل سيروا في الأرض ﴿قلت﴾ هو حكاية كلام الله حكاه إبرهيم عليه السلام لقومه كما يحكي رسولنا صلى الله عليه وسلم كلام الله على هذا المنهاج في أكثر القرآن ﴿فإن قلت﴾ فإذا كانت خطابًا لقريش فما وجه توسطها بين طرفي قصة إبرهيم والجملة أو الجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه ألا تراك لا تقول مكة وزيد أبوه قائم خير بلاد الله ﴿قلت﴾ إيراد قصة إبرهيم ليس إلا إرادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تكون مسلاة له ومتفرجًا بأن أباه إبرهيم خليل الله كان ممنوًّا بنحو ما مني به من شرك قومه وعبادتهم الأوثان فاعترض بقوله وإن تكذبوا على معنى إنكم يا معشر قريش إن تكذبوا محمدًا فقد كذب إبرهيم قومه وكل أمة نبيها لأن قوله فقد كذب أمم من قبلكم لا بد من تناوله لأمة إبرهيم وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم سائر الآيات الواطئة عقبها من أذيالها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه. وقرئ ﴿يروا﴾ بالياء والتاء ﴿ويبدئ﴾ وبدأ وقوله ﴿ثم يعيده﴾ ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وإنما هو إخبار على حياله بالإعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله كيف بدأ الخلق ﴿ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾ على البدء دون الإنشاء ونحوه قولك ما زلت أوثر فلانًا وأستخلفه على من أخلفه ﴿فإن قلت﴾ هو معطوف بحرف العطف فلا بد له من معطوف عليه فما هو ﴿قلت﴾ هو جملة قوله أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق وكذلك قوله وأستخلفه معطوف على جملة قوله ما زلت أوثر فلانًا وذلك يرجع إلى ما يرجع إليه هو في قوله وهو أهون عليه من معنى يعيده وقوله النشأة الآخرة على أنهما نشأتان وأن كل واحدة منهما إنشاء أي ابتداء واختراع وإخراج من العدم إلى الوجود لا تفاوت بينهما إلا أن الآخرة إنشاء بعد إنشاء مثله والأولى ليست كذلك وقرئ النشأة والنشاءة كالرأفة والرآفة ﴿فإن قلت﴾ ما معنى الإفصاح باسمه مع إيقاعه مبتدأ في قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ﴿قلت﴾ الكلام معهم كان واقعًا في الإعادة وفيها كانت تصطك الركب فلما قررهم في الإبداء بأنه من الله احتج عليهم بأن الإعادة إنشاء مثل الإبداء فإذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لم يعجزه الإبداء فهو الذي وجب أن لا تعجزه الإعادة فكأنه قال ثم ذاك الذي أنشأ النشأة الأولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى أبرز اسمه وأوقعه مبتدأ ﴿يعذب من يشاء﴾ تعذيبه ﴿ويرحم من يشاء﴾ رحمته ومتعلق المشيئتين مفسر مبين في مواضع من القرآن وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق إذا لم يتوبا ومن المعصوم والتائب ﴿تقلبون﴾ تردون وترجعون ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ ربكم أي لا تفوتونه إن هربتم من حكمه وقضائه ﴿في الأرض﴾ الفسيحة ﴿ولا في السماء﴾ التي هي أفسح منها وأبسط لو كنتم فيها كقوله تعالى إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا وقيل ولا من في السماء كما قال حسان: أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء. ويحتمل أن يراد لا تعجزونه كيفما هبطتم في مهاوي الأرض وأعماقها أو علوتم في البروج والقلاع الذاهبة في السماء كقوله ولو كنتم في بروج مشيدة أو لا تعجزون أمره الجاري في السماء والأرض أن يجري عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر من الأرض أو ينزل من السماء ﴿بآيات الله﴾ بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ﴿ولقائه﴾ والبعث ﴿يئسوا من رحمتي﴾ وعيد لهم أي ييأسون يوم القيمة كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون أو هو وصف لحالهم لأن المؤمن إنما يكون راجيًا خائفًا فأما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف أو شبه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من يئس من الرحمة. وعن قتادة إن الله ذم قومًا هانوا عليه فقال أولئك يئسوا من رحمتي وقال إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون فينبغي للمؤمن أن لا ييأس من روح الله ولا يأمن من رحمته وأن لا يأمن من عذابه وعقابه فإن صفة المؤمن أن يكون راجيًا لله خائفًا وقرئ ﴿جواب قومه﴾ بالنصب والرفع ﴿قالوا﴾ قال بعضهم لبعض أو قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعًا في حكم القائلين. وروي أنه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار يعني يوم ألقي إبرهيم في النار وذلك لذهاب حرها وقرئ على النصب بغير إضافة وبإضافة وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين على التعليل أي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم وأن يكون مفعولاً ثانيًا كقوله واتخذ إلهه هواه أي اتخذتم الأوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف أو اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم كقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان أن يكون خبرًا لإن على أن ما موصولة وأن يكون خبر مبتدأ محذوف والمعنى ﴿إن الأوثان مودة بينكم﴾

اى

أو مودة ودّه أو سبب وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع الإضافة كما قرئ لقد تقطع بينكم ففتح وهو فاعل وفي قراءة ابن مسعود ﴿أوثانًا إنما مودة بينكم في الحيوة الدنيا﴾ أي إنما تتوادون عليها أو تودونها في الحيوة الدنيا ﴿ثم يوم القيمة﴾ تقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادي يتلاعن العبدة ويتلاعن العبدة والأصنام كقوله عز وعلا ويكونون عليهم ضدًا. كان لوط ابن أخت إبرهيم وهو أول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه ﴿وقال﴾ يعني إبرهيم ﴿إني مهاجر﴾ من كوثى وهي من سواد الكوفة إلى حران ثم منها إلى فلسطين ومن ثم قالوا لكل نبي هجرة ولإبرهيم هجرتان وكان معه في هجرته لوط وامرأته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة ﴿إلى ربي﴾ إلى حيث أمرني بالهجرة ﴿إنه هو العزيز﴾ الذي يمنعني من أعدائي ﴿الحكيم﴾ الذي لا يأمرني إلا بما هو مصلحتي ﴿أجره﴾ الثناء الحسن والصلوة عليه آخر الدهر ﴿والذرية﴾ الطيبة والنبوة وأن أهل الملل كلهم يتولونه ﴿فإن قلت﴾ ما بال إسمعيل عليه السلام لم يذكر وذكر إسحق وعقبه ﴿قلت﴾ قد دل عليه في قوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وكفى الدليل لشهرة أمره وعلو قدره ﴿فإن قلت﴾ ما المراد بالكتاب ﴿قلت﴾ قصد به جنس الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الأربعة التي هي التوراة والزبور والإنجيل والفرقان ﴿ولوطًا﴾ معطوف على إبرهيم أو على ما عطف عليه ﴿الفاحشة﴾ الفعلة البالغة في القبح ﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ جملة مستأنفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة كأن قائلاً قال لم كانت فاحشة فقيل لأن أحدًا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازًا منها في طباعهم لإفراط قبحها حتى أقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقذر طباعهم قالوا لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط. وقرئ ﴿أئنكم﴾ بغير استفهام في الأول دون الثاني قال أبو عبيد وجدته في الإمام بحرف واحد بغير ياء ورأيت الثاني بحرفين الياء والنون. وقطع السبيل عمل قطاع الطريق من قتل الأنفس وأخذ الأموال وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة. وعن الحسن قطع النسل بإتيان ما ليس بحرث ﴿والمنكر﴾ عن ابن عباس هو الحذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الأزرار والسباب والفحش في المزاح. وعن عائشة كانوا يتحابقون وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك وكل معصية فإظهارها أقبح من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له ولا يقال للمجلس ناد إلا ما دام فيه أهله فإذا قاموا عنه لم يبق ناديًا ﴿إن كنت من الصادقين﴾ فيما تعد من نزول العذاب كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعًا وكرهًا ولأنهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم وقال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابًا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فأراد لوط عليه السلام أن يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه ﴿البشرى﴾ هي البشارة بالولد والنافلة وهما إسحق ويعقوب وإضافة ﴿مهلكوا﴾ إضافة تخفيف لا تعريف والمعنى الاستقبال. والقرية سدوم التي قيل فيها أجور من قاضي سدوم ﴿كانوا ظالمين﴾ معناه أن الظلم قد استمر منهم إيجاده في الأيام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وألوان معاصيهم ﴿إن فيها لوطًا﴾ ليس إخبارًا لهم بكونه فيها وإنما هو جدال في شأنه لأنهم لما عللوا إهلاك أهلها بظلمهم اعترض عليهم بأن فيها من هو بريء من الظلم وأراد بالجدال إظهار الشفقة عليه وما يجب للمؤمن من التحزن لأخيه والتشمر في نصرته وحياطته والخوف من أن يمسه أذى أو يلحقه ضرر قال قتادة لا يرى المؤمن أن لا يحوط المؤمن ألا ترى إلى جوابهم بأنهم أعلم منه بمن فيها يعنون نحن أعلم منك وأخبر بحال لوط وحال قومه وامتيازه منهم الامتياز المبين وأنه لا يستأهل ما يستأهلون فخفض على نفسك وهون عليك الخطب. وقرئ ﴿لننجينه﴾ بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك ﴿أن﴾ صلة أكدت وجود الفعلين مترتبًا أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان كأنه قيل لما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه ﴿وضاق بهم ذرعًا﴾ وضاق بشأنهم وبتدبير أمرهم ذرعه أي طاقته وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا إذا كان مطيقًا له والأصل فيه أن الرجل إذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلاً في العجز والقدرة ﴿الرجز﴾ والرجس العذاب من قولهم ارتجز وارتجس إذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب وقرئ ﴿منزلون﴾ مخففًا ومشددًا ﴿منها﴾ من القرية ﴿آية بينة﴾ هي آثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل الماء الأسود على وجه الأرض وقيل الخبر عما صنع بهم ﴿لقوم﴾ يتعلق بتركنا أو بينة ﴿وارجوا﴾ وافعلوا ما ترجون به العاقبة فأقيم المسبب مقام السبب أو أمروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه من الإيمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات على إرادة الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف ﴿والرجفة﴾ الزلزلة الشديدة وعن الضحاك صيحة جبريل لأن القلوب رجفت لها ﴿في دارهم﴾ في بلدهم وأرضهم أو ديارهم فاكتفى بالواحد لأنه لا يلتبس ﴿جاثمين﴾ باركين على الركب ميتين ﴿وعادًا﴾ منصوب بإضمار أهلكنا لأن قوله فأخذتهم الرجفة يدل عليه لأنه في معنى الإهلاك ﴿وقد تبين لكم﴾ ذلك يعني ما وصفه من هلاكهم من جهة مساكنهم إذا نظرتم إليها عند مروركم بها وكان أهل مكة يمرون عليها في أسفارهم فيبصرونها ﴿وكانوا مستبصرين﴾ عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا أو كانوا متبينين أن العذاب نازل بهم لأن الله قد بين لهم على ألسنة الرسل ولكنهم لجوا حتى أهلكوا ﴿سابقين﴾ فائتين أدركهم أمر الله فلم يفوتوه ﴿الحاصب﴾ لقوم لوط وهي ريح عاصف فيها حصباء وقيل ملك كان يرميهم ﴿والصيحة﴾ لمدين وثمود ﴿والخسف﴾ لقارون ﴿والغرق﴾ لقوم نوح وفرعون. الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلاً ومعتمدًا في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت ألا ترى إلى مقطع التشبيه

وهو قوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت فان قلت ما معنى قوله لو كانوا يعلمون وكل احد يعلم وهن بيت
العنكبوت قلت معناه لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن
ووجه اخر وهو انه اذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت
فقد تبين ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون او اخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز
فكانه قال وان اوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ولقائل ان يقول مثل
المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ بيتا بالاضافة الى رجل
يبني بيتا باجر وجص او ينحته من صخر وكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت
كذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون قرئ يدعون بالتاء والياء وهذا
توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيا وهو العزيز الحكيم فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشي
لانه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة اصلا وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شي الحكيم الذي لا يفعل شيا
الا بحكمة وتدبير كانت الجهلة والسفها من قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون
من ذلك فلذلك قال وما يعقلها الا العالمون اي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها الا هم لان الامثال والتشبيهات انما هي
الطرق الى المعاني المحتجبة في الاستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه الفرق
بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبي صلعم انه تلا هذه الاية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب
سخطه بالحق بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل وهو ان تكون مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على
عظم قدرته الا ترى الى قوله ان في ذلك لاية للمؤمنين ونحوه قوله تعالى وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا ذلك
ظن الذين كفروا الصلوة تكون لطفا في ترك المعاصي فكانها ناهية عنها فان قلت كم من مصل يرتكب ولا تنهاه
صلاته قلت الصلوة التي هي الصلوة عند الله المستحق بها الثواب ان تدخل فيها مقدما للتوبة النصوح متقيا لقوله تعالى
انما يتقبل الله من المتقين وتصليها خاشعا بالقلب والجوارح فقد روي عن حاتم كانت رجلي على الصراط
والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت من فوقي واصلي بين الخوف والرجا ثم تحوطها بعد ان
تصليها فلا تحبطها فهي الصلوة التي تنهى عن الفحشا والمنكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما من لم تامره صلاته بالمعروف
وتنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا وعن الحسن رحمه الله من لم تنهه صلاته عن الفحشا والمنكر
فليست صلاته بصلوة وهي وبال عليه وقيل من كان مراعيا للصلوة جره ذلك الى ان ينتهي عن السيئات يوما ما
فقد روي انه قيل لرسول الله صلعم ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه وروي
ان فتى من الانصار كان يصلي معه ولا يدع شيا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلاته
ستنهاه فلم يلبث ان تاب وعلى كل حال فان المراعي للصلوة لابد ان يكون ابعد من الفحشا والمنكر ممن
لا يراعيها وايضا فكم من مصلين تنهاهم الصلوة عن الفحشا والمنكر واللفظ لا يقتضي ان لا يخرج واحد من
المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيدا ينهى عن المنكر فليس غرضك انه ينهى عن جميع المناكير وانما تريد ان هذه
الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم ولذكر الله اكبر يريد وللصلوة اكبر من غيرها
من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال فاسعوا الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كانه قال
وللصلوة اكبر لانها ذكر الله او ولذكر الله عند الفحشا والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر وكان
اولى بان ينهى من اللطف الذي في الصلوة وعن ابن عباس ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم
اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون من الخير والطاعة فيثيبكم احسن الثواب بالتي هي احسن بالخصلة التي هي احسن
وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والسورة بالاناة كما قال ادفع بالتي هي احسن الا الذين ظلموا
فافرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل
الا الذين اذوا رسول الله وقيل الا الذين اثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة وقيل معناه
ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا
الجزية فان اولئك مجادلتهم بالسيف وعن قتادة الاية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله
ولا باليوم الاخر ولا مجادلة اشد من السيف وقوله وقولوا امنا بالذي انزل الينا من جنس المجادلة
بالتي هي احسن وعن النبي صلعم ما حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا امنا
بالله وكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم وكذلك انزلنا
اليك الكتاب اي ومثل ذلك الانزال انزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية تحقيقا لقوله امنا بالذي انزل الينا وانزل
اليكم وقيل وكما انزلنا الكتب الى من كان قبلك انزلنا اليك الكتاب فالذين اتيناهم الكتاب هم عبد الله بن سلام
ومن معه ومن هؤلاء من اهل مكة وقيل اراد بالذين اوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله صلعم
من اهل الكتاب ومن هؤلاء ممن في عهده منهم وما يجحد باياتنا مع ظهورها وزوال الشبهة عنها
الا الكافرون المتوغلون في الكفر المصممون عليه وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه وما كنت تتلو
من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون اي ما كان من عادتك ان تتلو كتابا ولا ان تخطه
ولو كان شي من ذلك اي من التلاوة والخط لارتاب المبطلون من اهل الكتاب
وقالوا الذي نجده في كتبنا امي لا يكتب ولا يقرا وليس به فان قلت لم سماهم مبطلين
ولو لم يكن اميا وقالوا ليس بالذي نجد في كتبنا لكانوا صادقين محقين ولكان اهل مكة

على حق في قولهم لعله تعلمه او كتبه فانه رجل قارئ كاتب قلت سماهم مبطلين لانهم كفروا به وهو امي بعيد
من الريب فكانه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم به لو لم يكن اميا لارتابوا اشد الريب فحين ليس بقارئ كاتب
فلا وجه لارتيابهم وشي اخر وهو ان سائر الانبياء لم يكونوا اميين ووجب الايمان بهم وبما جاؤوا به لكونهم
مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب انه قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي امنوا منه بموسى
وعيسى على ان المنزلين ليسا بمعجزين وهذا المنزل معجز فاذن هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو امي ومبطلون
لو لم يؤمنوا به وهو غير امي فان قلت ما فائدة قوله بيمينك قلت ذكر اليمين وهي الجارحة التي يزاول بها
الخط زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كاتبا الا ترى انك اذا قلت في الاثبات رايت الامير يخط هذا الكتاب
بيمينه كان اشد لاثباتك انه تولى كتبته فكذلك النفي بل هو القران ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم يعني المؤمنين به وحفاظه وهما
من خصائص القران في كون اياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا في الصدور يتلوه اكثر الامة ظاهرا بخلاف
سائر الكتب فانها لم تكن معجزات وما كانت تقرا الا من المصاحف ومنه ما جاء في صفة هذه الامة صدورهم
اناجيلهم وما يجحد باياتنا الا الظالمون الا المتوغلون في الظلم المكابرون لولا انزل عليه ايات من ربه اراد هلا انزل
عليه اية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك انما الايات عند الله ينزل ايتها يشا ولو شا ان ينزل ما
تقترحونه لفعل وانما انا نذير كلفت الانذار وابانته بما اعطيت من الايات وليس لي ان اتخير على الله
اياته فاقول انزل علي اية كذا مع علمي ان الغرض من الاية ثبوت الدلالة والايات كلها في حكم اية واحدة في ذلك
ثم قال اولم يكفهم اية مغنية عن سائر الايات ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القران الذي تدوم
تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم اية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل اية بعد كونها وتكون
في مكان دون مكان ان في مثل هذه الاية الموجودة في كل مكان وزمان الى اخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة
لا تشكر وذكرى لقوم يؤمنون وقيل اولم يكفهم يعني اليهود انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما في ايديهم
من نعتك ونعت دينك وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلعم بكتف قد كتبوا فيها بعض ما تقول
اليهود فلما نظر اليها القاها وقال كفى بها حماقة قوم او ضلالة ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء
به غير نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرنا كفى بالله بيني وبينكم شهيدا اي قد بلغتكم ما ارسلت به اليكم وانذرتكم
وانكم قابلتموني بالجحد والتكذيب يعلم ما في السموات والارض فهو مطلع على امري وامركم وعالم بحقي وباطلكم والذين امنوا
بالباطل منكم وهو ما تعبدون من دون الله وكفروا بالله واياته اولئك هم الخاسرون المغبونون
في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الا ان الكلام ورد مورد الانصاف كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال
مبين وكقول حسان فشركما لخيركما الفدا وروي ان كعب بن الاشرف واصحابه قالوا يا محمد من يشهد بانك
رسول الله فنزلت كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحرث هو الذي قال اللهم امطر علينا
حجارة من السما كما قال اصحاب الايكة فاسقط علينا كسفا من السما ولولا اجل قد سماه الله وبينه في اللوح لعذابهم
واوجبت الحكمة تاخيره الى ذلك الاجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلا والمراد بالاجل الاخرة لما روي ان الله عز وجل
وعد رسول الله ان لا يعذب قومه ولا يستاصلهم وان يؤخر عذابهم الى يوم القيمة وقيل يوم بدر وقيل
وقت فنائهم باجالهم لمحيطة اي ستحيط بهم يوم يغشاهم العذاب او هي محيطة بهم في الدنيا لان
المعاصي التي توجبها محيطة بهم او لانها مالهم ومرجعهم لا محالة فكانها الساعة محيطة بهم ويوم يغشاهم على
منصوب بمضمر اي يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت من فوقهم ومن تحت ارجلهم كقوله لهم من فوقهم ظلل
من النار ومن تحتهم ظلل ونقول قرئ بالنون والياء ما كنتم تعملون اي جزاءه معنى الاية ان المؤمن اذا لم يتسهل
له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له امر دينه كما يحب فليهاجر عنه الى بلد يقدر انه فيه اسلم قلبا واصح
دينا واكثر عبادة واحسن خشوعا ولعمري ان البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت الكبير ولقد جربنا وجرب
اولونا فلم نجد فيما درنا وداروا اعون على قهر النفس وعصيان الشهوة واجمع للقلب المتقلب واضم
للهم المنتشر واحث على القناعة واطرد للشيطان وابعد من كثير من الفتن واضبط للامر الديني في
الجملة من سكنى حرم الله وجوار بيت الله فلله الحمد على ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر واوزع
من الشكر وعن رسول الله صلعم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة
وكان رفيق ابراهيم ومحمد وقيل هي في المستضعفين بمكة الذين نزل فيهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها وانما كان ذلك لان امر دينهم ما كان يستتب لهم بين ظهراني الكفرة فاياي فاعبدون في المتكلم هو اياه من
في الغائب واياك في المخاطب والتقدير فاياي فاعبدوا فاعبدون فان قلت ما معنى الفاء في فاعبدون
وتقديم المفعول قلت الفاء جواب لشرط محذوف لان المعنى ان ارضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة
لي في ارض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه
معنى الاختصاص والاخلاص لما امر عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها
اوفق البلاد وان شسعت اتبعه قوله كل نفس ذائقة الموت اي واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق
طعم المذوق ومعناه انكم ميتون فواصلون الى الجزا ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها
والاستعداد بجهده لنبوئنهم من الجنة غرفا وقرئ لنثوينهم من الثوا وهو النزول للاقامة يقال ثوى
في المنزل وثوى غيره واثوى غيره وثوى غير متعد فاذا تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا

كوذهب واذهبته والوجه في تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف إمّا اجراؤه مجرى لننزلنهم او حذف الجار
وايصال الفعل او تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم وقرئ يحيى بن وثاب فنعم بزيادة الفا الذين صبروا على
مفارقة الاوطان والهجرة لاجل الدين وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي
ولم يتوكلوا في جميع ذلك الا على الله ۞ لما أمر رسول الله صلعم من اسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة وكان
يقول الرجل منهم كيف اقدم بلدة وليس لي فيها معيشة فنزلت والدابة كل نفس دبّت على وجه الارض عقلت
او لم تعقل لا تحمل رزقها لا تطيق ان تحمله لضعفها عن حمله الله يرزقها واياكم اي لا يرزق تلك الدواب الضعاف
الا الله ولا يرزقكم ايضا ايها الاقوياء الا هو وان كنتم مطيقين لحمل ارزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم ولم
يقدّر لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز من الدواب التي لا تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره انما تصبح
فيرزقها الله وعن ابن عيينة ليس شيء يخبأ الا الانسان والنملة والفارة وعن بعضهم رايت
البلبل يحتكر في حضنيه ويقال للعقعق مخابئ الا انه ينساها وهو السميع لقولكم نخشى الفقر والضيعة
العليم بما في ضمائركم ۞ الضمير في سألتهم لاهل مكة فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن توحيد الله وان لا يشركوا
به مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض قدر الرزق وقتره بمعنى اذا ضيقه فان قلت الذي رجع
اليه الضمير في قوله ويقدر له هو من يشاء فكان يبسط الرزق ويقدر جعلا لواحد قلت يحتمل الوجهين
جميعا ان يريد ويقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لان من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير
مبهما مثله وان يريد تعاقب الامرين على واحد على حسب المصلحة ان الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح للعباد
وما يفسدهم ۞ احمد رسول الله على انه ممن اقر بنحو ما اقروا به ثم نفعه ذلك في توحيد الله ونفي الانداد
والشركا عنه ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين وعلى انهم اقروا بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة الى الله
عز وجل وقد جعلوا العبادة للصنم ثم قال بل اكثرهم لا يعقلون ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان
الشرك وصحة التوحيد او لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم
فيها اذ ذاك للدنيا وتصغير لامرها وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة يريد ما هي لسرعة
زوالها عن اهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وان الدار الآخرة لهي الحيوان اي ليس فيها
الا حيوة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها فكانها في ذاتها حيوة والحيوان مصدر حيي وقياسه حييان
فقلبت اليا الثانية واوا كما قالوا حيوة في اسم رجل وبه سمي ما فيه حيوة حيوانا قالوا اشتر من الموتان
ولا تشتر من الحيوان وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحيوة وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة
والاضطراب كالنزوان والنقصان واللهبان وما اشبه ذلك والحيوة حركة كما ان الموت سكون فمجيئه على
بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحيوة ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة
لو كانوا يعلمون فلم يؤثروا الحيوة الدنيا عليها فان قلت بم اتصل قوله فاذا ركبوا في الفلك قلت بمحذوف
دل عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا
في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله
ولا يدعون معه الها آخر وفي تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم فلما نجاهم الى البر وامنوا عادوا الى حال
الشرك واللام في ليكفروا محتملة ان تكون لام كي وكذلك في وليتمتعوا فيمن قراها بالكسر والمعنى انهم يعودون
الى شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف ما هو عادة
المؤمنين المخلصين على الحقيقة اذا انجاهم الله ان يشكروا نعمة الله في انجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة
الى زيادة الطاعة لا الى التمتع والتلذذ وان تكون لام الامر وقراءة من قرا وليتمتعوا بالسكون تشهد له
ونحوه قوله تعالى اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير فان قلت كيف جاز ان يامر الله تعالى بالكفر وبان يعمل
العصاة ما شاؤوا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه قلت هو مجاز عن الخذلان والتخلية وان ذلك
الامر متسخط الى غاية ومثاله ان ترى الرجل قد عزم على امر وعندك ان ذلك الامر خطا وانه يؤدي
الى ضرر عظيم فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رايه فاذا لم تر منه الا الاباء والتصميم حردت عليه وقلت
انت وشانك وافعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الامر وكيف والآمر بالشيء مريد له وانت شديد الكراهة
متحسر ولكنك كأنك تقول له فاذا قد ابيت قبول النصيحة فانت اهل ليقال لك افعل ما شئت وتبعث عليه
ليتبين لك اذا فعلت صحة راي الناصح وفساد رايك ۞ كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا ويتغاورون
ويتناهبون واهل مكة قارون آمنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب
فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة ووبخهم لانهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه النعمة
المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها الا الله وحده مكفورة عندهم ۞ افتراؤهم على الله
كذبا زعمهم ان لله شريكا وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول والكتاب وفي قوله لما جاءه تسفيه
لهم يعني لم يتلعثموا في تكذيبه وقت سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول المتثبتون في الامور يسمعون
الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويستانون الى ان يصح لهم صدقه او كذبه ۞ اليس تقرير لثوائهم
في جهنم كقوله ۞ الستم خير من ركب المطايا ۞ قال بعضهم ولو كان استفهاما ما اعطاه الخليفة مائة من الابل
وحقيقته ان الهمزة همزة الانكار دخلت على النفي فرجع الى معنى التقرير فهما وجهان احدهما الا يثوون في جهنم

وان لا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب والثاني الم
يصح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجراءة اطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول
ليتناول كل ما تجب مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان واعداء الدين فينا في حقنا
ومن اجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا كقوله والذين
اهتدوا زادهم هدى وعن ابي سليمان الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا
وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم انما هو من تقصيرنا فيما
نعلم لمع المحسنين لناصرهم ومعينهم عن رسول الله صلعم من قرا سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم مكية الا قوله فسبحان الله وهي ستون آية وقيل تسع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت القراءة المشهورة الكثيرة غلبت بضم الغين وسيغلبون بفتح
اليا والارض ارض العرب لان الارض المعهودة عند العرب ارضهم والمعنى غلبوا في ادنى الارض منهم وهي
اطراف الشام او اراد ارضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه اي في ادنى ارضهم الى عدوهم قال مجاهد
هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس وعن ابن عباس الاردن وفلسطين وقرئ في اداني الارض
والبضع ما بين الثلاث الى العشر عن الاصمعي وقيل احتربت الروم وفارس بين اذرعات وبصرى فغلبت
فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله والمسلمين لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم اهل
كتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر
اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر رضه لا يقرر الله اعينكم فوالله لتظهرن الروم
على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت يا ابا فضيل اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه والمناحبة
المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلعم
فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين
ومات ابي من جرح رسول الله وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند راس سبع سنين وقيل
كان النصر يوم بدر للفريقين فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي وجاء به الى رسول الله فقال تصدّق به
وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة وان القرآن من عند الله لانها انبا عن علم
الغيب الذي لا يعلمه الا الله وقرئ غلبهم بسكون اللام والغلب والغلب مصدران كالجلب والجلب
والحلب والحلب وقرئ غلبت الروم بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام
وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة اخذ المسلمون في جهاد الروم واضافة غلبهم
تختلف باختلاف القراءتين فهي في احداهما اضافة المصدر الى المفعول وفي الثانية اضافته الى الفاعل
ونظيرها محرّم عليكم اخراجهم ولن يخلف الله وعده فان قلت كيف صحت المناحبة وانما هي قمار قلت
عن قتادة رضه انه كان ذلك قبل تحريم القمار ومذهب ابي حنيفة ومحمد ان العقود الفاسدة من عقود
الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بما عقده ابو بكر رضه
بينه وبين ابي بن خلف من قبل ومن بعد اي في اول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل
من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين اولا وغالبين آخرا ليس الامر الا
وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد على الجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه
كانه قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا وآخرا ويومئذ ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله من غلبتهم
يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل
نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله انه ولّى بعض
الظالمين بعضا وفرق بين كلمتهم حتى تفانوا وتناقصوا وفلّ هؤلاء شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة للاسلام
وعن ابي سعيد الخدري رضه وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المؤمنون وهو العزيز الحكيم ينتصر
عليكم تارة وينصركم اخرى وعد الله مصدر مؤكد كقولك لك علي الف درهم عرفا لان معناه اعترف لك
بها اعترافا ووعد الله ذلك وعدا لان ما سبقه في معنى وعد [illegible] الله عز وجل بانهم عقلا في امور
الدنيا بله في امر الدين وذلك انهم كانوا اصحاب تجارات ومكاسب وعن الحسن بلغ من حذق احدهم
انه يأخذ الدرهم فينقره باصبعه فيعلم اردي هو ام جيد وقوله يعلمون بدل من قوله لا يعلمون وفي
هذا الابدال من النكتة انه ابدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك انه لا فرق بين
عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا ظاهرا من الحيوة الدنيا وقوله ظاهرا يفيد ان للدنيا ظاهرا
وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها انها
مجاز الى الآخرة يتزود منها اليها بالطاعة والاعمال الصالحة وفي تنكير الظاهر انهم لا يعلمون الا
ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها وهم الثانية يجوز ان يكون مبتدا وغافلون خبره والجملة خبر هم الاولى
وان يكون تكريرا للاولى وغافلون خبر الاولى وايّة كانت فذكرها مناد على انهم معدن الغفلة عن
الآخرة ومقرها ومحلها وانها منهم تنبع واليهم ترجع في انفسهم يحتمل ان يكون ظرفا

كانه قيل اولم يحدثوا التفكر في انفسهم اي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة تصوير
لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك واضمره في نفسك وان يكون صلة للتفكر كقولك تفكر في الامر واجال
فيه فكره وما خلق متعلق بالقول المحذوف معناه اولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لان
في الكلام دليلا عليه الا بالحق واجل مسمى اي ما خلقها باطلا وعبثا بغير غرض صحيح
وحكمة بالغة ولا لتبقى خالدة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير اجل مسمى لا بد لها من ان
تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب الا ترى الى قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا
وانكم الينا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثا والباء في قوله الا بالحق مثلها في قولك دخلت عليه بثياب
السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد اشتريته وهو ملتبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما وكذلك المعنى
ما خلقها الا وهي ملتبسة بالحق مقترنة به فان قلت اذا جعلت في انفسهم صلة للتفكر فما معناه قلت معناه
اولم يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم اعلم واخبر باحوالها منهم باحوال ما عداها
فيتدبروا ما اودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لا بد لها من انتهاء
الى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق
كذلك امرها جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت والمراد بلقاء ربهم الاجل المسمى اولم يسيروا
تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم الى اثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية ثم اخذ يصف لهم احوالهم
وانهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وحرثوها قال الله تعالى لا ذلول تثير الارض وقيل لبقر الحرث المثيرة وقالوا
سميت بقرا لانها تبقر الارض اي تشقها وعمروها يعني اولئك المدمرون اكثر مما عمروها من عمارة
اهل مكة واهل مكة اهل واد غير ذي زرع ما لهم اثارة في الارض اصلا ولا عمارة لها راسا فما هو الا تهكم بهم
وبضعف حالهم في دنياهم لان معظم ما يستظهر به اهل الدنيا ويتباهون به امر الدهقنة وهم ايضا ضعاف
القوى فقوله كانوا اشد منهم قوة اي عاد وثمود واضرابهم من هذا القبيل كقوله اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد
منهم قوة وان كان هذا ابلغ لانه خالق القوى والقدر فما كان تدميره اياهم ظلما لهم لان حاله منافية للظلم ولكن
ظلموا انفسهم حيث عملوا ما اوجب تدميرهم قرئ عاقبة بالنصب والرفع والسوأى تانيث الاسوأ وهو الاقبح كما ان
الحسنى تانيث الاحسن والمعنى انهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى الا انه وضع المظهر موضع المضمر
اي العقوبة التي هي اسوأ العقوبات في الاخرة وهي جهنم التي اعدت للكافرين ان كذبوا بمعنى لان كذبوا ويجوز ان يكون
بمعنى اي لانه اذا كان تفسير الاساءة التكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول كقولك نادى وكتب وما اشبه ذلك
ووجه اخر ان يكون اساءوا السوأى بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي اسوأ الخطايا وان كذبوا عطف بيان لها
وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو ارادة الابهام ثم اليه ترجعون اي الى ثوابه وعقابه وقرئ بالياء
والتاء الابلاس ان يبقى بائسا ساكتا متحيرا يقال ناظرته فابلس اذا لم ينبس وييئس من ان يحتج ومنه
الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ يبلس بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته من شركائهم من الذين عبدوهم
من دون الله وكانوا بشركائهم كافرين اي يكفرون بالهتهم ويجحدونها او كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب
شفعؤا في المصحف بواو قبل الالف كما كتب علمؤا بني اسرائيل وكذلك كتبت السوأى بالالف قبل الياء اثباتا للهمزة
على صورة الحرف التي منه حركتها الضمير في يتفرقون للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه وعن الحسن هؤلاء
المسلمين والكافرين هؤلاء في عليين وهؤلاء في اسفل السافلين وعن قتادة فرقة لا اجتماع بعدها في روضة
في بستان وهي الجنة والتنكير لابهام امرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل ارض ذات نبات وماء
وفي امثالهم احسن من بيضة في روضة يريدون بيضة النعامة يحبرون يسرون يقال حبره اذا سره سرورا
تهلل له وجهه وظهر فيه اثره ثم اختلفت فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار وعن مجاهد يكرمون وعن
قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن ابي بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وعن وكيع السماع في الجنة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي اخر القوم اعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع
قال نعم يا اعرابي ان في الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم تسمع الخلائق
بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي فسالت ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وروي ان في الجنة
لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار
فتحرك تلك الاجراس بالاصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا محضرون لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم
بخارجين منها لما ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجي من الوعيد والمراد
بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعمة
الله الظاهرة وقيل الصلاة وقيل لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القران قال نعم وتلا هذه الاية تمسون
صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وحين تظهرون صلاة الظهر وقوله وعشيا متصل
بقوله وحين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراض بينهما ومعناه ان على المميزين كلهم من اهل
السموات والارض ان يحمدوه فان قلت لم ذهب الحسن رح الى ان الاية مدنية قلت لانه كان يقول فرضت
الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معلوم والقول الاكثر ان الخمس

انما فرضت بمكة وعن عائشة رض فرضت الصلوة ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اقرت صلوة السفر وزيد في
صلوة الحضر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
الاية وعنه صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته
في يومه ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته في ليلته وفي قراءة عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون والمعنى
تمسون فيه وتصبحون فيه كقولهم يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا بمعنى فيه الحي من الميت الطائر من البيضة
والميت من الحي البيضة من الطائر واحياء الارض بعد موتها اخراج النبات منها وكذلك تخرجون ومثل ذلك
الاخراج تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى ان الابداء والاعادة متساويان في قدرة من هو قادر على
الطرد والعكس من اخراج الميت من الحي واخراج الحي من الميت واحياء الميت واماتة الحي وقرئ الميت بالتشديد
وتخرجون بفتح التاء خلقكم من تراب لانه خلق اصلهم منه واذا للمفاجاة وتقديره ثم فاجاتم وقت كونكم
بشرا منتشرين في الارض كقوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من ضلع ادم
والنساء بعدها خلقن من اصلاب الرجال او من شكل انفسكم وجنسها لا من جنس اخر وذلك لما بين الاثنين
من جنس واحد من الالف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر وجعل بينكم المودة والرحمة
بعصمة الزواج بعد ان لم يكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة او رحم وعن
الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال ورحمة منا وقال ذكر رحمة ربك عبده ويقال سكن
اليه اذا مال اليه كقولهم انقطع اليه واطمان اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه فعل بمعنى
مفعول وقيل ان المودة والرحمة من قبل الله وان الفرك من قبل الشيطان الالسنة اللغات او اجناس
النطق واشكاله خالف عز وجل بين هذه الاشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد ولا
جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق
واحواله وكذلك الصور وتخطيطها والالوان وتنويعها ولاختلاف ذلك وقع التعارف والا فلو اتفقت
وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رايت توامين
يشتبهان في الحلية فيعروك الخطا في التمييز بينهما وتعرف حكمة الله تعالى في المخالفة بين الحلى وفي ذلك اية بينة
حيث ولدوا من اب واحد وفرعوا من اصل فذ وهم على الكثرة التي لا يعلمها الا الله مختلفون متفاوتون وقرئ
للعالمين بفتح اللام وكسرها ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون هذا من باب اللف وترتيبه ومن
اياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الاخرين
لانهما زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ويجوز ان يراد منامكم في الزمانين
وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الاول لتكرره في القران واسد المعاني ما دل عليه القران يسمعونه بالاذان
الواعية يريكم وجهان اضمار ان وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدي خير من ان تراه
وقول القائل وقالوا ما تشاء فقلت الهو الى الاصباح اثر ذي اثير خوفا من الصاعقة او من الاخلاف
وطمعا في الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له فان قلت من حق المفعول له
ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك قلت فيه وجهان احدهما ان المفعولين فاعلون
في المعنى لانهم راءون فكانه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا والثاني ان يكون على تقدير حذف المضاف
اي ارادة خوف وارادة طمع فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويجوز ان يكونا حالين اي خائفين
وطامعين وقرئ ينزل بالتشديد ومن اياته قيام السموات والارض واستمساكهما بغير عمد بامره
اي بقوله كونا قائمتين والمراد باقامته لهما وارادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال وقوله اذا دعاكم
بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كانه قال ومن اياته قيام السموات والارض
ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من
غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل دعوت كليبا دعوة فكانما دعوت بابن الطود
يريد بابن الطود الصدى او الحجر اذا تدهدى وانما عطف هذا على قيام السموات والارض بثم بيانا
لعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة
من الاولين والاخرين الا قامت تنظر كما قال عز وعلا ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقولك دعوته
من مكان كذا كما يجوز ان يكون مكانك يجوز ان يكون مكان صاحبك تقول دعوت زيدا من اعلى الجبل
فنزل علي ودعوته من اسفل الوادي فطلع الي فان قلت بم يتعلق من الارض ابالفعل ام بالمصدر قلت
هيهات اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل فان قلت ما الفرق بين اذا واذا قلت الاولى للشرط والثانية
للمفاجاة وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط وقرئ تخرجون بضم التاء وفتحها قانتون منقادون لوجود
افعاله فيهم لا يمتنعون عليه وهو اهون عليه فيما يجب عندكم وينقاس على اصولكم ويقتضيه معقولكم
لان من اعاد منكم صنعة شيء كانت اسهل عليه واهون من انشائها وتعتذرون للصانع اذا اخطا
في بعض ما ينشيه بقولكم اول الغزو اخرق وتسمون الماهر في صناعة معاودا تعني انه عاودها

مرة بعد

كرة بعد اخرى حتى هونت عليها وهانت عليه فان قلت لم ذكر الضمير في قوله وهو اهون عليه والمراد به الاعادة
قلت معناه وان يعيده اهون عليه فان قلت لم اخرت الصلة في قوله وهو اهون عليه وقدمت في قوله
هو علي هين قلت هنالك قصد الاختصاص وهو محزه فقيل هو علي هين وان كان مستصعبا
عندك ان يولد بين هم وعاقر واما ههنا فلا معنى للاختصاص كيف والامر مبني على ما يعقلون من ان
الاعادة اسهل من الابتدا فلو قدمت الصلة لتغير المعنى فان قلت ما بال الاعادة استعظمت في قوله
ثم اذا دعاكم حتى كانها فضلت على قيام السموات والارض بامره ثم هونت بعد ذلك قلت الاعادة
في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء وقيل الضمير في عليه للخلق ومعناه ان البعث
اهون على الخلق من الانشا وتكوينه في حد الاستحكام والتمام اهون عليه واقل تعبا وكدا من ان
ينتقل في احوال ويتدرج فيها الى ان يبلغ ذلك الحد وقيل الاهون بمعنى الهين ووجه اخر وهو ان
الانشا من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين ان يفعله والاعادة من قبيل الواجب الذي لا بد له
من فعله لانها لجزا الاعمال وجزاوها واجب والافعال اما محال والمحال ممتنع اصلا خارج عن المقدور واما
ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح وهو رديف المحال لان الصارف يمنع وجود الفعل كما
تمنعه الاحالة واما تفضل والتفضل حالة بين بين للفاعل ان يفعله وان لا يفعله واما واجب لا بد من
فعله ولا سبيل الى الاخلال به فكان الواجب ابعد الافعال من الامتناع واقربها من الحصول فلما كانت
الاعادة من قبيل الواجب كانت ابعد الافعال من الامتناع كانت ادخلها في التاتي والتسهل فكانت
اهون واذا كانت اهون منها كانت اهون من الانشا وله المثل الاعلا اي الوصف الاعلا الذي ليس لغيره
مثله قد عرف به ووصف في السموات والارض على السنة الخلايق والسنة الدلايل وهو انه القادر الذي
لا يعجز عن شي من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله وهو العزيز الحكيم اي القاهر
على كل مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن مجاهد المثل الاعلا قول لا اله الا الله
ومعناه وله الوصف الاعلا الذي هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم وقال
الزجاج وله المثل الاعلا في السموات والارض اي قوله وهو اهون عليه قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل
يريد التفسير الاول فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية والثالثة في قوله من انفسكم من ما ملكت ايمانكم
من شركا قلت الاولى للابتدا كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شي منكم وهي انفسكم ولم يبعد والثانية
للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم امثالكم
بشر كبشر وعبيد كعبيد ان يشارككم بعضهم فيما رزقناكم من الاموال وغيرها تكونون انتم وهم فيه على السوا
من غير تفضلة بين حر وعبد تهابون ان تستبدوا بتصرف دونهم وان تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم
بعضا من الاحرار فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد
ان تجعلوا بعض عبيده له شركا كذلك اي مثل هذا التفصيل نفصل الايات اي نبينها لان التمثيل مما يكشف المعاني
ويوضحها لانه بمنزلة التصوير والتشكيل لها الا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة بل اتبع الذين ظلموا اي اشركوا
كقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم اهواءهم بغير علم اي اتبعوا اهواءهم جاهلين لان العالم اذا ركب هواه
ربما ردعه علمه وكفه واما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شي فمن يهدي من اضل الله من خذله الله
ولم يلطف به لعلمه انه ممن لا لطف له فمن يقدر على هداية مثله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على
ان المراد بالاضلال الخذلان فاقم وجهك للدين فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو
تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه باسبابه فان من اهتم بالشي عقد عليه طرفه
وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه حنيفا حال من المامور او من الدين فطرت الله الزموا
فطرة الله او عليكم فطرة الله وانما اضمرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين اليه ومنيبين حال من الضمير في
الزموا وقوله واتقوه واقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر والفطرة الخلقة الا ترى الى قوله لا تبديل
والمعنى انه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل
مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا اخر ومن غوى منهم فباغوا شياطين الجن
والانس ومنه قوله عليه السلام كل عبادي خلقت حنفا فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا
بي غيري وقوله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه لا تبديل لخلق الله
اي ما ينبغي ان تبدل تلك الفطرة وتغير فان قلت لم وحد الخطاب اولا ثم جمع قلت خوطب رسول الله
اولا وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص
من الذين بدل من المشركين فارقوا دينهم تركوا دين الاسلام وقرئ فرقوا دينهم اي جعلوه اديانا مختلفة لاختلاف
اهوائهم وكانوا شيعا فرقا كل واحدة تشايع امامها الذي اضلها كل حزب منهم فرح بمذهبه مسرور يحسبه
حقا ويجوز ان يكون من الذين منقطعا مما قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم
ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل كقوله وكل خليل غير هاضم نفسه الضر الشدة من هزال او مرض او قحط

او غير ذلك والرحمة الخلاص من الشدة واللام في ليكفروا مجاز مثلها في ليكون لهم عدوا فتمتعوا نظير اعملوا ما شئتم
فسوف تعلمون وبال تمتعكم وقرأ ابن مسعود وليتمتعوا السلطان الحجة وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا
وهذا مما نطق به القران ومعناه الدلالة والشهادة كانه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته وما في بما كانوا مصدرية
اي بكونهم بالله يشركون ويحتمل ان يكون المعنى ام انزلنا عليهم ذا سلطان اي ملكا معه برهان فذلك الملك يكلم
بالبرهان الذي بسببه يشركون واذا اذقنا الناس رحمة اي نعمة من مطر او سعة او صحة فرحوا بها وان تصبهم سيئة
اي بلا من جدب او ضيق او مرض والسبب فيه شوم معاصيهم قنطوا من الرحمة ثم انكر عليهم بانهم قد علموا انه
هو الباسط القابض فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه تائبين من المعاصي التي عوقبوا بالشدة
من اجلها حتى يعيد اليهم رحمته وآت ذا القربى حقه حق ذي القربى صلة الرحم وحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة
المسماة لهما وقد احتج ابو حنيفة رح بهذه الاية في وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب
وعند الشافعي رح لا نفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم لانه لا ولاد بينهم
فان قلت كيف تعلق قوله فآت ذا القربى بما قبله حتى جي بالفاء قلت لما ذكر ان السيئة اصابتهم بما قدمت ايديهم
اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك يريدون وجه الله يحتمل ان يراد بوجهه ذاته او جهته وجانبه
اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا وحقه كقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى او يقصدون جهة التقرب الى الله
لا جهة اخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة وهذه الاية في معنى قوله عز وجل يمحق الله الربا ويربي
الصدقات سوا بسوا يريد وما اعطيتم اكلة الربا من ربا ليربوا في اموالهم ليزيد ويزكوا في اموالهم فلا يزكوا
عند الله ولا يبارك فيه وما آتيتم من زكاة اي صدقة تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافاة ولا رياء
ولا سمعة فاولئك هم المضعفون ذووا الاضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة
واليسار وقرئ بفتح العين وقيل نزلت في ثقيف وكانوا يربون وقيل المراد ان يهب الرجل للرجل او يهدي له
ليعوضه اكثر مما وهب او اهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة وقالوا الربا
ربوان فالحرام كل قرض يوخذ فيه اكثر منه او يجر منفعة والذي ليس بحرام ان يستدعي بهبته او بهديته اكثر منها
وفي الحديث المستغزر يثاب من هبته وقرئ وما آتيتم من ربا بمعنى وما غشيتموه او رهقتموه من اعطا ربا وقرئ
لتربوا اي لتزيدوا في اموالكم كقوله ويربي الصدقات اي يزيدها وقوله فاولئك هم المضعفون التفات حسن
كانه قال لملئكته وخواص خلقه فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهو امدح لهم
من ان يقول فانتم المضعفون والمعنى المضعفون به لانه لا بد من ضمير يرجع الى ما ووجه اخر وهو ان يكون
تقديره فمؤتوه اولئك هم المضعفون والحذف لما في الكلام من الدليل عليه وهذا اسهل ماخذا والاول املا
بالفائدة الله مبتدا وخبره الذي خلقكم اي الله هو فاعل هذه الافعال الخاصة التي لا يقدر على شي منها
احد غيره ثم قال هل من شركايكم الذين اتخذتموهم اندادا له من الاصنام وغيرها من يفعل شيئا قط من
تلك الافعال حتى يصح ما ذهبتم اليه ثم استبعد حاله من حال شركايهم ويجوز ان يكون الذي خلقكم صفة
للمبتدا والخبر هل من شركايكم وقوله من ذلكم هو الذي ربط الجملة بالمبتدا لان معناه من افعاله ومن الاولى
والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتاكيد لتعجيز شركايهم وتجهيل عبدتهم الفساد في البر والبحر
نحو الجدب والقحط وقلة الريع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدواب
وكثرة الحرق والغرق واخفاق الصيادين والغاصة ومحق البركات من كل شي وقلة المنافع في الجملة وكثرة
المضار وعن ابن عباس اجدبت الارض وانقطعت مادة البحر وقالوا اذا انقطع القطر عميت دواب
البحر وعن الحسن ان المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي على شاطئه وعن عكرمة العرب تسمي الامصار
البحار وقرئ في البر والبحور بما كسبت ايدي الناس بسبب معاصيهم وذنوبهم كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم وعن ابن عباس ظهر الفساد في البر بقتل ابن ادم اخاه وفي البحر بان جلندى كان
ياخذ كل سفينة غصبا وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع راجعون عن
الضلال والظلم ويجوز ان يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك فان قلت ما معنى قوله ليذيقهم بعض
الذي عملوا لعلهم يرجعون قلت اما على التفسير الاول فظاهر وهو ان الله تعالى قد افسد اسباب
دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال بعض اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بجميعها في الاخرة لعلهم يرجعون
عما هم عليه واما على الثاني فاللام مجاز على معنى ان ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به ان يذيقهم
الله وبال اعمالهم ارادة الرجوع فكانهم انما افسدوا او تسببوا لفشو المعاصي في الارض لاجل ذلك
وقرئ لنذيقهم بالنون ثم اكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله حيث امرهم بان يسيروا فينظروا كيف
اهلك الله الامم واذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم ودل بقوله كان اكثرهم مشركين على ان الشرك وحده
لم يكن سبب تدميرهم وان ما دونه من المعاصي يكون سببا لذلك القيم البليغ الاستقامة الذي لا يتاتى
فيه عوج من الله اما ان يتعلق بياتي فيكون المعنى من قبل ان ياتي من الله يوم لا يرده احد كقوله فلا يستطيعون
ردها او بمرد على معنى لا يرده هو بعد ان يجيء به ولا رد له من جهته والمرد مصدر بمعنى الرد يصدعون
يتصدعون اي يتفرقون كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فعليه كفره كلمة جامعة لما لا غاية

ورآه من المضار لأن من كان ضاره كفره فقد أحاطت به كل مضرة **فلأنفسهم يمهدون** أي يسوون لأنفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطئه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينبيه عليه وينغص عليه مرقده من نتو أو قضض أو بعض ما يؤذي الراقد ويجوز أن يريد فعلى أنفسهم يشفقون من قولهم في المشفق أم فرشت فأنامت وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على أن ضرر الكفر لا يعود إلا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الإيمان والعمل الصالح ترجع إلى المؤمن لا تتجاوزه **ليجزي** متعلق بيمهدون تعليل له **من فضله** مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لأن الفضل تبع للثواب فلا يكون إلا بعد حصول ما هو تبع له أو أراد من عطائه وهو ثوابه لأن الفضول والفواضل هي الأعطية عند العرب وتكرير الذين آمنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير إلى الصريح لتقرير أنه لا يفلح عند الله إلا المؤمن الصالح وقوله **إنه لا يحب الكافرين** تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس

الرياح هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد الأغراض في إرسالها وأنه أرسلها للبشارة بالغيث وإذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الأرض قال رسول الله صم إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض وإزالة العفونة من الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك **ولتجري الفلك** في البحر عند هبوبها وإنما زاد بأمره لأن الريح قد تهب ولا تكون مؤاتية فلا بد من إرساء السفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت فأغرقتها **ولتبتغوا من فضله** يريد تجارة البحر ولتشكروا نعمة الله فيها **فإن قلت** بم تعلق وليذيقكم **قلت** فيه وجهان أن يكون معطوفا على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم وليذيقكم وأن يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا أرسلناها اختصر الطريق إلى الغرض بأن أدرج تحت الانتصار ولنصر ذكر الفريقين وقد أخلى الكلام أولا عن ذكرهما وقوله **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** تعظيم للمؤمنين ورفع من شأنهم وتأهيل لكرامة سنية وإظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم مستوجبين عليه أن يظهرهم ويظفرهم وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم يبتدأ علينا نصر المؤمنين وعن رسول الله صم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين **فيبسطه** متصلا تارة **ويجعله كسفا** أي قطعا تارة **فترى الودق يخرج من خلاله** في التارتين جميعا والمراد بالسماء سمت السماء وشقها كقوله وفرعها في السماء وبإصابة العباد إصابة بلادهم وأراضيهم **من قبله** من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم يأسهم وتمادى إبلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك وقرئ **أثر** وآثار على الوحدة والجمع وقرأ أبو حيوة تحيي أي الرحمة **كيف يحيي** أي الرحمة إن ذلك يعني إن ذلك القادر الذي يحيي الأرض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم **وهو على كل شيء** من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء **فرأوه** فرأوا أثر رحمة الله لأن رحمة الله هي الغيث وأثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير إلى معنى الآثار لأن أثر الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لأنه مصدر سمي به ما ينبت **ولئن** هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط **لظلوا** جواب القسم سد مسد الجوابين أعني جواب القسم وجواب الشرط والمعنى ليظلن ذمهم الله عز وجل بأنه إذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا أذقانهم على صدورهم مبلسين فإذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا فإذا أرسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة كان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وأن يشكروا نعمة الله ويحمدوه عليها فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار وأن يصبروا على بلائه فكفروا والريح التي اصفر لها النبات يجوز أن تكون حرورا وحرجفا فكلتاهما مما يصوح له النبات ويصبح هشيما وقال مصفرا لأن تلك صفرة حادثة وقيل فرأوا السحاب مصفرا لأنه إذا كان كذلك لم يمطر وقرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان والضم أقوى في القراءة لما روي أن عمر قال قرأتها على رسول الله صم **من ضعف** فأقرأني من ضعف وقوله خلقكم من ضعف كقوله خلق الإنسان من عجل يعني أن أساس أمركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف وخلق الإنسان ضعيفا أي ابتدأناكم في أول الأمر ضعافا فأول ذلك حال الطفولية والنشوء حتى بلغتم وقت الاحتلام والشبيبة وتلك حال القوة إلى الاكتهال وبلوغ الأشد ثم رددتم إلى أصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل من ضعف من النطف كقوله من ماء مهين وهذا الترديد في الأحوال المختلفة والتغيير من هيئة إلى هيئة وصفة إلى صفة أظهر دليل وأعدل شاهد على الصانع العليم القدير الساعة القيامة سميت بذلك لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لأنها تقع بغتة وبديهة كما تقول في ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة وأرادوا لبثهم في الدنيا أو في القبور أو فيما

بين فناء الدنيا إلى البعث وفي الحديث ما بين فناء الدنيا إلى وقت البعث أربعون قالوا لا نعلم أهي أربعون سنة أم أربعون ألف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم وإنما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصار لمدة لبثهم أو ينسون أو يكذبون أو يخمنون **كذلك** كانوا يؤفكون أي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق في الدنيا وهكذا كانوا يبنون أمورهم على خلاف الحق ومثل ذلك الإفك كانوا يؤفكون في الاغترار بما تبين لهم الآن أنه ما كان إلا ساعة ثم القائلون هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون **في كتاب الله** في اللوح أو في علم الله وقضائه أو فيما كتبه وأوجبه بحكمته ردوا ما قالوه وحلفوا عليه وأطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على إنكار البعث بقولهم فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون أنه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه **فإن قلت** ما هذه الفاء وما حقيقتها **قلت** هي التي في قوله فقد جئنا خراسانا وحقيقتها أنها جواب شرط يدل عليه الكلام كأنه قال إن صح ما قلتم إن خراسان أقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وآن لنا أن نخلص وكذلك إن كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث أي فقد تبين بطلان قولكم وقرأ الحسن يوم البعث بالتحريك **لا ينفع** قرئ بالياء والتاء **يستعتبون** من قولك استعتبني فلان فأعتبته أي استرضاني فأرضيته وذلك إذا كنت جانيا عليه وحقيقة أعتبته أزلت عتبه ألا ترى إلى قوله غضبتم أن تقتلوا عامرا يوم النسار فأعتبوا بالصيلم كيف جعلهم غضابا ثم قال فأعتبوا أي أزيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال لهم أرضوا ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى فلا يخرجون منها ولا هم يستعتبون **فإن قلت** كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الآيات وغير معتبين في بعضها وهو قوله وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين **قلت** أما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه وأما كونهم غير معتبين فمعناه أنهم غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه فإن يستعتبوا الله أي يسألوا إزالة ما هم فيه فما هم من المجابين إلى إزالته **ولقد** وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم ومج أسماعهم حديث الآخرة إذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل ثم قال مثل ذلك الطبع **يطبع الله على قلوب** الجهلة ومعنى طبع الله منع الألطاف التي تنشرح لها الصدور حتى تقبل الحق وإنما يمنعها من علم أنه لا تجدي عليه ولا تغني عنه كما يمنع الواعظ الموعظة من يتبين له أن الموعظة تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدأ والرين إياها وكأنه قال كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم أعرق خلق الله في تلك الصفة **فاصبر** على عداوتهم **إن وعد الله** بنصرتك وإظهار دينك على الدين كله حق لا بد من إنجازه والوفاء به ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فإنهم قوم شاكون ضالون لا تستبدع منهم ذلك وقرئ بتخفيف النون وقرأ ابن أبي إسحق ويعقوب ولا يستحقنك أي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا أحق بك من المؤمنين **قال** رسول الله صم من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع في يومه وليلته

سورة لقمان مكية وهي أربع وثلاثون آية وقيل ثلث وثلاثون بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب الحكيم ذي الحكمة أو وصف بصفة الله على الإسناد المجازي ويجوز أن يكون الأصل الحكيم قائله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة **هدى ورحمة** بالنصب على الحال عن الآيات والعامل فيهما ما في تلك من معنى الإشارة وبالرفع على أنه خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف **للمحسنين** للذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها الله من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيقان بالآخرة ونظيره قول أوس الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا حكي عن الأصمعي أنه سئل عن الألمعي فأنشد ولم يزد أو للذين يعملون جميع ما يحسن من الأعمال ثم خص منهم القائمين بهذه الثلاث لفضل الاعتداد بها **لهو الحديث** كل باطل ألهى عن الخير وعما يعني ولهو الحديث نحو السمر بالأساطير والأحاديث التي لا أصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار وما أشبه ذلك وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان يتجر إلى فارس فيشتري كتب الأعاجم فيحدث بها قريشا ويقول إن كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بأحاديث رستم وبهرام والأكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته فيقول أطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه وفي حديث النبي صم لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا أثمانهن وعنه صم ما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربان بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت وقيل الغناء منفدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب **فإن قلت** ما معنى إضافة اللهو إلى الحديث **قلت** معناها التبيين وهي الإضافة بمعنى من وأن يضاف الشيء إلى ما هو منه كقولك صفة خز وباب ساج

والمعنى من يشتري من الحديث. لان اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبيّن بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش ويجوز ان تكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كانه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه. وقوله يشتري اما من الشراء على ما روي عن النضر من شراء كتب الاعاجم. او من شراء القيان واما من قوله اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه منه واختاروه عليه. وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث الباطل على حديث الحق. وقرئ ليضل بضم اليا وفتحها وسبيل الله دين الاسلام او القرآن فان قلت القراءة بالضم بينة لان النضر كان غرضه باشتراء اللهو ان يصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح قلت فيه معنيان احدهما ليثبت على ضلاله الذي كان عليه. والثاني ان يوضع ليضل موضع ليضل من قبل ان من اضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف فان قلت ما معنى قوله بغير علم قلت لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اي وما كانوا مهتدين للتجارة بصراء بها وقرئ ويتخذها بالنصب والرفع عطفا على يشتري او ليضل والضمير للسبيل لانها مؤنثة كقوله تعالى ويصدون عن سبيل الله من آمن ويبغونها عوجا ولى مستكبرا زاما لا يعبأ بها ولا يرفع بها راسا. شبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع كان في اذنيه وقرا اي ثقلا ولا وقر فيهما وقرئ بسكون الذال فان قلت ما محل الجملتين المصدرتين بكان قلت الاولى حال من مستكبرا والثانية من لم يسمعها ويجوز ان يكونا استئنافين والاصل كانه والضمير ضمير الشان وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لان قوله لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم وهو العزيز الحكيم الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه يقدر على الشيء وضده فيعطي النعيم من شاء والبؤس من شاء وهو الحكيم لا يشاء الا ما توجبه الحكمة والعدل ترونها الضمير فيه للسموات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك انا بلا سيف ولا رمح تراني فان قلت ما محلها من الاعراب قلت لا محل لها لانها مستانفة او في محل الجر صفة للعمد اي بغير عمد مرئية يعني انه عمدها بعمد لا ترى وهو امساكها بقدرته هذه اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته والخلق بمعنى المخلوق والذين من دونه آلهتهم بكتهم بان هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله وانشاه فاروني ما خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة ثم اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال هو لقمن بن باعورا ابن اخت ايوب او ابن خالته وقيل كان من اولاد آزر. وعاش الف سنة وادرك داود واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال الا اكتفي اذا كفيت. وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل والاكثر على انه كان حكيما ولم يكن نبيا. وعن ابن عباس لقمن لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا اسود فرزقه الله العتق ورضي قوله ووصيته. فقص امره في القرآن ليتمسكوا بوصيته. وقال عكرمة والشعبي كان نبيا. وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة. وعن ابن المسيب كان اسود من سودان مصر خياطا وعن مجاهد كان عبدا اسود غليظ الشفتين متشقق القدمين وقيل كان نجارا وقيل كان راعيا. وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة. وعنه انه قال لرجل ينظر اليه ان كنت تراني غليظ الشفتين فانما يخرج من بينهما كلام رقيق وان كنت تراني اسود فقلبي ابيض. وروي ان رجلا وقف عليه في مجلسه فقال الست الذي ترعى معي في مكان كذا قال بلى قال فما بلغ بك ما ارى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني. وروي انه دخل على داود وهو يسرد الدرع وقد لين الله له الحديد كالطين فاراد ان يساله فادركته الحكمة فسكت فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما. وروي ان مولاه امره بذبح شاة وبان يخرج منها اطيب مضغتين فاخرج اللسان والقلب ثم امره بمثل ذلك بعد ايام وان يخرج اخبث مضغتين فاخرج اللسان والقلب فساله عن ذلك فقال هما اطيب ما فيها اذا طابا واخبث ما فيها اذا خبثا. وعن سعيد بن المسيب انه قال لاسود لا تحزن فانه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمن. ان هي المفسرة لان ايتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه الله سبحانه على ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر غني غير محتاج الى الشكر حميد حقيق بان يحمد وان لم يحمده احد قيل اسم ابنه انعم وقال الكلبي اشكم وقيل كان ابنه وامراته كافرين فما زال بهما حتى اسلما لظلم عظيم لان التسوية بين من لا نعمة الا هي منه ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصور ان تكون منه ظلم لا يكتنه عظمه اي حملته تهن وهنا على وهن كقولك رجع عودا على بدء بمعنى يعود عودا على بدء وهو في موضع الحال والمعنى انها تضعف ضعفا فوق ضعف اي يتزايد ضعفها ويتضاعف لان الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا وضعفا وقرئ وهنا على وهن بالتحريك عن ابي عمرو يقال وهن يوهن

ووهن يهن. وقرئ وفصله ان اشكر تفسير لوصينا ما ليس لك به علم اراد بنفي العلم به نفيه اي لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الاصنام كقوله ما تدعون من دونه من شيء معروفا صحابا او مصاحبا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه الكرم والمروءة واتبع سبيل من اناب الي يريد واتبع سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وان كنت مامورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا ثم الي مرجعك ومرجعهما فاجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما علم بعد لك حكم الدنيا وما يجب على الانسان في صحبتهما ومعاشرتهما من مراعاة حق الابوة وتعظيمه وما لهما من المواجب التي لا يسوغ الاخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما في الآخرة وروي انه قال لو كانت لها سبعون نفسا فخرجت لما ارتددت الى الكفر فان قلت هذا الكلام كيف وقع في اثناء وصية لقمن قلت هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد تاكيدا لما في وصية لقمن من النهي عن الشرك فان قلت قوله حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين كيف اعترض به بين المفسر والمفسر قلت لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام وتعانيه من المشاق والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة ايجابا للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا بحقها العظيم مفردا. ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قال له من ابر قال امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك. وعن بعض العرب انه حمل امه الى الحج على ظهره وهو يقول في حدائه بنفسه احمل امي وهي الحماله ترضعني الدرة والعلالة ولا يجازى والد فعاله فان قلت ما معنى توقيت الفصال بالعامين قلت المعنى في توقيته بهذه المدة انها الغاية التي لا تتجاوز والامر فيما دون العامين موكول الى اجتهاد الام ان علمت انه يقوى على الفطام فلها ان تفطمه ويدل عليه قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وبه استشهد الشافعي على ان مدة الرضاع سنتان لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما وهو مذهب ابي يوسف ومحمد واما عند ابي حنيفة فمدة الرضاع ثلثون شهرا. وعن ابي حنيفة ان فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم ارضعته لم يكن رضاعا وان اكل اكلا ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع ثم ارضعته فهو رضاع محرم وقرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير للهنة من الاساءة والاحسان اي ان كانت مثلا في الصغر والقماءة كحبة خردل فكانت مع صغرها في اخفى موضع واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي ياتي بها الله يوم القيمة فيحاسب بها عاملها ان الله لطيف يتوصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه. وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها. ومن قرا بالرفع كان ضمير القصة وانما انث المثقال لاضافته الى الحبة كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم. وروي ان ابن لقمن قال له ارايت الحبة تكون في مقل البحر اي مغاصه يعلمها الله فقال ان الله يعلم اصغر الاشياء في اخفى الامكنة لان الحبة في الصخرة اخفى منها في الماء وقيل الصخرة هي التي تحت الارض وهي السجين تكتب فيها اعمال الكفار. وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن اذا استقر في وكنته وهي مقره ليلا واصبر على ما اصابك يجوز ان يكون عاما في كل ما يصيبه من المحن وان يكون خاصا بما يصيبه فيما امر به من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من اذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر ان ذلك مما عزمه الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل اي لم يقطعه بالنية الا ترى الى قوله لمن لم يبيت الصيام ومنه ان الله تعالى يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ بعزائمه. وقولهم عزمة من عزمات ربنا الملوك وذلك ان يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك الا فعلت كذا اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا منتدح في تركه. وحقيقته انه من تسمية المفعول بالمصدر واصله من معزومات الامور اي مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز ان يكون مصدرا في معنى الفاعل اصله من عازمات الامور من قوله تعالى فاذا عزم الامر كقولك جد الامر وصدق القتال وناهيك بهذه الآية مؤذنة بقدم هذه الطاعات وانها كانت مامورا بها في سائر الامم وان الصلوة لم تزل عظيمة الشان سابقة القدم على ما سواها موصى بها في الاديان كلها تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال اصعر خده وصعره وصاعره كقولك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى والصعر والصيد داء يصيب البعير يلوي منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون اراد ولا تمش تمرح مرحا او اوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز ان يريد لا تمش لاجل المرح والاشر اي لا يكن غرضك في المشي البطالة والاشر كما يمشي كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم ديني او دنيوي ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس والمختال مقابل للماشي مرحا وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا واقصد في مشيك واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثب الشطار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن. واما قول عائشة في عمر كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وقرئ واقصد بقطع الهمزة اي سدد في مشيك من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان اذا قصر به ووضع منه ان انكر الاصوات اوحشها من قولك شيء نكر

إذا أنكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت. والحمار مثلٌ في الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه
ومن استفحاشهم لذكره مجرّدا وتفاديهم من اسمه أنهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به
فيقولون الطويل الأذنين كما يكنى عن الأشياء المستقذرة وقد عُدّ في مساوي الآداب أن يجري ذكر الحمار
في مجلس قوم من أولي المروءة. ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وإن بلغت منه الرجلة فتشبيه
الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه وإخراجه
مخرج الاستعارة وأن جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة في الذم والتهجين وإفراط
في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على أنه من كراهة الله بمكان. فإن قلت لم وُحّد
صوت الحمير ولم يجمع قلت ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع وإنما
المراد أن كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس
فوجب توحيده. ما في السموات الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك. وما في الأرض البحار والأنهار والمعادن
والدواب وما لا يحصى. وأسبغ قرئ بالسين والصاد وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف
تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ. وقرئ نعمه ونعمةً ونعمته. فإن قلت ما النعمة قلت
كل نفع قُصد به الإحسان والله عز وعلا خلق العالم كله نعمة لأنه إما حيوان أو غير حيوان فما ليس بحيوان
نعمة على الحيوان والحيوان نعمة من حيث أن إيجاده حيا نعمة عليه لأنه لولا إيجاده حيا لما صحّ منه الانتفاع
وكل ما أدى إلى الانتفاع وصحّحه فهو نعمة. فإن قلت لم كان خلق العالم مقصودا به الإحسان قلت لأنه
لا يخلقه إلا لغرض وإلا كان عبثا والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز أن يكون لغرض راجع إليه من نفع لأنه
غني غير محتاج إلى المنافع فلم يبق إلا أن يكون لغرض يرجع إلى الحيوان وهو نفعه. فإن قلت فما معنى الظاهرة
والباطنة قلت الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم إلا بدليل أو لا يعلم أصلا
فكم في بدن الإنسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدي إلى العلم بها وقد أكثروا في ذلك فعن مجاهد الظاهرة
ظهور الإسلام والنصر على العدو والباطنة الإمداد من الملائكة. وعن الحسن الظاهرة الإسلام والباطنة
الستر. وعن الضحاك الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الأعضاء والباطنة المعرفة
وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم
وما أشبه ذلك. ويروى في دعاء موسى عليه السلام إلهي دلني على أخفى نعمتك على عبادك فقال أخفى نعمتي النفس
ويروى أن أيسر ما يعذب به أهل النار الأخذ بالأنفاس. معناه أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم
أي في حال دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن يسلّم بالتشديد يقال
أسلم أمرك وسلّم أمرك إلى الله فإن قلت ماله عُدّي بإلى وقد عُدّي باللام في قوله بلى من أسلم وجهه لله قلت معناه مع
اللام أنه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله أي خالصا لله ومعناه مع إلى أنه أسلم إليه نفسه
كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه والمراد التوكل عليه والتفويض إليه فقد استمسك بالعروة الوثقى من باب التمثيل
مثّلت حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل
متين مأمون انقطاعه وإلى الله عاقبة الأمور أي هي صائرة إليه. وقرئ يحزنك ويحزنك من حزن وأحزن والذي عليه
الاستعمال المستفيض أحزنه ويحزنه. والمعنى لا يهمنّك كفر من كفر وكيده للإسلام فإن الله عز وجل دافع
كيده في نحره ومنتقم منه ومعاقبه على عمله إن الله يعلم ما في صدور عباده فيفعل بهم على حسبه. نمتعهم
زمانا قليلا بدنياهم ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ شبّه إلزامهم التعذيب وإرهاقهم إياه باضطرار
المضطر إلى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه. والغلظ مستعار من الأجرام الغليظة والمراد الشدة
والثقل على المعذب. قل الحمد لله إلزام لهم على إقرارهم بأن الذي خلق السموات والأرض هو الله وحده وأنه
يجب أن يكون له الحمد والشكر وأن لا يعبد معه غيره ثم قال بل أكثرهم لا يعلمون أن ذلك يلزمهم وإذا نبهوا
عليه لم ينتبهوا. إن الله هو الغني عن حمد الحامدين المستحق للحمد وإن لم يحمدوه. قرئ والبحر بالنصب عطفا
على اسم إن وبالرفع عطفا على محل إن ومعمولها على ولو ثبت كون الأشجار أقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة أبحر
أو على الابتداء والواو للحال على معنى ولو أن الأشجار أقلام في حال كون البحر ممدودا. وفي قراءة ابن مسعود
وبحر يمده على التنكير ويجب أن يحمل هذا على الوجه الأول. وقرئ يمده ويمده بالياء والتاء. فإن قلت كان مقتضى
الكلام أن يقال ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد قلت أغنى عن ذكر المداد قوله يمده لأنه من قولك
مدّ الدواة وأمدّها جعل البحر الأعظم بمنزلة الدواة وجعل الأبحر السبعة مملوءة مدادا فهي تصب فيه
مدادها أبدا صبا لا ينقطع. والمعنى ولو أن أشجار الأرض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك
الأقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الأقلام والمداد كقوله عز وجل لو كان البحر مدادا لكلمات
ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي. فإن قلت زعمت أن قوله والبحر يمده حال في أحد وجهي الرفع وليس فيه ضمير
راجع إلى ذي الحال قلت هو كقوله ٥ وقد أغتدي والطير في وكناتها ٥ وجئت والجيش مصطف

وما أشبه ذلك من الأحوال التي حكمها حكم الظروف ويجوز أن يكون المعنى وبحرها والضمير للأرض. فإن قلت لم قيل
من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر قلت أريد تفصيل الشجر وتقصّيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من
جنس الشجر ولا واحدة إلا قد بريت أقلاما. فإن قلت الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله
قلت معناه أن كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه. وعن ابن عباس أنها نزلت جوابا لليهود لما قالوا
أوتينا التوراة وفيها كل الحكمة وقيل إن المشركين قالوا إن هذا يعني الوحي كلام سينفد فأعلم الله أن كلامه لا ينفد
وهذه الآية عند بعضهم مدنية وأنها نزلت بعد الهجرة وقيل مكية وإنما أمر اليهود وفد قريش أن يقولوا
لرسول الله ألست تتلو فيما أنزل عليك أنا قد أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء. إن الله عزيز لا يعجزه شيء. حكيم لا يخرج
من علمه وحكمته شيء ومثله لا تنفد كلماته وحكمه. إلا كنفس واحدة إلا كخلقها وبعثها أي سواء في قدرته القليل والكثير
والواحد والجمع لا يتفاوت وذلك أنه إنما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد أن لو شغله شأن
عن شأن وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك. إن الله سميع بصير يسمع كل صوت ويبصر كل مبصر في حالة واحدة
لا يشغله إدراك بعضها عن إدراك بعض فكذلك الخلق والبعث. كل واحد من الشمس والقمر يجري في فلكه ويقطعه
إلى وقت معلوم الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى آخر الشهر. وعن الحسن الأجل المسمى يوم القيامة لأنه لا ينقطع
جريهما إلا حينئذ. دل أيضا بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجري النيرين في فلكيهما كل ذلك على تقدير
وحساب وبإحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وحكمته. فإن قلت يجري لأجل مسمى ويجري إلى أجل مسمى أهو من تعاقب
الحرفين قلت كلا ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين أعني الانتهاء والاختصاص
كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لأن قولك يجري إلى أجل مسمى معناه يبلغه وينتهي إليه وقولك يجري لأجل مسمى تريد
يجري لإدراك أجل مسمى تجعل الجري مختصا بإدراك أجل مسمى ألا ترى أن جري الشمس مختص بآخر السنة وجري
القمر مختص بآخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب به موضعه. ذلك الذي وصف من عجائب قدرته وحكمته التي
يعجز عنها الأحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذي يدعونه من دون الله إنما هو بسبب أنه الحق الثابت
إلهيته وأن من دونه باطل الإلهية. وأن الله هو العلي الشأن الكبير السلطان. أو ذلك الذي أوحي إليك من هذه
الآيات بسبب بيان أن الله هو الحق وأن إلها غيره باطل وأن الله هو العلي الكبير عن أن يشرك به. وقرئ
الفلك بضم اللام وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في فعل فعل على مذهب التعويض. بنعمات الله بسكون
العين وعين فعلات يجوز فيها الكسر والفتح والسكون. بنعمة الله بإحسانه ورحمته. صبار على بلائه شكور لنعمائه
وهما صفتا المؤمن فكأنه قال إن في ذلك لآيات لكل مؤمن. يرتفع الموج ويتراكب فيعود مثل الظلل. والظلة كل ما أظلك
من جبل أو سحاب أو غيرهما. وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال. فمنهم مقتصد متوسط في الكفر والظلم خفض من
غلوائه وانزجر بعض الانزجار أو مقتصد في الإخلاص الذي كان عليه في البحر يعني أن ذلك الإخلاص الحادث
عند الخوف لا يبقى لأحد قط والمقتصد قليل نادر. وقيل مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه الله في البحر. والختر أشد الغدر
ومنه قولهم إنك لا تمد لنا شبرا من غدر إلا مددنا لك باعا من ختر. قال وإنك لو رأيت أبا عمير ملأت يديك من غدر وختر
لا يجزي لا يقضي عنه شيئا ومنه قيل للمتقاضي المتجازي وفي الحديث في جذعة ابن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن أحد
بعدك. وقرئ لا يجزئ لا يغني يقال أجزأت عنك مجزأ فلان. والمعنى لا يجزي فيه فحذف. والغرور الشيطان وقيل
الدنيا وقيل تمنيكم في المعصية المغفرة. وعن سعيد بن جبير الغرة بالله أن يتمادى الرجل في المعصية ويتمنى
على الله المغفرة. وقرئ بضم الغين وهو مصدر غرّه غرورا وجعل الغرور
غارّا كما قيل جدّ جدّه أو أريد زينة الدنيا لأنها غرور. فإن قلت ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وارد على طريق من التوكيد
لم يرد عليه ما هو معطوف عليه قلت الأمر كذلك لأن الجملة الاسمية آكد من الفعلية وقد انضم إلى ذلك
قوله هو وقوله مولود والسبب في مجيئه على هذا السنن أن الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض آباؤهم
على الكفر وعلى الدين الجاهلي فأريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم أن ينفعوا آباءهم في الآخرة وأن
يشفعوا لهم وأن يغنوا عنهم من الله شيئا فلذلك جيء به على الطريق الآكد. ومعنى التوكيد في لفظ المولود
أن الواحد منهم لو شفع للأب الأدنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع لمن فوقه من
أجداده لأن الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فإنه لمن ولد منك. وروي أن رجلا من
محارب وهو الحارث بن عمرو بن حارثة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرني عن الساعة متى قيامها
وإني قد ألقيت حباتي في الأرض وقد أبطأت عنا السماء فمتى تمطر وأخبرني عن امرأتي فقد اشتملت ما في
بطنها أذكر أم أنثى وإني علمت ما عملت أمس فما أعمل غدا وهذا مولدي قد عرفته فأين أموت فنزلت. وعن
النبي صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية. وعن ابن عباس من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب
إياكم والكهانة فإن الكهانة تدعو إلى الشرك والشرك وأهله في النار. وعن المنصور أنه أهمه معرفة مدة عمره
فرأى في منامه كأن خيالا أخرج يده من البحر وأشار إليه بالأصابع الخمس فاستفتى العلماء في ذلك
فتأولوها بخمس سنين وبخمسة أشهر وبغير ذلك حتى قال أبو حنيفة رحمه الله تأويلها أن مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله

وانه ما طلبت معرفته لا سبيل لك اليه عنده علم الساعة ايان مرساها وينزل الغيث في ابانه من غير تقديم ولا تاخير وفي بلد لا يتجاوز به ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى اتام ام ناقص وكذلك ما سوى ذلك من الاحوال وما تدري نفس برة او فاجرة ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا وعازمة على شر فعملت خيرا وما تدري نفس باي ارض تموت وربما اقامت بارض وضربت اوتادها وقالت لا ابرحها واقبر فيها فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها به ظنونها. وروي ان ملك الموت مر على سليمن عليه السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني وسأل سليمن ان يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمن كان دوام نظري اليه تعجبا منه لاني امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك. وجعل العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى انها لا تعرف وان اعملت حيلها ما يلصق بها ويختص بها ولا يتخطاها ولا شيء اخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم تكن له طريق الى معرفتهما كان من معرفة ما عداهما ابعد. وقرئ باية ارض. وشبه سيبويه تانيث اي بتانيث كل في قولهم كلتهن. عن رسول الله صلعم من قرأ سورة لقمن كان له لقمن رفيقا يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر.

سورة السجدة مكية وهي ثلاثون اية وقيل تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم على انها اسم السورة مبتدأ خبره تنزيل الكتاب وان جعلتها تعديدا للحروف ارتفع تنزيل الكتاب بانه خبر مبتدأ محذوف او هو مبتدأ خبره لا ريب فيه والوجه ان يرتفع بالابتداء وخبره من رب العالمين ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب فيه في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين ويشهد لوجاهته ام يقولون افتراه لان قولهم هذا مفترى انكار لان يكون من رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق من ربك وما فيه من تقرير انه من الله وهذا اسلوب صحيح محكم اثبت اولا ان تنزيله من رب العالمين وان ذلك ما لا ريب فيه ثم اضرب عن ذلك الى قوله ام يقولون افتراه لان ام هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة انكارا لقولهم وتعجيبا منه لظهور امره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث ايات منه ثم اضرب عن الانكار الى اثبات انه الحق من ربك ونظيره ان يعلل العالم في المسئلة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها انواع الاحترازات كقول المتكلمين النظر اول الافعال الواجبة على الاطلاق التي لا يعرى منها مكلف ثم يعترض عليه فيها ببعض ما وقع احترازه منه فيرده بتلخيص انه احترز من ذلك ثم يعود الى تقرير كلامه وتمشيته. فان قلت كيف نفى ان يرتاب في انه من الله وقد اثبت ما هو اطم من الريب وهو قولهم افتراه. قلت معنى لا ريب فيه ان لا مدخل للريب في انه تنزيل الله لان نافي الريب ومميطه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله ابعد شيء من الريب واما قولهم افتراه فاما قول متعنت مع علمه انه من الله لظهور الاعجاز له او جاهل يقوله قبل التامل والنظر لانه سمع الناس يقولونه. ما اتاهم من نذير من قبلك كقوله ما انذر اباؤهم وذلك ان قريشا لم يبعث الله اليهم رسولا قبل محمد صلعم. فان قلت فاذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة. قلت اما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها الا بالرسل فلا واما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لان ادلة العقل الموصلة الى ذلك معهم في كل زمان. لعلهم يهتدون فيه وجهان ان يكون على الترجي من رسول الله صلعم كما كان لعله يتذكر على الترجي من موسى وهرون وان يستعار لفظ الترجي للارادة. فان قلت ما معنى قوله ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع. قلت هو على معنيين احدهما انكم اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا اي ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم والثاني ان الله وليكم الذي يتولى مصالحكم وشفيعكم اي ناصركم على سبيل المجاز لان الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير. الامر المأمور به من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبرا من السماء الى الارض ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المأمور به خالصا كما يريده ويرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف بالصعود الا الخالص ودل عليه قوله على اثره قليلا ما تشكرون. او يدبر امر الدنيا كلها من السماء الى الارض لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة كما قال وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ثم يعرج اليه اي يصير اليه ويثبت عنده ويكتب في صحف ملئكته كل وقت من اوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل تحت الوجود الى ان تبلغ المدة اخرها ثم يدبر ايضا ليوم اخر وهلم جرا الى ان تقوم الساعة. وقيل ينزل الوحي مع جبريل من السماء الى الارض ثم يرجع اليه ما كان من قبول الوحي ورده مع جبريل وذلك في وقت هو في الحقيقة الف سنة لان المسافة مسيرة الف سنة في الهبوط والصعود لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وهو يوم من ايامكم لسرعة جبريل لانه يقطع مسيرة الف سنة في يوم واحد. وقيل يدبر امر الدنيا من السماء الى الارض الى ان تقوم الساعة ثم يرجع اليه ذلك الامر كله اي يصير اليه ليحكم فيه في يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيمة. وقرئ ابن ابي عبلة يعرج على البناء للمفعول وقرئ يعدون بالتاء والياء. احسن كل شيء خلقه حسنه لانه

ما من شيء خلقه الا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم. وقيل علم كيف يخلقه من قولهم قيمة المرء ما يحسن وحقيقته يحسن معرفته اي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان. وقرئ خلقه على البدل اي احسن خلق كل شيء وخلقه على الوصف اي كل شيء خلقه فقد احسنه. سميت الذرية نسلا لانها تنسل منه اي تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل. سواه قومه كقوله في احسن تقويم. واضاف الروح الى ذاته على انه خلق عجيب لا يعلم كنهه الا هو كقوله ويسألونك عن الروح الاية كانه قال ونفخ فيه من الشيء الذي اختص هو به وبمعرفته. وقالوا قيل القائل ابي بن خلف ولرضاهم بقوله اسند اليهم جميعا. وقرئ ائنا وانا على الاستفهام وتركه. ضللنا صرنا ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الارض لا نتميز منه كما يضل الماء في اللبن او غبنا في الارض بالدفن فيها من قوله وآب مضلوه بعين جلية. وقرأ علي وابن عباس ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل. وقرأ الحسن صللنا من صل اللحم واصل اذا انتن وقيل صرنا من جنس الصلة وهي الارض. فان قلت بم انتصب الظرف في اذا ضللنا. قلت بما يدل عليه انا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا. لقاء ربهم هو الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت وما وراءه فلما ذكر كفرهم بالانشاء اضرب عنه الى ما هو ابلغ في الكفر وهو انهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالانشاء وحده الا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع الى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله على ما ذكرنا. والتوفي استيفاء النفس وهي الروح قال الله تعالى الله يتوفى الانفس وقال اخرجوا انفسكم وهو ان تقبض كلها لا يترك منها شيء من قولك توفيت حقي من فلان واستوفيته اذا اخذته وافيا كاملا من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان في مواضع منها تقضيته واستقضيته وتعجلته واستعجلته. وعن مجاهد حويت لملك الموت الارض وجعلت له مثل الطشت يتناول منها حيث يشاء. وعن قتادة يتوفاهم ومعه اعوان من الملائكة. وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يأمر اعوانه بقبضها. ولو ترى يجوز ان يكون خطابا لرسول الله صلعم وفيه وجهان ان يراد به التمني كانه قال وليتك ترى كقوله عليه السلام للمغيرة لو نظرت اليها والتمني لرسول الله صلعم كما كان الترجي له في لعلهم يهتدون لانه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله له تمني ان يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزي والغم ليشمت بهم وان تكون لو الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرأيت امرا فظيعا او لرأيت اسوأ حال ترى. ويجوز ان يخاطب به كل احد كما تقول فلان لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه اساء اليك فلا تريد به مخاطبا بعينه فكانك قلت ان اكرم وان احسن اليه. ولو واذ كلاهما للمضي وانما جاز ذلك لان المترقب من الله بمنزلة الموجود المقطوع به في تحققه ولا يقدر لترى ما يتناوله كانه قيل ولو تكون منك الرؤية واذ ظرف له. يستغيثون بقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فلا يغاثون يعني ابصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك او كنا عميا وصما فابصرنا وسمعنا فارجعنا هي الرجعة الى الدنيا. لآتينا كل نفس هداها على طريق الالجاء والقسر ولكنا بنينا الامر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على اهل العمى دون البصراء الا ترى الى ما عقبه به من قوله فذوقوا بما نسيتم فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها. والمراد بالنسيان خلاف التذكر يعني ان الانهماك في الشهوات اذهلكم والهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها ثم قال انا نسيناكم على المقابلة اي جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو بمعنى الترك اي تركتم الفكر في العاقبة فتركناكم من الرحمة وفي استئناف قوله انا نسيناكم وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا اي ما انتم فيه من نكس الرءوس والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء وذوقوا عذاب الخلد وجهنم بسبب ما عملتم من المعاصي والكبائر الموبقة. اذا ذكروا بها اي وعظوا سجدوا تواضعا لله وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الاسلام وسبحوا بحمد ربهم ونزهوا الله من نسبة القبائح اليه واثنوا عليه حامدين له وهم لا يستكبرون كما يفعل من يصر مستكبرا كان لم يسمعها ومثله قوله ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا. تتجافى ترتفع وتتنحى عن المضاجع عن الفرش ومواضع النوم داعين ربهم عابدين له لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون. وعن رسول الله صلعم في تفسيرها قيام العبد من الليل. وعن الحسن انه التهجد. وعن رسول الله صلعم اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس. وعن انس بن مالك كان اناس من اصحاب رسول الله صلعم

يصلون من صلوة المغرب الى صلوة العشاء الاخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلوة العتمة لا ينامون عنها **أخفي لهم** على البناء للمفعول وما اخفي لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وقرئ أُخْفِيْ لهم وما نُخْفِي لهم وما أَخْفَيْتُ لهم الثلاثة للمتكلم وهو الله سبحانه وما بمعنى الذي او بمعنى اي وقرئ **من قرة اعين** وقرات اعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبي مرسل اي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لاولئك واخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمع وراءها ثم قال **جزاء بما كانوا يعملون** فحسم اطماع المتمنين وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرءوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وعن الحسن اخفى القوم اعمالا في الدنيا فاخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت **كان مؤمنا كمن كان فاسقا** محمول على لفظ من ولا يستوون محمول على المعنى بدليل قوله اما الذين آمنوا واما الذين فسقوا ونحوه قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك **جنات المأوى** نوع من الجنان قال الله عز وجل ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى سميت بذلك لما روي عن ابن عباس قال تأوي اليها ارواح الشهداء وقيل هي عن يمين العرش وقرئ جنة المأوى على التوحيد **نزلا** عطاء باعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما **فمأواهم النار** اي ملجاهم ومنزلهم ويجوز ان يراد فجنة ما واهم النار اي النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب اليم **العذاب الادنى** عذاب الدنيا من القتل والاسر وما محنوا به من السنة سبع سنين وعن مجاهد عذاب القبر **والعذاب الاكبر** عذاب الآخرة اي نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى الآخرة **لعلهم يرجعون** اي يتوبون عن الكفر او لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله فارجعنا نعمل صالحا وسميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة ويدل عليه قراءة من قرأ يُرجَعون على البناء للمفعول **فان قلت** من اين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله ارادة واذا اراد الله شيئا كان ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون الا ترى انها لو كانت مما يكون لم يكونوا ذائقين العذاب الاكبر **قلت** ارادة الله تعالى تتعلق بافعاله وافعال عباده فاذا اراد شيئا من افعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الدواعي واما افعال عباده فاما ان يريدها وهم مختارون لها او مضطرون اليها بقسره والجائه فان ارادها وقد قسرهم عليها والجاهم اليها حكم افعاله وان ارادها على ان يختاروها وهو عالم انهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره كما لا يقدح في اقتدارك ارادتك ان يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها لان اختياره لا يتعلق بقدرتك واذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك وروي في نزولها انه شجر بين علي بن ابي طالب رضي الله عنه والوليد بن عقبة بن ابي معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فانك صبي انا اشب منك شبابا واجلد منك جلدا واذرب منك لسانا واحد منك سنانا واشجع منك جنانا واملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له علي رضي الله عنه اسكت فانك فاسق فنزلت عامة للمؤمنين والفاسقين فتناولتهما وكل من في مثل حالهما وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قال للوليد كيف تشتم عليا وقد سماه الله مؤمنا في عشر آيات من القرآن وسماك فاسقا ثم في قوله **ثم اعرض عنها** للاستبعاد والمعنى ان الاعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة ولا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها استبعد ان يزور غمرات الموت بعد ان رآها واستيقنها واطلع على شدتها **فان قلت** هلا قيل انا منه **منتقمون** **قلت** لما جعله اظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام فقد دل على اصابة الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة **الكتاب** للجنس والضمير في **لقائه** له ومعناه انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من انك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك ونحوه قوله من لقائه قوله وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم وقوله ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا **وجعلناه** الكتاب المنزل على موسى **هدى** لقومه **وجعلنا منهم ائمة يهدون** الناس ويدعونهم الى ما في التوراة من دين الله وشرائعه لصبرهم وايقانهم بالآيات وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل اليك هدى ونورا ولنجعلن من امتك ائمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين وقيل من لقائك موسى ليلة الاسرى او يوم القيامة وقيل من لقاء موسى الكتاب اي من تلقيه له بالرضا والقبول وقرئ لما صبروا ولما صبروا اي لصبرهم وعن الحسن صبروا عن الدنيا وقيل انما جعل الله التوراة هدى لبني اسرائيل خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد اسمعيل **يفصل بينهم** يقضي فيميز المحق في دينه من المبطل

اولم يهد للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف والضمير في **لهم** لاهل مكة وقرئ بالنون والياء والفاعل ما دل عليه **كم اهلكنا** لان كم لا تقع فاعلة لا يقال جاءني كم رجل تقديره اولم يهد لهم كثرة اهلاكنا القرون او هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه كقولك يعصم لا اله الا الله الدماء والاموال ويجوز ان يكون فيه ضمير الله بدليل القراءة بالنون **من القرون** عاد وثمود وقوم لوط **يمشون** يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرئ يمشّون بالتشديد **الجرز** الارض التي جرز نباتها اي قطع اما لعدم الماء واما لانه رعي وازيل ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله **فنخرج به زرعا** وعن ابن عباس انها ارض اليمن وعن مجاهد هي ابين **به** اي بالماء **تأكل منه** من الزرع انعامهم من عصفه وانفسهم من حبه وقرئ يأكل بالياء **الفتح** النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون قالوا متى هذا الفتح اي في اي وقت يكون **ان كنتم صادقين** في انه كائن ويوم الفتح يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة **فان قلت** قد سألوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا عن سؤالهم **قلت** كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فاجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزءوا فكاني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم في ادراك العذاب فلم تنظروا **فان قلت** فمن فسره بيوم الفتح او بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره ان لا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر **قلت** المراد ان المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند ادراك الغرق **وانتظر** النصرة عليهم وهلاكهم **انهم منتظرون** الغلبة عليكم وهلاككم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون وقرئ منتظَرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم فانهم احقاء بان ينتظر هلاكهم يعني انهم هالكون لا محالة او وانتظر ذلك فان الملائكة في السماء ينتظرونه **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيا ليلة القدر وقال من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

عن زر قال قال لي ابي بن كعب كم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلاثا وسبعين آية قال فوالذي يحلف به ابي ان كانت لتعدل سورة البقرة او اطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد ابي رضي الله عنه ان ذلك من جملة ما نسخ من القرآن واما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فاكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض جعل نداءه بالنبي والرسول في قوله **يا ايها النبي اتق الله** يا ايها النبي لم تحرم يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك وترك نداءه باسمه كما قال يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة له وتشريفا وربئا بمحله وتنويها بفضله **فان قلت** ان لم يوقع اسمه في النداء فقد اوقعه في الاخبار في قوله محمد رسول الله وما محمد الا رسول **قلت** ذلك لتعليم الناس بانه رسول الله وتلقين لهم ان يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والاخبار الا ترى الى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الاخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره في النداء لقد جاءكم رسول من انفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والله ورسوله احق ان يرضوه النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ان الله وملائكته يصلون على النبي ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي **اتق الله** واثبت على ما انت عليه من التقوى وازدد منه وذلك لانه باب لا يبلغ آخره **ولا تطع الكافرين** والمنافقين لا تساعدهم على شيء ولا تقبل لهم رأيا ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم فانهم اعداء الله واعداء المؤمنين لا يريدون الا المضارة والمضادة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة كان يحب اسلام اليهود قريظة والنضير وبني قينقاع وقد تابعه ناس منهم نفاقا وروي ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك وروي ان اهل مكة دعوا رسول الله الى ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر اموالهم وان يزوجه شيبة بن ربيعة بنته وخوفه منافقو المدينة انهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت **ان الله كان عليما** بالصواب من الخطأ والمصلحة من المفسدة **حكيما** لا يفعل شيئا ولا يأمر به الا بداعي الحكمة **واتبع ما يوحى اليك** في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك **ان الله** الذي يوحي اليك خبير بما تعملون فموح اليك ما تصلح به اعمالكم فلا حاجة بكم الى الاستماع من الكفرة وقرئ يعملون بالياء اي بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم **وتوكل على الله** واسند امرك اليه

وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم

ما جعل الله لرجل

وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه كل امر. ما جمع الله قلبين في جوف ولا زوجية وامومة في امرأة ولا بنوة ودعوة في رجل. والمعنى ان الله سبحانه كما لم ير في حكمته ان يجعل للانسان قلبين لانه لا يخلو اما ان يفعل باحدهما مثل ما يفعل بالآخر من افعال القلوب فاحدهما فضلة غير محتاج اليه واما ان يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدي الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة لم ير ايضا ان تكون المرأة الواحدة اما لرجل زوجا له لان الام مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان وان يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لان البنوة اصالة في النسب وعراقة فيه والدعوة الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشيء الواحد ان يكون اصيلا غير اصيل وهذا مثل ضربه الله تعالى في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيرا وكانت العرب في جاهليتها يتغاورون ويتسابون فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له وطلبه ابوه وعمه فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد فانزل الله عز وجل هذه الآية وقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقيل كان ابو معمر رجلا من احفظ العرب وارواهم فقيل له ذو القلبين وقيل هو جميل بن اسد الفهري وكان يقول ان لي قلبين افهم باحدهما اكثر مما يفهم محمد فروي انه انهزم يوم بدر فمر بابي سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى في رجله فقال له ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له ما بال احدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك فقال ما ظننت الا انهما في رجلي فاكذب الله قوله وقولهم وضربه مثلا في الظهار والتبني. وعن ابن عباس كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فاكذبهم الله وقيل سها في صلاته فقالت اليهود له قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم فنزلت. وعن الحسن نزلت في ان الواحد يقول نفس تأمرني ونفس تنهاني. والتنكير في رجل وادخال من الاستغراقية على قلبين تأكيدان لما قصد من المعنى كأنه قيل ما جعل الله لامة من الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة في جوفه فان قلت اي فائدة في ذكر الجوف قلت الفائدة فيه كالفائدة في قوله القلوب التي في الصدور وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور والتجلي للمدلول عليه لانه اذا سمع به صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان اسرع الى الانكار. قرئ اللائي بياء وهمزة مكسورتين واللاي بياء ساكنة بعد الهمزة. وتظاهرون من ظاهر وتظاهرون من اظّاهر بمعنى تظاهر وتظهّرون من اظّهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من اظهر. ومعنى ظاهر من امرأته قال لها انت علي كظهر امي ونحوه في العبارة عن اللفظ لبّى المحرم اذا قال لبيك وأفّف الرجل اذا قال اف واخوات لهن فان قلت فما وجه تعديته واخواته بمن قلت كان الظهار طلاقا عند اهل الجاهلية فكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم تظاهر منها تباعد منها بجهة الظهار وتظهر منها تحرز منها وظاهر منها حاذر منها وظهر منها وحش منها وظهر منها خلص منها ونظيره آلى من امرأته لما ضمن معنى التباعد منها عدي بمن والا فآلى في اصله الذي هو بمعنى حلف واقسم ليس هذا بحكمه فان قلت ما معنى قولهم انت علي كظهر امي قلت ارادوا ان يقولوا انت علي حرام كبطن امي فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج وانما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر لانه عمود البطن ومنه حديث عمر يجيء به احدهم على عمود بطنه اراد على ظهره. ووجه آخر وهو ان اتيان المرأة وظهرها الى السماء كان محرما عندهم محظورا وكان اهل المدينة يقولون اذا أتيت المرأة ووجهها الى الارض جاء الولد احول فلقصد المطلق منهم الى التغليظ في تحريم امرأته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله كظهر امه فلم يترك. فان قلت الدعي فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعى ولدا فما له جمع على افعلاء وبابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقي واتقياء وشقي واشقياء ولا يكون ذلك في نحو رمي وسمي قلت ان شذوذه عن القياس كشذوذ قتلى واسرى والطريق في مثل ذلك التشبيه اللفظي. ذلكم النسب هو قولكم بافواهكم هذا ابني لا غير من غير ان يواطئه اعتقاد لصحته وكونه حقا والله عز وجل لا يقول الا ما هو حق ظاهره وباطنه ولا يهدي الا سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهدى الى ما هو سبيل الحق وهو قوله ادعوهم لآبائهم وبيّن ان دعاءهم لآبائهم هو ادخل الامرين في القسط والعدل وفي فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة ما لا يخفى على عالم بطرق النظم. وعن قتادة وهو الذي يهدي السبيل وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا اعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه الى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من اولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان ابن فلان فان لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم اليهم فهم اخوانكم في الدين واولياؤكم في الدين فقولوا هذا اخي وهذا مولاي ويا اخي ويا مولاي يريد الاخوة في الدين والولاية فيه ما تعمدت في محل الجر عطفا على ما اخطأتم ويجوز ان يكون مرتفعا على الابتداء والخبر محذوف تقديره ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح

والمعنى

فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهي ولكن الاثم فيما تعمدتموه بعد النهي ولا اثم عليكم

والمعنى لا اثم عليكم اذا قلتموه لولد غيركم يا بني على سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن اذا قلتموه متعمدين ويجوز ان يراد العفو عن الخطأ دون العمد على طريق العموم كقوله عليه السلام ما اخشى عليكم الخطأ ولكن اخشى عليكم العمد وقوله وضع عن امتي الخطأ والنسيان وما اكرهوا عليه ثم تناول لعمومه خطأ التبني وعمده فان قلت فاذا وجد التبني فما حكمه قلت اذا كان المتبنى مجهول النسب واصغر سنا من المتبني ثبت نسبه منه وان كان عبدا له عتق مع ثبوت النسب وان كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ولكنه يعتق عند ابي حنيفة وعند صاحبيه لا يعتق واما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وان كان عبدا عتق. وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن الخطأ وعن العمد اذا تاب العامد. النبي اولى بالمؤمنين في كل شيء من امور الدنيا والدين من انفسهم ولهذا اطلق ولم يقيد فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها وان يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه اذا اعضل خطب ووقاءه اذا لقحت حرب وان لا يتبعوا ما تدعوهم اليه نفوسهم ولا ما يصرفهم عنه ويتبعوا كل ما دعاهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرفهم عنه لان كل ما دعا اليه فهو ارشاد لهم الى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه فأخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم الى الشقاوة وعذاب النار او هو اولى بهم على معنى انه ارأف بهم واعطف عليهم وانفع لهم كقوله تعالى بالمؤمنين رؤوف رحيم. وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن الا انا اولى به في الدنيا والآخرة اقرؤوا ان شئتم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن هلك وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا او ضياعا فالي. وفي قراءة ابن مسعود النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم وقال مجاهد كل نبي فهو ابو امته ولذلك صار المؤمنون اخوة لان النبي صلى الله عليه وسلم ابوهم في الدين. وازواجه امهاتهم تشبيه لهن بالامهات في بعض الاحكام وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن قال الله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا امهات النساء تعني انهن انما كن امهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم امهاتهم والدليل على ذلك ان هذا التحريم لم يتعد الى بناتهن وكذلك لم يثبت لهن سائر احكام الامهات. كان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تتألف قلوب قوم باسهام لهم في الصدقات ثم نسخ ذلك لما دجا الاسلام وعز اهله وجعل التوارث بحق القرابة. في كتاب الله في اللوح او فيما اوحى الله الى نبيه وهو هذه الآية او في آية المواريث او فيما فرض الله كقوله كتاب الله عليكم. من المؤمنين والمهاجرين يجوز ان يكون بيانا لاولي الارحام اي الاقرباء من هؤلاء بعضهم اولى بان يرث بعضا من الاجانب ويجوز ان يكون لابتداء الغاية اي اولو الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة فان قلت مم استثنى ان تفعلوا قلت من اعم العام في معنى النفع والاحسان كما تقول القريب اولى من الاجنبي الا في الوصية تريد انه احق منه في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك الا في الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية لانه لا وصية لوارث وعدي تفعلوا بالى لانه في معنى تسدوا وتزلوا والمراد بالاولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين. ذلك اشارة الى ما ذكر في الآيتين جميعا وتفسير الكتاب ما مر آنفا والجملة مستأنفة كالخاتمة لما ذكر من الاحكام. واذكر حين اخذنا من النبيين جميعا ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم ومنك خصوصا ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى وانما فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة عند تواقف الاشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من اشهدهم على انفسهم الست بربكم فقالوا بلى عن صدقهم عهدهم وشهادتهم فيشهد لهم الانبياء بانهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مؤمنين او ليسأل المصدقين للانبياء عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله او ليسأل الانبياء ما الذي اجابتهم به اممهم وتأويل مسألة الرسل تبكيت الكافرين بهم كقوله أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فان قلت لم قدم رسول الله على نوح فمن بعده قلت هذا العطف لبيان فضيلة الانبياء الذين هم مشاهيرهم وذراريهم فلما كان محمد افضل هؤلاء المفضلين قدم عليهم لبيان انه افضلهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه فان قلت فقد قدم عليه نوح في الآية التي هي اخت هذه وهي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك ثم قدم على غيره قلت مورد هذه الآية على طريقة خلاف طريقة تلك وذلك ان الله عز وجل انما اوردها لوصف دين الاسلام بالاصالة والاستقامة فكأنه قال شرع لكم الدين الاصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم وبعث عليه محمد خاتم الانبياء في العهد الحديث وبعث من توسط بينهما من الانبياء المشاهير فان قلت فماذا اراد بالميثاق الغليظ قلت اراد به ذلك الميثاق بعينه معناه واخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا. والغلظ استعارة من وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شأنه في بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفاء بما حملوا فان قلت علام عطف قوله واعد للكافرين قلت على اخذنا من النبيين لان المعنى ان الله تعالى اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين

واعد للكافرين عذابا اليما او على ما دل عليه ليسأل الصادقين كانه قال فاثاب المومنين واعد للكافرين عذابا
اذكروا نعمة الله عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق اذ جاءتكم جنود وهم الاحزاب فارسلنا عليهم ريحا الصبا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها وهم الملائكة وكانوا الفا بعث الله
عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم وامر الملائكة فقلعت الاوتاد
وقطعت الاطناب واطفأت النيران واكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب
وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجا النجا
فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة اشار عليه بذلك
سلمان الفارسي ثم خرج في ثلاثة الاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر
بالذراري والنساء فرفعوا في الاطام واشتد الخوف وظن المومنون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين
حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر ان نذهب الى الغائط وكانت قريش
قد اقبلت في عشرة الاف من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وخرج غطفان في الف
ومن تابعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود
من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله
النصر تعملون قرئ بالياء اذ جاؤكم من فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل
الوادي من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستاصل محمدا واذ زاغت الابصار مالت عن سننها
ومستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع وبلغت القلوب الحناجر رعبا فان الرئة
الغلصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرئة من شدة الفزع
او الغضب او الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى راس الحنجرة ومن ثم قيل للجبان انتفخ
سحره ويجوز ان يكون ذلك مثلا في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة وتظنون بالله الظنونا
خطاب للذين امنوا ومنهم الثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين
لم يوجد منهم الايمان الا بالسنتهم فظن الاولون بالله انه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف
الاحتمال واما الاخرون فظنوا بالله ما حكي عنهم وعن الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون ان المسلمين
يستاصلون وظن المومنون انهم يبتلون وقرئ الظنون بغير الف في الوصل والوقف وهو القياس وزيادة
الالف في الوقف زادوها في الفاصلة كما زادوها في القافية من قال اقلي اللوم عاذل والعتابا وكذلك
الرسولا والسبيلا وقرئ بزيادتها في الوصل ايضا اجراء له مجرى الوقف قال ابو عبيد وهن كلهن في الامام بالف
وعن ابي عمرو باشمام زاي وزلزلوا وقرئ زلزالا بالفتح والمعنى ان الخوف ازعجهم اشد الازعاج الا غرورا
قيل قائله معتب بن قشير حين راى الاحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز
فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم هم اوس بن قيظي ومن وافقه على رايه وعن السدي عبد الله
بن ابي واصحابه ويثرب اسم المدينة وقيل ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم قرئ بضم الميم وفتحها اي
لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقومون فيه او تقيمون فارجعوا الى المدينة امروهم بالهرب من عسكر رسول الله
وقيل قالوا لهم ارجعوا كفارا واسلموا محمدا والا فليست يثرب لكم بمكان وقرئ عورة بسكون الواو وكسرها
فالعورة الخلل والعورة ذات العورة يقال عور المكان واعور عورا اذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو
والسارق ويجوز ان يكون عورة تخفيف عورة اعتذروا ان بيوتهم معرضة للعدو ممكنة للسراق لانها
غير محرزة ولا محصنة فاستاذنوا ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله بانهم لا يخافون ذلك وانما
يريدون الفرار ولو دخلت عليهم المدينة وقيل بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره من اقطارها من جوانبها يريد ولو
دخلت هذه العساكر المتحزبة التي يفرون خوفا منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على
اهاليهم واولادهم ناهبين سابين ثم سئلوا عند ذلك الفزع وتلك الرجفة الفتنة اي الردة والرجعة الى
الكفر ومقاتلة المسلمين لاتوها لاعطوها وقرئ لاتوها لجاؤها وفعلوها وما تلبثوا بها باعطائها
الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف او وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله
يهلكهم والمعنى انهم يتعللون باعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول الله والمومنين
وعن مصافة الاحزاب الذين ملؤهم هولا ورعبا وهؤلاء الاحزاب كما هم لو كبسوا عليهم ارضهم وديارهم
وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا اليه وما تعللوا بشيء وما ذاك الا لمقتهم الاسلام
وشدة بغضهم لاهله وحبهم الكفر وتهالكهم على حزبه عن ابن عباس عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة
ان يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا
لنقاتلن وعن محمد بن اسحق عاهدوا يوم احد ان لا يفروا بعد ما نزل فيهم ما نزل لا يولون الادبار

مستخفي حتى يموت في بيته لن ينفعكم الفرار فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتاخير
لم يكن ذلك التمتيع الا زمانا قليلا وعن بعض المروانية انه مر بحائط مائل فاسرع فتليت له هذه الاية
فقال ذلك القليل نطلب فان قلت كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة الا من السوء قلت معناه
او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام واجري مجرى قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل
الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع قد يعلم الله المعوقين المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون
كانوا يقولون لاخوانهم من ساكني المدينة من انصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما محمد واصحابه الا اكلة راس
ولو كانوا لحما لالتهمهم ابو سفيان واصحابه فخلوهم وهلموا الينا اي قربوا انفسكم الينا وهي
لغة اهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة واما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت
سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب ولا ياتون الباس الا قليلا الا اتيانا قليلا يخرجون مع المومنين يوهمونهم
انهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله ما قاتلوا الا قليلا اشحة عليكم
في وقت الحرب اضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه عند الخوف
ينظرون اليك في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخوفا ولواذا بك
فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم الى الخير
وهو المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة الاولى واجترءوا عليكم وضربوكم بالسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا فانا
قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه ونصب اشحة على الحال او على
الذم وقرئ اشحة بالرفع وصلقوكم بالصاد فان قلت هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الاحباط قلت
لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن ان الايمان باللسان ايمان وان لم يواطئه القلب وان ما يعمل المنافق من الاعمال
يجدي عليه فبين ان ايمانه ليس بايمان وان كل عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على اتقان المكلف اساس
امره وهو الايمان الصحيح وتنبيه على ان الاعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير اساس وانها
مما يذهب عند الله هباء منثورا فان قلت ما معنى قوله وكان ذلك على الله يسيرا وكل شيء عليه يسير قلت معناه
ان اعمالهم حقيقة بالاحباط تدعو اليه الدواعي ولا يصرف عنه صارف يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وقد
انهزموا فانصرفوا عن الخندق الى المدينة راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط
وان يات الاحزاب كرة ثانية تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكرة انهم خارجون الى البدو
وحاصلون بين الاعراب يسالون كل قادم منهم من جانب المدينة عن اخباركم وعما جرى عليكم ولو كانوا فيكم ولم
يرجعوا الى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا الا تعلة رياء وسمعة وقرئ بدى على فعل جمع باد كغاز وغزى
وفي رواية صاحب الاقليد بدي بوزن عدي ويتساءلون اي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت
ماذا بلغك او يتساءلون الاعراب كما تقول رايت الهلال وتراءيناه كان عليكم ان تواسوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بانفسكم فتوازروه وتثبتوا معه كما اساكم بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات في مرحى الحرب حتى
كسرت رباعيته يوم احد وشج وجهه فان قلت فما حقيقة قوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وقرئ اسوة بالضم قلت
فيه وجهان احدهما انه في نفسه اسوة حسنة اي قدوة وهو الموتسى به اي المقتدى به كما تقول في البيضة
عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد والثاني ان فيه خصلة من حقها ان يوتسى بها وتتبع
وهي المواساة بنفسه لمن كان يرجو الله بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن امن منهم يرجو الله واليوم الاخر
من قولك رجوت زيدا وفضله اي فضل زيد او يرجو ايام الله واليوم الاخر خصوصا والرجاء بمعنى الامل
او الخوف وذكر الله كثيرا وقرن الرجاء بالطاعات الكثيرة والتوفر على الاعمال الصالحة والموتسي برسول الله
من كان كذلك وعدهم الله ان يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم
مثل الذين خلوا من قبلكم فلما جاء الاحزاب شخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد قالوا هذا ما وعدنا الله
ورسوله وايقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا
او عشرا اي في اخر تسع ليال او عشر فلما راوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب او البلاء
ايمانا بالله وتسليما لقضاياه واقداره نذر رجال من الصحابة انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله
ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل
وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم فمنهم من قضى نحبه يعني حمزة ومصعبا ومنهم من ينتظر يعني عثمان وطلحة وفي الحديث
من احب ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة فان قلت ما قضاء النحب قلت وقع عبارة
عن الموت لان كل حي لا بد له من ان يموت فكانه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه اي نذره وقوله
فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله فان قلت ما
حقيقة قوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه قلت يقال صدقني اخوك وكذبني اذا قال لك الصدق
والكذب واما المثل صدقني سن بكره فمعناه صدقني في سن بكره بطرح الجار وايصال الفعل

فلا تحلوا ما عاهدوا الله عليه اما ان يكون بمنزلة اليمين في قطع الجار وانما ان يجعل المعاهد عليه منصوبا
على المجاز كانهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك وهم وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه
ولكان مكذوبا وما بدلوا العهد ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله
يوم احد حتى اصيبت يده فقال رسول الله اوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوا من اهل النفاق
ومرضى القلوب جعل المنافقون كانهم قصدوا عاقبة السوء وارادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون
عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكانهما استويا
في طلبها والسعي لتحصيلها ويعذبهم ان شاء اذا لم يتوبوا او يتوب عليهم اذا تابوا ورد الله الذين كفروا الاحزاب
بغيظهم مغيظين كقوله تنبت بالدهن لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل او بتعاقب ويجوز ان
تكون الثانية بيانا للاولى واستئنافا وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وانزل الذين ظاهروهم الاحزاب من
اهل الكتاب من صياصيهم من حصونهم والصيصية ما تحصن به يقال لقرن الثور والظبي صيصية
ولشوكة الديك وهي مخلبه التي في ساقه لانه يتحصن بها روي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة
الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم
والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله يمسح
الغبار عن وجه الفرس وعن السرج فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله يامرك بالسير
الى بني قريظة وانا عامد اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فاذن في الناس ان من كان
سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر الا بعد العشاء الاخرة لقول رسول الله
فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم
سعد بن معاذ فرضوا فقال سعد حكمت فيهم ان يقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم
وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم
فضرب اعناقهم وهم من ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة اسير وروي الرعب
بسكون العين وضمها وتاسرون بضم السين وروي ان رسول الله جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار
فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه
لي طعمة دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله وارضا لم تطؤها عن الحسن فارس والروم وعن قتادة
كنا نتحدث انها مكة وعن مقاتل هي خيبر وعن عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيامة ومن بدع التفاسير انه اراد
نساءهم اردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
فبدأ بعائشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة
فرئي الفرح في وجه رسول الله ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل
لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج وروي انه قال لعائشة اني ذاكر لك امرا ولا عليك ان
لا تعجلي فيه حتى تستامري ابويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت افي هذا استامر ابوي فاني اريد الله
ورسوله والدار الآخرة وروي انها قالت لا تخبر ازواجك اني اخترتك فقال انما بعثني الله مبلغا
ولم يبعثني متعنتا فان قلت ما حكم التخيير في الطلاق قلت اذا قال لها اختاري فقالت اخترت
او قال اختاري نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس في قول المخير والمخيرة وقعت طلقة بائنة
عند ابي حنيفة واصحابه واعتبروا ان يكون ذلك في المجلس قبل القيام او الاشتغال بما يدل على الاعراض
واعتبر الشافعي اختيارها على الفور وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن
وقتادة والزهري امرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره واذا اختارت زوجها لم يقع شيء باجماع فقهاء الامصار
وعن عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله فاخترناه ولم يعده طلاقا وروي افكان طلاقا وعن علي رضي الله عنه اذا
اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروي عنه ايضا انها ان اختارت
زوجها فليس بشيء اصل تعال ان يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطي ثم كثر حتى استوت
في استعماله الامكنة ومعنى تعالين اقبلن بارادتكن واختياركن لاحد امرين ولم يرد نهوضهن
اليه بانفسهن كما تقول اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني امتعكن اعطكن متعة الطلاق
فان قلت المتعة في الطلاق واجبة ام لا قلت المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد متعتها
واجبة عند ابي حنيفة واصحابه واما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة وعن الزهري متعتان احدهما
يقضي بها السلطان من طلق قبل ان يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين من طلق بعد ما يفرض
ويدخل بها وخاصمت امراة الى شريح في المتعة فقال متعها ان كنت من المتقين ولم يجبره وعن سعيد
ابن جبير المتعة حق مفروض وعن الحسن لكل مطلقة متعة الا المختلعة والملاعنة والمتعة درع
وخمار وملحفة على حسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها

الا الاقل منهما ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم ولا نقص من نصفها فان قلت ما وجه
قراءة من قرأ امتعكن واسرحكن بالرفع قلت وجهه الاستئناف سراحا جميلا من غير ضرار طلاقا بالسنة
من يأت منكن بفاحشة مبينة بكسر الياء لا للتبعيض الفاحشة السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة والمبينة الظاهر فحشها والمراد
كلما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما
يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في حديث الافك وانما
ضوعف عذابهن لان ما قبح من سائر النساء كان اقبح منهن واقبح لان زيادة قبح المعصية يتبع زيادة
الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على العاصي من المعصي وكون الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبيحا فمتى ازداد قبحا
ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم اشد منه للعاصي الجاهل لان المعصية من العالم
اقبح ولذلك فضل حد الاحرار على حد العبيد حتى ان ابا حنيفة واصحابه لا يرون على الكافر حدا وكان ذلك على الله
يسيرا ايذان بان كونهن نساء النبي ليس بمغن عنهن شيئا وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة
العذاب فكان داعيا الى تشديد الامر عليهن غير صارف عنه قرئ يات بالياء والتاء مبينة بفتح الياء
وكسرها من بين بمعنى تبين يضاعف ويضعف على البناء للمفعول ونضاعف ونضعف بالياء والنون ومن يقنت
وتعمل بالياء والتاء وتؤتها بالياء والنون والقنوت الطاعة وانما ضوعف اجرهن لطلبهن رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة وتوفرهن على عبادة الله والتقوى احد في الاصل بمعنى
وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه ومعنى قوله لستن
كاحد من النساء لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء اي اذا تقصيت امة النساء جماعة جماعة لم توجد
منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومنه قوله عز وجل والذين امنوا بالله ورسله
ولم يفرقوا بين احد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في انهم على الحق المبين
ان اتقيتن ان اردتن التقوى وان كنتن متقيات فلا تخضعن بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا
اي لينا خنثا مثل كلام المريبات والمومسات فيطمع الذي في قلبه مرض اي ريبة وفجور وقرئ بالجزم
عطفا على محل النهي على انه نهين عن الخضوع بالقول ونهي المريض القلب عن الطمع كانه قيل لا تخضعن
فلا يطمع وعن ابن محيصن انه قرئ بكسر الميم وسبيله ضم الياء مع كسرها واسناد الفعل الى ضمير القول
اي فيطمع القول المريب قولا معروفا بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة من غير تخنث او قولا حسنا
مع كونه خشنا وقرن بكسر القاف من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن
ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن وقرن بفتحها واصله اقررن فحذفت الراء والقيت فتحتها على ما
قبلها كقولك ظلن وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان وجها اخر قال قار يقار اذا اجتمع
ومنه القارة لاجتماعها الا ترى الى قول عضل والديش اجتمعوا فكونوا قارة الجاهلية الاولى هي القديمة
التي يقال لها الجاهلية الجهلاء وهي الزمن الذي ولد فيه ابراهيم عليه السلام كانت المراة تلبس الدرع من اللؤلؤ
فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين ادم ونوح وقيل بين ادريس ونوح وقيل بين داود وسليمان
والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان تكون الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام
والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام فكان المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية
في الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر ويعضده ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي الدرداء ان فيك
جاهلية قال جاهلية كفر ام اسلام فقال بل جاهلية كفر امرهن امرا خاصا بالصلاة والزكاة ثم جاء به
عاما في جميع الطاعات لان هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما اصل سائر الطاعات من اعتنى
بهما حق اعتنائه جرتاه الى ما وراءهما ثم بين انه انما نهاهن وامرهن ووعظهن لئلا يقارف
اهل بيت رسول الله المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار للذنوب الرجس وللتقوى
الطهر لان عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس واما
المحسنات فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة ما ينفر اولي الالباب
عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم فيما رضيه لهم وامرهم به واهل البيت نصب
على النداء او على المدح وفي هذا دليل بين على ان نساء النبي من اهل بيته ثم ذكرهن ان بيوتهن
مهابط الوحي وامرهن ان لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين امرين هو ايات بينات
تدل على صدق النبوة لانه معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع ان الله كان لطيفا خبيرا حين علم
ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فانزله عليكم او علم من يصلح لنبوته ومن لا يصلح لان يكونوا اهل
بيته او حيث جعل الكلام الواحد جامعا بين الغرضين روي ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله
ذكر الله الرجال في القرآن بخير افما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة وقيل السائلة
ام سلمة وروي انه لما نزل في نساء النبي ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت

والمسلم الداخل في السلم بعد الحرب المنقاد الذي لا يعاند او المفوض امره الى الله المتوكل عليه من اسلم وجهه الى الله والمومن المصدق بالله ورسوله وبما يجب ان يصدق به والقانت القائم بالطاعة الدائم عليها والصادق الذي يصدق في نيته وقوله وعمله والصابر الذي يصبر على الطاعات وعن المعاصي والخاشع المتواضع لله بقلبه وجوارحه وقيل الذي اذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله والمتصدق الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل وقيل من تصدق في اسبوع بدرهم فهو من المتصدقين ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين والذاكرين الله كثيرا من لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه او لسانه او بهما وقراءة القران والاشتغال بالعلم من الذكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استيقظ من نومه وايقظ امراته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات والمعنى والحافظاتها والذاكراته فحذف لان الظاهر يدل عليه فان قلت اي فرق بين العطفين اعني عطف الاناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين قلت العطف الاول نحو قوله ثيبات وابكارا في انهما جنسان مختلفان اذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما واما العطف الثاني فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكان معناه ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات اعد الله لهم خطب رسول الله زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فابت وابى اخوها عبد الله فنزلت فقالا رضينا يا رسول الله فانكحها اياه وساق عنه اليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر وقيل هي ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده والمعنى وما صح لرجل ولا امراة من المومنين اذا قضى الله ورسوله اي رسول الله او لان قضاء رسول الله هو قضاء الله امرا من الامور ان يختاروا من امرهم ما شاءوا بل من حقهم ان يجعلوا رايهم تبعا لرايه واختيارهم تلوا لاختياره فان قلت كان من حق الضمير ان يوحد كما تقول ما جاءني من رجل ولا امراة الا كان من شانه كذا قلت نعم ولكنهما وقعا تحت النفي فعما كل مومن ومومنة فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ وقرئ يكون بالياء والتاء وللذي انعم الله عليه بالاسلام الذي هو اجل النعم وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله فيه فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ولو ارادتها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن والقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله فقال لرسول الله اني اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتوذيني فقال له امسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله ما اجد احدا اوثق في نفسي منك اخطب علي زينب قال زيد فانطلقت فاذا هي تخمر عجينتها فلما رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله يخطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اؤامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القران زوجناكها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما اولم على احد من نسائه ما اولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار فان قلت ما اراد بقوله واتق الله قلت اراد واتق الله فلا تطلقها وقصد نهي تنزيه لا تحريم لان الاولى ان لا يطلق وقيل اراد واتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر واذى الزوج فان قلت ما الذي اخفى في نفسه قلت تعلق قلبه بها وقيل مودة مفارقة زيد اياها وقيل علمه بان زيدا سيطلقها وسينكحها لان الله قد اعلمه بذلك وعن عائشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله شيئا مما اوحي اليه لكتم هذه الاية فان قلت فماذا اراد الله منه ان يقوله حين قال له زيد اريد مفارقتها وكان من الهجنة ان يقول له افعل فاني اريد نكاحها قلت كان الذي اراد منه عز وجل ان يصمت عند ذلك او يقول له انت اعلم بشانك حتى لا يخالف في ذلك سره علانيته لان الله يريد من الانبياء تساوي الظاهر والباطن والتصلب في الامور والتجاوب في الاحوال والاستمرار على طريقة مستتبة كما جاء في حديث ارادة رسول الله قتل عبد الله بن ابي سرح واعتراض عثمان رضي الله عنه بشفاعته له ان عمر قال له لقد كان عيني الى عينك هل تشير الي فاقتله فقال ان الانبياء لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد فان قلت كيف عاتبه الله في ستر ما استهجن التصريح به ولا يستهجن النبي التصريح بشيء الا والشيء في نفسه مستهجن وقالة الناس لا تتعلق الا بما يستقبح في العقول والعادات وما له لم يعاتبه في نفس الامر ولم يامر بقمع

الشهوة وكف النفس عن ان تنازع الى زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه عن تعلق الهجنة به وما يعرضه للقالة قلت كم من شيء يتحفظ منه الانسان ويستحيي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما الى حصول واجبات يعظم اثرها في الدين ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ منه لاطلق كثير من الناس فيه السنتهم الا من اوتي فضلا وعلما ودينا ونظرا في حقائق الامور ولبوبها دون قشورها الا ترى انهم كانوا اذا طعموا في بيوت رسول الله بقوا مرتكزين في مجالسهم لا يريمون مستانسين بالحديث وكان رسول الله يوذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحياء يصده ان يامرهم بالانتشار حتى نزلت ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ولو ابرز رسول الله مكنون ضميره وامرهم ان ينتشروا لشق عليهم ولكان بعض القالة فهذا من ذلك القبيل لان طموح قلب الانسان الى بعض مشتهياته من امراة او غيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع لانه ليس بفعل للانسان ولا وجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح ايضا وهو خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليه وهو اقرب من زيد [illegible] لما دعتها مع قوة العلم بان نفس زيد لم تكن من التعلق بها في شيء بل كانت تجفو عنها ونفس رسول الله متعلقة بها ولم يكن مستنكرا عندهم ان ينزل الرجل عن امراته لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها ان ينكحها الاخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الانصار بكل شيء حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امراتان نزل عن احداهما وانكحها المهاجر واذا كان الامر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة بزيد ولا باحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة منها ان بنت عمة رسول الله امنت الايمة والضيعة ونالت الشرف وعادت اما من امهات المسلمين الى ما ذكر الله عز وجل من المصلحة العامة في قوله لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فبالحري ان يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ في كتمه بقوله امسك عليك زوجك واتق الله وان لا يرضى له الا اتحاد الضمير والظاهر والثبات في مواطن الحق حتى يقتدي به المومنون فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وان كان مرا فان قلت الواو في وتخفي في نفسك وتخشى الناس والله احق ما هي قلت واو الحال اي تقول لزيد امسك عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة ان لا يمسكها وتخفي خاشيا قالة الناس وتخشى الناس والله احق ان تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك اذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقرا اهل البيت زوجتكها وقيل لجعفر بن محمد اليس تقرا على غير ذلك قال لا والذي لا اله الا هو ما قراتها على ابي الا كذلك ولا قراها الحسن بن علي على ابيه الا كذلك ولا قراها علي بن ابي طالب على النبي صلى الله عليه وسلم الا كذلك وكان امر الله مفعولا جملة اعتراضية يعني وكان امر الله الذي يريد ان يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما اراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ومن نفي الحرج عن المومنين في اجراء ازواج المتبنين مجرى ازواج البنين في تحريمهن عليهم بعد انقطاع علائق الازواج بينهم وبينهن ويجوز ان يراد بامر الله المكون لانه مفعول بكن وهو امر الله سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا موكد لقوله ما كان على النبي من حرج كانه قيل سن الله ذلك سنة في الانبياء الماضين وهو ان لا يحرج عليهم في الاقدام على ما اباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر والسراري وكانت لداود عليه السلام مائة امراة وثلاثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلاثمائة وسبعمائة في الذين خلوا من الانبياء الذين مضوا والذين يبلغون يحتمل وجوه الاعراب الجر على الوصف للانبياء والرفع والنصب على المدح على هم الذين يبلغون او على اعني الذين يبلغون وقرئ رسالة الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ووصف الانبياء بانهم لا يخشون الا الله تعريض بعد التصريح في قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية من مثله ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي لم يكن ابا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده من حرمة الصهر والنكاح ولكن رسول الله وكل رسول ابو امته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا في سائر الاحكام الثابتة بين الاباء والابناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا باولاده حقيقة فكان حكمه حكمكم والادعاء والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير وخاتم النبيين يعني انه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم الانبياء كما يروى انه قال في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا فان قلت اما كان ابا للطاهر والطيب والقاسم وابراهيم قلت قد اخرجوا من حكم النفي بقوله من رجالكم من وجهين احدهما ان هولاء لم يبلغوا مبلغ الرجال والثاني انه قد اضاف الرجال اليهم وهولاء رجاله لا رجالهم فان قلت اما كان ابا للحسن والحسين قلت بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ وهما ايضا من رجاله

لا من رجالهم . وشيء آخر وهو أنه إنما قصد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله وخاتم النبيين ألا ترى
أن الحسن والحسين قد عاشا إلى أن نيف أحدهما على الأربعين والآخر على الخمسين . قرئ ولكن رسول الله عطفا
على أبا أحد وبالرفع على ولكن هو رسول الله ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكن رسول الله
من عرفتموه أنه لم يعش له ولد ذكر وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع وبكسرها بمعنى الطابع وفاعل الختم
وتقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين **فإن قلت** كيف كان آخر الأنبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان
قلت معنى كونه آخر الأنبياء أنه لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا على
شريعة محمد مصليا إلى قبلته كأنه بعض أمته اذكروا الله أثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس والتحميد
والتهليل والتكبير وما هو أهله وأكثروا ذلك بكرة وأصيلا أي في كافة الأوقات قال رسول الله ذكر الله
على فم كل مسلم وروي في قلب كل مسلم . وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر
ولا حول ولا قوة إلا بالله . وعن مجاهد هذه كلمات يقولها الطاهر والجنب . والفعلان أعني اذكروا وسبحوا
موجهان إلى البكرة والأصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة . والتسبيح من جملة الذكر وإنما اختصه من بين
أنواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة ليبين فضله على سائر الأذكار لأن معناه تنزيه ذاته
عما لا يجوز عليه من الصفات والأفعال وتبرئته من القبائح ومثال فضله على غيره من الأذكار فضل
وصف العبد بالنزاهة من أدناس المعاصي والطهر من أرجاس المآثم على سائر أوصافه من كثرة
الصلاة والصيام والتوفر على الطاعات كلها والاشتمال على العلوم والاشتهار بالفضائل ويجوز أن
يريد بالذكر وإكثاره تكثير الطاعات والإقبال على العبادات فإن كل طاعة وكل خير من جملة
الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وأصيلا وهي الصلاة في جميع أوقاتها لفضل الصلاة على غيرها
أو صلاة الفجر والعشاءين لأن أداءها أشق ومراعاتها أشد . لما كان من شأن المصلي أن ينعطف
في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض في انعطافه عليه
والمرأة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الترحم والترؤف . ومنه قولهم صلى الله عليك أي ترحم عليك وترأف
فإن قلت قوله هو الذي يصلي عليكم إن فسرته بيترحم عليكم ويترأف فما تصنع بقوله وملائكته وما معنى صلاتهم
قلت هي قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرأفة
ونظيره قولك حياك الله أي أحياك وأبقاك وحييتك أي دعوت لك بأن يحييك الله لأنك لاتكالك على
إجابة دعوتك كأنك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك الله وسقيتك وعليه قوله تعالى
إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه . أي ادعوا الله بأن يصلي عليه والمعنى
هو الذي يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم إلى الخير ويأمركم بإكثار الذكر والتوفر على الصلاة والطاعة
ليخرجكم من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة وكان الله غفورا رحيما دليل على أن المراد بالصلاة الرحمة
ويروى أنه لما نزل قوله إن الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف
إلا وقد أشركنا فيه فنزلت تحيتهم من إضافة المصدر إلى المفعول أي يحيون يوم لقائه بسلام
فيجوز أن يعظمهم الله تعالى بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر أنواع التعظيم وأن يكون مثلا كاللقاء على ما
فسرنا . وقيل هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة وقيل سلام الملائكة عند
الخروج من القبور وقيل عند دخول الجنة كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والأجر
الكريم الجنة شاهدا على من بعثت إليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم أي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم
كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم **فإن قلت** وكيف كان شاهدا وقت الإرسال وإنما يكون شاهدا
عند تحمل الشهادة أو عند أدائها **قلت** هو حال مقدرة كمسئلة الكتاب مررت برجل معه صقر
صائدا به غدا أي مقدرا به الصيد غدا **فإن قلت** قد فهم من قوله إنا أرسلناك داعيا أنه مأذون له في
الدعاء فما فائدة قوله بإذنه **قلت** لم يرد به حقيقة الإذن وإنما جعل الإذن مستعارا للتسهيل والتيسير
لأن الدخول في حق المالك متعذر فإذا صودف الإذن تسهل وتيسر فلما كان الإذن تسهيلا لما تعذر
من ذلك وضع موضعه وذلك أن دعاء أهل الشرك والجاهلية إلى التوحيد والشرائع أمر في غاية الصعوبة
والتعذر فقيل بإذنه للإيذان بأن الأمر صعب لا يتأتى ولا يستطاع إلا إذا سهله الله ويسره
ومنه قولهم في الشحيح إنه غير مأذون له في الإنفاق أي غير مسهل له الإنفاق لكونه شاقا عليه
داخلا في حد التعذر . جلى الله به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج
المنير ويهتدى به أو أمد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الأبصار . ووصفه بالإنارة
لأن من السرج ما لا يضيء إذا قل سليطه ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلاثة تضني رسول بطيء
وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر لها من يجيء . وسئل بعضهم عن الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر
وقيل وذا سراج منير أو وتاليا سراجا منيرا ويجوز على هذا التفسير أن يعطف على كاف أرسلناك
الفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب وإذا ذكر المتفضل به وكبره فما ظنك بالثواب

ويكون

ويكون أن يريد بالفضل الثواب من قولهم للعطايا فضول وفواضل وأن يريد أن لهم فضلا كبيرا على سائر
الأمم وذلك الفضل من جهة الله وأنه آتاهم ما فضلوهم به ولا تطع الكافرين معناه الدوام والثبات على ما كان
عليه أو التهييج أذاهم يحتمل إضافته إلى الفاعل وإلى المفعول يعني ودع أن تؤذيهم بضرر أو قتل وخذ
بظاهرهم وحسابهم على الله في باطنهم أو ودع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر . وعن ابن
عباس هي منسوخة بآية السيف وتوكل على الله فإنه يكفيكهم وكفى بالله مفوضا إليه وكيلا . ولقائل أن يقول وصفه الله
بخمسة أوصاف وقابل كلا منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لأنه يكون شاهدا
على أمته وهم يكونون شهداء على سائر الأمم وهو الفضل الكبير والمبشر بالإعراض عن الكافرين والمنافقين
لأنه إذا أعرض عنهم أقبل جميع إقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع أذاهم لأنه إذا
ترك أذاهم في الحاضر والأذى لا بد له من عقاب عاجل أو آجل كانوا منذرين به في المستقبل والداعي
إلى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله لأن من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به
وكيلا لأن من أناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بأن يكتفى به عن جميع خلقه . النكاح الوطء وتسمية
العقد نكاحا لملابسته له من حيث إنه طريق إليه ونظيره تسمية الخمر إثما لأنها سبب في اقتراف الإثم
ونحوه في علم البيان قول الراجز . أسنمة الآبال في سحابه . سمى الماء بأسنمة الآبال لأنه سبب سمن الإبل
وارتفاع أسنمتها . ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله إلا في معنى العقد لأنه في معنى الوطء من باب التصريح به
ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والإتيان **فإن قلت** لم خص
المؤمنات والحكم الذي نطقت به الآية يستوي فيه المؤمنات والكتابيات **قلت** في اختصاصهن تنبيه
على أن أصل أمر المؤمن والأولى به أن يتخير لنطفته وأن لا ينكح إلا مؤمنة عفيفة ويتنزه عن مزاوجة الفواسق
فما بال الكوافر ويستنكف أن يدخل تحت لحاف واحد عدوة الله ووليه فالتي في سورة المائدة تعليم ما هو
جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين أوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو الأولى بالمؤمن من نكاح
المؤمنات **فإن قلت** ما فائدة ثم في قوله ثم طلقتموهن **قلت** فائدته نفي التوهم عمن عسى يتوهم
تفاوت الحكم بين أن يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين أن يبعد عهدها بالنكاح وتتراخى بها
المدة في حبالة الزوج ثم يطلقها **فإن قلت** إذا خلا بها خلوة يمكنه معها المساس هل يقوم ذلك مقام المساس
قلت نعم عند أبي حنيفة وأصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس وقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها دليل
على أن العدة حق واجب على النساء للرجال تعتدونها تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم فاعتدها
كقولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه . لا عدة على غير المدخول بها لأنه لا يستبرأ على أنه لم يقربها
مالكها وقرئ تعتدونها مخففا أي تعتدون فيها كقوله . ويوم شهدناه . والمراد بالاعتداء ما في قوله
ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا **فإن قلت** ما هذا التمتيع أواجب أم مندوب إليه **قلت** إن كانت غير
مفروض لها كانت المتعة واجبة ولا تجب المتعة عند أبي حنيفة إلا لها دون سائر المطلقات وإن كانت
مفروضا لها فالمتعة مختلف فيها فبعض على الندب والاستحباب ومنهم أبو حنيفة وبعض على الوجوب وهو
سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع واجب أجورهن مهورهن لأن المهر أجر على البضع وإيتاؤها إما إعطاؤها
عاجلا وإما فرضها وتسميتها في العقد **فإن قلت** لم قال اللاتي آتيت أجورهن ومما أفاء الله عليك واللاتي هاجرن
معك وما فائدة هذه التخصيصات **قلت** قد اختار الله لرسوله الأفضل الأولى واستحبه بالأطيب الأزكى
كما اختصه بغيرها من الخصائص وآثره بما سواها من الأثرة وذلك أن تسمية المهر في العقد أولى وأفضل
من ترك التسمية وإن وقع العقد جائزا وله أن يماسها وعليه مهر المثل إن دخل بها والمتعة إن لم يدخل
بها وسوق المهر إليها عاجلا أفضل من أن يسميه ويؤجله وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم وما لا
يعرف بينهم غيره . وكذلك الجارية إذا كانت سبية مالكها وخطبة سيفه ورمحه ومما غنمه الله من
دار الحرب أحل وأطيب مما يشترى من شق الجلب . والسبي على ضربين سبي طيبة وسبي خبثة فسبي
الطيبة ما سبي من أهل الحرب وأما من كان له عهد فالمسبي منهم سبي خبثة ويدل عليه قوله تعالى مما
أفاء الله عليك لأن فيء الله لا يطلق إلا على الطيب دون الخبيث كما أن رزق الله يجب إطلاقه على الحلال
دون الحرام واللاتي هاجرن مع رسول الله من قرابته غير المحارم أفضل من غير المهاجرات معه وعن
أم هانئ بنت أبي طالب خطبني رسول الله فاعتذرت إليه فعذرني ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل
له لأني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء وأحللنا لك من وقع لها أن تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء
المؤمنات إن اتفق ذلك ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك فعن ابن عباس لم يكن عند رسول الله
أحد منهن بالهبة . وقيل الموهوبات أربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة أم المساكين
الأنصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم . وقرئ إن وهبت على الشرط وعن الحسن أن بالفتح

على التعليل بتقدير حذف اللام ويجوز ان يكون مصدرا محذوفا معه الزمان كقولك اجلس مادام زيد جالسا بمعنى وقت دوام جلوسه وقت هبتها نفسها وقرأ ابن مسعود بغير ان فان قلت ما معنى الشرط الثاني مع الاول قلت هو تقييد له شرط في الاحلال هبتها نفسها وفي الهبة ارادة استنكاح رسول الله كانه قال احللناها لك ان وهبت لك نفسها وانت تريد ان تستنكحها لان ارادته هي قبول الهبة وما به تتم فان قلت لم عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله نفسها للنبي ان اراد النبي ثم رجع الى الخطاب قلت للايذان بانه مما خص به واوثر ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على ان الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقد استشهد به ابو حنيفة رح على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله وامته سواء في الاحكام الا فيما خصه الدليل وقال الشافعي لا يصح وقد خص رسول الله بمعنى الهبة ولفظها جميعا لان اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك في اللفظ يحتاج الى الدليل وقال ابو الحسن الكرخي ان عقد النكاح بلفظ الاجارة جائز لقوله تعالى اللاتي آتيت اجورهن وقال ابو بكر الرازي لا يصح به لان الاجارة عقد موقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان خالصة مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله اي خلص لك احلال ما احللنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيز كالخارج والقاعد والعافية والكاذبة والدليل على انها وردت في اثر الاحلالات الاربع مخصوصة برسول الله على سبيل التوكيد لها قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم بعد قوله من دون المومنين وهي جملة اعتراضية وقوله لكيلا يكون عليك حرج متصل بخالصة لك من دون المومنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية ان الله قد علم ما يجب فرضه على المومنين في الازواج والاماء وعلى اي حد وصفة يجب ان يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله بما اختصه به ففعل ومعنى [illegible] لكيلا يكون عليك حرج ضيق في دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو اولى وافضل وفي دنياك حيث احللنا لك اجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها وقرئ خالصة بالرفع اي ذلك خلوص لك وخصوص من دون المومنين ومن جعل خالصة نعتا للمرأة فعلى مذهبه هذه المرأة خالصة لك من دونهم وكان الله غفورا للواقع في الحرج اذا تاب رحيما بالتوسعة على عباده وروي ان امهات المومنين حين تغايرن وابتغين زيادة النفقة وغظن رسول الله هجرهن شهرا فنزل التخيير فاشفقن ان يطلقهن فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت وروي ان عائشة قالت اني ارى ربك يسارع في هواك ترجي بهمز وغيره مكي وابو عمرو وشامي وابو بكر تؤخر وتؤوي تضم يعني تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء او لا تقسم لايتهن شئت وتقسم لمن شئت او تترك تزوج من شئت من نساء امتك وتتزوج من شئت وعن الحسن كان النبي اذا خطب امرأة لم يكن لاحد ان يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق واما ان يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق وعزل فاما ان يخلي المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها وروي انه ارجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة وكان يقسم لهن ما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وام سلمة وزينب ارجى خمسا وآوى اربعا وروي انه كان يسوي مع ما اطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى احشر في جملة نسائك ذلك التفويض الى مشيتك ادنى الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه اذا سوى بينهن في الايواء والارجاء والعزل والابتغاء ارتفع التفاضل ولم يكن لاحداهن مما تريد ومما لا تريد الا مثل ما للاخرى وعلمن ان هذا التفويض من عند الله بوحيه اطمأنت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون وسلت القلوب والله يعلم ما في قلوبكم فيه وعيد لمن لم يرض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشية رسوله وبعث على تواطؤ قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق على طلب رضا رسول الله وما فيه طيب نفسه وقرئ تقر اعينهن بضم التاء ونصب الاعين وتقر اعينهن على البنا للمفعول وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق بان يتقى ويحذر كلهن تاكيد لنون يرضين وقرأ ابن مسعود ويرضين كلهن بما آتيتهن على التقديم وقرئ كلهن تاكيد لهن في آتيتهن لا يحل وقرئ بالتذكير لان تانيث الجمع غير حقيقي واذا جاز بغير فصل في قوله وقال نسوة كان مع الفصل اجوز من بعد من بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله من الازواج كما ان الاربع نصاب امته منهن فلا يحل له ان يتجاوز النصاب ولا ان تبدل بهن ولا ان تستبدل بهولاء التسع ازواجا اخر بكلهن او بعضهن اراد الله لهن كرامة وجزاء على ما اختزن ورضين فقصر رسول الله عليهن وهن التسع اللاتي مات عنهن عائشة بنت ابي بكر حفصة بنت عمر ام حبيبة بنت ابي سفيان

سودة بنت زمعة ام سلمة بنت ابي امية صفية بنت حيي الخيبرية ميمونة بنت الحرث الهلالية زينب بنت جحش الاسدية جويرية بنت الحارث المصطلقية رضي الله عنهن من مزيدة لتاكيد النفي وفائدته استغراق جنس الازواج بالتحريم وقيل معناه لا يحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص احلالهن لك من الاجناس الاربعة من الاعرابيات والغرائب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح وقيل في تحريم التبدل هو من البدل الذي كان في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل بادلني بامرأتك وابادلك بامرأتي فينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه ويحكى ان عيينة ابن حصن دخل على النبي م وعنده عائشة من غير استيذان فقال رسول الله يا عيينة اين الاستيذان قال يا رسول الله ما استأذنت على رجل قط ممن مضى منذ ادركت ثم قال من هذه الجميلة الى جنبك فقال عليه السلام هذه عائشة ام المومنين فقال عيينة افلا انزل لك عن احسن الخلق فقال م ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله قال احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه وعن عائشة رض ما مات رسول الله حتى احل له النساء يعني ان الآية قد نسخت ولا يخلو نسخها اما ان يكون بالسنة واما بقوله انا احللنا لك ازواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ولو اعجبك في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل لا من المفعول الذي هو من ازواج لانه موغل في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن وقيل هي اسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر ابن ابي طالب والمراد انها ممن اعجبه حسنهن واستثنى ممن حرم عليه الاماء رقيبا حافظا مهيمنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه الا ان يؤذن لكم في معنى الظرف تقديره وقت ان يؤذن لكم غير ناظرين حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الوقت والحال معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين وهولاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه ومعناه لا تدخلوا يا هولاء المتحينون للطعام الا ان يؤذن لكم الى الطعام غير ناظرين اناه والا فلو لم يكن لهولاء خصوصا لما جاز لاحد ان يدخل بيوت النبي الا ان يؤذن له اذنا خاصا وهو الاذن الى الطعام فحسب وعن ابن ابي عبلة انه قرئ غير ناظرين مجرورا صفة لطعام وليس بالوجه لانه جرى على غير ما هو له فمن حق ما هو له ان يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين اناه انتم كقولك هند زيد ضاربته هي واناه الطعام ادراكه يقال انى الطعام انى كقولك قلاه قلى ومنه قوله من حميم آن بالغ اناه وقيل اناه وقته اي غير ناظرين وقت الطعام وساعة اكله وروي ان رسول الله اولم على زينب بتمر وسويق وشاة وامر انسا ان يدعو بالناس فترادفوا افواجا يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله دعوت حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله م ليخرجوا فانطلق الى حجرة عائشة فقال السلام عليكم اهل البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت اهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول شديد الحياء فتولى فلما راوه متوليا خرجوا فرجع ونزلت ولا مستأنسين لحديث نهوا ان يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه او عن ان يستأنسوا حديث اهل البيت واستيناسه تسمعه وتوجسه وهو مجرور معطوف على ناظرين وقيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستأنسين ولابد في قوله فيستحيي منكم من تقدير المضاف اي من اخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق ما ينبغي ان يستحيا منه ولما كان الحيا مما يمنع الحيي من بعض الافعال قيل لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق ما ينبغي ان يستحيا منه ولما كان الحيا مما يمنع الحيي من بعض الافعال قيل لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا ادب ادب الله به الثقلاء وعن عائشة رض حسبك في الثقلاء ان الله تعالى لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم فانتشروا وقرئ لا يستحي بياء واحدة والضمير في سألتموهن لنساء النبي م ولم يذكرن لان الحال ناطقة بذكرهن متاعا حاجة فاسألوهن [illegible] المتاع قيل ان عمر رض كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيرا ويود ان ينزل فيه وكان يقول لو اطاع فيكن ما رأتكن عين وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المومنين بالحجاب فنزلت وروي انه مر عليهن وهن مع النساء في المسجد فقال لئن احتجبن فان لكن على النساء فضلا كما ان لزوجكن على الرجال الفضل فقالت زينب يا ابن الخطاب انك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا الا يسيرا حتى نزلت وقيل ان رسول الله كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عائشة فكره النبي م ذلك فنزلت آية الحجاب ثم ذكر ان بعضهم قال انهى ان نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لاتزوجن فلانة فاعلم الله ان ذلك محرم وما كان لكم وما صح لكم ايذاء رسول الله ولا انكاح ازواجه من بعده وسمى نكاحهن بعده عظيما عنده وهو من

أعلام تعظيم الله لرسوله وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب به نفسه وسر قلبه واستغزر
شكره فان نحو هذا مما يحدث به الرجل نفسه ولا يخلي منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على امرأته
حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده وعن بعض الفتيان انه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفا
واستهتارا فنظر اليها ذات يوم فتنفس الصعداء وانتحب فعلا نحيبه مما ذهب به فكره هذا
المذهب فلم يزل به حتى قتلها تصورا لما عسى يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره وعن
بعض الفقهاء ان الزوج الثاني في هدم الثلاث يجري مجرى العقوبة فصين رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلاحظ ذلك ان تبدوا
شيئا من نكاحهن على ألسنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله تعالى يعلم ذلك فيعاقبكم به ولما جاء به على
الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نحن ايضا نكلمهن من وراء حجاب فنزل لا جناح عليهن
اي لا اثم عليهن في ان لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت
تسمية العم ابا قال الله تعالى واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق واسمعيل عم يعقوب وقيل كره ترك
الاحتجاب عنهما لانهما يصفانها لابنائهما وابناؤهما غير محارم ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفي هذا
النقل ما يدل على فضل تشديد فقيل واتقين الله فيما امرتن به من الاحتجاب وانزل فيه الوحي من
الاستتار واحتطن فيه وفيما استثني منه ما قدرتن واحفظن حدودها واسلكن طريق التقوى في حفظها وليكن
عملكن في الحجب احسن مما كان وانتن غير محتجبات ليفضل سركن علنكن ان الله على كل شيء من السر والعلن
وظاهر الحجاب وباطنه شهيدا لا تتفاوت في علمه الاحوال وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها
وهو ظاهر على مذهب الكوفيين ووجهه عند البصريين ان يحذف الخبر لدلالة يصلون عليه صلوا عليه وسلموا
اي قولوا الصلوة على الرسول والسلام ومعناه الدعاء بأن يترحم عليه الله ويسلم فان قلت الصلوة على
رسول الله واجبة ام مندوب اليها قلت بل واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من اوجبها
كلما جرى ذكره وفي الحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله ويروى انه قيل
يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فقال هذا من العلم المكنون
ولولا انكم سألتموني عنه ما اخبرتكم به ان الله وكل بي ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم فيصلي علي الا قال
ذلك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ومنهم من قال تجب في كل
مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله وآخره
ومنهم من اوجبها في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط الصلوة
عند كل ذكر لما ورد من الاخبار فان قلت فالصلوة عليه في الصلوة اهي شرط في جوازها ام لا قلت
ابو حنيفة واصحابه لا يرونها شرطا وعن ابرهيم النخعي كانوا يكتفون عن ذلك يعني الصحابة بالتشهد
وهو السلام عليك ايها النبي واما الشافعي فقد جعلها شرطا فان قلت فما تقول في الصلوة على غيره قلت
القياس جواز الصلوة على كل مؤمن لقوله هو الذي يصلي عليكم وملائكته وقوله وصل عليهم ان صلواتك
سكن لهم وقوله عليه السلام اللهم صل على آل ابي اوفى ولكن للعلماء تفصيلا في ذلك وهو انها ان كانت
على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها واما اذا افرد غيره من اهل البيت بالصلوة
كما يفرد هو فمكروه لان ذلك صار شعارا لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولانه يؤدي الى الاتهام بالرفض وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم يؤذون الله ورسوله فيه وجهان
احدهما ان يعبر بايذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي وانكار النبوة ومخالفة الشريعة
وما كانوا يصيبونه به رسول الله من انواع المكروه على سبيل المجاز وانما جعلته مجازا فيهما جميعا
وحقيقة الايذاء صحيحة في رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا تجعل العبارة الواحدة معطية معنى المجاز والحقيقة والثاني
ان يراد يؤذون رسول الله وقيل في اذى الله هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة
وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه وقيل قول الذين يلحدون في اسمائه
وصفاته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه شتمني ابن آدم ولم ينبغ له ان يشتمني وآذاني ولم ينبغ
له ان يؤذيني فاما شتمه اياي فقوله اني اتخذت ولدا واما اذاه فقوله ان الله لا يعيدني بعد ان بدأني
وعن عكرمة فعل اهل التصاوير الذين يرومون تكوين خلق مثل خلق الله وقيل في اذى رسول الله قولهم
ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل كسر رباعيته وشج وجهه يوم احد وقيل طعنهم عليه في نكاح صفية
بنت حيي واطلق ايذاء الله ورسوله وقيد ايذاء المؤمنين والمؤمنات لان اذى الله ورسوله لا يكون الا
غير حق ابدا واما اذى المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه ومعنى بغير ما اكتسبوا بغير جناية واستحقاق
للاذى وقيل نزلت في اناس من المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه وقيل في الذين افكوا على عائشة
وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك ان تؤذي

كلبا

كلبا او خنزيرا بغير حق فكيف تؤذي مؤمنا وكان ابن عون لا يكري الحوانيت الا من اهل الذمة لما فيه من الروعة
عند كر الحول الجلباب ثوب واسع اوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه
ما ترسله على صدرها وعن ابن عباس الرداء الذي يستر من فوق الى اسفل وقيل الملحفة وكل ما يستتر
به من كساء او غيره قال ابو زبيد مجلبب من سواد الليل جلبابا ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن
يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن واعطافهن يقال اذا زل الثوب عن وجه المرأة أدني ثوبك
على وجهك وذلك ان النساء كن في اول الاسلام على هجيراهن في الجاهلية متبذلات تبرز المرأة في درع
وخمار لا فصل بين الحرة والامة وكان الفتيان واهل الشطارة يتعرضون اذا خرجن بالليل الى مقاضي
حوائجهن في النخيل والغيطان للاماء وربما تعرضوا للحرة بعلة الامة يقولون حسبناها امة فامرن
ان يخالفن بزيهن عن زي الاماء بلبس الاردية والملاحف وستر الرؤوس والوجوه ليحتشمن ويهبن
فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله ذلك ادنى ان يعرفن اي اولى واجدر بان يعرفن فلا يتعرض لهن
ولا يلقين ما يكرهن فان قلت ما معنى من في من جلابيبهن قلت هو للتبعيض الا ان معنى التبعيض محتمل
لوجهين احدهما ان يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب والمراد ان لا تكون المرأة متبذلة في درع وخمار
كالامة والماهنة ولها جلبابان فصاعدا في بيتها والثاني ان ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله على
وجهها تتقنع حتى تتميز من الامة وعن ابن سيرين سألت عبيدة السلماني عن ذلك فقال ان تضع رداءها
فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على انفها وعن السدي ان تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق
الآخر الا العين وعن الكسائي ان يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن اراد بالانضمام معنى الادناء
وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط مع التوبة لان هذا مما يمكن معرفته بالعقل الذين في قلوبهم مرض
قوم كان فيهم ضعف ايمان وقلة ثبات عليه وقيل هم الزناة واهل الفجور من قوله تعالى فيطمع
الذي في قلبه مرض والمرجفون ناس كانوا يرجفون باخبار السوء عن سرايا رسول الله فيقولون هزموا
وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال ارجف بكذا اذا اخبر به على غير حقيقة
لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم
وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من اخبار السوء لنأمرنك بان تفعل بهم
الافاعيل التي تسوءهم وتنوءهم ثم بان تضطرهم الى طلب الجلاء عن المدينة والى ان لا يساكنوك فيها
الا زمنا قليلا ريثما يرتحلون ويتلقطون انفسهم وعيالاتهم فسمى ذلك اغراء وهو التحريش على سبيل المجاز
ملعونين نصب على الشتم او الحال اي لا يجاورونك الا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا
كما مر في قوله الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين ولا يصح ان ينتصب عن اخذوا لان ما بعد كلمة
الشرط لا يعمل فيما قبلها وقيل في قليلا هو منصوب على الحال ايضا ومعناه لا يجاورونك الا اقلاء اذلاء ملعونين
فان قلت ما موقع لا يجاورونك قلت لا يجاورونك عطف على لنغرينك لانه يجوز ان يجاب به القسم
الا ترى الى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك فان قلت اما كان من حق لا يجاورونك ان يعطف بالفاء
وان يقال لنغرينك بهم فلا يجاورونك قلت لو جعل الثاني مسببا عن الاول لكان الامر كما قلت ولكنه جعل
جوابا آخر للقسم معطوفا على الاول وانما عطف بثم لان الجلاء عن الاوطان كان اعظم عليهم واعظم من
جميع ما اصيبوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه سنة الله في موضع مصدر مؤكد اي سن الله
في الذين ينافقون الانبياء ان يقتلوا حيثما ثقفوا وعن مقاتل يعني كما قتل اهل بدر واسروا كان
المشركون يسألون رسول الله عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا
لان الله تعالى عمى وقتها في التوراة وفي كل كتاب فامر رسول الله ان يجيبهم بانه علم قد استأثر الله به
لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله انها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا للممتحنين قريبا
شيئا قريبا او لان الساعة في معنى اليوم او في زمان قريب السعير النار المسعورة الشديدة الايقاد
وقرئ تقلب على البناء للمفعول وتقلب بمعنى تتقلب وتقلب اي نقلب نحن وتقلب على ان الفعل للسعير
ومعنى تقليبها تصريفها في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر اذا غلت فترامى بها الغليان
من جهة الى جهة وتغييرها عن احوالها وتحويلها عن هيئاتها او طرحها في النار مقلوبين منكوسين
وخصت الوجوه بالذكر لان الوجه اكرم موضع على الانسان من جسده ويجوز ان يكون الوجه
عبارة عن الجملة وناصب الظرف يقولون او محذوف وهو اذكر واذا نصب بالمحذوف كان يقولون
حالا وقرئ ساداتنا وسادتنا وهم رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم يقال ضل السبيل
واضله اياه وزيادة الالف لاطلاق الصوت جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف
والدلالة على ان الكلام قد انقطع وان ما بعده مستأنف وقرئ كثيرا تكثيرا لاعداد اللعائن

وكبيرا ليدل على أشد اللعن وأعظمه ضعفين ضعفا لضلاله وضعفا لإضلاله يعترفون ويستغيثون ويتمنون ولا ينفعهم شيء من ذلك لا تكونوا كالذين آذوا موسى قيل نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وقيل أذى موسى عليه السلام هو حديث المومسة التي أرادها قارون على قذفه بنفسها وقيل اتهامهم إياه بقتل هارون وكان قد خرج معه إلى الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا فأبصروه حتى عرفوا أنه غير مقتول وقيل أحياه الله فأخبرهم ببراءة موسى عليه السلام وقيل قذفوه بعيب في جسده من برص أو أدرة فأطلعهم الله على أنه بريء منه وجيها ذا جاه ومنزلة عنده فلذلك كان يميط عنه التهم ويدفع الأذى ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصم ولا يوصف بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده قربة ووجاهة. وقرأ ابن مسعود والأعمش وأبو حيوة وكان عبدا لله وجيها. قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في شهر رمضان فسمعته يقرؤها. وقراءة العامة أوجه لأنها مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله عند ذي العرش مكين وهذه ليست كذلك فإن قلت قوله مما قالوا معناه من قولهم أو من مقولهم لأن ما إما مصدرية أو موصولة وأيهما كان فكيف تصح البراءة منه قلت المراد بالقول أو المقول مؤداه ومضمونه وهو الأمر المعيب ألا ترى أنهم سموا السبة بالقالة والقالة بمعنى القول قولا سديدا قاصدا إلى الحق والسداد القصد إلى الحق والقول بالعدل يقال سدد السهم نحو الرمية إذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على أن يسد قولهم في كل باب لأن حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله والمعنى راقبوا الله في حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والإثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها. وقيل إصلاح الأعمال التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية. وهذه الآية مقررة للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه على الأمر باتقاء الله في حفظ اللسان ليترادف عليهم النهي والأمر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى واتباع الأمر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الأذى والداعي إلى تركه لما قال ومن يطع الله ورسوله ... وأما الإنسان فلم يكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع والمراد بالأمانة الطاعة لأنها لازمة الوجود كما أن الأمانة لازمة الأداء وعرضها على الجمادات وإباؤها وإشفاقها مجاز وأما حمل الأمانة فمن قولك فلان حامل للأمانة ومحتمل لها تريد أنه لا يؤديها إلى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها لأن الأمانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها ألا تراهم يقولون ركبته الديون ولي عليه حق فإذا أداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى نصرا يريدون أنه يبذل النصرة له ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل ومنه قول القائل أخوك الذي لا يملك الحس نفسه ... وترفض عند المحفظات الكتائف. أي لا يمسك الرقة والعطف إمساك المالك الضنين ما في يده بل يبذل ذلك ويسمح به ومنه قولهم أبغض حق أخيك لأنه إذا أحبه لم يخرجه إلى أخيه ولم يؤده وإذا أبغضه أخرجه وأداه فمعنى فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان فأبين إلا أن يؤدينها وأبى الإنسان إلا أن يكون محتملا لها لا يؤديها ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لأداء الأمانة وبالجهل لإخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو أداؤها. والثاني أن ما كلفه الإنسان بلغ من عظمه وثقل محمله أنه عرض على أعظم ما خلق الله من الأجرام وأقواه وأشده أن يتحمله ويستقل به فأبى حمله والاستقلال به وأشفق منه وحمله الإنسان على ضعفه ورخاوة قوته إنه كان ظلوما جهولا حيث حمل الأمانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القرآن إلا على طرقهم وأساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم أين تذهب لقال أسوي العوج. وكم لهم من أمثال على ألسنة البهائم والجمادات وتصور مقاولة الشحم محال ولكن الغرض أن السمن في الحيوان مما يحسن قبحه كما أن العجف مما يقبح حسنه فصور أثر السمن فيه تصويرا هو أوقع في نفس السامع وهي به آنس وله أقبل وعلى حقيقته أوقف. وكذلك تصوير عظم الأمانة وصعوبة أمرها وثقل محملها والوفاء بها فإن قلت قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على رأي واحد أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى لأنه مثلت حاله في تميله وترجحه بين الرأيين وتركه المضي على أحدهما بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي في وجهه وكل واحد من الممثل والممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة وليس كذلك ما في الآية فإن عرض الأمانة على الجماد وإباءه وإشفاقه محال في نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل على المحال وما مثال هذا إلا أنه يشبه شيئا والمشبه به

غير معقول قلت الممثل به في الآية وفي قولهم لو قيل للشحم أين تذهب وفي نظائره مفروض والمفروضات تتخيل في الذهن كالمحققات مثلت حال التكليف في صعوبته وثقل محمله بحالة المفروضة لو عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها. اللام في ليعذب لام التعليل على طريق المجاز لأن التعذيب نتيجة حمل الأمانة كما أن التأديب في ضربته للتأديب نتيجة الضرب. وقرأ الأعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدي ويتوب الله. ومعنى قراءة العامة ليعذب الله حامل الأمانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لأنه إذا تيب على الوافي كان ذلك نوعا من عذاب الغادر والله أعلم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطي الأمان من عذاب القبر.

سورة سبأ مكية وهي أربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ما في السموات والأرض كله نعمة من الله وهو الحقيق بأن يحمد ويثنى عليه من أجله ولما قال الحمد لله ثم وصف ذاته بالإنعام بجميع النعم الدنيوية كان معناه أنه المحمود على نعم الدنيا كما تقول احمد أخاك الذي كساك وحملك تريد احمده على كسوته وحملانه ولما قال وله الحمد في الآخرة علم أنه المحمود على نعم الآخرة وهي الثواب فإن قلت ما الفرق بين الحمدين قلت أما الحمد في الدنيا فواجب لأنه على نعمة متفضل بها وهو الطريق إلى تحصيل نعمة الآخرة وهي الثواب. وأما الحمد في الآخرة فليس بواجب لأنه على نعمة واجبة الإيصال إلى مستحقها إنما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ من به العطاش بالماء البارد وهو الحكيم الذي أحكم أمور الدارين ودبرها بحكمته الخبير بكل كائن يكون ثم ذكر مما يحيط به علما ما يلج في الأرض من الغيث كقوله فسلكه ينابيع في الأرض ومن الكنوز والدفائن والأموات وجميع ما هي له كفات وما يخرج منها من الشجر والنبات وماء العيون والغلة والدواب وغير ذلك وما ينزل من السماء من الأمطار والثلوج والبرد والصواعق والأرزاق والملائكة وأنواع البركات والمقادير كما قال وفي السماء رزقكم وما توعدون وما يعرج فيها من الملائكة وأعمال العباد وهو مع كثرة نعمه وسبوغ فضله الرحيم الغفور للمفرطين في أداء مواجب شكرها وقرأ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ننزل بالنون والتشديد. قولهم لا تأتينا الساعة نفي للبعث وإنكار لمجيء الساعة واستبطاء لما قد وعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد أوجب ما بعد النفي ببلى على معنى أن ليس الأمر إلا إتيانها ثم أعيد إيجابه مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم أمد التوكيد القسمي إمدادا بما أتبع المقسم به من الوصف بما وصف به إلى قوله ليجزي لأن عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وبشدة ثباته واستقامته لأنه بمنزلة الاستشهاد على الأمر وكلما كان المستشهد به أعلى كعبا وأبين فضلا وأرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وآكد والمستشهد عليه أثبت وأرسخ فإن قلت هل للوصف الذي وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى قلت نعم وذلك أن قيام الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها في الخفية وأولها مسارعة إلى القلب إذا قيل عالم الغيب فحين أقسم باسمه على إثبات قيام الساعة وأنه كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع إلى علم الغيب وأنه لا يفوت علمه شيء من الخفيات اندرج تحته إحاطته بوقت قيام الساعة فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئا واضحا فإن قلت الناس قد أنكروا إتيان الساعة وجحدوه فهب أنه حلف لهم بأغلظ الأيمان وأقسم عليه جهد القسم فيمين من هو في معتقدهم مفتر على الله كذبا كيف تكون مصححة لما أنكروه قلت هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهو قوله ليجزي فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء وأن المحسن لا بد له من ثواب والمسيء لا بد له من عقاب وقوله ليجزي متصل بقوله لتأتينكم تعليلا له قرئ لتأتينكم بالتاء والياء ووجه من قرأ بالياء أن يكون ضميره للساعة بمعنى اليوم أو يسند إلى عالم الغيب أي ليأتينكم أمره كما قال هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك وقال أو يأتي أمر ربك وقرئ عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لربي وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح ولا يعزب بالضم والكسر من العزوب وهو البعد يقال روض عزيب بعيد من الناس مثقال ذرة مقدار أصغر نملة وذلك إشارة إلى مثقال ذرة وقرئ ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بالرفع على أصل الابتداء وبالفتح على نفي الجنس كقولك لا حول ولا قوة إلا بالله بالرفع والنصب وهو كلام منقطع عما قبله فإن قلت هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة وأصغر وأكبر وزيادة لا لتأكيد النفي وعطف المفتوح على ذرة بأنه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر قلت يأبى ذلك حرف الاستثناء إلا إذا جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل أن تكتب في اللوح لأن إثباتها

في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى انه لا ينفصل عن الغيب شي ولا يزول عنه الا مسطورا في اللوح وقرئ
معجزين واليم بالرفع والجر وعن قتادة الرجز سوء العذاب ويرى في موضع الرفع اي ويعلم اولوا العلم يعني اصحاب
رسول الله ومن يطأ اعقابهم من امته او علماء اهل الكتاب الذين اسلموا مثل كعب الاحبار وعبد الله
بن سلام الذي انزل اليك الحق هما مفعولان ليرى وهو فصل ومن قرأ بالرفع جعله مبتدأ والحق
خبرا والجملة في موضع المفعول الثاني وقيل يرى في موضع النصب معطوف على ليجزي اي وليعلم اولوا
العلم عند مجيء الساعة انه الحق علما لا يزاد عليه في الايقان ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا ويجوز
ان يريد وليعلم من لم يؤمن من الاحبار انه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما الذين كفروا قريش قال بعضهم لبعض
هل ندلكم على رجل يعنون محمدا يحدثكم باعجوبة من الاعاجيب انكم تبعثون وتنشأون خلقا جديدا
بعد ان تكونوا رفاتا وترابا ويمزق اجسادكم البلى كل ممزق اي يفرقكم ويبدد اجزاءكم كل تبديد
أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك ام به جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه ثم قال سبحانه
ليس محمد من الافتراء والجنون في شي وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون في
عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك اجن الجنون واشده
اطباقا على عقولهم جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال كانهما كائنان في وقت واحد لان الضلال
لما كان العقاب من لوازمه وموجباته جعلا كانهما في الحقيقة مقترنان وقرئ زيد بن علي ينبئكم فان
قلت قد جعلت الممزق مصدرا كبيت الكتاب الم تعلم مسرحي القوافي فلا عيا بهن ولا اجتلابا فما تجوز
ان يكون مكانا قلت نعم ومعناه ما حصل من الاموات في بطون الطير والسباع وما مرت به
السيول فذهبت به كل مذهب وما سفته الرياح فطرحته كل مطرح فان قلت ما العامل في اذا قلت
ما دل عليه انكم لفي خلق جديد وقد سبق نظيره فان قلت الجديد فعيل بمعنى فاعل ام مفعول قلت هو عند
البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو جديد كحد فهو حديد وقل فهو قليل وعند الكوفيين بمعنى مفعول
من جده اذا قطعه وقالوا هو الذي جده الناسج الساعة في الثوب ثم شاع [illegible] ولهذا قالوا
ملحفة جديد وعند البصريين كقوله ان رحمة الله قريب ونحو ذلك فان قلت لم اسقطت الهمزة في قوله
افترى دون قوله السحر وكلتاهما همزة وصل قلت القياس الطرح ولكن امرا اضطرهم الى ترك
اسقاطها في نحو السحر وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام
فان قلت ما معنى وصف الضلال بالبعيد قلت هو من الاسناد المجازي لان البعيد صفة الضال
اذا بعد عن الجادة وكلما ازداد عنها بعدا كان اضل فان قلت كان رسول الله مشهورا علما
في قريش وكان انباؤه بالبعث شائعا عندهم فما معنى قولهم هل ندلكم على رجل ينبئكم فنكروه
لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في امر مجهول قلت كانوا يقصدون بذلك
الطنز والسخرية فاخرجوه مخرج التحكي ببعض الاحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي متجاهلين به
وبامره افلم يروا عموا فلم ينظروا الى السماء والارض وانهما حيثما كانوا واينما ساروا امامهم وخلفهم محيطتان
بهم لا يقدرون ان ينفذوا من اقطارهما وان يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله ولم يخافوا ان يخسف الله بهم
او يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول وبما جاء به كما فعل بقارون واصحاب الايكة
ان في ذلك النظر الى السماء والارض والفكر فيهما وما يدلان عليه من قدرة الله لآية ودلالة لكل عبد
منيب وهو الراجع الى ربه المطيع له لان المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله على انه قادر على كل شي
من البعث ومن عقاب من يكفر به وقرئ يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله كذبا وبالنون
لقوله ولقد آتينا وكسفا بفتح السين وسكونه وقرأ الكسائي يخسف بهم بالادغام وليست بقوية
يا جبال اما ان يكون بدلا من فضلا واما من آتينا بتقدير قولنا يا جبال او قلنا يا جبال وقرئ اوبي
واوبي من التأويب والاوب اي رجعي معه التسبيح او ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه لانه
اذا رجعه فقد رجع فيه ومعنى تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة
فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت
الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وقرئ والطير رفعا ونصبا عطفا على لفظ الجبال
ومحلها وجوزوا ان ينتصب مفعولا معه وان يعطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير فان قلت اي فرق بين
هذا النظم وبين ان يقال وآتينا داود منا فضلا تأويب الجبال معه والطير قلت كم بينهما الا ترى
الى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى من الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الالهية حيث جعل
الجبال منزلة منزلة العقلاء الذين اذا امرهم اطاعوا واذعنوا واذا دعاهم سمعوا واجابوا
اشعارا بانه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته

وألنا له الحديد

وألنا له الحديد وجعلناه له لينا كالطين والعجين والشمع يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة
وقيل لان الحديد في يده لما اوتي من شدة القوة وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الضافية وهو اول
من اتخذها وكانت قبل صفائح وقيل كان يبيع الدرع باربعة آلاف ينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق
على الفقراء وقيل كان يخرج حين ملك بني اسرائيل متنكرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون
في داود فيثنون عليه فقيض الله له ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه
فريع داود فسأله فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه ان يسبب له ما يستغني
به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع وقدر لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق
والسرد نسج الدروع واعملوا الضمير لداود واهله ولسليمن الريح فيمن نصب ولسليمن الريح مسخرة فيمن رفع
وكذلك فيمن قرأ الرياح بالرفع غدوها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك وقرئ غدوتها
وروحتها وعن الحسن كان يغدو فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل ويحكى ان بعضهم رأى مكتوبا
في منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمن نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من
اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله القطر النحاس المذاب من القطران فان قلت
ما ذا اراد بعين القطر قلت اراد بها معدن النحاس ولكنه اساله كما الان الحديد لداود فنبع كما ينبع
الماء من العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل اليه كما قال اني اراني اعصر خمرا وقيل كان يسيل في الشهر
ثلاثة ايام باذن ربه بامره ومن يزغ منهم ومن يعدل عن امرنا الذي امرناه به من طاعة سليمن وقرئ يزغ من
ازاغه وعذاب السعير عذاب الآخرة عن ابن عباس وعن السدي كان معه ملك بيده سوط من نار كلما
استعصى عليه ضربه به من حيث لا يراه الجني المحاريب المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال
سميت محاريب لانه يحامى عليها ويذب عنها وقيل المساجد والتماثيل صور الملائكة والنبيين والصالحين
كانت تعمل في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم فان قلت
كيف استجاز سليمن عليه السلام عمل الصور قلت هذا مما يجوز ان تختلف فيه الشرائع لانه ليس من مقبحات العقل
كالظلم والكذب وعن ابي العالية لم يكن اتخاذ الصور اذ ذاك محرما ويجوز ان يكون غير صور الحيوان
كصور الاشجار وغيرها لان التمثال كل ما صور على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان او بصور
محذوفة الرؤوس وروي انهم عملوا له اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط
الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما والجوابي الحياض الكبار قال الاعشى
تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق لان الماء يجبى فيها اي يجمع جعل الفعل لها مجازا
وهي من الصفات الغالبة كالدابة قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل وقرئ بحذف اليا اكتفاء بالكسرة
كقوله يوم يدع الداع راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود حكاية ما قيل لآل داود
وانتصب شكرا على انه مفعول له اي اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه وفيه دليل ان العبادة
يجب ان تؤدى على طريق الشكر او على الحال اي شاكرين او على تقدير اشكروا شكرا لان اعملوا فيه معنى اشكروا
من حيث ان العمل للمنعم شكر له ويجوز ان ينتصب باعملوا مفعولا به ومعناه انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم
ما شئتم فاعملوا انتم على طريق المشاكلة والشكور المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به
قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا واكثر اوقاته وعن ابن عباس من يشكر على احواله
كلها وعن السدي من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وعن داود انه جزأ ساعات
الليل والنهار على اهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي وعن عمر انه
سمع رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل اني سمعت الله يقول وقليل من
عبادي الشكور فانا ادعوه ان يجعلني من ذلك القليل فقال عمر كل الناس اعلم من عمر فلما قضينا عليه الموت
دابة الارض الارضة وهي الدويبة التي يقال لها السرفة والارض فعلها فاضيفت اليه يقال ارضت
الخشبة ارضا اذا اكلتها الارضة وقرئ بفتح الراء من ارضت الخشبة ارضا وهو من باب فعلته ففعل
كقولك اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا والمنسأة العصا لانه ينسأ بها اي يطرد ويؤخر وقرئ بفتح
الميم وبتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن اخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسي
ومنساته على مفعالة كما يقال في الميضاة ميضاة ومن سأته اي من طرف عصاه سميت بسأة القوس
على الاستعارة وفيها لغتان كقولهم قحة وقحة وقرئ اكلت منساته تبينت الجن من تبين الشي اذا
ظهر وتجلى وان مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك تبين زيد جهله والظهور له في المعنى
اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب او علم الجن كلهم علما بينا بعد التباس الامر على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم

أن كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب او علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم لا يعلمون الغيب
وان كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وانما اريد التهكم بهم كما يتهكم بمدعي الباطل اذا دحضت حجته وظهر
ابطاله بقولك هل تبينت انك مبطل وانت تعلم انه لم يزل كذلك متبينا • وقرئ تبينت على البنا للمفعول
على ان المتبين في المعنى هو ان مع ما في صلتها لانه بدل • وفي قراءة ابي تبينت الانس • وعن الضحاك
تباينت الانس بمعنى تعارفت وتعالمت • والضمير في كانوا للجن في قوله ومن الجن من يعمل بين يديه
اي علمت الانس ان لو كانت الجن يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب ما لبثوا • وفي قراءة ابن مسعود
تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب • روي انه كان من عادة سليمن ان يعتكف في مسجد بيت
المقدس المدد الطوال فلما دنى اجله لم يصبح الا راى في محرابه شجرة نابتة قد انطقها الله فيسألها
لاي شي انت فتقول لكذا حتى اصبح ذات يوم فراى الخروبة فسألها فقالت نبت لخراب هذا
المسجد فقال ما كان الله ليخربه وانا حي انت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها
في حائط له وقال اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الناس انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يسترقون
السمع ويموهون على الانس انهم يعلمون الغيب وقال لملك الموت اذا امرت بي فاعلمني فقال امرت
بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا
على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى فلم يكن شيطان
ينظر اليه في صلاته الا احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته فنظر فاذا سليمان قد خر ميتا ففتحوا
عليه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت
منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة • وكانوا يعملون بين يديه
ويحسبونه حيا فايقن الناس انهم لو علموا الغيب ما لبثوا في العذاب سنة • وروي ان داود اسس
بنا بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل ان يتمه فوصى به الى سليمن فامر الشياطين
باتمامه فلما بقي من عمره سنة سال ان يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب
وروي ان افريدون جا ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر احد بعد
ان يدنوا منه • وكان عمر سليمان ثلثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقي في ملكه
اربعين سنة وابتدا بنا بيت المقدس لاربع مضين من ملكه • قرئ لسبا بالصرف ومنعه وقلب الهمزة الفا
ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وارضهم التي كانوا مقيمين فيها او مسكن كل
واحد منهم • وقرئ مساكنهم • جنتان بدل من اية او خبر مبتدا محذوف وفي تقديره الاية جنتان وفي الرفع
معنى المدح يدل عليه قراءة من قرا جنتين بالنصب على المدح فان قلت ما معنى كونهما اية قلت لم يجعل
الجنتين في انفسهما اية وانما جعل قصتهما وان اهلهما اعرضوا عن شكر الله عليهما فخربهما وابدلهم عنهما
الخمط والاثل اية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم
ويجوز ان يجعلهما اية اي علامة دالة على الله وعلى قدرته وعلى احسانه ووجوب شكره فان قلت كيف عظم
الله جنتي اهل سبا وجعلهما اية ورب قرية من قريات العراق يحتف بها من الجنان ما شئت قلت
لم يرد بستانين اثنين فحسب • وانما اراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم واخرى عن شمالها
وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة
وبساتينها او اراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال جعلنا لاحدهما جنتين من
اعناب كلوا من رزق ربكم اما حكاية لما قال لهم انبيا الله المبعوثون اليهم او لما قال لهم لسان الحال او هم
احقا بان يقال لهم ذلك ولما قال كلوا من رزق ربكم واشكروا له اتبعه قوله بلدة طيبة ورب غفور
يعني هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكر
وعن ابن عباس رض كانت اخصب البلاد واطيبها تخرج المراة وعلى راسها المكتل تعمل بيديها
وتسير بين تلك الشجر فيمتلي المكتل مما يتساقط فيه من الثمر • طيبة لم تكن سبخة وقيل لم يكن
فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية • وقرئ بلدة طيبة وربا غفورا بالنصب على
المدح وعن ثعلب معناه اسكن واعبد • العرم الجرذ الذي نقب عليهم السكر ضربت لهم بلقيس
الملكة بسد ما بين الجبلين بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروقا
على مقدار ما يحتاجون اليه في سقيهم فلما طغوا وقيل بعث الله اليهم ثلاثة عشر نبيا يدعونهم
الى الله ويذكرونهم نعمته عليهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة فسلط الله عليهم على سدهم
الخلد فنقبه من اسفله فاغرقهم • وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة ويقال للكدس

من الطعام

من الطعام عرمة • والمراد المسناة التي عقدوها سكرا • وقيل العرم اسم الوادي • وقيل العرم المطر
الشديد • وقرئ العرم بسكون الرا • وعن الضحاك كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقرئ
اكل بالضم والسكون وبالتنوين والاضافة والاكل الثمر • والخمط شجر الاراك • وعن ابي عبيدة كل شجر
ذي شوك وقال الزجاج كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله • والاثل شبيه بالطرفا اعظم منه
واجود عودا • ووجه من نون ان اصله ذواتي اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
او وصف الاكل بالخمط كانه قال ذواتي اكل بشع • ومن اضاف وهو ابو عمرو وحده فلان اكل الخمط في معنى
البرير كانه قيل ذواتي برير • والاثل والسدر معطوفان على اكل لا على خمط لان الاثل لا اكل له
وقرئ واثلا وشيئا بالنصب عطفا على جنتين وتسمية البدل جنتين لاجل المشاكلة وفيه ضرب من
التهكم • وعن الحسن رض قلل السدر لانه اكرم ما بدلوا • وقرئ وهل يجازى وهل نجازي بالنون وهل
يجازي والفاعل هو الله وحده وهل يجزى والمعنى ان مثل هذا الجزا لا يستحقه الا الكافر وهو
العقاب العاجل وقيل المومن تكفر سيئاته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما يفعله من
السوء ووجه اخر وهو ان الجزا عام لكل مكافاة ويستعمل تارة في معنى المعاقبة واخرى في معنى
الاثابة فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل يجازى
الا الكفور بمعنى وهل يعاقب وهو الوجه الصحيح • وليس لقائل ان يقول لم قيل وهل يجازى الا الكفور
على اختصاص الكفور بالجزا والجزا عام للكافر والمومن لانه لم يرد الجزا العام وانما اراد الخاص وهو العقاب
بل لا يجوز ان يراد العموم وليس بموضعه الا ترى انك لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكافر
والمومن لم يصح ولم يسد كلاما فتبين ان ما يتخيل من السوال مضمحل وان الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جا عليه
كلام الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه القرى التي باركنا فيها هي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة
يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لاعين الناظرين او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد
عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها السير قيل كان الغادي منهم يقيل في قرية والرائح يبيت في قرية
الى ان يبلغ الشام لا يخاف جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ما • سيروا فيها وقلنا لهم سيروا
فيها ولا قول ثمه ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم اسبابه كانهم امروا بذلك واذن لهم فيه
فان قلت ما معنى قوله ليالي واياما قلت معناه سيروا فيها ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فان الامن
فيها لا يختلف باختلاف الاوقات او سيروا فيها امنين لا تخافون وان تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت
اياما وليالي او سيروا فيها لياليكم واياكم مدة اعماركم فانكم في كل حين وزمان لا تلقون فيها الا الامن
قرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبعد ويا ربنا على الدعا بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية
وطلبوا الكد والتعب كما طلب بنوا اسرايل البصل والثوم مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا ابعد
كان اجدر ان نشتهيه وتمنوا ان يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا
الازواد فعجل الله لهم الاجابة • وقرئ ربنا بعد بين اسفارنا وبعد بين اسفارنا على النداء واسناد
الفعل الى بين ورفعه كما تقول سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا • وقرئ ربنا باعد بين اسفارنا
وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتدا والمعنى خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم على قصرها
ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم كانهم يتشاجون على ربهم ويتحازنون عليه • احاديث يتحدث الناس
بهم ويتعجبون من احوالهم وفرقناهم تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا ايدي
سبا وتفرقوا ايادي سبا قال كثير ايادي سبا يا عز ما كنت بعدكم فلم يحل للعينين بعدك منظر
لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان • صبار عن المعاصي شكور للنعم
قرئ صدق بالتشديد والتخفيف ورفع ابليس ونصب الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم ظنه او وجده
صادقا ومن خفف فعلى صدق في ظنه او صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك • وبنصب ابليس ورفع الظن
فمن شدد فعلى وجده ظنه صادقا ومن خفف فعلى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواهم يقولون
صدقك ظنك وبالتخفيف ورفعهما على صدق عليهم ظن ابليس ولو قرئ بالتشديد مع رفعهما لكان
على المبالغة في صدق كقوله صدقت فيهم ظنوني ومعناه انه حين وجد ادم ضعيف العزم قد اصغى
الى وسوسته قال ان ذريته اضعف عزما منه فظن بهم اتباعه وقال لاضلنهم لاغوينهم وقيل
ظن ذلك عند اخبار الله الملايكة انه يجعل فيها من يفسد فيها والضمير في عليهم واتبعوه اما لاهل
سبا او لبني ادم وقلل المومنين بقوله الا فريقا لانهم قليل بالاضافة الى الكفار كما قال

لا احتنكن ذريته الا قليلا ولا تجد اكثرهم شاكرين وما كان له عليهم من تسلط واستيلا بالوسوسة والاستغوا
الا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك ان يتميز المؤمن بالاخرة من الشاك فيها وعلل التسلط بالعلم والمراد
ما تعلق به العلم وربك على كل شي حفيظ محافظ عليه وفعيل ومفاعل متآخيان قل لمشركي
قومك ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله من الاصنام والملائكة وسميتموهم باسمه كما تدعون الله والتجئوا
اليهم فيما يعروكم كما تلتجئون اليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون ان يستجيب لكم
ويرحمكم ثم اجاب عنهم بقوله لا يملكون مثقال ذرة من خير او شر او نفع او ضر في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما في هذين الجنسين
من شركة في الخلق ولا في الملك كقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض وما له منهم من ظهير يعينه على
تدبير خلقه يريد انهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن احوال الربوبية فكيف يصح ان يدعوا
كما يدعى ويرجوا كما يرجا فان قلت اين مفعولا زعم قلت احدهما الضمير المحذوف الراجع منه الى
الموصول واما الثاني فلا يخلو اما ان يكون من دون الله او لا يملكون او محذوفا فلا يصح الاول
لان قولك هم من دون الله لا يلتئم كلاما ولا الثاني لانهم ما كانوا يزعمون ذلك وكيف يتكلمون بما هو حجة
عليهم وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد فبقي ان يكون محذوفا تقديره زعمتموهم الهة من دون الله
فحذف الراجع الى الموصول كما حذف في قوله اهذا الذي بعث الله استخفافا لطول الموصول بصلته
وحذف الهة لانه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه
اذا كان مفهوما فاذا مفعولا زعم محذوفان جميعا بسببين مختلفين تقول الشفاعة لزيد على معنى انه
الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى انه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله ولا تنفع الشفاعة عنده
الا لمن اذن له ان يكون على احد هذين الوجهين اي لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له من الشافعين
ومطلقة له او لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له اي لشفيعه او هي اللام الثانية في قولك اذن لزيد
لعمرو اي لاجله فكانه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه وهذا
تكذيب لقولهم هؤلا شفعاؤنا عند الله فان قلت بم اتصل قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم ولاي شي وقعت
حتى غاية قلت بما فهم من هذا الكلام من ان ثم انتظارا للاذن وتوقفا وتمهلا وفزعا من
الراجين للشفاعة والشفعا هل يؤذن لهم او لا يؤذن وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان
وطول من التربص ومثل هذه الحال دل عليه قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون
منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا كانه قيل يتربصون
ويتوقفون مليا فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوب الشافعين
والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسال بعضهم بعضا ماذا قال ربكم
قالوا الحق اي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وعن ابن عباس عن النبي صلعم فاذا اذن
لمن اذن ان يشفع فزعته الشفاعة وقرئ اذن له اي اذن له الله واذن له على البنا للفاعل
وقرئ فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ على البنا للفاعل وهو الله وحده وفرغ اي نفي الوجل عنها وافني
من قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق منه شي ثم ترك ذكر الوجل واسند الى الجار والمجرور كما تقول دفع الى زيد
اذا علم ما المدفوع وقد تخفف واصله فرغ الوجل عنها اذا انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند
الى الجار والمجرور وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها وعن ابي علقمة انه هاج به المرار
فالتف عليه الناس فلما افاق قال ما لكم تكاكاتم علي تكاكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني
والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب اقمطر من حروف القمط مع زيادة الرا
وقرئ الحق بالرفع اي مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبريا ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم
الا باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى امره بان يقررهم بقوله من يرزقكم ثم امره بان يتولى
الاجابة والاقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للاشعار بانهم مقرون به بقلوبهم الا انهم ربما
ابوا ان يتكلموا به لان الذي تمكن في صدورهم من العناد وحب الشرك قد الجم افواههم عن النطق
بالحق مع علمهم بصحته ولانهم ان تفوهوا بان الله رازقهم لزمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون
من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق الا ترى الى قوله قل من يرزقكم من السما والارض
امن يملك السمع والابصار حتى قال فسيقولون الله ثم قال فماذا بعد الحق الا الضلال فكانهم
كانوا يقرون بالسنتهم مرة ومرة كانوا يتلعثمون عنادا وضرارا وحذارا من الزام الحجة ونحوه
قوله تعالى قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اوليا لا يملكون لانفسهم
نفعا

نفعا ولا ضرا وامره ان يقول لهم بعد الالزام والالجام الذي ان لم يزد على اقرارهم بالسنتهم
لم يتقاصر عنه وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ومعناه وان احد الفريقين من الذين يوحدون
الرازق من السموات والارض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لعلى احد
الامرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال او مناف قال
لمن خوطب به قد انصفك صاحبك وفي درجه بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على
من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض والتورية افضل بالمجادل الى
الغرض واهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه
قد علم الله الصادق مني ومنك وان احدنا لكاذب ومنه بيت حسان اتهجوه ولست له بكفؤ
فشركما لخيركما الفدا فان قلت كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال قلت
لان صاحب الحق كانه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شا والضال كانه منغمس في ظلام مرتبك
فيه لا يدري اين يتوجه وفي قراءة ابي وانا او اياكم اما على هدى او في ضلال مبين هذا ادخل في الانصاف
وابلغ فيه من الاول حيث اسند الاجرام الى المخاطبين والعمل الى المخاطبين وان اريد بالاجرام الصغاير
والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام وفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله
انه يدخل هؤلا الجنة واوليك النار فان قلت ما معنى قوله اروني وكان يراهم ويعرفهم قلت
اراد بذلك ان يريهم الخطا العظيم في الحاق الشركا بالله وان يقايس على اعينهم بينه وبين اصنامهم
ليطلعهم على احالة القياس اليه والاشراك به كلا ردع لهم عن مذهبهم بعدما كسره بابطال
المقايسة كما قال ابرهيم اف لكم ولما تعبدون من دون الله بعدما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم
وان لم يقدروا الله حق قدره بقوله هو العزيز الحكيم كانه قال اين الذين الحقتم به شركا من
هذه الصفات وهو راجع الى الله وحده او هو ضمير الشان كما في قوله قل هو الله احد الا كافة للناس
الا ارسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم وقال الزجاج
المعنى ارسلناك جامعا للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التا على هذا ان تكون للمبالغة
كالتا في الراوية والعلامة ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد اخطا لان تقدم حال المجرور عليه في
الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطا ثم لا يقتنع به حتى يضم اليه ان يجعل اللام
بمعنى الى لانه لا يستوي له الخطا الاول الا بالخطا الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطاين قرئ ميعاد يوم وميعاد
يوم وميعاد يوما والميعاد ظرف الوعد من مكان او زمان وهو ههنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرا
ميعاد يوم فابدل منه اليوم فان قلت فما تاويل اضافته الى اليوم او نصبه يوما قلت اما الاضافة فاضافة
تبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سانية واما نصب اليوم فعلى التعظيم باضمار فعل تقديره لكم ميعاد
اعني يوما او اريد يوما من صفته كيت وكيت ويجوز ان يكون الرفع على هذا اعني التعظيم فان قلت
كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم قلت ما سالوا عن ذلك وهم منكرون له الا تعنتا لا استرشادا
فجا الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجي السؤال على سبيل الانكار والتعنت وانهم مرصدون ليوم
يفاجئهم فلا يستطيعون تاخرا عنه ولا تقدما عليه الذي بين يديه ما انزل قبل القران من كتب الله
يروى ان كفار مكة سالوا اهل الكتاب فاخبروهم انهم يجدون صفة رسول الله في كتبهم فاغضبهم
ذلك وقرنوا الى القران جميع ما تقدمه من كتب الله في الكفر فكفروا بها جميعا وقيل الذي بين يديه
يوم القيمة والمعنى انهم جحدوا ان يكون القران من الله وان يكون لما دل عليه من الاعادة للجزا
حقيقة ثم اخبر عن عاقبة امرهم ومآلهم في الاخرة فقال لرسوله او للمخاطب ولو ترى في الاخرة
موقفهم وهم يتجاذبون اطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرايت العجب فحذف الجواب الذين استضعفوا
هم الاتباع والذين استكبروا الرؤس والمتقدمون اولي الاسم اعني نحن حرف الانكار لان الغرض
انكار ان يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان واثبات انهم هم الذين صدوا بانفسهم عنه
وانهم اتوا من قبل اختيارهم كانهم قالوا نحن اخترنا لكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين
بعد اذ جاءكم بعد ان صممتم على الدخول في الايمان وصحت نياتكم في اختياره بل انتم منعتم انفسكم
حظها واثرتم الضلال على الهدى واطعتم آمر الشهوة دون آمر النهى فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم
لا لقولنا وتسويلنا فان قلت اذ واذا من الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت اذ مضافا اليها قلت قد اتسع في الزمان
ما لم يتسع في غيره فاضيف اليها الزمان كما اضيف الى الجمل في قولك جئتك بعد اذ جا زيد وحينئذ ويومئذ وكان ذلك

وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل

اذان الحجاج أبير وحين خرج زيد. لما أنكر المستكبرون بقولهم أنحن صددناكم أن يكونوا هم السبب في
كفر المستضعفين وأثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين أن ذلك بكسبهم واختيارهم كرّ عليهم المستضعفون
بقولهم بل مكر الليل والنهار فأبطلوا إضرابهم بإضرابهم كأنهم قالوا ما كان الإجرام من جهتنا بل
من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا أو حملكم إيانا على الشرك واتخاذ الأنداد. ومعنى مكر
الليل والنهار مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به وإضافة
المكر إليه أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الإسناد المجازي. وقرئ بل مكرٌ الليلَ والنهارَ بالتنوين
ونصب الظرفين وبل مكرُّ الليل والنهار بالرفع والنصب أي تكرّون الإغواء مكرا دائبا لا تفترون
عنه. فإن قلت ما وجه الرفع والنصب قلت هو مبتدأ أو خبر على معنى بل سبب ذلك مكركم أو مكركم سبب ذلك
والنصب على بل تكرّون الإغواء مكرّ الليل والنهار. فإن قلت لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف
وقيل وقال الذين استضعفوا مع العاطف قلت لأن الذين استضعفوا مرّ أول كلامهم فجيء بالجواب
محذوف العاطف على طريقة الاستئناف ثم جيء بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم
الأول. فإن قلت من صاحب الضمير في وأسروا قلت الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين
والمستضعفين وهم الظالمون في قوله إذ الظالمون موقوفون يندم المستكبرون على ضلالهم وإضلالهم
والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين في أعناق الذين كفروا أي في أعناقهم فجاء بالصريح للتنويه بذمهم
وللدلالة على ما استحقوا به الأغلال. وعن قتادة أسروا الكلام بذلك بينهم وقيل أسروا الندامة
أظهروها وهو من الأضداد. هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه من التكذيب والكفر
بما جاء به والمنافسة بكثرة الأموال والأولاد والمفاخرة بالدنيا وزخارفها والتكبر بذلك
على المؤمنين والاستهانة بهم من أجله وقولهم أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وأنه
لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير إلا قالوا له مثل ما قال لرسول الله أهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه
به وقاسوا أمر الآخرة الموهومة أو المفروضة عندهم على أمر الدنيا واعتقدوا أنهم لو لم يكرموا
على الله لما رزقهم ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا وما نحن بمعذبين أرادوا
أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظرا إلى أحوالهم في الدنيا وقد أبطل الله حسبانهم بأن
الرزق فضل من الله يقسمه كيف يشاء على حسب ما يراه من المصالح فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع
وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما فلا ينقاس عليه أمر الثواب الذي مبناه على الاستحقاق وقدر الرزق
تضييقه قال تعالى ومن قدر عليه رزقه. قرئ ويقدّر بالتشديد والتخفيف أراد وما جماعة أموالكم ولا أولادكم
بالتي تقربكم وذلك أن الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث وقرئ باللاتي
تقربكم لأنها جماعات وقرئ بالذي يقربكم أي بالشيء الذي يقربكم. والزلفى والزلفة كالقربى والقربة
ومحلها النصب أي تقربكم قربة كقوله والله أنبتكم من الأرض نباتا. إلا من آمن استثناء من كم
في تقربكم والمعنى أن الأموال لا تقرب أحدا إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله
والأولاد لا تقرب أحدا إلا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة. جزاء
الضعف من إضافة المصدر إلى المفعول أصله فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء
الضعف. ومعنى جزاء الضعف أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرئ جزاءً الضعفُ على
فأولئك لهم الضعف جزاء وجزاءٌ الضعفُ على أن يجازوا الضعف وجزاءُ الضعفِ مرفوعان
الضعف بدل من جزاء. قرئ في الغرفات بضم الراء وفتحها وسكونها وفي الغرفة. فهو يخلفه فهو يعوضه لا معوض
سواه إما عاجلا بالمال أو بالقناعة التي هي كنز لا ينفد وإما آجلا بالثواب الذي كل خلف دونه وعن
مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فإن الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق
نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأولن وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه فإن ذلك
في الآخرة. ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه. خير الرازقين وأعلاهم رب العزة لأن كل ما رزق غيره من
سلطان يرزق جنده أو سيد يرزق عبده أو رجل يرزق عياله فهو من رزق الله أجراه على أيدي هؤلاء
وهو خالق الرزق وخالق الأسباب التي بها ينتفع المرزوق بالرزق. وعن بعضهم الحمد لله الذي أوجدني
وجعلني ممن يشتهي فكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهي. هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار
وارد على المثل السائر إياك أعني فاسمعي يا جارة. ونحوه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من
دون الله وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين برآء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والغرض

أن يقول

أن يقول ويقولوا ربنا ويجيبون فيكون تقريعهم أشد وتعييرهم أبلغ وخجلهم أعظم وهوانهم ألزم
ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا لمن اقتص عليه. والموالاة خلاف المعاداة ومنها اللهم
وال من والاه وعاد من عاداه وهي مفاعلة من الولي وهو القرب كما أن المعاداة من العدو وهي البعد
والولي يقع على الموالي والموالى جميعا. والمعنى أنت الذي نواليه من دونهم إذ لا موالاة بيننا وبينهم
فبينوا بإثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لأن من كان على هذه الصفة
كانت حاله منافية لذلك. بل كانوا يعبدون الجن يريدون الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله وقيل
صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها
وقيل كانوا يدخلون في أجواف الأصنام إذا عبدت فيعبدون بعبادتها. وقرئ نحشرهم ونقول بالنون
والياء. الأمر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه أحد منفعة ولا مضرة لأحد لأن الدار دار ثواب وعقاب
والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس فيها مخلى بينهم
يتضارون وينتفعون والمراد أنه لا ضار ولا نافع يومئذ إلا هو ثم ذكر معاقبته الظالمين
بقوله ونقول للذين ظلموا معطوفا على لا يملك. الإشارة الأولى إلى رسول الله والثانية إلى القرآن والثالثة
إلى الحق والحق أمر النبوة كله ودين الإسلام كما هو. وفي قوله وقال الذين كفروا وفي أن لم يقل وقالوا وفي قوله
للحق لما جاءهم وما في اللامين من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة بالكفر دليل
على صدور الكلام عن إنكار عظيم وغضب شديد وتعجيب من أمرهم بليغ كأنه قال وقال أولئك الكفرة
المتمردون بجراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل أن يذوقوه إن هذا إلا سحر مبين فبتوا القضية
على أنه سحر ثم بتوه على أنه بين ظاهر كل عاقل تأمله سماه سحرا. وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيها برهان على
صحة الشرك ولا أرسلنا إليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب إن لم يشركوا كما قال أم أنزلنا عليهم سلطانا
فهو يتكلم بما كانوا به يشركون أو وصفهم بأنهم قوم أميون أهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بإنزال
كتاب ولا بعثة رسول كما قال أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبث به
ولا شبهة متعلق كما يقول أهل الكتاب وإن كانوا مبطلين عن أهل كتب وشرائع يستندون إلى رسل من
رسل الله. ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله وكذب الذين من قبلهم تقدمهم من الأمم والقرون الخالية كما كذبوا
وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا أولئك من طول الأعمار وقوة الأجرام وكثرة الأموال فحين كذبوا رسلهم
جاءهم إنكاري بالتدمير والاستئصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون فما بال هؤلاء.
وقرئ يدرّسونها من التدريس وهو تكرير الدرس أو من درّس الكتاب ودرّس الكتب ويدّرسونها بتشديد
الدال يفتعلون من الدرس. والمعشار كالمرباع وهما العشر والربع. فإن قلت ما معنى فكذبوا رسلي
وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم. قلت لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم
التكذيب وأقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره أن يقول القائل أقدم
فلان على الكفر فكفر بمحمد. ويجوز أن ينعطف على قوله وما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل
عمرو فيفضل عليه. فكيف كان نكير للمكذبين الأولين فليحذروا من مثله. بواحدة بخصلة واحدة وقد
فسرها بقوله أن تقوموا على أنه عطف بيان لها وأراد بقيامهم إما القيام عن مجلس رسول الله
وتفرقهم عن مجتمعهم عنده وإما القيام الذي لا يراد به المثول على القدمين ولكن الانتصاب في الأمر
والنهوض فيه بالهمة. والمعنى إنما أعظكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهي أن تقوموا
لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا ثم تتفكروا في أمر محمد وما جاء به أما الاثنان
فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين
لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على
جادة الحق وسننه. وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير أن يكابرها ويعرض فكره
على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجاري أحوالهم. والذي أوجب تفرقهم مثنى
وفرادى أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الروية ويخلط القول ومع ذلك
يقل الإنصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع إلا نصرة المذهب. وأراهم بقوله
ما بصاحبكم من جنة أن هذا الأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة جميعا لا يتصدى لادعاء مثله
إلا رجلان إما مجنون لا يبالي بافتضاحه إذا طولب بالبرهان فعجز بل لا يدري ما الافتضاح وما رقبة
العواقب وإما عاقل راجح العقل مرشح للنبوة مختار من أهل الدنيا لا يدعيه إلا بعد صحته عنده
بحجته وبرهانه وإلا فما يجدي على العاقل دعوى شيء لا بينة له عليه. وقد علم أنه ما به

بل تعلمونه ارجح قريش عقلا وارزنهم حلما واثقبهم ذهنا وآصلهم رأيا واصدقهم قولا وانزههم نفسا
واجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به. فكان مظنة لان تظنوا به الخير وترجحوا فيه جانب الصدق
على جانب الكذب واذا فعلتم ذلك كفاكم ان تطالبوه بان يأتيكم بآية فاذا أتى بها تبين انه نذير
مبين. فان قلت ما بصاحبكم بم يتعلق قلت يجوز ان يكون كلاما مستأنفا تنبيها من الله تعالى على طريقة
النظر في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويجوز ان يكون المعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة. وقد جوز
بعضهم ان تكون ما استفهامية بين يدي عذاب شديد كقوله عليه السلام بعثت في نسم الساعة فهو لكم جزا
الشرط الذي هو قوله ما سألتكم من اجر تقديره اي شيء سألتكم من اجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة. وفيه
معنيان احدهما نفي مسألة الاجر رأسا كما يقول الرجل لصاحبه ان اعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم انه لم يعطه
شيئا ولكنه يريد البت لتعليقه الاخذ بما لم يكن. والثاني ان يريد بالاجر ما اراد في قوله قل ما اسألكم عليه
من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وفي قوله لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى لان اتخاذ السبيل
الى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك المودة في القرابة لان القرابة قد انتظمته واياهم. على كل شيء شهيد
حفيظ مهيمن يعلم اني لا اطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم الى الله الا منه ولا اطمع منكم في شيء. القذف
والرمي توجيه السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعاران من حقيقتهما لمعنى الالقاء ومنه قوله تعالى وقذف في
قلوبهم الرعب ان اقذفيه في التابوت ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله الى انبيائه او يرمي به الباطل
فيدمغه ويزهقه. علام الغيوب رفع محمول على محل ان واسمها او على المستكن في يقذف او هو خبر مبتدأ محذوف
وقرئ بالنصب صفة لربي او على المدح. وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث فالغيوب كالبيوت والغيوب
كالصيود وهو الامر الذي غاب وخفي جدا. الحي اما ان يبدئ فعلا او يعيده فاذا هلك لم يبق له
ابداء ولا اعادة فجعلوا قولهم لا يبدي ولا يعيد مثلا في الهلاك ومنه قول عبيد أقفر من اهله عبيد ٥
فاليوم لا يبدي ولا يعيد ٥ والمعنى جاء الحق وهلك الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل. وعن ابن مسعود رضي
دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود نبعة ويقول جاء الحق وزهق
الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد والحق القرآن. وقيل الاسلام. وقيل السيف
وقيل الباطل ابليس اي ما ينشئ خلقا ولا يعيده المنشئ والباعث هو الله. وعن الحسن لا يبدئ لاهله خيرا
ولا يعيده اي لا ينفعهم في الدنيا والآخرة. وقال الزجاج اي شيء ينشئ ابليس ويعيده فجعله للاستفهام. وقيل
للشيطان الباطل لانه صاحب الباطل او لانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك. وقرئ ضللت
اضل بفتح العين مع كسرها وضللت اضل بكسرها مع فتحها وهما لغتان نحو ظللت اظل وظللت اظل. وقرئ اضل
بكسر الهمزة مع فتح العين. فان قلت اين التقابل بين قوله فانما اضل على نفسي وقوله فبما يوحي الي ربي وانما كان
يستقيم ان يقال فانما اضل على نفسي وان اهتديت فانما اهتدي لها كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها
فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها او يقال فانما اضل بنفسي. قلت هما متقابلان من جهة المعنى
لان النفس كل ما عليها فهو بها اعني ان كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لانها الامارة
بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وانما امر رسوله ان يسنده
الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره اولى به. انه سميع قريب
يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منها شيء. ولو ترى جوابه محذوف بمعنى لو ترى امرا عظيما
وحالا هائلة ولو واذ والافعال التي هي فزعوا واخذوا وحيل بينهم كلها للمضي والمراد بها الاستقبال
لان ما الله فاعله في المستقبل فهو بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة
وقيل وقت الموت. وقيل يوم بدر. وعن ابن عباس نزلت في خسف البيداء وذلك ان ثمانين الفا يغزون الكعبة
ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم. فلا فوت فلا يفوتون الله ولا يسبقونه وقرئ فلا فوت والاخذ من
مكان قريب من الموقف الى النار اذا بعثوا او من ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا او من صحراء بدر الى القليب
او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم. فان قلت علام عطف واخذوا قلت فيه وجهان العطف على فزعوا اي
فزعوا واخذوا فلا فوت لهم او على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا. وقرئ واخذ وهو معطوف
على محل لا فوت ومعناه فلا فوت هناك وهناك اخذ. آمنا به بمحمد صلى الله عليه وسلم لمرور ذكره في قوله ما بصاحبكم
من جنة. والتناول والتناوش اخوان الا ان التناوش تناول سهل لشيء قريب يقال ناشه ينوشه
وتناوشه القوم ويقال تناوشوا في الحرب ناش بعضهم بعضا. وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو ان ينفعهم
ايمانهم في ذلك الوقت كما ينفع المؤمنين ايمانهم في الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة
كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه. وقرئ التناؤش همزت الواو المضمومة

كما همزت في اجوه وادؤر. وعن ابي عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت اذا ابطأت
وتأخرت. ومنه البيت تمنى نئيشا ان يكون اطاعني اي اخيرا. ويقذفون معطوف على قد كفروا على حكاية الحال
الماضية يعني وكانوا يتكلمون بالغيب ويأتون به من مكان بعيد وهو قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر
كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفي لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا بهذا
الغيب من جهة بعيدة من حاله لان ابعد شيء مما جاء به الشعر والسحر وابعد شيء من عادته التي عرفت بينهم
وجربت الكذب والزور. ويقذفون بالغيب على البناء للمفعول اي يأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم اياه. وان
شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به على انه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الايمان في الدنيا
بقولهم آمنا في الآخرة وذلك مطلب مستبعد ممن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه
حيث يريد ان يقع فيه لكونه غائبا عنه شاحطا والغيب الشيء الغائب. ويجوز ان يكون الضمير للعذاب
الشديد في قوله بين يدي عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون
من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن اكرم على الله من ان يعذبنا قايسين امر الآخرة على امر
الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب مقذوف به من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا تنقاس
على دار التكليف. ما يشتهون من نفع الايمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة او من الرد
الى الدنيا كما حكي عنهم ارجعنا نعمل صالحا. باشياعهم باشباههم من كفرة الامم ومن كان مذهبه
مذهبهم. مريب اما من اراب الرجل اذا اوقعه في الريبة والتهمة او من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة
ودخل فيها وكلاهما مجاز الا ان بينهما فريقا وهو ان المريب من الاول منقول ممن يصح ان يكون مريبا
من الاعيان الى المعنى والمريب من الثاني منقول من صاحب الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر ٥
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبا لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة مكية خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم. فاطر السموات مبتدئها
ومبتدعها. وعن مجاهد عن ابن عباس ما كنت ادري ما فاطر السموات والارض حتى اختصم الي اعرابيان في بئر
فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها. وقرئ الذي فطر السموات والارض. جاعل الملائكة وقرئ جاعل الملائكة
بالرفع على المدح. رسلا بضم السين وسكونه. اولي اجنحة اولو اسم جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا
ونظيرهما في المتمكنة المخاض والخلفة. مثنى وثلاث ورباع صفات لاجنحة وانما لم تنصرف لتكرر العدل
فيها وذلك انها عدلت عن الفاظ الاعداد عن صيغ الى صيغ اخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة
وعن تكرير الى غير تكرير. واما الوصفية فلا يفترق الحال فيها بين المعدولة والمعدول عنها الا تراك تقول
مررت بنسوة اربع وبرجال ثلاثة فلا تعرج عليها. والمعنى ان من الملائكة خلقا اجنحتهم اثنان اثنان اي لكل
واحد منهم جناحان وخلقا اجنحتهم ثلاثة ثلاثة وخلقا اجنحتهم اربعة اربعة. يزيد في الخلق ما يشاء اي يزيد في خلق الاجنحة وفي
غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته والاصل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الاصل
وذلك اقوى للطيران واعون عليه. فان قلت قياس الشفع من الاجنحة ان يكون في كل شق نصفه فما صورة
الثلاثة. قلت لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة او لعله لغير الطيران
فقد مر بي في بعض الكتب ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة فجناحان يلفون بهما اجسادهم وجناحان
يطيرون بهما في الامر من امور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح. وروي انه سأل جبريل ان يتراءى له في صورته فقال انك
لن تطيق ذلك قال اني احب ان تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة فاتاه جبريل في صورته فغشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم افاق وجبريل عليه السلام مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى
ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق
وجناح منها بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع
وهو العصفور الصغير. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله يزيد في الخلق ما يشاء هو الوجه الحسن
والصوت الحسن والشعر الحسن. وقيل الخط الحسن. وعن قتادة الملاحة في العينين. والآية مطلقة
تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام في الاعضاء وقوة في البطش وحصافة
في العقل وجزالة في الرأي وجرأة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة في اللسان ولباقة في التكلم
وحسن تأت في مزاولة الامور وما اشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف. استعير الفتح للاطلاق
والارسال الا ترى الى قوله فلا مرسل له من بعده مكان لا فاتح له يعني اي شيء يطلق الله من رحمة اي من نعمة
رزق او مطر او صحة او امن او غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها. وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كانه قال من اية رحمة كانت سماوية

أو رحمته فلا أحد يقدر على إمساكها وحبسها وأي شيء يمسك الله فلا أحد يقدر على إطلاقه فإن قلت
لم أنث الضمير أولاً ثم ذكره وهو راجع في الحالين إلى الاسم المتضمن معنى الشرط قلت هما لغتان الحمل
على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما فأنث على معنى الرحمة وذكر على أن لفظ المرجوع إليه لا تأنيث
فيه ولأن الأول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على أصل التذكير وقرئ فلا
مرسل لها فإن قلت لا بد للثاني من تفسير فما تفسيره قلت يحتمل أن يكون تفسيره مثل تفسير الأول
ولكنه ترك لدلالة الأول عليه وأن يكون مطلقاً في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته وإنما فسر الأول دون الثاني
للدلالة على أن رحمته سبقت غضبه فإن قلت ما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه إلى ابن عباس
قلت إن أراد بالتوبة الهداية لها والتوفيق فيها وهو الذي أراده ابن عباس إن قاله فمقبول وإن أراد
أنه إن شاء أن يتوب العاصي تاب وإن لم يشأ لم يتب فمردود لأن الله تعالى يشاء التوبة أبداً ولا يجوز عليه
أن لا يشاءها من بعده من بعد إمساكه كقوله فمن يهديه من بعد الله فبأي حديث بعد الله أي من بعد هداية الله
وبعد آياته وهو العزيز الغالب القادر على الإرسال والإمساك الحكيم الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة
إرساله وإمساكه ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ولكن به وبالقلب وحفظها عن الكفران والغمط
وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ومنه قول الرجل لمن أنعم عليه اذكر أيادي عندك
يريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها والخطاب عام للجميع لأن جميعهم مغمورون في نعمة الله وعن ابن عباس
يريد يا أهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث أسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم والناس يتخطفون من حولكم
وعنه نعمة الله العافية وقرئ غير الله بالحركات الثلاث فالجر والرفع على الوصف لفظاً ومحلاً والنصب على
الاستثناء فإن قلت ما محل يرزقكم قلت يحتمل أن يكون له محل إذا أوقعته صفة لخالق وأن لا يكون له محل إذا رفعت
محل من خالق بإضمار يرزقكم وأوقعت يرزقكم تفسيراً له أو جعلته كلاماً مبتدأ بعد قوله هل من خالق غير الله
فإن قلت هل فيه دليل على أن الخالق لا يطلق على غير الله عز وجل
قلت نعم إن جعلت يرزقكم كلاماً مبتدأ وهو الوجه الثالث من الأوجه الثلاثة وأما على الوجهين الآخرين
وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والأرض وخرج من الإطلاق فكيف يستشهد به على
اختصاصه بالإطلاق والرزق من السماء المطر ومن الأرض النبات لا إله إلا هو جملة مفصولة لا محل لها
مثل يرزقكم في الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى لأن قولك هل من خالق
سوى الله إلا إله إلا ذلك الخالق غير مستقيم لأن قولك هل من خالق سوى الله إثبات لله فلو ذهبت
تقول ذلك كنت مناقضاً بالنفي بعد الإثبات فأنى تؤفكون فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك
نعى به على قريش تكذيبهم بآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله بأن له في الأنبياء قبله أسوة ثم جاء بما يشتمل
على الوعد والوعيد من رجوع الأمور إلى حكمه ومجازاة المكذب والمكذب بما يستحقانه وقرئ ترجع بضم التاء
وفتحها فإن قلت ما وجه صحة جزاء الشرط أعني إن يتعقب الجزاء الشرط وهذا سابق له قلت معناه
وإن يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب
عن المسبب أعني بالتكذيب عن التأسي فإن قلت ما معنى التنكير في رسل قلت معناه فقد كذبت رسل
أي رسل ذوو عدد كثير وأولو آيات ونذر وأهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم وما أشبه ذلك وهذا
أسلى له وأحث على المصابرة وعد الله بالجزاء بالثواب والعقاب فلا تغرنكم فلا تخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم
التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله الغرور ولا يقولن لكم اعملوا ما شئتم
فإن الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة والغرور الشيطان لأن ذلك ديدنه وقرئ بالضم
وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك أو جمع غار كقاعد وقعود أخبرنا عز وجل أن الشيطان لنا عدو
مبين واقتص علينا قصته وما فعل بأبينا آدم عليه السلام وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده
ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد بنا مما فيه هلاكنا فوعظنا عز وجل بأنه كما علمتم عدو لكم الذي
لا عدو أعدى منه وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله فاتخذوه عدواً في عقائدكم
وأحوالكم ولا توجدون منكم إلا ما يدل على معاداته ومناصبته في سركم وجهركم ثم لخص سر أمره
وخطأ من اتبعه بأن غرضه الذي يؤمه في دعوة شيعته ومتبعي خطواته هو أن يوردهم مورد
الشقوة والهلاك وأن يكونوا من أصحاب السعير ثم ذكر الفريقين الذين كفروا والذين آمنوا قال لنبيه أفمن زين له
سوء عمله فرآه حسناً يعني أفمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يزين له فكأن رسول الله
قال لا فقال فإن الله يضل من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ومعنى تزيين العمل والإضلال واحد
وهو أن يكون العاصي على صفة لا تجدي عليه المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان الله عز وجل وتخليته
وشأنه فعند ذلك يهيم في الضلال ويطلق أمره النهي ويعتنق طاعة الهوى حتى يرى

القبيح

القبيح حسناً والحسن قبيحاً كأنما غلب على عقله وسلب تمييزه ويقعد تحت قول أبي نواس: اسقني حتى تراني حسناً عندي القبيح
وإذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم وشأنهم فإن على الرسول أن لا يهتم بأمرهم ولا يلقي
بالاً إلى ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله في خذلانهم وتخليتهم وذكر الزجاج أن المعنى
أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليه حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك
عليه أو أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله تعالى فحذف لدلالة فإن الله تعالى يضل من يشاء ويهدي
من يشاء عليهم حسرات مفعول له يعني فلا تذهب نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول
هلك عليه حباً ومات عليه حزناً أو هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لأن المصدر
لا تتقدم عليه صلته ويجوز أن يكون حالاً كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير:
مشق الهواجر لحمهن مع السرى ... حتى ذهبن كلاكلاً وصدورا يريد رجعن كلاكلاً وصدوراً أي لم
يبق إلا كلاكلها وصدورها ومنه قوله: فعلى إثرهم تساقط نفسي ... حسرات وذكرهم لي سقام وقرئ فلا
تذهب نفسك إن الله عليم بما يصنعون وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم وقرئ أرسل الريح فإن قلت
لم جاء فتثير على المضارعة دون ما قبله وما بعده قلت ليحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب
وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية
بحال تستغرب أو تهم المخاطب أو غير ذلك كما قال تأبط شراً: بأني قد لقيت الغول تهوي ... بسهب كالصحيفة صحصحان
فأضربها بلا دهش فخرت ... صريعاً لليدين وللجران لأنه قصد أن يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه
على ضرب الغول كأنه يبصرهم إياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جرأته على كل هول وثباته
عند كل شدة وكذلك سوق السحاب إلى البلد الميت وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلائل
على القدرة الباهرة قيل فسقناه وأحيينا معدولاً بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص
وأدل عليه والكاف في كذلك في محل الرفع أي مثل إحياء الموات نشور الأموات وروي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي أهلك محلاً ثم مررت به يهتز خضراً
قالوا نعم قال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته في خلقه وقيل يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت
العرش كمني الرجال تنبت منه أجساد الخلق كان الكافرون يتعززون بالأصنام كما قال عز وجل واتخذوا
من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً والذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين
كما قال الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً فبين أن
لا عزة إلا لله ولأوليائه وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله فلله العزة
جميعاً موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه لأن الشيء لا يطلب إلا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من أراد
النصيحة فهي عند الأبرار تريد فليطلبها عندهم إلا أنك أقمت ما يدل عليه مقامه ومعنى فلله العزة جميعاً أن
العزة كلها مختصة بالله عز وجل عزة الدنيا وعزة الآخرة ثم عرف أن ما تطلب به العزة هو الإيمان والعمل الصالح بقوله
إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والكلم الطيب لا إله إلا الله عن ابن عباس يعني أن هذه الكلم لا تقبل ولا تصعد
إلى السماء فتكتب حيث تكتب الأعمال المقبولة كما قال عز وجل إن كتاب الأبرار لفي عليين إلا إذا اقترن بها
العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها فرفعها وأصعدها وقيل الرافع الكلم والمرفوع العمل لأنه لا يقبل إلا
من موحد وقيل الرافع الله عز وجل والمرفوع العمل وقيل الكلم الطيب كل ذكر من تهليل وتسبيح وتكبير
وقراءة قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا إله
إلا الله والله أكبر إذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء فحيا بها وجه الرحمن فإذا لم يكن عمل صالح
لم يقبل منه وفي الحديث لا يقبل الله قولاً إلا بعمل ولا يقبل قولاً ولا عملاً إلا بنية ولا يقبل قولاً وعملاً
ونية إلا بإصابة السنة وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر
وقرئ إليه يصعد الكلم الطيب على البناء للمفعول وإليه يصعد الكلم الطيب على تسمية الفاعل من أصعد
والمصعد هو الرجل أي يصعد إلى الله عز وجل الكلم الطيب وإليه يصعد الكلام الطيب وقرئ والعمل الصالح
يرفعه بنصب العمل والرافع الكلم أو الله عز وجل فإن قلت مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله
فبم نصب السيئات قلت هذه صفة للمصدر أو لما في حكمه كقوله ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله أصله
والذين مكروا المكرات السيئات وعنى بهن مكرات قريش حين اجتمعوا في دار الندوة وتداوروا الرأي
في إحدى ثلاث مكرات يمكرونها برسول الله صلى الله عليه وسلم إما إثباته أو قتله أو إخراجه كما حكى الله سبحانه عنهم وإذ يمكر
بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ومكر أولئك هو يبور يعني ومكر أولئك الذين مكروا تلك المكرات
الثلاث هو خاصة يبور أي يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم
وأثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعاً وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين

وقوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله أزواجا اصنافا او ذكرانا واناثا كقوله او يزوجهم ذكرانا واناثا
وعن قتادة زوج بعضكم بعضا بعلمه في موضع الحال اي الا معلومة له فان قلت ما معنى قوله وما يعمر من معمر
قلت معناه وما يعمر من احد وانما سماه معمرا بما هو صائر اليه فان قلت الانسان اما معمر اي طويل
العمر او منقوص العمر اي قصيره فاما ان يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله وما يعمر
من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة في تأويله بافهام السامعين
واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه
كلام الناس المستفيض يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وما تنعمت بلدا ولا اجتويته
الا اقلت فيه ثوائي وفيه تأويل آخر وهو انه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا في كتاب وصورته ان يكتب
في اللوح ان حج فلان او غزا فعمره اربعون سنة وان حج وغزا فعمره ستون سنة فاذا جمع بينهما فبلغ الستين
فقد عمر واذا افرد احدهما فلم يتجاوز به الاربعين فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون
واليه اشار رسول الله صلعم في قوله ان الصدقة والصلة يعمران الديار ويزيدان في الاعمار وعن كعب انه قال
حين طعن عمر رضه لو ان عمر دعا الله لاخر في اجله فقيل لكعب اليس قد قال الله اذا جاء اجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون فقال قد قال الله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره وقد استفاض على الالسنة
اطال الله بقاءك وفسح في مدتك وما اشبه ذلك وعن سعيد بن جبير يكتب في الصحيفة عمره كذا
وكذا سنة ثم يكتب اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتي على آخره وعن قتادة المعمر
من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة والكتاب اللوح عن ابن عباس
ويجوز ان يراد بكتاب الله علم الله او صحيفة الانسان وقرئ ولا ينقص على تسمية الفاعل من عمره
بالتخفيف ضرب البحرين العذب والمالح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في
صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه ومن كل اي ومن كل واحد منهما تأكلون لحما طريا وهو السمك
وتستخرجون حلية وهي اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه في كل مواخر شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة
الماء ويقال للسحاب بنات مخر لانها تمخر الهواء والسفن الذي اشتقت منه السفينة قريب من المخر
لانها تسفن الماء كانها تقشره كما تمخره من فضله من فضل الله ولم يجر له ذكر في الآية ولكن فيما قبلها ولو لم
يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه وحرف الرجاء مستعار لمعنى الارادة الا ترى كيف سلك به مسلك
لام التعليل كانما قيل لتبتغوا والفرات الذي يكسر العطش والسائغ المريء السهل الانحدار لعذوبته
وقرئ سيغ بوزن سيد وسيغ بالتخفيف وملح على فعل والاجاج الذي يحرق بملوحته ويحتمل غير طريقة
الاستطراد وهو ان يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب
في منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو في طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما
يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله ذلكم مبتدأ والله ربكم له الملك اخبار مترادفة او الله ربكم
خبران وله الملك جملة مبتدأة واقعة في قران قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير
ويجوز في حكم الاعراب ايقاع اسم الله صفة لاسم الاشارة او عطف بيان وربكم خبرا لولا ان
المعنى يأباه والقطمير لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها ان تدعوا الاوثان لا يسمعوا
دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض والتمثيل لما استجابوا لكم لانهم لا يدعون ما تدعون لهم
من الالهية ويتبرؤون منها وقيل ما نفعوكم يكفرون بشرككم باشراككم لهم وعبادتكم اياهم ويقولون
ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد ان الخبير بالامر
وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين والمعنى ان هذا الذي اخبرتكم به من حال
الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به وقرئ تدعون بالياء والتاء فان قلت لم عرف الفقراء
قلت قصد بذلك ان يريهم انهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء وان كانت الخلائق كلهم
مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير اضعف كان افقر
وقد شهد الله سبحانه على الانسان بالضعف في قوله وخلق الانسان ضعيفا وقال الله الذي خلقكم من ضعف
ولو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقراء فان قلت قد قوبل الفقر بالغنى فما فائدة الحميد قلت لما اثبت فقرهم
اليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعا بغناه الا اذا كان الغني جوادا منعما واذا جاد وانعم
حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم
عليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه الحمد على النعمة من مؤمنيهم بعزيز بممتنع وهذا غضب عليهم لاتخاذهم
اندادا وكفرهم باياته ومعاصيهم كما قال وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس يخلق بعدكم

من يعبده

يعبده لا يشرك به شيئا الوزر والوقر اخوان ووزر الشيء اذا حمله والوازرة صفة للنفس والمعنى ان كل
نفس يوم القيامة لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا تؤاخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبابرة الدنيا
الولي بالولي والجار بالجار فان قلت هلا قيل ولا تزر نفس وزر اخرى ولم قيل وازرة قلت لان المعنى ان
النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة الا حاملة وزرها لا وزر غيرها فان قلت كيف توفق بين هذا
وبين قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلت تلك الآية في الضالين المضلين وانهم يحملون اثقال
اضلال الناس مع اثقال ضلالهم وذلك كله اوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم الا ترى كيف كذبهم الله
تعالى في قوله اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء فان قلت ما الفرق
بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ومعنى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء قلت الاول في الدلالة على
عدل الله في حكمه وانه لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثاني في ان لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى ان
نفسا قد اثقلتها الاوزار وبهظتها لو دعت الى ان يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وان كان المدعو بعض
قرابتها من اب او ولد او اخ فان قلت الام اسند كان في ولو كان ذا قربى قلت الى المدعو المفهوم من قوله وان
تدع مثقلة فان قلت لم ترك ذكر المدعو قلت ليعم ويشمل كل مدعو فان قلت كيف استقام اضمار العام
ولا يصح ان يكون العام ذا قربى للمثقلة قلت هو من العموم الكائن على طريق البدل فان قلت ما تقول فيمن قرأ
ولو كان ذو قربى على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة قلت نظم الكلام احسن ملاءمة للناقصة
لان المعنى ان المثقلة ان دعت احدا الى حملها لا يحمل منه شيء وان كان مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح
ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى لتفكك وخرج من اتساقه والتئامه على ان ههنا ما ساغ ان يستتر له
ضمير في الفعل بخلاف ما اوردته بالغيب حال من الفاعل او المفعول اي يخشون ربهم غائبين عن عذابه
او يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب في السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله صلعم
كانت عادتهم المستمرة ان يخشوا الله وهم الذين اقاموا الصلوة وتركوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا
يعني انما تقدر على انذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك وعلى تحصيل منفعة الانذار فيهم دون متمرديهم
واهل عنادهم ومن تزكى ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي وقرئ ومن ازكى فانما يزكى
وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكي والى الله المصير وعد للمتزكين بالثواب
فان قلت كيف اتصل قوله انما تنذر بما قبله قلت لما غضب عليهم في قوله ان يشأ يذهبكم اتبعه الانذار
بيوم القيامة وذكر اهوالها ثم قال انما تنذر كأن رسول الله اسمعهم ذلك فلم ينفع فنزل انما تنذر او
اخبر الله تعالى بعلمه فيهم الاعمى والبصير مثل للكافر والمؤمن كما ضرب البحرين مثلا لهما او للصنم ولله عز وجل
والظلمات والنور والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يؤديان اليه من الثواب والعقاب والاحياء
والاموات مثل للذين دخلوا في الاسلام والذين لم يدخلوا فيه واصروا على الكفر والحرور السموم الا ان
السموم يكون بالنهار والحرور يكون بالليل والنهار وقيل بالليل فان قلت لا المقرونة بواو العطف ما هي
قلت اذا وقعت الواو في النفي قرنت بها لتأكيد معنى النفي فان قلت هل من فرق بين هذه الواوات
قلت بعضها ضمت شفعا الى شفع وبعضها وترا الى وتر ان الله يسمع من يشاء يعني انه قد علم من يدخل في
الاسلام ممن لا يدخل فيهدي الذي قد علم ان الهداية تنفع فيه ويخذل من علم انها لا تنفع فيه واما انت
فخفي عليك امرهم فلذلك تحرص وتتهالك على اسلام قوم من المخذولين ومثلك في ذلك مثل من يريد ان يسمع المقبورين
وذلك ما لا سبيل اليه ثم قال ان انت الا نذير اي ما عليك الا ان تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار
نفع وان كان من المصرين فلا عليك ويحتمل ان الله يسمع من يشاء انه قادر على ان يهدي المطبوع
على قلوبهم على وجه القسر والالجاء وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق واما انت فلا حيلة لك في المطبوع
على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى بالحق حال من احد الضميرين يعني محقا او محقين او صفة للمصدر اي
ارسالا مصحوبا بالحق او صلة لبشيرا ونذيرا على بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق والامة الجماعة
الكثيرة قال تعالى وجد عليه امة من الناس ويقال لاهل كل عصر امة وفي حدود المتكلمين الامة هم
المصدقون بالرسول دون المبعوث اليهم وهم الذين يعتبر اجماعهم والمراد ههنا اهل العصر فان
قلت كم من امة في الفترة بين عيسى ومحمد صلعم ولم يخل فيها نذير الا ان يتعذر وحين اندرست آثار
نذارة عيسى بعث الله محمدا صلعم فان قلت كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في آخر الآية بعد ذكرهما
قلت لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها لا سيما وقد اشتملت الآية
على ذكرهما بالبينات بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات وبالزبر وبالصحف وبالكتاب المنير نحو التوراة
والانجيل والزبور ولما كانت هذه الاشياء في جنسهم اسند المجيء بها اليهم اسنادا مطلقا وان كان
بعضها في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله صلعم

الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا ٥

ألوانها أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أو هيئاتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها والجدد الخطط والطرائق قال لبيد أو مذهب جدد على ألواحه ٥ ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقد تكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه وغرابيب معطوف على بيض أو على جدد كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وعن عكرمة هي الجبال الطوال السود فإن قلت الغربيب تأكيد الأسود يقال أسود غربيب وأسود حلكوك وهو الذي أبعد في السواد وأغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع وأبيض يقق وما أشبه ذلك قلت وجهه أن يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيرا لما أضمر كقول النابغة والمؤمن العائذات الطير ٥ وإنما يفعل ذلك لزيادة التأكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الإظهار والإضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله ومن الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول إلى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه كما قال ثمرات مختلفا ألوانها ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه يعني ومنهم بعض مختلف ألوانه وقرئ ألوانها وقرأ الزهري جدد بالضم جمع جديدة وهي الجدة يقال جديدة وجدد وجدائد كسفينة وسفن وسفائن وقد فسر بها قول أبي ذؤيب ٥ جون السراة له جدائد أربع ٥ وروي عنه جدد بفتحتين وهو الطريق الواضح المسفر وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض وقرئ والدواب مخففا ونظير هذا التخفيف قراءة من قرأ ولا الضالين لأن كل واحد منهما فرار من التقاء الساكنين فحرك ذاك أولهما وحذف هذا آخرهما وقوله كذلك أي كاختلاف الثمرات والجبال ٥ المراد العلماء الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز فعظموه وقدروه حق قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا ومن كان علمه به أقل كان آمن وكفى جهلا أن يعجب بعلمه وقال رجل للشعبي أفتني أيها العالم فقال العالم من خشي الله وقيل نزلت في أبي بكر الصديق وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه فإن قلت هل يختلف المعنى إذا قدم المفعول في هذا الكلام أو أخر قلت لا بد من ذلك فإنك إذا قدمت اسم الله وأخرت العلماء كان المعنى أن الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم وإذا عملت على العكس انقلب المعنى إلى أنهم لا يخشون إلا الله كقوله ولا يخشون أحدا إلا الله وهما معنيان مختلفان فإن قلت ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله قلت لما قال ألم تر بمعنى ألم تعلم أن الله أنزل من السماء ماء وعدد آيات الله وأعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الأجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته أتبع ذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء كأنه قال إنما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق معرفته وعلمه كنه علمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أنا أرجو أن أكون أتقاكم لله وأعلمكم به فإن قلت فما وجه قراءة من قرأ إنما يخشى الله من عباده العلماء وهو عمر بن عبد العزيز ويحكى عن أبي حنيفة قلت الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى إنما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشي من الرجال بين الناس من بين جميع عباده إن الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم وإثابة أهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه أن يخشى يتلون كتاب الله يداومون على تلاوته وهي شأنهم وديدنهم وعن مطرف رحمه الله هي آية القراء وعن الكلبي يأخذون بما فيه ويعملون به وعن السدي هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عطاء هم المؤمنون يرجون خبر إن والتجارة طلب الثواب بالطاعة وليوفيهم متعلق بلن تبور أي تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده أجورهم وهي ما استحقوه من الثواب ويزيدهم من التفضل على المستحق وإن شئت جعلت يرجون في موضع الحال على وأنفقوا راجين ليوفيهم أي فعلوا جميع ذلك من التلاوة وإقامة الصلوة والإنفاق في سبيل الله لهذا الغرض وخبر إن قوله إنه غفور شكور على معنى غفور لهم شكور لأعمالهم والشكر مجاز عن الإثابة الكتاب القرآن ومن للتبيين أو الجنس أو من للتبعيض مصدقا حال مؤكدة لأن الحق لا ينفك عن هذا التصديق لما بين يديه لما تقدمه من الكتب لخبير بصير يعني أنه خبرك وأبصر أحوالك فرآك أهلا لأن يوحي إليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب فإن قلت ما معنى قوله ثم أورثنا الكتاب قلت فيه وجهان أحدهما إنا أوحينا إليك القرآن ثم أورثناه من بعدك أي حكمنا بتوريثه أو قال أورثناه وهو يريد نورثه لما عليه أخبار الله الذين اصطفينا من عبادنا وهم أمته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة لأن الله اصطفاهم على سائر الأمم وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء إلى أفضل رسل الله وحمل الكتاب الذي هو أفضل كتب الله ثم قسمهم إلى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجأ لأمر الله ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا وسابق من السابقين والوجه

الثاني

الثاني أنه قدم إرساله في كرامه رسولا وأنهم كذبوا رسلهم وقد جاؤوهم بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم قال إن الذين يتلون كتاب الله فأثنى عليهم التالين لكتبه العاملين بشرائعه من بين المكذبين لها من سائر الأمم واعترض بقوله والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا أي من أولئك المذكورين يريد المصطفين من عباده أهل الملة الحنيفية فإن قلت كيف جعلت جنات عدن بدلا من الفضل الكبير الذي هو السبق بالخيرات المشار إليه بذلك قلت لما كان السبب في نيل الثواب نزل منزلة المسبب كأنه هو الثواب فأبدلت عنه جنات عدن وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليهلك الظالم لنفسه حذرا وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ولا يغترا بما رواه عمر سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فإن شرط ذلك صحة التوبة لقوله عسى الله أن يتوب عليهم وقوله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع من استقراها اطلع على حقيقة الأمر ولم يعلل نفسه بالخدع وقرئ سباق ومعنى بإذن الله بتيسيره وتوفيقه فإن قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت للإيذان بكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم والسابقون أقل من القليل وقرئ جنة عدن على الإفراد كأنها جنة مختصة بالسابقين وجنات عدن بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر أي يدخلون جنات عدن يدخلونها ويدخلونها على البناء للمفعول يحلون من حليت المرأة فهي حال ولؤلؤا معطوفا على محل من أساور ومن داخلة للتبعيض أي يحلون بعض أساور من ذهب كأنه بعض سابق لسائر الأبعاض كما سبق المسورون به غيرهم وقيل إن ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ وقرئ لولوا بتخفيف الهمزة الأولى وقرئ الحزن والمراد حزن المتقين وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة كقوله تعالى إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وعن ابن عباس حزن الأعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن إبليس ووسوسته وقيل هم المعاش وقيل والنعم وقد أكثروا حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه أنه يعم كل حزن من أحزان الدين والدنيا حتى هذا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في منشرهم وكأني بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وذكر الشكور دليل على أن القوم كثيرو الحسنات المقامة بمعنى الإقامة يقال أقمت إقامة ومقاما ومقامة من فضله من عطائه وإفضاله من قولهم لفلان فضول على قومه وفواضل وليس من الفضل الذي هو التفضل لأن الثواب بمنزلة الأجر المستحق والتفضل كالتبرع وقرئ لغوب بالفتح وهو اسم لما يلغب منه أي لا نتكلف عملا يلغبنا أو مصدر كالقبول والولوع أو صفة للمصدر كأنه لغوب كقولهم موت مائت والفرق بين النصب واللغوب أن النصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة فيموتوا جواب النفي ونصبه بإضمار أن وقرئ فيموتون عطفا على يقضى وإدخالا له في حكم النفي أي لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي وقرئ يجازى ونجزي كل كفور بالنون يصطرخون يتصارخون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة قال ٥ كصرخة حبلى واستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته فإن قلت هلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به في قوله فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة زيادة غير الذي كنا نعمل على أنه يوهم أنهم يعملون صالحا آخر غير الصالح الذي عملوه قلت فائدة زيادته التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به وأما الوهم فزائل لظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي ولأنهم كانوا يحسبون أنهم على سيرة صالحة كما قال الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فقالوا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله أولم نعمركم توبيخ من الله يعني فنقول لهم وقرئ ما يذكر فيه من اذكر على الإدغام وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من إصلاح شأنه وإن قصر إلا أن التوبيخ في المتطاول أعظم وعن النبي صلى الله عليه وسلم العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة وعن مجاهد ما بين العشرين إلى الستين وقيل ثماني عشرة وسبع عشرة والنذير الرسول وقيل الشيب وقرئ وجاءتكم النذر فإن قلت علام عطف وجاءكم النذير قلت على معنى أولم نعمركم لأن لفظه لفظ استخبار ومعناه معنى إخبار كأنه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير إنه عليم بذات الصدور كالتعليل لأنه إذا علم ما في الصدور وهو أخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور مضمراتها وهي تأنيث ذو في نحو قول أبي بكر رضي الله عنه ذو بطن خارجة جارية وقوله ٥ لتغني عني ذا إنائك أجمعا ٥ المعنى ما في بطنها من الحبل وما في إنائك من الشراب لأن الحبل والشراب يصحبان البطن والإناء ألا ترى أنهم معهما لا يخلوان منهما وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهي معها وذو موضوع لمعنى الصحبة يقال للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة تجمع على خلائف والخليف خلفاء والمعنى أنه جعلكم خلفاء في أرضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فوبال كفره راجع إليه وهو مقت الله الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة الذي ليس بعده خسار والمقت أشد البغض ومنه قيل لمن ينكح امرأة أبيه مقتي لكونه ممقوتا في كل قلب وهو خطاب للناس

وقيل هو خطاب لمن بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اى جعلكم امة خلفت من قبلها ورأت وشاهدت فى من سلف ما ينبغى
ان تعتبر به فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار الاخرة كما ان ذلك حكم من قبلكم أروني بدل
من أرأيتم لان معنى أرأيتم أخبروني كانه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الالهية والشركة
أروني اي جزء من اجزاء الارض استبدوا بخلقه دون الله أم لهم مع الله شركة فى خلق السموات أم آتيناهم
كتابا من عند الله ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب او يكون الضمير فى آتيناهم
للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا ام آتيناهم كتابا من قبله بل إن يعد الظالمون بعضهم وهم الرؤساء
بعضا وهم الاتباع الا غرورا وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقرئ بينات أن تزولا كراهة
أن تزولا او يمنعهما من أن تزولا لان الامساك منع إنه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما
وكانتا جديرتين بان تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
وقرئ ولو زالتا إن أمسكهما جواب القسم فى ولئن زالتا سد مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتأكيد النفي
والثانية للابتداء من بعده من بعد امساكه وعن ابن عباس انه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به
قال كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات على منكب ملك قال كذب كعب اما ترك
يهوديته بعد ثم قرأ هذه الآية بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا
لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن أهدى من إحدى الأمم فلما
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوه وفي احدى الامم وجهان احدهما من بعض الامم من اليهود والنصارى وغيرهم
والثاني من الامة التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة ما زادهم
اسناد مجازي لانه هو السبب في ان زادوا انفسهم نفورا عن الحق وابتعادا عنه كقوله فزادتهم رجسا
الى رجسهم استكبارا بدل من نفورا او مفعول له على معنى فما زادهم الا ان نفروا استكبارا وعلوا في الارض
او حال يعني مستكبرين وماكرين برسول الله والمؤمنين ويجوز ان يكون ومكر السيئ معطوفا على نفورا
فإن قلت ما وجه قوله ومكر السيئ قلت اصله وان مكروا السيئ اي المكر السيئ ثم ومكرا السيئ ثم ومكر السيئ
والدليل عليه قوله ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله ومعنى يحيق يحيط وقرئ ولا يحيق المكر السيئ اي ولا يحيق
الله ولقد حاق بهم يوم بدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول
ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى انما بغيكم على انفسكم وعن
كعب انه قال لابن عباس قرأت في التوراة من حفر مهواة وقع فيها قال انا وجدت ذلك
في كتاب الله وقرأ الآية وفي امثال العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقرئ حمزة ومكر السيئ
باسكان الهمزة وذلك لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظن سكونا او وقف
وقفة خفيفة ثم ابتدأ ولا يحيق وقرأ ابن مسعود ومكرا سيئا سنة الأولين انزال العذاب على الذين كذبوا
برسلهم من الامم قبلهم وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم وبين ان عادته التي هي الانتقام
من مكذبي الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها اي لا يغيرها وان ذلك مفعول لا محالة واستشهد عليهم بما كانوا
يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم في رحلهم الى الشام والعراق واليمن من آثار الماضين وعلامات
هلاكهم ودمارهم ليعجزه ليسبقه ويفوته بما كسبوا بما اقترفوا من معاصيهم على ظهرها على ظهر الارض
من دابة من نسمة تدب عليها يريد بني آدم وقيل ما ترك بني آدم وغيرهم من سائر الدواب بشؤم ذنوبهم
وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يعذب في جحره بذنب ابن آدم ثم تلا هذه الآية وعن انس ان الضب
ليموت هزلا في جحره بذنب ابن آدم وقيل يحبس المطر فيهلك كل شيء الى اجل مسمى الى يوم القيامة كان بعباده
بصيرا وعيد بالجزاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة أن ادخل من اي باب شئت

سورة يس مكية وهي ثلث وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم

يس بالفتح كأين وكيف او بالنصب على اتل يس وبالكسر على الاصل كجير وبالرفع
على هذه يس او بالضم كحيث وفخمت الالف واميلت وعن ابن عباس معناه يا انسان
في لغة طيئ والله اعلم بصحته وان صح فوجهه ان يكون اصله يا انيسين فكثر النداء به على السنتهم
حتى اقتصروا على شطره كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله الحكيم ذي الحكمة او لانه دليل ناطق
بالحكمة كالحي او لانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به على صراط مستقيم خبر بعد خبر او صلة
للمرسلين فإن قلت اي حاجة اليه خبرا كان او صلة وقد علم ان المرسلين لا يكونون الا على صراط
مستقيم قلت ليس الغرض بذكره ما ذهبت اليه من تمييز من ارسل على صراط مستقيم عن غيره
ممن ليس على صفته وانما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة فجمع بين الوصفين في نظام واحد
كانه قال انك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت وايضا فان التنكير فيه دال على انه ارسل
من بين الصرط المستقيمة على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه وقرئ تنزيل العزيز الرحيم بالرفع

على انه خبر مبتدأ محذوف ~~وبالنصب~~ وبالنصب على أعني وبالجر على البدل من القرآن قوما ما أنذر آباؤهم
قوما غير منذر آباؤهم على الوصف ونحوه قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وما ارسلنا
اليهم قبلك من نذير وقد فسر آباؤهم على اثبات الانذار ووجهه ذلك ان تجعل ما مصدرية لتنذر
قوما انذار آبائهم او موصولة منصوبة على المفعول الثاني لتنذر قوما ما انذره آباؤهم من العذاب
كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فإن قلت اي فرق بين تعلقي قوله فهم غافلون على التفسيرين قلت
هو على الاول متعلق بالنفي اي لم ينذروا فهم غافلون على ان عدم انذارهم هو سبب غفلتهم وعلى الثاني
بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول ارسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل او فهو غافل فإن قلت كيف
يكونوا منذرين غير منذرين لمنافاة هذا ما في الآي الاخر [illegible] نفي احد المفسرين ان آباءهم
لم ينذروا وهو الظاهر فما تصنع به قلت اريد آباؤهم الادنون دون الاباعد القول قوله لأملأن
جهنم من الجنة والناس اجمعين يعني تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لانهم ممن علم الله انهم يموتون
على الكفر ثم مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم بان جعلهم كالمغلولين المقمحين في انهم
لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون
ما قدامهم ولا ما خلفهم في ان لا تأمل لهم ولا تبصر وانهم متعامون عن النظر في آيات الله فإن قلت
ما معنى قوله فهي الى الاذقان قلت معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان ملزوزة اليها وذلك ان طوق
الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادرا من الحلقة الى
الذقن فلا تخليه يطأطئ رأسه ويوطئ قذاله فلا يزال مقمحا والمقمح الذي يرفع رأسه ويغض بصره
يقال قمح البعير فهو قامح اذا روي فرفع رأسه ومنه شهرا قماح لان الابل ترفع رؤوسها عن الماء لبرده فيهما
وهما الكانونان ومنه اقتمحت السويق فإن قلت فما قولك فيمن جعل الضمير للايدي وزعم ان الغل لما كان
جامعا لليد والعنق وبذلك يسمى جامعة كان ذكر الاعناق دالا على ذكر الايدي قلت الوجه ما ذكرت لك
والدليل عليه قوله فهم مقمحون الا ترى كيف جعل الاقماح نتيجة قوله فهي الى الاذقان ولو كان الضمير للايدي
لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهرا على ان هذا الاضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي
يدعوه المعنى الى نفسه الى الباطن الذي يجفو عنه ترك للحق الابلج الى الباطل اللجلج فإن قلت فقد
روي عن ابن عباس في ايديهم وابن مسعود في ايمانهم فهل تجوز على هاتين القراءتين ان تجعل الضمير للايدي او للايمان
قلت يأبى ذلك وان ذهب الاضمار المتعسف ظهور كون الضمير للاغلال وسداد المعنى عليه كما ذكرت
وقرئ سدا بالفتح والضم وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله فبالضم فأغشيناهم
فأغشينا ابصارهم اي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن ان تطمح الى مرئي وعن مجاهد فأغشيناهم
فألبسنا ابصارهم غشاوة وقرئ بالعين من العشا وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف
لئن رأى محمدا يصلي ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه
ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فأخبرهم فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر
فأعمى الله بصره فإن قلت قد ذكر ما دل على انتفاء ايمانهم مع ثبوت الانذار ثم عقبه بقوله انما تنذر
وانما كانت تصح هذه التعقبة لو كان الانذار منفيا قلت هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا للايمان
مع وجود الانذار وكان معناه ان البغية المرجوة بالانذار غير حاصلة وهي الايمان عقب بقوله
انما تنذر على معنى انما تحصل البغية بانذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون للذكر وهو القرآن
او الوعظ الخاشون ربهم نحيي الموتى نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم ان يخرجهم من الشرك الى الايمان
ونكتب ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه من اثر حسن كعلم علموه او كتاب
صنفوه او حبيس حبسوه او بناء بنوه من مسجد او رباط او قنطرة او نحو ذلك او سيئ كوظيفة وظفها
بعض الظلام على المسلمين وسكة احدث فيها تخسيرهم وشيء احدث فيه صد عن سبيل الله من الحان
وملاه وكذلك كل سنة حسنة او سيئة يستن بها ونحوه قوله ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر اي قدم من اعماله
وأخر من آثاره وقيل هي آثار المشائين الى المساجد وعن جابر اردنا النقلة الى المسجد فعلمنا نعم بعد علينا المسجد والبقاع
حوله خالية فعالوا عليكم دياركم فانما تكتب آثاركم فقال فما وددنا حضرة المسجد لما قال رسول الله وعن عمر
بن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيئا لأغفل هذه الآثار التي تعفيها الرياح والامام اللوح وقرئ يكتب ما قدموا
وآثارهم على البناء للمفعول وكل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا ومثل لهم مثلا من قولهم عندي من هذا الضرب
كذا اي من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد اي على مثال واحد ~~والمعنى واضرب لهم مثلا~~
~~مثل لهم مثلا من قولهم عندي من هذا الضرب كذا اي من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد~~

والمعنى واضرب لهم مثلا مثل أصحاب القرية اى اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية
والمثل الثاني بيان للأول وانتصاب اذ بأنه بدل من أصحاب القرية والقرية انطاكية اذ جاءها المرسلون
رسل عيسى الى أهلها بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة أوثان اذ أرسلنا اليهم اثنين فلما قربا من المدينة
رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فأخبراه فقال أمعكما آية فقالا
نشفي المريض ونبرئ الأكمه والأبرص وكان له ولد مريض سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي
على أيديهما خلق ورقي حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا
قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث
عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فأنس به
فقال له ذات يوم بلغني أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما
فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصره
وأخذا بندقتين فوضعوهما في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت الهك حتى يصنع
مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون
يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون أنه منهم ثم قالا ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا
بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال اني أدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه
فآمنوا وقال فتحت أبواب السما فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم
قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم بايمانه
ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا فعززنا فقوينا يقال المطر يعزز الأرض اذا لبدها وشدها
وتعزز لحمها لناقة وقرئ بالتخفيف من عزه يعزه اذا غلبه اى فغلبنا وقهرنا بثالث وهو شمعون فان قلت
لم ترك ذكر المعزز به قلت لأن الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق
وذل الباطل واذا كان الكلام منصبا الى غرض من الأغراض جعل سياقه وتوجهه اليه كأن ما سواه
مرفوض مطرح ونظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق ربوجهه فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم
عليه انما رفع بشر ونصب في قوله ما هذا بشرا لأن الا نقض النفي فلا يبقى لما المشبهة بليس شبه
فلا يبقى له عمل فان قلت لم قيل انا اليكم مرسلون أولا وانا اليكم لمرسلون آخرا قلت لأن الأول ابتداء
اخبار والثاني جواب عن انكار وقوله ربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم شهد الله
وعلم الله وانما حسن منهم هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم وما علينا الا البلاغ المبين
اى الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته والا فلو قال المدعي والله اني لصادق فيما ادعي ولم تحضر
البينة كان قبيحا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك انهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال
أن يتيمنوا بكل شيء مالوا اليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه
فان أصابهم نعمة أو بلاء قالوا ببركة هذا وبشؤم هذا كما حكى الله عن القبط وان تصبهم سيئة يطيروا
بموسى ومن معه وعن مشركي مكة وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك وقيل حبس عنهم المطر
فقالوا ذلك وعن قتادة ان أصابنا شيء كان من أجلكم طائركم معكم وقرئ طيركم اى سبب شومكم معكم
وهو كفركم او أسباب شومكم معكم وهي كفركم ومعاصيكم وقرأ الحسن اطيركم اى تطيركم وقرئ
أئن ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وآن ذكرتم بالف بينهما بمعنى أتطيرون ان ذكرتم
وقرئ أأن ذكرتم وان ذكرتم تطيرتم وقرئ أين ذكرتم على التخفيف اى شومكم معكم حيث جرى ذكركم
واذا شئتم المكان بذكرهم كانوا يحلون فيه شأمتم بل أنتم قوم مسرفون في العصيان ومن ثم اتاكم الشوم
لا من قبل رسل الله وتذكيرهم او بل أنتم مسرفون في ضلالكم متمادون في غيكم حيث تتشاءمون
بمن يجب التبرك به من رسل الله رجل يسعى هو حبيب بن اسرائيل النجار وكان ينحت الأصنام وهو
ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الأكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم
يؤمن بنبي أحد الا بعد ظهوره وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه
وقاول الكفرة فقالوا أو أنت تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل توطؤه بأرجلهم حتى خرج
قصبه من دبره وقيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومي وقبره في سوق انطاكية فلما قتل غضب
الله عليهم فأهلكوا بصيحة جبريل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله
طرفة عين علي بن أبي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون كلمة جامعة

في الترغيب فيهما اى لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة
ثم أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم ولأنه أدخل في امحاض
النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لروحه ولقد وضع قوله وما لي لا أعبد الذي فطرني مكان قوله وما لكم لا
تعبدون الذي فطركم ألا ترى الى قوله واليه ترجعون ولولا انه قصد ذلك لقال الذي فطرني واليه أرجع
وقد ساقه ذلك المساق الى أن قال اني آمنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا قولي وأطيعوني فقد نبهتكم على
الصحيح الذي لا معدل عنه لأن العبادة لا تصح الا لمن منه مبتداكم واليه مرجعكم وما أدفع العقول
وأنكرها لأن تستحبوا على عبادة أشياء ان أرادكم هو بضر وشفع لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من
أن يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على انقاذكم منه بوجه من الوجوه انكم في هذا الاستحباب لواقعون
في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل وتمييز وقيل لما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحو الرسل
قبل أن يقتل فقال لهم اني آمنت بربكم فاسمعون اى اسمعوا ايماني تشهدوا لي به وقرئ ان يردني الرحمن بضر
بمعنى ان يوردني ضرا اى يجعلني موردا للضر قيل ادخل الجنة وعن قتادة أدخله الله الجنة وهو فيها
حي يرزق أراد قوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وأنه من أهلها
فان قلت كيف مخرج هذا القول في علم البيان قلت مخرجه مخرج الاستئناف لأن هذا من مظان
المسألة عن حاله عند لقاء ربه كأن قائلا قال كيف كان لقاء ربه له بعد ذلك التصلب في نصرة دينه
والتسخي لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض الى المقول وعظمه لا الى المقول
له مع كونه معلوما ولذلك قال يا ليت قومي يعلمون مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك
الفوز العظيم وانما تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا لاكتساب مثلها لأنفسهم بالتوبة عن الكفر
والدخول في الايمان والعمل الصالح المفضيين بأهلهما الى الجنة وفي حديث مرفوع نصح قومه حيا وميتا وفيه
تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعا عليه الا ترى
كيف تمنى الخير لقتلته والباغين عليه الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام ويجوز أن يتمنى ذلك ليعلموا أنهم كانوا
على خطأ عظيم في أمره وأنه كان على صواب ونصيحة وشفقة وأن عداوتهم لم تكسبه الا فوزا ولم تعقبه الا
سعادة لأن في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور والأول أوجه وقرئ المكرمين فان قلت
ما في قوله بما غفر لي ربي أي الماآت هي قلت المصدرية او الموصولة اى بالذي غفره لي من الذنوب ويحتمل
أن تكون استفهامية يعني بأي شيء غفر لي ربي يريد به ما كان منه معهم من المصابرة لاعزاز الدين حتى قتل
الا أن قولك بم غفر لي بطرح الألف أجود وان كان اثباتها جائزا يقال قد علمت بما صنعت هذا وبم صنعت
المعنى أن الله كفى أمرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق
فان قلت وما معنى وما كنا منزلين قلت معناه وما كان يصح في حكمتنا أن ننزل في اهلاك قوم حبيب
جندا من السما وذلك لأن الله عز وجل أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض وما ذلك الا بناء على
ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة ألا ترى الى قوله فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة
ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا فان قلت فلم أنزل الجنود من السما يوم بدر والخندق فأرسلنا
عليهم ريحا وجنودا لم تروها بألف من الملائكة مردفين بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف
من الملائكة مسومين قلت انما كان يكفي ملك واحد فقد أهلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبريل
وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة منه ولكن الله فضل محمدا عليه السلام بكل شيء على كبار الأنبياء وأولي العزم من الرسل
فضلا على حبيب النجار وأولاه من أسباب الكرامة والاعزاز ما لم يوله أحدا فمن ذلك أنه أنزل له جنودا
من السماء وكأنه أشار بقوله وما أنزلنا وما كنا منزلين الى أن انزال الجنود من عظائم الأمور
التي لا يؤهل لها الا مثلك وما كنا نفعله لغيرك ان كانت الا صيحة ان كانت الأخذة أو العقوبة الا صيحة
وقرأ أبو جعفر المدني بالرفع على كان التامة اى ما وقعت الا صيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل
لأن المعنى ما وقع شيء الا صيحة ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وأن الصيحة في حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن
فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم وبيت ذي الرمة وما بقيت الا الضلوع الجراشع وقرأ ابن مسعود الا زقية
واحدة من زقا الطائر يزقو ويزقي اذا صاح ومنه المثل أثقل من الزواقي خامدون خمدوا كما تخمد
النار فتعود رمادا كما قال لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع
يا حسرة على العباد نداء للحسرة عليهم كأنما قيل لها تعالي يا حسرة فهذه من أحوالك التي حقك أن تحضري فيها
وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون
أو هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ويجوز أن يكون من الله عز وجل على سبيل الاستعارة
في معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم ومحنوها به وفرط انكاره له وتعجيبه منه وقراءة من قرأ يا حسرتا
تعضد هذا الوجه لأن المعنى يا حسرتي وقرئ يا حسرة العباد على الاضافة اليهم لاختصاصها بهم من حيث

انما توجهه اليهم ويا حسرة على العباد على اجرا الوصل مجرى الوقف الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن العمل
في كم لان كم لا يعمل فيها ما قبلها كانت للاستفهام او للخبر لان اصلها الاستفهام الا ان معناه نافذ
في الجملة كما نفذ في قولك الم يروا ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه وانهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا
على المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم
وعن الحسن كسر ان على الاستيناف وفي قراءة ابن مسعود الم يروا من اهلكنا والبدل على هذه القراءة
بدل اشتمال وهذا مما يرد قول اهل الرجعة ويحكى عن ابن عباس انه قيل له ان قوما يزعمون ان عليا
مبعوث قبل يوم القيامة فقال بيس القوم نحن اذن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه وقرئ لما بالتخفيف
على ان ما صلة للتاكيد وان مخففة من الثقيلة وهي متلقاه باللام لا محالة ولما بالتشديد بمعنى الا كالتي
في مسئلة الكتاب نشدتك بالله لما فعلت وان نافية والتنوين في كل هو الذي يقع عوضا من المضاف اليه
كقولك مررت بكل قايما والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيمة وقيل محضرون
معذبون فان قلت كيف اخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد قلت ليس بواحد لان كلا تفيد معنى الاحاطة
وان لا ينفلت منهم احد والجميع معناه الاجتماع وان المحشر يجمعهم والجميع فعيل بمعنى مفعول يقال حي جميع
وجاوا جميعا وقرئ الميتة بالتشديد على الاصل والتخفيف اشيع لسلسها على اللسان واحييناها استيناف بيان لكون الارض
الميتة اية وكذلك نسلخ ويجوز ان توصف الارض والليل بالفعل لانه اريد بهما الجنسان مطلقين
لا ارض وليل باعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفها بالافعال ونحوه ولقد امر على اللئيم يسبني
وقوله منه ياكلون بتقديم الظرف للدلالة على ان الحب هو الشي الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم
بالارتزاق منه صلاح الانس واذا قل جا القحط ووقع الضر واذا فقد حضر الهلاك ونزل البلا وقرئ
وفجرنا بالتثقيل والتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى وقرئ ثمره بفتحتين وضمتين
وضمة وسكون والضمير لله تعالى والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر وما عملته ايديهم من الغرس والسقي والابار
وغير ذلك من الاعمال الى ان يبلغ الثمر منتهاه وابان اكله يعني ان الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه
اثار من كد بني ادم واصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريقة
الالتفات ويجوز ان يرجع الى النخيل وتترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم انها في حكم
النخيل فيما علق به من اكل ثمره ويجوز ان يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة
فيها خطوط من سواد وبلق ٭ كانه في الجلد توليع البهق ٭ فقيل له فقال اردت كان ذاك ولك
ان تجعل ما نافية على ان الثمر خلق الله ولم تعمله ايدي الناس ولا يقدرون عليه وقرئ على
الوجه الاول وما عملت من غير راجع وهو في مصاحف اهل الكوفة كذلك وفي مصاحف اهل الحرمين
والبصرة والشام مع الضمير الازواج الاجناس والاصناف ومما لا يعلمون ومن ازواج لم يطلعهم
الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها بطريق من طرق العلم ولا يبعد ان يخلق الله من الحيوان
والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا الى العلم به لانه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم الى ذلك العلم ولو كانت
اليه الحاجة لاعلمهم بما لا يعلمون كما اعلمهم بوجود ما لا يعلمون وعن ابن عباس لم يسمهم وفي
الحديث ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه فاعلمنا بوجوده
واعداده ولم يعلمنا به ما هو ونحوه فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وفي الاعلام بكثرة
ما خلق مما علموه ومما جهلوه ما دل على عظم قدرته واتساع ملكه نسلخ جلد الشاة اذا كشطه
عنها ومنه سلخ الحية لخرشائها فاستعير لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله مظلمون
داخلون في الظلام يقال اظلمنا كما تقول اعتمنا وادجينا لمستقر لها لحد لها موقت مقدر تنتهي
اليه من فلكها في اخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لمنتهى لها من المشارق والمغارب
لانها تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ اقصاها ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها
لانها لا تعدوه او لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب وقيل مستقرها
اجلها الذي اقر الله عليه امرها في جريها فاستقرت عليه وهو اخر السنة وقيل الوقت الذي
تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيمة وفي تجري الى مستقر لها وقرأ ابن مسعود لا مستقر لها
اي لا تزال تجري لا تستقر وقرئ لا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس ذلك الجري على ذلك التقدير والحساب
الدقيق الذي تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الافهام في استنباطه ما هو الا تقدير الغالب بقدرته
على كل مقدور المحيط علما بكل معلوم والقمر رفعا على الابتدا او عطفا على الليل يريد ومن اياته
القمر ونصبا بفعل يفسره قدرناه ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير
نفس القمر منازل والمعنى قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة
في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل

الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلة او ليلتين اذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها
العرب الانوا المستمطرة وهي الشرطان • البطين • الثريا • الدبران • الهقعة • الهنعة • الذراع • النثرة
الطرف • الجبهة • الزبرة • الصرفة • العوا • السماك • الغفر • الزبانا • الاكليل • القلب • الشولة
النعايم • البلدة • سعد الذابح • سعد بلع • سعد السعود • سعد الاخبية • فرغ الدلو المقدم • فرغ الدلو
المؤخر • الرشا • فاذا كان في اخر منازله دق واستقوس وعاد كالعرجون القديم وهو عود العذق
ما بين شماريخه الى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وقرئ العرجون
بوزن الفرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون والقديم المحول واذا قدم دق وانحنى واصفر
فشبه به من ثلاثة اوجه وقيل اقل مدة الموصوف بالقدم الحول فلو ان رجلا قال كل مملوك لي قديم
فهو حر او كتب ذلك في وصيته عتق منهم من مضى له حول او اكثر وفي سابق النهار على الاصل والمعنى
ان الله تعالى قسم لكل واحد من الليل والنهار وايتيهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر
امرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس اي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة
وان جعل لكل واحد من النيرين سلطان على حياله ان تدرك القمر فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه
فتطمس نوره ولا يسبق الليل النهار يعني اية الليل اية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على
هذا الترتيب الى ان يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض ما الف فيجمع بين الشمس والقمر وتطلع
الشمس من مغربها فان قلت لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق قلت لان الشمس لا تقطع
فلكها الا في سنة والقمر يقطع فلكه في كل شهر فكانت الشمس جديرة ان توصف بالادراك لتباطؤ
سيرها عن سير القمر والقمر خليقا بان يوصف بالسبق لسرعة سيره وكل التنوين فيه عوض
من المضاف اليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس والاقمار على ما سبق ذكره ذريتهم اولادهم
ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على النسا لانهن مزارعها وفي الحديث انه نهى عن قتل
الذراري يعني النسا من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الابل وهي سفاين البر وقيل الفلك
المشحون سفينة نوح ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها ان اباهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم
وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وادخل في التعجب من قدرته في حمل اعقابهم
الى يوم القيمة في سفينة نوح ومن مثله من مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق فلا صريخ
فلا مغيث او فلا اغاثة يقال اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون لا ينجون من الموت بالغرق الا رحمة الا لرحمة
ولتمتيع بالحياة الى حين الى اجل يموتون فيه لا بد لهم منه بعد النجاة من موت الغرق ولقد
احسن من قال ٭ ولم اسلم لكي ابقى ولكن ٭ سلمت من الحمام الى الحمام ٭ وقرأ الحسن نغرقهم اتقوا ما بين
ايديكم وما خلفكم كقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم وعن مجاهد ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر
وعن قتادة ما بين ايديكم من الوقايع التي خلت يعني من مثل الوقايع التي ابتليت بها الامم المكذبة
بانبيائها وما خلفكم من امر الساعة لعلكم ترحمون لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا محذوف مدلول عليه
بقوله الا كانوا عنها معرضين كانه قال واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا ثم قال ودابهم الاعراض عند كل
اية وموعظة كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يعلقون افعال الله بمشيته يقولون لو شا
الله لاغنى فلانا ولو شا الله لاعزه ولو شا لكان كذا فاخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزا بالمؤمنين
وبما كانوا يقولونه من تعليق الامور بمشية الله ومعناه انطعم المقول فيه هذا القول بينكم وذلك
انهم كانوا دافعين ان يكون الغنى والفقر من الله لانهم معطلة لا يؤمنون بالصانع وعن
ابن عباس كان بمكة زنادقة فاذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن
وقيل كانوا يوهمون ان الله تعالى لما كان قادرا على اطعامه ولم يشا اطعامه فنحن احق بذلك وقيل نزلت في
مشركي قريش حين قال فقرا اصحاب رسول الله اعطونا مما زعمتم من اموالكم انها لله يعنون قوله وجعلوا لله
مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فحرموهم وقالوا لو شا الله لاطعمكم ان انتم الا في ضلال مبين قول الله لهم
او حكاية قول المؤمنين لهم او هو من جملة جوابهم للمؤمنين وهم يخصمون بادغام التا في الصاد مع فتح الخا وكسرها
واتباع اليا الخا في الكسرة ويختصمون على الاصل ويخصمون من خصمه والمعنى انها تبغتهم وهم
في امنهم وغفلتهم عنها لا يخطر ببالهم مشتغلين بخصوماتهم في متاجرهم ومعاملاتهم وسائر
ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى يخصمون يخصم بعضهم بعضا وقيل تاخذهم وهم عند انفسهم
يخصمون في الحجة في انهم لا يبعثون فلا يستطيعون ان يوصوا في شي من امورهم توصية ولا يقدرون
على الرجوع الى منازلهم واهاليهم بل يموتون حيث تفجأهم الصيحة وقرئ الصور بسكون الواو وهو القرن
او جمع صورة وحركها بعضهم والاجداث القبور وقرئ بالفا ينسلون يعدون بكسر السين وضمها

وهي النفخة الثانية . وقرئ بالويلتا . وعن ابن مسعود من أهبّنا من هبّ من نومه إذا انتبه
وأهبّه غيره . وقرئ من هبّنا بمعنى أهبّنا . وعن بعضهم أراد هبّ بنا فحذف الجار وأوصل الفعل
وقرئ من بعثنا ومن هبّنا على من الجارة والمصدر . وهذا مبتدأ وما وعد خبره وما مصدرية أو
موصولة ويجوز أن يكون هذا صفة للمرقد وما وعد مبتدأ محذوف الخبر أي هذا وعد الرحمن أو مبتدأ
محذوف الخبر أي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم . وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم
النوم فإذا صيح بأهل القبور قالوا من بعثنا . وأما هذا ما وعد الرحمن فكلام الملائكة . وعن ابن عباس
وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به أنفسهم
أو بعضهم بعضا فإن قلت إذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين
على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق فما وجه قوله وصدق المرسلون إذا جعلتها
موصولة قلت تقديره هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون بمعنى والذي صدق فيه
المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث والقتال ومنه صدقني سن بكره فإن قلت من بعثنا من مرقدنا
سؤال عن الباعث فكيف يطابقه ذلك جوابا قلت معناه بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وأنبأكم
به الرسل إلا أنه جيء به على طريقة سيئت بها قلوبهم ونعيت إليهم أحوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم
وأخبروا بوقوع ما أنذروا به وكأنه قيل لهم ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده
حتى يهمكم السؤال عن الباعث إن هذا هو البعث الأكبر ذو الأهوال والأفزاع وهو الذي
وعده الله في كتبه المنزلة على ألسنة رسله الصادقين إلا صيحة واحدة قرئت منصوبة ومرفوعة
فاليوم لا تظلم نفس شيئا إن أصحاب الجنة اليوم في شغل حكاية ما يقال لهم في ذلك اليوم وفي مثل هذه الحكاية زيادة
تصوير للموعود وتمكين له في النفوس وترغيب في الحرص عليه وعلى ما يثمره في شغل في أي شغل وفي شغل
لا يوصف وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين ووصل إلى نيل تلك الغبطة
وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ووقع في تلك الملاذ التي أعدها الله للمرتضين من عباده ثوابا
لهم على أعمالهم مع كرامة وتعظيم وذلك بعد الولة والصبابة والتفصي من مشاق التكليف
ومضايق التقوى والخشية وتخطي الأهوال وتجاوز الأخطار وجواز الصراط ومعاينة ما لقي
العصاة من العذاب . وعن ابن عباس في افتضاض الأبكار . وعنه في ضرب الأوتار . وعن
ابن كيسان في التزاور وقيل في ضيافة الله . وعن الحسن شغلهم عما فيه أهل النار التنعم
بما هم فيه . وعن الكلبي هم في شغل عن أهاليهم من أهل النار لا يهمهم أمرهم ولا يذكرونهم
لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم . وقرئ في شغل بضمتين وضمة وسكون وفتحتين وفتحة وسكون والفاكه
والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لأنها مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة وهي المزاحة وقرئ
فاكهون وفكهون بكسر الكاف وضمها كقولهم رجل حدث وحدث ونطس ونطس . وقرئ فاكهين
وفكهين على أنه حال والظرف مستقر وهم يحتمل أن يكون مبتدأ وأن يكون تأكيدا للضمير في شغل
وفي فاكهون على أن أزواجهم يشاركونهم في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الأرائك تحت
الظلال . وقرئ في ظلل والأريكة السرير في الحجلة وقيل الفراش فيها وفي قراءة ابن مسعود
متكين يدعون يفتعلون من الدعاء أي يدعون به لأنفسهم كقولك اشتوى واجتمل إذا شوى وجمل
لنفسه قال لبيد فاشتوى ليلة ريح واجتمل ويجوز أن يكون بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه
وتراموه وقيل يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي وفلان في خير ما ادعى أي
في خير ما تمنى قال الزجاج هو من الدعاء أي ما يدعونه أهل الجنة يأتيهم وسلام بدل
مما يدعون كأنه قيل لهم سلام يقال لهم قولا من جهة رب رحيم والمعنى أن الله يسلم عليهم
بواسطة الملائكة أو بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال
ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين . وقيل ما يدعون مبتدأ وخبره
سلام بمعنى ولهم ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لقوله ولهم ما يدعون
سلام أي عدة من رب رحيم والأوجه أن ينتصب على الاختصاص وهو من مجازه . وقرئ سلم وهو
بمعنى السلام في المعنيين . وعن ابن مسعود سلاما نصب على الحال أي لهم مرادهم خالصا وامتازوا
وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم إلى الجنة ونحوه
قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة
يحبرون . وأما الذين كفروا الآية . يقال مازه فانماز وامتاز . وعن قتادة اعتزلوا عن كل
خير . وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى ومعناه إن بعضهم ممتاز

من بعض . العهد الوصية وعهد إليه إذا وصاه وعهد الله إليهم ما ركزه في عقولهم من أدلة العقل
وأنزل عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزينه لهم . وقرئ إعهد
بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز في حروف مضارعته الكسر إلا في الياء . وأعهد بكسر الهاء . وقد جوز
الزجاج أن يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب . وأحهد بالحاء وهي لغة تميم ومنه قولهم
دحّا محّا يعنون دعها معها . هذا إشارة إلى ما عهد إليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن
إذ لا صراط أقوم منه . ونحو التنكير فيه ما في قول كثير . لئن كان يهدى برد أنيابها العلى لأفقر مني إنني لفقير
أراد إنني لفقير بليغ الفقر حقيق بأن أوصف به لكمال شرائطه فيّ وإلا لم يستقم معنى البيت وكذلك قوله
هذا صراط مستقيم يريد صراط بليغ في بابه بليغ في استقامته جامع لكل شرط يجب أن يكون عليه ويجوز
أن يراد هذا بعض الصرط المستقيم توبيخا لهم على العدول عنه والتفادي عن سلوكه كما يتفادى الناس
عن الطريق المعوج الذي يؤدي إلى الضلالة والتهلكة كأنه قيل أقل أحوال هذا الطريق الذي هو
أقوم الطرق أن يعتقد فيه كما يعتقد في الطريق الذي لا يضل السالك كما يقول الرجل لولده وقد نصحه
النصح البالغ الذي ليس بعده هذا فيما أظن قول نافع غير ضار توبيخا له على الإعراض عن نصائحه
قرئ جبلا بضمتين وضمة وسكون وضمتين وتشديدة وهذه لغات في معنى الخلق . وقرئ جبلا جمع
جبلة كفطر وخلق . وفي قراءة علي جيلا . واحد الأجيال . يروى أنهم يجحدون ويخاصمون
فيشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ نختم على أفواههم وتكلم
أيديهم وأرجلهم . وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة إني لا أجيز علي شاهدا إلا من نفسي فيختم على فيه
ويقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن
كنت أناضل . وقرئ يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم . وقرئ ولتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام كي
والنصب . على معنى ولذلك نختم على أفواههم . وقرئ ولتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام الجزم والجزم
على أن الله يأمر الأعضاء بالكلام والشهادة . الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة فاستبقوا الصراط
لا يخلو من أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل والأصل فاستبقوا إلى الصراط أو يضمن معنى
ابتدروا أو يجعل الصراط مسبوقا لا مسبوقا إليه أو ينتصب على الظرف والمعنى أنه لو شاء لمسح أعينهم
فلو راموا أن يستبقوا إلى الطريق المهيع الذي اعتادوا سلوكه إلى مساكنهم وإلى مقاصدهم المألوفة
التي ترددوا إليها كثيرا كما كانوا يستبقون إليه ساعين في متصرفاتهم موضعين في أمور دنياهم
لم يقدروا وتعايا عليهم أن يبصروا ويعلموا جهة السلوك فضلا عن غيره أو لو شاء لأعماهم
فلو أرادوا أن يمشوا مستبقين في الطريق المألوف كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا . أو لو شاء
لأعماهم فلو طلبوا أن يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقا يعني أنهم
لا يقدرون إلا على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه من سائر الطرق والمسالك كما ترى العميان
يهتدون فيما ألفوا وضروا به من المقاصد دون غيرها على مكانتهم وقرئ مكاناتهم والمكانة والمكان
واحد كالمقامة والمقام . أي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون أن يبرحوه بإقبال ولا
إدبار ولا مضي ولا رجوع . واختلف في المسخ فعن ابن عباس لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة
وعن قتادة لأقعدناهم على أرجلهم وأزمناهم . وقرئ مضيا بالحركات الثلاث فالمضي والمضي
كالعتي والعتي والمضي كالصبي . ننكسه في الخلق نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه قبل وذلك
أنا خلقناه على ضعف في جسد وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال إلى حال ويرتقي
من درجة إلى درجة إلى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ما له وما عليه فإذا انتهى نكسناه
في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه
من العلم كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله قال عز وجل ثم يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من
بعد علم شيئا . ثم رددناه أسفل سافلين . وهذه دلالة على أن من ينقلهم من الشباب إلى الهرم
ومن القوة إلى الضعف ومن رجاحة العقل إلى الخرف وقلة التمييز ومن العلم إلى الجهل
بعد ما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه . قادر على أن يطمس على أعينهم ويمسخهم على مكانتهم
ويفعل بهم ما شاء وأراد . وقرئ بكسر الكاف وننكسه وننكّسه من التنكيس والإنكاس أفلا
تعقلون بالياء والتاء كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر . وروي أن القائل عقبة بن أبي معيط
فقيل وما علمناه الشعر أي وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى أن القرآن ليس بشعر
وما هو من الشعر في شيء وأين هو عن الشعر والشعر إنما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى
فأين الوزن وأين التقفية وأين المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه وأين نظم

كلامهم من نظمه وانشاده لبيت . فاذن لا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققت اللهم الا أن
هذا اللفظ عربي كما ان ذاك كذلك وما ينبغي له وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه . اي جعلناه بحيث
لو اراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه اميا لا يهتدي الى الخط ولا يحسنه
لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض . وعن الخليل كان الشعر احب الى رسول الله من كثير
الكلام ولكن كان لا يتأتى له . فان قلت فقوله انا النبي لا كذب . انا ابن عبد المطلب . وقوله
ما انت الا اصبع دميت . وفي سبيل الله ما لقيت . قلت ما هو الا كلام من جنس كلامه
الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد
الى ذلك ولا التفات منه اليه ان جاء موزونا كما يتفق في كثير من انشاءات الناس في خطبهم
ورسائلهم ومحاوراتهم اشياء موزونة ولا يسميها احد شعرا ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع
انه شعر . واذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع في اوزان البحور غير عزيز على ان
الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعرا . ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر
قال ان هو الا ذكر وقرآن مبين يعني ما هو الا ذكر من الله يوعظ به الانس والجن كما قال ان هو الا
ذكر للعالمين . وما هو الا قرآن كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته
والعمل بما فيه فوز الدارين . فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين لينذر القرآن
او الرسول . وقرئ لتنذر بالتاء ولينذر من نذر به اذا علمه من كان حيا اي عاقلا متأملا لان
الغافل كالميت . او معلوما منه انه يؤمن فيحيا بالايمان ويحق القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين
الذين لا يتأملون ولا يتوقع منهم الايمان مما عملت ايدينا مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه
غيرنا . وانما قال ذلك لبدائع الفطرة والحكمة فيها التي لا يصح ان يقدر عليها الا هو . وعمل الايدي
استعارة من عمل من يعملون بالايدي . فهم لها مالكون اي خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون
فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع فيها لا ينازعون فيها . او فهم لها ضابطون قاهرون من قوله
اصبحت لا احمل السلاح ولا * املك رأس البعير ان نفرا * اي لا اضبطه . وهو من جملة النعم الظاهرة
والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره لها كما قال القائل * يصرفه الصبي بكل وجه *
ويحبسه على الخسف الجرير * وتضربه الوليدة بالهراوي * فلا غير لديه ولا نكير * ولهذا الزم الله سبحانه
الراكب ان يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين . وقرئ ركوبهم
وركوبتهم وهما ما يركب كالحلوب والحلوبة . وقيل الركوبة جمع . وقرئ ركوبهم اي ذو ركوبهم او فمن
منافعها ركوبهم منافع من الجلود والاوبار والاصواف وغير ذلك ومشارب من اللبن ذكرها
مجملة وقد فصلها في قوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الآية والمشارب جمع مشرب وهو موضع
الشرب او الشرب اتخذوا الالهة لمعاني ان يتقووا بهم ويعتضدوا بمكانهم والامر على عكس
ما قدروا حيث هم جند لآلهتهم معدون محضرون يخدمونهم ويذبون عنهم ويغضبون لهم
والالهة لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر . او اتخذوهم لينصروا عند الله ويشفعوا لهم
والامر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم
يجعلون وقودا للنار . قرئ فلا يحزنك بفتح الياء وضمها من حزنه واحزنه والمعنى فلا يهمنك تكذيبهم
واذاهم وجفاؤهم انا نعلم ما يسرون من عداوتهم وما يعلنون وانا مجازوهم عليه فحق مثلك
ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى ينقشع عنه الهم
ولا يرهقه الحزن . فان قلت ما تقول فيمن يقول ان قرأ قارئ انا نعلم بالفتح انتقضت صلاته وان
اعتقد ما يعطيه من المعنى كفر . قلت فيه وجهان احدهما ان يكون على حذف لام التعليل وهو
كثير في القرآن والشعر وفي كل كلام وقياس مطرد . وهذا معناه ومعنى الكسر سواء وعليه تلبية
رسول الله صلعم ان الحمد والنعمة لك . كسر ابو حنيفة وفتح الشافعي وكلاهما تعليل . والثاني ان يكون
بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون وما يعلنون . وهذا المعنى قائم مع
المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول . فقد تبين ان تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران
على كسر ان وفتحها وانما يدوران على تقديرك . فتفصل ان فتحت بان تقدر معنى التعليل ولا تقدر
البدل كما انك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية . ثم ان قدرته
كاسرا او فاتحا على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه الا نهي رسول الله صلعم عن الحزن على كون الله عالما
بسرهم وعلانيتهم . وليس النهي عن ذلك مما يوجب شيئا الا ترى الى قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين
ولا تكونن من المشركين . ولا تدع مع الله الها آخر . قبح الله عز وجل انكارهم البعث تقبيحا لا ترى

اعجب

اعجب منه وابلغ وادل على تمادي كفر الانسان وافراطه في جحود النعم وعقوق الايادي وتوغله في الخسة
وتغلغله في القحة حيث قرره بان عنصره الذي خلقه منه هو اخس شيء وامهنه وهو النطفة المذرة
الخارجة من الاحليل الذي هو قناة النجاسة . ثم عجب من حاله بان يتصدى مثله على مهانة اصله
ودناءة اوله لان يتصدى لمخاصمة الجبار ويبرز صفحته لمجادلته ويركب في الباطل ويلج
ويمحك ويقول من يقدر على احياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه في الزم وصفه
والصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها
وروي ان جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة
تكلموا في ذلك فقال لهم ابي الا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات . ثم قال واللات والعزى
لاصيرن اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفته بيده ويقول يا محمد اترى الله يحيي هذا
بعد ما قد رم . قال صلعم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم . وقيل معنى قوله فاذا هو خصيم مبين فاذا
هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح كما قال
او من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين . فان قلت لم سمي قوله من يحيي العظام وهي رميم مثلا . قلت
لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل . وهي انكار قدرة الله على احياء الموتى او لما فيه
من التشبيه لان ما انكر من قبيل ما يوصف الله تعالى بالقدرة عليه بدليل النشأة الاولى فاذا قيل
من يحيي العظام على طريق الانكار لان يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه قادرا عليه كان تعجيزا لله
وتشبيها له بخلقه في انهم غير موصوفين بالقدرة عليه والرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة
كالرمة والرفات . فلا يقال لم لم يؤنث وقد وقع خبرا لمؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل او مفعول
ولقد استشهد بهذه الآية من يثبت الحياة في العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان
الموت يؤثر فيها من قبل ان الحياة تحلها . واما اصحاب ابي حنيفة فهي عندهم طاهرة وكذلك الشعر
والعصب ويزعمون ان الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون المراد باحياء العظام في الآية
ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس وهو بكل خلق عليم يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه
شيء من خلق المنشآت والمعادات . ومن اجناسها وانواعها وجلائلها ودقائقها . ثم ذكر من
بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي
توري بها الاعراب واكثرها من المرخ والعفار وفي امثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار .
يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر
على العفار وهي انثى فتنقدح النار باذن الله تعالى . وعن ابن عباس ليس من شجرة الا وفيها نار
الا العناب قالوا ولذلك تتخذ منه كذينقات القصارين . الاخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى
ونحوه قوله تعالى من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم من قدر على خلق
السموات والارض مع عظم شأنهما فهو على خلق الاناسي اقدر . وفي معناه قوله تعالى لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس . وقرئ يقدر وقوله ان يخلق مثلهم يحتمل معنيين ان يخلق مثلهم
في الصغر والقماءة بالاضافة الى السموات والارض او ان يعيدهم لان المعاد مثل للمبتدأ وليس به
وهو الخلاق الكثير المخلوقات ان يقول له كن ان يكونه من غير توقف فيحدث اي فهو كائن موجود
لا محالة . فان قلت ما حقيقة قوله ان يقول له كن . قلت هو مجاز من الكلام وتمثيل لانه لا يمتنع
عليه شيء من المكونات وانه بمنزلة المأمور المطيع اذا ورد عليه امر الآمر المطاع . فان قلت فما
وجه القراءتين في فيكون . قلت اما الرفع فلانها جملة من مبتدأ وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة
على مثلها وهي امره ان يقول له كن . واما النصب فللعطف على يقول والمعنى انه لا يجوز عليه شيء
مما يجوز على الاجسام اذا فعلت شيئا مما تقدر عليه من المباشرة بمحال القدرة واستعمال الآلات
وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب . انما امره وهو القادر العالم لذاته ان يخلص داعيه
الى الفعل فيتكون . فمثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز عن الاعادة فسبحان تنزيه له عما وصفه به المشركون
وتعجيب من ان يقولوا فيه ما قالوا بيده ملكوت كل شيء هو مالك كل شيء المتصرف فيه بمواجب مشيئته وقضايا
حكمته . وقرئ ملكة كل شيء ومملكة كل شيء وملك كل شيء والمعنى واحد . ترجعون بضم التاء وفتحها . وعن
ابن عباس رض كنت لا اعلم ما روي في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه
الآية . قال رسول الله صلعم ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن يس . ومن قرأ يس يريد بها
وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنين وعشرين مرة . وايما مسلم قرئ عنده

اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا
يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون
دفنه • وايما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه
رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه
وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبيا حتى يدخل الجنة
وهو ريان • وقال عليه السلام ان في القران سورة تشفع لقاريها ويغفر لمستمعها الا وهي
سورة يس •

سورة الصافات مكية وهي مائة واثنتان وثمانون وقيل واحدى وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • اقسم سبحانه بطوايف الملايكة او بنفوسهم
الصافات اقدامها في الصلوة من قوله عز وجل وانا لنحن الصافون واجنحتها في الهوى
واقفة منتظرة لامر الله فالزاجرات السحاب سوقا فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها
وقيل الصافات الطير من قوله والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله • والتاليات
كل ما تلي من كتاب الله سبحانه ويجوز ان يقسم بنفوس العلما العمال الصافات اقدامها في التهجد
وساير الصلوات وصفوف الجماعات • فالزاجرات بالمواعظ والنصايح • فالتاليات آيات الله
والدارسات شرايعه • او بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر
الخيل للجهاد ويتلون الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل • كما يحكى عن علي بن ابي طالب
فان قلت ما حكم الفا اذا جاءت عاطفة في الصفات قلت اما ان تدل على ترتب معانيها في
الوجود كقوله • يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب • كأنه قال للذي صبح فغنم
فآب • واما على ترتيبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن
فالاجمل واما على ترتيب موصوفاتها في ذلك كقولك رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذه
القوانين الثلاثة ينساق امر الفا العاطفة في الصفات
فان قلت فعلى اي هذه القوانين الثلاثة هي فيما انت بصدده قلت ان وحدت الموصوف
كانت للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل وان ثلثته فهي للدلالة على ترتب الموصوفات فيه بيان
ذلك انك اذا اجريت هذه الاوصاف على الملايكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفا يفيد
ترتبا لها في الفضل اما ان يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة • واما على العكس وكذلك
ان اردت العلما وقواد الغزاة وان اجريت الصفة الاولى على طوايف والثانية والثالثة على
اخر فقد افادت ترتب الموصوفات في الفضل اعني ان الطوايف الصافات ذوات فضل والزاجرات
افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وكذلك اذا اردت بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما زجر
عن معصية وبالتاليات كل نفس تتلوا الذكر فان الموصوفات مختلفة وقرئ بادغام التاء في الصاد
والزاي والذال • رب السموات خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف والمشارق ثلثمائة وستون مشرقا
وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين
فان قلت فما اراد بقوله رب المشرقين ورب المغربين قلت اراد مشرقي الصيف والشتا ومغربيهما
الدنيا القربى منكم والزينة مصدر كالنسبة واسم لما يزان به الشي كالليقة اسم لما تلاق به الدواة • ويحتملهما
قوله بزينة الكواكب فان اردت المصدر فعلى اضافته الى الفاعل اي بان زانتها الكواكب واصله بزينة
الكواكب او على اضافته الى المفعول اي بان زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السما لحسنها في
انفسها واصله بزينة الكواكب وهي قراءة ابي بكر والاعمش وابن وثاب • وان اردت الاسم فللاضافة وجهان
ان تقع الكواكب بيانا للزينة لان الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها ويكون ان يراد باشكالها المختلفة كشكل الثريا
وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومساقطها وقرئ على هذا المعنى بزينة الكواكب بتنوين زينة
وجر الكواكب على الابدال ويجوز نصب الكواكب ان يكون بدلا من محل بزينة وحفظا مما حمل على المعنى لان
المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسما وحفظا من الشياطين كما قال تعالى ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها
رجوما للشياطين ويجوز ان يقدر الفعل المعلل كانه قيل وحفظا من كل شيطان مارد زيناها بالكواكب وقيل
وحفظناها حفظا والمارد الخارج من الطاعة المتملس منها لا يسمعون كلام مبتدأ اقتصاص لحال الشياطين
وقرئ بالتخفيف والتشديد واصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع او فلم يسمع
وهذا يفيد التخفيف على التشديد فان قلت لا يسمعون
كيف اتصل بما قبله قلت لا يخلو من ان يتصل بما قبله على ان يكون صفة لكل شيطان او استينافا فلا

فلا تصح الصفة لان الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له وكذلك الاستيناف لان سائلا
لو سأل لم تحفظ من الشياطين فاجيب بانهم لا يسمعون لم يستقم فبقي ان يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا
لما عليه حال المسترقة للسمع وانهم لا يقدرون ان يسمعوا الى كلام الملايكة او يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب
مدحورون عن ذلك الا من امهل حتى خطف خطفة واسترق استراقة فعندها تعاجله الهلكة باتباع
الشهاب الثاقب فان قلت هل يصح قول من زعم ان اصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في قولك جئتك ان
تكرمني فبقي ان لا يسمعوا فحذفت ان واهدر عملها كما في قول القايل الا ايهذا الزاجري احضر الوغى قلت
كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده فاما اجتماعهما فمنكر من المنكرات على ان صون القرآن
عن مثل هذا التعسف واجب فان قلت اي فرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت
حديثه والى حديثه قلت المعدى بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك
والملا الاعلى الملايكة لانهم يسكنون السموات • والجن والانس هم الملا الاسفل لانهم سكان الارض •
وعن ابن عباس هم الكتبة من الملايكة وعن اشراف الملايكة من كل جانب من جميع جوانب السما من اي جهة
صعدوا للاستراق دحورا مفعول له اي ويقذفون للدحور وهو الطرد او مدحورين على الحال او لان
القذف والطرد متقاربان في المعنى فكانه قيل يدحرون او قذفا • وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي بفتح
الدال على دحورا طرودا او على انه قد جاء مجيء القبول والولوع والواصب الدايم وصب الامر وصوبا
بمعنى انهم في الدنيا مرجومون بالشهب وقد اعد لهم في الاخرة نوع من العذاب دايم غير منقطع
من في محل الرفع بدل من الواو في لا يسمعون اي لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذي خطف الخطفة
وقرئ خطف بكسر الخاء والطاء وتشديدها واصلها اختطف وقرئ فاتبعه وفاتبعه • الهمزة وان خرج
الى معنى التقرير فهي بمعنى الاستفهام في اصلها فلذلك قيل فاستفتهم اي استخبرهم اهم اشد خلقا ولم يقل
فقررهم والضمير لمشركي مكة • وقيل نزلت في ابي الاشد بن كلدة كني بذلك لشدة بطشه وقوته ام من خلقنا
يريد ما ذكر من خلايقه من الملايكة والسموات والارض والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين
المردة • وغلب اولي العقل على غيرهم فقال من خلقنا • والدليل عليه قوله بعد عد هذه الاشيا فاستفتهم
اهم اشد خلقا ام من خلقنا بالفا المعقبة • وقوله ام من خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفا
ببيان ما تقدمه كانه قال خلقنا كذا وكذا من عجايب الخلق وبدايعه فاستفتهم اهم اشد خلقا ام
الذي خلقناه من ذلك ويقطع به قراءة من قرأ ام من عددنا بالتخفيف والتشديد واشد خلقا يحتمل اقوى
خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة واصعب خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم البعث والنشاة
الاخرى وان من هان عليه خلق هذه الخلايق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه اهون • وخلقهم
من طين لازب اما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة
او احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن اين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا
ائذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث وقيل من خلقنا من الامم الماضية وليس هذا القول
بملايم • وقرئ لازم ولاتب والمعنى واحد • والتاء في التشديد الاصالة بل عجبت من قدرة الله على هذه
الخلايق العظيمة وهم يسخرون منك ومن تعجبك ومما تريهم من اثار قدرة الله او من انكارهم البعث وهم
من امر البعث • وقرئ بضم التاء اي بلغ من عظم اياتي وكثرة خلايقي اني عجبت منها فكيف بعبادي وهو بجهلهم
وعنادهم يسخرون من اياتي او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يصف الله
بالقدرة عليه فان قلت كيف يجوز العجب على الله تعالى وانما هو روعة تعتري الانسان عند استعظام الشي
والله لا يجوز عليه الروعة قلت فيه وجهان احدهما ان يجرد العجب لمعنى الاستعظام والثاني ان يخيل العجب
ويفرض • وقد جاء في الحديث عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم • وقال شريح وقد قرأ بالضم ان الله
لا يعجب من شي وانما يعجب من لا يعلم • فقال النخعي ان شريحا كان يعجبه علمه وعبد الله اعلم يريد عبد الله بن مسعود
وكان يقرأ بالضم • وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت • واذا ذكروا ودأبهم انهم اذا وعظوا بشي لا يتعظون به
واذا رأوا اية من ايات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه يستسخرون يبالغون في السخرية او يستدعي بعضهم من
بعض ان يسخر منها اواباؤنا معطوف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون والذي جوز العطف عليه
الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى ايبعث ايضا اباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد
وابطل • وقرئ او اباؤنا قل نعم وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان • وقرئ قال نعم اي الله او الرسول
والمعنى نعم تبعثون وانتم داخرون صاغرون فانما جواب شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فما هي الا زجرة
واحدة وهي لا ترجع الى شي انما هي مبهمة موضحها خبرها • ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهي النفخة
الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعي الابل او الغنم اذا صاح عليها فرعت لصوته ومنه

وزجر ابي عروة السباع اذا اشفق ان يختلط بالغنم يريد تصويته بها فاذا هم احيا بصراء ينظرون
يحتمل ان يكون هذا يوم الدين الى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وان يكون من كلام
الملائكة لهم وان يكون يا ويلنا هذا يوم الدين كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا
لهم ويوم الدين اليوم الذي يدان فيه اي يجازى باعمالنا ويوم الفصل يوم القضاء والفرق بين
فرق الهدى والضلال احشروا خطاب الله للملائكة او خطاب بعضهم مع بعض وازواجهم وضرباءهم
عن النبي صلعم وهم نظراؤهم واشباههم من العصاة اهل الزنا مع اهل الزنا واهل السرقة مع
اهل السرقة وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتي على دينهم فاهدوهم فعرفوهم طريق
النار حتى يسلكوها هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالتحجز عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك
في الدنيا متعاضدين متناصرين بل هم اليوم مستسلمون قد اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز وكلهم
مستسلم غير منتصر وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام اليمين لما كانت اشرف العضوين
وامتنهما وكانوا يتيمنون بها فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون ويزاولون اكثر الامور
ويتشاءمون بالشمال ولذلك سموها الشومى كما سموا اختها اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا من
البارح وكان الاعسر معيبا عندهم وعضدت الشريعة ذلك وامرت بمباشرة افاضل الامور
باليمين واراذلها بالشمال وكان رسول الله صلعم يحب التيامن في كل شيء وجعل اليمين لكاتب
الحسنات والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن ان يؤتى كتابه بيمينه والمسيء ان يؤتى
كتابه بشماله استعيرت لجهة الخير وجانبه فقيل اتاه من قبل اليمين فلبس عليه الحق ومن
اتاه من جهة الشمال اتاه من قبل الشهوات ومن اتاه من بين يديه اتاه من قبل التكذيب بالقيمة
وبالثواب والعقاب ومن اتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل
رحما ولم يؤد زكاة فان قلت قولهم اتاه من جهة الخير وناحيته مجاز في نفسه فكيف جعلت اليمين
مجازا عن المجاز قلت من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق بالحقائق وهذا من ذلك ولك
ان تجعلها مستعارة للقوة والقهر لان اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش والمعنى انكم كنتم
تاتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا
عليه وهذا من خطاب الاتباع لرؤسائهم والغواة لشياطينهم بل لم تكونوا مؤمنين بل انتم ابيتم الايمان
واعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين وما كان لنا عليكم من سلطان من تسلط نسلبكم به
تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما طاغين مختارين الطغيان فحق علينا قول ربنا انا لذائقون يعني وعيد الله
بانا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم
لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك على انفسهم ونحوه قول القائل
لقد زعمت هوازن قل مالي ولو حكى قولها لقال قل مالك ومنه قول المحلف للحالف احلف لاخرجن ولتخرجن
الهمزة لحكاية لفظ الحالف والتاء لاقبال المحلف على المحلف فاغويناكم فدعوناكم الى الغي دعوة
محصلة للبغية لقبولكم لها واستحبابكم الغي على الرشد انا كنا غاوين فاردنا اغواءكم لتكونوا امثالنا
فانهم فان الاتباع والمتبوعين جميعا يومئذ يوم القيمة مشتركون في العذاب كما كانوا مشتركين في الغواية
انا كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم يعني ان سبب العقوبة هو الاجرام فمن ارتكبه استوجبه انهم كانوا
اذا سمعوا بكلمة التوحيد نفروا واستكبروا عنها وابوا الا الشرك لشاعر مجنون يعنون محمدا صلعم بل جاء بالحق
رد على المشركين وصدق المرسلين كقوله مصدقا لما بين يديه وقرئ لذائقوا العذاب بالنصب على تقدير
النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا بتقدير التنوين وقرئ على الاصل لذائقون العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم
تعملون مثل ما عملتم جزاء سيئا بعمل سيئ الا عباد الله ولكن عباد الله على الاستثناء المنقطع فسر الرزق
المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني ان رزقهم كله فواكه لانهم
مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات بانهم اجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما ياكلونه ياكلونه على سبيل
التلذذ ويجوز ان يراد رزق معلوم مخصوص بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر
وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله
في جنات ياباه وقوله وهم مكرمون هو الذي يقوله العلماء في حد الثواب على سبيل المدح والتعظيم وهو
من اعظم ما يجب ان تتوق اليه نفوس ذوي الهمم كما ان من اعظم ما يجب ان تنفر عنه نفوسهم
هوان اهل النار وصغارهم التقابل اتم للسرور وانس وقيل لا ينظر بعضهم الى قفا بعض يقال
للزجاجة فيها الخمر كاس وتسمى الخمر نفسها كاسا قال وكاس شربت على لذة وعن الاخفش كل
كاس في القران فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس من معين من شراب معين او من نهر معين وهو الجاري

على وجه

على وجه الارض الظاهر للعيون وصف بما يوصف به الماء لانه يجري في الجنة في انهار كما يجري الماء قال الله تعالى وانهار
من خمر بيضاء صفة للكاس لذة اما ان توصف باللذة كانها نفس اللذة وعينها وهي تانيث اللذ
يقال لذ الشيء فهو لذ ولذيذ ووزنه فعل كقولك رجل طب قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدو من خشية
نزيد النوم والغول من غاله يغوله غولا اذا اهلكه وافسده ومنه الغول التي في تكاذيب العرب
وفي امثالهم الغضب غول الحلم ولا هم عنها ينزفون على البناء للمفعول من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال
للسكران نزيف ومنزوف ويقال للمطعون نزف فمات اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها
اذا لم تترك فيها ماء وفي امثالهم اجبن من المنزوف ضرطا وقرئ ينزفون من انزف الشارب اذا ذهب
عقله او شرابه قال لعمري لئن انزفتم او صحوتم لبئس الندامى كنتم ال ابجرا ومعناه صار ذا نزف
ونظيره اقشع السحاب وقشعته الريح واكب الرجل وكببته وحقيقتهما دخلا في القشع والكب وفي قراءة
طلحة بن مصرف ينزفون بضم الزاي من نزف ينزف كقرب يقرب اذا سكر والمعنى لا فيها فساد قط من
انواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من مغص او صداع او خمار او عربدة او لغو او تاثيم او غير ذلك
ولا هم يسكرون وهو اعظم مفاسدها فافرده وافرده بالذكر قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن
لا يمددن طرفا الى غيرهم كقوله تعالى عربا والعين النجل العيون شبههن ببيض النعام المكنون في
الاداحي وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور فان قلت علام عطف قوله فاقبل بعضهم على بعض
قلت على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال
وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم
في الدنيا الا انه جيء به ماضيا على عادة الله في اخباره وقرئ من المصدقين من التصديق ومن المصدقين بتشديد
الصاد من التصدق وقيل نزلت في رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال واين مالك
قال تصدقت به ليعوضني الله في الاخرة خيرا منه فقال ائنك لمن المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين
لطلب الثواب والله لا اعطيك شيئا لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزاء او لمسوسون مربوبون يقال
دانه ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه قال يعني ذلك القائل هل انتم مطلعون الى النار
لاريكم ذلك القرين وقيل ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل النار وقيل القائل هو الله عز وجل
وقيل بعض الملائكة يقول لاهل الجنة هل تحبون ان تطلعوا فتعلموا اين منزلتكم من منزلة اهل النار
وقرئ مطلعون فاطلع وقرئ فاطلع بالتشديد على لفظ الماضي والمضارع المنصوب ومطلعون فاطلع
وفاطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع واطلع بمعنى
واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا ايضا او عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه فاطلع
هو بعد ذلك وان جعلت الاطلاع من اطلعه غيره فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم وهو من
اداب المجالسة ان لا يستبد بشيء دون جلسائه فكانهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة
وقرئ مطلعون بكسر النون اراد مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون
الخير والامرونه او شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتاخ بينهما كانه قال تطلعون وهو ضعيف
لا يقع الا في الشعر في سواء الجحيم في وسطها يقال تعبت حتى انقطع سوائي وعن ابي عبيدة قال لي عيسى
بن عمر كنت اكتب يا ابا عبيدة حتى ينقطع سوائي ان مخففة من الثقيلة وهي تدخل على كان كما تدخل على
كاد ونحوه ان كاد ليضلنا واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والارداء الاهلاك وفي قراءة عبد الله
لتغوين ولولا نعمة ربي هي العصمة والتوفيق في الاستمساك بعروة الاسلام والبراءة من قرين السوء
او انعام الله بالثواب وكونه من اهل الجنة من المحضرين من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت
وامثالك الذي عطفت عليه الفاء محذوف معناه انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين
وقرئ بمائتين والمعنى ان هذه حال المؤمنين وصفتهم وما قضاه الله لهم للعلم بانها لهم الابد وانهم
الا الموتة الاولى خلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لبعض الحكماء ما شر من
الموت قال الذي يتمنى فيه الموت يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله واغتباطا بحاله وبمسمع من قرينه
ليكون توبيخا لهم يزيد به تعذيبا وليحكيه الله فيكون لنا لطفا وزاجرا ويجوز ان يكون قولهم
جميعا وكذلك قوله ان هذا لهو الفوز العظيم اي ان هذا الامر الذي نحن فيه وقيل هو من قول الله تقريرا
لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة ثم قرر قصة المؤمن وقرينه
ثم رجع الى ذكر الرزق المعلوم فقال اذلك الرزق خير نزلا ام شجرة الزقوم واصل
النزل الفضل والريع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم

المثنه والسرور وحاصل ثمرة الزقوم الالم والغم. واستطاب نزلا على التمييز ولك ان تجعله حالا كما
تقول أثمر النخلة خير بلحا او رطبا يعني ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار
نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير في كونه نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق ومنه انزال
الجند لانه ... كما يقال لما يقام لساكن الدار السكنى. ومعنى الاول ان للرزق المعلوم نزلا
ولشجرة الزقوم نزلا فايهما خير نزلا. ومعلوم انه لا خير في شجرة الزقوم ولكن المومنين لما اختاروا
ما ادى الى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما ادى الى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء
اختيارهم. فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الاخرة. او ابتلاء لهم في الدنيا وذلك انهم قالوا كيف يكون
في النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا وفي نابتة في اصل الجحيم قيل منبتها في قعر جهنم واغصانها
ترتفع الى دركاتها والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية
او معنوية. وشبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان
مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم انه شر محض لا يخلطه خير فيقولون في القبيح الصورة
كانه وجه شيطان كانه رأس شيطان واذا صوره المصورون جاؤا بصورته على اقبح ما يقدر
واهوله كما انهم اعتقدوا في الملك انه خير محض لا شر فيه فشبهوا به الصورة الحسنة قال الله تعالى
ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وهذا تشبيه تخييلي وقيل الشيطان حية عرفا قبيحة المنظر
هائلة جدا وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤوس
الشياطين وما سمت العرب هذا الثمر برؤوس الشياطين الا قصدا الى احد التشبيهين ولكنه
بعد التسمية بذلك رجع اصلا ثالثا يشبه به. منها من الشجرة اي من طلعها فمالئون منها البطون
لما يغلبهم من الجوع الشديد ويقسرون على اكلها وان كرهوها ليكون بابا من العذاب فاذا
شبعوا غلبهم العطش فيسقون شرابا من غساق او صديد. شوبا اي مزاجا من حميم يشوي
وجوههم ويقطع امعاءهم كما قال في صفة شراب اهل الجنة ومزاجه من تسنيم وفي لشوبا بالضم
وهو اسم ما يشاب به والاول تسمية بالمصدر. فان قلت ما معنى حرف التراخي في قوله ثم ان لهم عليها
لشوبا وفي قوله ثم ان مرجعهم قلت في الاول وجهان احدهما انهم يملئون البطون من شجر
الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون الا بعد ملي تعذيبا بذلك العطش ثم يسقون
ما هو احرق وهو الشراب المشوب بالحميم. والثاني انه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم
ذكر الشراب بما هو اكره وابشع فجاء بثم للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام ومباينة
صفته لصفته في الزيادة عليه. ومعنى الثاني انهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم
في الجحيم وهي الدركات التي اسكنوها الى شجرة الزقوم فياكلون الى ان يتملأوا ويسقون بعد ذلك
ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخي في ذلك بين. وفي قراءة ثم ان منقلبهم ثم ان مصيرهم ثم ان
منقلبهم لالى الجحيم علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد كلها بتقليد الاباء في الدين واتباعهم
اياهم على الضلال وترك اتباع الدليل والاهراع الاسراع الشديد كانهم يحثون حثا وقيل
اسراع فيه شبه بالرعدة. ولقد ضل قبلهم قبل قومك قريش. منذرين انبياء حذروهم العواقب
المنذرين الذين انذروا وحذروا اي اهلكوا جميعا. الا عباد الله الذين امنوا منهم واخلصوا
لله دينهم او اخلصهم الله لدينه على القراءتين. لما ذكر ارسال المنذرين في الامم الخالية وسوء
عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح ودعائه اياه حين ايس من قومه واللام الداخلة على
نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف وتقديره فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع
دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا اجبناه احسن الاجابة واوصلها الى مراده وبغيته من
نصرته على اعدائه والانتقام منهم بابلغ ما يكون. هم الباقين هم الذين بقوا وحدهم وقد فني
غيرهم فقد روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير ولده. اوهم الذين بقوا متناسلين
الى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وكان لنوح ثلاثة اولاد سام وحام ويافث
فسام ابو العرب وفارس والروم. وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب. ويافث ابو الترك
ويأجوج ومأجوج. وتركنا عليه في الاخرين من الامم هذه الكلمة وهي سلام على نوح يعني يسلمون عليه
تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك قرات سورة انزلناها. فان قلت فما معنى قوله في
العالمين قلت معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا وان لا يخلو احد منهم منها كانه
قيل ثبت الله التسليم على نوح وادامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن اخرهم. علل مجازاة

نوح عليه السلام بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه الى اخر الدهر بانه كان محسنا ثم
علل كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات
المدح والتعظيم ويرغبك في تحصيله والازدياد منه. من شيعته ممن شايعه على اصول الدين وان
اختلفت شرائعهما او شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين ويجوز ان يكون بين
شريعتيهما اتفاق في اكثر الاشياء. وعن ابن عباس من اهل دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وابرهيم
الا نبيان هود وصالح وكان بين نوح وابرهيم الفان وستمائة واربعون سنة. فان قلت بم تعلق
الظرف قلت بما في الشيعة من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين
جاء ربه بقلب سليم لابرهيم. او بمحذوف وهو اذكر. بقلب سليم من جميع افات القلوب. وقيل من الشرك
ولا معنى للتخصيص لانه مطلق فليس بعض الافات اولى من بعض فيتناولها كلها. فان قلت
ما معنى المجيء بقلبه ربه قلت معناه انه اخلص لله قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجيء مثلا
لذلك. افكا مفعول له تقديره اتريدون الهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول على الفعل
للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على افك وباطل
في شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به يعني اتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله الهة من دون الله
على انها افك في نفسها ويجوز ان يكون حالا بمعنى اتريدون الهة من دون الله افكين. فما ظنكم برب العالمين
هو الحقيق بالعبادة لان من كان ربا للعالمين استحق عليهم ان يعبدوه حتى تركتم عبادته الى عبادة
الاصنام. والمعنى انه لا يقدر في وهم ولا ظن ما يصد عن عبادته. او فما ظنكم به اي شيء هو من الاشياء
حتى جعلتم الاصنام له اندادا. او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره. في النجوم
في علم النجوم او في كتابها او في احكامها. وعن بعض الملوك انه سئل عن مشتهاه فقال حبيب انظر اليه
ومحتاج انظر له وكتاب انظر فيه. كان القوم نجامين فاوهمهم انه استدل بامارة في علم النجوم على انه
يسقم. فقال اني سقيم اي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى
ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه في بيت الاصنام ليس معه احد ففعل بالاصنام ما فعل.
فان قلت كيف جاز له ان يكذب قلت قد جوز بعض الناس الكذب في المكيدة في الحرب والتقية وارضاء الزوج والصلح
بين المتخاصمين والمتهاجرين. والصحيح ان الكذب حرام الا اذا عرض وورى. والذي قاله ابرهيم عليه السلام
معراض من الكلام. ولقد نوى به ان من في عنقه الموت سقيم. ومنه المثل كفى بالسلامة داء. وقول لبيد
فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء. وقد مات رجل فجاءة فالتف عليه الناس
وقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي اصحيح من الموت في عنقه. وقيل اراد اني سقيم لكفركم. فراغ الى الهتهم
فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب الى الهتهم الى اصنامهم التي يزعمون انها الهة كقوله اين شركاي. الا تاكلون
ما لكم لا تنطقون استهزاء بهم او بحطاطها عن حال عبدتها. فراغ عليهم فاقبل عليهم مستخفيا كانه قال فضربهم
ضربا لان راغ عليهم في معنى ضربهم او فضربهم فراغ عليهم يضربهم ضربا او فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا. وقرئ
صفقا وسفقا ومعناهما الضرب. ومعنى ضربا باليمين ضربا شديدا قويا لان اليمين اقوى الجارحتين
واشدهما. وقيل بالقوة والمتانة. وقيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم. يزفون يسرعون
من زفيف النعام ويزفون من ازفه اذا دخل في الزفيف او من ازفه اذا حمله على الزفيف اي يزف
بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول اي يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه
اذا حداه كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه. فان قلت بين هذا وبين قوله قالوا من فعل هذا بالهتنا
انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم كالتناقض حيث ذكر هاهنا انهم ادبروا عنه
خيفة العدوى فلما ابصروه يكسرها اقبلوا اليه متبادرين ليكفوه وليوقعوا به وذكر ثم انهم سالوا
عن الكاسر حتى قيل لهم سمعنا ابرهيم يذمهم فلعله هو الكاسر ففي احدهما انهم شاهدوه يكسرها
وفي الاخر استدلوا بذمه على انه الكاسر. قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الذين ابصروه
وزفوا اليه نفرا منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع الجمهور والعلية من عيدهم الى بيت
الاصنام لياكلوا الطعام الذي وضعوه عندها للبركة عليها وراوها مكسورة اشمازوا من ذلك وسالوا
من فعل هذا بها ثم لم ينم عليه اولئك النفر نميمة صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض بقولهم سمعنا
فتى يذكرهم لبعض الصوارف. والثاني ان يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك احد ويكون اقبالهم
اليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم وسؤالهم عن الكاسر وقولهم فاتوا به على اعين الناس
والله خلقكم وما تعملون يعني خلقكم وخلق ما تعملونه من الاصنام كقوله بل ربكم رب السموات والارض
الذي فطرهن اي فطر الاصنام. فان قلت كيف يكون الشيء الواحد مخلوقا لله معمولا لهم حيث اوقع خلقه

وعملهم عليها جميعا قلت هذا لا يقال عمل النجار الباب والكرسي وعمل الصائغ السوار والخلخال
والمراد عمل أشكال هذه الأشياء وصورها دون جواهرها والأصنام جواهر وأشكال
فخالق جواهرها الله وعاملو أشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم بعض أجزائها حتى يستوي
الشكل الذي يريدونه فإن قلت فما أنكرت أن تكون ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله
خلقكم وعملكم كما تقول المجبرة قلت أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل
والكتاب أن معنى الآية يأباه إباء جليا وينبو عنه نبوا ظاهرا وذلك أن الله عز وجل قد احتج
عليهم بأن العابد والمعبود جميعا خلق الله فكيف يعبد المخلوق المخلوق على أن العابد منهما
هو الذي عمل صورة المعبود وشكله ولولاه لما قدر أن يصور نفسه ويشكلها ولو قلت والله
خلقكم وخلق عملكم لم تكن محتجا عليهم ولا كان لكلامك طباق وشيء آخر وهو أن قوله وما تعملون
ترجمة عن قوله ما تنحتون وما في ما تنحتون موصولة لا مقال فيها فلا يعدل بها عن أختها
إلا متعسف متعصب لمذهبه من غير نظر في علم البيان ولا تبصر لنظم القرآن فإن قلت
اجعلها موصولة حتى لا يلزمني ما ألزمت وأريد وما تعملونه من أعمالكم قلت بل الإلزامان
في عنقك لا يفكهما إلا الإذعان للحق وذلك أنك وإن جعلتها موصولة فإنك في إرادتك بها
العمل غير محتج على المشركين كحالك وقد جعلتها مصدرية وأيضا فإنك قاطع بذلك الوصلة
بين ما تعملون وما تنحتون حيث تخالف بين المرادين بهما فتريد بما تنحتون الأعيان التي هي
الأصنام وبما تعملون المعاني التي هي الأعمال وفي ذلك فك النظم وتبتيره كما إذا جعلتها مصدرية
الجحيم النار الشديدة الوقود وقيل كل نار على نار وجمر فوق جمر فهي جحيم والمعنى أن الله تعالى
غلبه عليهم في المقامين جميعا وأذلهم بين يديه أرادوا أن يغلبوه بالحجة فلقنه الله وألهمه
ما ألقمهم به الحجر وقهرهم فمالوا إلى المكر فأبطل الله مكرهم وجعلهم الأذلين الأسفلين لم يقدروا
عليه أراد بذهابه إلى ربه مهاجرته إلى حيث أمره بالمهاجرة إليه من أرض الشام كما قال
إني مهاجر إلى ربي سيهدين سيرشدني إلى ما فيه صلاحي في ديني ويعصمني ويوفقني كما قال موسى عليه السلام
كلا إن معي ربي سيهدين كأن الله وعده وقال له سأهديك فأجرى كلامه على سنن موعد ربه
أو بناه على عادة الله معه في هدايته وإرشاده وأظهر بذلك توكله وتفويضه أمره إلى الله
ولو قصد الرجاء والطمع لقال كما قال موسى عسى ربي أن يهديني سواء السبيل هب لي من الصالحين هب لي
بعض الصالحين يريد الولد لأن لفظ الهبة غلب على الولد وإن كان قد جاء في الأخ في قوله تعالى
ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا وقال ووهبنا له اسحق ويعقوب ووهبنا له يحيى وقال
علي بن أبي طالب لابن عباس رضي الله عنهم حين هنأه بولده علي أبي الأملاك شكرت الواهب وبورك لك في
الموهوب ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وبموهوب ووهب وموهب وقد انطوت البشارة
على ثلاث على أن الولد غلام ذكر وأنه يبلغ أوان الحلم وأنه يكون حليما وأي حلم أعظم من حلمه
حين عرض عليه أبوه الذبح فقال ستجدني إن شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك وقيل ما نعت الله
الأنبياء عليهم السلام بأقل مما نعتهم بالحلم وذلك لعزة وجوده ولقد نعت الله به ابرهيم في قوله إن
ابرهيم لأواه حليم إن ابراهيم لحليم أواه منيب لأن الحادثة شهدت بحلمهما جميعا فلما بلغ
أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه فإن قلت معه بم يتعلق قلت لا يخلو إما أن يتعلق
ببلغ أو بالسعي أو بمحذوف فلا يصح تعلقه ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي لأن
صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقي أن يكون بيانا كأنه لما قال فلما بلغ السعي أي الحد الذي يقدر
فيه على السعي قيل مع من فقال مع أبيه والمعنى في اختصاص الأب أنه أرفق الناس به
وأعطفهم عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله لأنه لم تستحكم قوته ولم يصلب
عوده وكان إذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة والمراد أنه على غضاضة سنه وتقلبه في حد
الطفولية كان فيه من رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسره على احتمال تلك البلية العظيمة
والإجابة بذلك الجواب الحكيم أتي في المنام فقيل له اذبح ابنك ورؤيا الأنبياء وحي كالوحي
في اليقظة فلهذا قال إني أرى في المنام أني أذبحك فذكر تأويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد رأى أنه راكب
في سفينة رأيت في المنام أني ناج من هذه المحنة وقيل رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول
له إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى في ذلك من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا
الحلم أم من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله
فمن ثم سمي يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر

وقيل إن الملكة حين بشرته بغلام حليم قال هو إذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل
له أوف بنذرك فانظر ماذا ترى من الرأي على وجه المشاورة وقرئ ماذا تري أي ماذا تبصرني
من رأيك وتبديه وماذا ترى على البناء للمفعول أي ماذا تريك نفسك من الرأي افعل ما تؤمر
أي ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به أو أمرك على
إضافة المصدر إلى المفعول وتسمية المأمور به أمرا وقرئ ما تؤمر به فإن قلت لم شاوره في أمر
هو حتم من الله قلت لم يشاوره ليرجع إلى رأيه ومشورته ولكن
ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله فيثبت قدمه ويصبره إن جزع ويأمن عليه الزلل إن صبر
وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب
المثوبة بالانقياد لأمر الله قبل نزوله لأن المفاجأة بالذبح مما يستسمج ولتكون سنة
في المشاورة فقد قيل لو شاور آدم صلوات الله عليه في أكله من الشجرة لما فرط منه ذلك فإن قلت لم كان
ذلك بالمنام دون اليقظة قلت كما أري يوسف عليه السلام سجود أبويه وإخوته له في المنام من غير
وحي إلى أبيه وكما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول المسجد الحرام في المنام وما سوى ذلك من منامات الأنبياء
وذلك لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدقين لأن الحال إما حال يقظة أو حال منام فإذا
تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك أقوى للدلالة من انفراد أحدهما يقال سلم لأمر الله
وأسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا إذا انقاد له وخضع وأصلها من قولك سلم هذا لفلان إذا
خلص له ومعناه سلم من أن ينازع فيه وقولهم سلم لأمر الله وأسلم له منقولان منه بالهمزة وحقيقة
معناهما أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله وعن
قتادة في أسلما أسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع أحد جنبيه على
الأرض تواضعا على مباشرة الأمر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان وروي أن ذلك
المكان عند الصخرة التي بمنى وعن الحسن في الموضع المشرف على مسجد منى وعن الضحاك في المنحر الذي
ينحر فيه اليوم فإن قلت أين جواب لما قلت هو محذوف تقديره فلما أسلما وتله للجبين وناديناه
أن يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما
وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه
بتوطين الأنفس عليه من الثواب والأعواض ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب وقوله
إنا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتخويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد اليأس
البلاء المبين الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة البينة الصعوبة
التي لا محنة أصعب منها بذبح اسم لما يذبح وعن ابن عباس هو الكبش الذي قربه هابيل
فتقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدي به إسمعيل وعن الحسن فدي بوعل أهبط عليه من ثبير
وعن ابن عباس لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس أبناءهم عظيم ضخم الجثة
سمين وهي السنة في الأضاحي وقوله عليه السلام استشرفوا ضحاياكم فإنها على الصراط مطاياكم وقيل
لأنه وقع فداء عن ولد ابرهيم وروي أنه هرب من ابرهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى
أخذه فبقيت سنة في الرمي وروي أنه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده
وروي أنه لما ذبحه قال جبريل عليه السلام الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا إله إلا الله والله أكبر
فقال ابرهيم الله أكبر ولله الحمد فبقي سنة وحكي في قصة الذبيح أنه حين أراد ذبحه قال يا بني
خذ الحبل والمدية وانطلق بنا إلى الشعب نحتطب فلما توسطا شعب ثبير أخبره بما أمر الله فقال له
اشدد رباطي لا أضطرب واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي فينتقص أجري وتراه
أمي فتحزن واشحذ شفرتك وأسرع إمرارها على حلقي حتى تجهز علي ليكون أهون فإن الموت شديد
واقرأ على أمي سلامي وإن رأيت أن ترد قميصي على أمي فافعل فإنه عسى أن يكون أسهل لها فقال ابرهيم
نعم العون أنت يا بني على أمر الله ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين
على حلقه فلم تعمل لأن الله ضرب صفيحة نحاس على حلقه فقال له كبني على وجهي فإنك إذا نظرت
في وجهي رحمتني وأدركتك رأفة تحول بينك وبين أمر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت
السكين ونودي يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا فنظر فإذا جبريل معه كبش أقرن أملح فكبر جبريل والكبش
وابرهيم وابنه وأتى المنحر من منى فذبحه وقيل لما وصل موضع السجود منه إلى الأرض جاء الفرج

وقد استشهد ابو حنيفة رحمه الله بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة فان قلت من كان الذبيح من ولديه قلت اختلف فيه فعن ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من التابعين انه اسمعيل والحجة فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين وقال له اعرابي يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهل له امرها ليذبحن احد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا له افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثاني اسمعيل وعن محمد بن كعب القرظي قال كان مجتهد بني اسرائيل يقول اذا دعا اللهم اله ابرهيم واسمعيل واسرائيل وانا بين ظهرهم فقد استخصني كلا مكني واصطفيتني برسالتك قال يا موسى لم يحبني احد حب ابرهيم قط ولا خير بيني وبين شيء قط الا اختارني واما اسمعيل فانه جاد بدم نفسه واما اسرائيل فانه لم ييأس من روحي في شدة نزلت به قط ويدل عليه ان الله لما اتم قصة الذبيح قال وبشرناه باسحق وعن محمد بن كعب انه قال لعمر بن عبد العزيز هو اسمعيل فقال لعمر ان هذا شيء ما كنت انظر فيه واني لاراه كما قلت ثم ارسل الى يهودي قد اسلم فسأله فقال ان اليهود لتعلم انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ويدل عليه ان قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في ايدي بني اسمعيل الى ان احترق البيت وعن الاصمعي قال سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصيمع اين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة ومما يدل عليه ان الله عز وجل وصفه بالصبر دون اسحق في قوله واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به ولان الله بشره باسحق وولده يعقوب وعن علي بن ابي طالب وابن مسعود وعطا وعكرمة وجماعة من التابعين انه اسحق والحجة فيه ان الله تعالى اخبر عن خليله ابرهيم حين هاجر الى الشام بانه استوهبه ولدا ثم اتبع ذلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله فان قلت قد اوحى الى ابرهيم صلوات الله عليه في المنام بالذبح ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح قلت قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابرهيم الا ترى انه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج وانهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل ولا قبل اوان الفعل في شيء كما يسبق الى بعض الاوهام حتى يشتغل بالكلام فيه فان قلت الله تعالى هو المفتدي منه لانه الآمر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه قلت الفادي هو ابرهيم عليه السلام والله عز وجل وهب له الكبش ليفتدي به وانما قال وفديناه اسنادا للفداء الى السبب الذي هو الممكن من الفداء بهبته فان قلت فاذا كان ما اتى به ابرهيم من البطح وامرار الشفرة في حكم الذبح فما معنى الفداء والفدى انما هو التخلص من الذبح ببدل قلت قد علم الله ان حقيقة الذبح لم تحصل من فري الاوداج وانهار الدم فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة من نفس اسمعيل ولكن في نفس الكبش بدلا منه فان قلت فاي فائدة في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغنى عنها بقيام ما وجد من ابرهيم مقام الذبح من غير نقصان قلت الفائدة في ذلك ان يوجد ما منع منه في بدله حتى يكمل منه الوفا بالمنذور وايجاد المأمور به من كل وجه فان قلت لم قيل ههنا كذلك نجزي المحسنين وفي غيرها من القصص انا كذلك قلت قد سبقه في هذه القصة انا كذلك فكأنما استخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانيا نبيا حال مقدرة كقوله تعالى ادخلوها خالدين فان قلت فرق بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين وذلك ان المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به اوجب عدم حاله لا محالة لان الحال حلية والحلية لا تقوم الا بالمحلى وهذا المبشر به الذي هو اسحق حين وجد لم توجد النبوة ايضا بوجوده بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف تجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة الفاعل او المفعول عند وجود الفعل منه او به فالخلود وان لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فانه

لا سبيل الى ان تكون موجودة مقدرة وقت وجود البشارة باسحق لعدم اسحق قلت هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك والذي يحل الاشكال انه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قوله وبشرناه بوجود اسحق نبيا اي بان يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله فادخلوها خالدين من الصالحين حال ثانية وورودها على سبيل الثناء والتقريظ لان كل نبي لا بد ان يكون من الصالحين وعن قتادة بشره الله بنبوة اسحق بعد ما امتحنه بذبحه وهذا جواب من يقول الذبيح اسحق لصاحبه عن تعلقه بقوله وبشرناه باسحق قالوا ولا يجوز ان يبشره الله بمولده ونبوته معا لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بانه سيكون نبيا وباركنا عليه وعلى اسحق وقرئ وبركنا اي افضنا عليهما بركات الدين والدنيا كقوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين وقيل باركنا على ابرهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا انبياء بني اسرائيل من صلبه وقوله وظالم لنفسه نظيره قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين وفيه تنبيه على ان الخبيث والطيب لا يجري امرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم امر الطبايع والعناصر وعلى ان الظلم في اعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاتب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من اصله او فرعه من الكرب العظيم من الغرق او من سلطان فرعون وقومه وغشمهم ونصرناهم الضمير لهما ولقومهما في قوله ونجيناهما وقومهما الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التوراة كما قال انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور وقال موجودان تكون التوراة عربية ان تشتق من ورى الزند وعلة منه على ان التاء مبدلة من واو الصراط المستقيم صراط اهل الاسلام وهو صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قرئ الياس بكسر الهمزة والياس على لفظ الوصل وقيل هو ادريس النبي وقرأ ابن مسعود وان ادريس في موضع الياس وقرئ ادراس وقيل هو الياس بن ياسين من ولد هرون اخي موسى اتدعون بعلا اتعبدون بعلا وهو علم لصنم كان لهم كمناة وهبل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياءه فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم اهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار اي من ربها والمعنى اتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله ربكم ورب آبائكم الاولين قرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب على البدل وكان حمزة اذا وصل نصب واذا وقف رفع وقرئ على الياسين وادريسين وادراسين على انها لغات في الياس وادريس ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية معنى وقرئ على الياسين بالوصل على انه جمع يراد به الياس وقومه كقولهم الخبيبون والمهلبون فان قلت فهلا حملت على هذا الياسين على القطع واخوانه قلت لو كان جمعا لعرف بالالف واللام واما من قرأ على آل ياسين فعلى ان ياسين اسم ابي الياس اضيف اليه الآل مصبحين داخلين في الصباح يعني تمرون على منازلهم في متاجركم الى الشام ليلا ونهارا فما فيكم عقول تعتبرون بها قرئ يونس بضم النون وكسرها وسمي هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا على طريقة المجاز والمساهمة المقارعة ويقال استهم القوم اذا اقترعوا والمدحض المغلوب المقروع وحقيقته المزلق عن مقام الظفر والغلبة روي انه حين ركب في السفينة وقفت فقالوا ههنا عبد ابق من سيده وفيما يزعم البحارون ان السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال انا الآبق وزج بنفسه في الماء فالتقمه الحوت وهو مليم داخل في الملامة يقال رب لائم مليم اي يلوم غيره وهو احق منه باللوم وقرئ مليم بفتح الميم من ليم فهو مليم كما جاء مشيب في مشوب مبنيا على شيب ونحوه مدعي على دعي من المسبحين من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس وقيل هو قوله في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين وعن ابن عباس كل تسبيح في القرآن فهو صلاة وعن قتادة كان كثير الصلوة في الرخاء قال وكان يقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر واذا صرع وجد متكأ وهذا ترغيب من الله عز وجل في اكثار المؤمن من ذكره بما هو اهله واقباله على عبادته وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده في المضايق والشدائد للبث في بطنه الظاهر لبثه فيه حيا الى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيمة وروي انه حين ابتلعه اوحى الله الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما واختلف في مقدار لبثه فعن الكلبي اربعون يوما وعن الضحاك عشرون وعن عطا سبعة وعن بعضهم ثلاثة وعن الحسن لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه وروي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فاسلموا وروي ان الحوت قذفه بساحل قرية من قرى الموصل والعراء المكان الخالي لا شجر فيه

ولا تغطيه ‹وهو سقيم› اعتل مما حل به وروي انه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد والیقطين كل ما ينسدح على وجه الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا قام به وقيل هو الدبا وفائدة الدبا ان الذباب لا تجتمع عنده وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل هي التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقها واستظل باغصانها وافطر على ثمارها وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها وروي انه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا فاوحى الله اليه بكيت على شجرة ولا تبكي على مائة الف في يد الكافر فان قلت ما معنى ‹وانبتنا عليه شجرة› قلت انبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الانسان ‹وارسلناه الى مائة الف› المراد به ما سبق من ارساله الى قومه وهم اهل نينوى وقيل هو ارسال ثان بعد ما جرى عليه الى الاولين او الى غيرهم وقيل اسلموا فسالوه ان يرجع اليهم فابى لان النبي اذا هاجر عن قومه لم يرجع اليهم مقيما فيهم وقال لهم ان الله باعث اليكم نبيا ‹او يزيدون› في مرأى الناظر اذا راها الرائي قال هي مائة الف او اكثر والغرض الوصف بالكثرة ‹الى حين› الى اجل مسمى وقرئ ويزيدون بالواو وحتى حين ‹فاستفتهم› معطوف على مثله في اول السورة وان تباعدت بينهما المسافة امر رسوله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث اولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم امره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التي قسموها حيث جعلوا لله الاناث ولانفسهم الذكور في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووادهم واستنكافهم من ذكرهن ولقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة انواع من الكفر احدها التجسيم لان الولادة مختصة بالاجسام والثاني تفضيل انفسهم على ربهم حين جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم كما قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم او من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين والثالث انهم استهانوا باكرم خلق الله عليه واقربهم اليه حيث انثوهم ولو قيل لاقلهم وادناهم فيك انوثة او شكلك شكل النساء للبس لقائله جلد النمر ولانقلبت حماليقه وذلك في اهاجيهم بيّن مكشوف فكرر الله سبحانه الانواع كلها في كتابه مرات ودل على فظاعتها في ايات وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بديع السموات والارض انى يكون له ولد الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له من عباده جزءا ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ام له البنات ولكم البنون ويجعلون لله ما يكرهون اصطفى البنات على البنين ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ‹ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون› فان قلت لم قال وهم شاهدون فخص علم المشاهدة قلت ما هو الا استهزاء بهم وتجهيل وكذلك قوله اشهدوا خلقهم ونحوه ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وذلك انهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر ويجوز ان يكون المعنى انهم يقولون ذلك كالقائل قولا عن ثلج صدر وطمانينة نفس لافراط جهلهم كانهم قد شاهدوا خلقهم وقرئ ‹ولد الله› اي الملائكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث تقول هذه ولدي وهؤلاء ولدي فان قلت ‹اصطفى البنات› بفتح الهمزة استفهام على طريق الانكار والاستبعاد فكيف صحت قراءة ابي جعفر بكسر الهمزة على الاثبات قلت جعله من كلام الكفرة بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرا بها حمزة والاعمش وهذه القراءة وان كان هذا محملها فهي ضعيفة والذي اضعفها ان الانكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله وانهم لكاذبون ‹ما لكم كيف تحكمون› فمن جعلها للاثبات فقد اوقعها دخيلة بين نسيبين وقرئ ‹تذكرون› من ذكر ‹ام لكم سلطان› اي حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بان الملائكة بنات الله ‹فاتوا بكتابكم› الذي انزل عليكم في ذلك كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وهذه الايات صادرة عن سخط الله عظيم وانكار فظيع واستبعاد لاقاويلهم شديد وما الاساليب التي وردت عليها الا ناطقة بتسفيه احلام قريش وتجهيل نفوسها واستركاك عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجيب من ان يخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفسا فضلا ان يجعله معتقدا ويتظاهر به مذهبا ‹وجعلوا› بين الله وبين الجنة وارادوا الملائكة ‹نسبا› وهو زعمهم انهم بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم واثبتوا له بذلك جنسية جامعة له وللملائكة فان قلت لم سمى الملائكة جنة قلت قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم

ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم وانما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وان كانوا معظمين في انفسهم ان يبلغوا منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم وفيه اشارة الى ان من صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الاجرام لا يصلح ان يناسب من لا يجوز عليه ذلك ومثاله ان تسوي بين الملك وبين بعض خواصه ومقربيه فيقول لك اتسوي بيني وبين عبدي واذا ذكره في غير هذا المقام وقره وكناه ‹والضمير في انهم لمحضرون› للكفرة والمعنى انهم يقولون ما يقولون في الملائكة وقد علم الملائكة انهم كاذبون فيه وانهم محضرون النار معذبون بما يقولون والمراد المبالغة في التكذيب حيث اضيف الى علم الذين ادعوا لهم تلك النسبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا ان الله والشيطان اخوان وعن الحسن اشركوا الجن في طاعة الله ويجوز اذا فسر الجنة بالشياطين ان يكون الضمير في انهم لمحضرون لهم والمعنى ان الشياطين عالمون ان الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين له او شركاء في وجوب الطاعة لما عذبهم ‹الا عباد الله المخلصين› استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون ‹سبحان الله› اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز ان يقع الاستثناء من الواو في ‹يصفون› اي يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصين براء من ان يصفوه به والضمير في ‹عليه› لله عز وجل ومعناه فانكم ومعبوديكم ما انتم وهم جميعا ‹بفاتنين› على الله الا اصحاب النار الذين سبق في علمه انهم بسوء اعمالهم يستوجبون ان يصلوها فان قلت كيف يفتنونهم على الله قلت معناه يفسدونهم عليه باغوائهم واستهوائهم من قولك فتن فلان على فلان امراته كما تقول افسدها عليه وخببها عليه ويجوز ان تكون الواو في وما تعبدون بمعنى مع مثلها في قولهم كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته وان كل رجل وضيعته جاز ان يسكت على قوله فانكم وما تعبدون لان قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر لان معناه فانكم مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع الهتكم اي فانكم قرناؤهم واصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم قال ما انتم عليه اي على ما تعبدون بفاتنين بباعثين او حاملين على طريق الفتنة والاضلال ‹الا من هو صال› الجحيم مثلكم او يكون في اسلوب قوله فانك والكتاب الى علي كدابغة وقد حلم الاديم وقرئ الحسن صال بضم اللام وفيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين هي ولام التعريف فان قلت كيف استقام الجمع مع قوله من هو قلت من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه كما حمل في مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه في اية واحدة والثاني ان يكون اصله صائل على القلب ثم يقال صال في صائل كقولهم شاك في شائك والثالث ان تحذف لام صال تخفيفا ويجري الاعراب على عينه كما حذف من قولهم ما باليت به بالة واصلها بالية من بالى كعافية من عافى ونظيره قراءة من قرا وجنى الجنتين دان وله الجوار المنشات باجراء الاعراب على العين ‹وما منا الا له مقام معلوم› حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا بكفي كان من ارمى البشر مقام معلوم في العبادة والانتهاء الى امر الله مقصور عليه لا يتجاوزه كما روي فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع راسه ‹لنحن الصافون› نصف اقدامنا في الصلاة او اجنحتنا في الهوى منتظرين ما نؤمر وقيل نصف اجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين وقيل ان المسلمين انما اصطفوا في الصلاة منذ نزلت هذه الاية وليس يصطف احد من اهل الملل في صلاتهم غير المسلمين ‹المسبحون› المنزهون او المصلون والوجه ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله ولقد علمت الجنة كانه قيل ولقد علمت الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرؤهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم والهتكم لا تقدرون ان تفتنوا على الله احدا من خلقه وتضلوه الا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم لا لتقديره وارادته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا من اهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة ونجمعنا واياه جنسية واحدة وما نحن الا عبيد اذلاء بين يديه لكل منا مقام معلوم من الطاعة لا يستطيع ان يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته وتواضعا لجلاله ونحن الصافون اقدامنا لعبادته واجنحتنا مذعنين خاضعين مسبحين ممجدين وكما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني وما من المسلمين احد الا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا

ثم ذكر اعمالهم وانهم الذين يصطفون فى الصلوة ويسبحون الله وينزهونه مما يضيف اليه من
لا يعرفه مما لا يجوز عليه هم مشركوا قريش كانوا يقولون لو ان عندنا ذكرا اى كتابا من
كتب الاولين الذين نزل عليهم التورية والانجيل لاخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما
كذبوا ولا خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذى هو سيد الاذكار والكتاب الذى هو
معجز من بين الكتب فكفروا به ونحوه فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فسوف يعلمون
عاقبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة
وفى ذلك انهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين اول امرهم وآخره ولقد سبقت كلمتنا
١٥ الكلمة قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وانما سماها كلمة وهى كلمات عدة لانها لما انتظمت
فى معنى واحد كانت فى حكم كلمة مفردة وقرئ كلماتنا والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم
فى مقاوم الحجاج وملاحم القتال فى الدنيا وعلوهم عليهم فى الآخرة كما قال تعالى والذين اتقوا
فوقهم يوم القيمة ولا يلزم انهزامهم فى بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل فان
الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم فى العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله صلعم والخلفاء الراشدين
مثلا يحتذى عليها وعبرا يعتبر بها وعن الحسن رح ما غلب نبى فى حرب ولا قتل فيها
ولان قاعدة امرهم واساسه والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع فى تضاعيف ذلك
شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس ان لم ينصروا فى الدنيا نصروا
فى الآخرة وفى قراءة ابن مسعود على عبادنا على تضمين سبقت معنى حقت فتول عنهم فاعرض
عنهم واغض على اذاهم حتى حين الى مدة يسيرة وهى مدة الكف عن القتال وعن
السدى الى يوم بدر وقيل الى الموت وقيل الى يوم الفتح وابصرهم وما يقضى عليهم
من الاسر والقتل والعذاب فى الآخرة فسوف يبصرون ذلك وما يقضى لك من النصر والتأييد
والثواب فى العاقبة والمراد بالامر بابصارهم على الحال المنتظرة الموعودة الدلالة
على انها كائنة واقعة لا محالة وان كينونتها قريبة كانها قدام ناظريك وفى ذلك
تسلية وتنفيس عنه وقوله فسوف يبصرون للوعيد كما سلف لا للتبعيد مثل العذاب
النازل بهم بعد ما انذروه فانكروه بجيش انذر بهجومه قومه بعض نصاحهم
فلم يلتفتوا الى انذاره ولا اخذوا اهبتهم ولا دبروا امرهم تدبيرا ينجيهم حتى اناخ
بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم ان يغيروا
صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت فى وقت آخر وما فصحت هذه الآية ولا
كانت لها الروعة التى تحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك الا لمجيئها على طريقة
التمثيل وقرئ ابن مسعود فبئس صباح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور كقولك
ذهب بزيد ونزل على ونزل العذاب والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم واللام فى
المنذرين مبهم فى جنس من انذروا لان ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول
رسول الله صلعم يوم الفتح بمكة وعن انس رض لما اتى رسول الله خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم
ومعهم المساحى قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال عليه السلام الله اكبر خربت خيبر
انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وانما ثنى وتول عنهم ليكون تسلية على تسلية
وتأكيدا لوقوع الميعاد الى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهى اطلاق الفعلين معا عن التقييد
بالمفعول وانه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وانواع المساءة وقيل
يريد باحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة اضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها
كانه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز ان يراد انه
ما من عزة لاحد من الملوك وغيرهم الا وهو ربها ومالكها كقوله تعز من تشاء اشتملت
السورة على ذكر ما قاله المشركون فى الله ونسبوا اليه مما هو منزه عنه وما عاناه
المرسلون من جهتهم وما خولوه فى العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك
من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيض
لهم من حسن العواقب والغرض به تعليم المؤمنين ان يقولوا ذلك ولا
يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد
وعن على رض من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة
فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك الى آخر السورة
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ الصافات اعطى من الاجر عشر حسنات

بعدد كل جنى وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له
حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين

تم الجزء الثالث
من الكشاف بحمد الله ذى الالطاف وولى النعم البادى منها والخافى
ويتلوه الجزء الرابع بكرم الله
وتيسيره وكان الفراغ من تحريره
ظهر يوم الاربعاء ثالث عشر شهر
محرم الحرام من شهور
سنة ١٢٠١

تم ... يوم الاثنين تاسع وعشرين شهر ذى الحجة الحرام سنة ١٢٠٩

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الجزء الرابع من اربعة اجزاء من كتاب الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل

في وجوه التاويل تصنيف الشيخ الامام العلامة الورع الزاهد الهمام سلطان الادب

استاذ العجم والعرب، فريد وقته ووحيد عصره فخر خوارزم

جار الله ابي القسم محمود بن عمر الخوارزمي

الزمخشري قدس الله روحه ونور ضريحه

لدار وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم تسليما كثيرا

الفهرس تاملوحين في الاستفهام تشعبه

استعظام	الاستبطاء	
التسوية مثل ااندرتهم ام لم تنذرهم	الابطال كقوله افاصفاكم ربكم بالبنين	الاستفهام التوبيخي اتعبدون ما تنحتون
استفهام التقرير اضربت زيدا	استفهام التهكم اصلواتك تامرك	استفهام الامر أأسلمتم
استفهام التعجب الم تر الى ربك كيف		

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ اللهم عونك وتيسيرك يا كريم

سورة ص وهي ست وثمانون وقيل ثمان وثمانون آية مكية ٥ والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم صٓ على الوقف وهي اكثر القراء وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء
الساكنين ويجوز ان ينتصب بحذف حرف القسم وايصال الفعل كقولهم الله لافعلن كذا بالنصب او باضمار
حرف القسم والفتح في موضع الجر كقولهم الله لافعلن كذا بالجر وامتناع الصرف للتعريف والتانيث
لانها بمعنى السورة وقد صرفها من قرأ صادٍ بالجر والتنوين على تأويل الكتاب والتنزيل وقيل فيمن كسر
هو من المصاداة وهي المعارضة والمعادلة ومنها الصدى وهو ما يعارض الصوت في الاماكن الخالية من
الاجسام الصلبة ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه فان قلت قوله ص والقرآن
ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كلام ظاهره متنافر غير منتظم فما وجه انتظامه قلت فيه وجهان
احدهما ان يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الاعجاز كما مر في اول
الكتاب ثم اتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كانه قال والقرآن ذي الذكر انه لكلام معجز
والثاني ان يكون صاد خبر مبتدأ محذوف على انها اسم للسورة كانه قال هذه صاد يعني هذه السورة
التي اعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك
اذا اقسم بها كانه قال اقسمت بصاد والقرآن ذي الذكر انه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا في عزة وشقاق
عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق لله ورسوله واذا جعلتها مقسما بها وعطفت عليها والقرآن ذي الذكر جاز لك
ان تريد بالقرآن التنزيل كله وان تريد السورة بعينها ومعناه اقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذي الذكر كما
تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل والذكر الشرف والشهرة من قولك
فلان مذكور وانه لذكر لك ولقومك او الذكرى والموعظة او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من الشرائع وغيرها كاقاصيص الانبياء
والوعد والوعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ في غرة اي في غفلة
عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق كم اهلكنا وعيد لذوي العزة والشقاق فنادوا فدعوا واستغاثوا
وعن الحسن رضي الله عنه فنادوا بالتوبة ولات هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث كما زيدت على رب
وثم للتاكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا احد مقتضييها اما الاسم واما الخبر
وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الاخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء
وخصت بنفي الاحيان وحين مناص منصوب بها كانك قلت ولا حين مناص لهم وعنده ان ما ينتصب بعده بفعل مضمر
اي ولا ارى حين مناص ويرتفع بالابتداء اي ولا حين مناص كائن لهم وعندهما ان النصب على ولات الحين حين
مناص اي وليس الحين حين مناص والرفع على ولات حين مناص حاصلا لهم وقرئ حينِ مناص بالكسر ومثله قول ابي
زبيد الطائي ٥ طلبوا صلحنا ولات اوانٍ ٥ فاجبنا ان لات حين بقاء ٥ فان قلت ما وجه الكسر في اوان قلت
شبه باذ في قوله وانت اذ صحيح ٥ في انه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لان الاصل
ولات اوان صلح فان قلت فما تقول في حين مناص والمضاف اليه قائم قلت نزل قطع المضاف اليه من مناص
لان اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا من الضمير
المحذوف ثم بني الحين لكونه مضافا الى غير متمكن وقرئ ولاتِ بكسر التاء على البناء كجير فان قلت كيف يوقف على لات
قلت يوقف عليها بالتاء كما يوقف على الفعل الذي يتصل به التاء واما الكسائي فيقف عليها بالهاء كما يقف على
الاسماء المؤنثة واما قول ابي عبيد ان التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده بان التاء ملتزقة بحين في
الامام لا متشبث به فكم وقعت في المصحف اشياء خارجة عن قياس الخط والمناص المنجا والفوت يقال
ناصه ينوصه اذا فاته واستناص طلب المناص قال حارثة بن بدر يصف عير الحمار اذا قصرت عنانه
بيده استناص ورام جري المسحل وعجبوا ان جاءهم منذر منهم رسول من انفسهم وقال الكافرون ولم يقل وقالوا اظهارا

للغضب

للغضب عليهم ودلالة على ان هذا القول لا يتجسر عليه الا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي
الذين قال فيهم اولئك هم الكافرون حقا وهل ترى كفرا اعظم وجهلا ابلغ من ان يسموا من صدقه الله
بوحيه كاذبا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الذي لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذي
لا وجه لصحته روي ان اسلام عمر فرح به المؤمنون فرحا شديدا وشق على قريش وبلغ منهم فاجتمع
خمسة وعشرون نفسا من صناديد قريش ومشوا الى ابي طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما
فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في الاسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر ابو طالب
رسول الله صلعم وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسالونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلعم ماذا
تسالونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال صلعم ارايتم ان اعطيتكم ما سالتم امعطي انتم كلمة
واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا اي نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا
لا اله الا الله فقاموا وقالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب اي بليغ في العجب وقرئ
عجّاب بالتشديد كقوله ومكروا مكرا كبارا وهو ابلغ من المخفف ونظيره كريم وكرام وكرّام وقوله اجعل
الالهة الها واحدا مثل قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا في ان معنى الجعل التصيير في القول
على سبيل الدعوى والزعم كانه قال اجعل الجماعة واحدا في قوله لان ذلك في الفعل محال وانطلق الملأ اشراف
قريش يريد وانطلقوا عن مجلس ابي طالب بعدما بكتهم رسول الله صلعم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض امشوا
واصبروا فلا حيلة لكم في دفع امر محمد ان هذا الامر لشيء يراد اي يريده الله ويحكم بامضائه وما اراد الله كونه
فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر او ان هذا الامر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه او ان
دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وان بمعنى اي لان المنطلقين عن مجلس التقاول
لا بد لهم من ان يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم مضمنا معنى القول ويجوز ان يراد
بالانطلاق الاندفاع في القول وانهم قالوا امشوا اي اكثروا واجتمعوا من مشت المراة اذا كثرت ولادها
ومنه الماشية للتفاؤل كما قيل لها الفاشية وقال رسول الله صلعم ضموا فواشيكم ومعنى واصبروا على الهتكم واصبروا
على عبادتها والتمسك بها حتى لا تزالوا عنها وقرئ وانطلق الملأ منهم امشوا بغير ان على اضمار القول وعن ابن مسعود
رضي الله عنه وانطلق الملأ منهم يمشون ان اصبروا في الملة الآخرة في ملة عيسى التي هي آخر الملل لان النصارى
يدعونها وهم مثلثة غير موحدة او في ملة قريش التي ادركنا عليها آباءنا او ما سمعنا بهذا كائنا في الملة الآخرة
على ان يجعل في الملة الآخرة حالا من هذا ولا تعلقه بما سمعنا كما في الوجه الاول والمعنى انا لم نسمع من اهل الكتاب ولا
الكهان انه يحدث في الملة الآخرة توحيد الله تعالى ان هذا الا اختلاق اي افتعال وكذب انكروا ان يختص
بالشرف من بين اشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم وهذا الانكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد على ما اوتي من شرف النبوة
من بينهم بل هم في شك من القرآن يقولون في انفسهم اما واما وقولهم ان هذا الا اختلاق كلام مخالف
لاعتقادهم فيه يقولونه على سبيل الحسد بل لما يذوقوا عذاب بعد فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك
والحسد حينئذ يعني انهم لا يصدقون به الا ان يمسهم العذاب مضطرين الى تصديقه ام عندهم خزائن
رحمة ربك يعني ما هم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا او
يتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد عليه السلام وانما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز
القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله
كما قال اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم ثم رشح هذا المعنى فقال ام لهم ملك السموات والارض
حتى يتكلموا في الامور الربانية والتدابير الالهية التي يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية
التهكم فقال وان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة وكانت عندهم الحكمة التي
يميزون بها بين من هو حقيق بايتاء النبوة دون من لا تحق له فليرتقوا في الاسباب فليصعدوا في المعارج

والطرق التي يتوصلوا بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي الى من يختارون ويصطفون ثم خسّأهم خسأة عن ذلك بقوله **جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب** يريد ما هم الا جند من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام كما في قول امرئ القيس وحديث ما على قصره الا انه على سبيل الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لامر ليس من اهله لست هنالك **ذو الاوتاد** اصله من ثبات البيت المطنب باوتاده قال والبيت لا يبتنى الا على عمد ولا عماد اذا لم ترس اوتاده فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الامر كما قال الاسود في ظل ملك ثابت الاوتاد وقيل كان يشبح المعذب بين اربع سوار كل طرف من اطرافه الى سارية مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه **اولئك الاحزاب** قصد بهذه الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم اولا في الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فاوضحه فيها بان كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا وفي تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية اولا وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص انواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق اشد العذاب وابلغه ثم قال **فحق عقاب** اي فوجب لذلك ان اعاقبهم حق عقابهم **هؤلاء** اهل مكة ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاحزاب لاستحضارهم بالذكر او لانهم كالحضور عند الله **والصيحة** النفخة **ما لها من فواق** وقرئ بالضم ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع يعني اذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما لها من رجوع وترداد من افاق المريض اذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر الى ضرعها يريد انها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد **والقط** القسط من الشيء لانه قطعة منه من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بهما قوله عجل لنا قطنا اي نصيبنا من العذاب الذي وعدته كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وقيل ذكر رسول الله ص وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها او عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها **فان قلت** كيف تطابق قوله **اصبر على ما يقولون** وقوله **واذكر عبدنا داود** حتى عطف احدهما على صاحبه **قلت** كانه قال لنبيه ص اصبر على ما يقولون وعظم امر معصية الله في اعينهم بذكر قصة داود وهو انه نبي من انبياء الله قد اولاه ما اولاه من النبوة والملك لكرامته عليه ثم زل زلة فبعث الله اليه الملائكة ووبخه عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر واناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم وغمه الواصب ونقش جنايته في بطن كفه حتى لا يزال مجددا للندم عليها فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم او قال له ص اصبر على ما يقولون وصن نفسك وحافظ عليها ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذاهم واذكر اخاك داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقي من توبيخ الله وتظليمه ونسبته الى البغي ما لقي **ذا الايد** ذا القوة في الدين المضطلع بمشاقه وتكاليفه كان على نهوضه باعباء النبوة والملك يصوم يوما ويفطر يوما وهو اشد الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان ايد وذو ايد وذو آد وايادٍ كل شيء ما يتقوى به **اواب** تواب رجاع الى مرضاة الله **فان قلت** ما دلك على ان الايد القوة في الدين **قلت** قوله تعالى انه اواب لانه تعليل للايد **والاشراق** ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها تقول شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانئ دخل علينا رسول الله ص فدعا بوضوء

فتوضى ثم صلى صلاة الضحى وقال يا ام هانئ هذه صلوة الاشراق وعن طاوس عن ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلاة الضحى في القرآن قالوا لا فقرأ انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق وقال كانت صلوة يصليها داود عليه السلام وعنه ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الآية وعنه لم يزل في نفسي من صلوة الضحى شيء حتى طلبتها فوجدتها في هذه الآية يسبحن بالعشي والاشراق وكان لا يصلي صلوة الضحى ثم صلاها بعد وعن كعب انه قال لابن عباس رضي الله عنهما اني لاجد في كتب الله عز وجل صلوة بعد طلوع الشمس هي صلوة الاوابين وذلك في كتاب الله تعالى يعني هذه الآية ويحتمل ان يكون من اشرق القوم اذا دخلوا في الشروق ومنه قوله تعالى فاخذتهم الصيحة مشرقين وقول اهل الجاهلية اشرق ثبير ويراد وقت صلوة الفجر لانتهائه بالشروق ويسبحن في معنى مسبحات على الحال **فان قلت** هل من فرق بين يسبحن ومسبحات **قلت** نعم وما اختير يسبحن على مسبحات الا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال وكأن السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح ومثله قول الاعشى الى ضوء نار في يفاع تحرق ولو قال محرقة لم يكن شيئا وقوله **محشورة** في مقابلة يسبحن الا انه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من ارادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء جيء به اسما لا فعلا وذلك انه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على ان الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد شيء والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفا لان حشرها جملة واحدة ادل على القدرة وعن ابن عباس رضي الله عنه كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع **كل له اواب** كل واحد من الجبال والطير لاجل داود اي لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح بتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب وهو التواب الكثير الرجوع الى الله تعالى وطلب مرضاته من عادته ان يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله اي كل من داود والجبال والطير لله اواب اي مسبح مرجع للتسبيح **وشددنا ملكه** قويناه قال الله تعالى سنشد عضدك باخيك وقرئ شددنا على المبالغة قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف مستلئم يحرسونه وقيل الذي شد الله به ملكه وقذف في قلوب قومه الهيبة ان رجلا ادعى عنده على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحي اليه في المنام ان اقتل المدعى عليه فقال هذا منام فاعيد الوحي في اليقظة فاعلم الرجل فقال ان الله لم يأخذني بهذا الذنب ولكن بأني قتلت ابا هذا غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره الله عليه فقتله فهابوه **الحكمة** الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة **الفصل** التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الامير لانهم قالوا كلام ملتبس وفي كلامه لبس والملتبس المختلط فقيل في نقيضه فصل اي مفصول بعضه من بعض فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه ومن فصل الخطاب وملخصه ان لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله فويل للمصلين الا موصولا بما بعده ولا والله يعلم وانتم حتى يصله بقوله لا تعلمون ونحو ذلك وكذلك مظان العطف وتركه والاضمار والاظهار والحذف والتكرار وان شئت كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور وادرت بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والصواب والخطأ وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه هو قوله البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل ويدخل فيه قول بعضهم هو قوله ﷺ اما بعد لانه يفتتح اذا تكلم في الامر الذي له شأن بذكر الله وتحميده فاذا اراد ان يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله اما بعد ويجوز ان يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل ومنه ما جاء في صفة كلام رسول الله ص فصل لا نزر ولا هذر **كان** اهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا اعجبته وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها وقد روينا ان الانصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق ان عين داود عليه السلام وقعت على امرأة رجل

بعا له أوريا فأحبها فسأله النزول له عنها فاستحيى أن يرده ففعل فتزوجها وهي أم سليمان عليه السلام فقيل له إنك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شأنك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلا ليس له إلا امرأة واحدة النزول عنها بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فآثره أهلها فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه وأما ما يذكر أن داود تمنى منزلة آبائه إبراهيم وإسحق ويعقوب فقال يا رب إن آبائي قد ذهبوا بالخير كله فأوحي إليه أنهم ابتلوا ببلايا فصبروا عليها قد ابتلي إبراهيم بنمروذ وذبح ولده وإسحق بذبحه وذهاب بصره ويعقوب بالحزن على يوسف فسأله الابتلاء فأوحي إليه إنك لمبتلى في يوم كذا فاحترس فلما كان ذلك اليوم دخل محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت فامتد إليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فأبصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة أوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب إلى أيوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء أن ابعث أوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد ففتح الله على يده وسلم فأمر برده مرة أخرى وثالثة حتى قتل فأتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فهذا ونحوه مما يقبح أن يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الأنبياء وعن سعيد بن المسيب والحارث الأعور أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الأنبياء صلوات الله عليهم وروي أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال إن كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتمس خلافها وأعظم بأن يقال غير ذلك وإن كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغي إظهارها عليه فقال عمر لسماعي هذا الكلام أحب إلي مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله لقصته عليه السلام ليس إلا طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل عنها فحسب

فإن قلت لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح قلت لكونها أبلغ في التوبيخ من قبل أن التأمل إذا أداه إلى الشعور بالمعرض به كان أوقع في نفسه وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثرا فيه وأجلب لاحتشامه وحيائه وأدعى إلى التنبه على الخطأ فيه من أن يبادره به صريحا مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة ألا ترى إلى الحكماء كيف أوصوا في سياسة الولد إذا وجدت منه هنة منكرة بأن يعرض له بإنكارها عليه ولا يصرح وأن تحكى له حكاية ملاحظة لحاله إذا تأملها استسمج حال صاحب الحكاية فاستسمج حال نفسه وذلك أزجر له لأنه ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا لشأنه فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة مع أنه أصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة فإن قلت فلم كان ذلك على وجه التحاكم إليه قلت ليحكم بما حكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه حتى يكون محجوجا بحكمه ومعترفا على نفسه بظلمه وهل أتاك نبأ الخصم ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الأنباء العجيبة التي حقها أن تشيع ولا تخفى على أحد والتشويق إلى استماعه والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع كالضيف قال الله تعالى حديث ضيف إبراهيم المكرمين لأنه مصدر في أصله تقول خصمه خصما كما تقول ضافه ضيفا فإن قلت هذا جمع وقوله خصمان تثنية فكيف استقام ذلك قلت معنى خصمان فريقان خصمان والدليل عليه قراءة من قرأ خصمان بغى بعضهم على بعض ونحوه قوله تعالى هذان خصمان اختصموا فإن قلت فما تصنع بقوله إن هذا أخي وهو دليل على اثنين قلت هذا قول البعض المراد به بعضنا على بعض فإن قلت فقد جاء في الرواية أنه بعث إليه ملكان قلت معناه أن التحاكم كان بين ملكين ولا يمنع ذلك أن يصحبهما آخرون فإن قلت فإذا كان التحاكم بين اثنين فكيف سماهم جميعا خصما في قوله نبأ الخصم وخصمان قلت لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية به

فان قلت

فإن قلت بم انتصب إذ قلت لا يخلو إما أن ينتصب بأتاك أو بالنبإ أو بمحذوف فلا يسوغ انتصابه بأتاك لأن إتيان النبإ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقع إلا في عهده لا في عهد داود عليه السلام ولا بالنبإ لأن النبأ الواقع في عهد داود عليه السلام لا يصح إتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن أردت بالنبإ القصة في نفسها لم يكن ناصبا فبقي أن ينتصب بمحذوف وتقديره وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم ويجوز أن ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل وأما الثانية فبدل من الأولى تسوروا المحراب تصعدوا سوره ونزلوا إليه والسور الحائط المرتفع ونظيره في الأبنية تسنمه إذا علا سنامه وتذراه إذا علا ذروته روي أن الله تعالى بعث إليه ملكين في صورة إنسانين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم قال ابن عباس إن داود عليه السلام جزأ زمانه أربعة أجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص أموره ويوما يجمع بني إسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاؤوه في غير يوم القضاء ففزع منهم ولأنهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه خصمان خبر مبتدإ محذوف أي نحن خصمان ولا تشطط ولا تجر وقرئ ولا تشطط أي ولا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق واهدنا إلى سواء الصراط وسطه ومحجته ضربه مثلا لعين الحق ومحضه أخي بدل من هذا أو خبر لإن والمراد أخوة الدين أو أخوة الصداقة والألفة أو أخوة الشركة والخلطة لقوله تعالى وإن كثيرا من الخلطاء وكل واحدة من هذه الأخوات تدلي بحق مانع من الاعتداء والظلم وقرئ تسع وتسعون نعجة بفتح التاء في تسع وتسعون وبكسر النون في نعجة وهذا من اختلاف اللغات نحو نطع ونطع ولقوة ولقوة أكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي وعزني وغلبني يقال عزه يعزه قال قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح يريد جاءني بحجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أرده به وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل أو أراد خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا أي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقرئ وعازني من المعازة وهي المغالبة وقرأ أبو حيوة وعزني بتخفيف الزاي طلبا للخفة وهو تخفيف غريب وكأنه قاسه على نحو ظلت ومست فإن قلت ما معنى ذكر النعاج قلت كان تحاكمهم في نفسه تمثيلا وكلامهم تمثيلا لأن التمثيل أبلغ في التوبيخ لما ذكرنا وللتنبيه على أنه أمر يستحيا من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الإفصاح به وللستر على داود عليه السلام والاحتفاظ بحرمته ووجه التمثيل فيه أن مثلت قصة أوريا مع داود عليه السلام بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون نعجة فأراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها إليه وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده والدليل عليه قوله وإن كثيرا من الخلطاء وإنما خص هذه القصة لما فيها من الرمز إلى الغرض بذكر النعجة فإن قلت إنما تستقيم طريقة التمثيل إذا فسرت الخطاب بالجدال فإن فسرته بالمفاعلة من الخطبة لم يستقم قلت الوجه مع هذا التفسير أن أجعل النعجة مستعارة عن المرأة كما استعاروا لها الشاة في نحو قوله يا شاة ما قنص لمن حلت له وشبهها بالنعجة من قال كنعاج الملا تعسفن رملا لولا أن رميت غفلة عينه عن شاته فإن قلت الملائكة عليهم السلام كيف صح منهم أن يخبروا عن أنفسهم بما لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من شأنهم قلت هو تصوير للمسألة وفرض لها فصوروها في أنفسهم وكانوا في صورة الأناسي كما تقول في تصوير المسائل زيد له أربعون شاة وعمرو له أربعون وأنت تشير إليهما فخلطاها وحال عليها الحول كم يجب فيها وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد وتقول أيضا في تصويرها لي أربعون شاة ولك أربعون فخلطناها وما لكما من الأربعين أربعة ولا ربعها فإن قلت ما وجه قراءة ابن مسعود ولي نعجة أنثى قلت يقال امرأة أنثى للحسناء الجميلة والمعنى وصفها بالعراقة في لين الأنوثة وفتورها وذلك أملح لها وأزيد في تكسرها وتثنيها ألا ترى إلى وصفهم لها بالكسول والمكسال وقوله فتور القيام قطيع الكلام لعوب العشاء إذا لم تنم وقوله فتنثني ذو بدا تكاد تنغرف أي تنقطع لقد ظلمك جواب قسم محذوف وفي ذلك

لقد ظلمك

اسنكارا لعمل خليطه ولتهجين لطمعه والسؤال مصدر مضاف الى المفعول كقوله من دعا الخير وقد ضمن معنى الاضافة فعدي تعديتها كانه قيل باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه السؤال والطلب
فان قلت كيف سارع الى تصديق احد الخصمين حتى ظلم الاخر قبل استماع كلامه قلت ما
قال ذلك الا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك في القرآن لانه معلوم وروي انه قال انا
اريد ان اخذها منه واكمل نعاجي مائة فقال داود ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا
واشار الى طرف الانف والجبهة فقال يا داود انت احق ان يضرب منك هذا وهذا وانت فعلت
كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير احدا فعرف ما وقع فيه والخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم
الواحد خليط وهي الخلطة وقد غلبت في الماشية والشافعي رحمه الله يعتبرها فاذا كان الرجلان
خليطين في ماشية غير مقسومة او لكل واحد منهما ماشية على حدة الا ان مراحهما ومسقاهما
وموضع حلبهما والراعي والكلب واحد والفحولة مختلطة فهما يزكيان زكاة الواحد فان كان
لهما اربعون شاة فعليهما شاة وان كانوا ثلاثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد اربعون
فعليهم واحدة كما لو كانت لواحد وعند ابي حنيفة رحمه الله لا تعتبر الخلطة والخليط والمنفرد
عنده واحد ففي اربعين بين خليطين لا شيء عنده وفي مائة وعشرين بين ثلاثة ثلاث شياه
فان قلت فهذه الخلطة ما تقول فيها قلت عليهما شاة واحدة فيجب على ذي النعجة اداء
جزء من مائة جزء من الشاة عند الشافعي وعند ابي حنيفة لا شيء عليه فان قلت ماذا اراد
بذكر حال الخلطاء في ذلك المقام قلت قصد به الموعظة الحسنة والترغيب في ايثار
عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة وان يكره اليهم الظلم والاعتداء الذي عليه اكثرهم
مع التأسف على حالهم وان يسلي المظلوم عما جرى عليه من خليطه وان له في اكثر الخلطاء اسوة وقرئ
ليبغي بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وهو
جواب قسم محذوف وليبغ بحذف الياء اكتفاء منها بالكسرة وما في وقليل ما هم للابهام
وفيه تعجب من قلتهم وان اردت ان تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس
وحديث ما على قصره وانظر هل بقي له معنى قط لما كان الظن الغالب يداني العلم استعير له
ومعناه وعلم داود وايقن انما فتناه انما ابتليناه لا محالة بامرأة اوريا هل يثبت ام يزل وقرئ
فتناه بالتشديد للمبالغة وافتناه من قوله لئن فتنتني لهي بالامس افتنت
وفتناه على ان الالف ضمير الملكين وعبر بالراكع عن الساجد لانه ينحني ويخضع كالساجد
وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله واصحابه في سجدة التلاوة على ان الركوع يقوم مقام السجود
وعن الحسن لانه لا يكون ساجدا حتى يركع ويجوز ان يكون قد استغفر الله لذنبه واحرم
بركعتي الاستغفار والانابة فيكون المعنى وخر للسجود راكعا اي مصليا لان الركوع يجعل عبارة
عن الصلوة واناب ورجع الى الله بالتوبة والتنصل وروي انه بقي ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع
راسه الا لصلوة مكتوبة او ما لا بد له منه ولا يرقا دمعه حتى نبت العشب من دمعه
الى راسه ولم يشرب ماء الا وثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد
يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه واجتمع
اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وروي انه نقش خطيئته في كفه
حتى لا ينساها وقيل ان الخصمين كانا من الانس وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما اما كانا
خليطين في الغنم واما كان احدهما موسرا له نسوان كثيرة من المهائر والسراري والثاني معسرا
ما له الا امرأة واحدة فاستنزله عنها وانما فزع لدخولهما عليه في وقت الحكم ان يكونا مغتالين وما
كان ذنب داود الا انه صدق احدهما على الاخر وظلمه قبل مسألته خليفة في الارض اي استخلفناك على
الملك في الارض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها ومنه قولهم خلفاء الله في ارضه
او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على
ما كانت عليه لم تتغير فاحكم بين الناس بالحق اي بحكم الله اذ كنت خليفته ولا تتبع الهوى في قضائك

وغيره

وغيره مما تتصرف فيه من اسباب الدين والدنيا فيضلك الهوى فيكون سببا لضلالك عن سبيل الله عن
دلائله التي نصبها في العقول وعن شرائعه التي شرعها واوحى بها يوم الحساب متعلق بنسوا اي
بسبب نسيانهم يوم الحساب او بقوله لهم اي لهم عذاب يوم القيمة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم
عن سبيل الله وعن بعض خلفاء بني مروان انه قال لعمر بن عبد العزيز او للزهري هل سمعت ما بلغنا
قال وما هو قال بلغنا ان الخليفة لا يجري عليه القلم ولا تكتب عليه معصية فقال يا امير المؤمنين
الخلفاء افضل ام الانبياء ثم تلا هذه الاية باطلا اي خلقا باطلا لا لغرض صحيح وحكمة بالغة
او مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق
وتقديره ذوي باطل او عبثا فوضع باطلا موضعه كما وضعوا هنيئا موضع المصدر وهو صفة
اي ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو انا خلقنا نفوسا اودعناها
العقل والتمييز ومنحناها التمكين وازحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف واعددنا
لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالهم وذلك اشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون اي خلقها للعبث
لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا فان قلت اذا كانوا مقرين بان الله خالق السموات والارض
وما بينهما بدليل قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فبم جعلوا ظانين انه
خلقها للعبث لا للحكمة قلت لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى ان
خلقها عبث وباطل جعلوا كانهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذي سيقت اليه الحكمة
في خلق العالم فمن جحده فقد جحد الحكمة من اصلها ومن جحد الحكمة في خلق العالم فقد سفه
الخالق وظهر بذلك انه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان اقراره بكونه خالقا كلا اقرار ام منقطعة
ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله
احوال من اصلح وافسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما وقرئ مباركا
وليتدبروا على الخطاب وتدبر الايات التفكر فيها والتامل الذي يؤدي الى معرفة ما يدبر ظاهرها
من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة لان من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل
وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها ومهرة نثور لا يستولدها وعن الحسن قد قرأ هذا
القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى ان احدهم ليقول والله
لقد قرأت القرآن فما اسقطت منه حرفا وقد والله اسقطه كله ما يرى للقرآن عليه اثر في خلق
ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه واضاعة حدوده والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة لا كثر الله
في الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين واعذنا من القراء المتكبرين وقرئ
نعم العبد على الاصل والمخصوص بالمدح محذوف وعلل كونه ممدوحا بكونه اوابا رجاعا اليه بالتوبة
او مسبحا مؤوبا للتسبيح مرجعا له لان كل مؤوب اواب والصافن الذي في قوله الصافنات الخيل
الذي يقوم على ثلاث قوائم وقيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو المتخيم واما الصافن فهو
الذي يجمع بين يديه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يقوم الناس له صفونا فليتبوأ مقعده من النار اي واقفين كما يقف
خدم الجبابرة فان قلت ما معنى وصفها بالصفون قلت الصفون لا يكاد يكون في الهجن وانما
هو في العراب الخلص وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني
اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وروي ان سليمن
عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين فاصاب الف فرس وقيل ورثها من ابيه واصابها ابوه من العمالقة
وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الاولى على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض
عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد من الذكر كان له وقت العشي وتهيبوه
فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها مقربا لله وبقي مائة فما في ايدي الناس من الجياد
فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله خيرا منها وهي الريح تجري بامره فان قلت ما معنى احببت
حب الخير عن ذكر ربي قلت احببت مضمن معنى فعل يتعدى بعن كانه قيل انبت حب الخير
عن ذكر ربي او جعلت حب الخير مجزيا او مغنيا عن ذكر ربي وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان

ان اجبت بمعنى لزمت من قوله مثل بعير السوء اذ أحبّا وليس بذاك والخير المال الكثير كقوله
ان ترك خيرا وقوله وانه لحب الخير لشديد والمال الخيل التي شغلته او سمى الخيل خيرا كأنها
نفس الخير لتعلق الخير بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة وقال في
زيد الخيل حين وفد عليه واسلم ما وصف لي رجل فرأيته الا كان دون ما بلغني الا زيد الخيل وسماه
زيد الخير وسأل رجل بلالا رضي الله عنه عن قوم يستبقون من السابق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له الرجل اردت الخيل فقال وانا اردت الخير **والتوارى بالحجاب** مجاز في غروب الشمس عن توارى
الملك او المخبأة بحجابهما والذي دل على ان الضمير للشمس مرور ذكر العشي ولا بد للضمير من جرى
ذكر او دليل ذكر وقيل الضمير للصافنات اي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام ومن بدع التفاسير
ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه **فطفق مسحا** فجعل يمسح مسحا اي يمسح
السيف بسوقها واعناقها يعني يقطعها تقول مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب
اذا قطع اطرافه بسيفه وعن الحسن كسف عراقيبها وضرب اعناقها اراد بالكسف القطع ومنه
الكسف في القاب الزحاف في العروض ومن قاله بالشين المعجمة فمصحف وقيل مسحها بيده استحسانا
لها واعجابا بها **فان قلت** بم اتصل قوله **ردوها علي** **قلت** بمحذوف تقديره قال ردوها علي
فاضمر واضمر ما هو جواب له كأن قائلا قال فماذا قال سليمان لانه موضع مقتض للسؤال اضمارا ظاهرا
وهو اشتغال نبي من انبياء الله بامر الدنيا حتى تفوته الصلاة عن وقتها وقرئ **بالسؤوق** بهمز الواو
لضمتها كما في ادؤر ونظيره الغؤور في مصدر غارت واما من قرأ بالسؤق فقد جعل الضمة في
السين كأنها في الواو للتلاصق كما قيل مؤسى ونظير ساق وسوق اسد واسد وقرئ بالساق
اكتفاء بالواحد عن الجمع لأمن الالباس قيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة
وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش
لم ننفك من السخرة فسبيلنا ان نقتله او نخبله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحابة فما راعه الا ان
ألقي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه في انه لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه وتاب اليه
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في
سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذي
نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون فذلك قوله تعالى ولقد فتنا
سليمان وهذا ونحوه مما لا بأس به واما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت
سليمان فالله اعلم بصحته حكوا ان سليمان بلغه خبر صيدون وهي مدينة في بعض الجزائر وان بها
ملكا عظيم الشأن لا تقوى عليه لتحصنه بالبحر فخرج اليه تحمله الريح حتى اناخ بها بجنوده من الجن والانس
فقتل ملكها واصاب بنتا له اسمها جرادة من احسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها
وكانت لا يرقأ دمعها حزنا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها فكستها مثل كسوته وكانت
تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن له كعادتهن في ملكه فاخبر آصف سليمان بذلك فكسر
الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله متضرعا
وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امرأة وضع خاتمه عندها
وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوما فاتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذي دل سليمان
على الماس حين امر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمان فقال يا امينة خاتمي فاعطته
فتختم به وجلس على كرسي سليمان وعكف عليه الطير والجن وغير سليمان عن هيأته فاتى امينة لطلب
الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته وكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال
انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين
فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر آصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان
وسأل آصف نساء سليمان فقلن ما يدع امرأة في دمها ولا يغتسل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه في كل شيء
الا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يد سليمان فبقر بطنها

فاذا

فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا ورجع اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه باخرى
ثم اوثقها بالحديد والرصاص وقذفه في البحر وقيل لما افتتن كان الخاتم يسقط من يده لا
يتماسك فيها فقال له آصف انك لمفتون بذنبك والخاتم لا يقر في يدك فتب الى الله ولقد
ابى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من اباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الافاعيل
وتسليط الله اياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الاحكام وعلى نساء الانبياء حتى يفجروا
بهن قبيح واما اتخاذ التماثيل فيجوز ان تختلف فيه الشرائع الا ترى الى قوله تعالى من محاريب وتماثيل
واما السجود للصورة فلا يظن بنبي الله ان يأذن فيه واذا كان بغير علمه فلا عليه وقوله تعالى
وألقينا على كرسيه جسدا ناب عن افادة معنى انابة الشيطان منابه نبوا ظاهرا فقدم
الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء والصالحين في تقديمهم امر دينهم على امور
دنياهم **لا ينبغي** لا يتسهل ولا يكون ومعنى من بعدي من دوني **فان قلت** اما يشبه الحسد
والحرص على الاستبداد بالنعمة ان يستعطي الله ما لا يعطيه غيره **قلت** كان سليمان عليه السلام ناشئا
في بيت الملك والنبوة ووارثا لهما فاراد ان يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب الفه ملكا زائدا على
الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوته قاهرا للمبعوث اليهم
ولن يكون معجزة حتى يخرق العادات فذلك معنى قوله لا ينبغي لاحد من بعدي وقيل كان ملكا عظيما
فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ على حدود الله فيه كما قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك وقيل ملكا لا اسلبه ولا يقوم غيري فيه مقامي كما سلبته مرة
واقيم مقامي غيري ويجوز ان يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين وعلم انه لا
يضطلع باعبائه غيره واوجبت الحكمة استيهابه فامره ان يستوهبه اياه فاستوهبه بامر من الله
على الصفة التي علم الله انه لا يضبطه عليها الا هو وحده دون سائر عباده او اراد ان يقول ملكا عظيما
فقال لا ينبغي لاحد من بعدي ولم يقصد بذلك الا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لاحد من الفضل
والمال وربما كان للناس امثال ذلك ولكنك تريد تعظيم ما عنده وعن الحجاج انه قيل له انك حسود
فقال احسد مني من قال هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وهذا من جرأته على الله وشيطنته كما حكي عنه
طاعتنا اوجب من طاعة الله لانه شرط في طاعته فقال فاتقوا الله ما استطعتم واطلق طاعتنا فقال
واولي الامر منكم وقرئ **الرياح** **رخاء** لينة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة له لا تمتنع عليه **حيث
اصاب** حيث قصد واراد حكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطأ الجواب وعن رؤبة ان رجلين
من اهل اللغة قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال اين تصيبان فقالا هذه طلبتنا
ويقال اصاب الله بك خيرا **والشياطين** عطف على الريح **كل بناء** بدل من الشياطين **وآخرين** عطف على
كل داخل في حكم البدل وهو بدل الكل من الكل كانوا يبنون له ما شاء من الابنية ويغوصون له فيستخرجون
اللؤلؤ وهو اول من استخرج الدر من البحر وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود
والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد وعن السدي كان يجمع ايديهم الى اعناقهم مغللين في الجوامع
والصفد القيد وسمي به العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول علي رضي الله عنه من برك فقد
اسرك ومن جفاك فقد اطلقك وقول القائل غل يدا مطلقها وارق رقبة معتقها وقال حبيب ان
العطاء اسار وتبعه من قال ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا وفرقوا بين الفعلين فقالوا صفده
قيده واصفده اعطاه كوعده واوعده **اي هذا** الذي اعطيناك من الملك والبسطة والمال **عطاؤنا
بغير حساب** يعني جما كثيرا لا يكاد يقدر على حصره وحسبه **فامنن** من المنة وهي العطاء اي فاعط منه
ما شئت **او امسك** مفوضا اليك التصرف فيه وفي قراءة ابن مسعود هذا فامنن او امسك عطاؤنا بغير حساب
او هذا التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين بالاطلاق وامسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب
اي لا حساب عليك في ذلك **ايوب** عطف بيان واذ بدل اشتمال منه **اني مسني**
حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بانه مسه لانه غائب وقرئ **بنصب** بضم النون
وفتحها مع سكون الصاد وبفتحهما وضمهما فالنصب والنصب كالرشد والرشد

والنُّصْب على أصل المصدر، وقرئ بنُصُب تثقيل نُصْب، والمعنى واحد وهو التعب والمشقة. والعذاب: الألم، يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من أنواع الوصب. وقيل: الضر في البدن والعذاب في ذهاب الأهل والمال. فإن قلت: لِمَ نسبه إلى الشيطان ولا يجوز أن يسلطه الله على أنبيائه ليقضي من إتعابهم وتعذيبهم وطره، ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا إلا وقد نكبه وأهلكه، وقد تكرر في القرآن أنه لا سلطان له إلا الوسوسة فحسب؟ قلت: لما كانت وسوسته إليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله تعالى به من النصب والعذاب نسبه إليه، وقد راعى الأدب في ذلك حيث لم ينسبه إلى الله تعالى في دعائه مع أنه فاعله ولا يقدر عليه إلا هو. وقيل: أراد ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع، فالتجأ إلى الله تعالى في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق في دفعه وردّه بالصبر الجميل. وروي أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد أحدهم، فسأل عنه فقيل: ألقى إليه الشيطان أن الله لا يبتلي الأنبياء والصالحين. وذكروا في سبب بلائه أن رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه. وقيل: كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه. وقيل: أعجب بكثرة ماله. اركض برجلك حكاية ما أجيب به أيوب، أي: اضرب برجلك الأرض. وعن قتادة: هي أرض الجابية. فضربها فنبعت عين فقيل: هذا مغتسل بارد وشراب، أي: هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وتنقلب ما بك قلبة. وقيل: نبعت له عينان فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى، فذهب الداء من ظاهره وباطنه بإذن الله تعالى. وقيل: ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها، ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها. رحمة منا وذكرى مفعول لهما، والمعنى أن الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولي الألباب، لأنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره رغّبهم في الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم. وخذ معطوف على اركض. والضغث: الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: قبضة من الشجر. كان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة إذا برئ، فحلل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها إياه ورضاه عنها، وهذه الرخصة باقية. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أُتي بمخدج قد خبث بأمة فقال: خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة. ويجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة، إما أطرافها قائمة وإما أعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب. وكان السبب في يمينه أنها أبطأت عليه ذاهبة في حاجة فحرج صدره. وقيل: باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق أيوب إذا قام. وقيل: قال لها الشيطان: اسجدي لي سجدة فأرد عليكم مالكم وأولادكم، فهمت بذلك فأدركتها العصمة فذكرت ذلك له فحلف. وقيل: أوهمها الشيطان أن أيوب إذا شرب الخمر برئ فعرضت له بذلك. وقيل: سألته أن يتقرب للشيطان بعناق. وجدناه صابرا علمناه صابرا. فإن قلت: كيف وجده صابرا وقد شكا إليه ما به واسترحمه؟ قلت: الشكوى إلى الله عز وجل لا تسمى جزعا، ولقد قال يعقوب عليه السلام: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله. وكذلك شكوى العليل إلى الطبيب، وذلك أن أصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمني العافية وطلبها، فإذا صح أن يسمى صابرا مع تمني العافية وطلب الشفاء فليسم صابرا مع اللجإ إلى الله والدعاء بكشف ما به ومع التعالج ومشاورة الأطباء. على أن أيوب عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة، حيث كان الشيطان يوسوس إليهم كما كان يوسوس إليه أنه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به، وإرادة القوة على الطاعة، فقد بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلا القلب واللسان. ويروى أنه قال في مناجاته: إلهي قد علمت أنه لم يخالف لساني قلبي، ولم يتبع قلبي بصري، ولم يهبني ما ملكت يميني، ولم آكل إلا ومعي يتيم، ولم أبت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع أو عريان، فكشف الله عنه. إبراهيم وإسحاق ويعقوب عطف بيان لعبادنا، ومن قرأ عبدنا جعل إبراهيم وحده عطف بيان له، ثم عطف ذريته على عبدنا وهي إسحاق ويعقوب، كقراءة ابن عباس رضي الله عنهما: وإله أبيك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق. لما كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدي غلبت، فقيل في كل عمل: هذا مما عملت أيديهم، وإن كان عملا لا يتأتى فيه المباشرة بالأيدي، أو كان العمال جذما لا أيدي لهم، وعلى ذلك ورد قوله عز وجل: أولي الأيدي والأبصار، يريد أولي الأعمال والفكر، كأن الذين

لا يعملون

أعمال

لا يعملون عمل الآخرة ولا يجاهدون في سبيل الله ولا يفكرون أفكار ذوي الديانات ولا يستبصرون في حكم الزمنى الذين لا يقدرون على إعمال جوارحهم، والمسلوبي العقول الذين لا استبصار لهم. وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله، وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما. وقرئ أولي الأيادي على جمع الجمع، وفي قراءة ابن مسعود: أولي الأيد على طرح الياء والاكتفاء بالكسرة، وتفسيره بالأيد من التأييد قلق غير متمكن. أخلصناهم جعلناهم خالصين لنا بخالصة بخصلة خالصة لا شوب فيها، ثم فسرها بذكرى الدار شهادة لذكرى الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة عنها. وقرئ على الإضافة، والمعنى بما خلص من ذكرى الدار، على أنهم لا يشوبون ذكرى الدار بهمّ آخر، إنما همهم ذكرى الدار لا غير. ومعنى ذكرى الدار ذكراهم الآخرة دائبا ونسيانهم إليها ذكر الدنيا، أو تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الأنبياء وديدنهم. وقيل: ذكرى الدار الثناء الجميل ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم. فإن قلت: ما معنى أخلصناهم بخالصة؟ قلت: معناه أخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبأنهم من أهلها، أو أخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها، وتعضد الأول قراءة من قرأ بخالصتهم. المصطفين المختارين من بين أبناء جنسهم. والأخيار جمع خيّر أو خير على التخفيف كالأموات في جمع ميّت أو ميت. واليسع كأن حرف التعريف دخل على يسع، وقرئ والليسع كأن حرف التعريف دخل على ليسع فيعل من اللسع. والتنوين في وكل عوض من المضاف إليه، ومعناه: وكلهم من الأخيار. هذا ذكر أي هذا نوع من الذكر وهو القرآن. لما أجرى ذكر الأنبياء وأتمه، وهو باب من أبواب التنزيل ونوع من أنواعه، وأراد أن يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها، قال: هذا ذكر، ثم قال: وإن للمتقين، كما يقول الجاحظ في كتبه: فهذا باب، ثم يشرع في باب آخر، ويقول الكاتب إذا فرغ من فصل من كتابه وأراد الشروع في آخر: هذا وقد كان كيت وكيت. والدليل عليه أنه لما أتم ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال: هذا وإن للطاغين. وقيل: معناه هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبدا. وعن ابن عباس: هذا ذكر من مضى من الأنبياء. جنات عدن معرفة لقوله تعالى: جنات عدن التي وعد الرحمن، وانتصابها على أنها عطف بيان لحسن مآب. ومفتحة حال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل، وفي مفتحة ضمير الجنات، والأبواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الأبواب، كقولهم: ضُرب زيد اليد والرجل، وهو من بدل الاشتمال. وقرئ جناتُ عدنٍ مفتحةٌ بالرفع على أن جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره، أو كلاهما خبر مبتدأ محذوف، أي هو جنات عدن هي مفتحة لهم. كأن اللدات سمين أترابا لأن التراب مسهن في وقت واحد، وإنما جعلن على سن واحدة لأن التحاب بين الأقران أثبت. وقيل: هن أتراب لأزواجهن أسنانهن كأسنانهم. وقرئ يوعدون بالتاء والياء. ليوم الحساب أي لأجل يوم الحساب، كما تقول: هذا ما تدخرونه ليوم الحساب، أي ليوم تجزى كل نفس بما عملت. هذا أي الأمر هذا، أو هذا كما ذكر. فبئس المهاد كقوله: لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش، شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم. هذا فليذوقوه حميم وغساق أي هذا حميم وغساق فليذوقوه، أو العذاب هذا فليذوقوه، ثم ابتدأ فقال: هو حميم وغساق، أو هذا فليذوقوه بمنزلة فإياي فارهبون أي ليذوقوا هذا فليذوقوه. والغساق بالتخفيف والتشديد ما يغسق من صديد أهل النار، يقال: غسقت العين إذا سال دمعها. وقيل: الحميم يحرق بحره، والغساق يحرق ببرده. وقيل: لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت أهل المغرب، ولو قطرت منه قطرة في المغرب لنتنت أهل المشرق. وعن الحسن: الغساق عذاب لا يعلمه إلا الله، إن الناس أخفوا لله طاعة فأخفى لهم ثوابا في قوله: فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين، وأخفوا معصية فأخفى لهم عقوبة. وآخر ومذوق آخر من شكله من مثل هذا المذوق في الشدة والفظاعة. أزواج أجناس. وقرئ وأُخر أي ومذوقات أخر أو وأنواع أخر. وأزواج صفة لآخر لأنه يجوز أن يكون ضروبا، أو صفة للثلاثة وهي حميم وغساق وآخر من شكله. وقرئ من شِكله بالكسر وهي لغة، وأما الغنج فبالكسر لا غير. هذا فوج مقتحم معكم هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار، أي دخل النار في صحبتكم وقرانكم. والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها، والقحمة الشدة. وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض، أي يقولون هذا، والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب. لا مرحبا بهم دعاء منهم على أتباعهم، تقول لمن تدعو له: مرحبا، أي أتيت رحبا من البلاد لا ضيقا، أو رحبت بلادك رحبا، ثم تدخل عليه لا في دعاء السوء. وبهم بيان للمدعو عليهم. إنهم صالوا النار تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم، ونحوه قوله تعالى: كلما دخلت أمة لعنت أختها. وقيل: هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في أتباعهم، ولا مرحبا بهم إنهم صالوا النار كلام الرؤساء. وقيل: هذا كله كلام الخزنة. قالوا أي الأتباع: بل أنتم لا مرحبا بكم يريدون الدعاء الذي دعوتم به علينا أنتم أحق به، وعللوا ذلك بقولهم: أنتم قدمتموه لنا، والضمير للعذاب أو لصليهم. فإن قلت: ما معنى تقديمهم العذاب لهم

قلت المقدم هو عمل السوء قال الله تعالى وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم ولكن الروسا
لما كانوا السبب فيه باغوائهم وكان العذاب جزاهم عليه قيل انتم قدمتموه لنا فجعل الروسا هم
المقدمين وجعل الجزا هو المقدم فجمع بين مجازين لان العاملين هم المقدمون في الحقيقة لا روساهم
والعمل هو المقدم لا جزاوه فان قلت فالذي جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة ما يصنع بقوله بل انتم
لا مرحبا بكم والمخاطبون اعني روساهم لم يتكلموا بما يكون هذا جوابا له قلت كانه قيل
هذا الذي دعا به علينا الخزنة انتم يا روسا احق به منا لاغوايكم ايانا وتسببكم فيما نحن فيه من
العذاب وهذا صحيح كالو زين قوم لقوم بعض المساوي فارتكبوه فقيل للمزينين اخزا الله
هولا ما اسوا فعلهم فقال المزين لهم للمزينين بل انتم اولى بالخزي منا فلولا انتم لم نرتكب ذلك
قالوا هم الاتباع ايضا فزده عذابا ضعفا اي مضاعفا ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله تعالى ربنا هولا اضلونا
فاتهم عذابا ضعفا وهو ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله عز وجل ربنا اتهم ضعفين من العذاب
وجا في التفسير عذابا ضعفا حيات وافاعي وقالوا الضمير للطاغين رجالا يعنون فقرا المسلمين الذين
لا يوبه لهم من الاشرار من الاراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى ولانهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا يعدونهم
اشرارا اتخذناهم سخريا قرئ بلفظ الاخبار على انه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم من الاشرار وبهمزة
الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتانيب لها في الاستسخار منهم وقوله ام زاغت عنهم الابصار
له وجهان من الاتصال احدهما ان يتصل بقوله ما لنا اي ما لنا لا نراهم في النار كانهم ليسوا فيها بل ازاغت عنهم
ابصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا امرهم بين ان يكونوا من اهل الجنة وبين ان يكونوا من اهل النار الا
انه خفي عليهم مكانهم والثاني ان يتصل باتخذناهم سخريا اما ان تكون ام متصلة على معنى اي الفعلين
فعلنا بهم الاستسخار منهم ام ازدراوهم وتحقيرهم وان ابصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم
على معنى انكار الامرين جميعا على انفسهم وعن الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا
وزاغت عنهم ابصارهم محقرة لهم واما ان تكون منقطعة بعد مضي اتخذناهم سخريا
على الخبر او الاستفهام كقولك انها لابل ام شا وازيد عندك ام عندك عمرو ولك ان تقدر
همزة الاستفهام محذوفة فيمن قرا بغير همزة لان ام تدل عليها فلا تفترق القراتان اثبات همزة
الاستفهام وحذفها وقيل الضمير في وقالوا لصناديد قريش كابي جهل والوليد واضرابهما والرجال
عمار وصهيب وبلال واشباههم وقرئ سخريا بالضم والكسر ان ذلك الذي حكيناه عنهم لحق
لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال هو تخاصم اهل النار وقرئ بالنصب على انه صفة لذلك لان اسما
الاشارة توصف باسما الاجناس فان قلت لم سمى ذلك تخاصما قلت شبه تقاولهم وما يجري
بينهم من السوال والجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك ولان قول الروسا لا مرحبا بهم
وقول اتباعهم بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمي التقاول كله تخاصما لاجل اشتماله على ذلك
قل يا محمد لمشركي مكة ما انا الا رسول منذر انذركم عذاب الله للمشركين واقول لكم ان دين الحق
توحيد الله وان يعتقد ان لا اله الا الله الواحد بلا ند ولا شريك القهار لكل شي وان الملك
والربوبية له في العالم كله وهو العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب العصاة وهو مع ذلك الغفار لذنوب
من التجا اليه او قل لهم ما انا الا منذر لكم ما اعلم وانا انذركم عقوبة من هذه صفته فان مثله
حقيق بان يخاف عقابه كما هو حقيق بان يرجا ثوابه قل هو نبا عظيم اي هذا الذي انباتكم به من كوني
رسولا منذرا وان الله واحد لا شريك له نبا عظيم لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة
ثم احتج لصحة نبوته بان ما ينبئ به عن الملا الاعلى واختصامهم امر ما كان له به من علم قط
ثم علمه ولم يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا وهو الاخذ من اهل العلم
وقراة الكتب فعلم ان ذلك لم يحصل له الا بالوحي من الله ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اي
لانما انا نذير ومعناه ما يوحى الي الا للانذار فحذف اللام وانتصب بافضا الفعل اليه
ويجوز ان ترتفع على معنى ما يوحى الي الا هذا وهو ان انذر وابلغ ولا افرط في ذلك اي ما اومر
الا بهذا الامر وحده وليس الي غير ذلك وقرئ انما بالكسر على الحكاية اي الا هذا القول وهو ان
اقول لكم انما انا نذير مبين ولا ادعي شيا اخر وقيل النبا العظيم قصص ادم والانبا به
من غير سماع من احد وعن ابن عباس القران وعن الحسن يوم القيمة فان قلت بم يتعلق اذ يختصمون
قلت بمحذوف لان المعنى ما كان لي من علم بكلام الملا الاعلى وقت اختصامهم واذ قال
بدل من اذ يختصمون فان قلت ما المراد بالملا الاعلى قلت اصحاب القصة الملائكة وادم وابليس

بلغ

ما كان لي من علم بالملا الاعلى

لانهم كانوا

فلم يكن التقاول بينهم ح

كانوا في السماء وكان التقاول بينهم فإن قلت ما كان التقاول بينهم إنما كان بين الله وبينهم
لأن الله سبحانه هو الذي قال لهم وقالوا له فأنت بين أمرين إما أن تقول الملأ الأعلى هؤلاء وكان التقاول
بينهم وإما أن تقول كان التقاول بينهم وبين الله فقد جعلته من الملأ الأعلى قلت كانت
مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك فكان المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسط فصح أن التقاول كان
بين الملائكة وآدم وإبليس وهم الملأ الأعلى والمراد بالاختصام التقاول على ما سبق فإن قلت
كيف صح أن يقول لهم إني خالق بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل قلت وجهه أن يكون
قد قال لهم إني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم فإذا سويته فإذا
أتممت خلقه وعدلته ونفخت فيه من روحي وأحييته وجعلته حساسا متنفسا فقعوا له ساجدين فخروا
كلهم للإحاطة أجمعون للاجتماع فأفادا معا أنهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك إلا سجد وأنهم
سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في أوقات فإن قلت كيف ساغ السجود لغير الله تعالى
قلت الذي لا يسوغ هو السجود لغير الله على وجه العبادة فأما على وجه التكرمة والتبجيل فلا
يأباه العقل إلا أن يعلم الله فيه مفسدة فينهى عنه فإن قلت كيف استثنى إبليس من الملائكة
وهو من الجن قلت قد أمر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله فسجد الملائكة ثم استثني كما
يستثنى الواحد منهم استثناء متصلا وكان من الكافرين أريد وجود كفره ذلك الوقت وإن لم يكن
كافرا لأن كان مطلق في جنس الأوقات الماضية فهو صالح لأيها شئت ويجوز أن يراد وكان من
الكافرين في الأزمنة الماضية في علم الله عز وعلا فإن قلت ما وجه قوله خلقت بيدي قلت
قد سبق لنا أن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه فغلب العمل باليدين على سائر الأعمال التي تباشر
بغيرهما حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدي له يداك أوكتا وفوك نفخ
وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله تعالى مما عملت أيدينا
ولما خلقت بيدي فإن قلت ما معنى قوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي قلت الوجه
الذي استنكر له إبليس السجود لآدم واستنكف منه أنه سجود لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر أن
يكون سجوده لغير الخالق وانضم إلى ذلك أن آدم مخلوق من طين وهو مخلوق من نار ورأى
للنار فضلا على الطين فاستعظم أن يسجد لمخلوق مع فضله عليه في المنصب وزل عنه أن الله سبحانه
حين أمر به أعز عباده عليه وأقربهم منه زلفى وهم الملائكة وهم أحق بأن يذهبوا بأنفسهم
عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا من السجود له من غيرهم ثم لم يفعلوا وتبعوا أمر الله وجعلوه
قدام أعينهم ولم يلتفتوا إلى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيما لأمر ربهم وإجلالا
لخطابه كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حريا بأن يقتدي بهم ويقتفي أثرهم ويعلم أنهم في
السجود لمن هو دونهم بأمر الله أوغل في عبادته منهم في السجود له لما فيه من طرح
الكبرياء وخفض الجناح فقيل له ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أي لا شك في كونه مخلوقا
امتثالا لأمري وإعظاما لخطابي كما فعلت الملائكة فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر العلة
التي تشبث بها في تركه وقيل له لم تركته مع وجود هذه العلة ومثاله أن يأمر الملك وزيره
أن يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتبارا لسقوطه فيقول له ما منعك أن تتواضع لمن لا يخفى
علي سقوطه يريد هلا اعتبرت أمري وخطابي وتركت اعتبار سقوطه وفيه أني خلقته بيدي
فأنا أعلم بحاله ومع ذلك أمرت الملائكة أن يسجدوا له لداعي حكمة دعاني إليه من إنعام عليه بالتكرمة
السنية وابتلاء الملائكة فمن أنت حتى يصرفك عن السجود له ما لم يصرفني عن الأمر بالسجود له
وقيل معنى لما خلقت بيدي أي لما خلقت بغير واسطة وقرئ بيدي كما قرئ بمصرخي وبيدي على التوحيد
من العالين ممن علوت وفقت فأجاب بأنه من العالين حيث قال أنا خير منه وقيل أستكبرت
بحذف حرف الاستفهام لأن أم تدل عليه أو بمعنى الإخبار هذا على سبيل الأولى أي لو كان
مخلوقا من نار لما سجدت له لأنه مخلوق مثلي فكيف أسجد لمن هو دوني لأنه من طين والنار
تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الأولى وهي خلقتني من نار مجرى المعطوف
عطف البيان من المعطوف عليه في البيان والإيضاح منها أي من الجنة وقيل من السماوات
وقيل من الخلقة التي أنت فيها لأنه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان
أبيض وقبح بعد ما كان حسنا وأظلم بعد ما كان نورانيا والرجيم المرجوم ومعناه

قوله يداك أوكتا وفوك نفخ قال المفضل
أصله أن رجلا كان في جزيرة من جزائر البحر
فأراد أن يعبر على زق قد نفخ فيه فلم يحسن إحكامه
حتى إذا توسط البحر خرجت منه الريح فغرق فلما غشيه الموت
استغاث برجل فقال له يداك أوكتا وفوك نفخ يضرب لمن يجني على نفسه
ثم يستغيث ... انتهى

ومعناه المطرود كما قيل له المدحور والملعون لأن من طرد رمي بالحجارة على أثره والرجم الرمي بالحجارة أو لأن الشياطين يرجمون بالشهب فإن قلت قوله لعنتي إلى يوم الدين كأن لعنة إبليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع قلت كيف تنقطع وقد قال الله سبحانه فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ولكن المعنى أن عليه اللعنة في الدنيا فإذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة فكأنها انقطعت فإن قلت ما الوقت المعلوم الذي أضيف إليه اليوم قلت الوقت الذي تقع فيه النفخة الأولى ويومه اليوم الذي وقت النفخة جزء من أجزائه ومعنى المعلوم أنه معلوم عند الله معين لا يستقدم ولا يستأخر فبعزتك إقسام بعزة الله وهي سلطانه وقهره قرئ فالحق والحق منصوبين على أن الأول مقسم به كقوله إن عليك الله أن تبايعا وجوابه لأملأن والحق أقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ومعناه ولا أقول إلا الحق والمراد بالحق إما اسمه عز وعلا الذي في قوله أن الله هو الحق المبين أو الحق الذي هو نقيض الباطل عظمه الله بإقسامه به ومرفوعين على أن الأول مبتدأ محذوف الخبر كقولك لعمرك أي فالحق قسمي لأملأن والحق أقول أي أقوله كقوله كله لم أصنع ومجرورين على أن الأول مقسم به قد أضمر حرف قسمه كقولك الله لأفعلن والحق أقول أي ولا أقول إلا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد وهذا الوجه جائز في المنصوب والمرفوع أيضا وهو وجه دقيق حسن وقرئ برفع الأول وجره مع نصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا منك من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك منهم من ذرية آدم فإن قلت أجمعين تأكيد لماذا قلت لا يخلو أن يؤكد به الضمير في منهم أو الكاف في منك مع من تبعك ومعناه لأملأن جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لا أترك منهم أحدا أو لأملأنها من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من أولاد الأنبياء وغيرهم عليه من أجر الضمير للقرآن أو للوحي وما أنا من المتكلفين من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهله وما عرفتموني قط متصنعا ولا مدعيا ما ليس عندي حتى أنتحل النبوة وأتقول القرآن إن هو إلا ذكر من الله للعالمين للثقلين أوحي إلي فأنا أبلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم ولتعلمن نبأه أي ما يأتيكم عند الموت أو يوم القيامة أو عند ظهور الإسلام وفشوه من صحة خبره وأنه الحق والصدق وفيه تهديد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه أن يصر على ذنب صغير أو كبير

سورة الزمر مكية إلا قوله قل يا عبادي الذين أسرفوا الآية وتسمى سورة الغرف وهي خمس وسبعون آية وقيل ثنتان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب قرئ بالرفع على أنه مبتدأ أخبر عنه بالظرف أو خبر مبتدأ محذوف والجار صلة التنزيل كما تقول نزل من عند الله أو غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان إلى فلان وهو على هذا خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله أو حال من التنزيل عمل فيها معنى الإشارة وبالنصب على إضمار فعل نحو اقرأ والزم فإن قلت ما المراد بالكتاب قلت الظاهر على الوجه الأول أنه القرآن وعلى الثاني أنه السورة مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه أن يقرأ مخلَصا بفتح اللام كقوله تعالى وأخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله ألا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد إلا أن يصف الدين بصفة صاحبه على الإسناد المجازي كقولهم شعر شاعر وأما من جعل مخلصا حالا من العابد وله الدين مبتدأ وخبرا فقد جاء بإعراب رجع به الكلام إلى قولك لله الدين ألا لله الدين الخالص أي هو الذي وجب اختصاصه بأن تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والأسرار ولأنه الحقيق بذلك لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة بها وعن قتادة الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله وعن الحسن الإسلام والذين اتخذوا يحتمل المتخذين وهم الكفرة والمتخذين وهم الملائكة وعيسى واللات والعزى عن ابن عباس فالضمير في اتخذوا على الأول راجع إلى الذين وعلى الثاني إلى المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوما والراجع إلى الذين محذوف والمعنى والذين اتخذهم المشركون أولياء والذين اتخذوا في موضع الرفع على الابتداء فإن قلت فالخبر ما هو قلت هو على الأول إما إن الله يحكم بينهم أو ما أضمر من القول قبل قوله

ما نعبدهم وعلى الثاني إن الله يحكم بينهم فإن قلت فإذا كان إن الله يحكم بينهم الخبر فما موضع القول المضمر قلت يجوز أن يكون في موضع الحال أي قائلين ذلك ويجوز أن يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل كما أن المبدل منه كذلك وقرأ ابن مسعود بإظهار القول قالوا ما نعبدهم وفي قراءة أبي ما نعبدكم إلا لتقربونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نُعبُدهم بضم النون اتباعا للعين كما تتبعها الهمزة في الأمر والتنوين في عذابٌ اركض والضمير في بينهم لهم ولأوليائهم والمعنى أن الله يحكم بينهم بأنه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم وإياها حصب جهنم واختلافهم أن الذين يعبدون موحدون وهم مشركون وأولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم إلى الله زلفى وقيل كان المسلمون إذا قالوا لهم من خلق السموات والأرض أقروا وقالوا الله فإذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الأصنام قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فالضمير في بينهم عائد إليهم وإلى المسلمين والمعنى أن الله يحكم بينهم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بأن لا لطف لهم وأنهم في علم الله من الهالكين وقرئ كذاب وكذوب وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله أولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء يعني لو أراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا ولم يتأت إلا أن يصطفي من خلقه بعضه ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغركم اختصاصه إياهم فزعمتم أنهم أولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق الأجسام والأعراض كأنه قال لو أراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه وهم الملائكة إلا أنكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم أولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين متبالغين في الافتراء على الله وملائكته غالين في الكفر ثم قال سبحانه فنزه ذاته عن أن يكون له أحد ما نسبوا إليه من الأولاد والأولياء ودل على ذلك بما ينافيه وهو أنه واحد فلا يجوز أن تكون له صاحبة لأنه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له وإذا لم يتأت أن يكون له صاحبة لم يتأت أن يكون له ولد وهو معنى قوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وقهار غلاب لكل شيء ومن الأشياء آلهتهم فهو يغلبهم فكيف يكونون له أولياء وشركاء ثم دل بخلق السموات والأرض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لأجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الأنعام على أنه واحد لا يشارك قهار لا يغالب والتكوير اللف واللي يقال كار العمامة على رأسه وكورها وفيه أوجه منها أن الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا وإذا غشي مكانه فكأنما ألبسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب تلوي الثنايا بأحقيها حواشيه لي الملاء بأبواب التفاريج ومنها أن كل واحد منهما يغيب الآخر إذا طرأ عليه فشبه في تغييبه إياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الأبصار ومنها أن هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على إثر بعض ألا هو العزيز الغفار الغالب القادر على عقاب المصرين الغفار لذنوب التائبين أو الغالب الذي يقدر على أن يعاجلهم بالعقوبة وهو يحلم عنهم ويؤخرهم إلى أجل مسمى فسمى الحلم عنهم مغفرة فإن قلت ما وجه قوله ثم جعل منها زوجها وما يعطيه من معنى التراخي قلت هما آيتان من جملة الآيات التي عددها دالا على وحدانيته وقدرته تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قصيراه إلا أن إحداهما جعلها الله عادة مستمرة والأخرى لم تجر بها العادة ولم تخلق أنثى غير حواء من قصيرى رجل فكانت أدخل في كونها آية وأجلب لعجب السامع فعطفها بثم على الآية الأولى للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كأنه قيل خلقكم من نفس وحدت ثم شفعها الله بزوج وقيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء وأنزل لكم وقضى لكم وقسم لأن قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح كل كائن يكون وقيل لا تعيش الأنعام إلا بالنبات والنبات لا يقوم إلا بالماء وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها وقيل خلقها في الجنة ثم أنزلها ثمانية أزواج ذكرا وأنثى من الإبل والبقر

والضأن والمعز والزوج اسم لواحد معه آخر فإذا انفرد فهو فرد ووتر قال الله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر
والأنثى **خلقاً من بعد خلق** حيواناً سوياً من بعد عظام مكسوة لحماً من بعد عظام عارية من بعد
مضغ من بعد علق من بعد نطف. **في ظلمات ثلاث** البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم
والبطن. **ذلكم** الذي هذه أفعاله هو **الله ربكم فأنى تصرفون** فكيف يعدل بكم عن عبادته إلى عبادة
غيره. **فإن الله غني عنكم** عن إيمانكم وإنكم المحتاجون إليه لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم
بالإيمان **ولا يرضى لعباده الكفر** رحمة لهم لأنه يوقعهم في الهلكة **وإن تشكروا يرضه لكم** أي يرضى
الشكر لكم لأنه سبب فوزكم وفلاحكم فإذاً ما كره كفركم ولا رضي شكركم إلا لكم ولصلاحكم
لا لأن منفعة ترجع إليه لأنه الغني الذي لا يجوز عليه الحاجة. ولقد تمحل بعض الغواة
ليثبت لله ما نفاه عن ذاته من الرضا لعباده الكفر فقال هذا من العام الذي أريد به الخاص
وما أراد إلا عباده الذين عناهم في قوله إن عبادي ليس لك عليهم سلطان يريد المعصومين
كقوله عيناً يشرب بها عباد الله. تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. وقرئ يرضه
بضم الهاء بوصل وبغير وصل وبسكونها. **خوله** أعطاه قال أبو النجم: أعطى فلم يبخل ولم يبخل
كوم الذرى من خول المخول. وفي حقيقته وجهان أحدهما جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال
وخال مال إذا كان متعهداً له حسن القيام به. ومنه ما روي عن رسول الله ﷺ أنه كان
يتخول أصحابه أحياناً بالموعظة. والثاني جعله يخول من خال يخول إذا اختال وافتخر وفي معناه
قول العرب: إن الغني طويل الذيل مياس. **ما كان يدعو إليه** أي نسي الضر الذي كان يدعو الله
إلى كشفه. وقيل نسي ربه الذي كان يتضرع إليه ويبتهل وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والأنثى
وقرئ **ليضل** بفتح الياء وضمها بمعنى أن نتيجة جعله لله أنداداً ضلاله عن سبيل الله أو إضلاله
والنتيجة قد تكون غرضاً في الفعل وقد تكون غير غرض. وقوله **تمتع بكفرك** من باب الخذلان
والتخلية كأنه قيل له إذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الإيمان والطاعة فمن حقك أن لا تؤمر
به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة في خذلانه وتخليته وشأنه لأنه لا مبالغة في الخذلان أشد
من أن يبعث على عكس ما أمر به. ونظيره في المعنى قوله متاع قليل ثم مأواهم جهنم. وقرئ
أمن هو قانت بالتخفيف على إدخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد على إدخال أم
عليه. ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن هو قانت كغيره وإنما حذف لدلالة الكلام
عليه وهو جري ذكر الكافر قبله. وقوله بعده هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
وقيل معناه أمن هو قانت أفضل أمن هو كافر أو أهذا أفضل أم من هو قانت على الاستفهام المتصل
والقانت القائم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله عليه السلام أفضل الصلاة طول القنوت
وهو القيام فيها ومنه القنوت في الوتر لأنه دعاء المصلي قائماً. **ساجداً** حال وقرئ
ساجد وقائم على أنه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين. وقرئ **ويحذر عذاب الآخرة**. وأراد
بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كأنه جعل من لا يعمل غير عالم. وفيه ازدراء عظيم
بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة
حيث جعل القانتين هم العلماء. ويجوز أن يرد على سبيل التشبيه أي كما لا يستوي العالمون
والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون والعاصون. وقيل نزلت في عمار بن ياسر وأبي حذيفة
بن المغيرة المخزومي. وعن الحسن أنه سئل عن رجل يتمادى في المعاصي ويرجو فقال هذا
تمن وإنما الرجاء قوله وتلا هذه الآية. وقرئ **إنما يذكر** بالإدغام. **في هذه الدنيا** يتعلق
بأحسنوا لا بحسنة معناه الذين أحسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة وهي دخول
الجنة أي حسنة غير مكتنهة بالوصف. وقد علقه السدي بحسنة ففسر الحسنة بالصحة
والعافية. **فإن قلت** إذا علق الظرف بأحسنوا فإعرابه ظاهر فما معنى تعليقه ولم يصح أن يقع
صفة لها لتقدمه. **قلت** هو صفة لها إذا تأخر فإذا تقدم كان بياناً لمكانها فلم يخل التقدم
بالتعلق وإن لم يكن التعلق وصفاً. ومعنى **وأرض الله واسعة** أن لا عذر للمفرطين في الإحسان
البتة حتى إن اعتلوا بأوطانهم وبلادهم وأنهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الإحسان وصرف الهمم
إليه قيل لهم فإن أرض الله واسعة وبلاده كثيرة فلا تجتمعوا مع العجز وتحولوا إلى بلاد أخر

واقتدوا

واقتدوا بالأنبياء والصالحين في مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا إحساناً إلى إحسانهم وطاعة إلى
طاعتهم. وقيل هو للذين كانوا في بلد المشركين فأمروا بالمهاجرة عنه كقوله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة
فتهاجروا فيها. وقيل هي أرض الجنة. **والصابرون** الذين صبروا على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى
غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير **بغير حساب** لا يحاسبون
عليه. وقيل بغير مكيال وغير ميزان يغرف لهم غرفاً وهو تمثيل للتكثير. وعن ابن عباس لا يهتدي إليه حساب
الحساب ولا يعرف. وعن النبي ﷺ ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين
ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل
البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الأجر صباً قال الله تعالى إنما
يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض
مما يذهب به أهل البلاء من الفضل. **وأمرت** بإخلاص الدين وأمرت بذلك لأجل أن **أكون أول المسلمين**
أي مقدمهم وسابقهم في الدنيا والآخرة والمعنى أن الإخلاص له السبقة في الدين فمن أخلص كان سابقاً
فإن قلت كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد **قلت** ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك أن الأمر
بالإخلاص وتكليفه شيء والأمر به ليحرز القائم به قصب السبق في الدين شيء وإذا اختلف وجها الشيء
وصفتاه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين. ولك أن تجعل اللام مزيدة مثلها في أردت لأن أفعل ولا تزاد
إلا مع أن خاصة دون الاسم الصريح كأنها زيدت عوضاً من ترك الأصل إلى ما يقوم مقامه كما عوض السين
في أسطاع عوضاً من ترك الأصل الذي هو أطوع. والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله وأمرت أن أكون
من المسلمين وأمرت أن أكون من المؤمنين وأمرت أن أكون أول من أسلم. وفي معناه أوجه أن أكون
أول من أسلم في زماني ومن قومي لأنه أول من خالف دين آبائه وخلع الأصنام وحطمها. وأن أكون أول
الذين دعوتهم إلى الإسلام إسلاماً. وأن أكون أول من دعا نفسه إلى ما دعا إليه غيره لأكون مقتدى
بي في قولي وفعلي جميعاً ولا تكون صفتي صفة الملوك الذين يأمرون بما لا يفعلون. وأن أفعل ما استحق به
الأولية من أعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب يعني أن الله أمرني أن أخلص له الدين من الشرك والرياء
وكل شوب بدليل العقل والوحي فإن عصيت ربي بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا أعصيه ولا أتابع
أمركم وذلك حين دعوه إلى دين آبائه. **فإن قلت** ما معنى التكرير في قوله قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً
له الدين وقوله قل الله أعبد مخلصاً له ديني **قلت** ليس بتكرير لأن الأول إخبار بأنه مأمور من جهة الله
بإحداث العبادة والإخلاص والثاني إخبار بأنه يخص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصاً له دينه
ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة وأخره في الأول فالكلام أولاً واقع في الفعل نفسه وإيجاده
وثانياً فيمن يفعل الفعل لأجله ولذلك رتب عليه قوله **فاعبدوا ما شئتم من دونه** والمراد بهذا الأمر الوارد على وجه
التخيير المبالغة في الخذلان والتخلية على ما حققت فيه القول مرتين. **قل إن** الخاسرين الكاملين في الخسران
الجامعين لوجوهه وأسبابه **الذين خسروا أنفسهم** لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها **وخسروا أهليهم**
لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهاباً
لا رجوع بعده إليهم. وقيل وخسروهم لأنهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل في الجنة يعني وخسروا
أهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا. ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله **ألا ذلك هو الخسران المبين**
حيث استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين
ومن تحتهم أطباق من النار هي ظلل لآخرين **ذلك** العذاب **هو الذي يتوعد الله به** عباده ويخوفهم ليجتنبوا
ما يوقعهم فيه **يا عباد فاتقون** ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله تعالى ونصيحة بالغة. وقرئ
يا عبادي. **الطاغوت** فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت إلا أن فيها قلباً بتقديم اللام على العين
أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكونها مصدراً وفيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان
طغيان وأن البناء بناء مبالغة فإن الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص
إذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها ههنا الجمع. وقرئ الطواغيت. **أن يعبدوها** بدل الاشتمال منه **لهم البشرى**
هي البشارة بالثواب كقوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة الله عز وجل يبشرهم بذلك في وحيه
على ألسنة رسله وتتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون قال الله تعالى يوم ترى
المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات. وأراد

بعباده الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه الذين اجتنبوا وانابوا لا غيرهم وانما اراد بهم
ان يكونوا مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع المضمر واراد ان يكونوا نقادا
في الدين يميزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم امران واجب وندب اختاروا
الواجب وكذلك المباح والندب حراصا على ما هو اقرب عند الله واكثر ثوابا ويدخل تحته المذاهب واختيار
اثبتها على السبك واقواها عند السبر وابينها دليلا او امارة وان لا تكون في مذهبك كما قال القائل
ولا تكن مثل عير قيد فانقادا يريد المقلد وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون
اوامر الله فيتبعون احسنها نحو القصاص والعفو والانتصار والاغضاء والابداء والاخفاء لقوله وان
تعفوا اقرب للتقوى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الرجل يجلس مع القوم
يستمع الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث باحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن الوقفة من يقف على قوله
فبشر عبادي ويبتدئ الذين يستمعون يرفعه على الابتداء وخبره اولئك اصل الكلام امن حق عليه
كلمة العذاب افانت تنقذه جملة شرطية دخل عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في
اولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره أأنت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب افانت
تنقذه والهمزة الثانية هي الاولى كررت لتوكيد معنى الانكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع
الضمير فالآية على هذا جملة واحدة ووجه آخر وهو ان تكون الآية جملتين افمن حق عليه كلمة العذاب
افانت تخلصه افانت تنقذ من في النار وانما جاز حذف فانت تخلصه لان افانت تنقذ يدل عليه
نزل استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا منزلة دخولهم النار حتى نزل اجتهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكده نفسه
في دعائهم الى الايمان منزلة انقاذهم من النار وقوله افانت تنقذ يفيد ان الله تعالى هو الذي يقدر
على الانقاذ من النار وحده لا يقدر على ذلك احد غيره فكما لا تقدر انت ان تنقذ الداخل في النار من النار
لا تقدر ان تخلصه مما هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الايمان فيه غرف من فوقها غرف علالي
بعضها فوق بعض فان قلت ما معنى قوله مبنية قلت معناه والله اعلم انها بنيت بناء المنازل
التي على الارض وسويت تسويتها تجري من تحتها الانهار كما تجري من تحت المنازل من غير تفاوت
بين العلو والسفل وعد الله مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك انزل من السماء
ماء هو المطر وقيل كل ماء في الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله عز وجل فسلكه
فادخله ونظمه ينابيع في الارض عيونا ومسالك ومجاري كالعروق في الاجساد مختلفا الوانه هيئاته
من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك واصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها يهيج يتم
جفافه عن الاصمعي لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منابته ويذهب حطاما فتاتا
وقرئ ثم يجعله ان في ذلك لذكرى لتذكيرا وتنبيها على انه لا بد من صانع حكيم وان ذلك كائن عن تقدير
وتدبير لا عن تعطيل واهمال ويجوز ان يكون مثلا للدنيا كقوله انما مثل الحيوة الدنيا وقرئ مصفارا
افمن عرف الله انه من اهل اللطف فلطف به حتى انشرح صدره للاسلام ورغب فيه وقبله
كمن لا لطف له فهو حرج الصدر قاسي القلب ونور الله هو لطفه وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية
فقيل يا رسول الله كيف انشراح الصدر قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل يا رسول الله
فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت
وهو نظير قوله امن هو قانت في حذف الخبر من ذكر الله من اجل ذكره اي اذا ذكر الله عندهم او آياته
اشمأزوا وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم وقرئ عن ذكر الله فان
قلت ما الفرق بين من وعن في هذا قلت اذا قلت قسا قلبه من ذكر الله فالمعنى ما ذكرت من ان القسوة
من اجل الذكر وبسببه واذا قلت عن ذكر الله فالمعنى غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه ونظيره سقاه
من العيمة اي من اجل عطشه وسقاه عن العيمة اذا ارواه حتى ابعده عن العطش وعن ابن
مسعود رضي الله عنه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وايقاع اسم الله مبتدأ وبناء
نزل عليه فيه تفخيم لاحسن الحديث ورفع منه واستشهاد على حسنه وتأكيد لاستناده الى الله
وانه من عنده وان مثله لا يجوز ان يصدر الا عنه وتنبيه على انه وحي معجز مباين لسائر
الاحاديث وكتابا بدل من احسن الحديث ويحتمل ان يكون حالا منه متشابها مطلق
في مشابهة بعضه بعضا فكان متناولا لتشابه معانيه في الصحة والاحكام والبناء على الحق

والصدق

والصدق ومنفعة الخلق
وتناسب الفاظه وتناصفها في التخير والاصابة وتجاوب نظمه وتأليفه في الاعجاز والتبكيت ويجوز ان
يكون مثاني بيانا لكونه متشابها لان القصص المكررة لا تكون الا متشابهة والمثاني جمع مثنى بمعنى
مردد ومكرر لما ثني من قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه
وقيل لانه يثنى في التلاوة فلا يمل كما جاء في وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد ويجوز
ان يكون جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما كان قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين بمعنى
كرة بعد كرة وكذلك لبيك وسعديك وحنانيك فان قلت كيف وصف الواحد بالجمع قلت انما صح
ذلك لان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء هي جملته لا غير الا تراك تقول القرآن اسباع واخماس
وسور وآيات وكذلك تقول اقاصيص واحكام ومواعظ مكررات ونظيره قولك الانسان عظام وعروق
واعصاب الا انك تركت الموصوف الى الصفة واصله كتابا متشابها فصولا مثاني ويجوز ان يكون كقولك برمة
اعشار وثوب اخلاق ويجوز ان لا يكون مثاني صفة ويكون منتصبا على التمييز من متشابها كما تقول
رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه فان قلت ما فائدة التثنية والتكرير قلت
النفوس انفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة فما لم يكرر عليها عودا عن بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله
ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركزه
في قلوبهم ويغرسه في صدورهم اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من حروف القشع
وهو الاديم اليابس مضموما اليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر
جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل في شدة الخوف فيجوز ان يريد به الله سبحانه التمثيل تصويرا
لافراط خشيتهم وان يريد التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده اصابتهم خشية تقشعر منها
جلودهم ثم اذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان
بها من الخشية والقشعريرة فان قلت ما وجه تعديته بالى قلت ضمن معنى فعل متعد بالى
كانه قيل سكنت او اطمأنت الى ذكر الله لينة غير متقبضة راجية غير خاشية فان قلت لم اقتصر على ذكر
الله من غير ذكر الرحمة قلت لان اصل امره الرحمة والرأفة ورحمته هي سابقة غضبه فلاصالة رحمته
اذا ذكر لم يخطر بالبال الا كونه رؤوفا رحيما فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها
اولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا قلت اذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكانه
قيل تقشعر جلودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم في اول وهلة فاذا ذكروا الله ومبنى امره على
الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم ذلك اشارة الى الكتاب وهو
هدى الله يهدي به من يشاء يعني عباده المتقين حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء
كما قال هدى للمتقين ومن يضلل الله ومن يخذله من الفساق والفجرة فما له من هاد او ذلك الكائن من الخشية
والرجاء هدى الله اي اثر هداه وهو لطفه فسماه هدى لانه حاصل بالهدى يهدي به بهذا الاثر من يشاء من عباده
يعني من صحب اولئك ورآهم خاشعين راجين فكان ذلك مرغبا لهم في الاقتداء بسيرتهم وسلوك طريقتهم
ومن يضلل الله ومن لم يؤثر فيه الطافه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه بشيء قط
يقال اتقاه بدرقته استقبله بها فوقى بها نفسه اياه واتقاه بيده وتقديره افمن يتقي بوجهه سوء
العذاب كمن امن العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه ان الانسان اذا لقي مخوفا
من المخاوف استقبله بيده وطلب ان يقي بها وجهه لانه اعز اعضائه عليه والذي يلقى في النار يلقى مغلولة
يداه الى عنقه فلا يتهيأ له ان يتقي النار الا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه
وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل نزلت في ابي جهل وقال لهم خزنة النار ذوقوا وبال ما كنتم تكسبون من قبلهم
من قبل قريش فاتاهم العذاب من الجهة التي لا يشعرون بها لا يخطر ببالهم ان الشر يأتيهم منها بينا هم
آمنون رافهون اذ فوجئوا من مأمنهم والخزي الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء وما اشبه ذلك
من نكال الله قرآنا عربيا حال مؤكدة كما تقول جاءني زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا ويجوز ان ينتصب على المدح
غير ذي عوج مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف فان قلت فهلا قيل مستقيما او غير معوج قلت فيه فائدتان
احداهما نفي ان يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا والثاني ان لفظ العوج مختص بالمعاني دون الاعيان
وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وانشد وقد اتاك يقين غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب واضرب لقومك مثلا

في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعي أنه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه في مهن شتى ومشاده وإذا عنت له حاجة تدافعوه فهو متحير في أمره قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت أفكاره لا يدري أيهم يرضي بخدمته وعلى أيهم يعتمد في حاجاته وفي آخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو معتنق لما لزمه من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع أي هذين العبدين أحسن حالا وأحمد شأنا والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة شتى وما يلزمه على قضية مذهبه من أن يدعي كل واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا كما قال ولعلا بعضهم على بعض ويبقى هو متحيرا ضائعا لا يدري أيهم يعبد وعلى ربوبية أيهم يعتمد وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه أوزاع وحال من لم يثبت إلا إلها واحدا فهو قائم بما كلفه عارف بما أرضاه وما أسخطه متفضل عليه في عاجله مؤمل للثواب في آجله وفيه صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه والتشاكس والتشاخس الاختلاف تقول تشاكست أحواله وتشاخست أسنانه سالما لرجل خالصا له وقرئ سلما بفتح الفاء والعين وفتح الفاء وكسرها مع سكون العين وهي مصادر وصف بها أو على إضمار ذا سلامة لرجل أي ذا خلوص له من الشركة من قولهم سلمت له الضيعة وقرئ بالرفع على الابتداء أي وهناك رجل سالم لرجل وإنما جعله رجلا ليكون أفطن لما شقي به أو سعد فإن المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك هل يستويان مثلا هل يستويان صفة على التمييز والمعنى هل تستوي صفتاهما وحالاهما وإنما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله وأكثر أموالا وأولادا مع قوله أشد منهم قوة ويجوز فيمن قرأ مثلين أن يكون الضمير في يستويان للمثلين لأن التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع إلى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين الحمد لله الواحد الذي لا شريك له دون كل معبود سواه أي يجب أن يكون الحمد متوجها إليه وحده والعبادة فقد ثبت أنه لا إله إلا هو بل أكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فأخبر الله أن الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الباقي بالفاني وعن قتادة نعى إلى نبيه نفسه ونعى إليكم أنفسكم وقرئ مائت ومائتون والفرق بين الميت والمائت أن الميت صفة لازمة كالسيد وأما المائت فصفة حادثة تقول زيد مائت غدا كما تقول سائد غدا أي سيموت وسيسود وإذا قلت زيد ميت فكما تقول حي في نقيضه فيما يرجع إلى اللزوم والثبوت والمعنى في قوله إنك ميت وإنهم ميتون إنك وإياهم وإن كنتم أحياء فأنتم في عداد الموتى لأن ما هو كائن فكأن قد كان ثم إنكم ثم إنك وإياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب فتحتج عليهم بأنك كنت على الحق في التوحيد وكانوا على الباطل في التشريك واجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد ويعتذرون بما لا طائل تحته تقول الأتباع أطعنا سادتنا وكبراءنا وتقول السادات أغوتنا الشياطين وآباؤنا الأقدمون وقد حمل على اختصام الجميع وأن الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدي والمؤمنون الكافرين يبكتونهم بالحجج وأهل القبلة يكون بينهم الخصام قال عبد الله بن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى أن هذه الآية أنزلت فينا وفي أهل الكتابين قلنا كيف نختصم ونبينا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن إبراهيم النخعي قالت الصحابة ما خصومتنا ونحن إخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا وعن أبي العالية نزلت في أهل القبلة والوجه الذي يدل عليه كلام الله تعالى هو ما قدمت أولا ألا ترى إلى قوله فمن أظلم ممن كذب على الله وقوله والذي جاء بالصدق وما هو إلا بيان وتفسير للذين تكون بينهم الخصومة كذب على الله افترى على الله بإضافة الولد والشريك إليه وكذب بالصدق بالأمر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إذ جاءه فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لإعمال روية أو اهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون مثوى للكافرين أي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام في الكافرين إشارة إليهم والذي جاء بالصدق وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وآمن به وأراد به إياه ومن تبعه كما أراد بموسى إياه وقومه في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذلك قال أولئك هم المتقون إلا أن هذا في الصفة وذاك في الاسم ويجوز أن يريد والفوج أو الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به وقرئ وصدق بالتخفيف أي صدق به الناس ولم يكذبهم به يعني أداه إليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل وصار صادقا به أي بسببه لأن القرآن معجز والمعجز تصديق من الحكيم

الذي

الذي لا يفعل القبيح لم يجز أن يصدق إلا الصادق فيصير لذلك صادقا بالمعجز وقرئ وصدق به فإن قلت ما معنى إضافة الأسوأ والأحسن إلى الذي عملوا وما معنى التفضيل فيهما قلت أما الإضافة فما هي من إضافة أفعل إلى الجملة التي يفضل عليها ولكن من إضافة الشيء إلى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الأشج أعدل بني مروان وأما التفضيل فإيذان بأن الشيء الذي يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الأسوأ لاستعظامهم المعصية والحسن الذي يعملونه هو عند الله الأحسن لحسن إخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالأسوأ وحسنهم بالأحسن وقرئ أسواء الذي عملوا جمع سوء أليس الله بكاف عبده أدخلت همزة الإنكار على كلمة النفي فأفيد معنى إثبات الكفاية وتقريرها وقرئ بكاف عباده وهم الأنبياء عليهم السلام وذلك أن قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا وإنا نخشى عليك معرتها لعيبك إياها ويروى أنه بعث خالدا إلى العزى ليكسرها فقال له سادنها أحذركها يا خالد إن لها لشدة لا يقوم لها شيء فعمد خالد إليها فهشم أنفها فقال الله عز وجل أليس الله بكاف نبيه أن يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء في مواطن الخوف وفي هذا تهكم بهم لأنهم خوفوه بما لا يقدر على نفع ولا ضر أو أليس الله بكاف أنبياءه ولقد قالت أممهم نحو ذلك فكفاهم الله وذلك قول قوم هود إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ويجوز أن يريد العبد والعباد على الإطلاق لأنه كافيهم في الشدائد وكافل مصالحهم وقرئ بكافي عباده على الإضافة ويكافي عباده ويحتمل أن يكون غير مهموز مفاعلة من الكفاية كقولك يجازي في يجزي وهو أبلغ في كفى لبنائه على لفظ المغالبة والمباراة وأن يكون مهموزا من المكافأة وهي المجازاة لما تقدم من قوله ويجزيهم أجرهم بالذين من دونه أراد الأوثان التي اتخذوها آلهة من دونه بعزيز بغالب منيع ذي انتقام ينتقم من أعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم وقرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الأصل وبالإضافة للتخفيف فإن قلت لم فرض المسألة في نفسه دونهم قلت لأنهم خوفوه معرة الأوثان وتخبيلها فأمر بأن يقررهم أولا بأن خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فإن أرادني خالق العالم الذي أقررتم به بضر من مرض أو فقر أو غير ذلك من النوازل أو برحمة من صحة أو غنى أو نحوهما هل هؤلاء اللاتي خوفتموني إياهن كاشفات عني ضره أو ممسكات رحمته حتى إذا ألقمهم الحجر وقطعهم حتى لا يحيروا ببنت شفة قال حسبي الله كافيا لمعرة أوثانكم عليه يتوكل المتوكلون وفيه تهكم ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل قل حسبي الله فإن قلت لم قيل كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من دونه قلت أنثهن وكن إناثا وهن اللات والعزى ومناة قال الله تعالى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضر وإمساك الرحمة لأن الأنوثة من باب اللين والرخاوة كما أن الذكورة من باب الشدة والصلابة كأنه قال الإناث اللاتي هن اللات والعزى ومناة أضعف مما تدعون لهن وأعجز وفيه تهكم أيضا على مكانتكم على حالكم التي أنتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما تستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان فإن قلت حق الكلام فإني عامل على مكانتي فلم حذف قلت للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والإيذان بأن حاله لا تقف وتزداد كل يوم قوة وشدة لأن الله تعالى ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله ألا ترى إلى قوله فسوف تعلمون كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم في الدنيا والآخرة لأنهم إذا أتاهم الخزي والعذاب فذاك عزه وغلبته من حيث إن الغلبة تتم له بعز عزيز من أوليائه وبذل ذليل من أعدائه يخزيه مثل مقيم في وقوعه صفة للعذاب أي عذاب مخز له وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار وقرئ مكاناتكم للناس لأجلهم ولأجل حاجتهم إليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم إلى اختيار الطاعة على المعصية ولا حاجة لي إلى ذلك فأنا الغني فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرها وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى فإن التكليف مبني على الاختيار دون الإجبار الله يتوفى الأنفس الجملة كما هي وتوفيها إماتتها وهو أن يسلب ما هي به حساسة دراكة من صحة أجزائها وسلامتها لأنها عند سلب الصحة كأن ذاتها قد سلبت والتي لم تمت في منامها يريد ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها أي يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى ومنه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما أن الموتى كذلك فيمسك الأنفس التي قضى عليها الموت الحقيقي أي لا يردها في وقتها حية ويرسل الأخرى النائمة إلى أجل مسمى إلى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الأنفس يستوفيها ويقبضها وهي الأنفس التي تكون معها الحياة والحركة ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها وهي أنفس التمييز قالوا فالتي تتوفى في النوم هي نفس التمييز لا نفس الحياة لأن نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس ورووا عن ابن عباس رضي الله عنهما في ابن آدم نفس وروح

بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فإذا نام العبد
قبض الله نفسه ولم يقبض روحه والصحيح ما ذكرت أولا لأن الله عز وعلا علق التوفي والموت
والمنام جميعا بالأنفس وما عنوا بنفس الحياة والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت والنوم
وإنما الجملة هي التي تموت وهي التي تنام **إن في ذلك** إن في توفي الأنفس مائتة ونائمة وإمساكها
وإرسالها إلى أجل **لآيات** على قدرة الله وعلمه **لقوم** يجيلون فيه أفكارهم ويعتبرون وقرئ قضي عليها
الموت على البناء للمفعول **أم اتخذوا** بل اتخذ قريش والهمزة للإنكار **من دون الله** أي من دون إذنه
شفعاء حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ألا ترى إلى قوله قل لله
الشفاعة جميعا أي هو مالكها فلا يستطيع أحد شفاعة إلا بشرطين أن يكون المشفوع له مرتضى
وأن يكون الشفيع مأذونا له وههنا الشرطان مفقودان جميعا **أولو كانوا** معناه أيشفعون ولو كانوا
لا يملكون شيئا ولا يعقلون أي ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيئا قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم
له ملك السموات والأرض تقرير لقوله لله الشفاعة جميعا لأنه إذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك
كان مالكا لها **فإن قلت** بم يتصل قوله **ثم إليه ترجعون** **قلت** بما يليه معناه له ملك السموات
والأرض اليوم ثم إليه ترجعون يوم القيامة فلا يكون الملك في ذلك اليوم إلا له فله ملك الدنيا والآخرة مدار
المعنى على قوله **وحده** أي إذا أفرد الله بالذكر ولم تذكر معه آلهتهم **اشمأزوا** أي نفروا
وانقبضوا **وإذا ذكر الذين من دونه** وهم آلهتهم ذكر الله معهم أو لم يذكر **استبشروا** لافتتانهم
بها ونسيانهم حق الله تعالى إلى هواهم فيها وقيل إذا قيل لا إله إلا الله وحده لا شريك له نفروا لأن
فيه نفيا لآلهتهم وقيل أراد استبشارهم بما سبق إليه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكر آلهتهم حين
قرأ والنجم عند باب الكعبة فسجد وسجدوا معه لفرحهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز إذ كل واحد
منهما غاية في بابه لأن الاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز
أن يمتلئ غيظا وغما حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه **فإن قلت** ما العامل في إذا ذكر **قلت**
العامل في إذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجؤوا وقت الاستبشار **بعل** رسول الله صلى الله عليه وسلم
بهم وبشدة شكيمتهم في الكفر والعناد فقيل له ادع الله بأسمائه العظمى وقل **أنت** وحدك تقدر **على الحكم**
بيني وبينهم ولا حيلة لغيرك فيهم وفيه وصف لحالهم وإعذار لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له ووعيد لهم وعن
الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام أنه أخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وسخط على قاتله وقالوا الآن
يتكلم فما زاد على أن قال آه أو قد فعلوا وقرأ هذه الآية **قل اللهم فاطر السموات** وروي أنه قال على إثره
قتل من كان صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه **وبدا لهم من الله** وعيد لا كنه لفظاعته وشدته
وهو نظير قوله في الوعد فلا تعلم نفس ما أخفي لهم والمعنى وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط
في حسبانهم ولم يحدثوا به نفوسهم وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فإذا هي سيئات وعن سفيان
الثوري أنه قرأها فقال ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال أخشى آية
من كتاب الله وتلاها فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أحتسبه **وبدا لهم سيئات ما كسبوا** أي سيئات
أعمالهم التي كسبوها أو سيئات كسبهم حين تعرض صحائفهم وكانت خافية عليهم كقوله تعالى أحصاه
الله ونسوه أو أراد بالسيئات أنواع العذاب التي يجازون بها على ما كسبوا فسماها سيئات كما قال
وجزاء سيئة سيئة مثلها **وحاق بهم** ونزل بهم وأحاط جزاء هزئهم **التخويل** مختص بالتفضل
يقال خولني إذا أعطاك على غير جزاء **على علم** أي على علم مني أني سأعطاه لما في من فضل واستحقاق أو على علم
من الله بي وباستحقاقي أو على علم مني بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندي **فإن قلت** لم ذكر
الضمير في أوتيته وهو للنعمة **قلت** ذهابا به إلى المعنى لأن قوله نعمة شيئا من النعم وقسما منها
ويحتمل أن تكون ما في إنما موصولة لا كافة فيرجع إليها الضمير على معنى إن الذي أوتيته على علم **بل هي فتنة**
إنكار لقوله كأنه قال ما خولناك من النعمة لما تقول بل هي فتنة أي ابتلاء وامتحان لك أتشكر أم تكفر
فإن قلت كيف ذكر الضمير ثم أنثه **قلت** حملا على المعنى أولا وعلى اللفظ آخرا ولأن الخبر لما كان
مؤنثا أعني فتنة ساغ تأنيث المبتدأ لأجله لأنه في معناه كقولهم ما جاءت حاجتك وقرئ بل هو فتنة
على وفق إنما أوتيته **فإن قلت** ما السبب في عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها في أول السورة
بالواو **قلت** السبب في ذلك أن هذه وقعت مسببة عن قوله وإذا ذكر الله وحده اشمأزت على معنى
أنهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة فإذا مس أحدهم ضر دعا من اشمأز من ذكره
دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآي اعتراض **فإن قلت** حق الاعتراض أن يؤكد المعترض بينه
وبينه **قلت** ما في الاعتراض من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بأمر منه وقوله أنت تحكم بينهم ثم ما عقبه

من الوعيد العظيم تأكيد لإنكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم إلى الله تعالى في الشدائد دون آلهتهم كأنه قيل
قل يا رب لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترئون عليك مثل هذه الجراءة ويرتكبون مثل هذا المنكر إلا أنت
وقوله ولو أن للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم إن جعل مطلقا أو إياهم خاصة إن عنيتهم به كأنه قيل
ولو أن لهؤلاء الظالمين **ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به** حين أحكم عليهم بسوء العذاب وهذه الأسرار
والنكت لا يبرزها إلا علم النظم وإلا بقيت محتجبة في أكمامها وأما الآية الأولى فلم تقع مسببة وما هي إلا جملة
ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو كقولك قام زيد وقعد عمرو **فإن قلت** من أي وجه وقع مسببة
والاشمئزاز عن ذكر الله ليس بمقتض لالتجائهم إليه بل هو مقتض لصدوفهم عنه **قلت** في هذا التسبيب
لطف ومثاله أنك تقول زيد مؤمن بالله تعالى فإذا مسه ضر التجأ إليه فهذا تسبيب ظاهر لا لبس فيه ثم تقول
زيد كافر بالله تعالى فإذا مسه ضر التجأ إليه فتجيء بالفاء مجيئك به ثمة كأن الكافر حين التجأ إلى الله تعالى
التجاء المؤمن إليه مقيم كفره مقام الإيمان ومجريه مجراه في جعله سببا في الالتجاء فأنت تحكي ما عكس فيه
الكافر ألا ترى أنك تقصد بهذا الكلام الإنكار والتعجب من فعله **قالها** الضمير في قالها راجع إلى قوله إنما أوتيته
على علم لأنها كلمة أو جملة من القول وقرئ قد قاله على معنى القول والكلام وذلك **والذين من قبلهم** هو
قارون وقومه حيث قال إنما أوتيته على علم عندي وقومه راضون بها فكأنهم قالوها ويجوز أن يكون في
الأمم الخالية آخرون قائلون مثلها **فما أغنى عنهم** ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه **من هؤلاء**
من مشركي قومك سيصيبهم مثل ما أصاب أولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا
سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم **أولم يعلموا** أنه لا قابض ولا باسط إلا الله عز وجل
أسرفوا على أنفسهم جنوا عليها بالإسراف في المعاصي والغلو فيها **لا تقنطوا** قرئ بفتح النون وكسرها وضمها
إن الله يغفر الذنوب جميعا يعني بشرط التوبة وقد تكرر ذكر هذا الشرط في القرآن فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا له فيما
لم يذكر فيه لأن القرآن في حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذنوب جميعا
لمن يشاء والمراد بمن يشاء من تاب لأن مشيئة الله تابعة لحكمته وعدله لا لملكه وجبروته وقيل في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم
وفاطمة رضي الله عنها يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي ونظير نفي المبالاة نفي الخوف في قوله ولا يخاف عقباها
وقيل قال أهل مكة يزعم محمد أن من عبد الأوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له فكيف ولم نهاجر
وقد عبدنا الأوثان وقتلنا النفس التي حرم الله فنزلت وروي أنه أسلم عياش بن أبي ربيعة والوليد بن
الوليد ونفر معهما ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله لهم صرفا ولا عدلا أبدا فنزلت
فكتب بها عمر رضي الله عنه إليهم فأسلموا وهاجروا وقيل نزلت في وحشي قاتل حمزة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحب
أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال رجل يا رسول الله صلى الله عليك ومن أشرك فسكت ساعة ثم قال
ألا ومن أشرك ثلاث مرات **وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له** وتوبوا إليه وأخلصوا له العمل وإنما ذكر
الإنابة على إثر المغفرة لئلا يطمع طامع في حصولها بغير توبة وللدلالة على أنها شرط فيها لازم لا تحصل
بدونه **واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم** مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه **وأنتم لا تشعرون**
أي يفجؤكم وأنتم غافلون كأنكم لا تخشون شيئا لفرط غفلتكم وسهوكم **أن تقول نفس** كراهة أن تقول
نفس **فإن قلت** لم نكرت **قلت** لأن المراد بها بعض الأنفس وهي نفس الكافر ويجوز أن يراد نفس
متميزة عن الأنفس إما بلجاج في الكفر شديد أو بعذاب عظيم ويجوز أن يراد التكثير كما قال الأعشى
ورب بقيع لو هتفت بجوه أتاني كريم ينفض الرأس مغضبا وهو يريد أفواجا من الكرام ينصرونه لا
كريما واحدا ونظيره رب بلد قطعت ورب بطل قارعت وقد اختلس الطعنة ولا يقصد إلا التكثير
وقرئ **يا حسرتي** على الأصل ويا حسرتاي على الجمع بين العوض والمعوض منه **والجنب** الجانب يقال أنا في جنب
فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه
قال سابق البربري أما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع وهذا من باب الكناية
لأنك إذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه ألا ترى إلى قوله إن السماحة والمروءة والندى
في قبة ضربت على ابن الحشرج ومنه قول الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لأجلك وفي الحديث من
الشرك الخفي أن يصلي الرجل لمكان الرجل وكذلك فعلت هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع
إلى أداء الغرض بين ذكر المكان وتركه قيل فرطت في جنب الله على معنى فرطت في ذات الله **فإن قلت**
فمرجع كلامك إلى أن ذكر الجنب كلا ذكر سوى ما يعطي من حسن الكناية وبلاغتها فكأنه قيل فرطت في الله
فما معنى فرطت في الله **قلت** لا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب أو لم يذكر والمعنى
فرطت في طاعة الله وعبادة الله وما أشبه ذلك وفي حرف عبد الله وحفصة في ذكر الله **وما** في
ما فرطت مصدرية مثلها في بما رحبت **وإن كنت لمن الساخرين** قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله
حتى سخر من أهلها ومحله النصب على الحال كأنه قال فرطت وأنا ساخر أي فرطت في حال سخريتي

وروي أنه كان في بني إسرائيل عالم ترك علمه وفسق فأتاه إبليس فقال له تمتع من الدنيا ثم تب فأطاعه وكان له
مال فأنفقه في الفجور فأتاه ملك الموت في ألذ ما كان فقال يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري
في طاعة الشيطان وأسخطت ربي فندم حين لم ينفعه الندم فأنزل الله خبره في القرآن **لو أن الله هداني** لا يخلو
إما أن يريد به الهداية بالإلجاء أو بالألطاف أو بالوحي فالإلجاء خارج عن الحكمة ولم يكن من أهل الألطاف
فيلطف به وأما الوحي فقد كان ولكنه أعرض ولم يتبعه حتى يهتدي وإنما يقول هذا تحيرا في أمره وتعللا
بما لا يجدي كما حكي عنهم التعلل بإغواء الرؤساء والشياطين ونحو ذلك ونحوه لو هدانا الله لهديناكم
وقوله **بلى قد جاءتك آياتي** رد من الله تعالى عليه معناه بلى قد هديت بالوحي **فكذبت به واستكبرت** عن
قبوله وآثرت الكفر على الإيمان والضلالة على الهدى وقرئ بكسر التاء على مخاطبة النفس **فإن قلت** هلا قرن
الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو أن الله هداني ولم يفصل بينهما بآية **قلت** لأنه لا يخلو إما
أن يقدم على أخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن وإما أن تؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الأول لما فيه
من تبتير النظم بالجمع بين القرائن وأما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة
ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها
ونظمها ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب **فإن قلت** كيف صح أن تقع بلى جوابا لغير منفي **قلت** لو أن
الله هداني فيه معنى ما هديت **كذبوا على الله** وصفوه بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه فأضافوا إليه الولد
والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله أمرنا بها ولا يبعد عنهم
قوم يسفهونه بفعل القبائح ويجوزون أن يخلق خلقا لا لغرض ويؤلم لا لعوض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق
ويجسمونه بكونه مرئيا معاينا مدركا بالحاسة ويثبتون له يدا وقدما وجنبا مستترين بالبلكفة ويجعلون له أندادا
بإثباتهم معه قدماء **وجوههم مسودة** جملة في موضع الحال إن كان من رؤية البصر ومفعول ثان
إن كان من رؤية القلب وقرئ **ينجي** وينجي **بمفازتهم** بفلاحهم يقال فاز بكذا إذا أفلح به وظفر بمراده
منه وتفسير المفازة قوله **لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون** كأنه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم
السوء أي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب
أي بمنجاة منه لأن النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس المفازة
بالأعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لأن العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز أن يسمى العمل
الصالح في نفسه مفازة لأنه سببها وقرئ بمفازاتهم على أن لكل متق مفازة **فإن قلت** لا يمسهم ما محله
من الإعراب على التفسيرين **قلت** أما على التفسير الأول فلا محل له لأنه كلام مستأنف وأما على الثاني فمحله
النصب على الحال **له مقاليد السماوات والأرض** أي هو مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لأن حافظ
الخزائن ومدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان ألقيت إليه مقاليد الملك وهي المفاتيح ولا
واحد لها من لفظها وقيل مقليد ويقال إقليد وأقاليد والكلمة أصلها فارسية **فإن قلت** ما للكتاب العربي
المبين وللفارسية **قلت** التعريب أحالها عربية كما أخرج الاستعمال المهمل من كونه مهملا **فإن قلت**
بم اتصل قوله **والذين كفروا** **قلت** بقوله وينجي الله الذين اتقوا أي ينجي الله المتقين بمفازتهم
والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بأنه خالق الأشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء
من أعمال المكلفين فيها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه على أن كل شيء في السماوات
والأرض فالله تعالى خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا أن يكون الأمر كذلك أولئك **هم الخاسرون**
وقيل سأل عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السماوات والأرض فقال يا عثمان ما سألني عنها
أحد قبلك تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا
بالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وتأويله على هذا أن
لله تعالى هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السماوات والأرض من تكلم بها من المتقين أصابه
والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده **أولئك هم الخاسرون أفغير الله** منصوب بأعبد **وتأمروني** اعتراض
ومعناه أفغير الله أعبد بأمركم وذلك حين قال له المشركون استلم بعض آلهتنا ونؤمن بإلهك أو ينصب
بما يدل عليه جملة قوله تأمروني أعبد لأنه في معنى تعبدونني وتقولون لي أعبد والأصل تأمرونني أن أعبد
فحذف أن ورفع الفعل كما في قوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى ألا تراك تقول أفغير الله تقولون لي أعبده
وأفغير الله تقولون لي أعبد فكذلك أفغير الله تأمرونني أن أعبده وأفغير الله تأمرونني أن أعبد
والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرأ أعبد بالنصب وقرئ تأمرونني على الأصل
وتأمروني على إدغام النون أو حذفها وقرئ **ليحبطن عملك** ولنحبطن على البناء للمفعول وليحبطن بالنون
والياء أي ليحبطن الله أو الشرك **فإن قلت** الموحى إليهم جماعة فكيف قال لئن أشركت على التوحيد **قلت**
معناه أوحي إليك لئن أشركت ليحبطن عملك وإلى الذين من قبلك مثله أو أوحي إلى كل واحد

منهم لئن أشركت كما تقول كسانا حلة أي كل واحد منا **فإن قلت** ما الفرق بين اللامين **قلت** الأولى موطئة للقسم
المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين أعني جوابي القسم والشرط **فإن قلت** كيف صح
هذا الكلام مع علم الله تعالى أن رسله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم **قلت** هو على سبيل الفرض والمحالات
يصح فرضها لأغراض فكيف بما ليس بمحال ألا ترى إلى قوله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا يعني على سبيل
الإلجاء ولن يكون ذلك لامتناع الداعي إليه ووجود الصارف عنه **فإن قلت** ما معنى قوله **ولتكونن من
الخاسرين** **قلت** يحتمل ولتكونن من الخاسرين بسبب حبوط العمل ويحتمل ولتكونن في الآخرة من جملة الخاسرين
الذين خسروا أنفسهم إن مت على الردة ويجوز أن يكون غضب الله على الرسول أشد فلا يمهله بعد الردة
ألا ترى إلى قوله إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات **بل الله فاعبد** رد لما أمروه به من استلام
بعض آلهتهم كأنه قال لا تعبد ما أمروك بعبادته بل إن كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل
تقديم المفعول عوضا منه **وكن من الشاكرين** على ما أنعم به عليك من أن جعلك سيد ولد آدم وجوز
الفراء نصبه بفعل مضمر هذا معطوف عليه تقديره بل الله أعبد فاعبد **لما** كان العظيم من الأشياء إذا عرفه
الإنسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل **وما قدروا الله حق قدره** وقرئ
بالتشديد على معنى وما عظموه كنه تعظيمه ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل
فقال **والأرض جميعا قبضته والسماوات مطويات بيمينه** والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه
تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة
مجاز وكذلك حكم ما يروى أن جبريل عليه السلام جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم إن الله يمسك
السماوات يوم القيامة على إصبع والأرضين على إصبع والجبال على إصبع والشجر على إصبع والثرى على إصبع
وسائر الخلق على إصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال ثم قرأ تصديقا له
وما قدروا الله الآية وإنما ضحك أفصح العرب وتعجب لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور
إمساك ولا إصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة
الباهرة وأن الأفعال العظام التي تتحير فيها الأفهام والأذهان ولا تكتنهها الأوهام هينة عليه
هوانا لا يوصل السامع إلى الوقوف عليه إلا إجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل ولا ترى بابا في علم
البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله في القرآن
وسائر الكتب السماوية وكلام الأنبياء فإن أكثره وعليته تخييلات قد زلت فيها الأقدام قديما وما أتي
الزالون إلا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى يعلموا أن في عداد العلوم الدقيقة علما لو قدروه حق قدره
لما خفي عليهم أن العلوم كلها مفتقرة إليه وعيال عليه إذ لا يحل عقدها الموربة ولا يفك قيودها المكربة
إلا هو وكم من آية من آيات التنزيل وحديث من أحاديث الرسول قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات
الغثة والوجوه الرثة لأن من تأول ليس من هذا العلم في عير ولا نفير ولا يعرف قبيلا منه من دبير
والمراد بالأرض الأرضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعا وقوله والسماوات ولأن الموضع موضع
تفخيم وتعظيم فهو مقتض للمبالغة ومع القصد إلى الجمع وتأكيده بالجميع أتبع الجميع مؤكده قبل مجيء الخبر
ليعلم أول الأمر أن الخبر الذي يرد لا يقع عن أرض واحدة ولكن عن الأراضي كلهن **والقبضة** المرة من القبض
قبضت قبضة من أثر الرسول والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال أيضا أعطني قبضة من كذا تريد معنى القبضة
تسمية بالمصدر كما روي أنه نهى عن خطفة السبع وكلا المعنيين محتمل والمعنى والأرضون جميعا قبضته أي ذوات قبضته
يقبضهن قبضة واحدة يعني أن الأرضين مع عظمهن وبسطتهن لا يبلغن إلا قبضة واحدة من قبضاته كأنه يقبضها
قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور أكلة لقمان والقلة جرعة أي ذات أكلة وذات جرعة تريد أنهما لا يفيان
إلا بأكلة فذة من أكلاته وجرعة فردة من جرعاته وإذا أريد معنى القبضة فظاهر لأن المعنى أن الأرضين بجملتها
مقدار ما يقبضه بكف واحدة **فإن قلت** ما وجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب **قلت** جعلها ظرفا
مشبها للوقت بالمبهم **مطويات** من الطي الذي هو ضد النشر كما قال يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب وعادة
طاوي السجل أن يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع **وبيمينه** بقدرته وقيل مطويات
بيمينه مفنيات بقسمه لأنه أقسم أن يفنيها ومن اشتم رائحة من علم البيان لم يخف عليه أن هذا الذي
بالتعجب منه ومن قائله ثم يبكي حمية لكلام الله المعجز بفصاحته وما مني به من أمثاله وأثقل منه على الروح
وأصدع للكبد تدوين العلماء قوله واستحسانهم له وحكايتهم له على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به من السامعين
وقرئ مطويات على نظم السماوات في حكم الأرض ودخولها تحت القبضة ونصب مطويات على الحال سبحانه وتعالى
ما أبعد هذه قدرته وعظمته وما أعلاه عما يضاف إليه من الشركاء **فإن قلت أخرى** ما محلها من الإعراب
قلت يحتمل الرفع والنصب أما الرفع فعلى قوله فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وأما النصب فعلى قراءة من قرأ نفخة واحدة
~~حذفت لدلالة أخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان~~ والنصب فعلى قراءة من قرأ نفخة واحدة
والمعنى **ونفخ في الصور نفخة واحدة** ونفخ فيه **أخرى فإذا هم قيام ينظرون** يقلبون أبصارهم في الجهات نظر المبهوت

اذا جاءه خطب وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز ان يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكان لتحيرهم ✱ قد استعار الله عز وجل النور للحق والقرآن والبرهان في مواضع من التنزيل وهذا من ذاك والمعنى وأشرقت الارض بما يقيمه فيها من العدل والحق ويبسطه من القسط في الحساب ووزن الحسنات والسيئات وينادي عليه بأنه مستعار اضافته الى اسمه لانه هو الحق العدل واضافة اسمه الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين اهلها ولا ترى ازين للبقاع من العدل ولا اعمر لها منه وفي هذه الاضافة ان ربها وخالقها هو الذي يعدل فيها وانما يجور فيها غير ربها ثم ما عطف على اشراق الارض من وضع الكتاب والمجيء بالنبيين والشهداء والقضاء بالحق وهو النور المذكور وترى الناس يقولون للملك العادل اشرقت الآفاق بعدلك واضاءت الدنيا بقسطك كما يقولون اظلمت الارض بجور فلان قال رسول الله صلعم الظلم ظلمات يوم القيامة وكما فتح الآية باثبات العدل ختمها بنفي الظلم وقرئ وأشرقت على البناء للمفعول من شرقت بالضوء تشرق اذا امتلأت به واغتصت وأشرقها الله كما تقول ملأ الارض عدلا وطبقها عدلا ✱ والكتاب صحائف الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس وقيل اللوح المحفوظ ✱ والشهداء الذين يشهدون للامم وعليهم من الحفظة والاخيار وقيل المستشهدون في سبيل الله ✱ الزمر الافواج المتفرقة بعضها في اثر بعض وقد تزمروا قال ✱ حتى احزألت زمر بعد زمر ✱ وقيل في زمر الذين اتقوا هي الطبقات المختلفة الشهداء والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم وقرئ ✱ نذر منكم ✱ فان قلت لم اضيف اليوم اليهم ✱ قلت اراد وقتهم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة وقد جاء استعمال اليوم والايام مستفيضا في اوقات الشدة ✱ قالوا بلى ✱ أتونا وتلوا علينا ✱ ولكن ✱ وجبت علينا كلمة الله لأملأن لسوء اعمالنا كما قالوا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال ✱ اللام في المتكبرين للجنس لان مثوى المتكبرين فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس او مضاف الى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم ✱ حتى هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية الا ان جزاءها محذوف وانما حذف لانه في صفة ثواب اهل الجنة فدل بحذفه على انه شيء لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد خالدين وقيل حتى اذا جاءوها جاءوها ✱ وفتحت ابوابها ✱ اي مع فتح ابوابها وقيل ابواب جهنم لا تفتح الا عند دخول اهلها فيها واما ابواب الجنة فمتقدم فتحها بدليل قوله تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو كأنه قيل حتى اذا جاءوها وقد فتحت ابوابها ✱ فان قلت ✱ كيف عبر عن الذهاب بالفريقين بلفظ السوق جميعا ✱ قلت ✱ المراد بسوق اهل النار طردهم اليها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس او قتل والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين وحثها اسراعا بهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين ✱ طبتم ✱ من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا ✱ فادخلوها ✱ جعل دخول اهل الجنة مسببا عن الطيب والطهارة فما هي الا دار الطيبين ومثوى الطاهرين لانها دار طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها فما ابعد احوالنا من تلك المناسبة وما اضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة الا ان يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحا تنقي انفسنا من درن الذنوب وتميط وضر هذه القلوب ✱ خالدين ✱ فيها مقدرين الخلود ✱ الارض ✱ عبارة عن المكان الذي اقاموا فيه واتخذوه مقرا ومتبوأ ✱ وقد اورثوها ✱ اي ملكوها وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يشاءون تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه في انفاقه طولا وعرضا ✱ فان قلت ✱ ما معنى قوله ✱ حيث نشاء ✱ وهل يتبوأ احدهم مكان غيره ✱ قلت ✱ يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى جنة غيره ✱ حافين ✱ ✱ فان قلت ✱ بم تعلق من حوله ✱ يسبحون بحمد ربهم ✱ يقولون سبحان الله والحمد لله متلذذين لا متعبدين ✱ فان قلت ✱ الام يرجع الضمير في قوله ✱ بينهم ✱ قلت ✱ يجوز ان يرجع الى العباد كلهم وان ادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون الا قضاء بينهم بالحق والعدل وان يرجع الى الملائكة على ان ثوابهم وان كانوا معصومين جميعا لا يكون على سنن واحد ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم في اعمالهم فهو القضاء بينهم بالحق ✱ فان قلت ✱ قوله ✱ وقيل الحمد لله ✱ من القائل ذلك ✱ قلت ✱ المقضي بينهم اما جميع العباد واما الملائكة كأنه قيل وقضي بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق وانزال كل منزلته التي هي حقه ✱ وعن رسول الله صلعم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة واعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوا ✱ وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلعم كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر ✱

سورة المؤمن مكية

قال الحسن الا قوله وسبح بحمد ربك لان الصلوات نزلت بالمدينة وقد قيل في الحواميم كلها انها مكية عن ابن عباس وابن الحنفية رضي الله عنهما ✱ وهي خمس وثمانون وقيل ثنتان وثمانون آية ✱

بسم الله الرحمن الرحيم

✱ حم ✱ قرئ بامالة الف حا وتفخيمها وبتسكين الميم وبفتحها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وايثار اخف الحركات نحو اين وكيف او النصب بإضمار اقرأ ومنع الصرف للتأنيث والتعريف او للتعريف وانها على زنة اعجمي نحو قابيل وهابيل ✱ التوب ✱ والثوب والاوب اخوات في معنى الرجوع ✱ والطول ✱ الفضل والزيادة يقال لفلان على فلان طول والافضال يقال طال عليه وتطول اذا تفضل ✱ فان قلت ✱ كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة يقتضي ان تكون مثله معارف ✱ قلت ✱ اما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين وانه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن او غدا حتى يكونا في تقدير الانفصال فتكون اضافتهما غير حقيقية وانما اريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم اله الخلق ورب العرش واما شديد العقاب فامره مشكل لانه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله الزجاج بدلا وفي كونه بدلا وحده بين الصفات نبو ظاهر والوجه ان يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت بان كلها ابدال غير اوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها بانها من بحر الرجز فان وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل ولقائل ان يقول هي صفات وانما حذف الالف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لاجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سحادليه من عناديه فثنوا ما هو وتر لاجل ما هو شفع على ان الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك ان يفعل ذاك وما يحسن بالرجل خير منك ان يفعل انه على نية الالف واللام كما كان الجماء الغفير على نية طرح الالف واللام ومما سهل ذلك الامن من اللبس وجهالة الموصوف ويجوز ان يقال قد تعمد تنكيره وابهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى ما لا شيء ادهى منه وامر لزيادة الانذار ويجوز ان يقال هذه النكتة هي الداعية الى اختيار البدل على الوصف اذا سلكت طريقة الابدال ✱ فان قلت ✱ ما بال الواو في قوله ✱ وقابل التوب ✱ قلت ✱ فيها نكتة جليلة وهي افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين ان تقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاءة للذنوب كأن لم يذنب كأنه قال جامع المغفرة والقبول ✱ وروي ان عمر رضي الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من اهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وانا احمد اليك الله الذي لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله اليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم امر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما اتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله ان يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر امره قال هكذا فاصنعوا اذا رأيتم اخاكم قد زل زلة فسددوه ووقفوه وادعوا الله له ان يتوب عليه ولا تكونوا اعوانا للشياطين عليه ✱ سجل ✱ على المجادلين في آيات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد الى ادحاض الحق فاما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة اهل العلم في استنباط معانيها ورد اهل الزيغ بها وعنها فاعظم جهاد في سبيل الله وقوله صلعم ان جدالا في القرآن كفر وايراده منكرا وان لم يقل ان الجدال تمييز منه بين جدال وجدال ✱ فان قلت ✱ من اين تسبب لقوله ✱ فلا يغررك ✱ ما قبله ✱ قلت ✱ من حيث انهم لما كانوا مشهودا عليهم من قبل الله بالكفر والكافر لا احد اشقى منه عند الله وجب على من تحقق ذلك ان لا ترجح احوالهم في عينه ولا يغره اقبالهم في دنياهم ✱ وتقلبهم في البلاد ✱ بالتجارات النافعة والمكاسب المربحة وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن ولهم الاموال يتجرون فيها ويتربحون فان مصير ذلك وعاقبته الى الزوال ووراءه شقاوة الابد ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل وجدالهم بالباطل وما ادخر لهم من سوء العاقبة مثلا ما كان من نحو ذلك من الامم وما اخذهم به من عقابه واحله بساحتهم من انتقامه وقرئ فلا يغرك ✱ الاحزاب ✱ الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم ✱ وهمت كل امة ✱ من هذه الامم التي هي قوم نوح والاحزاب ✱ برسولهم ✱ وقرئ برسولها ✱ ليأخذوه ✱ ليتمكنوا منه ومن الايقاع به واصابته بما ارادوا من تعذيب او قتل ويقال للاسير اخيذ ✱ فاخذتهم ✱ يعني انهم قصدوا اخذه فجعلت جزاءهم على ارادة اخذه ان اخذتهم ✱ فكيف كان عقاب ✱ فانكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون اثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجب ✱ انهم اصحاب النار ✱ في محل الرفع بدل من كلمة ربك اي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من اصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في الآخرة او في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك اولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم انهم من اصحاب النار وقرئ كلمات ✱ روي ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلعم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سماوات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع وفي الحديث ان الله تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام

وفي حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام
قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف قد
وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم أحد إلا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر. وقرأ ابن عباس العرش
بضم العين. فإن قلت ما فائدة قوله ويؤمنون به ولا يخفى على أحد أن حملة العرش ومن حوله من الملائكة
الذين يسبحون بحمد ربهم مؤمنون. قلت فائدته إظهار شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه كما وصف
الأنبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب أعمال الخير بقوله ثم كان من الذين آمنوا فأبان
بذلك فضل الإيمان. وفائدة أخرى وهي التنبيه على أن الأمر لو كان كما تقول المجسمة لكان حملة العرش
ومن حوله مشاهدين معاينين ولما وصفوا بالإيمان لأنه إنما يوصف بالإيمان الغائب فلما وصفوا به
على سبيل الثناء عليهم علم أن إيمانهم وإيمان من في الأرض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في أن
إيمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وأنه لا طريق إلى معرفته إلا هذا وأنه منزه عن صفات الأجرام
وقد روعي التناسب في قوله ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا كأنه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن في
مثل حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على أن الاشتراك في الإيمان يجب أن يكون أدعى شيء إلى النصيحة وأبعثه
على إمحاض الشفقة وإن تفاوتت الأجناس وتباعدت الأماكن فإنه لا تجانس بين ملك وإنسان ولا
بين سماوي وأرضي قط ثم لما جاء جامع الإيمان جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي حتى استغفر من حول العرش
لمن فوق الأرض قال الله تعالى ويستغفرون لمن في الأرض أي يقولون ربنا وهذا المضمر يحتمل أن يكون بيانا ليستغفرون
مرفوع المحل مثله وأن يكون حالا. فإن قلت تعالى الله عن المكان فكيف صح أن يقال وسعت كل شيء قلت
الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى والأصل وسع كل شيء رحمتك وعلمك ولكن أزيل الكلام عن
أصله بأن أسند الفعل إلى صاحب الرحمة والعلم وأخرجا منصوبين على التمييز للإغراق في وصفه بالرحمة
والعلم كأن ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء. فإن قلت قد ذكر الرحمة والعلم فوجب أن يكون ما بعد
الفاء مشتملا على حديثهما جميعا وما ذكر إلا الغفران وحده. قلت معناه فاغفر للذين علمت منهم
التوبة واتباع سبيلك. وسبيل الله سبيل الحق التي نهجها لعباده ودعا إليها. إنك أنت العزيز الحكيم أي الملك
الذي لا تغلب فأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئا إلا بداعي الحكمة وموجب حكمتك أن تفي بوعدك. وقهم
السيئات أي العقوبات أو جزاء السيئات فحذف المضاف على أن السيئات هي الصغائر والكبائر المتوب
عنها والوقاية منها التكفير أو قبول التوبة. فإن قلت ما الفائدة في استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون
موعودون المغفرة والله لا يخلف الميعاد. قلت هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة
والثواب. وقرئ جنة عدن. وصلح بضم اللام والفتح أفصح يقال صلح فهو صالح وصلح فهو صليح. وذرياتهم
أي ينادون يوم القيامة فيقال لهم لمقت الله أكبر والتقدير لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم فاستغني
بذكرها مرة. وإذ تدعون منصوب بالمقت الأول والمعنى أنه يقال لهم يوم القيامة كان الله يمقت أنفسكم
الأمارة بالسوء والكفر حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشد
مما تمقتونهن اليوم وأنتم في النار إذ أوقعتكم فيها باتباعكم هواهن. وعن الحسن لما رأوا أعمالهم الخبيثة
مقتوا أنفسهم فنودوا لمقت الله. وقيل معناه لمقت الله إياكم الآن أكبر من
مقت بعضكم لبعض كقوله يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا. وإذ تدعون تعليل. والمقت أشد
البغض فوضع في موضع أبلغ الإنكار وأشده. اثنتين إماتتين وإحياءتين أو موتتين وحياتين.
وأراد بالإماتتين خلقهم أمواتا أولا وإماتتهم عند انقضاء آجالهم وبالإحياءتين الإحياءة الأولى
وإحياءة البعث وناهيك تفسيرا لذلك قوله تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا عن ابن عباس
فإن قلت كيف صح أن يسمى خلقهم أمواتا إماتة. قلت كما صح أن تقول سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر
جسم الفيل وقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع أسفلها وليس ثم نقل من كبر إلى صغر ولا من صغر إلى كبر
ولا من ضيق إلى سعة ولا من سعة إلى ضيق وإنما أردت الإنشاء على تلك الصفات والسبب في صحته أن
الصغر والكبر جائزان معا على المصنوع الواحد من غير ترجح لأحدهما وكذلك الضيق والسعة فإذا اختار
الصانع أحد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله
منه. ومن جعل الإماتتين التي بعد حياة الدنيا والتي بعد حياة القبر لزمه إثبات ثلاث إحياءات
وهو خلاف ما في القرآن إلا أن يتمحل فيجعل إحداها غير معتد بها أو يزعم أن الله يحييهم في القبور
وتستمر بهم تلك الحياة فلا يموتون بعدها ويعدهم في المستثنين من الصعقة في قوله إلا من شاء الله
فإن قلت كيف تسبب هذا لقوله فاعترفنا بذنوبنا. قلت قد أنكروا البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب
ما لا يحصى لأن من لم يخش العاقبة تخرق في المعاصي فلما رأوا الإماتة والإحياء قد تكررا عليهم علموا بأن الله سبحانه
قادر على الإعادة قدرته على الإنشاء فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من إنكار البعث وما تبعه من
معاصيهم. فهل إلى خروج أي إلى نوع من الخروج سريع أو بطيء من سبيل قط أم اليأس واقع

دون ذلك فلا خروج ولا سبيل إليه. وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وإنما يقولون ذلك تعللا وتحيرا
ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله ذلكم. أي ذلكم الذي أنتم فيه وأن لا سبيل لكم إلى خروج قط
بسبب كفركم بتوحيد الله وإيمانكم بالإشراك به فالحكم لله حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد
وقوله العلي الكبير دلالة على الكبرياء والعظمة وعلى أن عقاب مثله لا يكون إلا كذلك وهو الذي
يطابق كبرياءه ويناسب جبروته. وقيل كأن الحرورية أخذوا قولهم لا حكم إلا لله من هذا.
الذي يريكم آياته من الريح والسحاب والبرق والرعد والصواعق ونحوها. والرزق المطر لأنه سببه
وما يتذكر إلا من ينيب وما يتعظ ولا يعتبر بآيات الله إلا من يتوب من الشرك ويرجع إلى الله فإن
المعاند لا سبيل له إلى التذكر والاتعاظ. ثم قال للمنيبين فادعوا الله أي اعبدوه مخلصين له الدين
من الشرك وإن غاظ ذلك أعداءكم ممن ليس على دينكم. رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح ثلاثة
أخبار لقوله هو مترتبة على قوله الذي يريكم أو أخبار مبتدأ محذوف وهي مختلفة تعريفا
وتنكيرا. وقرئ رفيع الدرجات بالنصب على المدح. ورفيع الدرجات كقوله ذي المعارج وهي مصاعد الملائكة
إلى أن تبلغ العرش وهي دليل على عزته وملكوته. وعن ابن جبير سماء فوق سماء والعرش فوقهن.
ويجوز أن يكون عبارة عن رفعة شأنه وعلو سلطانه كما أن ذا العرش عبارة عن ملكه. وقيل هي درجات
ثوابه التي ينزلها أولياءه في الجنة. الروح من أمره الذي هو سبب الحياة من أمره يريد الوحي الذي
هو أمر بالخير وبعث عليه فاستعار له الروح كما قال أومن كان ميتا فأحييناه. لينذر الله أو الملقى
عليه وهو الرسول. وقرئ لتنذر أي لتنذر الروح. ويوم التلاق على البناء للمفعول. ويوم التلاق يوم القيامة لأن الخلائق
تلتقي فيه. وقيل يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض. وقيل المعبود والعابد. يوم هم بارزون ظاهرون
لا يسترهم شيء من جبل أو أكمة أو بناء لأن الأرض بارزة قاع صفصف ولا عليهم ثياب إنما هم عراة
مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون حفاة عراة غرلا. لا يخفى على الله منهم شيء أي من أعمالهم وأحوالهم
وعن ابن مسعود لا يخفى عليه منهم شيء. فإن قلت قوله لا يخفى على الله منهم شيء بيان وتقرير لبروزهم
والله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء برزوا أو لم يبرزوا فما معناه. قلت معناه أنهم كانوا يتوهمون
في الدنيا إذا استتروا بالحيطان والحجب أن الله تعالى لا يراهم ويخفى عليه أعمالهم فهم اليوم صائرون من
البروز والانكشاف إلى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه قال الله تعالى ولكن ظننتم أن الله
لا يعلم كثيرا مما تعملون. وقال يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وذلك لعلمهم أن الناس يبصرونهم
وظنهم أن الله لا يبصرهم وهو معنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار. لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به. ومعناه أنه ينادي مناد فيقول لمن الملك اليوم
فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار. وقيل يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد بأرض بيضاء
كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فأول ما يتكلم به أن ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار. اليوم تجزى كل نفس الآية. فهذا يقتضي أن يكون المنادي هو المجيب. لما قرر أن الملك
لله وحده في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهو أن كل نفس تجزى بما كسبت وأن الظلم مأمون لأن الله ليس
بظلام للعبيد وأن الحساب لا يبطئ لأن الله سبحانه لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق
كله في وقت وهو أسرع الحاسبين. وعن ابن عباس رضي الله عنه إذا أخذ في حسابهم لم يقل أهل الجنة إلا
فيها ولا أهل النار إلا فيها. الآزفة القيامة سميت بذلك لأزوفها أي لقربها ويجوز أن يريد بيوم الآزفة
وقت الخطة الآزفة وهي مشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها
فتلصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع إلى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها معترضة
كالشجا كما قال فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا. فإن قلت كاظمين بم انتصب. قلت
هو حال عن أصحاب القلوب على المعنى لأن المعنى إذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها ويجوز أن
يكون حالا عن القلوب وأن القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وإنما جمع الكاظم
جمع السلامة لأنه وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء كما قال رأيتهم لي ساجدين وقال
فظلت أعناقهم لها خاضعين ويعضده قراءة من قرأ كاظمون ويجوز أن يكون حالا عن قوله
وأنذرهم أي وأنذرهم مقدرين أو مشارفين الكظم كقوله فادخلوها خالدين. الحميم
المحب المشفق. والمطاع مجاز في المشفع لأن حقيقة الطاعة نحو حقيقة الأمر في أنها لا تكون إلا
لمن فوقك. فإن قلت ما معنى قوله ولا شفيع يطاع. قلت يحتمل أن يتناول النفي الشفاعة
والطاعة معا وأن يتناول الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندي كتاب يباع
فهو محتمل نفي البيع وحده وأن عندك كتابا إلا أنك لا تبيعه ونفيهما جميعا وأن لا كتاب عندك

لا يفزع الأرنب أهوالها
... ولا ترى الضب بها ينجحر

ولا يكون شفيعاً ... ولا ترى الضب بها ينجحر. تريد نفي الضب وانجحاره. فان قلت علام يحتمل التأويلين
جملة قلت على نفي الامرين جميعاً من قبل ان الشفعاء هم اولياء الله واولياء الله لا يحبون
ولا يرضون الا من احبه الله ورضيه وان الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم واذا لم يحبوهم لم
ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله تعالى وما للظالمين من انصار وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى ولان
الشفاعة لا تكون الا في زيادة التفضل واهل التفضل وزيادة الثواب انما هم اهل الثواب بدليل قوله ويزيدهم
من فضله وعن الحسن والله ما يكون لهم شفيع البتة فان قلت الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه
فما الفائدة في ذكر هذه الصفة ونفيها قلت في ذكرها فائدة جليلة وهي انها ضمت اليه ليقام انتفاء
الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة لان الصفة لا تتأتى بدون موصوفها فيكون ذلك ازالة
لتوهم وجود الموصوف بيانه انك اذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت ما لي فرس اركبه ولا معي سلاح
احارب به فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة من الركوب والمحاربة كأنك تقول كيف
يتأتى مني الركوب والمحاربة ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك قوله ولا شفيع يطاع معناه كيف يتأتى
التشفيع ولا شفيع فكان ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تأتيه بعدم الشفيع وضعاً لانتفاء الشفيع
موضع الامر المعروف غير المنكر الذي لا ينبغي ان يتوهم خلافه. الخائنة صفة للنظرة او مصدر بمعنى
الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل اهل الريبة ولا يحسن ان يراد
الخائنة من الاعين لان قوله وما تخفي الصدور لا يساعد عليه. فان قلت بم اتصل قوله يعلم خائنة
الاعين قلت هو خبر من اخبار هو في قوله هو الذي يريكم مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله لينذر
يوم التلاق ثم استطرد ذكر احوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته
والله يقضي بالحق يعني والذي هذه صفاته واحواله لا يقضي الا بالحق والعدل لاستغنائه عن الظلم
وآلهتكم لا يقضون بشيء هذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي او لا يقضي ان الله
هو السميع البصير تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر
ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دون الله وانها لا تسمع ولا تبصر وقرئ يدعون
بالتاء والياء. هم في كانوا هم اشد منهم فصل فان قلت من حق الفصل ان لا يقع الا بين معرفتين فما باله
واقعاً بين معرفة وغير معرفة وهو اشد منهم قلت قد ضارع المعرفة في انه لا يدخله الالف واللام
فاجري مجراه وقرئ منكم وهي في مصاحف اهل الشام. وآثاراً يريد حصونهم وقصورهم وعددهم
وما يوصف بالشدة من آثارهم او اراد واكثر آثاراً كقوله متقلداً سيفاً ورمحاً. وسلطان مبين
حجة ظاهرة وهي المعجزات فقالوا هو ساحر فسموا السلطان المبين سحراً وكذباً. فلما جاءهم بالحق بالنبوة
فان قلت اما كان قتل الابناء واستحياء النساء من قبل خيفة ان يولد المولود الذي انذرته الكهنة
بظهوره وزوال ملكه على يده قلت قد كان ذلك القتل حينئذ وهذا قتل آخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما
في قوله قالوا اقتلوا أعيدوا عليهم القتل كالذي كان اولاً يريد ان هذا قتل غير القتل الاول. في ضلال
في ضياع وذهاب باطلاً لم يجد عليهم يعني انهم باشروا قتلهم اولاً فما اغنى عنهم ونفذ قضاء الله
باظهار من خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث
موسى عليه السلام واحس بانه قد وقع اعاده عليهم غيظاً وحنقاً وظناً منه انه يصدهم بذلك عن
مظاهرة موسى وما علم ان كيده ضائع في الكرتين جميعاً. ذروني اقتل موسى كانوا اذا هم بقتله
كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة ومثله
لا يقاوم الا ساحراً مثله ويقولون اذا قتلته ادخلت الشبهة على الناس واعتقدوا انك قد عجزت عن معارضته
بالحجة والظاهر ان فرعون لعنه الله واخزاه كان قد استيقن انه نبي وان ما جاء به آيات وما هو بسحر
ولكن الرجل كان فيه خب وجربزة وكان قتالاً سفاكاً للدماء في اهون شيء فكيف لا يقتل من احس
منه بانه الذي يثل عرشه ويهدم ملكه ولكنه كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وقوله
وليدع ربه شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني اقتل موسى
تمويهاً على قومه وايهاماً انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما في نفسه من هول الفزع. ان
يبدل دينكم اي يغير ما انتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام بدليل قوله ويذرك
وآلهتك. والفساد في الارض التقاتل والتهارج الذي يذهب معه الامن وتتعطل المكاسب
والمزارع والمعايش ويهلك الناس قتلاً وضياعاً كأنه قال اني اخاف ان يفسد عليكم دينكم بدعوتكم
الى دينه او يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وفي مصاحف اهل الحجاز وان يظهر
بالواو ومعناه اني اخاف فساد دينكم ودنياكم معاً وقرئ يظهر من اظهر والفساد منصوب

اي يظهر موسى الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر اي تتابع وتعاون
لما سمع موسى عليه السلام بما اجراه فرعون لعنه الله من حديث قتله قال لقومه اني عذت بالله الذي هو ربي
وربكم وقوله وربكم فيه بعث لهم على ان يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه
وقال من كل متكبر لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون ابلغ
واراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو اقبح استكبار وادله على دناءة صاحبه ومهانة نفسه وعلى
فرط ظلمه وعسفه وقال لا يؤمن بيوم الحساب لانه اذا اجتمع في الرجل التجبر والتكذيب بالجزاء
وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل اسباب القسوة والجرأة على الله وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها
وعذت ولذت اخوان وقرئ عت بالادغام. رجل مؤمن وقرئ رجل بسكون الجيم كما يقال عضد في عضد
وكان قبطياً ابن عم لفرعون آمن بموسى سراً وقيل كان اسرائيلياً. ومن آل فرعون صفة لرجل او صلة ليكتم
اي يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان او حبيب وقيل خربيل او حزبيل والظاهر انه كان من آل فرعون فان المؤمنين
من بني اسرائيل لم يقلوا ولم يعزوا والدليل عليه قول فرعون ابناء الذين آمنوا معه وقول المؤمن فمن ينصرنا
من بأس الله ان جاءنا دليل ظاهر على انه يتنصح لقومه. ان يقول لان يقول وهذا انكار منه عظيم وتبكيت
شديد كأنه قال اترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة وما لكم علة قط في ارتكابها الا كلمة الحق التي نطق
بها وهي قوله ربي الله مع انه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة ولكن بينات عدة من عند من نسب اليه
الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهو استدراج لهم الى الاعتراف به وليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم
ولك ان تقدر مضافاً محذوفاً اي وقت ان يقول والمعنى اتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية
ولا فكر في امره وقوله بالبينات يريد بالبينات العظيمة التي عهدتموها وشهدتموها ثم اخذهم بالاحتجاج
على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من ان يكون كاذباً او صادقاً فان يك كاذباً فعليه كذبه اي يعود
عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره وان يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم ان تعرضتم له. فان قلت لم قال بعض الذي
يعدكم وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم ان يصيبهم كله لا بعضه قلت لانه احتاج في مقاولة
خصوم موسى ومناكريه الى ان يلاوصهم ويداريهم ويسلك معهم طريق الانصاف في القول ويأتيهم من جهة
المناصحة فجاء بما هو اقرب الى تسليمهم لقوله وادخل في تصديقهم له وقبولهم منه فقال وان يك صادقاً يصبكم
بعض الذي يعدكم وهو كلام المنصف في مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك انه حين
فرضه صادقاً فقد اثبت انه صادق في جميع ما يعد ولكنه اردفه يصبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر
الكلام فيريهم انه ليس بكلام من اعطاه حقه وافياً فضلاً ان يتعصب له او يرمي بالحصى من ورائه وتقديم
الكاذب على الصادق ايضاً من هذا القبيل وكذلك قوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب. فان قلت
فعن ابي عبيدة انه فسر البعض بالكل وانشد بيت لبيد. تراك امكنة اذا لم ارضها ... او يرتبط بعض النفوس حمامها
قلت ان صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازني في مسألة العلقى كان اجفى من ان يفقه ما اقول له
ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يحتمل انه ان كان مسرفاً كذاباً خذله الله واهلكه ولم يستقم له امر فتتخلصون منه
وانه لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله للنبوة ولما عضده بالبينات وقيل ما تولى ابو بكر رضي الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اشد من ذلك طاف صلى الله عليه وسلم بالبيت فلقوه حين فرغ فاخذوا بمجامع ردائه فقالوا له انت الذي تنهانا عما
كان يعبد آباؤنا فقال انا ذاك فقام ابو بكر فالتزمه من ورائه وقال اتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات
من ربكم رافعاً صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى ارسلوه وعن جعفر الصادق ان مؤمن آل فرعون كان يكتم ايمانه
سراً وابو بكر كان مظهراً. ظاهرين في الارض في ارض مصر عالين فيها على بني اسرائيل يعني ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس
وقهرتموهم فلا تفسدوا امركم على انفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فانه لا قبل لكم به ان جاءكم
ولا يمنعكم منه احد وقال ينصرنا وجاءنا لانه منهم في القرابة وليعلمهم بان الذي ينصحهم به هو
مساهم لهم فيه. ما اريكم الا ما ارى اي ما اشير عليكم برأي الا بما ارى من قتله يعني لا استصوب الا قتله
وهذا الذي تقولونه غير صواب. وما اهديكم بهذا الرأي الا سبيل الرشاد يريد سبيل الصواب والصلاح
او ما اعلمكم الا ما اعلم من الصواب ولا ادخر منه شيئاً ولا اسر عنكم خلاف ما اظهر يعني ان لسانه وقلبه
متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعراً للخوف الشديد من جهة موسى ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره
لم يستشر احداً ولم يقف الامر على الاشارة وقرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر كعلام او من رشد
بالفتح كعباد وقيل هو من ارشد كجبار من اجبر وليس بذاك لان فعالاً من افعل لم يجئ الا في
عدة احرف نحو دراك وسآر وقصار وجبار ولا يصح القياس على القليل ويجوز ان يكون
نسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل. مثل يوم الاحزاب مثل ايامهم لانه
لما اضافه الى الاحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود ولم يلتبس ان كل حزب منهم كان له

يومهم جميعا فاقتصر على الواحد من الجمع لان المضاف اليه أغنى عن ذلك كقوله ۞ كلوا في بعض بطنكم تعفوا فان زمانكم زمن خميص
وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب ودأب هؤلاء دؤوبهم في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وكون
ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دأبهم فان قلت
بما انتصب مثل الثاني قلت بانه عطف بيان لمثل الاول لان آخر ما تناولته الاضافة قوم نوح
ولو قلت أهلك الله الاحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن الا عطف بيان لاضافة قوم الى الاعلام فسرى
ذلك الحكم الى اول ما تناولته ولهذا الاضافة وما الله يريد ظلما للعباد يعني ان تدميرهم كان عدلا وقسطا
لانهم استوجبوه باعمالهم وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفي ارادة
الظلم لان من كان عن ارادة الظلم بعيدا كان عن الظلم ابعد وحيث نكر الظلم كانه نفى ان
يريد ظلما ما لعباده ويجوز ان يكون معناه كمعنى قوله ولا يرضى لعباده الكفر اي لا يريد لهم ان يظلموا
يعني انه دمرهم لانهم كانوا ظالمين التنادي ما حكى الله في سورة الاعراف من قوله ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ويجوز ان يكون تصايحهم بالويل والثبور
وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك اذا
سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فبينا هم
يموج بعضهم في بعض اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب تولون مدبرين عن مجاهد منصرفين عن موقف
الحساب الى النار وعن مجاهد فارين عن النار غير معجزين هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام وقيل هو يوسف
بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب اقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف
عمر الى زمنه وقيل هو فرعون آخر ووبخهم بان يوسف اتاكم بالمعجزات فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين
كافرين حتى اذا قبض قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا حكما من عند انفسكم من غير برهان
وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل فاذا جاءكم رسول جحدتم وكذبتم بناء على حكمكم الباطل الذي اسستموه
وليس قولهم لن يبعث الله رسولا بتصديق لرسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وانما هو تكذيب
لرسالة من بعده مضموم الى تكذيب رسالته وقرئ ألن يبعث الله على ادخال همزة الاستفهام على حرف
النفي كأن بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث ثم قال كذلك يضل الله اي مثل هذا الخذلان المبين يخذل الله
كل مسرف في عصيانه مرتاب في دينه الذين يجادلون بدل من هو مسرف فان قلت كيف جاز ابداله منه
وهو جمع وذاك موحد قلت لانه لا يريد مسرفا واحدا فكأنه قال كل مسرف فان قلت فما فاعل كبر
قلت هو ضمير من هو مسرف فان قلت أما قلت هو جمع ولهذا ابدلت منه الذين يجادلون
قلت بلى هو جمع في المعنى واما اللفظ فموحد فحمل البدل على معناه والضمير الراجع اليه على لفظه وليس
ببدع ان يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى وله نظائر ويجوز ان يرفع الذين يجادلون على الابتداء
ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون
كبر مقتا ويحتمل ان يكون الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان اتاهم خبرا وفاعل كبر قوله كذلك
اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستأنف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف
الفاعل والفاعل لا يصح حذفه وفي كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه
من حد اشكاله من الكبائر وقرئ سلطان بضم اللام وقرئ قلب بالتنوين ووصف القلب بالتكبر والتجبر
لانه مركزهما ومنبعهما كما تقول رأت العين وسمعت الاذن ونحوه قوله عز وجل فانه آثم قلبه وان كان
الآثم هو الجملة ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي على كل ذي قلب متكبر تجعل الصفة لصاحب القلب
ابن لي صرحا واسباب السموات البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وان بعد اشتقوه من صرح الشيء اذا ظهر
طرقها وابوابها وما يؤدي اليها وكل ما اداك الى شيء فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه فان قلت ما فائدة
هذا التكرير ولو قال لعلي ابلغ اسباب السموات لاجزأ قلت اذا ابهم الشيء ثم اوضح كان تفخيما لشأنه
فلما اراد تفخيم ما امل بلوغه من اسباب السموات ابهمها ثم اوضحها ولانه لما كان بلوغها امرا عجيبا اراد
ان يورده على نفس متشوقة اليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فابهمه ليشوق اليه نفس هامان
ثم اوضحه وقرئ فاطلع بالنصب على جواب الترجي تشبيها للترجي بالتمني وكذلك ومثل ذلك التزيين وذلك الصد
زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل والمزين اما الشيطان بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم
عن السبيل او الله سبحانه وتعالى على وجه التسبيب لانه مكن الشيطان وامهله ومثله زينا لهم
اعمالهم فهم يعمهون وقرئ وزين له سوء عمله على البناء للفاعل والفعل لله عز وجل دل عليه قوله الى
اله موسى وصد بفتح الصاد وضمها وكسرها على نقل حركة العين الى الفاء كما قيل قيل والتباب

الخسران والهلاك وصد مصدر معطوف على سوء عمله وصدا وهو وصدوه قال اهدكم سبيل الرشاد اجمل
لهم ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها لان الاخلاد اليها هو اصل الشر كله ومنه يتشعب جميع
ما يؤدي الى سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة وثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وانها هي الوطن
والمستقر وذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف ثم وازن بين الدعوتين
دعوته الى دين الله الذي ثمرته النجاة ودعوتهم الى اتخاذ الانداد الذي عاقبته النار وحذر وانذر واجتهد
في ذلك واحتشد لا جرم ان الله استثناه من آل فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة للمعتبرين وهو قوله
فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب وفي هذا ايضا دليل بين على ان الرجل كان من آل فرعون
والرشاد نقيض الغي وفيه تعريض شبيه بالتصريح ان ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي فلا يجزى الا مثلها
لان الزيادة على مقدار جزاء السيئة قبيحة لانها ظلم واما الزيادة على مقدار جزاء الحسنة فحسنة لانها فضل
وقرئ يدخلون ويدخلون بغير حساب واقع في مقابلة الا مثلها يعني ان جزاء السيئة له حساب وتقدير
لئلا يزيد على الاستحقاق فاما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة
والسعة فان قلت لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني قلت اما تكرير النداء
ففيه زيادة تنبيه لهم وايقاظ عن سنة الغفلة وفيه انهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم
وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعي بذلك ان لا يتهموه فان
سرورهم سروره وغمهم غمه وينزلوا على تنصيحه لهم كما كرر ابراهيم عليه السلام في نصيحة ابيه يا ابت واما المجيء بالواو
العاطفة فلان الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له فاعطي الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو
واما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما تقول هداه الى الطريق
وهداه له به علم اي بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال واشرك به ما ليس باله وما ليس
باله كيف يصح ان يعلم الها لا جرم سياقه على مذهب البصريين ان يجعل لا ردا لما دعاه اليه قومه
وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله اي حق ووجب بطلان دعوته او بمعنى كسب من قوله ولا يجرمنكم شنآن
قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا اي كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته على معنى انه ما حصل من
ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز ان يقال ان لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا
فعل من التبديد وهو التفريق فكما ان معنى لا بد انك تفعل كذا بمعنى لا بعد لك من فعله فكذلك لا جرم ان لهم
النار لا قطع لذلك بمعنى انهم ابدا يستحقون النار لا انقطاع في استحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الاصنام
اي لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقا وروي عن العرب لا جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء
بزنة بد وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وعدم وعدم ليس له دعوة معناه ان ما تدعونني اليه
ليس له دعوة الى نفسه قط اي من حق المعبود بالحق ان يدعو العباد الى طاعته ثم يدعو العباد اليها
اظهارا لدعوة ربهم وما تدعون اليه والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعي الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا
لضج من دعائكم وقوله في الدنيا ولا في الآخرة يعني في الدنيا جماد لا يستطيع شيئا من دعاء وغيره وفي
الآخرة اذا انشأه الله حيوانا تبرأ من الدعاة اليه ومن عبدته وقيل معناه ليس له استجابة دعوة تنفع
في الدنيا ولا في الآخرة او دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة فيها كلا دعوة وسميت
الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازى عليه باسم الجزاء في قولهم كما تدين تدان قال الله تعالى له دعوة الحق
والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء المسرفين عن قتادة المشركين وعن مجاهد السفاكين للدماء
بغير حلها وقيل الذين غلب شرهم خيرهم هم المسرفون وقرئ فستذكرون اي فسيذكر بعضكم بعضا وافوض
امري الى الله لانهم توعدوه فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع
العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى وحاق بآل فرعون ما هموا به من تعذيب المسلمين ورجع عليهم كيدهم
النار بدل من سوء العذاب او خبر مبتدأ محذوف كأن قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار ۞
او مبتدأ خبره يعرضون عليها وفي هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها وعرضهم عليها احراقهم
بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به وقرئ النار بالنصب وهو يعضد الوجه الاخير
وتقديره يدخلون النار يعرضون عليها ويجوز ان ينتصب على الاختصاص غدوا وعشيا في هذين الوقتين
يعذبون بالنار وفيما بين ذلك الله اعلم بحالهم فاما ان يعذبوا بجنس آخر من العذاب او ينفس عنهم
ويجوز ان يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم

أدخلوا آل فرعون أشد العذاب عذاب جهنم وقرئ أدخلوا آل فرعون أي يقال لخزنة جهنم أدخلوهم فإن قيل
قوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب معناه أنه رجع عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين كقول العرب
من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا فإذا أريد سوء العذاب نار جهنم لم يكن مكرهم راجعا عليهم لأنهم
لا يعذبون بجهنم قلت يجوز أن يهم الإنسان بأن يغرق قوما فيحرق بالنار ويسمى ذلك حيقا
لأنه هم بسوء فأصابه ما يقع عليه اسم السوء ولا يشترط في الحيق أن يكون الحائق ذلك السوء
بعينه ويجوز أن يهم فرعون لما سمع إنذار المسلمين بالنار وقول المؤمن وأن المسرفين هم أصحاب النار
فيفعل نحو ما فعل النمرود ويعذبهم بالنار فحاق به مثل ما أضمره وهم بفعله ويستدل بهذه الآية على
إثبات عذاب القبر واذكر وقت يتحاجون تبعا تباعا كخدم في جمع خادم أو ذوي تبع أي أتباع أو وصفا
بالمصدر وروي كلا على التأكيد لاسم إن وهو معرفة والتنوين عوض عن المضاف إليه يريد إنا كلنا أو كلنا فيها
فإن قلت هل يجوز أن يكون كلا حالا قد عمل فيها فيها قلت لا لأن الظرف لا يعمل في الحال متقدمة
كما يعمل في الظرف متقدما تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد قد حكم بين العباد فقضى بينهم
وفصل بأن أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لخزنة جهنم للقوام بتعذيب أهلها فإن قلت
هلا قيل الذين في النار لخزنتها قلت لأن في ذكر جهنم تهويلا وتفضيعا ويحتمل أن جهنم هي أبعد النار قعرا
من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وقولهم في النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم أنه يلقي الشعر على لسان
المنتسب إليه وهو بعيد الغور في علمه بالشعر كما قال أبو نواس في خلف الأحمر قليذم من العيالم الخسف
وفيها أعتى الكفار وأطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله
فلهذا تعمدهم أهل النار بطلب الدعوة منهم أولم تك تأتيكم إلزام للحجة وتوبيخ وأنهم خلفوا وراءهم أوقات الدعاء
والتضرع وعطلوا الأسباب التي يستجيب الله لها الدعوات قالوا فادعوا أنتم فإنا لا نجترئ على ذلك ولا نشفع
إلا بشرطين كون المشفوع له غير ظالم والإذن في الشفاعة مع مراعاة وقتها وذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين
وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة فإن الملك المقرب إذا لم يسمع دعاؤه فكيف يسمع دعاء الكافر
في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد أي في الدنيا والآخرة يعني أنه يغلبهم في الدارين جميعا بالحجة والظفر على
مخالفيهم وإن غلبوا في الدنيا في بعض الأحايين امتحانا من الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من أعدائهم
ولو بعد حين والأشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب يريد الحفظة من الملائكة والأنبياء والمؤمنين من أمة محمد
لتكونوا شهداء على الناس يوم لا ينفع الثاني بدل من الأول يحتمل أنهم يعتذرون بمعذرة ولكنها لا تنفع لأنها
باطلة وأنهم لو جاؤوا بمعذرة لم تكن مقبولة ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولهم اللعنة البعد من رحمة الله ولهم سوء
الدار أي سوء دار الآخرة وهو عذابها ولقد آتينا موسى الهدى يريد بالهدى جميع ما آتاه في باب
الدين من المعجزات والتوراة والشرائع وأورثنا بني إسرائيل الكتاب وتركنا على بني إسرائيل من بعده التوراة
هدى وذكرى إرشادا وتذكرة وانتصابهما على المفعول له أو الحال لأولي الألباب المؤمنين به العاملين
بما فيه فاصبر إن وعد الله حق يعني أن نصرة الرسل في ضمان الله وضمان الله لا يخلف واستشهد بموسى وما
آتاه من أسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده وإبقاء آثار هداه في بني إسرائيل والله ناصرك كما نصرهم
ومظهرك على الدين كله ومبلغ ملك أمتك مشارق الأرض ومغاربها فاصبر على ما يجرعك قومك من
الغصص فإن العاقبة لك وما سبق به وعدي من نصرتك وإعلاء كلمتك حق وأقبل على التقوى واستدرك
الفرطات بالاستغفار ودم على عبادة ربك والثناء عليه بالعشي والإبكار وقيل هما صلاتا الفجر والعصر إن في
صدورهم إلا كبر إلا تكبر وتعظم وهو إرادة التقدم والرياسة وأن لا يكون أحد فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا آياتك خيفة
أن تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك لأن النبوة تحتها كل ملك ورياسة أو إرادة أن تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل
عليه قوله لو كان خيرا ما سبقونا إليه أو إرادة دفع الآيات بالجدال ما هم ببالغيه أي ببالغي موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق
إرادتهم من الرياسة أو النبوة أو دفع الآيات وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود يريدون الدجال ويبلغ
سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار وهو آية من آيات الله فيرجع إلينا الملك فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك كبرا ونفى
أن يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله فالتجئ إليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك إنه هو السميع لما تقول ويقولون البصير
بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم فإن قلت كيف اتصل قوله لخلق السماوات والأرض بما قبله قلت إن مجادلتهم
في آيات الله كانت مشتملة على إنكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السماوات والأرض لأنهم كانوا مقرين بأن الله خالقها
وبأنها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس إليه شيء قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الإنسان

مع مهانته أقدر وهو أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله لا يعلمون لأنهم لا ينظرون ولا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم
أهواءهم ضرب الأعمى والبصير مثلا للمحسن والمسيء وقرئ يتذكرون بالياء والتاء والتاء أعم لا ريب فيها لا بد من مجيئها ولا
محالة وليس بمرتاب فيها لأنه لا بد من جزاء لا يؤمنون لا يصدقون بها ادعوني اعبدوني والدعاء بمعنى العبادة
كثير في القرآن والدليل عليه قوله إن الذين يستكبرون عن عبادتي والاستجابة الإثابة وفي تفسير مجاهد اعبدوني أثبكم
وعن الحسن وقد سئل عنها اعملوا وأبشروا فإنه حق على الله أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من
فضله وعن الثوري أنه قيل له ادع الله فقال إن ترك الذنوب هو الدعاء وفي الحديث إذا شغل عبدي طاعتي عن الدعاء
أعطيته أفضل ما أعطي السائلين وروى النعمان بن بشير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية ويجوز
أن يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرهما ويريد بعبادتي دعائي لأن الدعاء باب من العبادة ومن أفضل أبوابها يصدقه
قول ابن عباس أفضل العبادة الدعاء وعن كعب أعطى الله هذه الأمة ثلاث خلال لم يعطهن إلا نبيا مرسلا كان يقول
لكل نبي أنت شاهدي على خلقي وقال لهذه الأمة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقول ما عليك من حرج وقال لنا
ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وكان يقول ادعني أستجب لك وقال لنا ادعوني أستجب لكم وعن ابن عباس وحدوني أغفر
لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد داخرين صاغرين مبصرا من الإسناد المجازي لأن الإبصار
في الحقيقة لأهل النهار فإن قلت لم قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال وهلا كانا حالين أو مفعولا لهما فيراعى حق
المقابلة قلت هما متقابلان من حيث المعنى لأن كل واحد منهما يؤدي مؤدى الآخر ولأنه لو قيل لتبصروا فيه فاتت
الفصاحة التي في الإسناد المجازي ولو قيل ساكنا والليل يجوز أن يوصف بالسكون على الحقيقة ألا ترى إلى قولهم ليل
ساج وساكن لا ريح فيه لم تتميز الحقيقة من المجاز فإن قلت فهلا قيل لمفضل أو لمتفضل قلت لأن الغرض تنكير الفضل
وأن يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك إنما يستوي بالإضافة فإن قلت لو قيل ولكن أكثرهم فلا يشكرون لم يتكرر ذكر الناس قلت
في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله إن الإنسان لكفور
إن الإنسان لربه لكنود إن الإنسان لظلوم كفار ذلكم الله المعلوم المتميز بالأفعال الخاصة التي لا
يشاركه فيها أحد هو ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو أخبار مترادفة أي هو الجامع لهذه الأوصاف من الإلهية
والربوبية وخلق كل شيء وإنشائه لا يمتنع عليه شيء والوحدانية لا ثاني له فأنى تؤفكون فكيف ومن أي وجه
تصرفون عن عبادته إلى عبادة الأوثان ثم ذكر أن كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يكن فيه همة
طلب الحق وخشية العاقبة أفك كما أفكوا وقرئ خالق كل شيء نصبا على الاختصاص يؤفكون بالياء والتاء هذه
أيضا دلالة أخرى على معرفته بأفعال خاصة وهي أنه جعل الأرض مستقرا والسماء بناء أي قبة ومنه أبنية العرب لمضاربهم لأن
السماء في منظر العين كقبة مضروبة على وجه الأرض فأحسن صوركم وقرئ بكسر الصاد والمعنى واحد قيل لم يخلق
حيوانا أحسن صورة من الإنسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم كقوله في أحسن تقويم فادعوه فاعبدوه
مخلصين له الدين أي الطاعة من الشرك والرياء قائلين الحمد لله رب العالمين وعن ابن عباس رضي الله عنه من قال
لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين فإن قلت أما نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبادة الأوثان بأدلة العقل
حتى جاءته البينات من ربه قلت بلى ولكن البينات لما كانت مقوية لأدلة العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله
أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون وأشباه ذلك من التنبيه على أدلة العقل كان ذكر البينات ذكرا
لأدلة العقل والسمع جميعا وإنما ذكر ما يدل على الأمرين جميعا لأن ذكر تناصر الأدلة أدلة العقل والسمع أقوى
في إبطال مذهبهم وإن كانت أدلة العقل وحدها كافية لتبلغوا أشدكم متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا
وكذلك لتكونوا وأما ولتبلغوا أجلا مسمى فمعناه ونفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيامة شيوخا بكسر
الشين وشيخا على التوحيد كقوله طفلا والمعنى كل واحد منكم أو اقتصر على الواحد لأن الغرض بيان الجنس من قبل من قبل الشيخوخة
أو من قبل هذه الأحوال إذا خرج سقطا ولعلكم تعقلون ما في ذلك من العبر والحجج فإذا قضى أمرا فإنما يكونه من غير كلفة ولا معاناة
جعل هذا نتيجة من قدرته على الإحياء والإماتة وسائر ما ذكر من أفعاله الدالة على أن مقدورا لا يمتنع عليه كأنه قال فلذلك من
الاقتدار إذا قضى أمرا كان أهون شيء وأسرعه بالكتاب بالقرآن وبما أرسلنا به رسلنا من الكتب فإن قلت وهل قوله فسوف
يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم إلا مثل قولك سوف أصوم أمس قلت المعنى على إذا إلا أن الأمور المستقبلة لما كانت في أخبار الله
متيقنة مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال وعن ابن عباس والسلاسل يسحبون بالنصب
وفتح الياء على عطف الجملة الفعلية على الاسمية وعنه والسلاسل يسحبون بجر السلاسل ووجهه أنه لو قيل إذ أعناقهم في الأغلال
مكان قوله إذ الأغلال في أعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين معتقبتين حمل قوله والسلاسل على العبارة
الأخرى ونظيره مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب إلا ببين غرابها كأنه قيل إذ أعناقهم في الأغلال والسلاسل
يسحبون في النار يسجرون من سجر التنور إذا ملأه بالوقود ومنه السجير كأنه سجر بالحب أي ملئ ومعناه أنهم في النار
فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها أجوافهم ومنه قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة اللهم
أجرنا من نارك فإنا عائذون بجوارك ضلوا عنا غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم فإن قلت أما ذكرت في تفسير
قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون أنهم مقرونون بآلهتهم فكيف يكونون معهم
وقد ضلوا عنهم قلت يجوز أن يضلوا عنهم إذ وبخوا وقيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله فيغيثوكم ويشفعوا لكم
وأن يكونوا معهم في سائر الأوقات وأن يكونوا معهم في جميع أوقاتهم إلا أنهم لما لم ينفعوهم فكأنهم ضالون عنهم
بل لم نكن ندعو من قبل شيئا أي تبين لنا أنهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت أن فلانا

شيء فاذا هو ليس بشيء اذا خبرته فلم تر عنده خيرا كذلك يضل الله الكافرين مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى
لو طلبوا الآلهة او طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو
الشرك وعبادة الاوثان ادخلوا ابواب جهنم السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم
خالدين مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق المستخفين به مثواكم او جهنم فان قلت اليس قياس النظم ان يقال
فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وصل في المسجد الحرام فنعم المصلى قلت الدخول المؤقت بالخلود في
معنى الثوى فاما نرينك اصله فان نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ولذلك الحقت النون بالفعل الا تراك لا تقول ان تكرمني
اكرمك ولكن اما تكرمني اكرمك فان قلت لا يخلو اما ان تعطف او نتوفينك على نرينك وتشركهما في جزاء واحد وهو قوله فالينا
يرجعون فقولك فاما نرينك بعض الذي نعدهم فالينا يرجعون غير صحيح لعدم السببية وان تعطف فالينا يرجعون مختصا
بالمعطوف الذي هو نتوفينك بقي المعطوف عليه بغير جزاء قلت فالينا يرجعون متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف تقديره
فاما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل والاسر يوم بدر فذاك او ان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون
يوم القيامة فننتقم منهم اشد الانتقام ونحوه قوله تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم
مقتدرون ومنهم من لم نقصص عليك قيل بعث الله ثمانية الاف نبي اربعة الاف من بني اسرائيل واربعة الاف من سائر الناس
وعن علي رضي الله عنه ان الله بعث نبيا اسود فهو ممن لم يقصص عليه وهذا في اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا يعني انا قد ارسلنا
كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم ان ياتي بآية الا باذن الله فمن لي بان آتي بآية مما تقترحونه الا ان يشاء الله ويأذن في الاتيان
بها فاذا جاء امر الله وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات وامر الله القيامة المبطلون هم المعاندون الذين اقترحوا الآيات وقد اتتهم
الآيات فانكروها وسموها سحرا الانعام الابل خاصة فان قلت لم قال لتركبوا منها ولتبلغوا عليها ولم يقل لتاكلوا منها
ولتصلوا الى المنافع او هلا قال منها تركبون ومنها تاكلون وتبلغون عليها حاجة في صدوركم قلت في الركوب الركوب في الحج والغزو
وفي بلوغ الحاجة الهجرة من بلد الى بلد لاقامة دين او طلب علم وهذه اغراض دينية اما واجبة او مندوب اليها مما يتعلق
به ارادة الحكيم واما الاكل واصابة المنافع فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به ارادته ومعنى قوله وعليها وعلى الفلك تحملون
وعلى الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر فان قلت هلا قيل في الفلك كما قيل احمل فيها من كل
زوجين اثنين قلت معنى الايعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لان الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له يستقلها فلما
صح المعنيان صحت العبارتان وايضا فليطابق قوله وعليها ويزاوجه فاي آيات الله جاءت على اللغة المستفيضة
وقولك فاية آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب
لابهامه وآثارا قصورهم ومصانعهم وقيل مشيهم بارجلهم لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما نافية او مضمنة معنى
الاستفهام ومحلها النصب والثانية موصولة او مصدرية ومحلها الرفع يعني اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم فرحوا
بما عندهم من العلم فيه وجوه منها انه اراد العلم الوارد على طريق التهكم في قوله بل ادارك علمهم في الآخرة وعلمهم في الآخرة
انهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وما اظن الساعة قائمة
ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الانبياء كما قال
الله عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون ومنها ان يريد علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان وكانوا اذا سمعوا
بوحي الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط انه سمع بموسى صلوات الله عليه وقيل له لو هاجرت اليه
فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا ومنها ان يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم
عندهم البتة موضع قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب لاقصى الفرح والمسرة
مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلم ومنها ان يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح
ضحك منه واستهزاء به كانه قال استهزؤوا بالبينات وبما جاؤوا به من علم الوحي فرحين مرحين ويدل عليه قوله
وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ومنها ان يجعل الفرح للرسل ومعناه ان الرسل لما رأوا جهلهم المتمادي واستهزاءهم
فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ويجوز ان يريد بما فرحوا به من
العلم علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون
ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي ابعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا
والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤوا بها واعتقدوا انه لا علم انفع واجلب
للفوائد من علمهم ففرحوا به البأس شدة العذاب ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس فان قلت اي فرق بين قوله
فلم يك ينفعهم ايمانهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم ايمانهم قلت هو من كان في نحو قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد
والمعنى فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم فان قلت كيف ترادفت هذه الفاءات قلت
اما قوله فما اغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا اكثر منهم واما قوله فلما جاءتهم رسلهم فجار مجرى البيان والتفسير لقوله
فما اغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وقوله فلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما
جاءتهم كانه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لما رأوا بأس الله
سنة الله بمنزلة وعد الله وما اشبهه من المصادر المؤكدة وهنالك مكان مستعار للزمان اي
وخسروا وقت رؤية البأس وكذلك قوله وخسر هنالك المبطلون بعد قوله فاذا جاء امر الله

قضي

قضي بالحق اي وخسروا وقت مجيء امر الله او وقت القضاء بالحق وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي
ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له ● سورة السجدة مكية وهي اربع وخمسون
آية وقيل ثلاث وخمسون ● بسم الله الرحمن الرحيم ● ان جعلت حم اسما للسورة كانت في موضع المبتدأ
وتنزيل خبره وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل خبرا لمبتدأ محذوف وكتاب بدل من تنزيل او خبر بعد خبر
او خبر مبتدأ محذوف وجوز الزجاج ان يكون تنزيل مبتدأ وكتاب خبره ووجهه ان تنزيلا تخصص بالصفة
فساغ وقوعه مبتدأ فصلت آياته ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من احكام وامثال ومواعظ
ووعد ووعيد وغير ذلك وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها
من قولك فصل من البلد قرآنا عربيا نصب على الاختصاص والمدح اي اريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من
صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال اي فصلت آياته في حال كونه قرآنا عربيا لقوم يعلمون اي لقوم عرب
يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه فان قلت بم
تعلق قوله لقوم يعلمون قلت يجوز ان يتعلق بتنزيل او بفصلت اي تنزيل من الله لاجلهم او فصلت آياته لهم
والاجود ان تكون صفة مثل ما قبله وما بعده اي قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات
وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب او خبر لمبتدأ محذوف فهم لا يسمعون لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت
الى فلان فلم يسمع قولي ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكانه لم يسمعه والاكنة جمع كنان وهو الغطاء
والوقر بالفتح الثقل وقرئ بالكسر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كانها في غلف واغطية
تمنع من نفوذه فيها كقوله وقالوا قلوبنا غلف ومج اسماعهم له كان بها صمما عنه ولتباعد المذهبين
والدينين كان بينهم وما هم عليه وبين رسول الله وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل او نحوه
فلا تلاقي ولا ترائي فاعمل على دينك انا عاملون على ديننا او فاعمل في ابطال امرنا انا عاملون في ابطال امرك وقرئ
انا عاملون فان قلت هل لزيادة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب فائدة قلت نعم لانه لو قيل بيننا وبينك حجاب
لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين واما بزيادة من فالمعنى ان حجابا ابتدأ منا وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة
لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها فان قلت هلا قيل على قلوبنا اكنة كما قيل وفي آذاننا وقر ليكون الكلام
على نمط واحد قلت هو على نمط واحد لانه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في اكنة وعلى قلوبنا اكنة والدليل عليه قوله تعالى انا جعلنا
على قلوبهم اكنة ولو قيل انا جعلنا قلوبهم في اكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة
الا في المعاني فان قلت من اين كان قوله انما انا بشر مثلكم يوحى الي جوابا لقولهم قلوبنا في اكنة قلت من حيث انه قال لهم
اني لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم فصحت بالوحي الي وانا بشر نبوتي واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي
وفيما يوحى الي ان الهكم اله واحد فاستقيموا اليه فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا
ولا ملتفتين الى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء واستغفروه مما سلف لكم من الشرك وقرئ قال
انما انا بشر مثلكم فان قلت لم خص من بين اوصاف المشركين منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة قلت لان احب شيء الى الانسان ماله
وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك اقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته الا ترى
الى قوله عز وعلا ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم اي يثبتون انفسهم ويدلون على ثباتها
بانفاق الاموال وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم واهل الردة بعد رسول الله
ما تظاهروا الا بمنع الزكاة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على اداء الزكاة وتخويف شديد من منعها
حيث جعل المنع من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة وقيل كان قريش يطعمون الحاج ويحرمون من آمن منهم برسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل لا يفعلون ما يكونون به ازكياء وهو الايمان غير ممنون مقطوع وقيل لا يمن عليهم لانه انما يمن التفضل فاما
الاجر فحق اداؤه وقيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون
ائنكم بهمزتين الثانية بين بين وآئنكم بالف بينهما ذلك الذي قدر على خلق الارض في مدة يومين رب العالمين رواسي
جبالا ثوابت فان قلت ما معنى قوله من فوقها وهلا اقتصر على قوله وجعل فيها رواسي كقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وجعلنا
في الارض رواسي وجعل لها رواسي قلت لو كانت تحتها كالاساطين لها تستقر عليها او مركوزة فيها كالمسامير لمنعت من الميدان
وانما اختار ارساءها فوق الارض لتكون المنافع في الجبال معرضة لطالبيها حاضرة لمحصليها وليبصر ان الارض والجبال اثقال
على اثقال كلها مفتقرة الى ممسك لا بد لها منه وهو ممسكها عز وعلا بقدرته وبارك فيها واكثر خيرها وانماه
وقدر فيها اقواتها ارزاق اهلها ومعايشهم وما يصلحهم وفي قراءة ابن مسعود وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام
سواء فذلكة لمدة خلق السموات والارض وما فيها كانه قال كل ذلك في اربعة ايام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان قيل
خلق الله الارض في يوم الاحد ويوم الاثنين وما فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وقال الزجاج في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام يريد بالتتمة
اليومين وقرئ سواء بالحركات الثلاث الجر على الوصف والنصب على استوت سواء اي استواء والرفع على هي سواء فان قلت
بم تعلق قوله للسائلين قلت بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل من سأل في كم خلقت الارض وما فيها او بقدر اي قدر
فيها الاقوات لاجل الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وهذا الوجه الاخير لا يستقيم الا على تفسير الزجاج فان قلت
هلا قيل في يومين واي فائدة في هذه الفذلكة قلت اذا قال في اربعة ايام وقد ذكر ان الارض خلقت في يومين علم ان ما فيها خلق في
يومين فبقيت المخايرة بين ان يقول في يومين وان يقول في اربعة ايام سواء فكانت في اربعة ايام سواء فائدة ليست
في يومين وهي الدلالة على انها كانت اياما كاملة بغير زيادة ولا نقصان ولو قال في يومين وقد يطلق اليومان على اكثرهما

لكان يجوز ان يريد باليومين الاولين والاخرين اكثرهما ثم استوى الى السما من قولك استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي
على شي وهو من الاستوا الذي هو ضد الاعوجاج ونحوه قولهم استقام اليه وامتد اليه ومنه قوله سبحانه فاستقيموا اليه والمعنى
ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق السما بعد خلق الارض من غير صارف يصرفه عن ذلك قيل كان عرشه قبل خلق السموات والارض على الما
فاخرج من الما دخانا فارتفع فوق الما وعلا عليه فايبس الما فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين ثم خلق السما
من الدخان المرتفع ومعنى امر السما والارض بالاتيان وامتثالهما انه اراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما ارادهما
وكانتا في ذلك كالمامور المطيع اذا ورد عليه فعل الامر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل ويجوز ان يكون تخييلا
ويبنى الامر فيه على ان الله تعالى كلم السما والارض وقال لهما ائتيا شئتما ذلك او ابيتما فقالتا اتينا على الطوع لا على الكره
والغرض تصوير اثر قدرته في المقدورات لا غير من غير ان يحقق شي من الخطاب والجواب ونحوه قول القائل قال
الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد اسال من يدقني فلم يتركني الحجر الذي ورايي فان قلت لم ذكر الارض
مع السما وانتظمها في الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السما بيومين قلت قد خلق جرم الارض اولا غير مدحوة
ثم دحاها بعد خلق السما كما قال والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ايتيا على ما ينبغي ان تاتيا عليه من الشكل
والوصف ايتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وايتي يا سما مقبية سقفا لهم ومعنى الاتيان
الحصول والوقوع كما تقول اتى عمله مرضيا وجا مقبولا ويجوز ان يكون المعنى لتات كل واحدة منكما صاحبتها
الاتيان الذي اريده وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون الارض قرارا للسما وكون السما سقفا للارض وتنصره
قراة من قرا اتيا وآتينا من المواتاة وهي الموافقة اي لتوات كل واحدة اختها ولتوافقها قالتا وافقنا
وساعدنا ويحتمل وافقا امري ومشيتي ولا تمتنعا فان قلت ما معنى طوعا او كرها قلت هو مثل للزوم تاثير قدرته
فيهما وان امتناعهما من تاثير قدرته محال كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت او ابيت ولتفعلنه
طوعا او كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين او مكرهتين فان قلت هلا قيل طائعتين على اللفظ او طائعات
على المعنى لانها سماوات وارضون قلت لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين
في موضع طائعات نحو قوله ساجدين فقضاهن يجوز ان يرجع الضمير فيه الى السما على المعنى كما قال طائعين ونحوه
اعجاز نخل خاوية ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات والفرق بين النصبين ان احدهما على الحال والثاني
على التمييز قيل خلق الله السموات وما فيهما في يومين في يوم الخميس والجمعة وفرغ في اخر ساعة من يوم الجمعة فخلق
فيها ادم عليه السلام وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وفي هذا دليل على ما ذكرت من انه لو قيل في يومين في موضع اربعة
ايام سوا لم يعلم انهما يومان كاملان او ناقصان فان قلت فلو قيل خلق الارض في يومين كاملين وقدر فيها اقواتها
في يومين كاملين او قيل بعد ذكر اليومين تلك اربعة سوا قلت الذي اورده سبحانه ادخل في الاعجاز واخصر وافصح واحسن
طباقا لما عليه التنزيل من مغاصات القرائح ومصاك الركب ليتميز الفاضل من الناقص والمتقدم من الناكص وترتفع
الدرجات ويتضاعف الثواب امرها ما امر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك او شانها
وما يصلحها وحفظا وحفظناها حفظا يعني من المسترقة بالثواقب ويجوز ان يكون مفعولا له على المعنى كانه
قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا فان اعرضوا بعد ما تتلو عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته
فحذرهم ان تصيبهم صاعقة اي عذابا شديد الوقع كانه صاعقة وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود
وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة تصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل من بين
ايديهم ومن خلفهم اي اتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم واعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو والاعراض
كما حكى الله تعالى عن الشيطان لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم يعني لآتينهم من كل جهة ولاعملن فيهم كل حيلة
وتقول استدرت بفلان من كل جانب فلم يكن لي فيه حيلة وعن الحسن انذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم
وعذاب الاخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاوهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار
ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم وقيل معناه اذ جاتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون
بانهم جاوهم وكيف يخاطبونهم بقولهم انا بما ارسلتم به كافرون قلت قد جاهم هود وصالح داعيين
الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جا من بين ايديهم اي من قبلهم وممن يجي من خلفهم اي من بعدهم فكان الرسل
جميعا قد جاوهم وقولهم انا بما ارسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الانبيا الذين
دعوا الى الايمان بهم ان في الا تعبدوا بمعنى اي او مخففة من الثقيلة اصله بانه لا تعبدوا اي بان
الشان والحديث قولنا لكم لا تعبدوا ومفعول شا محذوف اي لو شا ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة فانا بما
ارسلتم به كافرون معناه فاذا انتم بشر ولستم بملائكة فانا لا نومن بكم وبما جيتم به وقولهم ارسلتم به ليس باقرار
بالارسال وانما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وروي
ان ابا جهل قال في ملا من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر
فكلمه ثم اتانا ببيان عن امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما
وما يخفى علي فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فبم تشتم الهتنا
وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللوى فكنت راسنا وان تك بك الباة زوجناك

عشر نسوة تختارهن اي بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به ورسول الله ساكت فلما
فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم
ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة
ما حبسك عنا الا انك قد صبوت فغضب واقسم لا يكلم محمدا ابدا ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشي والله
ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم
ان محمدا اذا قال شيا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب فاستكبروا في الارض اي تعظموا فيها على اهلها بما
لا يستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم الاجرام او استعلوا في الارض واستولوا على اهلها بغير استحقاق للولاية
من اشد منا قوة كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها
بيده فان قلت القوة هي الشدة والصلابة في البنية وهي نقيضة الضعف واما القدرة فما لاجله يصح الفعل
من الفاعل من تميز بذات او بصحة بنية وهي نقيضة العجز والله سبحانه وتعالى لا يوصف بالقوة الا على معنى
القدرة فكيف صح قوله هو اشد منهم قوة وانما يصح اذا اريد بالقوة في الموصوفين شي واحد قلت القدرة في الانسان
هي صحة البنية والاعتدال والقوة هي الشدة والصلابة في البنية وحقيقتها زيادة القدرة فكما صح ان يقال الله
اقدر منهم جاز ان يقال اقوى منهم على معنى انه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرهم يجحدون
كانوا يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة وهو معطوف على فاستكبروا اي كانوا كفرة فسقة
صرصرا العاصفة التي تصرصر اي تصوت في هبوبها وقيل الباردة التي تحرق بشدة بردها تكرير لبنا الصر وهو
البرد الذي يصر اي يجمع ويقبض نحسات قرئ بكسر الحا وسكونها ونحس نحسا نقيض سعد سعدا فاما نحس
فصفة على فعل او وصف بمصدر وقرئ لنذيقهم على ان الاذاقة للريح او للايام النحسات واضاف العذاب الى الخزي
وهو الذل والاستكانة على انه وصف للعذاب كانه قال عذاب خزي كما تقول فعل السو تريد الفعل السيي والدليل
عليه قوله ولعذاب الاخرة اخزى وهو من الاسناد المجازي ووصف العذاب بالخزي ابلغ من وصفهم به الا ترى البون
بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر وقرئ ثمود بالرفع والنصب منونا وغير منون والرفع افصح لوقوعه بعد
حرف الابتدا وقرئ بضم الثا فهديناهم فدللناهم على طريقي الضلالة والرشد كقوله تعالى وهديناه النجدين فاستحبوا
العمى على الهدى فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد فان قلت اليس معنى هديته حصلت فيه
الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله
في الدلالة المجردة قلت للدلالة على انه مكنهم وازاح عللهم ولم يبق لهم عذرا ولا علة فكانه حصل البغية
فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها صاعقة العذاب داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف
به العذاب مبالغة او ابدله منه ولو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الامة بشهادة نبيها
صلى الله عليه وسلم وكفى به شاهدا الا هذه الاية لكفى بها حجة وقرئ يحشر على البنا للمفعول ونحشر بالنون وضم الشين
وكسرها ويحشر على البنا للفاعل اي يحشر الله عز وجل اعدا الله الكفار من الاولين والاخرين يوزعون يحبس اولهم
على اخرهم اي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة اهل النار نسال الله ان يجيرنا
منها بسعة رحمته فان قلت ما في قوله حتى اذا ما جاوها قلت ما هي مزيدة للتاكيد ومعنى
التاكيد فيها ان وقت مجيهم النار لا محالة ان يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لان يخلوا منها ومثله قوله
اثم اذا ما وقع امنتم به اي لا بد لوقت وقوعه من ان يكون وقت ايمانهم به شهادة الجلود بالملامسة
للحرام وما اشبه ذلك مما يفضي اليها من المحرمات فان قلت كيف تشهد عليهم اعضاوهم وكيف تنطق
قلت الله عز وجل ينطقها كما انطق الشجرة بان يخلق فيها كلاما وقيل المراد بالجلود الجوارح وقيل هي كناية
عن الفروج الذي انطق كل شي كل شي من الحيوان كما اراد به في قوله والله على كل شي قدير كل شي من المقدورات والمعنى
ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الله سبحانه الذي قدر على انطاق كل حيوان وعلى خلقكم وانشايكم اول مرة
وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزايه وانما قالوا لهم لم شهدتم علينا لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من
الافتضاح على السنة جوارحهم المعنى انكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان
استتاركم ذلك خيفة ان تشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث
والجزا اصلا ولكنكم انما استترتم لظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من اعمالكم وذلكم الظن
هو الذي اهلككم وفي هذا تنبيه على ان من حق المومن ان لا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه ان عليه من الله عينا كالية
ورقيبا مهيمنا حتى يكون في اوقات خلواته من ربه اهيب واحسن احتشاما واوفر تحفظا وتصونا منه مع الملا
ولا يتبسط في سره مراقبة من التشبه بهولا الظانين وقرئ ولكن زعمتم ذلكم ظنكم اردكم بالادغام وارداكم خبران
ويجوز ان يكون ظنكم بدلا من ذلكم واردكم الخبر فان يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثوا في النار
وان يستعتبوا وان يسالوا العتبى وهي الرجوع الى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا لم يعطوا العتبى ولم يجابوا
اليها ونحوه قوله تعالى اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان يسالوا ان

يرضوا ربهم فما هم فاعلون اي لا سبيل لهم الى ذلك وقيضنا لهم وقدرنا لهم يعني لمشركي مكة يقال
هذان ثوبان قيضان اذا كانا متكافئين والمقايضة المعاوضة قرناء اخدانا من الشياطين
جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فان قلت كيف جاز ان يقيض لهم القرنا
من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم قلت معناه انه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم
على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه ومن يعش نقيض ما بين ايديهم وما خلفهم ما تقدم
من اعمالهم وما هم عازمون عليها او ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر العاقبة
وان لا بعث ولا حساب وحق عليهم القول يعني كلمة العذاب في امم في جملة امم ومثل في هذه ما في قوله
ان تك في احسن الضيقة مافوكا ففي آخرين قد افكوا يريد فانت في جملة آخرين وانت في عداد آخرين
لست في ذلك باوحد فان قلت في امم ما محله قلت محله النصب على الحال من الضمير في عليهم اي حق عليهم
القول كاينين في جملة امم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم والغوا فيه
بفتح الغين وضمها يقال لغي يلغى ولغا يلغو واللغو الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته قال من اللغا ورفث التكلم
والمعنى لا تسمعوا له اذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الاصوات بالخرافات والهذيان والزمل وما اشبه
ذلك حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوه على قراءته كانت قريش يوصي بعضهم بعضا فلنذيقن الذين كفروا
يجوز ان يريد بالذين كفروا هولاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة وان يذكر الذين كفروا عامة لينطووا
تحت ذكرهم وقد ذكرنا اضافة اسوأ بما اغنى عن اعادته وعن ابن عباس عذابا شديدا يوم بدر واسوأ الذي
كانوا يعملون في الآخرة ذلك اشارة الى الاسوأ ويجب ان يكون التقدير اسوأ جزاء الذي كانوا يعملون حتى
تستقيم هذه الاشارة والنار عطف بيان للجزاء او خبر مبتدا محذوف فان قلت ما معنى قوله لهم فيها دار
الخلد قلت معناه ان النار في نفسها دار الخلد كقوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والمعنى ان رسول الله
اسوة حسنة وتقول لك في هذه الدار دار السرور وانت تريد الدار بعينها جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون اي جزاء
بما كانوا يلغون فيها فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو الذين اضلانا اي الشيطانين اللذين اضلانا من الجن والانس
لان الشيطان على ضربين جني وانسي قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقال الذي يوسوس
في صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما ابليس وقابيل لانهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ ارنا بسكون
الراء لثقل الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ وقيل معناه اعطنا الذين اضلانا وحكوا عن الخليل انك اذا قلت ارني ثوبك
بالكسر فالمعنى بصرنيه واذا قلته بالسكون فهو استعطاء معناه اعطني ثوبك ونظيره اشتهار الايتاء في معنى الاعطاء
واصله الاحضار ثم لتراخي الاستقامة عن الاقرار في المرتبة وفضلها عليه لان الاستقامة لها الشان كله
ونحوه قوله تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته
وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه انه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا
لم يذنبوا قال حملتم الامر على اشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان وعن عمر رضي الله عنه استقاموا
على الطريقة لم يروغوا روغان الثعالب وعن عثمان رضي الله عنه اخلصوا العمل وعن علي رضي الله عنه ادوا الفرايض وقال سفيان
بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله اخبرني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قلت ما اخوف ما
تخاف علي فاخذ رسول الله صلعم بلسان نفسه فقال هذا تتنزل عليهم الملائكة عند الموت بالبشرى وقيل البشرى في ثلاثة
مواطن عند الموت وفي القبر واذا قاموا من قبورهم الا تخافوا ان بمعنى اي او مخففة من الثقيلة واصله
بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشان وفي قراءة ابن مسعود لا تخافوا بغير ان بمعنى قائلين لا تخافوا والخوف غم يلحق لتوقع المكروه
والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار والمعنى ان الله كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا وقيل
لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم كما ان الشياطين قرناء العصاة واخوانهم فكذلك الملائكة اولياء المتقين
واحباؤهم في الدارين تدعون تتمنون نزلا رزقا النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال ومن احسن قولا ممن دعا الى الله
عن ابن عباس هو رسول الله صلعم دعا الى الاسلام وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وجعل الاسلام نحلة له وعنه انهم
اصحاب رسول الله وعن عايشة ما كنا نشك ان هذه الاية نزلت في المؤذنين وهي عامة في كل من جمع بين هذه الثلاث ان يكون
موحدا معتقدا لدين الاسلام عاملا بالخير داعيا اليه وما هم الا طبقة العالمين العاملين من اهل العدل
والتوحيد الدعاة الى دين الله وقوله وقال انني من المسلمين ليس الغرض انه تكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين الاسلام
مذهبه ومعتقده كما تقول هذا قول ابي حنيفة تريد مذهبه يعني ان الحسنة والسيئة متفاوتتان في انفسهما فخذ
بالحسنة التي هي احسن من اختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض اعدائك ومثال ذلك
رجل اساء اليك اساءة فالحسنة ان تعفو عنه والتي هي احسن ان تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل ان يذمك فتمدحه
ويقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم
مصافاة لك ثم قال وما يلقاها هذه الخليقة او الشيمة التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا اهل الصبر وما يلقاها الا ذو
حظ عظيم الا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير فان قلت فهلا قيل فادفع بالتي هي احسن قلت هو على تقدير قايل قال فكيف اصنع

فقيل ادفع بالتي هي احسن وقيل لا مزيدة والمعنى ولا تستوي الحسنة والسيئة فان قلت فكان القياس على هذا التفسير
ان يقال ادفع بالتي هي حسنة قلت اجل ولكن وضع التي هي احسن موضع الحسنة ليكون ابلغ في الدفع بالحسنة
لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها وعن ابن عباس رضي الله عنه بالتي هي احسن الصبر عند الغضب والحلم
عند الجهل والعفو عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل
نزلت في ابي سفيان بن حرب وكان عدوا موذيا لرسول الله صلعم فصار وليا مصافيا النزغ والنسغ بمعنى
وهو النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده
او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر او لتسويله والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع
بالتي هي احسن فاستعذ بالله من شره وامض على شانك ولا تطعه الضمير في خلقهن لليل والنهار والشمس والقمر لان حكم
جماعة ما لا يعقل حكم الانثى او الاناث يقال الاقلام بريتها وبريتهن او لما قال ومن آياته كن في معنى الآيات
فقيل خلقهن فان قلت اين موضع السجدة قلت عند الشافعي رحمه الله تعبدون وهي رواية مسروق عن
عبد الله لذكر لفظ السجدة قبلها وعند ابي حنيفة رحمه الله يسامون لانها تمام المعنى وهي عن ابن عباس وابن عمر
وسعيد بن المسيب لعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم
يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وامروا ان يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا
ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين فان استكبروا ولم يمتثلوا ما امروا به وابوا الا الواسطة فدعهم
وشانهم فان الله عز سلطانه لا يعدم عابدا وساجدا بالاخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار
عن الانداد وقوله عند ربك عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة وقرئ لا يسامون بكسر الياء الخشوع
التذلل والتقاصر فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله وترى الارض
هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ اذا اخصبت وتزخرفت بالنبات كانها بمنزلة
المختال في زيه وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف البال في الاطمار الرثة وقرئ وربأت اي ارتفعت لان النبت اذا هم
ان يظهر ارتفعت له الارض يقال الحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فاستعير للانحراف
في تاويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة وقرئ يلحدون ويلحدون على اللغتين وقوله لا يخفون علينا
وعيد لهم على التحريف فان قلت بم اتصل قوله ان الذين كفروا بالذكر قلت هو بدل من قوله ان الذين يلحدون في
آياتنا والذكر القرآن لانهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تاويله وانه لكتاب عزيز اي منيع محمي بحماية الله
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مثل كان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات
حتى يتصل اليه ويتعلق به فان قلت اما طعن فيه الطاعنون وتاوله المبطلون قلت بلى ولكن الله قد تقدم
في حمايته عن تعلق الباطل به بان قيض قوما عارضوهم بابطال تاويلهم وافساد اقاويلهم فلم يخلوا طعن
الا ممحوقا ولا قول مبطل الا مضمحلا ونحوه قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ما يقال لك اي ما يقول
لك كفار قومك الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة ان ربك
لذو مغفرة ورحمة لانبيائه وذو عقاب لاعدائهم ويجوز ان يكون ما يقول لك الله الا مثل ما قال للرسل
من قبلك والمقول هو قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم فمن حقه ان يرجوه اهل طاعته ويخافه اهل
معصيته والغرض تخويف العصاة كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل لو كان
كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنت وقالوا لولا فصلت اياته اي بينت ولخصت بلسان نفقهه
ءاعجمي وعربي الهمزة همزة الانكار يعني لانكروا وقالوا اقرآن اعجمي ورسول عربي او مرسل اليه عربي
وقرئ اعجمي والاعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من اي جنس كان والعجمي منسوب الى امة العجم وفي قراءة
الحسن اعجمي بغير همزة الاستفهام على الاخبار بان القرآن اعجمي والمرسل او المرسل اليه عربي والمعنى ان آيات
الله على اي طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لان القوم غير طالبين للحق وانما يتبعون اهواءهم ويجوز
في قراءة الحسن هلا فصلت اياته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب فان قلت كيف يصح
ان يراد بالعربي المرسل اليهم وهم امة العرب قلت هو على ما يجب ان يقع في انكار المنكر لو راى كتابا
عجميا كتب الى قوم من العرب يقول كتاب عجمي ومكتوب اليه عربي وذلك لان مبنى الانكار على تنافر حالتي
الكتاب والمكتوب اليه لا على ان المكتوب اليه واحد او جماعة فوجب ان يجرد لما سيق له من الغرض ولا يوصل به ما يخيل غرضا آخر الا
تراك تقول وقد رايت لباسا طويلا على امراة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة
جئت بما هو لكنة وفضول قول لان الكلام لم يقع في ذكورة اللابس وانوثته وانما وقع في غرض وراءهما
هو اي القرآن هدى وشفاء اي ارشاد الى الحق وشفاء لما في الصدور من الظن والشك والذين لا يؤمنون
في آذانهم وقر منقطع عن ذكر القرآن فما وجه اتصاله به قلت لا يخلو اما ان يكون الذين لا يؤمنون
في موضع الجر معطوفا على قوله للذين امنوا على معنى قل هو للذين امنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر

الماء فيه عطفا على عاملين وإن كان الأخفش يجيزه وإما أن يكون مرفوعا على لغة من يقول الذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر
وهو عليهم عمى وقرئ وهو عليهم عم وقيل كقوله تعالى فعميت عليهم ينادون من مكان بعيد يعني أنهم لا يقبلونه ولا يرعونه أسماعهم فمثلهم
في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع النداء الكلمة السابقة هي العدة بالقيامة وأن الخصومات
تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لقضي بينهم في الدنيا قال الله تعالى بل الساعة موعدهم ولكن يؤخرهم
إلى أجل مسمى فلنفسه فنفسه نفع ومن أساء فعليها فنفسه ضر وما ربك بظلام فيعذب غير المسيء إليه يرد
علم الساعة أي إذا سئل عنها قيل الله يعلم أو لا يعلمها إلا الله وقرئ من ثمرات من أكمامها والكم بكسر
الكاف وعاء الثمرة كجف الطلعة أي وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع إلا وهو
عالم به يعلم عدد أيام الحمل وساعاته وأحواله من الخداج والتمام والذكورة والأنوثة والحسن والقبح
وغير ذلك أين شركائي أضافهم إليه على زعمهم وبيانه في قوله أين شركائي الذين كنتم تزعمون وفيه
تهكم وتقريع آذناك أعلمناك ما منا من شهيد أي ما منا أحد اليوم وقد أبصرنا وسمعنا يشهد بأنهم شركاؤك
وما منا إلا من هو موحد لك أو ما منا من أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم
لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء أي ما منا من شهيد يشهد بما أضافوا إلينا من الشركة
ومعنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير أنهم لا ينفعونهم فكأنهم ضلوا عنهم وظنوا وأيقنوا والمحيص
المهرب فإن قلت آذناك إخبار بإيذان كان منهم فإذا قد آذنوا فلم سئلوا قلت يجوز أن يعاد
عليهم أين شركائي إعادة للتوبيخ وإعادته في القرآن على سبيل الحكاية دليل على إعادة المحكي ويجوز أن يكون
المعنى أنك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن أنا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لأنه إذا علمه من نفوسهم
فكأنهم أعلموه ويجوز أن يكون إنشاء للإيذان ولا يكون إخبارا بإيذان قد كان كما تقول أعلم
الملك أنه قد كان من الأمر كيت وكيت من دعاء الخير من طلب السعة في المال والنعمة وقرئ من دعاء
بالخير وإن مسه الشر أي الضيقة والفقر فيؤوس قنوط بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول
ومن طريق التكرير والقنوط أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر أي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه
صفة الكافر بدليل قوله سبحانه إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون وإذا فرجنا عنه بصحة بعد
مرض أو سعة بعد ضيق قال هذا لي أي هذا حقي وصل إلي لأني استوجبته بما عندي من خير وفضل
وأعمال بر أو هذا لي لا يزول عني ونحوه قوله تعالى فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ونحو قوله وما أظن
الساعة قائمة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين يريد وما أظنها تكون فإن كانت على طريق التوهم إن لي عنده
للحسنى أي الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قاسيا أمر الآخرة على أمر الدنيا وعن بعضهم للكافر أمنيتان يقول في الدنيا
ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى ويقول في الآخرة يا ليتني كنت ترابا وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة فلننبئنهم
بحقيقة ما عملوا من الأعمال الموجبة للعذاب ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها أنهم يستوجبون عليها
كرامة وقربة عند الله وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وذلك أنهم كانوا ينفقون أموالهم
رئاء الناس وطلبا للافتخار والاستكبار لا غير وكانوا يحسبون أن ما هم عليه سبب الغنى والصحة
وأنهم محقوقون بذلك وهذا أيضا ضرب آخر من طغيان الإنسان إذا أصابه الله بنعمة أبطرته وكأنه لم يلق
بؤسا قط فنسي المنعم وأعرض عن شكره ونأى بجانبه أي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم وإن مسه الضر والفقر
أقبل على دوام الدعاء وأخذ في الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الأجرام
ويستعار له الطول أيضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب وقرئ وناء بجانبه بإمالة الألف وكسر النون للإتباع
وناء على القلب كما قالوا راء في رأى فإن قلت حقق لي معنى ونأى بجانبه قلت فيه وجهان أن يوضع جانبه موضع
نفسه كما ذكرنا في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله أن مكان الشيء وجهته ينزل منزلة الشيء نفسه ومنه قوله
ونفيت عنه مقام الذئب يريد ونفيت عنه الذئب ومنه ولمن خاف مقام ربه جنتان ومنه قول الكتاب حضرة فلان
ومجلسه وكتبت إلى جهته وإلى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكأنه قال ونأى بنفسه كقولهم في المتكبر ذهب
بنفسه وذهبت به الخيلاء كل مذهب وعصفت به الخيلاء وأن يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الانحراف
والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه أرأيتم أخبروني إن كان القرآن من عند الله يعني أن ما أنتم عليه
من إنكار القرآن وتكذيبه ليس بأمر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين وثلج الصدور وإنما هو قبل النظر
واتباع الدليل أمر محتمل يجوز أن يكون من عند الله وأن لا يكون من عنده وأنتم لم تنظروا ولم تفحصوا فما أنكرتم
أن يكون حقا وقد كفرتم به فأخبروني من أضل منكم وأنتم أبعدتم الشوط في مشاقته ومناصبته ولعله
حق فأهلكتم أنفسكم وقوله ممن هو في شقاق بعيد موضوع موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم سنريهم آياتنا في الآفاق
وفي أنفسهم يعني ما يسر الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء من بعده وأنصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق
والمغرب عموما وفي باحة العرب خصوصا من الفتوح التي لم تتيسر أمثالها لأحد من خلفاء الأرض قبلهم ومن الإظهار

على

على الجبابرة والأكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعافهم على أقويائهم وإجرائه على أيديهم أمورا خارجة
من المعهود خارقة للعادات ونشر دعوة الإسلام في أقطار المعمورة وبسط دولته في أقاصيها والاستقراء
يطلعك في التواريخ والكتب المدونة في مشاهد أهله وأيامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم إلا علما من
أعلام الله وآية من آياته يقوى معها اليقين ويزداد بها الإيمان ويتبين أن دين الإسلام هو دين الحق الذي لا
يحيد عنه إلا مكابر حسه مغالط نفسه وما الثبات والاستقامة إلا صفة الحق والصدق كما أن الاضطراب
والتزلزل صفة الفرية والزور وأن للباطل ريحا تخفق ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل بربك في موضع الرفع
على أنه فاعل كفى وأنه على كل شيء شهيد بدل منه تقديره أو لم يكفهم أن ربك على كل شيء شهيد ومعناه أن هذا
الموعود من إظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن
تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد أي مطلع مهيمن يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا
على أنه حق وأنه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة وقرئ في مرية بالضم
وهو الشك محيط عالم بجمل الأشياء ... في لقاء ربهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله بكل حرف
عشر حسنات

سورة حم عسق وتسمى سورة الشورى مكية وهي ثلث وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

وقرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما حم سق كذلك يوحي إليك أي مثل ذلك الوحي أو مثل ذلك الكتاب يوحي إليك وإلى
الذين من قبلك الله يعني أن ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد أوحى الله إليك مثله في غيرها من السور وأوحاه
من قبلك إلى رسله على معنى أن الله تعالى كرر هذه المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ
واللطف العظيم لعباده من الأولين والآخرين ولم يقل أوحى إليك ولكن على لفظ المضارع ليدل على أن إيحاء مثله عادته
وقرئ يوحى إليك على البناء للمفعول فإن قلت فما رافع اسم الله على هذه القراءة قلت ما دل عليه يوحى كأن قائلا قال من
الموحي فقيل الله كقراءة السلمي وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم فإن قلت فما رافعه فيمن قرأ
نوحي بالنون قلت يرتفع بالابتداء والعزيز وما بعده أخبار أو العزيز الحكيم صفتان والظرف خبر وقرئ
تكاد بالتاء والياء وينفطرن ويتفطرن وروى يونس عن أبي عمرو قراءة غريبة تتفطرن بتاءين مع النون
ونظيرها حرف نادر روي في نوادر ابن الأعرابي الإبل تتشممن ومعناه يكدن ينفطرن من علو شأن الله وعظمته
يدل عليه مجيئه بعد العلي العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكاد السموات يتفطرن منه فإن قلت لم قال من
فوقهن قلت لأن أعظم الآيات وأدلها على الجلال والعظمة فوق السموات وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة
المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه إلا الله تعالى من آثار ملكوته العظمى فلذلك قال ينفطرن
من فوقهن أي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية أو لأن كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السموات فكان
القياس أن يقال ينفطرن من تحتهن من الجهة التي منها جاءت الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة الفوق
كأنه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن ونظيره في المبالغة قوله عز وعلا يصب من فوق
رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم فجعل الحميم مؤثرا في أجزائهم الباطنة وقيل من فوقهن من فوق الأرضين
فإن قلت كيف صح أن يستغفروا لمن في الأرض وفيهم الكفار أعداء الله وقد قال الله تعالى أولئك عليهم لعنة الله
والملائكة فكيف يكونون لأعدائه مستغفرين قلت قوله لمن في الأرض يدل على جنس أهل الأرض وهذه الجنسية
قائمة في كلهم وفي بعضهم فيجوز أن يراد به هذا وهذا وقد دل الدليل على أن الملائكة لا تستغفر إلا
لأولياء الله وهم المؤمنون فما أراد الله سبحانه إلا إياهم ألا ترى إلى قوله في سورة المؤمن ويستغفرون
للذين آمنوا وحكايته عنهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب
به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصدقين طمعا في استغفارهم فكيف للكفرة ويحتمل أن يقصدوا
بالاستغفار طلب الحلم والغفران في قوله إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا إلى أن قال إنه كان
حليما غفورا وقوله وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد الحلم عنهم وأن لا يعاجلهم بالانتقام
فيكون عاما فإن قلت قد فسرت قوله تكاد السموات يتفطرن هيبة من جلاله واحتشاما من كبريائه والملائكة الذين هم
ملء السبع الطباق وحافون حول العرش صفوفا بعد صفوف يداومون خضوعا لعظمته على عبادته وتسبيحه وتحميده
ويستغفرون لمن في الأرض خوفا عليهم من سطواته وأما على الثاني فكأنه قيل يكدن ينفطرن من إقدام أهل الشرك على
تلك الكلمة الشنعاء والملائكة يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات التي يضيفها إليه الجاهلون به
حامدون له على ما أولاهم من ألطافه التي علم أنهم عندها يستعصمون مختارين غير ملجئين ويستغفرون لمؤمني
أهل الأرض الذين تبرؤوا من تلك الكلمة ومن أهلها أو يطلبون إلى ربهم أن يحلم عن أهل الأرض ولا يعاجلهم بالعقاب
مع وجود ذلك فيهم لما عرفوا في ذلك من المصالح وحرصا على نجاة الخلق وطمعا في توبة الكفار والفساق منهم
والذين اتخذوا من دونه أولياء جعلوا له شركاء وأندادا الله حفيظ عليهم رقيب على أحوالهم وأعمالهم
لا يفوته منها شيء وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم لا رقيب عليهم إلا هو وحده وما أنت يا محمد بموكل بهم
ولا مفوض إليك أمرهم ولا قسرهم على الإيمان إنما أنت منذر فحسب ومثل ذلك أوحينا إليك ذلك إشارة إلى
المعنى الآية قبلها من أن الله هو الرقيب عليهم وما أنت برقيب عليهم ولكن نذير لهم لأن المعنى كرره تعالى

وكيّا به وبمواضع حججه وأن الكاف مفعول به لأوحينا وقرآنا عربيا حال من المفعول به أي أوحيناه إليك وهو قرآن عربي
بيّن لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز حدّ الإنذار ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى المصدر أوحينا أي
ومثل ذلك الإيحاء البيّن المفهم أوحينا إليك قرآنا عربيا بلسانك لتنذر يقال أنذرته كذا وأنذرته بكذا وقد
عدّي لتنذر أولا إلى المفعول الأول والثاني وهو قوله وتنذر يوم الجمع إلى المفعول الثاني أم القرى
أهل أم القرى كقوله تعالى واسأل القرية ومن حولها من العرب وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن يوم الجمع يوم القيمة
لأن الخلائق تجمع فيه قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع بين الأرواح والأجساد وقيل يجمع بين كل عامل وعمله ولا
ريب فيه اعتراض لا محل له فريق فريق وقرئا بالرفع والنصب فالرفع على منهم فريق ومنهم فريق والضمير للمجموعين لأن
المعنى يوم جمع الخلائق والنصب على الحال منهم أي متفرقين كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون
فإن قلت كيف يكونون مجموعين متفرقين في حالة واحدة قلت هم مجموعون في ذلك اليوم مع افتراقهم
في داري البؤس والنعيم كما يجتمع الناس يوم الجمعة متفرقين في مسجدين وإن أريد بالجمع جمعهم في الموقف فالتفرق على معنى
مشارفتهم للتفرق ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة أي مؤمنين كلهم على القسر والإكراه كقوله ولو شئنا لآتينا
كل نفس هداها وقوله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا والدليل على أن المعنى هو الإلجاء إلى الإيمان قوله أفأنت
تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقوله أفأنت بإدخال همزة الإنكار على المكره دون فعله دليل على أن الله وحده
هو القادر على هذا الإكراه دون غيره والمعنى ولو شاء ربك مشيئة قدرة لقسرهم جميعا على الإيمان ولكنه شاء
مشيئة حكمة فكلفهم وبنى أمرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون بمن يشاء ألا ترى إلى
وضعهم في مقابلة الظالمين ويترك الظالمين بغير ولي ولا نصير في عذابه ومعنى الهمزة في أم اتخذوا الإنكار فالله هو الولي
هو الذي يجب أن يتولى وحده ويعتقد أنه المولى والسيد والفاء في قوله فالله هو الولي جواب شرط مقدر كأنه قيل
بعد إنكار كل ولي سواه إن أرادوا وليا بحق فالله هو الولي بالحق لا ولي سواه وهو يحيي الموتى أي ومن شأن هذا
الولي أنه يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير فهو الحقيق بأن يتخذ وليا دون من لا يقدر على شيء وما اختلفتم فيه من شيء
حكاية قول رسول الله صلعم للمؤمنين أي ما خالفكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين فاختلفتم أنتم وهم فيه من أمر
من أمور الدين فحكم ذلك المختلف فيه مفوض إلى الله وهو إثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين ذلكم الحاكم
بينكم هو ربي عليه توكلت في رد كيد أعداء الدين وإليه أرجع في كفاية شرهم وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم في شيء
من الخصومات فتحاكموا فيه إلى رسول الله صلعم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره كقوله فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله
والرسول وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه إلى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة
رسول الله صلعم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم إلى علمه فقولوا الله أعلم
كمعرفة الروح قال الله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي فإن قلت هل يجوز حمله على اختلاف المجتهدين
في أحكام الشريعة قلت لا لأن الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول صلعم فاطر السموات قرئ بالرفع والجر فالرفع على أنه
أحد أخبار ذلكم أو خبر مبتدأ محذوف والجر على حكمه إلى الله فاطر السموات وذلكم إلى أنيب اعتراض بين الصفة
والموصوف جعل لكم من أنفسكم خلق لكم من جنسكم من الناس أزواجا ومن الأنعام أزواجا أي وخلق للأنعام
أزواجا ومعناه وخلق للأنعام أيضا من أنفسها أزواجا يذرؤكم يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم والذر
والذرء والذرو أخوات فيه أي في هذا التدبير وهو أن جعل للناس والأنعام أزواجا حتى كان بين
ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل والضمير في يذرؤكم يرجع إلى المخاطبين والأنعام مغلبا فيه المخاطبون
العقلاء على الغيب مما لا يعقل وهي من الأحكام ذات العلتين فإن قلت ما معنى يذرؤكم في هذا التدبير
وهلا قيل يذرؤكم به قلت جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير ألا تراك تقول
للحيوان في خلق الأزواج تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حيوة قالوا مثلك لا يبخل نفوا البخل عن مثله وهم
يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لأنهم إذا نفوه عمن يسد مسده
وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر الذمم كان أبلغ من قولك أنت
لا تخفر ومنه قولهم قد أيفعت لداته وبلغت أترابه يريدون إيفاعه وبلوغه وفي حديث رقيقة
بنت صيفي في سقيا عبد المطلب ألا وفيهم الطيب الطاهر لداته والقصد إلى طهارته وطيبه فإذا
علم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء إلا ما تعطيه
الكناية من فائدتها وكأنهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته ونحوه قوله عز وجل
بل يداه مبسوطتان فإن معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لأنها وقعت عبارة عن الجود
لا يقصدون شيئا آخر حتى أنهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل وفيمن لا مثل له ولك
أن تزعم أن كلمة التشبيه كررت للتأكيد كما كررها من قال وصاليات ككما يؤثفين ومن قال
فأصبحت مثل كعصف مأكولن ومن قوله ويقدر إنه بكل شيء عليم فإذا علم أن الغنى خير للعبد أغناه وإلا أفقره شرع
لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من الأنبياء ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الأعلام من رسله
فيه بقوله أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه والمراد إقامة دين الإسلام الذي هو توحيد الله تعالى وطاعته

والإيمان

والإيمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الأمم على حسب أحوالها
فإنها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل أن أقيموا إما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين
عليه وإما رفع على الاستئناف كأنه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو إقامة الدين ونحوه قوله تعالى إن هذه أمتكم أمة واحدة
كبر على المشركين عظم عليهم وشق عليهم ما تدعوهم إليه من إقامة دين الله والتوحيد يجتبي إليه
يجتلب إليه ويجمع والضمير للدين بالتوفيق والتسديد من يشاء من ينفع فيهم توفيقه ويجري عليهم لطفه وما تفرقوا
يعني أهل الكتاب بعد أنبيائهم إلا من بعد أن علموا أن الفرقة ضلال وفساد وأمر متوعد عليه على ألسنة الأنبياء
ولولا كلمة سبقت من ربك وهي عدة التأخير إلى يوم القيمة لقضي بينهم حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وإن الذين
أورثوا الكتاب من بعدهم وهم أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلعم لفي شك من كتابهم لا يؤمنون به حق الإيمان
وقيل كان الناس أمة واحدة مؤمنين بعد أن أهلك الله أهل الأرض أجمعين بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الأبناء فيما
بينهم وذلك حين بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وإنما اختلفوا للبغي بينهم وقيل وما تفرق أهل
الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله صلعم كقوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وإن
الذين أورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب التورية والإنجيل وقرئ ورثوا
وورّثوا فلذلك فلأجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا فادع إلى الاتفاق والائتلاف على
الملة الحنيفية القديمة واستقم عليها وعلى الدعوة إليها كما أمرك الله ولا تتبع أهواءهم المختلفة الباطلة بما أنزل الله
من كتاب بأي كتاب صح أن الله أنزله يعني الإيمان بجميع الكتب المنزلة لأن المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله ونؤمن
ببعض ونكفر ببعض إلى قوله أولئك هم الكافرون حقا لأعدل بينكم في الحكم إذا تخاصمتم فتحاكمتم إلي لا حجة بيننا وبينكم
أي لا خصومة لأن الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة إلى المحاجة ومعناه لا إيراد حجة بيننا لأن المتحاجين يورد هذا حجته
وهذا حجته الله يجمع بيننا يوم القيمة فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم وهذه محاجزة ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة
والإلزام فإن قلت كيف حوجزوا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والإجلاء قلت
المراد محاجزتهم في مواقف المقاولة لا المقاتلة يحاجون في الله يخاصمون في دينه من بعد ما استجيب له الناس ودخلوا
في الإسلام ليردوهم إلى دين الجاهلية كقوله ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا كان اليهود
والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالحق وقيل من بعد ما استجاب
الله لرسوله ونصره يوم بدر وأظهر دين الإسلام داحضة باطلة زائلة أنزل الكتاب أي جنس الكتاب والميزان والعدل
والتسوية ومعنى إنزال العدل أنه أنزله في كتبه المنزلة وقيل الذي يوزن به بالحق ملتبسا بالحق مقترنا به
بعيدا من الباطل أو بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة أو بالواجب من التحليل والتحريم وغير ذلك الساعة في تأويل
البعث فلذلك قيل قريب أو لعل مجيء الساعة قريب فإن قلت كيف يوفق ذكر اقتراب الساعة مع إنزال الكتاب والميزان
قلت لأن الساعة يوم الحساب ووضع الموازين القسط فكأنه قيل أمركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع
قبل أن يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن أعمالكم ويوفي لمن أوفى ويطفف لمن طفف يمارون الملاجة
لأن كل واحد منهما يمري ما عند صاحبه لفي ضلال بعيد من الحق لأن قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله تعالى
ولدلالة الكتاب المعجز على أنها آتية لا ريب فيها ولشهادة العقول على أنه لا بد من دار الجزاء لطيف بعباده بر بليغ
البر بهم قد توصل بره إلى جميعهم وتوصل من كل واحد منهم إلى حيث لا يبلغه وهم أحد من كلياته وجزئياته فإن قلت
ما معنى قوله من يشاء بعد توصل بره إلى جميعهم قلت كلهم مبرورون لا يخلو أحد من بره إلا أن البر
أصناف وله أوصاف والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبير فيطير لبعض العباد
صنف من البر لم يطر مثله لآخر ويصيب هذا حظ له وصف ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه فمن قسم له منهم ما لم يقسم
للآخر فقد رزقه وهو الذي أراد بقوله يرزق من يشاء كما يرزق أحد الأخوين ولدا دون الآخر على أنه أصاب نعمة أخرى
لم يرزقها صاحب الولد وهو القوي الباهر القدرة الغالب على كل شيء العزيز المنيع الذي لا يغلب سمى ما يعمله
العامل مما يبغي به الفائدة والزكاء حرثا على المجاز وفرق بين عملي العاملين بأن من عمل للآخرة وفق في عمله
وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا أعطي شيئا منها لا ما يريده ويبتغيه وهو رزقه الذي قسم له وفرغ
منه وما له نصيب قط في الآخرة ولم يذكر في معنى عامل الآخرة وله في الدنيا نصيب على أن رزقه المقسوم له واصل إليه
لا محالة للاستهانة بذلك إلى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب ومعنى الهمزة في أم التقرير
والتقريع وشركاؤهم شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا لأنهم لا يعلمون غيرها وهو
الدين الذي شرعت لهم الشياطين وتعالى الله عن الإذن فيه والأمر به وقيل شركاؤهم أوثانهم وإنما أضيفت
إليهم لأنهم متخذوها شركاء لله فتارة تضاف إليهم لهذه الملابسة وتارة إلى الله سبحانه ولما كانت سببا لضلالتهم
وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال إبرهيم صلعم إنهن أضللن كثيرا من الناس ولولا كلمة الفصل أي
القضاء السابق بتأجيل الجزاء أو ولولا العدة بأن الفصل يكون يوم القيمة لقضي بينهم أي بين الكافرين والمؤمنين
أو بين المشركين وشركائهم وقرئ وأن الظالمين بالفتح عطفا له على كلمة الفصل يعني ولولا كلمة الفصل
وتقدير تعذيب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا ترى الظالمين في الآخرة مشفقين خائفين خوفا شديدا
أرق قلوبهم مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم يريد وباله واقع بهم وواصل إليهم لا بد لهم منه

اشفقوا او لم يشفقوا كأن روضة جنة المومن اطيب بقعة فيها وانزهها عند ربهم منصوب بالظرف لا بيشاؤن
وقرى يبشر من بشره ويبشر من ابشره ويبشر من بشره والاصل ذلك الثواب الذى يبشر الله به عباده
فحذف الجار كقوله واختار موسى قومه ثم حذف الراجع الى الموصول كقوله اهذا الذى بعث الله رسولا او ذلك
التبشير الذى يبشره الله عباده • روى انه اجتمع المشركون فى مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون محمدا
يسأل على ما يتعاطاه اجرا فنزلت الاية الا المودة فى القربى يجوز ان يكون استثنا متصلا اى لا اسالكم اجرا
الا هذا وهو ان تودوا اهل قرابتى ولم يكن هذا اجرا فى الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة
لهم فى المروة ويجوز ان يكون منقطعا اى لا اسالكم اجرا قط ولكنى اسالكم ان تودوا قرابتى الذين هم قرابتكم
ولا توذوهم فان قلت هلا قيل الا مودة القربى او الا المودة للقربى وما معنى قوله الا المودة فى القربى قلت
جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لى فى ال فلان مودة ولى فيهم هوى وحب شديد تريد احبهم وهم مكان حبى
ومحله وليست فى بصلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هى متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به فى قولك
المال فى الكيس وتقديره الا المودة ثابتة فى القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة
والمراد فى اهل القربى وروى انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هولاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة
وابناهما ويدل عليه ما روى عن على رضى الله عنه شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس لى فقال اما ترضى ان تكون
رابع اربعة اول من يدخل الجنة انا وانت والحسن والحسين وازواجنا عن ايماننا وشمائلنا وذريتنا خلف
ازواجنا وعن النبى صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتى وآذانى فى عترتى ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد
عبد المطلب ولم يجازه عليها فانا اجازيه عليها غدا اذا لقينى يوم القيمة وروى ان الانصار قالوا فعلنا
وفعلنا كانهم افتخروا فقال عباس او ابن عباس رضى الله عنهما لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاهم فى
مجالسهم فقال يا معشر الانصار الم تكونوا اذلة فاعزكم الله بى قالوا بلى يا رسول الله قال الم تكونوا ضلالا
فهداكم الله بى قالوا بلى يا رسول الله قال افلا تجيبونى قالوا ما نقول يا رسول الله قال الا تقولون الم يخرجك قومك
فآويناك اولم يكذبوك فصدقناك اولم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا
اموالنا وما فى ايدينا لله ولرسوله فنزلت الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات على حب آل محمد مات تائبا الا ومن مات
على حب آل محمد مات مومنا مستكمل الايمان الا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير
الا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها الا ومن مات على حب آل محمد فتح له
فى قبره بابان الى الجنة الا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملئكة الرحمة الا ومن مات على حب آل محمد
مات على السنة والجماعة الا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا الا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة
وقيل لم يكن بطن من بطون قريش الا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم قربى فلما كذبوه وابوا ان يبايعوه نزلت والمعنى
الا ان تودونى فى القربى اى فى حق القربى ومن اجلها كما تقول الحب فى الله والبغض فى الله بمعنى فى حقه ومن اجله يعنى
انكم قومى واحق من اجابنى واطاعنى فاذ قد ابيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا توذونى ولا تهيجوا على وقيل
اتت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال جمعوه وقالوا يا رسول الله قد هدانا الله بك وانت ابن اختنا وتعروك نوايب
وحقوق وما لك سعة فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت ورده وقيل القربى التقرب الى الله اى الا ان تحبوا
الله ورسوله فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرى الا مودة فى القربى ومن يقترف حسنة عن السدى انها
المودة فى آل رسول الله نزلت فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم فى اى حسنة كانت الا انها
لما ذكرت عقيب ذكر المودة فى القربى دل على انها تناولت المودة تناولا اوليا كان ساير الحسنات لها توابع وقرى
نزد اى نزد الله وزيادة حسنها من جهة الله مضاعفتها كقوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه
له اضعافا كثيرة وقرى حسنى وهو مصدر كالبشرى الشكور فى صفة الله مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية
ثوابها والتفضل على المثاب ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كانه قيل ايتمالكون ان ينسبوا مثله الى الافترا
ثم الى الافترا على الله الذى هو اعظم الفرى وافحشها فان يشا الله يختم على قلبك فان يشا الله يجعلك من المختوم على
قلوبهم حتى تفترى عليه الكذب فانه لا يجترى على افترا الكذب على الله الا من كان فى مثل حالهم وهذا الاسلوب
موداه استبعاد الافترا من مثله وانه فى البعد مثل الشرك بالله والدخول فى جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا
ان يخون بعض الامنا فيقول لعل الله خذلنى لعل الله اعمى قلبى وهو لا يريد اثبات الخذلان وعمى القلب
وانما يريد استبعاد ان يخون مثله والتنبيه على انه ركب من تخوينه امر عظيم ثم قال ومن
عادة الله ان يمحو الباطل ويثبت الحق بكلماته بوحيه او بقضائه كقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه
يعنى لو كان مفتريا كما تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه ويجوز ان يكون
عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه يمحو الباطل الذى هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذى انت عليه بالقرآن
وبقضائه الذى لا مرد له من نصرتك عليهم انه عليم بما فى صدرك وصدورهم فيجرى الامر
على حسب ذلك • وعن قتادة وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم فان قلت
ان كان قوله ويمح الله الباطل كلاما مبتدا غير معطوف على يختم فما بال الواو ساقطة فى الخط قلت

يستعطف وقوله ويدع الانسان بالشر وقوله سندع الزبانية على انها مثبتة فى بعض المصاحف يقال قبلت منه الشى
وقبلته عنه فمعنى قبلته منه اخذته منه وجعلته مبدا قبولى ومنشاه ومعنى قبلته عنه عزلته عنه وابنته عنه والتوبة
ان يرجع عن القبيح والاخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على ان لا يعاود لان المرجوع عنه قبيح واخلال بالواجب
وان كان فيه لعبد حق لم يكن بد من التقصى على طريقه • وروى جابر ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم
انى استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له على رضى الله عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة
الكذابين وتوبتك تحتاج الى التوبة فقال يا امير المومنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضى من
الذنوب الندامة • ولتضييع الفرايض الاعادة • ورد المظالم • واذابة النفس فى الطاعة • كما ربيتها فى المعصية
واذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية • والبكا بدل كل ضحك ضحكته • ويعفوا عن السيات عن الكباير
اذا تيب عنها • وعن الصغاير اذا اجتنبت الكباير ويعلم ما يفعلون قرى بالتاء والياء اى يعلمه فيثيب على حسناته ويعاقب
على سياته ويستجيب الذين امنوا ويستجيب لهم فحذف اللام كما حذف فى قوله واذا كالوهم اى يثيبهم على
طاعتهم ويزيدهم على الثواب تفضلا او اذا دعوه استجاب دعاهم واعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم
وقيل الاستجابة فعلهم اى يستجيبون له بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم هو من فضله على ثوابهم • وعن
سعيد بن جبير هذا من فعلهم يجيبونه اذا دعاهم • وعن ابرهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعوا
فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرا والله يدعوا الى دار السلام ويستجيب الذين امنوا لبغوا من
البغى وهو الظلم اى لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا لان الغنى مبطرة ماشرة وكفى بحال قارون عبرة ومنه قوله عليه السلام
اخوف ما اخاف على امتى زهرة الدنيا وكثرتها ولبعض العرب • وقد جعل الوسمى ينبت بيننا • وبين بنى رومان نبعا وشوحطا
يعنى انهم احيوا فحدثوا انفسهم بالبغى والتفاتن او من البغى وهو البذخ والكبر اى لتكبروا فى الارض وفعلوا ما
يتبع الكبر من العلو فيها والفساد • وقيل نزلت فى قوم من اهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنا • قال خباب
بن الارت فينا نزلت وذلك انا نظرنا الى اموال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع فتمنيناها بقدر بتقدير
يقال قدره قدرا وقدرا خبير بصير يعرف ما يوول اليه احوالهم فيقدر لهم ما هو اصلح لهم واقرب الى
جمع شملهم فيفقر ويغنى ويمنع ويعطى ويقبض ويبسط كما توجبه الحكمة الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا
ولو افقرهم لهلكوا فان قلت قد نرى الناس يبغى بعضهم على بعض ومنهم مبسوط لهم ومنهم مقبوض عنهم
فان كان المبسوط لهم يبغون فلم بسط لهم وان كان المقبوض عنهم يبغون فقد يكون البغى دون البسط
فلم شرطه قلت لا شبهة فى ان البغى مع الفقر اقل ومع البسط اكثر واغلب وكلاهما سبب ظاهر للاقدام
على البغى والاحجام عنه فلو عم البسط لغلب البغى حتى ينقلب الامر الى عكس ما عليه الان • وقرى قنطوا
بكسر النون وكسرها وينشر رحمته اى بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب • وعن عمر رضى الله عنه
انه قيل له اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا اذا اراد هذه الاية ويجوز ان يريد رحمته فى كل شى كانه
قال ينزل الرحمة التى هى الغيث وينشر غيرها من رحمته الواسعة الولى الذى يتولى عباده باحسانه الحميد المحمود
على ذلك يحمده اهل طاعته وما بث يجوز ان يكون مرفوعا ومجرورا حملا على المضاف اليه او المضاف فان قلت
لم جاز فيهما من دابة والدواب فى الارض وحدها قلت يجوز ان ينسب الشى الى جميع المذكور وان كان
ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد او شجاع بطل وانما هو فى فخذ من افخاذهم او فصيلة من فصايلهم
وبنو فلان فعلوا كذا وانما فعله نويس منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان وانما يخرج من الملح
ويجوز ان يكون للملئكة عليهم السلام مشى مع الطيران فيوصفوا بالدبيب كما يوصف به الاناسى ولا يبعد ان يخلق فى السموات
حيوانا يمشون فيها مشى الاناسى على الارض سبحان الذى خلق ما نعلم وما لا نعلم من اصناف الخلق اذا تدخل على
المضارع كما تدخل على الماضى قال الله تعالى والليل اذا يغشى ومنه اذا يشا وقال الشاعر • واذا ما اشا ابعث منها •
آخر الليل ناشطا مذعورا • بما كسبت فى مصاحف اهل العراق فبما كسبت باثبات الفا على تضمين ما معنى الشرط وفى
مصاحف اهل المدينة بما كسبت بغير فا على ان ما مبتداة وبما كسبت خبرها من غير تضمين معنى الشرط والاية
مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع ان يستوفى الله بعض عقاب المجرم ويعفو عن بعض فاما من لا جرم له كالانبيا
والاطفال والمجانين فهولا اذا اصابهم شى من الم او غيره فللعوض الموفى والمصلحة • وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج
عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر الا بذنب ولما يعفو الله عنه اكثر • وعن بعضهم من لم يعلم ان ما وصل اليه
من الفتن والمصايب باكتسابه وان ما عفا عنه مولاه اكثر كان قليل النظر فى احسان ربه اليه • وعن آخر العبد
ملازم للجنايات فى كل اوان وجناياته فى طاعته اكثر من جناياته فى معاصيه لان جناية المعصية من وجه
وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بانواع من المصايب ليخفف عنه اثقاله فى القيمة
ولولا عفوه ورحمته لهلك فى اول خطوة • وعن على رضى الله عنه وقد رفعه من عفى عنه فى الدنيا عفى عنه فى الاخرة
ومن عوقب فى الدنيا لم تثن عليه العقوبة فى الاخرة وعنه رضى الله عنه هذه ارجى اية للمومنين فى القرآن •
بمعجزين فايتين ما قضى عليكم من المصايب من ولى متول بالرحمة • الجوار السفن وقرى الجوارى
كالاعلام كالجبال قالت الخنسا • وان صخرا لتاتم الهداة به • كانه علم فى راسه نار • وقرى الرياح فيظللن
بفتح اللام وكسرها من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل رواكد ثوابت لا تجرى على ظهره على ظهر البحر

لكل صبار شكور لنعمائه وهما صفة المؤمن المخلص فجعلهما كناية عنه وهو الذي وكل همته بالنظر
في آيات الله فهو يستملي منها العبر أو يوبقهن يهلكهن والمعنى أنه إن يشأ يبتلي المسافرين في البحر بإحدى بليتين
إما أن يسكن الريح فيركد الجواري على متن البحر ويمنعهن من الجري وإما أن يرسل الريح عاصفة فيهلكهن
إغراقا بسبب ما كسبوا من الذنوب ويعف عن كثير منها فإن قلت علام عطف يوبقهن قلت على
يسكن لأن المعنى إن يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها لأنه إن يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو
عنهم فإن قلت فمن قرأ ويعفو قلت قد استأنف الكلام فإن قلت فما وجوه القراءات الثلاث في ويعلم
قلت أما الجزم فعلى ظاهر العطف وأما الرفع فعلى الاستئناف وأما النصب فللعطف على تعليل محذوف
تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن منه قوله تعالى
ولنجعله آية للناس وقوله خلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وأما قول الزجاج النصب
بالفاء والواو في قوله إن تأتني آتك وأعطيك ضعيف وهو نحو من قوله وألحق بالحجاز فأستريحا فهذا يجوز
وليس بحد الكلام ولا وجهه إلا أنه في الجزاء صار أقوى قليلا لأنه ليس بواجب أنه يفعل إلا أن يكون من الأول
فعل فلما ضارع الذي لا يوجبه كالاستفهام ونحوه أجازوا فيه هذا على ضعفه ولا يجوز أن تحمل القراءة المستفيضة
على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما أخلى سيبويه منها كتابه وقد
ذكر نظائرها من الآيات المشكلة فإن قلت فكيف يصح المعنى على جزم ويعلم قلت كأنه قال أو إن
يشأ يجمع بين ثلاثة أمور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين من محيص من محيد عن عقابه ما
الأولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء في جوابها خلاف الثانية وعن علي رضي الله عنه اجتمع لأبي بكر مال فتصدق به
كله في سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطأه الكافرون فنزلت والذين يجتنبون عطف على الذين آمنوا وكذلك
ما بعده ومعنى كبائر الإثم الكبائر من هذا الجنس وقرئ كبير الإثم وعن ابن عباس رضي الله عنه كبير الإثم هو الشرك
هم يغفرون أي هم الأخصاء بالغفران في حال الغضب لا يغول الغضب أحلامهم كما يغول حلوم الناس والمجيء
بهم وإيقاعه مبتدأ وإسناد يغفرون إليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون والذين استجابوا لربهم نزلت في
الأنصار دعاهم الله عز وجل للإيمان به وطاعته فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه وأقاموا الصلاة
وأتموا الصلوات الخمس وكانوا قبل الإسلام وقبل مقدم رسول الله صلعم المدينة إذا كان بينهم أمر اجتمعوا وتشاوروا
فأثنى الله عليهم أي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمرهم
وأمرهم شورى بينهم أي ذو شورى وكذلك قولهم ترك رسول الله صلعم وعمر بن الخطاب الخلافة شورى هو أي يقتصرون
في الانتصار على ما جعله الله تعالى لهم ولا يعتدون وعن النخعي أنه كان إذا قرأها قال كانوا يكرهون أن يذلوا
أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق فإن قلت أهم محمودون على الانتصار قلت نعم لأن من أخذ حقه غير
متعد حد الله وما أمر به فلم يسرف في القتل إن كان ولي دم أو رد على سفيه محاماة على عرضه وردعا له فهو
مطيع وكل مطيع محمود كلتا الفعلتين الأولى وجزاؤها سيئة لأنها تسوء من تنزل به قال الله تعالى وإن تصبهم
سيئة يقولوا هذه من عندك يريد ما يسوؤهم من المصائب والبلايا والمعنى أنه يجب إذا قوبلت الإساءة
أن تقابل بمثلها من غير زيادة فإذا قال أخزاك الله قال أخزاك الله فمن عفا وأصلح بينه وبين خصمه بالعفو
والإغضاء كما قال تعالى فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم فأجره على الله عدة مبهمة لا يقاس
أمرها في العظم وقوله إنه لا يحب الظالمين دلالة على أن الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز التسوية والاعتداء خصوصا
في حال الحرد والتهاب الحمية فربما كان المجازي من الظالمين وهو لا يشعر وعن النبي صلعم إذا كان يوم القيامة
نادى مناد من كان له أجر على الله فليقم فيقوم خلق فيقال لهم ما أجركم فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا
فيقال لهم ادخلوا الجنة بإذن الله بعد ظلمه من إضافة المصدر إلى المفعول ويفسره قراءة من قرأ
بعد ما ظلم فأولئك إشارة إلى معنى من دون لفظه ما عليهم من سبيل للمعاقب ولا للعاتب والعائب
إنما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالظلم ويبغون في الأرض يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون
ولمن صبر على الظلم والأذى وغفر ولم ينتصر وفوض أمره إلى الله إن ذلك لمن عزم الأمور وحذف الراجع
لأنه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى أن رجلا سب رجلا في مجلس الحسن رحمه الله فكان
المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها إذ ضيعها الجاهلون
وقالوا العفو مندوب إليه ثم قد ينعكس الأمر في بعض الأحوال فيرجع ترك العفو مندوبا إليه وذلك إذا
احتيج إلى كف زيادة البغي وقطع مادة الأذى وعن النبي صلعم ما يدل عليه وهو أن زينب أسمعت عائشة
بحضرته وكان ينهاها فلا تنتهي فقال لعائشة دونك فانتصري ومن يضلل الله فما له
من ولي من بعده فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه خاشعين متضائلين متقاصرين مما يلحقهم من الذل
وقد يعلق بينظرون ويوقف على خاشعين من طرف خفي أي يبتدئ نظرهم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفي
بمسارقة كما ترى المصبور ينظر إلى السيف وهكذا نظر الناظر إلى المكاره لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملأ
عينيه منها كما يفعل في نظره إلى المحاب وقيل يحشرون عميا فلا ينظرون إلا بقلوبهم وذلك نظر من
طرف خفي وفيه تعسف يوم القيامة إما أن يتعلق بخسروا ويكون قول المؤمنين واقعا في الدنيا

واما

وإما أن يتعلق بقال أي يقولون يوم القيامة إذا رأوهم على تلك الصفة من الله من صلة لا مرد أي لا يرده الله بعد ما
حكم به أو من صلة يأتي أي من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده والنكير الإنكار أي ما لكم من مخلص
من العذاب ولا تقدرون أن تنكروا شيئا مما اقترفتموه ودون في صحائف أعمالكم أراد بالإنسان الجمع لا الواحد لقوله
وإن تصبهم سيئة ولم يرد إلا المجرمين لأن إصابة السيئة بما قدمت أيديهم إنما تستقيم فيهم والرحمة النعمة
من الصحة والغنى والأمن والسيئة البلاء من المرض والفقر والمخاوف والكفور البليغ الكفران ولم يقل فإنه
كفور ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال إن الإنسان لظلوم كفار إن الإنسان لربه لكنود
والمعنى أنه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها لما ذكر إذاقة الإنسان الرحمة وإصابته بضدها أتبع ذلك
أن له الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ويهب لعباده من الأولاد ما تقتضيه مشيئته فيخص
بعضا بالإناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدا قط فإن قلت لم قدم
الإناث أولا على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعد ما نكر الإناث قلت
لأنه ذكر البلاء في آخر الآية الأولى وكفران الإنسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته
وذكر قسمة الأولاد فقدم الإناث لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الإنسان فكان ذكر الإناث
اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهم والأهم واجب التقديم وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء
ذكر البلاء وأخر الذكور فلما أخرهم لذلك تدارك تأخيرهم وهم أحقاء بالتقديم بتعريفهم لأن التعريف تنويه
وتشهير كأنه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم أعطى بعد ذلك
كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتضى آخر فقال ذكرانا
وإناثا كما قال إنا خلقناكم من ذكر وأنثى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى وقيل نزلت في الأنبياء صلوات الله عليهم
وسلامه حيث وهب لشعيب ولوط إناثا ولإبراهيم ذكورا ولمحمد ذكورا وإناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين
إنه عليم بمصالح العباد قدير على تكوين ما يصلحهم وما كان لبشر وما صح لأحد من البشر أن يكلمه الله إلا
على ثلاثة أوجه إما على طريق الوحي وهو الإلهام والقذف في القلب أو المنام كما أوحى الله إلى أم موسى وإلى
إبراهيم عليهما السلام في ذبح ولده وعن مجاهد أوحى الله الزبور إلى داود عليه السلام في صدره قال عبيد بن الأبرص
وأوحى إلي الله أن قد تأمروا ... بإبل أبي أوفى فقمت على رجلي أي ألهمني وقذف في قلبي وإما على أن يسمعه
كلامه الذي يخلقه في بعض الأجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه لأنه في ذاته غير مرئي وقوله من وراء حجاب
مثل أي كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى
ويكلم الملائكة وإما على أن يرسل إليه رسولا من الملائكة فيوحي الملك إليه كما كلم الأنبياء غير موسى وقيل
وحيا كما أوحى إلى الرسل بواسطة الملائكة أو يرسل رسولا أي نبيا كما كلم أمم الأنبياء على ألسنتهم ووحيا وأن
يرسل مصدران واقعان موقع الحال لأن أن يرسل في معنى إرسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع
الحال أيضا كقوله ولا وحيا موضوعا موضع كلاما لأن الوحي كلام خفي في سرعة كما تقول لا أكلمه إلا جهرا
وإلا خفاتا لأن الجهر والخفات ضربان من الكلام وكذلك إرسالا جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام
بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وإنما قاله وكيلك أو رسولك وقوله أو من وراء حجاب معناه أو إسماعا
من وراء حجاب ومن جعل وحيا في معنى أن يوحي وعطف يرسل عليه على معنى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا
بأن يوحي أو بأن يرسل فعليه أن يقدر قوله أو من وراء حجاب تقديرا يطابقهما عليه نحو أو أن يسمع من
وراء حجاب وقرئ أو يرسل رسولا فيوحي بالرفع على أو هو يرسل أو بمعنى مرسلا عطفا على وحيا
في معنى موحيا وروي أن اليهود قالت للنبي صلعم ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر إليه
فإنا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى إلى الله فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم أن محمدا
رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ثم قالت أولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية إنه علي عن صفات
المخلوقين حكيم يجري أفعاله على موجب الحكمة فيكلم تارة بواسطة وأخرى بغير واسطة إما إلهاما وإما خطابا
روحا من أمرنا يريد ما أوحى إليه لأن الخلق يحيون به في دينهم كما يحيى الجسد بالروح فإن قلت قد علم أن
رسول الله صلعم ما كان يدري ما القرآن قبل نزوله عليه فما معنى قوله ولا الإيمان والأنبياء لا يجوز عليهم إذا عقلوا
وتمكنوا من النظر والاستدلال أن يخطئهم الإيمان بالله وتوحيده ويجب أن يكونوا معصومين من ارتكاب
الكبائر ومن الصغائر التي فيها تنفير قبل المبعث وبعده فكيف لا يعصمون من الكفر قلت الإيمان
اسم يتناول أشياء بعضها الطريق إليه العقل وبعضها الطريق إليه السمع فعنى به ما الطريق إليه السمع
دون العقل وذاك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي ألا ترى أنه قد فسر الإيمان في قوله تعالى وما كان الله
ليضيع إيمانكم بالصلاة لأنها بعض ما يتناوله الإيمان من نشاء من عبادنا من له لطف ومن لا لطف له
فلا هداية تجدي عليه صراط الله بدل وقرئ لتهدي أي يهديك الله وقرئ لتدعو عن رسول الله
صلعم من قرأ سورة حم عسق كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

سورة الزخرف
مكية وقيل إلا قوله واسأل من أرسلنا من رسلنا وهي تسع وثمانون آية بسم

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله إنا جعلناه قرآنا عربيا جوابا
للقسم وهو من الأيمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما من واد واحد ونظيره قول أبي تمام
وثناياك إنها إغريض · المبين البين للذين أنزل عليهم لأنه بلغتهم وأساليبهم وقيل الواضح للمتدبرين
وقيل المبين الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ما تحتاج إليه الأمة في أبواب الديانة
جعلناه بمعنى صيرناه معدى إلى مفعولين أو بمعنى خلقناه معدى إلى واحد كقوله وجعل الظلمات والنور
وقرآنا عربيا حال ولعل مستعار لمعنى الإرادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجي أي خلقناه عربيا غير
عجمي إرادة أن تعقله العرب ولئلا يقولوا لولا فصلت آياته وقرئ أم الكتاب بالكسر وهو اللوح كقوله
بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ سمي بأم الكتاب لأنه الأصل الذي أثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ علي
رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة أي منزلته عندنا منزلة كتاب
هما صفتاه وهو مثبت في أم الكتاب هكذا أفنضرب عنكم الذكر صفحا بمعنى أفننحي عنكم الذكر ونذوده
عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض ومنه قول الحجاج ولأضربنكم ضرب غرائب
الإبل وقال طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف
تقديره أنهملكم فنضرب عنكم الذكر إنكارا لأن يكون الأمر على خلاف ما قدم من إنزاله الكتاب وخلقه قرآنا
عربيا ليعقلوه ويعملوا بمواجبه وصفحا على وجهين إما مصدر من صفح عنه إذا أعرض منتصب على
أنه مفعول له على معنى أفنعزل عنكم إنزال القرآن وإلزام الحجة به إعراضا عنكم وإما بمعنى الجانب
من قولهم نظر إليه بصفح وجهه وصفح وجهه على معنى أفننحيه عنكم جانبا فينتصب على الظرف كما تقول
ضعه جانبا وامش جانبا وتعضده قراءة من قرأ صفحا بالضم وفي هذه القراءة وجه آخر وهو أن يكون
تخفيف صفح جمع صفوح وينتصب على الحال أي صافحين معرضين أن كنتم لأن كنتم وقرئ إن كنتم وإذ كنتم
فإن قلت كيف استقام معنى إن الشرطية وقد كانوا مسرفين على البت قلت هو من الشرط الذي ذكرت أنه
يصدر عن المدل بصحة الأمر المتحقق لثبوته كما يقول الأجير إن كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه يخيل
في كلامه أن تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه استجهالا له وكم أرسلنا حكاية حال
ماضية مستمرة أي كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه فأهلكنا أشد منهم بطشا الضمير في أشد منهم للقوم
المسرفين لأنه صرف الخطاب عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره عنهم ومضى مثل الأولين أي سلف في القرآن في غير موضع منه
ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها أن تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم فإن قلت قوله
ليقولن خلقهن العزيز العليم وما سرد من الأوصاف عقيبه إن كان من قولهم فما تصنع بقوله تعالى فأنشرنا به بلدة ميتا
كذلك تخرجون وإن كان من قول الله تعالى فما وجهه قلت هو من قول الله لا من قولهم ومعنى قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم
الذي من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها إلى الذي هذه أوصافه وليسندنه إليه بقدر بمقدار تسلم معه البلاد
والعباد ولم يكن طوفانا والأزواج ما تركبون أي تركبونه فإن قلت يقال ركبوا الأنعام وركبوا في الفلك
وقد ذكر الجنسين فكيف قال تركبونه قلت غلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل
تركبونه على ظهوره على ظهور ما تركبون وهو الفلك والأنعام ومعنى ذكر نعمة الله عليهم أن يذكروها في
قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدوا عليها بألسنتهم وهو ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا وضع
رجله في الركاب قال بسم الله فإذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا إلى قوله
لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا إذا ركب السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم وعن
الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه رأى رجلا ركب دابة فقال سبحان الذي سخر لنا هذا فقال أبهذا أمرتم فقال وبم
أمرنا قال أن تذكروا نعمة ربكم كان قد أغفل التحميد فنبهه عليه وهذا من حسن مراعاتهم لآداب الله تعالى
ومحافظتهم على دقيقها وجليلها جعلنا الله من المقتدين بهم والسائرين بسيرتهم فما أحسن بالعاقل
النظر في لطائف الصناعات فكيف بالنظر في لطائف الديانات مقرنين مطيقين يقال أقرن الشيء إذا
أطاقه قال ابن هرمة وأقرنت ما حملتني ولقلما يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر وحقيقة أقرنه
وجده قرينته وما يقرن به لأن الصعب لا يكون قرينة للضعيف ألا ترى إلى قولهم في الضعيف لا يقرن به الصعبة وقرئ
مقرنين والمعنى واحد فإن قلت كيف اتصل بذلك قوله وإنا إلى ربنا لمنقلبون قلت كم من راكب دابة
عثرت به أو شمست أو تقحمت أو طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب
مباشرة أمر مخطر واتصالا بسبب من أسباب التلف كان من حق الراكب وقد اتصل بسبب من أسباب التلف
أن لا ينسى عند اتصاله به يومه وأنه هالك لا محالة فمنقلب إلى الله غير منفلت من قضائه ولا يدع ذكر ذلك
بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا للقاء الله بإصلاحه من نفسه والحذر من أن يكون ركوبه ذلك من أسباب
موته في علم الله وهو غافل عنه ويستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه تعالوا نتنزه على الخيل أو في بعض
الزوارق فيركبون حاملين مع أنفسهم أواني الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم على ظهور
الدواب أو في بطون السفن وهي تجري بهم لا يذكرون إلا الشيطان ولا يمتثلون إلا أوامره ولقد بلغني أن بعض
السلاطين ركب وهو يشرب من بلد إلى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح إلا بعد ما اطمأنت به الدار فلم
يشعر بمسيره ولا أحس به فكم بين فعل أولئك الراكبين وبين ما أمر الله به في هذه الآية وقيل يذكرون

عند

عند الركوب ركوب الجنان وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض
ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءا فوصفوه بصفات المخلوقين ومعنى من عباده
جزءا أن قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزءا له وبعضا منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزءا له
ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالإناث وادعاء أن الجزء في لغة العرب اسم للإناث وما هو إلا كذب على
العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه أجزأت المرأة ثم صنعوا بيتا وبيتا
إن أجزأت حرة يوما فلا عجب · قد تجزئ الحرة المذكار أحيانا · زوجتها من بنات الأوس مجزئة · للعوسج اللدن
في أبياتها زجل · وقرئ جزؤا بضمتين لكفور مبين لجحود للنعمة ظاهر جحوده لأن نسبة الولد إليه كفر
والكفر أصل الكفران كله أم اتخذ بل اتخذ والهمزة للإنكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم حيث لم يرضوا
بأن جعلوا لله من عباده جزءا حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزأين وهو الإناث دون الذكور على أنهم أنفر خلق الله
عن الإناث وأمقتهم لهن ولقد بلغ بهم المقت إلى أن وأدوهن كأنه قيل هبوا أن إضافة اتخاذ الولد إليه
جائزة فرضا وتمثيلا أما تستحيون من الشطط في القسمة ومن ادعائكم أنه آثركم على نفسه بخير الجزأين وأعلاهما
وترك له شرهما وأدناهما وتنكير بنات وتعريف البنين وتقديمهن في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله تعالى يهب لمن يشاء
إناثا ويهب لمن يشاء الذكور بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعله له مثلا أي شبها لأنه إذا جعل الملائكة جزءا لله
وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لأن الولد لا يكون إلا من جنس الوالد يعني أنهم نسبوا إليه هذا الجنس
ومن حالهم أن أحدهم إذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب
وعن بعض العرب أن امرأته وضعت أنثى فهجر البيت الذي فيه المرأة فقالت ما لأبي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي
يلينا غضبان أن لا نلد البنينا ليس لنا من أمرنا ما شينا وإنما نأخذ ما أعطينا والظلول بمعنى
الصيرورة كما تستعمل أكثر الأفعال الناقصة بمعناها وقرئ مسود ومسواد على أن في ظل ضمير المبشر ووجهه
مسود جملة واقعة موقع الخبر ثم قال أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو أنه ينشأ
في الحلية أي يتربى في الزينة والنعمة وهو إذا احتاج إلى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين
ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان يحتج به على من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة الرجال
يقال قلما تكلمت امرأة فأرادت أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها وفيه أنه جعل النشء في الزينة
والنعومة من المعايب والمذام وأنه من صفة ربات الحجال فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويأنف منه ويربأ بنفسه عنه
ويعيش كما قال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا واخشوشبوا وتمعددوا وإن أراد أن يزين نفسه زينها من
باطن بلباس التقوى وقرئ ينشأ وينشأ ويناشأ ونظير المناشأة بمعنى الإنشاء المغالاة بمعنى الإغلاء
قد جمعوا في كفرة ثلاث كفرات وذلك أنهم نسبوا إلى الله الولد ونسبوا إليه أخس النوعين وجعلوه من
الملائكة الذين هم أكرم عباد الله على الله فاستخفوا بهم واحتقروهم وقرئ عباد الرحمن وعبيد الرحمن وعند الرحمن
وهو مثل لزلفاهم واختصاصهم إناثا وأناثا جمع الجمع ومعنى جعلوا سموا وقالوا إنهم إناث وقرئ أشهدوا
وأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآأشهدوا بألف بينهما وهذا تهكم بهم يعني أنهم يقولون ذلك من
غير أن يستند قولهم إلى علم فإن الله لم يضطرهم إلى علم ذلك ولا تطرقوا إليه باستدلال ولا أحاطوا به عن خبر
يوجب العلم فلم يبق إلا أن يشاهدوا خلقهم فأخبروا عن المشاهدة ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها
على الملائكة من أنوثتهم ويسألون وهذا وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم وشهادتهم
ويساءلون على يفاعلون وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم هما كفرتان أيضا مضمومتان إلى الكفرات الثلاث
وهما عبادتهم الملائكة من دون الله وزعمهم أن عبادتهم بمشيئة الله كما يقول إخوانهم المجبرة فإن قلت
ما أنكرت على من يقول قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه جادين لكانوا مؤمنين قلت لا دليل
على أنهم قالوه مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه باطل على أن الله تعالى قد حكى عنهم ذلك على سبيل الذم والشهادة
بالكفر أنهم جعلوا له من عباده جزءا وأنه اتخذ بنات واصطفاهم بالبنين وأنهم جعلوا الملائكة الإناث إناثا
وأنهم عبدوهم وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو كانوا ناطقين بها على طريق الهزء لكان النطق بالمحكيات قبل
هذا المحكي الذي هو إيمان عنده لو جدوا في النطق به مدحا لهم من قبل أنها كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزء
فبقي أن يكونوا جادين وتشترك كلها في أنها كلمات كفر فإن قالوا نجعل هذا الأخير وحده مقولا على وجه الهزء
دون ما قبله فما بهم إلا تعويج كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ليسووا
مذهبهم الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها هزءا لم يكن لقوله تعالى ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون
معنى لأن من قال لا إله إلا الله على طريق الهزء كان الواجب أن ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب لأنه لا يجوز
تكذيب الناطق بالحق جادا كان أو هازئا فإن قلت ما قولك فيمن يفسر ما لهم بذلك من علم بقولهم إن الملائكة بنات الله
إن هم إلا يخرصون في ذلك القول لا في تعليق عبادتهم بمشيئة الله قلت تمحل مبطل وتحريف
مكابر ونحوه قوله سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم
الضمير في من قبله للقرآن أو الرسول والمعنى أنهم ألصقوا عبادة غير الله بمشيئة الله قولا قالوه عن غير مستند
ثم قال أم آتيناهم كتابا من قبل هذا الكتاب ننسبنا منه الكفر والقبائح إلينا فحصل لهم علم بذلك من جهة الوحي

بل تمسكوا بذلك الكتاب واحتجوا به بل لا حجة لهم يتمسكون بها الا قولهم انا وجدنا آباءنا على امة على دين وقرئ
على امة بالكسر وكلتاهما من الام وهو القصد فالامة الطريقة التى تؤم اى تقصد كالرحلة للمرحول اليه
والامة الحالة التى يكون عليها الام وهو القاصد وقيل على نعمة وحالة حسنة • على آثارهم مهتدون خبران
او الظرف صلة لمهتدون مترفوها الذين اترفتهم النعمة اى ابطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهى
ويعافون مشاق الدين وتكاليفه قرئ قل وقال اولو جئتكم وجئناكم يعنى اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين
اهدى من دين آبائكم قالوا انا ثابتون على دين آبائنا لا ننفك عنه وان جئتنا بما هو اهدى واهدى
براء تقرأ براء بفتح الباء وضمها وبرئ وبراء وبرئ مثل كريم وكرام • وبراء مصدر كظماء ولذلك استوى فيه
الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث يقال نحن البراء منك والخلاء منك الا الذى فطرنى فيه غير وجه
ان يكون منصوبا على انه استثناء منقطع كانه قال لكن الذى فطرنى فانه سيهدين وان يكون مجرورا بدلا من
المجرور بمن كانه قال اننى براء مما تعبدون الا من الذى فطرنى • فان قلت كيف تجعله بدلا وليس من جنس ما يعبدون
من وجهين احدهما ان ذات الله سبحانه وتعالى مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات ما يعبدون والثانى ان
الله عز وجل غير معبود بينهم والاوثان معبودة قلت كانوا يعبدون الله مع اوثانهم وان تكون الا صفة
بمعنى غير على ان ما فى قوله ما تعبدون موصوفة تقديره اننى براء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى
فهو نظير قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فان قلت ما معنى قوله سيهدين على التسويف قلت
قال مرة فهو يهدين ومرة فانه سيهدين فاجمع بينهما وقدر كانه قال فهو يهدين وسيهدين فيدلان
على استمرار الهداية فى الحال والاستقبال وجعلها وجعل ابرهيم صلى الله عليه وسلم كلمة التوحيد التى تكلم بها وهى قوله
اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى كلمة باقية فى عقبه فى ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو
الى توحيده لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم ونحوه ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب وقيل
وجعلها الله • وقرئ كلمة على التخفيف وفى عقبه كذلك وفى عاقبه اى من عقبه اى خلفه بل متعت هؤلاء
يعنى اهل مكة وهم من عقب ابرهيم بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع
الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد حتى جاءهم الحق وهو القرآن ورسول مبين الرسالة واضحها
بما معه من الآيات البينة فكذبوا به وسموه ساحرا وما جاء به سحرا ولم يوجد منهم ما رجاه ابرهيم
وقرئ بل متعتنا • فان قلت فما وجه قراءة من قرأ بل متعت بفتح التاء قلت كأن الله اعترض على ذاته فى قوله
وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة فى الرزق
حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد واراد بذلك الاطناب فى تعييرهم لانه اذا متعهم بزيادة النعم
وجب عليهم ان يجعلوا ذلك سببا فى زيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان لا ان يشركوا به ويجعلوا
له اندادا فمثاله ان يشكو الرجل اساءة من احسن اليه ثم يقبل على نفسه فيقول انت السبب فى
ذلك بمعروفك واحسانك وغرضه بذلك توبيخ المسئ لا تقبيح فعله فان قلت فقد جعل مجئ الحق والرسول
غاية التمتيع ثم اردفه قوله ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر فما طريقة هذا النظم ومؤداه قلت
المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته فقال عز وعلا بل اشتغلوا
عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول مبين فخيل بهذه الغاية انهم تنبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبه
ثم ابتدأ قصتهم عند مجئ الحق فقال ولما جاءهم الحق جاءوا بما هو شر من غفلتهم
التى كانوا عليها وهو ان ضموا الى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف
بكتاب الله وشرائعه والاصرار على افعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله فى تخير محمد من اهل زمانه
بقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهى الغاية فى تشويه صورة امرهم وقرئ على رجل بسكون الجيم
من القريتين من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اى من احدهما • والقريتان مكة والطائف وقيل
من رجال القريتين وهما الوليد بن المغيرة المخزومى وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفى • عن ابن عباس • وعن مجاهد عتبة
بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل • وعن قتادة الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفى وكان الوليد يقول
لو كان حقا ما يقول محمد لنزل هذا القرآن على او على ابى مسعود الثقفى كنية عروة بن مسعود • ما زالوا
ينكرون ان يبعث الله بشرا رسولا فلما علموا بتكرير الله الحجج ان الرسل لا يكونون الا رجالا من اهل القرى
جاءوا بالانكار من وجه آخر وهو تحكمهم ان يكون احد هذين وقولهم هذا القرآن ذكر له على جهة الاستهانة به
وارادوا بعظم الرجل رياسته وتقدمه فى الدنيا وعزب عن عقولهم ان العظيم من كان عند الله عظيما
اهم يقسمون رحمة ربك هذه الهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم
المدبرين لامر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة الله التى لا يتولاها
الا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته ثم ضرب لهم مثلا فاعلم انهم عاجزون عن تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم
فى دنياهم وان الله عز وجل هو الذى قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر احوالهم تدبير العالم بها فلم يسو
بينهم ولكن فاوت بينهم فى اسباب العيش وغاير بين منازلهم فجعل منهم اقوياء وضعفاء واغنياء ومحاويج
وموالى وخدما ليصرف بعضهم بعضا فى حوائجهم ويستخدموهم فى مهنهم ويتسخروهم فى اشغالهم حتى يتعايشوا

ويترافدوا

ويترافدوا ويصلوا الى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم ولو وكلهم الى انفسهم وولاهم تدبير امرهم لضاعوا
وهلكوا فاذا كانوا فى تدبير امر المعيشة الدنيئة فى الحياة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم فى تدبير امر الدين
الذى هو رحمة الله الكبرى ورأفته العظمى وهو الطريق الى حيازة حظوظ الآخرة والسلم الى حلول دار السلام
ثم قال ورحمة ربك يريد وهذه الرحمة وهى دين الله وما يتبعه من الفوز فى المآب خير مما يجمعون هؤلاء من حطام الدنيا
فان قلت معيشتهم ما يعيشون به من المنافع ومنهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام فاذن
قد قسم الله الحرام كما قسم الحلال قلت الله تعالى قسم لكل عبد معيشته وهى مطاعمه ومشاربه وما يصلحه
من المنافع واذن له فى تناولها ولكن شرط عليه وكلفه ان يسلك فى تناولها الطريق التى شرعها فاذا سلكها
فقد تناول قسمته من المعيشة حلالا وسماها رزق الله واذا لم يسلكها تناولها حراما وليس له ان يسميها
رزق الله فالله تعالى قاسم المعايش والمنافع ولكن العباد هم الذين يكسبونها صفة الحرمة بسوء تناولهم
وهو عدولهم فيه عما شرعه الله الى ما لم يشرعه لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز ان يكونا بمنزلة
اللامين فى قولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرئ سقفا بفتح السين وسكون القاف وسقفا بضم السين وسكون القاف وبضم
وسكون القاف وبضمهما كرهن ورهن ورهن وعن الفراء جمع سقيفة • وسقفا بفتحتين كانه لغة
فى سقف وسقوفا ومعارج ومعاريج والمعارج جمع معرج او اسم جمع لمعراج وهى المصاعد الى العلالى • عليها
يظهرون اى على المعارج يظهرون السطوح يعلونها فما اسطاعوا ان يظهروه وسررا بفتح الراء لاستثقال
الضمتين مع حرفى التضعيف لما متاع الحياة الدنيا اللام هى الفارقة بين ان المخففة والنافية وقرئ بكسر اللام
اى للذى هو متاع الحياة الدنيا كقوله مثلا ما بعوضة ولما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ الا
وفى وما كل ذلك الا لما متاع لخير مما يجمعون تقللا لامر الدنيا وتصغيرا لها ارذه ما يقرب قلة الدنيا
عنده من قوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة اى لولا كراهة ان يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه لجعلنا
لحقارة زهرة الدنيا عنده للكفار سقوفا ومصاعد وابوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا اى زينة من
كل شئ والزخرف الذهب والزينة ويجوز ان يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف يعنى بعضها من فضة وبعضها
من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة وفى معناه قوله صلى الله عليه وسلم لو وزنت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر
منها شربة ماء فان قلت فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التى كان يؤدى اليها التوسعة عليهم من اطباق الناس
على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الاسلام قلت التوسعة
عليهم مفسدة ايضا لما تؤدى اليه من الدخول فى الاسلام لاجل الدنيا والدخول فى الدين لاجل الدنيا من دين
المنافقين فكانت الحكمة فيما دبر حيث جعل فى الفريقين اغنياء وفقراء وغلب الفقر على الغنى • وقرئ ومن يعش
بضم الشين وفتحها والفرق بينهما انه اذا حصلت الآفة فى بصره قيل عشى واذا نظر نظر العشى ولا آفة به
قيل عشا ونظيره عرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة • متى تأته تعشو الى ضوء ناره
اى تنظر اليها نظر العشى لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء وهو بين فى قول حاتم • اعشو
اذا ما جارتى برزت • حتى يوارى جارتى الخدر • وقرئ يعشوا على ان من موصولة غير مضمنة معنى
الشرط وحق هذا القارئ ان يرفع نقيض ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القرآن كقوله صم
بكم عمى • واما القراءة بالضم فمعناها ومن يتعام عن ذكره اى يعرف انه الحق وهو يتجاهل ويتعامى كقوله وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم نقيض له شيطانا نخذله ونخل بينه وبين الشياطين على ايقن وقرئ يقيض له الرحمن ويقيض
له شيطان • فان قلت لم جمع ضمير من وضمير الشيطان فى قوله وانهم ليصدونهم قلت لان من مبهم فى جنس العاشى
وقد قيض له شيطان مبهم فى جنسه فجاز ان يتناولا لابهامهما غير واحد حتى اذا جاءنا العاشى وقرئ جاءانا على ان الفعل له
ولشيطانه قال لشيطانه ياليت بينى وبينك بعد المشرقين
يريد بعد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران فان قلت فما بعد المشرقين قلت تباعدهما والاصل
بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فلما غلب وجمع المفترقين بالتثنية اضاف البعد اليهما • انكم فى محل
الرفع على الفاعلية يعنى ولن ينفعكم كونكم مشتركين فى العذاب كما ينفع الواقعين فى الامر الصعب اشتراكهم
فيه لتعاونهم فى تحمل اعبائه وتقسمهم لشدته وعنائه وذلك ان كل واحد منكم به من العذاب ما لا تبلغه
طاقته ولك ان تجعل الفعل للتمنى فى قوله ياليت بينى وبينك على معنى ولن ينفعكم اليوم ما انتم فيه من تمنى
مباعدة القرين وقوله انكم فى العذاب مشتركون تعليل اى لن ينفعكم تمنيكم لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم
فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه وهو الكفر ويقويه قراءة من قرأ انكم بالكسر وقيل اذا رأى الممنو بشدة
من هى مثلها روحه ذلك ونفس بعض كربه وهو التأسى الذى ذكرته الخنساء • اعزى النفس عنه بالتأسى
فهؤلاء لا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه فان قلت ما معنى قوله اذ ظلمتم قلت معناه
اذ صح ظلمكم وتبين ولم يبق لكم ولا لاحد شبهة فى انكم كنتم ظالمين وذلك يوم القيامة واذ بدل من اليوم
ونظيره • اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة • ولم تجدى من ان تقرى به بدا • اى تبين انى ولد كريمة افانت كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يجد ويجتهد ويكد روحه فى دعاء قومه وهم لا يزيدون على دعائه الا تصميما على الكفر وتماديا
فى الغى فانكر عليه بقوله افانت تسمع الصم انكار تعجيب من ان يكون هو الذى يقدر على هدايتهم واراد انه
لا يقدر على ذلك منهم الا هو وحده على سبيل الالجاء والقسر كقوله ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من فى القبور
فاما نذهبن بك بمنزلة لام القسم فى انها اذا دخلت دخلت معها النون المؤكدة والمعنى فان قبضناك قبل ان

فننصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين منهم ﴿فإنا منهم منتقمون﴾ أشد الانتقام في الآخرة كقوله أو نتوفينك فإلينا يرجعون وإن أردنا أن ننجز في حياتك ﴿ما وعدناهم﴾ من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتوننا ووصفهم بشدة الشكيمة في الكفر والضلال ثم اتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة وقرئ نرينك بالنون الخفيفة وقرئ بالذي أوحي إليك على البناء للفاعل وهو الله عز وجل والمعنى وسواء عجلنا لك الظفر والغلبة أو أخرناه إلى اليوم الآخر فكن مستمسكا بما أوحينا إليك وبالعمل به فإنه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه إلا ضال شقي وزد كل يوم صلابة في المحاماة على دين الله ولا يخرجك الضجر بأمرهم إلى شيء من اللين والرخاوة في أمرك ولكن كما يفعل الثابت الذي لا ينشطه تعجيل ظفر ولا يثبطه تأخيره ﴿وإنه﴾ وإن الذي أوحي إليك ﴿لذكر﴾ لشرف ﴿لك ولقومك ولسوف تسألون﴾ عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وشكركم على أن رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين ﴿واسأل﴾ ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال لإحالته ولكنه مجاز عن النظر في أديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الأوثان قط في ملة من ملل الأنبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره في كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه وإخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة إلى غيرها والسؤال الواقع مجازا عن النظر حيث لا يصح السؤال على الحقيقة كثير منه مسألة الشعراء الديار والرسوم والأطلال وقول من قال سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإنها إن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا وقيل إن النبي جمع له الأنبياء ليلة الإسرى في بيت المقدس فأمهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل أمم من أرسلنا وهم أهل الكتابين التوراة والإنجيل وعن الفراء هم إنما يخبرونه عن كتب الرسل فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء ﴿ما﴾ أجابوه به عند قوله ﴿إني رسول رب العالمين﴾ محذوف دل عليه قوله فلما جاءهم بآياتنا وهو مطالبتهم إياه بإحضار البينة على دعواه وإبراز الآية ﴿إذا هم منها يضحكون﴾ أي يسخرون منها ويهزؤون بها ويسمونها سحرا وإذا للمفاجأة ﴿فإن قلت﴾ كيف جاز أن تجاب لما بإذا المفاجأة ﴿قلت﴾ لأن فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجأوا وقت ضحكهم ﴿فإن قلت﴾ إذا جاءتهم آية واحدة من جملة التسع فما أختها التي فضلت عليها في الكبر من بقية الآيات ﴿قلت﴾ أختها التي هي آية مثلها وهذه صفة كل واحدة منها فكان المعنى على أنها أكبر من بقية الآيات على سبيل التفصيل والاستقراء واحدة بعد واحدة كما تقول هو أفضل رجل رأيته تريد تفضيله على أمة الرجال الذين رأيتهم ﴿فإن قلت﴾ فهو كلام متناقض لأن معناه ما من آية من التسع إلا وهي أكبر من كل واحدة منها فتكون واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة ﴿قلت﴾ الغرض بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة في الأشياء التي تتلاقى في الفضل وتتفاوت منازلها فيه التفاوت اليسير أن تختلف آراء الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذاك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا رأيت رجالا بعضهم أفضل من بعض وربما اختلفت آراء الرجل الواحد فيها فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك ومنه بيت الحماسة: من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري وقد فاضلت الأنمارية بين الكملة من بنيها ثم قالت لما أبصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها ﴿لعلهم يرجعون﴾ إرادة أن يرجعوا من الكفر إلى الإيمان ﴿فإن قلت﴾ لو أراد رجوعهم لكان ﴿قلت﴾ إرادته فعل غيره ليس إلا أن يأمره به ويطلب منه إيجاده فإن كان ذلك على سبيل القسر وجد وإلا دار بين أن يوجد وبين أن لا يوجد على حسب اختيار المكلف وإنما لم يكن الرجوع لأن الإرادة لم تكن قسرا ولم يختاروه والمراد ﴿بالعذاب﴾ السنون والطوفان والجراد وغير ذلك ﴿فإن قلت﴾ كيف سموه ﴿بيا أيه الساحر﴾ بضم الهاء وقد سبق وجهه بالساحر مع قولهم إننا لمهتدون ﴿قلت﴾ قولهم إننا لمهتدون وعد منوي إخلافه وعهد معزوم على نكثه معلق بشرط أن يدعو لهم وينكشف عنهم العذاب ألا ترى إلى قوله فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون فما كانت تسميتهم إياه بالساحر بمنافية لقولهم إننا لمهتدون وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر ﴿بما عهد عندك﴾ بعهده عندك من أن دعوتك مستجابة أو بعهده عندك وهو النبوة أو بما عهد عندك فوفيت به وهو الإيمان والطاعة أو بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى ﴿ونادى فرعون في قومه﴾ جعلهم محلا لندائه وموقعا له والمعنى أنه أمر بالنداء في مجامعهم وأماكنهم من نادى فيها بذلك فأسند النداء إليه كقولك قطع الأمير اللص إذا أمر بقطعه ويجوز أن يكون عنده عظماء القبط فيرفع بذلك صوته فيما بينهم ثم ينشر عنه في جموع القبط فكأنه نودي به بينهم ﴿قال أليس لي ملك مصر﴾ ﴿وهذه الأنهار﴾ يعني أنهار النيل ومعظمها أربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قيل كانت تجري تحت قصره وقيل تحت سريره لارتفاعه وقيل بين يديه في جناني وبساتيني ويجوز أن تكون الواو عاطفة للأنهار على ملك مصر وتجري نصب على الحال منها وأن تكون الواو للحال واسم الإشارة مبتدأ والأنهار صفة لاسم الإشارة وتجري خبر للمبتدأ وليت شعري كيف ارتقت إلى دعوى الربوبية همة من تعظم بملك مصر وعجب الناس من مدى عظمته وأمر فنودي بها في أسواق مصر وأزقتها لئلا تخفى تلك الأبهة والجلالة على صغير ولا كبير وحتى يتربع في صدور الدهماء مقدار عزته وملكوته وعن الرشيد أنه لما قرأها قال لأولينها أخس عبيدي فولاها الخصيب وكان على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر أنه خرج إليها فلما شارفها ووقع عليها بصره قال أهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال أليس لي ملك مصر والله لهي أقل عندي

من أن أدخلها فثنى عنانه ﴿أم أنا خير﴾ أم هذه متصلة لأن المعنى أفلا تبصرون أم تبصرون إلا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من إنزال السبب منزلة المسبب ويجوز أن تكون منقطعة على بل أنا خير والهمزة للتقرير وذلك أنه قدم تعديد أسباب الفضل والتقدم عليهم من ملك مصر وجري الأنهار تحته ونادى بذلك وملأ به مسامعهم ثم قال أنا خير كأنه يقول أثبت عندكم واستقر أني أنا خير وهذه حالي ﴿من هذا الذي هو مهين﴾ ضعيف حقير وقرئ أما أنا خير ﴿ولا يكاد يبين﴾ الكلام لما به من الرتة يريد أنه ليس معه من العدد وآلات الملك والسياسة ما يعتضد به وهو في نفسه مخل بما ينعت به الرجال من اللسن والفصاحة وكانت الأنبياء كلهم أبيناء بلغاء ﴿فلولا ألقي عليه أسورة﴾ أراد بإلقاء الأسورة عليه إلقاء مقاليد الملك إليه لأنهم كانوا إذا أرادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب ﴿مقترنين﴾ إما مقترنين به من قولك قرنته به فاقترن به وإما من اقترنوا بمعنى تقارنوا ﴿لما﴾ وصف نفسه بالملك والعزة ووازن بينه وبين موسى صلى الله عليه وسلم فوصفه بالضعف وقلة الأعضاد اعترض فقال هلا إن كان صادقا ملكه ربه وسوده وسوره وجعل الملائكة أعضاده وأنصاره وقرئ أساورة جمع أسوار وأساوير جمع أسورة وأساورة جمع إسوار وهو السوار وأساورة على تعويض التاء من ياء أساوير وقرئ ألقي عليه أسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ﴿فاستخف قومه﴾ فاستفزهم وحقيقته حملهم على أن يخفوا له ولما أراد منهم وكذلك استفزه من قولهم للخفيف فز ﴿آسفونا﴾ منقول من أسف أسفا إذا اشتد غضبه ومنه الحديث في موت الفجأة رحمة للمؤمنين وأخذة أسف للكافرين ومعناه أنهم أفرطوا في المعاصي وعدوا طورهم فاستوجبوا أن نعجل لهم عذابنا وانتقامنا وأن لا نحلم عنهم وقرئ سلفا جمع سالف كخادم وخدم وسلفا بضمتين جمع سليف أي فريق قد سلف وسلفا جمع سلفة أي ثلة قد سلفت ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لإتيانهم بمثل أفعالهم وحديثا عجيب الشأن سائرا مسير المثل يحدثون به ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون ﴿لما﴾ قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك امتعاضا شديدا فقال عبد الله بن الزبعرى يا محمد أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم فقال خصمتك ورب الكعبة ألست تزعم أن عيسى بن مريم نبي وتثني عليه خيرا وعلى أمه وقد علمت أن النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى بن مريم ﴿مثلا﴾ وجادل رسول الله بعبادة النصارى إياه ﴿إذا قومك﴾ قريش ﴿منه﴾ من هذا المثل ﴿يصدون﴾ ترتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجذلا وضحكا لما سمعوا منه من إسكات رسول الله صلى الله عليه وسلم بجدله كما يرتفع لغط القوم ولجبهم إذا تعيوا بحجة ثم فتحت عليهم وأما من قرأ يصدون بالضم فمن الصدود أي من أجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وإنهما لغتان نحو يعكف ويعكف ونظائرهما ﴿وقالوا أآلهتنا خير أم هو﴾ يعنون أن آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى فإذا كان عيسى من حصب النار كان أمر آلهتنا هينا ﴿ما ضربوه﴾ أي ما ضربوا هذا المثل ﴿لك إلا جدلا﴾ إلا لأجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب الميز بين الحق والباطل ﴿بل هم قوم خصمون﴾ لد شداد الخصومة دأبهم اللجاج كقوله قوما لدا وذلك أن قوله تعالى إنكم وما تعبدون ما أريد به إلا الأصنام وكذلك قوله عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم إنما قصد به الأصنام ومحال أن يقصد الأنبياء والملائكة إلا أن ابن الزبعرى بخبثه وخداعه وخبث دخلته لما رأى كلام الله ورسوله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بأن المراد به أصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف معناه إلى الشمول والإحاطة بكل معبود غير الله على طريقة المحك والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح في ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجاب عنه ربه إن الذين سبقت لهم منا الحسنى فدل به على أن الآية خاصة في الأصنام على أن ظاهر قوله وما تعبدون لغير العقلاء وقيل لما سمعوا قوله إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن أهدى من النصارى لأنهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقوله أآلهتنا خير أم هو على هذا القول تفضيل لآلهتهم على عيسى لأن المراد بهم الملائكة وما ضربوه لك إلا جدلا معناه وما قالوا هذا القول يعني آلهتنا خير أم هو إلا للجدل وقرئ أآلهتنا خير بإثبات همزة الاستفهام وبإسقاطها لدلالة أم العديلة عليها وفي حرف ابن مسعود خير أم هذا ويجوز أن يكون جدلا حالا أي جدلين وقيل لما نزلت إن مثل عيسى عند الله قالوا ما يريد محمد بهذا إلا أن نعبده وأنه يستأهل أن يعبد وإن كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير في أم هو لمحمد وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم التهكم به والاستهزاء ويجوز أن يقولوا لما أنكر عليهم قولهم الملائكة بنات الله وعبدوهم ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا نكرا من الفعل فإن النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن أشف منهم قولا وفعلا فإنا نسبنا إليه الملائكة وهم نسبوا إليه الأناسي فقيل لهم مذهب النصارى شرك بالله ومذهبكم شرك مثله وما تنصلكم مما أنتم عليه بما أوردتموه إلا قياس باطل بباطل وما عيسى إلا عبد كسائر العبيد ﴿أنعمنا عليه﴾ حيث جعلناه آية بأن خلقناه من غير سبب كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر ﴿لبني إسرائيل ولو نشاء﴾ لقدرتنا على عجائب الأمور وبدائع الفطر ﴿لجعلنا منكم﴾ لولدنا منكم يا رجال ﴿ملائكة يخلفونكم في الأرض﴾ كما يخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا أن الملائكة أجسام لا تتولد إلا من أجسام وذات القديم متعالية عن ذلك ﴿وإنه﴾ وإن عيسى ﴿لعلم للساعة﴾ أي شرط من أشراطها تعلم به فسمي الشرط علما لحصول العلم به وقرأ ابن عباس لعلم وهو العلامة وقرئ

للعلم وقرئ أي لذكر على تسمية ما تذكر به ذكرا كما سمي ما تعلم به علما وفي الحديث إن عيسى عليه السلم ينزل على ثنية بالأرض المقدسة
يقال لها أفيق وعليه ممصرتان وشعر رأسه دهين وبيده حربة وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في
صلاة الصبح والإمام يؤم بهم فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى عليه السلم ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير
ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن به وعن الحسن إن الضمير للقرآن وأن القرآن
به تعلم الساعة لأن فيه الإعلام بها فلا تمترن بها من المرية وهي الشك واتبعون واتبعوا هداي وشرعي
أو رسولي وقيل هذا أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوله هذا صراط مستقيم أي هذا الذي أدعوكم إليه أو هذا القرآن
إن جعل الضمير في وإنه للقرآن عدو مبين قد أبانت عداوته لكم إذ أخرج أباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور
بالبينات بالمعجزات أو بآيات الإنجيل والشرائع البينات الواضحات بالحكمة يعني الإنجيل والشرائع فإن قلت
هلا بين لهم كل الذي يختلفون فيه ولكن بعضه قلت كانوا يختلفون في الديانات وما يتعلق بالتكليف وفيما سوى
ذلك مما لم يتعبدوا بمعرفته والسؤال عنه وإنما بعث ليبين لهم ما اختلفوا فيه مما يعنيهم من أمر دينهم الأحزاب
الفرق المتحزبة بعد عيسى وقيل اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا وعيد للأحزاب فإن قلت من بينهم إلى من
يرجع الضمير فيه قلت إلى الذين خاطبهم عيسى عليه السلم في قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث إليهم أن تأتيهم
بدل والمعنى هل ينظرون إلا إتيان الساعة فإن قلت أما أدى قوله بغتة مؤدى قوله وهم لا يشعرون فيستغنى
بذلك عنه قلت لا لأن معنى قوله وهم لا يشعرون وهم غافلون لاشتغالهم بأمور دنياهم كقوله تأخذهم وهم يخصمون
ويجوز أن تأتيهم بغتة وهم فطنون يومئذ منصوب بعدو أي تنقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين في غير ذات
الله وتنقلب عداوة ومقتا إلا خلة المتصادقين في الله فإنها الخلة الباقية المزدادة قوة إذا رأوا ثواب
التحاب في الله والتباغض في الله إلا المتقين إلا المجتنبين أخلاء السوء وقيل نزلت في أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط
يا عبادي حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ والذين آمنوا منصوب المحل صفة لعبادي لأنه منادى
مضاف أي الذين صدقوا بآياتنا وكانوا مسلمين مخلصين وجوههم لنا جاعلين أنفسهم سالمة لطاعتنا وقيل إذا
بعث الله الناس فزع كل أحد فينادي مناد يا عبادي فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعها الذين آمنوا فييأس
الناس منها غير المسلمين وقرئ يا عباد تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره أي أثره على وجوهكم
كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال الزجاج تكرمون إكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف
بجميل والكوب الكوز لا عروة له وفيها الضمير للجنة وقرئ تشتهي وتشتهيه وهذا حصر لأنواع النعم لأنها إما
مشتهاة في القلوب وإما مستلذة في العيون وتلك إشارة إلى الجنة المذكورة وهي مبتدأ والجنة خبر والتي أورثتموها
صفة الجنة أو الجنة صفة للمبتدأ الذي هو اسم الإشارة والتي أورثتموها خبر المبتدأ أو التي أورثتموها صفة وبما
كنتم تعملون الخبر والباء تتعلق بمحذوف كما في الظروف التي تقع أخبارا وفي الوجه الأول تتعلق بأورثتموها وشبهت
في بقائها على أهلها بالميراث الباقي على الورثة وقرئ ورثتموها منها تأكلون من للتبعيض أي لا تأكلون إلا بعضها
وأعقابها باقية في شجرها فهي مزينة بالثمار أبدا موقرة بها لا ترى شجرة عريانة من ثمرها كما في الدنيا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها إلا نبت مكانها مثلاها لا يفتر عنهم لا يخفف ولا ينقص
من قولهم فترت عنه الحمى إذا سكنت عنه قليلا ونقص حرها والمبلس اليائس الساكت سكوت يائس
من فرج وعن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا يرى
هم فصل عند البصريين عماد عند الكوفيين وقرئ وهم فيها أي في النار وقرئ علي وعن ابن مسعود يا مال
بحذف الكاف للترخيم كقول القائل والحق يا مال غير ما تصف وقيل لابن عباس إن ابن مسعود قرأ
ونادوا يا مال فقال ما أشغل أهل النار عن الترخيم وعن بعضهم حسن الترخيم أنهم يقتطعون
بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه وقرأ أبو السرار الغنوي يا مال بالرفع كما يقال يا حار ليقض علينا
من قضى عليه إذا أماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك أن يقضي علينا فإن قلت
كيف قال ونادوا يا مالك بعد ما وصفهم بالإبلاس قلت تلك أزمنة متطاولة وأحقاب
ممتدة فتختلف بهم الأحوال فيسكتون أوقاتا لغلبة اليأس عليهم وعلمهم أنه لا فرج لهم ويغوثون
أوقاتا لشدة ما بهم ماكثون لابثون وفيه استهزاء والمراد خالدون عن ابن عباس إنما يجيبهم
بعد ألف سنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون
ادعوا مالكا فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك لقد جئناكم بالحق كلام الله عز وجل بدليل قراءة
من قرأ لقد جئتكم بالحق ويجب أن يكون في قال ضمير الله لما سألوا مالكا أن يسأل الله القضاء عليهم
أجابهم الله بذلك كارهون لا تقبلونه وتنفرون منه وتشمئزون لأن مع الباطل الدعة ومع الحق
التعب أم أبرموا مشركو مكة أمرا من كيدهم ومكرهم برسول الله فإنا مبرمون كيدنا كما أبرموا
كيدهم كقوله أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتنادون فيتناجون في أمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن قلت ما المراد بالسر والنجوى قلت السر ما حدث به الرجل نفسه أو غيره
في مكان خال والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم بلى نسمعها ونطلع عليها ورسلنا يعني الحفظة عندهم
يكتبون ذلك وعن يحيى بن معاذ الرازي من ستر من الناس ذنوبه وأبداها للذي لا يخفى عليه شيء
في السموات والأرض فقد جعله أهون الناظرين إليه وهو من علامات النفاق إن كان للرحمن ولد وصح ذلك
وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم
إلى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض

والتمثيل

والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والإطناب فيه وألا يترك الناطق به شبهة إلا مضمحلة مع الترجمة عن
نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق
بها محالا مثلها فهو في صورة إثبات الكينونة والعبادة وفي معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها ونظيره أن يقول العدلي
للمجبر إن كان الله خالقا للكفر في القلوب ومعذبا عليه عذابا سرمدا فأنا أول من يقول هو شيطان
وليس بإله فمعنى هذا الكلام وما وضع له أسلوبه ونظمه نفي أن يكون الله خالقا للكفر وتنزيهه عن ذلك
وتقديسه ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا مع الدلالة على سماجة المذهب وضلالة الذاهب
إليه والشهادة القاطعة بإحالته والإفصاح عن نفسه بالبراءة منه وغاية النفار والاشمئزاز من
ارتكابه ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير رحمه الله للحجاج حين قال له أما والله لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى
لو عرفت أن ذلك إليك ما عبدت إلها غيرك وقد تمحل الناس بما أخرجوه به من هذا الأسلوب الشريف المليء
بالنكت والفوائد المستقل بإثبات التوحيد على أبلغ وجوهه فقيل إن كان للرحمن ولد في زعمكم
فأنا أول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم بإضافة الولد إليه وقيل إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا
أول الآنفين من أن يكون له ولد من عبد يعبد إذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد وقرأ بعضهم عبدين
وقيل هي إن النافية أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وعبد ووحد وروي أن النضر بن عبد الدار
بن قصي قال إن الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر ألا ترون أنه قد صدقني فقال له الوليد بن المغيرة
ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولد له وقرئ ولد بضم الواو
ثم نزه ذاته موصوفة بربوبية السموات والأرض والعرش عن اتخاذ الولد ليدل على أنه من صفة الأجسام
ولو كان جسما لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير أمره فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم
وهذا دليل على أن ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب وإعلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم من المطبوع على قلوبهم
الذين لا يرجعون البتة وإن ذهب في دعوتهم كل مذهب وخذلان ووعيد لأن لهم وتخلية بينهم وبين الشيطان
كقوله اعملوا ما شئتم وإيعاد بالشقاء في العاقبة ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف
في قوله في السماء وفي الأرض كما تقول هو حاتم في طي حاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كأنك قلت هو
جواد في طي جواد في تغلب وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله ومثله قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الأرض
كأنه ضمن معنى المعبود أو المالك أو نحو ذلك والراجع إلى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما أنا بالذي قائل
لك شيئا وزاده طولا أن المعطوف داخل في حيز الصلة ويحتمل أن يكون في السماء صلة الذي وإله خبر مبتدأ
محذوف على أن الجملة بيان للصلة وأن كونه في السماء على سبيل الإلهية والربوبية لا على معنى الاستقرار وفيه
نفي الآلهة التي كانت تعبد في الأرض ترجعون قرئ بضم التاء وفتحها ويرجعون بالياء مضمومة وقرئ تحشرون
بالتاء ولا يملك آلهتهم الذين يدعون من دون الله الشفاعة كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله ولكن من
شهد بالحق وهو توحيد الله وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وإيقان وإخلاص هو الذي يملك الشفاعة
وهو استثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلا لأن في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة وقرئ تدعون
بالتاء وتدعون بالتاء وتشديد الدال وقيله قرئ بالحركات الثلاث وذكر في النصب عن الأخفش أنه
حمله على أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله وعنه وقال قيله وعطفه الزجاج على محل الساعة
كما تقول عجبت من ضرب زيد وعمرو وحمل الجر على لفظ الساعة والرفع على الابتداء والخبر ما بعده وجوز عطفه
على علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده علم الساعة وعلم قيله والذي قالوه ليس بقوي في المعنى
مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم وأقوى من ذلك وأوجه
أن يكون الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم أيمن الله وأمانة الله ويمين الله
ولعمرك ويكون قوله إن هؤلاء قوم لا يؤمنون جواب القسم كأنه قيل وأقسم بقيله يا رب أو وقيله يا رب
قسمي إن هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم فأعرض عن دعوتهم يائسا عن إيمانهم وودعهم وتاركهم وقل
لهم سلام أي تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم والضمير
في وقيله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه إليه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف
كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان وهي سبع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الواو في والكتاب واو القسم إن جعلت حم تعديدا للحروف أو اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء
المحذوف وواو العطف إن كانت حم مقسما بها وقوله إنا أنزلناه جواب القسم والليلة المباركة ليلة القدر وقيل
ليلة النصف من شعبان ولها أربعة أسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة
وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراءة والصك إن البندار إذا استوفى الخراج من أهله
كتب لهم البراءة كذلك الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة وقيل هي مختصة بخمس خصال

يفرق كل أمر حكيم. وفضيلة العبادة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى في هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله إليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان. ونزول الرحمة قال عليه السلام إن الله يرحم أمتي في هذه الليلة بعدد شعر أغنام بني كلب. وحصول المغفرة قال عليه السلام إن الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا لكاهن أو ساحر أو مشاحن أو مدمن خمر أو عاق للوالدين أو مصر على الزنا. وما أعطي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمام الشفاعة وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أمته فأعطي الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطي الثلثين ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطي الجميع إلا من شرد على الله شراد البعير. ومن عادة الله في هذه الليلة أن يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة. والقول الأكثر أن المراد بالليلة المباركة ليلة القدر لقوله إنا أنزلناه في ليلة القدر ولمطابقة قوله فيها يفرق كل أمر حكيم لقوله تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر. وقوله شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وليلة القدر في أكثر الأقاويل في شهر رمضان. فإن قلت ما معنى إنزال القرآن في هذه الليلة قلت قالوا أنزل جملة واحدة من السماء السابعة إلى السماء الدنيا وأمر السفرة الكرام بانتساخه في ليلة القدر فكان جبريل عليه السلام ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما. فإن قلت إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم ما موقع هاتين الجملتين قلت هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم الذي هو قوله إنا أنزلناه في ليلة مباركة كأنه قيل أنزلناه لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب وكان إنزالنا إياه في هذه الليلة خصوصا لأن إنزال القرآن من الأمور الحكيمة وهذه الليلة يفرق كل أمر حكيم. والمباركة الكثيرة الخير لما يتيح الله فيها من الأمور التي يتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها إلا إنزال القرآن وحده لكفى به بركة. ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم منها إلى الأخرى القابلة. وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل ونسخة الحروب إلى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الأعمال إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب إلى ملك الموت. وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات أعماله فيلقى على ألسنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته. وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل على بنائه للفاعل ونصب كل والفارق الله عز وجل. وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما نفرق بالنون. كل أمر حكيم كل شأن ذي حكمة أي مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الإسناد المجازي لأن الحكيم صفة صاحب الأمر على الحقيقة ووصف الأمر به مجاز. أمرا من عندنا نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلا فخما بأن وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بأن قال أعني بهذا الأمر أمرا حاصلا من عندنا كائنا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا. ويجوز أن يراد به الأمر الذي هو ضد النهي ثم إما أن يوضع موضع فرقانا الذي هو مصدر يفرق لأن معنى الأمر والفرقان واحد من حيث إنه إذا حكم بالشيء وكتبه فقد أمر به وأوجبه أو يكون حالا من أحد الضميرين في أنزلناه إما من ضمير الفاعل أي أنزلناه آمرين أمرا أو من ضمير المفعول أي أنزلناه في حال كونه أمرا من عندنا بما يجب أن يفعل. فإن قلت إنا كنا مرسلين رحمة بم يتعلق قلت يجوز أن يكون بدلا من قوله إنا كنا منذرين ورحمة من ربك مفعولا له على معنى إنا أنزلنا القرآن لأن من شأننا إرسال الرسل بالكتب إلى عبادنا لأجل الرحمة عليهم وأن يكون تعليلا ليفرق أو لقوله أمرا من عندنا ورحمة مفعولا به وقد وصف الرحمة بالإرسال كما وصفها به في قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده أي يفصل في هذه الليلة كل أمر أو تصدر الأوامر من عندنا لأن من عادتنا أن نرسل رحمتنا وفصل كل أمر من قسمة الأرزاق وغيرها من باب الرحمة وكذلك الأوامر الصادرة من حضرته عز وعلا لأن الغرض في تكليف العباد تعريضهم للمنافع والأصل إنا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير إيذانا بأن الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين. وفي قراءة زيد بن علي أمر من عندنا على هو أمر وهي تنصر انتصابه على الاختصاص. وقرأ الحسن رحمة من ربك على تلك رحمة وهي تنصر انتصابها بأنها مفعول له. إنه هو السميع العليم وما بعده تحقيق لربوبيته وأنها لا تحق إلا لمن هذه أوصافه. وقرئ رب السموات والأرض وما بينهما ربكم ورب آبائكم بالجر بدلا من ربك. فإن قلت ما معنى الشرط الذي هو قوله إن كنتم موقنين قلت كانوا يقرون بأن للسموات والأرض ربا وخالقا فقيل لهم إن إرسال الرسل وإنزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل إن هذا الرب هو السميع العليم الذي أنتم مقرون به ومعترفون بأنه رب السموات والأرض وما بينهما إن كان إقراركم عن علم وإيقان كما تقول إن هذا إنعام زيد الذي تسامع الناس بكرمه واشتهروا سخاءه إن بلغك حديثه وحدثت بقصته ثم رد أن يكونوا موقنين بقوله بل هم في شك يلعبون وأن إقرارهم غير صادر عن علم وتيقن ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزء ولعب. يوم تأتي السماء مفعول به مرتقب يقال رقبته وارتقبته

نحو نظرته وانتظرته. واختلف في الدخان فعن علي رضي الله عنه وبه أخذ الحسن أنه دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة يدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر. قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره. وعن ابن مسعود رضي الله عنه خمس قد مضت الروم والدخان والقمر والبطشة واللزام. ويروى أنه قيل لابن مسعود إن قاصا عند أبواب كندة يقول إنه دخان يأتي يوم القيامة فيأخذ بأنفاس الخلق فقال من علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من علم الرجل أن يقول لشيء لا يعلمه الله أعلم. ثم قال ألا وسأحدثكم أن قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان فمشى إليه أبو سفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم وواعدوه إن دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا إلى شركهم. بدخان مبين ظاهر حاله لا يشك أحد أنه دخان. يغشى الناس يشملهم ويلبسهم وهو في محل الجر صفة لدخان. وهذا عذاب إلى قوله مؤمنون منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب المحل على الحال أي قائلين ذلك. إنا مؤمنون موعدة بالإيمان إن كشف عنهم العذاب. أنى لهم الذكرى كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب. وقد جاءهم ما هو أعظم وأدخل في وجوب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بأن عداسا غلاما أعجميا لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه إلى الجنون. ثم قال إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون أي ريثما نكشف عنكم العذاب تعودون إلى شرككم لا تلبثون غب الكشف على ما أنتم عليه من التضرع والابتهال. فإن قلت كيف يستقيم على قول من جعل الدخان قبل يوم القيامة قوله إنا كاشفوا العذاب قليلا قلت إذا أتت السماء بالدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون منيبون فيكشفه الله عنهم بعد أربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون ثم قال يوم نبطش البطشة الكبرى يريد يوم القيامة كقوله فإذا جاءت الطامة الكبرى. إنا منتقمون أي ننتقم منهم في ذلك اليوم. فإن قلت بم انتصب يوم نبطش قلت بما دل عليه إنا منتقمون وهو ننتقم ولا يصح أن ينتصب بمنتقمون لأن إن تحجب عن ذلك. وقرئ نبطش بضم الطاء ونبطش بضم النون كأنه يحمل الملائكة على أن يبطشوا بهم البطشة الكبرى أو يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم. وقيل البطشة الكبرى يوم بدر. وقرئ ولقد فتنا بالتشديد للتأكيد أو لوقوعه على القوم. ومعنى الفتنة أنه أمهلهم ووسع عليهم في الرزق فكان ذلك سببا في ارتكابهم المعاصي واقترافهم الآثام أو ابتلاهم بإرسال موسى إليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الإيمان أو سلبهم ملكهم وأغرقهم. كريم على الله وعلى عباده المؤمنين أو كريم في نفسه لأن الله لم يبعث نبيا إلا من سراة قومه وكرامهم. أن أدوا إلي هي أن المفسرة لأن مجيء الرسول من بعث إليهم متضمن لمعنى القول لأنه لا يجيئهم إلا مبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله أو المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بأن الشأن أو الحديث أدوا إلي. عباد الله مفعول به وهم بنو إسرائيل يقول أدوهم إلي وأرسلوهم معي كقوله أرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم. ويجوز أن يكون نداء لهم على أدوا إلي يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الإيمان لي وقبول دعوتي واتباع سبيلي وعلل ذلك بأنه رسول أمين غير ظنين قد ائتمنه الله على وحيه ورسالته. وأن لا تعلوا أن هذه مثل الأولى في وجهيها أي لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه أو لا تستكبروا على نبي الله. بسلطان مبين بحجة واضحة. أن ترجمون أن تقتلون وقرئ عت بالإدغام ومعناه أنه عائذ بربه متكل على أنه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه به من الرجم والقتل. فاعتزلون يريد إن لم تؤمنوا لي فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن فتنحوا عني واقطعوا أسباب الوصلة أي فخلوني كفافا لا لي ولا علي ولا تتعرضوا لي بشركم وأذاكم فليس جزاء من دعاكم إلى ما فيه فلاحكم ذلك. أن هؤلاء بأن هؤلاء أي دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه بإجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وإنما ذكر الله تعالى السبب الذي استوجبوا به الهلاك وهو كونهم مجرمين. وقرئ إن هؤلاء بالكسر على إضمار القول أي فدعا ربه فقال إن هؤلاء. فأسر قرئ بقطع الهمزة من أسرى ووصلها من سرى. وفيه وجهان إضمار القول بعد الفاء فقال أسر بعبادي وأن يكون جواب شرط محذوف كأنه قيل قال إن كان الأمر كما تقول فأسر بعبادي يعني فأسر ببني إسرائيل فقد دبر الله أن تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجي المتقدمين ويغرق التابعين. رهوا فيه وجهان أحدهما أنه الساكن قال الأعشى يمشين رهوا فلا الأعجاز خاذلة ولا الصدور على الأعجاز تتكل أي مشيا ساكنا على هينة. أراد موسى لما جاوز البحر أن يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق

فأبوا أن يتركها كما على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا تضربه بعصاك ولا تغير
منه شيئا ليدخله القبط فإذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم والثاني أن الرهو الجوبة الواسعة
وعن بعض العرب أنه رأى جملا فالجا فقال سبحان الله رهو بين سنامين أي اتركه مفتوحا على حاله
منفرجا إنهم جند وقرئ بالفتح بمعنى لأنهم والمقام الكريم ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة
وقيل المنابر والنعمة بالفتح من التنعم وبالكسر من الإنعام وقرئ فاكهين وفكهين كذلك الكاف منصوبة
على معنى مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها وأورثناها أو في موضع رفع على الأمر كذلك وقوما آخرين
ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو إسرائيل كانوا متسخرين مستعبدين في أيديهم
فأهلكهم الله على أيديهم وأورثهم ملكهم وديارهم إذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيم مهلكه
بكت عليه السماء والأرض وبكته الريح وأظلمت له الشمس وفي حديث رسول الله صلعم ما من مؤمن مات
في غربة غابت فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض وقال جرير تبكي عليك نجوم الليل والقمرا
وقالت الخارجية أيا شجر الخابور ما لك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف وذلك على سبيل التمثيل
والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه وكذلك ما يروى عن ابن عباس رضي الله عنه من بكاء مصلى المؤمن
وآثاره في الأرض ومصاعد عمله ومهابط رزقه في السماء تمثيل ونفى ذلك عنهم في قوله فما بكت عليهم السماء
والأرض فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال فيه بكت عليه السماء والأرض
وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني فما بكى عليهم أهل السماء
وأهل الأرض وما كانوا منظرين لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا إلى وقت آخر ولم يمهلوا إلى الآخرة بل عجل لهم
في الدنيا من فرعون بدل من العذاب المهين كأنه في نفسه كان عذابا مهينا لإفراطه في تعذيبهم
وإهانتهم ويجوز أن يكون المعنى من العذاب المهين واقعا من جهة فرعون وقرئ من عذاب المهين ووجهه
أن يكون تقدير قوله من فرعون من عذاب فرعون حتى يكون المهين هو فرعون وفي قراءة
ابن عباس من فرعون لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة قال من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه
وشيطنته ثم عرف حاله في ذلك بقوله إنه كان عاليا من المسرفين أي كبيرا رفيع الطبقة من بينهم فائقا
لهم بليغا في إسرافه أو عاليا متكبرا كقوله إن فرعون علا في الأرض ومن المسرفين خبر ثان كأنه قيل
إنه كان متكبرا مسرفا والضمير في اخترناهم لبني إسرائيل وعلى علم في موضع الحال أي عالمين بمكان الخيرة
وبأنهم أحقاء بأن يختاروا ويجوز أن يكون المعنى مع علم منا بأنهم يزيغون وتفرط منهم الفرطات
في بعض الأحوال على العالمين على عالمي زمانهم وقيل على الناس جميعا لكثرة الأنبياء منهم من الآيات من نحو فلق البحر
وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى وغير ذلك من الآيات العظام التي لم يظهر الله في غيرهم مثلها
بلاء مبين نعمة ظاهرة لأن الله تعالى يبلو بالنعمة كما يبلو بالمصيبة أو اختبار ظاهر لينظر كيف
يعملون كقوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم هؤلاء إشارة إلى كفار قريش فإن قلت كان الكلام واقعا
في الحياة الثانية لا في الموت فهلا قيل إن هي إلا حياتنا الأولى وما نحن بمنشرين كما قيل إن هي إلا حياتنا
الدنيا وما نحن بمبعوثين وما معنى قوله إن هي إلا موتتنا الأولى وما معنى ذكر الأولى كأنهم وعدوا موتة
أخرى حتى نفوها وجحدوها وأثبتوا الأولى قلت معناه والله الموفق للصواب أنه قيل لهم إنكم تموتون
موتة تتعقبها حياة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حياة وذلك قوله تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم
فقالوا إن هي إلا موتتنا الأولى يريدون ما الموتة التي من شأنها أن يتعقبها حياة إلا الموتة الأولى دون
الموتة الثانية وما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة من تعقيب الحياة لها إلا للموتة الأولى خاصة
فلا فرق إذا بين هذا وبين قوله إن هي إلا حياتنا الدنيا في المعنى يقال أنشر الله الموتى ونشرهم إذا بعثهم
فأتوا بآبائنا خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلعم والمؤمنين أي إن صدقتم فيما تقولون
فعجلوا لنا إحياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا على أن ما تعدونه من قيام
الساعة وبعث الموتى حق وقيل كانوا يطلبون إليهم أن يدعوا الله فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه
فإنه كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل ومعاظم الشؤون تبع الحميري كان مؤمنا وقومه كافرين
ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه وهو الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها
وكان إذا كتب كتب بسم الله الذي ملك برا وبحرا وعن النبي صلعم لا تسبوا تبعا فإنه كان قد أسلم
وعنه عليه السلام ما أدري أكان تبع نبيا أو غير نبي وعن ابن عباس كان نبيا وقيل نظر إلى قبرين بناحية حمير
قال هذا قبر رضوى وقبر حبى بنتي تبع لا تشركان بالله شيئا وقيل هو الذي كسا البيت وقيل لملوك اليمن
التبابعة لأنهم يتبعون كما قيل الأقيال لأنهم يتقيلون وسمي الظل تبعا لأنه يتبع الشمس فإن قلت ما معنى
قوله أهم خير قلت معناه أهم خير في القوة والمنعة كقوله تعالى أكفاركم خير
من أولئكم بعد ذكر آل فرعون وفي تفسير ابن عباس رضي الله عنه أهم أشد أم قوم تبع وما بينهما وما بين
الجنسين وقرئ عبيد بن عمير ميقاتهم بالنصب على أنه اسم إن ويوم الفصل خبرها
أي إنه ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل لا يغني مولى أي مولى كان من قرابة أو غيرها عن مولى
عن أي مولى كان شيئا من إغناء أي قليلا منه ولا هم ينصرون الضمير للموالي لأنهم في المعنى كثير لتناول

على

على الإبهام والتبعيض إلا من رحم الله في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون أي لا يمنع من العذاب إلا من رحمه الله
ويجوز أن ينتصب على الاستثناء إنه هو العزيز لا ينصر منه من عصاه الرحيم لمن أطاعه وقرئ إن شجرة الزقوم
بكسر الشين وفيها ثلاث لغات شجرة بفتح الشين وكسرها وشيرة بالياء وروي أنه لما نزل أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم
قال ابن الزبعرى إن أهل اليمن يدعون أكل الزبد والتمر التزقم فدعا أبو جهل بتمر وزبد فقال تزقموا فإن هذا هو الذي
يخوفكم به محمد فنزل إن شجرة الزقوم طعام الأثيم وهو الفاجر الكثير الآثام وعن أبي الدرداء أنه كان يقرئ رجلا
فكان يقول طعام اليتيم فلما لم يفهم قال طعام الفاجر يا هذا وبهذا يستدل على أن إبدال كلمة مكان كلمة جائز إذا كانت
مؤدية معناها ومنه أجاز أبو حنيفة رحمه الله القراءة بالفارسية على شريطة وهي أن يؤدي القارئ المعاني على كمالها
من غير أن يخرم منها شيئا قالوا وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلا إجازة لأن في كلام العرب خصوصا في القرآن الذي
هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعاني والأغراض ما لا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها
وما كان أبو حنيفة رحمه الله يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر كالمهل وقرئ بضم الميم وفتحها وهو دردي الزيت
ويدل عليه قوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل مع قوله فكانت وردة كالدهان وقيل هو ذائب الفضة والنحاس والكاف رفع خبر
بعد خبر وكذلك تغلي وقرئ بالتاء للشجرة وبالياء للطعام والحميم الماء الحار الذي انتهى غليانه يقال للزبانية
خذوه فاعتلوه فقودوه بعنف وغلظة وهو أن يؤخذ بتلبيب الرجل فيجر إلى حبس أو قتل ومنه العتل وهو الغليظ
الجافي وقرئ بكسر التاء وضمها إلى سواء الجحيم إلى وسطها ومعظمها فإن قلت هلا قيل صبوا فوق رأسه من الحميم كقوله
يصب من فوق رؤوسهم الحميم لأن الحميم هو المصبوب لا عذابه قلت إذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه
وشدته إلا أن صب العذاب طريقة الاستعارة كقوله صبت عليه صروف الدهر من صبب وكقوله تعالى أفرغ علينا صبرا
فذكر العذاب معلقا به الصب مستعارا له ليكون أهول وأهيب يقال له ذق إنك أنت العزيز الكريم على سبيل الهزء والتهكم
بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه وروي أن أبا جهل قال لرسول الله صلعم ما بين جبليها أعز ولا أكرم مني فوالله ما تستطيع
أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئا وقرئ أنك بمعنى لأنك وعن الحسن رضي الله عنه أنه قرأه على المنبر إن هذا العذاب أو إن
هذا الأمر ما كنتم به تمترون أي تشكون أو تتمارون وتتلاحون وقرئ في مقام بالفتح وهو موضع القيام والمراد
المكان وهو من الخاص الذي وقع مستعملا في معنى العموم وبالضم وهو موضع الإقامة والأمين من قولك أمن الرجل أمانة
فهو أمين وهو صفة الخائن وصف به المكان استعارة لأن المكان المخيف كأنما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره
السندس ما رق من الديباج والإستبرق ما غلظ منه وهو تعريب استبره فإن قلت كيف ساغ أن يقع في
القرآن العربي المبين لفظ أعجمي قلت إذا عرب خرج عن أن يكون أعجميا لأن معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره
عن منهاجه وإجرائه على أوجه الإعراب كذلك الكاف مرفوعة على الأمر كذلك أو منصوبة على مثل ذلك أثبناهم وزوجناهم
وقرأ عكرمة بحور عين على الإضافة والمعنى بالحور من العين لأن العين إما أن تكون حورا أو غير حور فهؤلاء من الحور
العين لا من شهلهن مثلا وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه بعيس عين والعيساء البيضاء تعلوها حمرة وقرأ عبيد بن عمير
لا يذوقون فيها الموت وقرأ عبد الله لا يذاقون فيها طعم الموت فإن قلت كيف استثنيت الموتة الأولى المذوقة قبل دخول
الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها قلت أريد أن يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله إلا الموتة الأولى موضع ذلك
لأن الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كأنه قيل إن كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها
في المستقبل فإنهم يذوقونها ووقاهم وقرئ بالتشديد فضلا من ربك عطاء من ربك وثوابا يعني كل ما أعطى المتقين
من نعيم الجنة والنجاة من النار وقرئ فضل أي ذلك فضل فإنما يسرناه بلسانك فذلكة للسورة ومعناه ذكرهم
بالكتاب المبين فإنما يسرناه أي سهلناه حيث أنزلناه عربيا بلسانك بلغتك إرادة أن يفهمه قومك فيتذكروا فارتقب
فانتظر ما يحل بهم إنهم مرتقبون ما يحل بك متربصون بك الدوائر عن رسول الله صلعم من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح
يستغفر له سبعون ألف ملك وعنه عليه السلام من قرأ حم التي يذكر فيها الدخان في ليلة جمعة أصبح مغفورا له

سورة الجاثية سبع وثلثون آية مكية وقيل ست

بسم الله الرحمن الرحيم حم إن جعلتها اسما مبتدأ
مخبرا عنه بتنزيل الكتاب وإن جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرا إن في السموات والأرض
يجوز أن يكون على ظاهره وأن يكون المعنى إن في خلق السموات لقوله وفي خلقكم فإن قلت علام عطف وما يبث أعلى الخلق المضاف
أم على الضمير المضاف إليه قلت بل على المضاف لأن المضاف إليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه استقبحوا أن
يقال مررت بك وزيد وهذا أبوك وعمرو وكذلك إن أكدوه كرهوا أن يقولوا مررت بك أنت وزيد وقرئ آيات لقوم يوقنون
بالنصب والرفع على قولك إن زيدا في الدار وعمرا في السوق أو وعمرو في السوق وأما قوله آيات لقوم يعقلون فمن العطف على عاملين
سواء نصبت أو رفعت فالعاملان إذا نصبت إن وفي أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في اختلاف الليل والنهار
والنصب في آيات وإذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في آيات والجر في واختلاف وقرأ ابن مسعود وفي
اختلاف الليل والنهار فإن قلت العطف على عاملين على مذهب الأخفش سديد لا مقال فيه وقد أباه سيبويه فما وجه
تخريج الآية عنده قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون على إضمار في والذي حسنه تقدم ذكره في الآيتين قبلها ويعضده
قراءة ابن مسعود والثاني أن ينتصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبله أو على التكرير وركنا
بآيات رفعا بإضمار هي وقرئ واختلاف الليل والنهار بالرفع وقرئ آية وكذلك وما يبث من دابة آية وقرئ وتصريف الريح
والمعنى أن المنصفين من العباد إذا نظروا في السموات والأرض النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها
من صانع فآمنوا بالله وأقروا فإذا نظروا في خلق أنفسهم وتنقلها من حال إلى حال وهيئة إلى هيئة وفي خلق ما على ظهر
الأرض من صنوف الحيوان ازدادوا إيمانا وأيقنوا وانتفى عنهم اللبس فإذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد
في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الأمطار وحياة الأرض بها بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا
ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم وسمي المطر رزقا لأنه سبب الرزق تلك إشارة إلى الآيات
المتقدمة أي تلك الآيات آيات الله ونتلوها في محل الحال أي متلوة عليك بالحق والعامل ما دل عليه تلك

من معنى الاشارة وكونه هذا بعلى شيخا ؞ وقرى يتلوها بالياء بعد الله واياته اي بعد ايات الله كقولهم اعجبني زيد
وكرمه يريدون اعجبني كرم زيد ويجوز ان يراد بعد حديث الله وهو كتابه وقرانه كقوله الله نزل احسن
الحديث وقرى يومنون تاليا والتاء الافاك الكذاب والاثيم المتبالغ في اقتراف الاثام يصر يقبل على كفره
ويقيم عليه واصله من اصرار الحمار على العانة وهو ان ينحي عليها صارا اذنيه مستكبرا عن الايمان بالايات والاذعان
لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت في النضر بن الحارث وما كان يشتري من احاديث الاعاجم
ويشغل بها الناس عن استماع القران والاية عامة في كل من كان مضارا لدين الله فان قلت ما معنى ثم
في قوله ثم يصر مستكبرا قلت كمعناه في قول القائل يرى غمرات الموت ثم يزورها وذلك ان غمرات
الموت حقيقة بان ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار عنها واما زيارتها والاقدام على مزاولتها فامر
مستبعد فمعنى ثم الايذان بان فعل المقدم عليها بعد ما راها وعاينها شي يستبعد في العادات والطباع وكذلك
ايات الله الواضحة الناطقة بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا في العقول اصراره على الضلالة
عندها واستكباره عن الايمان بها كان مخففة والاصل كانه لم يسمعها والضمير ضمير الشان كما في قوله كان
ظبية تعطوا الى وارق السلم ومحل الجملة النصب على الحال اي يصر مثل غير السامع واذا بلغه شي من اياتنا
وعلم انه منها اتخذها اي اتخذ الايات هزوا ولم يقل اتخذه للاشعار بانه اذا احس بشي من الكلام انه من جملة
الايات التي انزلها الله على محمد صلعم خاض في الاستهزاء بجميع الايات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويحتمل واذا علم
من اياتنا شيا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا يتسلق به على الطعن والغميزة افترصه واتخذ
ايات الله هزوا وذلك نحو افتراض ابن الزبعري قوله عز وعلا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ومغالطته
رسول الله صلعم وقوله خصمتك ويجوز ان يرجع الضمير الى شي لانه في معنى الاية كقول ابي العتاهية
نفسي بشي من الدنيا معلقة ؞ الله والقائم المهدي تكفيها ؞ حيث اراد عتبة وقرى علم اولئك اشارة الى كل
افاك اثيم لشموله الافاكين والوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف او قدام قال
اليس ورائي ان تراخت منيتي ؞ ادب مع الولدان ازحف كالنسر ؞ ومنه قوله عز وجل من ورائهم اي من قدامهم
ما كسبوا من الاموال في رحلاتهم ومتاجرهم ولا ما اتخذوا من دون الله من الاوثان هذا اشارة الى القران
يدل عليه قوله والذين كفروا بايات ربهم لان ايات ربهم هي القران اي هذا القران كامل في الهداية كما تقول زيد رجل
تريد كامل في الرجولية وايما رجل والرجز اشد العذاب وقرى بجر اليم ورفعه ولتبتغوا من فضله بالتجارة
او بالغوص على اللولو والمرجان واستخراج اللحم الطري وغير ذلك من منافع البحر فان قلت ما معنى منه في قوله
جميعا منه وما موقعها من الاعراب قلت هي واقعة موقع الحال والمعنى انه سخر هذه الاشيا كاينة منه
وحاصلة من عنده يعني انه مكونها وموجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه ويجوز ان يكون خبر مبتدا
محذوف تقديره هي جميعا منه وان يكون وسخر لكم تاكيدا لقوله سخر لكم ثم ابتدى قوله ما في السموات وما في
الارض جميعا منه وان يكون وما في الارض مبتدا ومنه خبره وقرى ابن عباس منة وعن مسلمة بن محارب منه
على ان يكون منه فاعل سخر على الاسناد المجازي او على انه خبر مبتدا محذوف اي ذلك او هو منه حذف المقول
لان الجواب دال عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقايع الله تعالى باعدايه
من قولهم لوقايع العرب ايام العرب وقيل لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لثواب المومنين ووعدهم
الفوز فيها نزلت قبل اية القتال ثم نسخ حكمها وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه وقد شتمه رجل من غفار فهم
ان يبطش به وعن سعيد بن المسيب كنا بين يدي عمر بن الخطاب فقرى قارى هذه الاية فقال عمر ليجزي عمر بما صنع
ليجزي تعليل للامر بالمغفرة اي انما امروا بان يغفروا لما اراده الله من توفيتهم جزا مغفرتهم يوم القيمة
فان قلت قوله قوما ما وجه تنكيره وانما اراد الذين امنوا وهم معارف قلت هو مدح لهم وثناء عليهم كانه
قيل ليجزي ايما قوم وقوما مخصوصين لصبرهم واغضايهم على اذى اعدايهم من الكفار وعلى ما كانوا
يتجرعون لهم من الغصص بما كانوا يكسبون من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ومعنى قول عمر
ليجزي عمر بما صنع ليجزي بصبره واحتماله وقوله لرسول الله صلعم عند نزول الاية والذي بعثك لا ترى الغضب في وجهي
وقرى ليجزي قوما اي الله عز وجل وليجزى قوم وليجزى قوما على معنى وليجزى الجزا قوما الكتاب التوراة والحكم
الحكمة والفقه او فصل الخصومات بين الناس لان الملك كان فيهم والنبوة من الطيبات مما احل الله لهم واطاب
من الارزاق وفضلناهم على العالمين حيث لم نوت غيرهم مثل ما اتيناهم بينات ايات ومعجزات من الامر من امر
الدين فما وقع بينهم الخلاف في الدين الا من بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا
لبغي حدث بينهم اي لعداوة وحسد على شريعة على طريقة ومنهاج من الامر من امر الدين فاتبع شريعتك الثابتة
بالدلايل والحجج ولا تتبع ما لا حجة عليه من اهوا الجهال ودينهم المبني على هوا وبدعة وهم روسا قريش حين قالوا
ارجع الى دين ابايك ولا توالهم انما يوالي الظالمين من هو ظالم مثلهم واما المتقون فوليهم الله وهم موالوه وما ابين
الفصل بين الولايتين هذا القران بصاير للناس جعل ما فيه من معالم الدين والشرايع بمنزلة البصاير في القلوب كما جعل
روحا وحيوة وهو هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لمن امن وايقن وقرى هذه بصاير اي هذه الايات ام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح وفلان جارحة اهله اي كاسبهم ان نجعلهم ان
نصيرهم وهو من جعل المتعدي الى مفعولين فاولهما الضمير والثاني الكاف والجملة التي هي سوا محياهم ومماتهم بدل من
الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد الا تراك لو قلت ان نجعلهم سوا محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول
ظننت زيدا ابوه منطلق ومن قرى سوا بالنصب اجرى سوا مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية
وكان مفردا غير جملة ومن قرا ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم اي سوا في محياهم
وفي مماتهم والمعنى انكار ان يستوي المسيون والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احيا

حث

حث عاش هولا على القيام بالطاعات واولئك على ركوب المعاصي ومماتا حيث مات هولا على البشرى بالرحمة والوصول الى ثواب الله
ورضوانه واولئك على الياس من رحمة الله والوصول الى هول ما اعد لهم وقيل معناه انكار ان يستووا في الممات كما استووا
في الحيوة لان المسيين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقيل سوا محياهم
ومماتهم كلام مستانف على معنى ان محيا المسيين ومماتهم سوا وكذلك محيا المحسنين ومماتهم سوا كل يموت على حسب
ما عاش عليه وعن تميم الداري رضي الله عنه انه كان يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الاية فجعل يبكي ويردد الى الصباح
ساء ما يحكمون وعن الفضيل انه بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري من اي الفريقين انت ولتجزى معطوف على بالحق
لان فيه معنى التعليل او على معلل محذوف تقديره وخلق الله السموات والارض ليدل بها على قدرته ولتجزى كل نفس اي هو
مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه اليه فكانه يعبده كما يعبد الرجل الهه وقرى الهة هواه لانه كان يستحسن الحجر
فيعبده فاذا راى ما هو احسن رفضه اليه فكانه اتخذ هواه الهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها واضله
الله على علم وتركه عن الهداية واللطف وخذله على علم عالم بان ذلك لا يجدي عليه وانه ممن لا لطف له او مع علمه
بوجوه الهداية واحاطته بانواع الالطاف المحصلة والمقربة فمن يهديه من بعد اضلال الله وقرى غشوة بالحركات
الثلاث وغشوة بالفتح والكسر وقرى تتذكرون نموت ونحيا نموت نحن ونحيا اولادنا او يموت بعض ويحيا بعض او
نكون مواتا نطفا في الاصلاب ونحيا بعد ذلك او يصيبنا الامران الموت والحيوة يريدون الحيوة في الدنيا والموت
بعدها وليس ورا ذلك حيوة وقرى نحيا بضم النون وقرى الا دهر يمر وما يقولون ذلك عن علم ولكن عن ظن وتخمين
كانوا يزعمون ان مرور الايام والليالي هو المؤثر في هلاك الانفس وينكرون ملك الموت وقبضه الارواح بامر الله
وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى اشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه
قوله صلعم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اي فان الله هو الاتي بالحوادث لا الدهر وقرى حجتهم بالنصب والرفع
على تقديم خبر كان وتاخيره فان قلت لم سمي قولهم حجة وليس بحجة قلت لانهم ادلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه
مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم او لانه في حسبانهم وتقديرهم حجة او لانه في اسلوب قولهم تحية بينهم
ضرب وجيع كانه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد نفي ان تكون لهم حجة البتة فان قلت لم كان ... انما انكروا
البعث وكذبوا الرسول وحسبوا ان ما قالوه قول مبكت ... هم مقرون به من ان الله عز وجل هو الذي يحييهم
ثم يميتهم وضم الى الزام ذلك الزام ما هو واجب الاقرار به ان انصفوا واصغوا الى داعي الحق وهو جمعهم
الى يوم القيمة ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بابايهم وكان اهون شي عليه عامل النصب في
يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم جاثية باركة مستوفزة على الركب وقرى جاذية والجذو اشد
استيفازا من الجثو لان الجاذي هو الذي يجلس على اطراف اصابعه وعن ابن عباس جاثية مجتمعة وعن قتادة
جماعات من الجثوة وهي الجماعة وجمعها جثى وفي الحديث من جثى جهنم وقرى كل امة على الابتدا وكل امة على الابدال
من كل امة الى كتابها الى صحايف اعمالها فاكتفى باسم الجنس كقوله ووضع الكتاب وقرى كل امة تدعى الى كتابها
اليوم تجزون محمول على القول فان قلت كيف اضيف الكتاب اليهم والى الله عز وجل قلت الاضافة تكون للملابسة
وقد لابسهم ولابسه اما ملابسته اياهم فلان اعمالهم مثبتة فيه واما ملابسته اياه فلانه مالكه والامر ملايكته
ان يكتبوا فيه اعمال عباده ينطق عليكم يشهد عليكم بما عملتم بالحق من غير زيادة ولا نقصان انا كنا نستنسخ
ما كنتم تعملون اي نستكتب الملايكة اعمالكم ... الملكة
والساعة بالنصب عطفا على الوعد وبالرفع عطفا على محل ان واسمها ما الساعة اي شي الساعة فان قلت ما معنى
ان نظن الا ظنا قلت اصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرفا النفي والاستثنا ليفاد
اثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين سيات ما عملوا اي قبايح
اعمالهم او عقوبات اعمالهم السيات كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ننساكم نترككم في العذاب كما تركتم عدة لقاء
يومكم هذا وهي الطاعة او نجعلكم بمنزلة الشي المنسي غير المبالي به كما لم تبالوا انتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببالكم
كالشي الذي يطرح نسيا منسيا فان قلت ما معنى اضافة اللقا الى اليوم قلت كمعنى اضافة المكر في قوله
بل مكر الليل والنهار اي نسيتم لقاء الله في يومكم هذا ولقا جزايه وقرى لا يخرجون بفتح اليا ولا هم يستعتبون ولا
يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه فلله الحمد فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شي من السموات والارض والعالمين
فان مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثنا على كل مربوب وكبروه فقد ظهرت اثار كبريايه وعظمته في السموات والارض
وحق مثله ان يكبر ويعظم عن رسول الله صلعم من قرا سورة حم الجاثية ستر الله عورته يوم القيامة وسكن روعته
يوم الحساب ؞

سورة الاحقاف مكية وهي اربع وثلاثون اية وقيل خمس ؞ بسم الله الرحمن الرحيم

الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحكمة والغرض الصحيح وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه وهو يوم القيمة والذين كفروا
عما انذروا من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل خلق من انتهايه اليه معرضون لا يومنون به ولا يهتمون بالاستعداد له
ويجوز ان تكون ما مصدرية اي عن انذارهم ذلك اليوم بكتاب من قبل هذا اي من قبل هذا الكتاب وهو القران يعني ان
هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب انزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فاتوا بكتاب
واحد منزل من قبله يشهد بصحة ما انتم عليه من عبادة غير الله او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم
من علوم الاولين من قولهم سمنت الناقة على اثارة من شحم اي على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب وقرى على اثرة
اي من شي اوثرتم به وخصصتم من علم لا احاط به غيركم وقرى اثرة بالحركات الثلاث في الهمزة مع سكون
الثاء فالاثرة بالكسر بمعنى الاثرة واما الاثرة فالمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه واما الاثرة بالضم فاسم ما
يوثر كالخطبة اسم ما يخطب به ومن اضل معنى الاستفهام فيه انكار ان يكون في الضلال كلهم ابلغ ضلالا من عبدة

الاوثان بحيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كل بغية ومرام ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة
له على استجابة احد منهم ما دامت الدنيا والى ان تقوم القيامة واذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا
عليهم ضدا ولعلهم في الدارين الاعلى نكد وحضيض لا ينتفعون بهم في الدنيا بالاستجابة وفي الآخرة تعاديهم
وتجحد عبادتهم وانما قيل من وهم لانه اسند اليهم ما يسند الى اولي العلم من الاستجابة والغفلة ولانهم
كانوا يصفونهم بالتمييز جهلا وغباوة ويجوز ان يريد كل معبود من دون الله من الجن والانس والاوثان
فغلب غير الاوثان عليها وقرئ ما لا يستجيب وقرئ يدعوا غير الله من لا يستجيب ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة
طريقة التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة
يكفرون بشرككم **بينات** جمع بينة وهي الحجة والشاهد او واضحات مبينات واللام في **للحق** مثلها
في قوله للذين آمنوا لو كان خيرا اي لاجل الحق ولاجل الذين آمنوا والمراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم
فوضع الظاهران موضع الضمير للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو عليهم بالحق **لما جاءهم** اي بادهوه
بالجحود ساعة اتاهم واول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر ومن عنادهم وظلمهم انهم سموه سحرا مبينا
ظاهر امره في البطلان لا شبهة فيه **ام يقولون افتراه** اضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا افتراه
ومعنى الهمزة في ام الانكار والتعجيب كأنه قيل دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب وذلك
ان محمدا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون امة العرب لكانت قدرته عليه
معجزة لخرقها العادة واذا كانت معجزة كانت تصديقا من الله له والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفتريا
والضمير للحق والمراد به الآيات **قل ان افتريته** على سبيل الفرض عاجلني الله لا محالة بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون
على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون دفع شيء من عقابه عني فكيف افتريه واتعرض لعقابه يقال فلان لا يملك اذا غضب
ولا يملك عنانه اذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم ومن يرد الله فتنته فلن تملك
له من الله شيئا ومنه قوله عليه السلام لا املك لكم من الله شيئا ثم قال **هو اعلم بما تفيضون فيه** اي تندفعون
فيه من القدح في وحي الله والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى **كفى به شهيدا بيني وبينكم** يشهد لي
بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم **وهو الغفور**
الرحيم موعدة بالغفران والرحمة ان رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا واشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا
فان قلت فما معنى اسناد الفعل اليهم في قوله **فلا تملكون لي** **قلت** كان فيما اتاهم به النصيحة لهم والاشفاق عليهم
من سوء العاقبة وارادة الخير بهم فكأنه قال لهم ان افتريته وانا اريد بذلك التنصح لكم وصدكم عن عبادة
الآلهة الى عبادة الله فما تغنون عني ايها المنصوحون ان اخذني الله بعقوبة الافتراء عليه **البدع** بمعنى البديع
كالخف بمعنى الخفيف وقرئ بدعا بفتح الدال اي ذا بدع ويجوز ان تكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم
كانوا يقترحون عليه الآيات ويسألونه عما لم يوح به اليه من الغيوب فقيل له **قل ما كنت بدعا من الرسل** فآتيكم
بكل ما تقترحونه علي واخبركم بكل ما تسألون عنه من المغيبات فان الرسل لم يكونوا يأتون الا بما
آتاهم الله من آياته ولا يخبرون الا بما اوحي اليهم ولقد اجاب موسى صلوات الله عليه عن قول فرعون فما بال
القرون الاولى بقوله علمها عند ربي وما ادري لانه لا علم لي بالغيب **ما يفعل الله بي ولا بكم** فيما يستقبل
من الزمان من افعاله ويقدر لي ولكم من قضاياه **ان اتبع الا ما يوحى الي** وعن الحسن وما ادري ما يصير
اليه امري وامركم في الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبي قال له اصحابه وقد ضجروا من اذى
المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم أأترك بمكة ام اؤمر بالخروج الى ارض
قد رفعت لي ورأيتها يعني في منامه ذات نخل وشجر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة
وقال هي منسوخة بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويجوز ان يكون نفيا للدراية المفصلة وقرئ
ما يفعل بفتح الياء اي يفعل الله عز وجل **فان قلت** ان يفعل مثبت غير منفي فكان وجه الكلام ما يفعل بي وبكم
قلت اجل ولكن النفي فيما ادري لما كان مشتملا عليه لتناوله ما وما في حيزه صح ذلك وحسن الا ترى
الى قوله اولم يروا ان الله الذي خلق السماوات والارض ولم يعي بخلقهن كيف دخلت الباء في حيز ان وذلك لتناول
النفي اياها مع ما في حيزها وما في ما يفعل يجوز ان تكون موصولة منصوبة وان تكون استفهامية مرفوعة وقرئ
يوحي اي الله عز وجل **جواب** الشرط محذوف تقديره ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به الستم ظالمين
ويدل على هذا المحذوف قوله **ان الله لا يهدي القوم الظالمين** **والشاهد** من بني اسرائيل عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق انه هو النبي صلى الله عليه وسلم المنتظر وقال له اني سائلك
عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام يأكله اهل الجنة وما بال الولد ينزع الى
ابيه او الى امه فقال صلى الله عليه وسلم اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام
يأكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته
فقال اشهد انك رسول الله حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت فان علموا باسلامي قبل ان
تسألهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا
وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال أرأيتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم
عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه
قال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذره قال سعد بن ابي وقاص ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على وجه

الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل **وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله** الضمير للقرآن اي على
مثله في المعنى وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة لمعاني القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويدل
عليه قوله وانه لفي زبر الاولين ان هذا لفي الصحف الاولى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك ويجوز ان يكون المعنى ان كان
من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعني كونه من عند الله **فان قلت** اخبرني عن نظم هذا الكلام لاقف على
معناه من جهة النظم **قلت** الواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط كما عطفته ثم في قوله قل أرأيتم ان كان من عند الله
ثم كفرتم به وكذلك الواو الاخيرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد واما الواو في وشهد فقد عطفت جملة قوله شهد
شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به ونظيره قولك ان احسنت
اليك واسأت واقبلت عليك واعرضت عني لم نتفق في انك اخذت ضمينين تعطفهما على مثليهما والمعنى اخبروني
ان اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة اعلم بني اسرائيل على نزول مثله فايمانه به
مع استكباركم عنه وعن الايمان به الستم اضل الناس واظلمهم وقد جعل الايمان في قوله فآمن مسببا عن
الشهادة على مثله لانه لما علم ان مثله انزل على موسى عليه السلام وانه من جنس الوحي وليس من كلام البشر وانصف
من نفسه فشهد عليه واعترف كان الايمان نتيجة ذلك **للذين آمنوا** لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عامة
من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل صهيب وعمار وابن مسعود فلو كان ما جاء به خيرا ما سبقنا اليه
هؤلاء وقيل لما اسلمت جهينة ومزينة واسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان واسد واشجع لو كان خيرا ما سبقنا
اليه رعاء البهم وقيل ان امة لعمر اسلمت فكان عمر يضربها حتى يفتر ويقول لولا اني فترت لزدتك
ضربا فكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعو اليه محمد حقا ما سبقتنا اليه فلانة وقيل كان اليهود يقولونه
عند اسلام عبد الله بن سلام واصحابه **فان قلت** لا بد من عامل في الظرف في قوله **واذ لم يهتدوا به** ومن متعلق
لقوله فسيقولون وغير مستقيم ان يكون فسيقولون هو العامل في الظرف لتدافع دلالتي المضي والاستقبال
فما وجه هذا الكلام **قلت** العامل في اذ محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله فلما ذهبوا به وقولهم حينئذ
الآن وتقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم **فسيقولون هذا افك قديم** فهذا المضمر صح به الكلام حيث
انتصب به الظرف وكان قوله فسيقولون مسببا عنه كما صح باضماره ان قوله حتى يقول الرسول لما كانت حتى
تجوزها في المضارع ناصبة وقولهم افك قديم كقولهم اساطير الاولين **كتاب موسى** مبتدأ ومن قبله ظرف
واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب اماما على الحال كقولك في الدار زيد قائما وقرئ ومن قبله كتاب موسى
على وآتينا الذي قبله التوراة ومعنى اماما قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام **ورحمة**
لمن آمن به وعمل بما فيه **وهذا القرآن كتاب مصدق** لكتاب موسى او لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب وقرئ
مصدق لما بين يديه **لسانا عربيا** حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل فيه مصدق ويجوز ان ينتصب عن
كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة ويجوز ان يكون مفعولا لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي
وهو الرسول وقرئ **لينذر** بالياء والتاء ولينذر من نذر ينذر اذا حذر **وبشرى** في محل النصب معطوف على
محل لينذر لانه مفعول له وقرئ **حسنا** بضم الحاء وسكون السين وبضمهما وبفتحهما واحسانا وكرها بالفتح والضم
وهما لغتان في معنى المشقة كالفقر والفقر وانتصابه على الحال اي ذات كره او على انه صفة للمصدر اي حملا ذا كره **وحمله وفصاله**
ومدة حمله وفصاله **ثلاثون شهرا** وهذا دليل على ان اقل الحمل ستة اشهر لان مدة الرضاع اذا كانت حولين
لقوله حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقيت للحمل ستة اشهر وقرئ وفصله والفصل والفصال
كالفطم والفطام بناء ومعنى **فان قلت** المراد بيان مدة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال
قلت لما كان الرضاع يليه الفصال ويلابسه لانه ينتهي به ويتم سمي فصالا كما سمي المدة بالامد من قال
كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امده وفيه فائدة وهي الدلالة على الرضاع التام المنتهي
بالفصال ووقته وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده وبلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفي السن التي تستحكم
فيها قوته وعقله وتمييزه وذلك اذا اناف على الثلاثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون
سنة ووجهه ان يكون ذلك اول الاشد وغايته الاربعين وقيل لم يبعث نبي قط الا بعد اربعين
سنة والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكري النعمة عليه
وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه وقيل في العمل المرضي هو الصلوات الخمس **فان قلت** ما معنى قوله
واصلح لي في ذريتي **قلت** معناه ان يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كأنه قال هب لي الصلاح
في ذريتي واوقعه فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي به **من المسلمين** من المخلصين وقرئ **يتقبل ويتجاوز**
بفتح الياء والضمير فيهما لله عز وجل وقرئا بالنون **في اصحاب الجنة** **فان قلت** ما معنى قوله في اصحاب الجنة **قلت** هو نحو قولك اكرمني
الامير في ناس من اصحابه تريد اكرمني في جملة من اكرم منهم ونظمني في عدادهم ومحله النصب على الحال
على معنى كائنين في اصحاب الجنة ومعدودين فيهم **وعد الصدق** مصدر مؤكد لان قوله يتقبل ويتجاوز وعد
من الله لهم بالتقبل والتجاوز وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه وفي ابيه ابي قحافة وامه ام الخير وفي اولاده
واستجابة دعائه فيهم وقيل لم يكن احد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار اسلم هو ووالداه
وبنوه وبناته غير ابي بكر **والذي قال لوالديه** مبتدأ خبره اولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذي قال الجنس القائل ذلك

المتولد لذلك ومع الخبر مجموعا • وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث • وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه • وقيل نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه وقد دعاه أبواه أبو بكر وأمه أم رومان إلى الإسلام فأفف بهما وقال ابعثوا لي جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وهما من أجداده حتى أسألهما عما يقول محمد ويشهد لبطلانه أن المراد بالذي قال جنس القائلين ذلك وأن قوله الذين حق عليهم القول هم أصحاب النار وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم وعن عائشة رضي الله عنها إنكار نزولها فيه وحين كتب معاوية إلى مروان بأن يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لأبنائكم فقال مروان يا أيها الناس هو الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه أف لكما فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت أن أسميه لسميته ولكن الله لعن أباك وأنت في صلبه فأنت فضض من لعنة الله وقرئ أف بالكسر والفتح بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين وهو صوت إذا صوت به الإنسان علم أنه متضجر كما إذا قال حس علم أنه متوجع واللام للبيان معناه هذا التأفيف لكما خاصة ولأجلكما دون غيركما وقرئ أتعدانني بنونين وأتعداني بأحدهما وأتعداني بالإدغام وقد قرأ بعضهم أتعدانني بفتح النون كأنه استثقل اجتماع النونين والكسرتين والياء ففتح الأولى تحريا للتخفيف كما تحراه من أدغم ومن أطرح أحدهما أن أخرج أن أبعث وأخرج من الأرض وقرئ أخرج وقد خلت القرون من قبلي يعني ولم يبعث منهم أحد يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك ومن قولك ويلك دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الإيمان لا حقيقة الهلاك في أمم نحو قوله في أصحاب الجنة وقرئ أن بالفتح على معنى آمن بأن وعد الله حق ولكل من الجنسين المذكورين درجات مما عملوا أي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر ومن أجل ما عملوا منهما فإن قلت كيف قيل درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات قلت يجوز أن يقال ذلك على وجه التغليب لاشتمال كل على الفريقين وليوفيهم وقرئ بالنون تعليله محذوف لدلالة الكلام عليه كأنه قيل وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات وناصب الظرف هو القول المضمر قبل أذهبتم ويعرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف إذا قتلوا به ومنه قوله تعالى النار يعرضون عليها ويجوز أن يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس رضي الله عنه يجاء بهم إليها فيكشف لهم عنها أذهبتم طيباتكم أي ما كتب لكم حظ من الطيبات إلا ما قد أصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها وعن عمر رضي الله عنه لو شئت لدعوت بصلائق وصناب وكراكر وأسنمة ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم طيباتهم فقال أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وعنه لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا ولكني أستبقي طيباتي • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دخل على أهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالأدم ما يجدون لها رقاعا فقال أنتم اليوم خير أم يوم يغدو أحدكم في حلة ويروح في أخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه بأخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل أنتم اليوم خير وقرئ أأذهبتم بهمزة الاستفهام وآأذهبتم بألف بين همزتين الهون الهوان وقرئ عذاب الهوان وقرئ تفسقون بضم السين وكسرها الأحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء إذا اعوج وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة والنذر جمع نذير بمعنى المنذر أو الإنذار من بين يديه من قبله ومن خلفه ومن بعده وقرئ من بين يديه ومن بعده والمعنى أن هودا عليه السلام قد أنذرهم وقال لهم لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم العذاب وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو إنذاره • وعن ابن عباس رضي الله عنه يعني الرسل الذين بعثوا قبله والذين بعثوا في زمانه ومعنى ومن خلفه على هذا التفسير ومن بعد إنذاره هذا إذا علقت وقد خلت النذر بقوله أنذر قومه ولك أن تجعل قوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه اعتراضا بين أنذر قومه وبين ألا تعبدوا ويكون المعنى واذكر إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكرهم لتأفكنا لتصرفنا يقال أفكه عن رأيه عن آلهتنا عن عبادتها بما تعدنا من معاجلة العذاب على الشرك إن كنت صادقا في وعدك فإن قلت من أين طابق قوله إنما العلم عند الله جوابا لقولهم فأتنا بما تعدنا قلت من حيث إن قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب ألا ترى إلى قوله بل هو ما استعجلتم به فقال لهم لا علم عندي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم حكمة وصواب إنما علم ذلك عند الله فكيف أدعوه بأن يأتيكم بعذابه في وقت عاجل تقترحونه أنتم ومعنى وأبلغكم ما أرسلت به وقرئ بالتخفيف أن الذي هو شأني وشرطي أن أبلغكم ما أرسلت به من الإنذار والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط الله بجهدي ولكنكم جاهلون لا تعلمون أن الرسل لم يبعثوا إلا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه فلما رأوه في الضمير وجهان أن يرجع إلى ما تعدنا وأن يكون مبهما قد وضح أمره بقوله عارضا إما تمييزا وإما حالا وهذا الوجه أعرب وأفصح والعارض السحاب الذي يعرض في أفق السماء ومثله الحبي والعنان من حبا وعن إذا عرض

واضافه

وإضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان إلى معرفتين وصفا للنكرة بل هو القول قبله مضمر والقائل هود والدليل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو وقرئ قل بل هو ما استعجلتم به ريح أي قال الله قل تدمر كل شيء تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا إذا هلك لا ترى الخطاب للرائي من كان وقرئ لا ترى على البناء للمفعول بالياء والتاء وبالياء أجود وتاء التأنيث على تأويل ... لا يرى إلا مساكنهم ومنه بيت ذي الرمة وما بقيت إلا الضلوع الجراشع • وقرئ لا ترى إلا مساكنهم ولا يرى إلا مساكنهم وروي أن الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها في الجو حتى ترى كأنها جرادة وقيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروي أول ما عرفوا به أنه عذاب أنهم رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير به الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم وأمال الله عليهم الأحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروي أن هودا لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا إلى جنب عين تنبع • وعن ابن عباس اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما يلين على الجلود وتلذه الأنفس وإنها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة • وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا رأى الريح فزع وقال اللهم إني أسألك خيرها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به وإذا رأى مخيلة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فنقول يا رسول الله ما تخاف فيقول إني أخاف أن يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا فإن قلت ما فائدة إضافة الرب إلى الريح قلت الدلالة على أن الريح وتصريف أعنتها مما يشهد لعظم قدرته لأنها من أعاجيب خلقه وأكابر جنوده وذكر الأمر وكونها مأمورة من جهته عز وعلا يعضد ذلك ويقويه إن نافية أي فيما ما مكناكم فيه إلا أن إن أحسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ومثله مجتنب ألا ترى أن الأصل في مهما ماما فلبشاعة التكرير قلبوا الألف هاء ولقد أغث أبو الطيب في قوله لعمرك ما ما بان منك لضارب وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال لعمرك ما إن بان منك لضارب وقد جعلت إن صلة مثلها فيما أنشده الأخفش يرجي المرء ما إن لا يراه • وتعرض دون أدناه الخطوب • وتؤول بإنا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الأول ولقد جاء عليه غير آية في القرآن هم أحسن أثاثا ورئيا كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا وهو أبلغ في التوبيخ وأدخل في الحث على الاعتبار من شيء أي من شيء من الإغناء وهو القليل منه فإن قلت بم انتصب إذ كانوا يجحدون قلت بقوله فما أغنى فإن قلت لم جرى مجرى التعليل قلت لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك ضربته لإساءته وضربته إذ أساء لأنك إذا ضربته في وقت إساءته فإنما ضربته فيه لوجود إساءته فيه إلا أن إذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف في ذلك ما حولكم يا أهل مكة من القرى من نحو حجر ثمود وقرى قوم لوط وغيرهما والمراد أهل القرى ولذلك قال لعلهم يرجعون القربان ما تقرب به إلى الله أي اتخذوهم شفعاء متقربا بهم إلى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولي اتخذ الراجع إلى الذين المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى وقرئ قربانا بضم الراء والمعنى فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم بل ضلوا عنهم بل غابوا عن نصرتهم وذلك إشارة إلى امتناع نصرة آلهتهم وضلالهم عنهم أي وذلك أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء وقرئ إفكهم والأفك والإفك كالحذر والحذر وقرئ وذلك أفكهم أي ذلك الاتخاذ الذي هذا أثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرئ أفكهم على التشديد للمبالغة وآفكهم جعلهم آفكين وما كانوا يفترون وافتراؤهم صرفنا إليك نفرا من الجن أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد لأنهم جماعة والنفر دون العشرة ويجمع أنفارا وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه لو كان هاهنا أحد من أنفارنا فلما حضروه الضمير للقرآن أي فلما كان بمسمع منهم أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعضده قراءة من قرأ فلما قضى أي أتم قراءته وفرغ منها قالوا أنصتوا قال بعضهم لبعض اسكتوا مستمعين روي أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا إلا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا إلى وادي نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي أو في صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج إليهم يستنصرهم فلم يجيبوه إلى طلبته وأغروا به سفهاءهم • وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وإنما كان يتلو في صلاته

ثم ولوا مستمعين وهو لا يشعر ثم انبأه الله باستماعهم وقيل بل امر الله رسوله ان ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال اني امرت ان اقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن احد غيري فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة في شعب الحجون فخط لي خطا وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم افتتح القران وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفرين ثيابا بيضا فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر الفا والسورة التي قراها عليهم اقرأ باسم ربك فان قلت كيف قالوا من بعد موسى قلت عن عطا انهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى فلذلك قالت من بعد موسى فان قلت لم بعض في قوله من ذنوبكم قلت لان من الذنوب ما لا يغفر بالايمان كذنوب المظالم ونحوها ونحوه قوله عز وجل ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم فان قلت هل للجن ثواب كما للانس قلت اختلف فيه فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار لقوله ويجركم من عذاب اليم واليه كان يذهب ابو حنيفة والصحيح انهم في حكم بني ادم لانهم مكلفون مثلهم فليس بمعجز في الارض اي لا ينجي منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق ونحوه قوله تعالى وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا بقادر محله الرفع لانه خبر ان يدل عليه قراءة عبد الله قادر وانما دخلت الباء لاشتمال النفي في اول الاية على ان وما في حيزها وقال الزجاج لو قلت ما ظننت ان زيدا بقائم جاز كانه قيل اليس الله بقادر الا ترى الى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره لا لرؤيتهم وقرئ يقدر ويقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه ومنه افعيينا بالخلق الاول اليس هذا بالحق محكي بعد قول مضمر وهذا المضمر هو ناصب الظرف وهذا اشارة الى العذاب بدليل قوله فذوقوا العذاب والمعنى التهكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين اولوا العزم اولوا الجد والثبات والصبر ومن يجوز ان يكون للتبعيض ويراد باولي العزم بعض الانبياء قيل هم نوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده واسحق على الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها قال الله تعالى في ادم ولم نجد له عزما وفي يونس ولا تكن كصاحب الحوت ويجوز ان تكون للبيان فيكون اولوا العزم صفة للرسل كلهم ولا تستعجل لكفار قريش بالعذاب اي لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تاخر وانهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة من نهار بلاغ هذا بلاغ اي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة او هذا تبليغ من الرسول فهل يهلك الا الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه ويدل على معنى التبليغ قراءة من قرأ بلغ فهل يهلك وقرئ بلاغا اي بلغوا بلاغا وقرئ يهلك بفتح الياء وكسر اللام وفتحها من هلك وهلك ونهلك بالنون الا القوم الفاسقين ❊ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد صلى الله عليه وسلم مدنية عند مجاهد وقال الضحاك وسعيد بن جبير مكية وهي تسع وثلاثون اية وقيل ثمان ●●●●●

بسم الله الرحمن الرحيم ❊ وصدوا واعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الاسلام او صدوا غيرهم عنه قال ابن عباس رضي الله عنهما هم المطعمون يوم بدر وعن مقاتل كانوا اثني عشر رجلا من اهل الشرك يصدون الناس عن الاسلام ويامرونهم بالكفر وقيل هم اهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد اضل اعمالهم ابطلها واحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل التي هي بمضيعة لا رب لها يحفظها ويعتني بامرها او جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم مغلوبة بها كما يضل الماء في اللبن واعمالهم ما عملوه في كفرهم بما كانوا يسمونه مكارم من صلة الارحام وفك الاسارى وقرى الاضياف وحفظ الجوار وقيل ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله بان نصره عليهم واظهر دينه على الدين كله والذين امنوا قال مقاتل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل هو عام وامنوا بما نزل على محمد اختصاص للايمان بالمنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين ما يجب الايمان به تعظيما لشانه وتعليما لانه لا يصح الايمان ولا يتم الا به واكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله وهو الحق من ربهم وقيل معناها ان دين محمد هو الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره وقرئ نزل

وانزل على البناء للمفعول ونزل على البناء للفاعل ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم واصلح بالهم اي حالهم وشانهم بالتوفيق في امور الدين وبالتسلط على الدنيا بما اعطاهم من النصرة والتاييد ذلك مبتدأ وما بعده خبره اي ذلك الامر وهو اضلال اعمال احد الفريقين وتكفير سيئات الثاني كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق ويجوز ان يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوبا على هذا ومرفوعا على الاول الباطل ما لا ينتفع به وعن مجاهد الباطل الشيطان وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم والضمير راجع الى الناس او الى المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب امثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم فان قلت اين ضرب الامثال قلت في ان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين او في ان جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين لقيتم من اللقاء وهو الحرب فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لا ان الواجب ان تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء وذلك انهم يقولون ضرب الامير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته وضرب ما فيه عيناه اذا قتله وذلك ان قتل الانسان اكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته من المقاتل كما ذكر في قوله بما كسبت ايديكم على ان في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل باشنع صورة وهو حز العنق واطارة العضو الذي هو راس البدن وعلوه واوجه اعضائه ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ او اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به منا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين اي فاما تمنون منا واما تفدون فداء والمعنى التخيير بعد الاسر بين ان يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين ان يفادوهم فان قلت كيف حكم اسارى المشركين قلت اما عند ابي حنيفة واصحابه فاحد امرين اما قتلهم واما استرقاقهم ايهما راى الامام ويقولون في المن والفداء المذكورين في الاية نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب العنق ويجوز ان يراد بالمن ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وكونهم من اهل الذمة وبالفداء ان يفادى باسراهم اسارى المسلمين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن ابي حنيفة والمشهور انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا حربا للمسلمين [illegible] هي القتل والاسترقاق والفداء باسارى المسلمين والمن ويحتج بان رسول الله صلى الله عليه وسلم من على ابي عزة الجمحي وعلى اثال الحنفي وفادى رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند اصحاب الراي وقرئ فدى بالقصر مع فتح الفاء اوزارها الاثقال التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع قال الاعشى واعددت للحرب اوزارها رماحا طوالا وخيلا ذكورا وسميت اوزارها لانه لما لم يكن لها بد من جرها فكانها تحملها وتستقل بها فاذا انقضت فكانها وضعتها وقيل اوزارها اثامها يعني حتى يترك اهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا فان قلت حتى بم تعلقت قلت لا تخلو اما ان تتعلق بالضرب والشد او بالمن والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي رحمه الله انه اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى انه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها الا ان يتاول المن والفداء بما ذكرنا من التاويل ذلك اي الامر ذلك او افعلوا ذلك لانتصر منهم لانتقم منهم ببعض اسباب الهلاك من خسف او رجفة او حاصب او غرق او موت جارف ولكن امركم بالقتال ليبلوا المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض ما وجب لهم من العذاب وقرئ قتلوا بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقاتلوا وقرئ فلن يضل اعمالهم على البناء للمفعول وتضل اعمالهم من ضل وعن قتادة انها نزلت في يوم احد عرفها لهم اعلمها لهم وبينها بما يعلم به كل احد منزلته ودرجته من الجنة قال مجاهد يهتدي اهل الجنة الى مساكنهم منها لا يخطئون كانهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها وعن مقاتل ان الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء اعطاه الله او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة وفي كلام بعضهم عزف كنفوح القماري وعرف كفوح القاري او حددها لهم فجنة كل احد محددة مفرزة عن غيرها من عرف الدار وارفها والعرف والارف الحدود ان تنصروا دين الله ورسوله ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم في مواطن الحرب او على محجة الاسلام والذين كفروا يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره فتعسا لهم كانه قيل اتعس الذين كفروا فان قلت علام عطف قوله واضل اعمالهم قلت على الفعل الذي نصب تعسا لان المعنى فقال تعسا لهم او فقضى تعسا لهم وتعسا له نقيض لعا له قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا يريد فالعثور والانحطاط ابلغ لها من الانتعاش والثبوت وعن ابن عباس يريد في الدنيا العثرة وفي الاخرة التردي في النار كرهوا القران وما انزل الله فيه من التكاليف والاحكام لانهم قد الفوا الاهمال واطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك وتعاظمهم دمر الله عليهم اهلكه ودمر عليه اهلك عليه ما يختص به والمعنى دمر الله عليهم

ما احتض لهم من استيصالهم واولادهم واموالهم وكل ما كان لهم **وللكافرين امثالها** الضمير للعاقبة المذكورة
او للهلكة لان التدمير يدل عليها او للسنة لقوله عز وعلا سنة الله في الذين خلوا **مولى الذين امنوا** وليهم
وناصرهم وفي قراءة ابن مسعود ولي الذين امنوا **ويروى** ان رسول الله صلعم كان في الشعب يوم احد وقد فشت
فيهم الجراحات وفيه نزلت فنادى المشركون اعل هبل فنادى المسلمون الله اعلى واجل فنادى المشركون
يوم بيوم والحرب سجال ان لنا عزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلعم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ان القتلى
مختلفة اما قتلانا فاحياء يرزقون واما قتلاكم ففي النار يعذبون **فان قلت** قوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم
الحق مناقض لهذه الاية **قلت** لا تناقض بينهما لان الله تعالى مولى عباده جميعا على معنى انه ربهم ومالك امرهم
واما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة **يتمتعون** ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا اياما قلائل **وياكلون**
غافلين غير متفكرين في العاقبة **كما تاكل الانعام** في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح **مثوى**
لهم منزل لهم ومقام وقرئ **وكاين** على وزن كاعن واراد **بالقرية** اهلها ولذلك قال **اهلكناهم** كانه قال
وكم من قوم هم اشد قوة من قومك الذين اخرجوك اهلكناهم ومعنى اخرجوك كانوا سبب خروجك **فان قلت**
كيف قال **فلا ناصر لهم** وانما هو امر قد مضى **قلت** مجراه مجرى الحال المحكية كقولك اهلكناهم فهم لا ينصرون **من زين له**
هم اهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ولرسوله **ومن كان على بينة من ربه** اي على حجة من عنده
وبرهان وهو القران المعجز وسائر المعجزات هو رسول الله صلعم وقرئ امن كان على بينة من ربه وقال سوء عمله واتبعوا
للحمل على لفظ من ومعناه **فان قلت** ما معنى قوله **مثل الجنة التي وعد المتقون** فيها انهار كمن هو خالد في النار **قلت**
هو كلام في صورة الاثبات ومعنى النفي والانكار لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله في حيزه
وانخراطه في سلكه وهو قوله افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكانه قيل امثل الجنة كمن هو خالد في
النار اي كمثل جزاء من هو خالد في النار **فان قلت** فلم عري من حرف الانكار وما فائدة التعرية **قلت** تعريته
من حرف الانكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت
التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الانهار وبين النار التي يسقى اهلها الحميم ونظيره قول القائل
افرح ان ارزا الكرام وان اورث ذودا شصائصا نبلا هو كلام منكر للفرح برزية الكرام
ووراثة الذود مع تعريه من حرف الانكار لانطوائه تحت حكم قول من قال اتفرح بموت اخيك وبوراثة
ابله والذي طرح لاجله حرف الانكار ارادة ان يصور قبح ما ازن به فكانه قال له مثلي يفرح بمرزئة
الكرام وبان يستبدل منهم ذودا يقل طائله وهو من التسليم الذي تحته كل انكار **ومثل الجنة** صفة الجنة
العجيبة الشان وهو مبتدا وخبره كمن هو خالد وقوله **فيها انهار** داخل في حكم الصلة كالتكرير لها الا ترى
الى صحة قولك التي فيها انهار ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف هي فيها انهار وكان قائلا قال وما مثلها
فقيل فيها انهار وان يكون في موضع الحال اي مستقرة فيها انهار وفي قراءة علي رضي الله عنه امثال الجنة
اي ما صفاتها كصفات النار وقرئ **اسن** يقال اسن الماء واجن اذا تغير طعمه وريحه وانشد ليزيد بن معوية لعنه الله
لقد سقتني رضابا غير ذي اسن كالمسك فت على ماء العناقيد **من لبن لم يتغير طعمه** كما تتغير البان
الدنيا فلا يعود قارصا ولا حازرا وما يكره من الطعوم **لذة** تانيث لذ وهو اللذيذ او وصف بمصدر
وقرئ بالحركات الثلاث فالجر على صفة الخمر والرفع على صفة الانهار والنصب على العلة اي لاجل لذة الشاربين
والمعنى ما هو الا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا افة من افات الخمر **مصفى**
لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره **ماء حميما** قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة
رؤوسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم **هم المنافقون** كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلعم فيستمعون كلامه ولا يعونه
ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فاذا خرجوا قالوا لاولي العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة
الاستهزاء وقيل كان يخطب فاذا عاب المنافقين خرجوا فقالوا ذلك للعلماء وقيل قالوه لعبد الله
بن مسعود وعن ابن عباس انا منهم وقد سميت فيمن سئل **انفا** وقرئ انفا على فعل نصب على الظرف قال الزجاج
هو من استانفت الشيء اذا ابتداته والمعنى ماذا قال في اول وقت يقرب منا **زادهم** الله هدى بالتوفيق
واتاهم تقواهم اعانهم عليها او اتاهم جزاء تقواهم وعن السدي بين لهم ما يتقون وقرئ واعطاهم وقيل
الضمير في زادهم لقول الرسول او لاستهزاء المنافقين **ان تاتيهم** بدل اشتمال من الساعة نحو ان تطؤهم
من قوله رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقرئ ان تاتهم بالوقف على الساعة واستئناف الشرط وهي في مصاحف
اهل مكة كذلك **فان قلت** فما جزاء الشرط **قلت** قوله **فانى لهم** ومعناه ان تاتهم الساعة فكيف لهم **ذكراهم**
اي تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم الساعة يعني لا تنفعهم الذكرى حينئذ كقوله يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى
فان قلت بم يتصل قوله **فقد جاء اشراطها** على القراءتين **قلت** باتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول
كقولك ان اكرمني زيد فانا حقيق بالاكرام اكرمه والاشراط العلامات قال ابو الاسود
فان كنت قد ازمعت بالصرم بيننا فقد جعلت اشراط اوله تبدو وقيل مبعث محمد خاتم
الانبياء صلى الله عليه وعليهم منها وانشقاق القمر والدخان وعن الكلبي كثرة المال والتجارة
وشهادة الزور وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام وقرئ **بغتة** بوزن جربة
وهي غريبة لم ترد في المصادر اختها وهي مروية عن ابي عمرو وما اخوفني ان تكون غلطة من الراوي

على

على ابي عمرو وان يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم **لما** ذكر حال
المؤمنين وحال الكافرين قال اذا علمت ان الامر كما ذكر من سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء فاثبت على ما انت عليه
من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك والله
يعلم احوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم في معايشكم ومتاجركم ويعلم حيث تستقرون من منازلكم او متقلبكم
في حياتكم **ومثواكم** في القبور او متقلبكم في اعمالكم ومثواكم في الجنة والنار ومثله حقيق بان يتقى ويخشى وان
يستغفر ويسترحم وعن سفيان بن عيينة انه سئل عن فضل العلم فقال الم تسمع قوله حين بدا به **فاعلم انه
لا اله الا الله واستغفر لذنبك** فامر بالعمل بعد العلم وقال اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو الى قوله سابقوا
الى مغفرة من ربكم وقال واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة ثم قال بعد فاحذروهم وقال واعلموا انما غنمتم من شيء
فان لله خمسه ثم امر بالعمل بعده كانوا **يدعون** الحرص على الجهاد ويتمنونه بالسنتهم ويقولون لولا انزلت
سورة في معنى الجهاد **فاذا انزلت سورة** وامروا فيها بما تمنوا وحرضوا عليه كاعوا وشق عليهم وسقطوا
في ايديهم كقوله فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس **محكمة** مبينة غير متشابهة لا تحتمل
وجوها الا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي اشد القران على المنافقين وقيل لها
محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل ان القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم
القيامة وقيل هي المحدثة لانها حين يحدث نزولها لا يتناولها النسخ ثم تنسخ بعد ذلك او تبقى غير منسوخة وفي
قراءة عبد الله سورة محدثة وقرئ فاذا انزلت سورة وذكر فيها القتال على البناء للفاعل ونصب القتال **الذين
في قلوبهم مرض** هم الذين كانوا على حرف غير ثابتي الاقدام **نظر المغشي عليه من الموت** اي تشخص ابصارهم جبنا
وهلعا كما ينظر من اصابته الغشية عند الموت **فاولى لهم** وعيد بمعنى فويل لهم وهو افعل من الولي وهو القرب
ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه **طاعة وقول معروف** كلام مستانف اي طاعة وقول معروف خير لهم
وقيل هي حكاية قولهم اي قالوا طاعة وقول معروف بمعنى امرنا طاعة وقول معروف ويشهد له قراءة ابي يقولون طاعة
وقول معروف **فاذا عزم الامر** اي جد والعزم والجد لاصحاب الامر وانما يسندان الى الامر اسنادا مجازيا
ومنه قوله تعالى ان ذلك لمن عزم الامور **فلو صدقوا الله** فيما زعموا من الحرص على الجهاد او فلو صدقوا في ايمانهم وواطات
قلوبهم فيه السنتهم **عسيتم وعسيتم** لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون عسى ان تفعل وعسى
ان تفعلوا ولا يلحقون الضمائر وقرئ نافع بكسر السين وهو غريب وقد نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب
على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في التوبيخ **فان قلت** ما معنى فهل عسيتم **ان تفسدوا في الارض قلت** معناه هل يتوقع
منكم الافساد **فان قلت** فكيف يصح هذا في كلام الله عز وعلا وهو عالم بما كان وبما يكون **قلت** معناه انكم
لما عهد منكم احقاء بان يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الايمان يا هؤلاء ما ترون
هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل ان تفسدوا
في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا وقيل ان اعرضتم وتوليتم عن دين رسول الله صلعم
وسنته ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام
بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وقرئ وليتم وفي قراءة علي ابن ابي طالب توليتم اي ان تولاكم ولاة
غشمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وافسدتم بافسادهم وقرئ وتقطعوا وتقطعوا من التقطيع
والتقطع **اولئك** اشارة الى المذكورين **لعنهم الله** لافسادهم وقطعهم الارحام فمنعهم الطافه وخذلهم حتى صموا
عن استماع الموعظة وعموا عن ابصار طريق الهدى ويجوز ان يريد بالذين امنوا المؤمنين الخلص الثابتين وانهم
يتشوقون الى الوحي اذا ابطا عليهم فاذا انزلت سورة في معنى الجهاد رايت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها **افلا
يتدبرون القران** ويتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي ثم قال
ام على قلوب اقفالها وام بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بان قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكر وعن قتادة
اذا والله يجدوا في القران زاجرا عن معصية الله لو تدبروه ولكنهم اخذوا بالمتشابه فهلكوا **فان قلت**
لم نكرت القلوب واضيفت الاقفال اليها **قلت** اما التنكير ففيه وجهان ان يراد على قلوب قاسية مبهم
امرها في ذلك او يراد على بعض القلوب وهي قلوب المنافقين واما اضافة الاقفال فلانه يريد الاقفال المختصة
بها وهي اقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح وقرئ اقفالها على المصدر **الشيطان سول لهم** جملة من مبتدا وخبر
وقعت خبرا لان كقولك ان زيدا عمرو مر به **سول لهم** سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقد
اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا **واملى لهم** ومد لهم في الامال والاماني وقرئ واملي
لهم يعني ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم كقوله انما نملي لهم وقرئ واملي لهم على البناء للمفعول اي امهلوا
ومد في عمرهم وقرئ سول لهم ومعناه كيد الشيطان زين لهم على تقدير حذف المضاف **فان قلت**
من هؤلاء **قلت** اليهود كفروا بمحمد صلعم **من بعد ما تبين لهم الهدى** وهو نعته في التوراة وقيل هم
المنافقون **الذين قالوا** القائلون اليهود **والذين كرهوا ما نزل الله** المنافقون وقيل عكسه وانه قول

المنافقين الفريقين والنظر لان اخرجتم لنخرجن معكم وقيل بعض الامر التكذيب برسول الله صلى الله عليه وسلم او بلا اله الا الله
او ترك القتال معه وقيل هو قول احد الفريقين للمشركين سنطيعكم في التظافر على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود
عن الجهاد معه وقيل في بعض الامر في بعض ما تأمرون به او في بعض الامر الذي يهمكم والله يعلم
اسرارهم وقرئ اسرارهم على المصدر قالوا ذلك سرا فيما بينهم فافشاه الله عليهم فكيف يعملون وما
حيلتهم حينئذ وقرئ توفاهم ويحتمل ان يكون ماضيا ومضارعا قد حذفت احدى تائيه كقوله ان الذين
توفاهم الملائكة في وجوههم وادبارهم ذلك اشارة الى التوفي الموصوف ما اسخط الله من كتمان نعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورضوانه الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم اضغانهم احقادهم واخراجها ابرازها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين
واظهارهم على نفاقهم وعداوتهم وكانت صدورهم تغلي حنقا عليهم لاريناكهم لعرفناكهم ودللناك عليهم حتى
تعرفهم باعيانهم لا يخفون عليك بسيماهم بعلامتهم وهو ان يسمهم الله بعلامة يعلمون بها وعن انس رضي الله عنه
ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة
من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة فاصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق فان قلت
اي فرق بين اللامين في فلعرفتهم ولتعرفنهم قلت الاولى هي الداخلة في جواب لو كالتي في لاريناكهم كررت في المعطوف
واما اللام في ولتعرفنهم فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف في لحن القول في نحوه واسلوبه وعن ابن عباس هو قولهم
ما لنا ان اطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا من العقاب وقيل اللحن ان تلحن بكلامك اي تميله الى نحو
من الانحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية قال ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا واللحن يعرفه ذوو الالباب وقيل
للمخطئ لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب اخباركم ما يحكى عنكم وما يخبر به عن اعمالكم لنعلم حسنها من قبيحها لان الخبر
على حسب المخبر عنه ان حسنا فحسن وان قبيحا فقبيح وقرئ يعلمون ويبلو بسكون الواو على معنى ونحن نبلو اخباركم
وقرئ وليبلونكم ويعلم ويبلو بالياء وعن الفضيل انه كان اذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبلنا فانك اذا بلوتنا فضحتنا
وهتكت استارنا وعذبتنا وسيحبط اعمالهم التي عملوها في دينهم يرجون بها الثواب لانها مع كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
باطلة وهم قريظة والنضير او سيحبط اعمالهم التي عملوها والمكايد التي نصبوها في مشاقة الرسول اي سيبطلها
فلا يصلون منها الى اغراضهم بل يستضرون بها ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم وقيل هم رؤساء قريش
والمطعمون يوم بدر ولا تبطلوا اعمالكم اي لا تحبطوها بالكبائر كقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى ان قال
ان تحبط اعمالكم وعن ابي العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك
عمل حتى نزلت ولا تبطلوا اعمالكم فكانوا يخافون الكبائر على اعمالهم وعن حذيفة فخافوا ان تحبط الكبائر اعمالهم وعن
ابن عمر كنا نرى انه ليس شيء من حسناتنا الا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا اعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا
فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن
القول في ذلك فكنا نخاف على من اصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها وعن قتادة رحم الله عبدا لم يحبط عمله
الصالح بعمله السيء وقيل لا تبطلوها بمعصيتهما وعن ابن عباس لا تبطلوها بالرياء والسمعة وعنه بالشك
والنفاق وقيل بالعجب فان العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقيل ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
ثم ماتوا وهم كفار قيل هم اصحاب القليب والظاهر العموم فلا تهنوا ولا تضعفوا ولا تذلوا للعدو
ولا تدعوا الى السلم وقرئ السلم وهما المسالمة وانتم الاعلون اي الاغلبون الاقهرون والله معكم اي ناصركم
وعن قتادة لا تكونوا اول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها بالموادعة وقرئ ولا تدّعوا من ادعى القوم وتداعوا
اذا دعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراموه وتدعوا مجزوم لدخوله في حكم النهي او منصوب لاضمار ان ونحوه
وانتم الاعلون قوله انك انت الاعلى ولن يتركم من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد او اخ او حميم او حربته
وحقيقته افردته من قريبه او ماله من الوتر وهو الفرد فشبه اضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر
وهو من فصيح الكلام ومنه قوله عليه السلام من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر اهله وماله اي افرد عنهما
يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم ولا يسألكم اموالكم اي ولا يسألكم جميعها انما يقتصر
منكم على ربع العشر ثم قال ان يسألكموها فيحفكم اي يجهدكم ويطلبه كله والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية
في كل شيء يقال احفاه في المسألة اذا لم يترك شيئا من الالحاح واحفى شاربه اذا استأصله تبخلوا
ويخرج اضغانكم اي تضطغنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتضيق صدوركم لذلك واظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين
يذهب باموالكم والضمير في يخرج لله عز وجل اي يضغنكم بطلب اموالكم او للبخل
لانه سبب الاضطغان وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والتاء مع فتحها ورفع اضغانكم ها انتم هؤلاء موصول
بمعنى الذين صلته تدعون اي انتم الذين تدعون او انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استأنف
وصفهم كأنهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون لتنفقوا في سبيل الله قيل هي النفقة في الغزو وقيل الزكاة
كأنه قيل الدليل عليه انه لو احفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم انكم تدعون الى اداء ربع العشر

منكم ناس يبخلون به ثم قال ومن يبخل بالصدقة واداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله وانما يبخل على نفسه
يقال بخلت عليه وعنه وكذلك ضننت عليه وعنه ثم اخبر انه لا يأمر بذلك ولا يدعو اليه لحاجته اليه فهو الغني
الذي تستحيل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب وان تتولوا معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا
يستبدل قوما غيركم يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الايمان والتقوى غير متولين عنهما كقوله
ويأت بخلق جديد وقيل هم الملائكة وقيل هم الانصار وعن ابن عباس كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن
عكرمة فارس والروم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال
هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام
الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في اخباره لانها في تحققها وتيقنها
بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى فان قلت كيف جعل
فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام
النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع
لك بين عز الدارين واغراض العاجل والآجل ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا
للغفران والثواب والفتح الظفر بالبلد عنوة او صلحا بحرب او بغير حرب لانه منغلق ما لم يظفر به
فاذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم
بسهام وحجارة وعن ابن عباس رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا
الصلح فان قلت كيف يكون فتحا وقد احصروا فنحروا وحلقوا بالحديبية قلت كان ذلك قبل الهدنة
فلما طلبوها وتمت كان فتحا مبينا وعن موسى بن عقبة اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية راجعا فقال رجل
من اصحابه ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال بئس الكلام هذا بل
هو اعظم الفتوح وقد رضي المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في
الامان وقد رأوا منكم ما كرهوا وعن الشعبي نزلت بالحديبية واصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة
ما لم يصب في غزوة اصاب ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وظهرت الروم
على فارس وبلغ الهدي محله واطعموا نخل خيبر وكان في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها
حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل
فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو فتح خيبر وقيل فتح الروم وقيل فتح الله له
بالاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح ابين منه واعظم وهو رأس الفتوح كلها اذ لا فتح
من فتوح الاسلام الا وهو تحته ومتشعب منه وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على اهل مكة ان تدخلها انت
واصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة وكذا عن قتادة ما تقدم من ذنبك وما تأخر يريد
جميع ما فرط منك وعن مقاتل ما تقدم في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد
نصرا عزيزا فيه عز ومنعة او وصف بصفة المنصور اسنادا مجازيا او عزيزا صاحبه السكينة للسكون كالبهيتة
للبهتان اي انزل الله في قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح والامن ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الامن بعد الخوف
والهدنة غب القتال فيزدادوا يقينا الى يقينهم وانزل فيها السكون الى ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الشرائع ليزدادوا ايمانا
بالشرائع مقرونا الى ايمانهم وهو التوحيد عن ابن عباس رضي الله عنه ان اول ما اتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد فلما آمنوا
بالله وحده انزل الصلوة والزكاة ثم الحج ثم الجهاد فازدادوا ايمانا الى ايمانهم وقيل انزل فيها الرحمة ليتراحموا فيزدادوا
ايمانا الى ايمانهم ولله جنود السموات والارض يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن
قضيته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم ان يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه
ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه ٭ وقع السوء
عبارة عن رداءة الشيء وفساده والصدق عن جودته وصلاحه فقيل في المرضي الصالح من الافعال فعل صدق وفي
المسخوط الفاسد منها فعل سوء ومعنى ظن السوء ظنهم ان الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة
ظافرين فاتحيها عنوة وقهرا عليهم دائرة السوء اي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم
والسوء الهلاك والدمار وقرئ دائرة السوء بالفتح اي الدائرة التي يذمونها ويسخطونها فهي عندهم دائرة
سوء وعند المؤمنين دائرة صدق فان قلت هل من فرق بين السوء والسوء قلت هما كالكره والكره
والضعف والضعف من ساء الا ان المفتوح غلب في ان يضاف الى ما يراد ذمه من كل شيء واما السوء بالضم
فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير يقال اراد به السوء واراد به الخير ولذلك اضيف الظن الى المفتوح
لكونه مذموما وكانت الدائرة محمودة فكان حقها ان لا تضاف اليه الا على التأويل الذي ذكر
واما دائرة السوء بالضم فلان الذي اصابهم مكروه وشدة فصح ان يقع عليه اسم السوء كقوله عز وجل
ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة شاهدا تشهد على امتك كقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا لتؤمنوا
الضمير للناس وتعزروه وتقووه بالنصرة وتوقروه وتعظموه وتسبحوه من التسبيح او من السبحة

والضمائر لله تعالى والمراد بتعزير الله عز وجل تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضماير فقد ابعد وقرئ لتؤمنوا وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بالتاء والخطاب لرسول الله صلعم ولامته وقرئ وتعزروه بضم الزاي وكسرها وتعزروه بضم التا والتخفيف وتعززوه بالزايين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره وتسبحوا الله بكرة واصيلا عن ابن عباس صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر لما قال انما يبايعون الله اكده تاكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله صلعم التي تعلو ايدي المبايعين هي يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله والمراد بيعة الرضوان فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه بايعنا رسول الله صلعم تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فما نكث احد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبا تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم وقرئ انما يبايعون لله اي لاجل الله ولوجهه وقرئ ينكث بضم الكاف وكسرها وبما عاهد وعهد فسيؤتيه بالنون والياء يقال وفيت بالعهد واوفيت به وهي لغة تهامة ومنها قوله تعالى اوفوا بالعقود والموفون بعهدهم هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والديل وذلك انه صلعم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم هو صلعم وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا يذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فيقاتلهم وظنوا انه يهلك ولا ينقلب الى المدينة واعتلوا بالشغل باهاليهم واموالهم وانه ليس لهم من يقوم باشغالهم وقرئ شغلتنا بالتشديد يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في اعتذارهم وان الذي خلفهم ليس بما يقولون وانما هو الشك في الله والنفاق وطلبهم للاستغفار ايضا ليس بصادر عن حقيقة فمن يملك لكم فمن يمنعكم من مشية الله وقضائه ان اراد بكم ما يضركم من قتل او هزيمة او اراد بكم نفعا من ظفر وغنيمة وقرئ ضرا بالفتح والضم الاهلون جمع اهل ويقال اهلات على تقدير تا التانيث كارض وارضات وقد جا اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وقرئ الى اهلهم وزين على البنا للفاعل وهو الشيطان او الله عز وجل وكلاهما جا في القران وزين لهم الشيطان اعمالهم زينا لهم اعمالهم والبور من بار كالهلك من هلك بنا ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمونث ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ والمعنى وكنتم قوما فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم او هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه للكافرين مقام لهم للايذان بان من لم يجمع بين الايمانين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر ونكر سعيرا لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى ولله ملك السموات والارض يدبره تدبير قادر حكيم فيغفر ويعذب بمشيته ومشيته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للتائب وتعذيب المصر وكان الله غفورا رحيما رحمته سابقة لغضبه حيث يكفر السيئات باجتناب الكباير ويغفر الكباير بالتوبة سيقول المخلفون الذين تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم الى مغانم الى غنائم خيبر ان يبدلوا كلام الله وقرئ كلم الله ان يغيروا موعد الله لاهل الحديبية وذلك انه وعدهم ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيئا وقيل هو قوله تعالى لن تخرجوا معي ابدا تحسدوننا ان نصيب معكم من الغنائم وقرئ بضم السين وكسرها لا يفقهون لا يفهمون الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا دون امور الدين كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا فان قلت ما الفرق بين حرفي الاضراب قلت الاول اضراب معناه رد ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو اطم منه وهو الجهل وقلة الفقه قل للمخلفين هم الذين تخلفوا عن الحديبية الى قوم اولي باس شديد يعني بني حنيفة قوم مسيلمة واهل الردة الذين حاربهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه لان مشركي العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف عند ابي حنيفة ومن عداهم من مشركي العجم واهل الكتاب والمجوس يقبل منهم الجزية وعند الشافعي لا تقبل الجزية الا من اهل الكتاب والمجوس دون مشركي العجم والعرب وهذا دليل على امامة ابي بكر رضي الله عنه فانهم لم يدعوا الى حرب في ايام رسول الله صلعم ولكن بعد وفاته وكيف يدعوهم رسول الله مع قوله تعالى قل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون لان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم اعطا الجزية فان قلت عن قتادة انهم ثقيف وهوازن وكان ذلك في ايام رسول الله صلعم قلت ان صح ذلك فالمعنى لن تخرجوا معي ابدا ما دمتم على ما انتم عليه من مرض القلوب والاضطراب في الدين او على قول مجاهد كان الموعد انهم لا يتبعون رسول الله صلعم الا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم كما توليتم من قبل يريد في غزوة الحديبية او يسلمون معطوف على تقاتلونهم اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا ثالث لهما وفي قراءة ابي او يسلموا بمعنى الى ان يسلموا ليس على الاعمى حرج نفى الحرج عن هولاء من ذوي العاهات في التخلف عن الغزو وقرئ يدخله ونعذبه بالنون هي بيعة الرضوان سميت بهذه الاية وقصتها ان النبي صلعم حين نزل الحديبية بعث خراش بن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فلما رجع دعا بعمر رضي الله عنه ليبعثه فقال اني اخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي اياهم وما بمكة عدوي يمنعني ولكني ادلك على رجل هو اعز بها مني

عثمان بن عفان فبعثه فاخبرهم انه لم يات لحرب وانما جا زايرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله صلعم واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال رسول الله صلعم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة قال جابر بن عبد الله لو كنت ابصر لاريتكم مكانها وقيل كان رسول الله صلعم جالسا في اصل الشجرة وعلى ظهره غصن من اغصانها قال عبد الله بن المغفل وكنت قائما على راسه وبيدي غصن من الشجرة اذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره فبايعوه على الموت دونه وعلى ان لا يفروا فقال لهم رسول الله صلعم انتم اليوم خير اهل الارض فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه فانزل السكينة عليهم اي الطمانينة والامن بسبب الصلح على قلوبهم واثابهم فتحا قريبا وقرئ وآتاهم وهو فتح خيبر غب انصرافهم من مكة ومغانم كثيرة ياخذونها هي مغانم خيبر وكانت ارضا ذات عقار واموال فقسمها عليهم وعدكم الله مغانم كثيرة وهي ما يفي على المؤمنين الى يوم القيامة فعجل لكم هذه المغانم يعني مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم يعني ايدي اهل خيبر وحلفائهم من اسد وغطفان حين جاؤوا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل ايدي اهل مكة بالصلح ولتكون هذه الكفة آية للمؤمنين وعبرة يعرفون بها انهم من الله بمكان وانه ضامن نصرهم والفتح عليهم وقيل راى رسول الله صلعم فتح مكة في منامه ورؤيا الانبيا وحي فتاخر ذلك الى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة ويهديكم صراطا مستقيما ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله واخرى معطوفة على هذه اي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها وهي مغانم هوازن في غزوة حنين وقال لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها اي قدر عليها واستولى واظهركم عليها وغنمكم اياها ويجوز في اخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد احاط الله بها تقديره وقضى الله اخرى قد احاط بها واما لم تقدروا عليها فصفة لاخرى والرفع على الابتدا لكونها موصوفة بلم تقدروا وقد احاط الله بها خبر المبتدا والجر باضمار رب فان قلت قوله ولتكون آية للمؤمنين كيف موقعها قلت هو كلام معترض ومعناه ولتكون الكفة آية للمؤمنين فعل ذلك ويجوز ان يكون المعنى وعدكم المغانم فعجل هذه الغنيمة وكف الاعدا لينفعكم بها ولتكون آية للمؤمنين اذا وجدوا وعد الله بها صادقا لان صدق الاخبار عن الغيوب معجزة وآية ويزيدكم بذلك هداية وايقانا ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا وقيل من حلفا اهل خيبر لغلبوا وانهزموا سنة الله في موضع المصدر المؤكد اي سن الله غلبة انبيايه سنة وهو قوله لاغلبن انا ورسلي ايديهم ايدي اهل مكة اي قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان ذلك في غزوة الحديبية لما روي ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة فبعث رسول الله صلعم من هزمه وادخله حيطان مكة وعن ابن عباس رضي الله عنه اظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت وقرئ تعملون بالتاء والياء والهدي وقرئ والهدي بتخفيف الياء وتشديدها وهو ما يهدى الى الكعبة بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم اي صدوكم وصدوا الهدي وبالجر عطفا على المسجد الحرام بمعنى وصدوكم عن نحر الهدي معكوفا ان يبلغ محله محبوسا عن ان يبلغ وبالرفع على وصد الهدي ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره اي يجب وهذا دليل لابي حنيفة على ان المحصر محل هديه الحرم فان قلت فكيف حل رسول الله صلعم ومن معه وانما نحر هديهم بالحديبية قلت بعض الحديبية من الحرم وروي ان مضارب رسول الله صلعم كانت في الحل ومصلاه في الحرم فان قلت فاذن قد نحر في الحرم فلم قيل معكوفا ان يبلغ محله قلت المراد المحل المعهود وهو منى لم تعلموهم صفة للرجال والنسا جميعا ان تطاوهم بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم والمعرة مفعلة من عره بمعنى عراه اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه بغير علم متعلق بان تطاوهم يعني ان تطاوهم غير عالمين بهم والوطء والدوس عبارة عن الايقاع والابادة قال ووطئتنا وطئا على حنق وطء المقيد نابت الهرم وقال رسول الله صلعم وان آخر وطأة وطئها الله بوج والمعنى انه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفي الاماكن فقيل ولولا كراهة ان تهلكوا ناسا مؤمنين بين ظهراني المشركين وانتم غير عارفين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف ايديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه ويجوز ان يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب فان قلت اي معرة تصيبهم اذا قتلوهم وهم لا يعلمون قلت يصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء قالة المشركين انهم فعلوا باهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والماثم اذا جرى منهم بعض التقصير فان قلت قوله ليدخل الله في رحمته من يشا تعليل لماذا قلت لما دلت عليه الاية وسيقت له من كف الايدي عن اهل مكة والمنع عن قتلهم صونا لما بين اظهرهم من المؤمنين كانه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم او ليدخل في الاسلام

من رغب فيه من مشركيهم **لو تزيلوا** لو تفرقوا او تميز بعضهم من بعض من زاله يزيله وقرئ لو تزايلوا **اذ** يجوز ان يعمل فيه ما قبله اى لعذبناهم او صدوهم عن المسجد الحرام في ذلك الوقت وان ينتصب باضمار اذكر والمراد **بحمية الذين كفروا** وسكينة المؤمنين والحمية الانفة والسكينة الوقار روى ان رسول الله صلعم لما نزل بالحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشى وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على ان يعرضوا على النبى صلعم ان يرجع من عامه ذلك على ان تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل واصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله صلعم اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فانا اشهد انى رسول الله وانا محمد بن عبد الله فهم المسلمون ان يأبوا ذلك ويشمئزوا منه فانزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا **وكلمة التقوى** بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله قد اختارها الله لنبيه صلعم وللذين معه اهل الخير ومستحقيه ومن هم اولى بالهداية من غيرهم وقيل كلمة اهل التقوى وفى مصحف الحارث بن سويد صاحب عبد الله وكانوا اهلها واحق بها وهو الذى في مصحفه رأى رسول الله صلعم قبل خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة امنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها من عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله صلعم حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن ابى وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت ومعنى **صدق الله رسوله الرؤيا** صدقه فى رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب وعن كل قبيح علوا كبيرا فحذف الجار واوصل الفعل كقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه **فان قلت** بم تعلق بالحق **قلت** اما بصدق اى صدقه فيما رأى وفى كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق اى بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن المخلص وبين من فى قلبه مرض ويجوز ان يتعلق بالرؤيا حالا منها اى صدقه الرؤيا ملتبسة بالحق على معنى انها لم تكن من اضغاث الاحلام ويجوز ان يكون بالحق قسما اما بالحق الذى هو نقيض الباطل او بالحق الذى هو من اسمائه و**لتدخلن** جوابه وعلى الاول هو جواب قسم محذوف **فان قلت** ما وجه دخول **ان شاء الله** فى اخبار الله عز وجل **قلت** فيه وجوه ان يعلق عدته بالمشية تعليما لعباده ان يقولوا فى عداتهم مثل ذلك متأدبين بادب الله ومقتدين بسنته او يريد لتدخلن جميعا ان شاء الله ولم يمت منكم احد او كان ذلك على لسان ملك فادخل الملك ان شاء الله او هى حكاية ما قال رسول الله صلعم لاصحابه وقص عليهم وقيل هو متعلق بامنين **فعلم ما لم تعلموا** من الحكمة والصواب فى تأخير فتح مكة الى العام القابل **فجعل من دون ذلك** اى من دون فتح مكة **فتحا قريبا** وهو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الفتح الموعود **بالهدى ودين الحق** بدين الاسلام **ليظهره** ليعليه **على الدين كله** على جنس الدين كله يريد الاديان المختلفة من اديان المشركين والجاحدين واهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فانك لا ترى دينا قط الا وللاسلام دونه العز والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى حين لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والايات وفى هذه الاية تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على ان الله تعالى سيفتح لهم من البلاد ويقيض لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة **وكفى بالله شهيدا** على ان ما وعده كائن وعن الحسن شهد على نفسه انه سيظهر دينك **محمد** اما خبر مبتدأ اى هو محمد لتقدم قوله هو الذى ارسل رسوله واما مبتدأ و**رسول الله** عطف بيان وعن ابن عامر انه قرئ رسول الله صلعم بالنصب على المدح **والذين معه** اصحابه **اشداء على الكفار رحماء بينهم** جمع شديد ورحيم ونحوه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين واغلظ عليهم بالغ فى تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه والمصافحة لم تختلف فيها الفقهاء واما المعانقة فقد كرهها ابو حنيفة رحمه الله وكذلك التقبيل قال لا احب ان يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيئا من جسده وقد رخص ابو يوسف فى المعانقة ومن حق المسلمين فى كل زمان ان يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف فيتشددوا على من ليس من ملتهم ويتحاموه ويعاشروا اخوتهم فى الاسلام بالبر والصلة وكف الاذى والمعونة والاحتمال والاخلاق السجيحة ووجه من قرأ اشداء او رحماء بالنصب ان ينصبهما على المدح او على الحال بالمقدر فى معه ويجعل تراهم الخبر **سيماهم** علامتهم وقرئ سيمياؤهم وفيها ثلاث لغات هاتان والسيماء والمراد بها السمة التى تحدث فى جبهة السجاد من كثرة السجود **من اثر**

السجود يفسرها اى من التأثير الذى يؤثره السجود وكان كل من العليين على الحسين وعلى بن عبد الله بن العباس ابى الاملاك يقال له ذو الثفنات لان كثرة سجودهما احدثت فى مواقعها منهما اشباه ثفنات البعير وقرئ من اثر السجود ومن اثار السجود وكذا عن سعيد بن جبير هى السمة فى الوجه **فان قلت** فقد جاء عن النبى صلعم لا تعلبوا صوركم وعن ابن عمر رضى الله عنهما انه رأى رجلا قد اثر السجود فى وجهه فقال ان صورة وجهك انفك فلا تعلب وجهك ولا تشن صورتك **قلت** ذلك اذا اعتمد بجبهته على الارض لتحدث فيه تلك السمة وذلك رياء ونفاق يستعاذ بالله منه ونحن فيما حدث فى جبهة السجاد الذى لا يسجد الا خالصا لوجه الله وعن بعض المتقدمين كنا نصلى فلا يرى بين اعيننا شئ ونرى احدنا الان يصلى فترى بين عينيه ركبة البعير فما ندرى أثقلت الرؤوس ام خشنت الارض وانما اراد بذلك من تعمد ذلك للنفاق وقيل هو صفرة الوجه من خشية الله وعن الضحاك ليس بالندب فى الوجوه ولكنه صفرة وعن سعيد بن المسيب ندى الطهور وتراب الارض وعن عطاء استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل كقوله من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار **ذلك** الوصف **مثلهم** اى وصفهم العجيب الشأن فى الكتابين جميعا ثم ابتدأ فقال **كزرع** يريد هم كزرع وقيل تم الكلام عند قوله ذلك مثلهم فى التورية ثم ابتدأ ومثلهم فى الانجيل كزرع ويجوز ان يكون ذلك اشارة مبهمة اوضحت بقوله كزرع اخرج شطأه كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرئ فى الانجيل بفتح الهمزة **شطأه** فراخه يقال اشطأ الزرع اذا افرخ وقرئ شطأه بفتح الطاء وشطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا **فآزره** من الموازرة وهى المعاونة وعن الاخفش انه افعل وقرئ فأزره بالتخفيف والتشديد اى فشد ازره وقواه ومن جعل ازر بمعنى فعل فهو فى معنى القراءتين **فاستغلظ** فصار من الدقة الى الغلظ **فاستوى على سوقه** فاستقام على قصبه جمع ساق وهو مكتوب فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة اخرج شطأه بابى بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلى وهذا مثل ضربه الله لبدء امر الاسلام وترقيه فى الزيادة الى ان قوى واستحكم لان النبى صلعم قام وحده ثم قواه الله تعالى بمن امن معه كما يقوى الطاقة الاولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع **فان قلت** قوله **ليغيظ بهم الكفار** تعليل لماذا **قلت** لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم فى الزيادة والقوة ويجوز ان يعلل به **وعد الله الذين امنوا** لان الكفار اذا سمعوا بما اعد لهم فى الاخرة مع ما يعزهم به فى الدنيا غاظهم ذلك ومعنى **منهم** البيان كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان • عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

سورة الحجرات مدنية وهى ثمانى عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم

قدمه واقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه فى قوله تعالى يقدم قومه ونظيرهما معنى ونقلا سلفه واسلفه **لا تقدموا** من غير ذكر مفعول وجهان احدهما ان يحذف ليتناول كل ما يقع فى النفس مما تقدم والثانى ان لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ويتوجه بالنهى الى نفس التقدمة كانه قيل لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم بسبيل كقوله هو الذى يحيى ويميت ويجوز ان يكون من قدم بمعنى تقدم كوجه وبين ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته وهى الجماعة المتقدمة منه وتعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف احدى تاءى تتقدموا الا ان الاول املأ بالحسن واوجه واشد ملاءمة لبلاغة القرآن والعلماء له اقبل وقرئ لا تقدموا من القدوم اى لا تقدموا الى امر من امور الدين قبل قدومهما ولا تعجلوا عليهما وحقيقة قولهم جلست بين يدى فلان ان تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشئ باسم غيره اذا جاوره وداناه فى غير موضع وقد جرت هذه العبارة ههنا على سنن ضرب من المجاز وهو الذى يسميه اهل البيان تمثيلا ولجريها هكذا فائدة جليلة ليست فى الكلام العريان وهو تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على امر من الامور دون الاحتذاء على امثلة الكتاب والسنة والمعنى ان لا تقطعوا امرا الا بعد ما يحكمان به ويأذنان فيه فتكونوا اما عاملين بالوحى المنزل واما مقتدين برسول الله صلعم وعليه يدور تفسير ابن عباس وعن مجاهد لا تفتاتوا على الله شيئا حتى يقصه على لسان رسوله صلعم ويجوز ان يجرى مجرى قولك سرنى زيد وحسن حاله واعجبنى عمرو وكرمه وفائدة هذا الاسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان لرسول الله صلعم بالمكان الذى لا يخفى سلك به ذلك المسلك وفى هذا تمهيد وتوطئة لما نقم منهم فيما يتلوها من رفع اصواتهم فوق صوته لان من احظاه الله بهذه الاثرة واختصه هذا الاختصاص القوى كان ادنى ما يجب له من التهيب والاجلال ان يخفض بين يديه الصوت ويخافت لديه بالكلام وقيل بعث رسول الله صلعم الى تهامة سرية سبعة وعشرين رجلا عليهم المنذر بن عمرو الساعدى فقتلهم بنو عامر وعليهم عامر بن الطفيل الا ثلاثة نفر نجوا فلقوا رجلين

من بني سليم قرب المدينة فاعتزيا الى بني عامر لانهم اعز من سليم فقتلوهما وسلبوهما ثم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال بئس ما صنعتم كانا من سليم والسلب ما كسوتهما فوداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت اي لا تعملوا شيئا
من ذات انفسكم حتى تستأمروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن مسروق دخلت على عائشة رضي الله عنها في اليوم الذي يشك فيه
فقالت للجارية اسقيه عسلا فقلت اني صائم فقالت قد نهى الله عن صوم هذا اليوم وفيه نزلت وعن
الحسن ان اناسا ذبحوا يوم الاضحى قبل الصلوة فنزلت وامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعيدوا ذبحا آخر وهو
مذهب ابي حنيفة رحمه الله الا ان تزول الشمس وعند الشافعي الذبح اذا مضى من الوقت مقدار
الصلوة وعن الحسن ايضا لما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اتته الوفود من الآفاق فاكثروا عليه بالمسائل
فنهوا ان يبتدئوه بالمسألة حتى يكون هو المبتدئ وعن قتادة ذكر لنا ان ناسا كانوا يقولون لو انزل
في كذا لكان كذا فكره الله ذلك منهم وانزلها وقيل هي عامة في كل قول وفعل ويدخل فيها انه اذا جرت
مسألة في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسبقوه بالجواب وان لا يمشى بين يديه الا لحاجة وان يستأنى
في الافتتاح بالطعام **واتقوا الله** فانكم ان اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها وعن جميع ما
تقتضي مراقبة الله تجنبه فان التقي حذر لا يشافه امرا الا عن ارتياع من الريبة والخوف الشكي وانه
لا يبلغه عليه فيه وههنا لا تعوق لمن يقارف بعض الرذائل الا تفعل هذا وتحفظ مما تلصق بك العار
وتنهاه اولا عن عين ما قارفه ثم تعم وتشيع وتأمره بما لو امتثل فيه امرك لم يرتكب تلك
الفعلة وكلما تضرب في طريقها ويتعلق بسببها **ان الله سميع** لما تقولون **عليم** لما تعملون وحق مثله
ان يتقى ويراقب **اعادة** النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتطرية
الانصات لكل حكم نازل وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأملهم وما اخذوا به عند حضور مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الادب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم وذلك في اعظام
صاحب الشرع اعظام ما ورد به ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه ان يألو عملا مما يجدوه عليه
وارتداعا عما نهاه عنه وانتهاء الى كل خير والمراد بقوله **لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي** انه اذا
نطق ونطقتم فعليكم الا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وان تغضوا منها بحيث يكون
كلامه غالبا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته واضحة وامتيازه
عن جمهوركم كشية الابلق غير خاف لا ان تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا منطقه بصخبكم وبقوله
ولا تجهروا له بالقول انكم اذا كلمتموه وهو صامت فاياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم ان لا تبلغوا
به الجهر الدائر بينكم وان تتعمدوا في مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر كما تكون مخاطبة
المهيب المعظم عاملين بقوله عز اسمه وتعزروه وتوقروه وعن ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله
والذي انزل عليك الكتاب لا اكلمك الا السرار او اخا السرار حتى القى الله وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم كاخي السرار
لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون
ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف
والاستهانة لان ذلك كفر والمخاطبون مؤمنون وانما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه
غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء فيتكلف الغض منه ورده الى حد يميل به الى ما
يستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقير ولم يتناول النهي ايضا رفع الصوت الذي لا يتأذى
به رسول الله وهو ما كان منهم في حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو وما اشبه ذلك وفي
الحديث انه قال عليه السلام للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان
العباس اجهر الناس صوتا يروى ان غارة اتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه فاسقطت الحوامل
لشدة صوته وفيه يقول نابغة بني جعدة . زجر ابي عروة السباع اذا . اشفق ان يختلطن بالغنم
زعمت الرواة انه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
لا ترفعوا باصواتكم والباء مزيدة محذو بها حذو التشديد في قول الا عالم الهذلي . [illegible] رفعت عيني بالحجاز
الى اناس بالمناقب . وليس المعنى في هذه القراءة انهم نهوا عن الرفع الشديد تخيلا ان يكون ما دون
الشديد مسوغا لهم ولكن المعنى نهيهم عما كانوا عليه من الجلبة واستجفاؤهم فيما كانوا يفعلون وعن
ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت وكان
اذا كلم رفع صوته وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وعن انس انه لما
نزلت فقد ثابت تفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه
الآية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لست هناك انك تعيش بخير
وتموت بخير وانك من اهل الجنة واما ما يروى عن الحسن انها نزلت فيمن كان يرفع صوته
من المنافقين فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم فمحمله والخطاب للمؤمنين على ان ينهى المؤمنون ليندرج المنافقون
تحت النهي ليكون الامر اغلظ عليهم واشق وقيل كان المنافقون يرفعون اصواتهم ليظهروا قلة
مبالاتهم به فيقتدي بهم ضعفة المسلمين كاف التشبيه في محل النصب اي لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم
لبعض وفي هذا انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا ان يكلموه بالهمس والمخافتة وانما

فهوا

فهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة اعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم وهو الخلو من
مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط سائر الرتب وان جلت عن رتبتها **ان تحبط اعمالكم** منصوب
الموضع على انه مفعول له وفي متعلقه وجهان احدهما ان يتعلق بمعنى النهي فيكون المعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط
اعمالكم اي لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف كقوله يبين الله لكم ان تضلوا والثاني ان يتعلق بنفس الفعل
ويكون المعنى انهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه لاجل الحبوط لانه لما كان بصدد الاداء الى الحبوط جعل كانه فعل لاجله
وكانه العلة والسبب في ايجاده على سبيل التمثيل كقوله ليكون لهم عدوا وحزنا **فان قلت** لخص الفرق بين الوجهين **قلت**
تلخيصه ان يقدر الفعل في الثاني مضموما اليه المفعول له كانهما شيء واحد ثم يصب النهي عليهما جميعا صبا وفي الاول
يقدر النهي موجها على الفعل على حياله ثم يعلل له منهيا عنه **فان قلت** باي النهيين تعلق المفعول له **قلت** بالثاني
عند البصريين مقدرا اضماره عند الاول كقوله تعالى آتوني افرغ عليه قطرا وبالاول عند الكوفيين وايهما كان فمرجع المعنى الى ان
الرفع والجهر كلاهما منصوص اداؤه الى حبوط العمل وقراءة ابن مسعود فتحبط اعمالكم اظهر نصا بذلك لان ما بعد الفاء لا يكون الا مسببا
عما قبله فيتنزل الحبوط من الجهر منزلة الحلول من الطغيان في قوله ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي والحبوط من حبطت
الابل اذا اكلت الخضر فنفخت بطونها وربما هلكت ومنه قوله عليه السلام وان مما ينبت الربيع لما يقتل حبطا او يلم واخوه
حبجت الابل اذا اكلت العرفج فاصابها ذلك واحبط عمله مثل احبطه وحبط الجرح وحبر اذا غفر وهو نكسه وترامى
الى الفساد **جعل** العمل السيئ في اضراره بالعمل الصالح كالداء والحرض لمن يصاب به اعاذنا الله من حبط الاعمال وخيبة الآمال
وقد دلت الآية على امرين هائلين احدهما ان فيما يرتكب من يؤمن من الآثام ما يحبط عمله والثاني ان في آثامه ما لا يدري انه محبط
ولعله عند الله كذلك فعلى المؤمن ان يكون في تقواه كالماشي في طريق شائك لا يزال يحترز ويتوقى ويتحفظ
امتحن الله قلوبهم للتقوى من قولك امتحن فلان لامر كذا وجرب له ودرب للنهوض به فهو مضطلع به غير وان
عنه والمعنى انهم صبر على التقوى اقوياء على احتمال مشاقها او وضع الامتحان موضع المعرفة لان تحقق الشيء
باختباره كما يوضع الخبر موضعها فكانه قيل عرف الله قلوبهم للتقوى وتكون اللام متعلقة بمحذوف واللام هي التي في قولك
انت لهذا الامر اي كائن له ومختص به قال . انت لها احمد من بين البشر . وقال . اعداء من لليعملات على الوجى .
وهي مع معمولها منصوبة على الحال او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الصعبة لاجل التقوى اي لتثبت وتظهر تقواها
ويعلم انهم متقون لان حقيقة التقوى لا تعلم الا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها وقيل اخلصها للتقوى من قولهم
امتحن الذهب وفتنه اذا اذابه فخلص ابريزه من خبثه [illegible] قال ابو عمرو وكل شيء جهدته فقد محنته وانشد
اتت رذايا باديا كلالها . قد محنت واضطربت آطالها . [illegible] نزلت في الشيخين لما كان فيهما من غض الصوت
والبلوغ به اخا السرار وهذه الآية بنظمها الذي رتبت عليه من ايقاع الغاضين اصواتهم اسما لان المؤكدة
وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر معرفتين معا والمبتدأ اسم الاشارة واستئناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على
عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهما امره ناظرة في الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين وقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خفض اصواتهم وفي الاعلام بمبلغ عزة رسول الله وقدر شرف منزلته وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون اصواتهم
واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء **من وراء الحجرات** الوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص بظلمته من خلف او قدام ومن لابتداء
الغاية وان المناداة نشأت من ذلك المكان **فان قلت** افرق بين الكلامين بين ما تثبت فيه وما تسقط عنه
قلت الفرق بينهما ان المنادي والمنادى في احدهما يجوز ان يجمعهما الوراء وفي الثاني لا يجوز لان الوراء تصير بدخول من
مبتدأ الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة ان تكون مبتدأ ومنتهى لفعل واحد والذي يقول ناداني فلان من وراء
الدار لا يريد وجه الدار ولا دبرها ولكن اي قطر من اقطارها الظاهرة كان مطلقا بغير تعيين واختصاص
والانكار لم يتوجه عليهم من قبل ان النداء منهم وقع في ادبار الحجرات او في وجوهها وانما انكر عليهم انهم نادوه
من البر والخارج مناداة الاجلاف بعضهم لبعض من غير قصد الى جهة دون جهة **والحجرة** الرقعة من الارض
المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى الحجرة وهي فعلة بمعنى مفعولة كالغرفة والقبضة وجمعها الحجرات
بضمتين والحجرات بفتح الجيم والحجرات بتسكينها وقرئ بهن جميعا والمراد حجرات نساء النبي صلى الله عليه وسلم وكانت لكل واحدة منهن حجرة ومنا
داتهم من ورائها يحتمل انهم قد تفرقوا على الحجرات متطلبين له فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك
وانهم قد اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها وانهم نادوه من وراء الحجرة التي كان فيها ولكنها جمعت اجلالا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمكان حرمته والفعل وان كان مسندا الى جميعهم فانه يجوز ان يتولاه بعضهم وكان الباقون
راضين فكانهم تولوه جميعا فقد ذكر الاصم ان الذي ناداه عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والاخبار **عن اكثرهم**
بانهم لا يعقلون يحتمل ان يكون فيهم من قصد بالمحاشاة ويحتمل ان يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدا الى نفي
ان يكون فيهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفي في كلامهم وروي ان وفد بني تميم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقت الظهيرة وهو راقد فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج الينا فاستيقظ فخرج ونزلت وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فقال
هم جفاة بني تميم لولا انهم من اشد الناس قتالا للاعور الدجال لدعوت الله عليهم ان يهلكهم وورود الآية
على النمط الذي وردت عليه فيه ما لا يخفى على الناظر من بينات اكبار محل رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلاله منها
مجيئها على النظم المسجل على الصائحين به بالسفه والجهل لما اقدموا عليه ومنها لفظ الحجرات وايقاعها كناية
عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها المرور على لفظها بالاقتصار على القدر الذي تبين به

ما استنكر عليهم ومنها التعريف باللام دون الإضافة ومنها أن شفع ذمهم باستجفائهم واستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز في المخاطبات تهوينا للخطب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له وإماطة لما تداخله من إيحاش تعجرفهم وسوء أدبهم وهلم جرا من أول السورة إلى آخر هذه الآية فتأمل كيف ابتدئ بإيجاب أن تكون الأمور التي تنتمي إلى الله ورسوله متقدمة على الأمور كلها من غير حصر ولا تقييد ثم أردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كأن الأول بساط للثاني ووطاء لذكره ثم ذكر ما هو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضوا أصواتهم دلالة على عظيم موقعه عند الله ثم جيء على عقب ذلك بما هو أطم وهجنته أتم من الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم في حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر كما يصاح بأهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما أجروا إليه وجسروا عليه لأن من رفع الله قدره عن أن يجهر له بالقول حتى خاطبه جلة المهاجرين والأنصار بأخي السرار كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغا ومن هذا وأمثاله يقتطف ثمر الألباب وتقتبس محاسن الآداب كما يحكى عن أبي عبيد ومكانه من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا يخفى أنه قال ما دققت بابا على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه. أنهم صبروا في موضع الرفع على الفاعلية لأن المعنى ولو ثبت صبرهم والصبر حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها قال الله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وهو حبس فيه شدة ومشقة على المحبوس ولهذا قيل للحبس على اليمين أو القتل صبر وفي كلام بعضهم الصبر مر لا يتجرعه إلا حر. فإن قلت هل من فرق بين حتى تخرج وإلى أن تخرج قلت إن حتى مختصة بالغاية المضروبة تقول أكلت السمكة حتى رأسها ولو قلت حتى نصفها أو صدرها لم يجز وإلى عامة في كل غاية فقد أفادت حتى بوضعها أن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم غاية قد ضربت لصبرهم فما كان لهم أن يقطعوا أمرا دون الانتهاء إليها. فإن قلت فأي فائدة في قوله إليهم قلت فيه أنه لو خرج ولم يكن خروجه إليهم ولأجلهم للزمهم أن يصبروا إلى أن يعلموا أن خروجه إليهم. لكان خيرا لهم في كان إما ضمير فاعل الفعل المضمر بعد لو وإما ضمير مصدر صبروا كقولهم من كذب كان شرا له. والله غفور رحيم بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء إن تابوا وأنابوا. بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة أخا عثمان لأمه وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلوة الفجر أربعا ثم قال هل أزيدكم فعزله عثمان عنهم مصدقا إلى بني المصطلق وكانت بينه وبينهم إحنة فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فوردوا وقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم فقال لتنتهن أو لأبعثن إليكم رجلا هو عندي كنفسي يقاتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف علي وقيل بعث إليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين فسلموا إليه الصدقات فرجع. وفي تنكير الفاسق والنبأ شياع في الفساق والأنباء كأنه قال أي فاسق جاءكم بأي نبأ فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لأن من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه والفسوق الخروج من الشيء والانسلاخ منه يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة إذا كسرتها وأخرجت ما فيها ومن مقلوبه أيضا قفست الشيء إذا أخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل في الخروج عن القصد والانسلاخ عن الحق. فتبينوا وقرأ ابن مسعود فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه بالمنزلة التي لا يجسر أحد أن يخبرهم بكذب وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد إلا في الندرة قيل إن جاءكم بحرف الشك وفيه أن على المؤمنين أن يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور. أن تصيبوا مفعول له أي كراهة إصابتكم. قوما بجهالة حال كقوله ورد الله الذين كفروا بغيظهم يعني جاهلين بحقيقة الأمر وكنه القصة. فتصبحوا فتصيروا. والندم ضرب من الغم وهو أن تغتم على ما وقع منك تتمنى أنه لم يقع وهو غم يصحب الإنسان صحبة لها دوام ولزام لأنه كلما تذكر المتندم عليه راجعه من الندام وهو لزام الشريب ودوام صحبته ومن مقلوبه أدمن الأمر أدامه ومدن بالمكان أقام به ومنه المدينة وقد تراهم يجعلون الهم صاحبا ونجيا وسميرا وضجيعا وموصوفا بأنه لا يفارق صاحبه. الجملة المصدرة بلو لا تكون كلاما مستأنفا لأدائه إلى تنافر النظم ولكن متصلا بما قبله حالا من أحد الضميرين في فيكم المستتر المرفوع أو البارز المجرور وكلاهما مذهب سديد والمعنى أن فيكم رسول الله على حالة يجب عليكم تغييرها أو وأنتم على حالة يجب عليكم تغييرها وهي أنكم تحاولون منه أن يعمل في الحوادث على مقتضى ما يعن لكم من رأي واستصواب فعل المطواع لغيره التابع له فيما يرتئيه المحتذي على أمثلته ولو فعل ذلك لعنتم أي لوقعتم في الجهد والهلاك يقال فلان يتعنت فلانا أي يطلب ما يؤديه إلى الهلاك وقد أعنت العظم إذا هيضه بعد الجبر وهذا يدل على أن بعض المؤمنين

زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الإيقاع ببني المصطلق وتصديق قول الوليد وأن نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم وأن بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله ولكن الله حبب إليكم الإيمان أي إلى بعضكم ولكنه أغنت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من إيجازات القرآن ولمحاته اللطيفة وعن بعض المفسرين هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقوله أولئك هم الراشدون والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي أولئك المستثنون هم الراشدون يصدق ما قلته. فإن قلت ما فائدة تقديم خبر أن على اسمها قلت القصد إلى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن الله منهم من استتباع رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم لآرائهم فوجب تقديمه لانصباب الغرض إليه. فإن قلت فلم قيل يطيعكم دون أطاعكم قلت للدلالة على أنه كان في إرادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه وأنه كلما عن لهم رأي في أمر كان معمولا عليه بدليل قوله في كثير من الأمر كقولك فلان يقري الضيف ويحمي الحريم تريد أنه مما اعتاده ووجد منه مستمرا. فإن قلت كيف موقع لكن وشريطتها مفقودة من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا وإثباتا قلت هي مفقودة من حيث اللفظ حاصلة من حيث المعنى لأن الذين حبب إليهم الإيمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن في حاق موقعها من الاستدراك ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والإمداد بالتوفيق وسبيله الكناية كما سبق وكل ذي لب وراجع إلى بصيرة وذهن لا يغبى عليه أن الرجل لا يمدح بغير فعله وحمل الآية على ظاهرها يؤدي إلى أن يثني عليهم بفعل الله وقد نفى الله هذا على الذين أنزل فيهم ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا. فإن قلت فإن العرب تمدح بالجمال وحسن الوجوه وذلك فعل الله وهو مدح مقبول عند الناس غير مردود قلت الذي سوغ لهم ذلك أنهم رأوا حسن الرواء ووسامة المنظر في الغالب يسفر عن مخبر مرضي وأخلاق محمودة ومن ثم قالوا أحسن ما في الدميم وجهه فلم يجعلوه من صفات المدح لذاته ولكن لدلالته على غيره على أن من محققة النقاد وعلماء المعاني من دفع صحة ذلك وخطأ المادح به وقصر المدح على النعت بأمهات الخير وهي الفصاحة والشجاعة والعدل والعفة وما يتشعب منها ويرجع إليها وجعل الوصف بالجمال والثروة وكثرة الحفدة والأعضاد وغير ذلك مما ليس للإنسان فيه عمل غلطا ومخالفة عن المعقول. والكفر تغطية نعم الله وغمطها بالجحود. والفسوق الخروج عن قصد الإيمان ومحجته بركوب الكبائر. والعصيان ترك الانقياد والمضي لما أمر به الشارع والعرق العاصي العاند واعتصت النواة اشتدت. والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهي الصخرة قال أبو الوازع كل حجر رشادة وأنشد وغير مقلد وموشمات صلين الضوء من صم الرشاد. وفضلا مفعول له أو مصدر من غير فعله. فإن قلت من أين جاز وقوعه مفعولا له والرشد فعل القوم والفضل فعل الله والشرط أن يتحد الفاعل قلت لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه مسندة إلى اسمه تقدست أسماؤه صار الرشد كأنه فعله فجاز أن ينتصب عنه أو لا ينتصب عن الراشدون ولكن عن الفعل المسند إلى اسم الله والجملة التي هي أولئك هم الراشدون اعتراض أو عن فعل مقدر كأنه قيل جرى ذلك أو كان ذلك فضلا من الله وأما كونه مصدرا من غير فعله فأن يوضع موضع رشدا لأن رشدهم فضل من الله لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة بمعنى الإفضال والإنعام. والله عليم بأحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق على أفاضلهم. عن ابن عباس رضي الله عنهما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض الأنصار وهو على حمار فبال الحمار فأمسك عبد الله بن أبي بأنفه وقال خل سبيل حمارك فقد آذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة والله إن بول حماره لأطيب من مسكك وروي حماره أفضل منك وبول حماره أطيب من مسكك ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهما الأوس والخزرج فتجالدوا بالعصي وقيل بالأيدي والنعال والسعف فرجع إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصلح بينهم ونزلت وعن مقاتل قرأها عليهم فاصطلحوا. والبغي الاستطالة والظلم وإباء الصلح. والفيء الرجوع وقد سمي به الظل والغنيمة لأن الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من أموال الكفار إلى المسلمين. وعن أبي عمرو حتى تفي بغير همز ووجهه أن أبا عمرو خفف الأولى من الهمزتين الملتقيتين فلطف على الراوي تلك الخلسة فظنه قد طرحها. فإن قلت ما وجه قوله اقتتلوا والقياس اقتتلتا كما قرأ ابن أبي عبلة أو اقتتلا كما قرأ عبيد بن عمير على تأويل الرهطين أو النفرين قلت هو مما حمل على المعنى دون اللفظ لأن الطائفتين في معنى القوم والناس وفي قراءة عبد الله حتى يفيئوا إلى أمر الله. فإن فاءوا فخذوا بينهم بالقسط. وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت وعن ابن عمر رضي الله عنهما ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدت من أمر هذه الآية إن لم أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله قاله بعد أن اعتزل فإذا كفت وقبضت عن الحرب أيديها تركت وإذا تولت عمل بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يا ابن أم عبد هل تدري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الأمة قال الله ورسوله أعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل أسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيؤها ولا تخلو الفئتان من المسلمين في اقتتالهما إما أن يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعا فالواجب في ذلك أن يمشي بينهما بما يصلح

ذات البين بتسيير المصالحة والموادعة فإن لم يتحاجزا ولم تصطلحا وأقامتا على البغي صير إلى مقاتلتهما وأما
أن يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند أنفسهما محقة فالواجب إزالة الشبهة بالحجج
النيرة والبراهين القاطعة واطلاعهما على مراشد الحق فإن ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة
ما هديتا إليه ونصحتا به من اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين وأما
أن تكون إحداهما الباغية على الأخرى فالواجب أن تقاتل فئة البغي إلى أن تكف وتتوب فإن فعلت أصلح
بينها وبين المبغي عليها بالقسط والعدل وفي ذلك تفاصيل إن كانت الباغية من قلة العدد بحيث لا منعة
لها ضمنت بعد الفيئة ما جنت وإن كانت كثيرة ذات منعة لم تضمن إلا عند محمد بن الحسن فإنه كان يفتي بأن
الضمان يلزمها إذا فاءت وأما قبل التجمع والتجند أو حين تتفرق عند وضع الحرب أوزارها فما جنته
ضمنته عند الجميع فمحمل الإصلاح بالعدل في قوله فأصلحوا بينهما بالعدل على مذهب محمد واضح منطبق على
لفظ التنزيل وعلى قول غيره وجهه أن يحمل على كون الفئة قليلة العدد والذي ذكروا أن الغرض إماتة
الضغائن وسل الأحقاد دون ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق للمأمور به من أعمال العدل
ومراعاة القسط فإن قلت فلم قرن بالإصلاح الثاني العدل دون الأول قلت لأن المراد بالاقتتال في
أول الآية أن تقتتلا باغيتين معا أو راكبتي شبهة وأيتهما كانت فالذي يجب على المسلمين أن يأخذوا
به في شأنهما إصلاح ذات البين وتسكين الدهماء بإراءة الحق والمواعظ الشافية ونفي الشبهة إلا إذا
أصرتا فحينئذ تجب المقاتلة وأما الضمان فلا يتجه وليس كذلك إذا بغت إحداهما فإن الضمان متجه على الوجهين
المذكورين وأقسطوا أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعدما أمر به في إصلاح ذات البين والمواقعة
في الأمر باتقاء الله على عقب النهي عن التقدم بين يديه والقسط بمعنى العدل والفعل منه أقسط وهمزته
للسلب أي أزال القسط وهو الجور هذا تقرير لما ألزمه من تولي الإصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة
من المؤمنين وبيان أن الإيمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما إن لم يفضل الأخوة
ولم يبرز عليها لم ينقص عنها ولم يتقاصر عن غايتها ثم قد جرت عادة الناس على أنه إذا نشب مثل ذلك
بين اثنين من إخوة الولاد لزم السائر أن يتناهضوا في رفعه وإزاحته ويركبوا الصعب
والذلول مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهما إلى أن يصادف ما وهى من الوفاق من يرقعه وما استشن
من الوصال من يبله فالأخوة في الدين أحق بذلك وبأشد منه وعن النبي ص المسلم أخو المسلم
لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح إلا بإذنه ولا يؤذيه
بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظ منكم إلا قليل فإن قلت فلم خص الاثنان بالذكر دون الجمع
قلت لأن أقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فإذا لزمت المصالحة بين الأقل كانت بالمصالحة
بين الأكثر ألزم لأن الفساد في شقاق الجمع أكثر منه في شقاق الاثنين وقيل المراد بالأخوين الأوس
والخزرج وقرئ بين إخوتكم وإخوانكم والمعنى ليس المؤمنون إلا إخوة وأنهم خلص لذلك متمحضون قد انزاحت
عنهم شبهات الأجنبية وأبى لطف حالهم في التمازج والاتحاد أن يقدموا على ما يتولد منه التقاطع
فبادروا قطع ما يقع من ذلك إن وقع واحسموه واتقوا الله فإنكم إن فعلتم لم تحملكم التقوى إلا على
التواصل والائتلاف والمسارعة إلى إماطة ما يفرط منه وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله
إليكم واشتمال رأفته عليكم حقيقا بأن تعقدوا به رجاءكم القوم للرجال خاصة لأنهم القوام
بأمور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه السلام النساء لحم على وضم إلا ما ذب عنه والذاب
هم الرجال وهو في الأصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر أو تسمية بالمصدر عن بعض العرب
إذا أكلت طعاما أحببت نوما وأبغضت قوما أي قياما واختصاص القوم بالرجال صريح في الآية
وفي قول زهير وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء وأما قولهم في قوم فرعون
وقوم عاد هم الذكور والإناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الإناث
لأنهن توابع لرجالهن وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين أن يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات
من بعض وأن يقصد إفادة الشياع وأن تصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وإنما لم يقل رجل
من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد إعلاما بإقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم
على السخرية واستفظاعا للشأن الذي كانوا عليه ولأن مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى
ويستضحك على قوله ولا يأتي ما عليه من النهي والإنكار فيكون شريك الساخر وتلوه في تحمل الوزر
وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به فيؤدي ذلك وإن أوجده واحد إلى تكثر
السخرة وانقلاب الواحد جماعة وقوما وقوله عسى أن يكونوا خيرا منهم كلام مستأنف قد ورد

مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه وإلا فقد كان حقه أن يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب
أن يعتقد كل أحد أن المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر لأن الناس لا يطلعون إلا على ظواهر
الأحوال ولا علم لهم بالخفيات وإنما الذي يزن عند الله خلوص الضمائر وتقوى القلوب وعلمهم من ذلك
بمعزل فينبغي أن لا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه إذا رآه رث الحال أو ذا عاهة في بدنه
أو غير لبيق في محادثته فلعله أخلص ضميرا وأنقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره
الله والاستهانة بمن عظمه الله ولقد بلغ بالسلف إفراط توقيهم وتصونهم من ذلك أن قال عمرو بن شرحبيل
لو رأيت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه خشيت أن أصنع مثل الذي صنعه وعن عبد الله بن مسعود البلاء موكل بالقول
لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلبا وفي قراءة عبد الله عسوا أن يكونوا وعسين أن يكن فعسى على هذه القراءة
هي ذات الخبر كالتي في قوله فهل عسيتم وعلى الأولى التي لا خبر لها كقوله وعسى أن تكرهوا شيئا واللمز الطعن
والضرب باللسان وقرئ ولا تلمزوا بالضم والمعنى وخصوا أيها المؤمنون أنفسكم بالانتهاء عن عيبها والطعن
فيها ولا عليكم أن تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم ولا يسير بسيرتكم ففي الحديث عن رسول الله ص اذكروا
الفاجر بما فيه كي يحذره الناس وعن الحسن في ذكر الحجاج أخرج إلي بنانا قصيرة قلما عرقت فيها الأعنة
في سبيل الله ثم جعل يطبطب شعيرات له ويقول يا أبا سعيد وقال لما مات اللهم أنت أمته فاقطع سنته
فإنه أتانا أخيفش أعيمش يخطر في مشيته ويصعد المنبر حتى تفوته الصلاة لا من الله يتقي ولا من الناس يستحي
فوقه الله وتحته مائة ألف أو يزيدون لا يقول له قائل الصلاة أيها الرجل الصلاة أيها الرجل هيهات دون
ذلك السيف والسوط وقيل معناه لا يعب بعضكم بعضا لأن المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن
فكأنما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لأن من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة
ولا تنابزوا بالألقاب التداعي بها تفاعل من نبزه وبنو فلان يتنابزون ويتنابزون وبينهما نبز ويقال النبز والنزب
لقب السوء والتلقيب المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له وشينا فأما
ما يحبه مما يزينه وينوه به فلا بأس به روي عن النبي ص من حق المؤمن على أخيه أن يسميه بأحب أسمائه
إليه ولهذا كانت التكنية من السنة والأدب الحسن قال عمر رضي الله عنه أشيعوا الكنى فإنها منبهة ولقد
لقب أبو بكر بالعتيق والصديق وعمر بالفاروق وحمزة بأسد الله وخالد بسيف الله وقل من المشاهير
في الجاهلية والإسلام من ليس له لقب ولم تزل هذه الألقاب الحسنة في الأمم كلها من العرب والعجم تجري
في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير روي عن الضحاك أن قوما من بني تميم استهزءوا ببلال وخباب وصهيب
وعمار وأبي ذر وسالم مولى أبي حذيفة فنزلت وعن عائشة أنها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية
وكانت قصيرة وعن ابن عباس أن أم سلمة ربطت حقويها بسبيبة وسدلت طرفيها خلفها وكانت
تجره فقالت عائشة لحفصة انظري ما تجر خلفها كأنه لسان كلب وعن أنس عيرت نساء رسول الله ص
أم سلمة بالقصر وعن عكرمة عن ابن عباس أن صفية بنت حيي أتت رسول الله ص فقالت إن النساء يعيرنني
ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت إن أبي هارون وإن عمي موسى وإن زوجي محمد وروي
أنها نزلت في ثابت بن قيس وكان به وقر وكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله ص ليسمع فأتى يوما وهو
يقول تفسحوا حتى انتهى إلى رسول الله ص فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل أنا فلان فقال
بل أنت ابن فلانة يريد أما كان يعير بها في الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا أفخر على أحد في الحسب بعدها
أبدا الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم كما يقال طار ثناؤه
كما يقال طار ثناؤه وصيته وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس ألا ترى إلى قولهم أشاد بذكره
كأنه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر أن يذكروا بالفسق وفي قوله بعد
الإيمان ثلاثة أوجه أحدها استقباح الجمع بين الإيمان وبين الفسق الذي يأباه الإيمان ويحظره كما تقول
بئس الشأن بعد الكبرة الصبوة والثاني أنه كان في شتائمهم لمن أسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق
فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر أن تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد إيمانه والجملة على هذا التفسير
متعلقة بالنهي عن التنابز والثالث أن يجعل من فسق غير مؤمن كما تقول للمتحول عن التجارة إلى الفلاحة
بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة يقال جنبه الشر إذا أبعده عنه وحقيقته جعله منه في جانب
فيعدى إلى مفعولين قال الله تعالى واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ثم يقال في مطاوعه اجتنب الشر فتنقص
المطاوعة مفعولا والمأمور باجتنابه هو بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة ألا ترى إلى قوله
إن بعض الظن إثم فإن قلت بين الفصلين بين كثيرا حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة قلت مجيئه نكرة
يفيد معنى البعضية وأن في الظنون ما يجب أن يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين لئلا يجترئ أحد على ظن
إلا بعد نظر وتأمل وتمييز بين حقه وباطله بأمارة بينة مع استشعار للتقوى والحذر ولو عرف
لكان الأمر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه دون ما يقل ووجب أن يكون كل ظن متصف
بالكثرة مجتنبا وما اتصف منه بالقلة مرخصا في تظننه والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها

عما سواها أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان حرامًا واجب الاجتناب وذلك إذا كان
المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح وأونست منه الأمانة في الظاهر فظن الفساد والخيانة
به محرم بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله حرم
من المسلم دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء وعن الحسن كنا في زمن الظن بالناس حرام
وأنت اليوم في زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة لفاجر وعنه إن الفاسق
إذا أظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله وإذا استتر لم يظهر الله عليه لعله أن يتوب وقد روي
من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له **والإثم** الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته
الأثام فعال منه كالنكال والعذاب والوبال قال لقد فعلت هذه النوى فعلة أصاب النوى قبل الممات أثامها
والهمزة فيه عوض عن الواو كأنه يثم الأعمال أي يكسرها بإحباطه وقرئ **ولا تجسسوا** بالحاء والمعنيان
متقاربان يقال تجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس كما أن التلمس بمعنى التطلب
من اللمس لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى وأنا لمسنا السماء والتحسس التعرف
من الحس ولتقاربهما قيل لمشاعر الإنسان الحواس بالحاء والجيم والمراد النهي عن تتبع عورات
المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله
وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خطب فرفع صوته حتى أسمع العواتق في خدورهن قال يا معشر من آمن
بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عورات المسلمين
تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته وعن زيد بن وهب قلنا لابن مسعود هل لك
في الوليد بن عقبة بن أبي معيط تقطر لحيته خمرًا فقال ابن مسعود إنا قد نهينا عن التجسس فإن
ظهر لنا شيء أخذنا به **غابه** واغتابه كغاله واغتاله **والغيبة** من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال
وهي ذكر السوء في الغيبة وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكره فإن كان
فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس الغيبة إدام كلاب الناس **أيحب أحدكم**
تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفظع وجه وأفحشه وفيه مبالغات
شتى منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة
ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحدا من الأحدين لا يحب ذلك ومنها أن لم يقتصر
على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أخا ومنها أن لم يقتصر على لحم الأخ
حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره إن وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها كذلك فاكره لحم أخيك
وهو حي وانتصب ميتا على الحال من اللحم ويجوز أن ينتصب عن الأخ وقرئ ميّتا ولما قررهم عز وجل
بأن أحدا منهم لا يحب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله **فكرهتموه** أي فتحققت بوجوب الإقرار
عليكم وبأنكم لا تقدرون على دفعه وإنكاره لإباء البشرية عليكم أن تجحدوه كراهتكم له وتقذركم منه
فليتحقق أيضا أن تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن في أعراض المسلمين وقرئ فكُرِّهتموه أي
جبلتم على كراهته **فإن قلت** هلا عدي بإلى كما عدي في قوله وكرّه إليكم الكفر وأيهما القياس **قلت**
القياس تعديته بنفسه لأنه ذو مفعول واحد قبل تثقيل حشوه تقول كرهت الشيء فإذا ثقل
استدعى زيادة مفعول وأما تعديته بإلى فتأول وإجراء لكرّه مجرى بغّض لأن بغّض منقول من
بغض إليه الشيء فهو بغيض إليه كقولك حبب إليه الشيء فهو حبيب إليه والمبالغة في التواب للدلالة
على كثرة من يتوب الله عليه من عباده أو لأنه ما من ذنب يقترفه المقترف إلا كان معفوا عنه بالتوبة
أو لأنه بليغ في قبول التوبة منزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه والمعنى واتقوا الله
بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه فإنكم إن اتقيتم تقبل الله توبتكم وأنعم
عليكم بثواب المتقين التائبين وعن ابن عباس أن سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة
ويسوي لهما طعامهما فنام عن شأنه يوما فبعثاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما إداما وكان أسامة
على طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندي شيء فأخبرهما سلمان بذلك فعند ذلك قالا لو بعثناه إلى
بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما فقالا
ما تناولنا لحما فقال إنكما قد اغتبتما فنزلت **من ذكر وأنثى** من آدم وحواء وقيل خلقنا كل واحد منكم من
أب وأم فما منكم أحد إلا وهو يدلي بمثل ما يدلي به الآخر سواء بسواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل
في النسب **والشعب** الطبقة الأولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة تجمع العمائر
والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الأفخاذ والفخذ تجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش
عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لأن القبائل تشعبت منها وقرئ
لتعارفوا ولتعارفوا بالإدغام ولتعرفوا أي لتعلموا كيف تتناسبون ولتتعرفوا والمعنى أن الحكمة التي
من أجلها رتبكم على شعوب وقبائل هي أن يعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزي إلى غير آبائه لا أن تتفاخروا

١٨ ان تتفاخروا
بالآبا

بالآباء والأجداد وتدعوا التفاوت والتفاضل في الأنساب ثم بين الخصلة التي بها يفضل الإنسان غيره
ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** وقرئ أن بالفتح كأنه قيل لم لا
يتفاخر بالأنساب فقيل لأن أكرمكم عند الله أتقاكم لا أنسبكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه طاف يوم فتح مكة
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي أذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها يا أيها الناس
إنما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم قرأ الآية وعنه
عليه السلام من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى
وعن يزيد بن شجرة مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق المدينة فرأى غلاما أسود يقول من اشتراني فعلى شرط
لا يمنعني من الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتراه رجل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عند كل صلاة
ففقده يوما فسأل عنه صاحبه فقال محموم فعاده ثم سأل عنه بعد أيام فقيل هو لما به
فجاءه وهو في ذمائه فتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين والأنصار أمر عظيم فنزلت
الإيمان هو التصديق مع الثقة وطمأنينة النفس **والإسلام** الدخول في السلم والخروج من أن يكون
حربا للمؤمنين بإظهار الشهادتين ألا ترى إلى قوله **ولما يدخل الإيمان في قلوبكم** فاعلم أن ما يكون من الإقرار
باللسان من غير مواطأة القلب فهو إسلام وما واطأ فيه القلب اللسان فهو إيمان **فإن قلت**
ما وجه قوله **قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا** والذي يقتضيه نظم الكلام أن يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا
أو قل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم وروعي في هذا النوع من الكذب أدب حسن حين لم يصرح بلفظه
فلم يقل كذبتم ووضع لم تؤمنوا الذي هو نفي ما ادعوا إثباته موضعه
موضع كذبتم في قوله في صفة المخلصين **أولئك هم الصادقون** تعريضا بأن هؤلاء هم الكاذبون ورب تعريض لا
يقاومه التصريح واستغني بالجملة التي هي لم تؤمنوا عن أن يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان أن
يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالإيمان ثم وصلت بها الجملة المصدرة بكلمة الاستدراك
محمولة على المعنى ولم يقل ولكن أسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك
ولو قيل ولكن أسلمتم لكان خروجه في معرض التسليم لهم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به
فإن قلت قوله **ولما يدخل الإيمان في قلوبكم** بعد قوله لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة
قلت ليس كذلك فإن فائدة قوله لم تؤمنوا هو تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل الإيمان في قلوبكم
توقيت لما أمروا به أن يقولوه كأنه قيل لهم ولكن قولوا أسلمنا حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لألسنتكم
لأنه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قولوا وما في لما من معنى التوقع دال على أن هؤلاء قد آمنوا
فيما بعد **لا يألتكم** لا ينقصكم ولا يظلمكم يقال ألته السلطان حقه أشد الألت وهي لغة غطفان
ولغة أسد وأهل الحجاز لاته ليتا وحكى الأصمعي عن أم هشام السلولية أنها قالت الحمد لله الذي لا يفات
ولا يلات ولا تصمه الأصوات وقرئ باللغتين لا يلتكم ولا يألتكم ونحوه في المعنى لا تظلم نفس شيئا
ومعنى **طاعة الله ورسوله** أن تتوبوا عما كنتم عليه من النفاق وتعقدوا قلوبكم على الإيمان وتعملوا
بمقتضياته فإن فعلتم ذلك تقبل الله توبتكم ووهب لكم مغفرته وأنعم عليكم بجزيل ثوابه وعن ابن عباس أن
نفرا من بني أسد قدموا المدينة في سنة جدبة فأظهروا الشهادة وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات
وأغلوا أسعارها وهم يغدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتك العرب بأنفسها
على ظهور رواحلها وجئناك بالأثقال والذراري يريدون الصدقة ويمنون عليه فنزلت **ارتابوا**
مطاوع رابه إذا أوقعه في الشك مع التهمة والمعنى أنهم آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به
ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بأن الحق معه **فإن قلت** ما معنى ثم هاهنا وهي للتراخي وعدم
الارتياب يجب أن يكون مقارنا للإيمان لأنه وصف فيه لما يثبت من إفادة الإيمان معنى الثقة والطمأنينة
التي حقيقتها التيقن وانتفاء الريب **قلت** الجواب على طريقين أحدهما أن من وجد منه الإيمان ربما
اعترضه الشيطان أو بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه أو نظر
هو نظرا غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمر على ذلك راكبا رأسه لا يطلب له مخرجا فوصف
المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات ونظيره قوله ثم استقاموا والثاني أن الإيقان وزوال
الريب لما كان ملاك الإيمان أفرد بالذكر بعد تقدم الإيمان تنبيها على مكانه وعطف على الإيمان بكلمة
التراخي إشعارا باستقراره في الأزمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا **وجاهدوا** يجوز أن يكون
المجاهد منويا وهو العدو المحارب أو الشيطان أو الهوى وأن يكون جاهد مبالغة في جهد ويجوز
أن يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وأن يتناول العبادات بأسرها وبأجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو
ما صنع عثمان في جيش العسرة وأن يتناول الزكوات وكل ما يتعلق بالمال من أعمال البر التي
يتحامل فيها الرجل على ماله لوجه الله **أولئك هم الصادقون** الذين صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا
كما كذب أعراب بني أسد أو هم الذين إيمانهم إيمان صدق وإيمان حق وجد وثبات **تعالى**
ما علمت بقدومك أي ما شعرت به ولا أحطت به ومنه قوله تعالى **أتعلمون الله بدينكم** ومنه [illegible]

تعالى يمنّ عليه يد أسداها إليه كقولك أنعم عليه وأفضل عليه والمنّة النعمة التي لا يستثيب مسديها
من يزلّها إليه واشتقاقها من المنّ الذي هو القطع لأنه إنما يسديها إليه ليقطع بها حاجته لا غير
من غير أن يعمد لطلب مثوبة ثم يقال منّ عليه صنعه إذا اعتدّه عليه منّة وإنعاما وسياق
هذه الآية فيه لطف ورشاقة وذلك أن الكائن من الأعاريب قد سمّاه الله إسلاما ونفى أن
يكون كما زعموا إيمانا فلما منّوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان منهم قال الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم إن هؤلاء يعتدّون
عليك بما ليس جديرا بالاعتداد به من حدثهم الذي حقّ تسميته أن يقال له إسلام فقل لهم لا تعتدّوا عليّ
إسلامكم أي حدثكم المسمّى إسلاما عندي لا إيمانا ثم قال بل الله يمنّ عليكم أن هداكم بتوفيقه حيث هداكم
للإيمان على ما زعمتم وادّعيتم أنكم أرشدتم إليه ووفّقتم له إن صحّ زعمكم وصدقت دعواكم إلا أنكم
تزعمون وتدّعون ما الله عليم بخلافه وفي إضافة الإسلام إليهم وإيراد الإيمان غير مضاف ما
لا يخفى على المتأمل وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره إن كنتم صادقين في ادّعائكم
الإيمان فلله المنّة عليكم وقرئ إن هداكم بكسر الهمزة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه إذ هداكم وقرئ
تعملون بالتاء والياء وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم يعني أنه عز وجل يعلم كل
مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سرّكم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شيء فكيف يخفى عليه ما في
ضمائركم ولا يظهر على صدقكم وكذبكم وذلك أن حاله مع كل معلوم واحدة لا تختلف. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الحجرات أعطي من الأجر بعدد من أطاع الله وعصاه.

سورة ق مكية وهي خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم. الكلام في ق والقرآن المجيد بل عجبوا نحو الكلام في
ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما في أسلوب واحد والمجيد
ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن أحاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس
وهو بسبب من الله المجيد فجاز اتصافه بصفته قوله بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم إنكار لتعجبهم
مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وأمانته ومن
كان على صفته لم يكن إلا ناصحا لقومه مترفرفا عليهم خائفا أن ينالهم سوء ويحلّ بهم مكروه وإذا علم
أن مخوفا أظلّهم لزمه أن ينذرهم ويحذّرهم فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير وإنكار لتعجبهم
مما أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله على خلق السموات والأرض وما بينهما وعلى اختراع كل شيء
وإبداعه وإقرارهم بالنشأة الأولى ومع شهادة العقل بأنه لا بد من الجزاء ثم عوّل على أحد الإنكارين
بقوله فقال الكافرون هذا شيء عجيب أئذا متنا دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل في الاستبعاد وأحق
بالإنكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على أنهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم
وهذا إشارة إلى الرجع وإذا منصوب بمضمر معناه أحين نموت ونبلى نرجع ذلك رجع بعيد مستبعد
مستنكر كقولك هذا قول بعيد وقد أبعد فلان في قوله ومعناه بعيد من الوهم والعادة ويجوز أن
يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لإنكارهم ما أنذروا
به من البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن وقرئ إذا متنا على لفظ الخبر ومعناه
إذا متنا بعد أن نرجع والدال عليه ذلك رجع بعيد. فإن قلت فما ناصب الظرف إذا كان الرجع
بمعنى المرجوع قلت ما دلّ عليه المنذر من المنذر به وهو البعث قد علمنا ردّ لاستبعادهم
الرجع لأن من لطف علمه حتى تغلغل إلى ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكله من لحومهم
وعظامهم كان قادرا على رجعهم أحياء كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب. وعن
السدي ما تنقص الأرض منهم ما يموت فيدفن في الأرض منهم كتاب حفيظ محفوظ من الشياطين
ومن التغيير وهو اللوح المحفوظ أو حافظ لما أودعه وكتب فيه بل كذبوا إضراب أتبع الإضراب
الأول للدلالة على أنهم جاؤوا بما هو أفظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة
بالمعجزات في أول وهلة من غير تفكر ولا تدبر فهم في أمر مريج مضطرب يقال مرج الخاتم في إصبعه
وجرج فيقولون تارة شاعر وتارة ساحر وتارة كاهن لا يثبتون على شيء واحد. وقرئ لما
جاءهم بكسر اللام وما المصدرية واللام هي التي في قولهم لخمس خلون أي عند مجيئه إياهم وقيل الحق القرآن
وقيل الإخبار بالبعث أفلم ينظروا حين كفروا بالبعث إلى آثار قدرة الله في خلق العالم بنيناها
رفعناها بغير عمد من فروج من فتوق يعني أنها ملساء سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع
ولا خلل كقوله هل ترى من فطور مددناها دحوناها رواسي جبالا ثوابت لولاها لتكفأت من كل
زوج من كل صنف بهيج يبتهج به لحسنه تبصرة وذكرى لنبصر به ونذكّر كل عبد منيب راجع إلى ربه مفكّر
في بدائع خلقه وقرئ تبصرة وذكرى بالرفع أي خلقها تبصرة ماء مباركا كثير المنافع وحبّ الحصيد وحبّ
الزرع الذي من شأنه أن يحصد وهو ما يقتات به من نحو الحنطة والشعير وغيرهما باسقات طوالا
في السماء وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم باصقات بإبدال السين صادا لأجل القاف نضيد منضود بعضه
فوق بعض إما أن يراد كثرة الطلع وتراكمه أو كثرة ما فيه من الثمر رزقا على أنبتناها رزقا

لأن

لأن الإنبات في معنى الرزق أو على أنه مفعول له أي أنبتناها لنرزقهم كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة
الميتة كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم والكاف في محل الرفع على الابتداء أراد بفرعون قومه كقوله من فرعون وملإهم
لأن المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات كلّ يجوز أن يراد به كل واحد منهم وأن
يراد جميعهم إلا أنه وحّد الضمير الراجع إليه على اللفظ دون المعنى فحقّ وعيد فوجب وحلّ وعيدي
وهو كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم عيي بالأمر إذا لم يهتد لوجه عمله
والهمزة للإنكار والمعنى أنّا لم نعجز كما علموا عن الخلق الأول حتى نعجز عن الثاني ثم قال هم لا ينكرون
قدرتنا على الخلق الأول واعترافهم بذلك في طيّه الاعتراف بالقدرة على الإعادة بل هم في لبس أي
في خلط وشبهة قد لبّس عليهم وحيّرهم ومنه قول علي رضي الله عنه يا حار إنه لملبوس عليك اعرف
الحق تعرف أهله ولبس الشيطان عليهم تسويله إليهم أن إحياء الموتى أمر خارج عن العادة
فتركوا لذلك القياس الصحيح أن من قدر على الإنشاء كان على الإعادة أقدر فإن قلت لم نكّر الخلق
الجديد وهلا عرّف كما عرّف الخلق الأول قلت قصد في تنكيره إلى خلق جديد له شأن عظيم وحال
شديد حقّ من سمع به أن يهتمّ به ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد على لبس في مثله الوسوسة
الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي ووسوسة النفس ما يخطر ببال الإنسان ويهجس في ضميره
من حديث النفس والباء مثلها في قولك صوّت بكذا وهمس به ويجوز أن تكون للتعدية والضمير
للإنسان أي ما تجعله موسوسا وما مصدرية لأنهم يقولون حدّث نفسه بكذا كما يقولون
حدّثته به نفسه قال وأكذب النفس إذا حدّثتها ونحن أقرب إليه مجاز والمراد قرب علمه منه
وأنه يتعلق بمعلومه منه ومن أحواله تعلقا لا يخفى عليه شيء من خفياته فكأنّ ذاته قريبة منه
كما يقال الله في كل مكان وقد جلّ عن الأمكنة وحبل الوريد مثل في فرط القرب كقولهم هو مني مقعد
القابلة ومعقد الإزار قال ذو الرمة والموت أدنى لي من الوريد والحبل العرق شبّه
بواحد الحبال ألا ترى إلى قوله كأن وريديه رشاء خلب والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتي
العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه وقيل سمّي وريدا لأن الروح ترده. فإن قلت
ما وجه إضافة الحبل إلى الوريد والشيء لا يضاف إلى نفسه قلت فيه وجهان أحدهما أن تكون الإضافة للبيان كقولهم بعير سانية
والثاني أن يراد حبل العاتق فيضاف إلى الوريد كما يضاف إلى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد كما لو قيل
حبل العلباء مثلا إذ منصوب بأقرب وساغ ذلك لأن المعاني تعمل في الظروف متقدمة ومتأخرة
والمعنى أنه لطيف يتوصل علمه إلى خطرات النفس وما لا شيء أخفى منه وهو أقرب من الإنسان من كل
قريب حين يتلقّى الحفيظان ما يتلفظ به إيذانا بأن استحفاظ الملكين أمر هو غنيّ عنه وكيف لا
يستغني عنه وهو مطّلع على أخفى الخفيات وإنما ذلك لحكمة اقتضت ذلك وهي ما في كتبة الملكين
وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم يقوم الأشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه بإحاطة الله تعالى بعمله
من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات. وعن النبي صلى الله عليه وسلم إن مقعد ملكيك
على ثنيّتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وأنت تجري فيما لا يعنيك لا تستحيي من الله ولا منهما
ويجوز أن يكون تلقي الملكين بيانا للقرب يعني ونحن قريبون منه مطّلعون على أحواله مهيمنون عليه
إذ حفظتنا وكتبتنا موكلون به والتلقي التلقن بالحفظ والكتبة قعيد أي مقاعد كالجليس بمعنى المجالس
وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك أحدهما لدلالة الثاني عليه كقوله كنت منه
ووالدي بريئا رقيب ملك يرقب عمله عتيد حاضر واختلف فيما يكتب الملكان فقيل يكتبان كل شيء حتى أنينه
في مرضه وقيل لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه أو يوزر به ويدل عليه قوله عليه السلام كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب
السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين
عشرا وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبّح أو يستغفر وقيل إن الملائكة
يجتنبون الإنسان عند غائطه وعند جماعه وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول لما ذكر إنكارهم البعث واحتجّ
عليهم بوصف قدرته وعلمه أعلمهم أن ما أنكروه وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة
ونبّه على اقتراب ذلك بأن عبّر عنه بلفظ الماضي وهو قوله وجاءت سكرة الموت بالحق ونفخ في الصور وسكرة
الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء في بالحق للتعدية يعني وأحضرت سكرة الموت حقيقة الأمر الذي
أنطق الله به كتبه وبعث به رسله أو حقيقة الأمر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل
الحق الذي خلق له الإنسان من أن كل نفس ذائقة الموت ويجوز أن تكون الباء مثلها في قوله تنبت بالدهن أي وجاءت
ملتبسة بالحق أي بحقيقة الأمر أو بالحكمة والغرض الصحيح كقوله خلق السموات والأرض بالحق وقرأ أبو بكر وابن مسعود
رضي الله عنهما سكرة الحق بالموت على إضافة السكرة إلى الحق والدلالة على أنها السكرة التي كتبت على الإنسان وأنها حكمة
والباء للتعدية لأنها سبب زهوق الروح لشدتها أو لأن الموت يعقبها فكأنها جاءت به ويجوز
أن يكون المعنى جاءت ومعها الموت وقيل سكرة الحق سكرة الله أضيفت إليه تفظيعا لشأنها وتهويلا
وقرئ سكرات الموت ذلك إشارة إلى الموت والخطاب للإنسان في قوله ولقد خلقنا الإنسان
على طريق الالتفات أو إلى الحق والخطاب للفاجر تحيد تنفر وتهرب وعن بعضهم أنه سأل زيد بن أسلم
عن ذلك فقال الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحكاه لصالح بن كيسان فقال والله ما سنّ عالية ولا لسان فصيح
ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر ثم حكاهما للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس فقال أخالفهما جميعا
هو للبرّ والفاجر ذلك يوم الوعيد على تقدير حذف المضاف أي وقت ذلك يوم الوعيد والإشارة

المصدر ونحو **سائق وشهيد** ملكان احدهما يسوقه الى المحشر والاخر يشهد عليه بعمله او ملك واحد جامع بين
الامرين كأنه قيل معها ملك يسوقه ويشهد عليه ومحل معها النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة
الى ما هو في حكم المعرفة **لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك** فبصرك بالكسر على خطاب النفس اى يقال لها
لقد كنت جعلت الغفلة كأنها غطاء غطى به جسده كله او غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئا فاذا كان
يوم القيمة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل
عن الابصار لغفلته حديدا لتيقظه **وقال قرينه** هو الشيطان الذى قيض له في قوله نقيض له شيطانا
فهو له قرين يشهد له قوله **قال قرينه ربنا ما اطغيته** **هذا ما لدى عتيد** هذا شئ لدىّ وفى ملكتى عتيد
لجهنم والمعنى ان ملكا يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطانا مقرونا به يقول قد اعتدته لجهنم وهيأته
لها باغوائى واضلالى **فان قلت** كيف اعراب هذا الكلام **قلت** ان جعلت ما موصوفة فعتيد
صفة لها وان جعلتها موصولة فهو بدل او خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف **القيا** خطاب من الله
للملكين السائق والشهيد ويجوز ان يكون خطابا للواحد على وجهين احدهما قول المبرد ان
تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما كأنه قيل الق الق للتأكيد والثانى ان العرب اكثر ما
يرافق الرجل منهم اثنان فكثر على السنتهم ان يقولوا خليلى وصاحبى وقفا واسعدا حتى خاطبوا
الواحد خطاب الاثنين وعن الحجاج انه كان يقول يا حرسى اضربا عنقه وقرأ الحسن القين بالنون
الخفيفة ويجوز ان تكون الالف فى القيا بدلا من النون اجراء للوصل مجرى الوقف **عنيد** معاند
مجانب للحق معاد لاهله **مناع للخير** كثير المنع للمال عن حقوقه وجعل ذلك عادة له لا
يبذل منه شيئا قط او مناع لجنس الخير ان يصل الى اهله يحول بينه وبينهم وقيل نزلت فى الوليد
بن المغيرة كان يمنع بنى اخيه عن الاسلام فكان يقول من دخل فيه منكم لم انفعه بخير ما عشت
معتد ظالم متخط للحق **مريب** شاك فى الله وفى دينه **الذى جعل** مبتدأ متضمن معنى
الشرط ولذلك اجيب بالفاء ويجوز ان يكون الذى جعل منصوبا بدلا من كل كفار ويكون فالقياه
تكريرا للتوكيد **فان قلت** لم اخليت هذه الجملة عن الواو وادخلت على الاولى **قلت** لانها استؤنفت
كما تستأنف الجمل الواقعة فى حكاية التقاول كما رأيت فى حكاية المقاولة بين موسى وفرعون **فان قلت**
فاين التقاول هنا **قلت** لما قال قرينه هذا ما لدى عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته
وتلاه لا تختصموا لدىّ علم ان ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت لما يدل عليها كأنه قال رب هو
اطغانى فقال قرينه ربنا ما اطغيته واما الجملة الاولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين
معناها ومعنى ما قبلها فى الحصول اعنى مجئ كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له
ما اطغيته ما جعلته طاغيا وما اوقعته فى الطغيان ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى
كقوله وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى **قال لا تختصموا** استئناف مثل قوله
قال قرينه كأن قائلا قال فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا والمعنى لا تختصموا فى دار الجزاء وموقف
الحساب فلا فائدة فى اختصامكم ولا طائل تحته **وقد قدمت** اليكم بالوعيد بعذابى على الطغيان فى كتبى وعلى
السنة رسلى فما تركت لكم حجة علىّ ثم قال لا تطمعوا ان ابدل قولى ووعيدى فاعفيكم عما اوعدتكم
به **وما انا بظلام للعبيد** فاعذب من ليس بمستوجب للعذاب والباء فى بالوعيد مزيدة مثلها فى
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او معدية على ان قدم مطاوع بمعنى تقدم ويجوز ان يقع الفعل على جملة
قوله ما يبدل القول وما انا بظلام للعبيد ويكون بالوعيد حالا اى قدمت هذا اليكم ملتبسا
بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم به **فان قلت** ان قوله وقد قدمت واقع موقع
الحال من لا تختصموا والتقدم بالوعيد فى الدنيا والخصومة فى الآخرة واجتماعهما فى زمان واحد
واجب **قلت** معناه لا تختصموا وقد صح عندكم انى قدمت اليكم بالوعيد وصحة ذلك عندهم فى
الآخرة **فان قلت** كيف قال بظلام على لفظ المبالغة **قلت** فيه وجهان ان يكون من قولك
هو ظالم لعبده وظلام لعبيده وان يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب لكنت ظلاما مفرط
الظلم فنفى ذلك **يوم نقول** قرئ بالنون والياء وعن ابن مسعود والحسن يقال وعن سعيد بن جبير يوم يقول الله لجهنم
وانتصاب اليوم بظلام او بمضمر نحو اذكر وانذر ويجوز ان ينتصب
بنفخ كأنه قيل ونفخ فى الصور يوم نقول لجهنم وعلى هذا يشار بذلك الى يوم يقول ولا يقدر
حذف المضاف وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذى يقصد به تصوير المعنى فى القلب
وتثبيته وفيه معنيان احدهما انها تمتلئ مع اتساعها وتباعد اطرافها حتى لا يسعها شئ ولا يزاد
على امتلائها كقوله لاملأن جهنم والثانى انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد
ويجوز ان يكون **هل من مزيد** استكثارا للداخلين فيها واستبداعا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم
او طلبا للزيادة غيظا على العصاة والمزيد اما مصدر كالمحيد والمميد واما اسم مفعول كالمبيع
غير بعيد نصب على الظرف اى مكانا غير بعيد او على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر
كالزئير والصليل والمصادر يستوى فى الوصف بها المذكر والمؤنث او على حذف الموصوف
اى شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل وقرئ
توعدون بالتاء والياء وهى جملة اعتراضية **لكل اواب** بدل من قوله للمتقين بتكرير الجار

ابن كثير — الباقون

كقوله

كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم **وهذا** اشارة الى الثواب او الى مصدر ازلفت **والاواب** الرجاع
الى ذكر الله **والحفيظ** الحافظ لحدوده **ومن خشى** بدل بعد بدل تابع لكل ويجوز ان يكون بدلا عن موصوف
اواب وحفيظ ولا يجوز ان يكون فى حكم اواب وحفيظ لان من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات
الا بالذى وحده ويجوز ان يكون مبتدأ خبره يقال لهم ادخلوها بسلام لان من فى معنى الجمع ويجوز ان
يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا احسن الى وحذف حرف النداء للتقريب **بالغيب** حال من المفعول
اى خشيه وهو غائب لم يعرفه وكونه معاقبا الا بطريق الاستدلال او صفة لمصدر خشى اى خشية
ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب او خشيه بسبب الغيب الذى اوعده به من عذابه
وقيل فى الخلوة حيث لا يراه احد **فان قلت** كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة **قلت**
للثناء البليغ على الخاشى وهو خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة كما اثنى عليه بانه خاشى مع ان
المخشى منه غائب ونحوه والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات **وصف القلب**
بالانابة وهى الرجوع الى الله لان الاعتبار بما ثبت منها فى القلب يقال لهم **ادخلوها بسلام** اى سالمين
من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم يسلم عليكم الله وملائكته **يوم الخلود** اى يوم تقدير
الخلود كقوله ادخلوها خالدين اى مقدرين الخلود **ولدينا مزيد** هو ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه
امانيهم حتى يشاؤه وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذى قال
الله عز وجل ولدينا مزيد **فنقبوا** وقرئ بالتخفيف **فى البلاد** فخرقوا فى البلاد ودوخوا والتنقيب التنقير
عن الامر والبحث والطلب قال الحارث بن حلزة. نقبوا فى البلاد من حذر الموت. وجالوا فى الارض كل مجال
ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم اشد منهم بطشا اى شدة بطشهم ابطرتهم واقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه
ويجوز ان يراد فنقب اهل مكة فى اسفارهم ومسايرهم فى بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا
حتى يأملوا مثله لانفسهم والدليل على صحته قراءة من قرأ فنقبوا على الامر كقوله فسيحوا فى الارض وقرئ
بكسر القاف مخففة من النقب وهو ان ينتقب خف البعير قال. ما مسها من نقب ولا دبر. والمعنى
فنقبت اخفاف ابلهم او حفيت اقدامهم ونقبت كما تنقب اخفاف الابل لكثرة طوفهم فى البلاد **هل من محيص**
من الله او من الموت **لمن كان له قلب** اى قلب واع لان من لا يعى قلبه فكأنه لا قلب له والقاء السمع الاصغاء
وهو شهيد اى حاضر بفطنته لان من لم يحضر ذهنه فكأنه غائب وقد ملح الامام عبد القاهر فى قوله
لبعض من يأخذ عنه ما شئت من زهزهة والفتى بقصقاص لاهى بالزروع او هو مؤمن
شاهد على صحته وانه وحى من الله او هو بعض الشهداء فى قوله لتكونوا شهداء على الناس
وعن قتادة وهو شاهد على صدقه من اهل الكتاب لوجود نعته عنده وقرئ السدى وجماعة
القى السمع على البناء للمفعول ومعناه لمن القى غيره السمع وفتح له اذنه فحسب ولم يحضر ذهنه وهو
حاضر الذهن متفطن وقيل القى سمعه او القى السمع منه **اللغوب** الاعياء وقرئ بالفتح بزنة القبول والولوع
قيل نزلت فى اليهود لعنت تكذيبا لقولهم خلق الله السموات والارض فى ستة ايام اولها الاحد وآخرها الجمعة
واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا ان الذى وقع من التشبيه فى هذه الامة انما وقع
من اليهود ومنهم اخذ **فاصبر على ما يقولون** اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه وقيل فاصبر على ما يقول
المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم وقيل هى منسوخة
بآية السيف وقيل الصبر مأمور به فى كل حال **وسبح بحمد ربك** حامدا ربك والتسبيح محمول
على ظاهره او على الصلاة فالصلاة **قبل طلوع الشمس** الفجر **وقبل الغروب** الظهر والعصر **ومن الليل**
العشاءان وقيل التهجد **وادبار السجود** التسبيح فى آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما
عن الصلاة وقيل النوافل بعد المكتوبات وعن على رضى الله عنه الركعتان بعد المغرب وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم
من صلى بعد المغرب قبل ان يتكلم كتبت صلاته فى عليين وعن ابن عباس الوتر بعد العشاء والادبار جمع
دبر وقرئ وادبار من ادبرت الصلاة اذا انقضت وتمت ومعناه ووقت انقضاء السجود
كقولهم آتيك خفوق النجم **واستمع** يعنى واستمع لما اخبرك به من حال يوم القيمة وفى ذلك
تهويل وتعظيم لشأن المخبر عنه والمحدث عنه كما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال سبعة ايام لمعاذ بن
جبل يا معاذ اسمع ما اقول لك ثم حدثه بعد ذلك **فان قلت** بم انتصب اليوم **قلت** بما دل عليه
ذلك يوم الخروج اى يوم ينادى المنادى يخرجون من القبور **ويوم يسمعون** بدل من يوم ينادى
والمنادى اسرافيل ينفخ فى الصور وينادى ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم
المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل
ينادى بالحشر **من مكان قريب** من صخرة بيت المقدس وهى اقرب الارض من السماء باثنى عشر ميلا
وهى وسط الارض وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة

ابتها العظام البالية • والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر
للجزاء وقرئ تشقق وتشقق بادغام التاء في الشين وتشقق على البناء للمفعول وتنشق سراعا حال
من المجرور علينا يسير تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعني لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا
على القادر الذات الذي لا يشغله شأن عن شأن كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
نحن اعلم بما يقولون تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بجبار كقوله بمسيطر حتى تقسرهم على الايمان
انما انت داع وباعث وقيل اريد التحلم عنهم وترك الغلظة عليهم ويجوز ان يكون من جبره على الامر
بمعنى اجبره اي ما انت بوال عليهم تجبرهم على الايمان وعلى بمنزلته في قولك هو عليهم اذا كان
واليهم ومالك امرهم من يخاف وعيد كقوله انما انت منذر من يخشاها لانه لا ينتفع به غيره
المصر على الكفر • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة والذاريات مكية وهي ستون اية • بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا الرياح لانها تذرو التراب وغيره قال الله تعالى تذروه الرياح وقرئ بادغام التاء في الذال فالحاملات
وقرا لانها تحمل المطر وقرئ وقرا بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر او على ايقاعه موقع حملا
فالجاريات يسرا الفلك ومعنى يسرا جريا ذا يسر اي سهولة فالمقسمات امرا الملائكة لانها
تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او تفعل التقسيم مأمورة بذلك وعن مجاهد يتولى تقسيم
امر العباد جبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ وعن علي رضي الله عنه
انه قال وهو على المنبر سلوني قبل ان لا تسألوني ولن تسألوا بعدي مثلي فقام ابن الكواء فقال ما الذاريات
قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك قال فالمقسمات امرا
قال الملائكة وكذا عن ابن عباس وعن الحسن المقسمات السحاب يقسم الله بها ارزاق العباد وقد حملت
على الكواكب السبعة ويجوز ان يراد الرياح لا غير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا
سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب فان قلت ما معنى الفاء على التفسيرين قلت اما الاول
فمعنى التعقيب فيها انه اقسم تعالى بالرياح فبالسحاب الذي تسوقه فبالفلك التي تجريها بهبوبها فبالملائكة
التي تقسم الارزاق باذن الله تعالى من الامطار وتجارات البحر ومنافعها واما على الثاني فلانها تبتدئ
في الهبوب فتذرو التراب والحصباء فتقل السحاب فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر انما توعدون
جواب القسم وما موصولة او مصدرية والموعود البعث ووعد صادق كعيشة راضية والدين الجزاء
لواقع لحاصل والسماء ذات الحبك الطرائق مثل حبك الرمل والماء اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه
وتكسره قال زهير مكلل باصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحي مائه حبك • والدرع محبوكة لان
حلقها مطرق طرائق ويقال ان خلقتها حبكا صفاقتها واحكامها من قولهم فرس محبوك المعاقم اي محكمها
واذا اجاد الحائك الحياكة قالوا ما احسن حبكه وهو جمع حباك كمثال ومثل او حبيكة كطريقة وطرق • وقرئ
الحبك بوزن القفل والحبك بوزن الجبل والحبك بوزن البرق والحبك بوزن النعم والحبك بوزن الابل
انكم لفي قول مختلف قولهم في الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفي القرآن شعر وسحر واساطير
الاولين • وعن الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف • وعن قتادة منكم مصدق
ومكذب ومقر ومنكر يؤفك عنه الضمير للقرآن او الرسول اي يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا
صرف اشد منه واعظم كقوله لا يهلك على الله الا هالك وقيل يصرف عنه من صرف في سابق علم الله
اي علم فيما لم يزل انه مأفوك عن الحق لا يرعوي ويجوز ان يكون الضمير لما توعدون او للدين اقسم بالذاريات
على ان وقوع امر القيامة حق ثم اقسم بالسماء على انهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك
عن الاقرار بامر القيامة من هو المأفوك • ووجه آخر وهو ان يرجع الضمير الى قول مختلف وعن مثله في قوله
ينهون عن اكل وعن شرب • اي يتناهون في السمن بسبب الاكل والشرب وحقيقته يصدر تناهيهم
في السمن عنهما وكذلك يصدر افكهم عن القول المختلف • وقرأ سعيد بن جبير يؤفك عنه من افك على البناء للفاعل
اي من افك الناس عنه وهم قريش وذلك ان الحي كانوا يبعثون الرجل ذا العقل والرأي ليسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقولون له احذره فيرجع فيخبرهم • وعن زيد بن علي رضي الله عنهما يأفك عنه من افك اي يصرف الناس عنه من هو افاك كذاب
من هو مأفوك في نفسه • وعنه ايضا يأفك عنه من أفك اي يصرف الناس عنه من هو افاك كذاب
وقرئ يؤفن عنه من أفن اي يحرمه من حرم من أفن الضرع اذا نهكه حلبا قتل الخراصون
دعاء عليهم كقوله قتل الانسان ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبح والخراصون
الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم اصحاب القول المختلف واللام اشارة اليهم كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون
وقرئ قتل الخراصين اي قتل الله الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسألون فيقولون
ايان يوم الدين اي متى يوم الجزاء وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة فان قلت كيف وقع ايان ظرفا لليوم وانما تقع

الاحيان

يوم هم على النار يفتنون • ويجوز ان يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهي الجملة
فان قلت فما محله مفتوحا قلت يجوز ان يكون محله نصبا بالمضمر الذي هو يقع

الاحيان ظروفا للحدثان قلت معناه ايان وقوع يوم الدين فان قلت فبم انتصب اليوم الواقع في الجواب
قلت بفعل مضمر دل عليه السؤال اي يقع يوم هم على النار يفتنون او رفعا على هو يوم هم على النار يفتنون
بالوقع يفتنون يحرقون ويعذبون ومنه الفتين وهي الحرة لان حجارتها كانها محرقة وقراءة ابن ابي عبلة
في محل الحال اي مقولا لهم هذا القول ذوقوا فتنتكم هذا مبتدأ والذي خبره اي هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان
يكون هذا بدلا من فتنتكم اي ذوقوا هذا العذاب آخذين ما آتاهم ربهم قابلين لكل ما اعطاهم
راضين به يعني انه ليس فيما آتاهم الا ما هو متلقى بالقبول مرضي غير مسخوط لان جميعه
حسن طيب ومنه قوله تعالى ويأخذ الصدقات اي يقبلها ويرضاها محسنين قد احسنوا اعمالهم
وتفسير احسانهم ما بعده ما مزيدة والمعنى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل ان جعلت
قليلا ظرفا ولك ان تجعله صفة للمصدر اي كانوا يهجعون هجوعا قليلا ويجوز ان تكون ما مصدرية
او موصولة على كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه وارتفاعه بقليلا على الفاعلية وفيه مبالغات
لفظ الهجوع وهو الغرار من النوم قال قد حصت البيضة رأسي فما اطعم نوما غير تهجاع • وقوله
قليلا والليل لان الليل وقت السبات والراحة وزيادة ما المؤكدة لذلك وصفهم بانهم يحيون الليل
متهجدين فاذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم وقوله هم يستغفرون فيه
انهم هم المستغفرون الاحقاء بالاستغفار دون المصرين فكانهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم
فيه فان قلت هل يجوز ان تكون ما نافية كما قال بعضهم ان يكون المعنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا
ويحيونه كله قلت لا لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها تقول زيدا لم اضرب ولا تقول زيدا ما ضربت
للسائل الذي يستجدي والمحروم الذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه • وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي
ترده الاكلة والاكلتان واللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذي لا يجد ولا يتصدق عليه وقيل الذي لا ينمي له
مال وقيل المحارف الذي لا يكاد يكسب وفي الارض آيات تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هي
مدحوة كالبساط لما فوقها كما قال الذي جعل لكم الارض مهادا وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها والماشين
في مناكبها وهي مجزأة فمن سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات من صلبة ورخوة وعذاة وسبخة وهي
كالطروقة تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار بالثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح تسقى بماء
واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وكلها موافقة لحوائج ساكنيها ومنافعهم ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم
وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المفتنة والدواب المنبثة في برها وبحرها المختلفة الصور والاشكال
والافعال من الوحشي والانسي والهوام وغير ذلك للموقنين الموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني
الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وافهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا
ايمانا مع ايمانهم وايقانا الى ايقانهم وفي انفسكم في حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفي بواطنها وظواهرها
من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به
من اصناف المعاني وبالالسن والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات
الساطعة والبينات القاطعة على حكمة المدبر دع الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح وتأتيها
لما خلقت له وما سوى في الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني فانه اذا جسا شيء منها جاء العجز واذا استرخى
اناخ الذل فتبارك الله احسن الخالقين وفي السماء رزقكم هو المطر لانه سبب الاقوات • وعن سعيد بن جبير هو الثلج
وكل عين دائمة منه • وعن الحسن انه كان اذا رأى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه
بخطاياكم وما توعدون الجنة هي على ظهر السماء السابعة تحت العرش او اراد ان ما ترزقونه في الدنيا وما توعدون به
في العقبى كله مقدر مكتوب في السماء • وقرئ مثل ما بالرفع صفة للحق اي حق مثل نطقكم وبالنصب على انه حال
من الحق ويجوز ان يكون فتحا لاضافته الى غير متمكن وما مزيدة بنص الخليل وهذا كقول الناس ان هذا لحق
كما انك ترى وتسمع ومثل ما انك هاهنا وهذا الضمير اشارة الى ما ذكر من امر الآيات والرزق وامر النبي صلى الله عليه وسلم
والى ما توعدون • وعن الاصمعي اقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابي على قعود له فقال ممن الرجل قلت من بني اصمع
قال من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن عز وجل فقال اتل علي فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله
وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما
وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف بي بصوت دقيق فالتفت فاذا انا بالاعرابي
قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال
وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي اغضب الجليل
حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى الجأوه الى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه هل اتاك تفخيم للحديث
وتنبيه على انه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما عرفه بالوحي والضيف للواحد والجماعة كالزور والصوم
لانه في الاصل مصدر ضافه وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلاثة جبريل
وميكائيل وملك معهما وجعلهم ضيفا لانهم كانوا في حسبانه كذلك واكرامهم ان ابراهيم خدمهم
بنفسه واخدمهم امرأته وعجل لهم القرى او انهم في انفسهم مكرمون قال الله تعالى

بل عباد مكرمون ﴿إذ دخلوا﴾ نصب بالمكرمين إذا فسر بإكرام إبرهيم لهم والا فبما في ضيف من معنى الفعل أو بإضمار اذكر ﴿سلاما﴾ مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه وأصله نسلم عليكم سلاما وأما ﴿سلام﴾ فمعدول به إلى الرفع على الابتداء وخبره محذوف معناه عليكم سلام للدلالة على ثبات السلام كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به أخذا بأدب الله عز وجل وهذا أيضا من إكرامه لهم وقرئ سلاما قال سلما والسلم السلام وقرئ سلاما قال سلم ﴿قوم منكرون﴾ أنكرهم للسلام الذي هو علم الإسلام أو أراد أنهم ليسوا من معارفه أو من جنس الناس الذين عهدهم كما لو أبصر العرب قوما من الخزر أو رأى لهم حالا وشكلا خلاف حال الناس وشكلهم أو كان هذا سؤالا لهم كأنه قال إنكم قوم منكرون فعرفوني من أنتم ﴿فراغ إلى أهله﴾ فذهب إليهم في خفية من ضيوفه ومن أدب المضيف أن يخفي أمره وأن يبادره بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذرا من أن يكفه ويعذره قال قتادة كان عامة مال نبي الله إبرهيم البقر فجاء بعجل والهمزة في ﴿ألا تأكلون﴾ للإنكار أنكر عليهم ترك الأكل أو حثهم عليه ﴿فأوجس﴾ فأضمر إنما خافهم لأنهم لم يتحرموا بطعامه فظن أنهم يريدون به سوءا وعن ابن عباس وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب وعن عون بن شداد مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه ﴿بغلام عليم﴾ أي يبلغ ويعلم وعن الحسن عليم نبي والمبشر به إسحق وهو أكثر الأقاويل وأصحها لأن الصفة صفة سارة لا هاجر وهي امرأة إبرهيم وهو بعلها وعن مجاهد هو إسمعيل ﴿في صرة﴾ في صيحة من صر الجندب وصر القلم والباب ومحله النصب على الحال أي فجاءت صارة قال الحسن أقبلت إلى بيتها وكانت في زاوية تنظر إليهم لأنها وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء وقيل فأخذت في صرة كما تقول أقبل يشتمني وقيل صرتها قولها أوه وقيل يا ويلتا وعن عكرمة رنتها ﴿فصكت﴾ فلطمت ببسط يديها وقيل فضربت بأطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجب ﴿عجوز﴾ أنا عجوز فكيف ألد ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الذي قلنا وأخبرنا به ﴿قال ربك﴾ أي إنما نخبرك عن الله والله قادر على ما تستبعدين وروي أن جبريل عليه السلام قال لها انظري إلى سقف بيتك فنظرت فإذا جذوعه مورقة مثمرة ﴿لما﴾ علم أنهم ملائكة وأنهم لا ينزلون إلا بإذن الله رسلا في بعض الأمور ﴿قال فما خطبكم﴾ أي فما شأنكم وما طلبتكم ﴿إلى قوم مجرمين﴾ إلى قوم لوط ﴿حجارة من طين﴾ يريد السجيل وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار في صلابة الحجارة ﴿مسومة﴾ معلمة من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به وقيل أعلمت بأنها من حجارة العذاب وقيل بعلامة تدل على أنها ليست من حجارة الدنيا سماها ﴿مسرفين﴾ كما سماهم عادين لإسرافهم وعدوانهم في عملهم حيث لم يقتنعوا بما أبيح لهم الضمير في ﴿فيها﴾ للقرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة وفيه دليل على أن الإيمان والإسلام واحد وأنهما صفتا مدح قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط وأهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر وعن قتادة لو كان فيها أكثر من ذلك لأنجاهم ليعلموا أن الإيمان محفوظ لا ضيعة على أهله عند الله ﴿آية﴾ علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قال ابن جريج هي صخر منضود فيها وقيل ماء أسود منتن ﴿وفي موسى﴾ معطوف على وفي الأرض آيات أو على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله علفتها تبنا وماء باردا ﴿فتولى بركنه﴾ فازور وأعرض كقوله ونأى بجانبه وقيل فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وملكه وقرئ بركنه بضم الكاف ﴿وقال ساحر﴾ أي هو ساحر ﴿مليم﴾ آت بما يلام عليه من كفره وعناده والجملة مع الواو حال من الضمير في فأخذناه ﴿فإن قلت﴾ كيف وصف نبي الله يونس صلوات الله عليه بما وصف به فرعون في قوله فالتقمه الحوت وهو مليم ﴿قلت﴾ موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها وكذلك مقترف الصغيرة ألا ترى إلى قوله وعصوا رسله وعصى آدم ربه لأن الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم العصيان كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة ﴿العقيم﴾ التي لا خير فيها من إنشاء مطر أو إلقاح شجر وهي ريح الهلاك واختلف فيها فعن علي رضي الله عنه النكباء وعن ابن عباس الدبور وعن ابن المسيب الجنوب ﴿والرميم﴾ كل ما رم أي بلي وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك ﴿حتى حين﴾ تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ﴿فعتوا عن أمر ربهم﴾ فاستكبروا عن امتثاله وقرئ الصعقة وهي المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة والصاعقة النازلة نفسها ﴿وهم ينظرون﴾ كانت نهارا يعاينونها وروي أن العمالقة كانوا معهم في الوادي ينظرون إليهم وما ضرتهم ﴿فما استطاعوا من قيام﴾ كقوله فأصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به إذا عجز عن دفعه ﴿منتصرين﴾ ممتنعين من العذاب ﴿وقوم نوح﴾ قرئ بالجر على معنى وفي قوم نوح وتقويه قراءة عبد الله وفي قوم نوح وبالنصب على معنى وأهلكنا قوم نوح لأن ما قبله يدل عليه أو واذكر قوم نوح ﴿بأيد﴾ بقوة والأيد القوة وقد آد يئيد وهو أيد ﴿وإنا لموسعون﴾ لقادرون من الوسع وهو الطاقة والموسع القوي على الإنفاق وعن الحسن لموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بينها وبين الأرض سعة ﴿فنعم الماهدون﴾ فنعم الماهدون نحن ﴿ومن كل شيء﴾ أي من كل شيء من الحيوان ﴿خلقنا زوجين﴾ ذكرا وأنثى وعن الحسن السماء والأرض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد أشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الأرض

وخلق الأزواج إرادة أن تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه ﴿ففروا إلى الله﴾ إلى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوه ولا تشركوا به وكرر قوله ﴿إني لكم منه نذير مبين﴾ عند الأمر بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم أن الإيمان لا ينفع إلا مع العمل كما أن العمل لا ينفع إلا مع الإيمان وأنه لا يفوز عند الله إلا الجامع بينهما ألا ترى إلى قوله لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا والمعنى قل يا محمد ففروا إلى الله ﴿كذلك﴾ الأمر مثل ذلك وذلك إشارة إلى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا ومجنونا ثم فسر ما أجمل بقوله ﴿ما أتى﴾ ولا يصح أن تكون الكاف منصوبة بأتى لأن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم يأت لكان صحيحا على معنى مثل ذلك الإتيان لم يأت من قبلهم رسول إلا قالوا ﴿أتواصوا به﴾ الضمير للقول يعني أتواصى الأولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه ﴿بل هم قوم طاغون﴾ أي لم يتواصوا به لأنهم لم يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهو الطغيان والطغيان هو الحامل عليه ﴿فتول عنهم﴾ فأعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا وعرفت منهم العناد واللجاج فلا لوم عليك في إعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك في البلاغ والدعوة ولا تدع التذكير والموعظة بأيام الله ﴿فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ أي تؤثر في الذين عرف الله منهم أنهم يدخلون في الإيمان أو يزيد الداخلين فيه إيمانا وروي أنه لما نزلت فتول عنهم حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد ذلك على أصحابه ورأوا أن الوحي قد انقطع وأن العذاب قد حضر فأنزل الله تعالى وذكر أي ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ أي إلا لأجل العبادة ولم أرد من جميعهم إلا إياها ﴿فإن قلت﴾ لو كان مريدا للعبادة منهم لكانوا كلهم عبادا ﴿قلت﴾ إنما أراد منهم أن يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين إليها لأنه خلقهم ممكنين فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريدا لها ولو أرادها على القسر والإلجاء لوجدت من جميعهم ﴿ما أريد﴾ إن شأني مع عبادي ليس كشأن السادة مع عبيدهم فإن ملاك العبيد إنما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وأرزاقهم فإما مجهز في تجارة ليفيء ربحا أو مرتب في فلاحة ليغل أرضا أو مسلم في حرفة لينتفع بأجرته أو محتطب أو محتش أو مستق أو طابخ أو خابز وما أشبه ذلك من الأعمال والمهن التي هي تصرف في أسباب المعيشة وأبواب الرزق فأما مالك ملاك العبيد فقال لهم اشتغلوا بما يسعدكم في أنفسكم ولا أريد أن أصرفكم في تحصيل رزقي ولا رزقكم وأنا غني عنكم وعن مرافقكم ومتفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم ويعيشكم من عندي فما هو إلا أنا وحدي ﴿المتين﴾ الشديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة لذو القوة على تأويل الاقتدار والمعنى في وصفه بالقوة والمتانة أنه القادر البليغ الاقتدار على كل شيء وقرئ الرازق وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم إني أنا الرازق ﴿الذنوب﴾ الدلو العظيمة وهذا تمثيل أصله في السقاة يقتسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال لنا ذنوب ولكم ذنوب فإن أبيتم فلنا القليب وقال عمرو بن شأس وفي كل قوم قد خبطت بنعمة فحق لشأس من نداك ذنوب ولما قال الملك نعم وأذنبه والمعنى فإن للذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب من أهل مكة لهم نصيبا من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم ونظرائهم من القرون وعن قتادة سجلا من عذاب الله مثل سجل أصحابهم ﴿من يومهم﴾ أي يوم القيامة وقيل من يوم بدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والذاريات أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا.

سورة الطور مكية وهي تسع وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الطور﴾ الجبل الذي كلم الله عليه موسى وهو بمدين ﴿والكتاب المسطور﴾ ﴿في رق منشور﴾ والرق الصحيفة وقيل الجلد الذي يكتب فيه الكتاب الذي تكتب فيه الأعمال قال الله تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقيل هو ما كتبه الله لموسى وهو يسمع صرير القلم وقيل اللوح المحفوظ وقيل القرآن ونكر لأنه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب كقوله ونفس وما سواها ﴿والبيت المعمور﴾ الضراح في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار والمجاورين ﴿والسقف المرفوع﴾ السماء ﴿والبحر المسجور﴾ المملوء وقيل الموقد من قوله وإذا البحار سجرت وروي أن الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار كلها نارا تسجر بها نار جهنم وعن علي رضي الله عنه أنه سأل يهوديا أين موضع النار في كتابكم قال في البحر قال علي رضي الله عنه ما أراه إلا صادقا لقوله تعالى والبحر المسجور ﴿لواقع﴾ لنازل قال جبير بن مطعم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلمه في الأسارى فلقيته في صلاة الفجر يقرأ سورة الطور فلما بلغ إن عذاب ربك لواقع أسلمت خوفا من أن ينزل العذاب ﴿تمور﴾ تضطرب وتجيء وتذهب وقيل المور تحرك في تموج وهو الشيء يتردد في عرض كالداغصة في الركبة ﴿فويل﴾ ﴿الخوض﴾ غلب في الاندفاع في الباطل والكذب ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين وخضتم كالذي خاضوا ﴿الدع﴾ الدفع العنيف وذلك أن خزنة النار يغلون أيدي الكفار إلى أعناقهم ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم ويدفعونهم إلى النار دفعا على وجوههم وزخا في أقفيتهم وقرئ يدعون من الدعاء أي يقال لهم هلموا إلى النار وادخلوا النار ﴿دعا﴾ مدعوعين يقال لهم ﴿هذه النار﴾ ﴿أفسحر هذا﴾ يعني كنتم تقولون للوحي هذا سحر أفسحر هذا يريد أهذا المصداق أيضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى ﴿أم أنتم لا تبصرون﴾ كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني أم أنتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم ﴿سواء﴾ خبر محذوف أي سواء عليكم الأمران الصبر وعدمه ﴿فإن قلت﴾ لم علل استواء الصبر وعدمه بقوله إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴿قلت﴾ لأن الصبر إنما يكون له مزية على الجزع لنفعه في العاقبة بأن يجازى عليه الصابر جزاء الخير فأما الصبر على العذاب الذي هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع ﴿في جنات ونعيم﴾ في أية جنات وأي نعيم بمعنى الكمال في الصفة أو في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة وقرئ ﴿فاكهين﴾ وفكهين وفاكهون

ثم نصبه حالا جعل الظرف مستقرا ومن رفعه خبرا جعل الظرف لغوا اى متلذذين بما آتاهم ربهم فان قلت علام عطف
قوله تعا ووقاهم ربهم قلت على قوله في جنات او على آتاهم ربهم على ان تجعل ما مصدرية والمعنى
فاكهين بايتائهم ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم ويجوز ان يكون الواو للحال وقد بعدها مضمرة يقال لهم
كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه ويجوز ان يكون مثله في قوله
هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلت اعنى صفة استعملت استعمال المصدر القائم
مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل كانه قيل هنا عزة المستحل من اعراضنا وكذلك
معنى هنيئا هنا هناكم الاكل والشرب او هناكم ما كنتم تعملون اى جزاء ما كنتم تعملون والباء مزيدة
كما في كفى بالله والباء متعلقة بكلوا واشربوا اذا جعلت الفاعل الاكل والشرب وقرئ بعيس عين
والذين آمنوا معطوف على حور عين اى قرناهم بالحور وبالذين آمنوا اى بالرفقاء والجلساء
منهم كقوله اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بمؤانسة الاخوان المؤمنين
واتبعناهم ذرياتهم قال رسول الله صلعم ان الله تعا يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه
ثم تلا هذه الاية فيجمع الله لهم انواع السرور بسعادتهم في انفسهم وبمزاوجة الحور العين وبمؤانسة
الاخوان المؤمنين وباجتماع اولادهم ونسلهم بهم ثم قال بايمان الحقنا بهم ذرياتهم اى بسبب ايمان
عظيم رفيع المحل وهو ايمان الاباء الحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم
وعلى آبائهم لنتم سرورهم ونكمل نعيمهم فان قلت ما معنى تنكير الايمان قلت معناه الدلالة على انه
ايمان خاص عظيم المنزلة ويجوز ان يراد ايمان الذرية الداني المحل كانه قال بشيء من الايمان لا يؤهلهم
لدرجة الاباء الحقناهم بهم وقرئ واتبعتهم ذريتهم وذرياتهم واتبعناهم ذرياتهم وذريتهم وقرئ
ذرياتهم بكسر الذال ووجه آخر وهو ان يكون والذين آمنوا مبتدأ خبره بايمان الحقنا بهم ذرياتهم
وما بينهما اعتراض وما التناهم وما نقصناهم يعني وفرنا عليهم جميع ما ذكرنا من الثواب والتفضل
وما نقصناهم من ثواب عملهم من شيء وقيل معناه وما نقصناهم من ثوابهم شيئا نعطيه الابناء حتى
يلحقوا بهم انما الحقناهم بهم على سبيل التفضل قرئ التناهم وهو من الت يالت ومن
الات يليت كامات يميت ولتناهم من الت يلوت كاعتى يوعى ولتناهم من لات يليت وولتناهم
من ولت يلت ومعناهن واحد كل امرئ بما كسب رهين اى مرهون كان نفس العبد رهن عند الله بالعمل
الصالح الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فان عمل صالحا فكها وخلصها والا
اوبقها وامددناهم وزدناهم في وقت بعد وقت يتنازعون يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم
من اقربائهم واخوانهم كاسا خمرا لا لغو فيها في شربها ولا تأثيم اى لا يتكلمون في اثناء الشرب بسقط
الحديث وما لا طائل تحته كفعل المتنادمين في الدنيا على الشراب في سفههم وعربدتهم ولا يفعلون
ما يؤثم به فاعله اى ينسب الى الاثم لو فعله في دار التكليف من الكذب والشتم والفواحش وانما
يتكلمون بالحكم والكلام الحسن متلذذين بذلك لان عقولهم ثابتة غير زائلة وهم حكماء علماء وقرئ
لا لغو فيها ولا تأثيم غلمان لهم اى مملوكون لهم مخصوصون بهم مكنون في الصدف لانه رطبا احسن
واصفى او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي القيمة وقيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم
فقال قال رسول الله صلعم والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر
الكواكب وعنه عليه السلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه
لبيك لبيك يتساءلون يتحادثون ويسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله وما استوجب به نيل ما
عند الله مشفقين ارقاء القلوب من خشية الله وقرئ ووقانا بالتشديد عذاب السموم عذاب النار
ووهجها ولفحها والسموم الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لانها بهذه الصفة
من قبل من قبل لقاء الله والمصير اليه يعنون في الدنيا ندعوه نعبده ونسأله الوقاية انه هو البر المحسن
الرحيم العظيم الرحمة الذي اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب وقرئ انه بالفتح بمعنى لانه فذكر
فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ولا يثبطنك قولهم كاهن او مجنون ولا تباليه فانه قول باطل
متناقض لان الكاهن يحتاج في كهانته الى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله وما انت
بحمد الله وانعامه عليك بصدق النبوة ورجاحة العقل احد هذين وقرئ نتربص به ريب المنون
على البناء للمفعول وريب المنون ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر قال ابو ذؤيب
امن المنون وريبها تتوجع وقيل المنون الموت وهو في الاصل فعول من منه اذا قطعه
لان الموت قطوع ولذلك سميت شعوب قالوا ننتظر به نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء
زهير والنابغة تربصوا انا معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي احلامهم عقولهم والبابهم
ومنه قولهم احلام عاد والمعنى ان احلامهم تأمرهم بهذا التناقض في القول وهو قولهم
كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون اهل الاحلام والنهى ام هم قوم طاغون مجاوزون
الحد في العناد مع ظهور الحق لهم فان قلت ما معنى كون الاحلام آمرة قلت هو مجاز لادائها
الى ذلك كقوله اصلاتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا وقرئ بل هم قوم طاغون تقوله اختلقه
من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم
وانه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد الا واحد من العرب وقرئ بحديث مثله على الاضافة والضمير

لرسول الله صلعم ومعناه ان مثل محمد في فصاحته ليس بمعوز في العرب فان قدر محمد على نظمه كان مثله قادرا عليه
فليأتوا بحديث ذلك المثل ام خلقوا ام احدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم من غير شيء من غير مقدر
ام هم الذين خلقوا انفسهم حيث لا يعبدون الخالق بل لا يوقنون اى اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات
والارض قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون وقيل اخلقوا من اجل لا شيء من جزاء ولا حساب
وقيل اخلقوا من غير اب ام عندهم خزائن الرزق حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا او عندهم خزائن علمه حتى
يختاروا لها من اختياره حكمة ومصلحة ام هم المسيطرون الارباب الغالبون حتى يدبروا امر الربوبية ويبنوا
الامور على ارادتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد ام لهم سلم منصوب الى السماء يستمعون
صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم
وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم المغرم ان يلتزم الانسان
ما ليس عليه اى لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك في اتباعك ام عندهم الغيب اى اللوح المحفوظ فهم يكتبون
ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وان بعثنا لم نعذب ام يريدون كيدا وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله صلعم
وبالمؤمنين فالذين كفروا اشارة اليهم او اريد بهم كل من كفر بالله هم المكيدون هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم
ويحيق بهم مكرهم وذلك انهم قتلوا يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته كسفا القطعة وهو
جواب قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد انهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو اسقطناه عليهم
لقالوا هذا سحاب مركوم تراكم بعضه فوق بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب وقرئ حتى يلقوا
يلاقوا يصعقون يموتون وقرئ يصعقون يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الاولى نفخة الصعق
وان للذين ظلموا وان لهؤلاء الظلمة عذابا دون ذلك دون يوم القيامة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين
وعذاب القبر وفي مصحف عبد الله دون ذلك قريبا لحكم ربك بامهالهم وما يلحقك فيه من المشقة
والكلفة فانك باعيننا مثل اى بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لان الضمير بلفظ ضمير الجماعة الا ترى الى قوله
ولتصنع على عيني وقرئ باعينا بالادغام حين تقوم من اي مكان قمت وقيل من منامك وادبار النجوم واذا
ادبرت النجوم من آخر الليل وقرئ وادبار بالفتح بمعنى في اعقاب النجوم وآثارها اذا غربت
والمراد الامر بقوله سبحان الله وبحمده في هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلاة اذا قام من نومه ومن الليل
صلاة العشاءين وادبار النجوم صلاة الفجر عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه عذابه
وان ينعمه في جنته

سورة والنجم مكية وهي احدى وستون آية وقيل اثنتان وستون • بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم الثريا وهو اسم غالب لها يقال اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء • او جنس النجوم قال
فباتت تعد النجم في مستحيرة • يريد النجوم اذا هوى اذا انقض او النجم من نجوم القرآن وقد نزل منجما في عشرين سنة
اذا هوى اذا نزل او النبات اذا هوى اذا سقط على الارض وعن عروة بن الزبير ان عتبة بن ابي لهب
وكانت تحته بنت رسول الله صلعم اراد الخروج الى الشام فقال لآتين محمدا فلاوذينه فاتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم
اذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله صلعم ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله صلعم اللهم
سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان اغناك يا ابن اخي عن هذه الدعوة
فرجع عتبة الى ابيه فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم
ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني اخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا
جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان
من يرجع العام الى اهله • فما اكيل السبع بالراجع • ما ضل صاحبكم يعني محمدا صلعم والخطاب لقريش وهو
جواب القسم والضلال نقيض الهدى والغي نقيض الرشد اى هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم
اياه الى الضلال والغي وما اتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه انما هو وحي من عند الله
يوحى اليه ويحتج بهذه الاية من لا يرى الاجتهاد للانبياء ويجاب بان الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد
وما يستند اليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى شديد القوى ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية
لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبريل ومن قوته انه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود
وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء
وصعوده في اوحى من رجعة الطرف ورأى ابليس يكلم عيسى على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه
بجناحه نفحة فالقاه في اقصى جبل بالهند ذو مرة ذو حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه فاستوى
فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل في صورة دحية
وذلك ان رسول الله صلعم احب ان يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الافق الاعلى وهو افق الشمس فملأ
الافق وقيل ما رآه احد من الانبياء في صورته الحقيقية غير محمد صلعم مرتين مرة في الارض ومرة
في السماء ثم دنا من رسول الله صلعم فتدلى فتعلق عليه في الهواء ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير والدوالي الثمر المعلق قال
تدلى عليها بين سب وخيطة [illegible] فكان قاب قوسين [illegible]
[illegible] والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس والمقدار [illegible]

ويجوز التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع ومنه لا صلوة الى ان ترتفع الشمس مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس احدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط ويقال بينهما خطوات يسيرة وقال وقد جعلتني من حزيمة اصبعا فان قلت كيف تقدير قوله فكان قاب قوسين قلت تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات كما قال ابو علي في قوله وقد جعلتني من حزيمة اصبعا اى ذا مقدار مسافة اصبع او ادنى اى على تقديركم كقوله او يزيدون الى عبده الى عبد الله وان لم يجر لاسمه تعالى ذكر لانه لا يلتبس كقوله على ظهرها ما اوحى تفخيم للوحى الذي اوحى اليه قيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبيا حتى تدخلها امتك ما كذب الفؤاد فؤاد محمد صلعم ما رآه ببصره من صورة جبريل اى ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه يعنى انه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في ان ما رآه حق وقرئ ما كذب اى صدقه ولم يكذبه انه جبريل بصورته افتمارونه من المرا وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كان كل واحد من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه وقرئ افتمرونه افتغلبونه في المرا من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدى بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه وانشدوا لئن هجرت اخا صدق ومكرمة لقد مريت اخا ما كان يمريكا وقالوا يقال مريته حقه اذا جحدته وتعديته بعلى لا تصح الا على مذهب التضمين ولقد رآه نزلة اخرى مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذى هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها اى نزل عليه جبريل نزلة اخرى في صورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج سدرة المنتهى هي شجرة نبق في السما السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من اصلها الانهار التى ذكرها الله تعالى في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى بمعنى موضع الانتهى او الانتهاء كانها في منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها احد واليها ينتهى علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل تنتهى اليها ارواح الشهدا جنة المأوى الجنة التى يصير اليها المتقون عن الحسن وقيل تأوى اليها ارواح الشهداء وقرأ علي وابن الزبير وجماعة جنة المأوى اى ستره بظلاله ودخل فيه وعن عائشة انها انكرته وقالت من قرأ به فاجنه الله ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة ان ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله اشيا لا يكتنهها النعت ولا يحيط بها الوصف وقد قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وعن رسول الله صلعم رأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله وعنه عليه السلام يغشاها رفرف من طير خضر وعن ابن مسعود وغيره يغشاها فراش من ذهب ما زاغ البصر بصر رسول الله صلعم وما طغى وما جاوز ما امر برؤيته لقد رأى والله لقد رأى من آيات ربه الآيات التى هى كبراها وعظماها يعنى حين رقى به الى السما فأرى عجائب الملكوت اللات والعزى ومناة اصنام كانت لهم وهى مؤنثات فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل كانت بنخلة يعبدها قريش وهى فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة او يلتوون عليها اى يطوفون وقرئ اللات بالتشديد وزعموا انه سمى برجل كان يلت عنده السمن بالزيت ويطعمه الحاج وعن مجاهد كان رجل يلت السويق بالطائف وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثنا والعزى كانت لغطفان وهى سمرة واصلها تأنيث الاعز وبعث اليها رسول الله صلعم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على راسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول يا عز كفرانك لا سبحانك انى رأيت الله قد اهانك ورجع فاخبر رسول الله صلعم فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وعن ابن عباس لثقيف وقرئ ومناءة وكانها سميت مناة لان دماء النسائك كانت تمنى عندها اى تراق ومناءة مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والاخرى ذم وهى المتاخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت اخراهم لاولاهم اى وضعاؤهم لرؤسائهم واشرافهم ويجوز ان تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى كانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون انهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات فقيل لهم الكم الذكر وله الانثى ويجوز ان يراد ان اللات والعزى ومناة اناث وقد جعلتموهن لله شركا ومن شأنكم ان تحتقروا الاناث وتستنكفوا من ان يولدن لكم وينسبن اليكم فكيف تجعلون هؤلاء الاناث انداد الله وتسمونهن آلهة قسمة ضيزى جائرة من ضازه يضيزه اذا ضامه والاصل ضوزى ففعل بها ما فعل ببيض لتسلم اليا وقرئ ضئزى من ضأزه بالهمز وضيزى بفتح الضاد هى ضمير الاصنام اى ما هى الا اسما ليس تحتها في الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية لما هو ابعد شئ منها واشده منافاة لها ونحوه قوله ما تعبدون من دونه الا اسما سميتموها او ضمير الاسما وهى قولهم اللات والعزى ومناة وهم يقصدون بها اسما الالهة يعنى ما هذه الاسما الا اسما سميتموها بهواكم وشهوتكم ليس لكم من الله على صحة تسميتها برهان تتعلقون به ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد ان يتبعون وقرئ بالتاء الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق وان آلهتهم شفعاؤهم وما تشتهيه انفسهم ويتركون ما جاءهم من الهدى والدليل على ان دينهم باطل ام للانسان ما تمنى هى ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها للانكار اى ليس للانسان ما تمنى والمراد طمعهم في شفاعة الآلهة وهو تمنٍ على الله

البعد

وغاية البعد وقيل هو قولهم ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقيل هو قول الوليد بن المغيرة لاوتين مالا وولدا وقيل هو تمنى بعضهم ان يكون هو النبى فلله الآخرة والاولى اى هو مالكهما فهو يعطى منهما من يشاء ويمنع من يشاء وليس لاحد ان يتحكم عليه في شئ منهما يعنى ان امر الشفاعة ضيق وذلك ان الملائكة مع قربهم وزلفاهم وكثرتهم واغتصاص السماوات بجموعهم لو شفعوا باجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئا قط ولم تنفع الا اذا شفعوا من بعد ان ياذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه اهلا لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام اليهم لعبدتها ليسمون الملائكة اى كل واحد منهم تسمية الانثى لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهى تسمية الانثى به من علم اى بذلك وبما يقولون وفى قراءة ابي بها اى بالملائكة او بالتسمية لا يغنى من الحق شيئا يعنى انما يدرك الحق الذى هو حقيقة الشئ وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم فاعرض عن دعوة من رأيته معرضا عن ذكر الله وعن الآخرة ولم يرد الا الدنيا ولا تتهالك على اسلامه ان ربك هو اعلم اى انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب وانت لا تعلم فخفض على نفسك ولا تتعبها فانك لا تهدى من احببت وما عليك الا البلاغ وقوله ذلك مبلغهم من العلم اعتراض او فاعرض عنه ولا تقابله ان ربك هو اعلم بالضال والمهتدى وهو مجازيهما بما يستحقان من الجزاء وقرئ لنجزى ولنجزى بالياء والنون فيهما ومعناه ان الله عز وجل انما خلق العالم وسوى هذه الملكوت لهذا الغرض وهو ان يجازى المحسن من المكلفين والمسئ منهم ويجوز ان يتعلق بقوله هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى لان نتيجة العلم بالضال والمهتدى جزاؤهما بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء وبالحسنى بالمثوبة الحسنى وهى الجنة او بسبب ما عملوا من السوء وبسبب الاعمال الحسنى كبائر الاثم الكبائر من الاثم لان الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التى لا يسقط عقابها الا بالتوبة وقيل التى يكبر عقابها بالاضافة الى ثواب صاحبها والفواحش ما فحش من الكبائر كانه قال والفواحش منها خاصة وقرئ كبير الاثم اى النوع الكبير منه وقيل هو الشرك بالله سبحانه الا اللمم ما قل وصغر ومنه اللمم المس من الجنون واللوثة منه والم بالمكان اذا قل فيه لبثه والم بالطعام قل منه اكله ومنه لقاء اخلاء الصفاء لمام والمراد الصغائر من الذنوب ولا يخلو قوله الا اللمم من ان يكون استثناء منقطعا او صفة كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله فسدتا كانه قيل كبائر الاثم غير اللمم وآلهة غير الله وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه اللمم هو النظرة والغمزة والقبلة وعن السدى الخطرة من الذنب وعن الكلبى كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وعن عطا عادة النفس الحين بعد الحين ان ربك واسع المغفرة حيث يكفر الصغائر باجتناب الكبائر والكبائر بالتوبة فلا تزكوا انفسكم فلا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير وعمل الطاعات او الى الزكاء والطهارة من المعاصى ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكى منكم والتقى اولا وآخرا قبل ان يخرجكم من صلب آدم وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب والريا فاما من اعتقد ان ما عمله من العمل الصالح من الله وبتوفيقه وتاييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر واكدى قطع عطيته وامسك واصله اكداء الحافر وهو ان تلقاه كدية وهى صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر ونحوه اجبل الحافر ثم استعير فقيل اجبل الشاعر اذا افحم روى ان عثمان كان يعطى ماله في الخير فقال له عبد الله بن سعد بن ابى سرح وهو اخوه من الرضاعة يوشك ان لا يبقى لك شئ فقال عثمان ان لى ذنوبا وخطايا وانى اطلب بما اصنع رضا الله وارجو عفوه فقال عبد الله اعطنى ناقتك برحلها وانا اتحمل عنك ذنوبك كلها فاعطاه واشهد عليه وامسك عن العطاء فنزلت ومعنى تولى ترك المركز يوم احد فعاد عثمان الى احسن من ذلك واجمل فهو يرى فهو يعلم ان ما قاله له اخوه من احتمال اوزاره حق وفى قرئ مخففا ومشددا والتشديد مبالغة في الوفاء او بمعنى وفر واتم كقوله فاتمهن واطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية من ذلك تبليغه الرسالة واستقلاله باعباء النبوة والصبر على ذبح ولده وعلى نار نمرود وقيامه باضيافه وخدمته اياهم بنفسه وانه كان يخرج كل يوم فيمشي فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وعن الحسن ما امره الله بشئ الا وفى به وعن الهذيل بن شرحبيل كان بين نوح وبين ابراهيم يؤخذ الرجل بجريرة غيره ويقتل بابيه وابنه وعمه وخاله والزوج بامراته والعبد بسيده فاول من خالفهم ابراهيم عليه السلام وعن عطاء بن السائب عهد ان لا يسأل مخلوقا فلما قذف في النار قال له جبريل وميكائيل الك حاجة فقال اما اليكما فلا وعن النبى صلعم وفى عمله كل يوم باربع ركعات في صدر النهار وهى صلوة الضحى وروى الا اخبركم لم سمى الله خليله الذى وفى كان يقول اذا اصبح وامسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى حين تظهرون وقيل وفى سهام الاسلام وهى ثلاثون عشرة في التوبة والتائبون وعشرة في الاحزاب ان المسلمين وعشرة في المؤمنين قد افلح المؤمنون وقرئ في صحف بالتخفيف ان لا تزر

أن تحفظه من القبيلة والمعنى انه لا تزر وازرة وزر اخرى والضمير ضمير الشأن ومحل أن وما بعدها الجر بدلا من ما في صحف
موسى او الرفع على هو أن لا تزر كأن قائلا قال وما في صحف موسى وابراهيم فقيل ألا تزر وازرة وزر اخرى الا ما سعى
الا سعيه فإن قلت أما صح في الأخبار الصدقة عن الميت والحج عنه وله الأضعاف قلت فيه جوابان
احدهما أن سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعي نفسه وهو أن يكون مؤمنا صالحا وكذلك الأضعاف كان
سعي غيره كأنه سعي نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه والثاني ان سعي غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه
ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه ثم يجزاه ثم يجزى العبد سعيه يقال
جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز أن يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله
الجزاء الأوفى أو أبدله عنه كقوله وأسروا النجوى الذين ظلموا وأن الى ربك المنتهى قرئ بالفتح على معنى
أن هذا كله في الصحف وبالكسر على الابتداء وكذلك ما بعده والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء اي ينتهي اليه
الخلق ويرجعون اليه كقوله والى الله المصير أضحك وأبكى خلق قوتي الضحك والبكاء اذا تمنى اذا تدفق في
الرحم يقال منى وأمنى وعن الأخفش تخلق من مني الماني اي قدر المقدر وقرئ النشاءة والنشاءة بالمد
وقال عليه لأنها واجبة عليه في الحكمة ليجازي على الإحسان والإساءة وأقنى وأعطى القنية وهي المال الذي
تأثلته وعزمت أن لا تخرجه من يدك الشعرى مرزم الجوزاء وهي التي تطلع وراءها وتسمى كلب الجبار وهما
شعريان الغميصاء والعبور واراد العبور وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك ابو كبشة
رجل من اشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابو كبشة تشبيها له به لمخالفته اياهم في دينهم
يريد انه رب معبودهم هذا عادا الأولى قوم هود وعاد الأخرى إرم وقيل الأولى القدماء
لأنهم أولى الأمم هلاكا بعد قوم نوح أو المتقدمون في الدنيا الأشراف وقرئ عادا لولى وعاد لولى
بادغام التنوين في اللام وطرح همزة أولى ونقل ضمتها الى لام التعريف وثمودا وقرئ وثمود اظلم واطغى
لأنهم كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم
أن يسمعوا منه وما أثر فيهم دعاؤه قريبا من ألف سنة والمؤتفكة والقرى التي ائتفكت بأهلها أي انقلبت
وهم قوم لوط يقال أفكه فأتفك وقرئ والمؤتفكات أهوى رفعها الى السماء على جناح جبريل ثم اهواها
الى الأرض أي أسقطها فغشاها ما غشى تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وأمطر عليها من الصخر
المنضود فبأي آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او للانسان على الاطلاق وقد عدد
نعما ونقما وسماها كلها آلاء من قبل ما في نقمه من المزاجر والمواعظ للمعتبرين هذا القرآن
نذير من النذر الأولى اي انذار من جنس الانذارات الأولى التي انذر بها من قبلكم او هذا الرسول
منذر من المنذرين الأولين وقال الأولى على تأويل الجماعة أزفت الآزفة قربت الموصوفة بالقرب
في قوله اقتربت الساعة ليس لها نفس كاشفة اي مبينة متى تقوم كقوله لا يجليها لوقتها الا هو
أو ليس لها نفس كاشفة أي قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير انه لا يكشفها او ليس لها الآن
نفس كاشفة بالتأخير وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية وقرئ ليس لها مما يدعون
من دون الله كاشفة وهي على الظالمين ساءت الغاشية أفمن هذا الحديث وهو القرآن تعجبون انكارا
وتضحكون استهزاء ولا تبكون والبكاء والخشوع حق عليكم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم ير ضاحكا بعد نزولها وقرئ
تعجبون تضحكون بغير واو وأنتم سامدون شامخون مبرطمون وقيل لاهون لاعبون وقال
بعضهم لجاريته اسمدي لنا اي غني لنا فاسجدوا لله واعبدوا ولا تعبدوا الآلهة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة النجم أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم انشق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس وابن مسعود قال
ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتي القمر
وعن بعض الناس ان معناه ينشق يوم القيامة وقوله وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر يرده
وكفى به رادا وفي قراءة حذيفة وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها
ان القمر قد انشق كما تقول اقبل الامير وقد جاء المبشر بقدومه وعن حذيفة انه خطب بالمدائن
ثم قال ألا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم مستمر دائم مطرد وكل شيء
قد انقادت درته وداومت حاله قيل فيه قد استمر لذلك بتتابع المعجزات وترادف الآيات
فقالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر قوي محكم من قولهم استمر مريره وقيل هو من استمر الشيء
اذا اشتدت مرارته اي مستبشع عندنا مر على لهواتنا لا نقدر ان نسيغه كما لا يساغ
المر الممقر وقيل مستمر مار ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وقرئ وان يروا
واتبعوا أهواءهم وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره وكل أمر مستقر اي كل أمر لا بد
أن يصير الى غاية يستقر عليها وان أمر محمد سيصير الى غاية يتبين عندها انه حق او باطل
وسيظهر لهم عاقبته او وكل أمر من أمرهم وأمره مستقر اي سيثبت ويستقر على حالة خذلان أو نصرة في الدنيا وشقاوة أو سعادة

في الآخرة وقرئ بفتح القاف يعني كل أمر ذو مستقر اي ذو استقرار او ذو موضع استقرار او زمان استقرار
وعن ابي جعفر مستقر بكسر القاف والجر عطفا على الساعة اي اقتربت الساعة واقترب كل أمر مستقر يستقر ويتبين
حاله من الأنباء من القرآن المودع أنباء القرون الخالية او أنباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار مزدجر
ازدجار او موضع ازدجار والمعنى هو في نفسه موضع للازدجار ومظنة له كقوله لكم في رسول الله أسوة حسنة
اي هو أسوة حسنة وقرئ مزجر بقلب تاء الافتعال زايا وادغام الزاي فيها حكمة بالغة بدل من ما او على
هو حكمة وقرئ بالنصب حالا من ما فإن قلت ان كانت ما موصولة ساغ لك ان تنصب حكمة حالا فكيف
تعمل ان كانت موصوفة وهو الظاهر قلت تخصصها الصفة فيحسن نصب الحال عنها فما تغن النذر نفي او انكار
وما منصوبة اي فأي غناء تغني النذر فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم نصب يوم يدع الداع بيخرجون
او باضمار اذكر وقرئ بإسقاط الياء اكتفاء بالكسرة عنها والداعي اسرافيل او جبريل كقوله يوم ينادي المناد
الى شيء نكر منكر فظيع تنكره النفوس لأنها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر
بمعنى أنكر خاشعا أبصارهم حال من الخارجين فعل للأبصار وذكر كما تقول يخشع أبصارهم وقرئ خاشعة
وقرئ خاشعة على تخشع أبصارهم وخشعا على يخشعن أبصارهم وهي لغة من يقول أكلوني البراغيث
وهم طي ويجوز أن يكون في خشعا ضميرهم ويقع أبصارهم بدلا عنه وقرئ خشع أبصارهم على الابتداء والخبر ومحل
الجملة النصب على الحال كقوله وجدته حاضراه الجود والكرم وخشوع
الأبصار كناية عن الذلة والانخزال لأن ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما وقرئ يخرجون من الأجداث
سراعا من القبور كأنهم جراد منتشر الجراد مثل في الكثرة والتموج يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض
جاءوا كالجراد وكالدبا منتشر في كل مكان لكثرته مهطعين الى الداع مسرعين مادي أعناقهم اليه وقيل
ناظرين اليه لا يقلعون بأبصارهم قال تعبدني نمر بن سعد وقد أرى ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع
قبلهم قبل أهل مكة فكذبوا عبدنا يعني نوحا صلوات الله عليه فإن قلت ما معنى قوله فكذبوا بعد قوله كذبت قلت
معناه كذبوا فكذبوا عبدنا اي كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبت
قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا اي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأسا كذبوا نوحا لأنه من جملة الرسل
مجنون هو مجنون وازدجر وانتهروه بالشتم والضرب والوعيد بالرجم في قولهم لتكونن من المرجومين
وقيل هو من جملة قيلهم اي قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت بقلبه وقرئ
اني بمعنى فدعا بأني مغلوب وإني على ارادة القول فدعا فقال اني مغلوب غلبني قومي فلم يسمعوا مني واستحكم اليأس
من اجابتهم لي فانتصر فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم وانما دعا بذلك بعد ما طم عليه الأمر وبلغ السيل
الزبى فقد روي ان الواحد من أمته كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو يقول اللهم اغفر لقومي
فانهم لا يعلمون ففتحنا قرئ مخففا ومشددا وكذلك وفجرنا منهمر منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع اربعين
يوما وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كأنها عيون تتفجر وهو أبلغ من قولك وفجرنا عيون الارض ونظيره
في النظم واشتعل الرأس شيبا فالتقى الماء يعني مياه السماء والارض وقرئ الماءان اي النوعان من الماء السماوي
والارضي ونحوه قولك عندي تمران تريد ضربين من التمر برني ومعقلي قال لنا ابلان فيهما ما علمتم فعن
أيهما ما شئتم فتنكبوا وقرأ الحسن الماوان بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان على أمر قد قدر على حال
قدرها الله كيف شاء وقيل على حال جاءت مقدرة مستوية وهي ان قدر ما انزل من السماء كقدر ما اخرج من الارض
وقيل على أمر قد قدر في اللوح انه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان على ذات ألواح ودسر اراد
السفينة وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل
بينها وبينها ونحوه ولكن قميصي مسرودة من حديد اراد ولكن قميصي درع وكذلك ولو في عيون النازيات بأكرع
اراد ولو في عيون الجراد ألا ترى انك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة او بين الدرع والجراد وهاتين
الصفتين لم يصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره
اذا دفعه لأنه يدسر به منفذه جزاء مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعده اي فعلنا ذلك
جزاء لمن كان كفر وهو نوح صلوات الله عليه وجعله مكفورا لأن النبي نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى وما أرسلناك
الا رحمة للعالمين فكان نوح عليه السلام نعمة مكفورة ومن هذا المعنى ما يحكى ان رجلا قال للرشيد الحمد لله عليك
فقال ما معنى هذا الكلام قال انت نعمة حمدت الله عليها ويجوز ان يكون على حذف الجار وايصال
الفعل وقرأ قتادة كفر اي جزاء للكافرين وقرأ الحسن جزاء بالكسر اي مجازاة ولقد تركناها الضمير للسفينة
او للفعلة اي جعلناها آية يعتبر بها وعن قتادة أبقاها الله بأرض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا
طويلا حتى نظر اليها أوائل هذه الأمة فهل من مدكر معتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا
وادغام الذال فيها وهذا نحو مذجر ونذر جمع نذير وهو الانذار ولقد يسرنا القرآن للذكر سهلناه
للادكار والاتعاظ بأن شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد فهل من متعظ وقيل
ولقد سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويجوز أن يكون المعنى
ولقد هيأناه للذكر من يسر ناقته للسفر اذا رحلها ويسر فرسه للغزو اذا اسرجه وألجمه قال
وقمت اليه باللجام ميسرا هنالك يجزيني الذي كنت اصنع ويروى أن كتب أهل الأديان نحو التوراة والانجيل
لا يتلوها أهلها الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن ونذر وانذاري لهم بالعذاب قبل نزوله
او وانذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم في يوم نحس في يوم شؤم وقرئ في يوم نحس كقوله في أيام نحسات
مستمر قد استمر عليهم ودام حتى أهلكهم او استمر عليهم جميعا كبيرهم وصغيرهم

حولهم يبق منهم نسمة وكان في أربعاء في آخر الشهر لا تدور وكون ان يريد بالمستمر الشديد المرارة والبشاعة
تنزع الناس تقلعهم عن اماكنهم وكانوا يصطفون آخذين بعضهم بأيدي بعض ويدخلون في الشعاب
ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم كأنهم أعجاز نخل منقعر يعني أنهم
كانوا يتساقطون على الأرض امواتا وهم جثث طوال كأنهم اعجاز نخل وهي اصولها بلا فروع
منقعر منقلع عن مغارسه وقيل شبهوا باعجاز النخل لان الريح كانت تقطع رؤوسهم فتبقى اجسادا
بلا رؤوس وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لانث كما قال اعجاز نخل خاوية أبشرا منا
واحدا نصب بفعل يفسره نتبعه وقرئ أبشر منا واحد على الابتداء ونتبعه خبره والاول اوجه
للاستفهام كان يقول ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه
فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب والسعر الجنون يقال
ناقة مسعورة قال كأن بها سعرا اذا العيس هزها ذميل وارخاء من السير متعب فان قلت
كيف انكروا ان يتبعوا بشرا منهم واحدا قلت قالوا ابشرا انكارا لان يتبعوا مثلهم في الجنسية
وطلبوا ان يكون من جنس اعلى من جنس البشر وهم الملائكة وقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة
اقوى وقالوا واحدا انكارا لان تتبع الامة رجلا واحدا او ارادوا واحدا من افنائهم ليس بأشرفهم
وافضلهم ويدل عليه قولهم أألقي الذكر عليه من بيننا اي أأنزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو احق منه
بالاختيار للنبوة أشر بطر متكبر حمله بطره وشطارته وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك سيعلمون
غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيامة من الكذاب الاشر أصالح ام من كذبه وقرئ ستعلمون على حكاية ما
قال لهم صالح مجيبا لهم او هو كلام الله على سبيل الالتفات وقرئ الأشر بضم الشين كقولهم حذر
وحذر وأخوات لها وقرئ الأشر وهو الابلغ في الشرارة والاخير والاشر اصل قولهم هو خير منه
وشر منه وهو اصل مرفوض وقد حكى ابن الانباري تقول العرب هو اخير واشر وما اخيره واشره مرسلوا
الناقة باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا فتنة لهم امتحانا لهم فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما هم
صانعون واصطبر على اذاهم ولا تعجل حتى يأتيك امري قسمة بينهم مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم
وانما قال بينهم تغليبا للعقلاء محتضر محضور لهم او للناقة وقيل يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها
صاحبهم قدار بن سالف أحيمر ثمود فتعاطى فاجترأ على تعاطي الامر العظيم غير مكترث له فاحدث العقر
بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها او فتعاطى السيف صيحة واحدة صيحة جبريل الهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر
والمحتظر الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطأه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرئ بفتح الظاء وهو موضع حاصبا
ريحا تحصبهم بالحجارة اي ترميهم بسحر بقطع من الليل وهو السدس الاخير منه وقيل هما سحران فالسحر الاعلى قبل انصداع
الفجر والآخر عند انصداعه وانشد مرت بأعلى السحرين تذأل وصرف لانه نكرة ويقال لقيته بسحر
اذا لقيته في سحر يومه نعمة انعاما منا كذلك نجزي من شكر نعمة الله بايمانه وطاعته ولقد انذرهم بطشتنا
اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوا بالنذر متشاكين فطمسنا اعينهم فمسحناها وجعلناها كسائر الوجه
لا يرى لها شق روي انهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا انا رسل ربك
لن يصلوا اليك فصفقهم جبريل بجناحه صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم
لوط فذوقوا فقلت لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة بكرة اول النهار وباكره كقوله مشرقين ومصبحين
وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه بكرة غير منصرفة تقول اتيته بكرة وغدوة بالتنوين اذا اردت التنكير وبكرة وغدوة
اذا عرفت وقصدت بكرة نهارك وغدوته عذاب مستقر ثابت قد استقر عليهم الى ان يفضي بهم الى عذاب
الآخرة فان قلت ما فائدة تكرير قوله فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قلت فائدته
ان يجددوا عند استماع كل نبأ من انباء الاولين ادكارا واتعاظا وان يستأنفوا تنبها واستيقاظا اذا
سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وان تقرع لهم العصا مرات ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم
السهو ولا تستولي عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير كقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها في
سورة الرحمن وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية اوردها في سورة المرسلات وكذلك تكرير الانباء والقصص
في انفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية في كل اوان النذر
موسى وهرون وغيرهما من الانبياء لانهما عرضا عليهم ما انذر به المرسلون او جمع نذير وهو الانذار بآياتنا كلها
بالآيات التسع أخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء أكفاركم يا اهل مكة خير من أولئكم الكفار المعدودين
قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون اي اهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا او اقل كفرا وعنادا يعني
ان كفاركم مثل اولئك بل شر منهم ام انزلت عليكم يا اهل مكة براءة في الكتب المتقدمة ان من كفر منكم وكذب
الرسل كان آمنا من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة نحن جميع جماعة امرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام
ولا نضام وعن ابي جهل انه ضرب فرسه يوم بدر فتقدم في الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد واصحابه
فنزلت سيهزم الجمع عن عكرمة لما نزلت هذه الآية قال عمر اي جمع يهزم فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب
في الدرع ويقول سيهزم الجمع عرف تأويلها ويولون الدبر اي الادبار كما قال كلوا في بعض بطنكم
وقرئ الادبار ادهى اشد وافظع والداهية الامر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه وأمر من الهزيمة والقتل
والاسر وقرئ سنهزم الجمع في ضلال وسعر في هلاك ونيران او في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة
مس سقر كقولك وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لان النار اذا اصابتهم بحرها ولحقتهم بايلامها
فكأنها تمسهم مسا بذلك كما يمس الحيوان ويباشر بما يؤذي ويؤلم وذوقوا على ارادة القول وسقر

علم

علم لجهنم من سقرته النار وصقرته اذا لوحته قال ذو الرمة اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها بأفنان مربوع الصريمة
معبل وعدم صرفها للتعريف والتأنيث كل شيء منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ كل شيء بالرفع والقدر
والقدر التقدير وقرئ بهما اي خلقنا كل شيء مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة او مقدرا مكتوبا
في اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة سريعة التكوين
كلمح بالبصر اراد قوله كن يعني انه اذا اراد تكوين شيء لم يلبث كونه اشياعكم اشباهكم في الكفر من الامم
في الزبر في دواوين الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال ومن كل ما هو كائن مستطر مسطور في اللوح
ونهر وانهار اكتفى باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء ونهر جمع
نهر كأسد وأسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين
عند مليك مبهم امره في الملك والاقتدار فلا شيء الا وهو تحت ملكه وقدرته فأي منزلة اكرم من تلك المنزلة
واجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه
مثل القمر ليلة البدر

سورة الرحمن مكية وقيل مدنية وقيل فيها مكي ومدني وهي ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم عدد الله عز وجل آلاءه فأراد ان يقدم اول شيء ما هو اسبق قدما من ضروب
الآية واصناف نعمائه وهي نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو في اعلى مراتبها واقصى مراقيها وهو انعامه
بالقرآن وتنزيله وتعليمه لانه اعظم وحي الله رتبة واعلاه منزلة واحسنه في ابواب الدين اثرا وهو سنام
الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها واخر ذكر خلق الانسان عن ذكره ثم اتبعه اياه ليعلم انه انما
خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وما خلق الانسان من اجله وكأن الغرض في انشائه كان مقدما
عليه وسابقا له ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير
والرحمن مبتدأ وهذه الافعال مع ضمائرها اخبار مترادفة واخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد
كما تقول زيد أغناك بعد فقر اعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعل احد باحد فما تنكر من احسانه بحسبان
بحساب معلوم وتقدير سوي يجريان في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك منافع للناس عظيمة منها علم السنين والحساب
والنجم النبات الذي ينجم من الارض لا ساق له كالبقول والشجر الذي له ساق يسجدان ينقادان لله
فيما خلقا له وانهما لا يمتنعان تشبيها بالساجد من المكلفين في انقياده فان قلت كيف اتصلت هاتان
الجملتان بالرحمن قلت استغني فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود
له لا لغيره كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له فان قلت كيف اخل بالعاطف في الجمل
الاول ثم جيء به بعد قلت بكت بتلك الجمل الاول واردة على سنن التعديد ليكون كل جملة منها مستقلة بالتقريع لمن انكر آلاء الرحمن كما
تبكت منكر ايادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدمته ثم رد الكلام الى منهاجه
بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف فان قلت اي تناسب بين هاتين الجملتين
حتى وسط بينهما العاطف قلت ان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر ارضيان فبين القبيلين تناسب
من حيث التقابل وان السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان جري الشمس والقمر بحسبان من جنس
الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر وقيل علم القرآن جعله علامة وآية وعن ابن عباس
الانسان آدم وعنه ايضا محمد صلى الله عليه وسلم وعن مجاهد النجم نجوم السماء والسماء رفعها خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ
احكامه ومصدر قضاياه ومتنزل اوامره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على انبيائه
ونبه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه ووضع الميزان وفي قراءة عبد الله وخفض الميزان واراد
به كل ما توزن به الاشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس اي خلقه موضوعا
مخفوضا على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في
اخذهم واعطائهم ان لا تطغوا لئلا تطغوا او هي ان المفسرة وقرأ عبد الله لا تطغوا بغير ان على ارادة القول
واقيموا الوزن بالقسط وقوموا وزنكم بالعدل ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه امر بالتسوية ونهى عن الطغيان
الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر ذكر الميزان تشديدا للتوصية به
وتقوية للامر باستعماله والحث عليه وقرئ والسماء بالرفع ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها
يقال خسر الميزان يخسره ويخسره واما الفتح فعلى ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل
وضعها خفضها مدحوة على الماء للانام للخلق وهو كل ما على ظهر الارض من دابة وعن الحسن الانس والجن
فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها فاكهة ضروب مما يتفكه به والاكمام كل ما يكم اي يغطى من ليفه
وسعفه وكفراه وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه وقيل الاكمام اوعية
الثمر الواحد كم بكسر الكاف والعصف ورق الزرع وقيل التبن والريحان الرزق وهو اللب اراد فيها ما يتلذذ
به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب وقرئ والريحان
بالكسر ومعناه والحب ذو العصف الذي هو علف الانعام والريحان الذي هو مطعم الناس وبالضم على وذو الريحان
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذي يشم وفي مصاحف اهل الشام
والحب ذا العصف والريحان وخلق الحب والريحان او واخص الحب والريحان ويجوز ان يراد وذا
الريحان فيحذف المضاف ويقام المضاف اليه مقامه والخطاب في ربكما تكذبان للثقلين
بدلالة الانام عليهما وقوله سنفرغ لكم ايها الثقلان الصلصال الطين اليابس له صلصلة

والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف فان قلت قد اختلف التنزيل في هذا وذلك قوله عز وجل من حمإ
مسنون من طين لازب من تراب قلت هو متفق في المعنى ومفيد انه قد خلقه من تراب جعله طينا
ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا والجان ابو الجن وقيل هو ابليس من مارج اللهب الصافي الذي لا دخان
فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشيء اذا اضطرب واختلط فان قلت فما معنى قوله من
نار قلت هو بيان لمارج كانه قيل من صاف من نار او مختلط من نار او اراد من نار مخصوصة
كقوله فانذرتكم نارا تلظى وقرئ رب المشرقين ورب المغربين بالجر بدلا من ربكما واراد مشرقي الصيف
والشتاء ومغربيهما مرج البحرين ارسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لا فصل
بين الماءين في مرأى العين بينهما برزخ حاجز من قدرة الله لا يبغيان لا يتجاوزان حديهما ولا يبغي
احدهما على الآخر بالممازجة وقرئ يخرج ويخرج من اخرج وخرج اي الله عز وجل اللؤلؤ والمرجان
بالنصب ونخرج بالنون واللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الاحمر وهو البسد وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان
صغاره فان قلت لم قال منهما وانما تخرجان من الملح قلت لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز ان
يقال تخرجان منهما كما يقال تخرجان من البحر ولا تخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد
وانما تقول خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره وقيل لا تخرجان الا من ملتقى الملح والعذب
الجوار السفن وقرئ الجوار بحذف الياء ورفع الراء ونحوه • لها ثنايا اربع حسان • واربع فثغرها ثمان •
والمنشآت المرفوعات الشرع وقرئ بكسر الشين وهي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج بجريهن
والاعلام جمع علم وهو الجبل الطويل عليها على الارض ويبقى وجه ربك ذاته والوجه يعبر به عن الجملة
والذات ومساكين مكة يقولون اين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان • ذو الجلال والاكرام صفة
الوجه وقرأ عبد الله رضي الله عنه ذي على صفة ربك ومعناه الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه
وعن افعالهم او الذي يقال له ما اجلك واكرمك او من عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه
الصفة من عظيم صفات الله ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام وعنه عليه السلام
انه مر برجل وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك فان قلت ما النعمة في ذلك
قلت اعظم النعمة وهو مجيء وقت الجزاء عقيب ذلك كل من اهل السموات والارض مفتقرون اليه
فيسأله اهل السموات ما يتعلق بدينهم واهل الارض ما يتعلق بدينهم ودنياهم كل يوم هو في شأن
اي كل وقت وحين يحدث امورا ويجدد احوالا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تلاها فقيل له وما ذلك
الشأن فقال من شأنه ان يغفر ذنبا • ويفرج كربا • ويرفع قوما ويضع آخرين • وعن ابن
عيينة الدهر عند الله يومان احدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشأنه فيه الامر والنهي والاماتة
والاحياء والاعطاء والمنع والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت في اليهود
وسأل بعض الملوك وزيره عنها فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له اسود
يا مولاي ما شأنك اخبرني ما اصابك لعل الله يسهل لك على يدي فاخبره فقال ايها الملك شأن الله
ان يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الميت من الحي ويخرج الحي من الميت ويشفي سقيما
ويسقم سليما ويبتلي معافا ويعافي مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال الملك
احسنت وامر الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا من شأن الله • وعن عبد الله
بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل وقال له اشكلت علي ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لي قوله تعالى
فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم هو في شأن وقد صح ان القلم جف بما هو
كائن الى يوم القيامة وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا
يكون الندم توبة في تلك الامة ويكون توبة في هذه الامة لان الله خص هذه الامة بخصائص لم تشاركها
فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله واما قوله وان ليس للانسان الا ما سعى
فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا ولي ان اجزيه بواحدة الفا فضلا واما قوله كل يوم هو في شأن
فانها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها فقام عبد الله وقبل رأسه وسوغ خراجه سنفرغ لكم
مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك يريد سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه
حتى لا يكون لي شغل سواه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز ان يراد ستنتهي
الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهي عند ذلك شؤون الخلق التي ارادها بقوله كل يوم هو في شأن
فلا يبقى الا شأن واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل وقرئ سيفرغ لكم اي الله
سبحانه وتعالى وسأفرغ لكم وسنفرغ بالنون مفتوحا ومكسورا وفتح الراء وسيفرغ بالياء مفتوحا
ومضموما مع فتح الراء وفي قراءة ابي سنفرغ اليكم بمعنى سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن
سميا بذلك لانهما ثقلا الارض يا معشر الجن والانس كالترجمة لقوله ايها الثقلان ان استطعتم
ان تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وارضي فافعلوا ثم قال لا تقدرون على النفوذ
الا بسلطان • يعني بقوة وقهر وغلبة وانى لكم ذلك ونحوه وما انتم بمعجزين في الارض ولا في
السماء وروي ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون

وجها الا وجدوا الملائكة احاطت به وقرئ شواظ ونحاس كلاهما بالكسر والضم والشواظ اللهب الخالص والنحاس الدخان
وانشد • تضيء كضوء سراج السليط • لم يجعل الله فيه نحاسا • وقيل الصفر المذاب يصب على رؤوسهم وعن
ابن عباس اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ من نار الى المحشر وقرئ ونحاس بالرفع عطفا على شواظ وبالجر
عطفا على نار وقرئ ونحس جمع نحاس وهو الدخان نحو لحاف ولحف وقرئ ونحس اي ونقتل بالعذاب وقرئ
نرسل عليكما شواظا من نار ونحاسا فلا تنتصران فلا تمتنعان وردة حمراء كالدهان كدهن الزيت كما قال كالمهل
وهو دردي الزيت وهو جمع دهن او اسم ما يدهن به كالحزام والادام قال • كانهما مزادتا متعجل •
فريان لما تدهنا بدهان • وقيل الدهان الاديم الاحمر وقرئ عبيد بن عمير وردة بالرفع بمعنى
فحصلت سماء وردة وهو من الكلام الذي يسمى التجريد كقوله • فلئن بقيت لارحلن بغزوة • تحوي الغنائم او يموت كريم •
انس بعض من الانس ولا جان اريد ولا جن اي ولا بعض من الجن فوضع الجان الذي هو ابو الجن موضع الجن كما يقال
هاشم ويراد ولده وانما وحد ضمير الانس في قوله عن ذنبه لكونه في معنى البعض والمعنى لا يسألون
لانهم يعرفون بسيما المجرمين وهو سواد الوجوه وزرقة العيون فان قلت هذا خلاف قوله فوربك
لنسألنهم اجمعين وقوله وقفوهم انهم مسؤولون قلت ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسألون في موطن
ولا يسألون في آخر قال قتادة قد كانت مسألة ثم ختم على افواه القوم وتكلمت ايديهم وارجلهم
بما كانوا يعملون • وقيل لا يسأل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسأل سؤال توبيخ وقرأ الحسن وعمرو
بن عبيد ولا جأن فرارا عن التقاء الساكنين وان كان على حده فيؤخذ بالنواصي والاقدام عن
الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي
وتارة بالاقدام حميم آن ماء حار قد انتهى حره ونضجه اي يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب
الحميم وقيل اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم وقيل آن واد من اودية جهنم يجمع فيه
صديد اهل النار فينطلق بهم في الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منها وقد
احدث الله لهم خلقا جديدا وقرئ يطوفون من التطويف ويطوفون اي يتطوفون ويطافون وفي قراءة
عبد الله هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليانها لا تموتان فيها ولا تحييان يطوفون بينها ونعمة الله
فيما ذكر من هول العذاب نجاة الناجي منه برحمته وفضله وما في الانذار به من اللطف مقام ربه
موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين • ويجوز ان يراد بمقام ربه ان الله قائم عليه اي حافظ مهيمن من قوله افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت
فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصيته وقيل هو مقحم كما تقول اخاف جانب فلان وفعلت
هذا لمكانك وفعلت عنه مكان الذئب كالرجل اللعين • يريد ونفيت عنه الذئب فان قلت لم قال جنتان
قلت الخطاب للثقلين فكأنه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسي وجنة للخائف الجني ويجوز ان
يقال جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي لان التكليف دائر عليهما وان يقال جنة يثاب بها واخرى
تضم اليها على وجه التفضل لقوله وزيادة خص الافنان بالذكر وهي الغصنة التي تتشعب من فروع الشجر لانها
هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار وقيل الافنان الوان النعم ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين قال • ومن كل افنان اللذاذة والصبا • لهوت به والعيش اخضر ناضر • عينان تجريان
حيث شاؤوا في الاعالي والاسافل وقيل تجريان من جبل من مسك • وعن الحسن تجريان بالماء الزلال احداهما
التسنيم والاخرى السلسبيل زوجان صنفان قيل صنف معروف وصنف غريب متكئين نصب على المدح للخائفين
او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع بطائنها من استبرق من ديباج ثخين واذا كانت البطائن من الاستبرق
فما ظنك بالظهائر وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور وجنى الجنتين دان قريب يناله القائم والقاعد والنائم
وقرئ وجنى بكسر الجيم فيهن في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى او
في الجنتين لاشتمالهما على اماكن وقصور ومجالس قاصرات الطرف نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لا
ينظرن الى غيرهم لم يطمثهن الانسيات منهن احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن وهذا دليل على ان
الجن يطمثون كما يطمث الانس وقرئ لم يطمثهن بضم الميم قيل هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان
وصغار الدر انصع بياضا قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب
الاحمر في الزجاجة البيضاء هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب وعن محمد بن الحنفية هي مسجلة
للبر والفاجر اي مرسلة يعني ان كل من احسن احسن اليه وكل من اساء اسيء اليه ومن دونهما ومن دون
تينك الجنتين الموعودتين للمقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين مدهامتان قد ادهامتا من شدة
الخضرة نضاختان فوارتان بالماء والنضخ اكثر من النضح لان النضح غير معجمة مثل الرش فان قلت
لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها قلت اختصاصا لهما وبيانا لفضلهما كانهما لما لهما من المزية
جنسان آخران كقوله وجبريل وميكال او لان النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ومنه قال ابو حنيفة
رحمه الله اذا حلف لا يأكل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه خيرات خيرات فخففت كقوله
عليه السلام هينون لينون واما خير الذي بمعنى اخير فلا يقال فيه خيرون ولا اخيرون وقرئ

خيرات على الأصل والمعنى فاضلات الأخلاق حسان الخلق **مقصورات** قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة أي مخدّرة وقيل إن الخيمة من خيامهن درّة مجوّفة **قبلهم** قبل أصحاب الجنتين دلّ عليهم ذكر الجنتين **متكئين** نصب على الاختصاص **والرفرف** ... ونضود الفسطاط ... رفارف ورفرف السحاب هيدبه **والعبقري** منسوب إلى عبقر تزعم العرب أنه بلد الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب وقرئ رفارف خضر بضمتين وعباقري كمدائني نسبة إلى عباقر في اسم البلد وروى أبو حاتم عباقري بفتح القاف ومنع الصرف وهذا لا وجه لصحته **فإن قلت** كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الأوليين حتى قيل ومن دونهما **قلت** مدهامتان دون ذواتا أفنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكأ وقرئ ذو الجلال صفة للاسم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن أدّى شكر ما أنعم الله عليه

سورة الواقعة مكية وهي ست وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • **وقعت الواقعة** كقولك كانت الكائنة وحدثت الحادثة والمراد القيامة وصفت بالوقوع لأنها تقع لا محالة فكأنه قيل إذا وقعت التي لا بد من وقوعها ووقوع الأمر نزوله يقال وقع ما كنت أتوقعه أي نزل ما كنت أترقب نزوله **فإن قلت** بم انتصب إذا **قلت** بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل أو بمحذوف يعني إذا وقعت كان كيت وكيت أو بإضمار اذكر **كاذبة** نفس كاذبة أي لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب لأن كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدّقة وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات كقوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة واللام مثلها في قوله تعالى يا ليتني قدّمت لحياتي أو ليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها يقلن لها لم تكوني أو هي من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم إذا شجعته على مباشرته وقالت له إنك تطيقه وما فوقه فتعرّض له ولا تبال به على معنى أنها وقعة لا تطاق شدة وفظاعة وأن لا نفس حينئذ تحدّث صاحبها بما تحدّثه به عند عظائم الأمور وتزين له احتمالها وإطاقتها لأنهم يومئذ أضعف من ذلك وأذلّ ألا ترى إلى قوله كالفراش المبثوث والفراش مثل في الضعف وقيل كاذبة مصدر كالعاقبة بمعنى التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب أي فما جبن وما تثبط وحقيقته فما كذب نفسه فيما حدّثته به من إطاقته له وإقدامه عليه قال زهير إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا أي إذا وقعت لم تكن لها رجعة ولا ارتداد **خافضة رافعة** على هي خافضة رافعة ترفع أقواما وتضع آخرين إما وصفا لها بالشدة لأن الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس إلى مراتب ويتضع ناس وإما أن الأشقياء يحطون إلى الدركات والسعداء يرفعون إلى الدرجات وإما أنها تزلزل الأشياء وتزيلها عن مقارّها فتخفض بعضا وترفع بعضا حيث تسقط السماء كسفا وتنتثر الكواكب وتنكدر وتسيّر الجبال فتمرّ في الجو مرّ السحاب وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال **رجّت** حرّكت تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء **وبسّت الجبال** وفتّت حتى تعود كالسويق أو سيقت من بسّ الغنم إذا ساقها كقوله وسيّرت الجبال **منبثا** متفرقا وقرئ بالتاء أي منقطعا وقرئ رجّت وبسّت أي ارتجّت وذهبت وفي كلام بنت الخسّ عينها هاج وصلاها راج وهي تمشي وتفاجّ **فإن قلت** بم انتصب إذا رجّت **قلت** هو بدل من إذا وقعت ويجوز أن ينتصب بخافضة رافعة أي تخفض وترفع وقت رجّ الأرض وبسّ الجبال لأنه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض **أزواجا** أصنافا يقال للأصناف التي بعضها مع بعض أو يذكر بعضها مع بعض أزواج **فأصحاب الميمنة** الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم **وأصحاب المشأمة** الذين يؤتون صحائفهم بشمائلهم أو أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنية من قولك فلان مني باليمين وفلان مني بالشمال إذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل ولتفاؤلهم بالسانح وتطيرهم من البارح ولذلك اشتقوا لليمين الاسم من اليمن وسموا الشمال الشؤمى وقيل أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة أصحاب اليمن والشؤم لأن السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والأشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم وقيل يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين وبأهل النار ذات الشمال **والسابقون** المخلصون الذين سبقوا إلى ما دعاهم الله إليه وشقّوا الغبار في طلب مرضاة الله وقيل الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرّب ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبته فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر في حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال **ما أصحاب الميمنة** وما أصحاب المشأمة تعجيب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة والمعنى أي شيء هم **والسابقون السابقون** يريد والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم كقوله وعبد الله عبد الله وقول أبي النجم وشعري شعري كأنه قال وشعري ما انتهى إليك وسمعت بفصاحته وبراعته وقد جعل السابقون تأكيدا وأولئك المقربون خبرا وليس بذاك ووقف بعضهم على والسابقون وابتدأ السابقون أولئك المقربون والصواب أن يوقف على الثاني لأنه تمام الجملة

وهو في مقابلة ما أصحاب الميمنة وما أصحاب المشأمة **المقربون في جنات النعيم** الذين قرّبت درجاتهم في الجنة من العرش وأعليت مراتبهم وقرئ في جنة النعيم **والثلة** الأمة من الناس الكثيرة قال ... وهي من الثلّ وهو الكسر كما أن الأمة من الأمّ وهو الشجّ كأنها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم والمعنى أن السابقين كثير من الأولين وهم الأمم من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم **وقليل من الآخرين** وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من الأولين من متقدمي هذه الأمة ومن الآخرين من متأخريها وعن النبي صلى الله عليه وسلم الثلتان جميعا من أمتي **فإن قلت** كيف قال وقليل من الآخرين ثم قال وثلة من الآخرين **قلت** هذا في السابقين وذاك في أصحاب اليمين وأنهم يتكاثرون من الأولين والآخرين جميعا **فإن قلت** فقد روي أنها لما نزلت شق ذلك على المسلمين فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجع ربه حتى نزلت ثلة من الأولين وثلة من الآخرين **قلت** هذا لا يصح لأمرين أحدهما أن هذه الآية واردة في السابقين ورودا ظاهرا وكذلك الثانية في أصحاب اليمين ألا ترى كيف عطف أصحاب اليمين ووعدهم على السابقين ووعدهم والثاني أن النسخ في الأخبار غير جائز وعن الحسن سابقو الأمم أكثر من سابقي أمتنا وتابعو الأمم مثل تابعي هذه **وثلة** خبر مبتدأ محذوف أي هم ثلة **موضونة** مرمولة بالذهب مشبكة بالدرّ والياقوت قد دوخل بعضها في بعض كما توضن حلق الدرع قال الأعشى ومن نسج داود موضونة وقيل متواصلة أدني بعضها من بعض **متكئين** حال من الضمير في على وهو العامل فيها أي استقروا عليها متكئين متقابلين لا ينظر بعضهم في أقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق والآداب **مخلدون** مبقون أبدا على شكل الولدان وحدّ الوصافة لا يتحولون عنه وقيل مقرطون والخلدة القرط وقيل هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات يثابون عليها ولا سيئات يعاقبون عليها وروي عن علي رضي الله عنه وعن الحسن وفي الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة **الأكواب** أوان بلا عرى وخراطيم والأباريق ذوات الخراطيم والعرى **لا يصدعون عنها** أي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها أو لا يتفرقون عنها وقرئ مجاهد لا يصدّعون بمعنى لا يتصدّعون لا يتفرقون كقوله يومئذ يصّدّعون أي لا يصدّع بعضهم بعضا ولا يفرّقونهم **يتخيرون** يأخذون خيره وأفضله **يشتهون** يتمنون وقرئ ولحم طير وقرئ **وحور عين** بالرفع على وفيها حور عين كبيت الكتاب إلا رواكد جمرهن هباء ومشجّج أو للعطف على ولدان وبالجر عطفا على جنات النعيم كأنه قال هم في جنات وفاكهة ولحم وحور أو على أكواب لأن معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ينعمون بأكواب وبالنصب على ويؤتون حورا **جزاء** مفعول له أي يفعل بهم ذلك كله جزاء بأعمالهم **سلاما سلاما** إما بدل من قيلا بدليل قوله لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما وإما مفعول به لقيلا بمعنى لا يسمعون فيها إلا أن يقولوا سلاما سلاما والمعنى أنهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام وقرئ سلام سلام على الحكاية **السدر** شجر النبق **والمخضود** الذي لا شوك له كأنما خضد شوكه وعن مجاهد الموقر الذي تثني أغصانه كثرة حمله من خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب **والطلح** شجر الموز وقيل هو شجر أم غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل وعن علي رضي الله عنه أنه قرأ وطلع وما شأن الطلح وقرأ قوله لها طلع نضيد فقيل له أو نحوّلها فقال آي القرآن لا تهاج اليوم ولا تحوّل وعن ابن عباس نحوه **والمنضود** الذي نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه فليست له سوق بارزة **ممدود** منبسط لا يتقلص كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس **مسكوب** يسكب لهم أين شاؤوا وكيف شاؤوا لا يتعنّون فيه وقيل دائم الجريان لا ينقطع **لا مقطوعة** لا تنقطع في بعض الأوقات كفواكه الدنيا **ولا ممنوعة** لا تمنع عن متناولها بوجه وقيل لا مقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان **وفرش مرفوعة** رفيعة القدر أو نضدت حتى ارتفعت أو مرفوعة على الأسرّة وقيل هي النساء لأن المرأة يكنى عنها بالفراش **إنا أنشأناهن** ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا من غير ولادة فإما أن يراد اللاتي ابتدئ إنشاؤهن أو اللاتي أعيد إنشاؤهن وعن النبي صلى الله عليه وسلم أن أم سلمة رضي الله عنها سألته عن قول الله إنا أنشأناهن إنشاء فقال هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا فلما سمعت عائشة رضي الله عنها ذلك قالت وا وجعاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع **عربا** جمع عروب وهي المتحببة إلى زوجها الحسنة التبعّل **أترابا** مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين وأزواجهن أيضا كذلك **لأصحاب اليمين** صلة لأنشأنا **في سموم** في حرّ نار ينفذ في المسام **وحميم** وماء حار متناه في الحرارة **وظل من يحموم** من دخان أسود بهيم **لا بارد ولا كريم** نفى لصفتي الظل

وهو

عنه يريد انه ظل ولكنه لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه من يأوي اليه
من اذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح اليه والمعنى انه ظل حار
ضار الا ان للنفي في نحو هذا شأنا ليس للاثبات وفيه تهكم باصحاب المشأمة وانهم لا يستاهلون
الظل البارد الكريم الذي هو لاضدادهم في الجنة وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع اي لا هو كذلك
والحنث الذنب العظيم ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالمأثم ومنه حنث
في يمينه خلاف برّ فيها ويقال تحنث اذا تأثم وتحرج أوآباؤنا دخلت همزة الاستفهام على حرف
العطف فان قلت كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تأكيد بنحن قلت حسن للفاصل
الذي هو الهمزة كما حسن في قوله ما اشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي وقرئ او آباؤنا وقرئ
لمجموعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم
فضة والميقات ما وقت به الشيء اي حدّ ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها
من يريد دخول مكة الا محرما ايها الضالون عن الهدى المكذبون بالبعث وهم اهل مكة ومن في مثل
حالهم من شجر من زقوم من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره وانث
ضمير الشجر على المعنى وذكّره على اللفظ في قوله منها وعليه ومن قرأ من شجرة من زقوم فقد جعل
الضميرين للشجرة وانما ذكّر الثاني على تأويل الزقوم لانه تفسيرها وهي في معناه شرب الهيم
قرئ بالحركات الثلاث فالفتح والضم مصدران وعن جعفر الصادق ايام اكل وشرب بفتح الشين
واما المكسور فبمعنى المشروب اي ما يشربه الهيم وهي الابل التي بها الهيام وهو داء تشرب منه
فلا تروى جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها
وقيل الهيم الرمال ووجهه ان يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل
كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم
الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملأوا منه البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم
الى شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم فان قلت كيف صح عطف الشاربين
على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشيء على نفسه قلت ليستا
بمتفقتين من حيث ان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء امر عجيب
ايضا فكانتا صفتين مختلفتين النزل الرزق الذي يعد للنازل تكرمة له وفيه تهكم
كما في قوله فبشرهم بعذاب اليم وكقول ابي الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا
جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وقرئ نزلهم بالتخفيف فلولا تصدقون تحضيض على التصديق
اما بالخلق لانهم وان كانوا مصدقين به الا انهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق
فكأنهم مكذبون به واما بالبعث لان من خلق اولا لم يمتنع عليه ان يخلق ثانيا ما تمنون ما تمنونه
اي تقذفونه في الارحام من النطف وقرأ ابو السمال بفتح التاء يقال امنى النطفة ومناها
قال الله تعالى من نطفة اذا تمنى تخلقونه تقدرونه وتصورونه نحن قدرنا بينكم الموت تقديرا وقسمناه
عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت اعماركم من قصير وطويل
ومتوسط وقرئ قدرنا بالتخفيف سبقته على الشيء اذا اعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه
فمعنى قوله وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم انا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه وامثالكم جمع
مثل اي على ان نبدل منكم ومكانكم اشباهكم من الخلق وعلى ان ننشئكم في خلق لا تعلمونها وما عهدتم
بمثلها يعني انا نقدر على الامرين جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نعجز عن اعادتكم ويجوز ان
يكون امثالكم جمع مثل اي على ان نبدل ونغير صفاتكم هذا دليل على صحة القياس حيث جهلهم
في ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى أفرأيتم ما تحرثون من الطعام اي تبذرون حبه وتعملون في ارضه
أأنتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف وينمي الى ان يبلغ الغاية وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم
زرعت وليقل حرثت قال ابو هريرة ارأيتم الى قوله أفرأيتم الاية والحطام من حطم كالفتات والجذاذ
من فت وجذ وهو ما صار هشيما فظلتم وقرئ بالكسر وفظللتم على الاصل تفكهون تعجبون وعن
الحسن تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه او على ما اقترفتم من المعاصي التي اصبتم بذلك من اجلها
وقرئ تفكنون ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبيناهم اذ
غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكنون اي يتندمون انا لمغرمون لملزمون غرامة ما
انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك بل نحن محرومون محارفون محدودون
لا حظ لنا ولا بخت ولو كنا مجدودين لما جرى علينا هذا وقرئ أئنا الماء الذي تشربون يريد الماء
العذب الصالح للشرب المزن السحاب الواحدة مزنة وقيل هو السحاب الابيض خاصة وهو اعذب
ماء اجاجا ملحا زعاقا لا يقدر على شربه فان قلت لم ادخلت اللام على جواب لو في قوله لجعلناه حطاما
ونزعت منه ههنا قلت ان لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط

كان ولا عاملة مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها في مضموني جملتيها ان الثاني
امتنع لامتناع الاول افتقرت في جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون
علما على ذلك فاذا حذفت بعدما صارت علما مشهورا مكانه فلان الشيء اذا علم وشهر موقعه
وصار مألوفا ومأنوسا به لم يبال باسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع الا ترى الى ما يحكى
عن رؤبة انه كان يقول خير لمن قال له كيف اصبحت فحذف الجار لعلم كل احد بمكانه وتساوي
حال حذفه واثباته لشهرة امره وناهيك بقول اوس فاذا الكلام قالت كاليوم مطلوبا ولا طلبا
وحذفه لم أر فاذا حذفها اختصار لفظي وهي ثابتة في المعنى وما بعد عنه ويجوز ان يقال ان هذه
اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة فادخلت في اية المطعوم دون اية المشروب للدلالة على ان
امر المطعوم مقدم على امر المشروب وان الوعيد بفقده اشد واصعب من قبل ان المشروب
انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم الا ترى انك انما تسقي ضيفك بعد ان تطعمه ولو عكست قعدت تحت
قول ابي العلاء اذا سقيت ضيوف الناس محضا سقوا اضيافهم شبما زلالا وسقي بعض العرب
فقال انا لا اشرب الا على ثميلة ولهذا قدمت اية المطعوم على اية المشروب تورون تقدحونها
وتستخرجون منها النار من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الاخر ويسمون الاعلى الزند والاسفل
الزندة ويشبهونهما بالفحل والطروقة شجرتها التي منها الزناد تذكرة تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها
اسباب المعايش كلها وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ويذكرون
ما اوعدوا به وجعلناها تذكرة وانموذجا من جهنم لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي توقدون
جزء من سبعين جزءا من حر جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين الذين ينزلون القواء وهي القفر
او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام من قولهم اقويت من ايام اي لم آكل شيئا فسبح باسم
ربك العظيم فاحدث التسبيح بذكر اسم ربك او اراد بالاسم الذكر اي بذكر ربك والعظيم صفة للمضاف او للمضاف اليه
والمعنى انه لما ذكر ما دل على قدرته وانعامه على عباده قال فاحدث التسبيح وهو ان تقول سبحان الله اما تنزيها
له عما يقول الظالمون الذين يجحدون وحدانيته ويكفرون نعمته واما تعجبا من امرهم في غمط الايه واياديه
الظاهرة واما شكرا لله على النعم التي عدها ونبه عليها فلا اقسم معناه فاقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها في قوله
لئلا يعلم اهل الكتاب وقرأ الحسن فلأقسم ومعناه فلأنا اقسم واللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدا وخبر وهي
انا اقسم كقولك لزيد منطلق ثم حذف المبتدا ولا يصح ان يكون اللام لام القسم لامرين احدهما ان حقها
ان يقرن بها النون المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثاني ان لأفعلن في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم
يجب ان يكون للحال بمواقع النجوم بمساقطها ومغاربها ولعل لله تعالى في آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب
افعالا مخصوصة عظيمة او للملائكة عبادات موصوفة او لانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه
من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك اقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله وانه لقسم
لو تعلمون عظيم او اراد بمواقعها منازلها ومساريها وله في ذلك من الدليل على عظم القدرة والحكمة
ما لا يحيط به الوصف وقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض في اعتراض لانه اعترض به بين القسم والمقسم عليه
وهو قوله انه لقرآن كريم واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته وقيل مواقع النجوم اوقات وقوع نجوم القرآن
اي اوقات نزولها كريم حسن مرضي في جنسه من الكتب او نفاع جم المنافع او كريم على الله في كتاب مكنون مصون
من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهم المطهرون من جميع الادناس ادناس الذنوب
وما سواها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وان جعلتها صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغي
ان يمسه الا من هو على الطهارة من الناس يعني مس المكتوب منه ومن الناس من حمله على القراءة ايضا وعن ابن عمر احب
الي ان لا يقرأ الا وهو طاهر وعن ابن عباس في رواية انه كان يبيح القراءة للجنب ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم
اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اي لا ينبغي له ان يظلمه او يسلمه وقرئ المتطهرون والمطهرون بالادغام والمطهرون
من اطهره بمعنى طهره والمطهرون بمعنى يطهرون انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والوحي الذي ينزلونه تنزيل
صفة رابعة للقرآن اي منزل من رب العالمين او وصف بالمصدر لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله
فكأنه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض اسمائه فقيل جاء في التنزيل كذا ونطق به التنزيل او هو تنزيل على حذف المبتدا
وقرئ تنزيلا على نزل تنزيلا أفبهذا الحديث يعني القرآن انتم مدهنون اي متهاونون به كمن يدهن في الامر
اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم انكم تكذبون على حذف المضاف يعني وتجعلون شكر
رزقكم التكذيب اي وضعتم التكذيب موضع الشكر وقرأ علي رضي الله عنه وتجعلون شكركم انكم تكذبون وقيل هي قراءة رسول الله
والمعنى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به وقيل نزلت في الانواء ونسبتهم السقيا اليها والرزق
المطر يعني وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى النجوم
وقرئ تكذبون مخففا وهو قولهم في القرآن سحر وشعر وافتراء وفي المطر هو من الانواء ولان كل مكذب
بالحق كاذب ترتيب الاية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة
للتوكيد والضمير في ترجعونها للنفس وهو الروح وفي اقرب اليه للمحتضر غير مدينين مربوبين من دان

السلطان الوعد اذا شاء ونحن اقرب اليه منكم باهل الميت بقدرتنا وعلمنا او بملائكة الموت والمعنى
انكم في جحودكم افعال الله واياته في كل شيء ان انزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافترا وان ارسل اليكم رسولا صادقا
قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدي الى الاهمال
والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين
في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدي المعيد فاما ان كان المتوفى من المقربين من السابقين من الازواج
الثلاثة المذكورة في اول السورة فروح وريحان فله استراحة وروت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ
فرُوح بالضم وقرأ به الحسن وقال الروح الرحمة لانها كالحياة للمرحوم وقيل البقاء اي فهذان له معا وهو
الخلود مع الرزق وجنة نعيم والريحان الرزق فسلام لك من اصحاب اليمين اي فسلام لك يا صاحب اليمين من
اخوانك اصحاب اليمين اي يسلمون عليك كقوله الا قيلا سلاما سلاما فنزل من حميم كقوله هذا نزلهم يوم الدين
وقرئ بالتخفيف وتصلية جحيم قرئ بالرفع والجر عطفا على نزل وحميم ان هذا الذي انزل عليك في هذه السورة
لهو حق اليقين اي الحق الثابت من اليقين عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم
تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد مكية وهي تسع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

سبح جاء في بعض الفواتح سبح على لفظ الماضي وفي بعضها على لفظ المضارع وكل واحد منهما معناه
ان من شأن من اسند اليه التسبيح ان يسبحه وذلك هجيراه وديدنه وقد عدي هذا الفعل باللام تارة
وبنفسه اخرى في قوله وتسبحوه واصله التعدي بنفسه لان معنى سبحته بعدته عن السوء منقول من سبح
اذا ذهب وبعد فاللام لا تخلو اما ان تكون مثل اللام في نصحته ونصحت له واما ان يراد بسبح لله
احدث التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا ما في السموات والارض ما يتأتى منه التسبيح ويصح فان قلت
ما محل يحيي قلت يجوز ان لا يكون له محل ويكون جملة برأسها كقوله له ملك السموات وان يكون مرفوعا على
هو يحيي ويميت ومنصوبا حالا من المجرور في له والجار عاملا فيها ومعناه يحيي النطف والبيض والموتى يوم القيامة
ويميت الاحياء هو الاول هو القديم الذي كان قبل كل شيء والاخر الذي يبقى بعد هلاك كل شيء والظاهر بالادلة
الدالة عليه والباطن لكونه غير مدرك بالحواس فان قلت فما معنى الواو قلت الواو الاولى معناها الدلالة
على انه الجامع بين الصفتين الاولية والاخرية فهو المستمر الوجود في جميع الاوقات الماضية والآتية
وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالادلة والخفاء فلا يدرك بالحواس وفي هذا حجة على من جوز
ادراكه في الآخرة بالحاسة وقيل الظاهر العالي على كل شيء الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه
والباطن الذي بطن كل شيء اي علم باطنه وليس بذاك مع العدول عن الظاهر المفهوم مستخلفين فيه
يعني ان الاموال التي في ايديكم انما هي اموال الله بخلقه وانشائه لها وانما مولكم اياها وخولكم الاستمتاع
بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها فليست هي باموالكم في الحقيقة وما انتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب فانفقوا
منها في حقوق الله وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا اذن له فيه او
جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في ايديكم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينقل
منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به وانفعوا بالانفاق منها انفسكم لا تؤمنون حال من معنى الفعل في ما لكم
كما تقول ما لك قائما بمعنى ما تصنع قائما اي وما لكم كافرين بالله والرسول يدعوكم
والمعنى واي عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق
بالبراهين والحجج وقد اخذ ميثاقكم وقبل ذلك قد اخذ الله ميثاقكم بالايمان حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة
ومكنكم من النظر وازاح عللكم فاذا لم يبق لكم علة بعد ادلة العقول وتنبيه الرسول فما لكم
لا تؤمنون ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه وقرئ اخذ ميثاقكم على البناء
للفاعل وهو الله عز وجل ليخرجكم الله باياته من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر الى الايمان او ليخرجكم الرسول بدعوته
لرؤوف وقرئ لرؤف ان لا تنفقوا في ان لا تنفقوا ولله ميراث السموات والارض يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه
باق لاحد من مال وغيره يعني واي غرض لكم في ترك الانفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله
والله مهلككم فوارث اموالكم وهو من ابلغ البعث على الانفاق في سبيل الله ثم بين التفاوت
بين المنفقين منهم فقال لا يستوي منكم من انفق من قبل فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة اهله ودخول الناس
في دين الله افواجا وقلة الحاجة الى القتال والنفقة فيه ومن انفق من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة
اولئك الذين انفقوا قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي ﷺ
لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اعظم درجة وقرئ قبل الفتح وكلا
وكل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وقرئ وكل بالرفع
على وكل وعده الله وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه لانه اول من اسلم واول من انفق في سبيل الله القرض
الحسن الانفاق في سبيله شبه ذلك بالقرض الحسن على سبيل المجاز لانه اذا اعطى ماله لوجه الله
فكانه اقرضه اياه فيضاعفه له اي فيعطيه اجره على انفاقه مضاعفا اضعافا من فضله وله اجر كريم
يعني وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه وقرئ فيضعفه وقرئ بالنصب على جواب الاستفهام

والرفع عطف على يسعى او على هو لما عنه يوم ترى ظرف لقوله وله اجر كريم او منصوب باضمار اذكر تعظيما
لذلك اليوم وانما قال بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان
الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم وآية لانهم هم الذين
بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض افلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون
سعي بسعيهم ذلك النور جنيبا لهم ومتقدما ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة بشراكم اليوم وقرئ
ذلك الفوز يوم يقول بدل من يوم ترى انظرونا انتظرونا لانهم يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة
على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور
بين ايديهم فيستضيئون به وقرئ انظرونا من النظرة وهي الامهال جعل اتئادهم في المضي الى ان
يلحقوا بهم انظارا لهم نقتبس من نوركم نصب منه وذلك ان يلحقوا بهم فيستنيروا به قيل ارجعوا
وراءكم فالتمسوا نورا طرد لهم وتهكم بهم اي ارجعوا الى الموقف الى حيث اعطينا هذا النور
وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما هو تخييب واقناط لهم فضرب بينهم بسور بين المؤمنين والمنافقين
بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار قيل هو الاعراف لذلك السور باب لاهل الجنة يدخلون منه
باطنه باطن السور او الباب وهو الشق الذي يلي الجنة فيه الرحمة وظاهره ما ظهر لاهل النار من قبله من عنده
ومن جهته العذاب وهو الظلمة والنار وقرئ فضرب بينهم على البناء للفاعل الم نكن معكم
يريدون موافقتهم في الظاهر فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق واهلكتموها وتربصتم بالمؤمنين
الدوائر وغرتكم الاماني طول الآمال والطمع في امتداد الاعمار حتى جاء امر الله وهو الموت وغركم بالله الغرور
وغركم الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم فدية ما يفتدى به هي مولاكم
قيل هي اولى بكم وانشد قول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها
وحقيقة مولاكم محراكم ومقمنكم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كما قيل هو مئنة للكرم اي مكان
لقول القائل انه لكريم ويجوز ان يراد هي ناصركم اي لا ناصر لكم غيرها والمراد نفي الناصر على البتات
ونحوه قولهم اصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع ومنه قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وقيل تتولاكم
كما توليتم في الدنيا اعمال اهل النار الم يأن من انى الامر يأني اذا جاء اناه اي وقته وقرئ الم يئن
من آن يئين بمعنى انى يأني قيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة
ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الآية
الا اربع سنين وعن ابن عباس ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة من نزول
القرآن وعن الحسن اما والله لقد استبطأهم وهم يقرؤون من القرآن اقل مما تقرؤون فانظروا
في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق وعن ابي بكر ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من
اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب وقرئ نزل ونزل وانزل
ولا يكونوا عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات ويجوز ان يكون نهيا لهم عن مماثلة اهل الكتاب في
قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا
التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا واحدثوا
ما احدثوا من التحريف وغيره فان قلت ما معنى لذكر الله وما نزل من الحق قلت يجوز ان يراد بالذكر وبما
نزل من الحق القرآن كقوله اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا الامد الاجل
كقوله اذا انتهى امده وقرئ الامد اي الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم
رافضون لما في الكتابين اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قيل هذا تمثيل لاثر الذكر في القلوب وانه
يحييها كما يحيي الغيث الارض ان المصدقين المتصدقين وقرئ على الاصل المصدقين من صدق وهم الذين صدقوا الله ورسوله
يعني المؤمنين فان قلت علام عطف قوله واقرضوا قلت على معنى الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى
الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا واقرضوا والقرض الحسن ان يتصدق من الطيب عن طيبة النفس يريد
ان المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق
واستشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم اي مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم فان قلت كيف
يسوى بينهم في الاجر ولا بد من التفاوت قلت المعنى ان الله يعطي المؤمنين اجرهم ويضاعفه لهم بفضله
حتى يساوي اجرهم مع اضعافه اجر اولئك ويجوز ان يكون والشهداء مبتدأ ولهم اجرهم خبره اراد ان
الدنيا ليست الا محقرات من الامور وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر واما الآخرة فما هي
الا امور عظام وهي العذاب الشديد والمغفرة ورضوان من الله وشبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة
جدواها بنبات انبته الغيث فاستوى واكتهل واعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من
الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل باصحاب
الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزراع وقرئ مصفارا سابقوا سارعوا مسارعة السابقين
المسابقين لاقرانهم في المضمار الى جنة عرضها كعرض السماء والارض قال السدي كعرض سبع السموات

وسبع الارضين وذكر العرض دون الطول لان كل ما له عرض وطول فان عرضه اقل من طوله فاذا وصف
عرضه بالبسطة عرف ان طوله ابسط وامد ويجوز ان يراد بالعرض البسطة كقوله [illegible] وعدم ذلك
وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة ذلك الموعود من المغفرة والجنة
فضل الله عطاؤه يؤتيه من يشاء وهم المؤمنون ما اصاب من مصيبة في الارض نحو الجدب وآفات الزروع والثمار
ولا في انفسكم نحو الادواء والموت الا في كتاب في اللوح من قبل ان نبرأها نعني الانفس والمصائب ان ذلك
ان تقدير ذلك واثباته في كتاب على الله يسير وان كان عسيرا على العباد ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه
فقال لكيلا تأسوا ولا تحزنوا يعني انكم اذا علمتم ان كل شيء مقدر مكتوب عند الله قل اساكم على الفائت
وفرحكم على الآتي لان من علم ان ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه وطن
نفسه على ذلك وكذلك من علم ان بعض الخير واصل اليه وان وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه
عند نيله والله لا يحب كل مختال فخور لان من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه اختال وافتخر
وتكبر على الناس بما آتاكم واتاكم من الايتاء والاتيان وفي قراءة ابن مسعود بما اوتيتم فان قلت
فلا احد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها ان لا يحزن ولا يفرح قلت
المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين
والفرح المطغي الملهي عن الشكر فاما الحزن الذي لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام
والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا بأس بهما الذين يبخلون بدل من قوله كل مختال
فخور كانه قال لا يحب الذين يبخلون يريد الذين يفرحون الفرح المطغي اذا رزقوا مالا وحظا من
الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم وعظمه في عيونهم يزوونه عن حقوق الله تعالى ويبخلون به
ولا يكفيهم انهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل ويرغبوهم في الامساك ويزينوه لهم وذلك كله
نتيجة فرحهم به وبطرهم عند اصابته ومن يتول عن اوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهي
عنه من الاسى على الفائت والفرح على الآتي فان الله غني عنه وقرئ [illegible] نافع فان
الله الغني وهو في مصاحف اهل المدينة والشام كذلك لقد ارسلنا رسلنا يعني الملائكة الى الانبياء
بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب اي الوحي والميزان روي ان جبريل نزل بالميزان فدفعه
الى نوح وقال مر قومك يزنوا به وانزلنا الحديد قيل نزل آدم عليه السلام ومعه خمسة اشياء من حديد
السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة وعن
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله انزل اربع بركات من السماء الى الارض انزل الحديد والنار والماء
والملح وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وذلك
ان اوامره تنزل من السماء وقضاياه واحكامه فيه بأس شديد وهو القتال به ومنافع للناس
في مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم فما من صناعة الا والحديد آلة فيها او ما يعمل بالحديد وليعلم
الله من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة اعداء الدين بالغيب
غائبا عنهم قال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه ان الله قوي عزيز اي بقدرته وعزته في اهلاك من يريد
هلاكه عنهم وانما كلفهم الجهاد لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب والكتاب الوحي
وعن ابن عباس الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة فمنهم فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد
دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين وهذا تفصيل لحالهم اي فمنهم مهتد ومنهم فاسق والغلبة
للفساق وقرئ الانجيل بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل والسكينة فيمن رواهما
بفتح الفاء لان الكلمة اعجمية لا يلزم فيها حفظ ابنية العرب وقرئ رآفة على فعالة اي وفقناهم
للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في صفة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم والرهبانية ترهبهم في الجبال
فارين من الفتنة في الدين مخلصين انفسهم للعبادة وذلك ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين
بعد موت عيسى فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا ان يفتتنوا
في دينهم فاختاروا الرهبانية ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب
كخشيان من خشي وقرئ ورهبانية بالضم كانها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان
وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية ابتدعوها يعني واحدثوها من عند
انفسهم ونذروها ما كتبناها عليهم لم نفرضها نحن عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع
اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها كما يجب على الناذر رعاية نذره
لانه عهد مع الله لا يحل نكثه فآتينا الذين آمنوا يريد اهل الرأفة والرحمة الذين اتبعوا عيسى
وكثير منهم فاسقون الذين لم يحافظوا على نذرهم ويجوز ان تكون الرهبانية معطوفة على ما قبلها
وابتدعوها صفة لها في محل النصب اي وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم
بمعنى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها ما كتبناها عليهم الا
ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب على انه كتبها عليهم والزمها اياهم ليتخلصوا من الفتن

ويبتغوا بذلك رضوان الله وثوابه فما رعوها جميعا حق رعايتها ولكن بعضهم فآتينا المراعين منهم للرهبانية
اجرهم وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يرعوها يا ايها الذين آمنوا يجوز ان يكون خطابا للذين آمنوا
من اهل الكتاب والذين آمنوا من غيرهم فان كان خطابا لمؤمني اهل الكتاب فالمعنى يا ايها الذين آمنوا
بموسى وعيسى آمنوا بمحمد يؤتكم الله كفلين اي نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد وايمانكم بمن قبله ويجعل لكم
يوم القيامة نورا تمشون به وهو النور المذكور في قوله يسعى نورهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر
والمعاصي لئلا يعلم ليعلم اهل الكتاب الذين لم يسلموا ولا مزيدة ألا يقدرون وان مخففة من الثقيلة
اصله انه لا يقدرون يعني ان الشان لا يقدرون على شيء من فضل الله اي لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله
من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم
فضلا قط وان كان خطابا لغيرهم فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله يؤتكم ما وعد
من آمن من اهل الكتاب من الكفلين في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم
مثلهم في الايمانين لا تفرقون بين احد من رسله روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جعفرا رضي الله عنه في
سبعين راكبا الى النجاشي يدعوه فقدم جعفر عليه فدعاه فاستجاب له فقال ناس ممن آمن من اهل مملكته
وهم اربعون رجلا ائذن لنا في الوفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم فقدموا مع جعفر وقد تهيأ لوقعة احد
فلما رأوا ما بالمسلمين من خصاصة استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا وقدموا باموال لهم فآسوا بها
المسلمين فانزل الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الى قوله ومما رزقناهم ينفقون فلما سمع من لم يؤمن من اهل الكتاب قوله
يؤتون اجرهم مرتين فخروا على المسلمين وقالوا اما من آمن بكتابكم وكتابنا فله اجره مرتين واما من لم يؤمن
بكتابكم فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزلت وروي ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين
بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ لكي يعلم ولكيلا يعلم وليعلم ولأن يعلم بادغام
النون في الياء وليَيْعلم بقلب الهمزة ياء وادغام النون في الياء وعن الحسن ليلا يعلم بفتح اللام وسكون الياء
ورواه قطرب بكسر اللام وقيل في وجهها حذف همزة أن وادغمت نونها في لام لا فصار للا ثم ابدلت
من اللام المدغمة ياء كقولهم ديوان وقيراط ومن فتح اللام فعلى ان اصل لام الجر الفتح كما انشده اريد لانسى ذكرها
وقرئ الا يقدروا وان الفضل بيد الله في ملكه وتصرفه واليد مثل يؤتيه من يشاء ولا يشاء الا ايتاء من يستحقه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

سورة المجادلة مدنية وهي ثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قالت عائشة رضي الله عنها الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد كلمت المجادلة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في جانب البيت وانا عنده لا اسمع وقد سمع لها وعن عمر انه كان اذا دخلت عليه اكرمها وقال قد
سمع الله لها وقرئ تحاورك اي تراجعك الكلام وتجادلك اي تسائلك وهي خولة بنت ثعلبة امرأة اوس بن الصامت
اخي عبادة [illegible]
[illegible] الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن امهاتهم [illegible]
[illegible] ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم [illegible]
[illegible] وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا [illegible] وان الله لعفو غفور [illegible]
[illegible]

ويؤنثه بما يقولوا ويكون المعنى ثم يريدون العود للتماس والمماسة الاستمتاع بها من جماع او لمس بشهوة او نظر الى فرجها لشهوة
ذلكم الحكم توعظون به لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب ان تتعظوا بهذا الحكم حتى
لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه فان قلت هل يصح الظهار بغير هذا اللفظ قلت نعم اذا وضع
مكان انت عضوا منها يعبر به عن الجملة كالراس والوجه والرقبة والفرج او مكان الظهر عضوا اخر
يحرم النظر اليه من الام كالبطن والفخذ او مكان الام ذات رحم محرم منه من نسب او رضاع او صهر او جماع
نحو ان يقول انت علي كظهر اختي من الرضاع او عمتي من النسب او امراة ابني او ابي او ام امراتي او ابنتها
فهو مظاهر وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه وعن الحسن والنخعي والزهري والاوزاعي والثوري وغيرهم نحوه
وقال الشافعي لا يكون الظهار الا بالام وحدها وهو قول قتادة والشعبي وعن الشعبي لم ينس الله ان يذكر
البنات والاخوات والعمات والخالات اذ اخبر ان الظهار انما يكون بالامهات الوالدات دون المرضعات
وعن بعضهم لا بد من ذكر الظهر حتى يكون ظهارا فان قلت فاذا امتنع المظاهر من الكفارة هل للمراة ان ترافعه
قلت لها ذلك وعلى القاضي ان يجبره على ان يكفر وان يحبسه ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة
الظهار وحدها لانه يضر بها في ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فيلزم ايفاء حقها فان قلت فان مس
قبل ان يكفر قلت عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر لما روي ان سلمة بن صخر البياضي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ظاهرت من امراتي ثم ابصرت خلخالها في ليلة قمراء فواقعتها فقال عليه السلام استغفر ربك ولا تعد حتى تكفر فان قلت
اي رقبة تجزي في كفارة الظهار قلت المسلمة والكافرة جميعا لانها في الاية مطلقة وعند ش لا تجزي
الا المؤمنة لقوله تعالى في كفارة القتل فتحرير رقبة مؤمنة ولا تجزي ام الولد والمدبر والمكاتب الذي ادى شيئا
فان لم يؤد جاز وعند ش يجزي فان قلت فان اعتق بعض الرقبة او صام بعض الصيام ثم مس قلت
عليه ان يستانف نهارا مس او ليلا ناسيا او عامدا عند ابي حنيفة وعند ابي يوسف ومحمد عتق بعض الرقبة
عتق كلها فيجزيه وان كان المس يفسد الصوم استقبل والا بنى فان قلت كم يعطى كل مسكين في الاطعام قلت
نصف صاع من بر او صاعا من غيره عند ابي حنيفة وعند ش مدا من طعام بلده الذي يقتات فيه فان قلت
ما بال التماس لم يذكر عند الكفارة بالاطعام كما ذكر عند الكفارتين قلت اختلف في ذلك فعند ابي حنيفة
انه لا فرق بين الكفارات الثلاث في وجوب تقديمها على التماس وانما ترك ذكره عند الاطعام دلالة على انه
اذا وجد في خلال ذلك الاطعام لم يستانف كما يستانف الصوم اذا وقع في خلاله وعند غيره لم يذكر للدلالة
على ان التكفير قبله وبعده سواء فان قلت الضمير في ان يتماسا الى م يرجع قلت الى ما دل عليه الكلام
من المظاهر والمظاهر منها ذلك البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها لتصدقوا بالله ورسوله
في العمل بشرائعه التي شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك حدود الله التي لا يجوز
تعديها وللكافرين الذين لا يتبعونها ولا يعملون عليها عذاب اليم يحادون يعادون ويشاقون كبتوا
اخزوا واهلكوا كما كبت الذين من قبلهم من اعداء الرسل وقيل اريد كبتهم يوم الخندق وقد انزلنا ايات
بينات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به وللكافرين بهذه الايات عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم
يوم يبعثهم منصوب بلهم او بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم جميعا كلهم لا يترك منهم احد غير مبعوث
او مجتمعين في حال واحد كما تقول حي جميع فينبئهم بما عملوا تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا لحالهم يتمنون
عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤوس الاشهاد احصاه الله احاط به عددا لم
يفته منه شيء ونسوه لانهم تهاونوا به حين ارتكبوه لم يبالوا لضراوتهم بالمعاصي وانما تحفظ معظمات
الامور ما يكون من كان التامة وقرئ بالياء والتاء والياء على ان النجوى تانيثها غير حقيقي ومن فاصلة
او على ان المعنى ما يكون شيء من النجوى والنجوى التناجي فلا تخلو اما ان تكون مضافة الى ثلاثة اي من نجوى
ثلاثة نفر او موصوفة بها اي من اهل نجوى ثلاثة فحذف الاهل وجعلوا نجوى في انفسهم مبالغة كقوله خلصوا
نجيا وقرا ابن ابي عبلة ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون لان نجوى تدل عليه او على تاويل نجوى
بمتناجين ونصبها من المستكن فيه فان قلت ما الداعي الى تخصيص الثلاثة والخمسة قلت فيه وجهان
احدهما ان قوما من المنافقين تحلقوا للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين ثلاثة وخمسة
فقيل ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة كما تراهم يتناجون كذلك ولا ادنى من عددهم ولا اكثر الا والله
معهم يسمع ما يقولون فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن امية
كانوا يوما يتحدثون فقال احدهم اترى ان الله يعلم ما نقول فقال الاخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا وقال
الثالث ان كان يعلم بعضا فهو يعلمه كله وصدق لان من علم بعض الاشياء بغير سبب فقد علمها كلها
لان كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والثاني انه قصد ان يذكر ما جرت عليه العادة من
اعداد اهل النجوى والمتخالين للشورى والمندوبين لذلك ليسوا بكل احد وانما هم طائفة مجتباة
من اولي النهى والاحلام ورهط من اهل الراي والتجارب واول عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة
الى ما اقتضته الحال وحكم به الاستصواب الا ترى الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كيف ترك الامر شورى بين ستة
ولم يتجاوز بها الى سابع فذكر عز وعلا الثلاثة والخمسة وقال ولا ادنى من ذلك فدل

على

على الاثنين والاربعة وقال ولا اكثر فدل على ما يلي هذا العدد ويقاربه وفي مصحف عبد الله الا الله رابعهم
ولا اربعة الا الله خامسهم ولا خمسة الا الله سادسهم ولا اقل من ذلك ولا اكثر الا الله معهم اذا انتجوا
وقرئ ولا ادنى من ذلك ولا اكثر بالنصب على ان لا لنفي الجنس ويجوز ان يكون ولا اكثر بالرفع معطوفا على
محل لا ادنى كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بفتح الحول ورفع القوة ويجوز ان يكونا مرفوعين على الابتداء
كقولك لا حول ولا قوة الا بالله وان يكون ارتفاعهما عطفا على محل من نجوى كانه قيل ما يكون ادنى ولا اكثر
الا هو معهم ويجوز ان يكونا مجرورين عطفا على نجوى كانه قيل ما يكون من ادنى ولا اكثر الا هو معهم
وقرئ ولا اكبر بالباء ومعنى كونه معهم انه يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه فكانه مشاهدهم
ومحاضرهم وقد تعالى عن المكان والمشاهدة وقرئ ثم ينبئهم على التخفيف كانت اليهود والمنافقون يتناجون
فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين يريدون ان يغيظوهم فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادوا لمثل
فعلهم وكان تناجيهم بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته وقرئ ويتنجون بالاثم
والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول حيوك بما لم يحيك به الله يعني انهم يقولون في تحيتك السام
عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويا ايها الرسول ويا ايها النبي
لولا يعذبنا الله بما نقول كانوا يقولون ما له ان كان نبيا لا يدعو علينا حتى يعذبنا الله بما نقول فقال الله تعالى
حسبهم جهنم عذابا يا ايها الذين امنوا خطابا للمنافقين الذين امنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون للمؤمنين اي اذا تناجيتم
فلا تشبهوا باولئك في تناجيهم بالشر وتناجوا بالبر والتقوى وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان
دون صاحبهما فان ذلك يحزنه وروي دون الثالث وقرئ فلا تنتجوا وعن ابن مسعود اذا انتجيتم فلا تنتجوا
انما النجوى من الشيطان اللام اشارة الى النجوى بالاثم والعدوان بدليل قوله ليحزن الذين امنوا والمعنى ان الشيطان
يزينها لهم فكانها منه ليغيظ الذين امنوا ويحزنهم وليس الشيطان او الحزن بضارهم شيئا الا باذن الله فان قلت كيف
لا يضرهم الشيطان او الحزن الا باذن الله قلت كانوا يوهمون المؤمنين في نجواهم وتغامزهم ان غزاتهم غلبوا
وان اقاربهم قتلوا فقال لا يضرهم الشيطان او الحزن بذلك الموهم الا باذن الله اي بمشيئته وهو ان يقضي الموت
على اقاربهم او الغلبة على الغزاة وقرئ ليحزن وليحزن تفسحوا في المجلس توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض
من قولهم افسح عني اي تنح عني ولا تتضاموا وقرئ تفاسحوا والمراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يتضامون
فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله
مقاعد للقتال وقرئ في المجالس قيل كان الرجل ياتي الصف فيقول تفسحوا فيابون لحرصهم على الشهادة وقرئ
في المجلس بفتح اللام وهو الجلوس اي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه يفسح الله لكم مطلق في كل ما
يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك انشزوا انهضوا للتوسعة على المقبلين
او انهضوا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امرتم بالنهوض عنه ولا تملوا رسول الله بالارتكاز فيه او انهضوا الى الصلاة
والجهاد واعمال الخير اذا استنهضتم ولا تثبطوا ولا تفرطوا يرفع الله المؤمنين بامتثال اوامره واوامر
رسوله والعالمين منهم خاصة درجات بما تعملون وقرئ بالتاء والياء وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه كان اذا
قراها قال يا ايها الناس افهموا هذه الاية ولترغبكم في العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد مائة درجة
بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه عليه السلام فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر
على سائر الكواكب وعنه عليه السلام يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمرتبة
هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس خير سليمان بين العلم والمال
والملك فاختار العلم فاعطي المال والملك معه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله الى ابراهيم يا ابراهيم اني عليم
احب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعري اي شيء ادرك من فاته العلم واي شيء فات من ادرك العلم وعن
الاحنف كاد العلماء يكونون اربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل ما يصير وعن الزبيري العلم ذكر فلا يحبه
الا ذكورة الرجال بين يدي نجواكم استعارة ممن له يدان والمعنى قبل نجواكم كقول عمر من افضل ما
اوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته
ذلكم خير لكم في دينكم واطهر لان الصدقة طهرة روي ان الناس اكثروا مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما يريدون حتى املوه وابرموه فاريد ان يكفوا عن ذلك فامروا بان من اراد ان يناجيه قدم قبل
مناجاته صدقة قال علي رضي الله عنه لما نزلت دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقول في دينار قلت لا يطيقونه قال كم
قلت حبة او شعيرة قال انك لزهيد فلما راوا ذلك اشتد عليهم ارتدعوا وكفوا اما الفقير فلعسرته
واما الغني فلشحه وقيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار وعن علي رضي الله عنه
ان في كتاب الله لاية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته
تصدقت بدرهم قال الكلبي تصدق به في عشر كلمات سالهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر كان لعلي ثلاث
لو كانت لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة رضي الله عنها واعطاؤه الراية يوم خيبر
واية النجوى قال ابن عباس هي منسوخة بالاية التي بعدها وقيل هي منسوخة بالزكاة ااشفقتم اخفتم تقديم
الصدقات لما فيه من الانفاق الذي تكرهونه وان الشيطان يعدكم الفقر وياامركم بالفحشاء فاذ لم تفعلوا ما امرتم
به وشق عليكم وتاب الله عليكم وعذركم ورخص لكم في ان لا تفعلوا فلا تفرطوا في الصلاة والزكاة وسائر الطاعات
بما تعملون قرئ بالتاء والياء كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله من لعنه الله
وغضب عليه وينا صحونهم وينقلون اليهم اسرار المؤمنين ما هم منكم يا مسلمون ولا منهم ولا من اليهود
كقوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ويحلفون على الكذب اي يقولون والله انا لمسلمون فيحلفون

على الكذب الذي هو ادعاء الإسلام وهم يعلمون أن المحلوف عليه كذب بحت. فإن قلت ما فائدة قوله
وهم يعلمون قلت الكذب أن يكون الخبر لا على وفاق المخبر عنه سواء علم المخبر أو لم يعلم فالمعنى
أنهم الذين يخبرون وخبرهم خلاف ما يخبرون عنه وهم عالمون بذلك متعمدون له كمن يحلف
بالغموس. وقيل كان عبد الله بن نبتل المنافق يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه إلى اليهود
فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجره إذ قال لأصحابه يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار
وينظر بعيني شيطان فدخل ابن نبتل وكان أزرق فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمني أنت وأصحابك
فحلف بالله ما فعل فقال فعلت فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت عذابا شديدا
نوعا من العذاب متفاقما إنهم ساء ما كانوا يعملون يعني أنهم كانوا في الزمان الماضي مصرين على
سوء العمل مصرين عليه أو هي حكاية ما يقال لهم في الآخرة وقرئ إيمانهم بالكسر أي اتخذوا أيمانهم
التي حلفوا بها أو إيمانهم الذي أظهروه جنة أي سترة يتسترون بها من المؤمنين ومن قتلهم
فصدوا الناس في خلال أمنهم وسلامتهم عن سبيل الله وكانوا يثبطون من لقوا عن الدخول
في الإسلام ويضعفون أمر المسلمين عندهم وإنما وعدهم الله العذاب المهين المخزي لكفرهم وصدهم
كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب من الله من عذاب الله
شيئا قليلا من الإغناء روي أن رجلا منهم قال لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا
فيحلفون لله على أنهم مسلمون في الآخرة كما يحلفون لكم في الدنيا على ذلك ويحسبون أنهم على شيء من النفع
يعني ليس العجب من حلفهم لكم فإنكم بشر تخفى عليكم السرائر وأن لهم نفعا في ذلك دفعا عن أرواحهم
واستجرار فوائد دنيوية وأنهم يفعلونه في دار لا يضطرون فيها إلى علم ما يوعدون ولكن العجب من حلفهم
لله عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع والاضطرار إلى علم ما أنذرتهم الرسل والمراد وصفهم بالتوغل
في نفاقهم ومرونهم عليه وأن ذلك بعد موتهم وبعثهم باق فيهم لا يضمحل كما قال ولو ردوا لعادوا لما
نهوا عنه. وقد اختلف العلماء في كذبهم في الآخرة والقرآن ناطق بثباته نطقا مكشوفا كما ترى في هذه
الآية وفي قوله والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ويحسبون
أنهم على شيء من النفع إذا حلفوا ~~إذا حلفوا~~ استنظارهم المؤمنين ليقتبسوا من نورهم
لحسبانهم أن الإيمان الظاهر مما ينفعهم وقيل عند ذلك يختم على أفواههم ألا إنهم هم الكاذبون يعني
أنهم هم الغاية التي لا مطمح وراءها في قول الكذب حيث استوت حالهم فيه في الدنيا والآخرة استحوذ
عليهم استولى عليهم من حاذ الحمار العانة إذا جمعها وساقها غالبا لها ومنه كان أحوذيا
نسيج وحده وهو أحد ما جاء على الأصل نحو استصوب واستنوق أي ملكهم الشيطان لطاعتهم
له في كل ما يريده منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه فأنساهم أن يذكروا الله أصلا لا بقلوبهم
ولا بألسنتهم قال أبو عبيدة حزب الشيطان جنده في الأذلين في جملة من هو أذل خلق الله لا ترى أحدا
أذل منهم كتب الله في اللوح لأغلبن أنا ورسلي بالحجة والسيف أو بأحدهما لا تجد قوما من باب التخييل
خيل أن من الممتنع المحال أن تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والغرض به أنه لا ينبغي أن يكون ذلك وحقه أن يمتنع
لا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب في مجانبة أعداء الله ومباعدتهم
والاحتراس من مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله ولو كانوا آباءهم وبقوله أولئك
كتب في قلوبهم الإيمان وبمقابلة قوله أولئك حزب الشيطان بقوله أولئك حزب الله فلا تجد شيئا أدخل في الإخلاص
من موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه بل هو الإخلاص بعينه كتب في قلوبهم الإيمان أثبته فيها بما وفقهم فيه
وشرح له صدورهم وأيدهم بروح منه بلطف من عنده حييت به قلوبهم ويجوز أن يكون الضمير للإيمان أي بروح من الإيمان
على أنه في نفسه روح لحياة القلوب به وعن الثوري أنه قال كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز
بن أبي رواد أنه لقيه المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اللهم
لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة فإني وجدت فيما أوحيت لا تجد قوما وروي أنها نزلت في أبي بكر وذلك أن أبا
قحافة سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصكه صكة سقط منها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أوفعلته قال نعم قال لا تعد قال
والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته وقيل في أبي عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله الجراح يوم أحد وفي أبي
بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعني أكن في الرعلة الأولى قال متعنا بنفسك يا أبا بكر
أما تعلم أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري وفي مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد وفي عمر قتل خاله
العاص بن هشام يوم بدر وفي علي وحمزة وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

سورة الحشر مدنية وهي أربع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر
قالوا هو النبي الذي نعته في التوراة لا ترد له راية فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا
فخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكبا إلى مكة فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة فأمر عليه السلام محمد بن مسلمة الأنصاري
فقتل كعبا غيلة وكان أخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم اخرجوا
من المدينة فقالوا الموت أحب إلينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة أيام ليتجهزوا
للخروج فدس عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه إليهم لا تخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم
ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الأزقة وحصنوها فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة فلما قذف الله في قلوبهم
الرعب وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى عليهم إلا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات

على بعير

على بعير ما شاؤوا من متاعهم فجلوا إلى الشام إلى أريحا وأذرعات إلا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق
وآل حيي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة اللام في لأول الحشر تتعلق بأخرج
وهي اللام في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وقولك جئته لوقت كذا والمعنى أخرج الذين كفروا عند أول الحشر
ومعنى أول الحشر أن هذا أول حشرهم إلى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من
أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشام أو هذا أول حشرهم وآخر حشرهم إجلاء عمر إياهم
من خيبر إلى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيامة لأن المحشر يكون بالشام وعن عكرمة من شك أن
المحشر ههنا يعني الشام فليقرأ هذه الآية وقيل معناه أخرجهم من ديارهم لأول ما حشر لقتالهم لأنه أول قتال قاتلهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظننتم أن يخرجوا لشدة بأسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم
وظنوا أن حصونهم تمنعهم من بأس الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم
وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف غرة على يد أخيه وذلك مما أضعف قوتهم وفل من شوكتهم وسلب قلوبهم
الأمن والطمأنينة بما قذف فيها من الرعب وألهمهم أن يوافقوا المؤمنين في تخريب بيوتهم ويعينوا
على أنفسهم وثبط المنافقين الذين كانوا يتولونهم عن مظاهرتهم وهذا كله لم يكن في حسبانهم ومنه
أتاهم الهلاك فإن قلت أي فرق بين قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم وبين النظم
الذي جاء عليه قلت في تقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثوقهم بحصانتها
ومنعها إياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لأن وإسناد الجملة إليه دليل على اعتقادهم في أنفسهم
أنهم في عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع في معازتهم وليس ذلك في قولك وظنوا أن
حصونهم تمنعهم وقرئ فآتاهم الله أي فآتاهم الهلاك والرعب الخوف الذي يرعب الصدر
أي يملؤه وقذفه إثباته وركزه ومنه قالوا في صفة الأسد مقذف كأنما قذف باللحم قذفا
لاكتنازه وتداخل أجزائه وقرئ يخربون ويخربون أي يخربونها بواطنها والمسلمون ظواهرها لما أراد الله
استئصال شأفتهم وأن لا يبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار والذي دعاهم إلى التخريب حاجتهم
إلى الخشب والحجارة ليسدوا بها أفواه الأزقة وأن لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين
وأن ينقلوا معهم ما كان في أبنيتهم من جيد الخشب والساج المليح وأما المؤمنون فداعيهم إزالة
متحصنهم ومتمنعهم وأن يتسع لهم مجال الحرب فإن قلت ما معنى تخريبهم لها بأيدي المؤمنين قلت
لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم أمروهم به وكلفوهم إياه فاعتبروا بما دبر الله ويسر
من أمر إخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال وقيل وعد رسول الله المسلمين أن يورثهم
الله أرضهم وأموالهم بغير قتال فكان كما قال يعني أن الله قد عزم على تطهير أرض المدينة منهم
وإراحة المسلمين من جوارهم وتوريثهم أموالهم فلولا أنه كتب عليهم الجلاء واقتضته حكمته ودعا
إلى اختياره أنه أشق عليهم من الموت لعذبهم في الدنيا بالقتل كما فعل بإخوانهم بني قريظة ولهم سواء
أجلوا أو قتلوا عذاب النار يعني إن نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة من لينة بيان لما
قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كأنه قال أي شيء قطعتم وأنث الضمير الراجع إلى ما في قوله أو تركتموها
لأنه في معنى اللينة واللينة النخلة من الألوان وهي ضروب النخل ما خلا العجوة والبرنية وهما أجود
النخيل وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها كالديمة وقيل اللينة النخلة الكريمة كأنهم اشتقوها من اللين
قال ذو الرمة كأن قتودي فوقها عش طائر على لينة سوقاء تهفو جنوبها وجمعها ليان وقرئ قوما على
أصلها وقرئ أصلها وفيه وجهان أنه جمع أصل كرهن ورهن أو اكتفي فيه بالضمة عن الواو وقرئ قائما على أصوله
ذهابا إلى لفظ ما فبإذن الله فقطعها بإذن الله وأمره وليخزي الفاسقين وليذل اليهود ويغيظهم
أذن في قطعها وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمر أن تقطع نخلهم وتحرق قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد
في الأرض فما بال قطع النخل وتحريقها وكان في أنفس المؤمنين من ذلك شيء فنزلت يعني أن الله أذن
لهم في قطعها ليزيدكم غيظا ويضاعف لكم حسرة إذا رأيتموهم يتحكمون في أموالكم كيف أحبوا ويتصرفون
فيها ما شاؤوا واتفق العلماء أن حصون الكفرة وديارهم لا بأس بأن تهدم وتحرق وترمى بالمجانيق
وكذلك أشجارهم لا بأس بقلعها مثمرة كانت أو غير مثمرة وعن ابن مسعود قطعوا منها ما كان موضعا
للقتال فإن قلت لم خصت اللينة بالقطع قلت إن كانت من الألوان فليستبقوا لأنفسهم
العجوة والبرنية وإن كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود أشد أحدهما العجوة والآخر اللون فقالها رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا تركتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال هذا قطعتها غيظا للكفار وقد استدل به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لأنهما
بحكمه بالاجتهاد في ذلك واحتج به من يقول كل مجتهد مصيب أفاء الله على رسوله جعله فيئا له
فما أوجفتم من الوجيف وهو السير السريع ومنه قوله عليه السلام في الإفاضة من عرفات ليس البر
بإيجاف الخيل ولا إيضاع الإبل على هينتكم ومعنى فما أوجفتم عليه فما أوجفتم على تحصيله وتغنمه
خيلا ولا ركابا ولا تعبتم في القتال عليه وإنما مشيتم إليه على أرجلكم والمعنى أن ما خول الله رسوله
من أموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما في أيديهم كما كان
يسلط رسله على أعدائهم فالأمر فيه مفوض إليه يضعه حيث يشاء يعني أنه لا يقسم

قسمة الغنائم التي قوتل عليها وأخذت عنوة وقهرًا وذلك أنهم طلبوا القسمة فنزلت لم يدخل
العاطف على هذه الجملة لأنها بيان للأولى فهي منها غير أجنبية عنها، بيّن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع
بما أفاء الله عليه وأمره أن يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسومًا على الأقسام الخمسة والدولة
والدولة بالفتح والضم وقد قرئ بهما ما يدول للإنسان أي يدور من الجد يقال دالت له الدولة
وأديل لفلان، ومعنى قوله كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم كي لا يكون الفيء الذي حقه أن يعطى الفقراء ليكون
لهم بلغة يعيشون بها جَدًّا بين الأغنياء يتكاثرون به، أو كي لا يكون دولة جاهلية بينهم، ومعنى
الدولة الجاهلية أن الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة لأنهم أهل الرئاسة والدولة
والغلبة وكانوا يقولون من عزّ بزّ، والمعنى كي لا يكون أخذه غلبة وأثرة جاهلية، ومنه
قول الحسن اتخذوا عباد الله خولًا ومال الله دولًا يريد من غلب منهم أخذه واستأثر به
وقيل الدولة ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف يعني كي لا يكون الفيء شيئًا يتداوله
الأغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء، والدولة بالفتح بمعنى التداول أي كي لا يكون ذا
تداول بينهم أو كي لا يكون إمساكه تداولا بينهم لا يخرجونه إلى الفقراء، وقرئ دولة بالرفع على كان
التامة كقوله وإن كان ذو عسرة يعني كي لا يقع دولة جاهلية ولينقطع أثرها أو كي لا يكون تداول
له بينهم أو كي لا يكون شيء متعاور بينهم غير مخرج إلى الفقراء وما آتاكم الرسول من قسمة غنيمة أو فيء
فخذوه وما نهاكم عن أخذه منها فانتهوا عنه ولا تتبعه أنفسكم واتقوا الله أن تخالفوه وتتهاونوا بأوامره
ونواهيه إن الله شديد العقاب لمن خالف رسوله، والأجود أن يكون عامًّا في كل ما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى
عنه وأمر الفيء داخل في عمومه، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه لقي رجلًا محرمًا وعليه ثيابه
فقال له انزع عنك هذا فقال له الرجل اقرأ علي في هذا آية من كتاب الله قال نعم فقرأها عليه
للفقراء بدل من قوله لذي القربى والمعطوف عليه والذي منع الإبدال من لله وللرسول والمعطوف
عليهما وإن كان المعنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله أخرج رسوله من الفقراء في قوله وينصرون الله ورسوله
وأنه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير وأن الإبدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله تعالى
أولئك هم الصادقون في إيمانهم وجهادهم والذين تبوؤوا معطوف على المهاجرين وهم الأنصار فإن قلت
ما معنى عطف الإيمان على الدار ولا يقال تبوؤوا الإيمان، قلت معناه تبوؤوا الدار وأخلصوا
الإيمان كقوله علفتها تبنًا وماءً باردًا، حتى غدت همالة عيناها، أو وجعلوا الإيمان
مستقرًا ومستوطنًا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك أو أراد دار
الهجرة ودار الإيمان فأقام لام التعريف في الدار مقام المضاف إليه وحذف المضاف من دار الإيمان
ووضع المضاف إليه مقامه أو سمى المدينة لأنها دار الهجرة ومكان
ظهور الإيمان بالإيمان من قبلهم من قبل المهاجرين لأنهم سبقوهم في تبوؤ دار الهجرة والإيمان
وقيل من قبل هجرتهم ولا يجدون ولا يعلمون في أنفسهم حاجة مما أوتوا أي طلب محتاج إليه مما أوتي المهاجرون
من الفيء وغيره والمحتاج إليه يسمى حاجة يقال خذ منه حاجتك وأعطاه من ماله حاجته يعني
أن نفوسهم لم تتبع ما أعطوا ولم تطمح إلى شيء منه يحتاج إليه ولو كان بهم خصاصة أي خلة وأصلها خصاص
البيت وهي فروجه والجملة في موضع الحال أي مفروضة خصاصتهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال
بني النضير على المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا ثلاثة نفر محتاجين أبا دجانة سماك بن خرشة وسهل
بن حنيف والحارث بن الصمة، وقال لهم إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم
في هذه الغنيمة وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الأنصار
بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت الشح بالضم والكسر
وقد قرئ بهما اللؤم وأن تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع كما قال: يمارس نفسًا بين جنبيه كزة
إذا هم بالمعروف قالت له مهلا، وقد أضيف إلى النفس لأنه غريزة فيها، وأما البخل فهو المنع نفسه
ومنه قوله تعالى وأحضرت الأنفس الشح، ومن يوق شح نفسه ومن غلب ما أمرته به وخالفها بمعونة
الله وتوفيقه فأولئك هم المفلحون الظافرون بما أرادوا، وقرئ ومن يوقّ والذين جاؤوا من بعدهم عطف
أيضًا على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون بإحسان غلًّا وقرئ غمرًا وهما الحقد (ربع)
لإخوانهم الذين بينهم وبينهم أخوة في الكفر ولأنهم كانوا يوالونهم ويؤاخونهم وكانوا معهم على المؤمنين
في السر ولا نطيع فيكم في قتالكم أحدًا أبدًا من رسول الله والمسلمين إن حملنا عليه أو في خذلانكم
وإخلاف ما وعدناكم من النصرة لكاذبون أي في مواعيدهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة لأنه إخبار
بالغيب فإن قلت كيف قيل ولئن نصروهم بعد الإخبار بأنهم لا ينصرونهم قلت معناه ولئن
نصروهم على الفرض والتقدير كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان
كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك
أي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين رهبة
مصدر رهب المبني للمفعول كأنه قيل أشد مرهوبية، وقوله في صدورهم دلالة على نفاقهم يعني

انهم

أنهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وأنتم أهيب في صدورهم من الله فإن قلت كأنهم كانوا يرهبون
من الله حتى تكون رهبتهم منكم أشد قلت معناه أن رهبتهم في السر منكم أشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم
وكانوا يظهرون لهم رهبة شديدة من الله ويجوز أن يريد أن اليهود يخافونكم في صدورهم أشد من
خوفهم من الله لأنهم كانوا قومًا أولي بأس ونجدة وكانوا يتشجعون لهم مع إضمار الخيفة في صدورهم لا يفقهون
لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم جميعًا لا يقدرون على مقاتلتكم جميعًا
مجتمعين متساندين يعني اليهود والمنافقين إلا كائنين في قرى محصنة بالخنادق والدروب
أو من وراء جدر دون أن يصحروا لكم ويبارزوكم لقذف الله الرعب في قلوبهم وأن تأييد الله تعالى ونصرته
معكم وقرئ جُدُر بالتخفيف وجدار وجَدْر وهما الجدار بأسهم بينهم شديد يعني أن البأس الشديد الذي يوصفون به إنما هو
بينهم إذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة لأن الشجاع يجبن والعز يذل عند
محاربة الله ورسوله تحسبهم جميعًا مجتمعين ذوي ألفة واتحاد وقلوبهم شتى متفرقة لا ألفة
بينها يعني أن بينهم إحنًا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد ولا يرمون عن قوس واحدة
وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم بأنهم قوم لا يعقلون أن تشتت القلوب مما يوهن
قواهم ويعين على أرواحهم كمثل الذين من قبلهم أي مثلهم كمثل أهل بدر في زمان قريب فإن قلت
بم انتصب قريبًا قلت بمثل على كوجود مثل أهل بدر قريبًا ذاقوا وبال أمرهم سوء عاقبة كفرهم
وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم كلأ وبيل وخيم سيء العاقبة يعني ذاقوا عذاب القتل
في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار مثل المنافقين في إغرائهم اليهود على القتال ووعدهم
إياهم النصر ثم متاركتهم لهم وإخلافهم كمثل الشيطان إذا استغوى الإنسان بكيده ثم تبرأ منه
في العاقبة والمراد استغواؤه قريشًا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم
إلى قوله إني بريء منكم. وقرأ ابن مسعود خالدان فيها على أنه خبر أن وفي النار لغو وعلى القراءة المشهورة
الظرف مستقر وخالدين فيها حال وقرئ أنا بريء وعاقبتهما بالرفع كرر الأمر بالتقوى تأكيدًا واتقوا الله
في أداء الواجبات لأنه قرن بما هو عمل واتقوا الله في ترك المعاصي لأنه قرن بما يجري مجرى الوعيد والغد
يوم القيامة سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبًا له، وعن الحسن لم يزل يقربه حتى جعله كالغد ونحوه
قوله تعالى كأن لم تغن بالأمس يريد تقريب الزمان الماضي وقيل عبر عن الآخرة بالغد كأن الدنيا
والآخرة نهاران يوم وغد فإن قلت ما معنى تنكير النفس والغد قلت أما تنكير النفس
فاستقلال للأنفس النواظر فيما قدمن للآخرة كأنه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك وأما تنكير الغد
فلتعظيمه وإبهام أمره كأنه قيل لغد لا يعرف كنهه لعظمه، وعن مالك بن دينار مكتوب على باب
الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا نسوا الله نسوا حقه فجعلهم ناسين حق
أنفسهم بالخذلان حتى لم يسعوا لها بما ينفعهم عنده أو فأراهم يوم القيامة من الأهوال ما نسوا
فيه أنفسهم كقوله لا يرتد إليهم طرفهم، هذا تنبيه للناس وإيذان بأنهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم
في العاقبة وتهالكهم على إيثار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار
والبون العظيم بين أصحابهما وأن الفوز مع أصحاب الجنة فمن حقهم أن يعلموا ذلك وينبهوا عليه
كما تقول لمن يعق أباه هو أبوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الأبوة الذي يقتضي البر
والتعطف وقد استدل أصحاب الشافعي بهذه الآية على أن المسلم لا يقتل بالكافر وأن الكفار لا يملكون
أموال المسلمين بالقهر لو أنزلنا هذا مثل وتخييل كما مر في قوله إنا عرضنا الأمانة وقد دل عليه قوله وتلك
الأمثال نضربها للناس والغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن
وتدبر قوارعه وزواجره، وقرئ مصدعًا على الإدغام وتلك الأمثال إشارة إلى هذا المثل وإلى
أمثاله في مواضع من التنزيل الغيب المعدوم والشهادة الموجود المدرك كأنه يشاهده وقيل ما غاب
عن العباد وما شاهدوه وقيل السر والعلانية وقيل الدنيا والآخرة القدوس بالضم والفتح وقد
قرئ بهما البليغ في النزاهة عما يستقبح ونظيره السبوح وفي تسبيح الملائكة سبوح قدوس
رب الملائكة والروح، والسلام بمعنى السلامة ومنه دار السلام وسلام عليكم وصف به مبالغة
في وصف كونه سليمًا من النقائص أو في إعطائه السلامة والمؤمن واهب الأمن، وقرئ بفتح الميم
بمعنى المؤمن به على حذف الجار كما تقول في قوم موسى من قوله واختار موسى قومه المختارون بلفظ
صفة السبعين والمهيمن الرقيب على كل شيء الحافظ له مفيعل من الأمن إلا أن همزته قلبت هاء
والجبار القاهر الذي جبر خلقه على ما أراد أي أجبره والمتكبر البليغ الكبرياء والعظمة
وقيل المتكبر عن ظلم العباد والخالق المقدر لما يوجده والبارئ المميز بعضه عن بعض بالأشكال
المختلفة والمصور الممثل، وعن حاطب بن أبي بلتعة أنه قرأ البارئ المصوَّر بفتح الواو ونصب
الراء أي الذي يبرأ المصوَّر أي يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات، وقرأ ابن مسعود وما في الأرض
وعن أبي هريرة سألت خليلي صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الأعظم فقال عليك بآخر الحشر فأكثر قراءته
فأعدت عليه فأعاد علي فأعدت عليه فأعاد علي، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر

غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة مدنية وهي ثلاث عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم. روي أن مولاة لأبي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح، فقال لها: أمسلمة جئت؟ قالت: لا. قال: أفمهاجرة جئت؟ قالت: لا. قال: فما جاء بك؟ قالت: كنتم الأهل والموالي والعشيرة، وقد ذهبت الموالي، تعني قتلوا يوم بدر، فاحتجت حاجة شديدة. فحث عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها، فأتاها حاطب بن أبي بلتعة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا إلى أهل مكة نسخته: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة، اعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم. فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد، وكانوا فرسانا، وقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى أهل مكة، فخذوه منها وخلوها، فإن أبت فاضربوا عنقها. فأدركوها فجحدت وحلفت، فهموا بالرجوع، فقال علي رضي الله عنه: والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسل سيفه وقال: أخرجي الكتاب أو تضعي رأسك، فأخرجته من عقاص شعرها. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمّن جميع الناس يوم الفتح إلا أربعة هي أحدهم. فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال: ما حملك عليه؟ فقال: يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت، ولا غششتك منذ نصحتك، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش، وروي: عزيزا فيهم، أي غريبا، ولم أكن من أنفسها، وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهاليهم وأموالهم غيري، فخشيت على أهلي، فأردت أن أتخذ عندهم يدا، وقد علمت أن الله ينزل عليهم بأسه، وأن كتابي لا يغني عنهم شيئا. فصدقه وقبل عذره، فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال: وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، ففاضت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم، فنزلت.

عدى اتخذ إلى مفعوليه، وهما عدوي وأولياء. والعدو فعول من عدا، كعفو من عفا، ولكونه على زنة المصدر أوقع على الجمع إيقاعه على الواحد. **فإن قلت** تلقون بم يتعلق؟ **قلت** يجوز أن يتعلق بلا تتخذوا حالا من ضميره، وبأولياء صفة له، ويجوز أن يكون استئنافا. **فإن قلت** إذا جعلته صفة لأولياء وقد جرى على غير من هو له فأين الضمير البارز وهو قولك: تلقون إليهم أنتم بالمودة؟ **قلت** ذاك إنما اشترط في الأسماء دون الأفعال، لو قيل: أولياء ملقين إليهم بالمودة على الوصف لما كان بد من الضمير البارز. والإلقاء عبارة عن إيصال المودة والإفضاء بها إليهم، يقال: ألقى إليه خراشي صدره وأفضى إليه بشقوره. والباء في **بالمودة** إما زائدة مؤكدة للتعدي مثلها في ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وإما ثابتة على أن مفعول تلقون محذوف، معناه: تلقون إليهم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم. وكذلك قوله **تسرون إليهم بالمودة** أي تفضون إليهم بمودتكم سرا، أو تسرون إليهم أسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة. **فإن قلت** وقد **كفروا** حال مماذا؟ **قلت** إما من لا تتخذوا، وإما من تلقون، أي لا تتولوهم أو توادونهم وهذه حالهم. **ويخرجون** استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم، أو حال من كفروا. **وأن تؤمنوا** تعليل ليخرجون، أي يخرجونكم لإيمانكم. **إن كنتم خرجتم جهادا** متعلق بلا تتخذوا، يعني: لا تتولوا أعدائي إن كنتم أوليائي. وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه. وتسرون استئناف، ومعناه: أي طائل لكم في إسراركم وقد علمتم أن الإخفاء والإعلان سيان في علمي لا تفاوت بينهما، وأنا مطلع رسولي على ما تسرون. **ومن يفعله** ومن يفعل هذا الإسرار فقد أخطأ طريق الحق والصواب. وقرأ الجحدري: لما جاءكم، أي كفروا لأجل ما جاءكم، بمعنى أن ما كان يجب أن يكون سبب إيمانهم جعلوه سببا لكفرهم. **إن يثقفوكم** إن يظفروا بكم ويتمكنوا منكم **يكونوا لكم أعداء** خالصي العداوة، ولا يكونوا لكم أولياء كما أنتم، **ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء** بالقتال والشتم، وتمنوا لو ترتدون عن دينكم، فإذن موادة أمثالهم ومناصحتهم خطأ عظيم منكم، ومغالطة لأنفسكم، ونحوه قوله تعالى: لا يألونكم خبالا. **فإن قلت** كيف أورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال: وودوا بلفظ الماضي؟ **قلت** الماضي وإن كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الإعراب فإن فيه نكتة، كأنه قيل: وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم، يعني أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا من قتل الأنفس وتمزيق الأعراض وردكم كفارا، أسبق المضار عندهم وأولها، لعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم، لأنكم بذالون لها دونه، والعدو أهم شيء عنده أن يقصد أعز شيء عند صاحبه. **لن تنفعكم أرحامكم** أي قراباتكم **ولا أولادكم** الذين توالون الكفار من أجلهم وتتقربون إليهم محاماة عليهم. ثم قال: **يوم القيامة يفصل بينكم** وبين أقاربكم وأولادكم يوم يفر المرء من أخيه الآية، فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا. خطّأ رأيهم في موالاة الكفار بما يرجع إلى حال من والوه أولا، ثم بما يرجع إلى حال من استدعى تلك الموالاة ثانيا، ليريهم أن ما أقدموا عليه من أي جهة نظرت فيه وجدته باطلا. قرئ: يُفصَل ويُفصَّل على البناء للمفعول، ويَفصِل ويُفصِّل على البناء للفاعل وهو الله عز وعلا، ونَفصِل ونُفصِّل بالنون.

قرئ **أُسوة** وإسوة، وهو اسم المؤتسى به، أي كان فيهم مذهب حسن مرضي بأن يؤتسى به ويتبع أثره، وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا حيث كاشفوهم بالعداوة وقشروا لهم العصا، وأظهروا البغضاء والمقت، وصرحوا بأن سبب عداوتهم وبغضائهم ليس إلا كفرهم بالله تعالى، وما دام هذا السبب قائما كانت العداوة قائمة، حتى إن أزالوه وآمنوا بالله وحده انقلبت العداوة موالاة والبغضاء محبة والمقت مقة، فأفصحوا عن محض الإخلاص. ومعنى **كفرنا بكم وبما تعبدون من دون الله**: أنا لا نعتد بشأنكم ولا بشأن آلهتكم، وما أنتم عندنا على شيء. **فإن قلت** مم استثني قوله **إلا قول إبراهيم**؟ **قلت** من قوله أسوة حسنة، لأنه أراد بالأسوة الحسنة قولهم الذي حق عليهم أن يأتسوا به ويتخذوه سنة يستنون بها. **فإن قلت** فإن كان قوله **لأستغفرن لك** مستثنى من القول الذي هو أسوة حسنة، فما بال قوله وما أملك لك من الله من شيء، وهو غير حقيق بالاستثناء، ألا ترى إلى قوله: قل فمن يملك لكم من الله شيئا؟ **قلت** أراد استثناء جملة قوله لأبيه، والقصد إلى موعد الاستغفار له، وما بعده مبني عليه وتابع له، كأنه قال: أنا أستغفر لك وما في طاقتي إلا الاستغفار. **فإن قلت** بم اتصل قوله **ربنا عليك توكلنا**؟ **قلت** بما قبل الاستثناء، وهو من جملة الأسوة الحسنة. ويجوز أن يكون المعنى: قولوا ربنا، أمرا من الله تعالى للمؤمنين بأن يقولوه، وتعليما منه لهم تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار، والائتساء بإبراهيم وقومه في البراءة منهم، وتنبيها على الإنابة إلى الله والاستعاذة به من فتنة أهل الكفر، والاستغفار مما فرط منهم. وقرئ: **برآء** كشركاء، وبراء كظراف، وبراء على إبدال الضم من الكسر كرخال ورباب، وبراء على الوصف بالمصدر، والبراء والبراءة كالظماء والظماءة. ثم كرر الحث على الائتساء بإبراهيم وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم، ولذلك جاء به مصدرا بالقسم لأنه الغاية في التأكيد، وأبدل عن قوله لكم قوله **لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**، وعقبه بقوله **ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد**، فلم يترك نوعا من التأكيد إلا جاء به. **ولما** نزلت هذه الآيات تشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وأبنائهم وجميع أقربائهم من المشركين ومقاطعتهم، فلما رأى الله منهم الجد والصبر على الوجد الشديد وطول التمني للسبب الذي يبيح لهم الموالاة والمواصلة رحمهم فوعدهم تيسير ما تمنوه، فلما يسر فتح مكة أظفرهم الله بأمنيتهم، فأسلم قومهم وتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم. وقيل: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة، فلانت عند ذلك عريكة أبي سفيان واسترخت شكيمته في العداوة، وكانت أم حبيبة قد أسلمت وهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى الحبشة، فتنصر وأرادها على النصرانية فأبت وصبرت على دينها، ومات زوجها، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي فخطبها عليه، وساق عنه إليها أربعمائة دينار، وبلغ ذلك أباها فقال: ذلك الفحل لا يقدع أنفه. **وعسى** وعد من الله على عادة الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج: عسى أو لعل، فلا تبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك، أو قصد به إطماع المؤمنين. **والله قدير** على تقليب القلوب وتغيير الأحوال وتسهيل أسباب المودة. **والله غفور رحيم** لمن أسلم من المشركين. **أن تبروهم** بدل من الذين لم يقاتلوكم، وكذلك أن تولوهم بدل من الذين قاتلوكم. والمعنى: لا ينهاكم الله عن مبرة هؤلاء، وإنما ينهاكم عن تولي هؤلاء. وهذا أيضا رحمة لهم لتشددهم وجدهم في العداوة متقدمة لرحمته بتيسير إسلام قومهم، حيث رخص لهم في صلة من لم يجاهر منهم بقتال المؤمنين وإخراجهم من ديارهم. وقيل: أراد بهم خزاعة، وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه. وعن مجاهد: الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا. وقيل: هم النساء والصبيان. وقيل: قدمت على أسماء بنت أبي بكر أمها قتيلة بنت عبد العزى وهي مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول، فنزلت، فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن إليها. وعن قتادة: نسختها آية القتال. **وتقسطوا إليهم** وتقضوا إليهم بالقسط ولا تظلموهم، وناهيك بتوصية الله المؤمنين أن يستعملوا القسط مع المشركين به ويتحاموا ظلمهم، مترجمة عن حال مسلم يجترئ على ظلم أخيه المسلم. **إذا جاءكم المؤمنات** سماهن مؤمنات لتصديقهن بألسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافي ذلك، أو لأنهن مشارفات لثبات إيمانهن بالامتحان. **فامتحنوهن** فابتلوهن بالحلف والنظر في الأمارات ليغلب على ظنونكم صدق إيمانهن. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للممتحنة: بالله الذي لا إله إلا هو ما خرجت من بغض زوج، بالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، بالله ما خرجت التماس دنيا، بالله ما خرجت إلا حبا لله ولرسوله. **الله أعلم بإيمانهن** منكم، لأنكم لا تكسبون فيه علما تطمئن معه نفوسكم وإن استحلفتموهن ورزتم أحوالهن، وعند الله حقيقة العلم به. **فإن علمتموهن مؤمنات** العلم الذي تبلغه طاقتكم، وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الأمارات **فلا ترجعوهن إلى الكفار** فلا تردوهن إلى أزواجهن المشركين، لأنه لا حل بين المؤمنة والمشرك. **وآتوهم ما أنفقوا** وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا إليهن من المهور، وذلك أن صلح الحديبية كان على أن من أتاكم من أهل مكة رد إليهم، ومن أتى مكة منكم لم يرد إليكم، وكتبوا بذلك كتابا وختموه، فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية، فأقبل زوجها مسافر المخزومي، وقيل: صيفي بن الراهب، فقال: يا محمد اردد علي امرأتي، فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا، وهذه طينة الكتاب لم تجف، فنزلت بيانا لأن الشرط إنما كان في الرجال دون النساء. وعن الضحاك: كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عهد أن لا تأتيك منا امرأة ليست على دينك إلا رددتها إلينا، فإن دخلت في دينك ولها زوج أن ترد على زوجها الذي أنفق عليها، وللنبي صلى الله عليه وسلم من الشرط مثل ذلك. وعن قتادة: ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد براءة. فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت، فأعطى زوجها ما أنفق، وتزوجها عمر. **فإن قلت** كيف سمى الظن علما في قوله فإن علمتموهن؟ **قلت** إيذانا بأن الظن الغالب وما يفضي إليه الاجتهاد والقياس جار مجرى العلم، وأن صاحبه غير داخل في قوله: ولا تقف ما ليس لك به علم. **فإن قلت** فما فائدة قوله الله أعلم بإيمانهن وذلك معلوم لا شبهة فيه؟ **قلت** فائدته بيان أن لا سبيل لكم إلى ما تطمئن به النفس ويثلج به الصدر من الإحاطة بحقيقة إيمانهن، فإن ذلك مما استأثر به علام الغيوب، وأن ما يؤدي إليه الامتحان من العلم كاف في ذلك

وان تحلفكم لا يحدد ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات اذا آتوهن اجورهن اي مهورهن لان المهر اجر
البضع ولا يخلو اما ان يراد بها ما كان يدفع اليهن ليدفعنه الى ازواجهن فيشترط في اباحة تزوجهن تقديم
ادائه • واما ان يراد ان ذلك اذا دفع اليهن على سبيل القرض ثم تزوجن على ذلك لم يكن به باس • واما ان يبين
لهم ان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر وانه لا بد من اصداق وبه احتج ابو حنيفة على ان احد الزوجين
اذا خرج من دار الحرب مسلما او بذمة وبقي الآخر حربيا وقعت الفرقة ولا يرى العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها
الا ان تكون حاملا ولا تمسكوا بعصم الكوافر والعصمة ما يعتصم به من عقد وسبب يعني اياكم واياهن ولا
يكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه
لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه • وعن النخعي هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر • وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات
مع الكفار ومفارقتهن واسألوا ما انفقتم من مهور ازواجكم اللاحقات بالكفار وليسألوا ما انفقوا
من مهور نسائهم المهاجرات • وقرئ ولا تمسكوا بالتخفيف ولا تمسّكوا بالتثقيل ولا تمسكوا
اي ولا تتمسكوا ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في هذه الآية يحكم بينكم كلام مستانف او حال من حكم الله على حذف الضمير
اي يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على المبالغة • روي انها لما نزلت الآية ادى المؤمنون ما امروا به من اداء مهور المهاجرات
الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى وان فاتكم شيء
وان انفلت منكم شيء من ازواجكم احد منهن الى الكفار وهو في قراءة ابن مسعود احد فان قلت هل لايقاع شيء
في هذا الموقع فائدة قلت نعم الفائدة فيه ان لا يغادر شيء من هذا الجنس وان قل وحقر غير معوض منه تغليظا
في هذا الحكم وتشديدا فيه فعاقبتم من العقبة وهي النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء
مهور نساء اولئك تارة واولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ومعناه
فجاءت عقبتكم من اداء المهر فآتوا من فاتته امراته الى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها
الكافر • وهكذا عن الزهري يعطى من صداق من لحق بهم • وقرئ فاعقبتم فعقّبتم بالتشديد فعقبتم بالتخفيف
بفتح القاف وكسرها فمعنى اعقبتم دخلتم في العقبة وعقّبتم من عقّبه اذا قفاه لان كل واحد من المتعاقبين يقفي
صاحبه وكذلك عقبتم بالتخفيف وعقبتم نحو تبعتم • وقال الزجاج فعاقبتم فاصبتموهم في القتال بعقوبة حتى
غنمتم • والذي ذهبت زوجته كان يعطى من الغنيمة المهر • وفسر غيرها من القراآت فكانت العقبى لكم اي
كانت الغلبة لكم حتى غنمتم • وقيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعة عن الاسلام ست نسوة • ام الحكم
بنت ابي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري • وفاطمة بنت ابي امية كانت تحت عمر بن الخطاب
وهي اخت ام سلمة • وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان • وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة
وزوجها عمرو بن عبد ود • وهند بنت ابي جهل كانت تحت هشام بن العاص • وكلثوم بنت جرول كانت
تحت عمر • واعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهور نسائهم من الغنيمة ولا يقتلن اولادهن وقرئ يقتّلن بالتشديد يريد
وأد البنات ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن كانت المراة تلتقط المولود فتقول لزوجها
هو ولدي منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذبا لان
بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين • وفرجها الذي تلده به بين الرجلين ولا يعصينك في معروف فيما تامر
به من المحسنات وتنهى عنه من المقبحات • وقيل كل ما وافق طاعة الله فهو معروف • فان قلت لو اقتصر على
قوله ولا يعصينك فقد علم ان رسول الله لا يامر الا بالمعروف قلت نبه بذلك على ان طاعة المخلوق في معصية
الخالق جديرة بغاية التوقي والاجتناب • وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال
اخذ في بيعة النساء وهو على الصفا • وعمر بن الخطاب رضي الله عنه اسفل منه يبايعهن بامره ويبلغهن عنه
وهند بنت عتبة امراة ابي سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها فقال عليه السلام
ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيئا فرفعت هند راسها وقالت والله لقد عبدنا الاصنام وانك لتاخذ علينا امرا
ما رايناك اخذته على الرجال تبايع الرجال على الاسلام والجهاد فقط فقال عليه السلام ولا تسرقن فقالت ان ابا
سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات فما ادري اتحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت
من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت
نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفى الله عنك فقال ولا تزنين فقالت اوتزني الحرة • وفي رواية ما زنت
منهن امراة قط • فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فانتم وهم
اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله
فقال ولا يأتين ببهتان فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء وقيل في كيفية
المبايعة دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن ايديهن وقيل صافحهن وكان على يده ثوب قطري وقيل
كان عمر يصافحهن عنه • وروي ان بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فقيل لهم
لا تتولوا قوما مغضوبا عليهم قد يئسوا من ان يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم
يعلمون انه الرسول المنعوت في التوراة كما يئس الكفار من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا احياء • وقيل
من اصحاب القبور بيان للكفار اي كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لانهم تبينوا قبح حالهم
وسوء منقلبهم • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

سورة الصف مكية وهي اربع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم • لم هي لام الاضافة
داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم وعم ومم والام

وعلام وانما حذفت الالف لان ما والحرف كشيء واحد ووقع استعمالهما كثيرا في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا
والوقف على زيادة هاء السكت او الاسكان ومن اسكن في الوصل فلاجرائه مجرى الوقف كما سمع ثلاثه
اربعه بالهاء والقاء حركة الهمزة عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول الكذب واخلاف الموعد وروي
ان المؤمنين قالوا قبل ان يؤمروا بالقتال لو نعلم احب الاعمال الى الله لعملناه ولبذلنا فيه اموالنا وانفسنا
فدلهم الله على الجهاد في سبيله فولوا يوم احد فعيرهم • وقيل لما اخبر الله بثواب شهداء بدر قالوا لئن
لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد ولم يفوا • وقيل كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت
ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر • وقيل كان قد آذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب
وانتحل قتله آخر فقال عمر لصهيب اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انك قتلته فقال انما قتلته لله ولرسوله فقال عمر يا رسول الله
قتله صهيب قال كذلك يا ابا يحيى قال نعم فنزلت في المنتحل • وعن الحسن نزلت في المنافقين ونداؤهم بالايمان
تهكم بهم وبايمانهم هذا من افصح كلام وابلغه في معناه قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله
غلت ناب كليب بواؤها • ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شيء خارج
عن نظائره واشكاله • واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على ان قولهم ما لا يفعلون
مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ المقت لانه اشد البغض وابلغه ومنه قيل نكاح
المقت للعقد على الرابة ولم يقتصر على ان جعل البغض كبيرا حتى جعل اشده وافحشه وعند الله ابلغ من ذلك
لانه اذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك وعن بعض السلف انه قيل
له حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال تامرونني ان اقول ما لا افعل فاستعجل مقت الله ان الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله صفا عقيب ذكر المقت دليل على ان المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال
الكفار فلم يفوا • وقرئ يقاتلون بفتح التاء • وقرئ يقتّلون • يقتتلون صفا صافين انفسهم او مصفوفين
كانهم في تراصهم من غير فرجة ولا خلل بنيان رص بعضه الى بعض ووصف • وقيل يجوز ان يريد
استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص • وعن بعضهم فيه دليل على فضل
القتال راجلا لان الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة وقوله صفا كانهم بنيان حالان متداخلتان • اذ
منصوب باضمار اذكر او وحين قال لهم ما قالوا كذا وكذا لم تؤذونني كانوا يؤذونه بانواع
الاذى من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم
البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله تعالى وحقه وقد تعلمون في موضع الحال اي تؤذونني
عالمين علما يقينا اني رسول الله وقضيته علمكم بذلك وموجبه تعظيمي وتوقيري لا ان تؤذوني وتستهينوا بي
لان من عرف الله وعظمته عظم رسوله علما بان تعظيمه في تعظيم رسوله ولان من آذاه كان وعيد الله لاحقا به
فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم بان منع الطافه والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يلطف بهم لانهم
ليسوا من اهل اللطف فان قلت ما معنى قد في قوله وقد تعلمون قلت معناه التوكيد كانه قال وتعلمون علما
يقينا لا شبهة لكم فيه • قيل انما قال يا بني اسرائيل ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه
والمعنى ارسلت اليكم في حال تصديقي ما تقدمني من التوراة وفي حال تبشيري برسول ياتي من بعدي يعني ان ديني
التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتاخر • وقرئ من بعدي بسكون الياء [illegible] الفتح • وعن كعب ان الحواريين
قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا من امة قال نعم امة احمد حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير
من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل فان قلت بم انتصب مصدقا ومبشرا ابما في الرسول من معنى الارسال
ام باليكم قلت بل بمعنى الارسال لان اليكم صلة للرسول فلا يجوز ان يعمل شيئا لان حروف الجر لا تعمل بانفسها
ولكن بما فيها من معنى الفعل فاذا وقعت صلات لم تتضمن معنى فعل فمن اين تعمل • وقرئ هذا ساحر مبين • واي الناس اشد
ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذي فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته اليه افتراء الكذب
على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر لان السحر كذب وتمويه • وقرا طلحة بن مصرف وهو
يدّعى بمعنى يدعو دعاه وادعاه كلمسه والتمسه • وعنه يدّعي بمعنى يدعو وهو الله عز وجل • يريدون ليطفئوا
اصله يريدون ان يطفئوا كما جاء في سورة براءة وكان هذه اللام زيدت مع فعل الارادة تاكيدا له لما فيها من معنى الارادة في قولك جئتك لاكرامك
كما زيدت اللام في لا ابا لك تاكيدا لمعنى الاضافة في لا اباك • واطفاء نور الله بافواههم تهكم بهم في ارادتهم ابطال الاسلام
بقولهم في القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه والله متم نوره اي متم
الحق ومبلغه غايته • وقرئ بالاضافة هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق الملة الحنيفية ليظهره ليعليه على الدين كله على جميع الاديان
المخالفة له • ولعمري لقد فعل فما بقي دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام • وعن مجاهد
اذا نزل عيسى لم يكن في الارض الا دين الاسلام • وقرئ تنجيكم مخففا ومثقلا وتؤمنون استئناف كانهم قالوا
كيف نعمل فقال تؤمنون وهو خبر في معنى الامر ولهذا اجيب بقوله يغفر لكم ويدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله
وجاهدوا فان قلت لم جيء به على لفظ الخبر قلت للايذان بوجوب الامتثال وكانه امتثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد
موجودين ونظيره قول الداعي غفر الله لك ويغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء كانها كانت ووجدت فان قلت
هل لقول الفراء انه جواب هل ادلكم وجه قلت وجهه ان متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالايمان والجهاد
فكانه قيل هل تتجرون بالايمان والجهاد يغفر لكم فان قلت فما وجه قراءة زيد بن علي تؤمنوا وتجاهدوا قلت وجهها ان تكون

على إيجاز لام الأمر كقوله: محمد تفد نفسك كل نفس ❊ إذا ما خفت من أمر تبالا. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم قالوا: لو نعلم
أحب الأعمال إلى الله لعملنا، فلما نزلت هذه الآية مكثوا ما شاء الله يقولون: ليتنا نعلم ما هي، فدلهم الله عليها بقوله تؤمنون
بالله. وهذا دليل على أن تؤمنون كلام مستأنف، وعلى أن الأمر الوارد على النفوس بعد تشوف وتطلع منها إليه
أوقع فيها وأقرب من قبولها له مما فوجئت به. ذلكم يعني ما ذكر من الإيمان والجهاد خير لكم من أموالكم وأنفسكم.
فإن قلت: ما معنى قوله إن كنتم تعلمون؟ قلت: معناه إن كنتم تعلمون أنه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ، لأنكم
إذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الإيمان والجهاد فوق ما تحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلحون. وأخرى
تحبونها ولكم إلى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الآجلة نعمة أخرى عاجلة محبوبة إليكم، ثم فسرها بقوله
نصر من الله وفتح قريب أي عاجل وهو فتح مكة. وقال الحسن: فتح فارس والروم. وفي تحبونها شيء من التوبيخ
على محبة العاجل. فإن قلت: علام عطف قوله وبشر المؤمنين؟ قلت: على تؤمنون لأنه في معنى الأمر كأنه
قيل: آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم، وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك. فإن قلت: لم نصب من قرأ نصرا
من الله وفتحا قريبا؟ قلت: يجوز أن ينتصب على الاختصاص، أو على تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا، أو على يغفر لكم
ويدخلكم جنات ويؤتكم أخرى نصرا من الله وفتحا. كونوا أنصار الله وأنصارا لله. وقرأ ابن مسعود: كونوا
أنتم أنصار الله، وفيها زيادة حث على النصرة عليهم. فإن قلت: ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم
أنصارا بقول عيسى صلوات الله عليه: من أنصاري إلى الله؟ قلت: التشبيه محمول على المعنى، وعليه يصح، والمراد
كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم: من أنصاري إلى الله. فإن قلت: ما معنى قوله
من أنصاري إلى الله؟ قلت: يجب أن يكون معناه مطابقا لجواب الحواريين نحن أنصار الله، والذي يطابقه أن
يكون المعنى: من جندي متوجها إلى نصرة الله، وإضافة أنصاري خلاف إضافة أنصار الله، فإن معنى نحن أنصار الله
نحن الذين ينصرون الله، ومعنى من أنصاري: من الأنصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله، ولا يصح أن يكون معناه
من ينصرني مع الله لأنه لا يطابق الجواب. والدليل عليه قراءة من قرأ من أنصار الله. والحواريون أصفياؤه، وهم
أول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلا. وحواري الرجل صفيه وخلصانه، من الحور وهو البياض الخالص، والحوارى
الدرمك. ومنه قوله عليه السلام: الزبير ابن عمتي وحواريي من أمتي. وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب
يبيضونها. ونظير الحواري في زنته الحوالي الكثير الحيلة. فآمنت طائفة منهم بعيسى وكفرت طائفة فأيدنا
مؤمنيهم على كفارهم فظهروا عليهم. وعن زيد بن علي رضي الله عنهما: كان ظهورهم بالحجة. عن رسول الله ص من قرأ سورة
الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا، وهو يوم القيامة رفيقه.

سورة الجمعة مدنية وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قرئت صفات الله عز وعلا بالرفع على المدح كأنه قيل هو الملك القدوس،
ولو قرئت منصوبة لكان وجها، كقول العرب: الحمد لله أهل الحمد. الأمي منسوب إلى أمة العرب لأنهم كانوا
لا يكتبون ولا يقرؤون من بين الأمم. وقيل بدئت الكتابة بالطائف أخذوها من أهل الحيرة، وأهل الحيرة أخذوها
من أهل الأنبار. ومعنى بعث في الأميين رسولا منهم: بعث رجلا أميا في قوم أميين، كما جاء في حديث شعيا:
أني أبعث أعمى في عميان وأميا في أميين. وقيل منهم كقوله من أنفسكم، يعلمون نسبه وأحواله.
وقرئ في الأمين بحذف ياء النسب. يتلو عليهم آياته يقرؤها عليهم مع كونه أميا مثلهم لم تعهد منه قراءة ولم يعرف
بتعلم. وقراءة أمي بغير تعلم آية بينة. ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية. ويعلمهم الكتاب والحكمة
القرآن والسنة. وإن في وإن كانوا هي المخففة من الثقيلة، واللام دليل عليها، أي كانوا في ضلال لا ترى ضلالا أعظم منه.
وآخرين مجرور عطف على الأميين، يعني أنه بعثه في الأميين الذين على عهده وفي آخرين من الأميين لم يلحقوا بهم بعد
وسيلحقون بهم، وهم الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم. وقيل لما نزلت قيل من هم يا رسول الله، فوضع يده على سلمان
ثم قال: لو كان الإيمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء. وقيل هم الذين يأتون من بعدهم إلى يوم القيامة. ويجوز أن
ينتصب عطفا على المنصوب في ويعلمهم، أي يعلمهم ويعلم آخرين، لأن التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان كان
كله مستندا إلى أوله، فكأنه هو الذي تولى كل ما وجد منه. وهو العزيز الحكيم في تمكينه رجلا أميا من ذلك الأمر
العظيم وتأييده عليه واختياره إياه من بين كافة البشر. ذلك الفضل الذي أعطاه محمدا وهو أن يكون
نبي أبناء عصره ونبي أبناء العصور الغوابر هو فضل الله يؤتيه من يشاء إعطاءه وتقتضيه حكمته. شبه
اليهود في أنهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم إنهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها، وذلك أن فيها
نعت رسول الله ص والبشارة به ولم يؤمنوا به، بالحمار حمل أسفارا أي كتبا كبارا من كتب العلم، فهو يمشي بها
ولا يدري منها إلا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب، وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله، وبئس المثل.
بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد ص. ومعنى حملوا التوراة كلفوا
علمها والعمل بها ثم لم يحملوها ثم لم يعملوا بها فكأنهم لم يحملوها. وقرئ حملوا التوراة أي حملوها ثم لم يحملوها على الحقيقة
لفقد العمل. وقرئ يحمل الأسفار. فإن قلت: يحمل ما محله؟ قلت: النصب على الحال، أو الجر على الوصف لأن الحمار كاللئيم في قوله:
ولقد أمر على اللئيم يسبني. هادوا تهودوا. إذ هودوا. أولياء لله كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه، أي إن كان
قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله أن يميتكم وينقلكم سريعا إلى دار كرامته التي أعدها لأوليائه. ثم قال
ولا يتمنونه أبدا بسبب ما قدموا من الكفر، وقد قال لهم رسول الله ص: والذي نفسي بيده لا يقولها أحد منكم إلا غص
بريقه. فلولا أنهم كانوا موقنين بصدق رسول الله ص لتمنوا، ولكنهم علموا أنهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد.

فما تمالك أحد أن يتمنى، وهي إحدى المعجزات. وقرئ فتمنوا الموت بكسر الواو تشبيها بلو استطعنا. ولا فرق بين لا ولن
في أن كل واحدة منهما نفي للمستقبل، إلا أن في لن تأكيدا وتشديدا ليس في لا، فأتى مرة بلفظ التأكيد
ولن يتمنوه، ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه. ثم قيل لهم: إن الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون أن
تتمنوه خيفة أن تؤخذوا بوبال كفركم لا تفوتونه وهو ملاقيكم لا محالة. ثم تردون إلى الله فيجازيكم
بما أنتم أهله من العقاب. وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما: إنه ملاقيكم، وفي قراءة ابن مسعود: تفرون منه ملاقيكم، وهي
ظاهرة. وأما التي بالفاء فلتضمن الذي معنى الشرط. وقد جعل إن الموت الذي تفرون منه كلاما برأسه
في قراءة زيد، أي إن الموت هو الشيء الذي تفرون منه، ثم استؤنف: إنه ملاقيكم. يوم الجمعة يوم الفوج
المجموع، كقولهم ضحكة للمضحوك منه. ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت الجامع، كقولهم ضحكة
ولعنة. ويوم الجمعة تثقيل للجمعة كما قيل عسرة في عسرة. وقرئ بهن جميعا. فإن قلت: من في قوله من يوم الجمعة ما هي؟
قلت: هي بيان لإذا وتفسير له. والنداء الأذان، وقالوا: المراد به الأذان عند قعود الإمام على المنبر، وقد كان لرسول الله
مؤذن واحد، فكان إذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد، فإذا نزل أقام الصلاة، ثم كان أبو بكر وعمر على ذلك، حتى إذا كان
عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنا آخر، فأمر بالتأذين الأول على داره التي تسمى زوراء، فإذا
جلس على المنبر أذن المؤذن الثاني، فإذا نزل أقام الصلاة، فلم يعب ذلك عليه. وقيل أول من سماها جمعة كعب بن لؤي،
وكان يقال لها العروبة. وقيل إن الأنصار قالوا: لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى مثل ذلك، فهلموا
نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله تعالى فيه ونصلي، فقالوا: يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى، فاجعلوه يوم
العروبة، فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم، فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه، فأنزل الله
آية الجمعة، فهي أول جمعة كانت في الإسلام. وأما أول جمعة جمعها رسول الله ص فهي أنه لما قدم المدينة مهاجرا
نزل قباء على بني عمرو بن عوف، وأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وأسس مسجدهم، ثم خرج يوم
الجمعة عامدا المدينة، فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم، فخطب وصلى الجمعة. وعن
بعضهم: قد أبطل الله قول اليهود في ثلاث: افتخروا بأنهم أولياء الله وأحباؤه فكذبهم في قوله فتمنوا الموت
إن كنتم صادقين، وبأنهم أهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل أسفارا، وبالسبت وأنه
ليس للمسلمين مثله، فشرع الله لهم الجمعة. وعن النبي ص: خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم،
وفيه أدخل الجنة، وفيه أهبط إلى الأرض، وفيه تقوم الساعة، وهو عند الله يوم المزيد. وعنه عليه السلام:
أتاني جبريل وفي كفه مرآة بيضاء وقال: هذه يوم الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولأمتك من بعدك،
وهو سيد الأيام عندنا، ونحن ندعوه إلى الآخرة يوم المزيد. وعنه ص: إن لله في كل جمعة ستمائة ألف
عتيق من النار. وعن كعب: إن الله فضل من البلدان مكة، ومن الشهور رمضان، ومن الأيام الجمعة. وقال عليه السلام:
من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد، ووقي فتنة القبر. وفي الحديث: إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة
على أبواب المساجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأول فالأول على مراتبهم. وكانت الطرقات
في أيام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة بالمبكرين إلى الجمعة يمشون بالسرج. وقيل أول بدعة أحدثت
في الإسلام ترك البكور إلى الجمعة. وعن ابن مسعود أنه بكر فرأى ثلاثة نفر سبقوه فاغتم وأخذ يعاتب نفسه
يقول: أراك رابع أربعة، وما رابع أربعة بسعيد. ولا تقام الجمعة عند أبي حنيفة رحمه الله إلا في مصر جامع لقوله عليه السلام:
لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا أضحى إلا في مصر جامع. والمصر الجامع ما أقيمت فيه الحدود ونفذت
فيه الأحكام. ومن شروطها الإمام أو من يقوم مقامه لقوله عليه السلام: فمن تركها وله إمام عادل أو جائر الحديث،
ولقوله: أربع إلى الولاة: الفيء والصدقات والحدود والجمعات. فإن أم رجل بغير إذن الإمام أو
من ولاه من قاض أو صاحب شرطة لم تجز، فإن لم يمكن الاستئذان فاجتمعوا على واحد فصلى بهم جاز.
وهي تنعقد بثلاثة سوى الإمام، وعند الشافعي بأربعين. ولا جمعة على المسافرين والعبيد والنساء والمرضى
والزمنى، ولا على الأعمى عند أبي حنيفة، ولا على الشيخ الذي لا يمشي إلا بقائد. وقرأ عمر وابن عباس وابن مسعود
وغيرهم: فامضوا. وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقرأ فاسعوا فقال: من أقرأك هذا؟ قال: أبي بن كعب، فقال: لا يزال
يقرأ بالمنسوخ، لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي. وقيل المراد بالسعي القصد دون العدو، والسعي
التصرف في كل عمل، ومنه قوله تعالى: فلما بلغ معه السعي، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى. وعن الحسن: ليس السعي على الأقدام ولكنه
على النيات والقلوب. وذكر محمد بن الحسن رحمه الله في موطئه أن ابن عمر سمع الإقامة وهو بالبقيع فأسرع
المشي. قال محمد: وهذا لا بأس به ما لم يجهد نفسه. إلى ذكر الله إلى الخطبة والصلاة. ولتسمية الله الخطبة ذكرا له
قال أبو حنيفة رحمه الله: إن اقتصر الخطيب على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز. وعن عثمان أنه صعد
المنبر فقال: الحمد لله، وأرتج عليه، فقال: إن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا، وإنكم إلى إمام فعال
أحوج منكم إلى إمام قوال، وستأتيكم الخطب، ثم نزل، وكان ذلك بحضرة الصحابة رضي الله عنهم فلم ينكر عليه أحد.
وعند صاحبيه والشافعي لا بد من كلام يسمى خطبة. فإن قلت: كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله؟
قلت: ما كان من ذكر رسول الله ص والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة
والتذكير فهو في حكم ذكر الله. فأما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة وألقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم

وهم أحقاء بعكس ذلك لمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل • وإذا قال المنصت للخطبة صه فقد لغا • أفلا يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغيا • نعوذ بالله من غربة الإسلام ونكد الأيام • **أراد الأمر** بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا • وإنما خص البيع من بينها لأن يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبواديهم وينصبون إلى المصر من كل أوب • ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الأسواق بهم إذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ويتكاثر البيع والشرى فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي إلى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا إلى ذكر الله الذي لا شيء أنفع منه وأربح • **وذروا البيع** الذي نفعه يسير وربحه متقارب **فإن قلت** فإذا كان البيع في هذا الوقت مأمورا بتركه محرما فهل هو فاسد **قلت** عامة العلماء على أن ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا ولأن البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلاة في الأرض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب • وعن بعض الناس أنه فاسد • **ثم أطلق** لهم ما حظر عليهم بعد قضاء الصلاة من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية بإكثار الذكر وأن لا يلهيهم شيء من تجارة ولا غيرها عنه وأن تكون هممهم في جميع أحوالهم وأوقاتهم موكلة به لا ينفضون عنه لأن فلاحهم منوط به • وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا إنما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة أخ في الله • وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم • وقيل صلاة التطوع • وعن بعض السلف أنه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشيء من أمور الدنيا نظرا في هذه الآية • **روي** أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا إليه خشوا أن يسبقوا إليه فما بقي معه إلا يسير قيل ثمانية وأحد عشر واثنا عشر وأربعون فقال عليه السلام والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لأضرم الله عليهم الوادي نارا • وكانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد **باللهو** • وعن قتادة فعلوا ذلك ثلاث مرات في كل مقدم عير **فإن قلت** فإن اتفق تفرق الناس عن الإمام في صلاة الجمعة كيف يصنع **قلت** إن بقي وحده أو مع أقل من ثلاثة فعند أبي حنيفة يستأنف الظهر إذا نفروا عنه قبل الركوع • وعند صاحبيه إذا كبر وهم معه مضى فيها • وعند زفر إذا نفروا قبل التشهد بطلت **فإن قلت** كيف قال **إليها** وقد ذكر شيئين **قلت** تقديره إذا رأوا تجارة انفضوا إليها أو لهوا انفضوا إليه فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه • وكذلك قراءة من قرأ انفضوا إليه • وقراءة من قرأ لهوا أو تجارة انفضوا إليها • وقرئ إليهما • **عن** رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة وبعدد من لم يأتها في أمصار المسلمين •

سورة المنافقين مدنية وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم **أرادوا** بقولهم **نشهد إنك لرسول الله** شهادة واطأت فيها قلوبهم ألسنتهم فقال الله تعالى قالوا ذلك **والله يعلم** أن الأمر كما يدل عليه قولهم **إنك لرسوله والله يشهد إنهم لكاذبون** في قولهم نشهد • وادعائهم فيه المواطأة أو إنهم لكاذبون فيه لأنه إذا خلا عن المواطأة لم تكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسميته شهادة • أو أراد والله يشهد إنهم لكاذبون عند أنفسهم لأنهم كانوا يعتقدون أن قولهم إنك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه **فإن قلت** أي فائدة في قوله والله يعلم إنك لرسوله **قلت** لو قال قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يشهد إنهم لكاذبون لكان يوهم أن قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم إنك لرسوله ليميط هذا الإيهام **اتخذوا أيمانهم جنة** يجوز أن يراد أن قولهم نشهد إنك لرسول الله يمين من أيمانهم الكاذبة لأن الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل أشهد وأشهد بالله وأعزم وأعزم بالله في موضع أقسم وأولي وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن أشهد يمين • ويجوز أن يكون وصفا للمنافقين في استجنانهم بالأيمان • وفي قراءة الحسن إيمانهم أي ما أظهروه من الإيمان • ويعضده قوله ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا **ساء ما كانوا يعملون** من نفاقهم وصدهم الناس **عن سبيل الله** • وفي ساء معنى التعجب الذي هو تعظيم أمرهم عند السامعين **ذلك** إشارة إلى قوله ساء ما كانوا يعملون أي ذلك القول الشاهد عليهم بأنهم أسوأ الناس أعمالا بسبب أنهم آمنوا ثم كفروا أو إلى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالأيمان أي ذلك كله بسبب **أنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم** فجسروا على كل عظيمة **فإن قلت** المنافقون لم يكونوا إلا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله آمنوا ثم كفروا **قلت** فيه ثلاثة أوجه **أحدها** آمنوا أي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الإسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما اطلع عليه من قولهم إن كان ما يقوله محمد حقا فنحن حمير • وقولهم في غزوة تبوك أيطمع هذا الرجل أن تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات • ونحوه قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم أي وظهر كفرهم بعد أن أسلموا • ونحوه لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم **والثاني** أي نطقوا بالإيمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالإسلام كقوله وإذا لقوا الذين آمنوا إلى قوله إنما نحن مستهزئون • **والثالث** أن يراد أهل الردة منهم • وقرئ فطبع على قلوبهم • وقرأ زيد بن علي فطبع الله • **كان** عبد الله بن أبي رجلا جسيما صبيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين في مثل صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس

مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن فكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون إلى كلامهم **فإن قلت** ما معنى قوله **كأنهم خشب مسندة** **قلت** شبهوا في استنادهم وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير بالخشب المسندة إلى الحائط • ولأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا فارغا غير منتفع به أسند إلى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع • ويجوز أن يراد بالخشب المسندة الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم • والخطاب في **رأيتهم تعجبك** لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يخاطب • وقرئ يسمع على البناء للمفعول وموضع كأنهم خشب رفع على هم كأنهم خشب • أو هو كلام مستأنف لا محل له • وقرئ خشب جمع خشبة كبدنة وبدن • وخشب كثمرة وثمر • وخشب كمدرة ومدر • وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما • وعن اليزيدي أنه قال في خشب جمع خشباء • والخشباء الخشبة التي دعر جوفها شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم **عليهم** ثاني مفعولي يحسبون كل صيحة • واقعة عليهم وضارة لهم لجبنهم وهلعهم وما في قلوبهم من الرعب إذا نادى مناد في العسكر أو انفلتت دابة • أو أنشدت ضالة • ظنوه إيقاعا بهم • وقيل كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم • ومنه أخذ الأخطل

ما زلت تحسب كل شيء بعدهم
خيلا تكر عليهم ورجالا

يوقف على عليهم • ويبتدئ **هم العدو** أي الكاملون في العداوة • لأن أعدى الأعداء العدو المداجي • الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي • **فاحذرهم** ولا تغترر بظاهرهم • ويجوز أن يكون هم العدو المفعول الثاني كما لو طرحت الضمير • فإن قلت فحقه أن يقال هي العدو • **قلت** منظور فيه إلى الخبر كما ذكر في هذا ربي • وأن يقدر مضاف محذوف على يحسبون كل أهل صيحة **قاتلهم الله** دعاء عليهم وطلب من ذاته أن يلعنهم ويخزيهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك **أنى يؤفكون** كيف يعدلون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم **لووا رءوسهم** عطفوها وأمالوها إعراضا عن ذلك واستكبارا • وقرئ بالتخفيف والتشديد للتكثير **روي** أن النبي صلى الله عليه وسلم حين لقي بني المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر يقود فرسه وسنان الجهني حليف لعبد الله بن أبي واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين • وسنان يا للأنصار • فأعان جهجاها جعال من فقراء المسلمين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وأنت هناك • وقال ما صحبنا محمدا إلا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال سمن كلبك يأكلك • أما والله **لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل** عنى بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم • ثم قال لقومه ماذا فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم • ولأوشكوا أن يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد • فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عز من الرحمن وقوة من المسلمين • فقال عبد الله اسكت فإنما كنت ألعب • فأخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه دعني أضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله • فقال إذن ترعد أنف كثيرة بيثرب • قال فإن كرهت أن يقتله مهاجري فأمر به أنصاريا • قال فكيف إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه • وقال عليه السلام لعبد الله أنت صاحب الكلام الذي بلغني • قال والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وإن زيدا لكاذب فهو قوله اتخذوا أيمانهم جنة • فقال الحاضرون يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى أن يكون قد وهم • وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله أخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا • فلما نزلت لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا من خلفه فعرك أذنه وقال وفت أذنك يا غلام إن الله قد صدقك وكذب المنافقين • ولما أراد عبد الله أن يدخل المدينة اعترض له ابنه حباب وهو عبد الله بن عبد الله • غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه • وقال إن حبابا اسم شيطان • وكان مخلصا • وقال وراءك والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله الأعز وأنا الأذل فلم يزل حبيسا في يده حتى أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخليته • وروي أنه قال له لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لأضربن عنقك فقال ويحك أفاعل أنت قال نعم فلما رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا • فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك آي شداد فاذهب إلى رسول الله يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال أمرتموني أن أومن فآمنت وأمرتموني أن أزكي مالي فقد زكيت فما بقي إلا أن أسجد لمحمد فنزلت وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله • ولم يلبث إلا أياما قلائل حتى اشتكى ومات • **سواء عليهم** الاستغفار وعدمه لأنهم لا يلتفتون إليه ولا يعتدون به لكفرهم أو لأن الله لا يغفر لهم • وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام لأن أم المعادلة تدل عليه • وقرأ أبو جعفر آستغفرت إشباعا لهمزة الاستفهام للإظهار والبيان لا قلبا لهمزة الوصل ألفا كما في آلسحر وآلله • **ينفضوا** يتفرقوا وقرئ ينفضوا من أنفض القوم إذا فنيت أزوادهم وحقيقته حان لهم أن ينفضوا مزاودهم **ولله خزائن السموات والأرض** وبيده الأرزاق والقسم فهو رازقهم منها • وإن أبى أهل المدينة أن ينفقوا عليهم

ولكن عبد الله واضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان. وقرئ ليخرجن الاعز
منها الاذل بفتح اليا وليخرجن على البنا للمفعول. وقرأ الحسن وابن ابي عبلة لنخرجن بالنون ونصب
الاعز والاذل ومعناه خروج الاذل او اخراج الاذل او مثل الاذل ولله العزة الغلبة والقوة ولمن اعزه
الله وايده من رسوله ومن المومنين وهم الاخصا بذلك كما ان المذلة والهوان للشيطان وذويه
من الكافرين والمنافقين. وعن بعض الصالحات وكانت في هيئة رثة ألستُ على الاسلام وهو العز
الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه. وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما ان رجلا قال له ان الناس يزعمون ان
فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الاية لا تلهكم لا تشغلكم اموالكم والتصرف
فيها والسعي في تدبير امرها والتهالك على طلب النما فيها بالتجارة والاغتلال وابتغا النتاج والتلذذ بها
والاستمتاع بمنافعها ولا اولادكم وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم وتسوية ما يصلحهم
من معايشهم في حياتكم وبعد مماتكم وقد عرفتم قدر منفعة الاموال والاولاد وانه اهون شي
وادونه في جنب ما عند الله عن ذكر الله وايثاره عليها ومن يفعل ذلك يريد الشغل بالدنيا عن الدين فاولئك
هم الخاسرون في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني. وقيل ذكر الله الصلوات الخمس. وعن
الحسن جميع الفرائض كانه قال عن طاعة الله. وقيل القرآن. وعن الكلبي الجهاد مع رسول الله صلعم من في مما رزقناكم
للتبعيض والمراد الانفاق الواجب من قبل ان ياتي احدكم الموت من قبل ان يرى دلائل الموت ويعاين
ما ييأس معه من الامهال ويضيق به الخناق ويتعذر عليه الانفاق ويفوت وقت القبول فيتحسر
على المنع ويعض انامله على فقد ما كان متمكنا منه. وعن ابن عباس تصدقوا قبل ان ينزل عليكم سلطان
الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل. وعنه ما يمنع احدكم اذا كان له مال ان يزكي واذا اطاق الحج
ان يحج من قبل ان ياتيه الموت فيسال ربه الكرة فلا يعطاها. وعنه انها نزلت في مانعي الزكاة
ووالله لو رأى خيرا لما سال الرجعة فقيل له اما تتقي الله يسال المومنون الكرة قال نعم انا
اقرا عليكم قرآنا يعني انها نزلت في المومنين وهم المخاطبون بها. وكذا عن الحسن ما من احد لم يزك
ولم يصم ولم يحج الا سال الرجعة. وعن عكرمة نزلت في اهل القبلة لولا اخرتني وقرئ اخرتن يريد
هلا اخرت موتي الى اجل قريب الى زمان قليل فاصدق وقرئ فاتصدق على الاصل واكن وقرئ واكن
عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن. ومن قرأ واكون بالنصب فعلى اللفظ
وقرأ عبيد بن عمير واكون على وانا اكون عدة منه بالصلاح ولن يوخر الله نفي للتاخير على وجه
التاكيد الذي معناه منافاة المنفي الحكمة. والمعنى انكم اذا علمتم ان تأخير الموت عن وقته مما
لا سبيل اليه وانه هاجم لا محالة وان الله عالم باعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق
الا الخروج من عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله. وقرئ يعملون بالتاء والياء. عن رسول الله صلعم
من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق ○ سورة التغابن مختلف فيها وهي ثماني عشرة اية ○

بسم الله الرحمن الرحيم ○ قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد
بالله عز وجل وذلك لان الملك على الحقيقة له لانه مبدئ كل شي ومبدعه والقائم به والمهيمن
عليه. وكذلك الحمد لان اصول النعم وفروعها منه. واما ملك غيره فتسليط منه
واسترعا. وحمده اعتداد بان نعمة الله جرت على يده. هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن
يعني فمنكم آت بالكفر وفاعل له. ومنكم آت بالايمان وفاعل له. كقوله وجعلنا في ذريتهما
النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون. والدليل عليه قوله تعالى والله بما تعملون بصير
اي عالم بكفركم وايمانكم اللذين هما من عملكم. والمعنى هو الذي تفضل عليكم باصل النعم الذي
هو الخلق والايجاد عن العدم. وكان يجب ان تنظروا النظر الصحيح وتكونوا باجمعكم عبادا
شاكرين فما فعلتم مع تمكنكم بل تشعبتم شعبا. وتفرقتم امما. فمنكم كافر ومنكم مومن
وقدم الكفر لانه الاغلب عليهم والاكثر فيهم. وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم
مومن به. فان قلت نعم ان العباد هم الفاعلون للكفر ولكن قد سبق في علم الحكيم
انه اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر ولم يختاروا غيره. فما دعاه الى خلقهم مع علمه بما يكون
منهم. وهل خلق القبيح وخلق فاعل القبيح الا واحد. وهل مثله الا مثل من وهب سيفا
باترا لمن شهر بقطع السبيل وقتل النفس المحرمة. فقتل به مومنا. اما يطبق العقلا
على ذم الواهب وتعنيفه والدق في فروته كما يذمون القاتل بل انحاؤهم باللوائم على الواهب
اشد. قلت قد علمنا ان الله تعالى حكيم عالم بقبح القبيح عالم بغناه عنه. فقد علمنا
ان افعاله كلها حسنة. وخلق فاعل القبيح فعله فوجب ان يكون حسنا. وان يكون له وجه
حسن. وخفا وجه الحسن علينا لا يقدح في حسنه كما لا يقدح في حسن اكثر مخلوقاته جهلنا بداعي
الحكمة الى خلقها ○ بالحق بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وهو ان جعلها مقار المكلفين

ليعملوا

ليعملوا فيجازيهم وصوركم فاحسن صوركم وقرئ صوركم بالكسر لتشكروا واليه المصير فعم الكل بالشكر
والعمل فان قلت كيف احسن صورهم قلت جعلهم احسن الحيوان كله وابهاه بدليل ان الانسان
لا يتمنى ان تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور. ومن حسن صورته انه خلق منتصبا
غير منكب كما قال عز وعلا في احسن تقويم. فان قلت فكم من دميم مشوه الصورة سمج الخلقة تقتحمه العيون
قلت لا سماجة ثم ولكن الحسن كغيره من المعاني على طبقات ومراتب فلانحطاط بعض
الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطا بينا. واضافتها الى الموفى عليها لا تستملح والا فهي داخلة
في حيز الحسن غير خارجة عن حده. الا ترى انك قد تعجب بصورة وتستملحها ولا ترى الدنيا بها ثم
ترى احسن واملح منها فينبو عن الاولى طرفك. وتستثقل النظر اليها بعد افتتانك بها
وتقلبك عليها. وقالت الحكما شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان نبه بعلمه ما في السموات
والارض ثم بعلمه ما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه بذات الصدور ان شيئا من الكليات
والجزئيات غير خاف عليه ولا عازب عنه فحقه ان يتقى ويحذر ولا يجترأ على شي مما يخالف
رضاه. وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد. وكل ما ذكره بعد قوله فمنكم كافر ومنكم مومن في معنى
الوعيد على الكفر وانكار ان يعصى الخالق ولا تشكر نعمته. [illegible]
[illegible] الم ياتكم الخطاب
لكفار مكة. وذلك اشارة الى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا وما اعد لهم من العذاب في الآخرة
بانه بان الشان والحديث كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا ان تكون الرسل بشرا ولم
ينكروا ان يكون الله حجرا واستغنى الله اطلق ليتناول كل شي ومن جملته ايمانهم وطاعتهم والمعنى
وظهر استغنا الله حيث لم يلجئهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك. الزعم ادعا
العلم ومنه قوله عليه السلام زعموا مطية الكذب. وعن شريح لكل شي كنية وكنية الكذب زعموا ويتعدى
الى مفعولين تعدي العلم [illegible] وذلك على الله يسير [illegible]
[illegible] والنور [illegible]
الظرف [illegible] قلت بقوله لتنبؤن او بخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله معاقبكم يوم يجمعكم
او باضمار اذكر ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون التغابن مستعار من تغابن القوم في
التجارة وهو ان يغبن بعضهم بعضا لنزول السعدا منازل الاشقيا التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعدا
ونزول الاشقيا منازل السعدا التي كانوا ينزلونها لو كانوا اشقيا وفيه تهكم بالاشقيا لان نزولهم
ليس بغبن. وفي حديث رسول الله صلعم ما من عبد يدخل الجنة الا اري مقعده من النار لو اسا
ليزداد شكرا. وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة ومعنى ذلك
يوم التغابن في امور الدين وان جلت وعظمت صالحا صفة للمصدر اي عملا صالحا الا باذن الله
الا بتقديره ومشيئته كانه اذن للمصيبة ان تصيبه يهد قلبه يلطف به ويشرحه للازدياد من
الطاعات والخير. وقيل هو الاسترجاع عند المصيبة. وعن الضحاك يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه
لم يكن ليخطئه. وما اخطاه لم يكن ليصيبه. وعن مجاهد ان ابتلي صبر. وان اعطي شكر وان
ظلم غفر. وقرئ يهد قلبه على البنا للمفعول والقلب مرفوع او منصوب ووجه النصب ان يكون مثل
سفه نفسه اي يهد في قلبه. ويجوز ان يكون المعنى ان الكافر ضال عن قلبه بعيد منه. والمومن
واجد له مهتد اليه. كقوله لمن كان له قلب. وقرئ نهد قلبه بالنون. ويهدأ قلبه بمعنى يهتدي ويهدأ
قلبه يطمئن. ويهد ويهدا على التخفيف والله بكل شي عليم يعلم ما يؤثر فيه اللطف من القلوب مما
لا يؤثر فيه فيمنحه ويمنعه فان توليتم فلا عليه اذا توليتم لانه لم يكتب عليه طاعتكم انما كتب
عليه ان يبلغ ويبين فحسب وعلى الله فليتوكل المومنون بعث لرسول الله صلعم على التوكل عليه والتقوي به
في امره حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ازواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم
ويجلبن عليهم ومن الاولاد اولادا يعادون اباهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والاذى فاحذروهم
الضمير للعدو او للازواج والاولاد جميعا اي لما علمتم ان هولا لا يخلون من عدو فكونوا منهم على
حذر ولا تامنوا غوائلهم وشرهم وان تعفوا عنهم اذا اطلعتم على عداوة ولم تقابلوهم
بمثلها فان الله يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم سيئاتكم. وقيل ان ناسا ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم
ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك
ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزين
لهم العفو. وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا
عليهم وقالوا لان جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير

فحذروا أن يعفوا عنهم ويتركوا البر والصلة وقيل كان عوف بن مالك الأشجعي
ذا أهل وولد فإذا أراد أن يغزو تعلقوا به وبكوا إليه ورققوه فكأنه همّ بأذاهم فنزلت
فتنة بلاء ومحنة لأنهم يوقعون في الإثم والعقوبة ولا بلاء أعظم منهما ألا ترى إلى قوله
والله عنده أجر عظيم وفي الحديث يؤتى برجل يوم القيامة فيقال أكل عياله حسناته وعن
بعض السلف العيال سوس الطاعات وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يخطب فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما
وعليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان فنزل إليهما فأخذهما ووضعهما في حجره على المنبر
فقال صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة رأيت هذين الصبيين فلم أصبر عنهما ثم أخذ
في خطبته وقيل إذا أمكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل إلى الأموال والأولاد عنهما
ما استطعتم جهدكم ووسعكم أي ابذلوا فيها استطاعتكم واسمعوا ما توعظون به وأطيعوا
فيما تؤمرون به وتنهون عنه وأنفقوا في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها خيرا لأنفسكم
نصب بمحذوف تقديره ائتوا خيرا لأنفسكم وافعلوا ما هو خير لها وأنفع وهذا تأكيد للحث
على امتثال هذه الأوامر وبيان لأن هذه الأمور خير لأنفسكم من الأموال والأولاد
وما أنتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا وذكر القرض تلطف في الاستدعاء
يضاعفه لكم يكتب لكم بالواحدة عشرا وسبعمائة إلى ما شاء من الزيادة وقرئ يضعفه
شكور مجازٍ أي يفعل بكم ما يفعل المبالغ في الشكر من عظيم الثواب وكذلك حليم يفعل بكم
ما يفعل من يحلم عن المسيء فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم ۞ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة ۞ **سورة الطلاق إحدى عشرة أو اثنتا عشرة أو**
ثلاث عشرة وهي مكية أو مدنية ۞ بسم الله الرحمن الرحيم ۞ خص النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب
لأن النبي إمام أمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت إظهارا
لتقدمه واعتبارا لترؤسه وأنه مدره قومه ولسانهم والذي يصدرون عن رأيه ولا
يستبدون بأمر دونه فكان هو وحده في حكم كلهم وسادّا مسدّ جميعهم ومعنى إذا طلقتم النساء
إذا أردتم تطليقهن وهممتم به على تنزيل المقبل على الأمر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عليه السلام من قتل
قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشي إلى الصلاة والمنتظر لها في حكم المصلي فطلقوهن لعدتهن فطلقوهن مستقبلات
لعدتهن كقولك أتيته لليلة بقيت من المحرم أي مستقبلا لها وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبل عدتهن
وإذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم للقرء الأول من أقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد أن
يطلقن في طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا أحسن الطلاق وأدخله في السنة وأبعده
من الندم ويدل عليه ما روي عن إبراهيم النخعي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون أن لا يطلقوا
أزواجهم للسنة إلا واحدة ثم لا يطلقوا غير ذلك حتى تنقضي العدة وكان أحسن عندهم من أن يطلق
الرجل ثلاثا في ثلاثة أطهار وقال مالك بن أنس لا أعرف طلاق السنة إلا واحدة وكان يكره الثلاث
مجموعة كانت أو متفرقة وأما أبو حنيفة وأصحابه فإنما كرهوا ما زاد على الواحدة في طهر واحد فأما
مفرقا في الأطهار فلا لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لابن عمر حين طلق امرأته وهي حائض ما هكذا
أمرك الله إنما السنة أن تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة وروي أنه قال لعمر
مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها إن شاء فتلك العدة التي أمر الله
أن تطلق النساء لها وعند الشافعي لا بأس بإرسال الثلاث وقال لا أعرف في عدد الطلاق سنة ولا
بدعة وهو مباح فمالك يراعي في طلاق السنة الواحدة والوقت وأبو حنيفة يراعي التفريق والوقت والشافعي
يراعي الوقت وحده فإن قلت هل يقع الطلاق المخالف للسنة قلت نعم وهو آثم لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
أن رجلا طلق امرأته ثلاثا بين يديه فقال أتلعبون بكتاب الله وأنا بين أظهركم وفي حديث ابن عمر أنه قال
يا رسول الله أرأيت لو طلقتها ثلاثا فقال إذن عصيت وبانت منك امرأتك وعن عمر أنه كان لا يؤتى
برجل طلق امرأته ثلاثا إلا أوجعه ضربا وأجاز ذلك عليه وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين
أن من خالف السنة في حيض أو ثلاث لم يقع وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق السنة فخالف فإن قلت
كيف تطلق للسنة التي لا تحيض لصغر أو كبر أو حمل عليهن الثلاث في الأشهر وخالفهما محمد وزفر في
الحامل فقالا لا تطلق للسنة إلا واحدة وأما غير المدخول بها فلا تطلق للسنة إلا واحدة ولا يراعى الوقت
فإن قلت هل يكره أن تطلق المدخول بها واحدة بائنة قلت اختلفت الرواية فيه عن أصحابنا والظاهر
الكراهة فإن قلت قوله إذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الأقراء
والآيسات والصغار والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الأقراء المدخول بهن قلت لا عموم ثم
ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس للإناث من الإنس وهذه الجنسية معنى قائم في كلهن وفي بعضهن
فجاز أن يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن علم أنه أطلق على بعضهن وهن المدخول
بهن من المعتدات بالحيض وأحصوا العدة واضبطوها بالحفظ وأكملوها ثلاثة أقراء مستقبلات

كوامل

كوامل لا نقصان فيهن ولا تخرجوهن حتى تنقضي عدتهن من بيوتهن من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة
وهي بيوت الأزواج وأضيفت إليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى فإن قلت ما معنى الجمع بين
إخراجهم وخروجهن قلت معنى الإخراج أن لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن أو
لحاجة لهم إلى المساكن وأن لا يأذنوا لهن في الخروج إذا طلبن ذلك إيذانا بأن إذنهم لا أثر له في رفع الحظر
ولا يخرجن بأنفسهن إن أردن ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة قرئ بفتح الياء وكسرها قيل هي الزنا
يعني إلا أن يزنين فيخرجن لإقامة الحد عليهن وقيل إلا أن يطلقن على النشوز والنشوز يسقط
حقهن في السكنى وقيل إلا أن يبذون فيحل إخراجهن لبذائهن وتؤكده قراءة أبي إلا أن يفحشن عليكم وقيل
خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة في نفسه الأمر الذي يحدثه الله أن يقلب قلبه من بغضها إلى محبتها
ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن
وأحصوا العدة لعلكم ترغبون وتندمون فتراجعون فإذا بلغن أجلهن وهو آخر العدة وشارفنه
فأنتم بالخيار إن شئتم فالرجعة والإمساك بالمعروف والإحسان وإن شئتم فترك الرجعة والمفارقة
واتقاء الضرار وهو أن يراجعها في آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها وأشهدوا
يعني عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الإشهاد مندوب إليه عند أبي حنيفة كقوله وأشهدوا إذا تبايعتم
وعند الشافعي هو واجب في الرجعة مندوب إليه في الفرقة وقيل فائدة الإشهاد أن لا يقع بينهما التجاحد
وأن لا يتهم في إمساكها ولئلا يموت أحدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث منكم قال الحسن من
المسلمين وعن قتادة من أحراركم لله لوجهه خالصا وذلك أن يقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا
لغرض من الأغراض سوى إقامة الحق ودفع الظلم كقوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم
ذلكم أي ذلكم الحث على إقامة الشهادة لوجه الله ولأجل القيام بالقسط يوعظ به ومن يتق الله يجوز أن تكون
جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من إجراء أمر الطلاق على السنة وطريقه الأحسن والأبعد من الندم ويكون
المعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فأشهد يجعل الله له
مخرجا مما في شأن الأزواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه وينفس ويعطه الخلاص ويرزقه من وجه
لا يخطر بباله ولا يحتسبه إن أوفى المهر وأدى الحقوق والنفقات وقل ماله وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عمن طلق ثلاثا
أو ألفا هل له من مخرج فتلاها وعن ابن عباس أنه سئل عن ذلك فقال لم تتق الله فلم يجعل لك مخرجا بانت منك
بثلاث والزيادة إثم في عنقك ويجوز أن يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به يعني
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا
ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق
الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروي أن عوف بن مالك الأشجعي أسر المشركون ابنا له فأتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أسر ابني وشكا إليه الفاقة فقال ما أمسى عند آل محمد إلا مد فاتق الله واصبر وأكثر من قول
لا حول ولا قوة إلا بالله ففعل فبينا هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل تغفل عنها العدو
فاستاقها فنزلت هذه الآية بالغ أمره أي يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ
بالغ أمره بالإضافة وبالغ أمره بالرفع أي نافذ أمره وقرأ المفضل بالغا أمره على أن قوله قد
جعل الله خبر إن وبالغا حال قدرا تقديرا وتوقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله
وتفويض الأمر إليه لأنه إذا علم أن كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون إلا بتقديره وتوقيته لم يبق إلا التسليم
للقدر والتوكل وروي أن ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الأقراء فما عدة اللائي لا يحضن فنزلت
معنى إن ارتبتم إن أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن وقيل إن
ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين أهو دم حيض أو استحاضة
فعدتهن ثلاثة أشهر وإذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك واللائي لم يحضن هن الصغائر
والمعنى فعدتهن ثلاثة أشهر فحذف لدلالة المذكور عليه اللفظ مطلق في أولات الأحمال فاشتمل على المطلقات والمتوفى
عنهن وكان ابن مسعود وأبي وأبو هريرة وغيرهم لا يفرقون وعن علي وابن عباس عدة الحامل المتوفى عنها
أبعد الأجلين وعن عبد الله من شاء لاعنته أن سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في البقرة يعني
أن هذا اللفظ مطلق في الحوامل وروت أم سلمة أن سبيعة الأسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال
فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فانكحي يجعل له من أمره يسرا ييسر له من أمره ويحلله من العقد
بسبب التقوى ذلك أمر الله يريد ما علم من حكم هؤلاء المعتدات والمعنى ومن يتق الله في العمل بما أنزل
من هذه الأحكام ويحافظ على الحقوق الواجبة عليه مما ذكر من الإسكان وترك الضرار والنفقة على الحوامل
وإيتاء أجر المرضعات وغير ذلك استوجب تكفير السيئات والأجر العظيم أسكنوهن وما بعده بيان لما
شرط من التقوى في قوله ومن يتق الله كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل أسكنوهن فإن قلت
من في من حيث سكنتم ما هي قلت هي من التبعيضية مبعضها محذوف معناه أسكنوهن مكانا من حيث سكنتم أي بعض
مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من أبصارهم قال قتادة إن لم يكن إلا بيت واحد فأسكنها في بعض جوانبه فإن قلت
فقوله من وجدكم قلت هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كأنه قيل أسكنوهن مكانا من مسكنكم
مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث والسكنى والنفقة واجبتان لكل مطلقة وعند

وعندنا لها أي للمبتوتة والمتوفى عنها النفقة دون السكنى

مالك والشافعي ليس للمبتوتة إلا السكنى ولا نفقة لها وعن الحسن وحماد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس أن زوجها أبت طلاقها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وعن عمر رضي الله عنه لا ندع كتاب ربنا ولا سنة نبينا لقول امرأة لعلها نسيت أو شبه لها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة ولا تضاروهن ولا تستعملوا معهن الضرار لتضيقوا عليهن في المسكن ببعض الأسباب من إنزال من لا يوافقهن أو يشغل مكانهن أو غير ذلك حتى تضطروهن إلى الخروج وقيل هو أن يراجعها إذا بقي من عدتها يومان ليضيق عليها أمرها وقيل هو أن يلجئها إلى أن تفتدي منه فإن قلت فإذا كانت كل مطلقة عندكم تجب لها النفقة فما فائدة الشرط في قوله وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن قلت فائدته أن مدة الحمل ربما طالت فيظن ظان أن النفقة تسقط إذا مضى مقدار عدة الحائل فنفى ذلك الوهم فإن قلت فما تقول في الحامل المتوفى عنها قلت مختلف فيها فأكثرهم على أنه لا نفقة لها لوقوع الإجماع على أن من أجبر الرجل على النفقة عليه من امرأة أو ولد صغير لا يجب أن ينفق عليه من ماله بعد موته فكذلك الحامل وعن علي وعبد الله وجماعة أنهم أوجبوا نفقتها فإن أرضعن لكم يعني هؤلاء المطلقات إن أرضعن لكم ولدا من غيرهن أو منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية فآتوهن أجورهن حكمهن في ذلك حكم الأظآر ولا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه الاستئجار إذا كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز عند الشافعي وأتمروا بينكم بمعروف التآمر كالاشتوار بمعنى التشاور يقال ائتمر القوم وتآمروا إذا أمر بعضهم بعضا والمعنى وليأمر بعضكم بعضا والخطاب للآباء والأمهات بمعروف بجميل وهو المسامحة وأن لا يماكس الأب ولا تعاسر الأم لأنه ولدهما معا وهما شريكان فيه وفي وجوب الإشفاق عليه وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الأم ترضعه وفيه طرف من معاتبة الأم على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد لن تبقى غير مقضية وأنت ملوم وقوله له أي للأب أي سيجد الأب غير معاسرة ترضع له ولده إن عاسرته أمه لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما أمر به من الإنفاق على المطلقات والمرضعات كما قال ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وقرئ لينفق بالنصب أي شرعنا ذلك لينفق وقرأ ابن أبي عبلة قدر سيجعل الله موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح أبواب الرزق عليهم أو لفقراء الأزواج إن أنفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا عتت عن أمر ربها أعرضت عنه على وجه العتو والعناد حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة عذابا نكرا وقرئ نكرا منكرا عظيما والمراد حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجيء به على لفظ الماضي كقوله ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار ونحو ذلك لأن المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة وما هو كائن فكأن قد وقوله أعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قال أعد الله لهم هذا العذاب فليكن لكم ذلك يا أولي الألباب من المؤمنين لطفا في تقوى الله وحذر عقابه ويجوز أن يراد إحصاء السيئات واستقصاؤها عليهم في الدنيا وإثباتها في صحائف الحفظة وما أصيبوا به من العذاب في العاجل وأن يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية وأعد الله لهم جوابا لكأين رسولا هو جبريل صلوات الله عليه أبدل من ذكرا لأنه وصف بتلاوة آيات الله فكان إنزاله في معنى إنزال الذكر فصح إبداله منه أو أريد بالذكر الشرف من قوله وإنه لذكر لك ولقومك فأبدل منه كأنه في نفسه شرف إما لأنه شرف للمنزل عليه وإما لأنه ذو مجد وشرف عند الله كقوله عند ذي العرش مكين أو جعل لكثرة ذكره لله وعبادته كأنه ذكر أو أريد ذا ذكر أي ملكا مذكورا في السماوات وفي الأمم كلها أو دل قوله أنزل الله إليكم ذكرا على أرسل فكأنه قيل أرسل رسولا أو ذكرا أي أرسل رسولا وقرئ رسول على هو رسول أو أنزل له ليخرج الذين آمنوا بعد إنزاله أي ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الإيمان والعمل الصالح لأنهم كانوا وقت إنزاله غير مؤمنين وإنما آمنوا بعد الإنزال والتبليغ أو ليخرج الذين عرف منهم أنهم يؤمنون قرئ يدخله بالياء والنون قد أحسن الله له رزقا فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمن من الثواب الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن وقرئ مثلهن بالنصب عطفا على سبع سماوات وبالرفع على الابتداء ومن الأرض خبره قيل ما في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه الآية وقيل بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والأرضون مثل السماوات يتنزل الأمر بينهن أي يجري أمر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل أرض خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه وقيل ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الأمر وعن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأله هل تحت الأرضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال إما ملائكة أو جن لتعلموا قرئ بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التحريم مدنية وهي اثنتا عشرة آية وتسمى سورة النبي بسم الله الرحمن الرحيم

روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدي أمر أمتي فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية وروي أن عمر قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك فنزل جبريل وقال راجعها فإنها صوامة قوامة وإنها لمن نسائك في الجنة وروي أنه شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له إنا نشم منك ريح المغافير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره التفل فحرم العسل

فمعناه لم تحرم ما أحل الله لك من ملك اليمين أو من العسل تبتغي إما تفسير لتحرم أو حال أو استئناف وكان هذا زلة منه لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله لأن الله عز وعلا إنما أحل ما أحل لحكمة ومصلحة عرفها في إحلاله فإذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة والله غفور قد غفر لك ما زللت فيه رحيم قد رحمك فلم يؤاخذك قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم فيه معنيان أحدهما قد شرع لكم الاستثناء في أيمانكم من قولك حلل فلان في يمينه إذا استثنى فيها ومنه حلا أبيت اللعن بمعنى استثن في يمينك إذا أطلقها وذلك أن تقول إن شاء الله عقيبها حتى لا تحنث والثاني قد شرع لكم تحليلها بالكفارة ومنه قوله عليه السلام لا يموت لرجل ثلاثة أولاد فتمسه النار إلا تحلة القسم وقول ذي الرمة قليلا كتحليل الألى فإن قلت ما حكم تحريم الحلال قلت قد اختلف فيه فأبو حنيفة يراه يمينا في كل شيء ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فإذا حرم طعاما فقد حلف على أكله أو أمة فعلى وطئها أو زوجة فعلى الإيلاء منها إذا لم تكن له نية فإن نوى الظهار فظهار وإن نوى الطلاق فطلاق بائن وكذلك إن نوى ثنتين وإن نوى ثلاثا فكما نوى وإن قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله ولا يدين في القضاء بإبطال الإيلاء وإن قال كل حلال عليه حرام فعلى الطعام والشراب إذا لم ينو وإلا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي يمينا ولكن سببا في الكفارة في النساء وحدهن فإن نوى الطلاق فهو رجعي عنده وعن أبي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد رضي الله عنهم أن الحرام يمين وعن عمر إذا نوى الطلاق فرجعي وعن علي رضي الله عنه ثلاث وعن زيد واحدة بائنة وعن عثمان ظهار وكان مسروق لا يراه شيئا ويقول ما أبالي أحرمتها أم قصعة من ثريد وكذلك عن الشعبي قال ليس بشيء محتجا بقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام وقوله لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم وما لم يحرمه الله فليس لأحد أن يحرمه ولا أن يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أحله الله هو حرام علي وإنما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لا أقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما أحل الله لك أي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني أقدم على ما حلفت عليه وكفر ونحوه قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل أي منعناه منها وظاهر قوله قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم أنه كانت منه يمين فإن قلت هل كفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك قلت عن الحسن أنه لم يكفر لأنه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإنما هو تعليم للمؤمنين وعن مقاتل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق رقبة في تحريم مارية والله مولاكم سيدكم ومتولي أموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم فلا يأمركم ولا ينهاكم إلا بما توجبه الحكمة وقيل مولاكم أولى بكم من أنفسكم فكانت نصيحته أنفع لكم من نصائحكم لأنفسكم بعض أزواجه حفصة والحديث الذي أسر إليها حديث مارية وإمامة الشيخين نبأت به أفشته إلى عائشة وقرئ أنبأت به وأظهره وأطلع النبي صلى الله عليه وسلم عليه على الحديث أي على إفشائه على لسان جبريل وقيل أظهر الله الحديث على النبي من الظهور عرف بعضه أعلم ببعض الحديث تكرما قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام وقرئ عرف بعضه أي جازى عليه من قولك للمسيء لأعرفن لك ذلك وقد عرفت ما صنعت وأولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وهو كثير في القرآن وكان جزاؤه تطليقه إياها وقيل المعرف حديث الإمامة والمعرض عنه حديث مارية وروي أنه قال لها ألم أقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها أباها فإن قلت هلا قيل فلما نبأت به بعضهن وعرفها بعضه قلت ليس الغرض بيان من المذاع إليه ومن المعرف وإنما هو ذكر جناية حفصة في وجود الإنباء به وإفشائه من قبلها وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرمه وحلمه لم يوجد منه إلا الإعلام ببعضه وهو حديث الإمامة ألا ترى أنه لما كان المقصود في قوله فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا ذكر المنبأ كيف أتى بضميره إن تتوبا خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في معاتبتهما وعن ابن عباس لم أزل حريصا على أن أسأل عمر عنهما حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالإداوة فسكبت الماء على يده فتوضأ فقلت من هما فقال عجبا يا ابن عباس كأنه كره ما سألته عنه ثم قال هما حفصة وعائشة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرأ ابن مسعود فقد زاغت وإن تظاهرا عليه وإن تعاونا عليه بما يسوؤه من الإفراط في الغيرة وإفشاء سره فلن يعدم هو من يظاهره وكيف يعدم المظاهر من الله مولاه أي وليه وناصره وزيادة هو إيذان بأن نصرته عزيمة من عزائمه وأنه يتولى ذلك بذاته وجبريل رأس الكروبيين وقرن ذكره بذكره مفردا له من الملائكة تعظيما له وإظهارا لمكانته عنده وصالح المؤمنين ومن صلح من المؤمنين يعني كل من آمن وعمل صالحا وعن سعيد بن جبير من برئ منهم من النفاق وقيل الأنبياء وقيل الصحابة وقيل الخلفاء منهم فإن قلت صالح المؤمنين واحد أم جمع قلت هو واحد أريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس كقولك لا يفعله من صلح منهم ومثله وكذلك السامر والحاضر ويجوز أن يكون أصله صالحوا المؤمنين بالواو فكتب بغير واو على اللفظ لأن لفظ الواحد والجمع واحد فيه كما جاءت أشياء في المصحف متبوع فيها حكم اللفظ دون وضع الخط والملائكة على تكاثر عددهم وامتلاء السماوات من جموعهم بعد ذلك بعد نصرة الله وناموسه وصالحي المؤمنين ظهير فوج مظاهر له كأنهم يد واحدة على من يعاديه فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه

فان قلت قوله بعد ذلك تعظيم للملائكة ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرة الله وجبريل وصالح المؤمنين ونصرة
الله اعظم واعظم قلت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله فكانه فضل نصرته بهم وبمظاهرتهم
على غيرها من وجوه نصرته لفضلهم على جميع خلقه. وقرئ تظاهرا وتتظاهرا وتظهرا وقرئ يبدله
بالتخفيف والتشديد للكثرة مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات سائحات صائمات وقرئ سيحات
وهي ابلغ وقيل للصائم سائح لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى ان يجد ما يطعمه فشبه به
الصائم في امساكه الى ان يجيء وقت افطاره وقيل سائحات مهاجرات. وعن زيد بن اسلم لم تكن في هذه
الامة سياحة الا الهجرة فان قلت كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض خير من امهات
المؤمنين قلت اذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعصيانهن له وايذائهن اياه لم يبقين على تلك الصفة وكان
غيرهن من الموصوفات بهذه الاوصاف مع الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والنزول على هواه ورضاه خيرا منهن
وقد عرض بذلك في قوله قانتات لان القنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
فان قلت لم اخليت الصفات كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات والابكار قلت لانهما صفتان
متباينتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن في سائر الصفات فلم يكن بد من الواو قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات
واهليكم بان تاخذوهم بما تاخذون به انفسكم. وفي الحديث رحم الله رجلا قال يا اهلاه صلاتكم صيامكم
زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعهم معه في الجنة. وقيل ان اشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل
اهله. وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا وحسن العطف للفاصل فان قلت اليس التقدير قوا انفسكم وليق
اهلوكم انفسهم قلت لا ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو وانفسكم واقع بعده فكانه قيل
قوا انتم واهلوكم انفسكم لما جمعت مع المخاطب الغائب غلبته عليه فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب نارا
وقودها الناس والحجارة نوعا من النار لا تتقد الا بالناس والحجارة كما تتقد غيرها من النيران بالحطب
وعن ابن عباس هي حجارة الكبريت وهي اشد الاشياء حرا اذا اوقد عليها. وقرئ وقودها بالضم اي ذو
وقودها عليها يلي امرها وتعذيب اهلها ملائكة يعني الزبانية التسعة عشر واعوانهم غلاظ شداد
في اجرامهم غلظة وشدة اي جفاء وقوة. او في افعالهم جفاء وخشونة لا تاخذهم رافة في تنفيذ اوامر الله
والغضب له والانتقام من اعدائه ما امرهم في محل النصب على البدل اي لا يعصون ما امر الله اي امره
كقوله افعصيت امري. او لا يعصونه فيما امرهم فان قلت اليست الجملتان في معنى واحد قلت
لا فان معنى الاولى انهم يتقبلون اوامره ويلتزمونها ولا يابونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية
انهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه فان قلت قد خاطب الله المشركين المكذبين
بالوحي بهذا بعينه في قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة
وقال اعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين فما معنى مخاطبته به المؤمنين قلت الفساق وان
كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مساكنون الكفار في دار واحدة فقيل للذين امنوا قوا
انفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الذين اعدت لهم هذه النار الموصوفة ويجوز ان يامرهم بالتوقي
من الارتداد والندم على الدخول في الاسلام وان يكون خطابا للذين امنوا بالسنتهم وهم المنافقون
ويعضد ذلك قوله على اثره يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك
عند دخولهم النار لا تعتذروا لانه لا عذر لكم او لانه لا ينفعكم الاعتذار توبة نصوحا وصفت التوبة
بالنصح على الاسناد المجازي والنصح صفة التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فياتوا بها على طريقتها
متداركة للفرطات ماحية للسيئات وذلك ان يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد
الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لا يعودون في قبيح من القبائح الى ان يعود اللبن في الضرع موطنين
انفسهم على ذلك. وعن علي رضي الله عنه انه سمع اعرابيا يقول اللهم اني استغفرك واتوب اليك فقال يا هذا
ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة
وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب
نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعات كما اذقتها حلاوة المعاصي
وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر ان يتوب عن الذنب ثم يعود فيه. وعن شهر بن حوشب
ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق بالنار. وعن ابن السماك ان تنصب الذنب الذي اقللت فيه الحياء
من الله امام عينك وتستعد لمنتظرك. وقيل توبة لا يتاب منها. وعن السدي لا تصح التوبة الا
بنصيحة النفس والمؤمنين لان من صحت توبته احب ان يكون الناس مثله. وقيل نصوحا من نصاحة
الثوب اي توبة ترفو خروقك في دينك وترم خللك. وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا
خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اي تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله
الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها. وقرا زيد بن علي توبا نصوحا وقرئ نصوحا بالضم
وهو مصدر نصح. والنصح والنصوح كالشكر والشكور والكفر والكفور اي ذات نصوح او تنصح
نصوحا او توبوا لنصح انفسكم على انه مفعول له عسى ربكم اطماع من الله لعباده وفيه وجهان احدهما

ان يكون

ان يكون على ما جرت به عادة الجبابرة من الاجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت والثاني
ان يجيء به تعليما للعباد وجوب الترجح بين الخوف والرجاء والذي يدل على المعنى الاول وانه في معنى البت
قراءة ابن ابي عبلة ويدخلكم بالجزم عطفا على محل عسى ان يكفر كانه قيل توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم يوم لا
يخزي نصب بيدخلكم ولا يخزي تعريض بمن اخزاهم الله من اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين
على انه عصمهم من مثل حالهم يسعى نورهم على الصراط اتمم لنا نورنا قال ابن عباس يقولون ذلك اذا
طفئ نور المنافقين اشفاقا. وعن الحسن الله متمه لهم ولكنهم يدعون تقربا الى الله كقوله واستغفر
لذنبك وهو مغفور له. وقيل يقوله ادناهم منزلة لانهم يعطون من النور قدر ما يبصرون
مواطئ اقدامهم لان النور على قدر الاعمال فيسالون اتمامه تفضلا او زحفا فاولئك الذين يقولون
ربنا اتمم لنا نورنا فان قلت كيف يتشفعون والمؤمنون امنون ايمن ياتي امنا يوم القيامة لا يحزنهم
الفزع الاكبر او كيف يتقربون وليست الدار دار تقرب قلت اما الاشفاق فيجوز
ان يكون على عادة البشرية وان كانوا معتقدين للامن. واما التقرب فلما كانت حالهم كحال المتقربين
حيث يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة سماه تقربا جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالاحتجاج
واستعمل الغلظة والخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة. وعن قتادة مجاهدة
المنافقين لاقامة الحدود عليهم. وعن مجاهد بالوعيد. وقيل بافشاء اسرارهم مثل الله عز وجل
بالكفار في انهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير ابقاء ولا محاباة ولا
ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمة نسب او وصلة صهر لان عداوتهم لهم وكفرهم
بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل وجعلهم ابعد من الاجانب وابعد. وان كان
المؤمن الذي يتصل به الكافر نبيا من انبياء الله بحال امراة نوح وامراة لوط لما نافقتا وخانتا
الرسولين لم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزواج اغناء ما من عذاب
الله. وقيل لهما عند موتهما او يوم القيامة ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم
وبين الانبياء او مع داخليها من اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط. ومثل حال المؤمنين في ان
وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئا من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امراة فرعون ومنزلتها
عند الله مع كونها زوجة اعدى اعداء الله الناطق بالكلمة العظمى ومريم ابنة عمران وما
اوتيت من كرامة الدنيا والاخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع ان قومها كانوا كفارا وفي طي هذين التمثيلين
تعريض بامي المؤمنين المذكورتين في اول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما كرهه وتحذير لهما على اغلظ وجه واشده لما في التمثيل من ذكر الكفر ونحوه في
التغليظ قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين. واشارة الى ان من حقهما ان تكونا في الاخلاص
والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين وان لا تتكلا على انهما زوجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك الفضل
لا ينفعهما الا مع كونهما مخلصتين والتعريض بحفصة ارجح لان امراة لوط افشت عليه كما افشت حفصة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم واسرار التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف والخفاء حدا يدق عن تفطن
العالم ويزل عن تبصره فان قلت ما فائدة قوله من عبادنا قلت لما كان مبنى التمثيل على وجود
الصلاح في الانسان كائنا من كان وانه وحده هو الذي يبلغ به الفوز وينال ما عند الله قال عبدين من عبادنا
صالحين فذكر النبيين المشهورين العلمين بانهما عبدان لم يكونا الا كسائر عباده من غير تفاوت بينهما وبينهم الا بالصلاح
وحده اظهارا وابانة لان عبدا من العباد لا يرجح عنده الا بالصلاح لا غير وان ما سواه مما يرجح به الناس عند الناس
ليس بسبب للرجحان عنده فان قلت ما كانت خيانتهما قلت نفاقهما وابطانهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين
فامراة نوح قالت لقومه انه مجنون. وامراة لوط دلت على ضيفانه ولا يجوز ان يراد بالخيانة الفجور لانه سمج
في الطباع نقيصة عند كل احد بخلاف الكفر فان الكفار لا يستسمجونه بل يستحسنونه ويسمونه حقا. وعن ابن
عباس ما بغت امراة نبي قط. وامراة فرعون اسية بنت مزاحم وقيل هي عمة موسى عليه السلام امنت حين سمعت بتلقف
عصى موسى الافك فعذبها فرعون. عن ابي هريرة ان فرعون وتد امراته باربعة اوتاد واستقبل بها الشمس
واضجعها على ظهرها ووضع رحى على صدرها. وقيل امر بان تلقى عليها صخرة عظيمة فدعت الله فرقى بروحها
فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه. وعن الحسن فنجاها الله اكرم نجاة فرفعها الى الجنة فهي تاكل وتشرب
وتتنعم فيها. وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة اريت بيتها في الجنة يبنى. وقيل انه من درة. وقيل كانت تعذب
في الشمس فتظلها الملائكة فان قلت ما معنى الجمع بين عندك وفي الجنة قلت طلبت القرب من رحمة الله والبعد
من عذاب اعدائه ثم بينت مكان القرب بقولها في الجنة. او ارادت ارتفاع الدرجة في الجنة وان تكون جنتها
من الجنان التي هي اقرب الى العرش وهي جنات الماوى فعبرت عن القرب الى العرش بقولها عندك من فرعون
من عمل فرعون او من نفس فرعون الخبيثة وسلطانه الغشوم وخصوصا من عمله وهو الكفر وعبادة الاوثان
والظلم والتعذيب بغير جرم ونجني من القوم الظالمين من القبط كلهم وفيه دليل على ان الاستعاذة
بالله والالتجاء اليه ومسالة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الانبياء والمرسلين
رب نجني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فيه في فرجه
وقرا ابن مسعود فيها كما قرئ في سورة الانبياء والضمير للجملة وقد مر لي في هذا الظرف كلام
ومن بدع التفاسير ان الفرج هو جيب الدرع ومعنى احصنته منعته جبريل وانه جمع

في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للأرامل وتطييباً لأنفسهن «وصدقت» قرئ بالتشديد وبالتخفيف على أنها جعلت الكلمات والكتب صادقة يعني وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه. فإن قلت: فما كلمات الله وكتبه؟ قلت: يجوز أن يراد بكلماته صحفه التي أنزلها على إدريس وغيره وسماها كلمات لقصرها، وبكتبه الكتب الأربعة، وأن يراد جميع ما كلم الله به ملائكته وغيرهم وجميع ما كتبه في اللوح وغيره. وقرئ بكلمة الله وكتابه أي بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الإنجيل. فإن قلت: لم قيل من القانتين على التذكير؟ قلت: لأن القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكورهم على إناثهم، ومن للتبعيض، ويجوز أن تكون لابتداء الغاية على أنها ولدت من القانتين لأنها من أعقاب هرون أخي موسى صلوات الله عليهما. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد. وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. وأما ما روي أن عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف سمى الله المسلمة يعني مريم ولم يسم الكافرة؟ فقال: بغضاً لها. قالت: وما اسمها؟ قال: اسم امرأة نوح واعلة واسم امرأة لوط واهلة. فحديث أثر الصنعة عليه ظاهر بين. ولقد سمى الله جماعة من الكفار بأسمائهم وكناهم، ولو كانت التسمية للحب وتركها للبغض لسمى آسية، وقد قرن بينها وبين مريم في التمثيل للمؤمنين. وأبى الله إلا أن يجعل للمصنوع أمارة تنم عليه، وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أحكم وأسلم من ذلك. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحاً.

سورة الملك

مكية وهي ثلاثون آية وتسمى الواقية والمنجية لأنها تقي وتنجي قارئها من عذاب القبر

بسم الله الرحمن الرحيم. تبارك تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين الذي بيده الملك على كل موجود وهو على كل ما لم يوجد مما يدخل تحت القدرة قدير. وذكر اليد مجاز عن الإحاطة بالملك والاستيلاء عليه. والحياة ما يصح بوجوده الإحساس، وقيل ما يوجب كون الشيء حياً وهو الذي يصح منه أن يعلم ويقدر، والموت عدم ذلك فيه. ومعنى خلق الموت والحياة إيجاد ذلك المصحح وإعدامه. والمعنى خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون ليبلوكم، وسمى علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهي الخبرة استعارة من فعل المختبر. فإن قلت: من أين تعلق قوله أيكم أحسن عملاً بفعل البلوى؟ قلت: من حيث إنه تضمن معنى العلم فكأنه قيل ليعلمكم أيكم أحسن عملاً، وإذا قلت علمته أزيد أحسن عملاً أم هو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما تقول علمته هو أحسن عملاً. فإن قلت: أتسمي هذا تعليقاً؟ قلت: لا، إنما التعليق أن توقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعاً كقولك علمت أيهما عمرو، وعلمت أزيد منطلق، ألا ترى أنه لا فصل بعد سبق أحد المفعولين بين أن يقع ما بعده مصدراً بحرف الاستفهام وغير مصدر به، ولو كان تعليقاً لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك علمت أزيد منطلق وعلمت زيداً منطلقاً. أحسن عملاً قيل أخلصه وأصوبه لأنه إذا كان خالصاً غير صواب لم يقبل وكذلك إذا كان صواباً غير خالص، فالخالص أن يكون لوجه الله، والصواب أن يكون على السنة. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلاها فلما بلغ قوله أيكم أحسن عملاً قال: أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله، يعني أيكم أتم عقلاً عن الله وفهماً لأغراضه. والمراد أنه أعطاكم الحياة التي تقدرون بها على العمل وتستمكنون منه، وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم إلى اختيار العمل الحسن على القبيح، لأن وراءه البعث والجزاء الذي لا بد منه. وقدم الموت على الحياة لأن أقوى الناس داعياً إلى العمل من نصب موته بين عينيه، فقدم لأنه فيما يرجع إلى الغرض المسوق له الآية أهم. وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل الغفور لمن تاب من أهل الإساءة. طباقاً مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل إذا خصفها طبقاً على طبق، وهذا وصف بالمصدر، أو على ذات طباق، أو على طوبقت طباقاً. من تفاوت وقرئ من تفوت ومعنى البناءين واحد كقولهم تظاهروا من نسائهم وتظهروا، وتعاهدته وتعهدته، أي من اختلاف واضطراب في الخلقة ولا تناقض، إنما هي مستوية مستقيمة. وحقيقة التفاوت عدم التناسب كأن بعض الشيء يفوت بعضاً ولا يلائمه، ومنه قولهم خلق متفاوت، وفي نقيضه متناصف. فإن قلت: كيف موقع هذه الجملة مما قبلها؟ قلت: هي صفة مشايعة لقوله طباقاً، وأصلها ما ترى فيهن من تفاوت، فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيماً لخلقهن وتنبيهاً على سبب سلامتهن من التفاوت وهو أنه خلق الرحمن، وأنه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب. والخطاب في ما ترى للرسول أو لكل مخاطب. وقوله فارجع البصر متعلق به على معنى التسبب، أخبره بأنه لا تفاوت في خلقهن ثم قال فارجع البصر حتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعاينة ولا تبقى معك شبهة فيه. هل ترى من فطور من صدوع وشقوق، جمع فطر وهو الشق، يقال فطره فانفطر، ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق وبزل، ومعناه شق اللحم فطلع. وأمره بتكرير البصر فيهن متصفحاً ومتتبعاً يلتمس عيباً وخللاً. ينقلب إليك أي إن رجعت البصر وكررت النظر لم يرجع إليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وإدراك العيب، بل يرجع إليك بالخسوء والحسور، أي بالبعد عن إصابة الملتمس كأنه يطرد عن ذلك طرداً بالصغار والقماءة، وبالإعياء والكلال لطول الإجالة والترديد. فإن قلت: كيف ينقلب البصر خاسئاً حسيراً برجعه كرتين اثنتين؟ قلت: معنى التثنية التكرير بكثرة كقولهم لبيك وسعديك، تريد إجابات كثيرة بعضها في إثر بعض، وقولهم في المثل دهدرين سعد القين من ذلك، أي باطلاً بعد باطل. فإن قلت: فما معنى ثم ارجع؟ قلت: أمره برجع البصر ثم أمره بأن لا يقتنع بالرجعة الأولى وبالنظرة الحمقاء، وأن يتوقف بعدها ويجم بصره ثم يعاوده ويعاوده إلى أن يحسر بصره من طول المعاودة، فإنه لا يعثر على شيء من فطور. الدنيا القربى لأنها أقرب السماوات إلى الناس، ومعناها السماء الدنيا منكم. والمصابيح السرج، سميت بها الكواكب، والناس يزينون مساجدهم ودورهم بإثقاب المصابيح، فقيل ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها

بمصابيح لا توازيها مصابيحكم إضاءة، وضممنا إلى ذلك منافع أخر أنا جعلناها رجوماً لأعدائكم الشياطين الذين يخرجونكم من النور إلى الظلمات، وتهتدون بها في ظلمات البر والبحر. قال قتادة: خلق الله النجوم لثلاث: زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به. وعن محمد بن كعب: والله ما لأحد من أهل الأرض في السماء نجم، ولكنهم يتبعون الكهانة ويتخذون النجوم علة. والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به، ومعنى كونها مراجم للشياطين أن الشهب التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب، لا أنهم يرجمون بالكواكب أنفسها لأنها قارة في الفلك على حالها، وما ذاك إلا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة كاملة لا تنقص. وقيل من الشياطين المرجومة من يقتله الشهاب ومنهم من يخبله. وقيل معناه وجعلناها ظنوناً ورجوماً بالغيب لشياطين الإنس وهم النجامون. وأعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا. وللذين كفروا بربهم أي ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم، ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك. وقرئ عذاب جهنم بالنصب عطفاً على عذاب السعير. إذا ألقوا فيها أي طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة ويرمى بها، ومثله قوله حصب جهنم. سمعوا لها شهيقاً إما لأهلها ممن تقدم طرحهم فيها، ومن أنفسهم كقوله لهم فيها زفير وشهيق، وإما للنار تشبيهاً لحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق. وهي تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه. وجعلت كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم، ويقولون فلان يتميز غيظاً ويتقصف غضباً، وغضب فطارت منه شقة في الأرض وشقة في السماء، إذا وصفوه بالإفراط فيه. ويجوز أن يراد غيظ الزبانية. ألم يأتكم نذير توبيخ يزدادون به عذاباً إلى عذابهم وحسرة إلى حسرتهم، وخزنتها مالك وأعوانه من الزبانية. قالوا بلى اعتراف منهم بعدل الله وإقرار بأن الله عز وجل أزاح عللهم ببعثة الرسل وإنذارهم ما وقعوا فيه، وأنهم لم يؤتوا من قدرة كما تزعم المجبرة، وإنما أتوا من قبل أنفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله عز وجل وأمر به وأوعد على ضده. فإن قلت: إن أنتم إلا في ضلال كبير من المخاطبون به؟ قلت: هو من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين، على أن النذير بمعنى الإنذار، والمعنى ألم يأتكم أهل نذير، أو وصف منذروهم لغلوهم في الإنذار كأنهم ليسوا إلا إنذاراً، وكذلك قد جاءنا نذير، ونظيره قوله إنا رسول رب العالمين أي حاملا رسالته. ويجوز أن يكون من كلام الخزنة للكفار على إرادة القول، أرادوا حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم في الدنيا، أو أرادوا بالضلال الهلاك، أو سموا عقاب الضلال باسمه، أو من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة، أي قالوا لنا هذا فلم نقبله. لو كنا نسمع الإنذار سماع طالبين للحق أو نعقله عقل متأملين. وقيل إنما جمع بين السمع والعقل لأن مدار التكليف على أدلة السمع والعقل. ومن بدع التفاسير أن المراد لو كنا على مذهب أصحاب الحديث أو على مذهب أصحاب الرأي، كأن هذه الآية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين، وكأن سائر أصحاب المذاهب والمجتهدين قد أنزل الله وعيدهم، وكأن من كان من هؤلاء فهو من الناجين لا محالة، وعدة المبشرين من الصحابة عشرة لم يضم إليهم حادي عشر، وكأن من يجوز على الصراط أكثرهم لم يسمعوا باسم هذين الفريقين. بذنبهم بكفرهم في تكذيبهم الرسل. فسحقاً قرئ بالتخفيف والتثقيل. اعترفوا أو جحدوا فإن ذلك لا ينفعهم. ظاهره الأمر بأحد الأمرين الإسرار والإجهار، ومعناه ليستوي عندكم إسراركم وإجهاركم في علم الله بهما. ثم علله بأنه عليم بذات الصدور أي بضمائرها قبل أن تترجم الألسنة عنها، فكيف لا يعلم ما تكلم به. ثم أنكر أن لا يحيط علماً بالمضمر والمسر والمجهر من خلق الأشياء، وحاله أنه اللطيف الخبير المتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه وما بطن. ويجوز أن يكون من خلق منصوباً بمعنى لا يعلم مخلوقه وهذه حاله. وروي أن المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء فيظهر الله رسوله عليها، فيقولون أسروا قولكم لئلا يسمعه إله محمد، فنبه الله على جهلهم. فإن قلت: قدرت في ألا يعلم مفعولاً على معنى ألا يعلم ذلك المذكور مما أضمر في القلب وأظهر باللسان من خلق، فهلا جعلته مثل قولهم هو يعطي ويمنع، وهلا كان المعنى ألا يكون عالماً من هو خالق، لأن الخلق لا يصح إلا مع العلم؟ قلت: أبت ذلك الحال التي هي قوله وهو اللطيف الخبير، لأنك لو قلت ألا يكون عالماً من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحاً، لأن ألا يعلم معتمد على الحال، والشيء لا يوقت بنفسه، فلا يقال ألا يعلم وهو عالم، ولكن ألا يعلم كذا وهو عالم بكل شيء. المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية، لأن المنكبين وملتقاهما من الغارب أرق شيء من البعير وأنبأه عن أن يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه، فإذا جعلها في الذل بحيث يمشى في مناكبها لم يترك. وقيل مناكبها جبالها لأنها أبلغ التذليل، وقيل جوانبها. والمعنى وإليه نشوركم فهو مسائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم. من في السماء فيه وجهان: أحدهما من ملكوته في السماء لأنها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ، ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه. والثاني أنهم كانوا يعتقدون التشبيه وأنه في السماء وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه، وكانوا يدعونه من جهتها، فقيل لهم على حسب اعتقادهم: أأمنتم من تزعمون أنه في السماء وهو متعال عن المكان أن يعذبكم بخسف أو بحاصب، كما تقول لبعض المشبهة: أما تخاف من فوق العرش أن يعاقبك بما تفعل إذا رأيته يركب بعض المعاصي. فستعلمون قرئ بالتاء والياء. كيف نذير أي إذا رأيتم المنذر به علمتم كيف إنذاري حين لا ينفعكم العلم. صافات باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها، لأنهن إذا بسطنها صففن قوادمها صفاً. ويقبضن ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن. فإن قلت: لم قيل ويقبضن

ولم يقل وقابضات قلت لان اصل الطيران هو صفّ الاجنحة لان الطيران في الهوى كالسباحة في الما
والاصل في السباحة مدّ الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ على البسط للاستظهار بها على
التحرك فجيء بما هو طارئ غير اصل بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة
بعد تارة كما يكون من السابح ما يمسكهن الا الرحمن بقدرته وبما دبّر لهن من القوادم والخوافي
وبنى الاجسام على شكل وخصائص قد تأتى منها الجري في الجو انه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق وكيف
يدبّر العجائب أمّن يشار اليه من الجموع ويقال هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن يعني من دون الله
ان ارسل عليكم عذابه امّن يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه وعلى هذا التقدير ○
ويجوز ان يكون اشارة الى جمع الاوثان لاعتقادهم انهم يحفظون من النوايب ويرزقون ببركة الهتهم
فكأنهم الجند الناصر والرازق • ونحوه قوله تعالى ام لهم الهة تمنعهم من دوننا بل لجوا في عتو ونفور
بل تمادوا في عناد وشراد عن الحق لثقله عليهم فلا يتبعوه يجعل اكبّ مطاوع كبّه وتقال كببته
فأكبّ من الغرايب والشواذ • ونحوه قشعت الريح السحاب فأقشع وما هو كذلك ولا شي من بناء
افعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا الا حملة كتاب سيبويه وانما اكبّ من باب انفض والأم
ومعناه دخل في الكب وصار ذا كب وكذلك اقشع السحاب دخل في القشع ومطاوع كبّ وقشع انكبّ
وانقشع فان قلت ما معنى يمشي مكبا على وجهه وكيف قابل يمشي سويا على صراط مستقيم قلت
معناه يمشي معتسفا في مكان متعاد غير مستو فيه انخفاض وارتفاع فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه
منكبا فحاله نقيض من يمشي سويا • اي قايما سالما من العثور والخرور • او مستوي الجهة قليل
الانحراف خلاف المعتسف الذي ينحرف هكذا وهكذا على طريق مستو • ويجوز ان يريد الاعمى الذي
لا يهتدي الى الطريق فيعتسف فلا يزال ينكب على وجهه وانه ليس كالرجل السوي الصحيح البصر الماشي
في الطريق المهتدي له • وهو مثل للمومن والكافر • وعن قتادة الكافر اكبّ على معاصي الله فحشره
الله يوم القيمة على وجهه • وعن الكلبي عني به ابو جهل بن هشام • وبالسوي رسول الله صلعم وقيل حمزة بن عبد
المطلب رأوه الضمير للوعد والزلفة القرب وانتصابها على الحال او الظرف اي رأوه ذا زلفة او مكانا ذا زلفة
سيئت وجوه الذين كفروا اي ساءت رؤية الوعد وجوههم بان علتها الكآبة • وغشيتها الكسوف
والقترة • وكلحوا • وكما يكون وجه من يقاد الى القتل او يعرض على بعض العذاب وقيل القايلون الزبانية
تدعون تفتعلون من الدعاء اي تطلبون وتستعجلون • وقيل هو من الدعوى اي كنتم بسببه تدعون
انكم لا تبعثون • وقرئ تدعون • وعن بعض الزهاد انه تلاها في اول الليل في صلاته فبقي يكررها
وهو يبكي الى ان نودي لصلاة الفجر • ولعمري انها لوقّاذة لمن تصوّر تلك الحالة وتأملها • كان
كفار مكة يدعون على رسول الله صلعم وعلى المومنين بالهلاك فامر بان يقول لهم نحن مومنون متربصون
لاحدى الحسنيين اما ان نهلك كما تتمنون فننقلب الى الجنة او نرحم بالنصرة والادالة للاسلام
كما نرجو فانتم ما تصنعون من مجيركم وانتم كافرون من عذاب النار لا بد لكم منه يعني انكم تطلبون لنا الهلاك
الذي هو استعجال للفوز والسعادة وانتم في امر هو الهلاك الذي لا هلاك بعده وانتم غافلون لا تطلبون
الخلاص منه او ان اهلكنا الله بالموت فمن يجيركم بعد موت هداتكم والاخذ بحجزكم من النار • وان
رحمنا بالامهال والغلبة عليكم وقتلكم فمن يجيركم فان المقتول على ايدينا هالك • او ان اهلكنا الله في الاخرة
بذنوبنا ونحن مسلمون فمن يجير الكافرين وهم اولى بالهلاك لكفرهم وان رحمنا بالايمان فمن يجير من لا ايمان
له • فان قلت لم اخّر مفعول امنا وقدّم مفعول توكلنا قلت لوقوع امنا تعريضا بالكافرين حين ورد
عقيب ذكرهم كانه قيل امنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما انتم متكلون
عليه من رجالكم واموالكم • غورا غائرا ذاهبا في الارض وعن الكلبي لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر
كعدل ورضا • وعن بعض الشطار انها تليت عنده فقال تجيء به الفوس والمعاول فذهب ماء
عينيه نعوذ بالله من الجرأة على الله وعلى اياته ○ عن رسول الله صلعم من قرا سورة الملك فكانما احيا ليلة القدر

سورة نون مكية وهي ثنتان وخمسون اية ○ بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم بالبيان
والادغام وبسكون النون وفتحها وكسرها كما في صاد • والمراد هذا الحرف من حروف المعجم واما
قولهم هو الدواة فما ادري أهو وضع لغوي ام شرعي ولا يخلو اذا كان اسما للدواة من ان يكون
جنسا او علما فان كان جنسا فاين الاعراب والتنوين • وان كان علما فاين الاعراب وايهما كان فلا بد
له من موقع في تاليف الكلام فان قلت هو مقسم به وجب ان كان جنسا ان تجره وتنونه
ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كانه قيل ودواة والقلم • وان كان علما ان تصرفه وتجره •
او لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتانيث • وكذلك التفسير بالحوت اما ان يراد نون من النونات او
يجعل علما للبهموت الذي يزعمون • والتفسير باللوح من نور او ذهب • والنهر في الجنة نحو ذلك
واقسم بالقلم تعظيما له لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من المنافع
والفوايد التي لا يحيط بها الوصف وما يسطرون وما يكتب من كتب • وقيل يسطرون هم كانه قيل واصحاب
العلم ومسطوراتهم او وسطرهم • ويراد بهم كل من يسطر او الحفظة فان قلت بم يتعلق الباء في بنعمة
ربك وما محله قلت يتعلق بمجنون منفيا كما يتعلق بعاقل مثبتا في قولك انت بنعمة الله عاقل

مستويا

مستويا في ذلك الاثبات والنفي استواءهما في قولك ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا تعمل الفعل مثبتا ومنفيا
اعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كانه قال ما انت بمجنون منعما عليك بذلك • ولم تمنع الباء ان يعمل
مجنون فيما قبله لانها زايدة لتاكيد النفي والمعنى استبعاد ما كان ينسبه اليه كفار مكة عداوة وحسدا
وانه من انعام الله عليه بحصافة العقل والشهامة التي يقتضيها التاهيل للنبوة بمنزلة وان لك
على احتمال ذلك واساغة الغصة فيه والصبر عليه لاجرا لثوابا غير ممنون غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ
او غير ممنون عليك لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء • وانما تمنّ الفواضل لا الاجور
على الاعمال استعظم خلقه لفرط احتماله الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم • وقيل هو
الخلق الذي امره الله به في قوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين • وعن عايشة ان سعيد بن هشام
سألها عن خلق رسول الله صلعم فقالت كان خلقه القران ألست تقرا القران قد افلح المومنون المفتون المجنون
لانه فتن اي محن بالجنون • او لان العرب يزعمون انه من تخبيل الجن وهم الفتان للفتاك منهم والباء مزيدة
او المفتون مصدر كالمعقول والمجلود اي بايكم الجنون او باي الفريقين منكم المجنون • ابفريق المومنين
ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بابي جهل بن هشام والوليد بن
المغيرة واضرابهما • وهذا كقوله سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ان ربك هو اعلم بالمجانين على الحقيقة وهم
الذين ضلوا عن سبيله وهو اعلم بالعقلا وهم المهتدون • او يكون وعيدا ووعدا وانه اعلم بجزاء الفريقين
فلا تطع المكذبين تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم وكانوا قد ارادوه على ان يعبد الله مدة
والهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم لو تدهن لو تلين وتصانع فيدهنون فان قلت لم رفع فيدهنون ولم
ينصب باضمار ان وهو جواب التمني قلت قد عدل به الى طريق اخر وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف اي فهم
يدهنون كقوله فمن يومن بربه فلا يخاف على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينيذ • او ودوا ادهانك فهم
الان يدهنون لطمعهم في ادهانك • قال سيبويه وزعم هرون انها في بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا
حلاف كثير الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف • ومثله ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم
مهين من المهانة وهي القلة والحقارة يريد القلة في الراي والتمييز • او اراد الكذاب لانه حقير عند الناس
هماز عياب طعان • وعن الحسن يلوي شدقيه في اقفية الناس مشاء بنميم مضرب نقال للحديث من
قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم والنميمة السعاية • وانشدني بعض العرب ○
تشبّبي تشبّب النميمة ○ تمشي بها زهرا الى تميمة ○ مناع للخير بخيل والخير المال او مناع اهله
الخير وهو الاسلام فذكر الممنوع منه دون الممنوع • كانه قال مناع من الخير قيل هو الوليد بن المغيرة
المخزومي كان موسرا وكان له عشرة من البنين فكان يقول لهم ولِلُحمته من اسلم منكم منعته رفدي
عن ابن عباس • وعنه انه ابو جهل • وعن مجاهد الاسود بن عبد يغوث • وعن السدي الاخنس بن
شريق اصله في ثقيف وعداده في زهرة • ولذلك قيل زنيم معتد مجاوز في الظلم حده اثيم كثير
الاثام عتل غليظ جاف من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد له من المثالب والنقايص
زنيم دعي قال حسان ○ وانت زنيم نيط في ال هاشم ○ كما نيط خلف الراكب القدح الفرد ○
وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثمان عشرة من مولده • وقيل بغت امه
ولم يعرف حتى نزلت هذه الاية • جعل جفاءه ودعوته اشد معايبه لانه اذا جفا وغلظ طبعه
قسا قلبه واجترأ على كل معصية • ولان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الناشي منها • ومن ثم قال
رسول الله صلعم لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده • وبعد ذلك نظير ثم في قوله ثم كان
من الذين امنوا • وقرأ الحسن عتل رفعا على الذم • وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه بعد ذلك • والزنيم من
الزنمة وهي الهنة من جلد الماعز تقطع فتخلى معلقة في حلقه لانه زايد معلق بغير اهله ان كان
ذا مال وبنين متعلق بقوله ولا تطع يعني ولا تطعه مع هذه المثالب لان كان ذا مال اي ليساره
وحظه من الدنيا • ويجوز ان يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمولا مستظهرا بالبنين كذب باياتنا
ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب اذا • لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب
وقرئ آن كان على الاستفهام على اان كان ذا مال كذب • او اتطيعه لان كان ذا مال • وروى الزبيري
عن نافع ان كان بالكسر • والشرط للمخاطب اي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لانه اذا اطاع الكافر لغناه
فكانه اشترط في الطاعة الغنا • ونحو صرف الشرط الى المخاطب صرف الترجي اليه في قوله لعله يتذكر
الوجه اكرم موضع في الجسد والانف اكرم موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز
والحمية واشتقوا منه الانفة • وقالوا الانف في الانف • وحمي انفه • وفلان شامخ العرنين • وقالوا
في الذليل جدع انفه ورغم انفه • فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة لان
السمة على الوجه شين واذالة • فكيف بها على اكرم موضع منه ولقد وسم العباس اباعره في وجوهها
فقال له رسول الله صلعم اكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها • وفي لفظ الخرطوم استخفاف به واستهانة

وبالغ بعناه سنعلمه يوم القيمة بعلامة مشوهة يبين بها عن سائر الكفرة كما عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة بان
بها عنهم وقيل خطم يوم بدر بالسيف فبقيت سمة على خرطومه وقيل سنشهره بهذه الشتيمة في الدارين
جميعا فلا تخفى كما لا تخفى السمة على الخرطوم وعن النضر بن شميل ان الخرطوم الخمر وان معناه سنحده
على شربها وهو تعسف وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب او لانها
تطير في الخياشيم انا بلوناهم اهل مكة بالقحط والجوع بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم كما بلونا اصحاب
الجنة وهم قوم من اهل الصلوة كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعا بفرسخين فكان ياخذ منها
قوت سنته ويتصدق بالباقي وكان يترك للمساكين ما اخطاه المنجل وما في اسفل الاكداس وما
اخطاه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة اذا صرمت وكان يجتمع
لهم شي كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن اولو عيال
فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف خفية عن المساكين ولم يستثنوا في يمينهم فاحرق الله جنتهم
وقيل كانوا من بني اسرائيل مصبحين داخلين في الصباح مبكرين ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله
فان قلت لم سمي استثناء وانما هو شرط قلت لانه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن
ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد فطاف عليها بلاء او هلاك طائف كقوله واحيط بثمره
وقرئ طيف فاصبحت كالصريم كالمصرومة لهلاك ثمرها وقيل الصريم الليل اي احترقت فاسودت
وقيل النهار اي يبست وذهبت خضرتها او لم يبق منها شي من قولهم بيض الاناء اذا فرغه وقيل
الصريم الرمال فتنادوا مصبحين فان قلت هلا قيل اغدوا الى حرثكم وما معنى على قلت لما كان
الغدو اليه ليصرموه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز ان يضمن الغدو معنى
الاقبال كقولهم يغدى عليه بالجفنة ويراح اي فاقبلوا على حرثكم باكرين يتخافتون يتسارون
فيما بينهم وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها اليوم
ان مفسرة وقرأ ابن مسعود بطرحها باضمار القول اي يتخافتون يقولون لا يدخلنها والنهي عن الدخول
للمسكين نهي لهم عن تمكينه منه اي لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك لا ارينك ههنا الحرد
من حاردت السنة منعت خيرها وحاردت الابل منعت درها والمعنى وغدوا قادرين على نكد
عاجزين عن النفع يعني انهم عزموا ان يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم
فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان
المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل
كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها اي غدوا حاصلين على الحرمان مكان الانتفاع او لما قالوا
اغدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم عاقبهم الله بان حاردت جنتهم وحرموا خيرها فلم يغدوا
على حرث وانما غدوا على حرد وقادرين من عكس الكلام للتهكم اي قادرين على ما عزموا عليه من الصرام
وحرمان المساكين وعلى حرد ليس بصلة قادرين وقيل الحرد بمعنى الحرد وقرئ على حرد اي لم يقدروا
الا على حنق وغضب بعضهم على بعض كقوله يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة يقال حردت
حردك وقال اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة وقطا حراد سراع يعني
وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة ونشاط قادرين عند انفسهم يقولون نحن نقدر على صرامها وزي منفعتها
عن المساكين وقيل حرد علم للجنة اي غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند انفسهم او مقدرين
ان يتم لهم مرادهم من الصرام والحرمان قالوا في بديهة وصولهم انا لضالون اي ضللنا جنتنا
وما هي بها لما راوا من هلاكها فلما تاملوا وعرفوا انها هي قالوا بل نحن محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا
على انفسنا اوسطهم اعدلهم وخيرهم من قولهم هو من سطة قومه واعطني من سطات مالك ومنه
قوله تعالى امة وسطا لولا تسبحون لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم
قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة من
فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم والدليل عليه قولهم سبحان ربنا
انا كنا ظالمين فتكلموا بما كان يدعوهم الى التكلم به على اثر مقارفة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة
وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لالتقائهما في معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح
تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم وعن الحسن هو الصلوة كانهم كانوا يتوانون
في الصلوة والا لنهتهم عن الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفا في ان يستثنوا ولا يحرموا سبحان ربنا
سبحوا الله ونزهوه عن الظلم وعن كل قبيح ثم اعترفوا بظلمهم في منع المعروف وترك الاستثناء يتلاومون
يلوم بعضهم بعضا لان منهم من زين ومنهم من قبل ومنهم من امر بالكف وعذر ومنهم من
عصى الامر ومنهم من سكت وهو راض ان يبدلنا وقرئ بالتخفيف والتشديد انا الى ربنا راغبون
طالبون منه الخير راجون لعفوه كذلك العذاب مثل ذلك العذاب الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب

ولعذاب الاخرة اشد واعظم منه وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد
كلفتني تعبا وعن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه بلغني انهم اخلصوا وعرف الله منهم
الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا عند ربهم اي في الاخرة جنات النعيم
جنات ليس فيها الا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا كان صناديد قريش
يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا حديث الاخرة وما وعد الله المسلمين
قالوا ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالهم وحالنا الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا
علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا فقيل انحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين
ثم قيل لهم على طريقة الالتفات ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج كان امر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا
فيه بما شئتم ام لكم كتاب من السماء تدرسون في ذلك الكتاب ان ما تختارونه وتشتهونه لكم كقوله ام
لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم والاصل تدرسون ان لكم ما تخيرون بفتح ان لانه مدروس فلما جاءت
اللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح وتخير
الشي واختاره اخذ خيره ونحوه تنخله وانتخله اذا اخذ منخوله لفلان علي يمين بكذا اذا ضمنته
منه وحلفت له على الوفاء به يعني ام ضمنا منكم واقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية في التوكيد فان قلت
بم يتعلق الى يوم القيمة قلت بالمقدر في الظرف اي هي ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا نخرج عن عهدتها
الا يومئذ اذا حكمناكم واعطيناكم ما تحكمون ويجوز ان يتعلق ببالغة على انها تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه
وافرة لم تبطل منها يمين الى ان يحصل المقسم عليه من التحكيم وقرأ الحسن بالغة بالنصب على الحال من الضمير
في الظرف ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا بالغة ام اقسمنا لكم ايهم بذلك زعيم
اي قائم به وبالاحتجاج لصحته كما يقوم الزعيم المتكلم عن القوم المتكفل باموره ام لهم شركاء اي ناس يشاركونهم
في هذا القول ويوافقونهم عليه ويذهبون مذهبهم فيه فليأتوا بهم ان كانوا صادقين في دعواهم يعني
ان احدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما انه لا كتاب لهم ينطق به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم
لهم يقوم به الكشف عن الساق والابداء عن الخدام مثل في شدة الامر وصعوبة الخطب واصله
في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب وابداء خدامهن عند ذلك قال حاتم
اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا وقال ابن الرقيات
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدام العقيلة العذراء فمعنى يوم يكشف عن ساق
في معنى يوم يشتد الامر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثم
ولا غل وانما هو مثل في البخل واما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره في علم البيان والذي غره منه
حديث ابن مسعود رضي الله عنه يكشف الرحمن عن ساقه فاما المؤمنون فيخرون سجدا واما المنافقون فتكون ظهورهم
طبقا طبقا واحدا كان فيها السفافيد ومعناه يشتد امر الرحمن ويتفاقم هوله وهو الفزع الاكبر يوم القيمة
ثم كان من حق الساق ان تعرف على ما ذهب اليه المشبه لانها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمن
فان قلت فلم جاءت منكرة في التمثيل قلت للدلالة على انه امر مبهم في الشدة منكر خارج عن المألوف
كقوله يوم يدع الداع الى شي نكر كانه قيل يوم يقع امر فظيع هائل ويحكى هذا التشبيه عن مقاتل بن سليمان
وعن ابي عبيدة خرج من خراسان رجلان احدهما شبه حتى مثل وهو مقاتل بن سليمان والاخر نفى حتى عطل
وهو جهم بن صفوان ومن احس بعظم مضار فقد هذا العلم علم مقدار عظم منافعه وقرئ يوم نكشف
بالنون وتكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول جميعا والفعل للساعة او للحال اي يوم تشتد الحال او الساعة
كما تقول كشفت الحرب عن ساقها على المجاز وقرئ تكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من اكشف
اذا دخل في الكشف ومنه اكشف الرجل فهو مكشف اذا انقلبت شفته العليا وناصب الظرف فليأتوا
او اضمار اذكر او يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ وان ثم من الكوائن ما لا يوصف
لعظمه وعن ابن مسعود رضي الله عنه تعقم اصلابهم اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض
وفي الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة فان قلت لم يدعون الى السجود ولا تكليف
قلت لا يدعون اليه تكليفا وتعبدا ولكن توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود في الدنيا مع اعقام اصلابهم
والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة تحسيرا لهم وتنديما على ما فرطوا فيه حين دعوا الى السجود وهم سالمون
الاصلاب والمفاصل ممكنون مزاحو العلل فيما تعبدوا به يقال ذرني واياه يريدون
كله الي فاني اكفيكه كانه يقول حسبك ايقاعا به ان تكل امره الي وتخلي بيني وبينه فاني عالم بما يجب
ان يفعل به مطيق له والمراد حسبي مجازيا لمن يكذب بالقران فلا تشغل قلبك بشانه وتوكل علي
في الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة
فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله العصاة ان يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله ذريعة
ومتسلقا الى ازدياد الكفر والمعاصي من حيث لا يعلمون اي من الجهة التي لا يشعرون انه استدراج

وهو الانعام عليهم لانهم يحسبونه ايثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم وأملي لهم
كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما والصحة والرزق والمد في العمر احسان من الله وافضال يوجب
عليهم الشكر والطاعة ولكنهم يجعلونه سببا في الكفر باختيارهم فلما تدرجوا به الى الهلاك
وصف المنعم بالاستدراج . وقيل كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مفتون بالثناء عليه
وكم من مغرور بالستر . وسمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد
حيث كان سببا للتورط في الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة اثر احسانه في التسبب للهلاك مغرم
الغرامة اي لم تطلب منهم على الهداية والتعليم اجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في اموالهم فيثبطهم
ذلك عن الايمان ام عندهم الغيب اى اللوح فهم يكتبون منه ما يحكمون به لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم
ولا تكن كصاحب الحوت يعني يونس صلوات الله عليه اذ نادى في بطن الحوت والمغاضبة فتبتلى ببلائه حسن تذكير الفعل
لفصل الضمير في تداركه وقرى ابن عباس وابن مسعود تداركته . وقرى الحسن تدّاركه اى تتداركه
على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه كما يقال كان زيد سيقوم فمنعه
فلان . اي كان يقال فيه سيقوم . والمعنى كان متوقعا منه القيام . ونعمة ربه ان انعم عليه
بالتوفيق للتوبة وتاب عليه وقد اعتمد في جواب لولا على الحال اعني قوله وهو مذموم يعني ان
حاله كانت على خلاف الذم حين نبذ بالعراء ولولا توبته لكانت حالته على الذم . روى انها نزلت
باحد حين حل برسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل به فاراد ان يدعو على الذين انهزموا . وقيل حين اراد ان
يدعو على ثقيف . وقرى رحمة من ربه . فاجتباه ربه فجمعه اليه وقربه بالتوبة عليه كما قال ثم اجتباه
ربه فتاب عليه وهدى . فجعله من الصالحين اي من الانبياء وعن ابن عباس رد الله اليه الوحي وشفعه
في نفسه وقومه ان مخففة من الثقيلة واللام علمها . وقرى ليزلقونك بضم اليا وفتحها وزلقه وازلقه
بمعنى . ويقال زلق الراس وازلقه حلقه . وقرى ليزهقونك من زهقت نفسه وازهقها . يعني انهم
من شدة تحديقهم ونظرهم اليك شزرا بعيون العداوة والبغضا يكادون يزلقون قدمك
او يهلكونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني . ويكاد ياكلني . اى لو امكنه بنظره الصرع
او الاكل لفعله . قال يتقارضون اذا التقوا في موطن نظرا يزل مواطى الاقدام . وقيل
كانت العين في بني اسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة ايام فلا يمر به شي فيقول فيه لم
ار كاليوم مثله الا عانه . فاريد بعض العيانين على ان يقول في رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك
فقال لم ار كاليوم رجلا فعصمه الله . وعن الحسن دواء الاصابة بالعين ان تقرا هذه الاية
لما سمعوا الذكر اى القران لم يملكوا انفسهم حسدا على ما اوتيت من النبوة ويقولون انه لمجنون حيرة
في امره وتنفيرا عنه والا فقد علموا انه اعقلهم . والمعنى انهم جننوه لاجل القران وما هو الا
ذكر وموعظة للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله ❀ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القلم
اعطاه الله ثواب الذين حسّن الله اخلاقهم ❀

سورة الحاقة احدى وخمسون اية وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم . الحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجي التي هي اتية لاريب فيها
او التي فيها حواق الامور . من الحساب والثواب والعقاب . او التي تحق فيها الامور اى تعرف
على الحقيقة من قولك لا احق هذا اي لا اعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها . وارتفاعها على
الابتدا وخبرها ما الحاقة والاصل الحاقة ما هي اي اي شي هي . تفخيما لشانها وتعظيما لهولها فوضع
الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها . وما ادراك واي شي اعلمك ما الحاقة يعني انك لا علم لك بكنهها ومدى
عظمها . على انه من العظم والشدة بحيث لا تبلغه دراية احد ولا وهمه . وكيف ما قدرت حالها
فهي اعظم من ذلك . وما في موضع الرفع على الابتدا وادراك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام القارعة
التي تقرع الناس بالافزاع والاهوال . والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف
والنجوم بالطمس والانكدار . ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف
شدتها . ولما ذكرها وفخمها اتبع ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة
وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة . واختلف فيها
فقيل الرجفة . وعن ابن عباس الصاعقة . وعن قتادة بعث الله عليهم صيحة فاهمدتهم . وقيل
الطاغية مصدر كالعافية اي بطغيانهم وليس بذاك لعدم الطباق بينها وبين قوله بريح صرصر
والصرصر الشديدة الصوت لها صرصرة وقيل الباردة من الصر كانها التي كرر فيها البرد
وكثر فهي تحرق بشدة بردها عاتية شديدة العصف والعتو استعارة او عتت على عاد
فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء او لياذ بجبل او اختفاء في حفرة فانها كانت تنزعهم
من مكامنهم وتهلكهم . وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ارسل الله سفية من ريح ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم عاد . ويوم نوح . فان الما يوم نوح

طغى

طغا على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل . ثم قرا انا لما طغى الما حملناكم في الجارية . وان الريح يوم عاد عتت
على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرى بريح صرصر عاتية . ولعلها عبارة عن الشدة والافراط فيها
الحسوم لا يخلو اما ان يكون جمع حاسم كشهود وقعود او مصدرا كالشكور والكفور فان كان جمعا
فمعنى قوله حسوما نحسات حسمت كل خير واستاصلت كل بركة . او متتابعة هبوب الريح ما خفتت ساعة
حتى اتت عليهم . وان كان مصدرا فاما ان ينتصب بفعله مضمرا اي تحسم حسوما بمعنى تستاصل استيصالا
او يكون صفة كقولك ذات حسوم . او يكون مفعولا له اي سخرها عليهم للاستيصال . وقرى السدي حسوما بالفتح
حالا من الريح اى سخرها عليهم مستاصلة . وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي ....
ففرق بين بينهم زمان تتابع فيه اعوام حسوم . وقيل هي ايام العجوز وذلك ان عجوزا من عاد
توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فاهلكتها . وقيل هي ايام العجز وهي اخر الشتاء
واسماؤها . الصن والصنبر والوبر والامر والمؤتمر والمعلل ومطفي الجمر وقيل مكفي الظعن
ومعنى سخرها عليهم سلطها عليهم كما شاء . فيها في مهابها او في الليالي والايام وقرى اعجاز نخيل . من
باقية من بقية او من نفس باقية او من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان ومن قبله يريد ومن عنده
من اتباعه وقرى ومن قبله اى ومن تقدمه . ويعضد الاولى قراة عبد الله وابي ومن معه . وقراة
ابي موسى ومن تلقاه والمؤتفكات قرى قوم لوط بالخاطئة بالخطا او بالفعلة او بالافعال ذات الخطا العظيم
رابية شديدة زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح يقال ربا الشي يربو اذا زاد . لتربوا
في اموال الناس حملناكم حملنا اباكم في الجارية في سفينة نوح لانهم اذا كانوا من نسل المحمولين الناجين
كان حمل ابائهم منة عليهم وكانهم هم المحمولون لان نجاتهم سبب ولادتهم لنجعلها الضمير للفعلة وهي
نجاة المؤمنين واغراق الكفرة تذكرة عظة وعبرة . وتعيها اذن واعية من شانها ان تعي وتحفظ ما سمعت
به ولا تضيعه بترك العمل وكل ما حفظته في نفسك فقد وعيته وما حفظته في غير نفسك فقد اوعيته
لقولك اوعيت الشي في الظرف . وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي رضي الله عنه عند نزول هذه الاية سالت الله ان يجعلها
اذنك يا علي قال علي فما نسيت شيئا بعد وما كان لي ان انسى فان قلت لم قيل اذن واعية على التوحيد
والتنكير قلت للايذان بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة
على ان الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الاعظم عند الله وان ما سواها لا يبالي
بهم بالة وان ملاوا ما بين الخافقين . وقرى وتعيها بسكون العين للتخفيف شبه تعي بكبد اسند
الفعل الى المصدر وحسن تذكيره للفصل . وقرى ابو السمال نفخة واحدة بالنصب مسندا للفعل الى الجار
والمجرور فان قلت هما نفختان فلم قيل واحدة قلت معناه انها لا تثنى في وقتها فان قلت فاي النفختين
هي قلت الاولى لان عندها فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس . وقد روي عنه انها الثانية
فان قلت اما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض انما هو عند النفخة الثانية قلت جعل اليوم اسما
للحين الواسع الذي تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قيل يومئذ
تعرضون كما تقول جئته عام كذا وانما كان مجيئك في وقت واحد من اوقاته . وحملت ورفعت
من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها انها تحمل الارض والجبال . او بخلق من الملائكة او بقدرة الله
من غير سبب . وقرى وحملت بتخفيف الحمل وهو احد الثلاثة . فدكتا فدكت الجملتان جملة الارض وجملة
الجبال فضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا . والدك ابلغ من الدق . وقيل
فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا ترى فيها عوجا ولا امتا . من قولك اندك السنام اذا افترش وبعير
ادك وناقة دكاء ومنه الدكان فيومئذ وقعت الواقعة فحينئذ نزلت النازلة وهي القيامة واهية مسترخية
ساقطة القوة جدا بعد ما كانت محكمة مستمسكة . يريد والخلق الذي يقال له الملك ورد اليه الضمير
مجموعا في قوله فوقهم على المعنى فان قلت ما الفرق بين قوله والملك وبين ان يقال والملائكة قلت الملك اعم من
الملائكة الا ترى ان قولك ما من ملك الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملائكة . على ارجائها على جوانبها الواحد
رجا مقصور يعني انها تنشق وهي مسكن الملائكة فينضوون الى اطرافها وما حولها من حافاتها ثمانية اي ثمانية
وروى ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم
على صورة الانسان وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر . وروى ثمانية املاك في خلق الاوعال
ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة
ايدهم الله باربعة اخرين فيكونون ثمانية . وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك
لك الحمد على عفوك بعد قدرتك . واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك . وعن الحسن الله اعلم
كم هم اثمانية ام ثمانية الاف . وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله . ويجوز ان يكون الثمانية
من الروح او من خلق اخر فهو القادر على كل خلق . سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون

وانما قال لا يخفى منكم خافية بالياء والكسائي على التذكير وقرأ الباقون بالتاء للتأنيث

العرض عبارة عن المحاسبة والمسألة شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف أحواله. وروي أن في يوم القيمة ثلاث عرضات فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ. وأما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله خافية سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا بستر الله عليكم فأما تفصيل للعرض هاؤم صوت يصوت به فيفهم منه معنى خذ كأف وحس وما أشبه ذلك وكتابيه منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرءوا لأنه أقرب العاملين وأصله هاؤم كتابي اقرءوا كتابي فحذف الأول لدلالة الثاني عليه ونظيره آتوني أفرغ عليه قطرا قالوا ولو كان العامل الأول لقيل اقرءوه وأفرغه والهاء للسكت في كتابيه وكذلك في حسابيه وماليه وسلطانيه وحق هذه الهاآت أن تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استحب إيثار الوقف إيثارا لثباتها لثباتها في المصحف. وقيل لا بأس بالوصل وبالإسقاط. وقرئ ابن محيصن بإسكان الياء بغير هاء. وقرئ جماعة بإثبات الهاء في الوصل والوقف جميعا لاتباع المصحف ظننت علمت وإنما أجري الظن مجرى العلم لأن الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والأحكام. ويقال أظن ظنا كاليقين أن الأمر كيت وكيت راضية منسوبة إلى الرضا كالدارع والنابل والنسبة نسبتان نسبة بالحرف ونسبة بالصيغة. أو جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها عالية مرتفعة المكان في السماء أو رفيعة الدرجات أو رفيعة المباني والقصور والأشجار دانية ينالها القاعد والنائم. يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا أكلا وشربا هنيئا. أو هنئتم هنيئا على المصدر بما أسلفتم بما قدمتم من الأعمال الصالحة في الأيام الخالية الماضية من أيام الدنيا. وعن مجاهد أيام الصيام أي كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الأكل والشرب لوجه الله. وروي يقول الله تعالى يا أوليائي طال ما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة وغارت أعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية. الضمير في يا ليتها للموتة يقول يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية أي القاطعة لأمري فلم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقى. أو للحالة أي ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي لأنه رأى تلك الحالة أبشع وأمر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها ما أغنى نفي أو استفهام على وجه الإنكار أي أي شيء أغنى عني ما كان لي من اليسار هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا. وعن ابن عباس أنها نزلت في الأسود بن عبد الأسد. وعن فنا خسرة الملقب بالعضد أنه لما قال عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلاب القدر لم يفلح بعده وجن وكان لا ينطق لسانه إلا بهذه الآية. وقال ابن عباس ضلت عني حجتي. ومعناه بطلت حجتي التي كنت أحتج بها في الدنيا ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه إلا الجحيم وهي النار العظمى لأنه كان سلطانا يتعظم على الناس يقال صلي النار وصلاه النار سلسلة والسلسلة أن تلوى على جسده حتى تلتف عليه أثناؤها وهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة. وجعلها سبعين ذراعا إرادة الوصف بالطول كما قال إن تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لأنها إذا طالت كان الإرهاق أشد. والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية أي لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة كأنها أفظع من سائر مواضع الإرهاق في الجحيم. ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك في السلسلة. لا على تراخي المدة. إنه تعليل على طريق الاستئناف وهو أبلغ كأنه قيل ما له يعذب هذا العذاب الشديد فأجيب بذلك ولا يحض على طعام المسكين دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين أحدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة له والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل. وما أحسن قول القائل

إذا نزل الأضياف كان عذورا على الحي حتى تستقل مراجله

يريد حضهم على القرى واستعجلهم وتشاكس عليهم. وعن أبي الدرداء أنه كان يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالإيمان أفلا نخلع نصفها الآخر. وقيل هو منع الكفار وقولهم أنطعم من لو يشاء الله أطعمه. والمعنى على بذل طعام المسكين حميم قريب يرفع عنه ويحترق له لأنهم يتحامونه ويفرون منه كقوله ولا يسأل حميم حميما والغسلين غسالة أهل النار وما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم. فعلين من الغسل. الخاطئون الآثمون أصحاب الخطايا. وخطئ الرجل إذا تعمد الذنب وهم المشركون عن ابن عباس. وقرئ الخاطيون بإبدال الهمزة ياء. والخاطون بطرحها. وعن ابن عباس ما الخاطون كلنا نخطو. وروى عنه أبو الأسود الدؤلي ما الخاطون إنما هو الخاطئون ما الصابون إنما هو الصابئون. ويجوز أن يراد الذين يتخطون الحق إلى الباطل ويتعدون حدود الله هو إقسام بالأشياء كلها على الشمول والإحاطة لأنها لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر. وقيل الدنيا والآخرة والأجسام والأرواح والإنس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة إن هذا القرآن لقول رسول كريم أي يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله وما هو بقول شاعر

ولا كاهن

ولا كاهن كما تدعون. والقلة في معنى العدم أي لا تؤمنون ولا تذكرون البتة. والمعنى ما أكفركم وما أغفلكم تنزيل هو تنزيل بيانا لأنه قول رسول نزل عليه من رب العالمين وقرأ أبو السمال تنزيلا أي نزل تنزيلا. وقيل الرسول الكريم جبريل. وما هو بقول شاعر دليل على أنه محمد صلى الله عليه وسلم لأن المعنى على إثبات أنه رسول لا شاعر ولا كاهن التقول افتعال القول لأن فيه تكلفا من المفتعل. وسمى الأقوال المتقولة أقاويل تصغيرا لها وتحقيرا كقولك الأعاجيب والأضاحيك كأنها جمع أفعولة من القول. والمعنى ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون أهول وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته. وخص اليمين عن اليسار لأن القتال إذا أراد أن يوقع الضرب في قفاه أخذه بيساره. وإذا أراد أن يوقعه في جيده وأن يكفحه بالسيف وهو أشد على المصبور لنظره إلى السيف أخذ بيمينه. ومعنى لأخذنا منه باليمين لأخذنا بيمينه كما أن قوله لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه وهذا بين. والوتين نياط القلب وهو حبل الوريد إذا قطع مات صاحبه. وقرئ ولو تقول على البناء للمفعول. فما منكم من أحد عنه حاجزين في وصف أحد لأنه في معنى الجماعة وهو اسم يقع في النفي العام مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث. ومنه قوله لا نفرق بين أحد من رسله لستن كأحد من النساء. والضمير في عنه للقتل أي لا يقدر أحد منكم أن يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه. أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي لا تقدرون أن تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه. والخطاب للناس وكذلك في قوله وإنا لنعلم أن منكم مكذبين وهو إيعاد على التكذيب. وقيل الخطاب للمسلمين والمعنى أن منهم ناسا سيكفرون بالقرآن وإنه الضمير للقرآن لحسرة على الكافرين به المكذبين له إذا رأوا ثواب المصدقين به أو للتكذيب وإنه لحق اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم. والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله. واعبده شكرا على ما أهلك له من إيحائه إليك. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا.

سورة المعارج مكية وهي أربع وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ضمن سأل معنى دعا فعدي تعديته كأنه قيل دعا داع بعذاب واقع من قولك دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه. ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو النضر بن الحارث قال إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل بعذاب للكافرين. وقرئ سال سائل. وهو على وجهين إما أن يكون من السؤال وهي لغة قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلان. وأن يكون من السيلان. ويؤيده قراءة ابن عباس سال سيل. والسيل مصدر في معنى السائل كالغور بمعنى الغائر. والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم وأهلكهم. وعن قتادة سأل سائل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع فنزلت. وسأل على هذا الوجه مضمن معنى عني واهتم فإن قلت بم يتصل قوله للكافرين قلت هو على القول الأول متصل بعذاب صفة له أي بعذاب واقع كائن للكافرين. أو بالفعل أي دعا للكافرين بعذاب واقع. أو بواقع أي بعذاب نازل لأجلهم وعلى الثاني هو كلام مبتدأ جواب للسائل أي هو للكافرين. فإن قلت فقوله من الله بم يتصل قلت يتصل بواقع. أي واقع من عنده. أو بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته إذا جاء وقته وأوجبت الحكمة وقوعه ذي المعارج ذي المصاعد جمع معرج. ثم وصف المصاعد وبعد مداها في العلو والارتفاع فقال تعرج الملائكة والروح إليه إلى عرشه وحيث تهبط منه أوامره في يوم كان مقداره كمقدار مدة خمسين ألف سنة مما يعد الناس. والروح جبريل عليه السلام أفرده لتميزه بفضله. وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة على الناس فإن قلت بم يتعلق قوله فاصبر قلت بسأل سائل لأن استعجال النضر بالعذاب إنما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحي. وكان ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصبر عليه. وكذلك من سأل عن العذاب لمن هو فإنما يسأل على طريق التعنت وكان من كفار مكة. ومن قرأ سال سائل أو سيل. فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد شارفت الانتقام. وقد جعل في يوم من صلة واقع أي يقع في يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة إما أن يكون استطالة له لشدته على الكفار. وإما لأنه على الحقيقة كذلك. قيل فيه خمسون موطنا كل موطن ألف سنة. وما قدر ذلك على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر. الضمير في نرونه للعذاب الواقع أو ليوم القيامة فيمن علق في يوم بواقع أي يستبعدونه على جهة الإحالة ونراه قريبا هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر. فالمراد بالبعيد البعيد من الإمكان. وبالقريب القريب منه نصب يوم تكون بقريبا أي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم. أو بإضمار يقع لدلالة واقع عليه. أو يوم تكون السماء كالمهل كان كيت وكيت. أو هو بدل عن في يوم فيمن علقه بواقع كالمهل كدردي الزيت. وعن ابن مسعود كالفضة المذابة في تلونها كالعهن كالصوف المصبوغ ألوانا لأن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود. فإذا بست وطيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح ولا يسأل حميم حميما أي لا يسأله بكيف حالك ولا يكلمه. لأن لكل أحد ما يشغله عن المسألة يبصرونهم أي يبصر الأحماء الأحماء فلا يخفون

عليهم مما يمنعهم من المسئلة أن بعضهم لا يبصر بعضا وانما يمنعهم التشاغل وقرئ يبصرونهم وقرئ ولا يسأل
على البناء للمفعول أي لا يقال لحميم أين حميمك ولا يطلب منه لأنهم يبصرونهم فلا يحتاجون الى السؤال والطلب
فان قلت ما موقع يبصرونهم قلت هو كلام مستأنف كأنه لما قال ولا يسأل حميم حميما قيل لعله لا يبصره
فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم فان قلت لم جمع الضميران في يبصرونهم وهما
للحميمين قلت المعنى على العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين ويجوز أن يكون يبصرونهم صفة أي حميما مبصرين
معرفين اياهم وقرئ بالجر والفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن ومن عذاب يومئذ بتنوين
عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب وفصيلته عشيرته الأدنون
الذين فصل عنهم تؤويه تضمه انتماء اليها أو لياذا بها في النوائب ثم ينجيه عطف على يفتدي أي
يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء أو من في الأرض وثم لاستبعاد الانجاء يعني يتمنى لو كان
هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات أن ينجيه كلا ردع للمجرم
عن الودادة وتنبيه على أنه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب ثم قال انها والضمير
للنار ولم يجر لها ذكر لان ذكر العذاب دل عليها ويجوز أن يكون ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر
أو ضمير القصة ولظى علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب ويجوز أن يراد اللهب نزاعة
خبر بعد خبر لان أو خبر للظى ان كانت الهاء ضمير القصة أو صفة له ان أردت اللهب والتأنيث
لانه في معنى النار أو رفع على التهويل أي هي نزاعة وقرئ نزاعة بالنصب على الحال المؤكدة أو على أنها
متلظية نزاعة أو على الاختصاص للتهويل والشوى الأطراف أو جمع شواة وهي جلدة الرأس تنزعها
نزعا فتبتكها ثم تعاد تدعوا مجاز عن احضارهم كأنها تدعوهم فتحضرهم ونحوه قول ذي الرمة
تدعو أنفه الريب وقوله ليالي اللهو تطبيني فأتبعه كأنني ضارب في غمرة لعب
وقول أبي النجم تقول للرائد أعشبت انزل وقيل تقول لهم الي الي يا كافر يا منافق وقيل
تدعو المكذبين والمنافقين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب فيجوز أن يخلق الله فيها كلاما
كما يخلقه في جلودهم وأيديهم وأرجلهم وكما خلقه في الشجرة ويجوز أن يكون دعاء الزبانية وقيل
تدعو تهلك من قول العرب دعاك الله أي أهلكك قال دعاك الله من رجل بأفعى من أدبر عن الحق
وتولى عنه وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد الزكاة والحقوق الواجبة فيه وتشاغل به عن
الدين وزهي باقتنائه وتكبر أريد بالانسان الناس فاستثنى منه الا المصلين والهلع سرعة الجزع
وعن أحمد بن يحيى ثعلب قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله ولا يكون تفسير
أبلغ من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر أظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه الناس
والخير المال والغنى والشر الفقر أو الصحة والمرض اذا صح الغني منع المعروف وشح
بماله واذا مرض جزع وأخذ يوصي والمعنى أن الانسان لايثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه
ورسوخهما فيه كأنه مجبول عليهما مطبوع وكأنه أمر خلقي وضروري غير اختياري كقوله
خلق الانسان من عجل والدليل عليه أنه حين كان في البطن والمهد لم يكن به هلع ولأنه ذم والله
لا يذم فعله والدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم وحملوها على المكاره وظلفوها
عن الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين وعن النبي صلى الله عليه وسلم شر ما أعطي ابن آدم شح
هالع وجبن خالع فان قلت كيف قال على صلاتهم دائمون ثم على صلاتهم يحافظون قلت معنى
دوامهم عليها أن يواظبوا على أدائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل كما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل العمل أدومه وان قل وقول عائشة كان عمله ديمة ومحافظتهم عليها
أن يراعوا اسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا أركانها ويكملوها بسننها وآدابها ويحفظوها
من الاحباط باقتراف المآثم فالدوام يرجع الى أنفس الصلوات والمحافظة الى أحوالها حق
معلوم هو الزكاة لانها مقدرة معلومة أو صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في أوقات معلومة
السائل الذي يسأل والمحروم الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم يصدقون بيوم الدين
تصديقا بأعمالهم واستعدادهم له ويشفقون من عذاب ربهم واعترض بقوله ان عذاب ربهم غير مأمون
أي لا ينبغي لأحد وان بالغ في الطاعة والاجتهاد أن يأمنه وينبغي أن يكون مترجحا بين الخوف والرجاء
وقرئ بشهاداتهم والشهادة من جملة الامانات وخصها من بينها اظهارا لفضلها لان في اقامتها
احياء الحقوق وتصحيحها وفي زيها تضييعها وابطالها كان المشركون يحتفون حول رسول
الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزؤن بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة
كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت مهطعين مسرعين نحوك مادين أعناقهم اليك مقبلين
بأبصارهم عليك عزين فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة كأن كل فرقة تعتزي الى غير
من تعتزي اليه الأخرى فهم مفترقون قال الكميت ونحن وجندل باغ تركنا كتائب جندل شتى عزينا

وقيل كان المستهزؤن خمسة أرهط كلا ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة ثم علل ذلك بقوله انا خلقناهم
مما يعلمون الى آخر السورة وهو كلام دال على انكارهم البعث فكأنه قال كلا انهم منكرون للبعث
والجزاء فمن أين يطمعون في دخول الجنة فان قلت من أي وجه دل هذا الكلام على انكار البعث قلت
من حيث انه احتجاج عليهم بالنشأة الأولى كالاحتجاج بها عليهم في مواضع من التنزيل وذلك قوله
انا خلقناهم مما يعلمون أي من النطف وبالقدرة على أن نهلكهم ونبدل ناسا خيرا منهم وانه
ليس بمسبوق على ما يريد تكوينه لا يعجزه شيء والغرض أن من قدر على ذلك لم تعجزه الاعادة ويجوز
أن يراد انا خلقناهم مما يعلمون أي من النطفة المذرة وهي منصبهم الذي لا منصب أوضع منه
فلذلك أبهم وأخفى اشعارا بأنه منصب يستحيي من ذكره فمن أين يتشرفون ويدعون
التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل معناه انا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني آدم
كلهم ومن حكمنا أن لا يدخل أحد منهم الجنة الا بالايمان والعمل الصالح فلم يطمع أن يدخلها
من ليس له ايمان ولا عمل وقرئ برب المشرق والمغرب ويخرجون ويخرجون من الأجداث سراعا
بالاظهار والادغام نصب ونصب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله يوفضون يسرعون
الى الداعي مستبقين كما كانوا يستبقون الى أنصابهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل
سائل أعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ان أنذر أصله بأن أنذر فحذف الجار وأوصل الفعل
وهي ان الناصبة للفعل والمعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أي أرسلناه بالأمر بالانذار ويجوز أن تكون
مفسرة لأن في الارسال معنى القول وقرأ ابن مسعود أنذر بغير أن على ارادة القول ان اعبدوا الله نحو أن أنذر
في الوجهين فان قلت كيف قال ويؤخركم مع اخباره بامتناع تأخير الأجل وهل هذا الا تناقض قلت قضى الله
مثلا أن قوم نوح ان آمنوا عمرهم ألف سنة وان بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم
الى أجل مسمى أي الى وقت سماه الله وضربه أمدا تنتهون اليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الأطول تمام الألف
ثم أخبر أنه اذا جاء ذلك الأجل الأمد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا في أوقات الامهال
والتأخير ليلا ونهارا دائبا من غير فتور مستغرقا به الأوقات كلها فلم يزدهم دعائي جعل الدعاء فاعل زيادة
الفرار والمعنى على أنهم ازدادوا عنده فرارا لأنه سبب الزيادة ونحوه فزادتهم رجسا الى رجسهم فزادتهم
ايمانا لتغفر لهم ليتوبوا عن كفرهم فتغفر لهم فذكر المسبب الذي هو حظهم خالصا ليكون أقبح لاعراضهم
عنه سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم وتغطوا بها كأنهم طلبوا أن
تغشاهم ثيابهم أو تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر الى وجه من ينصحهم في دين الله وقيل لئلا يعرفهم
ويعضده قوله ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم الاصرار من أصر الحمار على العانة
اذا صر أذنيه وأقبل عليها يكدمها ويطردها استعير للاقبال على المعاصي والاكباب عليها واستكبروا وأخذتهم
العزة من اتباع نوح وطاعته وذكر المصدر تأكيد ودلالة على فرط استكبارهم وعتوهم فان قلت ذكر أنه
دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم في السر والعلن فيجب أن تكون ثلاث دعوات مختلفات
حتى يصح العطف قلت قد فعل عليه السلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتداء بالأهون والترقي
في الأشد فالأشد فافتتح بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان
ومعنى ثم الدلالة على تباعد الأحوال لأن الجهار أغلظ من الاسرار والجمع بين الأمرين أغلظ من افراد أحدهما
وجهارا منصوب بدعوتهم نصب المصدر لأن الدعاء أحد نوعيه الجهار فنصب به نصب القرفصاء بقعد
لكونها أحد أنواع القعود أو لأنه أراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز أن يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء
جهارا أي مجاهرا به أو مصدرا في موضع الحال أي مجاهرا أمرهم بالاستغفار الذي هو التوبة عن الكفر
والمعاصي وقدم اليهم الموعد بما هو أوقع في نفوسهم وأحب اليهم من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة
ترغيبا في الايمان وبركاته والطاعة ونتائجها من خير الدارين كما قال وأخرى تحبونها نصر من الله
وفتح قريب ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم
من ربهم لأكلوا من فوقهم وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة
حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة وروي سبعين فوعدهم أنهم ان آمنوا رزقهم
الله الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه وعن عمر أنه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رأيناك
استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر شبه الاستغفار بالأنواء الصادقة
التي لا تخطئ وعن الحسن أن رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر وآخر
قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال
يشكون أبوابا ويسألون أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الآية والسماء المظلة
لأن المطر منها ينزل الى السحاب ويجوز أن يراد السحاب أو المطر من قوله اذا نزل السماء بأرض قوم
والمدرار الكثير الدرور ومفعال مما يستوي فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل أو امرأة معطار أو
متفال جنات بساتين لا ترجون لله وقارا لا تأملون له توقيرا أي تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون
على حال تأملون فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار

وقوله **وقد خلقكم اطوارا** في موضع الحال كانه قال ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهي حال موجبة للايمان به لانه خلقكم اطوارا اي تارات خلقكم اولا ترابا ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما ثم انشاكم خلقا آخر او لا تخافون لله حلما وترك معاجلة بالعقاب فتؤمنوا وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس لا تخافون لله عاقبة لان العاقبة حال استقرار الامور وثبات الثواب والعقاب من وقر اذا ثبت واستقر ۞ نبههم على النظر في انفسهم اولا لانها اقرب منظور فيه منهم ثم على النظر في العالم وما سوي فيه من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه من السموات والارض والشمس والقمر **فيهن** في السموات وهو في السماء الدنيا لان بين السموات ملابسة من حيث انها طباق فجاز ان يقال فيهن كذا وان لم يكن في جميعهن كما يقال في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر ان الشمس والقمر وجوههما مما يلي السماء وظهورهما مما يلي الارض **وجعل الشمس سراجا** يبصر اهل الدنيا في ضوئها كما يبصر اهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره والقمر ليس كذلك انما هو نور لم يبلغ قوة ضياء الشمس ومثله قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء اقوى من النور **انبتكم** استعير الانبات للانشاء كما يقال زرعك الله للخير وكانت هذه الاستعارة ادل على الحدوث لانهم اذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات ومنه قيل للحشوية النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم في الاسلام من غير اولية لهم فيه ومنه قولهم نجم فلان لبعض المارقة والمعنى **انبتكم** فنبتم نباتا او نصب بانبتكم لتضمنه معنى نبتم **ثم يعيدكم فيها** مقبورين **ويخرجكم** يوم القيامة واكده بالمصدر كانه قال يخرجكم حقا ولا محالة **جعلها بساطا** مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه **فجاجا** واسعة منفجة **واتبعوا** رؤساءهم المقدمين اصحاب الاموال والاولاد وارتسموا ما رسموا لهم من التمسك بعبادة الاصنام وجعل اموالهم واولادهم التي لم تزدهم الا وجاهة ومنفعة في الدنيا زائدة خسارا في الآخرة واجرى ذلك مجرى صفة لازمة لهم وسمة يعرفون بها تحقيقا له وتثبيتا وابطالا لما سواه وقرئ وولده بضم الواو وكسرها **ومكروا** معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه في معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح وتحريش الناس على اذاه وصدهم عن الميل اليه والاستماع وقولهم لهم لا تذرن آلهتكم الى عبادة رب نوح **مكرا كبارا** قرئ بالتخفيف والتثقيل والكبار اكبر من الكبير والكبار اكبر من الكبار ونحوه طوال وطوال **ولا تذرن ودا** كأن هذه المسماة كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فخصوها بعد قولهم لا تذرن آلهتكم وقد انتقلت هذه الاصنام عن قوم نوح الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير ولذلك سمت العرب بعبد ود وعبد يغوث وقيل هي اسماء رجال صالحين وقيل من اولاد آدم ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو وقرأ الاعمش ولا يغوثا ويعوقا بالصرف وهذه قراءة مشكلة لانهما ان كانا عربيين او عجميين ففيهما سببا منع الصرف اما التعريف ووزن الفعل واما التعريف والعجمة ولعله قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته اخواتهما منصرفات ودا وسواعا ونسرا كما قرئ وضحاها لوقوعه مع الممالات للازدواج **وقد اضلوا** الضمير للرؤساء ومعناه وقد اضلوا باضلالهم كثيرا يعني ان هؤلاء المضلين فيهم كثرة ويجوز ان يكون للاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا من الناس **فان قلت** علام عطف قوله **ولا تزد الظالمين** **قلت** على قوله رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو النائبة عنه ومعناه قال رب انهم عصوني وقال لا تزد الظالمين الا ضلالا اي قال هذين القولين وهما في محل النصب لانهما مفعولا قال كقولك قال زيد نودي للصلاة وصل في المسجد تحكي قوليه معا معطوفا احدهما على صاحبه **فان قلت** كيف جاز ان يريد لهم الضلال ويدعو الله بزيادته **قلت** المراد بالضلال ان يخذلوا ويمنعوا الالطاف لتصميمهم على الكفر ووقوع اليأس من ايمانهم وذلك حسن جميل يجوز الدعاء به بل لا يحسن الدعاء بخلافه ويجوز ان يريد بالضلال الضياع والهلاك كقوله ولا تزد الظالمين الا تبارا ۞ تقديم **مما خطيئاتهم** لبيان ان لم يكن اغراقهم بالطوفان فادخالهم النار الا من اجل خطيئاتهم واكد هذا المعنى بزيادة ما وفي قراءة ابن مسعود من خطيئاتهم ما اغرقوا بتأخير الصلة وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا فان كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وان كانت كبراهن وقد نعيت عليهم سائر خطيئاتهم كما نعي عليهم كفرهم ولم يفرق بينه وبينهن في استيجاب العذاب لئلا يتكل المسلم على اسلامه ويعلم ان معه ما يستوجب به العذاب وان خلا من الخطيئة الكبرى وقرئ خطيئاتهم بقلب الياء واوا وادغامها فيها وخطاياهم وخطيئتهم بالتوحيد على ارادة الجنس ويجوز ان يراد الكفر **فادخلوا نارا** جعل دخولهم النار في الآخرة كانه متعقب لاغراقهم لاقترابه ولانه كائن

لا محالة فكأنه قد كان او اريد عذاب القبر ومن مات في ماء او في نار او اكلته السباع والطير اصابه ما يصيب المقبور من العذاب وعن الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب بالنار اما لتعظيمها او لان الله اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار **فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا** تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم كانه قال فلم يجدوا لهم من دون الله آلهة ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا **ديارا** من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد وميت ولو كان فعالا لكان دوارا **فان قلت** بم علم ان اولادهم يكفرون وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة **قلت** لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فذاقهم وعرف طباعهم واحوالهم وكان الرجل ينطلق بابنه اليه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان ابي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك وقد اخبره الله عز وجل انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ومعنى **ولا يلدوا الا فاجرا كفارا** لا يلدوا الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه **ولوالدي** ابوه لمك بن متوشلخ وامه شمخاء بنت انوش كانا مؤمنين وقيل آدم وحواء وقرأ الحسين بن علي ولولدي يريد ساما وحاما **بيتي** منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي خص اولا من يتصل به لانهم اولى واحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات **تبارا** هلاكا **فان قلت** ما ذنب صبيانهم حين اغرقوا **قلت** غرقوا معهم لا على وجه العقاب ولكن كما يموتون بالانواع من اسباب الموت وكم منهم من يموت بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة في عذاب الآباء والامهات اذا ابصروا اطفالهم يغرقون ومنه قوله عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله ارحام نسائهم وايبس اصلاب رجالهم قبل الطوفان باربعين او سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين اغرقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

سورة الجن وهي ثمان وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحي قرئ أحي واصله وحي يقال اوحى اليه ووحى اليه فقلبت الواو همزة كما يقال اعد وازن وقرئ وقتت وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة وقد اطلقه المازني في المكسورة ايضا كاشاح واسادة واعاء اخيه وقرأ ابن ابي عبلة وحي على الاصل **انه استمع** بالفتح لانه فاعل اوحي **وانا سمعنا** بالكسر لانه مبتدأ محكي بعد القول ثم تحمل عليهما البواقي فما كان من الوحي فتح وما كان من قول الجن كسر وكلهن من قولهم الا الثنتين الاخريين وان المساجد وانه لما قام ومن فتح كلهن فعطفا على محل الجار والمجرور في آمنا به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا وانه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقي **نفر من الجن** جماعة منهم ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل كانوا من الشيصبان وهم اكثر الجن عددا وعامة جنود ابليس منهم **فقالوا انا سمعنا** اي قالوا لقومهم حين رجعوا اليهم كقوله فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين قالوا انا سمعنا كتابا **عجبا** بديعا مباينا لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه قائمة فيه دلائل الاعجاز وعجب مصدر يوضع موضع العجيب وفيه مبالغة وهو ما خرج عن حد اشكاله ونظائره **يهدي الى الرشد** يدعو الى الصواب وقيل الى التوحيد والايمان والضمير في **به** للقرآن ولما كان الايمان به ايمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا **ولن نشرك بربنا احدا** اي ولن نعود الى ما كنا عليه من الاشراك به في طاعة الشيطان ويجوز ان يكون الضمير لله عز وجل لان قوله بربنا يفسره **جد ربنا** عظمته من قولك جد فلان في عيني اي عظم وفي حديث عمر رضي الله عنه كان الرجل منا اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا وروي في اعيننا او ملكه وسلطانه او غناه استعارة من الجد الذي هو الدولة والبخت لان الملوك والاغنياء هم المجدودون والمعنى وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه وملكوته او لغناه وقوله **ما اتخذ صاحبة ولا ولدا** بيان لذلك وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اي صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا على الخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله بخلقه واتخاذه صاحبة وولدا فاستعظموه ونزهوه عنه **سفيهنا** ابليس لعنه الله او غيره من مردة الجن **والشطط** مجاوزة الحد في الظلم وغيره ومنه اشط في السوم اذا ابعد فيه اي يقول قولا هو في نفسه شطط لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله وكنا في ظننا ان احدا من الثقلين لن يكذب على الله ولن يفتري عليه ما ليس بحق فكنا نصدقهم فيما اضافوا اليه من ذلك حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم وافتراؤهم **كذبا** قولا كذبا او مكذوبا فيه او نصب نصب المصدر لان الكذب نوع من القول ومن قرأ ان لن تقول وضع كذبا موضع تقولا ولم يجعله صفة لان التقول لا يكون الا كذبا **رهقا** غشيان المحارم والمعنى ان الانس باستعاذتهم بهم زادوهم كبرا وكفرا وذلك ان الرجل من العرب كان اذا امسى في واد قفر في بعض مسابعه وخاف على نفسه قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الجن والانس فذلك رهقهم او فزاد الجن الانس رهقا باغوائهم واضلالهم

لاستعاذتهم بهم • وانهم وان الانس ظنوا كما ظننتم وهو من كلام الجن يقوله بعضهم لبعض • وقيل الآيتان من جملة الوحي والضمير في وانهم ظنوا للجن والخطاب في ظننتم لكفار قريش • اللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف قال ٥ مسسنا من الآباء شيئا وكلنا ٥ الى نسب في قومه غير واضع ٥ يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه • ونحوه الجس وقولهم جسوه باعينهم وتجسسوه • والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام اهلها • والحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب الى معناه لقيل شدادا ونحوه ٥ اخشى رجيلا او ركيبا غاديا ٥ لان الرجل والركب مفردان في معنى الرجال والركاب • والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع • ويجوز ان يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد او كقوله ٥ ومعا جياعا ٥ يعني يجد شهابا راصدا له ولاجله • فان قلت كأن الرجم لم يكن في الجاهلية وقد قال الله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فذكر فائدتين في خلق الكواكب التزيين ورجم الشياطين قلت قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله عم وهو احدى آياته • والصحيح انه كان قبل المبعث وقد جاء ذكره في شعر اهل الجاهلية قال بشر بن ابي خازم ٥ والعير يرهقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكوكب ٥ وقال اوس بن حجر ٥ فانقض كالدري يتبعه نقع يثور تخاله طنبا ٥ وقال عوف بن الخرع ٥ يرد علينا العير من دون الفه او الثور كالدري يتبعه الدم ٥ ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الاحوال فلما بعث رسول الله عم كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا • وعن معمر قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت ارأيت قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد فقال غلظت وشدد امرها حين بعث النبي عم • وروى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس بينا رسول الله عم جالس في نفر من الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم • وفي قوله ملئت دليل على ان الحادث هو الملء والكثرة وكذلك قوله نقعد منها مقاعد اي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها • وهذا ذكر ما حملهم على الضرب في البلاد حتى عثروا على رسول الله عم واستمعوا قراءته يقولون لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قلنا ما هذا الا لامر اراده الله باهل الارض ولا يخلو من ان يكون شرا او رشدا اي خيرا من عذاب او رحمة او من خذلان او توفيق • منا الصالحون الابرار المتقون

ومنا دون ذلك ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم • وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه • او ارادوا غير الصالحين • كنا طرائق قددا بيان للقسمة المذكورة اي كنا ذوي مذاهب متفرقة مختلفة • او كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة • او كنا في طرائق مختلفة كقوله ٥ كما عسل الطريق الثعلب • او كانت طرائقنا طرائق قددا على حذف المضاف الذي هو الطرائق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه • والقدد من قد كالقطع من قطع • ووصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق • في الارض حال اي لن نعجزه كائنين في الارض اينما كنا فيها • ولن نعجزه هربا مصدر في موضع الحال • وقيل لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا • والظن بمعنى اليقين • وهذه صفة احوال الجن وما هم عليه من احوالهم وعقائدهم منهم اخيار واشرار ومقتصدون • وانهم يعتقدون ان الله عز وجل غالب لا يفوته مطلب ولا ينجي منه مهرب • لما سمعنا الهدى هو سماعهم القرآن وايمانهم به • فلا يخاف فهو لا يخاف اي فهو غير خائف • ولان الكلام في تقدير مبتدأ وخبر دخلت الفاء ولولا ذلك لقيل لا يخف • فان قلت اي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبرا له ووجوب ادخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه • قلت الفائدة فيه انه اذا فعل ذلك فكانه قيل فهو لا يخاف فكان دالا على تحقيق ان المؤمن ناج لا محالة وانه هو المختص بذلك دون غيره • وقرأ الاعمش فلا يخف على النهي • بخسا ولا رهقا اي جزاء بخس ولا رهق لانه لم يبخس احدا حقا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف جزاءهما • وفيه دلالة على ان من حق من آمن بالله ان يجتنب المظالم • ومنه قوله عليه السلام المؤمن من امنه الناس على انفسهم واموالهم • ويجوز ان يراد فلا يخاف ان يبخس بل يجزى الجزاء الاوفى • ولا ان ترهقه ذلة من قوله عز وجل وترهقهم ذلة • القاسطون الكافرون الجائرون عن طريق الحق • وعن سعيد بن جبير ان الحجاج قال له حين اراد قتله ما تقول في قال قاسط عادل • فقال القوم ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل • فقال الحجاج يا جهلة انه سماني ظالما مشركا • وتلا لهم قوله واما القاسطون • وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون • وقد زعم من لا يرى للجن ثوابا ان الله عز وعلا اوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم • وكفى به وعدا ان قال فاولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب وموجبه • والله اعدل من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد • وان لو استقاموا ان مخففة من الثقيلة وهو من جملة الوحي • والمعنى واوحي الي ان الشان والحديث لو استقام الجن على الطريقة المثلى • اي لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة ولم يستكبر عن السجود لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الاسلام لانعمنا عليهم

ولوسعنا رزقهم • وذكر الماء الغدق وهو الكثير بفتح الدال وكسرها • وقرئ بهما لانه اصل المعاش وسعة الرزق • لنفتنهم فيه لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا منه • ويجوز ان يكون معناه وان لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها الى الاسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنفتنهم فيه لتكون النعمة سببا في اتباعهم شهواتهم ووقوعهم في الفتنة وازديادهم اثما • او لنعذبهم في كفران النعمة • عن ذكر ربه عن عبادته • او عن موعظته • او عن وحيه • يسلكه وقرئ بالنون مفتوحة ومضمومة اي ندخله عذابا • والاصل نسلكه في عذاب كقوله ما سلككم في سقر فعدي الى مفعولين اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه • واما بتضمينه معنى ندخله • يقال سلكه واسلكه قال ٥ حتى اذا اسلكوهم في قتائدة ٥ شلا كما تطرد الجمالة الشردا ٥ والصعد مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب اي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه • ومنه قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح • يريد ما شق علي وما غلبني • وان المساجد من جملة الوحي • وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا اي فلا تدعوا مع الله احدا في المساجد لانها لله خاصة ولعبادته • وعن الحسن يعني الارض كلها لانها جعلت للنبي عم مسجدا • وقيل المراد بها المسجد الحرام لانه قبلة المساجد • ومنه قوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه • وعن قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا بيعهم وكنائسهم اشركوا بالله • فامرنا ان نخلص لله الدعوة اذا دخلنا المساجد • وقيل المساجد اعضاء السجود السبعة قال رسول الله عم امرت ان اسجد على سبعة آراب وهي الجبهة والانف واليدان والركبتان والقدمان • وقيل هي جمع مسجد وهو السجود • عبد الله النبي عم • فان قلت هلا قيل رسول الله او النبي • قلت لان تقديره واوحي الي انه لما قام عبد الله فلما كان واقعا في كلام رسول الله عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل • او لان المعنى ان عبادة عبد الله لله ليست بامر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبدا • ومعنى قام يدعوه قام يعبده يريد قيامه لصلاة الفجر بنخلة حين اتاه الجن فاستمعوا لقراءته • كادوا يكونون عليه لبدا اي يزدحمون عليه متراكمين تعجبا مما رأوا من عبادته واقتداء اصحابه به قائما وراكعا وساجدا • واعجابا بما تلا من القرآن • لانهم رأوا ما لم يروا مثله • وسمعوا ما لم يسمعوا بنظيره • وقيل معناه لما قام رسولا يعبد الله وحده مخالفا للمشركين في عبادتهم الآلهة من دونه كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكمين • لبدا جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض • ومنها لبدة الاسد • وقرئ لبدا • واللبدة في معنى اللبدة • ولبدا جمع لابد كساجد وسجد • ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر • وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله الا ان ينصره ويظهره على من ناواه • ومن قرأ وانه بالكسر جعله من كلام الجن قالوه لقومهم حين رجعوا اليهم حاكين ما رأوا من صلاته وازدحام اصحابه عليه في ائتمامهم به • قال للمتظاهرين عليه انما ادعوا ربي يريد ما اتيتكم بامر منكر انما اعبد ربي وحده • ولا اشرك به احدا • وليس ذلك مما يوجب اطباقكم على مقتي وعداوتي • او قال للجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون من عبادتي لله ورفضي الاشراك به بامر يتعجب منه انما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شريكا • او قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله عم • ولا رشدا ولا نفعا • او اراد بالضر الغي • ويدل عليه قراءة ابي غيا ولا رشدا • والمعنى لا استطيع ان اضركم وان انفعكم • انما الضار والنافع الله • او لا استطيع ان اقسركم على الغي والرشد انما القادر على ذلك الله عز وجل • الا بلاغا استثناء منه اي لا املك الا بلاغا من الله • قل اني لن يجيرني جملة معترضة اعترض بها لتاكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه على معنى ان الله عز وجل ان اراد به سوءا من مرض او موت او غيرهما لم يصح ان يجيره منه احد • او يجد من دونه ملاذا يأوي اليه • والملتحد الملتجا واصله المدخل من اللحد • وقيل محيصا ومعدلا • وقرئ قال لا املك اي قال عبد الله للمشركين او للجن • ويجوز ان يكون من حكاية الجن لقومهم • وقيل بلاغا بدل من ملتحدا اي لن اجد من دونه منجا الا ان ابلغ ما ارسلني به • وقيل الا هي ان لا ومعناه ان لا ابلغ بلاغا كقولك ان لا قياما فقعودا • ورسالاته عطف على بلاغا كانه قيل لا املك لكم الا التبليغ والرسالات • والمعنى الا ان ابلغ عن الله • فاقول قال الله كذا ناسبا لقوله اليه • وان ابلغ رسالاته التي ارسلني بها من غير زيادة ولا نقصان • فان قلت الا يقال بلغ عنه • ومنه قوله عليه السلام بلغوا عني • قلت من ليست بصلة للتبليغ انما هي بمنزلة من في قوله براءة من الله بمعنى بلاغا كائنا من الله • وقرئ فان له نار جهنم على فجزاؤه ان له نار جهنم كقوله فان لله خمسه • خالدين حملا على معنى الجمع في من • فان قلت بم تعلق حتى وجعل ما بعده غاية له • قلت بقوله يكونون عليه لبدا على انهم يتظاهرون عليه بالعداوة • ويستضعفون انصاره • ويستقلون عدده • حتى اذا رأوا ما يوعدون من يوم بدر واظهار الله له عليهم • او من يوم القيامة • فسيعلمون حينئذ انهم اضعف ناصرا واقل عددا • ويجوز ان يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده كانه قال لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا رأوا ما يوعدون • قال المشركون متى يكون هذا الموعود انكارا له فقيل قل انه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه فان الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد • واما وقته فما ادري متى يكون لان الله لم يبينه لما رأى في اخفاء وقته من المصلحة • فان قلت ما معنى قوله ام يجعل له ربي امدا • والامد يكون قريبا وبعيدا

الا ترى الى قوله تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا • قلت كان رسول الله صلعم يستقرب الموعد فكانه قال ما ادري
اهو حال متوقع في كل ساعة ام مؤجل ضربت له غاية • اي هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع • الا من ارتضى من رسول
تبيين لمن ارتضى يعني انه لا يطلع على الغيب الا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى
وفي هذا ابطال للكرامات لان الذين تضاف اليهم وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل
وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد
شيء من الارتضاء وادخله في السخط • فانه يسلك من بين يديه يدي من ارتضى للرسالة ومن خلفه رصدا حفظة من الملائكة يحفظونه
من الشياطين يطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ ما اوحي اليه • وعن الضحاك
ما بعث نبي الا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك • ليعلم الله ان قد ابلغوا
رسالات ربهم يعني الانبياء وحد اولا على اللفظ في قوله من بين يديه ومن خلفه • ثم جمع على المعنى كقوله • فان له نار جهنم
خالدين • والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة والنقصان • وذكر العلم كذكره في قوله تعالى
حتى نعلم المجاهدين • وقرئ ليعلم على البناء للمفعول • واحاط بما لديهم بما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها
شيء ولا ينسى منها حرفا فهو حافظ لها • واحصى كل شيء عددا من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحار فكيف لا
يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه • وعددا حال اي وضبط كل شيء معدودا محصورا • او مصدر في معنى
احصاء • عن رسول الله صلعم من قرا سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا صلعم او كذب به عتق رقبة ○

سورة المزمل مكية وهي تسع عشرة او عشرون آية ○ بسم الله الرحمن الرحيم

المزمل المتزمل وهو الذي
تزمل في ثيابه اي تلفف بها بادغام التاء في الزاي • ونحوه المدثر في المتدثر • وقرئ المتزمل على الاصل • والمزمل
بتخفيف الزاي وفتح الميم وكسرها على انه اسم فاعل او مفعول من زمله وهو الذي زمله غيره او زمل نفسه
وكان رسول الله صلعم نائما بالليل متزملا في قطيفة فنبه ونودي بما يهجن اليه الحالة التي كان عليها من التزمل
في قطيفة واستعداده للاستثقال في النوم كما يفعل من لا يهمه امر ولا يعنيه شان الا ترى الى قول ذي الرمة ○
وكائن تخطت ناقتي من مفازة ○ ومن نائم عن ليلها متزمل ○ يريد الكسلان المتقاعس الذي لا ينهض في معاظم الامور
وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب • ونحوه • سهدا اذا ما نام ليل الهوجل • وفي امثالهم
اوردها سعد وسعد مشتمل • ما هكذا تورد يا سعد الابل • فذمه بالاشتمال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجلد
والكيس • وامر بان يختار على الهجود التهجد • وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة والمجاهدة في الله • لا جرم
ان رسول الله صلعم قد تشمر لذلك مع اصحابه حق التشمر • واقبلوا على احياء لياليهم • ورفضوا له الرقاد والدعة
وتجاهدوا فيه حتى انتفخت اقدامهم • واصفرت الوانهم وظهرت السيماء في وجوههم وترامى امرهم الى حد رحمهم
له ربهم فخفف عنهم • وقيل كان متزملا في مرط لعائشة يصلي فهو على هذا ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين
لحاله التي كان عليها • وامر بان يدوم على ذلك ويواظب عليه • وعن عائشة انها سئلت ما كان تزميله قالت كان
مرطا طوله اربع عشرة ذراعا نصفه علي وانا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي • فسئلت ما كان قالت والله
ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزا ولا ابريسما ولا صوفا • كان سداه شعرا ولحمته وبرا • وقيل دخل
على خديجة وقد جئث فرقا اول ما اتاه جبريل وبوادره ترعد فقال زملوني وحسب انه عرض له
فبينا هو على ذلك اذ ناداه جبريل يا ايها المزمل • وعن عكرمة ان المعنى يا ايها الذي زمل امرا عظيما اي حمله
والزمل الحمل وازدمله احتمله • وقرئ قم الليل بضم الميم وفتحها • قال عثمان بن جني الغرض بهذه الحركة التبلغ بها
هربا من التقاء الساكنين فبأي الحركات تحرك فقد وقع الغرض • نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف
كانه قال قم اقل من نصف الليل والضمير في منه وعليه للنصف • والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من
النصف على البت وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه • وان شئت جعلت نصفه
بدلا من قليلا • وكان تخييرا بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه • وبين قيام الناقص منه • وبين قيام
الزائد عليه • وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل • وان شئت قلت لما كان معنى قم الليل الا قليلا
نصفه اذا ابدلت النصف من الليل قم اقل من نصف الليل • رجع الضمير في منه وعليه الى الاقل من النصف فكان
التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث • ويجوز اذا ابدلت نصفه من قليلا وفسرته به ان تجعل قليلا الثاني بمعنى نصف
النصف وهو الربع كانه قيل او انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل اعني الربع نصف الربع كانه
قيل او زد عليه قليلا نصفه • ويجوز ان تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا بين النصف
والثلث والربع • فان قلت اكان القيام فرضا ام نفلا • قلت عن عائشة رضي الله عنها ان الله جعله تطوعا
بعد ان كان فريضة • وقيل كان فرضا قبل ان تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بهن الا ما تطوعوا به • وعن الحسن
كان قيام ثلث الليل فريضة وكانوا على ذلك سنة • وقيل كان واجبا • وانما وقع التخيير في المقدار ثم نسخ
بعد عشر سنين • وعن الكلبي كان يقوم الرجل حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ ما بين النصف والثلث والثلثين
ومنهم من قال كان نفلا بدليل التخيير في المقدار • ولقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك • ترتيل القرآن
قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف واشباع الحركات حتى يجيء المتلو منه شبيها بالثغر المرتل
وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان • وان لا يهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر رضي الله عنه

شر السير الحقحقة • وشر القراءة الهذرمة • حتى يشبه المتلو في تتابعه الثغر الالص • وسئلت عائشة رضي الله عنها
عن قراءة رسول الله صلعم فقالت لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها • وترتيلا تاكيد
في ايجاب الامر به وانه لا بد منه للقارئ • هذه الاية اعتراض • ويعني بالقول الثقيل القرآن
وما فيه من الاوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين خاصة على رسول الله صلعم لانه متحملها
بنفسه ومحملها امته فهي اثقل عليه وابهظ له • واراد بهذا الاعتراض ان ما كلفه من قيام الليل من جملة
التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن • لان الليل وقت السبات والراحة والهدوء • فلا
بد لمن احياه من مضادة لطبعه • ومجاهدة لنفسه • وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان اذا نزل عليه الوحي ثقل
عليه وتربد له جلده • وعن عائشة رضي الله عنها رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم
عنه وان جبينه ليرفض عرقا • وعن الحسن ثقيل في الميزان • وقيل ثقيل على المنافقين • وقيل كلام
له وزن ورجحان ليس بالسفساف • ناشئة الليل النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعها
الى العبادة اي تنهض وترتفع من نشأت السحابة اذا ارتفعت • ونشأ من مكانه ونشز اذا نهض قال ○
نشأنا الى خوص برى نيها السرى ○ والصق منها مشرفات القماحد ○ او قيام الليل على ان الناشئة مصدر
من نشأ اذا قام ونهض على فاعلة كالعافية • ويدل عليه ما روي عن عبيد بن عمير قلت لعائشة رجل قام من
اول الليل اتقولين له قام ناشئة قالت لا انما الناشئة القيام بعد النوم • ففسرت الناشئة بالقيام عن
المضجع • او العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث وترتفع • وقيل هي ساعات الليل كلها لانها تحدث واحدة بعد
اخرى • وقيل الساعات الاول منه • وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما انه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول
اما سمعتم قول الله تعالى ان ناشئة الليل • هي اشد وطئا هي خاصة دون ناشئة النهار اشد مواطأة
يواطئ قلبها لسانها ان اردت النفس • او يواطئ فيها قلب القائم لسانه ان اردت القيام او العبادة او الساعات
او اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص • وعن الحسن اشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية
الخلائق • وقرئ اشد وطأ بالفتح والكسر • والمعنى اشد ثبات قدم وابعد من الزلل او اثقل واغلظ
على المصلي من صلاة النهار • من قوله عليه السلام اللهم اشدد وطأتك على مضر • واقوم قيلا واشد مقالا واثبت
قراءة لهدو الاصوات • وعن انس رضي الله عنه انه قرأ واصوب قيلا فقيل له يا ابا حمزة انما هي واقوم فقال ان اقوم
واصوب واهيأ واحد • وروى ابو زيد الانصاري عن ابي سرار الغنوي انه كان يقرأ فحاسوا خلال الديار بالحاء غير
معجمة فقيل له انما هو جاسوا بالجيم فقال جاسوا وحاسوا واحد • سبحا تصرفا وتقلبا في مهماتك
وشواغلك ولا تفرغ الا بالليل فعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل • واما القراءة
بالخاء فاستعارة من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه لانتشار الهم وتفرق القلب بالشواغل كلفه
قيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو ان الليل اعون على المواطأة واشد للقراءة لهدو الرجل وخفوت
الصوت • وانه اجمع للقلب واضم لنشر الهم من النهار لانه وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب
في حوائج المعاش والمعاد • وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك • وقيل ان فاتك شيء من الليل فلك
في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه • واذكر اسم ربك ودم على ذكره في ليلك ونهارك واحرص عليه وذكر الله
يتناول كل ما كان من ذكر طيب تسبيح وتكبير وتهليل وتمجيد وتوحيد • وصلاة وتلاوة قرآن • ودراسة علم
وغير ذلك مما كان رسول الله صلعم يستغرق به ساعات ليله ونهاره • وتبتل اليه وانقطع اليه • فان قلت كيف قال
تبتيلا مكان تبتلا • قلت لان معنى تبتل بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل • رب المشرق والمغرب
قرئ مرفوعا على المدح ومجرورا على البدل من ربك • وعن ابن عباس على القسم باضمار حرف القسم كقولك الله لافعلن
وجوابه لا اله الا هو كما تقول والله لا احد في الدار الا زيد • وقرأ ابن عباس رب المشارق والمغارب • فاتخذه وكيلا
مسبب عن التهليلة لانه هو وحده هو الذي يجب لتوحده بالربوبية ان توكل اليه الامور • وقيل وكيلا
كفيلا بما وعدك من النصر والاظهار • الهجر الجميل ان تجانبهم بقلبك وهواك • وتخالفهم مع حسن المخالقة
والمداراة والاغضاء وترك المكافاة • وعن ابي الدرداء رضي الله عنه انا لنكشر في وجوه قوم ونضحك اليهم وان قلوبنا
لتقليهم • وقيل هو منسوخ باية السيف • ذرني اذا عرف الرجل من صاحبه انه مستاهل بخطب يريد ان يكافئه
او بعقد يشتهي ان ينتقم له منه وهو مضطلع بذلك مقتدر عليه قال ذرني واياه اي لا تحتاج الى الظفر
بمرادك ومشتهاك الا ان تخلي بيني وبينه بان تكل امره الي وتستكفينيه فان في ما يفرغ بالك ويجلي
همك • وليس ثم منع حتى يطلب اليه ان يذره واياه • الا ترك الاستكفاء والتفويض كانه اذا لم يكل اليه
امره فكانه منعه منه فاذا وكله اليه فقد ازال المنع وتركه واياه • وفيه دليل على الوثوق بانه يتمكن
من الوفاء باقصى ما تدور حوله امنية المخاطب وبما يزيد عليه • النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام
وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عين • وهم صناديد قريش وكانوا اهل تنعم وترفه • ان لدينا ما يضاد
تنعمهم من انكال وهي القيود الثقال عن الشعبي اذا ارتفعوا استفلت بهم • الواحد نكل ونكل • ومن جحيم
وهي النار الشديدة الحر والاتقاد • ومن طعام ذي غصة وهو الذي ينشب في الحلوق فلا يسوغ يعني الضريع
وشجر الزقوم • ومن عذاب اليم من سائر العذاب فلا ترى موكولا اليه امرهم موذورا بينه وبينهم

ينتقم منهم بمثله لكان الانتقام. وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق. وعن الحسن انه أمسى صائما فأتي
بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه
وكذلك الليلة الثالثة فأخبر ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء فجاؤوا فلم يزالوا به
حتى شرب شربة من سويق. يوم ترجف منصوب بما في لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة
والكثيب الرمل المجتمع من كثب الشيء اذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول في أصله ومنه الكثبة من اللبن
قالت الضائنة أجز جفالا واحلب كثبا عجالا اي كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا اي نثر
وأسيل. الخطاب لأهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيمة بكفركم وتكذيبكم فان قلت لم نكّر الرسول
ثم عرّف قلت لانه اراد أرسلنا الى فرعون بعض الرسل فلما اعاده وهو معهود بالذكر أدخل
لام التعريف اشارة الى المذكور بعينه وبيلا ثقيلا غليظا من قولهم كلأ وبيل وخيم لا يستمرأ
لثقله والوبيل العصا الضخمة ومنه الوابل للمطر العظيم. يوما مفعول به اي فكيف تتقون انفسكم
يوم القيمة وهوله ان بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا صالحا. ويجوز ان يكون ظرفا اي فكيف لكم
بالتقوى في يوم القيمة ان كفرتم في الدنيا. ويجوز ان ينتصب بكفرتم على تأويل جحدتم اي فكيف تتقون الله
وتخشونه ان جحدتم يوم القيمة والجزاء لان تقوى الله خوف عقابه. يجعل الولدان شيبا
مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال. والاصل فيه ان الهموم والاحزان
اذا تفاقمت على الانسان اسرع فيه الشيب قال ابو الطيب: والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم
وقد مر بي في بعض الكتب ان رجلا امسى فاحم الشعر كحنك الغراب فاصبح وهو ابيض الرأس واللحية كالثغامة
فقال اريت القيمة والجنة والنار في المنام ورأيت الناس يقادون في السلاسل الى النار فمن هول ذلك
اصبحت كما ترون. ويجوز ان يوصف اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة والشيب.
السماء منفطر به وصف لليوم بالشدة ايضا وان السماء على عظمها واحكامها تنفطر فيه فما ظنك بغيرها من
الخلائق. وقرئ منفطر ومتفطر. والمعنى ذات انفطار او على تأويل السماء بالسقف او السماء شيء منفطر
والباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعني انها تنفطر بشدة ذلك اليوم وهوله
كما ينفطر الشيء بما يفطر به. ويجوز ان يراد السماء مثقلة به اثقالا يؤدي الى انفطارها لعظمه عليها
وخشيتها من وقوعه كقوله ثقلت في السموات والارض وعده من اضافة المصدر الى المفعول والضمير لليوم ويجوز
ان يكون مضافا الى الفاعل وهو الله عز وعلا ولم يجر له ذكر لكونه معلوما ان هذه الآيات الناطقة بالوعيد
الشديد تذكرة موعظة لمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا الى الله بالتقوى والخشية ومعنى اتخاذ السبيل الى الله
التقرب والتوسل بالطاعة ادنى من ثلثي الليل اقل منهما وانما استعير الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين
الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك. وقرئ نصفه وثلثه بالنصب على انك تقوم
اقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث وهو مطابق لما مر في اول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه
وبين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه وهو الادنى من الثلثين. وقرئ ونصفه وثلثه
بالجر اي تقوم اقل من الثلثين واقل من النصف والثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو ادنى من الثلثين
والثلث وهو ادنى من النصف والربع وهو ادنى من الثلث وهو الوجه الاخير وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك
جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما الا الله
وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير والمعنى انكم
لا تقدرون عليه. والضمير في لن تحصوه لمصدر يقدر اي علم انه لا يصح منكم ضبط الاوقات ولا يتأتى
حسابها بالتعديل والتسوية الا ان تأخذوا بالاوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم فتاب
عليكم وعفا عنكم بلا تبعة باشروهن. والمعنى انه رفع التبعة في تركه عنكم كما يرفع التبعة عن التائب وعبر
عن الصلوة بالقراءة لانها بعض اركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم
يتعذر من صلوة الليل وهذا ناسخ للاول ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القرآن بعينها
قيل يقرأ مائة آية. ومن قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن. وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل
خمسين آية وقد بين الحكمة في النسخ وهي تعذر القيام على المرضى والضاربين في الارض للتجارة والمجاهدين
في سبيل الله. وقيل سوى الله بين المجاهدين والمكتسبين لكسب الحلال. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء
وعن عبد الله بن عمر ما خلق الله موتة اموتها بعد القتل في سبيل الله احب الي من ان اموت بين شعبتي رحل
اضرب في الارض ابتغي من فضل الله. علم استئناف على تقدير السؤال عن وجه النسخ واقيموا الصلوة يعني المفروضة
والزكوة الواجبة وقيل زكوة الفطر لانه لم يكن بمكة زكاة وانما وجبت بعد ذلك. ومن فسرها بالزكوة الواجبة
جعل آخر السورة مدنيا واقرضوا الله قرضا حسنا يجوز ان يريد سائر الصدقات وان يريد اداء الزكوة
على احسن وجه من اخراج اطيب المال واعوده على الفقراء ومراعاة النية وابتغاء وجه الله والصرف
الى المستحق وان يريد كل شيء يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال خيرا ثاني مفعولي وجد وهو فصل

وحان

وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان أفعل من أشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة. وقرأ ابو السمال هو خير
واعظم اجرا بالرفع على الابتداء والخبر. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة

سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

المدثر لابس الدثار وهو ما فوق الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد ومنه قوله عليه السلام الانصار شعار والناس
دثار. وقيل هي أول سورة نزلت. روى جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت على جبل حراء فنوديت
يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم أر شيئا فنظرت فوقي فرأيت شيئا. وفي رواية
عائشة فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة
فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر. وعن الزهري اول ما نزل سورة اقرأ باسم ربك الى قوله ما لم يعلم
فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فأتاه جبريل فقال انك نبي الله فرجع الى خديجة وقال دثروني
وصبوا علي ماء باردا فنزلت يا ايها المدثر. وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكرا كما يفعل
المغموم فأمر أن لا يدع انذارهم وان اسمعوه وآذوه. وعن عكرمة انه قرأ على لفظ اسم المفعول من دثره
ويقال دثرت هذا الامر وعصب بك كما قال في المزمل. قم من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم فانذر فحذر
قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا. والصحيح ان المعنى فافعل الانذار من غير تخصيص له بأحد وربك فكبر
واختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وان يقال الله اكبر. ويروى انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر فكبرت
خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي. وقد يحمل على تكبير الصلوة. ودخلت الفاء لمعنى الشرط كأنه قيل وما كان
فلا تدع تكبيره وثيابك فطهر أمر بأن تكون ثيابه طاهرة من النجاسات لان طهارة الثياب شرط في الصلوة لا تصح
الا بها وهي الاولى والاحب في غير الصلوة وقبيح بالمؤمن الطيب ان يحمل خبثا. وقيل هو امر بتقصيرها
ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول وذلك مما لا يؤمن معه اصابة النجاسة. وقيل هو امر
بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من العادات. يقال فلان طاهر الثياب وطاهر
الجيب والذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق. وفلان دنس الثياب
للغادر وذلك لان الثوب يلابس الانسان ويشتمل عليه فكني به عنه الا ترى الى قولهم اعجبني زيد
ثوبه كما تقول اعجبني زيد عقله وخلقه. ويقولون المجد في ثوبه والكرم تحت حلته. ولان الغالب
ان من طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الظاهر وتنقيته. وأبى الا اجتناب الخبث وايثار الطهر في كل شيء
والرجز قرئ بالكسر والضم وهو العذاب. ومعناه اهجر ما يؤدي اليه من عبادة الاوثان وغيرها من المآثم
والمعنى الثبات على هجره لانه كان بريئا منه. وقرأ الحسن ولا تمنن تستكثر مرفوع منصوب المحل على الحال اي ولا تعط
مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا. او طالبا للكثير نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض
من الموهوب له اكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته. وفيه وجهان
احدهما ان يكون نهيا خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله اختار له اشرف الآداب واحسن الاخلاق. والثاني
ان يكون نهي تنزيه لا تحريم له ولامته. وقرأ الحسن تستكثر بالسكون. وفيه ثلاثة اوجه الابدال من
تمنن كأنه قيل ولا تمنن لا تستكثر على انه من المن في قوله عز وجل ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لان من
شأن المنان بما يعطي ان يستكثره اي يراه كثيرا ويعتد به. وان يشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفا. وان
يعتبر حال الوقف. وقرأ الاعمش بالنصب باضمار أن كقوله: الا ايهذا الزاجري احضر الوغى. ويؤيده
قراءة ابن مسعود ولا تمنن ان تستكثر. ويجوز في الرفع ان تحذف ان ويبطل عملها كما روي احضر الوغى
بالرفع ولربك فاصبر ولوجه الله فاستعمل الصبر. وقيل على اذى المشركين. وقيل على اداء الفرائض وعن
النخعي على عطيتك كأنه وصله بما قبله وجعله صبرا على العطاء من غير استكثار. والوجه ان يكون امرا بنفس الفعل وان
يتناول على العموم كل مصبور عليه ومصبور عنه ويراد الصبر على اذى الكفار لانه احد ما يتناوله العام فاذا نقر
للتسبيب كأنه قال اصبر على اذاهم والفاء في فذلك للجزاء فان قلت بم انتصب اذا وكيف صح ان يقع يومئذ ظرفا
ليوم عسير قلت انتصب اذا بما دل عليه الجزاء لان المعنى فاذا نقر في الناقور عسر الامر على الكافرين. والذي انتصب
به يومئذ ظرفا ليوم عسير ان المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير لان يوم القيمة يأتي ويقع حين ينقر في الناقور
واختلف في انها النفخة الاولى ام الثانية ويجوز ان يكون يومئذ مبنيا مرفوع المحل بدلا من ذلك ويوم عسير خبر
كأنه قيل فيوم النقر يوم عسير فان قلت فما فائدة قوله غير يسير قلت لما قال على الكافرين فقصر العسر
عليهم قال غير يسير ليؤذن بأنه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرا هينا. ليجمع بين وعيد الكافرين
وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم. ويجوز ان يراد انه عسير لا يرجى ان يرجع يسيرا كما يرجى
تيسير العسير من امور الدنيا. وحيدا حال من الله عز وجل على معنيين احدهما ذرني وحدي معه فانا
اجزيك في الانتقام منه عن كل منتقم. والثاني خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد. او حال من المخلوق على معنى
خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة. وقيل
نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد. ولعله لقب بذلك بعد نزول الآية

اي اللقب

فان كان ملقبا به فهو تهكم به وبلقبه وتغيير له عن الغرض الذي كانوا يقصدونه من مدحه والثناء عليه بانه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدمه في الدنيا الى وجه الذم والعيب وهو انه خلق وحيدا لا مال له ولا ولد فآتاه الله ذلك فكفر بنعمة الله واشرك به واستهزأ بدينه **ممدودا** مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر قيل كان له الزرع والضرع والتجارة وعن ابن عباس هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره صيفا وشتاء وقيل كان له الف مثقال وقيل اربعة آلاف وقيل تسعة آلاف وقيل الف الف وعن ابن جريج غلة شهر بشهر **وبنين شهودا** حضورا معه بمكة لا يفارقونه للتصرف في عمل او تجارة لانهم مكفيون لوفور نعمة ابيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش بانفسهم فهو مستأنس بهم لا يشتغل قلبه بغيبتهم وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم والاشتياق اليهم ويجوز ان يكون معناه انهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل او تسمع شهادتهم فيما يتحاكم فيه وعن مجاهد كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة **ومهدت له تمهيدا** وبسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه فاتممت عليه نعمتي الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند اهل الدنيا ومنه قول الناس ادام الله تاييدك وتمهيدك يريدون زيادة الجاه والحشمة وكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش **ثم يطمع** استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه يعني انه لا مزيد على ما اوتي سعة وكثرة وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي **كلا** ردع وقطع لرجائه وطمعه **انه كان لآياتنا عنيدا** تعليل للردع على وجه الاستئناف كأن قائلا قال لم لا يزاد فقيل انه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد ويروى انه ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك **سأرهقه صعودا** سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعب الذي لا يطاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه عليه السلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا **انه فكر** تعليل للوعيد كأن الله تعالى عاجله بالفقر بعد الغنى والذل بعد العز في الدنيا لعناده ويعاقبه في الآخرة باشد العذاب وافظعه لبلوغه بالعناد غايته واقصاه في تفكيره وتسميته القرآن سحرا ويجوز ان تكون كلمة الردع متبوعة بقوله سأرهقه صعودا ردا لزعمه ان الجنة لم تخلق الا له واخبارا بانه من اشد اهل النار عذابا ويعلل ذلك بعناده ويكون قوله انه فكر بدلا من قوله انه كان لآياتنا عنيدا بيانا لكنه عناده ومعناه فكر ماذا يقول في القرآن وقدر في نفسه ما يقوله وهيأه **فقتل كيف قدر** تعجيب من تقديره واصابته فيه المحز ورميه الغرض الذي كان ينتحيه قريش او ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به او هي حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قول القائل قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك وروي ان الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد والله ليصبأن قريش كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر يأثره عن مسيلمة وعن اهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا متعجبين بقوله متعجبين منه **ثم نظر** في وجوه الناس **ثم عبس** وجهه **وبسر** زحف مدبرا وتشاوس مستكبرا لما خطرت بباله الكلمة الشنعاء وهم بان يرمي بها وصف اشكاله الذي تشكل بها حتى استنبط ما استنبط استهزاء به وقيل قدر ما يقوله ثم نظر فيه ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول وقيل قطب في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم **ثم ادبر** عن الحق **واستكبر** عنه فقال ما قال وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما **فان قلت** ما معنى ثم الداخلة في تكرير الدعاء **قلت** الدلالة على ان الكرة الثانية ابلغ من الاولى ونحوه قوله
الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي **فان قلت** ما معنى المتوسطة بين الافعال التي بعدها **قلت** الدلالة على انه قد تأنى في التأمل وتمهل وكان بين الافعال المتناسقة تراخ وتباعد **فان قلت** فلم قيل **فقال ان هذا** بالفاء بعد عطفه ما قبله بثم **قلت** لان الكلمة لما خطرت بباله بعد

الطلب

٢٦٥

التطلب لم يتمالك ان نطق بها من غير تلبث **فان قلت** فلم لم يوسط حرف العطف بين الجملتين **قلت** لان الاخرى جرت من الاولى مجرى التأكيد من المؤكد **سأصليه سقر** بدل من سأرهقه صعودا **لا تبقي** شيئا يلقى فيها الا اهلكته واذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد او لا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة **لواحة** من لوح الهجير قال تقول ما لاحك يا مسافر يا ابنة عمي اي تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل **والبشر** اعالي الجلود وعن الحسن تلوح للناس كقوله ثم لترونها عين اليقين وقرئ لواحة نصبا على الاختصاص للتهويل **عليها تسعة عشر** اي يلي امرها ويتسلط على اهلها تسعة عشر ملكا وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا وقرئ تسعة عشر بسكون العين لتوالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وقرئ تسعة اعشر جمع عشير مثل يمين وايمن جعلهم ملائكة لانهم خلاف جنس المعذبين من الجن والانس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرقة ولا يستروحون اليهم ولانهم اقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فتؤمن هوادتهم ولانهم اشد الخلق بأسا واقواهم بطشا عن عمرو بن دينار واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة ومضر وعن النبي صلى الله عليه وسلم كأن اعينهم البرق وكأن افواههم الصياصي يجرون اشعارهم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم وروي انها لما نزلت عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم الشجعان افيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد بن اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين فانزل الله **وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة** اي ما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون **فان قلت** قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا لاستيقان اهل الكتاب وزيادة ايمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك **قلت** ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وانما العدة نفسها هي التي جعلت سببا وذلك ان المراد بقوله وما جعلنا عدتهم **الا فتنة للذين كفروا** وما جعلنا عدتهم الا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لان حال هذه العدة الناقصة واحدا من عقد العشرين ان يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزئ ولا يذعن اذعان المؤمن وان خفي عليه وجه الحكمة كأنه قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها ان يفتتن بها لاجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان اهل الكتاب لان عدتهم تسعة عشر في الكتابين فاذا سمعوا بمثلها في القرآن ايقنوا انه منزل من الله وازدياد المؤمنين ايمانا لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما انزل ولما رأوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك **فان قلت** لم قال **ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون** والاستيقان وازدياد الايمان دالا على انتفاء الارتياب **قلت** لانه اذا جمع لهم اثبات اليقين ونفي الشك كان ابلغ وآكد لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر ولان فيه تعريضا بحال من عداهم كأنه قال ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من اهل النفاق والكفر **فان قلت** كيف ذكر **الذين في قلوبهم مرض** وهم المنافقون والسورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وانما نجم بالمدينة **قلت** معناه وليقول المنافقون الذين يحدثون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة **ماذا اراد الله بهذا مثلا** وليس في ذلك الا اخبار بما سيكون كسائر الاخبارات بالغيوب وذلك لا يخالف كون السورة مكية ويجوز ان يراد بالمرض الشك والارتياب لان اهل مكة كان اكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب **فان قلت** قد علل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء الارتياب وقول المنافقين والكافرين ما قالوا فهب ان الاستيقان وانتفاء الارتياب يصح ان يكونا غرضين فكيف صح ان يكون قول المنافقين والكافرين غرضا **قلت** افادة اللام معنى العلة والسبب ولا يجب في العلة ان تكون غرضا الا ترى الى قولك خرجت من البلد لمخافة الشر فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما هي بغرضك **مثلا** تمييز لهذا او حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية **فان قلت** لم سموه مثلا **قلت** هو استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبعادا له والمعنى اي شيء اراد الله بهذا العدد العجيب واي غرض قصد في ان جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء ومرادهم انكاره من اصله وانه ليس من عند الله وانه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص الكاف في **كذلك** نصب وذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهدى اي مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى **يضل الله الكافرين ويهدي المؤمنين** اي يفعل فعلا حسنا مبنيا على الحكمة والصواب فيراه المؤمنون حكمة ويذعنون لاعتقادهم ان افعال الله كلها حسنة وحكمة فيزيدهم ايمانا وينكره الكافرون ويشكون فيه فيزيدهم كفرا وضلالا **وما يعلم جنود ربك الا هو** وما عليه كل جند من العدد الخاص من كون بعضها على عقد كامل وبعضها على عدد ناقص وما في اختصاص كل جند بعدده من الحكمة الا هو ولا سبيل لاحد الى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة في اعداد السموات والارضين وايام السنة والشهور والبروج والكواكب واعداد النصب والحدود والكفارات والصلوات في الشريعة او وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها

الا هو

إلا هو ولا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وهو تعلمها وقيل هو جواب
لقول أبي جهل أما لرب محمد أعوان إلا تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة الخ وهو اعتراض وقوله
وما هي إلا ذكرى متصل بوصف سقر وهي ضميرها أي وما سقر وصفتها إلا تذكرة للبشر أو ضمير الآيات
التي ذكرت فيها كلا إنكار بعد أن جعلها ذكرى أن تكون لهم ذكرى لأنهم لا يتذكرون أو
ردع لمن ينكر أن تكون إحدى الكبر نذيرا ودبر يعني أدبر كقبل بمعنى أقبل ومنه صاروا كأمس
الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار إذا خلفه وقرئ إذ أدبر إنها لإحدى الكبر جواب القسم أو
تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت ألف التأنيث كتائها فكما جمعت فعلة على
فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك السوافي في جمع السافياء والقواصع في جمع القاصعاء كأنها جمع فاعلة
أي لإحدى البلايا أو الدواهي الكبر ومعنى كونها إحداهن أنها من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها
كما تقول هو أحد الرجال وهي إحدى النساء نذيرا تمييز من إحدى على معنى إنها لإحدى الدواهي إنذارا
كما تقول هي إحدى النساء عفافا وقيل هي حال وقيل هو متصل بأول السورة يعني قم نذيرا وهو من بدع
التفاسير وفي قراءة أبي نذير بالرفع خبر بعد خبر لأن أو بحذف المبتدأ أن يتقدم في موضع الرفع
بالابتداء ولمن شاء خبر مقدم عليه كقولك لمن توضأ أن يصلي ومعناه مطلق لمن شاء التقدم أو التأخر أن
يتقدم أو يتأخر والمراد بالتقدم والتأخر السبق إلى الخير والتخلف عنه وهو كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر ويجوز أن يكون لمن شاء بدلا من للبشر على أنها منذرة للمكلفين الممكنين الذين إن شاؤوا تقدموا
ففازوا وإن شاؤوا تأخروا فهلكوا رهينة ليست بتأنيث رهين في قوله تعالى كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث
النفس لأنه لو قصدت الصفة لقيل رهين لأن فعيلا بمعنى مفعول تستوي فيه المذكر والمؤنث وإنما هي
اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كأنه قيل كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت الحماسة
أبعد الذي بالنعف نعف كويكب ٥ رهينة رمس ذي تراب وجندل ٥ كأنه قال رهن رمس والمعنى كل نفس
رهن بكسبها عند الله غير مفكوك إلا أصحاب اليمين فإنهم فكوا عنهم رقابهم بما أطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن
رهنه بأداء الحق وعن علي عليه السلام أنه فسر أصحاب اليمين بالأطفال لأنهم لا أعمال لهم يرتهنون بها وعن
ابن عباس رضي الله عنهما هم الملائكة في جنات أي هم في جنات لا يكتنه وصفها يتساءلون عن المجرمين يسأل بعضهم بعضا عنهم
أو يتساءلون غيرهم عنهم كقولك دعوته وتداعيناه فإن قلت كيف طابق قوله ما سلككم وهو سؤال للمجرمين
قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وإنما كان يتطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم
قلت ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وإنما هو حكاية قول المسؤولين عنهم لأن المسؤولين يلقون
إلى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين إلا أن الكلام
جيء به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه الخوض الشروع في الباطل وما لا ينبغي فإن قلت
لم يسألونهم وهم عالمون بذلك قلت توبيخا لهم وتحسيرا وليكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة للسامعين
وقد عضد بعضهم تفسير أصحاب اليمين بالأطفال أنهم إنما يسألونهم لأنهم ولدان لا يعرفون موجب دخول
النار فإن قلت أيريدون أن كل واحد منهم بمجموع هذه الأربع دخل النار أم دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه
قلت يحتمل الأمرين جميعا فإن قلت لم أخر التكذيب وهو أعظمها قلت أرادوا أنهم بعد ذلك كله كانوا
مكذبين بيوم الدين تعظيما للتكذيب كقوله ثم كان من الذين آمنوا واليقين الموت ومقدماته أي لو
شفع لهم الشافعون جميعا من الملائكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم لأن الشفاعة لمن ارتضاه الله
وهم مسخوط عليهم وفيه دليل على أن الشفاعة تنفع يومئذ لأنها تزيد في درجات المرتضين عن التذكرة
عن التذكير وهو العظة يريد القرآن أو غيره من المواعظ ومعرضين نصب على الحال كقولك ما لك قائما والمستنفرة
الشديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وحملها عليه وقرئ بالفتح وهي المنفرة المحمولة
على النفار والقسورة جماعة الرماة الذين يتصيدونها وقيل الأسد يقال ليوث قساورة وهي فعولة
من القسر وهو القهر والغلبة وفي وزنه الحيدرة من أسماء الأسد وعن ابن عباس ركز الناس وأصواتهم
وعن عكرمة ظلمة الليل شبههم في إعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه بحمر
جدت في نفارها مما أفزعها وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما في قوله
كمثل الحمار يحمل أسفارا وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل ولا ترى مثل نفار حمر الوحش
واطرادها في العدو إذا رابها رائب ولذلك كان أكثر تشبيهات العرب في وصف الإبل وشدة
سيرها بالحمر وعدوها إذا وردت ماء فأحست عليه بقانص صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرأ
كالكتب التي يتكاتب بها أو كتبا كتبت في السماء ونزلت بها الملائكة ساعة كتبت منشرة على أيديها غضة
رطبة لم تطو بعد وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء
عنوانها من رب العالمين إلى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك ونحوه قوله ولن نؤمن لرقيك
حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم الآية

وقيل قالوا إن كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار وقيل كانوا يقولون
بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان يصبح مكتوبا على رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك وهذا من
الصحف المنشرة بمعزل إلا أن يراد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة وقرأ سعيد بن جبير
صحفا منشرة بتخفيفهما على أن أنشر الصحف ونشرها واحد كأنزله ونزله ردعهم بقوله كلا عن
تلك الإرادة وزجرهم عن اقتراح الآيات ثم قال بل لا يخافون الآخرة فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع
إيتاء الصحف ثم ردعهم عن إعراضهم عن التذكرة وقال إنه تذكرة يعني تذكرة بليغة كافية مبهم أمرها
في الكفاية فمن شاء أن يذكره ولا ينساه ويجعله نصب عينه فعل فإن نفع ذلك راجع إليه والضمير في إنه
وذكره للتذكرة في قوله فما لهم عن التذكرة معرضين وإنما ذكر لأنها في معنى الذكر أو القرآن وما يذكرون
إلا أن يشاء الله يعني إلا أن يقسرهم على الذكر ويلجئهم إليه لأنهم مطبوع على قلوبهم معلوم أنهم لا يؤمنون اختيارا
هو أهل التقوى وأهل المغفرة هو حقيق بأن يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا ويطيعوا وحقيق بأن يغفر
لهم إذا آمنوا وأطاعوا وروى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أهل أن يتقى وأهل أن يغفر لمن اتقاه وقرئ
يذكرون بالياء والتاء مخففا ومشددا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد
من صدق بمحمد وكذب به بمكة

سورة القيمة مكية وهي تسع وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

إدخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم قال امرؤ القيس لا وأبيك ابنة العامري
لا يدعي القوم أني أفر وقال غوية بن سلمى ألا نادت أمامة باحتمال ليحزنني فلا بك ما أبالي وفائدتها
توكيد القسم وقالوا إنها صلة مثلها في لئلا يعلم أهل الكتاب وفي قوله في بئر لا حور سرى وما شعر واعترضوا
عليه بأنها إنما تزاد في وسط الكلام لا في أوله وأجابوا بأن القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض
والاعتراض صحيح لأنها لم تقع مزيدة إلا في وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد ألا ترى إلى امرئ القيس كيف
زادها في مستهل قصيدته والوجه أن يقال هي للنفي والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظاما له يدلك
عليه قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم فكأنه بإدخال حرف النفي يقول إن إعظامي
له بإقسامي به كلا إعظام يعني أنه يستأهل فوق ذلك وقيل إن لا نفي لكلام ورد قبل القسم كأنهم أنكروا
البعث فقيل لا أي ليس الأمر كما ذكرتم ثم قيل أقسم بيوم القيمة فإن قلت قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون
والأبيات التي أنشدتها المقسم عليه فيها منفي فهلا زعمت أن لا التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة
له وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيا كقولك لا أقسم بيوم القيمة لا تتركون سدى قلت لو
قصروا الأمر على النفي دون الإثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر ألا ترى أنه كيف لقي لا
أقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الإنسان في كبد وكذلك فلا أقسم بمواقع النجوم بقوله إنه لقرآن كريم وقرئ
لأقسم على أن اللام للابتداء وأقسم خبر مبتدإ محذوف معناه لأنا أقسم قالوا ويعضده أنه في الإمام بغير ألف
بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التي تلوم النفوس فيه أي في يوم القيمة على تقصيرهن في التقوى أو بالتي لا
تزال تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان وعن الحسن إن المؤمن لا تراه إلا لائما نفسه وإن
الكافر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقيل هي التي تتلوم يومئذ على ترك الازدياد إن كانت محسنة
وعلى التفريط إن كانت مسيئة وقيل هي نفس آدم لم تزل تتلوم على فعلها التي خرجت به من الجنة وجواب
القسم ما دل عليه قوله أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه وهو لتبعثن وقرأ قتادة أن لن يجمع عظامه
على البناء للمفعول والمعنى نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح
وطيرتها في أباعد الأرض وقيل إن عدي بن أبي ربيعة ختن الأخنس بن شريق وهما اللذان كان يقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف أمره
فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أومن بك أو يجمع الله العظام فنزلت
بلى أوجبت ما بعد النفي وهو الجمع فكأنه قيل بلى نجمعها وقادرين حال من الضمير في نجمع أي نجمع العظام قادرين
على تأليف جمعها وإعادتها إلى التركيب الأول على أن نسوي بنانه أي أصابعه التي هي أطرافه وآخر ما يتم به
خلقه أو على أن نسوي بنانه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها إلى بعض كما كانت أولا من غير نقصان
ولا تفاوت فكيف بكبار العظام وقيل معناه بلى نجمعها ونحن قادرون على أن نسوي أصابع يديه
ورجليه أي نجعلها مستوية شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار لا تفرق بينها فلا يمكنه أن يعمل بها شيئا
مما يعمل بأصابعه المفرقة ذات المفاصل والأنامل من فنون الأعمال والبسط والقبض والتأتي لما يريد من الحوائج
وقرئ قادرون أي نحن قادرون بل يريد عطف على أيحسب فيجوز أن يكون مثله استفهاما وأن يكون إيجابا على أن يضرب
عن مستفهم عنه إلى آخر أو يضرب إلى ما عن مستفهم عنه إلى موجب ليفجر أمامه ليدوم على فجوره
فيما بين يديه من الأوقات وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه وعن سعيد بن جبير يقدم الذنب
ويؤخر التوبة يقول سوف أتوب سوف أتوب حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوإ أعماله يسأل سؤال

ايان يوم القيمه ٥

متعنت لقيام الساعة في قوله ونحوه ويقولون متى هذا الوعد ٥ برق البصر تحير فزعا واصله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره ٥ وقرئ برق من البريق اي لمع من شدة شخوصه ٥ وقرئ ابو السماك بلق اذا انفتح وانفرج يقال بلق الباب وابلقته وبلقته فتحته وخسف القمر وذهب ضوءه او ذهب بنفسه وقرئ وخسف على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر حيث يطلعهما الله من المغرب ٥ وقيل وجمعا في ذهاب الضوء ٥ وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران في النار ٥ وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى المفر بالفتح المصدر وبالكسر المكان ويجوز ان يكون مصدرا كالمرجع ٥ وقرئ بهما كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ وكل ما التجأت اليه من جبل او غيره وتخلصت به فهو وزرك الى ربك خاصة يومئذ المستقر استقرار العباد اي استقرارهم يعني انهم لا يقدرون ان يستقروا الى غيره وينصبوا اليه او الى حكمه ترجع امور العباد لا يحكم فيها غيره كقوله لمن الملك اليوم او الى ربك مستقرهم اي موضع قرارهم من جنة او نار اي مفوض ذلك الى مشيئته من شاء ادخله الجنة ومن شاء ادخله النار بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من ماله فتصدق به وبما اخره فخلفه او بما قدم من عمل الخير والشر وبما اخر من سنة حسنة او سيئة فعمل بها بعده وعن مجاهد باول عمله واخره ونحوه فينبئهم بما عملوا الله ويتبوع بصيرة حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز ٥ وصفت الايات بالابصار في قوله فلما جاءتهم اياتنا مبصرة ٥ او عين بصيرة والمعنى انه ينبأ باعماله وان لم ينبأ ففيه ما يجزئ عن الانباء لانه شاهد عليها بما عملت لان جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ولو القى معاذيره ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها ٥ وعن الضحاك ولو ارخى ستوره وقال المعاذير الستور واحدها معذار فان صح فلانه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب فان قلت اليس قياس المعذرة ان تجمع معاذر لا معاذير قلت المعاذير ليس بجمع معذرة انما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر الضمير في به للقران وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان يتفلت منه فامر بان يستنصت له ملقيا اليه بقلبه وسمعه حتى يقضى اليه وحيه ثم يقفيه بالدراسة الى ان يرسخ فيه والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل صلوات الله عليه يقرأ لتعجل به لتأخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله ان علينا جمعه في صدرك واثبات قراءته في لسانك فاذا قرأناه جعل قراءة جبريل قراءته والقران القراءة فاتبع قرانه فكن مقفيا له فيه ولا تراسله وطامن نفسك انه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه ثم ان علينا بيانه اذا اشكل عليك شيء من معانيه كانه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه كلا ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وانكار لها عليه وحث على الاناة والتؤدة وقد بالغ في ذلك باتباعه قوله بل تحبون العاجلة كانه قال بل انتم يا بني ادم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة وتذرون الاخرة وقرئ بالياء وهو ابلغ فان قلت كيف اتصل قوله لا تحرك به لسانك الى اخره بذكر القيمة قلت اتصاله به من جهة هذا التخلص منه الى التوبيخ بحب العاجلة وترك الاهتمام بالاخرة الوجه عبارة عن الجملة والناضرة من نضرة النعيم الى ربها ناظرة تنظر الى ربها خاصة لا تنظر الى غيره وهذا معنى تقديم المفعول الا ترى الى قوله الى ربك يومئذ المستقر الى ربك يومئذ المساق الى الله تصير الامور واليه ترجعون والى الله المصير عليه توكلت واليه انيب كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص ومعلوم انهم ينظرون الى اشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم فان المؤمنين نظارة ذلك اليوم لانهم الامنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظورا اليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص والذي يصح ان يكون من قول الناس انا الى فلان ناظر ما يصنع بي تريد معنى التوقع والرجاء ومنه قول القائل ٥ واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما ٥ وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس ابوابهم ويأوون الى مقائلهم تقول عيينتي نويظرة الى الله واليكم ٥ والمعنى انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون الا اياه والباسرة الشديدة العبوس ٥ والباسل اشد منه ولكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه تظن تتوقع ان يفعل بها فعل هو في شدته وفظاعته فاقرة داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه الناضرة ان يفعل بها كل خير كلا ردع عن ايثار الدنيا على الاخرة كانه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون الى الاجلة التي تبقون فيها مخلدون والضمير في بلغت للنفس وان لم يجر لها ذكر لان الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها كما قال حاتم اماوي ما يغني الثراء عن الفتى ٥ اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر ٥ وتقول العرب ارسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء التراقي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة الموت الذي هو اول مراحل الاخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها وقال حاضروا صاحبها وهو المحتضر بعضهم لبعض من راق ايكم يرقيه مما به وقيل هو من كلام ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب وظن المحتضر

انه الفراق ان هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة والتفت الساق بالساق التوت ساقاه عند علز الموت ٥ وعن قتادة ماتت رجلاه فلا تحملانه وقد كان عليهما جوالا ٥ وقيل شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الاخرة على ان الساق مثل في الشدة ٥ وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان في اكفانه المساق اي يساق الى الله والى حكمه فلا صدق ولا صلى يعني الانسان في قوله ايحسب الانسان الن نجمع عظامه الا ترى الى قوله ايحسب الانسان ان يترك سدى وهو معطوف على قوله يسأل ايان يوم القيمة اي لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول والقران ولا صلى ويجوز ان يراد فلا صدق ماله بمعنى فلا زكاه ٥ وقيل نزلت في ابي جهل يتمطى يتبختر واصله يتمطط اي يتمدد لان المتبختر يمد خطاه ٥ وقيل هو من المطا وهو الظهر لانه يلويه وفي الحديث اذا مشت امتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم ٥ يعني كذب برسول الله وتولى عنه واعرض ثم ذهب الى قومه يتبختر افتخارا بذلك اولى لك بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بان يليه ما يكره خلق فقدر فسوى فعدل منه من الانسان الزوجين الصنفين اليس ذلك الذي انشأ هذا الانشاء بقادر على الاعادة ٥ وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك بلى ٥ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيمة شهدت له انا وجبريل يوم القيمة انه كان مؤمنا بيوم القيمة ٥

سورة الانسان مكية وهي احدى وثلثون اية ٥ بسم الله الرحمن الرحيم

هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة والاصل اهل بدليل قوله ٥ اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم ٥ فالمعنى اقد اتى على التقرير والتقريب جميعا اي اتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر لم يكن فيه شيئا مذكورا اي كان شيئا منسيا غير مذكور نطفة في الاصلاب والمراد بالانسان جنس بني ادم بدليل قوله انا خلقنا الانسان من نطفة حين من الدهر طائفة من الزمن الطويل الممتد فان قلت ما محل لم يكن شيئا مذكورا قلت محله النصب على الحال من الانسان كانه قيل اتى عليه حين من الدهر غير مذكور او الرفع على الوصف لحين كقوله يوما لا تجزي والذي ... وعن بعضهم انها تليت عنده فقال ليتها تمت اراد ليت تلك الحالة تمت وهي كونه شيئا غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف نطفة امشاج كبرمة اعشار وبرد اكياش وهي الفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للافراد ٥ ويقال ايضا نطفة مشج قال الشماخ ٥ طوت احشاء مرتجة لوقت ٥ على مشج سلالته مهين ٥ ولا يصح امشاج ان يكون تكسيرا له بل هما مثلان في الافراد لوصف المفرد بهما ومشجه ومزجه بمعنى والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماآن وعن ابن مسعود هي عروق النطفة وعن قتادة امشاج الوان واطوار يريد انها تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة نبتليه في موضع الحال اي خلقناه مبتلين له بمعنى مريدين ابتلاءه كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا تريد قاصدا به الصيد غدا ويجوز ان يراد ناقلين له من حال الى حال فسمى ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة ٥ وعن ابن عباس نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة ٥ وقيل هو في تقدير التاخير يعني فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهو من التعسف شاكرا وكفورا حالان من الهاء في هديناه اي مكناه واقدرناه في حالتيه جميعا او دعوناه الى الاسلام بادلة العقل والسمع كان معلوما منه انه يؤمن او يكفر لالزام الحجة ويجوز ان يكونا حالين من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله وهديناه النجدين ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز وقرئ ابو السماك بفتح الهمزة في اما وهي قراءة حسنة والمعنى اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره ولما ذكر الفريقين اتبعهما الوعيد والوعد وقرئ سلاسل غير منون وسلاسلا بالتنوين وفيه وجهان احدهما ان تكون هذه النون بدلا من حرف الاطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف والثاني ان يكون صاحب القراءة به ممن ضري بقراءة الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف الابرار جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد وعن الحسن هم الذين لا يؤذون الذر من كأس الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتسمى الخمر نفسها كأسا مزاجها ما تمزج به كافورا ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده عينا بدل منه وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور وعينا على هذين القولين بدل من محل كأس على تقدير حذف مضاف كانه قيل يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص فان قلت لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء اولا وبحرف الالصاق اخرا قلت لان الكاس مبدأ شربهم واول غايته واما العين فبها يمزجون شرابهم فكان المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل يفجرونها يجرونها حيث شاؤوا من منازلهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم يوفون جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه لوجه الله كان بما اوجبه الله عليه اوفى مستطيرا فاشيا منتشرا بالغا اقصى المبالغ من استطار الحريق واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر على حبه الضمير للطعام اي مع اشتهائه والحاجة اليه ونحوه واتى المال على حبه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ٥ وعن الفضيل على حب الله واسيرا عن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه ٥ وعند عامة العلماء يجوز الاحسان الى الكفار في دار الاسلام ولا تصرف اليهم الواجبات ٥ وعن قتادة كان اسيرهم يومئذ المشرك واخوك المسلم احق ان تطعمه ٥ وعن سعيد بن جبير وعطاء هو الاسير من اهل القبلة ٥ وعن ابي سعيد الخدري هو المملوك والمسجون ٥ وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم

العزم اختيارا فعالعزم منك اختيار فاحتش الى اختيارك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة القول ويجوز ان يكون قولا
بالثبات منعا لهم عن المجازاة بمثله او بالشكر لان احسانهم مفعول لوجه الله فلا معنى لمكافاة الخلق
وان يكون قولهم لهم لطفا وتفقيها وتنبيها على ما ينبغي ان يكون عليه من اخلص لله ه وعن عائشة رضي الله عنها
انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاء دعت لهم بمثله
ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله ويجوز ان يكون ذلك بيانا وكشفا عن اعتقادهم وصحة
نيتهم وان لم يقولوا شيئا وعن مجاهد اما انهم ما تكلموا به ولكن علمه الله منهم فاثنى عليهم والشكور
والكفور مصدران كالشكر والكفر انا نخاف يحتمل احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا
لارادة مكافاتكم وانا لا نريد منكم المكافاة لخوف عقاب الله على طلب المكافاة بالصدقة ووصف اليوم
بالعبوس مجاز على طريقين ان يوصف بصفة اهله من الاشقياء كقولهم نهارك صائم ه روي ان الكافر يعبس
يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وان يشبه في شدته وضرره بالاسد العبوس ه
او بالشجاع الباسل والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه ه قال الزجاج يقال اقمطرت الناقة
اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بانفها فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة قال اسد
ابن ناعصة ه واصطليت الحروب في كل يوم ه باسل الشر قمطرير الصباح ه ولقاهم نضرة وسرورا اي اعطاهم
بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب وهذا يدل على ان اليوم موصوف بعبوس
اهله بما صبروا بصبرهم على الايثار ه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما
ان برئا مما بهما ان يصوموا ثلاثة ايام فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون الخيبري
اليهودي ثلاثة اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها
بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني
اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا
الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم اسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا
اخذ علي بيد الحسن والحسين واقبلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع
قال ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم فقام وانطلق معهم فراى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها
وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل وقال خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك فاقراه السورة
فان قلت ما معنى ذكر الحرير مع الجنة قلت المعنى وجزاهم بصبرهم على الايثار وما يؤدي اليه من الجوع
والعري بستانا فيه ماكل هني وحريرا فيه ملبس بهي ه يعني ان هواءها معتدل لا حر شمس يحمي ولا
شدة برد يؤذي ه وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر فيه ولا قر ه وقيل الزمهرير القمر ه وعن ثعلب
انه في لغة طي وانشد ه وليلة ظلامها قد اعتكر ه قطعتها والزمهرير ما زهر ه والمعنى ان الجنة ضياء فلا يحتاج
فيها الى شمس وقمر فان قلت ودانية عليهم ظلالها علام عطفت قلت على الجملة التي قبلها لانها في موضع الحال
من المجزيين وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها اليهم في عليهم الا انها اسم مفرد وتلك جملة في حكم مفرد
تقديره غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على ان الامرين مجتمعان لهم
كانه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم ه وقرئ
ودانية بالرفع على ان ظلالها مبتدا ودانية خبر والجملة في موضع الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا
زمهريرا والحال ان ظلالها دانية عليهم ويجوز ان تجعل متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة ويجوز
ان يكون ودانية معطوفة على جنة اي وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين كقوله تعالى
ولمن خاف مقام ربه جنتان لانهم وصفوا بالخوف انا نخاف من ربنا فان قلت فعلام عطف وذللت قلت
هي اذا رفعت ودانية جملة فعلية معطوفة على جملة ابتدائية واذا نصبتها على الحال فهي حال من دانية اي
تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم او معطوفة عليها على ودانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها
واذا رفعت ودانية فهي صفة مثلها الا ترى انك لو قلت جنة ذللت قطوفها كان صحيحا
وتذليل القطوف ان تجعل ذللا لا تمتنع على قطافها كيف شاؤوا او تجعل ذليلة لهم خاضعة متقاصرة من قولهم
حائط ذليل اذا كان قصيرا قواريرا قواريرا قرئا غير منونين وبتنوين الاول وبتنوينهما وهذا
التنوين بدل من الف الاطلاق لانه فاصلة وفي الثاني لاتباعه الاول ومعنى قوارير من فضة انها مخلوقة
من فضة وهي مع بياض الفضة وحسنها في صفاء القوارير وشفيفها فان قلت ما معنى كانت قلت هو من يكون
في قوله كن فيكون اي تكونت قوارير بتكوين الله تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشان الجامعة بين صفتي
الجوهرين المتباينين ومنه كان في قوله كان مزاجها كافورا ه وقرئ قوارير من فضة بالرفع على هي قوارير
قدروها صفة لقوارير من فضة ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها في انفسهم ان تكون على مقادير واشكال
على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروه وقيل الضمير للطائفين بها دل عليه قوله ويطاف عليهم على انهم قدروا

شرابها على قدر الري وهو الذ للشارب على البناء للمفعول ووجهه ان يكون من قدر منقولا من قدر تقول قدرت الشيء
وقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا له ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاؤوا واطلق لهم ان يقدروا على حسب
ما اشتهوا ه سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستطيبه وتستلذه قال الاعشى
كان القرنفل والزنجبيل ه باتا بفيها واريا مشورا ه وقال المسيب بن علس ه وكان طعم الزنجبيل به ه
اذ ذقته وسلافة الخمر ه وسلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يعني انها في طعم الزنجبيل
وليس فيها لذعة ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل وقد زيدت الباء في التركيب
حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة قال الزجاج السلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة
وقرئ سلسبيل على منع الصرف لاجتماع العلمية والتانيث وقد عزوا الى علي بن ابي طالب عليه السلام ان معناه سل سبيلا
اليها وهذا غير مستقيم على ظاهره الا ان يراد ان جملة قول القائل سل سبيلا جعلت علما للعين كما قيل تابط
شرا وذرى حبا وسميت بذلك لانه لا يشرب منها الا من سال اليها سبيلا بالعمل الصالح وهو مع استقامته
في العربية تكلف وابتداع ه وعزوه الى مثل علي ابدع وفي شعر بعض المحدثين ه سل سبيلا فيها الى راحة النفس
براح كانها سلسبيل ه وعينا بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كاسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله طعمه فيها
وعينا على هذا القول مبدلة من كاسا كانه قيل ويسقون فيها كاسا كاسا في عين او منصوبة على الاختصاص ه
شبهوا في حسنهم وصفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور وعن المامون انه ليلة
زفت اليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة
اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال لله در ابي نواس كانه ابصر هذا حيث يقول
كان صغرى وكبرى من فواقعها ه حصباء در على ارض من الذهب ه وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من
صدفه لانه احسن واكثر ماء رايت ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم كانه قيل واذا اوجدت
الرؤية ثم ومعناه ان بصر الرائي اينما وقع لم يتعلق ادراكه الا بنعيم كثير وملك كبير وثم في موضع النصب
على الظرف يعني في الجنة ومن قال معناه ما ثم فقد اخطا لان ثم صلة لما ولا يجوز اسقاط الموصول
وترك الصلة كبيرا واسعا وهنيئا يروى ان ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى
اقصاه كما يرى ادناه ه وقيل لا زوال له ه وقيل اذا ارادوا شيئا كان وقيل تسلم عليهم الملائكة عاليهم بالسكون
على انه مبتدا خبره ثياب سندس اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وعاليهم بالنصب على انه حال من الضمير
في يطوف عليهم او في حسبتهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب او حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم
ثياب ويجوز ان يراد رايت اهل نعيم وملك عاليهم ثياب وعاليتهم بالرفع والنصب على ذلك خضر واستبرق بالرفع
حملا على الثياب وبالجر على السندس وقرئ واستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف لانه اعجمي وهو غلط لانه
نكرة يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق الا ان يزعم ابن محيصن انه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب وقرئ
واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه سمي باستفعل من البريق وليس بصحيح ايضا لانه معرب مشهور
تعريبه وان اصله استبره وحلوا عطف على ويطوف عليهم فان قلت ذكر ههنا ان اساورهم من فضة وفي موضع
اخر انها من ذهب قلت هب انه قيل وحلوا اساور من ذهب ومن فضة وهذا صحيح لا اشكال فيه على انهم يسورون
بالجنسين اما على المعاقبة واما على الجمع كما تزاوج نساء الدنيا بين انواع الحلي وتجمع بينها وما احسن بالمعصم
ان يكون فيه سواران سواران من ذهب وسواران من فضة شرابا طهورا ليس برجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا
بالشرع لا بالعقل وليست الدار دار تكليف او لانه لم يعصر فتمسه الايدي الوضرة وتدوسه الاقدام الدنسة
ولم يجعل في الدنان والاباريق التي لم يعن بتنظيفها ه او لانه لا يؤول الى النجاسة لانه يرشح عرقا من ابدانهم
له ريح كريح المسك اي يقال لاهل الجنة ان هذا وهذا اشارة الى ما تقدم من عطاء الله لهم ما جوزيتم به على اعمالكم
وشكر به سعيكم والشكر مجاز تكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تاكيد على تاكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليتقرر
في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على اي وجه نزل الا حكمة وصوابا كانه قيل ما نزل عليك
القرآن تنزيلا مفرقا منجما الا انا لا غيري وقد عرفتني حكيما فاعلا لكل ما افعله بدواعي الحكمة ولقد دعتني حكمتي بالغة
الى ان انزل عليك الامر بالمكافة والمصابرة وسانزل عليك الامر بالقتال والانتقام بعد حين فاصبر لحكم ربك
الصادر عن الحكمة وتعليقه الامور بالمصالح وتاخيره نصرتك على اعدائك من اهل مكة ولا تطع منهم احدا قلة صبر منك
على اذاهم وضجرا من تاخر الظفر وكانوا مع افراطهم في العداوة والايذاء له ولمن معه يدعونه الى ان يرجع عن امره
ويبذلون له اموالهم وتزويج اكرم بناتهم ان اجابهم فان قلت كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة في قوله اثما او كفورا
قلت معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه او فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما ان يدعوه الى
مساعدتهم على فعل هو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهي ان يساعدهم على الاثنين دون الثالث وقيل الاثم
عتبة والكفور الوليد لان عتبة كان ركابا للماثم متعاطيا لانواع الفسوق وكان الوليد غاليا في الكفر شديد
الشكيمة في العتو فان قلت معنى او ولا تطع احدهما فهلا جيء بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا قلت
لو قيل ولا تطعهما لجاز ان يطيع احدهما واذا قيل لا تطع احدهما علم ان الناهي عن طاعة احدهما عن طاعتهما جميعا انهى كما اذا نهي ان يقول

لابويه اي علم انه منهي عن ضربهما على طريق الاولى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ودم على صلوة الفجر والعصر ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له يعني صلوة المغرب والعشا وادخال من على الظرف للتبعيض كما دخل على المفعول في قوله يغفر لكم من ذنوبكم وسبحه ليلا طويلا وتهجد له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه او نصفه او ثلثه ان هولاء الكفرة يحبون العاجلة يوثرونها على الآخرة كقوله بل توثرون الحيوة الدنيا ويذرون وراءهم قدامهم او خلف ظهورهم لا يعبأون به يوما ثقيلا استعير الثقل لشدته وهوله من الشي الثقيل الباهظ لحامله ونحوه ثقلت في السموات والارض الاسر الربط والتوثيق ومنه اسر الرجل اذا اوثق بالقد وهو الاسار وفرس مأسور الخلق وترس مأسور بالعقب والمعنى شددنا توصيل عظامهم بعضها ببعض وتوثيق مفاصلهم بالاعصاب ومثله قولهم جارية معصوبة الخلق ومجدولته واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم في شدة الاسر يعني النشأة الاخرى وقيل معناه بدلنا غيرهم ممن يطيع وحقه ان يجي باذا لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم هذه اشارة الى السورة او الى الآيات القريبة فمن شاء فمن اختار الخير لنفسه وحسن العاقبة واتخاذ السبيل الى الله عبارة عن التقرب اليه والتوسل بالطاعة وما تشاؤن الطاعة الا ان يشاء الله بقسرهم عليها ان الله كان عليما باحوالهم وما يكون منهم حكيما حيث خلقهم مع علمه بهم وقرئ تشاؤن باليا فان قلت ما محل ان يشاء الله قلت النصب على الظرف واصله الا وقت مشية الله وكذلك قراءة ابن مسعود الا ما يشاء الله لان ما مع الفعل كان مع الفعل يدخل من يشاء وهم المومنون ونصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم نحو اوعد وكافا وما اشبه ذلك وقرأ ابن مسعود وللظالمين على واعد للظالمين وقرأ ابن الزبير والظالمون على الابتدا وغيرها اولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها فيها مع مجيئها مخالفة للمصحف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا سورة والمرسلات مكية وهي خمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم اقسم سبحانه بطوائف من الملائكة ارسلهن باوامره فعصفن في مضيهن كما تعصف الرياح تخففا في امتثال امره وبطوائف منهم نشرن اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي او نشرن الشرائع في الارض او نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبيا عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين او اقسم برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا او بسحائب نشرن الموات ففرقن بين من يشكر لله ومن يكفر كقوله لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه فالقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله بتوبتهم واستغفارهم اذا راوا نعمة الله في الغيث ويشكرونها واما نذرا للذين يغفلون الشكر لله وينسبون ذلك الى الانوا وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا في حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت فان قلت ما معنى عرفا قلت متتابعة كشعر العرف يقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا تالبوا عليه ويكون بمعنى العرف الذي هو نقيض النكر وانتصابه على انه مفعول له اي ارسلن للاحسان والمعروف والاول على الحال وقرئ عرفا على التثقيل نحو نكر في نكر فان قلت قد فسرت المرسلات بملائكة العذاب فكيف يكون ارسالهم معروفا قلت ان لم يكن معروفا للكفار فانه معروف للانبيا والمومنين الذين انتقم الله لهم منهم فان قلت ما العذر والنذر وبما انتصبا قلت هما مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن انذر اذا خوف على فعل كالكفر والشكر ويجوز ان يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر واما انتصابهما فعلى البدل من ذكرا على الوجهين الاولين او على المفعول له واما الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين او منذرين وقريا مخففين ومثقلين انما توعدون من مجي يوم القيمة لكائن نازل لاريب فيه وهو جواب القسم وعن بعضهم ان المعنى ورب المرسلات طمست محيت ومحقت وقيل ذهب بنورها ومحق ذواتها موافق لقوله انتثرت وانكدرت ويجوز ان يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور فرجت فتحت فكانت ابوابا وفرج الشي فتحه نسفت كالحب اذا نسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا وقيل اخذت بسرعة من اماكنها من انتسفت الشي اذا اختطفته وقرئت طمست وفرجت ونسفت مشددة وقرئ اقتت ووقتت بالتشديد والتخفيف فيهما والاصل الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم والتاجيل من الاجل كالتوقيت من الوقت لاي يوم اجلت تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق والوجه ان يكون معنى وقتت بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم القيمة واجلت اخرت فان قلت كيف وقع النكرة مبتدأ في قوله ويل يومئذ للمكذبين قلت هو في اصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم ويجوز ويلا بالنصب ولكن لم يقرأ به يقال ويلا له وويلا كيلا وقرأ قتادة نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى اهلكه قال العجاج ومهمه هالك من تعرجا ثم نتبعهم بالرفع على الاستيناف وهو وعيد لاهل مكة يريد ثم نفعل بامثالهم من الآخرين مثل ما فعلنا

بالاولين ونسلك بهم سبيلهم لانهم كذبوا مثل تكذيبهم ويقويها قراءة ابن مسعود ثم سنتبعهم وقرئ بالجزم للعطف على نهلك ومعناه انه اهلك الاولين من قوم نوح وعاد وثمود ثم اتبعهم الآخرين من قوم شعيب ولوط وموسى كذلك مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بكل من اجرم انذارا وتحذيرا من عاقبة الجرم وسوء اثره الى قدر معلوم الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة الاشهر او ما دونها او ما فوقها فقدرنا فقدرنا ذلك تقديرا فنعم القادرون فنعم المقدرون له نحن او فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والاول اولى لقراءة من قرأ فقدرنا بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه فقدره الكفات من كفت الشي اذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام والجماع لما يضم ويجمع يقال هذا الباب جماع الابواب وبه انتصب احياء وامواتا كانه قيل كافتة احياء وامواتا او بفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت والمعنى تكفت احياء على ظهرها وامواتا في بطنها وقد استدل بعض اصحاب الشافعي رحمه الله تعالى على قطع النباش بان الله تعالى جعل الارض كفاتا للاموات فكان بطنها حرزا لهم فالنباش سارق من الحرز فان قلت لم قيل احياء وامواتا على التنكير وهي كفات الاحياء والاموات جميعا قلت هو من تنكير التفخيم كانه قيل تكفت احياء لا يعدون وامواتا لا يحصرون على ان احياء الانس وامواتهم ليسوا بجميع الاحياء والاموات ويجوز ان يكون المعنى نكفتكم احياء وامواتا فينتصبا على الحال من الضمير لانه قد علم انها كفات الانس فان قلت فلم نكر في رواسي شامخات وماء فراتا قلت يحتمل افادة التبعيض لان في السماء جبالا قال الله تعالى من جبال فيها من برد وفيها ماء فرات ايضا بل هي معدنه ومصبه وان يكون للتفخيم اي يقال لهم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من العذاب وانطلقوا الثاني تكرير وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لانهم مضطرون اليه لا يستطيعون امتناعا منه الى ظل يعني دخان جهنم كقوله وظل من يحموم ذي ثلاث شعب يتشعب لعظمه ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمومنون في ظل العرش لا ظليل تهكم بهم وتعريض بان ظلهم غير ظل المومنين ولا يغني في محل الجر اي وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا بشرر وقرئ بشرار كالقصر اي كل شرارة كالقصر من القصور في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ كالقصر بفتحتين وهي اعناق الابل او اعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرأ ابن مسعود كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرأ سعيد بن جبير كالقصر في جمع قصرة كحاجة وحوج جمالات جمع جمال او جمالة جمع جمل شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه الا تراهم يشبهون الابل بالافدان والمجادل وقرئ جمالات بالضم وهي قلوس الجسور وقيل قلوس سفن البحر الواحدة جمالة وقرئ جمالة بالكسر بمعنى جمال وجمالة بالضم وهو القلس صفر لارادة الجنس وقيل صفر سود تضرب الى الصفرة وفي شعر عمران بن حطان الخارجي لعنه الله دعتهم باعلا صوتها ورمتهم بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى وقال ابو العلا حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ترمي بكل شرارة كطراف شبهها بالطراف وهو بيت الادم في العظم والحمرة وكانه قصد بخبثه ان يزيد على تشبيه القرآن ولتبجحه بما سول له من توهم الزيادة جا في صدر بيته بقوله حمراء توطئة لها ومناداة عليها وتنبيها للسامعين على مكانها ولقد عمي جمع الله له عمى الدارين عن قوله عز وعلا كانه جمالات صفر فانه بمنزلة قوله كبيت احمر وعلى ان التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول في الهوى وفي التشبيه بالجمالات وهي القلوس تشبيه من ثلاث جهات من جهة العظم والطول والصفرة فابعد الله اغرابه في طرافه وما نفخ شدقيه من استطرافه وقرئ بنصب اليوم ونصبه الاعمش اي هذا الذي قص عليكم واقع يومئذ ويوم القيمة طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت ولذلك ورد الامران في القرآن او جعل نطقهم كلا نطق لانه لا ينفع ولا يسمع فيعتذرون عطف على يؤذن منخرط في سلك النفي والمعنى ولا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن ولو نصب لكان مسببا عنه لا محالة جمعناكم والاولين كلام موضح لقوله هذا يوم الفصل لانه اذا كان يوم الفصل بين السعداء والاشقياء وبين الانبياء واممهم فلا بد من جمع الاولين والآخرين حتى يقع ذلك الفصل بينهم فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم لدين الله وذويه وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة كلوا واشربوا في موضع الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال اي هم مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك وكلوا وتمتعوا حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا فان قلت كيف يصح ان يقال لهم ذلك في الآخرة قلت يقال لهم ذلك في الآخرة ايذانا بانهم كانوا في الدنيا احقاء بان يقال لهم وكانوا من اهله تذكيرا بحالهم السمجة وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم والملك الخالد وفي طريقته قوله اخوتي لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا يريد كنتم احقاء في حياتكم بان يدعا لكم بذلك وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على ان كل مجرم ماله الا الاكل والتمتع اياما قلائل ثم البقاء في الهلاك ابدا ويجوز ان يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستانفا خطابا للمكذبين في الدنيا اركعوا اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم وقيل ما كان على العرب اشد من الركوع والسجود وقيل نزلت في ثقيف حين امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلوة فقالوا لا نجبي

فانها مثبتة علينا وقال رسول الله صلعم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود فبأي حديث بعده بعد القرآن يعني ان القرآن من بين الكتب
المنزلة آية مبصرة ومعجزة باهرة فحين لم يؤمنوا به فبأي حديث بعده يؤمنون وقرئ تؤمنون بالتاء عن
رسول الله صلعم من قرأ سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين ٥

سورة عم يتساءلون مكية وتسمى سورة النبأ وهي اربعون او احدى واربعون آية ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

عم اصله عما على انه حرف جر دخل على
ما الاستفهامية وهو في قراءة عكرمة وعيسى بن عمر قال حسان ٥ على ما قام يشتمني لئيم ٥ كخنزير تمرغ في رماده ٥
والاستعمال الكثير على الحذف والاصل قليل ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن كأنه قال عن أي شأن يتساءلون
ونحوه ما في قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفي عليك جنسه فأنت تسأل عن جنسه
وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء تريد أي شيء هو من الاشياء هذا اصله ثم جرد للعبارة عن
التفخيم حتى وقع في كلام من لا يخفى عليه خافية يتساءلون يسأل بعضهم بعضا او يتساءلون غيرهم من رسول الله صلعم
والمؤمنين نحو يتداعونهم ويتراءونهم والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتساءلون غيرهم عنه
على طريق الاستهزاء عن النبأ العظيم بيان للشأن المفخم وعن ابن كثير انه قرأ عمه بهاء السكت ولا يخلو اما ان يجري
الوصل مجرى الوقف واما ان يقف ويبتدئ يتساءلون عن النبأ العظيم على ان يضمر يتساءلون لان ما بعده يفسره
كشيء يبهم ثم يفسر فان قلت قد زعمت ان الضمير في يتساءلون للكفار فما تصنع بقوله هم فيه مختلفون قلت
كان فيهم من يقطع القول بانكار البعث ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا جميعا يسألون عنه
اما المسلم فليزداد خشية واستعدادا واما الكافر فليزداد استهزاء وقيل المتساءل عنه القرآن وقيل
نبوة محمد صلعم وقرئ يساءلون بالادغام وستعلمون بالتاء كلا ردع للمتسائلين هزؤا وسيعلمون وعيد لهم بانهم
سوف يعلمون ان ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لانه واقع لا ريب فيه وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك
ومعنى ثم الاشعار بان الوعيد الثاني ابلغ من الاول واشد فان قلت كيف اتصل به قوله الم نجعل الارض مهادا
قلت لما انكروا البعث قيل لهم الم يخلق من يضاف اليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة فما وجه
انكار قدرته على البعث وما هو الا اختراع كهذه الاختراعات او قيل لهم الم يفعل هذه الافعال المتكاثرة والحكيم لا يفعل
عبثا وما تنكرونه من البعث والجزاء مؤد الى انه عابث في كل ما فعل مهادا فراشا وقرئ مهدا ومعناه انها لهم كالمهد
للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر كضرب الامير او وصفت بالمصدر او بمعنى ذات مهد اي ا
رسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالاوتاد سباتا موتا والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة
والنوم احد التوفيين وهو على بناء الادواء ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا اي حياة في قوله وجعلنا النهار
معاشا اي وقت معاش تستيقظون فيه وتتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم وقيل السبات الراحة لباسا يستركم عن
العيون اذا اردتم هربا من عدو او بياتا له او اخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الامور ٥
وكم لظلام الليل عندك من يد ٥ تخبر ان المانوية تكذب ٥ سبعا سبع سماوات شدادا جمع شديدة يعني
محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الازمان وهاجا متلألئا وقادا يعني الشمس وتوهجت النار اذا تلمظت
فتوهجت بضوئها وحرها المعصرات السحاب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك اجز
الزرع اذا حان له ان يجز ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض وقرأ عكرمة بالمعصرات وفيه وجهان
ان تراد الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وان تراد السحائب لانه اذا كان الانزال منها فهو بها كما تقول
اعطى من يده درهما واعطى بيده وعن مجاهد المعصرات الرياح ذوات الاعاصير وعن الحسن وقتادة هي السماوات
وتأويله ان الماء ينزل من السماء الى السحاب فكأن السماوات يعصرن اي يحملن على العصر ويمكن منه فان قلت فما
من قرأ من المعصرات وفسرها بالرياح ذوات الاعاصير والمطر لا ينزل من الرياح قلت الرياح هي التي تنشئ السحاب
وتدر اخلافه فيصح ان تجعل مبدأ للانزال وقد جاء ان الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب
فان صح ذلك فالانزال منها ظاهر فان قلت ذكر ابن كيسان انه جعل المعصرات بمعنى المغيثات والعاصر هو
المغيث لا المعصر يقال عصره فاعتصر قلت وجهه ان يريد اللاتي اعصرن اي حان لها ان تعصرن اي تغيث
ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب
دماء الهدي وكان ابن عباس مثجا يسيل غربا اي يثج الكلام ثجا في خطبته وقرأ الاعرج ثجاحا ومثاجح الماء مصابه
والماء ينثجح في الوادي حبا ونباتا يريد ما يتقوت من نحو الحنطة والشعير وما يعتلف من التبن والحشيش
كما قال كلوا وارعوا انعامكم والحب ذو العصف والريحان الفافا ملتفة ولا واحد له كالاوزاع والاخياف
وقيل الواحد لف وقال صاحب الاقليد انشدني الحسن بن علي الطوسي ٥ جنة لف وعيش مغدق ٥ وندامى كلهم بيض زهر ٥
وزعم ابن قتيبة انه لفاء ولف ثم الفاف وما اظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر واخضار وحمر
واحمار ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها كان ميقاتا كان في تقدير الله وحكمه
حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ بدل من يوم الفصل او عطف
بيان فتأتون افواجا من القبور الى الموقف امما كل امة مع امامها وقيل جماعات مختلفة وعن معاذ رضي الله عنه انه سأل عنه رسول الله

تعالى يا معاذ سألت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة
القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا
وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم
اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا
من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة
فالقتات من الناس واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت واما المنكسون على وجوههم فاكلة
الربا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم البكم فالذين يعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم
فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون الجيران
واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين
يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء
وفتحت بالتشديد والتخفيف والمعنى كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملائكة كأنها ليست الا ابوابا مفتحة
كقوله وفجرنا الارض عيونا كأن كلها عيون تتفجر وقيل الابواب الطرق والمسالك اي تكشط فينفتح مكانها وتصير
طرقا لا يسدها شيء فكانت سرابا كقوله فكانت هباء منبثا يعني انها تصير شيئا كلا شيء لتفرق اجزائها وانبثاث
جواهرها مرصادا الحد الذي يكون فيه الرصد والمعنى ان جهنم هي حد الطاغين الذي يرصدون فيه للعذاب وهي
مآبهم او هي مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها وهي مآب للطاغين
وعن الحسن وقتادة نحوه قالا طريقا وممرا لاهل الجنة وقرأ ابن يعمر ان جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة
بان جهنم كانت مرصادا للطاغين كأنه قيل كان ذلك لاقامة الجزاء وقرئ لابثين ولبثين واللبث اقوى لان اللابث
من وجد منه اللبث ولا يقال لبث الا لمن شأنه اللبث كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه احقابا حقبا بعد حقب
كلما مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها
والاشتقاق يشهد لذلك الا ترى الى الحقيبة الراكب والحقب الذي وراء التصدير وقيل الحقب ثمانون سنة ويجوز
ان يراد لابثين فيها احقابا غير ذائقين فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم
والغساق من جنس آخر من العذاب وفيه وجه آخر وهو ان يكون من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا
اخطأه الرزق فهو حقب وجمعه احقاب فينتصب حالا عنهم يعني لابثين فيها حقبين جحدين وقوله لا يذوقون فيها بردا
ولا شرابا تفسير له والاستثناء منقطع يعني لا يذوقون فيها بردا وروحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم
ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وانشد ٥ فلو شئت حرمت النساء سواكم ٥ وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا ٥
وعن بعض العرب منع البرد البرد وقرئ غساقا بالتخفيف والتشديد وهو ما يغسق اي يسيل من صديدهم جزاء
وفاقا وصف بالمصدر اي ذا وفاق وقرأ ابو حيوة وفاقا فعالا من وفقه كذا كذابا تكذيبا وفعال من
باب فعل كله فاش في كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره وسمعني بعضهم افسر آية فقال لقد فسرتها فسارا
ما سمع بمثله وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل قوله ٥ فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه ٥ وهو
مثل قوله انبتكم من الارض نباتا يعني وكذبوا باياتنا فكذبوا كذابا او تنصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى
كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا باياتنا فكاذبوا مكاذبة او
كذبوا بها مكاذبين لانبيائهم مكاذبة او لانهم يتكلمون بما هو افراط في الكذب فعل من يغالب في امر فيبلغ فيه
اقصى جهده وقرئ كذابا وهو جمع كاذب اي كذبوا باياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب
يقال رجل كذاب كقولك حسان وبخال فيجعل صفة لمصدر كذبوا اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وقرأ ابو
السمال وكل شيء احصيناه بالرفع على الابتداء كتابا مصدر في موضع احصاء او احصينا في معنى كتبنا لالتقاء
الاحصاء والكتبة في معنى الضبط والتحصيل او يكون حالا في معنى مكتوبا في اللوح وفي صحف الحفظة والمعنى احصاء معاصيهم
كقوله احصاه الله ونسوه وهو اعتراض وقوله فذوقوا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وهي آية
في غاية الشدة وناهيك بلن نزيدكم وبدلالته على ترك الزيادة لا يدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريقة الالتفات
شاهدا على ان الغضب قد تبالغ وعن النبي صلعم هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار مفازا فوزا وظفرا
بالبغية او موضع فوز وقيل نجاة مما فيه اولئك او موضع نجاة وفسر المفاز بما بعده والحدائق البساتين
فيها انواع الشجر المثمر والاعناب الكروم والكواعب اللاتي فلكت ثديهن وهي النواهد والاتراب اللدات دهاقا
المترعة وادهق الحوض ملأه حتى قال قطني وقرئ كذابا بالتشديد والتخفيف اي لا يكذب بعضهم بعضا
ولا يكذبه او لا يكاذبه وعن علي رضي الله عنه انه قرأ بتخفيف الاثنين جزاء مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله
ان للمتقين مفازا كانه قال جازى المتقين بمفاز عطاء نصب بجزاء نصب المفعول به اي جزاهم عطاء
حسابا صفة بمعنى كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب اعمالهم وقرأ ابن قطيب
حسابا بالتشديد على ان الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والرحمن
بالرفع على هو رب السموات الرحمن او رب السموات مبتدأ والرحمن صفة ولا يملكون خبر او هما خبران

وابن عامر وعاصم ويعقوب والرحمن ٥
حمزه والكسائي ٥

وبالجر على البدل من ربك وبجر الاول ورفع الثاني على انه مبتدأ خبره لا يملكون او هو الرحمن ولا يملكون والضمير في
لا يملكون لاهل السموات والارض اي ليس في ايديهم مما يخاطب به الله ويأمر به في الثواب والعقاب خطاب
واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه • او لا يملكون ان يخاطبوه بشيء من نقص العذاب
او زيادة في الثواب الا ان يهب لهم ذلك ويأذن لهم فيه يوم يقوم متعلق بلا يملكون او بلا يتكلمون • والمعنى
ان الذين هم افضل الخلائق واشرفهم واكثرهم طاعة واقربهم منه وهم الروح والملائكة لا يملكون التكلم بين يديه
فما ظنك بمن عداهم من اهل السموات والارض • والروح اعظم خلقا من الملائكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين
وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله بعد العرش خلقا اعظم منه • وقيل ليسوا بالملائكة وهم يأكلون • وقيل جبريل هما
شريطتان ان يكون المتكلم منهم مأذونا له في الكلام وان يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى كقوله ولا يشفعون الا لمن
ارتضى الحق ثبوته وتحققه المرء هو الكافر لقوله انا انذرناكم عذابا قريبا والكافر ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم • وما قدمت يداه
من الشر كقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وتذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك
بما قدمت يداك • بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين • وما يجوز ان تكون استفهامية منصوبة بقدمت
اي ينظر اي شيء قدمت يداه • وموصولة منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع من الصلة محذوف
وقيل المرء عام وخصص منه الكافر • وعن قتادة هو المؤمن يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف
او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث • وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء
ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله • وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء
الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله
برد الشراب يوم القيامة

سورة والنازعات مكية وهي خمس او ست واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

اقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الارواح من الاجساد • وبالطوائف التي تنشطها اي تخرجها من
نشط الدلو من البئر اذا اخرجها • وبالطوائف التي تسبح في مضيها اي تسرع فتسبق الى ما امروا به فتدبر
امرا من امور العباد مما يصلحهم في دينهم او دنياهم كما رسم لهم غرقا اغراقا في النزع اي تنزعها من
اقاصي الاجساد من اناملها واظفارها • او اقسم بخيل الغزاة التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه
الاعنة لطول اعناقها لانها عراب • والتي تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا
خرج من بلد الى بلد والتي تسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الغلبة والظفر • واسناد
التدبير اليها لانها من اسبابه • او اقسم بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب • واغراقها في النزع
ان تقطع الفلك كله حتى تنحط في اقصى الغرب والتي تخرج من برج الى برج • والتي تسبح في الفلك فتسبق
فتدبر امرا من علم الحساب • وقيل النازعات ايدي الغزاة او انفسهم تنزع القسي باغراق
السهام والتي تنشط الاوهاق والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة
ويوم ترجف منصوب بهذا المضمر والراجفة الواقعة التي ترجف عندها الارض والجبال • وهي النفخة الاولى
وصفت بما يحدث بحدوثها تتبعها الرادفة اي الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية • ويجوز ان تكون
الرادفة من قوله تعالى عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون اي القيامة التي يستعجلها الكفرة
استبعادا لها وهي رادفة لهم لاقترابها • وقيل الراجفة الارض والجبال من قوله يوم ترجف الارض
والجبال • والرادفة السماء والكواكب لانها تنشق وتنتثر كواكبها على اثر ذلك فان قلت ما محل تتبعها
قلت الحال اي ترجف تابعتها الرادفة فان قلت كيف جعلت يوم ترجف ظرفا للمضمر الذي هو لتبعثن ولا
يبعثون عند النفخة الاولى قلت المعنى لتبعثن في الوقت الواسع الذي تقع فيه النفختان وهم يبعثون
في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الاخرى ودل على ذلك ان قوله تتبعها الرادفة جعل حالا عن
الراجفة • ويجوز ان ينتصب يوم ترجف بما دل عليه قلوب يومئذ واجفة اي يوم ترجف وجفت القلوب واجفة
شديدة الاضطراب • والوجيب والوجيف اخوان خاشعة ذليلة فان قلت كيف جاز الابتداء بالنكرة قلت
قلوب مرفوعة بالابتداء وواجفة صفتها وابصارها خاشعة خبرها فهو كقوله ولعبد مؤمن خير من
مشرك فان قلت كيف صح اضافة الابصار الى القلوب قلت معناه ابصار اصحابها بدليل قوله يقولون في الحافرة
في الحالة الاولى يعنون الحياة بعد الموت فان قلت ما حقيقة هذه الكلمة قلت يقال رجع فلان في حافرته
اي في طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه فيها جعل اثر قدميه حفرا كما قيل حفرت اسنانه
حفرا اذا اثر الاكال في اسناخها والخط المحفور في الصخر • وقيل حافرة كما قيل عيشة راضية اي منسوبة
الى الحفر والرضا • او كقولهم نهارك صائم • ثم قيل لمن كان في امر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى
حافرته • اي الى طريقته وحالته الاولى قال احافرة على صلع وشيب ٥ معاذ الله من سفه وعار ٥
يريد ارجوعا الى الحافرة • وقيل النقد عند الحافرة يريدون عند الحالة الاولى وهي الصفقة وقرأ ابو حيوة
في الحفرة والحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة • وهذه القراءة دليل على
ان الحافرة في اصل الكلمة بمعنى المحفورة ٥ يقال نخر العظم فهو نخر وناخر كقولك طمع فهو طمع وطامع

دنخرا

أإذا — وإنا

وابن ذكوان والكسائي وابو بكر عن عاصم ورويس بالالف والباقون
وروح عن يعقوب فاخرة ٥ نخرة

وفعل ابلغ من فاعل • وقد قرئ بهما • وهو البالي الاجوف الذي تمر فيه الريح فيسمع له نخير • واذا منصوب بمحذوف تقديره
اذا كنا عظاما نبعث كرة خاسرة منسوبة الى الخسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت وبعثنا فنحن اذا
خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم فان قلت بم تعلق قوله فانما هي زجرة واحدة قلت بمحذوف معناه لا
تستصعبوها فانما هي زجرة واحدة يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله تعالى فانها سهلة هينة في قدرته ما هي
الا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية فاذا هم احياء على وجه الارض بعدما كانوا امواتا في جوفها من قولهم زجر
البعير اذا صاح عليه والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين
ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة • قال الاشعث بن قيس وساهرة يضحي السراب مجللا لاقطارها قد جبتها متلثما
او لان سالكها لا ينام خوف الهلكة • وعن قتادة فاذا هم في جهنم اذهب على ارادة القول وفي قراءة عبد الله
ان اذهب لان في النداء معنى القول هل لك في كذا وهل لك الى كذا كما تقول هل ترغب فيه وهل ترغب اليه الى ان
تزكى الى ان تتطهر من الشرك وقرأ اهل المدينة تزكى بالادغام واهديك الى ربك وارشدك الى معرفة الله وانبهك
عليه فتعرفه فتخشى لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة • قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اي العلماء به • وذكر
الخشية لانها ملاك الامر من خشي الله اتى منه كل خير • ومن امن اجترأ على كل شر • ومنه قوله عليه السلام من خاف ادلج
ومن ادلج بلغ المنزل بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك ان تنزل بنا واردفه الكلام
الرقيق ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه كما امر بذلك في قوله فقولا له قولا لينا الآية
الكبرى قلب العصا حية لانها كانت المقدمة والاصل • والاخرى كالتبع لها لانه كان يتقيها بيده فقيل له ادخل
يدك في جيبك • او ارادهما جميعا الا انه جعلهما واحدة لان الثانية كانها من جملة الاولى لكونها تابعة لها فكذب
بموسى والآية الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا • وعصى الله تعالى بعد ما علم صحة الامر وان الطاعة قد وجبت عليه ثم ادبر
يسعى اي لما رأى الثعبان ادبر مرعوبا يسعى يسرع في مشيته • قال الحسن كان رجلا طياشا خفيفا • او تولى عن موسى
يسعى ويجتهد في مكايدته • او اريد ثم اقبل يسعى كما تقول اقبل فلان يفعل كذا بمعنى انشأ يفعل فوضع ادبر
موضع اقبل لئلا يوصف بالاقبال فحشر فجمع السحرة كقوله فارسل فرعون في المدائن حاشرين فنادى في المقام الذي
اجتمعوا فيه معه • او امر مناديا فنادى في الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة • وعن ابن عباس
كلمته الاولى ما علمت لكم من اله غيري والآخرة انا ربكم الاعلى هو مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله
به نكال الآخرة والاولى والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم يعني الاغراق في الدنيا والاحراق في الآخرة
وعن ابن عباس نكال كلمتيه الآخرة وهي قوله انا ربكم الاعلى والاولى وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري • وقيل كان بين
الكلمتين اربعون سنة وقيل عشرون الخطاب لمنكري البعث يعني أأنتم اصعب خلقا وانشاء ام السماء ثم بين كيف
خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال رفع سمكها اي جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام
فسواها فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور • او فتممها بما علم انها تتم به واصلحها من قولك سوى
فلان امر فلان اغطش الليل واغطشه الله كقولك ظلم واظلمه • ويقال ايضا اغطش الليل كما يقال اظلم واخرج
ضحاها وابرز ضوء شمسها يدل عليه قوله تعالى والشمس وضحاها يريد وضوءها وقولهم وقت الضحى للوقت الذي
تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها • واضيف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس هي السراج المثقب
في جوها ماءها عيونها المتفجرة بالماء ومرعاها ورعيها وهو في الاصل موضع الرعي • ونصب الارض والجبال
باضمار دحا وارسى وهو الاضمار على شريطة التفسير • وقرأهما الحسن مرفوعين على الابتداء فان قلت هلا ادخل حرف
العطف على اخرج قلت فيه وجهان احدهما ان يكون معنى دحاها بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد
بما لا بد منه في تأتي سكناها من تسوية امر المأكل والمشرب وامكان القرار عليها والسكون باخراج الماء
والمرعى وارساء الجبال واثباتها اوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها • والثاني ان يكون اخرج حالا باضمار
قد كقوله او جاؤكم حصرت صدورهم واراد بمرعاها ما يأكل الناس والانعام واستعير الرعي للانسان
كما استعير الرتع في قوله نرتع ونلعب وقرئ نرتع من الرعي • ولهذا قيل دل الله سبحانه بذكر الماء والمرعى
على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الارض حتى الملح لانه من الماء متاعا لكم فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لان
منفعة ذلك التمهيد واصلة اليهم والى انعامهم الطامة الداهية التي تطم على الدواهي اي تعلو وتغلب
وفي امثالهم جرى الوادي فطم على القري • وهي القيامة لطمومها على كل هائلة • وقيل هي النفخة الثانية
وقيل الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة • واهل النار الى النار يوم يتذكر بدل من اذا جاءت يعني اذا
رأى اعماله مدونة في كتابه تذكرها • وكان قد نسيها كقوله احصاه الله ونسوه • وما في ما سعى
موصولة او مصدرية وبرزت واظهرت • وقرأ ابو نهيك وبرزت لمن يرى للرائين جميعا اي لكل احد يعني
انها تظهر اظهارا بينا مكشوفا يراها اهل النار كلهم كقولهم قد بين الصبح لذي عينين
يريدون لكل من له بصر وهو مثل في الامر المنكشف الذي لا يخفى على احد • وقرأ ابن مسعود لمن رأى
وقرأ عكرمة لمن ترى والضمير للجحيم كقوله اذا رأتهم من مكان بعيد • وقيل لمن ترى يا محمد فاما جواب
فاذا اي فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك • والمعنى فان الجحيم مأواه كما تقول للرجل غض

الطرف تريد طرفك وليس الالف واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم ان الطاغي هو صاحب المأوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة ودخول حرف التعريف في المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهي تصلح او مبتدأ ونهى النفس الامارة بالسوء عن الهوى المردي وهو اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين على ايثار الخير وقيل الآيتان نزلتا في ابي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حتى نفذت المشاقص في جوفه ايان مرساها متى ارساؤها اي اقامتها اراد متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة مستقرها حيث تنتهي اليه فيم انت في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به يعني ما انت من ذكراها لهم وتبيين وقتها في شيء وعن عائشة رضي الله عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها كانه قال في اي شغل واهتمام انت من ذكرها والسؤال عنها والمعنى انهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها ثم قال الى ربك منتهاها اي منتهى علمها لم يؤت علمها احدا من خلقه وقيل فيم انكار لسؤالهم اي فيم هذا السؤال ثم قيل انت من ذكراها اي ارسالك وانت خاتم الانبياء وآخر الرسل المبعوث في نسم الساعة ذكر من ذكراها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها انما انت منذر من يخشاها اي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة التي لا فائدة لهم في علمه وانما بعثت لتنذر من اهوالها من يكون انذارك لطفا له في الخشية منها وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي فليس الا الاضافة كقولك هو منذر زيد امس اي كأنهم لم يلبثوا في الدنيا وقيل في القبور الا عشية او ضحاها فان قلت كيف صحت اضافة الضحى الى العشية قلت لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما في نهار واحد فان قلت فهلا قيل الا عشية او ضحى وما فائدة الاضافة قلت الدلالة على ان مدة لبثهم كأنها لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة منه عشيته او ضحاه فلما ترك اليوم اضافه الى عشيته فهو كقوله كأن لم يلبثوا الا ساعة من نهار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة

سورة عبس مكية وهي اثنتان واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم وام مكتوم ام ابيه واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقال انس رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة ونحوه كلّح في كلح ان جاءه منصوب بتولى او بعبس على اختلاف المذهبين ومعناه عبس لان جاءه الاعمى واعرض لذلك وقرئ أأن جاءه بهمزتين وبالف بينهما ووقف على عبس وتولى ثم ابتدأ على معنى ألأن جاءه الاعمى فعل ذلك انكارا عليه وروي انه ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغني وفي الاخبار عما فرط منه ثم الاقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الانكار كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجاني اذا حمي في الشكاية مواجها بالتوبيخ والزام الحجة وفي ذكر الاعمى نحو من ذلك كانه يقول قد استحق عندك العبوس والاعراض لانه اعمى وكان يجب ان يزيده لعماه تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا ولقد تأدب الناس بأدب الله في هذا تأدبا حسنا فقد روي عن سفيان الثوري رحمه الله ان الفقراء كانوا في مجلسه امراء وما يدريك واي شيء يجعلك داريا بحال هذا الاعمى لعله يزكى اي يتطهر بما يتلقن من الشرائع من بعض اوضار الاثم او يذكر او يتعظ فتنفعه ذكراك اي موعظتك وتكون له لطفا في بعض الطاعات والمعنى انك لا تدري ما هو مترقب منه من تزك او تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك وقيل الضمير في لعله للكافر يعني انك طمعت في ان يتزكى بالاسلام او يتذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرئ فتنفعه بالرفع عطفا على يذكر وبالنصب جوابا للعل كقوله فاطلع الى اله موسى تصدى تتعرض بالاقبال عليه والمصاداة المعارضة وقرئ تصّدى بالتشديد بادغام التاء في الصاد وقرأ ابو جعفر تُصدى بضم التاء اي تعرض ومعناه يدعوك داع الى التصدي له من الحرص والتهالك على اسلامه وليس عليك بأس في ان لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ يسعى يسرع في طلب الخير وهو يخشى الله او الكفار واذاهم في اتيانك وقيل جاء وليس معه قائد فهو يخشى الكبوة تلهى تتشاغل من لهي عنه والتهى وتلهى وقرأ طلحة بن مصرف تتلهى وقرأ ابو جعفر تُلهى اي يلهيك شأن الصناديد فان قلت قوله فانت له تصدى فانت عنه تلهى كان فيه اختصاصا قلت نعم ومعناه انكار التصدي والتلهي

عليه اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى للغني ويتلهى عن الفقير كلا ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله انها تذكرة اي موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها فمن شاء ذكره اي كان حافظا له غير ناس وذكر الضميران لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ في صحف صفة لتذكرة يعني انها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح مكرمة عند الله مرفوعة في السماء او مرفوعة المقدار مطهرة منزهة عن ايدي الشياطين لا يمسها الا ايدي ملائكة مطهرين سفرة كتبة ينتسخون الكتب من اللوح بررة اتقياء وقيل هي صحف الانبياء كقوله ان هذا لفي الصحف الاولى وقيل السفرة القراء وقيل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل الانسان دعاء عليه وهو من اشنع دعواتهم لان القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها ما اكفره تعجب من افراطه في كفران نعمة الله ولا ترى اسلوبا اغلظ منه ولا اخشن مسا ولا ادل على سخط ولا ابعد شوطا في المذمة مع تقارب طرفيه ولا اجمع للائمة على قصر متنه ثم اخذ في وصف حاله من ابتداء حدوثه الى ان انتهى وما هو مغمور فيه من اصول النعم وفروعها وما هو غارز فيه رأسه من الكفران والغمط وقلة الالتفات الى ما يتقلب فيه والى ما يجب عليه من القيام بالشكر من اي شيء خلقه اي من اي شيء حقير مهين خلقه ثم بين ذلك الشيء بقوله من نطفة خلقه فقدره لما يصلح له ويختص به ونحوه وخلق كل شيء فقدره تقديرا ثم السبيل يسره نصب السبيل باضمار يسر وفسره بيسره والمعنى ثم سهل سبيله وهو مخرجه من بطن امه او السبيل الذي يختار سلوكه من طريقي الخير والشر باقداره وتمكينه كقوله انا هديناه السبيل وعن ابن عباس بين له سبيل الخير والشر فاقبره فجعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يجعله مطروحا على وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه واقبره الميت اذا امره ان يقبره ومكنه منه ومنه قول من قال للحجاج اقبرنا صالحا انشره انشأه النشأة الاخرى وقرئ نشره كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض لم يقض بعد مع تطاول الزمان وامتداده من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله حتى يخرج عن جميع اوامره يعني ان انسانا لم يخل من تقصير قط ولما عدد النعم في نفسه اتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال فلينظر الى طعامه الذي يعيش به كيف دبرنا امره انا صببنا الماء يعني الغيث وقرئ بالكسر على الاستئناف وبالفتح على البدل من الطعام وقرأ الحسين بن علي عليهما السلام أنى صببنا بالامالة على معنى فلينظر الانسان كيف صببنا الماء شققنا من شق الارض بالنبات ويجوز ان يكون من شقها بالكراب على البقر واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب وحبا كالحنطة والشعير وغيرهما وقضبا الرطبة والمقاضب ارضه سمي بمصدر قضبه اذا قطعه لانه يقضب مرة بعد مرة وحدائق غلبا يحتمل ان يجعل كل حديقة غلبا فيريد تكاثفها وكثرة اشجارها وعظمها كما تقول حديقة ضخمة وان يجعل شجرها غلبا اي عظاما غلاظا والاصل في الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال عمرو بن معدي كرب

يمشي بها غلب الرقاب كأنهم ... بزل كسين من الكحيل جلالا

وأبا المرعى لانه يؤب اي يؤم وينتجع والاب والأم اخوان قال

جذمنا قيس ونجد دارنا ... ولنا الاب به والمكرع

وعن ابي بكر رضي الله عنه انه سئل عن الاب فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله عنه انه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه فان قلت فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته قلت لم يذهب الى ذلك ولكن القوم كانت اكبر همتهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به تكلفا عندهم فاراد ان الآية مسوقة في الامتنان على الانسان بمطعمه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى الآية ان الاب بعض ما انبته الله للانسان متاعا له او لانعامه فعليك بما هو اهم من النهوض بالشكر لله على ما تبين لك ولم يشكل مما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الاب ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له واكتف بالمعرفة الجملية الى ان يتبين لك في غير هذا الوقت ثم وصى الناس بان يجروا على هذا السنن فيما اشبه ذلك من مشكلات القرآن يقال صخ لحديثه مثل اصاخ له فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لان الناس يصخون لها يفر منهم لاشتغاله بما هو مدفوع اليه ولعلمه انهم لا يغنون عنه شيئا وبدأ بالاخ ثم بالابوين لانهما اقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لانهم اقرب واحب كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الاخ لم تواسني بمالك والابوان قصرت في برنا والصاحبة اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا وقيل اول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابراهيم ومن صاحبته لوط ونوح ومن ابنه نوح يغنيه يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه اي يهمه مسفرة مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس من قيام الليل لما روي في الحديث من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله غبرة غبار يعلوها ترهقها قترة سواد كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما ترى من وجوه الزنوج اذا اغبرت وكأن الله عز وجل يجمع الى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور الى الكفر

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس وتولى جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر ٥

سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم في التكوير وجهان أن يكون من كورت العمامة إذا لففتها أي يلف ضوؤها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق وهو عبارة عن إزالتها والذهاب بها لأنها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف ٥ أو يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها لأن الثوب إذا أريد رفعه لف وطوي ونحوه قوله يوم نطوي السماء ٥ وأن يكون من طعنه فجوّره وكوّره إذا ألقاه ٥ أي تلقى وتطرح عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار ٥ فإن قلت ارتفاع الشمس على الابتداء أو على الفاعلية قلت بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره كورت لأن إذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط ٥ انكدرت انقضت قال ٥ أبصر خربان فضاء فانكدر ٥ ويروى في الشمس والنجوم أنها تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ٥ سيرت أي عن وجه الأرض وأبعدت ٥ أو سيرت في الجو تسيير السحاب كقوله وهي تمر مر السحاب ٥ والعشار في جمع عشراء كالنفاس في جمع نفساء وهي التي أتى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة وهي أنفس ما يكون عند أهلها وأعزها عطلت تركت مسيبة مهملة ٥ وقيل عطلها أهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم بأنفسهم ٥ وقرئ عطلت بالتخفيف ٥ حشرت جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص ٥ وقيل إذا قضي بينها ردت ترابا فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبني آدم وإعجاب بصورته كالطاووس ونحوه ٥ وعن ابن عباس حشرها موتها يقال إذا أجحفت السنة بالناس وأموالهم حشرتهم السنة ٥ وقرئ حشرت بالتشديد ٥ سجرت قرئ بالتخفيف والتشديد من سجر التنور إذا ملأه بالحطب أي ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرا واحدا ٥ وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب أهل النار ٥ وعن الحسن يذهب ماؤها فلا يبقى فيها قطرة ٥ زوجت قرنت كل نفس بشكلها ٥ وقيل قرنت الأرواح بالأجساد ٥ وقيل بكتبها وأعمالها ٥ وعن الحسن هو كقوله وكنتم أزواجا ثلاثة ٥ وقيل نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين ٥ وأد يئد مقلوب من آد يؤود إذا أثقل قال الله تعالى ولا يؤوده حفظهما لأنه إثقال بالتراب كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية وإن أراد قتلها تركها حتى إذا كانت سداسية فيقول لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها وقد حفر لها بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي البئر بالأرض ٥ وقيل كانت الحامل إذا أقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فإذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة ٥ وإن ولدت ابنا حبسته ٥ فإن قلت ما حملهم على وأد البنات قلت الخوف من لحوق العار بهم من أجلهن أو الخوف من الإملاق كما قال الله تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ٥ وكانوا يقولون إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به فهو أحق بهن ٥ وصعصعة بن ناجية ممن منع الوأد فبه افتخر الفرزدق في قوله ٥ ومنا الذي منع الوائدات ٥ فأحيا الوئيد فلم يوأد ٥ فإن قلت فما معنى سؤال الموؤودة عن ذنبها الذي قتلت به وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها قلت سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله تعالى لعيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين إلى قوله سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ٥ وقرئ سألت أي خاصمت عن نفسها وسألت الله أو قاتلها ٥ وإنما قيل قتلت بناء على أن الكلام إخبار عنها ٥ ولو حكي ما خوطبت به حين سئلت لقيل قتلت ٥ أو كلامها حين سئلت لقيل قتلت ٥ وقرأ ابن عباس قتلت على الحكاية ٥ وقرئ قتلت بالتشديد ٥ وفيه دليل بين على أن أطفال المشركين لا يعذبون وعلى أن التعذيب لا يستحق إلا بالذنب وإذا بكت الله الكافر ببراءة الموؤودة من الذنب فما أقبح به وهو الذي لا يظلم مثقال ذرة أن يكر عليها بعد هذا التبكيت فيفعل بها ما تنسى عنده فعل المبكت من العذاب الشديد ٥ وعن ابن عباس أنه سئل عن ذلك فاحتج بهذه الآية ٥ نشرت قرئ بالتخفيف والتشديد يريد صحف الأعمال تطوى صحيفة الإنسان عند موته ثم تنشر إذا حوسب عن قتادة صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيامة فلينظر رجل ما يملي في صحيفته ٥ وعن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا قرأها قال إليك يساق الأمر يا ابن آدم ٥ وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت أم سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس يا أم سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل ٥ ويكون أن يراد نشرت بين أصحابها أي فرقت بينهم ٥ وعن مرثد بن وداعة إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية ٥ وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم ٥ أي مكتوب فيها ذلك ٥ وهي صحف غير صحف الأعمال ٥ كشطت كشفت وأزيلت كما يكشط الإهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء ٥ وقرأ ابن مسعود قشطت ٥ واعتقاب القاف والكاف كثير يقال لبكت الثريد ولبقته ٥ والكافور والقافور ٥ سعرت أوقدت إيقادا شديدا ٥ وقرئ سعرت بالتشديد للمبالغة قيل سعرها غضب الله وخطايا بني آدم ٥ أزلفت أدنيت من المتقين كقوله وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا وست في الآخرة ٥ وعلمت هو عامل النصب في إذا الشمس كورت وفيما عطف عليه ٥ فإن قلت كل نفس تعلم ما أحضرت كقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا لا نفس واحدة فما معنى

علمت نفس قلت هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به الإفراط فيما يعكس عنه ٥ ومنه قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ومعناه معنى كم وأبلغ منه وقول القائل ٥ قد أترك القرن مصفرا أنامله ٥ وتقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي أو لا تعدم عندي فارسا وعنده المقانب وقصده بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه أراد إظهار براءته من التزيد وأنه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا أن يتزيد فجاء بلفظ التقليل ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين ٥ وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن قارئا قرأها عنده فلما بلغ علمت نفس ما أحضرت قال وانقطاع ظهرياه ٥ الخنس الرواجع بينا ترى النجم في آخر البرج إذ كر راجعا إلى أوله والجوار السيارة والكنس الغيب من كنس الوحشي إذا دخل كناسه ٥ قيل هي الدراري الخمسة ٥ بهرام ٥ وزحل ٥ وعطارد ٥ والزهرة ٥ والمشتري ٥ تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس ٥ وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أي تطلع في أماكنها كالوحش في كنسها ٥ عسعس الليل وسعسع إذا أدبر قال العجاج ٥ حتى إذا الصبح لها تنفسا ٥ وانجاب عنها ليلها وعسعسا ٥ وقيل عسعس إذا أقبل ظلامه ٥ فإن قلت ما معنى تنفس الصبح قلت إذا أقبل الصبح أقبل بإقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز ٥ وقيل تنفس الصبح ٥ إنه الضمير للقرآن ٥ رسول كريم هو جبريل صلوات الله عليه ذي قوة كقوله تعالى شديد القوى ذو مرة لما كانت حال المكانة على حسب حال الممكن قال عند ذي العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته ٥ ثم إشارة إلى الظرف المذكور أعني عند ذي العرش على أنه عند الله مطاع في ملائكته المقربين الذين يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه ٥ وقرئ ثم تعظيما للأمانة وبيانا لأنها أفضل صفاته المعدودة ٥ وما صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بمجنون كما تبهته الكفرة ٥ وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان جبريل وفضله على الملائكة ومباينة منزلته لمنزلة أفضل الإنس محمد عليه السلام إذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما ٥ وقايست بين قوله إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين ٥ وبين قوله وما صاحبكم بمجنون ٥ ولقد رآه ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل بالأفق المبين بمطلع الشمس الأعلى ٥ وما هو وما محمد على ما يخبر به من الغيب من رؤية جبريل والوحي إليه وغير ذلك بظنين بمتهم من الظنة وهي التهمة ٥ وقرئ بضنين من الضن وهو البخل أي لا يبخل بالوحي فيزوي بعضه غير مبلغه أو يسأل تعليمه فلا يعلمه ٥ وهو في مصحف عبد الله بالظاء ٥ وفي مصحف أبي بالضاد ٥ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما ٥ وإتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ٥ ومعرفة مخرجيهما مما لا بد منه للقارئ ٥ فإن أكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وإن فرقوا ففرقا غير صواب ٥ وبينهما بون بعيد ٥ فإن مخرج الضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الأضراس من يمين اللسان أو يساره ٥ وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أضبط يعمل بكلتا يديه وكان يخرج الضاد من جانبي لسانه وهي إحدى الأحرف الشجرية أخت الجيم والشين ٥ وأما الظاء فمخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا ٥ وهي أحد الأحرف الذولقية أخت الذال والثاء ٥ ولو استوى الحرفان لما ثبتت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب ٥ فإن قلت فإن وضع المصلي أحد الحرفين مكان صاحبه قلت هو كواضع الذال مكان الجيم والثاء مكان الشين لأن التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين أخواتهما ٥ وما هو وما القرآن بقول شيطان رجيم أي بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم إلى أوليائهم من الكهنة ٥ فأين تذهبون استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا أو ذهابا في بنيات الطريق أين تذهب ٥ مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل ٥ لمن شاء منكم بدل من للعالمين وإنما أبدلوا منهم لأن الذين شاؤوا الاستقامة بالدخول في الإسلام هم المنتفعون بالذكر فكأنه لم يوعظ به غيرهم وإن كانوا موعظين جميعا ٥ وما تشاؤون الاستقامة يا من يشاؤها إلا بتوفيق الله ولطفه ٥ أو وما تشاؤونها أنتم يا من لا يشاؤها إلا بقسر الله وإلجائه ٥ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ إذا الشمس كورت أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته ٥

سورة الانفطار مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم انفطرت انشقت فجرت فتح بعضها إلى بعض فاختلط العذب بالمالح وزال البرزخ الذي بينهما وصارت البحار بحرا واحدا ٥ وروي أن الأرض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن ٥ وقرئ فجرت بالتخفيف ٥ وقرأ مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا إلى قوله تعالى لا يبغيان لأن البغي والفجور أخوان ٥ بعثر وبحثر بمعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة إليهما والمعنى بحثت وأخرج موتاها ٥ وقيل لبراءة المبعثرة لأنها بعثرت أسرار المنافقين ٥ فإن قلت ما معنى قوله ما غرك بربك الكريم وكيف طابق الوصف بالكريم إنكار الاغترار به وإنما يغتر بالكريم كما يروى عن علي رضي الله عنه أنه صاح بغلام له كرات فلم يلبه فنظر فإذا هو بالباب فقال له ما لك لم تجبني قال لثقتي بحلمك وأمني من عقوبتك فاستحسن جوابه وأعتقه ٥ وقالوا من كرم الرجل سوء أدب غلمانه ٥ قلت معناه أن حق الإنسان أن لا يغتر بتكرم الله عليه حيث خلقه حيا لينفعه وبتفضله عليه بالثواب وطرح العقاب اغترارا بالتفضل الأول فإنه منكر خارج من حد الحكمة ٥ ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها غره جهله ٥ وقال عمر رضي الله عنه غره حمقه وجهله ٥ وقال الحسن غره والله شيطانه الخبيث أي زين له المعاصي

وقال له اعمل ما شئت فربك الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به اولاً وهو متفضل عليك آخراً حتى ورّطه
وقيل للفضيل بن عياض ان اقامك الله يوم القيامة وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول له قال اقول
غرتني ستورك المرخاة وهذا على سبيل الاعتراف بالخطا في الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع
ويظن به قصاص الحشوية ويروون عن ائمتهم انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده
الجواب حتى يقول غرني كرم الكريم . وقرأ سعيد بن جبير ما اغرك اما على التعجب . واما على الاستفهام
من قولك غر الرجل فهو غار اذا غفل . من قولك بيتهم العدو وهم غارون وأغره غيره جعله
غاراً . فسواك فجعلك سوياً سالم الاعضاء فعدلك فصيرك معتدلاً متناسب الخلق من غير تفاوت
فيه فلم يجعل احدى اليدين اطول ولا احدى العينين اوسع ولا بعض الاعضاء ابيض وبعضها اسود
ولا بعض الشعر فاحماً وبعضه اشقر او جعلك معتدل الخلق تمشي قائماً لا كالبهائم . وقرئ فعدلك بالتخفيف
وفيه وجهان ان يكون بمعنى المشدد اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت والثاني فعدلك
فصرفك يقال عدله عن الطريق يعني فعدلك عن خلقة غيرك وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق او
فعدلك الى بعض الاشكال والهيآت ما في ما شاء من ابنية اي ركبك اي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته
من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف
الشبه فان قلت هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها قلت لانها بيان لعدلك فان قلت بم يتعلق
الجار قلت يجوز ان يتعلق بركبك على معنى وضعك في بعض الصور ومكنك فيه وبمحذوف اي ركبك
حاصلاً في بعض الصور ومحله النصب على الحال ان علق بمحذوف ويجوز ان يتعلق بعدلك ويكون في اي
معنى التعجب اي فعدلك في صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك اي ركبك ما شاء من التراكيب يعني تركيباً حسناً
كلا ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله والتسلق به وهو موجب الشكر والطاعة الى عكسهما الذي هو
الكفر والمعصية ثم قال بل تكذبون بالدين اصلاً وهو الجزاء او دين الاسلام فلا تصدقون ثواباً ولا عقاباً
وهو شر من الطمع المنكر وان عليكم لحافظين تحقيق لما يكذبون به من الجزاء يعني انكم تكذبون بالجزاء والكاتبون
يكتبون عليكم اعمالكم لتجازوا بها . وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله من
جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه ويجازى به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة
وفيه انذار وتهويل وتشوير للعصاة ولطف للمؤمنين . وعن الفضيل انه كان اذا قرأها قال
ما اشدها من آية على الغافلين وما هم عنها بغائبين كقوله وما هم بخارجين منها ويجوز ان يراد يصلونها
النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك يعني في قبورهم . وقيل اخبر الله في هذه السورة ان لابن آدم
ثلاث حالات حال الحياة التي يحفظ فيها عمله . وحال الآخرة التي يجازى فيها . وحال البرزخ . وهو قوله
وما هم عنها بغائبين . يعني ان امر يوم الدين بحيث لا تدرك دراية دار كنهه في الهول والشدة .
وكيفما تصورته فهو فوق ذلك وعلى اضعافه والتكرير لزيادة التهويل . ثم اجمل القول في وصفه فقال
يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً اي لا تستطيع دفعاً عنها ولا نفعاً لها بوجه . والامر يومئذ لله وحده
من رفع فعلى البدل من يوم الدين او على هو يوم لا تملك . ومن نصب فباضمار يدانون لان الدين يدل
عليه . او باضمار اذكر . ويجوز ان يفتح لاضافته الى غير متمكن وهو في محل الرفع . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ اذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة . سورة
المطففين مختلف فيها وهي ست وثلاثون آية . بسم الله الرحمن الرحيم التطفيف البخس في الكيل
والوزن لان ما يبخس شيء طفيف حقير . وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكانوا من اخبث الناس
كيلاً فنزلت فاحسنوا الكيل . وقيل قدمها وبها رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل
باحدهما ويكتال بالآخر . وقيل كان اهل المدينة تجاراً يطففون . وكانت بياعاتهم المنابذة
والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله
وما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم . وما حكموا بغير ما انزل الله
الا فشا فيهم الفقر . وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت . ولا طففوا الكيل الا منعوا
النبات واخذوا بالسنين . ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر . وعن علي رضي الله عنه انه مر
برجل يزن الزعفران وقد ارجح فقال له اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كأنه
امره بالتسوية اولاً ليعتادها ويفصل الواجب من النفل . وعن ابن عباس انكم معشر
الاعاجم وليتم امرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم
يجمعون الكيل والوزن جميعاً وكانا مفرقين في الحرمين كان اهل مكة يزنون واهل المدينة
يكيلون . وعن ابن عمر انه كان يمر بالبائع فيقول اتق الله واوف الكيل فان المطففين
يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم . وعن عكرمة اشهد ان كل
كيال ووزان في النار . فقيل له ان ابنك كيال او وزان فقال اشهد انه في النار . وعن ابي
رضي الله عنه لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رؤوس المكاييل والسن الموازين لما كان اكتيالهم
من الناس اكتيالاً يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك

وكون

وكون ان يتعلق على بيستوفون وتقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة
فاما انفسهم فيستوفون لها . وقال الفراء من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت
عليك فكانه قال اخذت ما عليك . واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك . والضمير في
كالوهم او وزنوهم ضمير منصوب راجع الى الناس . وفيه وجهان ان يراد كالوا لهم او وزنوا لهم
فحذف الجار واوصل الفعل كما قال . ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا . ولقد نهيتك عن بنات الاوبر
والحريص يصيدك لا الجواد . بمعنى جنيت لك . ويصيد لك . وان يكون على حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه . والمضاف هو المكيل والموزون . ولا يصح ان يكون ضميراً مرفوعاً للمطففين لان الكلام يخرج
به الى نظم فاسد . وذلك ان المعنى اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا اعطوهم اخسروا وان
جعلت الضمير للمطففين انقلب الى قولك اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل او الوزن
هم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر . لان الحديث واقع في الفعل لا في المباشر والتعلق في
ابطاله بخط المصحف . وان الالف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك . لان خط المصحف
لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط . على اني رأيت في الكتب المخطوطة بايدي الائمة
المتقنين هذه الالف مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى جميعاً لان الواو وحدها معطية معنى
الجمع . وانما كتبت هذه الالف تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك هم لم يدعوا . وهو يدعو . فمن لم يثبتها
قال المعنى كاف في التفرقة بينهما . وعن عيسى بن عمر وحمزة انهما كانا يرتكبان ذلك اي يجعلان الضميرين
للمطففين ويقفان عند الواوين وقيفة يبينان بها ما ارادا فان قلت هلا قيل او اتزنوا كما قيل
او وزنوهم قلت كأن المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين
لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون في الملء واذا اعطوا
كالوا او وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعاً . يخسرون ينقصون يقال خسر الميزان واخسره
الا يظن انكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف كأنهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخميناً انهم
مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة . وعن قتادة اوف يا ابن آدم كما تحب ان يوفى لك
واعدل كما تحب ان يعدل لك . وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيامة . وعن عبد الملك
بن مروان ان اعرابياً قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين . اراد بذلك ان المطفف قد توجه
عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وانت تأخذ اموال الناس بلا كيل ولا وزن .
وفي هذا الانكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله خاضعين ووصفه
ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وفيما كان في مثل حاله من الحيف
وترك القيام بالقسط والعمل على التسوية والعدل في كل اخذ واعطاء بل في كل قول وعمل . وقيل الظن
بمعنى اليقين . والوجه ما ذكر . ونصب يوم بمبعوثون . وقرئ بالجر بدلاً من يوم عظيم . وعن ابن عمر انه
قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيباً وامتنع من قراءة ما بعده . كلا
ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن ذكر البعث والحساب ونبههم على انه مما يجب ان يتاب
عنه ويندم عليه . ثم اتبعه وعيد الفجار على العموم وكتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم فان قلت
قد اخبر الله عن كتاب الفجار بانه في سجين وفسر سجيناً بكتاب مرقوم . فكأنه قيل ان كتابهم في كتاب مرقوم
فما معناه قلت سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة
والفسقة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة . او معلم يعلم من رآه انه
لا خير فيه فالمعنى ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمي سجيناً فعيلاً من السجن
وهو الحبس والتضييق في جهنم . او لانه مطروح كما روي تحت الارض السابعة في مكان وحش مظلم
وهو مسكن ابليس وذريته استهانة به . وليشهده الشياطين المدحورون كما يشهد
ديوان الخير الملائكة المقربون فان قلت فما سجين اصفة هو ام اسم قلت بل هو اسم علم منقول من وصف
كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف الذين يكذبون ما وصف به للذم لا للبيان
كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث كلا ردع للمعتدي الاثيم عن قوله ران على قلوبهم ركبها كما يركب
الصدأ وغلب عليها وهو ان يصر على الكبائر ويسوف التوبة حتى يطبع على قلبه فلا يقبل الخير
ولا يميل اليه . وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب . يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا . والغين الغيم . ويقال
ران فيه النوم رسخ فيه ورانت به الخمر ذهبت به . وقرئ بادغام اللام في الراء وبالاظهار والادغام
اجود وأميلت الالف وفخمت كلا ردع عن الكسب الرائن على قلوبهم وكونهم محجوبين عنه
الاهانة لهم لانه لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون عندهم . قال اذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا والناس من بين مرجوب ومحجوب

وعن ابن عباس وقتادة وابن ابي مليكة تحويه من رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته **كلا** ردع
عن التكذيب **وكتاب** الابرار ما كتب من اعمالهم **وعليون** علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته
الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو كسجين من السجن سمي بذلك اما لانه سبب
الارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون
تكريما له وتعظيما وروي ان الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء
الله من سلطانه اوحى اليهم انكم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على ما في قلبه وانه اخلص عمله
فاجعلوه في عليين فقد غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله
اوحى اليهم انتم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين **على الارائك**
الاسرة في الحجال ينظرون الى ما شاؤوا مد اعينهم اليه من مناظر الجنة والى ما اولاهم الله من النعمة
والكرامة والى اعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك **نضرة النعيم**
بهجة التنعم وماءه ورونقه كما ترى في وجوه الاغنياء واهل الترفه وقرئ تعرف على البناء للمفعول
ونضرة النعيم بالرفع **الرحيق** الشراب الخالص الذي لا غش فيه **مختوم** تختم اوانيه من الاكواب والاباريق
بمسك مكان الطينة وقيل ختامه مسك مقطعه رائحة مسك اذا شرب وقيل يمزج بالكافور
ويختم مزاجه بالمسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها اي ما يختم به ويقطع **فليتنافس المتنافسون**
فليرتغب المرتغبون **تسنيم** علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه
اما لانها ارفع شراب في الجنة واما لانها تاتيهم من فوق على ما روي انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب
في اوانيهم **عينا** نصب على المدح وقال الزجاج نصب على الحال وقيل هي للمقربين يشربونها صرفا
وتمزج لسائر اهل الجنة **هم** مشركوا مكة ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل
واشياعهم كانوا يضحكون من عمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين ويستهزؤون
بهم وقيل جاء علي بن ابي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم
رجعوا الى اصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلع فضحكوا منه فنزلت قبل ان يصل علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم **يتغامزون**
يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم **فكهين** متلذذين بذكرهم والسخرية منهم اي ينسبون المسلمين الى الضلال
وما ارسلوا عليهم على المسلمين **حافظين** موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم
وضلالهم وهذا تهكم بهم او هو من جملة قول الكفار وانهم اذا رأوا المسلمين قالوا ان هؤلاء لضالون وانهم
لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وجدهم في ذلك **على الارائك**
ينظرون حال من يضحكون اي يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر
ومن الوان العذاب بعد النعيم والترفه وهم على الارائك آمنون وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال
لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل بهم ذلك مرارا فيضحك المؤمنون منهم **هل ثوب** الكفار
اذا جازاه قال اوس سأجزيك او يجزيك عني مثوب وحسبك ان يثنى عليك وتحمدي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة **سورة انشقت مكية**

وهي خمس وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم **حذف** جواب اذا ليذهب المقدر كل مذهب
او اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار وقيل جوابها ما دل عليه فملاقيه اي اذا السماء انشقت
لاقى الانسان كدحه ومعناه **اذا السماء انشقت** بالغمام كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي عليه السلام
تنشق من المجرة **واذنت** له استمعت له ومنه قوله عليه السلام ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن وقول
جحاف بن حكيم اذنت لكم لما سمعت هريركم فاسمعوني بالخنا والفواحش والمعنى انها فعلت في انقيادها
لله تعالى حين اراد انشقاقها فعل المطواع الذي اذا ورد عليه الامر من جهة المطاع انصت له واذعن
ولم يأب ولم يمتنع كقوله اتينا طائعين **وحقت** من قولك هو محقوق بكذا وحقيق به يعني وهي حقيقة
بان تنقاد ولا تمتنع ومعناه الايذان بان القادر بالذات يجب ان يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك **مدت**
من مد الشيء فامتد وهو ان تزال جبالها واكامها وكل امت فيها حتى تمتد وتنبسط وتستوي ظهرها كما قال
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وعن ابن عباس مدت مد الاديم العكاظي لان الاديم اذا مد
زال كل انثناء فيه وامت واستوى او من مده بمعنى امده اي يزاد في سعتها وبسطتها **والقت ما فيها**
ورمت بما في جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز **وتخلت** وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شيء في باطنها كانها
تكلفت اقصى جهدها في الخلو كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم اذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا
فوق ما في طبعهما **واذنت لربها** في القائها ما في بطنها وتخليها **الكدح** جهد النفس في العمل والكد فيه حتى
يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه ومعنى **كادح** الى ربك جاهد الى لقاء ربك وهو الموت

وما بعده

وما بعده من الحال الممثلة باللقاء **فملاقيه** فملاق له لا محالة لا مفر لك منه وقيل الضمير في ملاقيه للكدح **يسيرا**
سهلا هينا لا يناقش فيه ولا يعترض بما يسوؤه ويشق عليه كما يناقش اصحاب الشمال وعن عائشة رضي الله عنها
هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من يحاسب يعذب فقيل يا رسول الله فسوف
يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض من نوقش في الحساب عذب **الى اهله** الى عشيرته ان كانوا مؤمنين
او الى فريق المؤمنين او الى اهله في الجنة من الحور العين **وراء ظهره** قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله
وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره **يدعوا ثبورا** يقول يا ثبوراه
والثبور الهلاك **ويصلى سعيرا** كقوله وتصلية جحيم ويصلى بضم الياء والتخفيف كقوله ونصله جهنم
في اهله فيما بين ظهرانيهم او معهم على انهم كانوا جميعا مسرورين يعني انه كان في الدنيا مترفا بطرا مستبشرا كعادة
الفجار الذين لا يهمهم امر الآخرة ولا يفكرون في العواقب ولم يكن كئيبا حزينا كعادة الصلحاء والمتقين وحكاية
الله عنهم انا كنا قبل في اهلنا مشفقين **ظن ان لن يحور** لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا بالمعاد يقال لا يحور ولا يحول
اي لا يرجع ولا يتغير قال لبيد يحور رمادا بعد اذ هو ساطع وعن ابن عباس ما كنت ادري ما معنى يحور
حتى سمعت اعرابية تقول لبنية لها حوري اي ارجعي **بلى** ايجاب لما بعد النفي في لن يحور اي بلى ليحورن
ان ربه كان به بصيرا باعماله لا ينساها ولا تخفى عليه فلا بد ان يرجعه ويجازيه عليها وقيل نزلت الآيتان
في ابي سلمة بن عبد الاسد واخيه الاسود بن عبد الاسد **الشفق** الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس
وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء الا ما روي عن ابي حنيفة رضي الله عنه في احدى الروايتين
انه البياض وروى اسد بن عمرو انه رجع عنه سمي به لرقته ومنه الشفقة على الانسان رقة القلب عليه
وما وسق وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا
ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره وآوى اليه من الدواب
وغيرها **اذا اتسق** اذا اجتمع وتم بدرا واستوى ليلة اربع عشرة **لتركبن** على خطاب الانسان في يا ايها الانسان
ولتركبن بالضم على خطاب الجنس لان النداء للجنس ولتركبن بالكسر على خطاب النفس وليركبن بالياء على ليركبن الانسان
والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا اي لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق واطباق الثرى ما
تطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله عز وعلا **طبقا عن طبق** اي حالا بعد حال كل واحدة
مطابقة لاختها في الشدة والهول ويجوز ان يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم هو على طبقات ومنه
طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع
من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة واهوالها **فان قلت** ما محل عن طبق **قلت** النصب على
انه صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير في لتركبن اي لتركبن طبقا مجاوزين لطبق او مجاوزا
او مجاوزة على حسب القراءة وعن مكحول كل عشرين عاما تجدون امرا لم تكونوا عليه **لا يسجدون** لا يستكينون ولا
يخضعون وقيل قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق
فوق رؤوسهم وتصفر فنزلت وبه احتج ابو حنيفة على وجوب السجدة وعن ابن عباس ليس في المفصل سجدة
وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ان رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن انس
صليت خلف ابي بكر وعمر وعثمان فسجدوا وعن الحسن هي غير واجبة **الذين كفروا** اشارة الى المذكورين **بما يوعون**
بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغي والبغضاء او بما يجمعون في صحفهم من اعمال السوء
ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب **الا الذين آمنوا** استثناء منقطع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت
اعاذه الله ان يعطيه كتابه وراء ظهره **سورة البروج مكية وهي اثنتان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم** **هي البروج**
وهي قصور السماء على التشبيه وقيل البروج النجوم التي هي منازل القمر وقيل عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها
وقيل ابواب السماء **واليوم الموعود** يوم القيامة **وشاهد** ومشهود يعني وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه
والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما اما
ما ذكرته في قوله علمت نفس ما احضرت كانه قيل وما افرطت كثرته من شاهد ومشهود واما الابهام في الوصف
كانه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد اضطربت اقاويل المفسرين فيهما فقيل الشاهد والمشهود
محمد صلى الله عليه وسلم ويوم القيامة وقيل عيسى وامته لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقيل امة محمد وسائر الامم وقيل
يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالي وبنو آدم وعن الحسن ما
من يوم الا وينادي اني يوم جديد واني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني
الى يوم القيامة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الانبياء ومحمد عليهم السلام **فان قلت** اين جواب القسم **قلت** محذوف
يدل عليه قوله قتل اصحاب الاخدود كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم ملعونون يعني كفار قريش كما لعن
اصحاب الاخدود وذلك ان السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على اذى اهل مكة
وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان والحاق انواع الاذى وصبرهم وثباتهم

حتى كأنهم نسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا أن كفارهم عند الله بمنزلة أولئك المعذبين
المحرقين بالنار ملعونون أحقاء بأن يقال فيهم قتلت قريش كما قتل أصحاب الأخدود وقتل دعاء عليهم
كقوله قتل الإنسان ما أكفره وقرئ قتّل بالتشديد والأخدود الخد في الأرض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى
الخق والأخقوق ومنه فساخت قوائمه في أخاقيق جرذان. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان لبعض
الملوك ساحر فلما كبر ضم إليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه
ذات يوم دابة قد حبست الناس فأخذ حجرا فقال اللهم إن كان الراهب أحب إليك من الساحر فاقتلها
فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الأكمه والأبرص ويشفي من الأدواء وعمي جليس للملك فأبرأه فأبصره
الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع عن
دينه فقُدّ بالمنشار وأبى الغلام فذهب به إلى الجبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا
ونجا فذهب به إلى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك
لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام
ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه فمات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت
تحذر فأمر بأخاديد في أفواه السكك وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت
امرأة معها صبي فتقاعست أن تقع فيها فقال الصبي يا أماه اصبري فإنك على الحق فاقتحمت. وقيل لها قعي ولا
تنافقي وقيل ما هي إلا غميضة فصبرت. وعن علي رضي الله عنه أنهم حين اختلفوا في أحكام المجوس قال هم أهل
كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد أحلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على أخته فلما صحا ندم
وطلب المخرج فقالت له المخرج أن تخطب الناس فتقول يا أيها الناس إن الله أحل نكاح الأخوات ثم تخطبهم
بعد ذلك إن الله قد حرمه فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف
فلم يقبلوا فأمرته بالأخاديد وإيقاد النيران وطرح من أبى فيها فهم الذين أرادهم الله بقوله قتل أصحاب الأخدود
وقيل وقع إلى نجران رجل ممن كان على دين عيسى فدعاهم فأجابوه فسار إليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير
فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا فأحرق منهم اثني عشر ألفا في الأخاديد. وقيل سبعين ألفا وذكر
أن طول الأخدود أربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا ذكر أصحاب
الأخدود تعوذ من جهد البلاء النار بدل اشتمال من الأخدود ذات الوقود وصف لها بأنها نار عظيمة
لها ما يرتفع لهبها من الحطب الكثير وأبدان الناس. وقرئ الوقود بالضم إذ ظرف لقتل أي لعنوا
حين أحدقوا بالنار قاعدين حولها ومعنى عليها على ما يدنو منها من حافات الأخدود كقوله
وبات على النار الندى والمحلق وكما تقول مررت عليه تريد مستعليا بمكان يدنو منه. ومعنى
شهادتهم على إحراق المؤمنين أنهم وكلوا بذلك وجعلوا شهودا يشهد بعضهم لبعض عند الملك أن أحدا
منهم لم يفرط فيما أمر به وفوض إليه من التعذيب ويجوز أن يراد أنهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين
يؤدون شهادتهم يوم القيامة يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا وما نقموا منهم
وما عابوا منهم وما أنكروا إلا الإيمان كقوله. ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم. قال ابن الرقيات
ما نقموا من بني أمية إلا أنهم يحلمون إن غضبوا. وقرئ ابن أبي حيوة نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح وذكر
الأوصاف التي يستحق بها أن يؤمن به ويعبد وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما
يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه له ملك السموات والأرض فكل من فيهما يحق عليه عبادته والخشوع له
تقريرا لأن ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه إلا مبطل منهمك في الغي وأن الناقمين أهل لانتقام الله
منهم بعذاب لا يعدله عذاب والله على كل شيء شهيد وعيد لهم يعني أنه علم ما فعلوا وهو مجازيهم
عليه. ويجوز أن يريد بالذين فتنوا أصحاب الأخدود خاصة. وبالذين آمنوا المطروحين في الأخدود. ومعنى
فتنوهم عذبوهم بالنار وأحرقوهم فلهم في الآخرة عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار أخرى عظيمة
يتسع الحريق في الدنيا لما روي أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم. ويجوز أن يريد الذين فتنوا المؤمنين أي بلوهم
بالأذى على العموم والمؤمنين المفتونين. وأن للفاتنين عذابين في الآخرة لكفرهم ولفتنتهم البطش
الأخذ بالعنف وإذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة وأخذهم
بالعذاب والانتقام إنه هو يبدئ ويعيد أي يبدئ البطش ويعيده يعني يبطش بهم في الدنيا وفي الآخرة
أو دل باقتداره على الإبداء والإعادة على شدة بطشه أو يبدأ الكفرة بالعذاب ويعيدهم كما ابتدأهم ليبطش
بهم إذ لم يشكروا نعمة الإبداء وكذبوا بالإعادة. وقرئ يبدأ الودود الفاعل بأهل طاعته ما يفعله
الودود من إعطائهم ما أرادوا. وقرئ ذي العرش صفة لربك. وقرئ المجيد بالجر صفة للعرش ومجد الله
عظمته. ومجد العرش علوه وعظمه فعال تعالى حيث لا يحرد وإنما قيل فعال لأن ما يريد ويفعل
في غاية الكثرة فرعون وثمود بدل من الجنود وأراد بفرعون إياه وآله كما في قوله من فرعون وملائهم

والمعنى

والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم بل الذين كفروا من قومك في تكذيب أي
تكذيب واستيجاب للعذاب والله عالم بأحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه والإحاطة بهم من ورائهم
مثل لأنهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به. ومعنى الإضراب أن أمرهم أعجب من أمر أولئك
لأنهم سمعوا بقصصهم وما جرى عليهم ورأوا آثار هلاكهم ولم يعتبروا وكذبوا أشد من تكذيبهم بل هو
أي بل هذا الذي كذبوا به قرآن مجيد شريف عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه وإعجازه. وقرئ قرآن
مجيد بالإضافة أي قرآن رب مجيد. وقرأ يحيى بن يعمر في لوح. واللوح الهواء يعني اللوح فوق السماء
السابعة الذي فيه اللوح محفوظ من وصول الشياطين إليه. وقرئ محفوظ بالرفع صفة للقرآن
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج أعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة تكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة آية. بسم الله الرحمن الرحيم. النجم الثاقب

المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه كما قيل درّيّ لأنه يدرؤه أي يدفعه. ووصف بالطارق
لأنه يبدو بالليل كما يقال للآتي ليلا طارق. أو لأنه يطرق الجني أي يصكه. والمراد جنس
النجوم أو جنس الشهب التي يرجم بها فإن قلت ما يشبه قوله وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب
إلا ترجمة كلمة بأخرى فبين لي أي فائدة تحته قلت أراد الله عز من قائل أن يقسم بالنجم الثاقب
تعظيما له لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وأن ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين
غيره وهو الطارق ثم قال وما أدراك ما الطارق. ثم فسره بقوله النجم الثاقب. كل هذا إظهار
لفخامة شأنه كما قال فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم. وروي أن أبا طالب
كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحط نجم فامتلأ ما ثم نورا ففزع أبو طالب وقال أي شيء هذا فقال عليه السلام هذا نجم
رمي به وهو آية من آيات الله فعجب أبو طالب فنزلت فإن قلت ما جواب القسم قلت إن كل نفس لما عليها
حافظ لأن إن لا تخلو فيمن قرأ لما مشددة بمعنى إلا أن تكون نافية. وفيمن قرأها مخففة على أن ما
صلة أن تكون مخففة من الثقيلة. وأيتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم. حافظ مهيمن عليها رقيب وهو الله
وكان الله على كل شيء رقيبا وكان الله على كل شيء مقيتا. وقيل ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب.
ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين فإن قلت ما وجه اتصال قوله فلينظر بما قبله
قلت وجه اتصاله به أنه لما ذكر أن على كل نفس حافظا أتبعه توصية الإنسان بالنظر في أول أمره
ونشأته الأولى حتى يعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه فيعمل ليوم الإعادة والجزاء ولا يملي على
حافظه إلا ما يسره في عاقبته. مم خلق استفهام جوابه خلق من ماء دافق والدفق صب فيه دفع ومعنى
دافق النسبة إلى الدفق الذي هو مصدر دفق كاللابن والتامر. أو الإسناد المجازي. والدفق في الحقيقة
لصاحبه. ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم واتحادهما حين ابتدئ في خلقه. من بين الصلب والترائب
من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة. وقرئ الصلب بفتحتين والصلب
بضمتين. وفيه أربع لغات صلب وصُلب وصلَب وصالب. قال العجاج. في صلب مثل العنان المؤدم.
وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة إنه الضمير للخالق لدلالة خلق عليه ومعناه إن
ذلك الذي خلق الإنسان ابتداء من نطفة على رجعه على إعادته خصوصا لقادر لبين القدرة لا يلتات
عليه ولا يعجز عنه كقوله. كلا إن كان هذا يبرد أنيابها العلى. لأفقر مني إنني لفقير. يوم تبلى منصوب برجعه
ومن جعل الضمير في رجعه للماء وفسره برجعه إلى مخرجه من الصلب والترائب أو الإحليل أو الحالة الأولى نصبه بمضمر
السرائر ما أسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفي من الأعمال وبلاؤها
تعرفها وتصفحها والتمييز بين ما طاب منها وما خبث. وعن الحسن أنه سمع رجلا ينشده
سيبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة ود يوم تبلى السرائر فقال ما أغفله عما في السماء والطارق فما له
للإنسان من قوة منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر ولا مانع يمنعه. يسمى المطر رجعا كما يسمى أوبا قال
ربا شمّاء لا يأوي لقلتها إلا السحاب وإلا الأوب والسبل. تسمية بمصدري رجع وآب. وذلك أن العرب
كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ثم يرجعه إلى الأرض. أو أرادوا التفاؤل فسموه
رجعا وأوبا ليرجع ويؤوب. وقيل لأن الله تعالى يرجعه وقتا فوقتا قالت الخنساء
كالرجع في المدجنة السارية. والأرض ذات الصدع ما تتصدع عنه الأرض من النبات إنه القرآن لقول فصل فاصل
بين الحق والباطل كما قيل له فرقان وما هو بالهزل يعني أنه جد كله لا هوادة فيه. ومن حقه وقد
وصفه الله به كذلك أن يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يترفع به قارئه وسامعه أن
يلم بهزل أو يتفكه بمزاح. وأن يلقي ذهنه إلى أن جبار السموات يخاطبه فيأمره وينهاه
ويعده ويوعده حتى إن لم يستفزه الخوف ولم تتبالغ فيه الخشية فأدنى أمره أن يكون جادا غير هازل

فقد نعى الله تعالى على المشركين ذلك في قوله وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون والعوافي انهم
يعني اهل مكة يعملون المكايد في ابطال امره واطفاء نور الحق وانا اقابلهم بكيدي
من استدراجي لهم وانتظاري بهم الميقات الذي وقته للانتصار منهم فمهل الكافرين يعني لا
تدع بهلاكهم ولا تستعجل به امهلهم رويدا اي امهالا يسيرا وكرر وخالف بين اللفظين لزيادة
التسكين منه والتصبير ○ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم
في السماء عشر حسنات ○ سورة الاعلى مكية وهي تسع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم ○ سبح
اسمه عز وعلا بان ينزهه عما لا يصح فيه من المعاني التي هي الحاد في اسمائه كالجبر والتشبيه ونحو ذلك مثل
ان يفسر الاعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو في المكان والاستواء على العرش
حقيقة وان يصان عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم ويجوز ان يكون الاعلى صفة للرب
والاسم وقرأ علي سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع
اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت خلق فسوى اي خلق كل شيء فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا
غير ملتئم ولكن على احكام واتساق ودلالة على انه صادر عن عالم وانه صنعة حكيم قدر فهدى قدر لكل
حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به يحكى ان الافعى اذا اتت عليها الف سنة
عميت وقد الهمها الله ان مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت في برية
بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين
على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها فترجع باصرة باذن الله وهداية الله للانسان
الى ما لا يحد من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه في اغذيته وادويته وفي ابواب دنياه ودينه
والهامات البهائم والطيور وهوام الارض باب ثم واسع وشوط بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحان
ربي الاعلى وقرئ قدر بالتخفيف احوى صفة لغثاء اي اخرج المرعى انبته فجعله بعد خضرته ورفيفه
غثاء احوى درينا اسود ويجوز ان يكون احوى حالا من المرعى اي اخرجه احوى اسود من شدة الخضرة
والري فجعله بعد حوته غثاء ○ سنقرئك بشره الله باعطاء آية بينة وهي ان يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحي
وهو امي لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه الا ما شاء الله فذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته
كقوله او ننسها وقيل كان يعجل بالقراءة اذا لقنه جبريل فقيل لا تعجل فان جبريل مأمور بان يقرأه عليك قراءة
مكررة الى ان تحفظه ثم لا تنساه الا ما شاء الله ثم تذكره بعد النسيان او قال الا ما شاء الله يعني القلة
والندرة كما روي انه اسقط آية في قراءته في الصلاة فحسب ابي انها نسخت فسأله فقال نسيتها او
قال الا ما شاء الله والغرض نفي النسيان رأسا كما يقول الرجل لصاحبه انت سهيمي فيما املك الا فيما شاء الله ولا
يقصد استثناء شيء وهو من استعمال القلة في معنى النفي وقيل قوله فلا تنسى على النهي والالف مزيدة للفاصلة
كقوله السبيلا يعني فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه الا ما شاء الله ان ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة انه
يعلم الجهر يعني انك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما في نفسك مما
يدعوك الى الجهر فلا تفعل فانا اكفيك ما تخافه او يعلم ما اسررتم وما اعلنتم من اقوالكم وافعالكم
وما ظهر وما بطن من احوالكم وما هو مصلحة لكم في دينكم ومفسدة فينسي من الوحي ما يشاء ويترك
محفوظا ما يشاء ونيسرك لليسرى معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه
ونوفقك للطريقة التي هي ايسر واسهل يعني حفظ الوحي وقيل للشريعة السمحة التي هي ايسر الشرائع واسهلها
مأخذا وقيل نوفقك لعمل الجنة ○ فان قلت كان الرسول صلى الله عليه وسلم مأمورا بالذكرى نفعت او لم تنفع فما معنى اشتراط النفع
قلت هو على وجهين احدهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم وما كانوا يزيدون على
زيادة الذكرى الا عتوا وطغيانا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد جدا في تذكيرهم وحرصا
عليه فقيل له وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد واعرض عنهم وقل سلام فذكر ان نفعت
الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير والثاني ان يكون ظاهره شرطا ومعناه ذما للمذكرين
واخبارا عن حالهم واستبعادا لتأثير الذكرى فيهم وتسجيلا عليهم بالطبع على قلوبهم كما تقول للواعظ عظ
المكاسين ان سمعوا منك قاصدا بهذا الشرط استبعاد ذلك وانه لن يكون سيذكر سيقبل التذكرة وينتفع
بها من يخشى الله وسوء العاقبة فينظر ويفكر حتى يقوده النظر الى اتباع الحق فاما هؤلاء فغير خاشين
ولا ناظرين فلا تأمل ان يقبلوا منك ويتجنبها ويتجنب الذكرى ويتحاماها الاشقى الكافر لانه اشقى
من الفاسق او الذي هو اشقى الكفرة لتوغله في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة
بن ربيعة النار الكبرى السفلى من اطباق النار وقيل النار الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا
وقيل ثم لان الترجح بين الحياة والموت افظع من الصلي فهو متراخ عنه في مراتب الشدة والمعنى
لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه ○ قد افلح من تزكى تطهر من الشرك والمعاصي او تطهر للصلاة او تكثر من التقوى

من الزكا وهو النما او تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة فصلى الصلوات الخمس نحو قوله
واقام الصلاة وآتى الزكاة وعن ابن مسعود رحم الله امرأ تصدق وصلى وعن علي رضي الله عنه انه التصدق
بصدقة الفطر وقال لا ابالي ان لا اجد في كتابي غيرها لقوله قد افلح من تزكى اي اعطى زكاة
الفطر فتوجه الى المصلى فصلى صلاة العيد وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على وجوب
تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلاة لان الصلاة معطوفة عليها وعلى ان الافتتاح
جائز بكل اسم من اسمائه عز وجل وعن ابن عباس ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له وعن
الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلاة العيد بل تؤثرون الحياة الدنيا فلا تفعلون ما تفلحون به
وقرئ يؤثرون على الغيبة ويعضده قراءة ابن مسعود بل انتم تؤثرون خير وابقى افضل في
نفسها وانعم وادوم وعن عمر ما الدنيا في الآخرة الا كنفجة ارنب هذا اشارة الى قوله قد افلح الى
ابقى يعني ان معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف وقيل الى ما في السورة كلها وروي عن ابي ذر رضي الله عنه
انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كم انزل الله من كتاب فقال مائة واربعة كتب منها على آدم عشر صحف وعلى
شيث خمسون صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلاثون صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف والتوراة والانجيل
والزبور والفرقان وقيل ان في صحف ابراهيم ينبغي للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه
مقبلا على شأنه ○ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل
حرف انزله الله على ابراهيم وموسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وكان اذا قرأها قال سبحان ربي الاعلى وكان علي وابن عباس
يقولان ذلك وكان يحبها وقال اول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل ○ سورة الغاشية مكية وهي
ست وعشرون آية ○ بسم الله الرحمن الرحيم ○ الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها
وتلبسهم اهوالها يعني القيامة من قوله يوم يغشاهم العذاب وقيل النار من قوله وتغشى وجوههم النار
ومن فوقهم غواش يومئذ يوم اذ غشيت خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو
جرها السلاسل والاغلال وخوضها في النار كما تخوض الابل في الوحل وارتقاؤها دائبة في صعود من نار وهبوطها
في حدور منها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهي في نصب منها في الآخرة وقيل عملت ونصبت
في اعمال لا تجدي عليها في الآخرة من قوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين
حبطت اعمالهم وقيل هم اصحاب الصوامع ومعناه انها خشعت لله وعملت ونصبت في اعمالها من الصوم الدائب
والتهجد الواصب وقرئ عاملة ناصبة بالنصب على الشتم وقرئ تصلى بضم التاء وتصلى بالتشديد وقيل المصلى عند العرب
ان يحفروا حفيرا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى شاة فيدسوها وسطه فاما ما يشوى
فوق الجمر او على المقلى او في التنور فلا يسمى مصليا آنية متناهية في الحر كقوله وبين حميم آن ضريع يبيس الشبرق
وهو جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال ابو ذؤيب رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى
وعاد ضريعا بان عنه النحائص وقال آخر وحبسن في هزم الضريع فكلها حدباء دامية اليدين حرود فان قلت
كيف قال ليس لهم طعام الا من ضريع وفي الحاقة ولا طعام الا من غسلين قلت العذاب الوان والمعذبون طبقات
فمنهم اكلة الزقوم ومنهم اكلة الغسلين ومنهم اكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم لا يسمن مرفوع المحل او مجرور
على وصف طعام او ضريع يعني ان طعامهم من شيء ليس من مطاعم الانس وانما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع
به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن
في البدن او اريد ان لا طعام لهم اصلا لان الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانس لان الطعام ما اشبع
او اسمن وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد وقيل قالت كفار قريش
ان الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت لا يسمن فلا يخلو اما ان يتكذبوا ويتعنتوا بذلك وهو الظاهر فيرد قولهم بنفي
السمن والشبع واما ان يصدقوا فيكون المعنى ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مسمن
ولا مغن من جوع ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة لسعيها راضية رضيت
بعملها لما رأت ما اداهم اليه من الكرامة والثواب عالية من علو المكان او المقدار لا تسمع يا مخاطب او الوجوه
لاغية اي لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو لا يتكلم اهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم
الدائم وقرئ لا يسمع على البناء للمفعول بالتاء والياء فيها عين جارية يريد عيونا في غاية الكثرة كقوله علمت نفس مرفوعة
من رفعة المقدار او السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم وقيل مخبوءة لهم من رفع الشيء
اذا خبأه موضوعة كلما ارادوها وجدوها موضوعة بين ايديهم عتيدة حاضرة لا يحتاجون الى ان يدعوا بها
او موضوعة على حافات العيون معدة للشرب ويجوز ان يراد موضوعة عن حد الكبار اوساطا بين الصغر
والكبر كقوله قدروها تقديرا مصفوفة بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح اينما اراد ان يجلس جلس على
واحدة واستند الى الاخرى وزرابي وبسط عراض فاخرة وقيل هي الطنافس التي لها خمل رقيق جمع زربية
مبثوثة مبسوطة او مفرقة في المجالس افلا ينظرون الى الابل نظر اعتبار كيف خلقت خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدر

شاهداً بتدبير مدبر حيث خلقها للنهوض بالأثقال وجرها إلى البلاد الشاحطة فجعلها تبرك حتى
تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل من اقتادها بأزمتها لا تعاز ضعيفاً ولا
تمانع صغيراً وبرأها طوال الأعناق لتنوء بالأوقار وعن بعض الحكماء أنه حدث عن البعير وبديع
خلقه وقد نشأ في بلاد لا إبل بها ففكر ثم قال يوشك أن تكون طوال الأعناق وحين أرادها أن تكون
سفائن البر صبرها على احتمال العطش حتى إن أظماءها لترتفع إلى العشر فصاعداً وجعلها ترعى كل شيء
نابت في البراري والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم وعن سعيد بن جبير قال لقيت شريحاً القاضي
فقلت أين تريد قال أريد الكناسة قلت وما تصنع بها قال أنظر إلى الإبل كيف خلقت فإن قلت كيف حسن
ذكر الإبل مع السماء والأرض والجبال قلت قد انتظم هذه الأشياء نظر العرب في أوديتهم وبواديهم
فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم ولم يدع من زعم أن الإبل السحاب إلى قوله إلا طلب المناسبة
ولعله لم يرد أن الإبل من أسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين وغير ذلك وإنما رأى
السحاب مشبهاً بالإبل كثيراً في أشعارهم فجوز أن يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز كيف رفعت
رفعاً بعيد المدى بلا إمساك وبغير عمد وكيف نصبت نصباً ثابتاً فهي راسخة لا تميل ولا تزول وكيف سطحت
سطحاً بتمهيد وتوطئة فهو مهاد للمتقلب عليها وقرأ علي خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل
وتاء الضمير والتقدير فعلتها فحذف المفعول وعن هارون الرشيد أنه قرأ سطّحت بالتشديد والمعنى أفلا
ينظرون إلى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا
إنذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه أي لا ينظرون فذكرهم ولا تلح عليهم ولا يهمنك أنهم
لا ينظرون ولا يذكرون إنما أنت مذكر كقوله إن عليك إلا البلاغ لست عليهم بمصيطر بمتسلط كقوله وما أنت عليهم
بجبار وقيل هو في لغة تميم مفتوح الطاء على أن سيطر متعد عندهم وقولهم تسيطر يدل عليه إلا من تولى
استثناء منقطع أي لست بمستول عليهم ولكن من تولى وكفر منهم فإن لله الولاية والقهر فهو يعذبه الله العذاب
الأكبر الذي هو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر أي فذكر إلا من انقطع طمعك من إيمانه وتولى فاستحق
العذاب الأكبر وما بينهما اعتراض وقرئ ألا من تولى على التنبيه وفي قراءة ابن مسعود فإنه يعذبه وقرأ
أبو جعفر المدني إيّابهم بالتشديد ووجهه أن يكون فيعالاً مصدر أيّب فيعل من الإياب أو يكون
أصله إوّاباً فعّالاً من أوّب ثم قيل إيواباً كديوان في دوّان ثم فعل به ما فعل بأصل سيّد فإن قلت
ما معنى تقديم الظرف قلت معناه التشديد في الوعيد وأن إيابهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر
على الانتقام وأن حسابهم ليس بواجب إلا عليه وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب
في الحكمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حساباً يسيراً

سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

أقسم بالفجر كما أقسم بالصبح في قوله
والصبح إذا أسفر والصبح إذا تنفس وقيل بصلاة الفجر وأراد بالليالي العشر عشر ذي الحجة فإن قلت
فما بالها منكرة من بين ما أقسم به قلت لأنها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي العشر بعض منها
أو مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها فإن قلت فهلا عرفت بلام العهد لأنها ليال معلومة معهودة قلت
لو فعل لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير ولأن الأحسن أن تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام أبعد
من الإلغاز والتعمية وبالشفع والوتر إما الأشياء كلها شفعها ووترها وإما شفع هذه الليالي ووترها ويجوز
أن يكون شفعها يوم النحر ووترها يوم عرفة لأنه تاسع أيامها وذلك أعرف بها وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فسرها
بذلك وقد أكثروا في الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون أجناس ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل جدير
بالتلهي عنه وبعدما أقسم بالليالي المخصوصة أقسم بالليل على العموم إذا يسري إذا يمضي كقوله والليل إذ أدبر
والليل إذا عسعس وقرئ والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحِبر والحَبر وفي العدد وفي الترة
الكسر وحده وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء رواها يونس عن أبي عمرو وقرئ والفجر والوتر ويسر
بالتنوين وهو التنوين الذي يقع بدلاً من حرف الإطلاق وعن ابن عباس وليال عشر بالإضافة يريد
وليال أيام عشر وياء يسري تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة وأما في الوقف فتحذف مع الكسرة وقيل
معنى يسري يسرى فيه هل في ذلك أي فيما أقسمت به من هذه الأشياء قسم أي مقسم به لذي حجر يريد هل يحق عنده
أن تعظم بالإقسام بها أو هل في إقسامي بها إقسام لذي حجر أي هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه
والحجر العقل لأنه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلاً ونهية لأنه يعقل وينهى وحصاة
من الإحصاء وهو الضبط وقال الفراء يقال إنه لذو حجر إذا كان قاهراً لنفسه ضابطاً لها والمقسم
عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله ألم تر إلى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب قيل لعقب
عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبني هاشم هاشم ثم قيل للأولين منهم عاد
الأولى وإرم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الأخيرة قال ابن الرقيات مجداً تليداً بناه أوله

أدرك عاداً وقبلها إرما فإرم في قوله بعاد إرم عطف بيان لعاد وإيذان بأنهم عاد الأولى القديمة
وقيل إرم بلدتهم وأرضهم التي كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد إرم على الإضافة وتقديره
بعاد أهل إرم كقوله واسأل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت أو أرضاً للتعريف والتأنيث وقرأ الحسن بعادَ
إرمَ مفتوحتين وقرئ بعاد إرْم بسكون الراء على التخفيف كما قرئ بورْقكم وقرئ بعاد إرم ذات العماد بإضافة
إرم إلى ذات العماد والإرم العلم يعني بعاد أهل
أعلام ذات العماد على أن ذات العماد اسم المدينة وقرئ بعاد أرمّ ذات العماد أي جعل الله ذات العماد رميماً بدلاً من فعل
ربك وذات العماد إذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى أنهم كانوا بدويين أهل عمد أو طوال الأجسام
على تشبيه قدودهم بالأعمدة ومنه قولهم رجل معمّد وعمدان إذا كان طويلاً وقيل ذات البناء الرفيع
وإن كانت صفة للبلدة فالمعنى أنها كانت ذات أساطين وروي أنه كان لعاد ابنان شداد وشديد
فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الأمر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال أبني
مثلها فبنى إرم في بعض صحاري عدن في ثلاثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها
من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الأشجار والأنهار المطردة
ولما تم بناؤها سار إليها بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن
عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص
عليه فبعث إلى كعب فسأله فقال هي إرم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه
خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب إبل له ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل لم يخلق مثلها
مثل عاد في البلاد عظم أجرام وقوة كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها
على الحي فيهلكهم أو لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرأ ابن الزبير لم يخلق مثلها جابوا الصخر
قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتاً كقوله وتنحتون من الجبال بيوتاً قيل أول من نحت الجبال والصخور والرخام
ثمود وبنوا ألفاً وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة وفرعون ذي الأوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها
إذا نزلوا أو لتعذيبه بالأوتاد كما فعل بماشطة بنته وبآسية الذين طغوا أحسن الوجوه فيه أن يكون
في محل النصب على الذم ويجوز أن يكون مرفوعاً على هم الذين طغوا أو مجروراً على وصف المذكورين عاد وثمود
وفرعون يقال صب عليه السوط وغشاه وقنعه وذكر السوط إشارة إلى ما أحله بهم في الدنيا من العذاب
العظيم بالقياس إلى ما أعد لهم في الآخرة كالسوط إذا قيس إلى ما يعذب به وعن عمرو بن عبيد كان الحسن إذا
أتى على هذه الآية قال إن عند الله أسواطاً كثيرة فأخذهم بسوط منها المرصاد المكان الذي يترتب فيه الرصد مفعال
من رصده كالميقات من وقته وهذا مثل لإرصاده العصاة بالعقاب وأنهم لا يفوتونه وعن بعض العرب
أنه قيل له أين ربك فقال بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد رحمه الله أنه قرأ هذه السورة عند المنصور حتى بلغ هذه الآية
فقال إن ربك لبالمرصاد يا أبا جعفر عرض له في هذا النداء بأنه بعض من توعد بذلك من الجبابرة فلله دره أي أسد
فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة بإنكاره ويقصع أهل الأهواء والبدع باحتجاجه فإن قلت بم اتصل قوله
فأما الإنسان قلت بقوله إن ربك لبالمرصاد كأنه قيل إن الله لا يريد من الإنسان إلا الطاعة والسعي للعاقبة
وهو مرصد بالعقوبة للعاصي فأما الإنسان فلا يريد ذلك ولا يهمه إلا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها فإن قلت
كيف توازن قوله فأما الإنسان إذا ما ابتلاه وقوله وأما إذا ما ابتلاه وحق التوازن أن يتقابل الواقعان
بعد أما وأما تقول أما الإنسان فكفور وأما الملك فشكور أما إذا أحسنت إلى زيد فهو محسن إليك وأما إذا
أسأت إليه فهو مسيء إليك قلت هما متوازنان من حيث إن التقدير وأما هو إذا ما ابتلاه ربه وذلك أن قوله
فيقول ربي أكرمن خبر المبتدأ الذي هو الإنسان ودخول الفاء لما في أما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدأ
والخبر في تقدير التأخير كأنه قيل فأما الإنسان فقائل ربي أكرمن وقت الابتلاء فوجب أن يكون فيقول الثاني خبراً لمبتدأ واجب
تقديره فإن قلت كيف سمى كلا الأمرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء قلت لأن كل واحد منهما اختبار
للعبد فإذا بسط فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر وإذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع فالحكمة فيهما
واحدة ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة فإن قلت هلا قال فأهانه وقدر عليه رزقه كما قال فأكرمه
ونعمه قلت لأن البسط إكرام من الله لعبده بإنعامه عليه متفضلاً من غير سابقة وأما التقدير
فليس بإهانة له لأن الإخلال بالتفضل لا يكون إهانة ولكن تركاً للكرامة وقد يكون المولى مكرماً لعبده
ومهيناً له وغير مكرم ولا مهين وإذا أهدى لك زيد هدية قلت أكرمني بالهدية ولا تقول أهانني ولا أكرمني
إذا لم يهد لك فإن قلت فقد قال فأكرمه ونعمه فصحح إكرامه وأثبته ثم أنكر قوله ربي أكرمن وذمه عليه كما أنكر قوله أهانن
وذمه عليه قلت فيه جوابان أحدهما أنه إنما أنكر قوله ربي أكرمن وذمه عليه لأنه قاله على قصد خلاف
ما صححه الله عليه وأثبته وهو قصده إلى أن الله أعطاه ما أعطاه إكراماً له مستحقاً مستوجباً على عادة افتخارهم
وجلالة أقدارهم عندهم كقوله إنما أوتيته على علم عندي وإنما أعطاه الله على وجه التفضل

من غير استيجاب منهم ولا سابقة مما لا يعتبر الله الا به وهو التقوى دون الانساب والاحساب التي كانوا
يفتخرون بها ويرون استحقاق الكرامة من اجلها • والثاني ان ينكر الانكار والذم الجحوله رداها في
يعني انه اذا تفضل عليه بالخير واكرم به اعترف بتفضل الله واكرامه واذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل
هوانا وليس بهوان ويعضد هذا الوجه ذكر الاكرام في قوله فاكرمه • وقرئ فقدر بالتخفيف والتشديد
واكرمن واهانن بسكون النون في الوقف فيمن ترك اليا في الدرج مكتفيا منها بالكسرة كلا ردع
للانسان عن قوله ثم قال بل هناك شر من هذا القول وهو ان الله يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون
ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم بالتفقد والمبرة وحض اهله على طعام المسكين ويأكلونه اكل الانعام
ويحبونه فيشحون به • وقرئ يكرمون وما بعده بالياء والتاء • وقرئ تحاضون اي يحض بعضكم بعضا
وفي قراءة ابن مسعود ولا تحاضون بضم التاء من المحاضة اكلا لما ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام قال
الحطيئة • اذا كان لما يتبع الذم ربه • فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا • يعني انهم يجمعون في اكلهم بين نصيبهم
من الميراث ونصيب غيرهم • وقيل كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون تراثهم • وقيل يأكلون
ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم بذلك فيلم في الاكل بين حلاله وحرامه • ويجوز ان يذم الوارث الذي
ظفر بالمال سهلا مهلا من غير ان يعرق فيه جبينه فيسرف في انفاقه ويأكله اكلا واسعا جامعا بين
الوان المشتهيات من الاطعمة والاشربة والفواكه كما يفعل الوراث البطالون حبا جما كثيرا شديدا
مع الحرص والشره ومنع الحقوق كلا ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم • ثم اتى بالوعيد وذكر تحسرهم
على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة • ويومئذ بدل من اذا دكت الارض والعامل فيهما يتذكر دكا دكا
اي دكا بعد دك كقوله حسبته بابا بابا • اي كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا فان قلت ما معنى
اسناد المجيء الى الله والحركة والانتقال انما تجوزان على من كان في جهة قلت هو تمثيل لظهور آيات الله
واقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه مثلت حاله في ذلك بحال الملك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من
آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة ابيهم صفا صفا
تنزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس وجيء يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم
وروي انها لما نزلت تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف في وجهه حتى اشتد على اصحابه فاخبروا عليا فجاء فاحتضنه من
خلفه وقبله بين عاتقيه ثم قال يا نبي الله بابي انت وامي ما الذي حدث اليوم وما الذي غيرك فتلا عليه الآية فقال علي
كيف يجاء بها قال يجيء بها سبعون الف ملك يقودونها بسبعين الف زمام فتشرد شردة لو تركت لاحرقت اهل الجمع
اي يتذكر ما فرط فيه او يتعظ وانى له الذكرى ومن اين له منفعة الذكرى لا بد من تقدير حذف المضاف • والا فبين
يوم يتذكر وبين وانى له الذكرى تناف وتناقض • قدمت لحياتي هذه وهي حياة الآخرة او وقت حياتي في الدنيا كقولك جئته
لعشر ليال خلون من رجب وهذا ابين دليل على ان الاختيار كان في ايديهم ومعلقا بقصدهم وارادتهم • وانهم لم
يكونوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على المعاصي كمذهب اهل الاهواء والبدع • والا فما معنى التحسر • قرئ بالفتح
يعذب ويوثق وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابي عمرو انه رجع اليها في آخر عمره • والضمير للانسان الموصوف • وقيل
هو ابي بن خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه في كفره وعناده
او لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى • وقرئ بالكسر والضمير لله تعالى اي لا يتولى عذاب
الله احد لان الامر لله وحده في ذلك اليوم • او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه
يا ايتها النفس على ارادة القول اي يقول الله للمؤمن يا ايتها النفس اما ان يكلمه اكراما له كما كلم موسى عليه السلام
او على لسان ملك والمطمئنة الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وهي النفس المؤمنة • او المطمئنة الى الحق
التي سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك • ويشهد للتفسير الاول قراءة ابي بن كعب يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة
فان قلت متى يقال لها ذلك قلت اما عند الموت واما عند البعث واما عند دخول الجنة على معنى
ارجعي الى موعد ربك راضية بما اوتيت مرضية عند الله تعالى فادخلي في عبادي اي في جملة عبادي الصالحين
وانتظمي في سلكهم وادخلي جنتي معهم وقيل النفس الروح ومعناه فادخلي في اجساد عبادي وقرأ ابن عباس
فادخلي في عبدي وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب بن عدي الذي صلبه اهل مكة وجعلوا
وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها
فلم يستطع احد ان يحوله والظاهر العموم • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر الله
له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة •

سورة البلد مكية وهي عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • اقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على ان الانسان خلق مغمورا في
مكابدة المشاق والشدائد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله وانت حل بهذا البلد يعني ومن المكابدة
ان مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غير الحرم عن شرحبيل يحرمون
ان يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبيت من رسول الله

وبعث على احتمال ما كان يكابد من اهل مكة وتعجيب من حالهم في عداوته • او سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسم ببلده
على ان الانسان لا يخلو من مقاساة الشدائد • واعترض بان وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال
وانت حل بهذا البلد يعني وانت حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وذلك ان الله تعالى فتح
عليه مكة واحلها له وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق
باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات
والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار
فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد • فقال العباس يا رسول الله
الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال صلى الله عليه وسلم الا الاذخر فان قلت اين نظير قوله وانت حل في معنى
الاستقبال قلت قوله عز وجل انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد تقول لمن تعده الاكرام
والحباء انت مكرم محبو • وهو في كلام الله اوسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك
دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة بالاتفاق مكية واين الهجرة عن وقت نزولها
فما بال الفتح فان قلت ما المراد بوالد وما ولد قلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده اقسم ببلده الذي هو
مسقط رأسه وحرم ابيه ابراهيم ومنشأ ابيه اسمعيل وبمن ولده وبه فان قلت لم نكر قلت للابهام المستقل
بالمدح والتعجب فان قلت هلا قيل ومن ولد قلت فيه ما في قوله والله اعلم بما وضعت اي بأي شيء وضعت يعني موضوعا عجيب
الشأن • وقيل هما آدم وولده • وقيل كل والد وولده • والكبد اصله من قولك كبد الرجل كبدا فهو اكبد
اذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى اهلكه
واصله كبده اذا اصاب كبده قال لبيد • يا عين هلا بكيت اربد اذ • قمنا وقام الخصوم في كبد • اي في شدة الامر
وصعوبة الخطب • والضمير في ايحسب لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكابد منهم ما يكابد
والمعنى ايظن هذا الصنديد القوي في قومه المتضعف للمؤمنين ان لن تقوم قيامة ولن يقدر على الانتقام
منه وعلى مكافأته بما هو عليه • ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم وانه يقول اهلكت مالا لبدا يريد كثرة
ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق ما
ينفق رياء وافتخارا بينهم يعني ان الله كان يراه وكان عليه رقيبا ويجوز ان يكون الضمير للانسان على ان يكون المعنى
اقسم بهذا البلد الشريف ومن شرفه انك حل به مما يقترفه اهله من المآثم متحرج بريء فهو حقيق بان اعظمه
بقسمي به لقد خلقنا الانسان في كبد اي في مرض وهو مرض القلب وفساد الباطن يريد الذين علم الله منهم حين خلقهم
انهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات • ومثل الذي يحسب ان لن يقدر عليه احد هو ابو الاشد وكان قويا يبسط له
الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فلا ينزع منه الا قطعا ويبقى موضع قدميه • وقيل
الوليد بن المغيرة لبدا قرئ بالضم والكسر جمع لبدة ولبدة وهو ما تلبد يريد الكثرة • وقرئ لبدا بضمتين
جمع لبود • ولبدا بالتشديد جمع لابد • الم نجعل له عينين يبصر بهما المرئيات ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين
يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك وهديناه النجدين اي طريقي الخير والشر وقيل
الثديين • فلا اقتحم العقبة يعني فلم يشكر تلك الايادي بالاعمال الصالحة من فك الرقاب واطعام اليتامى والمساكين ثم بالايمان
الذي هو اصل كل طاعة واساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم • والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه هو الانفاق
المرضي النافع عند الله • لا ان يهلك مالا لبدا في الرياء والفخار فيكون مثله كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم
الآية فان قلت قلما تقع لا الداخلة على الماضي الا مكررة ونحو قوله • فاي امر سيء لا فعله • لا يكاد يقع فما لها
لم تكرر في الكلام الافصح قلت هي متكررة في المعنى لان المعنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا •
الا ترى انه فسر اقتحام العقبة بذلك • وقال الزجاج قوله ثم كان من الذين آمنوا يدل على معنى فلا اقتحم العقبة
ولا آمن • والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة وجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما
لها لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس • وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه
الشيطان • فك الرقبة تخليصها من رق او غيره وفي الحديث ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على عمل يدخلني الجنة فقال تعتق النسمة
وتفك الرقبة قال اوليسا سواء قال لا اعتاقها ان تنفرد بعتقها • وفكها ان تعين في تخليصها من قود او غرم
والعتق والصدقة من افاضل الاعمال • وعن ابي حنيفة ان العتق افضل من الصدقة • وعند صاحبيه الصدقة افضل
والآية ادل على قول ابي حنيفة لتقدم العتق على الصدقة • وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة ايضعه في ذي
قرابة او يعتق رقبة قال الرقبة افضل لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا منه من النار
وقرئ فك رقبة او اطعام على هي فك رقبة او اطعام • وقرئ فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم العقبة وقوله وما ادراك
ما العقبة اعتراض ومعناه انك لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله والمسغبة
والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي
وذو مقربتي • وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب واما اترب فاستغنى اي صار ذا مال كالتراب

في الكتب كما قيل اثرى. وعن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ذا متربة الذي مأواه المزابل. ووصف اليوم بذي مسغبة نحو ما يقول النحويون في قولهم همّ ناصب ذو نصب. وقرأ الحسن ذا مسغبة نصبه باطعام ومعناه او اطعام في يوم من الايام ذا مسغبة ثم كان من الذين آمنوا جاء بثم لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت لان الايمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به والمرحمة الرحمة اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على الايمان والثبات عليه او بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المؤمن وبأن يكونوا متراحمين متعاطفين او بما يؤدي الى رحمة الله الميمنة والمشأمة اليمين والشمال او اليمن والشؤم اي الميامين على انفسهم والمشائيم عليهن. وقرئ موصدة بالواو والهمز من أوصدت الباب وآصدته اذا أطبقته وأغلقته. وعن ابي بكر بن عياش لنا إمام يهمز مؤصدة فأشتهي أن أسدّ أذنيّ اذا سمعته. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيامة.

سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

ضحاها ضوؤها اذا اشرقت وقام سلطانها ولذلك قيل وقت الضحى وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكرب ان ينتصف اذا تلاها طالعا عند غروبها آخذا من نورها وذلك في النصف الاول من الشهر وقيل اذا استدار فتلاها في الضياء والنور اذا جلاها عند انتفاخ النهار وانبساطه لان الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة او للدنيا او للارض وان لم يجر لها ذكر كقولهم اصبحت باردة يريدون الغداة. وأرسلت يريدون السماء اذا يغشاها فتغيب وتظلم الآفاق. فان قلت الامر في نصب اذا معضل لانك لا تخلو اما ان تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر فتقع في العطف على عاملين في نحو قولك مررت امس بزيد واليوم عمرو. واما ان تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق سيبويه والخليل على استكراهه. قلت الجواب فيه ان واو القسم مطرح معه ابراز الفعل اطراحا كليا فكان لها شأن خلاف شأن الباء حيث أبرز معها الفعل وأضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا والواوات العواطف نوائب عن هذه الواو فحققن ان يكن عوامل على الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما جعلت ما مصدرية في قوله وما بناها وما طحاها وما سوّاها وليس بالوجه لقوله فألهمها وما يؤدي اليه من فساد النظم. والوجه ان تكون موصولة وانما أوثرت على من لارادة معنى الوصفية كأنه قيل والسماء والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سوّاها وفي كلامهم سبحان ما سخركن لنا. فان قلت لم نكرت النفس قلت فيه وجهان احدهما ان يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم كأنه قال وواحدة من النفوس. والثاني ان يريد كل نفس وينكر للتكثير على الطريقة المذكورة في قوله علمت نفس. ومعنى إلهام الفجور والتقوى إفهامهما وإعقالهما وان احدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه من اختيار ما يشاء منهما بدليل قوله قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما. والتزكية الإنماء والإعلاء بالتقوى والتدسية النقص والإخفاء بالفجور واصل دسّى دسّس كما قيل في تقضّض تقضّى. وسئل ابن عباس عنه فقال أتقرأ قد افلح من زكاها وقد خاب من حملها طلحا. واما قول من زعم ان الضمير في زكاها ودساها لله تعالى وان تأنيث الراجع الى من لانه في معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين يورّكون على الله قدرا هو بريء منه ومتعال عنه ويحيون لياليهم في تمحل فاحشة ينسبونها اليه. فان قلت فأين جواب القسم. قلت هو محذوف تقديره ليدمدمن الله عليهم اي على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا. واما قد افلح من زكاها فكلام تابع لقوله فألهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء. بطغواها الباء مثلها في كتبت بالقلم والطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات الياء بأن قلبوا الياء واوا في الاسم وتركوا القلب في الصفة فقالوا امرأة خزيا وصديا يعني فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمني بجرأته على الله. وقيل كذبت بما أوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله فأهلكوا بالطاغية. وقرأ الحسن بطغواها بضم الطاء كالحسنى والرجعى في المصادر. اذ انبعث منصوب بكذبت او بالطغوى واشقاها قدار بن سالف. ويجوز ان يكونوا جماعة والتوحيد لتسويتك في أفعل التفضيل اذا اضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث. وكان يجوز ان يقال أشقوها كما تقول أفاضلهم. والضمير في لهم يجوز ان يكون للأشقين والتفضيل في الشقاوة لان من تولى العقر وباشره كانت شقاوته اظهر وابلغ. وناقة الله نصب على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبيّ الصبيّ بإضمار ذروا او احذروا عقرها وسقياها فلا تزووها عنها ولا تستأثروا بها عليها. فكذبوه فيما حذرهم منه من نزول العذاب ان فعلوا فدمدم عليهم فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا ألبسها الشحم بذنبهم بسبب ذنبهم وفيه انذار عظيم بعاقبة الذنب فعلى كل مسلم ان يعتبر ويحذر فسوّاها الضمير للدمدمة اي

فسوّاها

اي فسوّاها بينهم لم تفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم ولا يخاف عقباها اي عاقبتها وتبعتها كما يخاف كل معاقب من الملوك فيبقي بعض الابقاء. ويجوز ان يكون الضمير لثمود على معنى فسوّاها بالارض او في الهلاك ولا يخاف عقبى هلاكها. وفي مصاحف اهل المدينة والشام فلا يخاف. وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يخف. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر.

سورة الليل مكية وهي احدى وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

المغشي إما الشمس من قوله والليل اذا يغشاها. واما النهار من قوله يغشي الليل النهار. واما كل شيء يواريه بظلامه من قوله اذا وقب تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين وتكشف بطلوع الشمس وما خلق والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والانثى. وعن الكسائي وما خلق الذكر والانثى بالجر على انه بدل من محل ما خلق بمعنى وما خلقه الله او ومخلوق الله الذكر والانثى وجاز اضمار اسم الله لانه معلوم لانفراده بالخلق اذ لا خالق سواه. وقيل ان الله لم يخلق خلقا من ذوي الازواج ليس بذكر ولا انثى والخنثى وان اشكل امره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة والانوثة فلو حلف بالطلاق انه لم يلق يومه ذكرا ولا انثى وقد لقي خنثى مشكلا كان حانثا لانه في الحقيقة اما ذكر او انثى وان كان مشكلا عندنا شتى جمع شتيت اي ان مساعيكم اشتات مختلفة. وبيان اختلافها فيما فصل على اثره اعطى يعني حقوق الله في ماله واتقى الله فلم يعصه وصدق بالحسنى بالخصلة الحسنى وهي الايمان او بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهي الجنة فسنيسره لليسرى فسنهيئه لها من يسّر الفرس للركوب اذا اسرجها وألجمها ومنه قوله عليه السلام كل ميسر لما خلق له والمعنى فسنلطف به ونوفقه حتى تكون الطاعة ايسر الامور عليه واهونها من قوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام. واستغنى وزهد فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم يتقه. او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة لانه في مقابلة واتقى فسنيسره للعسرى فسنخذله ونمنعه الالطاف حتى تكون الطاعة اعسر شيء عليه واشده من قوله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء. او سمى طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها اليسر وطريقة الشر بالعسرى لان عاقبتها العسر او اراد بهما طريقي الجنة والنار اي فسنهديهما في الآخرة للطريقين. وقيل نزلتا في ابي بكر رضي الله عنه وفي ابي سفيان بن حرب وما يغني استفهام في معنى الانكار او نفي تردى تفعل من الردى وهو الهلاك يريد الموت او تردى في الحفرة اذا قبر او تردى في قعر جهنم ان علينا للهدى ان الارشاد الى الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع وان لنا للآخرة والاولى اي ثواب الدارين للمهتدي كقوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين. وقرأ ابو الزبير تتلظى. فان قلت كيف قال لا يصلاها الا الاشقى وسيجنبها الاتقى وقد علم ان كل شقي يصلاها وكل تقي يجنبها. لا يختص بالصلي اشقى الاشقياء ولا بالنجاة اتقى الاتقياء وان زعمت انه نكّر النار فأراد نارا بعينها مخصوصة بالاشقى فما تصنع بقوله وسيجنبها الاتقى فقد علم ان افسق المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة. قلت الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد ان يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلي كأن النار لم تخلق الا له. وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كأن الجنة لم تخلق الا له. وقيل هما ابو جهل او امية بن خلف وابو بكر رضي الله عنه يتزكى من الزكاء اي يطلب ان يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة او يتفعل من الزكاة. فان قلت ما محل يتزكى. قلت هو على وجهين ان جعلته بدلا من يؤتي فلا محل له لانه داخل في حكم الصلة والصلات لا محل لها وان جعلته حالا من الضمير في يؤتي فمحله النصب ابتغاء وجه ربه مستثنى من غير جنسه وهو النعمة اي ما لاحد عنده نعمة الا ابتغاء وجه ربه كقولك ما في الدار احد الا حمارا. وقرأ يحيى بن وثاب الا ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من يقول ما في الدار احد الا حمار. وانشد في اللغتين قول بشر بن ابي خازم. اضحت خلاء قفارا لا انيس بها. الا الجآذر والظلمان تختلف. وقول القائل. وبلدة ليس بها انيس. الا اليعافير والا العيس. ويجوز ان يكون ابتغاء وجه ربه مفعولا له على المعنى لان معنى الكلام لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة ولسوف يرضى موعد بالثواب الذي يرضيه ويقر عينه. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر.

سورة والضحى مكية وهي احدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقي شعاعها. وقيل انما خص وقت الضحى بالقسم لانها الساعة التي كلم فيها موسى عليه السلام وألقي فيها السحرة سجدا لقوله وان يحشر الناس ضحى. وقيل اريد بالضحى النهار بيانه قوله ان يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتا سجى سكن وركد ظلامه. وقيل ليلة ساجية ساكنة الريح. وقيل معناه سكون الناس والاصوات فيه. وسجا البحر سكنت امواجه

وطرف ساج ساكن فاتر. ما ودعك جواب القسم ومعناه ما قطعك قطع المودع. وقرئ بالتخفيف يعني ما تركك قال: وثمّ ودعنا آل عمرو وعامر فرائس أطراف المثقفة السمر. والتوديع مبالغة في الودع لأن من ودعك مفارقاً فقد بالغ في تركك. روي أن الوحي قد تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياماً فقال المشركون إن محمداً ودّعه ربه وقلاه. وقيل إن أم جميل امرأة أبي لهب قالت له يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فنزلت. حذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات في قوله والذاكرين الله كثيراً والذاكرات يريد والذاكراته. ونحوه فآوى فهدى فأغنى وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف. فإن قلت كيف اتصل قوله وللآخرة خير لك من الأولى بما قبله قلت لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى أن الله مواصلك بالوحي إليك وأنك حبيب الله. ولا ترى كرامة أعظم من ذلك ولا نعمة أجزل منه. أخبره أن حاله في الآخرة أعظم من ذلك وأجل وهو السبق والتقدم على جميع أنبياء الله ورسله وشهادة أمته على سائر الأمم ورفع درجات المؤمنين وإعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية. ولسوف يعطيك ربك فترضى موعد شامل لما أعطاه في الدنيا من الفلج والظفر بأعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين أفواجاً والغلبة على قريظة والنضير وإجلائهم وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في أقطار الأرض من المدائن وهدم بأيديهم من ممالك الجبابرة وأنهبهم من كنوز الأكاسرة وما قذف في قلوب أهل الشرق والغرب من الرعب وتهييب الإسلام وفشو الدعوة واستيلاء المسلمين. ولما ادّخر له من الثواب الذي لا يعلم كنهه إلا الله. قال ابن عباس له في الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك. فإن قلت ما هذه اللام الداخلة على سوف قلت هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك كما ذكرنا في لا أقسم أن المعنى لأنا أقسم. وذلك أنها لا تخلو من أن تكون لام قسم أو ابتداء فلام القسم لا تدخل على المضارع إلا مع نون التأكيد فبقي أن تكون لام ابتداء ولام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر ولا بد من تقدير مبتدأ وخبر وأن يكون أصله ولأنت سوف يعطيك. فإن قلت ما معنى الجمع بين حرفي التوكيد والتأخير قلت معناه أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر لما في التأخير من المصلحة. ألم يجدك تعديد لنعمه عليه وأياديه وأنه لم يخله منها من أول تربيته وابتداء نشئه ترشيحاً لما أراد به ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه لئلا يتوقع إلا الحسنى وزيادة الخير والكرامة ولا يضيق صدره ولا يقل صبره. ألم يجدك من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوبان مفعولا وجد. والمعنى ألم تكن يتيماً وذلك أن أباه مات وهو جنين قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه أبو طالب وعطفه الله عليه فأحسن تربيته. ومن بدع التفاسير أنه من قولهم درة يتيمة وأن المعنى ألم يجدك واحداً في قريش عديم النظير فآواك. وقرئ فأوى وهو على معنيين إما من أواه بمعنى آواه سمع بعض الرعاة يقول أين آوي هذه الموقسة. وإما من أوى له إذا رحمه. ضالاً معناه الضلال عن علم الشرائع وما طريقه السمع كقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان. وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده أبو جهل إلى عبد المطلب وقيل أضلته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب. وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به أبو طالب. فهداك فعرفك القرآن والشرائع. أو فأزال ضلالك عن جدك وعمك. ومن قال كان على أمر قومه أربعين سنة فإن أراد أنه على خلوّهم عن العلوم السمعية فنعم وإن أراد أنه كان على دينهم وكفرهم فمعاذ الله والأنبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء وكفى بالنبي نقيصة عند الكفار أن يسبق له كفر. عائلاً فقيراً وقرئ عيّلاً كما قرئ سيحات. فأغنى فأغناك بمال خديجة أو بما أفاء عليك من الغنائم قال عليه السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك وأغنى قلبك. فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه. وفي قراءة ابن مسعود فلا تكهر وهو أن يعبس في وجهه وفلان ذو كهرورة عابس الوجه. ومنه الحديث فبأبي وأمي هو ما كهرني. النهر والنهر الزجر. وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا رددت السائل ثلاثاً فلم يرجع فلا عليك أن تزبره. وقيل أما إنه ليس بالسائل المستجدي ولكن طالب العلم إذا جاءك فلا تنهره. التحديث بنعمة الله شكرها وإشاعتها يريد ما ذكره من نعمة الإيواء والهداية والإغناء وما عدا ذلك. وعن مجاهد بالقرآن فحدّث أي بلّغ ما أرسلت به. وعن عبد الله بن غالب أنه كان إذا أصبح يقول رزقني الله البارحة خيراً قرأت كذا وصليت كذا فإذا قيل له يا أبا فراس مثلك يقول مثل هذا قال يقول الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدّث وأنتم تقولون لا تحدث بنعمة الله. وإنما يجوز مثل هذا إذا قصد به اللطف وأن يقتدي غيره به وأمن على نفسه الفتنة والستر أفضل ولو لم يكن فيه إلا التشبه بأهل الرياء والسمعة لكفى به. وفي قراءة علي رضي الله عنه فخبّر. والمعنى إنك كنت يتيماً وضالاً وعائلاً فآواك الله وهداك وأغناك فمهما يكن من شيء وعلى ما خيلت فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلاث واقتد بالله فتعطف على اليتيم وآوه فقد ذقت اليتم وهوانه ورأيت كيف فعل الله بك. وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك

فأغناك

فأغناك بعد الفقر. وحدّث بنعمة الله كلها ويدخل تحته هدايته الضلال وتعليمه الشرائع والقرآن مقتدياً بالله في أن هداه من الضلال. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل.

سورة ألم نشرح مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم. استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار فأفاد إثبات الشرح وإيجابه فكأنه قيل شرحنا لك صدرك ولذلك عطف عليه ووضعنا اعتباراً للمعنى. ومعنى شرحنا صدرك فسحناه حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين جميعاً. أو حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم أو فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم وأزلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل. وعن الحسن ملئ حكمة وعلماً. وعن أبي جعفر المنصور أنه قرأ ألم نشرح بفتح الحاء وقالوا لعله بيّن الحاء وأشبعها في مخرجها فظن السامع أنه فتحها. والوزر الذي أنقض ظهرك أي حمّله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله مثّل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغمه من فرطاته قبل النبوة. أو من جهله بالأحكام والشرائع. أو من تهالكه على إسلام أولي العناد من قومه وتلهفه. ووضعه عنه أن غفر له أو علم الشرائع أو مهّد عذره بعدما بلّغ وبالغ. وقرأ أنس وحللنا وحططنا. وقرأ ابن مسعود وحللنا عنك وقرك. ورفع ذكره أن قرن بذكر الله في كلمة الشهادة والأذان والإقامة والتشهد والخطب وفي غير موضع من القرآن والله ورسوله أحق أن يرضوه ومن يطع الله ورسوله وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول. وفي تسميته رسول الله ونبي الله ومنه ذكره في كتب الأولين والأخذ على الأنبياء وأممهم أن يؤمنوا به. فإن قلت أي فائدة في زيادة لك والمعنى مستقل بدونه قلت في زيادة لك ما في طريقة الإبهام والإيضاح كأنه قيل ألم نشرح لك ففهم أن ثمّ مشروحاً ثم قيل صدرك فأوضح ما علم مبهماً وكذلك لك ذكرك وعنك وزرك. فإن قلت كيف تعلق قوله فإن مع العسر يسراً بما قبله قلت كان المشركون يعيّرون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق إلى وهمه أنهم رغبوا عن الإسلام لافتقار أهله واحتقارهم فذكّره ما أنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال إن مع العسر يسراً كأنه قال خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فإن مع العسر الذي أنتم فيه يسراً. فإن قلت إن مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر قلت أراد أن الله يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرّب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية وتقوية القلوب. فإن قلت ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما لن يغلب عسر يسرين قلت هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء وأن موعد الله لا يحمل إلا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه. والقول فيه أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكريراً للأولى كما كرر قوله ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما يكرر المفرد في قولك جاءني زيد زيد. وأن تكون الأولى عدة بأن العسر مردوف بيسر لا محالة والثانية عدة مستأنفة بأن العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستئناف. وإنما كان العسر واحداً لأنه لا يخلو إما أن يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو لأن حكمه حكم زيد في قولك إن مع زيد مالاً. وإما أن يكون للجنس الذي يعلمه كل أحد فهو هو أيضاً. وأما اليسر فمنكّر متناول لبعض الجنس فإذا كان الكلام الثاني مستأنفاً غير مكرر فقد تناول بعضاً غير البعض الأول بغير إشكال. فإن قلت فما المراد باليسرين قلت يجوز أن يراد بهما ما تيسر لهم من الفتوح في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تيسر لهم في أيام الخلفاء. وأن يراد يسر الدنيا ويسر الآخرة كقوله تعالى قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب. فإن قلت فما معنى هذا التنكير قلت التفخيم كأنه قيل إن مع العسر يسراً عظيماً وأي يسر. وهو في مصحف ابن مسعود مرة واحدة. فإن قلت فإذا ثبت في قراءته غير مكرر فلم قال والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه إنه لن يغلب عسر يسرين. قلت كأنه قصد باليسرين ما في قوله يسراً من معنى التفخيم فتأوله بيسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة. فإن قلت فكيف تعلق قوله فإذا فرغت فانصب بما قبله قلت لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الآتية بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وأن يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على أن لا يخلي وقتاً من أوقاته منها فإذا فرغ من عبادة ذنبها بأخرى. وعن ابن عباس فإذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء. وعن الحسن فإذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة. وعن مجاهد فإذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك. وعن الشعبي أنه رأى رجلاً يشيل حجراً فقال ليس بهذا أمر الفارغ. وقعود الرجل فارغاً من غير شغل أو اشتغال بما لا يعنيه في دينه أو دنياه من سفه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة. ولقد قال عمر رضي الله عنه إني لأكره أن أرى أحدكم فارغاً سبهللاً لا في عمل دين ولا في عمل دنيا. وقرأ أبو السمال فرغت بكسر الراء وليست بفصيحة. ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة أنه قرأ فانصب بكسر الصاد أي فانصب علياً للإمامة. ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي أن يقرأ هكذا ويجعله أمراً بالنصب الذي هو بغض علي وعداوته. وإلى ربك فارغب واجعل رغبتك إليه خصوصاً ولا تسأل إلا فضله متوكلاً عليه. وقرئ فرغّب أي رغّب الناس إلى طلب ما عنده. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني.

سورة التين وهي ثمان آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم. أقسم بهما لأنهما عجيبان من أصناف الأشجار المثمرة. وروي أنه أهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه كلوا

فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس. ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت رسول الله صلعم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هي سواكي وسواك الأنبياء قبلي. وعن ابن عباس هو تينكم هذا وزيتونكم هذا. وقيل جبلان من الأرض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لأنهما منبتا التين والزيتون. وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمذان والزيتون جبال الشام لأنهما منابتهما كأنه قيل ومنابت التين والزيتون. وأضيف الطور وهو الجبل إلى سينين وهي البقعة ونحو سينون يبرون في جواز الإعراب بالواو والياء والإقرار على الياء وتحريك النون بحركات الإعراب. والبلد مكة حماها الله. والأمين من أمن الرجل أمانة فهو أمين وقيل أمان كما قيل كرام في كريم. وأمانته أنه يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول من أمنه لأنه مأمون الغوائل كما وصف بالأمن في قوله حرما آمنا بمعنى ذي أمن. ومعنى القسم بهذه الأشياء الإبانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الأنبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر إبراهيم ومولد عيسى ومنشاه والطور المكان الذي نودي منه موسى ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد رسول الله صلعم ومبعثه. في أحسن تقويم في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لأعضائه ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية أن رددناه أسفل سافلين أسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني أقبح من قبح صورة وأشوهه خلقة وهم أصحاب النار أو أسفل من سفل من أهل الدركات. أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكان بضا وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شيء منه فمشيته دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف. وقرأ عبد الله أسفل السافلين. فإن قلت فكيف الاستثناء على المذهبين قلت هو على الأول متصل ظاهر الاتصال وعلى الثاني منقطع يعني ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم. فإن قلت فما يكذبك من المخاطب به قلت هو خطاب للإنسان على طريقة الالتفات أي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وإنكاره بعد هذا الدليل يعني أنك تكذب إذا كذبت بالجزاء لأن كل مكذب بالحق فهو كاذب فأي شيء يضطرك إلى أن تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء. والباء مثلها في قوله الذين يتولونه والذين هم به مشركون. والمعنى أن خلق الإنسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوي ثم تنكيسه إلى أن يبلغ أرذل العمر لا ترى دليلا أوضح منه على قدرة الخالق وأن من قدر من الإنسان على هذا كله لم يعجز عن إعادته فما سبب تكذيبك أيها الإنسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع. وقيل الخطاب لرسول الله صلعم. أليس الله بأحكم الحاكمين وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما هم أهله. وعن النبي صلعم أنه كان إذا قرأها قال بلى وأنا على ذلك من الشاهدين. عن رسول الله صلعم من قرأ سورة والتين أعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا وإذا مات أعطاه الله من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة.

سورة العلق مكية وهي تسع عشرة آية. بسم الله الرحمن الرحيم

عن ابن عباس ومجاهد هي أول سورة نزلت وأكثر المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم. محل باسم ربك النصب على الحال أي اقرأ مفتتحا باسم ربك قل بسم الله ثم اقرأ. فإن قلت كيف قال خلق فلم يذكر له مفعولا ثم قال خلق الإنسان قلت هو على وجهين إما أن لا يقدر له مفعول وأن يراد أنه الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه. وإما أن يقدر ويراد خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لأنه مطلق فليس بعض المخلوقات أولى بتقديره من بعض وقوله خلق الإنسان تخصيص للإنسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لأن التنزيل إليه وهو أشرف ما على الأرض. ويجوز أن يراد الذي خلق الإنسان كما قال الرحمن علم القرآن خلق الإنسان فقيل الذي خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق الإنسان تفخيما لخلق الإنسان ودلالة على عجيب فطرته. فإن قلت لم قال من علق على الجمع وإنما خلق من علقة كقوله من نطفة ثم من علقة قلت لأن الإنسان في معنى الجمع كقوله إن الإنسان لفي خسر. الأكرم الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم التي لا تحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي واطراحهم الأوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم فما لكرمه غاية ولا أمد. وكأنه ليس وراء التكرم بإفادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به

ولبعضهم

ولبعضهم في صفة القلم: ورواقم رقش كمثل أراقم قطف الخطى نيالة أقصى المدى سود القوائم ما يجد مسيرها إلا إذا لعبت بها بيض المدى. وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم. كلا ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه. أن رآه أن رأى نفسه. يقال في أفعال القلوب رأيتني وعلمتني وذلك بعض خصائصها. ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الإبصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين. واستغنى هو المفعول الثاني. إن إلى ربك الرجعى واقع على طريقة الالتفات إلى الإنسان تهديدا له وتحذيرا له من عاقبة الطغيان. والرجعى مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع. وقيل نزلت في أبي جهل وكذلك أرأيت الذي ينهى. وروي أنه قال لرسول الله صلعم أتزعم أن من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبا وفضة لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل فقال إن شئت فعلنا ذلك ثم إن لم يؤمنوا فعلنا بهم مثل ما فعلنا بأصحاب المائدة فكف رسول الله صلعم عن الدعاء إبقاء عليهم. وروي عنه لعنه الله أنه قال هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم قالوا نعم قال فوالذي يحلف به لئن رأيته توطأت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا له ما لك يا أبا الحكم فقال إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فنزلت. أرأيت الذي ينهى ومعناه أخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته إن كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله أو كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد وكذلك إن كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن. ألم يعلم بأن الله يرى ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد. فإن قلت ما متعلق أرأيت قلت الذي ينهى مع الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين. فإن قلت فأين جواب الشرط قلت هو محذوف تقديره إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى وإنما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني. فإن قلت فكيف صح أن يكون ألم يعلم جوابا للشرط قلت كما صح في قولك إن أكرمتك أتكرمني وإن أحسن إليك زيد هل تحسن إليه. فإن قلت فما أرأيت الثانية وتوسطها بين مفعولي أرأيت قلت هي زائدة مكررة للتوكيد. وعن الحسن أنه أمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة. كلا ردع لأبي جهل وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله وأمره بعبادة اللات ثم قال لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها إلى النار. والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة قال عمرو بن معدي كرب: قوم إذا يقع الصريخ رأيتهم من بين ملجم مهره أو سافع. وقرئ لنسفعن بالنون المشددة. وقرأ ابن مسعود لأسفعا. وكتبتها في المصحف بالألف على حكم الوقف ولما علم أنها ناصية المذكور اكتفى بلام العهد عن الإضافة. ناصية بدل من الناصية وجاز بدلها عن المعرفة وهي نكرة لأنها وصفت فاستقلت بفائدة. وقرئ ناصية على هي ناصية وناصية بالنصب وكلاهما على الشتم ووصفها بالكذب والخطأ على الإسناد المجازي وهما في الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ. والنادي المجلس الذي ينتدي فيه القوم أي يجتمعون والمراد أهل النادي كما قال جرير لهم مجلس صهب السبال أذلة وقال زهير وفيهم مقامات حسان وجوههم على سرر مصفوفة ونمارق. والمقامة المجلس. وروي أن أبا جهل مر برسول الله صلعم وهو يصلي فقال ألم أنهك فأغلظ له رسول الله صلعم فقال أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي ناديا فنزلت. وقرأ ابن أبي عبلة سيدعى الزبانية على البناء للمفعول. والزبانية في كلام العرب الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكأنه نسب إلى الزبن ثم غير للنسب كقولهم إمسي وأصله زباني فقيل زبانية على التعويض والمراد ملائكة العذاب. وعن النبي صلعم لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا. كلا ردع لأبي جهل لا تطعه أي اثبت على ما أنت عليه من عصيانه كقوله ولا تطع المكذبين. واسجد ودم على سجودك يريد الصلاة واقترب وتقرب إلى ربك. وفي الحديث أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد. عن رسول الله صلعم من قرأ سورة العلق أعطي من الأجر كأنما قرأ المفصل كله.

سورة القدر مختلف فيها وهي خمس آيات. بسم الله الرحمن الرحيم

عظم القرآن من ثلاثة أوجه أحدها أن أسند إنزاله إليه وجعله مختصا به دون غيره. والثاني أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه. والثالث الرفع من مقدار الوقت الذي أنزل فيه. وروي أنه أنزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وأملاه جبريل على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله صلعم نجوما في ثلاث وعشرين سنة. وعن الشعبي المعنى إنا ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر. واختلفوا في وقتها فأكثرهم على أنها في شهر رمضان في العشر الأواخر في أوتارها وأكثر القول أنها السابعة منها. ولعل الداعي إلى إخفائها أن يحيي من يريدها الليالي الكثيرة طلبا لموافقتها فتكثر عبادته ويتضاعف ثوابه وأن لا يتكل الناس عند إظهارها على إصابة الفضل فيها فيفرطوا في غيرها. ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الأمور وقضائها من قوله فيها يفرق كل أمر حكيم. وقيل سميت بذلك لخطرها وشرفها على سائر الليالي. وما أدراك ما ليلة القدر يعني ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ثم بين له ذلك بأنها خير من ألف شهر. وسبب ارتقاء فضلها إلى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التي ذكرها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل أمر حكيم. وذكر في تخصيص هذه المدة أن رسول الله صلعم ذكر رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت إليهم أعمالهم

بأ عطوا ليلة القدر حرس مئة ذلك الخارق • وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله الف
شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان تسموا عابدين من اولئك العباد **تنزل الملائكة** الى السماء الدنيا
وملائ الارض **والروح** جبريل وقيل خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة **من كل امر** اي تنزل من اجل
كل امر قضاه الله لتلك السنة الى قابل • وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان قيل لا يلقون مؤمنا
ولا مؤمنة الا سلموا عليه في تلك الليلة **سلام هي** • ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها الا السلامة والخير
ويقضي في غيرها بلاء وسلامة • او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين • وقرئ **مطلع الفجر** بكسر
اللام وكسرها • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيا ليلة القدر ٥

سورة البينة مكية وقيل مدنية وهي ثماني آيات ٥ بسم الله الرحمن الرحيم

كان الكفار من الفريقين
اهل الكتاب وعبدة الاصنام يقولون قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى
يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه ثم قال
وما تفرق الذين اوتوا الكتاب يعني انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما
فرقهم عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجيء الرسول • ونظيره في الكلام ان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه
لست بمنفك مما انا فيه حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا
عن الفسق حتى توسر وما غمست راسك في الفسق الا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما • وانفكاك
الشيء من الشيء ان يزايله بعد التحامه به كالعظم اذا انفك من مفصله • والمعنى انهم متشبثون بدينهم
لا يتركونه الا عند مجيء البينة **والبينة** الحجة الواضحة **رسول من الله** بدل من البينة وفي قراءة عبد الله رسولا
حالا من البينة **صحفا** قراطيس **مطهرة** من الباطل **فيها كتب** مكتوبات **قيمة** مستقيمة ناطقة بالحق والعدل • والمراد بتفرقهم
القرآن او لم تأتهم بينة ما في الصحف
الاولى **ورسول من الله** جبريل صلوات الله عليه وهو التالي للصحف المطهرة المنتسخة من اللوح التي ذكرت في سورة عبس
ولا بد من مضاف محذوف وهو الوحي ويجوز ان يراد النبي صلى الله عليه وسلم **فان قلت** كيف نسبت تلاوة الصحف المطهرة اليه
وهو امي **قلت** اذا تلا مثل المسطور فيها كان تاليا لها **قيمة** مستقيمة ناطقة بالحق والعدل والمراد بتفرقهم
تفرقهم عن الحق وانقشاعهم عنه او تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من انكر وقال ليس به • ومنهم من عرف
وعاند **فان قلت** لم جمع بين اهل الكتاب والمشركين اولا ثم افرد اهل الكتاب في قوله وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب **قلت** لانهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له ادخل
في هذا الوصف **وما امروا** يعني في التوراة والانجيل الا بالدين الحنيفي ولكنهم حرفوا وبدلوا **وذلك دين القيمة**
اي دين الملة القيمة • وقرئ وذلك الدين القيمة على تأويل الدين بالملة **فان قلت** ما وجه قوله وما امروا
الا ليعبدوا الله **قلت** معناه وما امروا بما في الكتابين الا لاجل ان يعبدوا الله على هذه الصفة • وقرأ ابن
مسعود الا ان يعبدوا بمعنى بان يعبدوا • وقرأ نافع **البريئة** بالهمز والقراء على التخفيف والنبيء والنبي
مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الاصل • وقرئ **خيار البرية** جمع خير كجياد وطياب في جيد وطيب ٥
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مسافرا ومقيلا ٥

سورة الزلزلة مختلف فيها وهي تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ٥

زلزالها قرئ بفتح الزاي وكسرها فالمكسور مصدر والمفتوح اسم وليس
في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف **فان قلت** ما معنى زلزالها بالاضافة **قلت** معناه زلزالها الذي
تستوجبه في الحكمة ومشيئة الله وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده ونحوه قولك اكرم التقي اكرامه
واهن الفاسق اهانته تريد ما يستوجبانه من الاكرام والاهانة او زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه
واخرجت الارض اثقالها جمع ثقل وهو متاع البيت وجعل ما في جوفها من الدفائن اثقالا لها **وقال الانسان ما لها**
زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ
اموات احياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الامر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا • وقيل هذا قول
الكافر لانه لا يؤمن بالبعث فاما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون **فان قلت** ما معنى
تحدث الارض اخبارها **قلت** هو مجاز عن احداث الله تعالى فيها من الاحوال ما يقوم مقام التحدث باللسان
حتى ينظر من يقول ما لها الى تلك الاحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الاموات وان هذا ما كانت الانبياء
ينذرونه ويحذرون منه • وقيل ينطقها الله على الحقيقة وتخبر بما عمل عليها من خير وشر • وروي عن رسول الله
تشهد على كل احد بما عمل على ظهرها **فان قلت** اذا ويومئذ ما ناصبهما **قلت** يومئذ بدل من اذا وناصبها تحدث
ويجوز ان ينتصب اذا بمضمر ويومئذ بتحدث **فان قلت** اين مفعولا تحدث **قلت** قد حذف اولهما والثاني
اخبارها واصله تحدث الخلق اخبارها الا ان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق تعظيما لليوم
فان قلت بم تعلقت الباء في قوله **بان ربك** **قلت** بتحدث معناه تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك
واذنه اياها بالتحدث ويجوز ان يكون المعنى يومئذ تحدث بتحديث ان ربك اوحى لها اخبارها على ان
تحديثها بان ربك اوحى لها تحدث باخبارها كما تقول نصحتني كل نصيحة بان نصحتني في الدين • ويجوز
ان يكون بان ربك بدلا من اخبارها كانه قيل يومئذ تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها لانك تقول

خبر ثعثه كذا وحدثه بكذا واوحى لها بمعنى اوحى اليها وهو مجاز [illegible]
وقرئ تنبئ اخبارها [illegible] **يومئذ يصدر الناس** عن مخارجهم من القبور الى الموقف
اشتاتا بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين او يصدرون عن الموقف اشتاتا يتفرق بهم طريقا
الجنة والنار **ليروا اعمالهم** جزاء اعمالهم [illegible] وقرئ ليروا بالفتح • وعن ابن عباس [illegible]
[illegible]

سورة العاديات مكية وقيل مدنية وهي احدى عشرة آية ٥ بسم الله الرحمن الرحيم

اقسم [illegible]
والعاديات ضبحا [illegible] **فالموريات قدحا** [illegible] **فالمغيرات صبحا** [illegible]
فاثرن به نقعا [illegible] **فوسطن به جمعا** [illegible]
[illegible]
ان الانسان لربه لكنود [illegible]
وانه على ذلك لشهيد [illegible] **وانه لحب الخير لشديد** [illegible]
[illegible]
افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور [illegible] **وحصل ما في الصدور** [illegible]
له ظابطا • او اراد انه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض • **بعثر** بعث وقرئ
بحثر وبحث وبحثر • **وحصل** على بنائهما للفاعل وحصل بالتخفيف • ومعنى حصل جمع في الصحف اي اظهر
محصلا مجموعا • وقيل ميز بين خيره وشره • ومنه قيل للمنخل المحصل • ومعنى علمه بهم يوم القيامة مجازاته
لهم على مقادير اعمالهم لان ذلك اثر خبرته بهم • وقرأ ابو السمال ان ربهم بهم يومئذ خبير ٥
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية وهي عشر آيات ٥ بسم الله الرحمن الرحيم ٥

الظرف نصب بمضمر دلت عليه
القارعة اي تقرع يوم **يوم يكون الناس كالفراش المبثوث** شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف
والذلة والتطاير الى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار • قال جرير ٥ ان الفرزدق ما علمت وقومه
مثل الفراش غشين نار المصطلي ٥ وفي امثالهم اضعف من فراشة واذل واجهل وسمي فراشا لتفرشه

وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ الوانا لانها الوان وبالمنفوش منه لتفرق اجزائها وقرأ ابن مسعود
كالصوف الموازين جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان وثقلها رجحانها ومنه
حديث ابي بكر رضي الله عنه لعمر في وصيته له وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيمة باتباعهم الحق وثقله
في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحسنات ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينهم باتباعهم
الباطل وخفته في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا السيئات ان يخف فامه هاوية من قولهم اذا دعوا
على الرجل بالهلكة هوت امه لانه اذا هوى اي سقط وهلك فقد هوت امه ثكلا وحزنا قال
هوت امه ما يبعث الصبح غاديا وماذا يرد الليل حين يؤوب فكانه قيل واما من خفت موازينه
فقد هلك وقيل هاوية من اسماء النار وكانها النار العميقة لهوي اهل النار فيها مهوى بعيدا كما روي
يهوي فيها سبعين خريفا اي فماواه النار وقيل للماوى ام على التشبيه لان الام ماوى الولد ومفزعه وعن
قتادة فامه هاوية فام راسه هاوية في قعر جهنم لانه تطرح فيها منكوسا هيه ضمير الداهية التي
دل عليها قوله فامه هاوية في التفسير الاول او ضمير هاوية والها للسكت اذا وصل القارئ حذفها وقيل
حقه ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة في المصحف وقد اجيز اثباتها مع الوصل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة سورة التكاثر مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الهاه عن كذا واقهاه اذا شغله والتكاثر التباري في الكثرة والتباهي
بها وان يقول هؤلاء نحن اكثر وهؤلاء نحن اكثر وروي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا ايهم اكثر عددا
فكثرهم بنو عبد مناف فقالت بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحيا والاموات فكثرتهم
بنو سهم والمعنى انكم تكاثرتم بالاحيا حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات
عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا
قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى الهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي عليكم في دنياكم وآخرتكم
عما يعنيكم من امر الدين الذي هو اهم واعنى من كل مهم او اراد الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان
متم وقبرتم منفقين اعماركم في طلب الدنيا والاستباق اليها والتهالك عليها الى ان اتاكم الموت لا هم لكم
غيرها عما هو اولى بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لآخرتكم وزيارة القبر عبارة عن الموت قال
لن يخلص العام خليل عشرا ذاق الضماد او يزور القبرا وقال الاخطل زار القبور ابو مالك فاصبح الام زوارها
وقرأ ابن عباس أألهاكم على الاستفهام الذي معناه التقرير كلا ردع وتنبيه على انه لا ينبغي للناظر لنفسه
ان تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه سوف تعلمون انذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم والتكرير تأكيد للردع
والانذار عليهم وثم دلالة على ان الانذار الثاني ابلغ من الاول واشد كما تقول للمنصوح اقول لك ثم اقول لك
لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطأ فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله وان هذا التنبيه
نصيحة لكم ورحمة عليكم ثم كرر التنبيه ايضا وقال لو تعلمون محذوف الجواب يعني لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين
علم اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه من الامور التي وكلتم بعلمها هممكم لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم
ضلال جهلة ثم قال لترون الجحيم فبين لهم ما انذرهم منه واوعدهم به وقد مر ما في ايضاح الشيء بعد ابهامه
من تفخيمه وتعظيمه وهو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما اوعدوا به لا مدخل فيه للريب
وكرره معطوفا بثم تغليظا في التهديد وزيادة في التهويل وقرئ لترؤن بالهمز وهي مستكرهة فان قلت
لم استكرهت والواو المضمومة قبلها همزة قياس مطرد قلت ذاك في الواو التي ضمتها لازمة وهذه عارضة
لالتقاء الساكنين وقرئ لترون ولترونها على البناء للمفعول عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين
وخالصه ويجوز ان يراد بالرؤية العلم والابصار عن النعيم عن اللهو والتنعم الذي شغلكم
الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فان قلت ما النعيم الذي يسأل عنه الانسان ويعاتب عليه فما من احد
الا وله نعيم قلت هو نعيم من عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا ليأكل الطيب ويلبس
اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من
تمتع بنعمة الله وارزاقه التي لم يخلقها الا لعباده وتقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل
وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى انه اكل هو واصحابه
تمرا وشربوا عليه ماء فقال الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
الهاكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرأ الف آية

سورة والعصر مكية وهي ثلاث آيات بسم الله الرحمن الرحيم اقسم بصلوة العصر
لفضلها بدليل قوله تعالى والصلوة الوسطى صلوة العصر في مصحف حفصة وقوله عليه السلام من فاتته صلوة
العصر فكانما وتر اهله وماله ولان التكليف في ادائها اشق لتهافت الناس في تجاراتهم
ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم او اقسم بالعشي كما اقسم بالضحى لما فيهما

جميعا

من دلائل القدرة او اقسم بالزمان لما في مروره من اصناف العجائب والانسان للجنس والخسر الخسران
كما قيل الكفر في الكفران والمعنى ان الناس في خسران من تجاراتهم الا الصالحين وحدهم لانهم اشتروا
الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا ومن عداهم تجروا خلاف تجارتهم فوقعوا في الخسارة والشقاوة وتواصوا
بالحق بالامر الثابت الذي لا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه
ورسله والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وتواصوا بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما
يبلو الله به عباده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى
بالصبر سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات بسم الله الرحمن الرحيم الهمز الكسر
كالهزم واللمز الطعن يقال لمزه ولهزه طعنه والمراد الكسر من اعراض الناس والغض منهم واغتيابهم
والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على ان ذلك عادة منه قد ضري بها ونحوهما اللعنة والضحكة قال
وان اغيب فانت الهامز اللمزه وقرئ ويل لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي ياتي بالاوابد
والاضاحيك فيضحك منه ويشتم وقيل نزلت في الاخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة
وقيل في امية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه من جنابه ويجوز ان يكون
السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد
فيه فان ذلك ازجر له وانكى فيه الذي بدل من كل او نصب على الذم وقرئ جمع بالتشديد وهو مطابق
لقوله وعدده وقيل عدده جعله عدة لحوادث الدهر وقرئ وعدده اي جمع المال وضبط عدده واحصاه
او جمع ماله وقومه الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار
وما يصلحهم وقيل وعدده معناه وعدده على فك الادغام نحو ضننوا اخلده وخلده بمعنى اي طول
المال امله ومناه الاماني البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا
في الدنيا لا يموت او يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجر وغرس الاشجار وعمارة الارض
عمل من يظن ان ماله ابقاه حيا او هو تعريض بالعمل الصالح وانه هو الذي اخلد صاحبه في النعيم فاما المال
فما اخلد احدا فيه وروي انه كان للاخنس بن شريق اربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف وعن
الحسن انه عاد موسرا فقال ما تقول في الوف لم افتد بها من لئيم ولا تفضلت بها على كريم قال ولكن لماذا
قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونوائب الدهر ومخافة الفقر قال اذا تدعه لمن لا يحمدك وترد
على من لا يعذرك كلا ردع له عن حسبانه وقرئ لينبذان اي هو وماله ولينبذن بضم الذال
اي هو وانصاره ولينبذنه في الحطمة في النار التي من شانها ان تحطم كل ما يلقى فيها ويقال للرجل الاكول انه لحطمة
وقرئ الحاطمة يعني انها تدخل في اجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على افئدتهم وهي اوساط
القلوب ولا شيء في بدن الانسان الطف من الفؤاد ولا اشد تألما منه بادنى مماسة فكيف اذا اطلعت
عليه نار جهنم واستولت عليه ويجوز ان يخص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات
الخبيثة ومعنى اطلاع النار عليها انها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها او تطالع على سبيل المجاز معادن موجبها
مؤصدة مطبقة قال تحن الى اجبال مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء مؤصدة وقرئ في عمد
بضمتين وعمد بسكون الميم وعمد بفتحتين والمعنى انه يؤكد يأسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الابد فتؤصد
عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا في استيثاق ويجوز ان يكون المعنى انها عليهم مؤصدة
موثقين في عمد ممددة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص اللهم اجرنا من النار يا خير مستجار عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد واصحابه سورة الفيل
مكية وهي خمس آيات بسم الله الرحمن الرحيم روي ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من
قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد
فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة
فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل كان معه
الف فيل وقيل كان وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة فابى
وعبى جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى
غيره من الجهات هرول فارسل الله طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر في منقاره
وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة وعن ابن عباس انه رأى منها عند ام هانئ
نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر
اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل ودوي ابرهة فتساقطت انامله وآرابه وما مات
حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي
الذي كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة وعن عائشة رأيت
قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان وفيه ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير

نخرج اليه فيها فجهم وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رءوس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين ابائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر فالهاك عنه ذود اخذ لك فقال انا رب الابل وللبيت رب سيمنعه ثم رجع فاتى باب البيت فاخذ بحلقته وهو يقول لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك يا رب لا ارجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية وفيه ان اهل مكة قد احتووا على اموالهم وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذهبهم الجور وكان سبب يساره وعن ابي سعيد الخدري انه سئل عن الطير فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم وعن عكرمة من اصابته جدرته وهو اول جدري ظهر وقرئ الم تر بسكون الراء للجد في اظهار اثر الجازم والمعنى انك رايت اثار فعل الله بالحبشة وسمعت الاخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة وكيف في موضع نصب بفعل ربك لا بالم تر لما في كيف من معنى الاستفهام في تضليل في تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضائعا ونحوه قوله تعالى وما كيد الكافرين الا في ضلال وقيل لامرئ القيس الملك الضليل لانه ضلل ملك ابيه اي ضيعه يعني انهم كادوا البيت اولا ببناء القليس وارادوا ان ينسخوا امره بصرف وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلل بارسال الطير عليهم ابابيل حزائق الواحدة ابالة وفي امثالهم ضغث على ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت الحزقة من الطير في تضامها بالابالة وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها وقرئ ابو حنيفة رحمه الله يرميهم اي الله تعالى او الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى من سجيل كانه علم للديوان الذي يكتب فيه عذاب الكفار كما ان سجينا علم لديوان اعمالهم كانه قيل بحجارة من العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال لان العذاب موصوف بذلك وارسل عليهم طيرا فارسلنا عليهم الطوفان وعن ابن عباس من طين مطبوخ كما يطبخ الاجر وقيل هو معرب من سنك كل وقيل من شديد عذابه ورووا بيت ابن مقبل ضربا تواصت به الابطال سجيلا وانما هو سجينا والقصيدة نونية مشهورة في ديوانه وشبهوا بورق الزرع اذا اكل اي وقع فيه الاكال وهو ان تاكله الدود او بتبن اكلته الدواب وراثته ولكنه جاء على ما عليه اداب القران كقوله كانا ياكلان الطعام او اريد اكل حبه فبقي صفرا منه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفيل اعفاه الله ايام حياته من الخسف والمسخ

سورة قريش مكية وهي اربع ايات بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا امرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين فان قلت فلم دخلت الفا قلت لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوه لايلافهم على معنى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة وقيل المعنى اعجبوا لايلاف وقيل هو متعلق بما قبله اي جعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل وعن عمر انه قراهما في الثانية من صلاة المغرب وقرا في الاولى والتين والمعنى انه اهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامر في رحلتيهم فلا يجترئ احد عليهم وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم امنين لانهم اهل حرم الله وولاة بيته فلا يتعرض لهم والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم والايلاف من قولك الفت المكان ايلافا اذا الفته فانا مؤلف قال من المؤلفات الرهو غير الاوارك وقرئ لالاف قريش اي لمؤالفة قريش وقيل الفته الفا والافا وقرا ابو جعفر لالف قريش وقد جمعهما من قال زعمتم ان اخوتكم قريش لهم الف وليس لكم الاف وقرا عكرمة ليالف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار وعن معاوية انه سال ابن عباس لم سميت قريش قال بدابة في البحر تاكل ولا توكل وتعلو ولا تعلى وانشد وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد اطلق الايلاف ثم ابدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا بعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولا به كما نصب يتيما باطعام واراد رحلتي الشتاء والصيف فافرد لامن الالباس كقوله كلوا في بعض بطنكم وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها والتنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني اطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وامنهم من خوف عظيم وهو خوف اصحاب الفيل

او خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد اصابتهم شدة حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة وامنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء ابرهيم صلوات الله عليه ومن بدع التفاسير وامنهم من خوف ان تكون الخلافة في غيرهم وقرئ من خوف باخفاء النون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لايلاف قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة ارايت مكية وهي سبع ايات بسم الله الرحمن الرحيم قرئ ارايت بحذف الهمزة وليس بالاختيار لان حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب ريت ولكن الذي سهل من امرها وقوع حرف الاستفهام في اول الكلام ونحوه صاح هل ريت او سمعت براع رد في الضرع ما قرى في العلاب وقرا ابن مسعود ارايتك بزيادة حرف الخطاب كقوله ارايتك هذا الذي كرمت علي والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو ان لم تعرفه فذلك الذي يكذب بالجزاء هو الذي يدع اليتيم اي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة واذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة وقرئ يدع اي يترك ويجفو ولا يحض ولا يبعث اهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف يعني انه لو امن بالجزاء وايقن بالوعيد لخشي الله وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين اقدم عليه علم انه مكذب فما اشده من كلام وما اخوفه من مقام وما ابلغه في التحذير من المعصية وانها جديرة بان يستدل بها على ضعف الايمان ورخاوة عقد اليقين ثم وصل به قوله فويل للمصلين كانه قال فاذا كان الامر كذلك فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلوة قلة مبالاة بها حتى تفوتهم او يخرج وقتها او لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف ولكن ينقرونها نقرا من غير خشوع واخبات ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب والالتفات لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرا من السور وكما ترى صلوة اكثر من ترى الذين عادتهم الرياء باعمالهم ومنع حقوق اموالهم والمعنى ان هؤلاء احق بان يكون سهوهم عن الصلوة التي هي عماد الدين والفارق بين الايمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من الشرك ومنع الزكوة التي هي شقيقة الصلوة وقنطرة الاسلام علما على انهم مكذبون بالدين وكم ترى من المتسمين بالاسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه وطريقة اخرى ان يكون فذلك عطفا على الذي يكذب اما عطف ذات على ذات او صفة على صفة ويكون جواب ارايت محذوفا لدلالة ما بعده عليه كانه قيل اخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين انعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين اي اذا علم انه مسيء فويل للمصلين على معنى فويل لهم الا انه وضع صفتهم موضع ضميرهم لانهم كانوا مع التكذيب وما اضيف اليهم ساهين عن الصلوة مرائين غير مزكين اموالهم فان قلت كيف جعلت المصلين قائما مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد قلت معناه الجمع لان المراد به الجنس فان قلت اي فرق بين قوله عن صلاتهم وبين قولك في صلاتهم قلت معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين او الفسقة الشطار من المسلمين ومعنى في ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان او حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره ومن ثم اثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم وعن انس رضي الله عنه الحمد لله على ان لم يقل في صلاتهم وقرا ابن مسعود لاهون فان قلت ما معنى المراءاة قلت هي مفاعلة من الاراءة لان المرائي يري الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا باظهار العمل الصالح ان كان فريضة فمن حق الفرائض الاعلان بها وتشهيرها لقوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله لانها اعلام الاسلام وشعائر الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة بالاظهار وان كان تطوعا فحقه ان يخفى لانه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان اظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا وانما الرياء ان يقصد بالاظهار ان تراه الاعين فيثنى عليه بالصلاح وعن بعضهم انه راى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر واطالها فقال ما احسن هذا لو كان في بيتك وانما قال هذا لانه توسم فيه الرياء والسمعة على ان اجتناب الرياء صعب الا على المرتاضين بالاخلاص ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرياء اخفى في امتي من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الاسود الماعون الزكاة قال الراعي قوم على الاسلام لما يمنعوا ماعونهم ويضيعوا التهليلا وعن ابن مسعود ما يتعاور في العادة من الفاس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة الماء والنار والملح وقد يكون منع هذه الاشياء محظورا في الشريعة اذا استعيرت عن اضطرار وقبيحا في المروءة في غير حال الضرورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ارايت غفر الله له ان كان للزكاة مؤديا

سورة الكوثر مكية وهي ثلاث ايات بسم الله الرحمن الرحيم في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم انا انطيناك الكوثر بالنون وانطوا الثبجة والكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة وقيل لاعرابية رجع ابنها من السفر بم اب ابنك قالت اب بكوثر قال

وانت كثير يا ابن مروان طيب ٥ وكان ابوك ابن العقائل كوثرا ٥ وقيل الكوثر نهر في الجنة • وعن النبي صلعم انه قراها حين انزلت عليه فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير • وروي في صفته احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة عدد نجوم السماء • وروي لا يظمأ من شرب منه ابدا اول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو اقسم على الله لابره • وعن ابن عباس انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير ان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير **والنحر** نحر البدن • وعن عطية هي صلوة الفجر بجمع • والنحر بمنى • وقيل صلوة العيد والتضحية • وقيل هي جنس الصلوة • والنحر وضع اليمين على الشمال • والمعنى اعطيت ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذي لم يعطه احد غيرك ومعطي ذلك كله انا اله العالمين فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان اصابة اشرف عطاء واوفره من اكرم معط واعظم منعم فاعبد ربك الذي اعزك باعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله • وانحر لوجهه وباسمه اذا نحرت • مخالفا لهم في النحر للاوثان **ان** من ابغضك من قومك لمخالفتك لهم **هو الابتر** لا انت لان كل من يولد الى يوم القيمة من المؤمنين فهم اولادك واعقابك وذكرك مرفوع على المنابر والمنائر وعلى لسان كل عالم وذاكر الى اخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ولك في الاخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له ابتر وانما الابتر هو شانئك المنسي في الدنيا والاخرة وان ذكر ذكر باللعن وكانوا يقولون ان محمدا صنبور اذا مات مات ذكره • وقيل نزلت في العاص بن وائل وقد سماه الابتر والابتر الذي لا عقب له ومنه الحمار الابتر الذي لا ذنب له ٥ عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر او يقربونه ٥

سورة الكافرون مكية وهي ست ايات ٥ بسم الله الرحمن الرحيم ٥

المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون **روي** ان رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض الهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقراها عليهم فأيسوا **لا اعبد** اريد به العبادة فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال الا ترى ان لن تاكيد فيما تنفيه لا وقال الخليل في لن ان اصله لا ان والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي **ولا انا عابد ما عبدتم** اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعني لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام **ولا انتم عابدون** ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا على عبادته **فان قلت** فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم **قلت** لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت **فان قلت** فلم جاء على ما دون من **قلت** لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي **لكم دينكم ولي دين** لكم شرككم ولي توحيدي والمعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك ٥ عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الكافرون فكانما قرأ ربع القران وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر ٥

سورة النصر مدنية وهي ثلاث ايات ٥ بسم الله الرحمن الرحيم ٥

اذا منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة • وروي انها نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع **فان قلت** ما الفرق بين **النصر** والفتح حتى عطف عليه **قلت** النصر الاغاثة والاظهار على العدو ومنه نصر الله الارض اغاثها والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله صلعم على العرب او على قريش وفتح مكة وقيل جنس نصر الله للمؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله صلعم عشرة الاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلعم وقد كان الله امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا فلذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام **في دين الله** في ملة الاسلام التي لا دين له يضاف اليه غيرها ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه **افواجا** جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعد ما كانوا

يدخلون

يدخلون فيه واحدا بعد واحد واثنين اثنين • وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه بكى ذات يوم فقيل له فقال سمعت رسول الله صلعم يقول دخل الناس في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا • وقيل اراد بالناس اهل اليمن قال ابو هريرة لما نزلت قال رسول الله صلعم الله اكبر جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان • والفقه يمان • والحكمة يمانية • وقال اجد نفس ربكم من قبل اليمن وعن الحسن لما فتح رسول الله صلعم مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اما اذا ظفر باهل الحرم فليس به يدان وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم وكانوا يدخلون في الاسلام افواجا من غير قتال وقرأ ابن عباس فتح الله والنصر • وقرئ يدخلون على البناء للمفعول **فان قلت** ما محل يدخلون **قلت** النصب اما على الحال على ان رأيت بمعنى ابصرت او عرفت او هو مفعول ثان على انه بمعنى علمت **فسبح بحمد ربك** فقل سبحان الله حامدا له اي فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببالك وبال احد من ان يغلب احد على اهل الحرم واحمده على صنعه او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك • او فصل له ٥ روت ام هانئ انه لما فتح باب الكعبة صلى صلوة الضحى ثماني ركعات وعن عائشة كان يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك • والامر بالاستغفار مع التسبيح تكميل للامر بما هو قوام امر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية وليكون امره بذلك مع عصمته لطفا لامته ولان الاستغفار من التواضع لله وهضم النفس فهو عبادة في نفسه وعن النبي صلعم اني لاستغفر في اليوم والليلة مائة مرة • وروي انه لما قراها رسول الله صلعم على اصحابه استبشروا وبكى العباس فقال صلعم ما يبكيك يا عم فقال نعيت اليك نفسك فقال انها لكما تقول فعاش بعدها سنتين لم ير فيهما ضاحكا مستبشرا • وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال رسول الله صلعم لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا ٥ وروي انها لما نزلت خطب رسول الله صلعم فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم ابو بكر رضي الله عنه فقال فديناك بانفسنا واموالنا واولادنا • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان عمر رضي الله عنه كان يدنيه ويأذن له مع اهل بدر فقال عبد الرحمن اتأذن لهذا الفتى معنا وفي ابنائنا من هو مثله فقال انه ممن قد علمتم قال ابن عباس فاذن لهم ذات يوم واذن لي معهم فسألهم عن قول الله عز وجل اذا جاء نصر الله والفتح ولا اراه سألهم الا من اجلي فقال بعضهم امر الله نبيه اذا فتح عليه ان يستغفره ويتوب اليه فقلت ليس كذلك ولكن نعيت اليه نفسه فقال عمر ما اعلم منها الا مثل ما تعلم ثم قال كيف تلومونني عليه بعد ما ترون • وعن النبي صلعم انه دعا فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي • وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمى سورة التوديع **كان توابا** اي كان في الازمنة الماضية منذ خلق المكلفين توابا عليهم اذا استغفروا فعلى كل مستغفر ان يتوقع مثل ذلك ٥ عن رسول الله صلعم من قرأ اذا جاء نصر الله اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد صلعم يوم فتح مكة ٥

سورة تبت خمس ايات وهي مكية ٥ بسم الله الرحمن الرحيم ٥

التباب الهلاك ومنه قولهم اشابة ام تابة اي هالكة من الهرم والتعجيز والمعنى هلكت يداه لانه فيما يروى اخذ حجرا ليرمي به رسول الله صلعم **وتب** وهلك كله او جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقوله بما قدمت يداك والمعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله ٥ جزاني جزاه الله شر جزائه ٥ جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ٥ ويدل عليه قراءة ابن مسعود وقد تب • وروي انها لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين رقي الصفا وقال يا صباحاه فاستجمع اليه الناس من كل اوب فقال يا بني عبد المطلب يا بني فهر ان اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي الساعة فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا فنزلت **فان قلت** لم كناه والكنية تكرمة **قلت** فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل معروفا باحدهما ولذلك تجري الكنية على الاسم والاسم على الكنية عطف بيان فلما اريد تشهيره بدعوة السوء وان تبقى سمة له ذكر الاشهر من علميه ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب ومعوية بن ابو سفيان لئلا يغير منه شيء فيشكل على السامع ولفليتة بن قاسم امير مكة ابنان احدهما عبد الله بالجر والاخر عبد الله بالنصب والثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى كنيته والثالث انه لما كان من اهل النار ومآله الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بان يذكر بها ويقال ابو الشر للشرير وابو الخير للخير وكما كنى رسول الله صلعم ابا المهلب ابا صفرة بصفرة في وجهه وقيل كني بذلك لتلهب وجنتيه واشراقهما فيجوز ان يذكر بذلك تهكما وبافتخاره بذلك وقرئ ابي لهب بالسكون وهو من تغيير الاعلام كقولهم شمس بن مالك بالضم

ما أغنى استفهام في معنى الانكار ومحله النصب او نفي **وما كسب** مرفوع وما موصولة او مصدرية بمعنى ومكسوبه او وكسبه • والمعنى لم ينفعه ماله وما كسب بماله يعني رأس المال والارباح او ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها وكان ذا سابياء او ماله الذي ورثه من ابيه والذي كسبه بنفسه او ماله التالد والطارف • وعن ابن عباس ما كسب ولده • وحكي ان بني ابي لهب احتكموا اليه فاقتتلوا فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع فغضب فقال اخرجوا عني الكسب الخبيث ومنه قوله عليه السلام ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه • وعن الضحاك ما ينفعه ماله وعمله الخبيث يعني كيده في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم • وعن قتادة عمله الذي ظن انه منه على شيء كقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل • وروي انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي وولدي • **سيصلى** وقرئ بفتح الياء وبضمها مخففا ومشددا والسين للوعيد اي هو كائن لا محالة وان تراخى وقته • **وامرأته** هي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان ونحوه فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس يحمل الحطب اي يوقد بينهم النائرة ويورث الشر قال • من البيض لم تصطد على ظهر لامة • ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب • جعله رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر ورفعت عطفا على الضمير في سيصلى اي سيصلى هو وامرأته • **في جيدها** في موضع الحال او على الابتداء • وفي جيدها الخبر • وقرئ حمالة الحطب بالنصب على الشتم وانا استحب هذه القراءة • وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من احب شتم ام جميل • وقرئ حمالة للحطب وحمالة للحطب بالتنوين والرفع والنصب • وقرئ ومريئته بالتصغير • **المسد** الذي فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان او جلد او غيرهما قال • ومسد امر من ايانق • ورجل ممسود الخلق مجدوله • والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة ولقد عير بعض الناس الفضل بن العباس بن عتبة بن ابي لهب بحمالة الحطب فقال • ماذا اردت الى شتمي ومنقصتي • ام ما تعير من حمالة الحطب • غراء شادخة في المجد غرتها • كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب • ويحتمل ان يكون المعنى ان حالها يكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجر الزقوم او من الضريع وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة •

سورة الاخلاص مكية وهي اربع آيات بسم الله الرحمن الرحيم

هو ضمير الشان **الله احد** هو الشان كقولك هو زيد منطلق كانه قيل الشان هذا وهو ان الله واحد لا ثاني له • **فان قلت** ما محل هو **قلت** الرفع على الابتداء والخبر الجملة • **فان قلت** فالجملة الواقعة خبرا لا بد فيها من راجع الى المبتدا فاين الراجع • **قلت** حكم هذه الجملة حكم المفرد في قولك زيد غلامك في انه هو المبتدا في المعنى وذلك ان قوله الله احد هو الشان الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد ابوه منطلق فان زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما • وعن ابن عباس قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت يعني الذي سألتموني وصفه هو الله • واحد بدل من قوله الله او على هو احد وهو بمعنى واحد واصله وحد • وقرأ عبد الله وابي هو الله احد بغير قل • وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم الله احد بغير قل هو • وقال من قرأ الله احد كان بعدل القرآن • وقرأ الاعمش قل هو الله الواحد • وقرئ احد الله بغير تنوين اسقط لملاقاته لام التعريف ونحوه • ولا ذاكر الله الا قليلا • والجيد هو التنوين وكسره لالتقاء الساكنين • **والصمد** فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده • وهو السيد المصمود اليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون بانه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد متوحد بالالهية لا يشارك فيها وهو الذي يصمد اليه كل مخلوق ولا يستغنون عنه وهو الغني عنهم • **لم يلد** لانه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا • وقد دل على هذا المعنى بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة • **ولم يولد** لان كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا اول لوجوده وليس بجسم • ولم يكافئه احد اي لم يماثله ولم يشاكله • ويجوز ان يكون من الكفاءة في النكاح نفيا للصاحبة • **سألوه** ان يصفه لهم فاوحى اليه ما يحتوي على صفاته فقوله هو الله اشارة لهم الى من هو خالق الاشياء وفاطرها وفي طي ذلك وصفه بانه قادر عالم لان الخلق يستدعي القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية احكام واتساق وانتظام

وفي ذلك

وفي ذلك وصفه بانه حي سميع بصير • وقوله احد وصف بالوحدانية ونفي الشركاء • وقوله الصمد وصف له بانه ليس الا محتاجا اليه واذا لم يكن الا محتاجا اليه فهو غني • وفي كونه غنيا مع كونه عالما انه عدل غير فاعل للقبائح لعلمه بقبح القبيح وعلمه بغناه عنه • وقوله لم يلد وصف بالقدم والاولية • وقوله لم يلد نفي للشبه والمجانسة • وقوله ولم يكن له كفوا احد تقرير لذلك وبت للحكم به • **فان قلت** الكلام العربي الفصيح ان يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه على ذلك في كتابه فما باله مقدما في افصح الكلام واعربه • **قلت** هذا الكلام انما سيق لنفي المكافاة عن ذات الباري تعالى وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك اهم شيء واعناه واحقه بالتقدم واحراه • وفي **كفوا** ضم الكاف والفاء وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء • **فان قلت** لم كانت هذه السورة عدل القرآن كله على قصر متنها وتقارب طرفيها • **قلت** لامر ما يسود من يسود • وما ذاك الا لاحتوائها على صفات الله تعالى وعدله وتوحيده وكفى دليلا من اعترف بفضلها وصدق بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ان علم التوحيد من الله بمكان وكيف لا يكون كذلك والعلم تابع للمعلوم يشرف بشرفه ويتضع بضعته • ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز • فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله وانافته على كل علم واستيلائه على قصب السبق دونه • ومن ازدراه فلضعف علمه بمعلومه وقلة تعظيمه له وخلوه من خشيته وبعده من النظر لعاقبته • اللهم احشرنا في زمرة العالمين بك العاملين لك القائلين بعدلك وتوحيدك الخائفين من وعيدك • وتسمى سورة الاساس لاشتمالها على اصول الدين • **وروى** ابي وانس عن النبي صلى الله عليه وسلم اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد يعني ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت فقيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة •

سورة الفلق مختلف فيها وهي خمس آيات بسم الله الرحمن الرحيم

الفلق والفرق الصبح لان الليل يفلق عنه ويفرق • فعل بمعنى مفعول • يقال في المثل هو ابين من فلق الصبح ومن فرق الصبح • ومنه قولهم سطع الفرقان اذا طلع الفجر • وقيل هو كل ما يفلقه الله كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والارحام عن الاولاد والحب والنوى وغير ذلك • وقيل هو واد في جهنم او جب فيها من قولهم لما اطمأن من الارض الفلق والجمع فلقان • وعن بعض الصحابة انه قدم الشام فرأى دور اهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم من دنياهم فقال لا ابالي اليس من ورائهم الفلق • فقيل وما الفلق قال بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع اهل النار من شدة حره • **من شر ما خلق** من شر خلقه وشرهم ما يفعله المكلفون من الحيوان من المعاصي والمآثم ومضارة بعضهم بعضا من ظلم وبغي وقتل وضرب وشتم وغير ذلك • وما يفعله غير المكلفين منه من الاكل والنهش واللدغ والعض كالسباع والحشرات • وما وضعه الله في الموات من انواع الضرر كالاحراق في النار والقتل في السم • **والغاسق** الليل اذا اعتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل • ومنه غسقت العين امتلأت دمعا وغسقت الجراحة امتلأت دما • **ووقوبه** دخول ظلامه في كل شيء • ويقال وقبت الشمس اذا غابت • وفي الحديث لما رأى الشمس قد وقبت قال هذا حين حلها يعني صلاة المغرب • وقيل هو القمر اذا امتلأ • وعن عائشة رضي الله عنها اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فاشار الى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله في الكسوف واسوداده • ويجوز ان يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب النقب ومنه وقبة الثريد • والتعوذ من شر الليل لان انبثاث الشر فيه اكثر والتحرز منه اصعب • ومنه قولهم الليل اخفى للويل • وقولهم اغدر الليل لانه اذا اظلم كثر فيه الغدر • واسند الشر اليه لملابسته له من حدوثه فيه • **النفاثات** النساء او النفوس او الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين • والنفث النفخ مع ريق • ولا تاثير لذلك اللهم الا اذا كان ثم اطعام شيء ضار او سقيه او اشمامه او مباشرة المسحور به على بعض الوجوه • ولكن الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذي يتميز به الثبت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام فينسبه الحشو والرعاع اليهن والى نفثهن والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون الى ذلك ولا يعبأون به • **فان قلت** فما معنى الاستعاذة من شرهن • **قلت** فيها ثلاثة اوجه • احدها ان يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن اثمهن في ذلك • والثاني ان يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن • **والثالث** ان يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن • ويجوز ان يراد بهن النساء الكيادات من قوله ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد • او اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كانهن يسحرنهم بذلك • **اذا حسد** اي اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل

المحسود • لانه اذا لم يظهر اثر ما اضمر فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه
بسرور غيره • وعن عمر بن عبد العزيز لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من حاسد • ويجوز ان يراد بشر الحاسد
اثمه وسماجة حاله في وقت حسده واظهاره اثره • فان قلت قوله من شر ما خلق يعم كل ما يستعاذ
منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد قلت قد خص شر هؤلاء من كل
شئ لخفاء امره وانه يلحق الانسان من حيث لا يعلم كانه يغتال به • وقالوا شر العداة المداجي
الذي يكيدك من حيث لا تشعر فان قلت فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه قلت عرف النفاثات
لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل
كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات • ومنه قوله عليه السلام لا حسد
الا في اثنتين • وقال ابو تمام ٥ وما حاسد في المكرمات بحاسد ٥ وقال ٥ ان العلى حسن في مثلها الحسد ٥
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا المعوذتين فكانما قرا الكتب التي انزلها الله تعالى كلها سورة الناس مختلف فيها وهي ست ايات
بسم الله الرحمن الرحيم ٥ قرئ • قل اعوذ بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام ونحوه فخذ اربعة
فان قلت لم قيل برب الناس مضافا اليهم خاصة قلت لان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس
في صدور الناس فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك عليهم امورهم وهو الههم
ومعبودهم كما يستغيث بعض الموالي اذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم ووالي امرهم فان قلت
ملك الناس اله الناس ما هما من رب الناس قلت هما عطف بيان كقوله سيرة ابي حفص عمر الفاروق • بين
بملك الناس ثم زيد بيانا باله الناس لانه قد يقال لغيره رب الناس كقوله اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله • وقد يقال ملك الناس واما اله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية
للبيان فان قلت فهلا اكتفى باظهار المضاف اليه الذي هو الناس مرة واحدة قلت لان عطف
البيان للبيان فكان مظنة للاظهار دون الاضمار الوسواس اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة
واما المصدر فوسواس بالكسر كالزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كانه وسوسة في نفسه
لانها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه او اريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفي ومنه
وسواس الحلي والخناس الذي عادته ان يخنس منسوب الى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات
لما روي عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولى • واذا غفل وسوس اليه الذي يوسوس
يجوز في محله الحركات الثلاث فالجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم • ويحسن ان يقف القارئ على
الخناس ويبتدئ الذي يوسوس على احد هذين الوجهين من الجنة والناس بيان للذي يوسوس على ان
الشيطان ضربان جني وانسي كما قال شياطين الانس والجن • وعن ابي ذر رضي الله عنه انه قال لرجل هل تعوذ
بالله من شياطين الانس ويجوز ان يكون من متعلقا بيوسوس • ومعناه ابتداء الغاية اي يوسوس
في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس • وقيل من الجنة والناس بيان للناس وان اسم الناس
ينطلق على الجنة واستدلوا بنفر ورجال في سورة الجن وما احقه لان الجن سموا جنا لاجتنانهم
والناس ناسا لظهورهم من الايناس وهو الابصار كما سموا بشرا ولو كان يقع الناس على القبيلين
وصح ذلك وثبت لم يكن مناسبا لفصاحة القران وبعده من التصنع واجود منه ان يراد بالناس
الناسي كقوله يوم يدع الداع وكما قرئ من حيث افاض الناس ثم يبين بالجنة والناس لان الثقلين
هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله عز وجل ٥ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي سورتان
ما انزل مثلهما وانك لن تقرا سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما • يعني المعوذتين المقشقشتين
قال عبد الله الفقير اليه وانا اعوذ بهما وبجميع كلمات الله الكاملة التامة
والوذ بكنف رحمته الشاملة العامة من كل ما يثلم الدين • ويثلم اليقين • او يعوق في العاقبة بالندم
او يقدح في الايمان المخلوط باللحم والدم • واساله بخضوع العنق وخشوع البصر • ووضع الجد
لجلالته الاكبر • مستشفعا اليه بنوره الذي هو الشيبة في الاسلام متوسلا بالتوبة الممحصة للاثام •
ونما عنيت به من مهاجرتي اليه ومجاورتي ربما بيتي بمكة ومضا برتي • على تواكل من القوى وتخاذل
من الخطى • ثم اساله بحق صراطه المستقيم • وقرانه المجيد الكريم • وبما لقيت من كدح اليمين • وعرق
الجبين • في عمل الكشاف عن حقائقه المخلص عن مضايقه • المطلع على غوامضه • المثبت في مداحضه
الملخص لنكته ولطائف نظمه • المنقر عن فقره • وجواهر علمه • المكثر بالفوائد المفتنة
التي لا توجد الا فيه • المحيط بما لا يكتنه من بدع الفاظه ومعانيه • مع الايجاز الحاذف للفضول
وتجنب المستكره المملول • ولو لم يكن في مضمونه الا ايراد كل شئ على قانونه لكفى به ضالة

بمتشبدها محققة الاخبار • وجوهرة يتمنى العثور عليها غاصة البحار • ومما شرفني به وبجدني
واحصني بكرامته وتوحدني من ارتفاعه على يدي في محبط بشاراته ونذره • وتشرف ابانه
وسوره • من البلد الامين بين حطيم الحرم وبين يدي البيت المحرم • حتى وقع التاسع وبلغ
حيث وجد التنزيل • ان يهب لي خاتمة الخير ويقيني مصارع السوء
ويجاوز عن فرطاتي يوم التناد • ولا يفضحني بها على رؤوس الاشهاد
ويحلني دار المقامة من فضله • بواسع طوله • وسابغ نوله • انه
الجواد الكريم • الرؤوف الرحيم • تم رقم الجزء الرابع من كتاب الكشاف
بحمد الله وكرمه بهو حربا المواهب والالطاف • تفضلا ونعمه • وتطولا بالاعانة لتمامه ورحمه
لله الحمد على نعمه الجليلة التي لا تحصى • حمدا يملا الارض والسماء • حمدا لا غاية له ولا منتهى حمدا لله حتى يرضى
وكان تمامه ضحى يوم الخميس المباركة خامس وعشرين من شهر جمادى الاخرة سنة ستة وسبعين بعد الالف
من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلوة والسلام • بخط الفقير الى كرم مولاه الغني
عمن سواه المحتاج لطفه ورجاه • الملتمس من ربه سوء النصيحة للعلم النافع انه السميع العليم
والطالب صلاح التربية والموفق لحسن خاتمه • عبد لله يحيى ابن الله حسن الدنيا والاخرة وسلم من المكاره
عقبى الحقير اللائذ بكنفه من عذاب الشعير اسيد يحيى على الحبشي ختم الله له بالحسنى
ورحمه الله نعم جدا والخط الاسنى • ورحمه ورحمه في الدنيا والاخرة • وكتم ذلك بالابتهال
الى الله تعالى بان الله يغفر لنا جميع الذنوب ويحشرنا من التبعات ويختم
اعمالنا بالصالحات • وارجوا ممن وقف على هذا ان يتكرم بالدعا بالعفو والمغفرة
والتجاوز عن جميع السيئات فان الكرم عميم
والرحمة واسعة والجود على
الخلق فايض
والحمد لله رب العالمين
كثيرا

الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم

ومن التابعين

ابن عباس وابن مسعود وابي بن كعب